



صفوة البيان لمعاني القرآن

تفسير القرآن الكريم لفضيلة الاستاذ
الشيخ حسين محمد مخلوف

مفتي الديار المصرية السابق وعضو جماعة كبار العلماء

لجنة الاحتفالات بمقدم
القرن الخامس عشر الهجري

دولة الإمارات
العربية المتحدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَقْدِيمٌ

« الرَّحْمَنُ ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ » فله الحمد على جليل نعمه ، وله الشكر على وفير مننه ، والصلاة والسلام على أشرف خلقه ، وصفوة أنبيائه ورسله ، سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وأصحابه ومن والاه .

أما بعد ، فقد قال الله تبارك وتعالى :

« وَزَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ، وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ » (١) .

ذلك هو القرآن الكريم ، الذى قال فيه ربنا جلَّ شأنه : « لَقَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ، وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » (٢) .

وأمرنا الله باتباع هديه والتمسك بأحكامه ، وفى ذلك قال رسول الله صلى عليه وسلم : « أَبشروا فإن هذا القرآن طرفه بيد الله ، وطرفه بأيديكم ، فتمسكوا به فإنكم لن تهلكوا ولن تضلوا بعده أبداً » (٣) .

ومن نعم الله تبارك وتعالى أن جعل لنا فى تلاوة القرآن الكريم حقَّ التلاوة ، مع العمل به واتباع أحكامه ، المثوبة والجزاء الأوفى . وجاءت البشرى بتلك المثوبة الإلهية فى الأحاديث النبوية الشريفة ، ومنها عن أنس رضى الله عنه (مرفوعاً) : « من قرأ القرآن يقوم به آناء الليل والنهار ، يُحلَّ حلاله ويحرم حرامه ، حرم الله لحمه ودمه على النَّارِ ، وجعله مع السفارة ، الكرام البررة ، حتى إذا كان يوم القيامة كان القرآن حجةً له » (٤) .

وعن عليٍّ رضى الله عنه (مرفوعاً) : « البيت الذى يُقرأ فيه القرآن بترأى لأهل السماء كما تترأى النجوم لأهل الأرض » (٥) .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تلقى الصحابة رضوان الله عليهم كيفية تلاوة القرآن الكريم ، وعندهم تلقى السلف الصالح ذلك . فكانت قراءتهم هى ترتيل وتدبر ، وانعاظ وتذكر ، وأدب وخشوع ، ورهبة وخضوع ، ورغبة ورجاء ، وخشية وبكاء ، لعظيم معرفتهم بالله ، وفهمهم لكتابه ، وتدبرهم لآياته ، وتفكيرهم فى حكمه وأسراره .

(١) آية ٨٩ من سورة النحل . رواه الطبراني عن جابر رضى الله عنه . (٥) أخرجه البيهقي .

(٢) الآيتان ١٥ . ١٦ من سورة المائدة . (٤) أخرجه الطبراني فى الصغير .

قال تعالى : « كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ ، لِيَذَّبُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ » (١) .

ومن نعم الله تعالى على أهل هذا الزمان ، تيسير طباعة القرآن الكريم ونشره . فأصبح المصحف الشريف في متناول الملايين من المسلمين . كما اتسع مجال إذاعة القرآن الكريم بأصوات القراء ، فدخل إلى كل بيت من بيوت المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، صوتُ قراء القرآن الكريم على موجات الأثير بالترتيل والتجويد لآي الذكر الحكيم . وفي السنوات الأخيرة مع تقدم العلم والاختراع وانتشار الأجهزة العلمية ، أصبحت تسجيلات القرآن الكريم المسموعة والمراثية في متناول كثير من الناس ، ويُستمع إليها في البيوت والأماكن الخاصة والعامة .

مثل هذا التطور والانتساع في انتشار المصاحف الشريفة ، وإذاعة القرآن الكريم ، لا بد وأن يواكبه جهدٌ متزايد في مجال تيسير فهم معاني القرآن الكريم لجمهور الناس وعامتهم فضلاً عن كثير من الخاصة ، وذلك لمساعدتهم على حسن تدبر معاني كتاب الله ، ومن ثم تلاوته حقّ التلاوة . وقد وصف حجة الإسلام الإمام الغزالي شروط التلاوة الحقّة فأبلغ حيث قال : « تلاوة يشترك فيها اللسان والعقل والقلب ، فحفظ اللسان : تصحيح الحروف بالترتيل ، وحفظ العقل : تدبر المعاني ، وحفظ القلب : الاتعاظ والتأثر ، بالانزجار والاثثار . فاللسان يرثل ، والعقل يترجم ، والقلب يتعظ » .

ومما يساعد على تحقيق ذلك الغرض : إيراد تفسير للقرآن الكريم على هوامش المصحف الشريف ، ينسج بسهولة معه الرجوع إلى التفسير أثناء التلاوة . وأن يكون التفسير سهلاً شاملاً وموجزاً ويعين التالى على فهم الآيات وتدبر المعنى في سرودون عناء .

لذلك رأينا ، بمناسبة مطلع القرن الهجرى الخامس عشر ، أن نقدم لإخواننا المسلمين مع المصحف الشريف ، التفسير المعروف باسم « صفوة البيان لمعاني القرآن » (٢) . الذي وضعه العالم العلامة الأستاذ الجليل فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف (٣) . المفتى السابق للديار المصرية وعضو جماعة كبار العلماء بالأزهر

(١) الآية ٢٩ من سورة : ص .

(٢) صورت الطبعة الأولى منه بمصر في عام ١٣٧٧ هـ الموافق ١٩٥٧ م .

(٣) ولد بباب الفتوح بالقاهرة عام ١٨٩٠ م وحفظ القرآن الكريم بالأزهر الشريف وأتم العلوم الأزهرية والتحق بالقسم العالى بمدرسة القضاء الشرعى وتخرج بتفوق في عام ١٩١٤ م واشتغل بالتدريس بالأزهر الشريف ، ثم عين قاضياً شرعياً وتدرج في مناصب القضاء إلى أن عين نائباً للمحكمة العليا الشرعية عام ١٩٤٤ م . ثم عين مفتياً للديار المصرية عام ١٩٤٥ م ثم رئيساً للجنة الفتوى بالأزهر الشريف .

وفضيلته من رواد الفكر الإسلامى في عصره ومن أئمة الباحثين في علوم الدين واللغة ويعتبر من العلماء العاملين لما له في خدمة الإسلام من أعمال وآثار ذات نفع عميق للمسلمين . فكما كان له في مجال القضاء الشرعى الكثير من الأحكام التى لها صفة المبادئ والقواعد التى يرجع إليها بعده في مجالها ، فإن له العديد من الفتاوى . والبحوث الإسلامية والمؤلفات الدينية . والمقالات التى اتسمت بطابعها الخاص وتأثيرها في عصره . كما عمل على إحياء كثير من كتب التراث الإسلامى النافعة بالشرح والتحقيق .

وقد انتشرت آثاره في حينها - وما زالت تنتشر - في جميع أقطار العالم الإسلامى . جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

الشريف ، وعضو مجمع البحوث الإسلامية بمصر ، وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة .

ذلك لأن هذا التفسير يفي بالغرض المنشود ، حيث توافرت به عدة خصائص منها على سبيل الذكر الخصائص التالية :

١ - أنه يعنى بالجانب اللغوي عناية خاصة ، باعتبار أن فقه لغة القرآن الكريم هو المدخل الطبيعي إلى حسن فهم معانيه . وقد تناول الكلمة القرآنية في أبعادها النحوية والصرفية والبلاغية تناولاً مُجيداً في وفاء مادته ، مُبسّطاً في أسلوب عرضه . فهو يجمع إلى سهولة المأخذ ، بُعد الغور ، ودقّة المعنى ، وحسن اختيار الكلمات ، فهو بهذا ضرب من الأدب الرفيع إلى جانب ما حواه من علم غزير .

٢ - أنه يسير وفق منهج السلف الصالح في التفسير ، فهو كثيراً ما يفسر القرآن بالقرآن أو بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو التابعين . متحرّياً البعد عن الإسرائيليات التي شابت كثيراً من التفاسير ، متجنباً الآراء الشاذة والخلافات المذهبية والآثار المشبوهة والتأويلات الباطلة .

٣ - أنه أشار في المواضع المناسبة ، إلى عدد من العلوم والمعارف التي شملها القرآن الكريم ، كالعقيدة والفقه ، من عبادات ومعاملات ، وكذلك الأخلاق والسلوك ، وذلك فضلاً عن عدد من علوم القرآن التقليدية : كالتقراءات ، والناسخ والمنسوخ . والمكي والمدني وترتيب السور والآيات ، وأسباب النزول وغيرها وبالقدر الذي يستلزمه التفسير ، ويحتاج إليه إيضاح المعاني .

كما أن هذا التفسير يشير أحياناً - وفي المواضع المناسبة - إلى بعض العلوم الحديثة ، ممّا يساعد على إيضاح بعض وجوه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم . كما أنه كثيراً ما يستعين على تقريب المعاني العميقة بضرب الأمثال وذكر الأشباه ، وسوق فرائد الحكم ، ومخاطبة العقل بما ألفتة العقول ، وتواضعت عليه الأفهام .

فلهذه الخصائص التي تميّز بها هذا التفسير رأينا أنه يصلح أكثر من غيره للشباب ، ولجمهرة المثقفين ، ولا يصعب على من هم دونهم من عامة المسلمين ، ولا يقصّر عن حاجة الخاصة من العلماء والباحثين .

والله سبحانه نسأل أن يجزي صاحب هذا التفسير خير الجزاء ، وأن ينفع به عامة المسلمين وخاصّتهم ، وأن يوفقنا وإياهم للسير على هدي كتابه . والتمسك بأحكامه ، وأن يهدينا جميعاً إلى سواء السبيل .

محمد عبد الرحمن البكر

رئيس اللجنة الوطنية لاحتفالات القرن الهجري الخامس عشر

وزير العدل والشئون الإسلامية والأوقاف

أبوظبي في : ٢٥ من شوال ١٤٠١ هـ

الموافق ٢٥/٨/١٩٨١م

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى ونوراً ، وأرسل به رسوله الأعظم مبشراً ونذيراً ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، واهتدى به من استمسك بهديه فسعد ، وضلّ عن الحق من أعرض عنه فبعد . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، تقدّست ذاته ، وتنزهت صفاته ، عما لا يليق بجلاله ، ولا ينبغي لكمالهِ . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ومجتباه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن والاه .

أما بعد ، فإن القرآن العظيم كتابُ الله ، أوحى به إلى أفضل خلقه وأكمل رسله ، بلاغاً للناس ولينذروا به ، وليعلموا أنما هو إله واحد ، وليذكر أولو الألباب ، وأودعه من العقائد والعبادات ، والأحكام والحكم ، وفنون العلوم وأصول الفضائل ؛ ما به قوامُ الملة الكاملة ، والأمة الفاضلة ، والدولة الراشدة ، وما به سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة . فكان أفضل الكتب السماوية وأجمعها للخير ، وأوفاهما بحاجة البشر ، وأبقاها على الدهر : مصداقاً لها ومُهميناً عليها . وكان دعوة الحق لسائر الخلق إلى يوم الدين . لا قبول للإيمان إلا به ، ولا نجاة في الآخرة إلا باتباعه ﴿ وَمَنْ يَسْتَغِرْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

* * *

وقد أنزله الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، بلسان عربي مبين ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ . وكان قومه أئمة البيان وفرسان البلاغة وأعلام الفصاحة ؛ فبهرهم بآياته البينة ، وحججه الدامغة ، وحكمه البالغة ، وأخباره الصادقة ، وفصاحته لفظه ، وورصاته نظمه ، وبلاغته أسلوبه ؛ ففخروا له سجداً ، وأذعنوا له خضعاً ، وأيقنوا أنه كلام رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلب رسوله العظيم ؛ ليكون من المنذرين . إلا من فسدت فطرته ، وضعفت مئنته ، واتخذ إلهه هواه ؛ فجحد عناداً ، وأبى استكباراً أن يؤمن به ويذعن له . فما إن تحدّاهم بقول الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ ، وبأن يأتوا بسورة من مثله ، فصاحته وبلاغته ، ونظماً وحكماً ، وأحكاماً وأمثالاً ، ومواعظ وقصصاً ، وأغراضاً ومرامياً : حتى ألقوا باليدين عجزاً ، وولّوا الأدبار هزيمة ، ونكصوا على الأعقاب هرباً .

فهو المعجزة الكبرى ، الدالة على صدق الرسالة ، والدعوة العظمى من الله تعالى إلى التوحيد والإسلام ، القائمة ما بقي الدهر . وقد تولى الله حفظه من التحريف والتبديل ، والتغيير والمعارضة ؛ كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ الذِّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ؛ فلا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون .

وها هو ذا ، قد مضى من وقت نزوله أربعة عشر قرناً ، ولا يزال كما وعد الله محفوظاً في الصدور ، مقروءاً بالألسنة ، مكتوباً في المصاحف كما أنزل ، لم يُغيّر فيه عمّا أنزل حرف ولا كلمة ولا ترتيب . ولم يستطع أحد - كائناً من كان - أن يعارضه بمثله أو بما يدانيه ؛ وسيبقى محفوظاً كما أنزل إلى آخر الدهر ، إيماناً بصدق الخبر ، والوعد الحق .

وكيف لا ؟ وهو حجة الله على خلقه إلى انقضاء الدنيا ، ودعوته القائمة إلى آخر الزمان ، ورسالته العظمى إلى البشر ؛ ما بقي التكليف بالشرعة المحمدية ، الخاتمة لجميع الشرائع السماوية .

* * *

ومن عناية الله به ورحمته بخلقه ، أن جعل القرآن محفوظاً في كل العصور بالتواتر الصادق القاطع ، يرويه الخلف عن السلف بألفاظه وحروفه المنزلة ، وكيفيات أدائه المروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، بما لا مزيد عليه في الحفظ والضبط . ووفق له في كل عصر حفاظاً متقين ، وأئمة ثقات اختصوا بحفظه ونقله وروايته ، ودراسة علومه وفنونه ، وتفسيره روايةً ودرابةً ، وتدوين تفسيره من جهة أحكامه ، ومن جهة إعرابه ، ومن جهة بلاغته وإعجازه ، ومن جهة قصصه وأخباره ، ومن جهة أمثاله ومواعظه ، ومن جهة تعاليمه ومبادئه ، ومن جهة قراءاته ، ومن جهة ألفاظه ولغته ؛ إلى غير ذلك من الجهات .

وقد أيقظ القرآن الفكر الإنساني من رقاده ، وحركه من جموده ، وأزاح عنه رين الجهالة ، ووجهه إلى العلم ، وعلمه سلوك مناهج الحياة . وفتح للعقول أبواباً من العلوم ، وسلك بها سبلاً من المعارف لم يكن لها عهد بها من قبل ؛ فكانت نوراً وهدى للناس في سائر العصور . وكان القرآن - كما ورد - مادية الله لخلقه ، يطعم منها من يشاء بما يشاء ، ويُفيد منها كل إنسان بقدر استعداده ، وتهيئ فطرته لقبول فيضه . وكان المسلمون - بدراسة هذه العلوم وتدوينها ، وإرساء قواعدها ، وتقرير أحكامها ، وتفريغ أصولها - الرواد الأول في مجال البحث ، والقادة الفاتحين في مجال العلم والعرفان .

* * *

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه والتابعين : حث المسلمين في كل العصور ، على أن يتخذوا إمامهم القرآن ، يهتدون بهديه ، ويخضعون لحكمه ، ويجتهدون في تعلمه ، وتفهم أسرارهِ ، وتدبر معانيهِ ؛ كما يرشد إليه قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلْنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ،

وقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ ، وما رواه أبو هريرة مرفوعاً : (أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه) .

وإعراجه : معرفة معاني ألفاظه ؛ لا الإعراب المصطلح عليه عند النحاة المقابل للحن ، لأن القراءة مع فقدته ليست قراءة ولا ثواب لها . والتماس غرائبه : طلب معرفة هذه المعاني من مصادرها ، وهي الرواية واللغة الفصحى .

وفي القرطبي عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قرأ القرآن فلم يُعربه وُكِّل به مَلَكٌ يكتب له كما أنزل بكل حرف عشر حسنات ، فإن أعرب بعضه وُكِّل به ملكان يكتبان له بكل حرف عشرين حسنة ، فإن أعربه وُكِّل به أربعة أملاك يكتبون له بكل حرف سبعين حسنة) .
وعن إياس بن معاوية : مثَّل الذين يقرأون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره ، كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً وليس عندهم مصباح ، فتدخلتهم روعةٌ ولا يدرون ما في الكتاب ، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرأوا ما في الكتاب .

فقارئ القرآن وسامعه ينبغي له أن يعرف تفسير ما يحتاج إلى التفسير من آياته ؛ إذ كانت هي الصراط المستقيم ، وهي النور والهدى ، وهي الحجة والبرهان ، وهي أصل كل علم ومنبع كل خير ، وأن يلتمس حقائق مفرداته ومعانيها المستعملة فيها ، التي يتوقف على معرفتها فهم آياته ، بل الفهم في كل علم ؛ إذ ألفاظ القرآن كما قال الراغب : « لُبُّ كلام العرب وزبدته ، وواسطته وكرامته ، وعليها اعتماد الفقهاء في أحكامهم ، والحكماء في حكيمهم ، وإليها مفزعُ حُذَاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم » . وكلها في الفصاحة بالمحلِّ الأرفع ، ولها الصدارة التي لا تُدفع ، ومنها ألفاظ لا يقف على معانيها إلا الراسخون في اللغة ، المتمرسون بأساليب العرب ولهجاتهم ؛ مثل : حناناً وأباً والبحيرة والسائبة والوصيلة والهامي وغسلين وسجين وأواه وافتح بيننا ويؤفكون ويصرفون وسوياً وكأين والقمل والمثالث والنكال وأغطش وأحوى وهَمَزَةٌ لَمَزَةٌ والفلق والغسق وضبحاً وكنود وفاكهي ، ونحو ذلك ؛ وتسمى « غرائب القرآن » .
وقد عني بشرحها وبيان معانيها الوضعية ، وما أريد بها في الآيات المشتبهة عليها : أئمة اللغة والتفسير ؛ كأبي عبيدة ، وابن دُرَيْد ، والزرَجَاج ، والقرَاء ، والأخفش ، وابن الأنباري ، والراغب ، والسجستاني ، وأضربهم . وفي ذلك مطولات ومختصرات .

* * *

وقد رَغِبَ إلى كثيرٍ من طُلَّابِ الْعِلْمِ : أن أضع تفسيراً للقرآن الكريم ، واضح العبارة ، داني المجتنب ، مقتصر على ما لا بد من تفسيره من الآيات والمفردات ، يُستغنى به عن استيعاب المطولات - وفيها من تشعب المباحث وكثرة الأقوال ، ما قد يعسر معه استخلاص المعاني القرآنية منها على من لم يَأْلَف أساليبها واصطلاحاتها - كما يُستغنى به عن المختصرات التي يَدِقُّ على الأذهان فهمها ، وتنبو عنها إشاراتنا . فاستخرت الله تعالى على ضعفي وضعوبة المقام في وضعه ، مستعيناً بحوله وقوته ، وهو خير معين ، متوكلاً

عليه ، وهو نعم الوكيل . مبتهلاً إليه عزّ شأنه أن يوقني للصواب ، ويحفظني مما يُدَمَّ ويُعَاب ، ويُقِيل
عَثَرِي يَوْمَ الْحِسَاب .

وبدأت بشرح مفردات القرآن شرحاً وافياً على ترتيب النظم الكريم ، لا على ترتيب المعاجم
اللغوية ؛ يوقف منه على المعنى بسهولة أثناء التلاوة أو السماع ، مع بيان معنى بعض الآيات التي انتظمت
هذه المفردات .

ولدى إعادة النظر فيه ، وجدتُ الحاجة ماسةً إلى تفسير آيات أخرى على النحو الذي قصدت ، وإن
لم تشتمل على غريب القرآن . فصممت تفسيرها إلى ما بدأت به . واكتمل من الجميع هذا التفسير الذي
سميته : « صفوة البيان ، لمعاني القرآن » راجياً من الله تعالى النفع به ؛ كما نفع بأصوله ، والثبوت عليه
يوم الجزاء . وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، إنه تعالى خير مرجو ، وأكرم مسؤول .

راجي عفو ربّه الرءوف

حسين مجيد مخلوف

مُفتي الديار المصرية السابق وعضو جماعة كبار العلماء

مُقَدِّمَةٌ

تَشْتَمِلُ عَلَى مَسَائِلَ يَنْبَغِي مَعْرِفَتَهَا

الأولى - في المكي والمدني :

أشهر الأقوال في تعريف المكي والمدني : أن المكي ما نزل قبل الهجرة في مكة أو في ضواحيها ؛ كمنى وعرفات والحديبية . ومنه ما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغها النبي صلى الله عليه وسلم . والمدني : ما نزل بعد الهجرة في المدينة أو في ضواحيها ؛ كبدر وأحد وسَلْع . ومنه ما نزل بمكة عام الفتح ، أو عام حجة الوداع ؛ وما نزل في سفر من الأسفار بعد الهجرة . والمرجع في معرفة المكي والمدني إلى حفظ الصحابة والتابعين . ومعرفة تُعين على معرفة تاريخ النسخ والمنسوخ .

الثانية - في معنى السورة :

السورة طائفة من القرآن ، لها ابتداء وانتهاء ، وترجمة باسم خاص بها أو بعدة أسماء ، عُرف المشهور منها بالتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم . مأخوذة من سور المدينة ؛ لاحتوائها على فنون من العلوم ، احتواء سور المدينة على ما فيها ، أو لارتفاع رتبها كارتفاعه . أو من السورة ، وهي المنزلة الرفيعة . أو من التَّسْوِير ، وهو العلو والارتفاع ؛ لارتفاعها بكونها من كلامه تعالى . وأجمعوا على أن عدد سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة . وَمَنْ عَدَّهَا مائة وثلاث عشرة جعل الأنفال والتوبة سورة واحدة .

والحكمة في تسوير القرآن سوراً أن يكون أنشط للقارئ ، وأبعث على التحصيل ، وأن الجنس إذا انطوت تحته أنواع كان أحسن من أن يكون باباً واحداً . وفي التسوير إشارة إلى أن كل سورة نمطٌ مستقل .

الثالثة - في ترتيب الآيات والسور وتسميتها :

ترتيب الآيات في السور بتوقيف منه صلى الله عليه وسلم ، وبأمره إجماعاً . وترتيب السور توقيفي عند الجمهور . قال أبو بكر الأنباري : « إن جميع القرآن الذي أنزله الله تعالى ، وأمر بإثبات رسمه ، ولم

ينسخه ، ولا رفع تلاوته بعد نزوله ، هو هذا الذي بين الدفتين ، الذي حواه مصحف عثمان ، وأنه لم ينقص منه شيء ولا زيد فيه شيء ، وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله ورتبه عليه رسوله من أي السور ، لم يقدم من ذلك مؤخر ، ولا آخر منه مقدم . وأن الأمة ضبطت عن النبي صلى الله عليه وسلم ترتيب أي السور كلها ومواضعها ، وعرفت مواقعها : كما ضبطت عنه نفس القراءات ، وذات التلاوة .

وقال البغوي : « إن الصحابة جمعوا بين الدفتين القرآن كما أنزله الله على رسوله ، من غير أن زادوا فيه أو نقصوا منه شيئاً ، خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظه : فكتبوه كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من غير أن قدموا شيئاً أو أخرّوا شيئاً ، أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذه منه صلى الله عليه وسلم . وكان رسول الله يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن ، على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا ، بتوقيف جبريل عليه السلام إياه على ذلك ، وإعلامه عند نزول كل آية ، أن هذه الآية تُكتب عقب آية كذا في سورة كذا » . ومنه يعلم أن أسماء السور توقيفية .

وقال ابن الحصار : « ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ضعوا آية كذا في موضع كذا . وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف » .

الرابعة - في المحكم والمتشابه :

من آيات القرآن آيات مُحَكَّمات هنّ أم الكتاب وأصله ، وأخر متشابهات .

والمحكم : ما عُرف المعنى المراد منه . والمتشابه : ما استأثر الله تعالى بعلمه ، كقيام الساعة ، والحروف المقطّعة في فواتح السور .

وقيل : المحكم ما لا يحتمل من التأويل بحسب وضع اللغة إلاّ وجهاً واحداً . والمتشابه : ما احتمل أوجهاً عديدة واحتاج إلى النظر ؛ لحمله على الوجه المطابق .

وقيل : المحكم ما اتضح معناه . والمتشابه بخلافه . وهناك أقوال أخرى في تفسيرهما . وسيأتي لذلك مزيد بيان أول سورة آل عمران .

وجعل الخطابي المتشابه على ضربين : أحدهما ما إذا رُدّ إلى المحكم واعتبر به عُرف معناه . والآخر ما لا سبيل إلى الوقوف على حقيقته . فن المتشابه ما يمكن الاطلاع على معناه ، ومنه ما لا يعلمه إلا الله تعالى .

ومن المتشابه آيات الصفات ، نحو : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى . كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ وَلَنُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي . يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ . وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ . ومنه أحاديث الصفات .

ومذهب جمهور أهل السنة - ومنهم سفيان الثوري وابن المبارك وابن عُيينة ووكيع ، والأئمة الأربعة - أنه يجب الإيمان بها وتفويض علم معناها المراد منها إلى الله تعالى ، وترك تأويلها مع تنزيهه تعالى عن حقيقتها ؛ لاستحالة مشابهته تعالى للحوادث ؛ قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

عن أم سلمة - رضي الله عنها - في تفسير قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ : الكَيْف غير معقول ، والاستواء غير مجهول ، والإقرار به من الإيمان ، والجحود به كفر .
وعن مالك فيه : الكيف غير معقول ، والاستواء غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة .

وعن محمد بن الحسن : اتفق الفقهاء كلهم على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه .
وقال ابن الصلاح : على هذه الطريقة مضى صدر الأمة وساداتها ، وإياها اختار أئمة الفقهاء وقاداتها ، وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامهم .
وقال إمام الحرمين أخيراً في الرسالة النظامية : الذي نرتضيه ديناً ، وندين به عقداً ، اتباع سلف الأمة ؛ فإنهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها .
ومن ذهب إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ، والإمام ابن القيم ومن تبعهما ، وكثير من المفسرين كالغوي والرازي والجلالين والآلوسي ، وصاحب فتح البيان ، وغيرهم .
وذهبت طائفة من أهل السنة إلى تأويل هذه الآيات والأحاديث الواردة في الصفات بما يليق بجلاله تعالى ، مع تنزيهه عن حقيقتها ؛ وهو مذهب الخلف .

وقال الإمام الرازي : إن الذي آختره الأئمة المحققون من السلف والخلف ترك الخوض في تعيين التأويل ، بعد إقامة الدليل القاطع على أن حمل اللفظ على ظاهره محال .
ومن المتشابه : الحروف المقطعة في أوائل السور ؛ فقد افتتحت تسع وعشرون سورة من القرآن بنصف أسماء حروف المعجم ؛ وهي : الألف واللام ، والميم والصاد ، والراء والكاف ، والهاء والياء ، والعين والطاء ، والسين والحاء ، والقاف والنون .

فالمبدوء منها بالألف واللام ثلاث عشرة ، وبالحاء والميم سبع ، وبالطاء أربع ، وبكل من الكاف والياء والصاد والقاف والنون واحدة . وبعض هذه الحروف المبدوء بها أحادي ، وهو : ص ، ق ، ن . وبعضها ثنائي ، وهو : طه ، وطس ، ويس ، وحَم . وبعضها ثلاثي ، وهو : آلم ، والر ، وطسم . وبعضها رباعي ، وهو : آلمص ، وآلمر . وبعضها خماسي ، وهو : كهيعص ، وحَم عسق . ولا تزيد على ذلك .

والمختار فيها - كما ذكره الجلال في الإتقان - : أنها من الأسرار التي لا يعلمها إلا الله تعالى .
وعن أبي بكر الصديق : في كل كتاب سر ، وسره في القرآن أوائل السور .
وعن ابن عباس : عجزت العلماء عن إدراكها . وعن الشعبي : هي سر الله فلا تطلبوه . ومن ذهب إلى ذلك عمر وعثمان وعليّ وابن مسعود وسفيان والربيع .

وخاض في معناها آخرون ؛ فقال بعضهم : إن كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه تعالى ؛ والعرب تنطق بالحرف الواحد ، تدلّ به على الكلمة التي هو منها . وقيل : هي أسماء للسور . قال الزمخشري : وعليه إطباق الأكثر .

وأما الحكمة التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السور مع قطع النظر عن معانيها في أنفسها فقيل : إنما ذكرت في مفتتح السور بياناً لإعجاز القرآن ، وأنه كلمات مركبة من حروف الهجاء التي تتألف منها الكلمات التي ينطقون بها ، وقد عجز الخلق عن معارضته ؛ فلو لم يكن وحياً من عند الله تعالى لم تتساقط مقدرتهم دون معارضته . حكاه الرازي عن المبرد وجمع من المحققين ، وحكاه القرطبي عن الفراء ، ورجّحه الزمخشري ، وإليه ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ المزي .

وقد ذكر العلماء لوقوع التشابه في القرآن فوائد ، منها في التشابه الذي يمكن علمه : أنه يوجب مزيد المشقة في الوصول إلى المراد ، وهي توجب مزيد الثواب . ومنها : ظهور التفاضل وتفاوت درجات الخلق في معرفة القرآن ؛ إذ لو كان كله محكماً لا يحتاج إلى تأويل ونظر ، لأستوت منازل الخلق فيه ، ولم يظهر فضل العالم على غيره . ومنها في التشابه الذي لا يمكن علمه : ابتلاء العباد بالوقوف عنده ، والتوقف فيه ، والتفويض والتسليم ، والتعبد بالاشتغال به من جهة التلاوة ، وإقامة الحجة عليهم ؛ لأنه لما نزل بلسانهم وعجزوا عن الوقوف على معناه مع بلاغتهم وأفهامهم ، دلّ على أنه منزل من عند الله تعالى .

الخامسة - في أقسام القرآن :

أنزل الله تعالى القرآن بلسان عربي مبين ، وجاء فيه في مجادلة المنكرين ومراعاة الجاحدين ، وفي تقرير الحقائق ، والكشف عن الدقائق ، وبيان عظيم قدرته تعالى ، وبديع صنعته ، وبإلغ حكمته ، وعظمة ملكه ، وسننه في خلقه - بالحجج الدامغة ، والبراهين الساطعة ، يصرف الآيات للناس لعلمهم يفقهون ، ويضرب لهم الأمثال لعلمهم يتذكرون ، ويؤكد لهم الأخبار بمختلف الأقسام على أسلوب فصحاء العرب في مخاطباتهم ومحاوراتهم ؛ فقد كانوا إذا أرادوا تأكيد الأمر وتحقيقه ، أقسموا عليه بالعظيم الخطير الشأن ، أو الكثير النفع ، أو الظاهر الفضل .

وتوكيد الكلام بالقسم إذا اقتضاه الحال أسلوبٌ بليغ رصين . والله تعالى أن يقسم بما شاء . فأقسم تعالى بنفسه في القرآن في سبعة مواضع ؛ لتقرير وجوب الإيمان به ، والطاعة له . وأقسم بأفعاله العجيبة ، ومصنوعاته البديعة ، فقال : ﴿ وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا ، وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاهَا ۚ ﴾ . وقال : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ - وَالطُّورِ ، وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ - وَالضُّحَى ، وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى - وَالْفَجْرِ ، وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ والقسمُ بها في معنى القسم به تعالى ؛ إذ هو صانعها ومبدعها .

قال ابن القيم : إنه يقسم في القرآن بأمور على أمور ؛ فيقسم بذاته الموصوفة بصفاته ، وبآياته المستلزمة لإثبات ذاته وصفاته ، ويقسم ببعض مخلوقاته ؛ للدلالة على أنها من عظيم آياته .

وقد يأتي في القرآن بالقسم الظاهر كقوله تعالى : ﴿ وَالضُّحَى ، وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى - تَاللَّهِ تَسْلَىٰ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ۚ ﴾ . وقد يأتي بنحو قوله : ﴿ تَلْبُوتٌ فِي أُمُورِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ۚ ﴾ وبنحو قوله : ﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۚ ﴾ .

وقد أقسم تعالى على التوحيد ، وعلى أن القرآن حق ، وعلى أن الرسول حق ، وعلى الوعد والوعد والجزاء ، وعلى حال الإنسان وطبيعته ، وكثيراً ما يُذكر جواب القسم ، وقد يحذف للعلم به ، أو لوجود ما يدل عليه .

وبالتأمل في كل قسم من أقسام القرآن تظهر المناسبة الدقيقة بينه وبين المقسم عليه ، وهو نوع بديع من وجوه بلاغة القرآن .

السادسة - في الاستعاذة :

لما كانت الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم تطهر القلب ، وتطرد عنه الوسوس والهواجس ، وخواطر السوء ؛ كان من السنة الاستعاذة عند إرادة القراءة خارج الصلاة ؛ قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ . فيقول القارئ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ على ما اختاره مالك وأبو حنيفة والشافعي . أو أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم ؛ على ما اختاره أحمد ، رضي الله عنهم . أي ألتجئ إلى الله تعالى ، وأستجير به ، وأتحصن مما أخشاه من الشيطان الطريد من رحمته تعالى ؛ يقال : عذتُ بفلان ، واستعذت به ؛ أي التجأت إليه وتعلّقت به . ومنه : أعينك بالله أن تفعل كذا . ومعاذ الله ، وعياد الله .

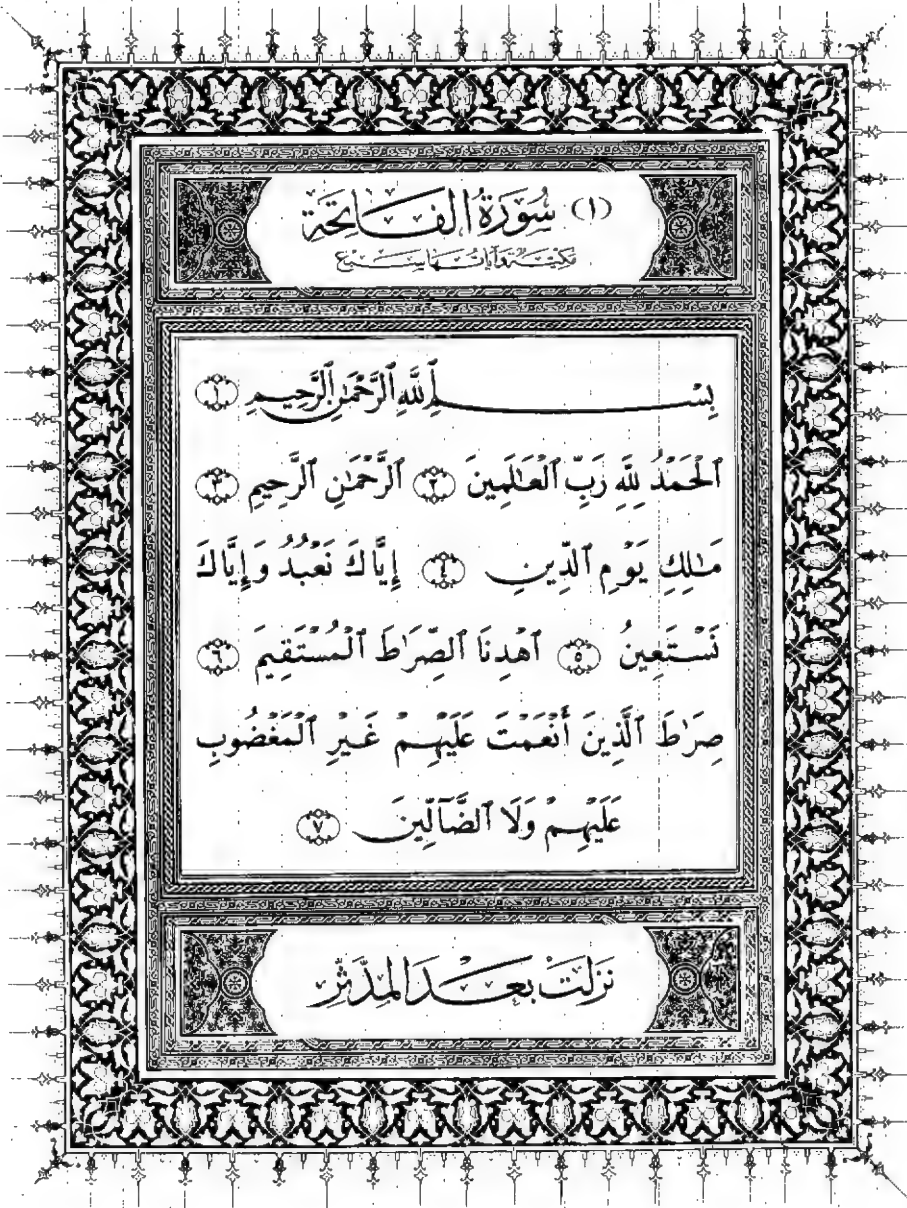
السابعة - في البسملة :

ذهب كثير من القراء والأئمة إلى أن البسملة ليست آية من الفاتحة ، ولا من غيرها من السور ، وإنما هي آية واحدة من القرآن ، أنزلت للفصل بين السور والتبرك بها في الابتداء . وإليه ذهب أبو حنيفة ومالك . وذهب آخرون إلى أنها آية من الفاتحة ، ومن كل سورة غير براءة . وإليه ذهب الشافعي ، وأحمد في إحدى الروايتين عنه . وهذا كله في غير بسملة النمل « آية ٣٠ » فإنها جزء آية باتفاق .

الثامنة - في التأمين :

يُنْدَب للقارئ بعد الفراغ من الفاتحة أن يقول « آمين » ؛ مفصولة عنها بسكتة خفيفة ، ومعناها : استجب يا الله ، أو افعَل . وليست من القرآن باتفاق ؛ ولذا أجمعوا على عدم كتابتها في المصاحف .

طهوة البيان لمعان القرآن



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الفاتحة

٢- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثناء أثنى الله به على نفسه . وفي ضمنه تعليم عباده كيف يُشنون عليه - وأمرهم به . وعن ابن عباس : الحمد لله هو الشكر لله - وهو الاستخاء

له : والإقرار بنعمته وهدايته . ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ مالِكهم . وكل من ملك شيئاً يدعى ربّه : أو مُربّهم ومتولّى أمورهم : والقائم عليهم بما يصلحهم : يقال لمن قام بإصلاح الشيء وإتمامه : قد ربّه . ويقال : فلان ربّ صنيعته عند فلان إذا كان يحفظها ويربّيها عنده ، وفي الحديث : (هل لك من نعمة تربّيها عليه ؟) (١) أي

(الجزء الأول)

تحفظها وترتيبها كما يربّي الرجل ولده . وأصل الرّب - مصدر بمعنى التربية - وهى تبليغ الشيء إلى كماله بحسب استعدادة شيئاً فشيئاً . واستعير للفاعل أى المرئى . والرّب على الأول صفة ذات ، وعلى الثانى صفة فعل . و ﴿ العالمين ﴾ جمع عالم - وهو ما سوى الله تعالى : وسمى بذلك لأنه علم على وجود الخالق . وجمع جمع العقلاء تغليلاً .

٣ - ﴿ الرَّحْمَنِ ﴾ بما سرّ في الدنيا وأفاض من الخير على خلقه . ﴿ الرَّحِيمِ ﴾ بما غفر في العقبى وجاد بالفضل على عباده .

٤ - ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ صاحب الملك في ذلك اليوم الذى يكون فيه الجزاء والحساب على الأعمال . والمتصرّف فيه بالأمر والنهي وحده ؛ قال تعالى : (الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ)^(١) . (يَوْمَئِذٍ يُؤْفِقُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ)^(٢) ويقال : دنته بما صنع ديناً - بفتح الدال وكسرهما - جزئته . وكما تدين ثُدان . والله الديان ؛ أى المجازى .

٥ - ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ لا نخضع ونذل إلا لك . إقراراً لك بالربوبية . فلا نعبد سواك . والعبادة أقصى غاية الخضوع

والتذلّل . وتستعمل بمعنى الطاعة ؛ ومنه : (أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ)^(٣) . وبمعنى الدعاء ؛ ومنه : (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي)^(٤) . وبمعنى التوحيد ؛ ومنه : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)^(٥) . وكلها متقاربة المعنى . ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ لاستعين إلا بك على عبادتنا وطاعتنا لك في جميع أمورنا : مخلصين لك ، فلا نستعين بغيرك ؛ وفي الحديث : (إِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ)^(٦) . وقُدِّمت العبادة على الاستعانة لأنها وسيلة الإجابة ، وتقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة أقرب إلى الإجابة .

٦ - ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ أرشدنا إلى الاستقامة على امتثال أوامرك ، واجتناب نواهيك . أو أرنا طريق هدايتك الموصلة إلى قربك . أو ألهمنا الطريق الهادى ، وهو دين الله الذى لا عوج له . والهداية : الدلالة بلطف على ما يوصل إلى المطلوب . وقيل : هى الدلالة الموصلة إليه . و « الصراط المستقيم » : الطريق السهل السوى الذى لا اعوجاج فيه . والمراد منه : الطريق الحق ، أو دين الإسلام .

٧ - ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ أى بطاعتك من ملائكتك وأنبيائك والصديقين

والشهداء والصالحين ؛ وإليه الإشارة بقوله تعالى : (فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ)^(٧) . ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ روى مرفوعاً تفسير « المغضوب عليهم » باليهود . و « الصّالين » بالنصارى ؛ قال تعالى في اليهود : (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)^(٨) . وقال تعالى في النصارى : (يَا أَهْلَ الْكِتَابَ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)^(٩) . واليهود قد غرّفوا الحق واخرفوا عنه ؛ فغضب الله عليهم . والنصارى جهلوه وعمّوا عنه ؛ فضلّوا وأضلّوا . وفى حكم اليهود والنصارى من هم على شاكلتهم من أهل النحل الأخرى من غير المسلمين . والغضب : صفة أثبتّها الله تعالى لنفسه على الوجه اللائق بجلال ذاته ؛ تؤمن بها . ونفوّض إليه تعالى علم حقيقتها بالنسبة إليه . مع تنزيهه عن مشابهة الحوادث . وأثرها الانتقام والعذاب . والضلال : العدول عن الطريق السوى . والذهاب عن سنن القصد ، وطريق الحق ؛ ومنه : ضلّ اللبن فى الماء إذا غاب .

(١) آية ١٧ غافر . (٢) آية ٢٥ النور . (٣) آية ٦٠ يس . (٤) آية ٦٠ غافر . (٥) آية ٥٦ الذاريات . (٦) رواه الترمذى . (٧) آية ٦٩ النساء . (٨) آية ٦٠ المائدة . (٩) آية ٧٧ المائدة .

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ مَكِّيَّةٌ

١٢٨ آيَةً ٢٨١ قُرْآنِيَّةً ٢٨١ قُرْآنِيَّةً

وَابْلَاهُمْ أَفْئَاتِهِمْ وَتَوَاتَوْا

وَعَمَّ أَفْئَاتِهِمْ وَتَوَاتَوْا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَ ۝ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ
هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝
وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ
مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝

وَالْمُتَّقُونَ : هم الذين يجتنبون كلَّ
ما يُؤْتَمُّ من قول أو فعل .
أو يمتثلون ما أمر الله به . ويجتنبون
ما نهى عنه . وقاية لأنفسهم من
عذاب الله وسخطه . جمع
مُتَّقٍ ، اسم فاعل من اتَّقَى وأصله
أَوْتَقَى - بوزن افعل - من وقى
الشيء وقاية : أى صانه وحفظه
مما يضره ويؤذيه . فإذا نيت منه
افعل قلت الواو تاء وأدغمت في
التاء الأخرى فصارت اتَّقَى .
وخص المتقين بالذكر لأنهم هم
الذين ينتفعون به .

٣ - ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾
يصدقون بما غاب عن
حواسهم : كالصانع وصفاته ،
واليوم الآخر وما فيه من البعث
والحساب والجزاء . والإيمان
لغة : التصديق والإدعان ، وهو
إفعال من الأمن : كأن حقيقة
قولهم : آمن به . آمنه التكذيب
والمخالفة . وشرعاً : التصديق
بما علم بالضرورة أنه من دين
محمد صلى الله عليه وسلم ،
كالوحيد والنبوة والمعاد والجزاء .
وَالْغَيْبُ : مصدر غاب . أقيم
مقام اسم الفاعل وهو غائب
مبالغة يجعله كأنه هو . وهو الخفي
الذى لا يُدركه الحس ،
ولا تقتضيه بديه العقل . وإنما
يُعلم بخبر الأنبياء عليهم السلام .
ومنه ما لم يُنصَّب عليه دليل .
وهو الذى استأثر الله تعالى بعلمه
كالقدر . ومنه ما نُصبت عليه
الدلائل كوجود الصانع وصفاته .

سورة البقرة

١ - ﴿ الْم ﴾ [راجع المسألة
الرابعة من المقدمة ص «و»] .
٢ - ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ ﴾ ذلك
الكتاب الكامل ، وهو القرآن
العظيم . والكتاب : مصدر كتب
كالكتب . وأصل الكتب ضم
أديسم إلى أديسم بالخياطة ،
واستعمل عرفاً في ضم الحروف
بعضها إلى بعض بالخط . وأريد
به هنا المنظوم عبارة قبل أن تُنظم
حروفه التى يتألف منها فى الخط ،
تسمية للشيء باسم ما يتول إليه .
﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ أى ليس هذا

الكتاب محلاً لأن يرتاب عاقل
منصف في أنه منزل من عند
الله ، أو فى هدايته للبشر ، لأن
معه من الدلائل ما لو تأمله
لم يتطرق إلى نفسه أدنى شك فى
ذلك . وَالرَّيْبُ : الشك والظنة
والتهمة . مصدر رابه الأمر إذا
حصل عنده فيه ريبة ، وقال ابن
الأثير : هو الشك مع التهمة .
﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ هو هداية
وإرشاد لهم . مصدر هداه هُدًى
وهداية وهُدًى - بكسرهما -
فهْدًى . ومعناه الدلالة الموصلة
إلى البغية ، وضده الضلال .

أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ
 لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى
 أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ
 مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَا لَيْتَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾

أو يجحدها كلها ؛ فهو أعم من
 المشرك . وقد يطلق على جاحد
 النعمة ؛ وعلى الفاسق عن أمر
 ربه ؛ ويتبين المراد بالقرائن .
 ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ
 تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أى مستو
 عندهم إنذارك وعذمه ؛ فهم
 لا يصدقون فى أى حال .
 والإنذار : إخبارٌ معه تخويف فى
 مدة تتسع للتحفظ من
 المخوف ؛ فإن لم تتسع له فهو
 إعلام وإشعار . لا إنذار .
 وأكثر ما يستعمل فى القرآن فى
 التخويف من عذاب الله تعالى .
 والآية فيمن شافهم النبى صلى
 الله عليه وسلم بالإنذار وهم
 مصرّون على الكفر والجحود ؛
 وقد حقت عليهم كلمة العذاب
 لسبق علم الله تعالى بأنهم
 لا يؤمنون ؛ لسوء استعدادهم
 وفساد فطرهم . وسواء : اسم
 مصدر بمعنى الاستواء خبر
 «إن» ، والجملة الاستفهامية

من الفلح - بسكون اللام - وهو
 الشق والقطع ؛ ومنه فلاحه
 الأرض وهو شقها للحرث ؛
 واستعمل منه الفلاح فى الفوز ؛
 كأن الفائز شق طريقه وقلّحه
 للوصول إلى البغية . أو انفتحت
 له طريق الظفر وانشقت .
 ٦- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جحدوا
 الرسالة . والمراد بهم هنا
 المشركون ؛ لذكرهم بعد
 المؤمنين . وذكر المنافقين بعدهم
 بقوله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ
 يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا
 هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) . والكفر - بالضم -
 ضد الإيمان . وأصله المأخوذ
 منه : الكفر - بالفتح - وهو ستر
 الشيء وتغطيته ؛ ومنه قيل :
 كافر للسحاب ؛ لستره ضوء
 الشمس . وللليل لستره الأشياء
 بظلمته ؛ وللزراع لستره التراب
 الأرض . والكافر عند الإطلاق
 ينصرف إلى من يجحد الوحداية
 أو النبوة أو الشريعة .

والباء صلة للإيمان لتضمينه معنى
 الاعتراف . ﴿وَيُقِيمُونَ
 الصَّلَاةَ﴾ يعدّلون أركانها ،
 ويوفون شرائطها . ويحفظونها من
 أن يقع زيف فى أفعالها . من أقام
 العود إقامة إذا أزال عوجه ؛
 كقومه . ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
 يُنفِقُونَ﴾ وما أعطيناهم وملكناهم
 يتصدقون فى سبل الخير تطوعاً أو
 قرصاً . من الإنفاق . وهو
 إخراج المال وإنفاده وصرفه .
 يقال : نفق - كفرج ونصر -
 نفد وفنى أو قل . وأنفق ماله
 أنفده . والهمزة للتعدية . وأصل
 المادة يـدّل على الخروج
 والذهاب . ومنه : نافق فلان ،
 والنفاق . والتفق .
 ٤- ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾
 وبالنشأة الآخرة هم يعلمون علماً
 قطعياً ، لا أثر فيه للادعاءات
 الكاذبة والأوهام . من الإيقان .
 وهو التحقق ؛ يقال : يقين
 الماء ، إذا سكن وظهر ما تحته .
 وهو واليقين : العلم وزوال
 الشك ؛ يقال : يقينت -
 بالكسر - يقناً . وأيقنت وتيقنت
 وأستيقنت بمعنى واحد . وهو
 درجة من العلم فوق المعرفة
 والدراية وأخواتها . يصحبها
 ثبات الحكم وسكون النفس
 ودعاًئيتها .
 ٥- ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
 الفائزون بما طلبوا . الناجون مما
 منه هربوا . من الفلاح ؛ وهو
 الفوز والظفر بدرك البغية . وأصله

يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿٨﴾

بعده مرفوعة به على الفاعلية
لتأويلها بمفرد.

٧ - ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ طبع
عليها ؛ فلا يصل إليها الحق
ولا ينفذ فيها ؛ كما سبق في علمه
تعالى ألا أنهم لا يؤمنون . من
الحتم ، وهو وضع الحائث على
الشيء وطبعه فيه ؛ لكيلا يخرج
منه ما حصل فيه ، ولا يدخله
ما خرج منه . وفيه - كما قال
الراغب - : «إشارة إلى
ما أجرى الله به العادة أن الإنسان
إذا تناهى في اعتقاد الباطل
أو ارتكاب المحذور ، دون تلقف
بوجه إلى الحق يورثه ذلك هيئة
تمرّنه على استحسان المعاصي ؛
وكأنما يُختم بذلك على قلبه»
وإنما خص القلب بالحتم لأنه محل
الفهم والعلم . ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ
غِشَاوَةٌ﴾ غطاء . والغشاوة :
ما يغطي به الشيء ؛ من غشاه
إذا غطّاه . يقال : غشيته
غشاوة - مثلاً - وغشاية ، ستره
وغطّاه . وهو هنا غطاء التعامى

عن آيات الله ودلائل توحيده .
﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أصل
العذاب : المنع . يقال : عذب
الفرس - كضرب - امتنع عن
العلف . وعذب الرجل إذا ترك
المأكل والنوم ؛ فهو عاذب
وغذوب . ثم أطلق على الإجماع
الشديد ؛ لما فيه من المنع عن
اقتراف الذنب . والعظيم :
الكبير ؛ من عظم الشيء ؛
وأصله كبر عظمه ؛ ثم استعير
لكل كبير ، محسوساً كان
أو معقولا ، عيماً كان أو معي .
٨ - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا
بِاللَّهِ﴾ هذه الآية إلى قوله تعالى :
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ) في
وصف المنافقين بعد وصف المؤمنين
والمشركين .

٩ - ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ يخادعون
رسول الله بإظهار الإيمان وإبطان
الكفر ؛ ليدفعوا عن أنفسهم
القتل والأسر والعجزية ، ويفوزوا
بسهم من الغنائم ، وليعلموا
أسرار المؤمنين ثم يفسدوها

لأعدائهم نكاية بهم . يقال :
خدعه - كمنعه - خدعاً ، ختله
وأراد به مكروها من حيث
لا يعلم ؛ كاختدعه . والاسم
منه الخديعة . ونسب ذلك إلى الله
تعالى للتنبيه إلى علو منزلته -
صلى الله عليه وسلم - حيث
جعل خداعه خداعاً له تعالى
وصيغة المفاعلة تقع كثيراً لغير
اثنين ؛ نحو عافاك الله ؛ وعاقبت
الخص . وقرئ «يُخَدِّعُونَ اللَّهَ»
أو المراد أن صورة صنعهم مع الله
حيث أظهروا الإيمان وأخفوا
الكفر ، وصورة صنع الله معهم
حيث أمر بإجراء أحكام الإسلام
عليهم في الدنيا وأخر عقابهم إلى
الآخرة - تشبه صورة الخداعة ؛
وهو كقوله تعالى : (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ
خَادِعُهُمْ) (١) . ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾
أى يفتنون إلى أن وبال خداعهم
عائد عليهم بالشقاء الأبدي .
يقال : شعر بالشيء - كنصر
وكرم - أى فطن له ؛ ومنه
الشاعر لفظته ؛ لأنه يفتن
لما لا يفتن له غيره من غريب
المعاني ودقيقها .

١٠ - ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ هو
الثفاق والكفر . وسُمي مرضاً
لكونه مانعاً من إدراك
الفضائل ؛ كالمرض المانع للبدن
من التصرف الكامل . أو لكونه
مانعاً من تحصيل السعادة
الأخروية . أو لميل النفس به إلى
الاعتقادات الفاسدة ميل المريض

أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَسْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنْتُمُنْ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ﴿١٢﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شُيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ فَأَرَبَتْ بَجُرَّتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا

إِلَى الْأَشْيَاءِ الْمُضَرَّةِ ﴿١٧﴾ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ مؤلم ، أى مجمع وجعاً شديداً . من ألم - كفرح - فهو ألم . وآله يؤله إيلاماً ، أوجعه إيجاعاً شديداً .

١١- ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أى لا تفسدوا فى جنس الأرض . أو أرض المدينة ، بالكفر وموالاته أهله ، وتعويق الناس عن الإيمان بالرسول والقرآن . والفساد : خروج الشيء عن حالة الاعتدال والاستقامة . وضده الصلاح . يقال منه : فسد الشيء فساداً ، وأفسده إفساداً .

١٣- ﴿أَنْتُمْ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ أى الجهال الخرقى . وكان المنافقون يصفون المسلمين بذلك فيما بينهم . وأصل السفه : الخفة والرقّة والتحرك والاضطراب . يقال : ثوبٌ سفيف ، إذا كان رديء النسيج خفيفه ، أو كان بالياً رقيقاً . وتسفت الريح الشجر : مالت به . وزمام سفيف : كثير الاضطراب ، لمنازعة الناقة إياه . وشاع فى خفة العقل وضعف الرأى .

١٤- ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شُيَاطِينِهِمْ﴾ انفردوا مع رؤسائهم وقادتهم المشبهين للشياطين فى تمردهم وعتوهم ، وهم اليهود . يقال : خلا به وإليه ومعه ، خلوا وخلاء وخلوة ، سألته أن يجتمع به فى خلوة ففعل ،

وأخلاه معه . أو مضوا وذهبوا إلى شياطينهم . يقال : خلا بمعنى مضى وذهب . ومنه : (قد خلت من قبلكم سنن) ^(١) . ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ ساخرون مستخفون بالمؤمنين . والاستهزاء : السخرية والاستخفاف ؛ يقال : هزأ منه وبه - كمنع وسمع - واستهزأ به ؛ أى سخر ، كعجب واستعجب .

١٥- ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ يحقرهم تحقيراً يتعجب منه . أو يجازيهم بالعذاب على استهزائهم بالمؤمنين ، وسُمي ذلك استهزاءً مشكلة ؛ كما فى قوله تعالى : (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) ^(٢) .

﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ يُمهلهم ويُمل لهم ، ليزدادوا إثمًا . من المدة بمعنى الإمهال ؛ يقال : مدّه فى غيبه - من باب ردّ - أمهله وطول له . أو يزيدهم ويقوّمهم على وجه الإملاء والإرخاء ؛ يقال : مدّ الجيش وأمدّه ، إذا ألحق به ما يقويه ويكثره . وقيل : أكثر ما يستعمل المدّ فى المكروه . والإمداد فى المحبوب . ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ فى ضلالهم وكفرهم . والطغيان : مجاوزة الحد . ومنه طغا الماء : أى ارتفع . ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يغمّون عن الرشد . أو يتحيرون ويترددون بين الإظهار والإخفاء ، أو بين البقاء على الكفر وتركه إلى

١٨ - ﴿يُنْكُمُ﴾ خُرسٌ عن الهدى والحق فلا ينطقون بها . جمع أبكم ونكيم . وهو الذى يولد أخرس . أو من به داء فى اللسان يمنع من الكلام .

١٩ - ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ الصَّيْبُ - كسيد - : المطر . من الصَّوْب وهو النزول . يقال : صاب صوبًا ، إذا نزل وانحدر ، سُمي به المطر لنزوله . أى كمثل قوم نزل بهم المطر من السماء ، وهى جهة العلو والمراد السحاب وهو مثل آخر للمنافقين . يصف حيرتهم وشدة الأمر عليهم . ﴿فيه ظلماتٌ ورعدٌ وبرقٌ﴾ تصحب الأمطار الشديدة التى تحدث عند تكاثف السحب فى السماء

وحجبها ضوء الشمس عن الأرض - ظلماتٌ كأنها سواد الليل ، ورعدٌ يصم الآذان ، وبرقٌ يخطف الأبصار ، وصواعقٌ تحرق ما تصيبه . وهذه ظواهرٌ مُدركةٌ بالحواس ، واقعة فى كل زمان ، تحدث عند حدوث أسبابها التى أوجدها مقدر الأسباب والمسببات ، ومودع الخواص فى المخلوقات ، تعالى شأنه ! وعظمت قدرته . وقد بينت العلوم الكونية أسباب حدوثها ، فليراجعها من أراد الوقوف عليها فيما ألف فى الكهرباء التى أودعها الله تعالى فى الأجسام وفى آثارها وتفاعلهما . ففيها البيان الشافى .

٢٠ - ﴿يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾

أَضَاءَتْ مَاحَوْلَهُ دَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صَمٌ بَكَرٌ عَمَى فَمَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْصِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ آعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ

استعير للصفة أو الحال أو القصة . إذا كان لها شأن عجب وفيها غرابة . ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أى أوقد نارا عظيمة . والسين والتاء مزيدتان وليستا للطلب . كاستجاب وأجاب . وتنكير «نارا» للتفخيم . والإضاءة : فرط الإنارة . شُبّهت حيرة المنافقين فى ضلالهم وشدة الأمر عليهم ، بما يكابده من طفئت ناره بعد إيقادها فى ظلمة الليل . أو شُبّه المنافق بموقد النار ، وإظهاره الإيمان لاجتناء ثمراته بالإضاءة ، وانقطاع انتفاعه بإهلاكه ، وإفشاء حاله بانطفاء النار وذهاب نورها .

الإيمان . يقال : عَمِيَ - كَفَرَحَ وَمَعَ - عَمَهَا . إذا تردّد وتَحَيَّرَ . فهو عَمِيٌّ وعامةٌ . وهم عمهون وعَمَهُ ، كَرُكِعَ . والعَمَةُ فى البصرة كالعمى فى البصر ، وهو التحير فى الأمر . والجملة خال من الضمير فى «يبدّهم» .

١٧ - ﴿مَثَلُهُمْ﴾ أى صفة المنافقين . والمَثَلُ : الصفة . ومنه : (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى) (١) . أى الصفات العُلا . وأصل المَثَل بمعنى المثل . النظر والشبه . ثم أطلق على القول السائر المعروف : لمثله مضربه وهو الذى يُضْرَبُ فيه لمورده الذى ورد فيه أولاً . ولا يكون إلا فيما فيه غرابة . ثم

يذهب بها ويستلبها . من الحَظْف
بمعنى السُّلب . وفعله من باب
تعب . ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ
قَامُوا﴾ وإذا اختفى عنهم وقفوا
عن المشي في أماكنهم ،
متحيرين مترصدين ومضّة أخرى
ليصلوا إلى مقاصدهم . يقال :
قامت الدابة إذا وقفت . وقام
الماء إذا جمد .

٢٢ - ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
فِرَاشًا﴾ صيرها لأجلكم مهادًا ،
كالسباط المفروش . فذلّلها
لكم ، ولم يجعلها حَزَنَةً غليظة ؛
لإمكان الاستقرار عليها . ويقال
للمفروش : فرش وفراش . وهذا
لا ينافي كرويتها في الجملة ؛ لأن
الكرة إذا عظمت كانت كل قطعة
منها كالسطح في أفتراشه . ذكره
السيبوري والآلوسي .
﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾ سقفا مرفوعا أو
كالقبة المضروبة . ﴿أَنْدَادًا﴾
أمثالا ونظراء تعبدونها وتسمونها
آلهة ، وتعتقدون فيها النفع
والضرر ، وتجعلون لها ما لله تعالى
وحده ؛ فأنشبت حالكم حال
من يعتقد أنها آلهة حقيقة ، قادرة
على أن تدفع عنكم عذاب الله ،
وتمنحكم ما لم يُرد الله بكم من
خير . جمع نَدٌّ ، وهو مثل الشيء
الذي يضاذه وينافره ويتباعد
عنه . وأصله من : نَدَّ البعير يَنْدُ
نَدًّا ونَدَادًا ونَدُودًا : نفر وذهب
على وجهه شاردًا .

٢٣ - ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا

وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَنْتَرَجَ بِهِ مِنَ الشِّجَرِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا
النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾
وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا
 الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ
 مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي

نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴿٢١﴾ أَيِ إِنْ ارْتَبْتُمْ فِي شَأْنٍ
مَا نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ مِثْلٍ وَتَدْرِجُ ،
وظننتم أن تنزله كذلك دليل على
أنه ليس وحيا من عند الله
تعالى ؛ فَأْتُوا أَنْتُمْ بِسُورَةٍ مِثْلِهِ
فِي سُمُو الرُّتْبَةِ ، وَعُلُو الطَّبَقَةِ فِي
النَّظْمِ الْبَدِيعِ ، وَالْأَسْلُوبِ
الْبَلِيعِ . ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾
أَيِ ادْعُوا إِلَى الْمَعَارِضَةِ مِنْ
يَحْضَرُكُمْ ، أَوْ مِنْ يَنْصَرِكُمْ -
بِزَعْمِكُمْ - مِنْ دُونِ اللَّهِ ، أَوْ مِنْ
يَشْهَدُ لَكُمْ أَنْكُمْ أَنْتُمْ بِمَا ثَلَّه .

٢٤ - ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾
النار وترفع . والمراد بالحجارة :
الأصنام التي اتخذوها آلهة وقرنت
بهم في العذاب في الآخرة كما
اقتروا بها في الدنيا . وهو نظير
قوله تعالى : (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ) (١)
أَيِ حطبها ووقودها .

٢٥ - ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ جمع

أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ

وهو تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يُعاب ويُذم به . أو هو انقباض النفس عن القبائح . وهذا المعنى محال في حقه تعالى ، فيُصرف اللفظ إلى لازم معناه وهو الترك . ﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ البعوض : ضرب من الذباب ، ويطلق على البق المعروف وعلى الناموس . «فما فوقها» أى فى الحجم . أو فى المعنى الذى وقع التمثيل فيه . وهو الصغر والحقارة . ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ الفسق : الخروج عن الطاعة ، من قومهم : فسق الرطب فسوقاً - من باب قعد - إذا خرج عن قشره . ويقع بالقليل والكثير من الذنوب ، ولكن تُعورف فيما كان كثيراً . وهو أعم من الكفر ، فيقال للعاصي : فاسق . وللكافر : فاسق ، لخروجه عما ألزمه العقل واقتضته الفطرة . والمراد بالفاسقين هنا : الكفار جميعاً ، أو المنافقون ، أو أحبار اليهود المتعنتون ، بدليل الأوصاف الآتية . والإضلال : خلق فعل الضلال فى العبد ، كما أن الهداية خلق الهداء فيه .

٢٧ - ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ صفة للفاسقين . والعهد : اسم للموثق الذى يلزم مراعاته وحفظه . يقال : عهد إليه فى كذا ، إذا أوصاه به ووثقه عليه . وعهد الله : تارة يكون بما رُكِّن

ويُطلق على الذكر والأنثى ، قال تعالى : (اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ) (١)

٢٦ - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا﴾ أى ليس الحياء بمانع لله تعالى من ضرب الأمثال بهذه المخلوقات الحقةرة الصغيرة فى نظركم ، كالبعوض والذباب والعنكبوت ، فإن فيها من دلائل القدرة وبدائع الصنعة ما تحار فيه العقول ، ويشهد بحكمة الخالق . وقد جعلوا ضرب المثل بها ذريعة إلى إنكار كون القرآن من عند الله تعالى . وفى الآية إشعار بصحة نسبة الحياء إليه تعالى . ومذهب السلف : إمرار هذا وأمثاله على ما ورد ، وتفويض علم كنهه وكيفيةه إلى الله تعالى ، مع وجوب تربيته عما لا يليق بجلاله من صفات المحدثات ، واختاره الألوسى . وذهب جمع من المفسرين إلى تأويله بإرادة لأزميه ، وهو ترك ضرب الأمثال بها ، لأن الاستحياء من الحياء ،

جنة ، وهى كل بستان ذى شجر متكاثف ، مُلتف الأغصان ، يُظلل ما تحته ويستره . من الجن ، وهو ستر الشيء عن الحاشية . وهى سبع درجات : جنة الفردوس ، وجنة عدن ، وجنة النعيم ، ودار الخلد ، وجنة المأوى ، ودار السلام ، وعليون . وتتفاوت منازل المؤمنين فى كل درجة بتفاوت الأعمال الصالحة . ﴿وَأَنُؤَا بِهِ مَثَلًا﴾ يُشبه بعضه بعضاً فى الصورة والرائحة ، ويختلف فى اللذة والطعم ، أو فى الشرف والمزية والحسن . وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - : ليس فى الدنيا مما فى الجنة إلا الأسماء ، وفى الصحيحين : (أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) . ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ نساء مختصات بهم ، مطهرات غاية التطهر من كل دنس وقذر ، حتى ومعنوى ، لا كنساء الدنيا . جمع زوج ،

مِنْ بَعْدِ مِثْقَلِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ
وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ
تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ
ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ
فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا
وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ
قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا

في العقول من الحجة على التوحيد. وتارة يكون بما أوجه الله على الناس على لسان رسله ، صلوات الله وسلامه عليهم . وتارة بما يلتزمه المؤمن وليس بلام له في أصل الشرع مما ليس بمعصية ، كالنذور وما يجري مجراها . ونقصه : فسحبه وإبطاله .

٢٩ - ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ علا إليها وارتفع ، من غير تكييف ولا تحديد ولا تشبيه ، مع كمال التنزيه عن سمات المحدثات . وقد سئل مالك - رضى الله عنه - عن الاستواء على العرش فقال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة . أو المعنى : أقبل وعمد إلى خلقها بإرادته . والمراد بالسما : الأجرام العلوية ، أو جهة العلو .

٣٠ - ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ هم جند من خلق الله . ركز الله فيهم العقل والفهم ، وفطرهم على الطاعة ، وأقدرهم على التشكل بأشكال مختلفة ، وعلى الأعمال العظيمة الشاقة ، ووصفهم في القرآن بأوصاف كثيرة ، منها أنهم : (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ) ^(١) ، و (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) ^(٢) . ومنها : أنهم رسل الله أرسلهم بأمره ، ومنهم رسل الوحي إلى من اصطفاهم

فاعل ، والتاء فيه للمبالغة . والمراد به آدم عليه السلام ، لأنه كان خليفة الله في الأرض . وكذلك سائر الأنبياء ، استخلفهم الله تعالى في عمارة الأرض وسياسة الناس ، وتكميل نفوسهم ، وإجراء أحكامه عليهم ، وتنفيذ أوامره فيهم . وقيل : آدم وذريته ، لأنه يخلف بعضهم بعضا في عمارة الأرض ، واستغنى بذكره عن ذكر ذريته لكونه الأصل . ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ الفساد : الخروج عن الاعتدال والاستقامة ، وبضاده الصلاح . يقال : فسد الشيء فسادا وفسودا ، وأفسده

من خلقه للنبوّة والرسالة ، قال تعالى : (جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا) ^(٣) ، وقال تعالى : (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ) ^(٤) . (يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) ^(٥) . جمع ملك . والتاء لتأنيث الجمع ، وأصله ملاك ، من ملك ، نحو شمال من شمل ، والهمزة زائدة . وهو مقلوب مأك ، ثم سهّله فقالوا : ملك . وقيل : إن ملاك من لأك إذا أرسل ، ومنه : الألوكة ، أى الرسالة . ﴿خَلِيفَةً﴾ هو من يخلف غيره وينوب منابه ، فهو فاعل بمعنى

(٣) آية ١ فاطر . (٤) آية ٧٥ الحج . (٥) آية ٢ النحل .

(١) آية ٢٠ الأنبياء . (٢) آية ٦ التحريم .

الملائكة فقال لهم على سبيل التعجيز: ﴿أَنْشِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ إن كنتم صادقين ﴿فَمَا اخْتَلَجَ فِي خَوَاطِرِكُمْ مِنْ أَمْرٍ لَا أُخْلِقُ خَلْقًا إِلَّا أَنْتُمْ أَعْلَمُ مِنْهُ وَأَفْضَلُ﴾ فلما اعترفوا بعجزهم وقالوا: (لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا) وليس ذلك منه: أمر آدم أن ينسبهم بها: فأنبأهم بها إظهاراً لأحقية في الاستخلاف في الأرض التي من شأنها أن توجد فيها هذه المسميات.

٣٢- ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهاً لك عن أن يكون فعلك لغیر حكمة، أو عن عدم قدرتك على خلق من هو أعلم وأفضل منا. وهو مصدر منصوب بفعل محذوف وجوباً: وهو سَبَّحَ - محققاً - بمعنى نَزَّهَ أو معناه: إسرَاعاً إليك، وخفة في طاعتك، والرضا بفعلك؛ كما يفعل السَّابِح في الماء.

٣٤- ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ السجود لغة: التذلل والخضوع مع انخفاض بالحناء وغيره. وخص في الشرع بوضع الجبهة في الأرض على قصد العبادة والأظهر أن المأمور به: السجود بالمعنى اللغوي، وهو التواضع والخضوع لآدم تحيةً وتعظيماً، وإقراراً له بالفضل دون وضع الجباه؛ كسجود إخوة يوسف له، وهو إنما كان بالانحناء. وقد أبطل الإسلام ذلك، وجعل التحية السلام والمصافحة وهذا الأمر

ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْشِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٣﴾ قَالَ يَتَذَكَّرُ أُنْثَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٥﴾

التعظيم. وهو مشتق من السَّحَّح. وهو المر السريع في الماء أو في الهواء؛ فالسَّحَّح مسرع في تنزيه الله وتبرئته من السوء. ﴿وَقُدِّسَ لَكَ﴾ نَظَرٌ ذَكَرَكَ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِكَ، تعظيماً لك وتمجيذاً. من التقديس بمعنى التطهير؛ ومنه: الأرض المقدسة. وروح القدس. واسمه تعالى القدوس. أي الطاهر. واللام في «لك» زائدة لتأكيد التخصيص.

٣١- ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ أهمه معرفة ذوات الأشياء التي خلقها الله تعالى في الجنة، ومعرفة أسمائها ومنافعها. أو أهمه معرفة أجناس الأشياء وأنواعها. ومعرفة أسمائها وخواصها. ثم عرض هذه المسميات على

غيره. وقد عرف الملائكة وقوع ذلك من الإنسان بإخبار من الله تعالى أو إلهام، ولم يقص علينا فما حكى الله عنهم للإيجاز على عادة القرآن. والاستفهام: استكشاف عن الحكمة الخفية في هذا الاستخلاف، مع ما سبقت عليه من الإفساد وسفك الدماء. ﴿وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ السَّفْكُ: الصَّب والإهراق؛ يقال: سَفَكَ الدَّمَ والدمع سَفْكَاً - من باب ضرب - صَبَبْتُهُ. والفاعل سافك وسفك. والمراد به حصول القتال بين أفراد بني الإنسان ظلماً وعدواناً. ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ نَزَّهَكَ عَمَّا لَا يَلِيقُ بعظمتك: تنزيهاً مثلياً بحمدك والثناء عليك. من التسبيح. وهو تنزيه الله من السوء على وجه

وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا
رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا
فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ
مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ
فَنَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا

ابتلاء واختبار ؛ تميز الله الخبيث
من الطيب وينفذ ما سبق به
العلم ، واقتضته المشيئة والحكمة .
﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ . هو أبو العجن .
مشتق من الإبلان . وهو الحزن
الناشئ عن شدة اليأس . وفعله
أبليس ، ولم ينصرف لأنه
معرفة ، ولا نظير له في الأسماء
فأشبهه الأعجمية . وقيل : هو
أعجمي لا اشتقاق له .
فلم ينصرف للعلمية والعجمة .
والاستثناء منقطع . وقيل
متصل . وأن إبليس كان من
الملائكة ؛ ورَّجحه الطبري .

٣٥- ﴿وَزَوْجُكَ﴾ تقول العرب
للمرأة : زوج . ولا تكاد تقول
زوجة . ﴿الْجَنَّةُ﴾ جمهور أهل
السنة على أنها جنة المأوى . وهي
دار الثواب والخلود للمؤمنين في
الآخرة . وذهب آخرون منهم
أبو مسلم الأصفهاني : إلى أنها
بستان في الأرض خلقه الله
امتحاناً لآدم وزوجه . وساق أدلة
الفريقين الإمام ابن القيم
ولم يرجح شيئاً منها . والأحوط
الأسلم : الكف عن تعيينها وعن
القطع به ، وإليه مال أبو حنيفة
وأبو منصور المائريدي في
التأويلات . ﴿رَغَدًا﴾ أى أكلاً
كثيراً واسعاً بلا عناء ؛ يقال :
رَغَدَ عيشه - كسَمِعَ وَكُرْمَ -
رَغَدًا وَرَغَدًا ، اتسع وطاب .
وأرغد القوم : أخصبوا وصاروا
في رَغَدٍ من العيش . ﴿هَذِهِ
الشَّجَرَةُ﴾ أنهم القرآن تعيينها ولم
(١) آية ١٢٣ طه . (٢) آية ٢٤ الأعراف . (٣) آية ٢٣ الأعراف .

يقم دليل عليه ؛ فالأولى عدم
القطع به . والناء فيها للوحدة
الشخصية . ولذلك ظن آدم أنه
إنما نُهي عن عينا فأكل غيرها
من جنسها . وقيل : للوحدة
النوعية . وإنما أكل منها ناسياً
أو متأولاً أن التَّهْيَئَةَ نهي إرشاد
فقط .
٣٦- ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾
أذهبها وأبعدهما عن الجنة بكذبه
عليها . ومقاسمته أنه لهما من
الناصحين ؛ من الإزلال وهو
الإزلاق . يقال : زَلَّ يَزِلُّ زَلًّا
وَزَلْلاً : زَلَقَ في طين أو منطلق .
والاسم الزَّلَّة . وأزله غيره
وأسترله : أزلقه فيه . أطلق
وأريد به لازمه وهو الإذهاب .
وقرئ «فَأَزَلَّهَا» أى نخأها ؛ من
الإزالة . تقول : أزلت الشيء
عن مكانه إزالة . نخيته وأذهبته
عنه . ﴿اهْبِطُوا﴾ الهبوط :
التزلُّ من أعلى إلى أسفل . ضد
الصعود . يقال : هَبَطَ يَهْبِطُ
ويهبط . أى نزل من علو إلى
سفل . والخطاب لآدم وزوجه ؛
كما قال تعالى : (قال اهبطا منها
جميعاً) (١) . وهما المقصودان
بالخطاب في قوله تعالى : (قال
اهبطوا بغضكم لبغض
عدو) (٢) . والقصة واحدة .
﴿وَمَتَاعٌ﴾ المتاع : اسم لما
يُستمتع به من أكل وشرب ولبس
وحياة وأنس وغير ذلك ؛ من
متع النهار متوعاً إذا ارتفع .
ويطلق على الانتفاع الممتد
الوقت .
٣٧- ﴿كَلِمَاتٍ﴾ هي كلمات
الثوبة والاستغفار . والمأثور أنها
(رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ
لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
الْخَاسِرِينَ) (٣) . وعن ابن مسعود
أنها : سبحانك اللهم وبحمدك ،
وتبارك اسمك . وتعالى جدُّك ،
لا إله إلا أنت ، ظلمت نفسي

وإنما . وانتقامات عشرة ، أنزلها الله بهم جزاءً وفاً . ﴿وَأَوْفُوا بعهدي﴾ أدوا ما عاهدتموني عليه من الإيمان والتزام الطاعة ، وأتموه واحفظوه . يقال : أوفى بعهده . ووفى - مشدداً وخففاً ، إذا أتمه ولم ينقض حفظه . والوفاء ضد الغدر . ﴿وَأَيُّيَ فَا رَهْبُونَ﴾ فخافوني في نقض العهد ، أو في جميع ما تأتون وتذرؤون . من الرهبة ، وهي الخوف مطلقاً ، أو خوف معه تحرز . وفعله كعلم .

٤٢ - ﴿وَلَا تَلْبِسُوا﴾ ولا تخططوا . يقال : لبس عليه الأمر - كضرب - خلطه ، ومنه التلبس ، بمعنى التخليط والتدليس . وتلبس بالأمر اختلط . ولاسه : خالطه .

٤٤ - ﴿بِالْبَرِّ﴾ هو التوسع في الخير ، مأخوذ من البر - بالفتح - وهو الفضاء الواسع وأصل كل بر : الإيمان بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم . وكان أخبار اليهود يأمرؤن الناس بالطاعة والكف عن المعصية ولا يفعلون ذلك .

٤٥ - ﴿وَأَنهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ أي وإن الصلاة لثقيلة شاقة ، كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى﴾^(١) . يقال : كبر - ككرم - كبراً وكثيراً ، أي عظم . ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ أي المتضرعين المحيين للطاعة ، الذين

مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَارَهْبُونَ ﴿٣٠﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرِينَ ﴿٣١﴾ وَلَا تَسْتُرُوا بِآيَاتِي تَمَنَّا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَقُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّكَّعِينَ ﴿٣٤﴾ * أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَتَكُنُونَ مِنَ الْكَاتِبِينَ ﴿٣٥﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٦﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٣٧﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ

فأغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . ﴿التَّوَابُ﴾ الرجاء على عبادة بقبول توبتهم . أو بإعانتهم وتوفيقهم إليها . ويقال للعبد : تواب ، بمعنى كثير التوبة والندم والاستغفار من الذنوب من التوب وهو الرجوع ، لرجوعه إلى ربه في ذلك ، ويلزمه ترك الذنب . والتوبة في الشرع : ترك الذنب لقبحه . والندم على فعله . والعزم على تركه

معاودته ، وتدارك ما فات من حقوق العباد بقدر الإمكان . ٤٠ - ﴿يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ لقب يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام . ومعناه بالعبرية : عبد الله ، أو صفوة الله . وقد عذد الله في هذه السورة على بني إسرائيل من هذه الآية إلى آية ١٤٢ نعماً عشرًا ، جأهم بها رحمة وفضلاً . وقبائح عشرًا ، ارتكبوها جحوداً



وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي
الَّتِي أَنعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا
يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ
وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ
مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ
وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾
وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ
تَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ

الموعى . وسام السَّلْعَة : إذا طلبها
وابتغاه . والسُّوء - بالضم -
كل ما يَغْمُ الإنسان من أمر دنيوي
أو أخروي . وهو في الأصل
مُضْدر ، ويؤث بالالف
فيقال : السُّوءى . ﴿وَيَسْتَحْيُونَ
نِسَاءَكُمْ﴾ يستبقون بناتكم ولا
يقتلونهن ليستخدموهن . يقال :
استحياه ؛ أى استبقاه .
وأصله : طلب له الحياة والبقاء .
﴿بَلَاءٌ﴾ اختبار وامتحان بالمحن
المقتضية للصبر ، أو المصح
المقتضية للشكر ، أولها للترغيب
والترهيب . يقال : بلوئته بلواً
وبلاءاً ، اختبرته وامتحنته .
والاسم التَّلَوَّى والتَّلِيَّة والتَّلَوَّة .

٥٠ - ﴿فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ﴾
الفرق : الفصل والتمييز . يقال :

يُعانون ، من النصر وهو العَوْن .
والمراد أنهم لا يُمنعون من عذاب
الله .
٤٩ - ﴿فِرْعَوْنَ﴾ لَقَبٌ لكل من
ملك مِصْرَ في ذلك العهد .
وفرعون الذى وُلد موسى في
زمنه ، ورُبِّى في بيته ، وكان
يسومهم سوء العذاب ، هو
رعمسيس الثانى من الأسرة
التاسعة عشرة . أما فرعون الذى
أغرق فهو ابنه منفتح ؛ على
ما نقله صاحب قصص
الأنبياء (٤) عن علماء الآثار .
﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾
يُعُون لكم أشد العذاب وأفظعه .
من السُّوم ، وهو مطنق
الذهاب ، أو الذهاب في ابتغاء
الشيء . يقال : سامت الإبل
فهى سائمة ؛ أى ذهبت إلى

اطمأنت قلوبهم إليها ؛ وفى
الحديث : (وجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي
الصَّلَاةِ) (١) ، من الخشوع وهو
الصَّراعة ، وأكثر ما يستعمل فيما
يظهر على الجوارح ؛ قال تعالى :
(الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ
خَاشِعُونَ) (٢)

٤٦ - ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ المراد
بالظن هنا اليقين ؛ كما في قوله
تعالى : (إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ
حِسَابِيَّةٍ) (٣)

٤٧ - ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أى على
الموجودين في زمانهم بالفعل ؛
فلا يتناول اللفظ من مضى
ولا من يوجد بعدهم .

٤٨ - ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ
نَفْسٍ شَيْئًا﴾ أى لا تقضى فيه
نفس عن نفس شيئاً مما وجب
عليها ولا تنوب عنها فيه . من
الجزاء ؛ يقال : جَزَى عنه ، أى
قضى . و «شيئاً» مفعول به .
وَقُرِئَ «تَجْزَى» - بضم التاء -
من أجزاء عنه ؛ أى أغنى عنه .
أى لا تغنى نفس عن نفس
شيئاً - من الإغناء - ،
ولا تجديها نفعاً . و «شيئاً»
مفعول مطلق . ﴿عَدْلٌ﴾ فِدْيَةٌ
وَبَدَل . وأصل العَدْل -
بالفتح - : ما يساوى الشيء
قيمةً وقدرًا وإن لم يكن من
جنسه . والعَدْل - بالكسر - :
المساوى من الجنس ؛ ومن
العرب من يكسر العين من معنى
الفِدْيَةِ . وقيل للفدية : عدل لما
فيها من معنى المساواة والمماثلة
والمعادلة . ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾

وغيرهما. أو الشرع الفارق بين
الحلال والحرام ، والعطف من
قبيل عطف الخاص على العام .

٥٤ - ﴿بَارِئُكُمْ﴾ خالقكم من
العدم على أيدع صورة . يقال :
برأ الله الخلق - كجعل - خلقهم
من العدم ، وأصل مادة «برأ»
يدل على انفصال شيء عن
شيء ، يقال : برأ المريض يبرأ
ويبرؤ برأ وبرؤاً ، إذا نقه وزال
عنه المرض وانفصل . وبرئ من
الدين - كسليم - يبرأ : إذا زال
عنه الدين وسقط ، ومنه البرية
للخلقة ، لانفصالهم من العدم
إلى الوجود ﴿فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾
فليقتل البريء منكم المحرم .

٥٥ - ﴿جَهَنَّمَ﴾ جهاراً عياناً
بحاسة البصر . يقال : جهر
البئر - كمنع - وأجهرها ، إذا
أظهر ماءها . وجهر الشيء :
كشفه . وجهر الرجل : رآه
بلا حجاب . ﴿فَأَخَذَتْكُمْ
الصَّاعِقَةُ﴾ فأحاطت بكم نار من
السماء أحرقتكم ، عقاباً لكم
لفرط عنادكم ، أو لظلمكم
بطلب رؤية الحق في الدنيا .
ونزول الصواعق المهلكة من
السماء واقعٌ مشاهد .

٥٦ - ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ
مَوْتِكُمْ﴾ الجمهور على أن الموت
هنا هو مفارقة الروح للجسد .
والبعث : إحياءه بإعادة الروح
إليه . ومن المفسرين من حثل
الموت على الغشيان والهمود ، كما

أَعَجَلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ
ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ
يَقَوْمِ إِنَّمَا ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى
بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ
عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى
لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ
وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ

أى اتخذتم العجل الذى صنعه
السامريّ إلهاً معبوداً . والمراد :
أنهم اتخذوا ما يشبه العجل في
الصورة والشكل : ونسبة الجوار
إليه في قوله تعالى : (عَجَلًا)
جَسَدًا لَهُ خَوَارٍ (٢) مجاز ، وهو
الذى ذهب إليه الجمهور ، كما
ذكره الآلوسى .

٥٣ - ﴿الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾
الكتاب : هو التوراة .
والفرقان : هو التوراة أيضاً ،
لفرقها بين الحق والباطل ،
والعطف من قبيل عطف
الصفات . وقيل : هو المعجزات
النفارقة بين دعوى الصادق
والكاذب ، كالعصا والبد

فرقت بين الشيتين فرقاً - من باب
قتل - فصلت بينهما ، ومنه
الفرقان ، وقوله تعالى : (وَقَرَأْنَا
فَرَقْنَاهُ) (١) فصلناه وميّزناه
بالبیان ، أى فصلنا لأجلكم
البحر بعضه عن بعض . والباء
بمنزلة لام التعليل . والبحر : بحر
القلزم ، وهو البحر الأحمر .
وكان عبورهم من مكان شمالي
الكان المعروف بـ «عيون موسى»
في البرّ الأسبوي ، وهى لا تبعد
عن السويس كثيراً ، كما في
قصص الأنبياء . وهذا الفرق
أحدى معجزات موسى عليه
السلام .

٥١ - ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾

في قوله تعالى : (وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ) ^(١) ، والبعث على الإفاقة . ومنهم من حمل الموت على الجهل ؛ كما في قوله تعالى : (أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ) ^(٢) ، والبعث على التعليم .

٥٧ - ﴿الْعَمَامُ﴾ سحاباً أبيض ، ظللوا به في التَّيِّه - شبه جزيرة سيناء - من حرِّ الشمس ؛ واحدة غَمامة ؛ كسحابة . وأصل العَمَمُ : ستر الشيء ؛ وسُمِّي السحابُ غَماماً لستره ضوءَ الشمس . ﴿الْمَنَ وَالسَّلْوَى﴾ «المن» : مادةٌ حلوةٌ لَرَجَّةٍ تشبه العسل - كالطل - تسقط على الشجر من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس . «والسَّلْوَى» : طائر معروف بالسَّمانى ، أو طيرٌ يشبهه ؛ أُطعموا بهما في التَّيِّه .

وقيل : هما كناية عما أنعم الله به عليهما ، وهما شيء واحد ؛ سُمِّي مَثًا لآمتنان الله به عليهما ، وسَلَوَى لنسليم به .

٥٨ - ﴿رَعْدًا﴾ كثيراً واسعاً بلا عَناء ^(٣) . ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ خُضَعًا متواضعين خاشعين ، شأنُ الثَّابِ من ذنوبه . ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ أى شَأْنُك يا رَبَّنَا حِطَّةٌ ؛ أى أن تحطَّ عَنَّا ذُنُوبَنَا وتغفرها . والحِطَّة - كجِلْسَة - اسمٌ للهَيْئَةِ ، من الحَطِّ بمعنى الوضع والإزالة ، وأصله إزال الشَّيْءِ من عُلُوِّه يقال : استَحَطَّ وزَرَهُ ، سألَه أن يحطَّه

وَالسَّلْوَى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ * وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُّوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُوقَسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ

عنه ويُنزله . أَمَرُوا أَنْ يَقُولُوا قَوْلًا دالًّا على التوبة وإظهار الندم ؛ فخالفوا وجهروا بما بدَّلَ على الكفر والعصيان .

٥٩ - ﴿رِجْزًا﴾ عذاباً ؛ قبل هو الطاعون . وأصلُ الرِّجْزِ الاضطراب ؛ ومنه : ناقة رَجْزاء ، إذا تقارب خطوها واضطربت لضعف فيها . وسُمِّي العذاب رِجْزًا لما يلازمه من الفزع والاضطراب . ﴿يَفْسُقُونَ﴾ يخرجون عن الطاعة . يقال : فسق فلان عن أمر ربِّه - كنصر وضرب وكُرم - فسقاً وفسوقاً ،

إذا خرج عن حَجَرِ الشَّرْعِ ^(٤) . ٦٠ - ﴿فَانْفَجَرَتْ﴾ انبجست وانشقت وسالت . يقال : فَجَرَ الماء فانفجر ، أى بجسه فانبجس ؛ وبابه نصر . وفجر القناة : شقها . وفجر الماء : فتح له طريقاً فجرى وسال . ﴿اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ لكل سَبْطٍ عَيْنٌ تجرى بالماء يشرب منها ؛ حتى لا تقع بينهم شحنة وكانوا متضاغنين . وكانت العيون بالبر الشرق من مصر ، قرب مدينة السويس . ﴿مَشْرِبَهُمْ﴾ موضع شربهم . ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ

(٣) راجع آية ٣٥ من هذه السورة . (٤) راجع آية ٢٦ من هذه السورة .

(١) آية ١٧ إبراهيم . (٢) آية ١٢٢ الأنعام .

بهم فلمّا يبدو عليهم من
الاستكانة والخضوع عند
الضعف ، والخوف من القهر .
والمسكنة : الخضوع - مقعلة من
السكون - لأن صاحبها قليل
الحركة والنهوض ، لما به من
الحاجة والدّلة وشدة المحنة .
﴿وَبَاؤُوا بَعْضَ﴾ رجعوا به
مستحقين له .

٦٢ - ﴿هَادُوا﴾ صاروا يهوداً .
يقال : هاد وتهود ، أى دخل
فى اليهودية . وسُمّوا يهوداً نسبة
إلى يهوذا أكبر أولاد يعقوب ،
بقلب الذال دالاً فى التعريب .
أولمّا تابوا من عبادة العجل ،
من هاد يهود هوذا بمعنى تاب ،
ومنه : ﴿إِنَّا هُذْنَا إِلَيْكَ﴾ (١) أى
ثبنا . ﴿وَالنَّصَارَى﴾ جمع
نصران بمعنى نصراني ، كندامي
وندّمان ، والباء فى نصراني
للمبالغة ، كما فى أحمري . سُمّوا
بذلك فى الأصل لأنهم نصرّوا
المسيح . ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ جمع
صابئ ، وهو الخارج من دين
إلى دين . يقال : صابأ الظلفُ
والثّاب والثّجم - كمنع وكرم -
إذا طلع . والمراد بهم الخارجون
من الدّين الحقّ إلى الدّين
الباطل . وهم قوم يعبدون
الكواكب أو الملائكة ،
ويزعمون أنهم على دين صابئ
ابن شيث بن آدم .

٦٣ - ﴿مِيثَاقُكُمْ﴾ العهد عليكم
بالعمل بما فى التوراة . ﴿وَرَفَعْنَا
فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾ الطور : الجبل

وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْتِ الْأَرْضُ مِنْ
بَقْلِهَا وَقَتَّاهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ
الَّذِى هُوَ أَذْنَى بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ أَهْطُوا مَضْرًا فَإِنْ لَكُمْ مَا
سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَيَغْضِبُ
مَنْ اللَّهُ ذَلِكَ بَأْنَهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
النَّبِيَّاتِ بَغْيَ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦٢﴾
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرَى وَالصَّبِئِينَ مَنْ
ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ
وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ

بهم ، إحاطة القبة بمن ضربت
عليه ، مجازاة لهم على كفرانهم .
وجُمِّلَتْهُمْ فى غالب الأمر فى ذلّة
ومسكنة . أو هم مستحقون للذلّة
والهوان ، بسبب ارتكاب
المعاصى والاعتداء على حدود الله
فى كل شىء ، والإفساد فى
الأرض وجحود الحقّ عناداً ،
وقتل الأنبياء ظلماً ، وبما طُبِعوا
عليه من الكذب والثّفاق ،
والمكر السيئ والخداع ، وعبادة
المال وشدة الحرص على جمّعه
والشّح به . وأمّا إحاطة المسكنة

مُفْسِدِينَ ﴿﴾ أى لا تتنادوا فى
الفساد حال إفسادكم فى
الأرض . والمقصود النهى عما
كانوا عليه من التّماهى فى الفساد .
مأخوذ من العيث وهو أشدّ
الفساد ، يقال : عثى -
كرضى - عثو إذا أفسد أشدّ
الإفساد .

٦٤ - ﴿وَفُومِهَا﴾ الفوم :
الحنطة ، أو جميع ما يُخَبَّر من
الحبوب ، أو هو السّئوم .
﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ
وَالْمَسْكَنَةُ﴾ جعلنا مُحِيطَيْنِ

المعروف بسيناء ، وهو جبل المناجاة الذي أنزلت فيه التوراة على موسى . ورفعته : إعلّاه عن مقرّه ، وهو ثقبه المذكور في قوله تعالى : (وَإِذْ تَفَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ) (١) . وهذا من الآيات التي رآوها بعد أخذ الميثاق عليهم تقوية لإيمانهم .

٦٥ - ﴿ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ ﴾ تجاوزوا الحدّ بصيد الحيّتان فيه وقد نهوا عنه ، وأمروا بتعظيم السبت والتّجرد للعبادة فيه ، قال تعالى : (وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْتَوْنَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ بَلَّوْنَهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) (٢) . والاعتداء :

بمجاوزة الحدّ ، يقال : اعتدى وتعدي إذا ظلم . والظالم : مجاوز للحدّ وللحق . ﴿ خَاسِئِينَ ﴾ مُبْعِدِينَ عن رحمة الله ، مطرودين كما يُخسأ الكلب . والخسوء : الطرد والإبعاد . يقال : خسأت الكلب خساً وخسواً - من باب منع - طرده وزجرته ؛ وذلك إذا قلت له اخسأ . وخسأ الكلب - كخضع - بعد . والجمهور على أنهم مُسْحُوا حقيقة . وعن مجاهد : لم تمسح صورهم ، ولكن مُسِخَتْ قلوبهم ؛ فلم تقبل وعظاً ولم تُعِرْ زجراً . فمَثَلُوا هُنَا

فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّا لَأَنذَرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا آدَعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصٌ وَلَا يَكَرُّ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا آدَعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾

ارتكاب ما أوجبها . ٦٧ - ﴿ هُزُوًا ﴾ سخرية . ٦٨ - ﴿ لَا فَارِصٌ ﴾ لا كبيرة هَرَمَة ، ولا فَيْتَة صغيرة لم يلحقها الفحل ، بل نصف بين السنين . يقال : فَرَصَتِ الْبَقَرَةُ - كجلس وظرف - فروضاً وفراضة ، طعنت في السن . ﴿ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ نصف ، (وسط) بين السنين والعَوَان من البقر : التي تُتَج بعد بطنها البكر ، وجمعها عَوْن . ٦٩ - ﴿ فَاقِعٌ لَوْنُهَا ﴾ صادق الصُّفْرَة . يقال : أَصْفَرُ فَاقِعٌ ،

بالقردة ، كما مثَلُوا بالحمار في قوله تعالى : (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) (٣) والقردة من أحسن الحيوان وأذنته . ٦٦ - ﴿ نَكَالًا ﴾ عقوبة . يقال : نكل به تنكيلاً إذا صنع به صنيعاً يحدّر غيره ، والاسم الثكال وهو ما نكلت به غيرك . وأصله من الثكل - بالكسر - وهو القيّد الشديد ، وحديدة اللجام ؛ لكونها مانعتين ، وجمعه أنكال . وسُمِّيت العقوبة نكالاً لأنها تحدّر غير من نزلت به



قَالُوا أَدْعُنَا رَبَّكَ يَبِينُ لَنَا مَا هِيَ إِنْ أَلْبَقَرْتَ سَنَبَهُ عَلَيْنَا
وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧١﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ
لَا ذَلُولَ تُنِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةً لِأُشْيَةٍ فِيهَا
قَالُوا الْفَيْنِ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٢﴾
وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءُتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ
تَكْتُمُونَ ﴿٧٣﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ
الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ قَسَتْ
قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً
وَإِنْ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا
يَسْقَى فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْأَمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ
وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٥﴾ * أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا
لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ
مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ

الْقِصصَ مَا لَحِقَ زَنَةً وَعِدَّةً .
يَقَالُ : وَشَيْتِ الثَّوْبَ أَشْيَاهُ وَشَيْبًا
وَشَيْبَةً ، إِذَا جَعَلْتَ فِيهِ أَثَرًا يَخَالِفُ
مُعْظَمَ لَوْنِهِ .

٧٢- ﴿فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ تَخَاصَمْتُمْ
أَوْ تَدَافَعْتُمْ فِي شَأْنِ هَذِهِ النَّفْسِ
الَّتِي قُتِلَتْ ، فَالْقَى كُلُّ مِنْكُمْ
تَهْمَةَ الْقَتْلِ عَلَى الْآخَرِ . وَأَصْلُهُ
تَدَارَأْتُمْ مِنَ الذَّرْءِ وَهُوَ الدَّفْعُ ،
لِأَنَّ الْمُتَخَاصِمِينَ يَدْرَأُ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا وَيُدْفَعُهُ . يَقَالُ : دَرَأْتُ
عَنْهُ ، دَفَعْتُ عَنْ جَانِبِهِ ،
فَقُلِبَتِ السَّيِّئَةُ دَالًا لِتَقَارُبِ
مَخْرَجِهَا ، وَسَكَنَتْ لِلإِدْغَامِ
فَاجْتَلَبَتِ الْهَمْزَةُ لِلنَّطْقِ بِالسَّاكِنِ .

٧٣- ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾
أَيُّ اضْرِبُوا الْقَتِيلَ بِبَعْضِ الْبَقَرَةِ
الْمَذْبُوحَةِ ، فَضْرِبُوهُ بِهَا ، فَأَحْيَاهُ
اللَّهُ . وَأَخْبَرَ عَنْ قَاتِلِهِ ثُمَّ سَقَطَ
مَيِّتًا . وَهَذِهِ مُعْجَزَةٌ أَجْرَاهَا اللَّهُ
تَعَالَى عَلَى يَدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
فِي هَذِهِ الْحَادِثَةِ ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى
صِدْقِ رِسَالَتِهِ وَوَجُوبِ اتِّبَاعِهِ ،
كَمَا أَجْرَى عَلَى يَدِ عِيسَى عَلَيْهِ
السَّلَامُ إِحْيَاءَ الْمَوْتَى .

٧٤- ﴿يَتَفَجَّرُ﴾ يَتَفَتَحُ سَبْعَةً
وَكَثْرَةً ﴿يَسْقَى﴾ يَتَصَدَّعُ بِطَوَّلِ
أَوْ بَعْرِضِ .

٧٥- ﴿يُحَرِّفُونَهُ﴾ يَبْدِلُونَهُ أَوْ
يُؤَوِّلُونَهُ بِالْبَاطِلِ .

وَأَبْيَضُ نَاصِعٌ . وَقَفَّعَ لَوْنُهُ يَقْفَعُ
وَيَقْفَعُ قَفْعًا وَفَقْوَعًا : اسْتَدْتَتْ
صُفْرَتَهُ أَوْ خَلَصَتْ .

٧٦- ﴿لَا ذَلُولٌ﴾ لَمْ تُذَلَّلْ
بِالْعَمَلِ . يَقَالُ : بَقَرَةٌ ذَلُولٌ بَيِّنَةٌ
الذَّلُّ - بِالْكَسْرِ - أَيُّ هَيْئَةٍ سَهْلَةٍ
الانْقِيَادِ ﴿تُنِيرُ الْأَرْضَ﴾ تَقْلِبُ
الْأَرْضَ لِلزَّرْعِ . ﴿الْحَرْثَ﴾

٧٦ - ﴿ خَلَا بَعْضُهُمْ ﴾ ماضى اليه ، أو انفرد معه ﴿ اتَّخَذُوا مِنْهُمْ ﴾ بما فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴿ اتَّخَذُوا الْمُؤْمِنِينَ بِمَا بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ فِي التَّوْرَةِ مِنْ نِعَتِ مُحَمَّدٍ وَصِفَتِهِ . مِنْ قَوْلِهِمْ : فَتَحَ اللَّهُ عَلَى فُلَانٍ عِلْمَ كَذَا ، أَيْ رَزَقَهُ ذَلِكَ وَسَهَّلَهُ لَهُ . أَوْ اتَّخَذُوا مِنْهُمْ بِمَا حَكَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ فِي التَّوْرَةِ مِنْ أَخْذِ الْمِيثَاقِ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ بِالْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ وَنَصْرَتِهِ . مِنْ الْفَتْحِ بِمَعْنَى الْحُكْمِ وَالْقَضَاءِ ؛ وَمِنْهُ : (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ) (١) أَيْ احْكَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ .

٧٨ - ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ ﴾ أَيْ جُهَالٌ بِالتَّوْرَةِ . جَمْعُ أُمِّيٍّ ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ ، نِسْبَةً إِلَى الْأُمِّ ؛ لِأَنَّ الْكِتَابَ كَانَ فِي الرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ ، فَكُسِبَ مِنْ لَا يَكْتُبُ وَلَا يَقْرَأُ مِنَ الرِّجَالِ إِلَى أُمَّةٍ فِي جَهْلِهِمَا دُونَ أَبِيهِ . ﴿ إِلَّا أُمَمَانِ ﴾ أَيْ لَكِنْ يَعْتَقِدُونَ أَكْذَابًا وَأَبَاطِيلًا فَتَعَلَّعُوا أَجْبَارُهُمْ ؛ فَأَخَذُوا عَنْهُمْ تَقْلِيدًا لَهُمْ لِفِرْطِ جَهْلِهِمْ . جَمْعُ أُمِّيَّةٍ ، وَهِيَ الصُّورَةُ الْحَاصِلَةُ فِي النَّفْسِ مِنْ تَمَيُّ الشَّيْءِ وَتَقْدِيرِهِ . مِنْ مَمَى الشَّيْءِ : قَدَّرَهُ ؛ وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ التَّمَيُّ فِي تَصَوُّرِ الشَّيْءِ عَنْ ظَنٍّ وَتَحْمِينٍ ؛ فَصَارَ الْكَذِبُ لَهُ أَمْلَكٌ ، وَسَاغَ أَنْ يَبْعَثَ عَنِ الْكَذِبِ بِمَا تَمَنَّى ، وَعَنِ الْأَكْذَابِ بِالْأُمَمَانِ ؛ كَمَا فَسَّرَهُ جَاهِدٌ . وَالِاسْتِثْنَاءُ مَنْقُطِعٌ .

(١) آية ٨٩ الأعراف (٢) آية ١٧٢ الأعراف .

ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا اتَّخَذُوا مِنْهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيبَتُهُ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْكَ جُنَاحٌ أَنْ تَقُولَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾

٧٩ - ﴿ قَوْلٌ لَهُمْ ﴾ أَيْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، أَوْ فَضِيحَةٌ أَوْ حَسْرَةٌ أَوْ هَلَكَةٌ ، أَوْ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ . وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ لَا فِعْلَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ ؛ مِثْلُ : وَبَحَ ، وَلَا يَشْتِي وَلَا يُجْمَعُ .

٨٠ - ﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾ أَيْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ؛ كَمَا يَزْعُمُونَ . وَهِيَ مَدَّةُ عِبَادَتِهِمْ الْعَجَلِ .

٨١ - ﴿ بَلَى ﴾ تَمَسَّكُمُ النَّارُ مَخْلَدِينَ فِيهَا . وَهِيَ حَرْفُ جَوَابٍ

كَتَمَ وَأَجَلَ ؛ إِلَّا أَنَّهَا لَا تَقَعُ جَوَابًا إِلَّا لَفْظِي مُتَقَدِّمٌ ، إِبْطَالًا وَنَقْضًا وَإِجَابًا لَهُ ، سِوَاهُ دَخَلَهُ اسْتِفْهَامٌ أَمْ لَا . فَنَحْوُ : مَا قَامَ زَيْدٌ . تَقُولُ بَلَى ؛ أَيْ قَدْ قَامَ . وَفِي نَحْوِ : أَلَيْسَ زَيْدٌ قَائِمًا ؟ تَقُولُ بَلَى ؛ أَيْ هُوَ قَائِمٌ . وَمِنْهُ : (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى) (٢) أَيْ أَنْتَ رَبُّنَا . وَلَوْ قَالُوا نَعَمْ ، لَكَفَرُوا . ﴿ كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ هِيَ هُنَا الْكَفَرُ ﴿ أَحَاطَتْ بِهِ .. ﴾ أَحَدَقَتْ بِهِ وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ .

٨٥- ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ﴾

تتظاهرون عليهم لحلفائكم من العرب . من التظاهر ، وهو التعاون . وأصله من الظَّهَر ، كأن المتعاونين يسند كل واحد منهم ظهره إلى الآخر . ﴿بِالْإِثْمِ﴾ هو اسم للفعل المبطئ عن الثواب ، وجمعه آثام . ولذا يطلق على الذنب والمعصية ؛ يقال : أئثم بأثم إثمًا ومأثمًا ، فهو آثم وأئثم . وقيل : اسم للفعل الذي يستحق عليه صاحبه الذم واللوم . أو هو ما تنفر منه النفس ، ولا يطمئن إليه القلب . ﴿أَسَارَى﴾ جمع أسير بمعنى مأسور ، وهو من يؤخذ على سبيل القهر والغلبة فيشد بالإسار ، وهو القيد . والقيد : سبي يُقَدُّ من جلد غير مدبوغ . ﴿تُفَادُوهُمْ﴾ تنقذوهم من الأسر بالفداء . يقال : فاداه وفداه ، أعطى فداءه فأنقذه . ﴿خِزْيٌ﴾ بلاء وفضيحة . مصدر خزى الرجل يخزي خزيًا وخزى : وقع في بلية فذل بذلك ، وهو خزيان ، وهن خزيا . وأخزاه الله : فضحه .

٨٧- ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ أرسلنا على أثره الرسل متتابعين . يقال : قفا أثره يقفوه قفوا وقفوا ، إذا تبعه . وقفى على أثره بفلان ، إذا أتبعه إياه . وقفيته زيدا وبه : أتبعته إياه .

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ . وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٧﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءٍ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِينِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُواكُمْ أُسْرَىٰ فَتَدَّوهُمْ . وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِثْكَ إِلَّا الْآخِرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ . وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٩٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ أَتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٩١﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ . بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٢﴾

واشتقاقه من: قَفَوْتُهُ إِذَا اتَّبَعْتَ قَفَاهُ . والقفا : مؤخَّرُ العنق ؛ ثُمَّ أَطْلُقُ عَلَى كُلِّ تَابِعٍ وَلَوْ بَعْدَ الزَّمَنِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَتَّبِعِهِ . ﴿رُوحُ الْقُدُّسِ﴾ هُوَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُّسِ﴾ ^(١) . وَالْإِضَافَةُ فِيهِ مِنْ إِضَافَةِ الْمُوصُوفِ إِلَى الصِّفَةِ ؛ أَيْ الرُّوحُ الْمُقَدَّسُ ، وَوُصِفَ بِالْقُدُسِ لَطَهَارَتِهِ عَنْ مَخَالَفَةِ رَبِّهِ فِي شَيْءٍ . وَسُمِّيَ رُوحًا لِمِثَابَتِهِ الرُّوحَ الْحَقِيقِيَّ فِي أَنْ كَلَّا مِنْهُمَا مَادَّةَ الْحَيَاةِ لِلْبَشَرِ . فَجَبْرِيلُ مِنْ حَيْثُ مَا يَحْمِلُ مِنَ الرِّسَالَةِ الْإِلَهِيَّةِ تَحِيًّا بِهِ الْقُلُوبَ . وَالرُّوحُ تَحِيًّا بِهِ الْأَجْسَامَ .

٨٨- ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ مَغْشَاةٌ بِأَغْطِيَةٍ حِسِّيَّةٍ مَانِعَةٍ مِنْ نَفُوذِ مَا جِثَّتْ بِهِ فِيهَا . جَمَعَ أَغْلَفَ ، وَهُوَ الَّذِي جُعِلَ لَهُ غِلَافٌ ؛ وَمِنْهُ قِيلَ لِلْقَلْبِ الَّذِي لَا يَبْغِي وَلَا يَفْهَمُ : قَلْبٌ أَغْلَفٌ ؛ كَأَنَّهُ حُجِبَ عَنِ الْفَهْمِ بِالْغِلَافِ .

٨٩- ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يَطْلُبُونَ مِنَ اللَّهِ التَّنَصُّرَ عَلَى الْمَشْرِكِينَ بِالنَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ الْمَبْعُوثِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، الَّذِي يَجِدُونُ صِفَتَهُ فِي التَّوْرَةِ .

وَالِاسْتِفْتَاخُ : الْإِسْتِنصَارُ ؛ مِنْ الْفَتْحِ وَهُوَ النَّصْرُ ، كَالْفَتْاحَةِ .

٩٠- ﴿اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ بَاعُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴿بَغْيًا﴾ حَسَدًا لِأَجْلِ تَنْزِيلِ اللَّهِ الْكِتَابَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) آية ١٠٢ التحل .

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۖ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾
يَسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَوْحِينَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ۚ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾
* وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْمَا بِأَمْرِكُمْ بِهِ ۚ لِمَنْكُرُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ

وَأَصْلُ الْبَغْيِ : الظُّلْمُ ، وَأَطْلُقُ عَلَى الْحَسَدِ ؛ لِأَنَّ الْحَاسِدَ يَظْلِمُ الْحَسُودَ جَهْدَهُ بِتَمْنَى زَوَالِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَنْهُ . وَهُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ لـ «يَكْفُرُوا» . ﴿فَبَاءُوا﴾ بِغَضَبٍ ... ﴿رَجَعُوا بِغَضَبٍ فَوْقَ غَضَبٍ﴾ . يُقَالُ : بَاءَ يَأْتِمُهُ يَبُوءُ رَجَعَ ؛ وَهِيَ كُفْرُهُمْ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكُفْرُهُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٩٢- ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ الَّذِي صَنَعَهُ لَكُمْ السَّامِرِيُّ إِلَهًا تَعْبُدُونَهُ .

٩٣- ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمْ﴾



٩٧ - ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجَبْرِيلِ﴾

عادى اليهود جبريل لزعيمهم أنه أمر أن يجعل النبوة فيهم فجعلها في غيرهم . أو لأنه لا يأتي إلا بالشدة والحرب والقتال . أو لنزوله بالقرآن على محمد مصدقاً لكتابتهم وهم كارهون للقرآن ، ولذلك حرقوا التوراة . فأخبر تعالى أن من كان عدوًّا لجبريل فلا حق له في عداوته ، لأنه لم ينزل بالقرآن من تلقاء نفسه ، وإنما جاء به بأمره تعالى مصدقاً لما سبقه من الكتب . وهاذياً ومبشراً للمؤمنين . فهو من حيث إنه مأمور وجب أن يكون معذوراً ، ومن حيث إتيانه بالهداية والبشارة وجب أن يكون مشكوراً ، وعداوة من هذا سبيله عداوة الله تعالى . ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ أى نزلت عليك . وذكر القلب لأنه هو القابل الأول للوحي ، وحل الحفظ والفهم .

١٠٠ - ﴿أَوْ كَلَّمَا﴾ الحمزة

للاستفهام ، والواو للعطف على محذوف ، أى أكفروا بالآيات البينات ؟ وكلموا عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم . أى طرحوه ونقضوه . من التَّيْد ، وهو إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به . وفعله من باب ضرب . ﴿نَبَذَهُ﴾ طرحه ونقضه .

١٠٢ - ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا﴾ أقبل اليهود لما نبذوا التوراة على كتب

الْآخِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٩﴾ وَلَنَجْذِئَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِّجٍهُ مِنَ الْعَذَابِ إِنَّ يُعَمَّرُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجَبْرِيلِ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠١﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿١٠٣﴾ أَوْ كَلَّمَا عَنْهُدَا عَنْهُدَا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ

العجل ﴿أى داخل قلوبهم وخالطها حبُّ عبادته﴾ كما يُداخل الصَّبغ الثوب . وأصل الإشراب : مخالطة المائع للجامد ، ثم اتسع فيه حتى قبل في الألوان ، نحو أشرب بياضه حُمرة . وحذف المضافان للعلم بها ، وفي ذلك مبالغة لا تخفى . ٩٨ - ﴿خَالِصَةً﴾ أى مخصوصة بكم كما تزعمون . يقال : هذا الشيء خالص لك ، أى خالص

لَمَّا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ
وَرَأَوْا ظُهُورَهُمْ كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا
الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ
الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى
الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَرُوتَ وَمَرْوَتَ ۖ وَمَا يَعْلَمَانِ مِن أَحَدٍ
حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا
مَا يُفْرِقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِينَ بِهِ
مِن أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ
وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ وَلَئِنَّ
مَآشِرَاهُ بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا

السَّحْرَةَ مِنْ أَهْلِ بَابِلَ ، التي
كانت تُخبر بها الشياطينُ الكهنةَ
في عهد سليمان ، وزعموا أنها علم
سليمان ، وأنه كان ساحراً ولم يتم
له الملك والسلطان على الإنس
والجنّ والطير والرياح إلا به ،
فأكذبهم الله بهذه الآية . فالتلاوة
بمعنى الإخبار والتحديث .
ولتضمن الفعل معنى الكذب
عُدَى بعل . ﴿١٠١﴾ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ
السِّحْرَ ﴿١٠٢﴾ الضمير للشياطين أو
اليهود . وقد ذكر العلامة ابن
خلدون في مقدمته : أن السحر
والطلسمات علومٌ بكيفية
استعدادات ، تقتدير النفوس
البشرية بها على التأثير في عالم
العناصر بغير آلة ولا معين ، أو
بمعين من مزاج الأفلاك أو
العناصر أو خواص الأعداد
وبعض الموجودات . فالنفوس
الساحرة تؤثر بالهمة والتوجه في
الأمياء ، فإن كان بغير معين وآلة
فهو السحر . وإن كان بمعين فهو
الطلسم . وأن هذه العلوم كانت
شائعة في أهل بابل من السريانيين
والكلدانيين ، وفي أهل مصر من
القبط وغيرهم قبل بعثة موسى
عليه السلام . وكان لها في زمن
بعثته أسواق نافقة ، ولهذا كانت
معجزته من جنس ما يدعون
ويتناغون فيه . وهناك نوع ثالث
من التأثير ، وهو تأثير النفوس في
القوى المتخيلة بإلقاء أنواع من

الخيالات والمحاكاة والصور فيها ،
حتى ترى كأنها واقعية وليست إلا
خيالاً ، وهو المسمى بالشعوذة .
وأن خلاف العلماء في أن السحر
حقيقة أو تخيلٌ خلاف لفظي .
فالقائلون بأن له حقيقة نظروا إلى
النوعين الأولين ، والقائلون بأنه
تخيل نظروا إلى النوع الثالث .
والشريعة لم تفرّق بين السحر
والطلسمات ، وحرمتها جميعاً لما
فيها من الضرر . وأما النوع
الثالث فقد قال ابن خلدون : إنه
ملحق بهذين النوعين في
التحريم ، لما فيه من الضرر .
والحق أنه لا يحرم منه إلا ما فيه
مضرة ، وأما ما ليس فيه مضرة
فلا يحرم ، وإنما ينبغي تركه لأنه
لا يعنى الجادّين ، و(من حسن
إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) (١) .
وما جاء في الحديث من عدّ
السحر من الكبائر ، وعده
كفراً ، إذا كان الساحر يتّجه في
رياضته بالتعظيم والعبادة
والخضوع والتذلّل لغير الله
تعالى ، فهو محمول على النوعين
الأوليين . ثم ذكر الفرق بين
المعجزة والسحر بأنه راجع إلى
التحدّي ، وهو دعوى وقوع

وَاتَّقُوا الْمَوْتَةَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٥٦﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥٧﴾ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ
رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ ﴿١٥٨﴾ * مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا



الإسرائيليين فلا يُعَوَّل عليه . وقد أنكره من الأئمة : القاضي عياض والإمام الرازي والشهاب العراقي وابن كثير والآلوسي ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ ابتلاء من الله ، واختبار للناس ، أيتبعون التصح ولا يعملون السحر ، أم يخالفونه ويعملون السحر . من الفتن ، وأصله إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته . ثم استعمل في الاختبار والامتحان بالمحن والشدائد ، وبالمنع واللطائف ، لما فيه من إظهار الحال والحقيقة . وأكثر ما تستعمل فيه الفتنة : الامتحان بالحن . وعليه يُحمل تفسير بعضهم الفتنة بالحنة . وابتلاء الله العباد ، ليس ليعلم أحوالهم ، لأنه تعالى عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الأزل ، ولكن ليعلم العباد أحوالهم من ظهور جودة ورداءة ، وهي الأحوال التي يعلمها الله تعالى أولاً . ﴿ خَلَقَ ﴾ نصيب من الخير ، هو ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة وتخلق به . وفُسر الخلاق : بالقوام وبالقدر ، والمعاني متقاربة ﴿ شَرَّوَاهِ أَنْفُسَهُمْ ﴾ باعوا به أنفسهم . ١٠٣ - ﴿ لَمْثُوتَةٌ ﴾ لأجر جزاء . وسُمِّيَ بذلك لأن المحسن يثوب إليه ويرجع .

الناس أشدَّ التحذير من العمل به ، فلا يصفانه لأحد ، ولا يكشفان له وجوه الاحتيال فيه حتى يبدلا له النصيحة ، فيقول له : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ . وكذلك كان للتمييز بين السحر والمعجزة ، حيث كثر السحر في ذلك الزمان ، وأظهر السحرة من الأمور الغريبة ما يوقع الشك في النبوة ، فبعث الله تعالى هذين الملكين لتعليم أبواب السحر ، حتى يزيل الشبهة ، ويُهيئ الأذى عن الطريق . والظاهر أنها نزلت بصورة آدمية ، ولا بُد في ذلك ، فقد كان جبريل عليه السلام ينزل بصورة دحية الكلبي وغيره . وما يرويه المفسرون في قصة هاروت وماروت لا أصل له ، وهو من أكاذيب

المعجزة على وفق ما ادعاه ، وأن الساحر مصروف عن مثل هذا التحذير ، فلا يصح منه . ووقوع المعجزة على وفق دعوى الكاذب غير مقدور ، فراجعه . وفي الآية إشارة إلى أن تعليم السحر موجب للكفر . ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ ﴾ أى ويعلمون ما أنزل على الملكين : هاروت وماروت ، ببابل : أى ما ألهماه وعلمناه وهو السحر . وعطفه على ما قبله لتزيل تغاير المفهوم منزلة تغاير الذات ، وكان نزولها لتعليم السحر ابتلاء من الله تعالى وامتحاناً للناس . فمن تعلمه وعمل به كفر ، ومن تعلمه وتوقى العمل به ثبت على الإيمان ، والله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء ، كما امتحن قوم طالوت بالنهر . وكانا يحذران

١٠٤ - ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ كان المؤمنون إذا حدثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون له : «راعيًا» . من المراجعة . وهى المبالغة فى الرعى ، وهو حفظ الغير وتدبير أموره ، وتدارك مصالحه ، يريدون : راقبنا وتأن بنا ، حتى نفهم كلامك ونحفظه . وكانت هذه اللفظة بلغة اليهود سبًا قبيحاً . أو بمعنى : اسمع لا سمعت . أو يا أحمق ، من الرعونة ، وهى الحماقة والخفة . فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين ، أخذوا يحاطبونه صلى الله عليه وسلم بها ، وبضحكون فيما بينهم ، قاصدين بها سبه والاستهزاء به ، كما قال تعالى : (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى الدِّينِ) (١) . فتهى المؤمنون عن مخاطبته بهذه اللفظة ، قطعاً لألسنة اليهود حتى لا يتخذوها ذريعة إلى سبه صلى الله عليه وسلم وإيذائه ، وأمروا بأن يقولوا ما فى معناها ، مما لا يمكن التذرع به إلى ذلك ، وهو انظرنا ، أى انتظرنا وتأن ، أو انظر إلينا . وهذه الآية أصل فى سد الذرائع .

١٠٦ - ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ لما قال الكافرون : إن محمداً يأمر

أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ

أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ، ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً . وأنه ما يقول إلا من تلقاء نفسه - أنزل الله هذه الآية بياناً لوجه حكمة النسخ ، وأنها رعاية مصالح العباد ، وأن النسخ من عند الله لا من عند محمد صلى الله عليه وسلم . والنسخ : الرفع والإزالة ، يقال : نسخت الشمس الظلّ تَنَسَّخَهُ ، إذا أذهبت وأبطلته ، ونسخ الآية تارة برفع حكمها مع بقاء تلاوتها ، وتارة برفع تلاوتها مع بقاء حكمها ، وتارة برفعها معاً . وتارة يكون النسخ ببدل ، وتارة بغير بدل ، كما تقرر فى الأصول . والمراد به فى الآية نسخ الحكم

ببدل ، وإنشاء الآية - من النسيان - : إذهابها من القلوب حتى لا تذكرها ، وهو النوع الثالث من النسخ . والمعنى : ما نسخ من آية فنزع حكمها ، أو نَمَحُها من القلوب ، نأت بدلها بما هو أنفع لكم وأسهل ، وأكثر لأجركم . أو بتمثلها فى المنفعة والثواب . فأنسخ بالأخف فهو فى العمل أيسر . وما نسخ بالأشد فهو فى الثواب أكثر . وقرئ «تَنَسَّاهَا» ، من النَسْء بمعنى التأخير ، أى تؤخر إنزالها من اللوح المحفوظ .

١٠٧ - ﴿وَلِيٍّ﴾ مالك ، أو مُتَوَلٍّ لأمورك .

١٠٨ - ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ قصد الطريق ووسطه .

أتى بالبرهان ، أو من البرّة ، وهو القطع ، ومنه : البرّهة وهي القطعة من الزمان ، وسُميت به الحجة لأن بها قطع دعوى الخصم ، أو من البرّهة بمعنى البيان .

١١٢ - ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ ﴾ أى ليس الأمر كما زعمتم ، وإنما يدخل الجنة من أخلص دينه وعبادته لله وحده ، وهو متبع فيه أمر ربه ، محسن في عمله .

١١٣ - ﴿ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ أى جنس الكتاب ، فيصدق على التوراة والإنجيل وليس فيهما شيء مما يزعمون . ﴿ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ قال مشركو العرب الذين لا كتاب لهم يتعلمون منه فى محمد وأصحابه : إنهم ليسوا على شيء من الدين . كما قال أهل الكتاب : فيمن خالفهم : لستم على شيء من الدين ، فتشابهت قلوبهم .

١١٤ - ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ .. ﴾ هم المشركون الذين حَالُوا بين الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وبين المسجد الحرام يوم الحُدَيْبِيَّة . وقيل : هم النصارى الذين كانوا يمنعون الناس من الصلاة في بيت المقدس ، ويظاهرون بُخْتَنَصْرَ على خرابه . والتعيرُ بصيغة الجمع لأن كل موضع منه

بِأَمْرِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٣﴾ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى ۚ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٤﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۖ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٥﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٦﴾

إلا من كان هودًا ، ودعوى النصارى : لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى ، وزعمهم جميعاً حرمان المسلمين منها أمانى باطلة ، تمتوها على الله بغير حق . ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ أى أحضروا حجتكم على ما ادّعيتموه من اختصاصكم بدخول الجنة . و«هاتوا» فعل أمر ، وهاتوه أصلية . والبرهان : الحجة على صحة الدعوى ، مصدر برّه يبرّه إذا ابين ، سُميت به الحجة لنصوع دلالتها على المطلوب ، ومنه : أبرّه إذا

١٠٩ - ﴿ فَأَعْقُوا وَاصْفَحُوا ﴾ فتجاوزوا عما كان منهم من عداوة وحسد ، والعفو : ترك العقوبة على الذنب ، والصفح : ترك اللوم والعقاب عليه ، وهو أبلغ من العفو ، إذ قد يعفو الإنسان ولا يصفح . ﴿ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ أى بأمره بقتالهم . أو بالجزاء يوم القيامة . والأمر على الأول واحد الأوامر ، وعلى الثانى واحد الأمور .

١١١ - ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ أى دعوى اليهود : لن يدخل الجنة

مسجد . ﴿ مَا كَانَ لَهُمْ ... ﴾
أى ما صح لهم دخولها إلا خائفين
من الله تعالى ؛ لمكانها من الشرف
والكرامة بإضافتها إليه تعالى . أو
من المؤمنين أن يبطشوا بهم ،
فضلاً عن أن يستولوا عليها ويمنعوا
المؤمنين منها . ﴿ خِزْيٌ ﴾ ذل
وصغار ، وقتل وأسر .

١١٥ - ﴿ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَشَمَّ وَجْهَهُ
الله ﴾ ففى أى مكان من المشرق
والمغرب توليتم شطر القبلة ، التى
أمركم الله بها ورضيها لكم ؛
فهناك جهته سبحانه التى أمرتم
بها .

١١٦ - ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾
زعم بعض اليهود أن عزيراً ابن
الله . وزعم نصارى نجران أن
المسيح ابن الله . وزعم بعض
مشركى العرب أن الملائكة بنات
الله . تعالى الله عما يقولون علواً
كبيراً ! وكيف ذلك وله تعالى
جميع ما فى السموات والأرض
عبداً وملكاً وخلقاً ، وتدبيراً
وتسخيراً وتصرفاً ؛ وكلها
مربوبة له تعالى ، فكيف يُنسب
إليه منها ولد ! ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ تنزيهاً
له عما هو نقص فى حقه ، ومحال
عليه من اتخاذ الولد ؛ لاقتضاء
الوالدية النوعية ، والجنسية
والتناسل والافتقار ، والتشبيه
والحدوث . وفى الصحيحين عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
قال : (لا أحد أصبر على أذى
سَمِعَهُ من الله إنهم يجعلون له ولداً

(١) آية ١٥ الرعد . (٢) آية ٨٢ يس .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَسَعَى
فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ
لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٣﴾
وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَمِنْ وَجْهِ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ
وَسِعَ عِلْمٌ ﴿١١٤﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ
مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَنِينٌ ﴿١١٥﴾ بَدِيعُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ
كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ

وهو يرزقهم ويكافئهم) . ﴿ كُلُّ
لَهُ قَانِتُونَ ﴾ مطيعون طاعةً تسخير
وانقياد ، خاضعون : لا
يستعصى منهم شىء على مشيئته
وتكوينه . شاهدون بلسان الحال
والمقال بوحدانيته ، من
القنوت ، وهو لزوم الطاعة مع
الخشوع (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِى
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا
وَظُلُمًا لَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) (١) .

١١٧ - ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ ... ﴾
مُبدِئها ومُنشئها بلا احتذاء ولا
اقتداء ، وبلا آلة ولا مادة .
صفة مشبهة من أبداع ؛ والذى
ابتدعها من غير أصل ولا مثال
هو الله تعالى . الذى ابتدع
المسيح عليه السلام من غير أب

بقدرته سبحانه ، وابتدع عزيراً
والملائكة ؛ فكيف يُضيفون إليه
تعالى بُنْيَوةً شىء من هذه
المخلوقات . ﴿ وَإِذَا قَضَىٰ
أَمْرًا ... ﴾ أى إذا أراد سبحانه
إحداث أمر من الأمور حدث
فوراً ؛ قال تعالى : (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا
أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ) (٢) وهو على ما ذهب
إليه كثير من أهل السنة تمثيل
لحدوث ما تتعلق به إرادته تعالى
بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا
توقف . وليس المراد أنه إذا أراد
إحداث أمر أتى بالكاف والنون ؛
ففى الكلام استعارة تمثيلية .
وذهب آخرون إلى أن الأمر
بـ « كُنْ » محمول على حقيقته ،

أَوْ تَأْتِيَا آيَةً كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ
تَسْبِيحٌ قُلُوبِهِمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾
إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ
الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى
تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَى وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ
أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ
وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ
تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ
هُمْ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي
أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوا
يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْعًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ
وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ * وَإِذْ أَبْتَلَى
إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ
إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنْبَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾



١٢١ - ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ
الْكِتَابَ﴾ هم مؤمنو أهل
الكتاب ، والكتاب : التوراة أو
الإنجيل . أو هم أصحابه صلى
الله عليه وسلم ، والكتاب :
القرآن .

١٢٢ - ﴿الْعَالَمِينَ﴾ عالمي
زمانكم .

١٢٣ - ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ﴾
[آية ٤٨ من هذه السورة
ص ١٥] ﴿عَدْلٌ﴾ فدية .

١٢٤ - ﴿وَإِذْ أَبْتَلَى
إِبْرَاهِيمَ﴾ ... ﴿اخْتَبَرَهُ رَبُّهُ تَعَالَى
بِمَا كَلَّفَهُ مِنْ الْأَمْرِ وَالنَّوَاهِي .
ومعنى اختبار الله تعالى العبد
معاملته إياه معاملة الاختبار مجازاً ،
إذ حقيقة الاختبار محالة عليه
تعالى ، لعلمه المحيط بالأشياء .
أو الاختبار لإظهار ما في البتلى
من جودة ورداءة ، وطاعة
وعصيان ، دون التعرف لحاله
والوقوف على حقيقة أمره . وهو
تعالى يختبر عباده تارة بالمضار
ليصبروا ، وأخرى بالمسار
ليشكروا ، وفي كلا الحالتين تندو
النفوس على حقيقتها .
﴿بِكَلِمَاتٍ﴾ بأوامر ونواه .
﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أتى بهن على الوجه
الأكمل ، وأذاهن كما يليق به
عليه السلام ، قال تعالى :
(وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى) ^(١)

[آية ١١٣ من هذه السورة ص
٢٨] . ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾
هم أهل الكتاب .
١٢٠ - ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ
أَهْوَاءُهُمْ﴾ الخطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم ، والمقصود
منه أمته .

وأنه تعالى أجرى سنته في تكوين
الأشياء أن يكونها بكلمة «كن»
أزلاً .. ومن ذلك عيسى عليه
السلام خلق بكلمة «كن»
فكان .
١١٨ - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا
يَعْلَمُونَ﴾ هم مشركو العرب .

١٢٥ - ﴿مَثَابَةٌ لِّلنَّاسِ﴾ مرجعاً

للناس يرجعون إليه من كل جانب ويحجّون ، مصدرٌ ميميٌّ ، من ثاب القوم إلى المكان رجعوا إليه ، فهم يثوبون إليه ثوباً وثوباً . أو معاذاً لهم بلجأون إليه . أو موضع ثواب يثابون بحجّته واعتماره . ﴿مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ هو الحجر الذي قام عليه إبراهيم عليه السلام عند بناء البيت ، وهو على المشهور تحت المصلّى المعروف الآن . ﴿عَهْدَنَا﴾ وصينا أو أمرنا أو أوحينا .. ﴿يَتَنَبَّأُ﴾ الكعبة المشرفة بمكة المكرمة .

١٢٦ - ﴿أَضْطَرُّهُ﴾ أدفعه وأسوقه وألجئه .

١٢٨ - ﴿مُسْلِمِينَ لَّكَ﴾ مخلصين موحدين لك . من أسلم وجهه : إذا أخلص نفسه أو قضده ، أو منقادين لك . قائمين بشرائع الإسلام . من استسلم : إذا انقاد . ﴿وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا﴾ علّمنا شرائع ديننا وأعمال حجّنا ؛ كالطواف والسعى والوقوف . أو

متعبداتنا التي تقام فيها شرائعه ، كمنى وعرفات ونحوهما . جمعٌ منسكٍ . بفتح السين وكسرها . بمعنى الفعل ، وبمعنى الموضع . من النسك - مثلثة النون ، وبضمها وضم السين - وهو غاية العبادة ، وشاع في الحج ، لما فيه من الكلفة غالباً والبعد عن العادة .

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكًا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ

١٢٩ - ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ وابعث في الأمة المسلمة . والعمل . والمراد بها هنا : الفقه أو في ذريتنا - وهم العرب - رسولاً منهم ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم ؛ إذ لم يُبعث في ذريتهما غيره . ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ أى يعلمهم معاني الكتاب وحقائقه ، وهو القرآن . ويعلمهم الحكمة ، وهى فى الأصل إصابة الحق فى القول والدين ومعرفة أسرارها ، وحكمه ومقاصده التى يكمل بها العلم بالكتاب . ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من أرجاس الشرك وأدران المعاصى ، يقال : زكاه الله أى طهره وأصلحه . ومنه زكاة المال ؛ لتطهره بها وطهارة

١٣١- ﴿أَسْلِمَ﴾ انقذ ، أو

أخلص العباداة لى

١٣٢- ﴿أَصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ﴾

اختار لكم دين التوحيد ، وهو دين الإخلاص لله فى العباداة والطاعة والانقياد لحكمه ، فليس عند الله دين مَرْضَى سواه ، وهو دين الإسلام .

١٣٤- ﴿خَلَّتْ﴾ مضت

وسلفت

١٣٥- ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن

الضلال والباطل إلى الهدى والحق . جمعه حنفاء ، وأصله من الحنْف ، وهو ميل فى إيهام القدمين من كل واحدة إلى صاحبها ، يقال : حَنَفَ يَحْنِفُ مال ، وتحْنِفُ إليه : مال . وتحْنِفُ : تحرى طريق الاستقامة . والحنيف : المسلم . و«حنيفاً» حال من إبراهيم .

١٣٦- ﴿وَالْأَسْبَاطِ﴾ هم أولاد

يعقوب الاثنا عشر ، جمع سبط وهو ولد الولد ، وسُمُّوا أسباطاً بالنسبة لإسحاق وإبراهيم عليهما السلام . وقيل : هم أحفاد يعقوب ، وهم أولاد أولاده ، وكانوا كثيرين . والأسباط فى بنى إسرائيل كالفنائل فى العرب من ولد إسماعيل ، وسُمُّوا أسباطاً من السَّبَط ، وهو الشجرة ذات الأغصان الكثيرة ، لأنهم فى الكثرة بمنزلة الشجرة .

١٣٧- ﴿فِي شِقَاقٍ﴾ فى مخالفة

لله تعالى ومعاداة . من الشق وهو

إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ

فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٢﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ

قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ

بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ

إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٤﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ

الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ

إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا

وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ

لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴿١٣٦﴾ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ

مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٧﴾

قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ

وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ

وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ

مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٨﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ

وینصرف عن .. ﴿سَفِهَ نَفْسَهُ﴾

خسر نفسه ، أو جهلها أو امتنها

وأذلها واستخف بها . والسَفَه :

خفة فى النفس لنقصان العقل فى

أمور الدنيا أو الدِّين . و«سَفِهَ»

متعد بنفسه . و«نفسه» مفعول به .

النفس بإخراجها . وأصل

الزكاة - بالمَد - : التَّاء

والزيادة ، ومنه : زكا الزرع

والأرض زكاء وزكوا ، أى نأ

ونمت .

١٣٠- ﴿يَرْغَبُ عَنْ ..﴾ يزهد

الجنب ؛ لأن كل واحد من الفريقين يكون في شق غير شق صاحبه . أو من قولهم : شق العصا ، إذا أظهر العداوة .

١٣٨ - ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ دين الله ، أو فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وهي الإيمان . والصبغة - كجلسة - من صبغ ، وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ ، عثر بها عن التطهير بالإيمان بما ذكر ؛ لظهور أثره عليهم ، كظهور أثر الصبغ على المصبوغ ، ولتداخله في قلوبهم تدخله وصورته حلية لهم . و«صِبْغَةَ اللَّهِ» مصدر مؤكد لـ «أَمَّنَا» ، منصوب بفعل مقدر ، أي صبغنا الله صبغته .

١٤٢ - ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ جمع سفه ؛ من السفه وهو الخفة الناشئة من نقصان العقل . أي سيقول الخفاف الأحلام ، الطاعنون في تحويل القبلة إلى الكعبة ، وهم اليهود والمنافقون والمشركون : أي شيء صرفهم عن قبلتهم التي كانوا يصلون إليها ، وهي بيت المقدس ؟ ! وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصل إلى الكعبة منذ قدم المدينة ، وبعد ستة عشر أو سبعة عشر شهراً - على الأرجح - أمر بالصلاة إلى الكعبة ، فأنخبره الله تعالى بما سيقولونه قبل أن يقولوه ؛ ليوطن نفسه عليه ، وأعلمه الجواب عنه ، وهو من أعلام النبوة . وقيل : إنه أخبره

فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِخْتَارَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ * سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَنِ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَبْغِ الرُّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَمَلَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ

به بعد ما وقع ، وأتى بالسين مع ﴿عَنِ قِبْلَتِهِمْ﴾ عن بيت مضى القول لاستمرارهم عليه . المقدس . ﴿مَا وَلَاهُمْ﴾ أي شيء صرفهم ١٤٣ - ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً



على النفوس إلا على الذين هدى الله قلوبهم إلى اتباعك ، والإيمان بك ، والعلم بأن الله تعالى أن يكلف عباده بما يشاء ويسخ ما يشاء ، وله الحكمة البالغة في ذلك . ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته إلى الكعبة قالوا : يا رسول الله : كيف بالذين ماتوا منا وهم يصلون إلى بيت المقدس ؟ فتزلت . أى وما كان الله مريداً لإضاعة إيمانكم ، أى صلاتكم إلى القبلة المنسوخة . فالإيمان بخارج عن الصلاة ، من إطلاق اللّازم على ملزومه بقرينة المقام . أو لإضاعة ثباتكم على الإيمان بالرسول ، بل يجازيكم عليه بالحسن

١٤٤ - ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ ﴾ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلب وجهه نحو السماء في الدعاء إلى الله تعالى أن يحوله إلى الكعبة ، قبله أبيه إبراهيم عليه السلام . فاستجاب الله له وحوله إليها . ﴿ تَرْضَاهَا ﴾ تحبها وتهواها ، لأنها قبله إبراهيم عليه السلام ، وأقدم القبلتين ، وأدعى للعرب إلى الإيمان ، فوافقت أغراضه الشريفة - صلى الله عليه وسلم - مشيئة الله وحكمته . ﴿ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ نحوه وجهته وتلقاه ، منصوب على الظرفية . والمراد من المسجد الحرام : الكعبة ، كما في الصحيحين . أى قول وجهك في

فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٥﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٦﴾

إلى الكعبة . أى أن أصل أمرك أن تستقبل الكعبة ، وأن استقبالك لبيت المقدس هذه المدة ثم صرفك عنه ، إنما كان ليظهر حال من يتبعك ويستقبل معك حيناً توجهت من ينقلب على عقبيه مرتداً عن دينه ، فجازي كلاً بعمله . وعبر عن ذلك بالعلم لترتبه عليه . ﴿ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ﴾ يرتد عن دين الإسلام ، ويرجع إلى ما كان عليه ، إلهاً لقبله آياته ، وهو كقوله تعالى : (نَكْصَ عَلَى عَقْبَيْهِ) (١) ، (فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً) (٢) ، وقولهم : رجعت على حافرتي ، أى طريق الذي أصعدت فيه . والحافرة : العود في الشيء حتى يرد آخره على أوله . ﴿ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً ﴾ أى وإن كانت هذه التولية لشاقة ثقيلة

وسطاً . أى كما هديناكم إلى قبله هى أوسط القبل جعلناكم أمة وسطاً . أو مثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم أمة وسطاً . أى عدولا خياراً ، أو متوسطين ، أى معتدلين في الدين غير مفرطين ولا مفرطين فيه ، كاليهود والمشركين ، وكالنصارى والصابئين . ووسط الشيء في الأصل : ماله طرفان متساويا القدر ، استعير للخصال الحميدة ، لكونها أوساطاً لطرفي الخصال الذميمة ، ثم أطلق على المتصف بها ، من إطلاق اسم الحال على المحل ، لاعتداله وتبعده عن طرفي الإفراط والتفريط الذميين . وخير الأمور : الوسط . ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ ﴾ بيان للحكمة في جعل بيت المقدس قبله له ثم صرفه عنها

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ
وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ
وَجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا
يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾
وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾
وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ
عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي
وَلَا تَمْنَعِي عَيْبَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا

الصلاة جهتها ، وحيثما كنتم من بر
أو بحر ، شرق أو غرب قولوا
وجوهكم في الصلاة جهتها . وفي
ذكر المسجد الحرام دون الكعبة
التي هي القبلة إيذان بكفاية
محاذاة الجهة للبعيد ، لأن في
وجوب محاذاة عينها على البعيد
حرجا عظيما دون القريب . وروى
عن ابن عباس : أن البيت قبله
لأهل المسجد ، والمسجد قبله
لأهل الحرم ، والحرم قبله لأهل
المشرق والمغرب . وإليه ذهب
مالك .

١٤٦ - ﴿ يَعْرِفُونَهُ ﴾ أى يعرفون
محمداً صلى الله عليه وسلم
بالنوع المطبوعة في التوراة ،
التي من جملتها أنه صلى الله عليه
وسلم يصلى إلى القبلتين .

١٤٧ - ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الْمُمْتَرِينَ ﴾ أى الشاكين أو
المرتددين في كتابهم الحق مع
العلم به . من الامتراء فى الشيء ،
وهو الشك فيه ، والشاك فى
الشيء يتردد فيه ، ويدافع اليقين
ويجادل فيه ؛ ليستخرج ما عند
خصمه من القول والحجة . من
مَرَّيْتُ الناقة إذا مسحت ضرعها
لتدبر . ومَرَّيْتُ الفرس إذا
استخرجت ما عنده من الجري
بسوط أو غيره . والخطاب له
صلى الله عليه وسلم والمراد أمته ،
كما فى نظائره .

١٤٩ - ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ
قَوْلٌ ﴾ أعاد سبحانه هذا الأمر
ثلاث مرات ، وفى كل مرة فائدة

زائدة . فعلل الأمر الأول
بإكرامه تعالى لرسوله والمؤمنين
بالقبلة التي يحبونها ويرضونها ،
وهي قبلة أبيهم إبراهيم . وعلل
الثاني بما جرت به العادة الإلهية
من أن يؤتى أهل كل ملة قبلة ،
وقد شرع للمؤمنين أشرف الجهات
التي يعلم أنها حق ، وهي بيته
المعظم قبله لهم . وعلل الثالث
بدفع شبه الطاعنين الجاحدين .
كأنه تعالى يقول : الزم هذه
القبلة ، فإنها التي كنت تهواها .
ثم يقول : الزم هذه القبلة ،
فإنها قبلة الحق لا قبلة الهوى . ثم
يقول : الزم هذه القبلة ، فإن فى
ذلك انقطاع حُجج الطاعنين .
١٥٠ - ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ ﴾
أى ليستفى احتجاج اليهود
بقولهم : يَجْحَدُ دِيننا وَيَتَّبِعُ
قِيلَتنا . والمشركون بقولهم : يَدْعَى
مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ وَيُخَالِفُ قِبْلَتَهُ ؛
ويتبعهم المنافقون فى كل باطل
من القول . فلما حوّلتم إلى الكعبة
انتفى احتجاجهم جميعا . وسُميَ
قولهم حجة لأنهم يسوقونه مساق
الحجة وإن كان فى نفسه باطلا .

فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منه (١)

١٥٤ - ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ...﴾ إخبار بأن الشهادة في سبيل الله حياة أبدية خالدة ، بعد بيان أن أقوى ما يستعان به على تحمل المصائب والشدائد : الصبر والصلاة ، كما قال تعالى : (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) (٢)

﴿بَلْ أَحْيَاءٌ...﴾ أي بل هم أحياء يُرزقون ، حياة برزخية خاصة ، لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى ، تمتاز عن حياة سائر المؤمنين في البرزخ . وقال الآلوسي : إن الروح تتعلق بعد الموت ببدن برزخي ، مغاير لهذا البدن الكثيف ، وأرواح الشهداء يثبت لها هذا التعلق ، على وجه يمتازون فيه عن عداهم من المؤمنين ، إما في نفس التعلق أو في نفس الحياة ، أو في نفس التعلق به ، مع ما ينضم إلى ذلك من البيعة والنعم اللاتفتين بهم ، وهذه الأبدان البرزخية شبه صوري بالأبدان الدنيوية . والله أعلم . وقد أسهب القول في ذلك والدنا - رحمه الله - في كتابه «المطالب القدسية» في أحكام الروح وآثارها الكونية .

١٥٥ - ﴿وَلَنَسْأَلَنَّكُمْ﴾ والله لنختبرنكم ، من الابتلاء بمعنى الاختبار : أي لتعلمنكم بقليل

فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥٦﴾ فَادْكُرُونِي أذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا إِلَيَّ وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٧﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٨﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٩﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٦٠﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٦١﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٦٢﴾ * إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَابِرِ اللَّهِ قَنَّ حَجَّ الْبَيْتِ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ

﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ أي لكن الذين ظلموا منهم يتعلقون بالشبه ويجادلونكم بالباطل فيقول اليهود : ما تحول إلى الكعبة إلا مثلاً للذين قومه ، وحجاً لبلده . ويقول المشركون بدالله فرجع إلى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع إلى دينهم . ١٥١ - ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يطهركم

من الشرك والذنوب : ومن ردائل الأخلاق وأعمال الجاهلية . ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ القرآن والسنة والفقه في الدين . ١٥٢ - ﴿فَادْكُرُونِي أذْكُرْكُمْ﴾ فادكروني بطاعتي ، أذكركم بمغفرتي وفي الحديث الصحيح : (يقول الله تعالى :



يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ
لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ
الْمَلَائِكَةُ ۚ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاوْلَئِكَ
أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝١٥٩ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ
وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١٦٠ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ
وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ۝١٦١ وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝١٦٢ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

من الحن والبلايا معاملة المختبر
لأحوالكم ؛ ليظهر : هل
تصبرون على ما أنتم عليه من
الطاعة أو لا تصبرون . وقد
أخبرهم الله تعالى بذلك قبل
وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ،
ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم
له ، وليعلموا أنه شيء يسير
هين ، له عاقبة حميدة .

١٥٧ - ﴿ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾
ثناء أو مغفرة منه تعالى .

١٥٨ - ﴿ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ أى
من أعلام دينه ومتعبداته . تعبدنا
الله بالسعى بينهما فى الحج
والعمرة . وشعائر الحج : معالمة
الظاهرة للحواس ، التى جعلها
الله أعلاماً لطاعته ومواضع نسكه
وعبادته ؛ كالمطاف والمسعى
والموقف والمرمى والمثحر .
جمع شعيرة وهى العلامة . وقيل
للبدنة المهداة إلى البيت
المعظم : شعيرة ؛ لأنها تُشعر ،
أى تعلّم . ويقال لمواضع
السك : مشاعر ، جمع مشعر
وهو المعلم والمتعبد من
متعبداته ، من الإشعار وهو
الإعلام . ومنه المشعر الحرام
للمزدلفة ؛ لأنها معلم للعبادة
وموضع لها . وتطلق الشعائر على
العبادات التى تعبدنا الله بها فى
هذه المواضع ؛ لكونها علامات
على الخضوع والطاعة والتسليم لله
تعالى . ﴿ اعْتَمَرَ ﴾ زار .
والعمرة : زيارة البيت المعظم

على وجه مخصوص ، أخذاً من
العمارة ؛ كأن الزائر يغمُر البيت
بزيارته ، وجمعها غمر
وغمرات ، كغرف وغرفات ،
فى جمع غرفة . ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ
أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا ﴾ أى فلا إثم عليه
فى التطوف بهما . من جنح ، أى
مال عن قصد ؛ وسُمى الإثم
به للميل فيه من الحق إلى
الباطل . وقد كان على الصفا
صنم يسمى «إسافاً» وعلى المروة
صنم يسمى «نائلة» ، وكانوا فى
الجاهلية يستلمونها ويتمسحون
بهما ؛ ففُتِحَ جِوَا بعد الإسلام
وتكسیر الأصنام من السعى بين
الصفا والمروة . فترلت هذه
الآية ، وأخبر الله أنه من شعائر
الله ولا جناح فيه .

١٥٩ - ﴿ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ ﴾ يطردهم
ويُعدهم من رحمته . يقال :
لعنه ، أى طرده وأبعده سائخاً
عليه ، فهو لعين وملعون ،
وجمعه ملاعين . واللاعنون هم
الملائكة والمؤمنون . والمراد دوام
اللعن واستمراره .

١٦٢ - ﴿ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ أى
لا يُمهَلون ، ويُؤخَّرون عن العذاب
ساعة . من الإنظار بمعنى التأخير
والإمهال . أو من النظر بمعنى
الانتظار . يقال : نظرت وانتظرت
وأنظرت ، أخرت وأمهلت ؛
ومنه : (فَنَظَرَةُ إِلَى مَيْسَرَةٍ) (١) .
أو من النظر بمعنى الرؤية ؛ أى لا
ينظر الله إليهم نظر رحمة ورِضاً .

الأرباب . وقيل الأعم مما ذكر .
﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أى
ولو يعلم الذين ظلموا أنفسهم
بالشرك شدة عذاب الله وعقوبته
حين يعاينون العذاب المعد لهم
يوم القيامة لوقعوا من الحسرة
والندامة فيما لا يكاد يوصف .

١٦٦ - ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ
الْأَسْبَابُ ﴾ الأسباب : جمع
سبب . وهو فى الأصل الجبل
الذى يرتقى به الشجر ونحوه ، ثم
سُمي به كل ما يتوصل به إلى
غيره ، عينا كان أو معنى .
والمراد بها هنا : الوشائج التى
كانت بين الأتباع والتبوعين فى
الدنيا ، من القرابات والمودات
والاتفاق على الدين والاتباع .
وتقطيعها : فصلها فصلا
شديدا . والبناء فى « بهم »
للسببية ، أى وتقطعت بسبب
كفرهم الأسباب التى كانوا يرجون
بها النجاة .

١٦٧ - ﴿ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ ﴾ لو ثبت
أن لنا عودة ورجعة إلى الدنيا
لتبرأنا منهم كما تبرأوا منا .
والكررة : العودة والرجوع .
يقال : كَرَّ يَكُرُّ كُرًّا ، رجع .
﴿ حَسَرَاتٍ ﴾ جمع حسرة ،
وهى أعلى درجات الندم والغم
على ما فات . يقال : حَسِرَ
يَحْسِرُ حَسْرًا وحسرة ، فهو
حَسِيرٌ ، إذا اشتدت ندامته على
أمر فاته . وأصله من الحسر بمعنى
الكشف أو الإعياء ، كأنه
انحسرت قواه من قُرط الغم ، أو

وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالْفُلُكُ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا
يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ
الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَتُوبُ
لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٨﴾ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ
اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ
وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ
بِجَمْعٍ وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٩﴾ إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ
اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ
الْأَسْبَابُ ﴿١٧٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَبَرَّأَ
مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأْنَا مِنْكَ كَذَلِكَ يَرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ
عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٧١﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا
مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ

١٦٨ - ﴿ بَثَّ فِيهَا ﴾ فرق ونشر
فيها بالتوالد ﴿ وَتَصْرِيفِ
الرِّيْحِ ﴾ نقلها جنوباً وشمالاً
ودبوراً ، حارةً وباردة ، عاصفةً
ولينةً ، عقيماً ولواقحاً ، بالرحمة
تسارةً وبالعذاب أخرى .
و « تصريف » مصدر مضاف
للمفعول ، والفاعل هو الله ،
أى وتصريف الله الرياح . أو

مضاف للفاعل ، والمفعول
السحاب ، أى وتصريف الرياح
السحاب .
١٦٩ - ﴿ أَنْدَادًا ﴾ أمثالا ونظراء
جمع نَدٌّ^(١) . والمراد بها الأصنام
والأوثان التى اتخذوها آلهة ،
ورجوا منها النفع وخافوا الضرر
وقربوا لها القربان . وقيل :
الرؤساء الذين يطيعونهم طاعة

أدركه الإعياء عن تدارك ما قَرَطَ منه . يُرى الله المشركين أعمالهم السيئة يوم القيامة في الصحائف ، ويتيقنون الجزاء عليها فيتحسرون ويندمون .

١٦٨ - ﴿حَلَالًا طَيِّبًا﴾
الحَلَال : المباح الذي انحلت عقدة الحظر عنه . من الحل الذي هو نقيض العقد . والطيب : المستلذ ، أو المباح الذي لا يتعلق به حق الغير ، أو كما قال الإمام مالك : ما يجده قَمُ الشرع لذيداً لا يعافه ولا يكرهه ، أو تراه عينه طاهراً من دنس الشبهة . نزلت في الذين حرّموا على أنفسهم البحيرة والسائبة ونحوهما . ﴿خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾ آثاره وزلاته وطرقه التي يحرم بها الحلال ويحلل الحرام . جمع خطوة كغرفة ، وأصلها ما بين القدمين ، ثم استعيرت لما ذكر ، وقرئ بسكون الطاء .

١٦٩ - ﴿بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾
السوء : ما يكره من الأمور والأحوال . وهو في الأصل مصدر ساء يسوء سوءاً ومساءة إذا أضرته . والمراد به هنا كل ما يُغضب الله تعالى من المعاصي ، لأنه يسوء صاحبه . والفحشاء والفاحشة : ما عظم قبحه - شرعاً - من الأفعال والأقوال .

١٧٠ - ﴿الْفَيْنَا﴾ وجدنا

١٧١ - ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْتَعِقُ﴾

إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ
وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ
كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ
كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْتَعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءٌ وَنِدَاءٌ
صُمٌّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَنَابِئُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ
وَمَا أَهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرُ بَاغٍ وَلَا عَادٍ
فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ

النَّعِيقُ : دعاء الراعى الشاء . يقال : نَعَقَ الراعى بالغنم يَنْعِقُ نَعَقًا وَنَعِيقًا وَنَعَقًا وَنَعَقَانًا ، صاح بها وزجرها . أى مثلُ داعي الذين كفروا كمثل الناعق بغنمه ، في كون الكافر لا يفهم مما يخاطبه به داعيه إلا دوى الصوت دون الإلقاء فكرّ وذهن ، كما أن البهيمة كذلك . فالكلام على حذف مضاف من الأول . ﴿بُكْمٌ﴾ خرس عن النطق بالحق .

١٧٢ - ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أى من مستلذات ما أحلناه لكم .

١٧٣ - ﴿وَالدَّمَ﴾ أى المسفوح الشهوراق ، الآية : (أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا) (١) وهى خاصة ، والآية هنا عامة ، والخاص مقدم على العام . ﴿وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ﴾ المراد به جميع أجزائه . وعُتِبَ عن ذلك باللحم لأنه معظمه والمقصود بالأكل . ﴿وَمَا أَهْلٌ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ الإهلال : رفع الصوت عند رؤية الهلال ، ثم استعمل لرفع الصوت مطلقاً ، ومنه : إهلال الصبي ، والإهلال بالحج . وكانوا في الجاهلية إذا أرادوا ذبح ما قربوه إلى آلهتهم سَمَّوْا عليها أسماءها -

يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ نَمَنًا
 قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكْتَمُهُمْ
 اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾
 أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ
 فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ يَأْنِ أَنْ تَزَلَ الْكِتَابَ

كالكالات والعزى - ورفضوا بها أصواتهم ، وسمى ذلك إهلالا . ثم توسع فيه فقليل لكل ذابح : مهل ، سمي أو لم يسم ، جهر بالتسمية أو لم يجهر . والمراد بما أهل به لغير الله : ما ذبح للأصنام ونحوها ، ومنه ما يذبحه الجوسى للنار . ومنه عند الجمهور : ذبائح أهل الكتاب إذا ذكروا عليها اسم عزيز أو عيسى عليها السلام ؛ لأنها مما أهل به لغير الله . وذهب جماعة من التابعين إلى تخصيص الغير بالأصنام ، وإلى حل ذبائح أهل الكتاب مطلقا ، لعموم قوله تعالى في سورة المائدة وهي آخر السور نزولا : (وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ) (١) أى ذبائحهم ، وهو سبحانه يعلم ما يقولون . وروى الحسن عن علي رضي الله عنه : إذا ذكر الكتابي اسم غير الله وأنت تسمع فلا تأكل ، فإذا غاب عنك فكل ، فإن الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم

(١) آية ٥ المائدة . (٢) آية ١٦٦ الشعراء .

بأغ ولا عاد . « غير باغ » أى غير طالب للمحرّم وهو يجد غيره . أو غير طالب له للذّته ، أو على جهة الاستئثار به على مضطر آخر ، بأن يفرد بتناوله فيهلك الآخر . من البغاء ، وهو الطلب تقول : بغيتك بغاءً وبغيةً وبغيةً ، طلبته . « ولا عاد » فيه ، أى متجاوز سدّ الجوع . اسم فاعل

بمعنى متعّد ، تقول : عدا طوره ، إذا تجاوز حدّه وتعدّاه إلى غيره ، فهو عاد . ومنه : (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ) (٢) « وغير » منصوب على الحال من الضمير المستتر فى « اضطر » . « فلا إنم عليه » أى فى أكله ، فسقطت الحرمة للاضطرار . وقيل : سقط الإثم مع بقاء الحرمة للاضطرار . روى عن مسروق : من اضطر فلم يأكل ولم يشرب ثم مات دخل النار . فجعل الأكل عزيمة لا رخصة .

١٧٤ - ﴿ تَمَنَّا قَلِيلًا ﴾ عوضا يسيرا ﴿ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ ولا يطهرهم من دنس الكفر والذنوب بالمغفرة . من التركية بمعنى التطهير . [آية ١٢٩ من هذه السورة] .

١٧٥ - ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ فإذومهم على عمل المعاصى التى تُفصى بهم إلى النار . والمراد باللعجب فى هذه الآية ونظائرها الإعلام بحالهم ، وأنه ينبغي أن يتعجب منها كل أحد .

ما يقولون . ذكره الرازى والتيسابورى والآلوسى وغيرهم . وظاهر الآية يقتضى ألا يحرم من المطعومات سوى هذه الأربعة ، لكننا نعلم أن فى الشرع مطعومات أخرى محرمة كلحوم الحمر الأهلية ، فتصير كلمة « إنما » متروكة الظاهر فى العمل ، كما قاله الرازى . ﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ ﴾ أى فمن ألجئ بإكراه أو جوع مهلك - مع فقد الحلال - إلى أكل شيء من هذه المحرمات الأربع ، التى كانوا فى الجاهلية يستحلونها ، أو التى اعتقد المؤمنون حرمتها ولو فى حالة الاضطرار فلا إثم عليه فى أكلها . من الاضطرار وهو الاحتياج إلى الشيء . يقال : اضطره إليه أحوجه وألجأه فاضطر . مأخوذ من الإضرار ، وهو حمل الإنسان على أمر يكرهه ، وقهره عليه بقوة يتاله بدفعها الهلاك . والآية استثناء لحالة الضرورة الملجئة . « غير »

١٧٦ - ﴿شِقَاقٌ بَعِيدٌ﴾ خلاف ونزاع بعيد عن الحق .

١٧٧ - ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ﴾ البر : اسم جامع لكل خير ، ولكل طاعة وقربة إلى الله تعالى . أى ولكن البر من آمن ؛ وحذف المضاف على حد : الجود حاتم ؛ أى الجود جود حاتم . أو ولكن البر - أى البار - من آمن ؛ على أنه اسم فاعل من بر يبر فهو بر ، وأصله يبر ، فلما أريد الإدغام نقلت كسرة الراء إلى ما قبلها بعد سلب حركتها . وقد اشتملت الآية على خمسة عشر نوعاً من أنواع البر . وهى رد لما زعمته اليهود من أن البر هو مجرد التوجه إلى جهة المغرب ؛ وما زعمته النصارى من أنه مجرد التوجه إلى جهة المشرق . أى ليس البر كله فيما زعموا ، وإنما فيما بينته هذه الآية . ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ هو المسافر المنقطع عن أهله ووطنه ؛ الذى قد فرغت نفقته . وسُمي ابن سبيل للازمته السبيل ؛ أى الطريق فى سفره . ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ أى فى فك الرقاب وتخليصها من الاسترقاق أو الأسر . أو شراء رقاب وعتقها . ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ﴾ البأساء : ما يصيب الناس فى الأموال ؛ كالفقر . والضراء : ما يصيبهم فى الأنفس ؛ كالمرض . مشتقان من البؤس والضّر ، وألفهما للتانيث .

بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ * لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُتِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَعَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَّى إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكَ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ

يقال : ليس ببأس وبؤس وبأساً ، اشتدت حاجته . وضربه وأضره وضاره ضراً وضراً ، ضد نفع . «وَالصَّابِرِينَ» منصوب على المدح بتقدير أخص ، وغير سبكه عما قبله تنبيهاً على فضيلة الصبر ومزيته على سائر الأعمال ؛ حتى كأنه ليس من جنس ما قبله . وهذا الضرب من الأسلوب يُسمى

القطع ، وهو أبلغ من الإتياع . ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ أى وقت القتال فى سبيل الله . يقال : بؤس بؤس بأساً فهو بئيس ؛ أى شديد شجاع . وهو ظرف منصوب بالصَّابِرِينَ . ١٧٨ - ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ أى فُرض عليكم من الكتاب ، وهو فى الأصل

حَيَاةٌ ﴿١٧٩﴾ أَي لَكُمْ فِي تَشْرِيعِ الْقِصَاصِ فِي الْقَتْلِ الْعَمْدِ بَقَاءً ، فَإِنْ مِنْ هَمٍّ بِالْقَتْلِ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ إِذَا قَتَلَ اقْتَصَصَ مِنْهُ ارْتَدَعَ وَانْكَفَى . فَسَلِمَ . هُوَ وَسَلِمَ صَاحِبُهُ مِنَ الْقَتْلِ . وَمَنْ قَتَلَ إِنْسَانًا وَاقْتَصَصَ مِنْهُ ، ارْتَدَعَ غَيْرُهُ مَنْ كَانَ يَهُتَمُّ بِالْقَتْلِ ، فَسَلِمَ النَّاسُ مِنْ يَدِهِ . وَلَوْلَا هَذَا التَّشْرِيعُ الْحَكِيمُ الْعَادِلُ لَفُشِيَ الْقَتْلُ بَيْنَ النَّاسِ فَشَوْ صَغَائِرُ الذُّنُوبِ ، وَهَانَ أَمْرُ الدِّمَاءِ عَلَى النَّاسِ .

١٨٠ - ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ أَي مَالًا يُعَدُّ كَثِيرًا فِي الْعُرْفِ . ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ فُرِضَ الْإِبْصَاءُ فِي بَدْءِ الْإِسْلَامِ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ - وَارثِينَ أَوْ غَيْرِ وَارثِينَ - عَلَى مَنْ حَضَرَهُ الْمَوْتُ وَلَهُ مَالٌ . ثُمَّ نُسِخَ بِآيَةِ الْوَارِثِ ، وَبَحْدِثِ : (لَا وَصِيَّةَ لَوَارِثٍ) (٣) وَهُوَ مَذْهَبُ جُمْهُورِ الْأُمَّةِ . وَذَهَبَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِلَى أَنَّ الْمَنْسُوخَ وَجُوبُ الْوَصِيَّةِ لِلْوَارِثِينَ مِنْهُمْ ، وَبَقِيَ الْوَجُوبُ فِي حَقِّ مَنْ لَا يَرِثُ مِنْهُمْ . وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ وَمَسْرُوقٍ وَطَاوُسٍ وَالضَّحَّاكِ وَمُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ وَالْعَلَاءِ بْنِ زِيَادٍ .

١٨٢ - ﴿جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾ الْجَنَفُ الْمَيْلُ وَالْجَوْرُ . يُقَالُ : جَنَفَ فِي وَصِيَّتِهِ وَأَجْنَفَ ، مَالٌ وَجَارٌ ، فَهُوَ جَنَفٌ وَأَجْنَفٌ . وَقِيلَ : أَجْنَفٌ مُحْتَصَصٌ بِالْوَصِيَّةِ ، وَجَنَفٌ فِي مَطْلُوقِ الْمَيْلِ عَنِ الْحَقِّ . وَيُقَالُ :

حَيَاةٌ يَأْتُوِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ مَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِثْمًا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ مَنْ خَافَ مِنْ مُوَسَّعٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى

الْوَاجِبِ عَلَيْهِ ، وَرَضِيَ مِنْهُ بِالذِّبَةِ بَدَلَ الدِّمِّ ، فَالْوَاجِبُ اتِّبَاعُ وَلِيِّ الدِّمِّ لَهُ بِالْمَعْرُوفِ بِالْأَخْذِ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّهِ وَلَا يُرْهَقُهُ ، وَأَدَاءُ الْقَاتِلِ إِلَيْهِ الذِّبَةُ أَدَاءٌ حَسَنًا لَا مَطْلَ فِيهِ وَلَا بَخْسٌ . ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ فَفِي شَرْعِ الْعَفْوِ تَسْهِيلٌ عَلَى الْقَاتِلِ ، وَفِي شَرْعِ الذِّبَةِ نَفْعٌ لِلْوَلِيَاءِ الْمَقْتُولِ . وَقَدْ كُتِبَ عَلَى الْيَهُودِ : الْقِصَاصُ وَحْدَهُ ، وَحُرِّمَ عَلَيْهِمْ اخْذُ الذِّبَةِ وَالْعَفْوُ . وَكُتِبَ عَلَى النَّصَارَى : الْعَفْوُ ، وَحُرِّمَ عَلَيْهِمُ الذِّبَةُ وَالْقِصَاصُ . فَخَيَّرَ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بَيْنَ الْقِصَاصِ وَالْعَفْوِ وَأَخْذَ الذِّبَةِ ، تَوْسِيعَةً عَلَيْهِمْ ، وَتَيْسِيرًا وَتَفْضِيلًا لَهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ .

١٧٩ - ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ

صَمٌّ أَدِيمٌ إِلَى أَدِيمٍ بِالْخِيَاطَةِ وَتُعَوَّرُ فِي صَمِّ الْحُرُوفِ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ بِالْخَطِّ ، وَأُطْلِقَ عَلَى الْمَضْمُونِ فِي اللَّفْظِ وَإِنْ لَمْ يَكُتَبْ بِالْخَطِّ ، وَمِنْهُ الْكِتَابَةُ . وَيُطْلَقُ الْكُتْبُ وَالْكِتَابُ وَالْكِتَابَةُ عَلَى الْإِجْبَابِ وَالْفُرْصِ ، لِأَنَّ الشَّانَ فِيمَا يُوجِبُ وَيُفْرِضُ أَنْ يَرَادَ ثُمَّ يُقَالُ ثُمَّ يَكُتَبُ ، وَمِنْهُ (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ) (١) ، (كُتِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءُ) (٢) وَ «الْقِصَاصُ» : تَتَّبَعَ الدِّمَّ بِالْقَوْدِ . وَأَصْلُهُ مِنَ الْقَصِّ ، وَهُوَ تَتَّبَعَ الْأَثَرَ . يُقَالُ : قَصَّ أَثَرَهُ أَي تَتَّبَعَهُ . وَمِنْهُ : الْقِصَّةُ وَالْقِصَصُ ، لَمَّا فِيهِمَا مِنَ التَّتَبُّعِ . ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ...﴾ أَي فَالْقَاتِلُ عَمْدًا إِذَا عُفِيَ لَهُ عَنِ جَنَائِثِهِ مِنْ جِهَةِ أَخِيهِ وَلِيِّ الدِّمِّ ، بَأَنْ صَفَحَ عَنْهُ مِنَ الْقِصَاصِ

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ
فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ
وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ
خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى
لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ
الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ
أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا
الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

جَنَفَ وَجَنَفَ عَنْ طَرِيقِهِ جَنَفًا
وَجُتُوفًا . وَالْإِثْمُ : عَمَلٌ مَالًا
يَحِلُّ . يُقَالُ : إِثْمٌ يَأْتُمُّ فَهُوَ آثِمٌ
وَأَثِمٌ . وَالْمُرَادُ بِالْجَنَفِ هُنَا :
الْمِيلُ عَنِ الْحَقِّ فِي الْوَصِيَّةِ خَطَأً ،
بَقَرِيْنَةٍ مُقَابِلَتِهِ بِالْإِثْمِ وَهُوَ الْمِيلُ عَنِ
الْحَقِّ فِيهَا عَمَلًا .

١٨٣ - ﴿ مِنْ قَبْلِكُمْ ... ﴾ مِنْ
لَدُنْ آدَمَ إِلَى عَهْدِكُمْ . وَالْمِثَالَةُ فِي
أَصْلِ الْوُجُوبِ ، فَمَا أَخْلَى اللَّهُ أَمَةً
مِنْ فَرْضِهِ عَلَيْهَا .

١٨٤ - ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ
فِدْيَةٌ ﴾ ذَهَبَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ
وَالْفُقَهَاءِ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ
مَنْسُوخَةٌ ، فِي الصَّحِيحِينَ عَنْ
سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ
هَذِهِ الْآيَةُ كَانَ مِنْ شَاءَ مَثًا صَامٍ
وَمِنْ شَاءَ أَفْطَرٍ وَيَقْتَدِي ، حَتَّى

نَزَلَتْ الْآيَةُ بَعْدَهَا فَنَسَخَتْهَا :
﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ
فَلْيَصُمْهُ ﴾ أَيْ أَنَّهَا نَسَخَتْ هَذَا
التَّخْيِيرَ . وَذَهَبَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِلَى
أَنَّهَا مُحْكَمَةٌ غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ - كَمَا
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ
وغيرهما - وَأَنَّهَا نَزَلَتْ فِي الشَّيْخِ
الْكَبِيرِ الْهَرَمِ وَالْعَجُوزِ الْكَبِيرَةِ
الْهَرَمَةِ ، الَّذِينَ لَا يَسْتَطِيعَانِ
الصَّوْمَ ، فَعَلَيْهِمَا إِطْعَامُ مَسْكِينٍ
عَنْ كُلِّ يَوْمٍ . وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى
أَنَّهَا غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ ، وَأَنَّ الْمَعْنَى :
وَعَلَى الَّذِينَ يَصُومُونَهُ مَعَ الشَّدَةِ
وَالْمِثْقَةِ إِذَا أَفْطَرُوا فِدْيَةٌ ، فَتَشْمَلُ
الْآيَةُ مِنْ ذِكْرِ ، وَالْمَرَضِ وَالْحَامِلِ
إِذَا خَافَتْ عَلَى أَنْفُسِهَا أَوْ
وَلَدَيْهَا ، وَمِنْ فِي حُكْمِهَا . بَنَاءٌ

(١) آخر سورة البقرة . (٢) آية ٣ الدخان .

الغاية ، وَهِيَ اسْمٌ لِمَقْدَارِ مَا يُمْكِنُ
أَنْ يَفْعَلَهُ الْإِنْسَانُ بِمَشَقَّةٍ . وَالطَّاقَةُ
اسْمٌ يَوْضَعُ مَوْضِعَ الْمَصْدَرِ ، وَهُوَ
الْإِطَاقَةُ ، كَالطَّاعَةِ . وَقِيلَ :
يُحْزَرُ أَنْ تَكُونَ الْهَمْزَةُ فِي أَطَاقٍ
لِلسَّلْبِ ؛ كَأَنَّهُ سَلَبَ طَاقَتَهُ بِأَنْ
كَلَّفَ نَفْسَهُ الْمَجْهُودَ ، فَسَلَبَ
طَاقَتَهُ وَقَدْرَتَهُ عِنْدَ تَمَامِهِ .
﴿ تَطَوَّعَ خَيْرًا ﴾ زَادَ فِي الْقَدِيَةِ .
١٨٥ - ﴿ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾
أَيْ أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ، أَيْ أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ -
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ - وَكَانَ ذَلِكَ لَيْلَةَ
الْقَدْرِ ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى :
(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) وَهِيَ
الْأَيُّ الْبَارِكَةِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى :
(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ) (١) .
وَقِيلَ : أُنْزِلَ فِي فَضْلِهِ أَوْ فِي

عَلَى أَنَّ الْوَسْعَ اسْمٌ لِلْقُدْرَةِ عَلَى
الشَّيْءِ عَلَى جِهَةِ السَّهُولَةِ ،
وَالطَّاقَةُ اسْمٌ لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ مَعَ
الشَّدَةِ وَالْمَشَقَّةِ ، وَعَلَى أَنَّهُ مِنْ
أَطَاقِ الْفِعْلِ إِذَا بَلَغَ غَايَةَ طَوْقِهِ أَوْ
فَرَّغَ طَوْقَهُ فِيهِ . وَلَا تَقُولُ
الْعَرَبُ : أَطَاقَ الشَّيْءُ إِلَّا إِذَا
كَانَتْ قُدْرَتُهُ عَلَيْهِ فِي غَايَةِ الضَّعْفِ
بِحَيْثُ يَتَحَمَّلُ بِهِ مَشَقَّةً شَدِيدَةً .
قَالَ الرَّاعِبُ : «الطَّاقَةُ اسْمٌ
لِمَقْدَارِ مَا يُمْكِنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَفْعَلَهُ
بِمَشَقَّةٍ ، وَذَلِكَ تَشْبِيهُهُ بِالطَّوْقِ
الْمَحِيطِ بِالشَّيْءِ ؛ وَمِنْهُ : (وَلَا
تُحْمَلُنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ) (١) أَيْ
مَا يَصْعَبُ عَلَيْنَا مَزَاوِلَتَهُ ؛ وَلَيْسَ
مَعْنَاهُ : لَا تَحْمَلُنَا مَا لَا قُدْرَةَ لَنَا
بِهِ . وَفِي اللَّغَةِ : الطَّاقَةُ أَقْصَى

القول ، وكلامُ النساء حين
الجماع ، كمنى به عن المباشرة
للزومة لها غالباً . يقال : رَفَثَ في
كلامه - كَنَصَرَ وفرِحَ وكرَّم -
وأرَفَثَ : إذا أفحش فيه .
وقيل : أفحش في شأن النساء .
وحلَّ الرَفَثِ في ليالي الصيام
رخصةٌ ورفعٌ لما كان عليه الأمر في
ابتداء الإسلام ، فإنه كان إذا
أفطر أحدهم إنما يحل له الطعام
والشراب والنساء إلى أن يصلي
العشاء أو ينام قبلها ، فإذا صلى
العشاء أو نام قبلها حُرِّمَ عليه ذلك
إلى الليلة القابلة ، فوجدوا في
ذلك مشقة عظيمة ، فزلت هذه
الآية : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ ﴾
سكن أو ستر لكم عن الحرام
﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ . أباح الله
الأكْلَ والشرب مع ما سلف من
إباحة الجماع في الليل في أى وقت
فيه ، إلى أن يتيين بياض النهار
من سواد الليل . ﴿ تِلْكَ حُدُودُ
اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا ﴾ أى محارمه
ومناهيه ، فلا تقربوها . أو
أحكامه المتضمنة لما نهاكم عنه ،
فلا تقربوا ما نهىكم عنه . ﴿ حُدُودُ
اللَّهِ مِنْهَا نَهَى ﴾ ومحرماته .
١٨٨ - ﴿ بِالْبَاطِلِ ﴾ الباطل :
الذاهب الزائل . يقال : بَطَلَ
بُطْلًا وبُطْلَانًا وبُطُولًا ، ذهب
ضياعاً وخسراً . والمراد به هنا :
كل ما لم يُبَيِّحِ الشرع أخذه من
المال وإن طابت به النفس ،
كالربا والميسر ، وثن الخمر
والرشوة ، وشهادة الزور واليمين

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ
إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾
أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ
لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ۚ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ
أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ۚ فَالَّذِينَ لَا تَشْرَوْهِنَّ
وَأَتَّبِعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ
لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۚ
ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَنْكُنَّ
فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا ۚ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ
اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ
بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا
مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ * يَسْأَلُونَكَ

إيجاب صومه القرآن (ولتذكروا الله) لتحمدوا الله وتثنوا عليه .
١٨٦ - ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ ﴾ ... ﴿ أَقْبَلَ عِبَادَةَ مَنْ عِبَدَنِي ﴾ . فالدَّاع : العيادة . والإجابة : القبول . وقيل : الدعاء الابتهال إليه تعالى ، وفي الحديث : (ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رَحِمَ إلا أعطاه الله تبارك وتعالى إحدى ثلاث : إما أن يُعَجِّلَ له

عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ
بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آتَى
وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٨﴾
وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٨٩﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ
وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ
وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ فِيهِ
فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩٠﴾

الذين أُذِنَتْ بقتالهم دون اعتداء
منكم ؛ حيث وجدتموهم
وظفرتهم بهم ، في حِلٍّ أو حَرَمٍ ؛
أو شهر حلال أو حرام ، وبالغوا
في تخويفهم ، وتشديد الأمر
عليهم ؛ حتى يُضْطَرُّوا إلى الخروج
من مكة ، كما فعلوا معكم مثل
ذلك . يقال : ثَقِفَ الرجل -
كسَمِعَ - ظَفَرَ به . وَثَقَفْتُهُ :
صادفته . ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ
الْقَتْلِ ﴾ أى ولا تستعظموا قتالهم
في الحَرَمِ والأشهر الحَرَمِ إذا
بدءوا به ، أو إذا تهيَّأوا له ؛ فإن
شركهم في الحَرَمِ أَشَدُّ قُبْحًا من
القتل . أو فإن فتنهم للمؤمنين
بالتخويف والإيذاء والإلجاء إلى
مفارقة الأهل والوطن أصعب من
القتل . وأصلُ الفتنه : عَرْضُ

بالعهد وتقاتلهم . وكرهه المسلمون
قتالهم في الحَرَمِ وفي الشهر
الحرام ؛ فأنزل الله هذه الآية بياناً
لكيفية المقاتلة إن احتاجوا إليها .
أى قاتلوا في طاعة الله تعالى الذين
يناجزونكم فيها القتال بالفعل ،
ولا تعتدوا بالبَدْءِ به ، وكان هذا
في الابتداء ، ثم أمر بقتال
المشركين كافة بدءوا أو لم يبدءوا .
أو قاتلوا في سبيل الله الذين أعدوا
أنفسهم للقتال فيها وتهيَّأوا له ،
ولا تعتدوا بقتال من لم يُعِدَّ نفسه
له ؛ كالصبيان والنساء
والعَجَزة ، ونحوهم . أو لا يكن
منكم اعتداء بالقتال بوجه من
الوجوه .

١٩١ - ﴿ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ
ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ أى اقتلوا هؤلاء

الكاذبة ، والغش ، والخيانة ،
والسَّرقة والغضب ، ونحو
ذلك ؛ والباء للسببية . والجَارُ
والجُرُور متعلقان بالفعل قبله ؛ أى
لا يأخذ بعضكم مال بعض
بالسبب الباطل . ﴿ وَتَدُلُّوا بِهَا إِلَى
الْحُكَّامِ ﴾ أى تُلَقُّوا . يقال :
أَدْلَيْتُ دَلْوِي فِي الْبِئْرِ ، إذا
أرسلتها للاستقاء . ثم جعل كلَّ
القَاءِ قول أو فعل إذلاء ؛ ومنه :
أَدْلَى بِحُجَّتِهِ . والمعنى : ولا تُلَقُّوا
بأمور تلك الأموال التي فيها
الخصومة إلى الحُكَّامِ . أى لا
تُسرعوا بالخصومة في الأموال إلى
الحُكَّامِ ليعينوكم على إبطال حقِّ
أو تحقيق باطل .

١٨٩ - ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا
الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾ كانوا في
الجاهلية إذا أحرموا أتوا البيت من
ظهوره ، وكانوا يتخرجون من
الدخول من الباب ؛ فأنزل الله
هذه الآية مبيناً لهم أن ذلك ليس
بِبرٍّ ، ولكن البرُّ بَرٌّ من اتَّقَى
المحارم والشهوات .

١٩٠ - ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾
هذه أوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الْقِتَالِ
بالمدينة . رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ :
أَنَّ الْمَشْرُكِينَ لَمَّا صَدَّوْا رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْبَيْتِ
عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وصالحوه على أن
يرجع عامه المقبل للعمرة ؛
تَجَهَّزَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
وأصحابه للعمرة القضاء في ذِي
الْقَعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ السَّابِعَةِ ، ولكنَّ
أَصْحَابَهُ خَافُوا أَلَّا تُفَى لَهُمْ قَرِيشُ

فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى
لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ
إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ
وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ مَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ
بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ
إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾

الذهب على النار ؛ لاستخلاصه من الغش ؛ ثم استعملت في الشرك وفي الابتلاء بما ذكر ورؤي أن بعض الصحابة قتل في سرية رجلاً من المشركين في شهر حرام ؛ فعابه المؤمنون ؛ وقبل عابه المشركون ؛ فسألوا الرسول صلى الله عليه وسلم سؤال تنكيت ؛ فترلت الآية : ﴿ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ أى الحرم . نهى المؤمنون عن القتال في هذا الوطن الشريف ؛ إلا إذا بدأهم المشركون به . وهتكوا حرمة ؛ فيكون قتالهم فيه عندئذ اضطرارياً . والآية مُحْكَمَةٌ غيرُ منسوخة ، وهي تخصيصٌ لقوله تعالى : «وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ» بالنسبة للمكان . ١٩٣ - ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى

لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ أى وقالوا المشركين قاصدين إزالة الفتنة وإعلاء الإسلام ؛ حتى يضمحل الشرك ، ويكون الدين لله خالصاً . ١٩٤ - ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾ بيان للحكمة في إباحة القتال في الأشهر الحرم . وقد وقع من المشركين يوم الحديبية قتالٌ خفيفٌ بالرَّمْيِ بالسَّهَامِ والحجارة ؛ أى هذا الشهرُ الحرام الذى تؤذون فيه عُمرَةَ القضاء بذلك الشهر الذى قُوتِلتم فيه قتالاً خفيفاً ؛ فإذا بدءوا بانتهاك حرمة بالقتال فيه ؛ فلا تبالوا أن تقتلوهم فيه لابتدائهم بهتك حرمة . أو فلما لم تمنع حرمة المشركين من الشرك والأفعال القبيحة ، فكيف تمنع المؤمنين

من قتالهم ؛ دفعاً لشرورهم ، وإصلاحاً لفسادهم . ﴿ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ﴾ جمع حُرْمَةٌ ، وهى ما مُنِع من انتهاكه . والقصاصُ المساواة . أى وكلُّ حُرْمَةٍ يحرى فيها القصاص . فمن هتك أية حُرْمَةٍ اقتصر منه بأن تهتك له حُرْمَةٌ . والمراد : أنهم إذا أقدموا على مقاتلتكم فى الحرم والشهر الحرام والإحرام ، فقاتلوهم أنتم أيضاً على سبيل القصاص . ثم أكد ذلك بقوله : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ .

١٩٥ - ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ التهلكة : الهلاك والموت . أو كلُّ شئٍ تصير عاقبته إليه . مضدرٌ هلك يهلك هلكاً وهلاكاً ونهلكة . والأيدى كناية عن الأنفس ؛ أى ولا تُلْقُوا أَنْفُسَكُمْ فيها فيه هلاككم ؛ فى دين أو دنيا ؛ بترك الجهاد والإمساك عن الإنفاق فيه . مع القدرة على ذلك . ١٩٦ - ﴿ أَحْصِرْتُمْ ﴾ مُنْعَمٌ بعد الإحرام من الوصول إلى البيت ؛ بسبب عدو أو مرض ، أو نحوها . أو بسبب العدو فقط . من الإحصار ، وهو الحبس والتضييق . ﴿ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ أى فعليكم إذا أردتم التحلل من الإحرام ذبح ما تيسر لكم من الهدى ؛ وهو

وَأَنِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ۖ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۖ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۖ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۚ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ۚ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ ۖ فَمَنْ قَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا ۖ يَتَأُولَى الْأَوْلَىٰ ۖ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا

ما يُهْدَى إلى البيت ، من بدنة أو بقرة أو شاة . مضدّر بمعنى المفعول ، أى المَهْدَى . ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ﴾ أى ولا تتحللوا بالحلُق حتى تعلموا أن الهَدْي المبعوث قد بلغ مكانه الذى يجب أن يُراق فيه دمه ، وهو الحَرَام ، لقوله تعالى : (ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ) (١) ، وقوله : (هَذَانِ بَالِغُ الْكَعْبَةِ) (٢) . وإليه ذهب أبو حنيفة . أولاً تحلوا حتى يبلغ الهَدْي مَحَلَّهُ ، أى يُذبح في موضع الإحصار ، حلاً كان أو حرماً ، وإليه ذهب جمهور الأئمة . ويُستفاد حكم غير المحصر من الآية بدلالة النص ، كما ذكره الألوسى . ﴿ فِدْيَةٌ ﴾ فعلية إذا حلق فدية . ﴿ نُسُكٌ ﴾ ذبيحة ، وأقلها شاة . وأصل النُسُك : سبائك الفضة التى خلّصت من الخَبَث ، وكلُّ سبيكة منها نسيكة . ومنه قيل للمتعبّد : ناسكٌ ، لأنه خلّص نفسه لله تعالى من دنس الآثام ، كالسبيكة المخلّصة من الخَبَث . ثم قيل للذبيحة : نُسُكٌ ونسيكة ، لأنها من أشرف العبادات والقربات . ﴿ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ أى فعلية ما تيسر له من الهَدْي بسبب التمتع . ﴿ ذَلِكَ ﴾ أى التمتع أو الحكم المذكور . أى لزوم الهَدْي أو بدله على التمتع . ﴿ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ حاضرو المسجد

الحرام : هم أهل مكة وأهل الحِلِّ الذين منازلهم داخل الحِلِّ الذين منازلهم داخل الحِلِّ . الرَفَثُ : الجعاع . أو الكلام المواقيت . أو هم أهل مكة المتضمن لما يُستتبع ذكره ، من خاصة . أو هم أهل مكة ومن ذكر الجعاع ودواعيه . أو هو كان بينه وبين مكة مسافة الفَحْش والحَنَأ والقول القبيح . لا تقصر فيها الصلاة ، وإلى الأولى ذهب الحنفية ، وإلى الثانى المالكية . وإلى الثالث أحمد والشافعى رحمهما الله . وتفصيل الأدلة فى الفروع . السَّبَاب . وفعل محظورات ١٩٧ - ﴿ قَرَضَ ﴾ ألزم نفسه الإحرام . ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ



مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ
الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ
لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ
وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ
مَنْاسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا
فَإِنَّ النَّاسَ مِنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ
فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا
فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَدْ آتَيْنَا النَّارَ ﴿٢٠١﴾
أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾
* وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ
فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا
اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنْ النَّاسِ
مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ
مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ اللَّهُ الْخَصَّامُ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ

كنتم تتجرون في الحج ؟ فقال :
وهل كانت معاشهم إلا في
الحج ! ﴿فضلاً﴾ رزقاً بالتجارة
والاكتساب في الحج : ﴿أَفَضْتُمْ﴾
مِنْ عَرَفَاتٍ ﴿دفعتم أنفسكم﴾
بكثرة للخروج منها إلى مزدلفة .
من الإفاضة ، وهي دفعُ
بكثرة ، تشبيهاً بفيض الماء
الكثير . يقال : أفضت الماء إذا
صبته بكثرة . وعرفات :
جَمْعٌ ، سُمِّيَتْ به البقعة
المعروفة ، كأذرعَاتِ ﴿المشعر﴾
الحرام ﴿هو مزدلفة . أو جبلُ﴾
قُرَح . وسُمِّيَ مشعراً من الشعار
وهو العلامة ، لأنه من معالم
الحج . ووصف بالحرام لحرمته .
وقال ابن كثير : وإنما سُمِّيَتْ
المزدلفة بالمشعر الحرام لأنها داخل
الحرم .

٢٠٠ - ﴿مَنْاسِكَكُمْ﴾
عباداتكم الحجة . ﴿مِنْ﴾
خَلْقٍ ﴿من نصيب وحظ من﴾
الخير . بوزن سحاب .
٢٠١ - ﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾
النعمة والعافية والتوفيق . ﴿وَفِي﴾
الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ ﴿الرحمة﴾
والإحسان والنجاة .

٢٠٢ - ﴿فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾
هي أيام التشريق الثلاثة التالية
ليوم النحر .
٢٠٣ - ﴿اللَّهُ الْخَصَّامُ﴾ شديدُ
الخصومة في الباطل . صفة مشبهة
كأحمر ، وتُجمع على لُدٍّ .
وأصل اللَّدِّ : الشديد اللديد -

الزَّادِ التَّقْوَى ﴿تزوّدوا ما يتبلّغون﴾ أسواقاً في الجاهلية ، فتأثّموا أن
به في سفرهم ، وتكفّون به .
وجوهكم عن الناس . أو تزوّدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
لمعادكم بالتقوى ، فإنها خير زاد
في الآخرة .
١٩٨ - ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾
كانت عكاظٌ ومَجَنَّةٌ وذو المجاز
عمر - رضى الله عنه - هل

أى الشديد صفحة العنق - وهو الذى لا يمكن صرفه عما يريد ، واستعمل فى الخصم الشديد التآبى . والخصام : مصدر خاصم . أو جمع خصم ، أى أشد الخصوم خصومة .

٢٠٥ - ﴿الْحَرْثُ﴾ الزرع .

٢٠٦ - ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ العِزَّةُ فى الأصل خلاف الدَلِّ ، وأريد بها الأنفة والحمية مجازاً . أى حملته الأنفة وحمية الجاهلية على فعل الإثم الذى أمر باجتنابه . تقول : أخذته بكذا ، إذا حملته عليه وألزمته إياه . والباء للتعدي . ﴿فَحَسَبَهُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمِهَادُ﴾ كافيه جهنم جزاء . والمهاد : الفراش . وأصله ما يؤطأ للصبي لينام عليه . والآية نزلت فى الأخنس ابن شريق ، وكان منافقاً . وعن ابن مسعود : أن من أكبر الذنب عند الله أن يقال للعبد اتق الله ، فيقول : عليك بنفسك ؟! وروى أنه قيل لعمر : اتق الله ، فوضع خده على الأرض ، تواضعاً لله عز وجل .

٢٠٧ - ﴿يَشْرِى نَفْسَهُ...﴾ أى يبيعه ويذلها لمرضاة الله تعالى ، كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٢٠٨ - ﴿ادْخُلُوا فِى السَّلَامِ كَافَّةً﴾ أمر الله المؤمنين أن يعملوا بجميع أحكام الإسلام وشرائعه ، ويحافظوا على فرائضه وإقامة

فِى الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۖ فَحَسَبُهُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴿٢١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِى السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢١٢﴾ فَإِن زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢١٣﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٤﴾ سَلَّ بَنَى إِسْرَءِيلَ كَرَّمَاءَ تَتَبَنَّهُمْ مِّنْ

حدوده . والسلم - بكسر السين وفتحها وسكون اللام - : الإسلام ، لما فيه من الاستسلام والانقياد لله تعالى . و «كافة» أى جميعاً حالاً من «السلم» . من الكف بمعنى المنع . واستعمل بمعنى الجملة والجميع ، بعلاقة أنها مانعة للأجزاء من التفرق . ﴿خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ آثاره وطرائقه التى يزين لكم بها المعاصى . جمع خطوة - بالضم - وأصلها ما بين قدمي الماشى .

٢٠٩ - ﴿زَلَلْتُمْ﴾ ملتم وضلتم .

٢١٠ - ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ أى ما ينتظر أولئك الذين أتوا الدخول فى الإسلام من بعد ما جاءتهم البينات ، إلا أن يأتى الله يوم القيامة فى ظلل من الغمام للحساب والجزاء . وإتيانه تعالى إنما هو بالمعنى اللائق به سبحانه مع تنزيهه عن مشابهة المحدثات ، وتقويض علم كيفيته إليه تعالى ، كما ذهب إليه السلف

الغمام ؛ أى فى قطع متفرقة منه ، كل قطعة منها فى غاية الكثافة والعظم . وقيل : إن « فى » بمعنى الباء ؛ أى يأتينهم الله يظلل من الغمام ، أى بالعذاب الذى يأتينهم فى الغمام مع الملائكة .

٢١١ - ﴿ سَلَّ يَنْبَى إِسْرَائِيلَ ﴾ سؤال تفرغ وتويع . وهو تهديد لليهود بالعقاب الشديد إذا سلكوا مسلك أسلافهم فى جحود الآيات البينات .

٢١٢ - ﴿ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ أى بغير حساب من المرزوق . أو بلا حصر وعد لما يعطيه . أو أنه لا يخاف نقاد ما فى خزائنه حتى يحتاج إلى حساب لما يخرج منها . أو يعطى للمؤمنين فى الآخرة ما يشاء بغير محاسبة منه لهم على ما من به عليهم .

٢١٣ - ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ كان الناس جميعاً على شريعة من الحق ثم اختلفوا ؛ فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين . وأنزل معهم الكتاب بشرائعه ليحكم بين الناس بالحق فيما اختلفوا فيه . ولم يختلف أهل التوراة والإنجيل إلا من بعد ما جاءتهم البينات ؛ فكان اختلافهم ضلالاً وبغياً وحسداً ، ولكن الله تعالى هدى الذين آمنوا للحق بإرادته . فكانت هذه الأمة خير الأمم . ﴿ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ حسداً وحرصاً على الدنيا ، أو ظلماً ومجاوزة للحد . يقال : بَغَى عليه

عَايَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُؤَاتِ الْبِاسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا

تأويلها على سبيل التفصيل ، فَيَحْمِلُ الْإِتْيَانُ عَلَى الْإِتْيَانِ بِأَمْرِهِ أَوْ بِأَسْأَةِ ؛ كما قال تعالى : (أَوْ يَأْتِي أَمْرٌ رَيْكٌ) (٣) ، (فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا) (٤) . ﴿ فِي ظُلِّلْ مِنَ الْعَمَامِ ﴾ جمع ظلة - كعُرْفَةٍ - وهى ما يُظْلَكُ . والنعَامُ : السحاب الأبيض الرقيق ؛ جمع غمامة . ولا يكون ظلة إلا حيث يكون متراكباً . أى يأتينهم الله فى ظلل كائنة من

فى آيات الصفات وأحاديثها . وقد بيَّناه فى المسألة الرابعة من المقدمة ، وفى تفسير قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا) (١) وقوله تعالى : (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ) (٢) . ومذهب جمهور المتكلمين أن ظواهر هذه الآيات غير مرادة بالإجماع ؛ لاستحالتها عليه تعالى ، إذ صفاته مغايرة لصفات خلقه ، كما أن ذاته مغايرة لذواتهم ؛ فوجب

استطال ؛ وبابه رَمَى . وكلُّ مجاوزة وإفراط على المقدار الذي هو حدُّ الشيء : بَغَى .

٢١٤ - ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا﴾ حال الذين مضوا من المؤمنين . ﴿مَسْتَهُمُ الْبَسَاءُ وَالضَّرَاءُ﴾ [آية ١٧٧ من هذه السورة] والجملة بيان للمثل . ﴿وَرَزَّلُوا﴾ أزعجوا إزعاجاً شديداً بالبلايا .

٢١٥ - ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُقْفُونَ﴾ نزلت في عمرو بن الجموح ، وكان كثير المال فقال : يا رسول الله ، بماذا نتصدق ؟ وعلى من نفق ؟ فبين الله فيها من ينفق عليه .

٢١٦ - ﴿كَرْهَ لَكُمْ﴾ مكروه لكم طبعاً .

٢١٧ - ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ بعث الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش الأسدي في سرية لاستطلاع أخبار قريش ولم يأمرهم بقتال ؛ فقتلوا أحد المشركين ، وقد أهلَّ رجب وكانوا لا يعلمون بإهلاله ؛

فحدث المسلمون في ذلك ، وسألوا الرسول صلى الله عليه وسلم : هل يحلُّ لهم القتال فيه ؟ فزلت . وقيل : السائلون هم المشركون ، وقد قالوا : إن محمداً وأصحابه استحلوا الدماء في الشهر الحرام . ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ أى عظيم مستنكر . وفيه تقريرٌ لحرمة القتال في الشهر

معه ، متى نصر الله . أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٨﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّهِ وَاللَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٢٠﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفَرُ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكَ حَتَّى يَرْضَوْكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٢١﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا

الحرام . والجمهور على أن هذا الحكم منسوخ ، وأنه لا حرج في قتالهم في الأشهر الحرم ، قاتلوا أو لم يقاتلوا - بقوله تعالى : (فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) (١) فإن المراد بالأشهر الحرم هنا : هي أشهر العهد الأربعة التي أبيح للمشركين السباحة فيها ، لا الأشهر الحرم الأربعة المعروفة ؛ فالتقييد بها يفيد أن قتلهم بعد انسلاخها مأمورٌ به في جميع الأزمنة والأمكنة . وذهب عطاء بن أبي رباح إلى أنه لا يحل القتال في الحرم ولا في الأشهر الحرم إلا أن يقاتلهم المشركون فيها ؛ فلم يجز القتال فيها إلا دفاعاً . قال الآلوسي :



وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكَ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

والأمة اليوم على خلافه في سائر الأمصار. ﴿وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ﴾ أى وصرفهم المسلمين عن كل ما يوصل إلى طاعة الله تعالى وعن المسجد الحرام ، وشركهم بالله في بيته وحرمة وإخراجهم أهله منه ، أعظم وزراً عند الله من القتال في الشهر الحرام ، فإن كنتم قتلتموهم في الشهر الحرام فقد انتهكوا حرمة أعظم وأفظع. ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ أى والشرك. أو امتحان المسلمين بأنواع التعذيب والأذى والبلايا لصرفهم عن دينهم ، أعظم وزراً من القتل ، لأن الفتنة عن الدين تفضي إلى القتل الكثير في الدنيا ، وإلى استحقاق العذاب الدائم في الآخرة. ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بَطَلَتْ أَعْمَالُهُمْ. من قولهم حَبِطَتِ الدَّابَّةُ تَحْبُطُ حَبْطًا وَحَبُوطًا ، إذا أصابت مرعى طيبًا ، فأفرطت في الأكل حتى

انتفخت قات. ٢١٩ - ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ﴾ سأل بعض الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : أفننا في الخمر والميسر ، فإنها مذهبة للعقل ، مسلبة للمال ، فنزلت هذه الآية ، فتركها قوم وشربها آخرون. ثم صلى أحد الصحابة المغرب إماماً ، فلم يحسن القراءة لسكوره ، فنزل : ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (١). فحرمت تحريمًا باتًا في الصلاة. ثم اجتمع بعض الصحابة يوماً في دار عتبان بن مالك ، فلما سكروا افتخروا وتناشدوا أشعار الهجاء وتضاربوا ، فشكا بعضهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيِّنَاتًا شَافِيَةً ، فنزل : ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ - إِلَى قَوْلِهِ - فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (٢) فقال عمر : انتهينا ، انتهينا. وحرمت الخمر

بهذه الآية تحريمًا مؤبداً. وللتدريج في التحريم حكمة بالغة ، فإنهم وقد ألفوا الخمر لو منعوا منها دفعة واحدة لشق الأمر عليهم. فكان في التدريج في التحريم رفقٌ عظيم. والخمر : اسم لكل ما خامر العقل ، أى خالطه ، أو ستره وغطاه ، سواء اتخذ من العنب أو من غيره ، وفى الأحاديث الصحيحة : (كلُّ مُسْكِرٍ خمرٌ) (٣) (وما أسكر منه الفرق) (٤) فله الكف منه حرام) (٥). ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم (عاصرها ومعتصرها ، وشاربها وساقبها ، وحاملها والمحمولة إليه ، وبائعها والمبتاعة إليه ، وواهبها وآكل ثمنها). أخرجه الترمذى. والخمر : يؤث ويؤثر. مصدراً ﴿وَالْمَيْسِرُ﴾ القمار ، مصدر ميمي من يسر ، كالموعد من وعد. مشتق من اليسر ، لأنه كسب المال بسهولة. وأصله : قمار العرب بالأزلام والأقلام ، وفى حكمه كل شيء فيه خطر ، أى رهان. ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم حين حثهم على الصدقة ماذا ينفقون ؟ فقال تعالى : ﴿قُلِ الْغَفْوُ﴾ أى أنفقوا الغفو ، وهو ما يفضل عن الأهل ويزيد عن الحاجة. وهذا القدر هو الذى يتيسر إخراجُه ويسهل بذله ، ولا يجهد صاحبه ، وقد بين بآية الزكاة. وأصل الغفو :

(١) آية ٤٣ النساء. (٢) آية ٩٠ المائدة.

(٣) رواه مسلم. (٤) الفرق - بالتحريك - : مكيا ليع سنة عشر رطلاً. (٥) متفق عليه.

نقيضُ الجهد ؛ ولذا يقال
للأرض المهددة السهلة الوطء :
عَفْوٌ .

٢٢٠ - ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ
الْيَتَامَى ﴾ ﴿ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى :
(وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ) ^(١) وقوله تَعَالَى :
(إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى
ظُلْمًا ...) ^(٢) انطلق مَنْ كَانَ
عنده مالٌ لِيَتِيمٍ يَعِزِلَ طَعَامَهُ مِنْ
طَعَامِهِ ، وَشَرَابِهِ مِنْ شَرَابِهِ ،
وَيَحْبِسَ لَهُ مَا يَفْضُلُ مِنْ طَعَامِهِ ؛
حَتَّى يَأْكُلَهُ أَوْ يَفْسُدَ . فَاشْتَدَّ ذَلِكَ
عَلَيْهِمْ ؛ فَسَأَلُوا الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَزَلَّتِ الْآيَةُ .
﴿ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ﴾ أَيْ
مُدَاخَلَتُهُمْ مُدَاخَلَةً يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا
إِصْلَاحُهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ بِتَقْوِيهِمْ
وَتَهْذِيبِهِمْ ، وَفِي أَمْوَالِهِمْ بِالرَّعَايَةِ
وَالِاسْتِثَارِ - خَيْرٌ لَهُمْ وَلِلْقَائِمِينَ
بِأُمُورِهِمْ مِنْ مَجَانِبَتِهِمْ . ﴿ وَإِنْ
تَخَالَطَوْهُمْ فَأَخْوَانُكُمْ ﴾ أَيْ وَإِنْ
تَخَالَطَوْهُمْ فِي الْمَعِيشَةِ وَالْمَصَاهِرَةِ
تَوَدُّوا اللَّائِقَ بِكُمْ ؛ لِأَنَّهُمْ
إِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ، وَقَدْ تَكُونُ
لَهُمْ مَعَ ذَلِكَ أَخَوَةٌ فِي النَّسَبِ ،
أَوْ قَرَابَةٌ فِي الْعَشِيرَةِ . ﴿ وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ لَأَعْتَنَّكُمْ ﴾ الْعَنَتُ : الشَّدَّةُ
وَالْمَشَقَّةُ . يَقَالُ : أَعْتَنِي فِي كَذَا
يُعْتَنِيهِ إِعْنَانًا ، إِذَا أَجْهَدَهُ وَأَلْزَمَهُ
مَا يَشَقُّ عَلَيْهِ . أَيْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
لَضَيَّقَ عَلَيْكُمْ ، وَأَحْرَجَكُمْ
بِتَحْرِيمِ الْمَخَالِطَةِ لَهُمْ ؛ وَلَكِنَّهُ وَسَّعَ
عَلَيْكُمْ وَخَفَّفَ عَنْكُمْ ، فَأَبَاحَ
لَكُمْ مَخَالِطَتَهُمُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ
لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَأَخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ
مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَنَّكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَا أُمَّةٌ
مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ وَلَا تَنْكِحُوا
الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ
وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى
الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَبَيِّنُ عَايِنَتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَى
فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ
فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ
التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُنْطَهِرِينَ ﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ

الكتابيات خاصة ، فأَجِيزُ
نكاحهن وإن كان مع الكراهة .
وحَرَّمَ اللَّهُ زَوَاجَ الْكَفَّارِ مُطْلَقًا
بِالْمُؤْمَنَاتِ وَلَوْ كَانُوا كِتَابِيِّينَ .
٢٢٢ - ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ
الْمَحِيضِ ﴾ الْمَحِيضُ :
الْحَيْضُ . مُصَدَّرٌ حَاضَتِ الْمَرْأَةُ
تَحِيضٌ حَيْضًا وَمَحِيضًا
وَمَحَاضًا ؛ وَأَصْلُهُ السَّيْلَانُ .
يَقَالُ : حَاضَ الْوَادِي إِذَا
سَالَ ؛ وَمِنْهُ الْحَوْضُ لِسَيْلَانِ الْمَاءِ

٢٢١ - ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا
الْمُشْرِكَاتِ .. ﴾ حَرَّمَ اللَّهُ فِي هَذِهِ
الْآيَةِ نِكَاحَ الْمُشْرِكَاتِ ، وَهُنَّ
الْوَثَنِيَّاتُ وَالْمَجُوسِيَّاتُ . وَأَحَلَّ
نِكَاحَ الْكِتَابِيَّاتِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي
آيَةِ الْمَائِدَةِ : (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ
قَبْلِكُمْ) ^(٣) . وَقِيلَ : الْمُرَادُ
بِالْمُشْرِكَاتِ غَيْرُ الْمُؤْمَنَاتِ ؛ فَيَحْرُمُ
نِكَاحَهُنَّ وَلَوْ كُنَّ كِتَابِيَّاتٍ . وَقَدْ
نَسَخَ الْحُكْمَ أَوْ خَصَّصَ فِي حَقِّ

فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَيْ شِئْتُمْ وَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ
وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢١﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ
عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٢﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ
وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
حَلِيمٌ ﴿٢٢٣﴾ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةٍ
أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ وَإِنْ

إليه . وقيل : الحيض هنا اسم
مكان . ﴿هُوَ أَدَى﴾ أى قَدَر ،
أو موضع قَدَر . يقال : أَدَى
الشيء يَأْدَى أَدَى ، أى قَدَر .
ويطلق الأذى على الضرر .
والحيض : ضَرَرٌ شرعاً وطباً .
﴿فَاعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾
أى فى زمن الحيض . أو فى
مكانه ، وهو الفرج ، فلا
تواقعوهن فيه . ﴿فَأَتَوْهُنَّ مِنْ
حَيْثُ...﴾ أى فى المكان الذى
أمركم الله باجتنابه لعارض
الأذى ، وهو الفرج ،
ولا تَعْدُوهُ إلى غيره . و «مِنْ»
بمعنى فى .

٢٢٣ - ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ...﴾
الحَرْثُ فى الأصل : إلقاء البذر
فى الأرض ، أو هو الزرع .
والمراد : أنهم مواضع حرث ؛

أى هن مَزْرَعٌ لكم ومَنْبِت
للولد ؛ أعدهن الله لذلك ،
فأتوهن إذا تطهرن من الحيض فى
موضع الحرث كيف شئتم ؛
قاممات قاعدات مستلقيات ؛
مادام ذلك فى صهام واحد وهو
الفرج . وفى الآية دليل على تحريم
إتيانهن فى أدبارهن .

٢٢٤ - ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ
عُرْضَةً...﴾ لا تجعلوا الله
حاجزاً - لأجل حلفكم به - عن
البر والتقوى والإصلاح بين
الناس . وكان أحدهم يُدعى إلى
بر فيقول : حلفت ألا أفعله ؛
فَيَعْتَلُّ بيمينه فى تركه .
والعُرْضَةُ : كل ما يعترض الشيء
فيمنع منه . يقال : عرض العود
على الإناء إذا كان معترضاً دونه
وحاجزاً ومانعاً منه . وفلان عُرْضَةٌ

دون الخير ، أى حاجز عنه .
واللام فى «لأيمانكم» للتعليل .
و «أَنْ تَبَرُّوا» أى عرضة لأن
تَبَرُّوا ، بمعنى مانع من البر .

٢٢٥ - ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ
بِاللَّغْوِ﴾ لغو اليمين : أن يحلف
على شيء يرى أنه صادق فيه ثم
يتبين له خلاف ذلك . أى
لا يعاقبكم بلغو اليمين فى الدنيا
بالكفارة ولا فى الآخرة
بالعقوبة . وقيل : هو الذى يجرى
على اللسان بلا قصد ؛
كقولك : لا والله ، وبلى والله .
ولا كفارة فيه . ﴿وَلَكِنْ
يُؤَاخِذُكُمْ...﴾ أى ولكن
يؤاخذكم بالعقوبة فى الآخرة بما
تعمدتم فيه الكذب . وهو أن
يحلف أحدكم على شيء ماضٍ
كذباً ، ويُسَمَّى اليمين العَمُوسُ ؛
ولا كفارة فيها . أو ولكن
يؤاخذكم بوجوب الكفارة فيها ؛
والأول مذهب جمهور الأئمة ،
والثانى مذهب الشافعية .

٢٢٦ - ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ...﴾
الإيلاء : الحلف على ترك مباشرة
الزوجة . يقال : ألى إيلاء ،
واتلى اثلاء : حلف . وكانوا فى
الجاهلية يحلفون ألا يقربوا
نساءهم السنة والأكثر إضراراً
بهن ؛ فنهوا عن ذلك وحُدِّدَ
للإيلاء مدة أربعة أشهر فقط ؛
رحمةً بالنساء . والتربُّصُ :
انتظار هذه المدة . ﴿فَإِنْ فَاءُوا﴾
رجعوا فى هذه المدة عما حلفوا

عليه . يقال : فاء يفيء فيئاً وفيئة ، إذا رجع . وأحكام الإيلاء مبنية في الفقه .

٢٢٨ - ﴿ثَلَاثَةُ قُرُوءٍ﴾ جمع قُرْءٍ - بالفتح والضم - وهو الحيض ، أو الطهر الفاصل بين الحيضتين . وإلى الأول ذهب أبو حنيفة وأحمد ، وإلى الثاني ذهب مالك والشافعي . ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ﴾ أى أزواجهن أولى برجعتهن إليهم فى حال العدة . جمع بَعْلٌ ، وهو الذكر من الزوجين . يقال : بَعَلَ الرجل يَبْعِلُ بُعُولَةً ، إذا صار زوجاً . ﴿عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ زيادة فى الحق . أو فضيلة بالقيام بأمرهن والحماية لهن . والدرجة فى الأصل : ما يَرْتَقَى عليه ، واستعملت فى الميزة الرفيعة وفيما ذكرنا مجازاً .

٢٢٩ - ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾ أى التطبيق الشرعى : تطليقة بعد تطليقة على التفريق . أو الطلاق الرجعي : مَرَّتَانٍ . وأما الثالثة فلا رجعة بعدها . ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ أى طلاق مصاحب لجبر خاطر وأداء الحقوق ، وعدم المضارة . ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أى أحكامه المفروضة .

٢٣٠ - ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ﴾ أى فإن طلقها الطلقة الثالثة فلا تحل له حتى تنكح زوجاً آخر . والمراد بالنكاح هنا : الوطء ، فلا تحل بمجرد العقد .

عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لهنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَلَمَّا سَكَتَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْنَهُمْ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيَبْغِينَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ



شَيْءٌ عَالِمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُفْلَحْنَ أَجَلَهُنَّ
فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُمْ
بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ * وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ
كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةُ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ
رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا
لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بَوْلِدَهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ
مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا
اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ

هَٰذَا. ﴿أَزْكَى لَكُمْ﴾ أَمْنٌ وَأَنْفَعُ لَكُمْ.

٢٣١ - ﴿وُسْعَهَا﴾ طاقتها وقدرتها ، لا ما يشقُّ عليها وتعجز عنه . ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ﴾ نهى عن أن يُلحق أحدهما بالآخر ضرراً بسبب الولد ، فلا يترعه الزوج منها إذا أرادت إرضاعه ، ولا يكرهها عليه إذا أبت ، ولا يمنعها شيئاً مما وجب لها عليه . وكذلك لا تدفعه هي إليه لتضره بتربيته ، ولا تطلب منه ما ليس حقاً لها ، ولا تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد . ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾ وارث الولد عند عدم الأب . ﴿أَرَادَا فِصَالًا﴾ أي فطاماً للولد قبل الحولين . ﴿وَتَشَاوُرٍ﴾ أي وتداول في الرأي بينهما ، أو مع أهل الخبرة في أمر الفطام قبل الحولين . والمشاورة : استخراج الرأي بما فيه المصلحة ، من الشورى وهو اجتناء العسل . يقال : شرت العسل إذا استخرجته من موضعه . ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ فلا حرج ولا إثم عليهما في ذلك ، من الجنوح : وهو الميل ، لميل الآثم عن الحق . ﴿تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ أي تسترضعوا المراضع أولادكم . يقال : أرضعت المرأة الطفل ، واسترضعتها إياه . أو تسترضعوا المراضع لأولادكم . وحذف حرف الجر من المفعول الثاني ، كما في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ (١).

علم أو قول أو عمل ، أو فيها كلها .
٢٣٢ - ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ فلا تمنعهن من الزواج بمن يردن تنسيقاً عليهن . والعضل : التضييق والمنع الشديد . يقال : عضلت الناقة بولدها ، إذا نشب في بطنها ، وتعر عليه الخروج . ومنه : أغضل به الأمر إذا اشتد . والخطاب للناس كافة ، فيشمل غضل الأزواج والأولياء

٢٣١ - ﴿فَلْيُفْلَحْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي شارفن انقضاء عدتهن . ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ أي مضارة هن . ﴿آيَاتِ اللَّهِ هُزُوا﴾ أي سخرية بالتهاون في المحافظة عليها . ﴿وَالْحِكْمَةُ﴾ هي السنة ، وهي وحى غير متلو . أو هي إصابة الحق في القول والعمل . وإنزالها عليهم : إنزال ما يرشدهم إليها ، وهي في الأصل مصدر من الإحكام ، وهو الإتقان في

٢٣٤ - ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أى فلا حرج ولا إثم عليكم أيها القادرون عليهن ، فيما فعلن بأنفسهن بعد انقضاء العدة ، مما كان محرماً عليهن أثناءها بالوجه الذى يعرفه الشرع ولا ينكره .

٢٣٥ - ﴿عَرَّضْتُمْ بِهِ﴾ لَوْحْمٍ وَأَشْرْتُمْ بِهِ . من التعريض ، وهو إمالة الكلام عن نهجه إلى غرض منه وجانب . وضده : التصريح والإفصاح . ﴿أَكْتَسَمْتُ﴾ أى أسهرتم وأخفيت . ﴿لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ السرُّ ضدُّ الجهر . أريد منه هنا الوطء ، لأنه لا يكون إلا سراً ، ثم العقد لأنه سببه ، فهو مجاز على مجاز . أى لا تأخذوا عليهن وهن في العدة عهداً ألا يتزوجن غيركم بعد انقضائها . أو لا يقل الرجل للمعتدة : تزوجيني ، بل يعرض لها تعريضاً غير مفصح . ﴿يَبْلُغُ الْكِتَابُ أَجْلَهُ﴾ أى ينتهى المفروض من العدة .

٢٣٦ - ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أى لا تبعة عليكم من مهر إذا طلقتم النساء ولم تكونوا دخلتم بهن ولم تفرضوا لهن مهراً ، بل عليكم لهن متعة بقدر وسعكم وطاقتكم . والمتعة : اسم لما يتمتع به من المال والكسوة ، وتقديره باجتهاد الحاكم كالنفقة . والموسع : ذو السعة والغنى . يقال : أوسع الرجل ، اتسعت حاله . والمقتير : ضيق الحال .

مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٥﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا ۖ وَلَا تَعْرِضُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ ۚ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۚ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٦﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرِهِ ۚ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مِمَّا نَبَعًا بِالْمَعْرُوفِ ۚ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٧﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بَيْنَهُمَا عُقْدَةُ النِّكَاحِ ۚ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ۚ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٨﴾ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى

يقال : أقر الرجل ، افتقر وقل ما فى يده . ولا تجب المتعة لغيرهن من المطلقات ، وإنما تستحب لهن . ﴿فَرِيضَةٌ﴾ أى مهراً . ﴿مَتَّعُوهُنَّ﴾ أى أعطوهن ما يتمتعن به . ﴿الموسع﴾ أى ذو السعة والغنى . ﴿قَدَرُهُ﴾ قدر إمكانه وطاقته . أى الفقير الضيق الحال . ٢٣٧ - ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ أى



وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا
أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَيْكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾
وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُمُ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ
مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمُ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِمَا مَعْرُوفٍ حَقًّا عَلَى
الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٢٤٢﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ

من العدو ، أو من قصده سبع
هائج ، أو غشيه سيل جارف .
وسأقي حكم خوف العدو في غير
حال المقاتلة في قوله تعالى
(وَأِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ
الصَّلَاةَ) (٢٣٩)

٢٤٠ - ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ
مِنْكُمْ﴾ أي يجب على الزوج حين
مشاركة الموت أن يوصي لزوجته
بالنفقة والسكنى حولا ، ويجب
عليها الاعتداد حولا . وهي مخيرة
بين السكنى في بيته حولا ولها
النفقة ، وبين أن تخرج منه
ولا نفقة لها ، ولم يكن لها ميراث
من زوجها . وقد نسخ وجوب
الوصية بالنفقة والسكنى بآية
الميراث ، وبحديث : (ألا لا

وصية لوارث) (٣) . وجوب العدة
حولا بقوله تعالى : (يَتَرَبَّصْنَ
بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا)
المتأخر نزولا والمتقدم تلاوة .
واختار الفخر ما ذهب إليه
أبو مسلم من أن المعنى : والذين
يتوفون منكم وقد أوصوا وصية
لأزواجهم بالنفقة والسكنى
حولا ، فإن خرجن قبل ذلك
وخالفن وصية الزوج بعد أن
يُقِمْنَ المدة التي ضربها الشارع
لهن ، وهي أربعة أشهر وعشر
فلا حرج فيما فعلن في أنفسهن
من معروف ، أي الزواج
الصحيح ، لأن إقامتهن بهذه
الوصية غير لازمة .

٢٤١ - ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ﴾
أي نفقة . والنفقة : تسمى

العصر فكأنما وتر أهله وماله (١)
أي نقص وسلب أهله وماله فبقى
فردا . والوسطى : مؤنث
الأوسط ؛ يقال : وسطت القوم
أسطهم ، إذا صرت في
وسطهم . وأوسط الشيء
ووسطه : خياره . ﴿قَانِتِينَ﴾
مطيعين لله خاضعين . من
القنوت ، وهو لزوم الطاعة مع
الخنوع .

٢٣٩ - ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا﴾
فإن خفتم العدو في حال المقاتلة في
الحرب ، فصلوا مشاة أو راكبين
على ركائبكم بإيماء ؛ سواء ولّيتم
شطر القبلة أولا . ورجالا :
جمع راجل ، وهو القوى على
المشي برجليه . ويلحق بما ذكر :
الخوف بسبب آخر ؛ كالهارب

وإن طلقتموهن قبل الدخول وقد
سئمت لهن مهرا ، فلهن نصف
المهر ولا متعة لهن . أما المطلقات
بعد الدخول ولهن مهر مسمى .
فيجب لهن المهر كاملا ، وإن
لم يُسم لهن مهر وجب لهن مهر
المثل ؛ ولا متعة لهن في الحالتين .
وقيل : تجب فيهما مع المهر .
﴿إِلَّا أَنْ يَقُولَنَّ﴾ أي إلا أن تترك
المطلقات نصيبهن من الصداق
للأزواج ، أو يترك الأزواج
ما يعود إليهم من نصف المهر
الذي ساقوه كاملا إلى زوجاتهم .
٢٣٨ - ﴿وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى﴾
هي صلاة العصر على الراجح ؛
لتوسطها بين الصلوات الخمس
أو لأنها الفضلى ؛ وفي
الحديث : (الذي يفوته صلاة

متاعاً . أولهن مُتعة ، والمراد ما يشمل الواجبة والمستحبة .
 ٢٤٣ - ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا ﴾ كان المشركون يستفتون اليهود في كثير من الأمور . وكانت هذه القصة معلومة لليهود في أسفارهم وتواريخهم ، فنزل القرآن بالإشارة إليها ، ليرتدع المشركون عما هم فيه من الضلال وإنكار البعث . ويعلموا أن دلائل القدرة على البعث مشهورة ، وأن عند اليهود منها ما لو رجعوا إليهم فيه لعلوا أنه حق لا ريب فيه . وفي ذكر هذه القصة مع ذلك تشجيع للمؤمنين على الجهاد والتعرض للشهادة ، وتمهيد لما بعد هذه الآية . ومعنى « أَلَمْ تَرَ » : ألم تعلم . وتُستعمل فيما تقدم للمخاطب العلم به . وفيما لم يعلم به من قبل . والمخاطب للرسول صلى الله عليه وسلم ، والمراد أمته . والمقصود : حثهم على العلم بها ، والاعتبار بشأنها .
 ٢٤٥ - ﴿ يُقْرِضُ اللَّهُ ﴾ القرض الحسن : الإنفاق في سبيل الله . أو مطلق العمل الصالح . ﴿ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ احتساباً به عن طيبة نفس . ﴿ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ ﴾ يسلب تارةً ويُعطى أخرى . أو يسلب قومًا ويُعطى آخرين . أو يضيّق على بعض ويوسع على بعض ؛ حسب اقتضاه مشيئته المبينة على الحكمة والمصلحة . أى فلا تبخلوا بما وسّع عليكم كيلا تبدّل أحوالكم . والقَبْضُ : ضدُّ

وَهُمُ الْوَفَّ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ
 إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَمْضَاعًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْفُلَاحِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ أَهْبِثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيَّكُمْ الْفِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَانَا فَلَمَّا كُنْتُ عَلَيْهِمُ الْفِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ

البسط . يقال : قبضه بيده يقبضه ، تناوله . وقبض عليه بيده . أمسكه . وبسط يده : مَدَّهَا . وبسط المكان القوم : وسعهم . والآية تحريض على الإقراض الحسن ، وزجر عن تركه .
 ٢٤٦ - ﴿ الْفُلَاحِ ﴾ أشرف القوم وجوهرهم ؛ سُمُوا مَلَأً لأنهم مليئون بما يُحتاج إليه منهم . أو لأن هيبهم تملأ الصدور . وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه ؛ كرهط . ﴿ هَلْ عَسَيْتُمْ ﴾ هل الأمر كما أتوقعه منكم أنكم تجبئون عن القتال معه ؟ . والاستفهام لتقرير أن المتوقع كائن .

ما يخرج منه . وتأوه مزبدة لغير
التأنيث : كجبروت . ﴿فيه
سكينة﴾ أى فى إتيانه سُكُونٌ
لكم وطمأنينة . أو فى الثابت ما
تسكنون إليه وتطمشون وهو
التوراة . والسكينة : من
السكون . وهو ثبوت الشيء بعد
التحرك . أو من السكن -
بالتحريك - وهو كل ما
سكنت إليه واطمأنت به من
أهل وغيرهم .

٢٤٩ - ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ﴾
خرج بجنوده من بيت المقدس
لحاربة الغالقة قوم جالوت .
﴿مُتَّبِعِيكُمْ﴾ مختبركم وهو أعلم
بأمركم . ﴿وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ من
لم يذقه أصلاً . لا قليلاً ولا
كثيراً . من طعم الشيء يَطْعُمُهُ ،
إذا ذاقه مأكولاً أو مشروباً .
واستعمال طعم الماء بمعنى ذاق
طعمه مستفيض . ﴿غُرْفَةَ يَدِهِ﴾
الغرفة : اسم للشيء المغترف ،
وجمع غراف . وأما الغرفة فهي
اسم للبرّة الواحدة من الغرف .
وقيل : هما لغتان بمعنى واحد .
رخص لهم فى الأخذ باليد دون
الكرع . ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا﴾ لا قدرة
ولا قوة لنا ﴿فَتَةً﴾ جماعة من
الناس .

٢٥٠ - ﴿بَرَزُوا﴾ ظهوروا
وانكشفوا .

٢٥١ - ﴿وَقَتْلَ دَاوُدَ﴾ وكان
داود فى عسكر طالوت .
﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ هى النبوة . ولم

بَسْطَةِ فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ
أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ
آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ
بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ
بِمِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً
بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ
آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ
قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلْبِلَهُ
غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾
وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا
وَوَثِّبْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾
فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ
وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضُهُمْ
بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى
الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ

٢٤٧ - ﴿أَنَّى يَكُونُ﴾ كيف
أو من أين يكون ؟ ﴿زَادَهُ﴾
بَسْطَةً سعة وامتدادا وفضيلة .
٢٤٨ - ﴿التَّابُوتُ﴾ صندوق
التوراة . من الثوب وهو
الرجوع : لأنه لا يزال يرجع إليه



وَلَا نَكَ لِمَنِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٤﴾ * تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ
عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مِّنْ كَلَمِ اللَّهِ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ
وَعَازَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ أَخْلَفُوا فَنُهِمُ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٥﴾
يُنَادِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ
يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ وَالْكَافِرُونَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ
لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ
وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٧﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ

يَجْتَمِعُ الْمُلْكُ وَالنَّبُوءَةُ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ
فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَوَرِثَهُ فِيهَا ابْنُهُ
سُلَيْمَانُ عَلَيْهَا السَّلَامُ .

٢٥٣ - ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾
جبريل عليه السلام [آية ٨٧ من
هذه السورة ص ٢٢] .

٢٥٤ - ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ بضم
الخاء . ولا خالص مودة
وصداقة . أى لا يمكن فى هذا
اليوم استجلاب حسنة بمودة
وصداقة ، وسُمِّيَت المودة خُلَّةً
لتنخللها النفس ، وجمعها
خلال . ﴿وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ أى
لأحد إلا من بعد أن يأذن الله لمن
يشاء ويرضى . فالإطلاق هنا
مقيّد بآية (إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ
وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا) ^(١) والنبيُّ
مأذون له ، أو يستأذن فيؤذن
له .

٢٥٥ - ﴿الْحَيُّ﴾ أى الباقي
الذى له الحياة الدائمة التى لا فناء
لها . لم تحدث له الحياة بعد
موت ، ولا يعتره الموت بعد
الحياة ، وسائر الأحياء سواء
يعتريهم الموت والفناء .
﴿الْقَيُّومُ﴾ الدائم القيام بتدبير
أمر الخلق وحفظهم ، والمعطى
لهم ما به قوامهم . وهو مبالغة فى
القيام ، وأصله قَيُّوم - يوزن
فيقول - من قام بالأمر إذا حفظه
ودبره . ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ﴾ أى
نعاس ، وهو الفتور أول النوم مع
بقاء الشعور والإدراك ، ويقال له
غفوة . مصدرُ وَسِنَ الرجلُ يَوْسَنُ

(١) آية ١٠٩ طه . (٢) آية ١١ الشورى .

وَسَنًا وَسِنَّةٌ ؛ فهو وَسِنٌ
ووسنان ، إذا نَعَسَ . والمراد أنه
تعالى لا يَقْلُ عن تدبير أمر خلقه
أبدًا . ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ الكرسيُّ
غير العرش ، وهما مخلوقان لله
تعالى ؛ كالسماوات والأرض .
ومن التشابه الذى استأثر الله
بعلمه ؛ فنقوض علم حقيقتها إليه
تعالى ، مع كمال تنزيهه عن
الجسمية ، وعن مشابهة
المحدثات ؛ (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) ^(٢) . وعن
ابن عباس رضى الله عنها تفسير
الكرسي بالعلم ؛ وهو قول
مجاهد . وفُسِّرَ بالملك والسلطان
والقدرة ؛ وهى معانٍ مجازية .

الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدْ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ
مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ

فهم منكم وإن اختاروهم
فأجلوهم معهم). أمّا الجهاد
الذى فرضه الله على المؤمنين
فليس للإكراه على الإسلام
والعقيدة. وإنما هو من أجل
بقاء الكفار على جحود حق الله
وعصيانهم أمره ومخادته. بعد
وضوح الحجج وظهور الدلائل
والإعذار إليهم. ولحملهم على
العمل بشريعته والانقياد
لأحكامه. ولحماية الدعوة والحق
الذى جاءت به من عدوانهم.
وليكون الدين كله لله وحده.

قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا
تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ
لِلَّهِ﴾ (٣). ﴿بَيِّنَ الرُّشْدَ﴾ تميز
الحق من الباطل، والهدى من
الضلال. بوضوح الدلائل.
والرُّشْدُ: الاستقامة على طريق
الحق مع تصلُّب فيه. مصدرُ
رَشِدَ يَرشُدُ وَيَرشُدُ، أى
اهتدى. والمراد هنا: الحق
والهدى. والغيُّ: الضلال،
مصدرُ غَوَى يَغْوِي أى ضلَّ،
والاسمُ الغواية. ﴿بِالطَّاغُوتِ﴾
اسمٌ لكل ما يُطغى الإنسان،
كالمأصنام والأوثان والشيطان
والكاهن والساحر. وكلُّ رأسٍ
في الضلال. وكلُّ ما عُبد من
دون الله تعالى. من طَعَا يَطْعُو
طُغُوًّا وَطُغُوًّا. أو طغى - كَرَضَى
وسعى - طَغِيًّا وَطُغِيًّا، إذا جاوز
الحد وغلا في الكفر، وأسرف في
المعاصي والظلم. ﴿اسْتَمْسَكَ
بِالْعُرْوَةِ﴾ ثبت في أمره واستقام

الحنيف، بل يختاره من غير
تردد. والجملة على المعنيين
خيرية. وقيل: هى خبر فى معنى
النهى؛ أى لا تُكروهوا فى الدين
ولا تُجبروا عليه أحدًا، فإنه بينٌ
واضح الدلائل والبراهين. فمن
هداه الله له. وتور بصيرته دخل
فيه على بينة، ومن أضله الله
وأعمى قلبه لا يفيد الإكراه على
الدخول فيه. وهو عامٌ منسوخ
بقوله تعالى: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ
وَالْمُنَافِقِينَ وَاعْظِ عَلَيْهِمْ﴾ (٢).
أو مخصوصٌ بأهل الكتاب الذين
قبلوا الجزية. وعن ابن عباس:
أنها نزلت فى أولاد الأنصار الذين
تهودوا قبل الإسلام، وأراد
أهلهم من الأنصار استردادهم
حين أُجِّلَت بنو النضير فى السنة
الرابعة؛ فقال الرسول صلى الله
عليه وسلم إثر نزول الآية: (قد
خير أصحابكم فإن اختاروكم

ولا يتوذه حفظهما) لا يُثقله
ولا يشق عليه حفظهما. يقال:
آده الأمر أو الحمل - من باب
قال - أثقله فهو مثود؛ كمقول.
٢٥٦ - ﴿لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ﴾
معناه على ما ذكره أبو مسلم
والقفال: ليس فى الدين - وهو
عقْدُ فى القلب وإدعاء فى
النفس - إكراه وإجبار من الله
تعالى؛ بل مبناه على التمكن
والاختيار، وهو مناط الثواب
والعقاب. ولولا ذلك لما حصل
الابتلاء والاختبار، ولبطل
الامتحان؛ وهو كقوله تعالى:
(فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ
فَلْيُكْفُرْ) (١). وقيل: معناه إن
من حق العاقل بعد ظهور الآيات
البيّنات على أن الإيمان بالله
وطاعته رُشد، والكفر به
ومعصيته غيٌّ - ألا يحتاج إلى
الإكراه على التدين بالإسلام

أَنۡ ءَاتٰهُ اللّٰهُ الْمُلْكَ اِذْ قَالَ لِاِبْرٰهٖمَ رَبِّىۤ الَّذِىۤ يُحٰىٔ
وَمِىۡتُ قَالَ اَنَا اَحْيِىۤءُ وَامِىۡتُ قَالَ لِاِبْرٰهٖمَ فَاِنَّ اللّٰهَ يٰبِىۤ
بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَاتَّ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِىۤ
كَفَرَ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظّٰلِمِيۡنَ ﴿٢٥٨﴾ اَوْ كَالَّذِىۤ مَرَّ
عَلٰى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىۤ عُرُوشِهَا قَالَ اُنِّىۤ يُحٰىٔ هٰذِهِ
اللّٰهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَاَمَاتَهُ اللّٰهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ
قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا اَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ
فَاَنْظُرْ اِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهٖۚ وَاَنْظُرْ اِلَىٰ حِمَارِكَ
وَلِنَجْعَلَكَ اٰيَةً لِلنَّاسِ وَاَنْظُرْ اِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا
ثُمَّ نَكْسُوۡهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ اَعْلَمُ اَنَّ اللّٰهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيۡرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَاِذْ قَالَ لِاِبْرٰهٖمَ رَبِّ اَرِنِىۤ كَيْفَ تُحْيِى

على الطريقة المثلى ، وهى
الإيمان أو القرآن أو الاعتقاد
الحق ، أو السبب الموصول إلى
رضا الله تعالى . والعروة من الدلو
والكوز : مَقْبُضُهُ . ومن
الثوب : مَدْخَلُ زَرْه . استعملت
في المعاني المذكورة على سبيل
التجوز . والوُثْقَى : تأثيت
الأوثق ؛ من وُثِقَ - بالضم -
وَنَاقَةٌ ، قَوًى وثبت فهو وثيق ؛
أى ثابت مُحْكَم . ﴿ لَا انْقِصَامَ
لَهَا ﴾ لَا انقطاع ولا زوال لها .

٢٥٨ - ﴿ الَّذِى حَاجَّ اِبْرَاهِيمَ ﴾
هو نمروذ بن كنعان . وهو أول
من ادعى الربوبية ؛ فهو رأس
الطواغيت . أى ألم ينته علمك
إلى قصة هذا الكافر الذى لست
له بولئى ، كيف تصدئ للمحاجة
من تكفلت بنصرته وأخبرت أنى
ولئى له . وكيف خذلته ونصرت
عليه خليلي الذى اصطفيته
وواليته ! . ﴿ فَبُهِتَ الَّذِى
كَفَرَ ﴾ غلب وفُهر وتَحَمَّرَ وانقطع
في حِجَاجِهِ ، وهو فعل جاء على
صورة المبني للمفعول كَرُهِىَ
وَزُكِمَ ، والمعنى فيه على البناء
للفاعل . و« الذى كفر » فاعله .
والبَهِتُ : الانقطاع والحيرة .
وقرئ أيضا بوزن عِلِمَ ونَصَرَ
وَكُرِمَ .

٢٥٩ - ﴿ اَوْ كَالَّذِى مَرَّ ﴾ أى أو
رأيت مَثَل الذى مرَّ على قرية -
وهو عند أكثر المفسرين عَزْرِيٌّ -
أراد أن يعاين إحياء الموتى ليزداد
بصيرة ؛ كما طلب ذلك إبراهيم

عليه السلام ليطمئن قلبه :
﴿ وَهِيَ خَاوِيَةٌ ﴾ ساقطة حيطانها
على سقوفها التى سقطت .
يقال : خَوَى البيت ، سَقَطَ .
أو خَالِيَةٌ من الناس ثابتة على
عروشها . يقال : خَوَت الدَّارُ
تَخَوًى خَوْيًا وَخَوَاءً . أَقْوَت
وَحَلَّتْ . والعروشُ : جمع
عَرْشٍ ، وهو سقف البيت ؛
ويُسَمَّى العريش . وكلُّ ما يُهَيَّأُ
لِيُظِلَّ أو يُكِنَّ فهو عَرِيش
وعَرْشٌ . ﴿ اُنِّى يُحْيِى ﴾ كيف
أو متى يحيى ؟ ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهٖ ﴾ لم
يتغير بمر السنين الطويلة عليه ،
ولم تذهب طراوته ؛ فكانه لم تمر
عليه السُّنُون . مشتقٌّ من السَّنة ،
والهاء فيه أصلية إذا قُدِّرَ لَامُ سنة
هَاءً . وأصلها سَنَهَةٌ لتصغيرها
على سُنِّيَّهَةٍ - وجمعها على
سَنَهَات كسَجْدَةٍ وسجَدَات ،
ولقولهم : سَانَهَتْهُ إذا عاملته سنةً
فَسَنَةً . وَتَسَّنَه عند القوم إذا أقام
فيهم سنةً . أو الهاء فيه للوقف نحو
كتابِيهِ . وَجَزَّمَهُ بحذف حرف
العلقة إذا قُدِّرَ لَامُ سنة واوًا ،
وأصلها سَنَوَةٌ لتصغيرها على سُنِّيَّة



الْمَوْتِ قَالَ أُولَٰئِكَ تُؤْمِنُونَ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لَّيَطْمِئَنَّ قُلُوبُكَ
قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ
كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ
أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ
سُنْبُلَةٍ مِّائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ
مَّا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ * قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ
مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَتْلَاهَا الَّذِينَ

قُرئ بضم الصاد وكسرها وتخفيف
الراء . يقال : صارَ يصوره
ويصيره . أماله . وصار
الشيء : قطعه وفصله .
و«إليك» متعلق بـ «صُرهن» على
الأول . وبـ «خذ» على الثاني ،
باعتبار تضمينه معنى الضم .

٢٦١ - ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ﴾ بيان لكيفية الإنفاق
الذي يبين فضله .

٢٦٢ - ﴿مَنًّا وَلَا أَذًى﴾
المَنُّ : إظهار الاصطناع . وإن
يعتد الإنسان بإحسانه على من
أحسن إليه . يقال : من عليه
يَمُنُّ ، أى امتن عليه ، وهو من
كبار الذنوب . ويقال : المنة
تهديم الصنعة . والأذى : ما
يصل إلى الحيوان من الضرر ،
يقال : آذاه يؤذيه أذى وأذاه
وأذية . والمراد هنا : التناول
والتفاخر على المنعم عليه .

٢٦٣ - ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ كلام
جميل يُردُّ به السائل ، وصفح
وعفو عما يفرط منه عند الرد وعدم
الإعطاء ، خير وأفضل من
صدقة عليه يتبعها أذى ، لما فيها
من المضرة له . وهو تقرير لقبح
المَنِّ والأذى ، ولم يذكر المَنَّ
هنا لشمول الأذى له .

٢٦٤ - ﴿رِثَاءَ النَّاسِ﴾ مُراءاة
للناس وشمعة . أى لا تبطلوا
صدقاتكم بالَمَنِّ والأذى ،
كإبطال المناق المرائى عمله الذى
لا يبنى به رضا الله ، ولا ثوابه .

والراء ، أى نحيبها ، من أنشر الله
الموتى أى أحياهم .
٢٦٠ - ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي﴾
بصّرني كيفية إحيائك للموتى .
وسؤاله عليه السلام ذلك ليتقل
من مرتبة علم اليقين إلى مرتبة عين
اليقين . أو من مرتبة العلم
الاستدلالي إلى مرتبة العلم
الضرورى الناشئ عن الحس .
﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ فأملهن
واضمهن إليك ، لتأملهن
وتعرف أشكاهن وهياتهن ، كيلا
تلبس عليك بعد الإحياء . ثم
جزئن أجزاء ، أو فقطعهن .

وجمعها على سنوات ، وقولهم :
سانيته وتسنيته عنده . أفيت
سنين . ﴿وَلَتَجْعَلَكَ آيَةً﴾ أى
وفعلنا ما فعلنا من الإمامة والإحياء
لتجعلك آية للناس وعبرة ،
ودلالة على البعث بعد الموت .
﴿كَيْفَ تُشِيرُهَا﴾ كيف نرفعها من
أماكنها من الأرض فتردها إلى
أماكنها من الجسم . وتؤلف
بينها ، من الإنشاز وهو الرفع .
يقال : أنشز الشيء رفعه من
مكانه . وأصله الشَّر - بفتحين
وبالسكون - وهو المكان المرتفع .
وقرئ «تُشِيرُهَا» بضم التثنية

الآخرة . ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ أى فمثل المرائى فى الإنفاق كمثل حجر كبير أملس صُلْبٌ ، من الصفاء وهو خلوص الشيء مما يشوبه . يقال : يوم صفوان ، أى صافى الشمس . وقيل : هو جمع ، واحده صفوانة . ﴿فَأَصَابَهُ وَاِبِلٌ﴾ أى مطر شديد عظيم القطر . يقال : وبكت السماء بيل وبلا وبولاً ، اشتد مطرها . ﴿فَفَرَّكَهٗ صَلْدًا﴾ أى أجرد نقياً من التراب الذى كان عليه ، ومنه رأس أصلد ، إذا كان لا يُنبت شعراً . وصلد الرُّندُ يصلد ، لم يُخرج نازاً . والمقصود : أن أعمال هؤلاء المرائين بالإنفاق تبطل يوم القيامة وتضمحل ، كما يذهب المطر ما على الصفوان من التراب .

٢٦٥ - ﴿وَتَثْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أى كما أنفقوا أموالهم فى سبيل الله ابتغاء مرضاته أنفقوها توطئاً لأنفسهم على حفظ هذه الطاعة وترك ما يفسدها ، فـ «مِنْ» بمعنى اللام . أو تثبيئاً للإسلام وتصديقاً به ، وتحقيقاً للجزاء الموعود به من أصل أنفسهم ، فهى الدافعة له وهى المنشأ والمبتدأ . ﴿جَنَّةٍ﴾ تطلق الجنة على الأشجار الملتفة المتكاثفة ، وهو الأنسب هنا . وعلى الأرض المشتملة عليها . ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ بمكان من الأرض مرتفع عن السبل . والعادة فى أشجار الرُّبى أن تكون أحسن منظراً وأزكى ثمرًا .

ءَامِنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتَكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَنُفِلَهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ وَمِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٦﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَاتَتْ أَكْطُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٧﴾ أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا

﴿أَكْلَهَا﴾ ثمرها . وكل مأكول : أكل . ﴿فَطُلَّ﴾ فطر خفيف يكفيها لطيفاً وكرم منبتها . والطل : أضعف المطر وهو الرذاذ ، وجمعه طلال وطلل . والمراد : أن هذه الجنة تزكو وتثمر ، كثر المطر أو قل ، فكذلك نفقة هؤلاء ابتغاء مرضاة الله وتثبيئاً من أنفسهم تزكو عند الله وتطيب ، كثر أو قلت . ٢٦٦ - ﴿إِعْصَارٌ﴾ ريح عاصفة تنعكس من الأرض إلى السماء ، مستديرة كعمود ، وتسمى زوبعة ، وتسمى إعصاراً لأنها تعصر ما تمر به من الأجسام ، أو تلتف كما يلتف الثوب المعصور . والريح مؤنثة ، وكذا سائر أسمائها إلا الإعصار ، ولذا قيل : «فيه نار» أى سموم أو صواعق . وهو مثل الجبوت عمل المرائى يوم القيامة أحوج ما يكون إليه .

٢٦٨ - ﴿بَعِدْكُمْ الْفَقْرَ﴾

يُخَوِّفُكُمْ سُوءَ الْحَالِ وَالضَّعْفَ
بِسَبَبِ قَلَّةِ الْمَالِ . وَأَصْلُهُ كَسْرُ
فَقَارِ الظَّهْرِ ، يُقَالُ : رَجُلٌ فَقِيرٌ
وَفَقِيرٌ ، إِذَا كَانَ مَكْسُورَ الْفَقَارِ .
﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ يُغْرِيكُمْ
بِالْبَخْلِ . وَالْفَاحِشُ عِنْدَ
الْعَرَبِ : الْبَخِيلُ . قِيلَ : كُلُّ
فَحْشَاءٍ فِي الْقُرْآنِ فَهِيَ الرَّئِيءُ إِلَّا فِي
هَذِهِ الْآيَةِ . أَوْ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْخَصْلَةِ
الْفَحْشَاءِ ، وَهِيَ إِفْطَاقُ الرَّدَى
مِنَ الْمَالِ لَا الْحَيْدَ خَشْيَةَ الْفَقْرِ .

٢٦٩ - ﴿الْحِكْمَةَ﴾ إصَابَةُ الْحَقِّ

فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، أَوْ الْعِلْمُ
النَّافِعُ .

٢٧٠ - ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ أَيْ

أَعْوَانٍ يَنْصُرُونَهُمْ وَيُعِينُونَهُمْ مِنْ
عَذَابِ اللَّهِ ، جَمْعُ نَصِيرٍ أَوْ
نَاصِرٍ . وَفِيهِ وَعِيدٌ عَظِيمٌ لِكُلِّ
ظَالِمٍ .

٢٧١ - ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ﴾

الْصَّدَقَةُ مَا يُخْرِجُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ
مَالِهِ عَلَى جِهَةِ الْقُرْبَى ، وَتَشْمَلُ
الْفَرَصَ وَالتَطَوُّعَ . وَإِبْدَاؤُهَا
عِلَانِيَتُهَا . وَإِخْفَاؤُهَا
إِسْرَارُهَا . وَالْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّ الْآيَةَ

فِي صَدَقَةِ التَطَوُّعِ ، وَأَنَّ إِخْفَاءَهَا
أَفْضَلُ مِنْ إِظْهَارِهَا ، لِمَا فِيهِ مِنْ
شَائِبَةِ الرِّيَاءِ ، وَهَتْكَ سِتْرِ الْفَقِيرِ
وَفِي الصَّحِيحِينَ فِي السَّعَةِ الَّذِينَ
يُظْلَمُ اللَّهُ فِي ظَلَمِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا
ظِلُّهُ : (...) وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ
بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا يَعْلَمَ شِمَالُهُ
مَا تَنَفَّقَ بِمِثْلِهِ . وَأَمَّا الصَّدَقَةُ

مِنْ طَيِّبَاتٍ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ

وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ

تُعْمِضُوا فِيهِ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ

يَعِدُّكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ

وَفَضْلًا ۖ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ

وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا

أُولَئِكَ الْأَلْبَابُ ﴿٢٦٩﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ

فَلَنْ اللَّهُ يَعْلَمَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِنْ تُبْدُوا

الصَّدَقَاتِ فَيَعْمَاهِيَ ۖ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ

خَيْرٌ لَكُمْ وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ * لَيْسَ عَلَيْكَ هُدُنُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي

مَنْ يَشَاءُ ۖ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نُفْسِكُكُمْ ۖ وَمَا تُنْفِقُونَ

إِلَّا أَبْتَغَاءَ وَجْهَ اللَّهِ ۖ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ

وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ

لَا تَأْخُذُونَهُ لِأَنْفُسِكُمْ إِلَّا بَأْنَ
تَسَاهَلُوا فِيهِ ، وَتَغْضُوا الطَّرْفَ
عَنْ رِذَائِهِ ، مِنَ الْإِغْضَاءِ ،
وَأَصْلُهُ غَمَضُ الْبَصَرِ وَإِطْبَاقُ
الْجَفْنِ عَلَى الْجَفْنِ ، ثُمَّ اسْتَعْبَرُ
لِلتَّعَاقُلِ وَالتَّسَاهُلِ . ﴿تُعْمِضُوا﴾
فِيهِ تَسَاهَلُوا وَتَسَاهَعُوا فِي
أَخْذِهِ .

٢٦٧ - ﴿طَيِّبَاتٍ مَا كَسَبْتُمْ﴾

أَيُّ حَلَالٍ مَا كَسَبْتُمُوهُ ، أَوْ
كَسَبْتُمْ ، أَوْ جِيَادَهُ . ﴿وَلَا
تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾ وَلَا
تَقْصِدُوا الرَّدَى مِنْ أَمْوَالِكُمْ
تَنْفِقُونَ مِنْهُ . يُقَالُ : تَيَمَّمْتُ
الشَّيْءَ وَبَيَمَّمْتُهُ ، إِذَا قَصَدْتَهُ .
﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾ وَالْحَالُ أَنَّكُمْ



المفروضة فالإظهار فيها أفضل .
لأنها من شعائر الإسلام كالصلاة
المكتوبة : وعن ابن عباس رضى
الله عنهما : صدقة السر في التطوع
تفضل علانيتها سبعين ضعفاً ،
وصدقة الفريضة علانيتها أفضل
من سرها بخمسة وعشرين
ضعفاً . وكذلك جميع الفرائض
والنوافل .

٢٧٢ - ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾
الخطاب للرسول صلى الله عليه
وسلم . والمراد هو وأمثه . وقد
كان لبعض الأنصار قرابة من
اليهود : فلما أسلموا كرهوا أن
يتصدقوا عليهم وراودوهم أن
يسلموا ، فنزلت الآية . أى ليس
عليك هدى هؤلاء الكافرين
فتمنعهم الصدقة ، ولا تعطيم
منها ليدخلوا في الإسلام ؛ ولكن
الله تعالى هو الذى يهدى من يشاء
إلى الإسلام فيوقفه له ، فتصدق
عليهم لوجه الله تعالى . والمراد
صدقة التطوع ؛ للإجماع على أنه
لا يجوز صرف الزكاة إلى غير
المسلم .

٢٧٣ - ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ
أَحْصَرُوا﴾ بيان لمن هم أشد
الناس حاجة إلى الصدقة ، بعد
بيان جواز التصدق على الفقراء
عامة ولو من غير المسلمين ، وهم
فقراء المهاجرين أصحاب
الشفقة ، وكانوا يستغفرون أوقاتهم
بالتعلم والجهاد ، ويخرجون في
كل سرية يبعثها الرسول صلى الله
عليه وسلم . أى ذلك الإنفاق

اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ
أَغْنِيَاءَ مِنَ النَّعْفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ
إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٢﴾
الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ
أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٣﴾
الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي
يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا
الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ
جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ
إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٧٤﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ

وتعفف : إذا تكلف الإمساك
عنه . ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ تعرف
فقرهم بما يرى عليهم من الضعف
والرثاثة . أو تعرفهم بما يبدو
عليهم من الخشوع والتواضع . أو
بما البسهم الله من الهيئة والوقار .
والسيما - بالقصر وتحد - : أصلها
من الوسم بمعنى العلامة .
﴿إِلْحَافًا﴾ أى إلحاحاً . يقال :
ألحف عليه في المسألة ؛ أى ألح
فهو ملحف . والثنى منصب على
القيد والمقيد معاً بقرينة
السياق ؛ أى أنهم لا يسألون
أصلاً تعففاً منهم .

المحوث عليه للفقراء . أو اجعلوا
ما تنفقون للفقراء الذين حسبوا
أنفسهم في سبيل الله . ﴿لَا
يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا﴾ سيراً في البلاد
وتقلباً فيها ؛ ابتغاء المكاسب
والعيش ؛ لاشتغالهم بالجهاد
والتعلم . وسمى السير ضرباً لما فيه
من ضرب الأرض بالأرجل .
﴿مِنَ النَّعْفِ﴾ أى من أجل
تعففهم عن السؤال .
والتعفف : ترك الشيء
والإعراض عنه ؛ بقهر النفس
وحملها عليه . يقال : عفف عن
الشيء يعف . إذا كف عنه .

لَا يَجِبُ كُلُّ كَفَّارٍ اثْنَيْنِ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ

حاصلاً له في الدنيا بسبب حب المال أورثه خطأ في الآخرة ، أوقعه في ذل الحجاب . ﴿ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ زعموا أنه حيث حل بيع ما قيمته درهم بدرهمين حالاً أو مؤجلاً يحل بيع درهم بدرهمين . وجعلهم الربا أصلاً وتشبيه البيع به مبالغة منهم في التماثل . ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ إبطال من الله تعالى لقول الكفار : « إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا » .

٢٧٦ - ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ﴾ المحق : النقصان وذهاب البركة . تقول : محقه الله فأمحق وأمحق ، أى ذهب خيره وبركته . ويقال : محقه محققاً ، أى أبطله ونجاه . ولما كان الباعث على الربا تحصيل المزيد من المال ، والصارف عن الصدقات الاحتراز عن نقصانه ، بين الله تعالى في هذه الآية : أن الربا وإن كان زيادة في الحال فهو نقصان في الحقيقة ، لذهاب بركة المال به لا محالة . وأن الصدقة وإن كانت نقصاناً في الحال للمال صورة فهي زيادة فيه معنئياً ، وذلك في الدنيا والآخرة . ﴿ يُرَبِّي الصَّدَقَاتِ ﴾ ينمي المال الذي أخرجت منه .

٢٧٨ - ﴿ وَذَرُوا مَا بَقِيَ ﴾ دَعُوا وتركوا ما بقى مما شرطتم من الربا ، ولا تطالبوا به بعد أن علمتم حرمة ، فليس لكم إلا رءوس أموالكم .

٢٧٩ - ﴿ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ ﴾

فجئ . والمعنى : أن المتعاملين بالربا المستحلين له لا يقومون يوم البعث إلا كقيام المصروع الذى تخبئه الشيطان وصرعه . وهو - كما اختاره الإمام القفال - : تشبيه جاء على ما تعارفوه من إضافة الصرع وكل شيء قبيح إلى الشيطان ، ونظيره قوله تعالى : (طَلَعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) (١) . واختار الفخران المراد بمس الشيطان : دعاؤه إلى طلب الملذات والشهوات والاشتغال بغير الله ، ومن استجاب له كان متخبطاً في أمر الدنيا ، فتارة يجره الشيطان إلى الهوى ، وتارة يجره الملك إلى الهدى . وآكل الربا مفرط في حب الدنيا ، فإذا مات على ذلك الحب صار حجاباً بينه وبين الله تعالى . فالخبط الذى كان

٢٧٥ - ﴿ يَأْكُلُونَ الرِّبَا ﴾ يتعاملون به أخذاً وإعطاء . وخص الأكل بالذكر لأنه معظم المقصود من المال . والربا الزيادة . يقال : ربا الشيء يربو إذا زاد وكثر . وفي الشرع : فضل مال لا يقابله عوض في معاوضة مال بمال ، قلت الفائدة أو كثرت . وهو ربا نسيئة ، وربما فضلي ، وكل منها محرم شرعاً . وسأقى تمة لهذا في آية ١٣٠ من آل عمران . ﴿ يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ ﴾ يتخبله الشيطان ويصرعه بسبب منه إياه . وأصل التخبط : الضرب على غير استواء واتساق ، كخبط البعير الأرض بيديه . وفعله من باب ضرب . والمسن : الحبل والجنون . يقال : مس الرجل فهو ممسوس ، إذا ألم به مليم

فكونوا على علم وبقين بها ، من أذن بالشئ يأذن إذا علم . وقرئ « فآذِنُوا » من آذنه الأمر وآذنه به ، أعلمه إيَّاه ، أى أعلموا من لم ينته عن الربا بحرب من الله ورسوله . وهو وعيد وتهديد شديد للمرابين .

٢٨٠ - ﴿عُسْرَةَ﴾ ضيق الحال من عدم المال . ﴿فَنظْرَةً﴾ فعليكم تأخيرها وإمهالها . والنَّظْرَةُ : اسم من الإنظار وهو الإمهال . يقال : نظره وانتظره وتنظره ، تأتي عليه وأمهله . وهذا الحكم عام في كل دين ، على ما ذهب إليه الجمهور . وفي الحديث الصحيح : (من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله) (١) .

٢٨٢ - ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ أمر استحباب . وقيل للوجوب . وعن ابن عباس : أن المراد بالدين في الآية السلم (٢) . ﴿لَا يَأْبُ﴾ لا يمتنع . ﴿وَلْيُمْلِلِ﴾ وليكن المملى من عليه الحق ؛ لأنه المقر المشهود عليه . والإملاء والإملاء لغتان بمعنى واحد . يقال : أملى وأملى . ﴿وَلَا يَخْسُ﴾ ولا ينقص من الحق الذي عليه شيئاً في الإملاء . يقال : يخس زيد عمراً حقه يبخسه ، نقصه . ومنه : (وشروه بشئ يخس) (٣) .

﴿وَاسْتَشْهِدُوا﴾ الأمر للتدب . وقيل للوجوب . ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ (١) رواه سلم . (٢) السلم : السلف . (٣) آية ٢٠ يوسف .

وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَعْتُمْ بَيْنِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكُنْ بِبَيْنِكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَخْسَ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدَقُّ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَجَرَّةٍ حَاضِرَةٍ تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسَوْفَ يَكُرُّ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

إِحْدَاهُمَا الضَّالُّ : ترك سهاً ، قليلاً كان أو كثيراً . أى الطريق المستقيم ؛ عمداً كان أو خشية أن تنسى إحداها الشهادة



* وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً
فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ
وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا
فَأِنَّهُ إِيمًا قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾
الْسَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ
أَوْ يُخَفَّوهُ بِحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ
مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾
بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ
الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لِمَا
كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ
نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ
عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ
وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا
عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

فذكرها الأخرى . وهو بيان
لحكمة اشتراط العدد في شهادة
النساء في الأموال . ﴿ وَلَا
تَسَامُوا ﴾ أى ولا تضجروا ولا
تملوا . يقال : ستمت الشئ
أسامه سأمًا وسامة ، ضجرت
وملته . ويقال : ستمت منه ؛
ومنه : (لَا يَسَامُ الْإِنْسَانُ مِنْ

دُعَاءُ الْخَيْرِ (١) . ﴿ أَقْسَطُ ﴾
أعدل وأحفظ . يقال : أقسط
الحاكم يُقسط إقسطاً وهو
مُقسط ، إذا عدل في حكمه
وأصاب الحق فيه ، ومنه : (إِنْ
اللَّهُ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (٢)
﴿ وَأَقْرَبُ لِلشَّهَادَةِ ﴾ أثبت لها
وأعوز على أدائها . ﴿ أَذْنِي ﴾
أقرب . ﴿ نِجَارَةً ﴾ التجارة
التصرف في رأس المال طلباً
للربح . يقال : تجر تجراً وهو
تاجر والجمع تجر وتجار وتجار .
أى لكن التجارة الحاضرة يجوز
عدم الإشهاد والكذب فيها
﴿ فَسُوقٌ ﴾ خروج عن الطاعة إلى
العصية .

٢٨٣ - ﴿ فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ ﴾
جمع رهن بمعنى مرهون . وأصل
الرهن الدوام . يقال : رهن
الشئ إذا دام وثبت . ورهته
وعنده الشئ - كمنع -
وأرهنه ، جعله رهناً . ورهان
خير مبتدأ محذوف ، أى فعليكم
رهان مقبوضة .

٢٨٤ - ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي
أَنْفُسِكُمْ ﴾ وإن تظهروا ما استقر
في أنفسكم مما عزمتم عليه من
السوء أو تخفوه ، يحازكم به الله
فالعزم على العصية ، والتصميم
عليها مؤاخذة عليه . وأما حديث
النفس بها ، والخواطر الفاسدة
التي ترد على القلب دون أن
يصحبها عزم وتصميم فمغفوة
عنها ؛ إذ ليس في الوسع الخلو
عنها . وفي الحديث : (إِنْ اللَّهُ

(٣) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ مَلَكِيَّةٌ وَأَيَّاهَا ٢٠٠ نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَنْفَالِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم - اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿١﴾ نَزَلَ
عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ
التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٢﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ
الْفُرْقَانَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ
فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ
فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾

تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها
ما لم يتكلموا أو يعملوا به (١) .

٢٨٥ - ﴿وَمَلَأْنَاهُ﴾ الإيمان
بالملائكة : هو التصديق
بوجودهم ، وبأنهم معصومون
مطهرون ، وبسائر صفاتهم التي
جاء بها التنزيل . ﴿غُفْرَانُكَ﴾
مصدر نائب عن فعله ، أى اغفر
غفرانك ؛ على حد سقياً ورغياً .
والمراد : نسألك غفران ذنوبنا .

٢٨٦ - ﴿وَسُعَهَا﴾ طاقتها
وقدرتها ؛ فضلاً منه ورحمة .
﴿لَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾
الإصْر : الثقل والعهد الثقيل .
أى لا تكلفنا أمراً يتقل علينا . أو
عهداً ثقيلاً لا نفي به ؛ كما كلفت
بنى إسرائيل من قبلنا ؛ فلا تمتحننا
بمثله ؛ رافعة منك وفضلاً . والله
أعلم .

سورة آل عمران

٢ - ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [راجع
آية ٢٥٥ البقرة ص ٦١] .

٣ - ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ أى
القرآن . وفى تخصيص القرآن
بصيغة التنزيل إيماء إلى أنه نزل
مُنْجِماً على التدريب ؛ بخلاف
التوراة والإنجيل فقد نزلا جملة .

٤ - ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾
الفرقان : كل ما فرق به بين الحق
والباطل . مصدر فرق يفرق بين
الشيئين فرقاً وفرقاً ، إذا فصل
بينهما . أى وأنزل بهذه الكتب

الفرقان بين الحق والباطل ؛ فلم
يبق لأحد عذر فى جحودها
والكفر بها . ﴿عَزِيزٌ﴾ منيع
الجانب . أو قوى غالب كل
شئ ؛ من العزة وهى حالة تمتع
الإنسان أن يغلب ويُقهر . يقال :
عَزَّ يَعَزُّ عِزًّا وَعِزَّةً ، صار عزيزاً
وقوى بعد ذلة . ﴿ذُو انتِقَامٍ﴾
ذو عقوبة شديدة لمن يكفر به لا
يقدر على مثلها منتقم . يقال :
انتقم منه إذا عاقبه بجنايته .
والفعل المجرد منه نَقِمَ ؛ كضرب
وعلم .

كمعظمة - : مُشْكَلَةٌ . وشبهه عليه الأمر تشبيهاً : لُبْس عليه ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ . مثلٌ عن الاستقامة وانحرافٌ عن الحق . وطرحٌ للقصد السوى . يقال : زاع يزيغ ، مأل . ومنه : زاعت الشمس إذا مالت ﴿ ابْتِغَاءَ فَتْنَةٍ ﴾ . الابتغاء : الاجتهاد في الطلب . يقال : بغيتُ الشيء وابتيغته ، إذا طلبت أكثر ما يجب . والفتنة : ما يُدفع إليه الإنسان من شدة وابتهاء الفتنة : طلب فتنة المؤمنين عن دينهم ، بالتشكيك والتلبيس . وإثارة الشبه ومناقضة المحكم بالمشابه . أو فتن أتباعهم الجهال بذلك ﴿ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ . وطلب تأويل الكتاب وتحريفه . التأويل : الباطل الذي يشتهونه ، والتحريف : السقم الذي يقصدونه ، زاعمين أنه الغاية المرادة منه ، وذلك شأن أهل البدع والأهواء والملاحدة في كل عصر . وتبعهم في ذلك الذين سمّوا أنفسهم مبشرين في هذا العصر . والتأويل : يُطلق بمعنى التفسير والبيان ، ومنه : (نبينا يتأويله) ^(١) ، وقولُ المفسرين : تأويلُ هذه الآية كذا وكذا . وبمعنى حقيقة الشيء وما يثول إليه ، من الأول وهو الرجوع إلى الأصل ، وردُّ الشيء إلى الغاية المرادة منه . يقال : آل الأمر إلى كذا يثول أولاً ، رجع . وأولته

هُوَ الَّذِي أَزَلَّ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا كَشَبَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾

معانيها . وأمُّ كلِّ شيء : أصله وعماؤه ، قال الخليل : كلُّ شيء ضُمَّ إليه سائر ما يليه يسمى في لغة العرب أمًّا . ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ . ومنه آياتٌ أُخَرُ مستشابهاتٌ . وهي غير المُحْكَمَاتِ . والمتشابهة : ما استأثر الله بعلمه ، كوقت الساعة والروح والحروف المقطعة في أوائل السور ، وإليه ذهب الحنفية . أو ما لا يتضح معناه إلا بالنظر الدقيق وهو يشمل المُجْمَل ونحوه ، وإليه ذهب الشافعية . أو ما دلَّ الدليل القاطع على أن ظاهره غير مراد ، ولم يقم دليل على تعيين المراد منه ، كآيات الصفات مثل : الاستواء واليد والقدم ، والتعجب والضحك ، والفوقية ، والتزول والرحمة والغضب ، ونحو ذلك . يقال : اشتبه الأمران . إذا أشبه كل واحد منهما الآخر حتى التباس . وأمورٌ مشتبهةٌ ومشبهة -

٧ - ﴿ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ آياتٌ بيّنة واضحة الدلالة ، لا التباس فيها ولا اشتباه . من الأحكام بمعنى الإتيان . يقال : أحكمه أى أتقنه ، فاستحكم ومنعه من الفساد ، كحكمه حكماً . وذلك لإحكام عبارتها عن احتمال التأويل والاشتباه ، ولنع الخلق من التصرف فيها ، لظهورها ووضوح معانيها ، وإقامتها حجةً من الله على عباده . وعصمة لهم من الزَّيْغ . وإلى هذا المعنى يرجع تفسير بعضهم المُحْكَمَاتِ : بما عُرف تأويلها وفهم معناها المراد منها ، أو ما لا التباس فيها ، ولا تحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً . [المسألة الرابعة من المقدمة ص و] . ﴿ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ أى أصله الذي يُعَوَّل عليه في الأحكام ، ويرجع إليه في الحلال والحرام . ويردُّ إليه ما تشابه من آياته وأشكال من

تقع الحاجة إلى الفكرة ، والحيلة إلى استخراج المعاني . هذا ، إلى أن القرآن في أعلى طبقات البلاغة والإعجاز ، وفي ألفاظه وآياته وأسلوبه من المجازات والكنايات ، والتشبيهات والإشارات ، ما يوجب كد الأذهان وشحذ القرائح ، لاستخراج معانيه واستقصاء مراميها ، وذلك مما لا يقدر عليه إلا من أوتي أوفر حظ من العلم والفقه ، وكانت له قدم راسخة في البحث والفهم . هذا ، ومن المتشابه آيات الصفات وأحاديث الصفات كما قدمنا . ومذهب السلف فيها : أنها صفات ثابتة لله تعالى وراء العقل ، جاء بها السمع ، فيجب الإيمان بها كما وردت ، مع وجوب اعتقاد تزيهه تعالى عن التجسيم والتشبيه ، لثلاث بضاد النقل العقل ، وأن ظاهرها غير مراد قطعاً لاستحالة عليه تعالى ، فإن ذاته وصفاته مخالفة لذوات المحدثات وصفاتهم . قال الإمام الشعراني وغيره : إن مذهب السلف أسلم وأحكم ، وقد درج عليه صدر الأمة وساداتها ، واختاره أئمة الفقه والحديث ، حتى قال الإمام محمد بن الحسن : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه . اهـ . أى من غير تأويل على سبيل التفصيل ، ولا تمثيل

الدليل على تعيينه ، جاز الوقف والعطف عند من يجوز الخوض فيه ، وتأويله بما يرجع إلى الجادة في مثله ، وهم جمهور الخلف . ووجب الوقف على لفظ الجلالة عند من يمنع الخوض فيه ويمنع تأويله ، وهم جمهور السلف . ونقل ابن كثير : أنه إذا أريد من التأويل المعنى الأول الذي أسلفناه فالوقف على لفظ « العلم » ، لأن الراسخين يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به ، وإن لم يحيطوا علماً بحقائق الأشياء على ما هي عليه . وإذا أريد منه المعنى الثاني فالوقف على لفظ الجلالة ، لأن الحقائق لا يعلمها على الجلية إلا الله عز وجل . والحكمة في إنزال المتشابه على التفسير الأول : الابتلاء به ، ليخضع العبد لسلطان الربوبية ويُقر بالعجز والقصور . وفي ذلك غاية التربية ونهاية المصلحة ، كما ابتلى سبحانه عباده بسائر التكالييف والعبادات . وعلى التفسير الثاني وكذا الثالث : أن يشتغل أهل النظر والفقه في الدين برّد المتشابه إلى المحكم ، فيطول بذلك نظرهم ، ويتصل بالبحث عن معاني فكرهم ، فيثابون على اجتهادهم كما أثيبوا على عباداتهم . ولو أنزل القرآن كله محكماً لاستوى في معرفته العالم الجاهل ، ولم يفضل العالم على غيره ، ولما ت الخواطر وخمدت القرائح ، ومع الغموض والخفاء

إليه رجعته ، ومنه : (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ) (١) أى ما ينتظرون إلا حقيقة ومآل ما أُخبروا به من أمر المعاد . والمراد هنا المعنى الثاني ، على ما اختاره الراغب . وذهب آخرون إلى اختيار المعنى الأول . ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ أى الثابتون المتمكنون فيه ، وهم الذين أتقوا علمهم ، فلم يداخلهم فيه شك ولم تعرض لهم فيه شبهة . وأصله في الأجرام أن يرسخ الجبل والشجر في الأرض ، واستعمل في المعاني ، ومنه : رسخ الإيمان في قلبه ، أى ثبت واستقر . فإذا فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه فالوقف على لفظ الجلالة ، وما بعده استئناف ، أى والراسخون في العلم يقولون آمنا به ، ويقوّضون علمه إليه سبحانه ، ولا يفتحمون أسواره ، كأهل الزبغ والضلال الذين خلطوا فيه بغير علم ، وأتبعوا أهواءهم بغير هدى . وإذا فسر بما لا يتضح معناه إلا بنظر دقيق ، فالحق الوقف على لفظ « العلم » ، أى أنه لا يعلم تأويله الحق المطابق للواقع إلا الله والراسخون في العلم ، دون أولئك الزائغين . ويجوز الوقف على لفظ الجلالة ، لأنه لا يعلمه كله إلا الله تعالى ، أو لا يعلمه بالكثرة سواء . وإذا فسر بما قام الدليل القاطع على أن ظاهره غير مراد ، مع عدم قيام

ومألة قريش عليك بعد غزوة أحد ، وقالوا : لسنأ أمثال قريش في الضعف وقلة المعرفة بالقتال ، بل نحن أولو قوة ومعرفة به - : انكم ستغلبون في القتال كما غلب المشركون في بدر . ﴿ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ ما مهدتموه لأنفسكم في الآخرة . والمهاد - كفراش وزنا ومعنى - وهو الموضع الذي يُوطأ للصبي ويُمهد له ، وجمعه مَهْد ، ككتاب وكتب .

١٣ - ﴿ فِي فِتْنَيْنِ ﴾ جماعتين التقتا في القتال يوم بدر ، جماعة المسلمين وجماعة المشركين . وأصل الفِتنَة : من الفَيْء ، وهو الرجوع . وسميت الجماعة فِتنَةً لأنه يرجع إليها في وقت الشدة ، وجمعها فئات وفئون . ﴿ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ ﴾ يرى الكفار المسلمين مثليهم ، أى مثلى الكفار في العدد ، وذلك عند الالتحام في ساحة القتال ، لتضعف قلوبهم وينهزموا ، فيتمكن منهم المسلمون قتلاً وأسراً . وأما تقليلهم في أعين الكفار في قوله تعالى : ﴿ وَثَقَّلْنَا فِي آعْيُنِهِمْ ﴾ (١) فهو قبل ذلك ، ليطمعوا في المسلمين ولا يجتنبوا عن قتالهم . ﴿ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ ﴾ يقوى بنصره ولو بدون الأسباب العادية . يقال : أَيْدَتْه تأييداً فهو مؤيد - أى قوته تقويةً وأعنته ، ومنه : « ذَا

رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ كَذَّابٌ ﴿١٠﴾ كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِ الثَّقَفَا فِتْنَةً تُقتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَىٰ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾

حال هؤلاء في الكفر واستحقاق العذاب كحال آل فرعون والذين من قبلهم من الأمم . وأصل الدَّاب : الدَّوام ، يقال : دَابَّ علي كذا يدَّاب دأباً ودأباً ودؤوباً ، إذا دام عليه وجد فيه وتعب . ثم غلب استعماله في الحال والشأن والعادة .

١٢ - ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ قل لليهود الذين دعوتهم إلى الإسلام فتمردوا عليك بنقض العهد ،

له بالحوادث ، تعالى الله عن الشبه والمثال . [راجع المسألة الرابعة من المقدمة ص و] .

٨ - ﴿ رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا ﴾ أى لا تميلها عن الحق والإيمان بك والتسليم لك . يقال : زاغت الشمس ترغ زيفاً ، مالت وهو من قول الراسخين . وقبل من كلامه تعالى : أى قولوا ذلك .

١١ - ﴿ كَذَّابٌ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ أى

الأيدي^(١) أى القوة . ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّعَظَةِ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ وهو التجاوز من حال إلى حال ؛ ومنه : عبّر الوادى يعبره عبّراً وعبوراً ، قطعه من غيره إلى غيره ؛ أى من شاطئه إلى شاطئه . وسُمّي الاتعاضُ عبْرَةً لأن المتعظ يعبر به من الجهل إلى العلم ، ومن الهلاك إلى النجاة .

١٤ - ﴿حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ المشتهيات بالطبع . ﴿وَالنِّينِ﴾ لم يذكر البنات لشمول البنين لهن على سبيل التغليب . ﴿وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ﴾ جمع قنطار ، وهو المال الكثير الذى يتوثق به فى دفع الحاجة . مأخوذ من الإحكام ؛ تقول : قنطرت الشيء إذا أحكمته ؛ ومنه القنطرة لتوثقها بعقد الطاق . والمقنطرة : أى المجموعة قنطاراً قنطاراً ؛ كقولهم : دراهم مدرّمة ؛ وإبل مؤبلة . وذكره للتأكيد . ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ أى الراعية فى المروج والمسارح . يقال : سوّم ماشيته إذا أرسلها فى المرعى . أو المظهمة الحسان ؛ من السّما بمعنى الحسن . أو المعلّمة ذات العرّة والتحجيل ؛ من السّمة أو السّومة بمعنى العلامة . والخيل : اسم جمع كرهط . أو جمع خائل ؛ كطير وطائر . وسُميت خيلاً لاختيائها فى مشيتها بطول أذنانها . ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ الإبل والبقر والغنم ، جمع نَعَم . ولا يقال للجنس الواحد منها نَعَم

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتْنَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٥﴾ * قُلْ أُوْنِيْكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ آتَقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِّنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٦﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَا مَا فَغُنَّزْنَا ذُوبُونَا وَقَدْ أَهْلَكْنَا نَارًا ﴿١٧﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٨﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ

إلا للابل خاصّة . ﴿الْحَرْثِ﴾ أى المزروعات . ﴿حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ المرجعُ الحَسَنُ وهو الجنة ؛ فهى الآحق بالرغبة فيها لبقائها دون المتّع الفانية . والمآب : اسم مصدر بوزن مفعّل ؛ من آب - كقال - إياباً وأوباً ومآباً ، إذا رجع . وأصله مأوب ، نقلت حركة الواو إلى الهزّة ثم قلبت الواو ألفاً ، مثل مقال .

١٥ - ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ رضاء عظيم منه تعالى ؛ لا سخط بعده أبداً .

١٧ - ﴿وَالْقَائِنِينَ﴾ المطيعين الخاضعين لله ؛ من القنوت ، وهو لزوم الطاعة مع الخضوع . ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ جمع سَحَر ، وهو من ثلث الليل الأخير . أو من حين يُدبر الليل إلى طلوع الفجر . وتخصيص الأسحار بالاستغفار لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة ؛ إذ العبادة حينئذ أشق ، والنفس أصفى ، والروح أجمع . وعن أنس : كنّا نؤمر إذا صلّينا من

عند الله ، وهو دين الله الذي شرعه وبعث به رسله ، ودل عليه أوليائه ، فلا يقبل غيره ولا يجزى بالإحسان إلا به . وهو الدين الخفيف الذي جاء به خاتم رسل الله صلى الله عليه وسلم . ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ هم اليهود والنصارى ، وقد اختلفوا في الإسلام أو في التوحيد من بعد قيام الدلائل على صحته ، وشهادة كتبهم به . ﴿ بَعْثًا ﴾ حسدًا وطلبًا للرياسة .

٢٠ - ﴿ أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ أخلصت عبادتي لله وحده ، وأطعته وانقدت له . وعبر عن الذات بالوجه لأنه أشرف الأعضاء ، وبه يحصل التوجه إلى كل شيء . ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ هذه الآية من أصرح الأدلة على عموم بعثته صلى الله عليه وسلم للخلق كافة . وقد نطقت بذلك الآيات والأحاديث الصحيحة ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (٣) وقال : ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (٤) . وقال صلى الله عليه وسلم : (والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ومات ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار) (٥) . وقال : (بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ) (٦) وَالْأُمِّيُّونَ : من ليس لهم كتاب ، والمراد مشركو العرب .

٢٢ - ﴿ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾ أى

عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْثًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسَلَّمْتُ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَلَا تَأْمُرُ بِكَ الْبَلْعُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بَغْيًا حَتَّى وَيَقْتُلُوا الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾

الليل أن نستغفر في آخر السحر سبعين مرة .

١٨ - ﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ قائمًا بالعدل في قسمة وحكمه ، وتدير أمر خلقه . والقسط والإقساط : العدل . يقال : قسط يقسط ويقسط قسطًا ، وأقسط إقساطًا فهو مُقْسِطٌ ، إذا عدل ، ومنه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (١) . ويُطلق القسط على الجور ، والفاعل قاسط : (١) آية ٤٢ المائدة . (٢) آية ١٥ الجن . (٣) آية ١٥٨ الأعراف . (٤) آية ١ الفرقان . (٥) رواه مسلم . (٦) أخرجه ابن سعد .

بطلت أعمالهم وخلصت عن ثمراتها .
٢٣ - ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ خطاب لكل من يتأتى منه الرؤية ؛ على طريق الاستفهام التعجيبى من حال اليهود من أهل الكتاب . أى ألم ينته علمك إلى الذين ... الآية . والكتاب : التوراة .

٢٤ - ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ أربعين يومًا ، وهى مدة عبادتهم العجل . فهوتوا على أنفسهم الخطوب ، ولم يبالوا بالمعاصى والذنوب . ﴿وَعَرَّهْمُ﴾ أى خدعهم وأطمعهم فى غير مطمع . ﴿يَقْتُرُونَ﴾ أى يكذبون على الله .

٢٥ - ﴿اللَّهُمَّ﴾ أصله : يا الله ؛ فحذف حرف النداء وعوض عنه الميم المشددة .

٢٦ - ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ تَدْخُلُ طَائِفَةً مِنَ اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ ؛ فَيَقْصُرُ اللَّيْلُ وَيَزِيدُ النَّهَارُ ، وَتَدْخُلُ طَائِفَةً مِنَ النَّهَارِ فِي اللَّيْلِ ؛ فَيَقْصُرُ النَّهَارُ وَيَزِيدُ اللَّيْلُ . من الولوج وهو الدخول ؛ يقال : وَلَجَ منزله يَلِجُهُ ، دخله . ويقال : أُولِجَهُ ، أدخله . ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ﴾ تخرج الحيوان من النطفة ، والنطفة من الحيوان ، وتخرج النبات الغصن الطرى من الحب اليابس ؛ وتخرج الحب اليابس من النبات الحى النامى . ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آية ٢١٢ البقرة ص ٥٠] . وفى

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ
وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا
جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ
وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ
مَنْ نَسَاءً وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ نَسَاءً وَتُعِزُّ مَنْ نَسَاءً وَتُذِلُّ
مَنْ نَسَاءً بِيدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾
تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ
مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ نَسَاءً
بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ
مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ
فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْلَةً وَيَحْذَرُكَ اللَّهُ نَفْسَهُ
وَالِىَ اللَّهُ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِنْ تُحْفُوا مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ

الآية دليل على مزيد عظمتهم ،
وكمال قدرته على البعث والجزاء .
٢٨ - ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ...﴾
كان بعض اليهود يباطنون نفراً من
الأنصار ليقتلوه عن دينهم ؛
فقال لهم بعض الصحابة :
اجتنبوهم ، واحذروا مباطنتهم ،
لا يفتنوكم عن دينكم ؛ فأبوا إلا
ملازمهم ، فزلت الآية . أى
لا تتخذوا لكم أنصاراً وبطانة
من الكافرين ، متجاوزين

إخوانكم المؤمنين ، تُسِرُّونَ إليهم
بالمودة وتركون إليهم . وتلقون
إليهم ذات صدوركم ؛ فإنهم
لا يبالون بهذا فى مضررتكم
والنكابة بكم . ومثله قوله
تعالى : (لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ
دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا) (١) .
وقوله تعالى : (لَا تَجِدُ قَوْمًا
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ
مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (٢) . وقوله :
(لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى



تَبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ يُحْذِرُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ
مِنْ خَيْرٍ مُخْضَرًا وَمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ
أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾
قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾
* إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ
عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ

على تَقَى ، كَرُطَبَةٍ وَرُطَب .
وأصلُ تَقَاةٍ : وَقِيَّةٌ مِنَ الْوَقَايَةِ ،
فأيدلت الواو المضمومة تاءً والياءُ
ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها .
و «تقاة» على المعنى الأول مفعول
مطلق ، والتقدير : إلا أن تتقوا
منهم اتقاءً ، فوقع «تقاة» موقع
اتقاء ، والعرب تُنِيب المصادر
بعضها عن بعض . وعلى المعنى
الثاني مصدرٌ مفعول به ،
وتقديره : إلا أن تتقوا منهم
متقًى ، أى أمراً يَتَّقَى وَيُخَافُ
وَيُحَذِرُ . وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ
نَفْسَهُ بِخَوْفِكُمْ عِقَابَهُ وَانْتِقَامَهُ .
٣٠ - ﴿مُخْضَرًا﴾ مشاهدًا في
الصحف لم يُخَس منه شيء ،
قال تعالى : «وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا
حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ
أَحَدًا» (٣)

٣١ - ﴿تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ أى تُحِبُّونَ
طاعته أو ثوابه . وأكمل من
ذلك : محبته تعالى لذاته ،
لا طمعاً في ثوابه ، ولا خوفاً من
عقابه .
٣٣ - ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ﴾
نزلت حين قال اليهود : نحن أبناء
إبراهيم وإسحق ويعقوب ، ونحن
على دينهم . أى أن الله تعالى
اختار هؤلاء لأداء رسالته وهى
الإسلام ، وأنتم على غير دين
الإسلام ، إذ أمركم باتباعه
فخالفتم . وأرسل إليكم رسولاً
بشّر به موسى وعيسى فكذبتم ،
وهو من بيت النبوة ، ومن ذرية
إبراهيم ، كموسى وعيسى عليهما

أولياء بعضهم أولياء بعض (١)
وقوله : (لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي
وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ
بِالْمَوَدَّةِ) (٢) . والأولياء : جمع
وَلِيٍّ ، بمعنى الموالى ، من الولي
وهو القرب . ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي
شَيْءٍ﴾ أى ومن يوال الكفار
هذه الموالاة ، فليس من ولاية
الله فى شيء يقع عليه اسم
الولاية ، يعنى أنه منسلخ من
ولاية الله رأساً . ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا
مِنْهُمْ تَقَاةً﴾ أى إلا أن تخافوا
منهم مخافةً . أو تخافوا من
جهنم أمراً يجب اتقاؤه ، من
الضرر فى النفس أو المال
أو العِرض . وذلك إذا كان
الكفار غالبين ظاهرين ، أو كنتم

السلام ؛ وقد اصطفاه كما اصطفى من قبله فلم كفرتم به ؟!

٣٥ - ﴿امْرَأَةُ عِمْرَانَ﴾ هي حنة أم مريم . وعمران هذا ، غير عمران أبي موسى عليه السلام ؛ وبينهما نحو ألف وثمانمائة سنة . ﴿مُحَرَّرًا﴾ مُخْلَصًا لعبادتك وخدمة بيت المقدس ، معقًا من أمر الدنيا ؛ من حررت العبد : خلصته من الرق واعتقته . ورجل حر : إذا كان خالصًا لنفسه ، ليس لأحد عليه يدٌ وتصرف .

٣٦ - ﴿أُعِيذُهَا بِكَ﴾ أمنعها وأجيرها بحفظك ؛ من العوذ ، وهو أن تلتجئ إلى غيرك وتعلق به . يقال : عاذ فلان بفلان إذا استجار به ؛ ومنه العوذة ، وهي التيمنة والرقية .

٣٧ - ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ ضمها الله تعالى إلى زكريا وجعله كافيًا لها ، وضامًا لمصالحها - وهو زوج خالتها - بالقرعة التي أجرؤها حينما اختلفوا فيمن يكفلها ؛ من الكفالة بمعنى الضمان . يقال : كفله وتكفل به وأكفله إياه ، ضمته . والكفيل : الضامن ، كالكافل ، وهو الذي يقول غيره . ﴿الْمِحْرَابِ﴾ هو غرفة في بيت المقدس ، لا يصعد إليها إلا بسلم . أو هو المسجد ؛ وكانت مساجدهم تسمى المحاريب . وسمي محرابًا لأنه محل محاربة

عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتْ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَلِإِني سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ إِنِّي لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾

الشیطان والهوى . ﴿أَنِّي لَكِ هَذَا﴾ من أين يحيى لك هذا الرزق الذي أرى عندك في غير أوانه ؟! وتُستعمل «أني» بمعنى من أين ومتى وكيف ؛ لتضئنها معانيها . ٣٨ - ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ أي بكلمة كائنة من الله ، يعني عيسى بن مريم . وسمي كلمة لأن الله تعالى خلقه بكلمة «كن» من غير توسط سبب عادي فكان ؛ وكان تأثير الكلمة في حقه أظهر . أو مصدقًا بكتاب من الله ، والمراد به الإنجيل وإطلاق الكلمة عليه ؛ كما تقول العرب : أنشدني كلمة ؛ يريدون قصيدة . ﴿وَحَصُورًا﴾ هو من لا يأتي النساء وهو قادر على ذلك ؛ من

بِاللسان . ﴿ وَسَبِّحْ بِالعَشِيِّ ﴾
وَالْإِبْكَارِ ﴿ التَّسْبِيحُ : الصلاة .
والعشي : جَمْعُ عَشِيَّة ، وهي
من الزوال إلى الغروب .
وَالْإِبْكَارُ : مصدرُ أبكر بمعنى
بكر ، أريد به الوقت الذي هو
البُكْرَة ، وهو من طلوع الفجر إلى
الضُحَى . ويقال : التَّسْبِيحُ
التَّزْيِيهِ ، والمرادُ بَرَّهه تعالى دائماً
عما لا يليق به من العجز
والنقص .

٤٢ - ﴿ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾
أى عالمى زمانها ، كما فى نظائره .
٤٣ - ﴿ أَفَتُنَبِّئُ لِرَبِّكِ ﴾ أخلصى
له وحده العبادة ، وأدبى له
الطاعة ، من القنوت ، وهو
لزوم الطاعة مع الخضوع .

٤٤ - ﴿ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ ﴾ يرمون
سهامهم فى الماء الجارى للاقتراع
على من يكفل مريم ، فن وقف
قلبه عن الجرى مع الماء فهو أحن
بها ، فجرت كلها مع الماء إلا قلم
زكريا فإنه ثبت فكفلها الله له .
والأقلام والسهام والأزلام
والقдах بمعنى

٤٥ - ﴿ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ﴾ أى كائنة
من الله ، أى مبتدأة منه من غير
توسط الأسباب العادية ، قال له
كن فكان . ﴿ الْمَسِيحُ ﴾ فِعْلٌ
بمعنى فاعل ، للمبالغة فى مسحه
الأرض بالسياحة للعبادة
أو مسحه ذا العاهة لئلا
أو بمعنى مفعول ، أى ممسوح ،
لأن الله مسحه بالبركة ، أو طهره
من الذنوب . وهو لَقَبٌ منقولٌ

قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي
عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ
لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا
رَمَزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤٧﴾
وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ
وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٨﴾ يَمْرُؤُا أَفَنُبَيِّنُ لِرَبِّكِ
وَأَتَجِدِى وَأَرْكَبِى مَعَ الرَّاكِبِينَ ﴿٤٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ
الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَمَهُمْ
أَنْهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٥٠﴾
إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ يَنْشُرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ
الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ
الْمُقَرَّبِينَ ﴿٥١﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنْ
الصَّالِحِينَ ﴿٥٢﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي

الحضرة وهو الحبس ، لحينه
نفسه عن شهوتها .

٤٠ - ﴿ أَنَّى يَكُونُ ﴾ كيف
أو من أين يكون ؟ ﴿ عَاقِرٌ ﴾

عقيم لا تلد لكبر سنها ، من
العقر وهو العقم . يقال : عقرت
المرأة تعقر عقرًا ، فهى عاقرة .

٤١ - ﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾
علامة تدلنى على حصول

الحمل ، لأبادر إلى شكر هذه
النعمة والقيام بحقوقها . ﴿ أَلَّا تُكَلِّمَ
النَّاسَ ﴾ أى تعجز عن تكليمهم
بغير آفة . ﴿ إِلَّا رَمَزًا ﴾ إيماء
وإشارة ، حيث حُس من
النطق من غير آفة . وفعله من بابي
نصر وضرب . والاستثناء
منقطع ، لأن الرمز ليس من
جنس الكلام ، أى النطق

عن الصفة . ﴿وَجِيهًا﴾ أى ذا
جاه وقدر وشرف .

٤٦ - ﴿فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ أى
فى حال كونه صغيرًا قبل أوان
الكلام ، وفى حال الكهولة .
والمَهْدُ : اسمٌ للمضجع الذى
يُهدُّ للصبي فى رضاعه . وهو فى
الأصل مصدرٌ مَهْدَه يَمْهَدُهُ ،
إذا بسطه وسواه . والكَهْلُ : مَنْ
وَحَطَه الشَّيْبُ ، أو اجتمعت
قُوَّتُه وَكَمُلَ شبابه ؛ ومنه :
اكتهل النبات إذا طال وقوى .
فهو عليه السلام يكلمهم بكلام
الأنبياء ، من غير تفاوت بين
حالتى الطفولة والكهولة ؛ وهو
إحدى معجزاته عليه السلام .
وفى تغير أطوار حياته من طفولة
إلى كهولة ردُّ على النصارى الذين
يزعمون ألوهيته .

٤٧ - ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أى إذا
أراد شيئًا فإنما يقول له كن
فـيكون ، ويحدث فورًا
بلا مهلة ؛ قال تعالى : (وَمَا
أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ
بِالْبَصَرِ) (١) . وأكثر المفسرين
على أنه تمثيلٌ لتأثير قدرته فى
مراده ، بأمر المطاع للمطيع فى
حصول المأمور من غير امتناع
وتوقف ، وافتقار إلى مزاوله عمل
واستعمال آلة . وكان أصل
الكلام : إذا قضى أمرًا فيحصل
عقبه دفعة ؛ فكأنما يقول له كن
فيكون . وقيل هو حقيقة [آية
١١٧ البقرة ص ٢٩] .

٤٨ - ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾ أى

بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا
يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي
قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ
كَهْبَعَةَ الطَّيْرِ فَانْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأَبْرَأُ
الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُمْ
بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ
إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ
وَلَأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي هُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۖ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن
رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ

الكتابة والخط ليستفيد بهما .
﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ وهى الإصابة فى
القول والعمل . أو أحكام
الشرائع .
٤٩ - ﴿أَخْلَقُ﴾ أصور وأقدر .
﴿لَكُمْ﴾ لأجل تصديقكم بى .
﴿وَأَبْرَأُ الْأَكْمَهَ﴾ أشفى بإذن
الله مَنْ وُلِدَ أعمى فيُصير .
يقال : برأ المريض يبرأ ويبرؤ برءًا
ويبرؤًا . وبرؤ - ككرم وفرح -
برءًا وبرءًا وبرؤًا ، إذا نقه من
مرضه . وأبرأه الله فهو بارئ
وبرئ . وكمه يكمه كمها ، إذا
ولد أعمى ؛ فهو أكمه ، وامرأة

كمهاء . ﴿تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾
تخبئونه فيها لحاجتكم إليه ؛ من
الأدخار ، وهو إعداد الشيء
لوقت الحاجة إليه . يقال :
ذخرته وأدخرته ، إذا أعدده
للغنى . وأصله «تدخرون» -
بالذال المعجمة - من ادخَرَ
الشيء - بوزن افعل - ثم دخله
الإبدال .
٥٠ - ﴿حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ أى فى
التوراة . وهو صريح فى أن
شريعة عيسى نَسخت شريعة
موسى عليهما السلام فى بعض
الأحكام .

فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ * فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكْرُؤًا لِمَكَرِ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَى مَوْطِئِكِ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقَبْرِ ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَذَبُ اللَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ

الفاعلُ الخيرُ والجميلُ ، ومنه «مكر الله» حيث نجَّى رسوله منهم . فلا ضرورة لادعاء المشاكلة اللفظية في إطلاق المكر في حقه تعالى ، وإنما يراد به في حقه سبحانه المعنى اللائق بكهاله .

٥٥ - ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ أى أَخَذَكَ وَاقِيًا بِرُوحِكَ وَجَسْمِكَ ، وَرَافِعُكَ إِلَى مَحَلِّ كَرَامَتِي ، فَالْعَطْفُ لِلتَّفْسِيرِ . يقال : وَفَّيتُ فُلَانًا حَقَّهُ ، أَيْ أَعْطَيْتُهُ إِثْمًا وَاقِيًا ، فَاسْتَوْفَاهُ وَتَوَفَّاهُ ، أَيْ أَخَذَهُ وَاقِيًا . أَوْ قَابَضُكَ وَمُسْتَوْفَى شَخْصُكَ مِنْ الْأَرْضِ ، مِنْ تَوَفَّى الْمَالَ بِمَعْنَى اسْتَوْفَاهُ وَقَبَضَهُ . وَاعْلَمْ أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يُقْتَلْ وَلَمْ يُصَلَّبْ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ) (٢) وَقَالَ : (وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا) (٣) . فَاعْتِقَادُ النَّصَارَى الْقَتْلَ وَالصَّلْبَ كَفَرًا لَا رَبَّ فِيهِ . وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ رَفَعَ إِلَيْهِ عِيسَى ، كَمَا قَالَ : ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ وَقَالَ : «بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ» (٤) فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ .

والجمهورُ على أَنَّهُ رُفِعَ حَيًّا مِنْ غَيْرِ مَوْتٍ وَلَا غَفْوَةٍ بِجَسَدِهِ وَرُوحِهِ إِلَى السَّمَاءِ . وَالْخُصُوصِيَّةُ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هِيَ فِي رَفْعِهِ بِجَسَدِهِ وَبِقَائِهِ فِيهَا إِلَى الْأَمَدِ الْمَقْدَرُ لَهُ . وَأَمَّا التَّوَفَّى الْمَذْكُورُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ) (٥) فَلَمَّا ذَكَرْنَا عَلَى الرِّوَايَةِ

الدقيق . وَشُمُّوا حَوَارِيَّيْنِ لَخُلُوصِ نِيَّاتِهِمْ وَنَقَاءِ سِرَائِرِهِمْ مِنَ النِّفَاقِ وَالرِّيْبَةِ ، كَقِيَّامِ الثَّوْبِ الْأَبْيَضِ مِنَ الدَّنَسِ . ٥٤ - ﴿وَمَكْرُؤًا لِمَكَرِ اللَّهِ﴾ دَبَّرَ الْيَهُودَ الَّذِينَ أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَتْلَهُ غِيلَةً ، وَتَوَاطَؤُوا عَلَيْهِ ، فَأَحْبَطَ اللَّهُ تَعَالَى تَدْبِيرَهُمْ بِرَفْعِهِ إِلَى مَحَلِّ كَرَامَتِهِ ، وَإِقَاءِ شُبِّهِهِ عَلَى مَنْ قَصَدَ اغْتِيَالَهُ فَقَتَلُوهُ . وَالْمَكْرُ : التَّدْبِيرُ الْحَكْمُ . أَوْ صَرْفُ غَيْرِكَ عَمَّا يَرِيدُهُ بِحِيلَةٍ . وَهُوَ مَذْمُومٌ إِنْ تَحَرَّى بِهِ الْفَاعِلُ الشَّرَّ وَالْقَبِيحَ ، كَمَكْرِ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ . وَمَحْمُودٌ إِنْ تَحَرَّى بِهِ

٥٢ - ﴿أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ﴾ أَيْ عَلِمَهُ يَقِينًا ، وَتَحَقَّقَهُ تَحَقُّقُ مَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ . يُقَالُ : أَحَسَّ الشَّيْءَ ، عَلِمَهُ بِالْحِسِّ . وَأَحَسَّ بِالشَّيْءِ ، شَعَرَ بِهِ بِحَاسَتِهِ . وَمِنْهُ : (هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ) (١) . ﴿أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أَيْ أَعُوَانِي ، حَالٌ كَوْنِي ذَاهِبًا إِلَى اللَّهِ ، أَيْ مُلْتَجِئًا إِلَيْهِ ، جَمْعُ نَاصِرٍ . ﴿الْحَوَارِيُّونَ﴾ أَصْفِيَاءُ عِيسَى ، جَمْعُ حَوَارَى . وَحَوَارَى الرَّجُلِ : نَاصِرُهُ وَخَالِصَتُهُ ، مِنَ الْحَوَرِ ، وَهُوَ شِدَّةُ الْبَيَاضِ . وَمِنْهُ قِيلَ : الْحَوَارَى لِلْخِزْرِ الْخَالِصِ

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
 الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ
 الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ
 مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ
 فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ
 مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ
 وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأُنْفُسَنَا وَأُنْفُسَكُمْ ثُمَّ تَبَتَّلْ فَنَجْعَلْ
 لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَذَا لهُوَ الْقَصَصُ
 الْحَقُّ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لهُوَ الْعَزِيزُ
 الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾

الصحيحة عن ابن عباس
 والصحيح من الأقوال ، كما قاله
 القرطبي ، وهو اختيار الطبري
 وغيره . وكما كان عليه السلام في
 مبدأ خلقه آية للناس ومعجزة
 ظاهرة ، كان في نهاية أمره آية
 ومعجزة باهرة . والمعجزات
 بأسرها فوق قدرة البشر ومدارك
 العقول ؛ وهي من متعلقات
 القدرة الإلهية ومن الأدلة على
 صدق الرسل عليهم السلام .
 ﴿ وَمُطَهَّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾
 بتعديك منهم برفعك ، وبنجائك
 مما قصدوا بك . ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ
 اتَّبَعُوكَ ... ﴾ هم كل من آمن بأنه
 عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها
 إلى مريم وروح منه ؛ وآمن بما
 جاء به من التوحيد الذي جاء به
 جميع الرسل . ويندرج فيهم
 المسلمون من أمة محمد صلى الله
 عليه وسلم ، الذين آمنوا برسل
 الله جميعاً . ولم يفرقوا بين أحد
 منهم . وهم فوق الذين كفروا
 بالحجة والبرهان إلى يوم القيامة .
 ٥٩ - ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ
 اللَّهِ ﴾ إن شأن عيسى بالنسبة
 لقدرة الله حيث خلقه من غير أب
 كشأن آدم حيث خلقه من غير
 أبوين ؛ بل شأن آدم أعجب
 حيث خلقه من تراب يابس . فمن
 آمن بقدرته تعالى في خلقه آدم من
 تراب ، كيف لا يؤمن بها في
 خلقه عيسى بن مريم من غير
 أب ! ﴿ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ كلام
 مستأنف ؛ لبيان أن المشبه به

أخرق للعادة وأغرب .
 ٦٠ - ﴿ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ أي الشاكين في أن
 ذلك كذلك . والامتراء :
 الشك ؛ من قولهم : مرتيت
 الناقة والشاة إذا حلبتها . فكان
 الشاك يحتذب بشكه مرأة ؛
 كاللبن الذي يجذب عند
 الحلب . ويقال : ماري فلان
 فلاناً إذا جادله ، كأنه يستخرج
 غضبه . والخطاب له صلى الله
 عليه وسلم والمراد به أمته ،
 أو لكل من يصلح للخطاب .
 ٦١ - ﴿ تَعَالَوْا ﴾ أي هلموا ،
 أقبلوا بالعزم والرأى . ﴿ نَدْعُ
 أَبْنَاءَنَا ... ﴾ أي يدع كل منا
 ومنكم ابنائه ونسائه ونفسه إلى
 المباهلة ﴿ ثُمَّ تَبَتَّلْ ﴾ أي
 تباهل وتباعد ، بأن نقول :
 بهلة الله على الكاذب منا
 ومنكم ؛ وافتعلم وتفاعل
 أخوان ؛ كاقتل وتقاتل . والبهلة
 والبهلة : اللعنة . يقال : بهله
 الله يبهله بهلاً ، لعنه وأبعده من
 رحمته ؛ ثم شاعت في كل دعاء
 مجتهد فيه وإن لم يكن التعاناً .
 والآية نزلت في محاجة نصارى
 نجران للنبي صلى الله عليه

٦٥ - ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أى أتقولون ذلك فلا تعقلون بطلانه !؟ وقد زعم اليهود أن إبراهيم كان يهوديًا يدين بما يدينون ، وزعم النصارى أنه كان نصرانيًا كذلك ، فكذبهم الله تعالى بأنه لم يكن كما قالوا . وإنما كان « حنيفًا مسلمًا وما كان مثلهم » من المشركين . فإن النصارى أشركوا بزعم ألوهية المسيح ، واليهود أشركوا بزعم التشبيه .

٦٦ - ﴿هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ «ها» حرف تنبيه ، و «أنتم» مبتدأ خبره «حاججتم» ، و «هؤلأ» منادى حذف منه حرف النداء . وقيل : خبره «هؤلأ» وجمله «حاججتم» مستأنفة مبينة للجملة الأولى .

٦٧ - ﴿حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾ ماثلاً عن الأديان الباطلة إلى الذين الحق ، منقادًا لطاعته ، أو موحدًا . والإسلام يُطلق بمعنى التوحيد ، ومنه : (إن الدين عند الله الإسلام) (١) .

٦٨ - ﴿وَلِىُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أى ناصرهم ومجازيهم بالحسنى .

٧٠ - ﴿لَمْ تَكْفُرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أى لم تكفروا بآيات الله المُرَّة في كتبه ، الدالة على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم ! وأنتم تعلمون أنها حق بما قام عليها من دلائل الصدق .

٧١ - ﴿لَمْ تَلِيسُوا الْحَقَّ﴾

قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْعًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٠﴾ هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٢﴾ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِىُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٣﴾ وَدَّتْ طَآئِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٧٤﴾ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ ﴿٧٥﴾ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلِيْسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ

هَلُمُّوا إلى كلمة ذات عدل وإنصاف بيننا وبينكم . أو السَّوَاء مصدر بمعنى مستوية ، لا تختلف فيها الرسل والكتب المُرَّة ، وهي : ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْعًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ .

وسلم ، ولما دعاهم إلى المباهلة امتنعوا وقالوا : إنه والله النبىُّ المبشَّر به في التوراة والإنجيل ! ولو باهلتنا لم يبق نصراني على وجه الأرض .

٦٤ - ﴿كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ...﴾ السَّوَاء : العدل والنصفة . أى

بِالْبَاطِلِ ۖ تَخْلُطُونَهُ بِهِ بِتَحْرِيفِكُمْ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ، أَوْ بِإِظْهَارِ تَكْذِيبِهِ مَعَ عِلْمِكُمْ بِصَدَقَةِ صُلَى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مِنَ اللَّبْسِ وَهُوَ الْخَلْطُ . يُقَالُ : لَبَسَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ يَلْبَسُهُ فَالْتَبَسَ ، إِذَا خَلَطَهُ عَلَيْهِ حَتَّى لَا يَعْرِفَ جِهَتَهُ . وَأَمْرٌ مُلْبِسٌ وَمُلْتَبِسٌ ، أَيْ مُشْتَبِهٌ .

٧٢ - ﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ﴾ مَكِيدَةٌ دَبَّرَهَا الْيَهُودُ لِيَلْبَسُوا عَلَى الضَّعَفَاءِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَمْرَ دِينِهِمْ ، فَتَشَاوَرُوا بَيْنَهُمْ أَنْ يُظْهِرُوا الْإِسْلَامَ أَوَّلَ النَّهَارِ ، فَإِذَا جَاءَ آخِرُهُ أَظْهَرُوا الْكُفْرَ ، لِيَقُولَ الْجُهَالُ : إِنَّمَا رَدَّوهُمْ إِلَى دِينِهِمْ إِبْلَاعُهُمْ عَلَى نَقِصَةٍ وَعَيْبٍ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ ، وَهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ ، فَيَرْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ مِثْلَهُمْ . فَأُطْلِعَ اللّٰهُ نَبِيَّهَ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى مَا دَبَّرُوا .

٧٣ - ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ...﴾ هَذَا مِنْ قَوْلِ الْيَهُودِ . يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : لَا تَصَدَّقُوا إِلَّا نَبِيًّا يُفَرِّقُ شَرَائِعَ التَّوْرَةِ ، فَأَمَّا مَنْ جَاءَ بِمَا يَخَالِفُهَا كَمُحَمَّدٍ فَلَا تَصَدَّقُوهُ . وَاللَّامُ زَائِدَةٌ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (رَدِّفْ لَكُمْ) ^(١) أَيْ رَدِّفْكُمْ . ﴿إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللّٰهِ﴾ أَيْ قُلْ جَوَابًا لَهُمْ : إِنَّ الدِّينَ دِينُ اللّٰهِ ، فَكُلُّ مَارَضِيهِ دِينًا فَهُوَ الدِّينُ الَّذِي يَجِبُ اتِّبَاعُهُ ، وَقَدْ رَضِيَ الْإِسْلَامُ دِينًا نَاسَخًا لِبَعْضِ شَرَائِعِ التَّوْرَةِ فَيَجِبُ اتِّبَاعُهُ . ﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلُ﴾ أَيْ وَقُلْ لَهُمْ :

(١) آيَةُ ٧٢ النمل .

وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكَ قُلْ إِنْ أَهْدَىٰ هُدَىٰ اللّٰهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنِّي أَلْفَضِلُ بِيَدِ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّٰهُ وَسِعَ عِلْمٌ يَخْتَصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٣﴾ * وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن إِنْ تَأْمَنُوا بِنِيطَارٍ يُودِّدُهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَن إِنْ تَأْمَنُوا بِيَدِينَارٍ لَا يُودِّدُهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّةِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ بَلَىٰ مَن أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَآتَىٰ فَإِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٥﴾

فِي الْأُمِّيَّةِ سَبِيلٌ ۖ لَيْسَ عَلَيْنَا فِيمَا أَصْنَاهُ مِنْ أَمْوَالِ الْعَرَبِ إِثْمٌ وَلَا حَرَجٌ ، مِبَالَعَةٌ مِنْهُمْ فِي التَّعَصُّبِ لِدِينِهِمْ ، حَتَّى اسْتَحَلُّوا ظِلْمَ مَنْ خَالَفَهُمْ فِيهِ وَأَخَذَ مَالَهُ بِأَيِّ طَرِيقٍ . أَوْ لِأَنَّهُمْ قَالُوا : نَحْنُ أَبْنَاءُ اللّٰهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ، وَالْحَقُّ لَنَا عِبِيدٌ ، فَلَا سَبِيلَ عَلَيْنَا إِذَا أَكَلْنَا أَمْوَالَهُمْ . فَأَكْذَبَهُمُ اللّٰهُ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهُمْ

لَأَنَّ ، أَيْ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ شَرِيعَةً مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ ، وَلَمَّا يَتَّصِلْ بِهِ مِنَ الْعَلَةِ بِالْحُجَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، دَبَّرْتُمْ مَا دَبَّرْتُمْ ؟ لِأَجْرَمْ أَنَّهُ لَمْ يَدْعُكُمْ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا الْحَسَدُ ، فَحَذَفَ الْجَوَابَ اخْتِصَارًا ، وَهُوَ كَثِيرٌ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ . وَيُؤَيِّدُهُ قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ بِهَمْزَتَيْنِ وَتَلْوِينِ الثَّانِيَةِ .

٧٥ - ﴿عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ مَلَا زِمَا لَهُ تَطَالَبُهُ وَتَقَاضِيهِ . ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا

بالمغفرة . أو لا يُثني عليهم
بحميل .

٧٨ - ﴿يَلْعَنُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالتَّوْرَةِ فَهُمْ يَرْفَعُونَ النُّجُومَ﴾
السنتم بها ، ويميلونها عن المنزل
إلى الحرف المبدل كذباً على الله ،
ولهم في ذلك ما لا يحصى . من
اللى ، وهو القتل والميل .
يقال : لوى فلان يد فلان يلويها
لياً ، قتلها وأمالها . ولوى لسانه
بكذا : كناية عن الكذب
وتحريض الحديث .

٧٩ - ﴿وَالْحُكْمُ الْحَكْمُ﴾ الحكمة أو
الفهم والعلم . ﴿وَلَكِنْ كُونُوا
رَبَّانِيِّينَ﴾ ولكن يقول : كونوا
رَبَّانِيِّينَ ، جمع رَبَّانِي ، وهو
العالم الفقيه أو المدير أمر الناس
نسبة إلى الرب ، بزيادة الألف
والنون للمبالغة ، كما في رَبَّانِي
للعليظ الرقة . أو إلى رَبَّانٍ -
كعطشان - بمعنى مُرَبٍّ ، وهو
المعلم للخير ، ومن يسوس الناس
ويعرفهم أمور دينهم .
﴿تَذَرُسُونَ﴾ تقرأون الكتاب .

٨٠ - ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ بالنصب
عطفاً على يقول ، و«لا» مزيدة
للتأكيد معنى التثني ، وهو شائع في
الاستعمال . أى ما كان لبشر أن
يؤتيه الله ما ذكر ثم يأمر الناس
بعبادة نفسه ، أو باتخاذ الملائكة
والنبيين أرباباً . وقرئ بالرفع على
الاستئناف ، أى ولا يأمركم
الله .

٨١ - ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ

إِنَّ الَّذِينَ يَسْتُرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَّ قَلِيلًا أُولَٰئِكَ
لَا خَلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ
إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يَرْكَبُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾
وَلَٰئِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْعَنُونَ أَلَسْتُمْ بِالَّذِينَ كُنتُمْ تَقُولُونَ
أَلَكِتَابٍ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ
اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ
وَالنَّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ
كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ
تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ
أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾
وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ
وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ
وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي
قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾

كاذبون جراءة منهم على الله . أو يعلمون أن الخيانة محرمة في كل شريعة .

٧٧ - ﴿لَا خَلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ لا نصيب لهم ولا حظ في نعيمها . ﴿وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾
أى كلام لطف بهم ، بل كلام
نقمة وغضب . ﴿وَلَا يَنْظُرُ
إِلَيْهِمْ﴾ أى لا يرحمهم ولا
يحسن إليهم ، ولا ينيلهم خيراً .
﴿وَلَا يَرْكَبُهُمْ﴾ أى لا يطهرهم
من دنس الذنوب والأوزار

النَّبِيِّينَ ﴿٨٣﴾ أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ مِنَ النَّبِيِّينَ أَنْ يَصْدَقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ أَنْ يُؤْمِنَ بِمَنْ يَأْتِي بَعْدَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَيَنْصُرَهُ إِنْ أَدْرَكَهُ ، فَإِنْ لَمْ يَدْرَكَهُ يَأْمُرُ قَوْمَهُ بِنَصْرَتِهِ إِنْ أَدْرَكَوهُ . فَأَخَذَ الْمِيثَاقَ مِنْ مُوسَى أَنْ يُؤْمِنَ بِعِيسَى ، وَمَنْ عِيسَى أَنْ يُؤْمِنَ بِمُحَمَّدٍ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ . وَإِذَا كَانَ هَذَا حُكْمُ الْأَنْبِيَاءِ ، كَانَتْ الْأُمَمُ بِذَلِكَ أَوَّلَى وَأُخْرَى . وَأَصْلُ الْمِيثَاقِ : الْعَقْدُ الْمُؤَكَّدُ بِالْيَمِينِ . ﴿لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ الْإِلَامُ مَوْثِقَةٌ لِلْقَسَمِ ، وَ«مَا» شَرْطِيَّةٌ فِي مَوْضِعِ النَّصَبِ بَاتِيَّةٌ ، وَالْمَفْعُولُ الثَّانِي ضَمِيرُ الْمُخَاطَبِ ، وَ«مَنْ» بَيَانٌ لـ«مَا» ، وَقَوْلُهُ : ﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ جَوَابُ الْقَسَمِ . وَهُوَ دَلِيلُ جَوَابِ الشَّرْطِ . ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ قَبْلَتُمْ عَهْدِي . وَالْإِصْرُ : الْعَهْدُ . وَأَصْلُهُ مِنَ الْإِصَارِ ، وَهُوَ الطَّنْبُ وَالْأَوْتَادُ الَّتِي يُشَدُّ بِهَا الْبَيْتُ ، وَأُطْلِقَ عَلَى الْعَهْدِ إِصْرًا لِأَنَّهُ مِمَّا يُؤَصَّرُ ، أَيْ يُشَدُّ وَيُعَقَّدُ .

٨٣ - ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ ..﴾ أَيْ وَلَهُ تَعَالَى اسْتَسْلَمَ وَانْقَادَ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ ، طَائِعِينَ وَكَارِهِينَ : فَالْكُلُّ تَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ ، وَفِي قَبْضَةِ قُدْرَتِهِ وَتَسْخِيرِ إِرَادَتِهِ . وَالطُّوعُ :

(١) آية ٣ المائدة .

فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ أَفْغَرِ دِينَ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَلِلَّهِ يَرْجِعُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٦﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٧﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٩﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٩٠﴾

الْإِسْلَامُ ﴿٨٣﴾ مَنْ يَطْلُبُ بَعْدَ مَبْعَثِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دِينًا غَيْرَ دِينِ الْإِسْلَامِ ، وَشَرِيعَةً غَيْرَ شَرِيعَتِهِ ، فَلَنْ يَرْضَى اللَّهُ مِنْهُ ذَلِكَ ، لِأَنَّ الْإِسْلَامَ الَّذِي جَاءَ بِهِ هُوَ الدِّينُ الْمَرْضِيُّ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، قَالَ تَعَالَى : (وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا) (١) . وَقِيلَ : الْإِسْلَامُ التَّوْحِيدُ ، وَهُوَ الَّذِي أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الشَّرَائِعُ الْإِلَهِيَّةُ ، لِمَا فِيهِ مِنْ إِسْلَامِ الْوَجْهِ لِلَّهِ تَعَالَى .

٨٨ - ﴿يَنْظُرُونَ﴾ يُؤْخَرُونَ عَنْ

الْإِنْقِيَادَ بِسَهُولَةٍ ، يُقَالُ : طَاعَهُ وَفِي لُغَةٍ مِنْ بَابِي بَاعَ وَخَافَ - انْقَادَ لَهُ . وَالْكَرْهُ : الْإِبَاءُ . يُقَالُ : كَرِهَهُ - كَسَمِعَهُ - كَرَّهًا وَكَرْهًا وَكَرَاهِيَةً وَكَرَاهَةً . إِذَا أَبَاهُ . وَالْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ ، أَيْ كَيْفَ يَبْتَغُونَ غَيْرَ دِينِهِ وَالحَالُ هَذِهِ ! وَطَاعَ لَهُ طَوْعًا - مِنْ بَابِ قَالَ .

٨٤ - ﴿وَالْأَسْبَاطُ﴾ أَوْلَادُ يَعْقُوبَ لِصُلْبِهِ . أَوْ أَوْلَادُ أَوْلَادِهِ [آية ١٣٦ البقرة ص ٣٢] .

٨٥ - ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ

وكمال الخير . وأصله التوسع في فعل الخير . يقال : برَّ العبدُ ربَّه ، أى توسع في طاعته . والإنفاق : البذل ، ومنه إنفاق المال . وعن الحسن : كلُّ شيء أنفقهُ المسلم من ماله يتبعى به وجه الله تعالى ويطلب ثوابه حتى الفرة يدخل في هذه الآية .

٩٣ - ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا ﴾
قالت اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف ترعم أنك على ملة إبراهيم وأنت تأكل لحوم الإبل وتشرب ألبانها ، وهى محرمة فى ملته ؟ فقال لهم : كان ذلك حلالاً لإبراهيم . فقالوا : كلُّ شيء تحرمه فإنه كان محرماً فى ملة نوح وإبراهيم حتى انتهى إلينا ، فأنزل الله الآية مكذباً لهم . والمعنى : كلُّ الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل من قبل أن تُنزل التوراة مشتملة على تحريم ما حرم عليهم بسبب بغيتهم وظلمهم ، إلا ما حرّمه إسرائيل - وهو يعقوب عليه السلام - على نفسه وعلى بنيه . باجتهاد منه ، وهو لحوم الإبل وألبانها ، وكانت أحبَّ شيء إليه ، فحرّمت عليهم فى التوراة ، ولم تكن محرمة من قبل فى ملة إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام . ﴿ فَاتَّوَا بِالْتَّوْرَةِ فَآتَلَوْهَا ﴾
﴿ إِنَّ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فلم يحسروا على الإتيان بها فبهتوا .

٩٥ - ﴿ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾
وهى ملة الإسلام التى أنا عليها ،

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٤﴾
﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٥﴾
﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ مِنَ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ اقْتَدَى بِهِ ۖ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٩٦﴾
﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾
* كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ۚ قُلْ فَاَتُوا بِالْتَّوْرَةِ فَآتِلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٨﴾
﴿ فَمِنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٩﴾
﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٠﴾
﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى

يوقفوا لها . فهو من قبيل : - ولا ترى الضبَّ بها يتجحر * أى لا تراه أصلاً حتى يتجحر .
٩٢ - ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ ﴾ لن تبلغوا حقيقة البر . أو لن تنالوا ثوابه حتى يكون ما تبدلون فى سبيل الله مما تحبونه وتؤثرونه من الأموال وغيرها . والتيل : الإصابة . يقال : نال نَيْالً نبلاً ، إذا أصاب ووجد . والبر : الإحسان

العذاب لحظة .
٩٠ - ﴿ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا ﴾
صموا إلى كفرهم ما به ازدادوا فيه . وذلك كالإصرار عليه .
وكطعن أهل الكتاب فى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونقضهم ميثاقه ، وفتنتهم للمؤمنين ، وطعنهم فى القرآن . ﴿ لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ أى لن يتوقع منهم توبة حتى تقبل ، لأنهم غير أهل لأن



بِسَكَّةٍ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ
مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ
حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ
غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابُ لِمَ تَكْفُرُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَتَاهَلُ
الْكِتَابُ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبَغُّوهَا
عُوجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾

والْحَطِيمُ وزمزم ، والمُشَاعِرُ الاستخدام ، وهو ذكر اللفظ
كلها ، ومقام إبراهيم وهو الحجر الذي قام عليه أثناء البناء .
ومنها : إهلاك مَنْ قصده من الجبابرة بسوء ؛ كأصحاب الفيل
وغيرهم . وعدم تعرض ضواري السباع للصيد فيه . ومنها : آمَنُ
من دخله . ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ وقد كان ملتصقا بجدار البيت ،
حتى أخره عمر بن الخطاب رضى الله عنه في خلافته إلى ناحية
المشرق حيث هو الآن ؛ ليتمكن الطائفون من الطواف ، وليصلى
المصلون عنده دون تشويش عليهم من الطائفين . ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ
آمِنًا﴾ الضمير المنسوب عائداً إلى البيت بمعنى الحرم كله ؛ بقرينة
أن بعض هذه الآيات موجود في كل الحرم لا في خصوص
البيت . فهو من بساب

الاستخدام ، وهو ذكر اللفظ
بمعنى وإعادة الضمير إليه بمعنى
آخر . والمراد آمَنُ مَنْ دخله في
الدنيا وفي الآخرة . ﴿وَمَنْ
كَفَرَ﴾ أى جحد فرضية الحج ،
فلم ير فعله برا ولا تركه مأثماً .
٩٩ - ﴿تَبَغُّوهَا عُوجًا﴾ تطلبون
لسبيل الله - وهى ملّة الإسلام -
إعوجاجاً وميلاً عن القصد
والاستقامة . أو تطلبونها معوجةً
أى مائلة زائغة عن الحق . والمراد
طلب ذلك لأهلها ، وذلك
بالتحريش والإغراء بينهم ؛
لتختلف كلمتهم ويختل أمر
دينهم . من البُغَاء - بالضم - وهو
الطلب ؛ يقال : بغيت له كذا
وبُغِيَّةً ، أبغيه بُغَاءً وبُغْيَةً
وبُغْيَةً ، إذا طلبته . والعُوج -
بكسر العين وفتحها - : مصدر
عُوج ، كَتَعِب . قال ابن

حتى تخلصوا من اليهودية التي
اضطرتكم إلى الكذب على الله
بتحريف آياته ، والتشديد على
أنفسكم بتحريم الطيبات .
﴿حَنِيفًا﴾ أى مائلاً عن سائر
الاديان الباطلة إلى الدين الحق
[آية ١٣٥ البقرة ص ٣٢] .

٩٦ - ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ ...﴾
قالت اليهود للمسلمين : بيت
المقدس قبلتنا ، وهو أفضل من
الكعبة وأقدم ، وهو مهاجر
الأنبياء . وقال المسلمون : بل
الكعبة أفضل ، فأنزل الله الآية .
أى إن أول بيت وضعه الله متعبداً
للناس وقبلة للصلاة ، وموضعاً
للحج والطواف ، سواء العاكف
فيه والباد ، هو الكعبة التى بناها
إبراهيم عليه السلام بمكة ، وأنتم
تزعمون أنكم على دينه
ومنهجه ؛ فكيف لا تصلون
إليها ، ولا تنسكون فيها ، مؤمنين
بشريعته ! ﴿بَيْكَةً﴾ لغة في
مكة ، والميم والباء يتعاقبان لغة ؛
كما فى لازم ولازب . ﴿مُبَارَكًا﴾
كثير الخير والنفع لمن حجّه أو
اعتمره ، أو اعتكف فيه أو طاف
حوله ؛ لمضاعفة ثواب العبادة
فيه . من البركة ، وهى النماء
والزيادة .

٩٧ - ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ على
حُرْمته ومزيد فضله ؛ منها : أن
الآمر بينائه الربُّ الجليل ، وبانيه
إبراهيم الخليل ، وهو مهبط
الخيرات ومصعد الطاعات .
ومنها : الحجر الأسود ،

١٠٢ - ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ أي اتقاء حقاً ، أي ثابته واجباً ، من حق الشيء بمعنى ثبت ووجب ، وذلك بأداء ما كلفتم به على قدر الطاقة ، كما قال تعالى بياناً لذلك : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (١) والتقاء : اسم مصدر من اتقى ، كالشودة من اتاد .

١٠٣ - ﴿يَحْتَلِ اللَّهُ﴾ أي بعهد الله ، أو بدينه ، أو بالقرآن ، لأنه سبب يوصل إليه . وأصل الحبل : السبب الذي يتوصل به إلى النجاة . ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَاٍ﴾ على طرف ﴿حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ ليس بينكم وبينها إلا أن تموتوا كفاراً . والشفاء : طرف الشيء وحزفه ، مثل شفا البئر . ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مِنْهَا﴾ بمحمد صلى الله عليه وسلم .

١٠٤ - ﴿أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ الأمة : الجماعة التي تؤم وتقصداً لأمر ما . وتطلق في القرآن أيضاً على أتباع الأنبياء ، وعلى القدوة ، وعلى الملة ، وعلى الطائفة من الزمان ، إلى غير ذلك من معانيها . والمراد بالخير : ما فيه صلاح للناس ، ديني أو دنيوي . وبالمعروف : ما عُرف بالعقل والشرع حسنه . أو ما وافق الكتاب والسنة . وبالمُنكر : ضد ذلك .

١٠٥ - ﴿كَالَّذِينَ تَقَرَّوْا﴾ هم اليهود والنصارى . وفيه زجر

يُنَاقِبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفَرِينَ ﴿١٠٢﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠٣﴾ يُنَاقِبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٤﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٥﴾ وَلَنُكْنِ مِنْكُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٧﴾

الأثر : إن مكسور العين مختص بما ليس بمريء ، كالرأى والقول . والمفتوح مختص بما هو مريء ، كالأجساد . وعن ابن السكيت : أن المكسور أعم من المفتوح . واختار المرزوقي أنه لا فرق بينهما .

١٠١ - ﴿يَعْتَصِمُ بِاللَّهِ﴾ يتمتع بالله ويستمسك بدينه أو كتابه ، من الاعتصام ، وهو الاستمسك بالشيء في منع النفس من الوقوع في آفة . ويقال : اعتصم بالله ، أي امتنع بلطفه من المعصية .

١٠٠ - ﴿إِن تُطِيعُوا قَرِيبًا﴾ أي من اليهود في إثارة الإحن التي كانت بينكم في الجاهلية وتبيح

للمؤمنين عن التفرق والاختلاف للهوى .

١١٠ - ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ أفاد أن هذه الأمة خير الأمم ، وأنفع الناس للناس ؛ لاتصافها بما وصفها الله به في هذه الآية .

١١١ - ﴿إِلَّا أَذَى﴾ أى لن يضركم اليهود إلا ضرراً يسيراً لا يبالى به ؛ كالسب والطعن والتهديد ونحوه ؛ فلا تبالوا بهم . ﴿يُولُوكُمُ الْأَذْبَارُ﴾ ينهزموا ويخذلوا .

١١٢ - ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ...﴾ [راجع آية ٦١ البقرة ص ١٨] ، و﴿تُقِفُوا﴾ أى وجدوا ، أو ظفروا بهم . ﴿إِلَّا يَحْبِلَ مِنَ اللَّهِ﴾ أى لا يسلمون من الذلة في أى حال إلا في حال اعتصامهم بحبل من الله ؛ وهو دينه أو كتابه ؛ ﴿وَحَبْلٌ مِنَ النَّاسِ﴾ وهو عهد الذمة والأمان . والواو بمعنى أو . ﴿بَاءُوا بِغَضَبٍ﴾ رجعوا به مستحقين له . ﴿الْمَسْكَنَةُ﴾ فقر النفس وشحها .

١١٣ - ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ تمهيد لتعداد محاسن مؤمنى أهل الكتاب ؛ كعبد الله بن سلام وأضرابه ، والنجاشي وأصحابه . أى ليس أهل الكتاب متساوين في الاتصاف بما ذكر من القبايح ؛ بل منهم طائفة سلمت منها ، واتصفت بالخير ، وقد وصفها الله هنا بثانية

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١١٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١١٣﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْأَكْتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٤﴾ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتُلُوكُمْ يُولُوكُمُ الْأَذْبَارُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١١٥﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٦﴾ * لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٧﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

أوصاف . ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ طاعة الله ؛ مِنْ قام بمعنى أمة قائمة ثابتة على استقام . تقول : أفت العود



لا يألون جهداً في إفساد أمركم ،
ويودون مضرتكم ومشتتكم في
دنياكم ودينكم . وآية ذلك
ظهور عداوتهم لكم ، وما يخفونه
منها أشد وأقطع ، إنهم
يكرهونكم وأنتم تحبونهم ،
والحال أنكم تؤمنون بكتابهم وهم
يكفرون بكتابكم ، وينافقونكم
بإظهار الإيمان إذا لقوكم ، فإذا
خلوا إلى أنفسهم عضوا عليكم
الأنامل من الغيظ والحقد ، وإن
نلتهم حسنة أساءتهم ، وإن
أصابتكم سيئة أفرحتهم ، فكيف
تخدعون بهم ، وتتخذونهم
بطانة لكم ؟ ! وبطانة الرجل
ووليجه : خاصته الذين
يستبطنون أمره ويدخلونه ،
تشبيهاً ببطانة الثوب للوجه الذي
يلي البدن لقربه ، وهي ضد
الظاهرة . ويسمى بها الواحد
والجمع ، والمذكر والمؤنث .

﴿ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ۖ أَصْلُ
الْأَوَّلِ : التَّقْصِيرُ . يقال : آلا في
الأمْرِ يَأْلُو أَلْوًا وَأَلْوًا ، إذا قَصُرَ
فيه . وهو لازم يتعدى بالحرف ،
ويستعمل متعدداً إلى مفعولين ،
فيقال : لا آلوك نصحاً ، على
تضمن الفعل معنى المنع ، أي لا
أمنعك ذلك والخبال : الشر
والفساد ، أي لا يقصرون لكم
عن جهد فيما يورثكم شراً
وفساداً . أو لا يمتنعونكم خبالاً ،
أي أنهم يفعلون معكم ما يقدرون
عليه من الفساد ولا يبقون شيئاً
منه عندهم . ﴿ وَذُودُوا مَا عَنِتُّمْ ﴾

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ
فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا يَفْعَلُوا
مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٨﴾ مَثَلُ
مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ
أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ
اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَذُودُوا مَا عَنِتُّمْ
قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ
قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٢٠﴾ هَٰئَانَتْ أَوَّلَآءُ

فقام ، أي استقام واعتدل .
﴿ آتَاءَ اللَّيْلِ ﴾ أي ساعاته .
جمع إني وأني وإني وإني .
والهمزة في « آتاء » منقلبة
عن ياء ، كرداء . أو عن واو
ككساء .
١١٦ - ﴿ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ ﴾ لن
تدفع عنهم أو تجزى عنهم .

١١٧ - ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ ﴾ أي
حال ما ينفقه الكفار في الدنيا -
قربة أو مفاخرة وسُمعة في ضياعه
وذهابه وقت الحاجة إليه في
الآخرة ، من غير أن يعود عليهم

أَحِبُّوا عَنَتَكُمْ ، أَى مَشَقَّتِكُمْ
وَشِدَّةَ ضَرْكِكُمْ ، مِنْ الْعَنَتِ ،
وَهُوَ الْوُقُوعُ فِي أَمْرٍ شَاقٍّ ، أَوْ
الْإِثْمِ . وَفَعَلَهُ مِنْ بَابِ طَرَبَ .
و« مَا » مُصَدَّرِيَّةٌ .

١١٩ - ﴿ خَلَوْا ﴾ خلا بعضهم
ببعض ، حيث لا يراهم المؤمنون
[آية ١٤ البقرة ص ٧] .
﴿ عَضُّوا عَلَيْكُمْ ﴾ أى
لأجلكم . والعَضُّ معروفٌ ،
مُصَدَّرُ عَضَّ ، مِنْ بَابِ فَرَحَ .
وَالْأَنَامِلُ : رِجْلُ الْأَصَابِعِ ،
جَمْعُ أُنْمَلَةٍ . وَالْغَيْظُ : أَشَدُّ
الْغَضَبِ . وَعَضُّهُمْ الْأَنَامِلَ :
كِنَايَةٌ عَنْ شِدَّةِ غَضَبِهِمْ
وَتَحَسُّرِهِمْ : لَمَّا يَرَوْنَ مِنْ اتِّتِلَافِ
الْمُؤْمِنِينَ وَاجْتِمَاعِ كَلِمَتِهِمْ ،
وَعَجْزِهِمْ عَنْ أَنْ يَجِدُوا سَبِيلًا إِلَى
التَّشْفِي مِنْهُمْ .

١٢١ - ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ
أَهْلِكَ ﴾ واذكر لهم وقت
خروجك غَدَوَةً إِلَى غَزْوَةِ أَحَدٍ مِنْ
حُجَرَةِ عَائِشَةَ ، لِيَتَذَكَّرُوا مَا وَقَعَ
فِيهِ مِنَ الْأَحْوَالِ النَّاشِئَةِ عَنْ عَدَمِ
الصَّبْرِ ، فَيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ إِذَا لَزِمُوا
الصَّبْرَ وَالتَّقْوَى لَا يَضُرُّهُمْ كَيْدُ
أَعْدَائِهِمْ . ﴿ نُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
نُنَزِّلُهُمْ وَنُهِئُهُمْ لِمِمْ مَوَاطِنَ
وَأَمَاكِنَ لِلْقِتَالِ . يُقَالُ : بَوَّأْتَهُ
وَبَوَّاتُ لَهُ مَنَزَلًا أَنْزَلْتُهُ فِيهِ .
﴿ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ مَوَاطِنَ
وَمَوَاقِفَ لَهُ يَوْمَ أَحَدٍ .

١٢٢ - ﴿ إِذْ هَمَّتْ
طَائِفَتَانِ ﴾ هُمَا حَيَّتَانِ مِنْ

مُحِبِّيهِمْ وَلَا يُحِبُّونَكَ وَتُؤْمِنُونَ بِأَلِ كِتَابِكُمْ وَإِذَا الْقَوْمُ
قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ
قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾
إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُومُهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا
وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ
بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ
الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّتْ
طَائِفَتَانِ مِنْكَ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا
اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ
يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بَلَائِكُمْ بِلَايَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
مُنْزِلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ

الْأَنْصَارِ : بَنُو سَلَمَةَ مِنْ
الْخَزَرَجِ ، وَبَنُو حَارِثَةَ مِنْ
الْأَوْسِ ، وَكَانَا جَنَاحِي الْعِسْكَرِ .
وَالْفَشْلُ : الْجُبْنُ وَالْحَوَرُ .
يُقَالُ : يَفْشَلُ فَشَلًا فَهُوَ فَشِيلٌ ،
أَى جَبَانٌ ضَعِيفُ الْقَلْبِ .
وَالظَّاهِرُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مَجْرَدَ
حَدِيثِ نَفْسٍ عِنْدَ رُؤْيَا أَنْخِذَالِ
رَأْسِ الْمُنَافِقِينَ : عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي
مَعَ أَصْحَابِهِ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

١٢٣ - ﴿ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ أى
ضَعْفَاءُ لِقَلَّةِ الْعَدَدِ وَالْعُدَدُ .
فَقَابِلُوا هَذِهِ التَّعْمَةَ بِأَمْثَالِ أَمْرِ اللَّهِ
وِطَاعَتِهِ وَشُكْرِهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ .
١٢٤ ، ١٢٥ - ﴿ إِذْ تَقُولُ
لِلْمُؤْمِنِينَ .. ﴾ أى فِي يَوْمِ بَدْرٍ ،
وَقَدْ أَمَدَّ اللَّهُ فِيهِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَلْفٍ مِنْ
الْمَلَائِكَةِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى :
(فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ
بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ) ^(١) . ثُمَّ زَادَ
عَدَدَهُمْ إِلَى ثَلَاثَةِ آلَافٍ ، كَمَا قَالَ

التي لا بُطءَ فيها . وقد تحقق من
المشركين ذلك حيث أوثا على
عجل دون إبطاء لإنقاذ الغير من
المسلمين . ﴿مُسُومِينَ﴾ معلمين
أنفسهم أو خيلهم بعلامات
مخصوصة . وقرئ بالفتح ، أى
معلمين من جهته تعالى بعلامات
القتال ، من التَّسْوِيم ، وهو
إظهار علامة الشيء .

١٢٧ - ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا﴾ أى
ولقد نصركم الله يوم بدر ليهلك
طائفة ﴿مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
بالقتل والأسر . أو بخزيم
ويغنيهم بالهزيمة . أو يتوب
عليهم إن أسلموا . أو يعذبهم
العذاب الشديد في الآخرة إن
ماتوا مصرين على الكفر ، وليس
لك من أمرهم شيء ، إنما أنت
عبد مأمور بإنذارهم وجهادهم .

فجملة «ليس لك من الأمر
شيء» اعتراض بين المعطوف
والمعطوف عليه . وأصل
الْكُتِبَتْ : الخزي
والإذلال . ﴿يَكْتَبُهُمْ﴾ يخزيهم
ويغنيهم بالهزيمة .

١٣٠ - ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا﴾ مع
نهي عن تعاظم الربا ، مع
تقريعهم لما كانوا عليه من تضعيف
الفائدة الربوية . فقوله :
﴿أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ ليس لتقييد
النهي به ، بل هو بيان لما كانوا
عليه في الجاهلية من التعامل
الفساد المؤدى إلى استئصال
المال . وقد حرم الله أصل الربا
ومضاعفته .

فَوَرِهِمْ هَذَا يُمَدِّدُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
مُسُومِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ
قُلُوبُكُمْ بِهِ . وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ
الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَبُهُم
فَيَقْبَلُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ
عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا
الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾

تعالى : ﴿الَّذِينَ يَكْفِيكُمْ أَنْ
يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ
الْمَلَائِكَةِ﴾ أى يكفيكم ذلك ؟
ولذا قال تعالى : ﴿بَلَى﴾ . ثم
صار خمسة آلاف : لقوله
تعالى : ﴿إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا
وَيَأْتِيَكُمْ مِّنْ قَوْرِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ
رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ
الْمَلَائِكَةِ﴾ وقد صبروا واتقوا ،
وأتاهم المشركون من مكة قوراً
حين استنفرهم أبو سفيان لإنقاذ
الغير . فكان المدد خمسة
آلاف ، كما روى عن قتادة .
وقال الشعبي : إن المدد لم يزد
على الألف ، وقد بلغ المسلمين
أن كُرِّزَ بن جابر المُحَارَبِيَّ يريد



وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣٣﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٤﴾ * وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ
مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٥﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
وَالْكُنُظْمِ الْأَعْيَظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا
أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ
الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٧﴾
أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٨﴾
قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٩﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ
وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ
الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤١﴾ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ
مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ

١٣٣ - ﴿عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ .. ﴿عَرْضُهَا﴾ كعرضها . والمراد أنها في غاية السعة والبسط ؛ فشبهت بأوسع ما يتصوره الإنسان . وخصَّ العرض بالذكر للمبالغة في ذلك ؛ لأنه غالباً يكون أدنى من الطول . أى فإذا كان عرضها كذلك فما بالك بطولها ؟

١٣٤ - ﴿فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ في اليسر والعسر . والمراد أنهم لا يتركون الإنفاق في الخير في جميع الأحوال . ﴿وَالْكُنُظْمِ الْأَعْيَظِ﴾ المُمْسِكِينَ عليه ؛ الكافين عن إمضائه مع القدرة عليه ؛ من الكُظْمِ ، وهو الحبس . يقال : كُظِمَ البعير جُرَّتْهُ ، إذا رُدَّها وكفَّ عن الاجترار . وكُظِمَ القربة : ملأها وشدَّ على رأسها مانعاً من خروج ما فيها . والعَيْظُ : توقُّدُ حرارة القلب من الغضب .

١٣٥ - ﴿فَاحِشَةً﴾ فَعَلَةٌ بِالْعَةِ فِي الْقُبْحِ كَالزُّنَا ؛ من الفَحْشِ ، وهو مجاوزة الحدِّ في السُّوء . ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بارتكاب أى ذنب . وعطفه على ما قبله من عطف العام على الخاص .

١٣٧ - ﴿سُنَنٌ﴾ وَقَائِعٌ فِي الْأُمِّ الْمَكْذُوبَةِ ، أَجْرَاهَا اللَّهُ حَسِبَ عَادَتُهُ ؛ وَهِيَ الْإِهْلَاكُ عِنْدَ التَّمَرُّدِ وَالْعَصْيَانِ .

١٣٩ - ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ تحريضٌ عَلَى الْجِهَادِ وَالصَّبْرِ ، وَتَشْجِيعٌ

للمؤمنين وتسلية لهم عما أصابهم يوم أُحُد . أى لا تضعفوا بالذى نالكم من عدوكم يوم أُحُد عن القتال في سبيل الله ، ولا تحزنوا على من قُتِلَ منكم ولا على ما فاتكم من الغنيمة . والوهن - بالسكون والتحريك - : الضعف .
١٤٠ - ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ الْقَرْحُ - بفتح القاف وضمها - : عَضُّ السِّلَاحِ وَنَحْوُهُ مِمَّا يَجْرَحُ الْجَسَدَ ؛ فَيَشْمَلُ الْقَتْلَ

الذهب بالنار ومحضته . إذا
أزلت عنه ما يشوبه من خبث .
أو من التمحيص بمعنى الابتلاء
والاختبار ﴿وَيَمْحَقُ
الْكَافِرِينَ﴾ يهلكهم إن كانت
الدولة عليهم . من المحق
وهو محو الشيء والذهاب به .
وأصله : نقص الشيء قليلاً حتى
يفنى . يقال : محق فلان هذا
الطعام . إذا نقصه حتى أفناه
محققاً .

١٤٢ - ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ
تَدْخُلُوا﴾ عتاب للمهزمين يوم
أحد ، أى بل أظننتم أن تدخلوا
الجنة وتنالوا درجة القرب
والرضا . ولما تجاهدوا في سبيل
الله جهاد الصابرين على أمره
وشدائده ! ولقد كنتم قبل هذا
اليوم تتمنون أن تنالوا مرتبة
الشهادة ؛ لتلحقوا بمن استشهد
من إخوانكم ببدر ، وتلحقون من
أجل ذلك على الرسول صلى الله
عليه وسلم في الخروج إلى
القتال ؛ فلما حمى وطيسه ورأيت
بأعينكم ما تمتمت حين استشهد
بعض إخوانكم لم تلبثوا أن
انهزمت . ولم تثبتوا لأعدائكم !
﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ﴾ أى ولم
تجاهدوا جهاد الصابرين فيعلم الله
ذلك منكم . وهو مثل ما
يقال : ما علم الله في فلان
خيراً ؛ ويراد : ما فيه خير حتى
يعلمه . فهو كناية عن نفي تحقق
هذا الجهاد منهم في الماضي مع
توقعه في المستقبل .

وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۖ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الظَّالِمِينَ ﴿١٤١﴾ وَلَيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ
الْكَافِرِينَ ﴿١٤٢﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا
يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٣﴾
وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ
وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ
مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يَنْفَكُونَ عَنْ أَفْقَارِكُمْ
وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ
الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ

والجراح . أو هو الجراح . أى إن
نالوا منكم يوم أحد فقد نلتهم منهم
قبله يوم بدر ، ثم لم يشطهم ذلك
عن العودة إلى قتالكم ؛ فأنتم
أولى ألا تضعفوا إذ أنكم ترجون
من الله ما لا يرجون . ﴿وَتِلْكَ
الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾
نصرفها بينهم فتدبيل هؤلاء مرة
وهؤلاء أخرى : أدبيل المسلمون
من المشركين يوم بدر فقتلوا منهم
سبعين وأسروا سبعين ، وأدبيل
المشركون من المسلمين يوم أحد
حتى جرحوا سبعين وقتلوا خمسة
وسبعين ؛ من المداولة ، وهى
نقل الشيء من واحد إلى آخر .
يقال : تداوكته الأيدي . إذا
انتقل من واحد إلى آخر . ومنه
قولهم : الدولة - بالضم -
للكرّة . والأيام دُول : يوم
هؤلاء ويوم هؤلاء . ﴿وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى نداولها بينهم
وبين عدوكم ؛ ليظهر أمركم ،
وليعاملكم الله معاملة من يريد أن
يعلم المخلصين من غيرهم . أى يميز
الثابتين على الإيمان من غيرهم .
وإطلاق العلم على التمييز مجاز ،
من إطلاق اسم السبب على
المسبب .
١٤١ - ﴿وَلَيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا﴾ وليطهرهم ويصفيهم من
الذنوب ؛ من المحص . أو
التمحيص . يقال : محصت

١٤٤ - ﴿انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ رجعتكم إلى ما كنتم عليه من الكفر والضلال . يقال لكل من رجع إلى حاله السيئ الأول : نكص على عقبيه ، وأرند على عقبيه . والعقب مؤخر الرجل ، وجمعه أعقاب .
١٤٥ - ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ...﴾ تعريض على الجهاد ، وإعلام بأن الحذر لا يدفع القدر ، وأن أحدا لن يموت قبل أجله ، وإن خاض المهالك واقتحم المعارك ؛ فقد كتب الله ذلك كتاباً مؤقتاً ، قدر فيه الأجل المعلوم ، فلا يتقدم ولا يتأخر . ﴿كِتَاباً مُّوجَّلاً﴾ مؤقتاً بوقت معلوم .

١٤٦ - ﴿وَكَايُنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلْ...﴾ كلامٌ مستأنف ، سبق توبيخاً للمنهزمين ، حيث لم يستنوا بسنن الربانيين المجاهدين مع الرسل . مع أنهم أولى بذلك حيث كانوا خير أمة أخرجت للناس . «وكاين» كلمة مركبة من كاف التشبيه وأى الاستفهامية المثبوتة ، ثم هجر معنى جزئها وصارت كلمة واحدة بمعنى كم الخبرية المفيدة للتكثير ، يُكنى بها عن عدد مبهم فتفتقر إلى تمييز بعدها . وهي مبتدأ خبره جملة ﴿قَاتَلْ مَعَ رَبِّيُونَ﴾ أى وكثير من الأنبياء قاتل معه لإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه علماء أتقياء . أو عابدون أو جماعات كثيرة ؛ فما جئوا وما ضعفوا عن الجهاد وما

كُنْصاً مُّوجَّلاً وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾
وَكَايُنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلْ مَعَ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِبِعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا بِرُدُّوهُمْ عَلَىٰ عَقَبِهِمْ فَتَنَقَّلُوا خَلْسِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَلِّقْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَهُمْ يُنْزِلُ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ

خضعوا للأعداء . «وربيون» استكانوا أى ما خضعوا ؛ من جمع ربّي وهو العالم بربه ، المنسوب إلى الرب كالرّباني ؛ وكسر الراء من تغييرات النسب . أو منسوب إلى الرتبة وهي الجماعة . ﴿فَمَا وَهَنُوا...﴾ أى فما جئوا عن الجهاد . وأصل الوهن : الضعف . أريد به ما ذكر بقرينة عطف قوله : «وما ضعفوا» عليه . ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ أى ما خضعوا ؛ من الاستكانة وهي الخضوع . وأصلها من السكون ؛ لأن الخاضع يسكن لمن خضع له . أو ماذلوا ؛ من الكون . يقال : أكانه يُكِنُّه إذا ذلّه .
١٥٠ - ﴿اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ الله ناصركم لا غيره .
١٥١ - ﴿سَلِّقْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ...﴾ أى



إِذْ تَحْسَبُهُمْ بِأَذْنِهِ حَتَّى إِذَا فُتِنْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ
وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا
وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ
وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥١﴾
* إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلُونِ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ
فِي أُنْحُرِكُمْ فَأَتَيْنَاكُمْ عَمَّا بَعْدَ لَيْكِلَا تَخْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ
وَلَا مَا أَصْبَحَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٢﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ
عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَاعَسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِنْكُمْ
وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ

النصر : فجواب الشرط
محذوف ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾
ردكم عنهم بهزيمتكم
﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ ليعاملكم معاملة
من يمتحن غيره ، ليميز الصابر
المخلص من غيره .

١٥٣ - ﴿إِذْ تَصْعَدُونَ﴾ متعلق
بـ «صرفكم» أي تذهبون في
الوادي وتمضون فيه هرباً من
عدوكم ، من الإصعاد ، وهو
الذهاب في صعيد الأرض
والإبعاد فيه . يقال : أصد في
الأرض ، إذا أبعد في الذهاب
وأمن فيه ، فهو مضعد . ﴿وَلَا
تَلُونِ﴾ لا تعرجون على أحد
منكم ، ولا تلتفتون إلى
ما وراءكم من شدة الهرب ، من
لوى بمعنى عطف . ﴿عَمَّا بَعَمُ﴾
أي حزناً متصلاً بحزن .

١٥٤ - ﴿أَمْنَةً نَاعَسًا﴾ الأمانة -
بفتحتين - : الأمن .
والنعاس : الفتور في أوائل
النوم . أي ثم أعقبكم بما
أصابكم من الخوف والرعب أمناً
تنامون معه أيها المؤمنون وأنتم في
مصافكم . أما المنافقون فلم يلق
عليهم النعاس وبثوا في خوفهم
فرعين : و «نعاساً» بدل من
«أمانة» . ﴿يَغْشَى﴾ يلبس
كالغشاء . ﴿لِيَبْرَزَ﴾ لخرج .
﴿إِلَى مُضَاجِعِهِمْ﴾ مصارعهم
التي قدر الله قتلهم فيها بأحد ،
وقتلوا هنالك اليته ، فإن قضاء

الخوف والفرع . يقال : رعبه
يرعبه ، خوفه . وأصله من
الماء ، يقال : سئل راعباً ،
إذا ملأ الأودية . ورعبت
الحوض : ملأته . أي ستملاً
قلوب المشركين خوفاً وفرعاً .
﴿مَالَكُمْ يُبْرَلُ بِهِ سُلْطَانًا﴾ أي
أشركوا به آلهة لم يبرل الله بها
حجة . والمراد : أنه لا حجة لهم
حتى ينزلها . وسُميت الحجة
سلطاناً لقوتها ونفوذها . وأصل
المادة يدل لغة على الشدة
والقوة ، ومنها السليط للشديد ،
واللسان الطويل ، والسليط :
التغليب . وإطلاق القهر
والقدرة . ﴿مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾

مكان إقامتهم واستقرارهم .
يقال : ثوى بالمكان وفيه يثوى
ثواءً وثوياً ، وأثوى به ، أطال
الإقامة به أو نزل .

١٥٢ - ﴿إِذْ تَحْسَبُوهُمْ﴾
تقتلونهم قتلاً ذريعاً . يقال :
حسه حساً ، إذا قتله .
وحقيقته : أصاب حسه بآفة
فأبطلها ، نحو كبده وفأده ، أي
أصاب كبده وفأده . ومنه :
جراذ محسوس ، وهو الذي قتله
البرد ، أو مسته النار . ﴿حَتَّى
إِذَا فُتِنْتُمْ﴾ جبتم وضعفتم أمام
عدوكم ﴿وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ
وَعَصَيْتُمْ﴾ أمر نبيكم منعكم الله

الله لا مرد له ، ولا ينفع الحذر مع القدر . جمع مضجع ، وهو مكان الاضطجاع . ﴿ وَلِيَبْتَلِيَ ﴾ ليختبر وليمتحن وهو العليم الخبير . ﴿ وَلِيَمْحَصَ ﴾ ليخلص ويزيل أو ليكشف ويميز .

١٥٥ - ﴿ اسْتَرْهَمُوا الشَّيْطَانَ ﴾ طلب زلتهم وخطيئتهم . أو حملهم عليها بوسوسته لهم : أن يخالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم لهم بالثبات في مواقفهم التي عينها لهم ، فطاعوه فحرموا التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا .

١٥٦ - ﴿ ضَرْبُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ سافروا فيها لتجارة أو غيرها فاتوا . وأصل الضرب : إيقاع شيء على شيء ، ثم استعمل في السير ، لما فيه من ضرب الأرض بالأرجل ، ثم صار حقيقة فيه . ﴿ أَوْ كَانُوا غُرَى ﴾ أى غزاة فقتلوا . جمع غاز ، كصائم وضوم . والغزو : الخروج لمحاربة العدو . وأصله قصد الشيء ، ومنه المغزى . أى المقصد .

١٥٩ - ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ ﴾ فبرحمة عظيمة . ﴿ لَئِنْ لَّهُمْ ﴾ سهلت لهم أخلاقك ولم تعنفهم . ﴿ فَظًّا ﴾ كبريه الخلق : خشن الجانب ، جاقباً في المعاشرة قولاً وفعلاً . وفعله من باب تعب . وأصل الفظ : ماء الكرش .

الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيَمْحَصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٧﴾ يَتَأَيَّسَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّمُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٨﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٩﴾ وَلَئِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٦٠﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنِتَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٦١﴾

وهو مكروه طبعاً . ﴿ غَلِيظَ الرَّقَّةِ ﴾ وتنشأ عنها الفظاظة القلب قاسيه : من الغلظة ضد ففعله ككرم وضرب .

إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ
فَنَازِلٌ الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ
بِمَا غُلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَقِمِّنْ أَتَبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كُنْ بَاءً بِسَخَطِ
مِنَ اللَّهِ وَمَا وَهَّ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَتٌ
عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ
آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا
مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ

أى فإذا عقدت قلبك على الأمر
بعد المشورة ، فاعتمد على الله في
إمضائه وقوض أمرك إليه ، فإن
بيده مقاليد الأمور كلها ، فما شاء
كان ، وما لم يشأ لم يكن .
والتوكل : الاعتماد على الله
والتفويض إليه . وهو لا ينافي
الأخذ بالأسباب ، ومنها
الشورى ، كما تشير إليه الآية ،
وحديث : (اعقلها وتوكل) (١)
والله تعالى خلق الأسباب
والمسيبات ، وربط بينهما ربطاً
عادياً ، وجعلها من سنته الكونية ،
فترك الأخذ بها جهلاً ، وترك
التوكل عليه زندقاً .

١٦٠ - ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ فلا
قاهر ولا خاذل لكم .

١٦١ - ﴿أَنْ يَغُلَّ﴾ يخون في
الغنائم ، من الغلول ، وهو
الأخذ من الغنيمة خفية قبل
قسمتها . يقال : غلَّ شيئا من
الغنم يغلل غلولا ، أخذه خفية .
وأصله من الغلل ، وهو دخول
الماء في خلل الشجر . وسميت
هذه الحياثة غلولا ، لأنها تجرى
في المال على خفاء من وجه
لا يحل . والمراد : تنزيهه صلى الله
عليه وسلم عما اتهمه به بعض
النافقين يوم بدر . أو المراد نهى
أمته صلى الله عليه وسلم عن
الغلل .

١٦٢ - ﴿بَاءً بِسَخَطٍ﴾ رجع
متلبساً بغضب شديد .

﴿لَا تَقْصُوا﴾ لفرقوا ونفروا .
﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ أى فى
أمر الحرب ونحوه مما تجرى فيه
المشاورة عادة . وفى أمر الدين
الذى لم ينزل فيه وحى ،
للاستظهار بأرائهم ، ولتطيب
قلوبهم ، ولتستشرك أمثك فى
ذلك . روى عنه صلى الله عليه
وسلم أنه قال : (أما إن الله
ورسوله لبعثان عنها ، ولكن
جعلها الله تعالى رحمة لأمتي ،
فمن استشار منهم لم يعدم رشداً ،
ومن تركها لم يعدم غيا) (١) . وقد
درج الأئمة الراشدون من بعده

صلى الله عليه وسلم على هذه
السنة التى هى من أهم عزائم
الأحكام فى الإسلام . وإنما كانوا
يستشيرون الأئمة الصالحاء من
أهل العلم والدين ، والبصر
بالأمور ، والصدق والأمانة ،
والشجاعة فى الحق . والمشورة
والمشاورة : استخراج الرأي
بمراجعة البعض البعض . مأخوذة
من قولهم : شرت الدابة ، إذا
علمت خبرها بجري أو غيره . أو
من قولهم : شرت العسل
واشترته ، إذا أخذته من الخلية .
﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾

١٦٤ - ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي من قومه ، أو من العرب مطلقاً . ﴿وَزَكَّيْهِمْ﴾ يطهرهم من الكفر والذنوب . أو يدعوهم إلى ما يكونون به زاكين طاهرين مما كانوا عليه من دنس الجاهلية : والاعتقادات الفاسدة .

١٦٥ - ﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَكُمْ﴾ أحياناً نالكم من المشركين يوم أحد نصف ما نالهم منكم قبل ذلك يوم بدر . رجعت وقلتم : من أين لنا هذا القتل والخذلان ونحن مسلمون نقاتل غضباً لله وفيما رسوله ، وهؤلاء مشركون ؟! ﴿أَتَى هَذَا﴾ من أين لنا هذا الخذلان ؟ ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي الذي نالكم إنما هو من شؤم مخالفتكم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم .

١٦٨ - ﴿فَادْرَأُوا﴾ فادفعوا ﴿عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن الحذر يدفع القدر .

١٦٩ - ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آية ١٥٤ البقرة ص ٣٦] .

١٧٢ - ﴿أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ نالهم القتل والجراح بالسلاح يوم أحد [آية ١٤٠ من هذه السورة ص ٩٥] .

قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَيْ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ .
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَنَكُمُ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمِيذٍ اقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَنِ يَقُولُونَ يَا قُوهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِأَخَوْتِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَهُمْ النَّاسُ إِنْ النَّاسُ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّهِنَّ سَوَاءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ



١٧٨ - ﴿وَلَا يَحْسِنُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ولا يظن الذين كفروا أن إيماننا لهم بإطالة أعمارهم - مع ما هم فيه من التمتع بطيبات الدنيا وزينتها ، وعلى ما هم عليه من الكفر والطغيان - خير لأنفسهم ؛ إنما نعملهم لازدياد ذنوبهم وأثامهم بتعريضهم وتجريضهم . والإملاء في الأصل : إطالة المدة . يقال : أملئ عليه الزمان ، طال عليه . وأملئ له : طول له وأمله .

١٧٩ - ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ..﴾ ما كان الله مريداً لأن يترككم ، على ما أنتم عليه أيها المؤمنون من اختلاط المخلص بالنافق ، حتى يميز النافق منكم من المخلص ؛ بالامتحان والابتلاء ، وقد وقع ذلك في يوم أحد . يقال : ميزت الشيء أميزه ميّزًا ، فصلت بعضه عن بعض . وميزته : فرقته بين جزئيه . ﴿يَجْتَنِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ فيطلعه على بعض غيبه ، ومن ذلك نفاق المنافقين وإخلاص المؤمنين ؛ كما قال تعالى : «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ» (١) . من الاجتناء بمعنى الاختيار . واجتناء الله العبد : تخصيصه إياه بفيض إلهي . يحصل له منه أنواع من النعم بلا كسب منه .

١٨٠ - ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ سيجعل ما بخلوا به من المال الواجب عليهم أداؤه طوقاً من نار في

الشَّيْطَانُ يَخَوْفُ أَوْلِيَائَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسِنُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّمَا تُمَلِي لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا تُمَلِي لَهُمْ لِيَزَادُوا إِيمَانًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَنِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَفَاعِلُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَاءٍ أَنْتَهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ مِيراثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾

١٧٥ - ﴿يَخَوْفُ أَوْلِيَائَهُ﴾ أي في قلوبكم . وهم أبو سفيان يخوفكم أوليائه ؛ بأن يعظمهم وأصحابه .

أعناقهم يوم القيامة . أو سُلْزَمُونَ
وبال ما يَخْلُوا به إلزام الطوق .

١٨٢ - ﴿لَيْسَ بِظِلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾
أى ليس بذى ظلم لهم أصلاً حتى
يعذبهم بدون جرم ؛ بل هو
عادل ، ومن العدل أن يُثِيبَ
المطيع ويعذب العاصي . وصيغة
«ظلام» صيغة نَسَبٍ ؛ كعطار
وليان .

١٨٣ - ﴿عَهْدَ الْبَيْنَا﴾ أمرنا
وأوصانا في التوراة . ﴿يَقْرَبَانِ﴾
ما يُتَقَرَّبُ به إلى الله من أنواع
السِرِّ . مصدر كالعُفْران
والرَّجْحان ؛ من قولك : قَرِبَ
قُرْبَانًا ؛ سُمِّيَ به المتقرب به إلى
الله تعالى من نَعَمٍ وغيرها .

١٨٤ - ﴿وَالزُّبُرِ﴾ أى الكتب .
جمع زبور ، وهو الكتاب
المقصود على الحكيم والمواعظ ؛
كزبور داود عليه السلام . من
الزُّبُر وهو الزجر ؛ لزجره عن
الباطل . وأما الكتاب فهو
ما تضمن الأحكام والحكم .

١٨٥ - ﴿زُخْرَجَ عَنِ الثَّارِ﴾ بعد
ونحى عنها . ﴿الْعُرُورِ﴾ الخداع
أو الباطل الفاني .

١٨٦ - ﴿لَتُبْلَوْنَ﴾ والله لَتُخْتَبَرَنَّ
وَتُمْتَحَنَنَّ في أموالكم وأنفسكم
حتى يبين الجازع من الصابر ،
والمخلص من المنافق ؛ من
الابتلاء وهو الاختبار
والامتحان . والمراد : أنه تعالى

يعاملهم بهذه الحن معاملة من
يختبر غيره ليمتيز الصادق من
الكاذب . وقد أخبرهم الله بذلك

ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٦﴾
الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ بِرُسُولِهِ حَتَّى
يَأْتِينَا يُقْرَبَانِ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ
قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ
قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٨﴾
كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ
فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٩﴾
* لَتُبْلَوْنَ فِيْ أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا
وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ ﴿١٩٠﴾
وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ
لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا
بِهِ بِعَمَلٍ قَلِيلٍ فَنَسُوا مَا بَشَّرْتُمُوهُمْ ﴿١٩١﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ
يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا
تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٩٢﴾

ليوطنوا أنفسهم على احتماله عند ١٨٧ - ﴿قَبْدُوهُ﴾ أى طرحوه
وقوعه ، ويستعدوا للقاتله ، ولم يراعوه .

ويقابلوه بحسن الصبر والثبات . ١٨٨ - ﴿بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾



القشر. جمع لب بوزن قفل .

١٩١ - ﴿بَاطِلًا﴾ عيبًا وهزلًا ،
عاريًا عن الحكمة : خاليًا عن
المصلحة ، بل خلقته مشتتًا على
حكم جليلة ، منتظمًا لمصالح
عظيمة ، يدور عليها أمر معاش
العباد ، ومعرفة أحوال المبدأ
والمعاد . ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيها
لك عما لا يليق بك من خلق
الباطل ! ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾
فاحفظنا من عذابها .

١٩٢ - ﴿أَخْرَجْتَهُ﴾ فضحته أو
أهنته أو أهلكته .

١٩٣ - ﴿مُنَادِيًا﴾ الرسول أو
القرآن . ﴿ذُنُوبَنَا﴾ أى الكبائر .
﴿وَكَفَرْنَا عَنْ سَيِّئَاتِنَا﴾ أزل عنا
صغائر ذنوبنا . ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ
الْأَبْرَارِ﴾ أى فى زميرهم ، وعلى
مثل أعمالهم . والأبرار : الأنبياء
والصالحون . جمع بر ، كبر
وأرباب . أو جمع بار ،
كصاحب وأصحاب . وهو الكثير
الخير والاتساع فى الإحسان .

١٩٦ - ﴿لَا يَغْرَنَكَ﴾ تَقَلُّبُ
الخطاب للرسول صلى الله عليه
وسلم والمراد أمته . أى لا يغرنكم
ضربهم فى الأرض ، وتصرفهم
فى البلاد للتجارات وطلب
المكاسب والأرباح ، وما هم فيه
من رَعْد العيش .

١٩٧ - ﴿وَبَشِّرِ الْمَهَادُ﴾ ما
مَهْدُوا لأنفسهم فى جهنم
بكفرهم . وأصل المهاد :

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿١٩٨﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ
الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٩﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ
اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ
فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠٠﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ
أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿٢٠١﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا
مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَعَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ
لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿٢٠٢﴾
رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسْلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ
إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَتَى
لَا أَصْبَحُ عَمَلٍ عَمِلَ مِنْكُمْ مِّن ذِكْرٍ أَوْ أُنْتَىٰ بَعْضُكُمْ
مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُودُوا
فِي سَبِيلِي وَقُتِلُوا وَقُتِلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَأَدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن
عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿٢٠٤﴾ لَا يَغْرَنَكَ
تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿٢٠٥﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ

بمُتَّجَاهٍ من العذاب . مصدرٌ ١٩٠ - ﴿الْأَلْبَابِ﴾ العقول
بمعنى الفوز . تقول : فاز يفوز إذا الخالصة عن شوائب الحس
والوهم ، خلوص القلب عن

الْفِرَاشُ الَّذِي يُوَطُّ لِلصَّبِيِّ وَيُجَهَّدُ .

١٩٨ - ﴿نُزُلًا﴾ أى حال كون الجنات ضيافة وإكرامًا من الله تعالى ، أعدّها لهم كما يُعَدُّ الْقَرَى للضيف . وأصل النزول - بضمين وبضم فسكون - : ما يُعَدُّ للضيف أول نزوله من الطعام والشراب والصلة ، ثم اتسع فيه فأطلق على الرزق والغذاء وإن لم يكن ضيف ، وجمعه أنزال .

٢٠٠ - ﴿اصْبِرُوا﴾ أى على المصائب فلا تجزعوا ، وعلى الطاعات فلا تضجروا ، وعن المعاصي فلا تشتهوا . ﴿وَصَابِرُوا﴾ غالبوا الأعداء في الصبر على شدائد الحرب ، ولا تكونوا أضعف منهم فيكونوا أشد منكم صبرًا . ﴿وَرَابِطُوا﴾ أقيموا فى الثغور ، رابطين خيلكم فيها ، مترصدين للغزو ، مستعدين له أكثر من أعدائكم . والمراد به : الحث على مداومة الجهاد فى سبيل الله ، إذ هو سبيل الفلاح . والله أعلم .

جَهَنَّمَ وَيَبْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ لَا يَرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَاقِبَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

(٤) سُورَةُ النِّسَاءِ مَلَانِيَّةً
وَأَيَّاهَا ١٧٦ نَزَلَتْ بَعْدَ الْمُهَدِّدَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا

سورة النساء

القدرة ، وأقوى الدواعى إلى اتقاء موجبات نقمته ، وإلى

١ - ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هى آدم عليه السلام . وقال تعالى : (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وذلك من أظهر الأدلة على كمال مراعاة حقوق الأخوة فيما بينكم . وخلق من آدم زوجة حواء : كما

الأولياء الجور والظلم في نكاح
اليتامى اللاتي في ولايتكم
فانكحوا من غيرهن ما طاب
لكم من النساء . وقد علم الله
تعالى أن مصلحة الرجال
والنساء - بل مصلحة المسلمين -
قد تستدعي تعدد الزوجات ؛ بل
قد توجه في بعض الحالات .
وعلم أن التعدد المطلق مظنة الجور
والفساد ؛ فأباح التعدد وحدد
غايته بأربع بحيث لا يجوز الزيادة
عليهن . وقيد الإباحة بالعدل
بينهن فيما يستطيع الإنسان العدل
فيه بحسب طاقته البشرية ؛ فإن
عجز عنه لم يبيح له التعدد .
وقوله : ﴿ مَتْنِي ﴾ أي اثنتين
اثنتين ، و ﴿ ثَلَاث ﴾ أي ثلاثاً
ثلاثاً ، و ﴿ رُبَاع ﴾ أي أربعاً
أربعاً . وهو كما تقول للجماعة :
اقتسموا هذا المال ، وهو ألف
درهم : درهمين درهمين ،
وثلاثة ثلاثة ، وأربعة أربعة ؛
فيصيب كل واحد ما أراد من
العدد بعد قصره على أربعة ؛
وعدم جواز الزيادة عليه . وقد
أمر الرسول صلى الله عليه وسلم
غِيْلَانَ الثَّقَفِيَّ حين أسلم وأسلم
نِسْوَتِهِ - وكنَّ عشراً - أن يختار
أربعاً منهن ويفارق سائرهن .
﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ أي فإن
علمتم أنكم لا تعدلون بين الأكثر
من الواحدة في القسمة والنفقة
وحقوق الزوجية بحسب
طاقتكم ؛ كما علمتم في حق
اليتامى أنكم لا تعدلون ؛ فالزموا

أَنْحَيْتِ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ
إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٣﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي
الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّنِّي
وَتِلْكَ وَرَبْعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَمْلُوكَةٌ
أَيْمَنُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٤﴾ وَأَتُوا النِّسَاءَ

لا تأكلوها مع أموالكم ؛ أي
لا تسووا بينهما في الانتفاع ؛
وهذا حلال وذاك حرام .
والمراد : تحريم التصرف فيها
بسنائر التصرفات الضارة
باليتامى . ونخص الأكل بالذكر
لأنه معظم ما يقع لأجله
التصرف . ﴿ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ إثماً
عظيماً . اسم مصدر من حاب
يحبوب حوباً ، إذا اكتسب إثماً .
ويطلق الحوب على الهلاك
والبلاء .

٣ - ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا
تُقْسِطُوا ﴾ كانت اليتيمة في
الجاهلية تكون في حجر وليها ،
فيرغب في مالها وجملها ، ويريد
التزوج بها دون أن يعدل في
صداقها ؛ فنهوا أن ينكحوهن
إلا أن يعدلوا فيهن بأكمال
الصداق رعاية لئلهن . وأمرُوا
أن ينكحوا من غيرهن ما حلَّ
لهم ، أو ما لا يخرج منه من
النساء . والمعنى : وإن خفتم أيها

لَيْسَكُنَّ إِلَيْهَا ١١ . ﴿ نَتَّ
مِنْهُمَا ﴾ أي نشر وفرق منها
بالتناسل . ﴿ وَالْأَرْحَامَ ﴾ وأتقوا
الأرحام أن تقطعوها فلا تصلوها
بالبر والإحسان . جمع رَجَمَ ،
وهي القرابة ؛ مشتقة من
الرَّحْمَة ؛ لأن القرابة من شأنهم
أن يتراحموا . ويعطف بعضهم
على بعض . ﴿ رَقِيبًا ﴾ حافظاً
يُحْصِي كل شيء ؛ من رَقَبَهُ إذا
حَفَظَهُ . أو مَطْلَعًا ؛ ومنه :
الْمَرْقَبُ للمكان العالي الذي
يُشْرِفُ منه الرقيب ليطالع على
ما دونه . وإذا كان الله رقيباً
وجب أن يخاف ويَتَّقَى .

٢ - ﴿ وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ﴾ مما
يجب تقوى الله تعالى فيه ؛
اليتامى والنساء والصغار . أي
اتركوا أموال اليتامى التي في
تصرفكم سالمة غير متعرضين لها
بسوء ؛ حتى تؤدوها إليهم حين
بلوغهم الرشد كاملة . ﴿ وَلَا
تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ﴾

صَدَقْتَيْنِ نَحْلَةً فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ
هِنَا مَرِيئًا ﴿٥﴾ وَلَا تَوُتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ
اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا
مَعْرُوفًا ﴿٦﴾ وَابْتَلُوا الَّذِينَ يَنصِبْنَ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ
ءَانَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا
إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعِفِّ
وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ
أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٧﴾ لِلرِّجَالِ

الأولياء عن إيتاء السفهاء من
اليتامى أموالهم التي جعلها الله
مناطَ تعيشهم ، خشية إساءة
التصرف فيها لحفة أحلامهم .
وأضيفت الأموال إلى الأولياء
للتنبية إلى أن أموال اليتامى كأنها
عين أموالهم ، مبالغة في حملهم
على وجوب المحافظة عليها .
﴿ قِيَمًا ﴾ أى قوام معاشكم
وصلاح أموركم .
٦ - ﴿ وَابْتَلُوا الَّذِينَ يَنصِبْنَ ﴾ خطاب
للأولياء . أى اختبروهم قبل
البلوغ بتبشيع أحوالهم في الاهتداء
إلى ضبط الأموال ، وحسن
التصرف فيها ، وجربوهم بما يليق
بأحوالهم . وزاد بعض الأئمة :
تعرف صلاحهم في دينهم .
﴿ أَنَسْتُمْ ﴾ أى علمتم وتبينتم .

﴿ رُشْدًا ﴾ أى اعتداء لحسن
التصرف في الأموال . ﴿ وَلَا
تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا ﴾ لا تأكلوها
مُسرفين ومبادرين كبرهم ، بأن
تفترطوا في إنفاقها وتقولوا :
نُفِقْنَا كما نشتهي قبل أن يكبر
اليتامى فيتزعروها من أيدينا .
والإسراف : التبذير ، ضد
القتصاد . والبيدار : المبادرة
والمسارعة إلى الشيء . و « يَكْبُرُ »
مضارع كبر ، من باب تعب ،
يستعمل في السن . ﴿ وَبِدَارًا أَنْ
يَكْبُرُوا ﴾ أى مبادرين كبرهم
ورشدهم . ﴿ فَلْيَسْتَعِفِّ ﴾ أى
فليكف عن أكل أموالهم .
﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ شهيداً
عليكم في كل ما تعملونه . أو
محاسباً لكم ، فلا تخالفوا

زوجة واحدة . ومفهومه : إباحة
الزيادة على الواحدة إذا أمن
الجور فيما ذكر . ﴿ ذَلِكَ أَذْنَى الْأَ
تَعُولُوا ﴾ أى اختيار الواحدة
والتسرى أقرب من ألا تملوا الميل
المحظور المقابل للعدل . والعول في
الأصل : الميل المحسوس .
يقال : عال الميزان عولاً إذا
مال . ثم نقل إلى الميل المعنوي
وهو الجور ، ومنه : عال
الحاكم إذا جار . وقيل : « ألا
تعولوا » أى لا تكثروا عيالكم .
يقال : عال يعول ، إذا كثر
عياله .

٤ - ﴿ وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ
نَحْلَةً ﴾ أعطوهن مهورهن عطيةً
عن طيبة نفس منكم ، والخطاب
للأزواج . والصدقات : جمع
صدقة - بفتح فضم ، وهى
كالصداق - ، ما يعطى للزوجة
من المهر ، ويسمى أجراً
وفريضة . والنحلة في الأصل :
العطية على سبيل التبرع . يقال :
نحلته كذا نحلة ونحلاً ، إذا
أعطاه إياه عن طيب نفس
بلا مقابلة عوض . ﴿ هِنَا
مَرِيئًا ﴾ أى أكلاً سائغاً حميداً
المعقبة ، والمراد أنه حلال خالص
من الشوائب . يقال : هنيئاً
الطعام وهنئاً هناةً ، وهنئاً
الطعام وهنئاً لي يهنئني ويهنئني ،
صار هنيئاً أى سائغاً . ومراً
الطعام - مثله الرأ - مرأة فهو
مرىء ، هنيء حميد المعقبة .
٥ - ﴿ وَلَا تَوُتُوا السُّفَهَاءَ ﴾ نهى

سيدخلون نارًا هائلة جزاء أكلهم أموال اليتامى ظلماً . يقال : صَلَّيتَ الرجلَ نارًا ، إذا أدخلته فيها وجعلته يصلها . وصَلَّيتَ اللحمَ وغيره - من باب رمى - إذا شَوَّيته . والسَّعِيرُ : الجمر المشتعل ، من سَعَرَتِ النارُ - كمنع - وأسعرتها وسعرتها ، إذا أوقدتها وألهبها .

١١ - ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ في هذه الآية والتي بعدها وآية ١٧٦ من هذه السورة بيان الفرائض . أى يفرض الله عليكم في شأن أولادكم ما يبيته لكم . ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ وكذلك ميراث

الاثنتين ، كما قضى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لانتسب سعد بن الربيع . ﴿فَلَأَمَّهُ الثَّلَاثُ﴾ أى والباقي للآب تعصياً . فإذا كان معها أحد الزوجين كان للأم ثلث الباقي بعد نصيب الزوج أو الزوجة ، وثلاثه للآب . ﴿فَلَأَمَّهُ السُّدُسُ﴾ والباقي للآب . ولا ميراث للإخوة لحجبهم بالآب . ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ أى أن هذه الفرائض إنما تقسم بعد قضاء الدين وإخراج وصية الميت من الثلث . وقُدِّمَتِ الوصية على الدين في التلاوة مع تأخيرها في الحكم لإظهار كمال العناية بتنفيذها . لكونها مظنة التفریط في الأداء . ﴿فَرِيشَةً﴾ أى فُرُش ذلك فرضاً من الله العليم الحكيم

نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ

ما أمرتم به . يقال : حسبه يحسبه حسبًا ، إذا عدَّه ، وهو حال أو تمييز . وفاعل «كنى» : الاسم الحليل ، والباء زائدة . ٧ - ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ﴾ أوجب الله تعالى للذكور من الأولاد ، وللإناث منهم : نصيبًا مما تركه الوالدان والأقربون من المال ، قليلاً أو كثيراً ، وقد بيته الله فيما يأتي من الآيات . وكانوا لا يؤرثون النساء والصغار . ﴿نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ أى واجباً أو مقتطعاً محدوداً . ٨ - ﴿فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ أى ارضخوا^(١) من مال المتوفى للقرابة غير الوارثين ، ولليتامى والمساكين الأجانب منه قبل قسمته . وهو أمر نذَّب

(١) الرضخ : إعطاء الشيء ليس بالكثير

فيما قرض وقدر .

١٢ - ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ يُطلق الكلالة على الميت الذي لم يُخلف ولداً ولا والدًا ، وعلى الوارث الذي ليس بولد ولا والد للميت . والأول قول علي وابن مسعود ؛ لأنه مات عن ذهاب طرفه فكلَّ عمود نسبه ؛ من الكلال وهو ذهاب القوة من الإعياء والضعف . والثاني قول سعيد بن جبير ؛ لأن هؤلاء الوارثين يتكفلون للميت من جوانبه ، وليسوا في عمود نسبه ؛ كالإكليل يحيط بالرأس ووسط الرأس منه خال ؛ من تكلفه الشيء إذا أحاط به . و «رجل» اسم كان ، وجملة «يورث» خبرها ، و «كلالة» حال من الضمير في «يورث» . أي وإن كان رجل موروثاً حال كونه كلالة ؛ على المعنى الأول . أو حال كونه ذا كلالة ؛ أي ذا وارث هو كلالة ؛ على المعنى الثاني . و «امراة» عطف على «رجل» . ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ أي لأُم ؛ باتفاق . ويؤيده قراءة سعد بن أبي وقاص : «وله أخ أو أخت من أم» .

١٣ - ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ إشارة إلى الأحكام التي تقدمت في شأن البيتمى والوصايا والموارث . وسميت حدوداً لأن الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين لا يجوز لهم أن يتجاوزوها ويتخطوها إلى غيرها .

فَإِذَا أُولَدَكُمْ لِلدِّكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثُ مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ * وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ



أى والزَّانِي والزَّانِيَةُ من رجالكم ونسائكم ، اللذان يأتيان هذه الفاحشة ، فأذوها بالتعبير والتوبيخ أو بهما ، وبالضرب بالعال . والمراد بهما : البكران اللذان لم يُخَصَّنَا . وقيل المراد بالنساء في الآية الأولى جنس النساء ، ويقول : «واللذان» في الآية الثانية الرجلان يفعلان اللواط ، وهو رواية عن مجاهد . والحكم منسوخ بالحد المفروض . وذهب أبو مسلم الأصفهاني : إلى أن الآية الأولى في السخافات اللاتي يستمتع بعضهن ببعض ، وحدثهن الحبس . والثانية في اللاتطين ، وحدثها الإيذاء . وأما حكم الزنا ففي سورة الثور ، وزيفه الألويسي ، واختاره بعض المفسرين

١٧ - ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ ﴾ أى إنما التوبة المقبولة عند الله : هى توبة الذين يعملون السيئات جهالة وسفها . ﴿ بِجَهَالَةٍ ﴾ بسفه وكل من عصي جاهل . ﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ ﴾ إلى الله تعالى منها وهم في فسحة من العمر قبل وقت الاحتضار والعزرة ، ولا توبة تُقبل منهم إذا تابوا في هذا الوقت ، لأنها حالة اضطراب لا حالة اختيار . وكذلك لا تُقبل توبة الذين يموتون على الكفر ، فلا ينفعهم الندم ولا يُقبل منهم الفداء ولو بملء الأرض .

١٩ - ﴿ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا

يُدْخِلُهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ١٤ ﴾ وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ١٥ ﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَتَاهُمَا مِنْكُمْ فَعَاذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ١٦ ﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٧ ﴾ وَلَبِستِ التَّوْبَةَ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ١٨ ﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ

١٤ - ﴿ مُهِينٌ ﴾ مُذِلٌّ ، من الهوان وهو الذل .

١٥ - ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِيَنِ الْفَاحِشَةَ ﴾ والنساء اللاتي يفعلن الفاحشة وهى الزنا . وأصل الفاحشة : ما عظم قبحه حتى بلغ الغاية في جنسه من الأقوال والأفعال . والمراد بالنساء : الزوجات ، عند الجمهور . ﴿ أَوْ

١٦ - ﴿ وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ ﴾

النِّسَاء ﴿٢٠﴾ أى تأخذوهن على سبيل الإرث ، كما يؤخذ المَالُ الموروث بعد موت أزواجهن مُكْرِهِينَ لَهُنَّ على ذلك ، وكانوا يفعلون ذلك فى الجاهلية . و ﴿كُرْهًا﴾ - بالفتح والضم - بمعنى واحد . والخطابُ لِأَقْرَابِ الْمَيِّتِ . ﴿وَلَا تَفْضُلُوهُنَّ﴾ نهيٌ لِلْأَزْوَاجِ عَنْ إمساك النساء من غير حاجة لهن إليهن ، مضارّةً ومضايقةً لحملهن على الاختلاص بمهورهن ، من العَظْل ، وهو التضييق والمنع . يقال : عَظَلْتُ الدَّجَاجَةَ ببيضها ، والمرأة بولدها : إذا نَسَرَّ خروجها . ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ استثناءٌ مُتَّصِلٌ من أعمِّ الْعِلَلِ . أى لا تعضلوهن لعلّة من الْعِلَلِ ، إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ أَخْلَاقُهُنَّ ، وكاشفة عن أحوالهن ، وهى النشوز وسوء الخلق ، وإيذاء الزوج وأهله بالبداء وفحش القول ونحوه ؛ فلکم العذرُ فى طلب الخلع منهن ، وأخذ ما آتيتوهن من المهر لوجود السبب من جهتهن . والأصلُ فى الباب قوله تعالى : (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَفْقِهَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ) ^(١) وقوله : (فَإِنْ طِئِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا) ^(٢)

٢٠ - ﴿أَتَاخُذُونَهُنَّ بُهْتَانًا﴾ ظلماً أو باطلاً . وأصله الكذب الذى يبهت المكذوب عليه . أو الباطل الذى يتحير من بطلانه . وكان

(١) آية ٢٢٩ البقرة . (٢) آية ٤ النساء .

وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَبْدِلَ زَوْجَ مَكَانٍ زَوْجٍ وَأَنْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا ﴿٢٢﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢٣﴾ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٤﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعُمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُ النِّسَاءِ الَّذِينَ أَرَضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرُّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمْ أَلَّتِي فِي جُؤْرِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ أَلَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٥﴾ * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ

الرجلُ فى الجاهلية إذا أراد التزوج بأخرى بهت التى تحتها بفاحشة وصل ، بالوقاع أو الخلوة حتى يلجئها إلى الافداء منه بما أعطاها من المهر ؛ ليصرفه فى زواج الأخرى ، فحرم ذلك عليهم . ^{٢١} - ﴿أَفْضَى بَعْضُكُمْ ..﴾ الصحيحة ﴿مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ عهدا وثيقا . ^{٢٢} - ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ﴾ كانوا فى الجاهلية



أى وزوجات أبنائكم . جمع
حليلة : وهى الزوجة . ويقال
للزَّوج حليل .

٢٤ - ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ
النِّسَاءِ﴾ أى وحُرِّمَت عليكم
ذوات الأزواج من النساء قبل
مفارقة أزواجهن . هن . سُبَّيْن
محصنات لأن الأزواج أحصنوهن
عن الفاحشة . أو هن أحصن
أنفسهن عنها ، من الإحصان ،
وهو المنع الشديد . وأصله من
الحِصْن ، وهو المكان المنيع
الحمى . يقال : أحصنت المرأة
وحُصِنَتْ ، أعفَتْ ، فهى
حاصنة وحاصنة وحَصَان .
وأحصنها زوجها فهى محصنة .
ويقال : رجلٌ مُحْصَنٌ ، إذا
تزوج . ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ﴾ استثناء من تحريم
نكاح ذوات الأزواج . والمراد به
المَسَيَّاتُ اللّاتى سُبَّيْن وهن
أزواج فى دار الحرب ، فيحل
لمالكهن وطوَّهن بعد الاستبراء ،
لازترفاع النكاح بينهما وبين
أزواجهن بمجرد السَّبْي ، أو
بسبيهن وخذهن دون أزواجهن .
﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أى كتب
الله عليكم تحريم هذه المحرّمات
المذكورات كتاباً ، وفرضه
فريضة . ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ
مُسَافِحِينَ﴾ مُحْصِنِينَ أَنْفُسَكُمْ
بمن تطلبونهن بأموالكم من
الاستمتاع المحرم ، غير زانين .
فالمراد بالإحصان هنا : العِفَّة ،
وتحصين النفس من الوقوع فى

إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَإِحْلَ لَكُمْ
مَاوَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ
فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيهَا تَرْضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴿٢٤﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ

بين المرأة وعمتها ، وبين المرأة
وخالتها ، ونكاح المعتدة ،
ونكاح الخامسة لمن كان عنده
أربع . والأُمّهات نعمُ الجدّات
حيث كنّ ، لأن الأم هى
الأصل ، كما فى الكتاب .
﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ المراد بهن الفروع .
﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾
زوجاتكم . وحرمتهن بمجرد
العقد عند الجمهور .
﴿وَرَبَائِكُمْ﴾ جمع رَبِيَّة ،
بمعنى مَرْبُوبَة ، ولحقها الباء
لصيرورتها اسماً ، وهى بنت امرأة
الرجل من زوج آخر ، وسُمِّيَتْ
رَبِيَّةً لأن الزوج يرثها ويؤسّسها
كما يرث وليده غالباً . وقوله :
﴿الّاتى فى حُجُورِكُمْ﴾ أى فى
تربيتكم ، وصف لبيان الشأن
الغالب فى الرَبِيَّة فلا مفهوم له .
وإنما تحرم الرَبِيَّة بالدخول
بالأم ، لا بمجرد العقد عليها .
﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فلا إثم
عليكم . ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ﴾

يتزوجون بزواج آبائهم ،
فنهاهم الله عنه بهذه الآية ، وعفا
عما قد سلف قبل نزولها . وقد
وصفه الله تعالى بأنه فاحشة ، أى
أمر مستفحج غاية الفجح ، وبأنه
مَقْتٌ . وأصله بُغْضٌ مقرون
باستحقار حصل بسبب أمر قبيح
ارتكبه صاحبه . وكانوا فى
الجاهلية يُسُّوْن الولد الذى يأتى
به الرجل من زوجة أبيه :
المَقْتَى . ثم قال : ﴿وَسَاءَ
سَبِيلاً﴾ أى طريقاً يسلكه
الأبناء .
٢٣ - ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ
أُمَّهَاتُكُمْ﴾ جملة المحرّمات من
النساء بنص الكتاب أربعة عشر
صنفاً : سبع بالسب من قوله
«أُمَّهَاتُكُمْ» إلى قوله «وَبَنَاتُ
الْأَخْتِ» ، وسبع بالسب من
قوله «وَأُمَّهَاتُكُمْ اللّاتى
أَرْضَعْنَكُمْ» إلى قوله «وَالْمُحْصَنَاتُ
مِنَ النِّسَاءِ» . وقد ثبت بالشئ
تحريم أصنافٍ أخرى كالجمع

طَوَّلَا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ
بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفِحَاتٍ وَلَا
مُتَّخَذَاتٍ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْنَ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَلْحِشَةٍ
فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ
لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ

الفاحشة . وبالسَّفَاح : الزَّنى ؛
من السَّفَح وهو صبُّ الماء
وسيلانه ، وسُمِّيَ به الزَّنا لأن
الزَّاني لا غَرَضَ له إلا صبُّ
النظفة فقط دون النسل .
و«مُحْصَنِينَ» و«غير مُسافحين»
حالات من فاعل «تَبَتُّوا»
﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ فرض الله
تعالى على الأزواج الذين ابتغوا
الرَّوجات محصنين غير مسافحين
أن يعطوهن مهورهنَّ عوضاً عن
انتفاعهم بهن . ومعلوم أن
النكاح الذى يُحَقِّق الإحصان
ولا يكون الرَّوج به مسافحاً ، هو
النكاح الصحيح الدائم المستوفى
شرائطه . فبطل نكاح المُتَّعَة بهذا
القَبْد ؛ لأنه لا يَحَقِّق
الإحصان ، ولا يَقْصِدُ به إلا
سَفْحُ الماء وقضاء الشهوة .
وجملة القول فى المُتَّعَة : أنها
أُحِلَّتْ فى السَّفر للضرورة ، ثم
حُرِّمَتْ يومَ خَيْبَر ، ثم أُبِيحَتْ يومَ
فتح مَكَّة ، وهو يوم أُوطاس (١)
لا تصالها ، ثم حُرِّمَتْ بعد ثلاثٍ
تحريماً مؤبداً إلى يوم القيامة ؛ كما
فى حديث سَبْرَةَ بن مَعْبُد
الْجُهَنِيِّ ، وعليه انعقد إجماع
الأئمة . وما نُسِبَ إلى ابن عباس
من حِلِّها مطلقاً غير صحيح ؛
فإنه ما كان يُحِلُّها إلا للمضطر ،
وكان يقول : ما هى إلا كالمَيْتَةِ
والدَّمِّ ولحم الخنزير . على أنه قد
صحَّ رجوعه عن القول بحلِّها
بقوله - فيما رواه عنه الترمذى

والبيهقى والطبرانى - : إن المُتَّعَة
كانت فى أوَّل الإسلام حتى نزلت
الآية : (إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) (٢) فكلُّ فَرْجٍ
سواهما فهو حرام .
٢٥ - ﴿طَوَّلَا﴾ غَيَّى وَسَعَى .
وهو كناية عما يُصْرَفُ إلى المهر
والنفقات . ﴿أَنْ يَنْكِحَ
الْمُحْصَنَاتِ﴾ أى الحرائر ؛
بدليل مقابلتهن بالملوكات . وعبر
عنهن بذلك لأن حرمتهم
أحصنتهن عن نَقْصِ الإماء .
﴿وَأَتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾
أى أدوا إلى موابين مهورهن عن
طيب نفس منكم ، دون مَطْلٍ
أو مُضَارَّةٍ ، ولا تبخسوا منه شيئاً .
استهانةً بهن لكونهن مملوكات .
﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾

عفاف غير معلَّات بالزَّنا ، ولا
مُتَّخَذَاتِ أَصْدِقَاءٍ يَزْنُونَ بهن
سِراً ، جَمْعُ خِدْنٍ ، وهو
الصاحب والخليل . وكانوا فى
الجاهلية يَحْرَمُونَ ما ظهر من الزَّنا
ويستحلُّون ما خَفِيَ منه ؛
فحرَّمها الله بقوله : (وَلَا تَقْرُبُوا
الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا
بَطْنٌ) (٣) . و«محصنات»
منصوبٌ على الحال من المفعول
فى قوله : «فانكحوهن» .
﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ﴾ أى
نكاح الإماء لمن خاف الإثم
بسبب غلبة الشهوة ، وشقَّ عليه
الصبر عن الجماع ، وأصلُ
العَنَتِ : انكسارُ العظم بعد
جَبْرِ ، فاستعير لكل مشقة
وَضَرٍّ ؛ ولا ضررَ أعظم من

(١) أُوطاس : واد فى ديار هوزان ، جنوبى مكة بنحو ثلاث مراحل . وكانت وقتها بعد فتح مكة بشهر .

(٢) آية ٦ المؤمنون ، وآية ٣٠ المارج . (٣) آية ١٥١ الأنعام .

التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا ، وإذا وعدوا لم يخلفوا ، وإذا ائتمنوا لم يخونوا ، وإذا اشتروا لم يذموا ، وإذا باعوا لم يمدحوا ، وإذا كان عليهم لم يمتطلوا ، وإذا كان لهم لم يُعسروا^(١) . ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ لا تهلكوها بارتكاب الآثام ، ومنها : أكل الأموال بالباطل ، وقتل النفس بغير حق ، وقتل الإنسان نفسه .

٣٠ - ﴿ نُصْلِيهِ نَارًا ﴾ ندخله إياها ونحرقه بها .

٣١ - ﴿ إِنْ تَحْتَبُوا كَبَائِرَ ﴾ اجتناب الشيء : المباحة عنه وتركه جانباً . وكبائر الذنوب : ما عظم منها وعظمت عقوبته ، كالشرك ، وقتل النفس بغير حق ، ونحوه . ﴿ نُكْفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ أى صغائر ذنوبكم ، بدليل مقابلتها بالكبائر . جمع سيئة ، وهى الفعلة القبيحة التى تسوء صاحبها أو غيره ، عاجلاً أو آجلاً . ضد الحسنه . ﴿ وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا ﴾ مكاناً حسناً ، وهو الجنة . وقرئ «مدخلاً» بفتح الميم ، أى وندخلكم فتدخلون مدخلاً كريماً .

٣٣ - ﴿ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي ﴾ ولكل واحد من الرجال والنساء جعلنا ورثة عصبه ، يرثون مما تركه الوالدان والأقربون من المال . والعرب تسمى ابن العم

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾
وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِنْ تَحْتَبُوا كَبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾

مواقعة المآثم . ﴿ مُتَّخِذَاتِ ﴾ ٢٩ - ﴿ بِالْبَاطِلِ .. ﴾ أى أخذان ﴿ مصاحبات أصدقاء للزنى سرًا ﴾ ٢٦ - ﴿ سِنَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ طرائق من تقدمكم من أهل الرشد لتسلكوها . جمع سنة ، وهى الطريقة . ٢٨ - ﴿ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴾ لا يصبر عن الشهوات ولا على مشاق الطاعات ، فكان من رحمة الله تعالى به التخفيف عنه فى التكليف .

مَوْلى . أو ولكل مال مما تركه
الوالدان والأقربون جعلنا موالى
أى ورثة يَلُونَهُ ويحوزونه .
﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ﴾
عَاقَدْتَهُمْ أَيْمَانُكُمْ ﴿فَاتَوْهُمْ
نَصِيْبُهُمْ﴾ أى حظهم من
الميراث . ويسمى عقد المولاة ،
وكانوا يتأسكون بالأبدى عند
المعاقدة والمخالفة . وكان الرجل
فى الجاهلية يعاهد الرجل الأجنبى
منه على الثوارث ، فجعل له فى
بدء الإسلام السُّدُس من جميع
المال ، والباقى للورثة . ثم نسخ
ذلك بقوله تعالى : (وَأُولُو
الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِى
كِتَابِ اللَّهِ) (١) . وذهب
الحنفية إلى أنه إذا أسلم الرجل على
يد رجل آخر ، وتعاقدا على أن
يرثه صح ، وله إرثه إن لم يكن
له وارث أصلاً . والآية غير
منسوخة .

٣٤ - ﴿قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾
قيام الولاة المصلحين على الرعية .
﴿قَانِتَاتٌ﴾ مطيعات لله
ولأزواجهن . ﴿حَافِظَاتٌ
لِّلْغَيْبِ﴾ يحفظن فى غيبة
أزواجهن ما يجب حفظه فى
النفس والمال . فاللام بمعنى فى ،
والغيب بمعنى الغيبة . أو
حافظات لأسرار أزواجهن ،
وهى ما يقع بينهم وبينهن فى
الخلوة . ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ لهن
من حقوقهن على أزواجهن .
﴿نُشُورُهُنَّ﴾ عصيانهن لكم
وترفعهن عن مطاوعتكم .

(١) آية ٧٥ الأنفال .

وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلىً مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَلِذِينَ
عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ فَعَاتَوْهُمْ نَصِيْبُهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا
فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ
فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ
وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُورَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِى الْمَضَاجِعِ
وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۚ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيْمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا
فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا
يُوقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيْمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ * وَعَبُدُوا
اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذَى
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ
الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنُبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾

يقال : نَشَرَتِ الْمَرْأَةُ تُنْشِرُ مِنْ أَهْلِهَا ﴿ لينظرا فى أمرهما
وتُنْشِرُ ، عَصَتْ زَوْجَهَا وامتنعت
عليه . وَأَصْلُ النُّشُورِ :
الارتفاع
الجمع أو التفريق . وقيل : لا
يحكمان إلا بالجمع . واتفقا على
أنهما إذا كانا موكلتين من جهة
الزوجين يَنْفُذُ حكمهما فى الجمع
والتفريق . ونقل الحافظ ابن كثير
عن ابن عبد البر : أن الإجماع

٣٥ - ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ
بَيْنِهِمَا ۚ﴾ أى وإن علمتم أو
ظننتم شِقَاقًا وخلافًا بينهما
﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا



جاره . ويقابله الجار ذو القربى ،
بمعنى القريب مكاناً أو نسباً .
والجُبُّ يستوى فيه المفرد
والجمع ، والمذكر والمؤنث .
﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجُبِّ﴾ الرفيق
فى أمر حسن ، كتعلم وتجارة
وصناعة وسفر . وهو الذى
يصحبك فى ذلك ، ويكون فى
جَنَبِكَ وجوارك . ﴿وَابْنِ
السَّبِيلِ﴾ هو المسافر المحتار بك ،
الذى انقطع به الطريق . أو هو
الضيف يمر بك فتكرمه .
﴿مُخْتَلَاً فَخُوراً﴾ متكبِّراً معجباً
بنفسه ، يعُدُّ مناقبه ، تكبِّراً
وتطاولاً على الناس .

٣٨ - ﴿رِثَاءَ النَّاسِ﴾ أى
قاصدين بانفاقهم الرياء
والسمعة ، لا وَجْهَ الله تعالى ؛
وهم المنافقون أو المشركون .
﴿فَسَاءَ قَرِيناً﴾ مصاحباً ملازماً له
فى الدنيا أو الآخرة . فعيل بمعنى
مُفاعل ، كخيلط بمعنى مُخالط .
٤٠ - ﴿لَا يَظْلُمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾
أى لا يظلم أحداً شيئاً ولو مقدار
ذرة ، وهى الثملة الصغيرة
الحمرء التى لا تكاد ترى . أو
هى جزء من أجزاء الهباء فى
الكوة ونحوها . ومثقال الشئ :
ميزانه من مثله ، وجمعه
مثاقيل . وهو مثل ضربه الله لأقل
الأمياء .

٤٢ - ﴿لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾
أَنْ يَذْفَنُوا فَتَسَوَّى عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ
كما تسوى على الموتى .
٤٣ - ﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ

الَّذِينَ يَخْلَوْنَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا أَنْهَاهُمْ
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً ﴿٣٧﴾
وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيقَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ
قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً ﴿٣٩﴾ إِنْ اللَّهُ
لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۚ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ
مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيماً ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ
بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَدِّعُ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا
يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً ﴿٤٢﴾ بَيَّنَّا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا
الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا
إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ
عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَايِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ
النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا
بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُوراً ﴿٤٣﴾

منعقد على نفاذ قولها فى الجمع
وإن لم يؤكلها الزَّوجان ،
واختلفوا فى نفاذه فى التفرقة .
والجمهور على نفاذه فيها أيضاً من
غير توكيل .

٣٦ - ﴿وَالْجَارِ الْجُنبِ ..﴾ أى
البيد مكاناً ، من الجنابة ضدَّ
القربة . يقال : اجنب فلان
فلاناً إذا بُعد عنه . وقيل : هو
الذى لا قرابة فى النسب بينه وبين

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يَسْتُرُونَ
الضَّلِيلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ
الَّذِينَ هَادُوا بِحَرْفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا
وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِبِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا
فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ
خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا

سُكَّارَى .. المراد بالصلاة هنا : إما الهيئة المخصوصة ، وإما مواضعها وهى المساجد . و«سُكَّارَى» : جمع سُكَرَانَ . والجُبُّ : مَنْ أَصَابَتْهُ الْجَنَابَةُ ، ويستوى فيه الواحد والأكثر والمذكر والمؤنث . وعَابِرُ السَّبِيلِ : مجتاز الطريق وهو المسافر . أَوْ مَنْ يَعْبُرُ الطَّرِيقَ مِنْ جَانِبِهَا إِلَى جَانِبٍ . والمعنى : لا تصلوا في حالة الشُّكْرِ ، حتى تكونوا بحيث تعلمون ما تقولون ، ولا في حالة الجنابة حتى تغسلوا ؛ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا مَسَافِرِينَ وَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَيَتِمُّوا لِلصَّلَاةِ . أَوْ لَا تَقْرِبُوا الْمَسَاجِدَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ، وَلَا تَقْرِبُوهَا جُبًّا إِلَّا أَنْ تَكُونُوا مُجْتَازِي الْمَسْجِدِ مِنْ بَابٍ إِلَى آخَرَ مِنْ غَيْرِ مُكْتَبٍ . ﴿وَأَنْ كُنْتُمْ مَّرْضَى﴾ بيانٌ لِلإِعْذَارِ الْمُبِحِّ لِلتَّيَمُّمِ وَلِكَيْفِيَّتِهِ . وَالْمَرَضُ الْمُبِحُّ لَهُ : هُوَ الَّذِي يَمْنَعُ مِنَ اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ ؛ مِثْلَ الْجُدَرِيِّ وَالْجَرَاخَةِ الَّتِي يُخْشَى مِنْ اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ فِيهَا التَّلَفُ أَوْ زِيَادَةُ الْمَرَضِ . ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدُكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ أَيْ الْمَطْمَئِنِّ مِنَ الْأَرْضِ ، وَكَانُوا بِأَتُونَهُ لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ ، وَكُنِيَ بِهِ عَنْ الْحَدَثِ . ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ أَيْ وَاقَعْتُمُوهُنَّ ، أَوْ مَا سَمْتُمْ بَشَرْتَهُنَّ بِبَشَرَتِكُمْ . ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ الصَّعِيدُ : وَجْهُ الْأَرْضِ الْبَارِزُ ، تَرَابًا كَانَ أَوْ غَيْرَهُ . وَقِيلَ التَّرَابُ . وَالطَّيِّبُ : الطَّاهِرُ .

٤٤ - ﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا﴾ هم يهود المدينة .
٤٥ - ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ .. يُمِيلُونَهُ عَنْ مَوَاضِعِهِ ، وَيَجْعَلُونَ مَكَانَهُ غَيْرَهُ . أَوْ يَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى مَا يَشْتَهُونَ ؛ مِنْ التَّحْرِيفِ وَهُوَ التَّغْيِيرُ . وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : طَاعُونَ يُحَرِّفُ الْقُلُوبَ ؛ أَيْ يَمِيلُهَا وَيَجْعَلُهَا عَلَى حَرْفٍ ، أَيْ جَانِبٍ وَطَرَفٍ . وَأَصْلُهُ مِنَ الْحَرْفِ ؛ يَقَالُ : حَرَّفَ الشَّيْءَ عَنْ وَجْهِهِ ، صَرْفَهُ عَنْهُ . ﴿وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾ هِيَ كَلِمَةُ ذَاتِ وَجْهَيْنِ ، تَحْتَمِلُ مَعْنَى : اسْمِعْ ! مَدْعُوًّا عَلَيْكَ بِلا سَمْعَةٍ ، أَوْ غَيْرِ مُسْمِعٍ كَلَامًا تَرْضَاهُ . وَمَعْنَى : اسْمِعْ مَثًا غَيْرَ مُسْمِعٍ مَكْرُوهًا . كَانُوا يَخَاطَبُونَ بِهَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتِهْزَاءً بِهِ ؛ مُضْمِرِينَ إِرَادَةَ الْمَعْنَى الْأَوَّلَ ، وَهُمْ مَظْهَرُونَ لَهُ إِرَادَةَ الْمَعْنَى الثَّانِي . ﴿وَرَاعِنَا﴾ وَكَذَلِكَ كَانُوا يَخَاطَبُونَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ ، وَهِيَ مُحْتَمِلَةٌ مَعْنَى : رَاقِبْنَا وَانْتَظِرْنَا نَكَلْمُكَ . وَمَعْنَى السَّبِّ بِالرَّعُونَةِ وَالْحُمُقِ . أَوْ تَنْقِصُهُ بِإِرَادَةِ رَاغِي غَنَمِنَا ؛ مَظْهَرِينَ إِرَادَةَ الْمَعْنَى الْأَوَّلَ ، وَهُمْ يَضْمُرُونَ الثَّانِي [آيَةُ ١٠٤ الْبَقَرَةِ ص ٣٣] . ﴿لَبِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ فَتَلَا بِهَا وَانْحَرَفًا ؛ بِصَرْفِ الْكَلَامِ عَنْ جَانِبِ الْخَيْرِ إِلَى جَانِبِ الشَّرِّ ، كَمَا كَانُوا يَحْبُونَهُ بِقَوْلِهِمْ : السَّامُ عَلَيْكُمْ ، يَعْنُونَ بِهِ الْمَوْتَ . وَأَصْلُهُ : لَوِيًّا ؛ مِنْ لَوَى

المشيئة ، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة ، وإن شاء عذبه ثم أدخله الجنة . وأما قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا) (٧) فَقَبْلَهُ بِالْمَشِئَةِ ، وبما عدا الشرك لمن مات مُصِرًّا عليه .

٤٩ - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونُ أَنْفُسَهُمْ﴾ تعجب للنبي صلى الله عليه وسلم أو لكل سامع ، من ادعاء اليهود أنهم أزكيا عند الله تعالى مع ما هم عليه من الكفر والإثم العظيم . ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ قَتِيلًا﴾ أى مقدار قتيل ، وهو الحيط الذى فى شق الثواة . يُضْرَبُ مثلاً فى القلة والحقارة ، كالتقير للنفرة فى ظهر النواة ، والقِطْمِير لقشرتها الرقيقة . وفى الكلام جملة مطوية ، أى يعاقبون على تلك التزكية الكاذبة عقاباً عادلاً ، ولا يُظْلَمُونَ فيه أدنى ظلم وأصغره .

٥١ - ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجَبَتِ وَالطَّاعُوتِ﴾ الْجَبَتِ فى الأصل : اسم صَم ، واستعمل فى كل معبود غير الله تعالى . والطاعوت : يطلق على كل باطل ، وعلى كل ما عُبد من دون الله ، أو كل من دعا إلى ضلالة . أى يصدقون بأنها آلهة ويشركونها فى العبادة مع الله تعالى ، أو يطيعونها فى الباطل .

٥٣ - ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ﴾ أى بل لهم . والمعنى ليس لهم نصيب من الملك

نَزَلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرَدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ النَّبِئِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ۚ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونُ أَنْفُسَهُمْ ۖ بَلِ اللَّهُ يَرْزِقُ مَنِ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ قَتِيلًا ﴿٤٩﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ ۖ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَلَطَفُوتٍ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ نَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ

سداً) (١) . وقال مجاهد : المراد طمس وجه القلب ، أى من قبل أن نطمس قلوباً عن صراط الحق فنردّها على أدبارها فى الضلال .

٤٨ - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ المراد بالشرك هنا : مطلق الكفر ، فيدخل فيه كفر اليهود دخولاً أولياً . أى إن الله لا يغفر لكافر مات على كفره ، ويغفر ما دون الكفر من الذنوب والمعاصى لمن يشاء أن يغفر له ممن اقترفها إذا مات من غير توبة . فمن مات منهم بدونها فهو فى خطر

الشيء - كرمى - إذا قتله . مفعول به أو حال ، أى لا وبن . ﴿أَقُومُ﴾ أعدل وأصوب وأسد .

٤٧ - ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا﴾ أصل الطمس : الصرْف والإفساد والتحويل . وهو مكلّ ضربه الله لهم فى صرفهم عن الحق ، وردّهم إلى الباطل ، ورجوعهم على أعقابهم عن المحجة البيضاء . وهو نظير قوله تعالى : (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْقَابِهِمْ أَغْلَالًا فَهَبَىٰ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ . وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ

البَّئِثَةُ . وإذا كان لهم منه نصيب فهم من شدة الحرص والبخل بحيث لو أوتوا شيئاً منه لما أعطوا الناس منه أقلّ قليلاً ؛ وقد كُفِيَ عنه بالتَّقيير . ﴿نَفِيرًا﴾ قدر النقرة في ظهر النواة .

٥٤ - ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ ..﴾ ثم وصفهم الله تعالى بالחסد بعد وصفهم بالبخل ؛ والחסود يتمي زوال النعم عن العباد . والمراد من الناس : النبي صلى الله عليه وسلم ، أو هو والمؤمنون ، أو العرب عامة . ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ الكتاب : التوراة والإنجيل ، أو هما والزبور . والحكمة : النبوة ، أو إتقان العلم والعمل ، أو فهم الأسرار المودعة في الكتاب .

٥٥ - ﴿سَعِيرًا﴾ ناراً مسعرة ؛ أى موقدة إيقاداً شديداً للصادقين عنه . يقال : سَعَر النار - كمنع - وسعرها وأسعرها ، أوقدها .

٥٦ - ﴿نُفْلِهِمْ نَارًا﴾ أى ندخلهم ناراً هائلة نشوب فيها . ﴿كَلِمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ﴾ كلما احترقت جلودهم ، وتهرت وتلاشت ﴿بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا﴾ غير محترقة . يقال : نَضِجَ الثمر واللحم يُنَضِّجُ نَضْجًا ونَضْجًا ، إذا أدرك ؛ فهو نَضِيج وناضج . والنَضِجُ والتبديل في جهنم حقيقى . وقيل : هو كناية عن دوام العذاب لهم .

مِنَ الْمَلِكِ فَإِذَا لَا يُوْتُونَ النَّاسَ نَفِيرًا ﴿٥٤﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٥﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِءَ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكُفِيَ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَلِمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَندْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٨﴾ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

٥٧ - ﴿أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ..﴾ بريئات من جميع الأدناس الحسية والمعنوية . والتونين للتكثير . ﴿ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ الظل معروف . والظليل : صفة مشتقة من الظل للتأكيد ؛ على حد : يومَ أَيْوَمَ ، وليلِ أَيْلِ . أى ظلاً وارفاً لا يصيب صاحبه حرٌ ولا سَموم ، دائماً لا يُسْحَ .

٥٨ - ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ ..﴾ أى ما ائتمنت عليه من الحقوق ، سواء أكانت لله تعالى أم للعباد ، فعليّة أم قولية أم اعتقادية . جمع أمانة ، مصدر سَمَى به المفعول . ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ﴾ أى ويأمركم إذا قضيت بين الناس في حقوقهم أن تقضوا بالعدل والإنصاف .



شيئاً يعظكم به تأدية الأمانة
والحكم بالعدل .

٥٩ - ﴿وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾
أمراء الحق وولاة العدل من
المسلمين ، أو العلماء المجتهدين .
أمر المؤمنين بطاعتهم إذا أمروا
بما فيه طاعة الله ورسوله ، إذ
لا طاعة لمخلوق في معصية
الخالق ، وإنما الطاعة في
المعروف . ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ﴾ أمروا
بردة ما يختلفون فيه من أمور الدين
إلى كتاب الله تعالى ، وإلى رسوله
صلى الله عليه وسلم في حياته
وسنته من بعده ، ليتزولوا على
حكمها . ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾
أحمد معية ، وأحمل عاقبة .
وأصله من آل هذا الأمر إلى
كذا ، أى رجع إليه . أو أحسن
تأويلاً من تأويلكم أنتم إياه ، من
غير ردة إلى أصل من الكتاب
والسنة . والتأويل على الأول
بمعنى الرجوع إلى المال والعاقبة .
وعلى الثانى بمعنى التفسير
والتبين ، وهو فيها حقيقة .

٦٠ - ﴿إِلَى الطَّاعُوتِ﴾ [راجع
آية ٢٥٦ البقرة ص ٦٢ ،
وآية ٥١ من هذه السورة .
وقيل : المراد به هنا كعب بن
الأشرف اليهودى ، وكان مفرطاً
في الطغيان وعداوة الرسول صلى
الله عليه وسلم ، ورأساً في
الضلال والفتنة .

٦١ - ﴿يَصُدُّونَ عَنْكَ﴾ أى
يعرضون عنك .
٦٥ - ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا

الرَّسُولُ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكَ ۖ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ
إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٥٩ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ
أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ
أَن يَحْكُمُوا إِلَى الطَّغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ ۖ
وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝٦٠ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى اللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ
يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ۝٦١ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ
مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ
أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ۝٦٢ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ
مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ
قَوْلًا بَلِيغًا ۝٦٣ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ
اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ
وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ۝٦٤ فَلَا
وَرَبَّكَ لَا يُوْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا
فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّوْا سَلِيمًا ۝٦٥ وَلَوْ أَنَا

وأصل العدل : التسوية . ﴿نِعْمًا﴾ للتوصل إلى النطق بالساكن .
يعظكم به . أصله : نعم . و «ما» موصولة أو نكرة
ما يعظكم به : فأدغمت «ما» موصوفة : أى نعم الذى يعظكم
في ميم «نعم» وكسرت العين به . أو نعم هو ، أى نعم الشيء

يُؤْمِنُونَ... ﴿٦٥﴾ «لا» الأولى نافية لكلام سبق ؛ تقديره : ليس الأمر كما يزعمون من أنهم آمنوا بما أنزل إليك ، ثم استأنف القسم فقال : وَرَبُّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦٦﴾ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ ﴿٦٧﴾ فَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ ، والتَّيَسُّ عَلَيْهِمْ مِنْهَا . وقيل : إنها زائدة لتأكيد معنى القسم ؛ كما زيدت في قوله : (لَلَّأَلَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ) (١) لتأكيد وجوب العلم . ويقال : شَجَرَ بَيْنَهُمُ الْأَمْرُ يَشْجُرُ شَجْرًا وَشُجُورًا ، إذا تنازَعُوا فِيهِ . وأصله التداخل والاختلاط ؛ ومنه شَجَرَ الْكَلَامَ ، إذا دخل بعضه في بعض واختلط . ﴿حَرَجًا﴾ ضيقًا . وأصلُ الْحَرَجِ : مجتمعُ الشيء ، وتَصَوَّرُ مِنْهُ ضَيْقٌ مَا بَيْنَهَا ، فُقِيلَ لِلضَّيْقِ : حَرَجٌ . وللإثم أيضًا : حرج ؛ ومنه : (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ) (٢) ، أى ضيقٌ بالإثم لترك الجهاد . ﴿وَسُئِلُوا تُسْلِيمًا﴾ ينقادوا لقضائك انقيادًا لا شائبة فيه بظواهرهم وباطنهم . وهذا الْحُكْمُ باقٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وليس مخصوصًا بمن كان في عهده صلى الله عليه وسلم .

٦٦- ﴿أَشَدَّ تَنَبُّيًا﴾ أى أقرب إلى ثبات إيمانهم .

٧١- ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ..﴾ الحِذْرُ والحَذَرُ بمعنى ، وهو الاحتراز مما يخاف . يقال : أخذ حذره ، إذا تَيَقَّظَ واحتَرَزَ مَا

كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوا إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَنَبُّيًا ﴿٦٨﴾ وَإِذَا لَا تَنَبَّهُهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٩﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٧١﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٢﴾ يَتَّخِذُ الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَّيَبْطُلَنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شُهَدَاءَ ﴿٧٤﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ

يخاف منه . وقيل : الحِذْرُ ما به الحَذَرُ من السلاح ونحوه ؛ أى احْتَرَزُوا مِنْ عَدُوِّكُمْ وَتَيَقَّظُوا لَهُ . أَوْ خُذُوا عُدَّتَكُمْ مِنَ السِّلَاحِ واستعدُّوا لعدوكم . وفيه دلالة على وجوب الأخذ بالأسباب . ﴿فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ﴾ اخرجوا إلى قتال عدوكم مجدين جماعة في أثر جماعة ، فصائل وسرايا . ﴿أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا﴾ مجتمعين جماعة واحدة . وَالْمُفَرُّ : الفرع . يقال : نفر إلى الحرب يَنْفِرُ وَيَنْفَرُ نَفَرًا وَنُفُورًا ، إذا قَرَعَ إِلَيْهِ .

وَالثُّبَاتُ : جمعُ ثُبَةٍ ، وهى الجماعة والغُصَّةُ من الفرسان ؛ مشتقة من ثابى ، أى اجتمع . ٧٢- ﴿لَيَبْطُلَنَّ﴾ ليتأخرن ويتناقلن عن الجهاد ؛ من بَطَأَ اللازم - بالتشديد - بمعنى أبطأ ؛ كعَمَّ بمعنى أَعَمَّ إذا أبطأ . أَوْ لَيَبْطُلَنَّ غَيْرَهُ ، أى يُجَبِّنُهُ وَيُبْطِلُهُ عَنْ الْجِهَادِ ؛ من بَطَأَ المتعدي ، بالتشديد نزلت في المنافقين .

٧٣- ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ يتمنى المنافق إذا



لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْبِسَنِي كُنْتُ
مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ * فَلَيَقْتُلَنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾
وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ
الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ
هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا
وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ
فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَءَاتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ
يَخْشَوْنَ النَّاسَ تَخْشِيَةَ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ
كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعَ
الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾

ويختارون الآخرة وثوابها على الدنيا
الفانية ﴿يَشْرُونَ﴾ يبيعون
وهم المؤمنون

٧٦- ﴿الطَّاغُوتِ﴾ الشيطان
وسيله الكفر

٧٧- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ
لَهُمْ﴾ كان بعض الصحابة بمكة
يلقون من المشركين أذى كثيرًا ،
ويتمنون أن يقاتلوهم ، فكان
النبي صلى الله عليه وسلم يكفهم
عن القتال لأنه لم يؤمر به . فلما
فُرض القتال بالمدينة وقد هاجروا
إليها ، جئوا عن القتال وخافوا
المشركين خوفًا شديدًا ، جرَّعًا من
الموت بمقتضى الجيلة البشرية ،
فنزلت الآية ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ
فَتِيلًا﴾ ولا تُقصون أدنى شيء من
أجوركم على الجهاد ، فلا ترغبوا
عنه . [آية ٤٩ من هذه السورة
ص ١١٨]

٧٨- ﴿فِي بُرُوجٍ﴾ أى فى
حصون وقلاع ، جمع بُرج وهو
الحصن . وأصله من التبرج وهو
الإظهار . ﴿مُشَدَّدَةً﴾ أى مطوّلة
بارتفاع ، من شيد البناء رفعه .
أو مطّيلة بالشيد ، وهو الحصن
لتقويتها . أى فأنتم صائرون إلى
الموت لا محالة ، ولا يُنجى حذرٌ
من قدر ، فإياكم تحبسون عن
القتال أ ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَّةٌ﴾
نزلت فى اليهود والمنافقين حين
أبدؤا التشاؤم من الرسول صلى الله
عليه وسلم حين قدم المدينة
وقحطوا . والمراد من الحسنة
والسيئة : التهمة والبليّة ، وقد

انتصر المؤمنون لو كان معهم فى
القتال ، ويأسف لتخلّقه عنه
لا لمودة فى قلبه تحمله على
مشاركتهم فى الجهاد والبلاء فى
كل حال ، بل لجرّد حرمانه من
حظّه من الغنيمة . والجملة
معترضة بين القول والمقول ،
لدفع توهم أن تمّية المعية للنصرة
والمظاهرة .
٧٤- ﴿فَلَيَقَاتِلَنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾
فليقاتل فى سبيل الله المؤمنون
الذين يبيعون الحياة الدنيا ،

شاع استعمالها في ذلك ؛ كما شاع في الطاعة والمعصية . فكذبهم الله تعالى بقوله : (كُلُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) خَلْقًا وَإِجَادًا ، وتقديرًا نافذًا في البرِّ والفاجر ، والمؤمن والكافر ، جاريًا على مقتضى الحكمة والمشية .

٧٩ - ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ ﴾ . أى ما أصابك أيها الإنسان من نعمة فمن الله تفضلاً وإحساناً . ﴿ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ ﴾ بليّة ﴿ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ أى فسبب اقترافك الذنوب عقوبة لك من الله ؛ وإن كان كلاهما من عند الله خلقاً وتقديرًا . وهو كقوله تعالى : (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) (١) . وعن ابن عباس : ما كان من نكبة فبذنبك ، وأنا قدّرت ذلك عليك . وعن عائشة نحوه .

٨٠ - ﴿ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴾ حافظًا ورقياً ، تحفظ أعالهم ونجازهم عليها ، إنما أنت نذير .

٨١ - ﴿ يَسْرُرُوا ﴾ خرجوا . ﴿ بَيْتَ طَائِفَةٍ ﴾ دبرت بلبيل .

٨٣ - ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ ﴾ . نزلت في ضعفاء المؤمنين ، فقد كانوا يسمعون من المنافقين أخباراً عن السرايا مظنونة غير معلوم صحتها ، وقد تكون مختلفة ؛ فيذيعونها قبل التثبت منها وتشيع بين الناس ، فلا تخلو من وبّال يعود على المسلمين .

(١) آية ٣٠ الشورى .

أَيْتَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونِ بِفَقْهُونَ حَدِيثًا (٧٨) مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (٧٩) مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا (٨٠) وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٨١) أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢) وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعَتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (٨٣) فَقَتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ

فنعى الله ذلك عليهم ، وقال نسمعه منهم ، وتلقى علمه من إنهم لو ردّوا الأمر إلى الرسول جهتهم ، وهل هو مما يصح أن صلى الله عليه وسلم وإلى كبار يُذاع أو لا يذاع ، لعلوا الحقيقة أصحابه ، وقالوا : نسكت حتى وما يجب عليهم إزاءها من كتمان



وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَ بِأَسَ الَّذِينَ
كَفَرُوا ۖ وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَنْ يَشْفَعْ
شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً
سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
مُّقِيمًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّنْتُمْ بِحِجَةٍ فُحِبُوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيرًا ﴿٨٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ
مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ * فَالْكَرُ فِي الْمُنَافِقِينَ فَتَنِينَ وَاللَّهُ
أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ۖ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ
وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ

الشَّعْضُ ضِدُّ الْوَتَرِ ؛ كَانَ الْمَشْفُوعُ
لَهُ كَانَ وَتَرًا فَجَعَلَهُ الشَّفِيعَ شَفْعًا .
فَمَنْ يَسْعَى فِي الْخَيْرِ أَوْ فِي الشَّرِّ
يَكُونُ لَهُ نَصِيبٌ مِنَ الْجَزَاءِ ،
خَيْرًا أَوْ شَرًّا . وَإِطْلَاقُ الشَّفَاعَةِ
عَلَى السَّعْيِ فِي الشَّرِّ مُشَاكَلَةٌ .
وَالْكَفْلُ : النَّصِيبُ وَالْحِظُّ ،
وَاسْتِعْمَالُهُ فِي الشَّرِّ أَكْثَرُ مِنْ اسْتِعْمَالِ
النَّصِيبِ فِيهِ . مَاخُذٌ مِنْ
قَوْلِهِمْ : اكْتَفَلْتُ الْبَعِيرَ ، إِذَا
أَذْرْتَهُ عَلَى سَنَامِهِ ، أَوْ عَلَى
مَوْضِعٍ مِنْ ظَهْرِهِ كَسَاءَ رَكْبَتَيْ
عَلَيْهِ ؛ فَكَانَ لَكَ نَصِيبٌ مِنَ
الْإِنْتِفَاعِ بِهِ . ﴿ كِفْلٌ مِنْهَا ﴾
نَصِيبٌ وَحِظٌّ مِنْ وَزَرِهَا .
﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
مُّقِيمًا ﴾ مُقْتَدِرًا أَوْ حَافِظًا ؛ مِنْ
أَقَاتِ عَلَى الشَّيْءِ : اقْتَدَرَ عَلَيْهِ .
أَوْ مِنَ الْقُوَّةِ ، وَهُوَ مَا يُمْسِكُ
الرَّمَقَ مِنَ الرِّزْقِ ، وَتَحْفَظُ بِهِ
الْحَيَاةَ .

٨٦- ﴿ حَسِيرًا ﴾ مُحَاسِبًا
وَمُجَازِيًا ، أَوْ شَهِيدًا .
٨٨- ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ
فِتْنِينَ ﴾ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ خَرَجُوا إِلَى
الْمَدِينَةِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مُبَاهِجُونَ ،
ثُمَّ ارْتَدُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَاسْتَأْذَنُوا
الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي
الْخُرُوجِ إِلَى مَكَّةَ ؛ لِيَأْتُوا بِبِضَائِعَ
لَهُمْ يَتَجَرَّوْنَ فِيهَا . فَخَرَجُوا وَأَقَامُوا
بِمَكَّةَ ، فَاخْتَلَفَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِمْ ،
فَقَاتَلُوا : هُمْ مُنَافِقُونَ ، وَقَاتَلُوا :
هُمْ مُؤْمِنُونَ ؛ فَبَيَّنَ اللَّهُ نِفَاقَهُمْ
وَأَمَرَ بِقَتْلِهِمْ لِرَدِّهِمْ . وَقِيلَ :
نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ تَخَلَّفُوا عَنِ الرَّسُولِ

أَوْ إِذَاعَةً . وَقَوْلُهُ : (الَّذِينَ
يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) أَيِ يَتَلَقَّوْنَهُ
مِنْهُمْ وَيَسْتَخْرِجُونَ عِلْمَهُ مِنْ
جَهْتِهِمْ ؛ وَالْمُسْتَنْبِطُونَ هُمُ
الْمُذْبِحُونَ . وَفِي الْكَلَامِ إِظْهَارُ
فِي مَقَامِ الْإِضْهَارِ ، وَالْأَصْلُ :
لَعَلَّمُوهُ . وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَى
هَؤُلَاءِ الْمُذْبِحِينَ بِإِرْشَادِهِمْ إِلَى
مَا يَحِبُّ عَلَيْهِمْ مِنَ الرَّدِّ إِلَى
الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِلَى
كِبَارِ أَصْحَابِهِ فَمَا يَسْمَعُونَهُ مِنْ
هَذِهِ الْأَخْبَارِ لَضَلُّوا بِاتِّبَاعِ آرَاءِ
الْمُنَافِقِينَ فِيهَا . يَأْتُونَ وَيَذَرُونَ .
وَقَوْلُهُ : (إِلَّا قَلِيلًا) اسْتِثْنَاءٌ مِنْ
قَوْلِهِ (أَذَاعُوا بِهِ) أَيِ إِلَّا قَلِيلًا

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَقَامُوا
بِمَكَّةَ وَأَعْلَنُوا الْإِيمَانَ وَلَمْ
يَهَاجِرُوا ، فَاخْتَلَفَ فِيهِمُ
الْمُسْلِمُونَ ، فَتَوَلَّاهُمْ أَنَاسٌ وَتَبَرَّأَ
مِنْ وَلَايَتِهِمْ آخَرُونَ ، فَسَمَّاهُمُ
اللَّهُ مُنَافِقِينَ ، وَبَرَّأَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ
وَلَايَتِهِمْ ، وَأَمَرَهُمْ إِلَّا بِتَوَلَّوْهُمْ
حَتَّى يَهَاجِرُوا . أَيْ فَالَكُمْ تَفَرَّقْتُمْ
فِي شَأْنِ الْمُنَافِقِينَ فَرَقْتَيْنِ ﴿ وَاللَّهُ
أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ﴾ رَدَّاهُمْ إِلَى
الْكُفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِسَبَبِ مَا كَسَبُوهُ
مِنَ الزَّدَةِ ، مِنَ الرُّكُوسِ ، وَهُوَ
رَدُّ أَوَّلِ الشَّيْءِ عَلَى آخِرِهِ .
يُقَالُ : رَكَسَ الشَّيْءُ يَرْكُسُهُ
رَكْسًا ، إِذَا قَلَبَهُ عَلَى رَأْسِهِ .
وَالرُّكُوسُ وَالرُّكُوسُ بِمَعْنَى .

٨٩ - ﴿ حَتَّى يَهَاجِرُوا ﴾ حَتَّى
يُؤْمِنُوا ، وَتَتَحَقَّقُوا إِيْمَانَهُمْ
بِهَجْرَتِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَيْ
يَخْرُجُوهُمْ لِلْقِتَالِ مَعَ الرَّسُولِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوَجْهِ اللَّهِ ، لَا
لِغَرَضٍ دُنْيَوِيٍّ .

٩٠ - ﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ ﴾
اسْتَشْنَى مِنَ الْأُمُورِ بِقَتْلِهِمْ
فَرِيقَانِ : مَنْ تَرَكَ الْحَارِبِينَ مِنْ
الْأَعْدَاءِ وَلَحِقَ بِالْمُعَاهِدِينَ ، وَمَنْ
فَكَانَ مَعَهُمْ عَلَى عَهْدِهِمْ . وَمَنْ
أَتَى الْمُؤْمِنِينَ وَكَفَّ عَنْ قِتَالِ
الْفَرِيقَيْنِ . وَقَوْلُهُ : ﴿ حَصَرْتُمْ
صُدُورَهُمْ ﴾ أَيْ ضَاقَتْ عَنْ أَنْ
يَقَاتِلُوكُمْ مَعَ قَوْمِهِمْ ، أَوْ يَقَاتِلُوا
قَوْمَهُمْ مَعَكُمْ . يُقَالُ : حَصَرَ
صَدْرُهُ يَحْصُرُ ، ضَاقَ . وَهَذِهِ
الْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ بِآيَةٍ : (فَإِذَا أَسْلَخَ
الْأَشْهُرَ الْحَرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ

كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى
يَهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ
حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾
إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمِهِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ
أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يَغْلِبُوا
قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقْتُلُوكُمْ فَإِنْ
اعْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يَفْتُلُوكُمْ وَالْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ
اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ
أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَارِدُوا إِلَى الْفِتْنَةِ
أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ
وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ نَحْذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ
وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٩١﴾ وَمَا كَانَ

حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) (١) .
٩١ - ﴿ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ ﴾
نَزَلَتْ فِي أَنَاسٍ كَانُوا يَأْتُونَ الرَّسُولَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُسَلِّمُونَ رَبَاءً
وَنِفَاقًا ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى قَرِيشَ
فَيَتَرَكِسُونَ فِي الشَّرْكِ ، يَتَّبِعُونَ
بِذَلِكَ أَنْ يَأْمَنُوا نَبِيَّ اللَّهِ وَيَأْمَنُوا
قَوْمَهُمْ ، فَأَبَى اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ .
﴿ رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ ﴾ دُعُوا إِلَى
الشَّرْكِ ﴿ أُرْكِسُوا فِيهَا ﴾ أَيْ قَلَبُوا
فِيهَا أَقْبَحَ قَلْبَ وَأَشْعَه . يُقَالُ :

أَرْكَسْتُهُ فَرُكْسًا ، أَيْ قَلَبْتُهُ عَلَى
رَأْسِهِ فَقَلَبَ . ﴿ حَيْثُ
تَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ أَيْ وَجَدْتُمُوهُمْ ، أَوْ
تَمَكَّنْتُمْ مِنْهُمْ . يُقَالُ : تَقِفْتَ
الرَّجُلَ فِي الْحَرْبِ أَتَقَفُّهُ ، أَدْرَكْتُهُ
أَوْ ظَفَرْتُ بِهِ . ﴿ السَّلَامَ ﴾
الاسْتِسْلَامَ وَالْإِنْقِيَادَ لِلصَّلَاحِ .

٩٢ - ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴾ أَيْ
فَعَلِيهِ إِعْتَاقُ نَسَمَةٍ مُؤْمِنَةٍ .
﴿ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ ﴾ أَيْ
مُؤَادَةٌ إِلَى وَرَثَتِهِ يَفْتَسِمُونَهَا بَيْنَهُمْ

لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسْلِمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنَ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسْلِمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَقَبَّلُونَا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَقَبَّلُونَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾

قسمة الميراث . والدية : من دية ، إذا أعطى وليه المال الذي يؤدي ، كالعدة من الوعد . هو بدل النفس . وسُمي المال دية يقال : ودَى القاتل القتيل يديه تسمية بالمصدر . وأحكام الدية

مبسوطة في الفقه . ﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ﴾ أي فإن كان المقتول خطأ من قوم محاربين لكم ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ وقد قتله مسلم لكونه بين أظهر قومه . فعلى القاتل تحرير رقبة مؤمنة ، ولا دية له ، إذا لا وراثه بينه وبين أهله . ﴿وَإِنْ كَانَ مِنَ الْقَتُولِ الْمُؤْمِنِ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ أي معاهدة ، فعلى القاتل دية مؤداة إلى أهله المسلمين إن وجدوا ، ولا تدفع إلى أهله الكفار ، إذا لا يرث الكافر المسلم ، وعليه عتق نسمة مؤمنة . ٩٣ - ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ المراد من الخلود هنا : المكث الطويل لا الدوام ، لتظاهر النصوص على أن عصاة المؤمنين لا يخلدون في النار . والجمهور على أن القاتل إذا تاب وأناب ، وعمل عملاً صالحاً ، بذل الله سيئاته حسنة ، وعوض المقتول من ظلامته ، وأرضاه عن طلابته . وما قيل من أنه : لا توبة لقاتل المؤمن عمداً ، محمول على التغليب في الزجر .

٩٤ - ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي سافرتم للجهاد ﴿فَقَبَّلُونَا﴾ فاطلبوا بيان الأمر في كل ما تفعلون وتتركون . ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ﴾ أي حيّاكم بتحية الإسلام ، أو استسلم وانقاد ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ وإنما فعلت ذلك تقيّة ، بل اقبلوا

منه ما أظهر ، وعاملوه بموجبه ، وأمر القلوب بيد الله ، وسرها لا يعلمه سواه . ﴿ عَرَضَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ الغنيمة وهي مال زائل .

٩٥ ، ٩٦ - ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وهم من لم يخرجوا يوم بذر لعدو . أو من أذن لهم في التحلف عن الجهاد . ﴿ غَيْرِ أُولَى الضَّرَرِ ﴾ أى غير أصحاب الأمراض والعِلل التي لا سبيل معها إلى الجهاد ، من نحو عَمَى أو زَمَانَةٍ أو ضَعْفِ بَدَنٍ أو عَجْزٍ عن الأهبة . ﴿ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾ بل هؤلاء أفضل ﴿ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ ﴾ أى بعذر ، وهم أولو الضَّرَرِ ﴿ دَرَجَةً ﴾ ومنزلة ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ ﴾ أى بغير عذر بأمره صلى الله عليه وسلم اكْتِفَاءً بغيرهم ﴿ أَجْرًا عَظِيمًا . دَرَجَاتٍ مِنْهُ ﴾ كثيرة .

٩٧ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ نزلت في أناس بمكة أسلموا بالسنتهم ولم يهاجروا معه صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا خرج المشركون إلى بذر خرجوا معهم وقاتلوا المسلمين ، فقتلوا بها كفارًا .

٩٨ - ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾ استثناء منقطع .

٩٩ - ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ ﴾ يتجاوز عنهم بفضله .

دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةٌ وَرَحْمَةٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٥﴾
إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٦﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٧﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا ﴿٩٨﴾ * وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَاسِعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٩﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ

بِالرَّغَامِ ، وهو التراب . وفعله من باب قَتَلَ وفي لغة من باب تَعَبَ . ﴿ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ أى وجب له الأجر تفضلاً منه تعالى . وفي الآية ترغيبٌ عظيم في الهجرة في سبيل الله ، وكذلك كلٌّ من قصد بهجرته ففعل طاعة من الطاعات ثم مات قبل إتمامها ، فإنه يُكتب له ثوابها كاملاً .

١٠١ - ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ أى إذا سافرتُم أى

«عَسَى» من الله تعالى واجب ؛ لأنه إطلاءٌ وترجُّ ، والله تعالى إذا أطمع عبده وصله .

١٠٠ - ﴿ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا ﴾ منحولاً ومهاجراً . اسم مكان ، وعبر عنه بالمراعِم للإشعار بأن المهاجر في سبيل الله يصل في الموضع الذي يُهاجر إليه ، إلى ما يكون سبباً لرغم أنوف قومه الذين فارقهم ، من الرِّغَم - بثلاث الراء - وهو الدُّلُّ والهوان . وأصله لصوق الأنف



الأمْن . ولا مفهوم له عند القائلين بالمفهوم من الأصوليين ؛ لخروجه مخرج الغالب ، حيث لم تخل أسفاره صلى الله عليه وسلم في الغالب من خوف الأعداء ؛ لكثرتهم إذ ذاك . وأحكام القصر مبيّنة في الفقه . ﴿يَفْتِنُكُمْ﴾ ينالكم بمكرهه .

١٠٢ - ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾ بيان لكيفية القصر عند الضرورة الثامة ، بعد التص المجمل في مشروعيته . والخطاب له صلى الله عليه وسلم يتناول الأئمة بعده ، فإنهم نوابه والقائمون بما كان يقوم به ؛ فهو كقوله تعالى : (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً)^(١) . وقد أمر أن يجعل المجاهدين طائفتين : طائفة تُصلى معه ومعهم أسلحتهم التي لا تشغلهم عن الصلاة . وطائفة أخرى تقف تجاه العدو للحراسة ؛ فإذا أتمت الطائفة الأولى ركعة ، أتت الطائفة الأخرى فصلت معه صلى الله عليه وسلم الركعة الباقية من صلاته . وكيفيات صلاة الخوف مبيّنة في الفقه . وظاهر أن الآية في صلاة الخوف في غير حالة

الالتحام . وأمّا في حالته فقيل : يؤخّرون الصلاة إلى أن يأمّنوا ، ثم يقضون ما فاتهم منها . وقيل : يصلون بالإيماء بالركوع والسجود إلى أى جهة ؛ رجلاً وركباً . وقد تقدم طرف من ذلك في آية ٢٣٩ البقرة^(٢) . ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [راجع آية

فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةً مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِنَتَكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ

سفر ، فلا حرج ولا إثم عليكم في قصر الصلاة إن خفتم أن يتعرض لكم الأعداء في الصلاة بقتل أو جرح أو أسر ؛ فتصلى الرابعة ركعتين . وجمهور الأئمة على أن قصر الصلاة مشروع في السفر في حالتى الخوف والامْن ، وقد ثبت عنه صلى الله

وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ
خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٦﴾
وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا
يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى
مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰئِنتُمْ

٧١ من هذه السورة .
﴿ حَذَرْتُمْ ﴾ احترازهم من
عدوهم . ﴿ تَغْفُلُونَ ﴾ تسهون .
١٠٣ - ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ ﴾
أى إذا فرغتم من صلاة الخوف
فداوموا على ذكر الله تعالى في
جميع الأحوال ، حتى في حال
المقارعة والالتحام . ﴿ فَإِذَا
اطْمَأْنَنْتُمْ ﴾ سكنت قلوبكم
بالعودة إلى أوطانكم ﴿ فَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ ﴾ أدوها في أوقاتها
بأركانها وشروطها وحدودها ،
تامة كاملة . ﴿ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾
مكتوبا بمحدود الأوقات مقدرا .

١٠٤ - ﴿ وَلَا تَهْتُوا فِي اتِّغَاءِ
الْقَوْمِ ﴾ لا تضعفوا ولا تتوانوا في
طلب الكفار بالقتال ، من الوهن
وهو الضعف .

١٠٥ - ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ ﴾ نزلت في طُعْمَةَ بْنِ
أَيُّوبَ من بنى ظَفَر - وكان هو
وقومه منافقين - سرق درعا من
جار له كانت في جراب فيه دقيق
فجعل الدقيق يتثر من خرق في
الجراب ، ثم خبأها عند
يهودى ، فالتفت عند طُعْمَةَ
بدلالة أثر الدقيق في الطريق .
فحلف ما أخذها ، وما له علم
بها ، فتركوه واتبعوا الأثر حتى
انتهوا إلى دار اليهودى فوجدوها
عنده فقال : دفعها إلى طُعْمَةَ ،
وشهد له بذلك ناس من اليهود .
فانطلق قوم طُعْمَةَ إلى الرسول
صلى الله عليه وسلم وشهدوا زورا

أن اليهودى هو السارق ، وسألوا
الرسول صلى الله عليه وسلم أن
يحادل عن صاحبهم ، فهم أن
يفعل ويعاقب اليهودى ، فزلت
الآية فلم يفعل . وهم أن يقضى
على طُعْمَةَ فهرب إلى مكة
وارتد ، ونقب حائطاً لسرق
متاع أهله فسقط عليه ومات
مرتداً . ﴿ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ
خَصِيمًا ﴾ أى ولا تكن لأجل
الخائنين - وهم طُعْمَةَ وقومه -
مخاصما للبرىء من السرقة .
وأصله من الخصم - بضم
فسكون - وهو ناحية الشيء
وطرفه ، كأن كل واحد من
الخصمين في ناحية من الدعوى
والحجة ، واللام للتعليل .
١٠٦ - ﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ ﴾ أى مما
هممت به في أمر طُعْمَةَ واليهودى
لظن صدق طُعْمَةَ وقومه . أمر

صلى الله عليه وسلم بالاستغفار ،
وإن كان معذورا ، لزيادة
الثواب وإرشاده إلى التثبت ،
وإلى أن ما ليس بذنب مما يكاد
يُعد حسنة من غيره ، إذا صدر
منه صلى الله عليه وسلم - بالنسبة
لقامه المحمود - يوشك أن يكون
كالذنب .
١٠٧ - ﴿ وَلَا تُجَادِلْ ﴾ لا
تخاصم عن الذين يخونون أنفسهم
بارتكاب المعاصى ، من المجادلة
وهى شدة المخاصمة . وأصلها من
الجدل ، وهو شدة الفتل .
﴿ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ﴾ يخونونها
بارتكاب المعاصى .
١٠٨ - ﴿ إِذْ يُبَيِّتُونَ ﴾ يدبرون فيما
بينهم قولاً باطلا لا يرضاه الله ،
من شهادة الزور ، ورمى البرىء
بالسرقة ، وأصل التبييت : تدبير
الفعل ليلاً ، ثم أطلق على كل

ومن يعمل عملاً يسئ به غيره
﴿أَوْ يَظْلِمُ نَفْسَهُ﴾ بارتكاب
المعاصي ، ثم يَتَبُ توبةً صادقةً
﴿يَجِدِ اللَّهُ غُفُورًا رَحِيمًا﴾ ،
وهو كقوله تعالى : (وَالَّذِينَ إِذَا
فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ
وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ
يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ
يَعْلَمُونَ . أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ
مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ
أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١)

١١٢ - ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾
الخطيئة : الصغيرة من الذنوب
والإثم : الكبيرة منها . أو الأولى
الذنب المختص بفاعله ، والثاني
الذنب المتعدى إلى الغير .
والبهتان : الكذب على الناس بما
يجهلون به ، ويبتحيرون عند سماعه
لفظاعته .

١١٤ - ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ
نَجْوَاهُمْ﴾ أى مما يتناجى به
الناس ويخوضون فيه .
والتجوى : اسم مصدر بمعنى
المسارة . يقال : نجوته نجوىً
ونجوىً ، وناجيته مناجاةً ، أى
ساررته . وأصله : أن تخلو بمن
تساره في نجوة من الأرض ،
وهى المكان المرتفع المنفصل
بارتفاعه عما حوله . ويطلق على
القوم المتناجين ، كما فى قوله
تعالى : (وَإِذْ هُمْ نَجْوَى) (٢)
مبالغة ، على حد : قوم عدل .
أو بتقدير مضاف ، أى ذكروا

هَؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجِدِلِ اللَّهَ
عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (١) وَمَنْ
يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ
غُفُورًا رَحِيمًا (٢) وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِذَا مَا يَكْسِبُ
عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣) وَمَنْ يَكْسِبْ
خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا
وَإِثْمًا مُبِينًا (٤) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ
لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ
وَمَا يُضِرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ
عَظِيمًا (٥) * لَأَخِيرَ فِي كَثِيرٍ مَنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ
بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ
ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٦)
وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ
غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ
مَصِيرًا (٧) إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونََ

تدبير وإن لم يكن بالليل .
١٠٩ - ﴿وَكَيْلًا﴾ محافظاً
وحامياً عنهم من عقاب الله
تعالى . وأصل معنى الوكيل : مَنْ
١١٠ - ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾ أى



ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ
إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ
نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضِلَّةَ لَهُمْ وَلَا يُزْنِرُهُمْ وَلَا هُمْ يَنْصُرُهُمْ
فَلْيَبْتَئِكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا يَنْصُرُهُمْ فَلْيَغْيِرْنَّ خَلْقَ اللَّهِ
وَمَنْ يَخِذْ الشَّيْطَانُ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا
مُتَبَيَّنًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ

نَجْوَى . ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ﴾ أى إلا
في نجوى الذين يأمرون
بالصدقة ، أو بالبَرِّ والخير الذى
يصل نفعه إلى الناس ؛ فيستد
حاجتهم ، أو يرشدهم إلى ما فيه
خيرهم ودفع الشر عنهم ، أو
بإصلاح ذات البين عند المشاحنة
والمُعَاداة .

١١٥ - ﴿تَوَلَّهْ مَا تَوَلَّى﴾ نُخَلِّ
بينه وبين ما اختاره لنفسه من
الضلال في الدنيا ﴿وَنُضْلِهِ
جَهَنَّمَ﴾ نُدْخِلُهُ فِيهَا فِي الْآخِرَةِ .

١١٦ - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ
يُشْرَكَ بِهِ﴾ [آية ٤٨ من هذه
السورة] . وَذَكَرْتُ هُنَا تَكْمِيلًا
لِقِصَّةٍ مِنْ سَبْقٍ بِذِكْرِ الْوَعْدِ بَعْدَ
ذِكْرِ الْوَعِيدِ فِي ضَمَنِ الْآيَاتِ
السَّابِقَةِ .

١١٧ - ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا
إِنَاثًا﴾ أى ما يعبدون من دون الله
إِلَّا أَصْنَامًا سَمَّوْهَا بِأَسْمَاءِ
الْإِنْسَانِ ؛ كَاللَّاتِ وَالْعُزَّى
وَمَنَاةَ ، وَكَانَ لِكُلِّ حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ
الْعَرَبِ صَنْمٌ يَعْبُدُونَهُ ، وَيُسَمُّونَهُ
أُنْثَى بَنَى فُلَانٌ ، وَيَزَيِّنُونَهُ بِالْحَلِيِّ
كَالنِّسَاءِ . ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا
شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ أى وما يعبدون
بِعِبَادَةِ هَذِهِ الْأَصْنَامِ إِلَّا شَيْطَانًا
عَاتِيًا ، أَغْرَاهُمْ بِعِبَادَتِهَا فَأَطَاعُوهُ
فَكَانُوا لَهُ عَابِدِينَ . وَالْمَرِيدُ
وَالْمُتَمَرِّدُ : الْبَالِغُ الْغَايَةِ فِي الشَّرِّ
وَالْفُسَادِ . يُقَالُ : مَرَدٌ - كَتَصَرَّ
وَضَرَفٌ - إِذَا عَتَا وَتَجَبَّرَ ، فَهُوَ
مَارِدٌ وَمَرِيدٌ وَمُتَمَرِّدٌ . وَأَصْلُ

المادة للملاسة والتجرُّد ؛ ومنه
صِرٌّ مُمَرَّدٌ ، أى أَمْلَسَ . وَشَجَرَةٌ
مَرْدَاءٌ ، لِتَنَاتُرِ وَرَقِهَا . وَغَلَامٌ
أَمَرْدٌ : لَمْ يَنْبِتْ فِي وَجْهِهِ شَعْرٌ .
وُوصِفَ الشَّيْطَانُ بِالْمُرْدِ لِتَجَرُّدِهِ
لِلشَّرِّ ، أَوْ لظُهُورِ شَرِّهِ ظُهُورَ
عِيدَانِ الشَّجَرَةِ الْمَرْدَاءِ .

١١٨ - ﴿نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ حِظًّا
مُقَدَّرًا مَعْلُومًا ؛ مِنْ الْقِرْصِ ،
وَأَصْلُهُ الْقَطْعُ . وَأُطْلِقَ هُنَا عَلَى
الْمِقْدَارِ الْمَعْلُومِ ؛ لِاقْتِطَاعِهِ عَمَّنْ
سِوَاهُ مِنْ صَالِحِي الْمُؤْمِنِينَ . فَكُلُّ
مَنْ أَطَاعَ الشَّيْطَانَ فَهُوَ نَصِيْبُهُ
الْمَفْرُوضُ .

١١٩ - ﴿وَلَا ضِلَّةَ لَهُمْ﴾
وَلَا مُتَبَيَّنَ لَهُمْ أى لَا يُزَيِّنُهُمْ عَنْ
طَاعَتِكَ وَتَوْحِيدِكَ ، وَلَا يُقَيِّنُ فِي
صُدُورِهِمُ الْأَمَانِي الْبَاطِلَةَ الْمُبِيسَّةَ
لِلْعَصِيَانِ ﴿فَلْيَبْتَئِكُنَّ آذَانَ

الْأَنْعَامِ﴾ أى فَلْيَقْطَعْهَا مِنْ
أَصْلِهَا ، أَوْ لِيَشَقُّهَا ؛ مِنْ الْبَثْكِ
وهو القَطْعُ . ومنه : سَيْفٌ
بِأَتِكْ ، أى صَارِمٌ . وَكَانُوا فِي
الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا وَلَدَتْ النِّاقَةُ خَمْسَةَ
أَبْطَنٍ وَجَاءَ الْخَامِسُ ذَكَرًا قَطَعُوا
أُذُنَهَا أَوْ شَقُّوْهَا شَقًّا وَاسِعًا ؛
عَلَامَةً عَلَى أَنَّهُمْ حَرَمُوا عَلَى
أَنْفُسِهِمُ الْإِنْتِفَاعَ بِهَا وَجَعَلُوهَا
لِلطَّوَاغِيتِ ، وَسَمَّوْهَا الْبَحِيرَةَ ؛
أى الْمَشْقُوقَةَ الْأُذُنَ . وَالْمَرَادُ : أَنَّهُ
يُغَرِّمُهُمْ بِعِبَادَةِ الطَّوَاغِيتِ .
وَيَدْعُوهُمْ إِلَى التَّقَرُّبِ إِلَيْهَا
بِالْبَحَائِرِ وَنَحْوِهَا ؛ فَيَسَارِعُونَ إِلَى
إِجَابَتِهِ . ﴿وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرْنَّ
خَلْقَ اللَّهِ﴾ أى فَلْيَغْيِرَنَّ مَا خَلَقَهُ
اللَّهُ عَنْ نَهْجِهِ صُورَةً وَصِفَةً ؛
كَفَقْدِ عَيْنِ فَحْلِ الْإِبْلِ فِي بَعْضِ
الْأَحْوَالِ ، وَخِصَاصِ الْإِنْسَانِ
وَالْوَشْمِ . وَاللَّوَاطَةِ وَالسَّحَاقِ

يُجَازِهُ اللَّهُ بِهَا ، عَاجِلًا أَوْ
أَجَلًا ، أَى إِذَا تَابَ أَوْ تَفَضَّلَ
اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِالْمَغْفِرَةِ إِذَا كَانَ
مُؤْمِنًا . وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ
الْأَمْرَاضَ وَالْأَسْقَامَ ، وَمَصَابِ
الدُّنْيَا وَهَوْمَهَا يَكْفُرُ اللَّهُ بِهَا
الْخَطِيئَاتِ . وَالْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّهَا
أَيْضًا تُرْفَعُ بِهَا الدَّرَجَاتُ ،
وَتُكْتَبُ الْحَسَنَاتُ .

١٢٤ - ﴿وَلَا يَظْلَمُونَ نَفِيرًا﴾
لَا يُبْخَسُونَ مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِهِمْ
شَيْئًا مَا ، وَلَوْ تَأَفَّاهَا حَقِيرًا كَالْتَقِيرِ
[آية ٤٩ ، ٥٣ من هذه السورة
ص ١١٨ ، ١١٩]

١٢٥ - ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾
أَخْلَصَ نَفْسَهُ أَوْ تَوَجَّهَ وَعِبَادَتَهُ
لِلَّهِ . ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾
مِثْلًا عَنْ سَائِرِ الْأَدْيَانِ الرَّائِغَةِ إِلَى
السَّيِّئِ الْحَقِّ ، حَالًا مِنْ
«إِبْرَاهِيمَ» . وَمِلَّتُهُ : شَرِيعَتُهُ
الْمُوَافِقَةُ لِلْإِسْلَامِ . ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ
إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ صَفِيًّا . مُشْتَقٌّ
مِنْ الْخَلَّةِ ، وَهِيَ صِفَاءُ الْمَوَدَّةِ
الَّتِي تَوْجِبُ الْإِخْتِصَاصَ بِتَخْلُلِ
الْأَسْرَارِ .

١٢٧ - ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي
النِّسَاءِ﴾ وَيَطْلُبُونَ مِنْكَ الْفَتْوَى ،
أَى تَبْيِينَ الْمَشْكِلِ مِنَ الْأَحْكَامِ
فِي حَقِّ النِّسَاءِ مِنَ الْمِيرَاثِ
وغيره ، فَقُلْ لَهُمْ : اللَّهُ يُفْتِيكُمْ
فِي شَأْنِهِمْ ، وَيُفْتِيكُمْ مَا يُبَيِّنُ
عَلَيْكُمْ فِي الْقُرْآنِ فِي شَأْنِ الْيَتَامَى
الَّذِينَ تَمْنَعُونَهُمْ مَا فُرِضَ لَهُمْ مِنْ
الْمِيرَاثِ وَغيره ، وَتَرْغَبُونَ فِي

إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَئِكَ مَا وَلَّهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَحْدُونَهَا
مَحِصًا ﴿١٢١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ
اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ
وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزِيهِ وَلَا
يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ
مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّثِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَفِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا
مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴿١٢٦﴾

قال ، أو اسم مصدر .
١٢٣ - ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ﴾ أَى
لَيْسَ مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الثَّوَابِ أَوْ
إِدْخَالِ الْجَنَّةِ . أَوْ لَيْسَ مَا
تُخَاوِرْتُمْ فِيهِ حَاصِلًا بِمَجْرَدِ
أَمَانِيكُمْ أَيَا الْمُسْلِمِينَ ، أَوْ أَمَانِي
أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَإِنَّمَا يَحْصُلُ
بِالسَّغَى وَالْجَدِّ فِي طَاعَةِ اللَّهِ
وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ . وَالْأَمَانِيُّ :
جَمْعُ أَمْنِيَّةٍ ، وَهِيَ مَا يُوَدُّهُ
الْإِنْسَانُ وَيَشْتَهِيهِ . ﴿مَنْ يَعْمَلْ
سُوءًا يُجْزِ بِهِ﴾ مَنْ يَرْتَكِبُ
مَعْصِيَةً ، مُؤْمِنًا كَانَ أَوْ كَافِرًا ،

وَالْتَخَنُّتُ ، وَعِبَادَةُ الْكُوكَبِ
وَالنَّارِ وَالْأَحْجَارِ ، وَتَغْيِيرُ دِينِ اللَّهِ
وَأَحْكَامِهِ .

١٢٠ - ﴿غُرُورًا﴾ خَدَاعًا
وَبَاطِلًا .

١٢١ - ﴿وَلَا يَحْدُونَهَا عَنْهَا
مَحِصًا﴾ مَعْدَلًا وَمَهْرَبًا . يَقْرُونَ
إِلَيْهِ لِلنَّجَاةِ مِنْ عَذَابِهَا . يَقَالُ
حَاصٌّ عَنْهُ يَحِصُّ حَيْصًا
وَحَيْوَصًا وَمَحِصًا ، حَادٌّ وَعَدَلٌ .

١٢٢ - ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ
قِيلًا﴾ أَى قَوْلًا . وَهُوَ مُصْدِرٌ

نكاحهن لما هن وجهاهن بأقل من صداقهن . أو ترغبون عن نكاحهن وتعصلونهن طمعاً في أموالهن ؛ أى يبين لكم ألا تفعلوا شيئاً من ذلك . ويقتيكم أيضاً في شأن الصغار من الولدان أن ثورثوهم ؛ وكانوا لا يورثونهم كما لا يورثون النساء . ويقتيكم أيضاً في شأن اليتامى - ذكوراً كانوا أو إناثاً - أن تقوموا بالعدل في ميراثهم وسائر أموالهم وأحوالهم . ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ أو شرفي ذلك وغيره يعلمه الله ويحاسبكم عليه . فقله : ﴿وَمَا يُثَلَّى عَلَيْكُمْ﴾ معطوف على اسم الجلالة ، أو على الضمير في «يقتيكم» و ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾ متعلق بـ ﴿يُثَلَّى﴾ . و﴿تَرْغَبُونَ﴾ أى فى نكاحهن أو عنه ، وكل من الحرفين مراد على سبيل البدل . ﴿وَالْمُسْتَضَعِّينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ معطوف على «يتامى النساء» . ﴿وَأَنْ تَقُومُوا﴾ عطف على ما قبله . ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل فى الميراث والأموال .

١٢٨ - ﴿بَعْلِهَا﴾ زوجها . ﴿نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ النُّشُورُ : أن يتجافى عنها بأن يمنعها نفسه ونفقته ومودته ، ويؤذيها بسبب أو ضرب . والإعراض : أن يقلل مجادتها وموانستها ، وهو أخف من النُّشُورِ . ﴿وَأَحْضَرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ أى جبلت على الإفراط فى الحرص والبخل ؛

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتْلَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٠﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَنْذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٣١﴾ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٢﴾

فكانه حاضرهما لا ينفك عنها أبداً .

١٢٩ - ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا﴾ أى العدل المطلق الكامل بين زوجاتكم فى القسم والنفقة ، والتَّعَدُّ والنظر ، والإقبال والمحالة والمفاكهة ، والمحبة والانعطاف وغير ذلك . ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ عليه أتم الحرص ، ولذلك لم يكلفكم الله به ، إذ التكليف الشرعى إنما يكون بما فى الوسع والطاقة ، فقاربوا واجتهدوا ألا تميلوا الميّل الزوجية ، بحيث تكون الأخرى كأنها معلقة لا هى مطلقة ولا هى ذات بعل ، وجاهدوا أنفسكم حتى تصلوا إلى الحد المستطاع من العدل الذى يباح لكم معه تعدد الزوجات . [راجع آية ٣ من هذه السورة ص ١٠٦] . ١٣٠ - ﴿سَعَتِهِ﴾ فضله وغناه ورزقه .



وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ
 أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَلَئِنْ
 تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ
 اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
 وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِنَّ يَسَائِدَ هَٰبِكُمْ أَهْيَا النَّاسِ
 وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَنْ
 كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
 وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ * يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفُوا
 قَوْمِينَ بِالْفِئْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ
 وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أُولَىٰ بِهِمَا
 فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ
 اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ
 وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ
 وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ
 ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا
 ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آذَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ
 وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِيرِ الْمُتَّقِينَ إِنَّ لَهُمْ عَذَابًا
 أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَخْذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ

١٣٢ - ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾
 كفيلاً بالأمر معتمداً عليه .
 يقال : وكل فلان فلاناً ، إذا
 استكفاه أمره ثقة بكفائته ، أو
 عجزاً عن القيام بأمر نفسه .
 ١٣٥ - ﴿قَوْمِينَ بِالْفِئْطِ﴾
 مواظبين على إقامة العدل في
 جميع الأمور ، لا يميلون عنه ،
 ولا يصرفكم عنه صارف ،
 متعاونين متناصرين فيه . ﴿فَلَا
 تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا﴾ أى
 أنهاكم عن اتباع أهواء
 نفوسكم ، لتصفوا إذا انتهتم
 عنها بصفة العدل . كما يقال : لا
 تتبع هواك لترضى ربك ، أى
 أنهاك عنه كيئاً ترضى ربك
 بتركه . فقلوه «أَنْ تَعْدِلُوا» من
 العدل ضد الجور ، وهو علة
 للهي بتقدير اللام . ﴿وَإِنْ
 تَلَوُّوا﴾ أى وإن تلووا أستمتم
 عن الشهادة بالحق ، بأن تحرفوها
 وتقيموها على غير وجهها الذى
 تستحقه ، من اللى وهو القتل ؛
 كما فى قوله تعالى : (لَبَّأً
 بِالْأَسْتِمْتِ) (١) . ﴿أَوْ تَعْرِضُوا﴾
 عنها بترك إقامتها رأساً ﴿فَإِنَّ اللَّهَ
 كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾
 فيجازيكم بما عملتم . وقرئ
 «تَلَوُّوا» بضم اللام وبسواو
 واحدة ، من الولاية بمعنى مباشرة
 الشهادة .
 ١٣٧ - ﴿ثُمَّ آذَادُوا كُفْرًا﴾
 بتكرار الارتداد منهم وإصرارهم
 على الكفر ، وتعاديتهم فى الحق
 حتى ماثوا على كفرهم . ﴿لَمْ

يَكُنَّ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ ۖ لَأنه تعالى لا يغفر أن يُشرك به . ۖ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ۖ أى طريقاً إلى الجنة ؛ لأنهم ليسوا من أهلها لسوء اختيارهم وفساد استعدادهم . وهو نظير قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا . إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا) (١) .

١٣٩ - ﴿أَيَّبَتُّونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ أى أیطلب المنافقون عند اليهود المتعة والقوة والغلبة ؛ فيتخذونهم أولياء وأنصاراً لهم من دون المؤمنين ١٢ وقد كانوا يقولون فيما بينهم : إن أمر محمد لا يتم فتولوا اليهود . وأصل العزة : الشدة . يقال : عزَّ على أن يكون كذا ، أى اشتدَّ على ذلك . ومنه استعزَّ عليه المرض ، أى اشتدَّ عليه وغلبه . والعزاز للأرض الصلبة الشديدة . والاستفهام للإنكار . وقيل للتعجب .

١٤٠ - ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ الخطاب للمنافقين الذين تولوا اليهود ، وخاضوا معهم في الاستهزاء بالقرآن ؛ كما خاض مشركو مكة من قبل في ذلك . وفيه توبيخ شديد لهم ، حيث فعلوا ذلك مع تحقق ما يمنهم منه ، وهو نزول القرآن بالهي عن مجالسة المشركين الذين يخوضون في آيات الله بالباطل في قوله تعالى في سورة الأنعام وهي

(١) آية ١٦٨ ، ١٦٩ النساء . (٢) آية ٦٨ الأنعام .

الْمُؤْمِنِينَ أَيَّبَتُّونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كُفْرٌ فَفَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْكُمْ عَلَيْكُمْ وَمَتَّعْنَاهُمْ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَالَهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ

المكان مخاض جمع مخاضة ، ثم صار اسماً لكل دخول فيه تلوث ؛ وتُجوز به إلى القول الباطل ، واستعماله في ضده للمشاكلة . ويؤخذ من الآية الهي عن مجالسة أهل الباطل عامة عند خوضهم في باطلهم ؛ كالمبتدعة والفاسق والملاحدة .

١٤١ - ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ وصف الله المنافقين بأنهم ينتظرون ما يحدث للمؤمنين من خير أو شر ، أو من نصر أو هزيمة . ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كُفْرٌ فَفَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ أى نصر منه وخير لكم ﴿قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ في

مكة : (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ) (٢) وهو يستلزم الهي عن موالاتهم على أبلغ وجه وأكده . ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهمْ﴾ أى إنكم إن قعدتم معهم كنتم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب . ثم أخبر الله أنه جامع المنافقين والكافرين من المشركين واليهود في جهنم جميعاً ؛ لاشتراكهم في موجب هذا العذاب الخالد . والخوض في الأصل : الدخول في مائع كالماء والطين . يقال : خاض يخوض خوضاً ، دخل ، واسم

أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر ، وهو تعالى فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع ، حيث تركهم في الدنيا معصومي الدماء والأموال ، تجري عليهم أحكام الإسلام بحسب الظاهر ، وأعد لهم في الآخرة الدرك الأسفل من النار . وخادع : اسم فاعل ، من خادعته فخدعته ، إذا غلبته وكنت أخدع منه .

١٤٣ - ﴿مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ مُرَدِّدِينَ متحيرين بين الكفر والإيمان ، قد ذبذبه الشيطان بينهما أو بين المؤمنين والكافرين المعلنين . وأصل الذبذبة : حكاية صوت الحركة للشئ المعلق ، ثم استعير لكل حركة واضطراب ، أو تردد بين شيئين . يقال : ذبذبه ذبذبة ، أى تركه حيران متردداً ، كالشاة العائرة - وهى المترددة - بين قطيعين لا تدرى أيهما تتبع .

١٤٤ - ﴿سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ حجة ظاهرة في العذاب .

١٤٥ - ﴿فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ﴾ أى فى الطبقة الأسفل من أطباقها السبعة . وسُميت دركات لكونها متدازكة ، أى متتابعة بعضها تحت بعض . والدرك لغة فى الدرج وهو كالدرج ، إلا أن الدرج يقال باعتبار الصعود ، والدرك باعتبار النزول والحدور . ولذا قيل : درجات الجنة ، ودركات النار .

وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالً يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٦﴾ مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٧﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ يُجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٨﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٥٠﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٥١﴾ * لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ

الجهاد فأعطونا نصيباً من الغنائم . والفتح : النصر ، كالفتاحة . ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ أى دولة وظهور على المؤمنين . ﴿قَالُوا﴾ للكافرين . ﴿أَلَمْ نَسْخُوحْ عَلَيْكُمْ﴾ أى ألم نغلبكم ونسكن من قتلكم وأسركم فأنبقينا عليكم . ﴿وَنَمَتَّعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أى ألم ندفع المؤمنين عنكم بتخذيهم ، ومراسلتنا إياكم بأخبارهم وأسرارهم ، فأعطونا نصيباً مما أصبم منهم . والاستحواذ : الاستيلاء والعلة . يقال : استحوذ عليه ، أى غلب عليه . ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ أى حجة يوم القيامة . وقيل فى الدنيا ، فلا حجة لهم يغلبون بها المؤمنين ، لأنهم على الباطل والمؤمنون على الحق . والسبيل : الطريق ، وما يتوصل به إلى الشئ ، وأطلق على الحجة مجازاً .

١٤٢ - ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ يفعلون ما يفعل الخادع ، حيث



١٤٨ - ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ﴾ أى إعلانه وإظهاره . وكذا الإسراؤه . ﴿مِنَ الْقَوْلِ﴾ ومثله الفعل ؛ لكن يباح للمظلوم أن يجهر بما في ظلمه من السوء ليدفع عن نفسه شره .

١٥٠ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ نزلت في اليهود الذين آمنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد . وفى النصارى الذين آمنوا بعيسى وكفروا بمحمد - عليهم الصلاة والسلام - تفريقاً بين الله ورسله ، والله سبحانه قد أمرهم بالإيمان بجميع رسله .

١٥٣ - ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ نزلت في أحبار اليهود حين سألوا النبى صلى الله عليه وسلم تعتاً: أن يأتيتهم من السماء بكتاب جملة واحدة ، كما أتى موسى عليه السلام بالتوراة ؛ وجعلوا الحكمة فى تفصيل آيات القرآن وجعلوه نجومًا . ﴿جَهْرَةً﴾ عياناً بالبصر . ﴿الصَّاعِقَةَ﴾ نار من السماء أو صيحة منها .

١٥٤ - ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ حين امتنعوا من قبول التوراة ؛ ليخافوا فيقبلوها ولا ينقضوا العهد والميثاق ؛ وهو كقوله تعالى : ﴿وَإِذْ تَقِفْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١) . ﴿لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ لا تجاوزوا فى يوم السبت ما أبيع لكم إلى

(١) آية ١٧١ الأعراف .

مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾
 إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ نَحَفُوهُ أَوْ تَغْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنْ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
 وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا
 لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
 وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ
 وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ
 تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ
 مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ
 ثُمَّ اتَّخَذُوا الْجِبَلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ
 ذَلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ
 الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا
 لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

ما حُرِّمَ عليكم ، وهو الاصطياد فى حُرْمِ عَلَيْهَا أى ختم عليها فحجبها عن العلم .

١٥٦ - ﴿بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ أى كذباً وباطلاً فاحشاً .

١٥٥ - ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [راجع آية ٨٨ البقرة ص ٢٢] .

١٥٧ - ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾

وصلبوه ، يظنونهم المسيح وما هو به في الواقع ، إذ قد رفع الله عيسى إلى السماء ، ونجّاه من شر الأعداء . وقيل : المعنى ولكن التمس عليهم الأمر حيث ظنوا المقتول عيسى كما أوهمهم ذلك أخبارهم . ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ﴾ وهم اليهود ، حيث قال بعضهم : قتلناه حقاً ، وتردّد فيه آخرون . والنصارى حيث قال بعضهم : صلب الناسوت ورفع اللاهوت . وقال بعضهم : قتلاً معاً . وقال فريق : رأيناه قتل . وفريق : رأيناه رفع . وكلهم ضلال كذبة ، وما لهم بذلك من علم ! ولكنهم يظنون ظناً ويتبعون وهماً ، وما قتلوه متيقنين أنه هو ، بل رفعه الله إلى السماء التي لا حكم فيها إلا الله تعالى ، وطهره من الذين كفروا .

١٥٩ - ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْيَهُودِ وَالنَّاصِرِينَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾

لَكِنَّ الرَّاكِبِينَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ * إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا

فِيمَا نَقُصُّهُمْ مِنْهُمْ وَمَكَفَّرِهِمْ بِمَا بَيَّنَّ اللَّهُ وَفَتَلَهُمْ
الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَرِّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا
بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَيَكُفِّرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ
عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهِّنَا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ
عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ
شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ
بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ
رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنْ مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ
يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَيُظْلَمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا
عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالُ
النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾
لَكِنَّ الرَّاكِبِينَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ
إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ * إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا

زعم أكثر اليهود أنهم قتلوا المسيح وصلبوه ، فأكذبهم الله تعالى في ذلك وقال : ﴿ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ أي شبه لهم المقتول بأن التي عليه شبه المسيح ، فلما دخلوا ليقتلوا المسيح وجدوا الشبيه فقتلوه

١٦٢ - ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾ أي وأخصّ المقيمين الصلاة



بِالذِّكْرِ أَوْ بِالْمَدْحِ . وَقُرِئَ
«وَالْقِيَمُونَ» .

١٦٣ - ﴿وَالْأَسْبَاطُ﴾ أولاد
يعقوب عليه السلام لصلبه ،
وقيل : أولادهم . وفي نبوة من
عدا يوسف منهم خلاف :
وصحح الشبوطي والآلوسي
عدمها . فالمراد من الإيحاء
إليهم : الإيحاء إلى الأنبياء
منهم ؛ كما تقول : أرسلت إلى
بني تميم ؛ تريد أرسلت إلى
رؤسائهم ووجوهم . ﴿زُبُورًا﴾
أى مزبورًا بمعنى مكتوب ،
ولم يكن فيه أحكام ؛ بل فيه
تقديس وتحميد وثناء على الله عز
وجل ، ومواعظ وحكم .

١٦٦ - ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ أى يعلم
تأمل وحكمة البالغة منه تعالى . أو بما
علمه من مصالح عباده في إنزاله
عليه .

١٦٨ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَزَلَمُوا﴾ أى وظلموا أنفسهم
بالضلال البعيد والصد عن سبيل
الله ؛ فازدادوا بذلك كفرًا
وأصروا عليه إلى المات ﴿لَمْ يَكُنِ
اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ﴾ كما قال تعالى :
«إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ» (١)
﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ
جَهَنَّمَ﴾ لفساد استعدادهم
[راجع آية ١٣٧ من هذه السورة
ص ١٣٤] . والتعبير بالهداية في
جانب طريق النار ضرب من
التحكم بهم .

١٧١ - ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾

(١) النساء آية ٤٨ .

إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ . وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ
وَالِإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ
وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٦٦﴾
وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ
نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٧﴾
رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ
حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٨﴾ لَكِنَّ اللَّهَ
يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ
وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٧٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَزَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٧١﴾
إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى
اللَّهِ بَسِيرًا ﴿١٧٢﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُولُ
بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكَمْ فَفَاعِلُونَا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا
فَمَا لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿١٧٣﴾ يَتَأَهَّلُ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا
تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ
مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَتْ إِلَيْكَ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ
فَفَاعِلُونَا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوُا خَيْرًا

وشريكاً ، تعالى الله عما يقولون
 غُلُوا كَبِيرًا ! ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَى
 مَرِّمٍ ﴾ [راجع آية ٣٩ آل
 عمران ص ٧٩] . ﴿ وَرُوحٌ
 مِنْهُ ﴾ أى وذو روح من أمر الله
 تعالى ، خلقه كسائر الأرواح .

١٧٢ - ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ
 الْمَسِيحُ ﴾ لَنْ يَأْتِفَ وَلَنْ يَتَرَفَعَ
 عَنْ عِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ لخالقه تعالى .
 والاستنكاف : الأنفة والترفع ،
 يقال : استنكف أى استكبر .
 وأصله من التَّكْفُ ، وهو تنحية
 الدَّمْعِ عن الحَدِّ بالإصْبَعِ ورفعهُ
 عنه .

١٧٤ - ﴿ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ هو
 رسوله محمد صلى الله عليه
 وسلم ، وما جاء به من البينات
 من رَبِّهِ . وعبر عنه صلى الله عليه
 وسلم بذلك لما معه من المعجزات
 الباهرة الشاهدة بصدقه ، كما عبر
 عنه بالْبَيِّنَةِ فى قوله تعالى : (حَتَّى
 تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ) (١) ﴿ وَنُورًا
 مُبِينًا ﴾ : هو القرآن الكريم .

١٧٦ - ﴿ يُفْتَنُكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾
 [راجع آية ١٢ من هذه السورة
 ص ١٠٩] . ﴿ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ ﴾
 أى ولا والد ، ولم يُذَكَرْ فى الآية
 لعلمه من لفظ الكَلَالَةِ . ﴿ وَلَهُ
 أُخْتُ ﴾ أى لأبوين أو لأب .
 وأما الأختُ لأُمٍّ ففرضها
 الشُّدُسُ : كما فى آية ١٢ من هذه
 السُّورَةِ (٢) . والله أعلم .

لَكُمْ إِمَّا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ
 وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ
 وَكِيلًا ﴿ ١٧١ ﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا
 لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ
 وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿ ١٧٢ ﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ
 فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا
 أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿ ١٧٣ ﴾
 يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكَ وَأُنزِلَتْ
 إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿ ١٧٤ ﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا
 بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى
 صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ ١٧٥ ﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ
 إِنْ أَمْرُوا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ
 مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ
 فَلَهُمَا اثْنَتَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً
 فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا
 وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿ ١٧٦ ﴾

خطابٌ للنصارى ، زجرًا لهم تفرطوا . والغُلُو : مجاوزة الحد .
 عما هم عليه من الضلال البعيد . وقد غُلُوا فى الدين فقالوا على الله
 ﴿ لَا تَغْلُوا ﴾ لا تجاوزوا الحد ولا غير الحق ، ونسبوا له اثنا

(٥) سُورَةُ الْمَائِدَةِ مَلَنِيَّةٌ
إِلَّا آيَةَ ٣ فَتَزَلُّ بِعَرَفَاتٍ فِي حُجَّةِ الْوَرَاةِ
وَأَيَّاهَا ١٢٠ نَزَلَتْ بَعْدَ الْفَتْحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ
الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ
إِنَّ اللَّهَ يُحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا
شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَئِدَ
وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ
وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ
قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا
وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ
وَالْعُدُوْنِ وَأَنفِقُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

١ - ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ بالعهود المؤكدة ، وهى ما ألزمه الله عباده وعقده عليهم من التكاليف ، وما يعقدونه فيما بينهم من عقود المعاملات والأمانات ونحوها ، مما يطلب شرعا الوفاء به . والإيفاء والوفاء : الإتيان بالشئ واقيا . يقال : وفى ووفى وأوفى بمعنى . والعقود : جمع عقد ، وأصله الرِّبْطُ مُحْكَمًا ، تُجَوِّزُ به عن العهد المؤقت ، وهو المراد هنا . ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَنْعَامِ﴾ البهيمة : اسمٌ لذوات الأربع من دواب البر والبحر . والأنعام : الإبل والبقر والغنم ، ولا يدخل فيها الخافر لغة . والإضافة للبيان ، وهى بمعنى «من» ، كخاتم فضة . وألحق بها فى حل الأكل ما يماثلها فى الاجترار وعدم الأنياب ، كالظباء وبقر الوحش . ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ أى إلا ما يتلى عليكم تحريمه فى الآية الثالثة . ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ أى أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَنْعَامِ كُلِّهَا ، غَيْرَ مُجَوِّزِينَ لِلْاصْطِيَادِ أَوْ الْإِنْتِفَاعِ بِالْمَصِيدِ وَأَنْتُمْ مُحَرَّمُونَ بِحُجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ ، سِوَاكُمْ أَكْتَمَ فِي الْحِلِّ أَمْ فِي الْحَرَمِ . يقال : أحرَمَ فهو مُحَرَّمٌ وَحَرَامٌ وَهَمَّ حُرْمٌ . فإذا تحللتُم من الإحرام حلَّ لكم ذلك ، لقوله تعالى : ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ

فَاصْطَادُوا﴾ . وفى حكم المُحَرَّمِ من كان فى الحَرَمِ وليس مُحَرَّمًا . و«غَيْرَ» حالٌ من الضمير فى «لَكُمْ» . و«مُحِلِّي» : جمعٌ مُحِلٌّ بمعنى مستحِلٌّ . و«الصَّيْدُ» : مصدرٌ بمعنى الاصطياد ، أو اسمٌ للحيوان المصيد . وجملة «وَأَنْتُمْ حُرْمٌ» حالٌ من الضمير فى «مُحِلِّي» . ٢ - ﴿لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ لا تنتهكوا حرمة أعلام دين الله ومتعبداته فى الحج وهى مناسكه . أو الأعمال الحُجَّةِ التى جعلها الله علامة على طاعته والتسليم إليه . جمعٌ شعيرة بمعنى العلامة . [آية ١٥٣ البقرة ص ٣٦] . ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ ولا تحلُّوا الأشهر الحُرْمَ الأربعة بالقتال فيها ، وهو عند الجمهور منسوخ بآية : (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) (١) . ﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾ ولا تحلُّوا حرمة

البغضُ المصحوبُ بتقرُّز. مصدرُ
شَنَاهُ - كَتَمَهُ وَسَمِعَهُ - أَيْ
أَبْغَضَهُ. ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ
وَالتَّقْوَى﴾ أَيْ عَلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ
وَاجْتِنَابِ الْمُنْكَرَاتِ وَالْمُنْهَيَّاتِ .
﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ﴾ وَهُوَ
تَرْكُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِفِعْلِهِ ، وَفِعْلُ
مَا أَمَرَ بِتَرْكِهِ . ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ وَهُوَ
مَجَاوِزَةُ حُدُودِ اللَّهِ .

٣ - ﴿وَلَحْمُ الْخَنْزِيرِ﴾ يَعْنِي
الْخَنْزِيرَ بِجَمِيعِ أَجْزَائِهِ . ﴿وَمَا
أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ مَا ذُكِرَ عَلَى
ذِكْرِهِ غَيْرُ اسْمِهِ تَعَالَى ، مِنْ صَنْمٍ
أَوْ وَثْنٍ أَوْ طَاغُوتٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ
[آيَةُ ١٧٣ الْبَقَرَةِ ص ٣٩] .

﴿وَالْمُتَحَفِّةُ﴾ الْبَيْمَةُ الَّتِي تَمُوتُ
بِالْحَقِّ ، سِوَا مَا كَانَ بِفِعْلِهَا كَانَ
يُدْخَلُ رَأْسُهَا فِي مَوْضِعٍ
لَا تَسْتَطِيعُ التَّخَلُّصُ مِنْهُ
فَتَمُوتُ ، أَمْ بِفِعْلِ غَيْرِهَا .
﴿وَالْمَوْقُودَةُ﴾ الْبَيْمَةُ الَّتِي
تُضْرَبُ بِمِثْقَلٍ غَيْرِ مَحْدَدٍ ،
كَخَشَبٍ أَوْ حَجَرٍ حَتَّى تَمُوتَ ،
وَكَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَضْرِبُونَهَا
بِالْعَصَى حَتَّى إِذَا مَاتَتْ أَكَلُوهَا .
﴿وَالْمُتَرَدِّةُ﴾ الْبَيْمَةُ الَّتِي تَسْقُطُ
مِنْ عُلُوٍّ فَتَمُوتُ مِنَ التَّرْدِي ،
مَأْخُودٌ مِنَ التَّرْدِي بِمَعْنَى الْهَلَاكِ .
﴿وَالنَّطِيطَةُ﴾ الَّتِي تَنْطِيطُهَا
أُخْرَى فَتَمُوتُ مِنَ النَّطَاحِ .
يُقَالُ : نَطَحَهُ يَنْطِطُحُهُ وَيَنْطِطُحُهُ ،
أَصَابَهُ بِقَرْزِهِ . ﴿وَمَا أَكَلَ
السَّبْعُ﴾ أَيْ مَا بَقِيَ مِنَ الْحَيَوَانِ
بَعْدَ أَكْلِ السَّبْعِ مِنْهُ . ﴿إِلَّا مَا
ذَكَّيْتُمْ﴾ اسْتِثْنَاءٌ مِنَ التَّحْرِيمِ ،

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنْزِيرِ وَمَا أَهْلٌ
لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُتَحَفِّةُ وَالْمَوْقُودَةُ وَالْمُتَرَدِّةُ وَالنَّطِيطَةُ
وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ
تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكَ فِسْقٌ يَوْمَ الدِّينِ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ يَوْمَ اكْمَلْتُ
لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ
الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ
لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ

هَذَا (١) أَوْ بآيَةِ السِّيفِ أَوْ بِهِمَا .
﴿يَتَّبِعُونَ فَضْلًا﴾ الْمُرَادُ مِنْهُ :
التَّجَارَةُ وَالْمَكَّاسِبُ .
﴿وَرِضْوَانًا﴾ هُوَ مَا يَطْلُبُونَهُ مِنَ
الرِّضَاءِ بِزَعْمِهِمْ . ﴿وَلَا
يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ﴾
لَا يَحْمِلَنَّكُمْ بَغْضُكُمْ لِلْمُشْرِكِينَ
مِنْ أَجْلِ صَدِّهِمْ إِيَّاكُمْ عَنْ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ يَوْمَ الْحُدُوبِ عَلَى
اعْتِدَائِكُمْ عَلَيْهِمْ اِتِّقَامًا مِنْهُمْ ؛
مِنْ جَرَمِهِ عَلَى كَذَا حِمْلِهِ عَلَيْهِ .
أَوْ لَا يَكْسِبَنَّكُمْ بَغْضُكُمْ لَهُمْ
الاعْتِدَاءَ عَلَيْهِمْ ؛ مِنْ جَرَمِ بِمَعْنَى
كَسَبٍ ، غَيْرَ أَنَّهُ يُسْتَعْمَلُ غَالِبًا فِي
كَسَبِ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ ؛ وَمِنْهُ
الْجُرْعَةُ . وَأَصْلُ الْجَرَمِ قَطْعُ الْغَرَّةِ
مِنَ الشَّجَرَةِ ، وَأُطْلِقَ عَلَى
الْكَسْبِ لِأَنَّ الْكَاسِبَ يَنْقَطِعُ
لِكِسْبِهِ . وَالشَّانُ : الْبُغْضُ أَوْ

مَا يُهْدَى إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ مِنْ
الْأَنْعَامِ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى
بِالتَّعَرُّضِ لَهُ ؛ بِنَحْوِ غَضَبٍ
أَوْ سَرَقَةٍ أَوْ حَبْسٍ عَنْ بُلُوغِهِ
مَحَلَّهُ (١) . ﴿وَلَا الْقَلَائِدُ﴾
جَمْعُ قَلَادَةٍ وَهِيَ مَا يُقَلَّدُ بِهِ
الْهَدْيُ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ مُهْدًى إِلَى الْبَيْتِ
الْحَرَامِ فَلَا يَتَّعَرَّضُ لَهُ أَحَدٌ بِسُوءٍ .
وَالْمُرَادُ : لَا تُحْلُوا ذَوَاتِ الْقَلَائِدِ
وَهِيَ الْبُذُنُ بِالتَّعَرُّضِ لَهَا . وَخُصَّتْ
بِالذِّكْرِ مَعَ أَنَّهَا مِنَ الْهَدْيِ اعْتِنَاءً
بِهَا ؛ لِأَنَّ الثَّوَابَ فِيهَا أَكْثَرُ ، وَبِهَاءِ
الْحَجِّ بِهَا أَظْهَرُ . ﴿وَلَا آمِينَ﴾
الَّتِي الْحَرَامُ أَيُّ وَلَا تُحْلُوا
أَدَّى قَوْمٌ قَاصِدِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ .
جَمْعُ آمٍ ؛ مِنَ الْآمِّ وَهُوَ الْقَصْدُ
الْمُسْتَقِيمُ . وَالْمُرَادُ بِهِمُ الْمُشْرِكُونَ ،
وَهُوَ مَنْسُوخٌ بِآيَةِ : ﴿فَلَا يَقْرُبُوا
الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ

لَهُمْ قُلْ أَحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ
مُكَلِّينَ يُعَلِّمُونُكُمْ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ
عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ الْيَوْمَ أَحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ
وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ
حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِحِينَ وَلَا مُنْخَذِينَ أَخْدَانٍ
وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى

أى إلا ما أدركتم ذكاته من
الْمُحَقِّقَةِ وما عطف عليها وفيه
بقية حياة ، يضطرب اضطراب
المذبح وذكيتموه فإنه يحل ؛ من
التذكية وهى الإتمام . يقال :
ذَكَيْتُ النَّارَ إِذَا أُنْتِمَتْ اشْتَعَالُهَا .
والمراد هنا : إتمامُ قَرَى الأوداج
وإنهارُ الدَّم . والتفصيلُ في
الفقه . ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى
النُّصَبِ ﴾ جمعُ نَصَاب ،
ككتب وكتاب . أو نُصْب ،
كسُقِف وسُقْف . أو واحد
النُّصَاب ، وهى والنُّصْب
أحجارٌ نصبوها حول الكعبة ،
كانوا يذبحون عليها ويعظمونها
ويطبخونها بالدماء ، وهى غير
الأصنام ، إنما الأصنام المصورة
المنقوشة . ﴿ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا
بِالْأَزْلَامِ ﴾ وأن تطلبوا عِلْمَ
مَا قَسَمَ لَكُمْ في سفر أو غَزْو ونحو
ذلك بواسطة الأزلام ، وتسمى
الْقِدَاح ، وهى سهامٌ كانت
لديهم فى الجاهلية مكتوبٌ على
أحدها : أَمْرِي رَبِّي ، وعلى
الآخر : نَهَانِي رَبِّي ، والثالث
غُفْلٌ من الكتابة ؛ فإذا أرادوا
شيئاً من ذلك أتوا إلى بيت
الأصنام واستقسموها ؛ فإن
خرج الأمرُ أقدموا على الأمر ،
وإن خرج الناهي أمسكوا عنه ،
وإن خرج الغُفْلُ أجالوها ثانياً
حتى يخرج الأمرُ أو الناهي .
وواحدُ الأزلام : زَلَمٌ ؛ كجَمَل
وَصُرْد . ﴿ ذَلِكُمْ فَسُقْ ﴾ أى
الاستقسامُ بالأزلام . أو تناول

جميع ما ذكر من المحرمات خروج
عن طاعة الله تعالى . ﴿ الْيَوْمَ
يَسِّرَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ المرادُ به :
يَوْمَ عَرَفَةَ ، وهو يومُ الجمعة عامَ
حَجَّةِ الْوَدَاعِ . والبأسُ : انقطاعُ
الرجاء ، وهو ضد الطمع .
﴿ مِنْ دِينِكُمْ ﴾ أى من إبطال أمر
دينكم . ﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ فِي
مَخْمَصَةٍ ﴾ أى فمن ألجأته
الضرورة إلى أكل شيء من هذه
المحرمات فى مجاعة شديدة ﴿ غَيْرِ
مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ ﴾ أى غير مائلٍ
إليه بأن يكون غير باغٍ ولا عادٍ
فأكل فلا إثم عليه .
والاضطرارُ : الوقوعُ فى
الضرورة . والمخْمَصَةُ : خلُّو
البطن من الغداء عند شدة
الجوع . و « مُتَجَانِفٍ » من
الْجَنَفِ وهو الميل . يقال : جَنَفَ
عن الحق كَفَرَح - إذا مال عنه .
وَجَنَفَ عن طريقه - كَفَرَح
وضرب - جَنَفًا وَجُتُوفًا ، مال
عنه .
٤ - ﴿ الطَّيِّبَاتُ ﴾ ما أذن الشارع
فى أكله . ﴿ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ
الْجَوَارِحِ ﴾ وأحل لكم صيدُ
ما درَّبتُم على الصيد من سباع
البهائم ؛ كالفهود والكلاب .
وسباع الطير ؛ كالصقور ونحوها

الصديق ؛ يُطلق على الذكر
والأنثى [آية ٢٤ النساء
ص ١١٢]

٦ - ﴿فَتَنَّم إِلَى الصَّلَاةِ﴾ أردتم
القيام إليها وأنتم محدثون حدثاً
أصغر. ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى
الْمَرَافِقِ﴾ أى واغسلوا أيديكم
مع المرافق ، وأرجلكم مع
الكعبين . فـ «إلى» بمعنى مع ؛
كما فى قوله تعالى : (وَلَا تَأْكُلُوا
أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ) (١) أى مع
أموالكم . ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى
[آية ٤٣ النساء ص ١١٦] .
﴿الْعَائِطِ﴾ موضع قضاء الحاجة
(كناية عن الحدث) . ﴿لَا مَسَّكُمْ
النِّسَاءِ﴾ واقعتوهن أو مستم
بشرتهن . ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ تراباً .
أو وجه الأرض - طاهراً .
﴿حَرَجٍ﴾ ضيق فى دينه
وتشريعه .

٧ - ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ
بِهِ﴾ واذكروا عهد الله الذى
عاهدكم عليه ؛ وهو الميثاق
الذى أخذه عليكم حين بايعتم
الرسول صلى الله عليه وسلم على
السمع والطاعة فيما أحببتم وكرهتم
فى ليلة العقبة أو تحت الشجرة .

٨ - ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾ ليكون
من دأبكم أن تقوموا لله بالحق فى
كل ما يلزمكم القيام به ، من
العمل بطاعته واجتناب منهيته .
﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ شاهدين
بالعدل . ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا
قَوْمٍ﴾ [آية ٢ من هذه السورة

الصَّلَاةَ فَاعْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ
وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ
جُنُبًا فَأَطْهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ
أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَايِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً
فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ
مَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ
وَلِيَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥١﴾ وَاذْكُرُوا
نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا وَأَنْتُمْ قَوْمٌ مُّذَكَّرُونَ ﴿٥٢﴾

وذهب أكثر أهل العلم إلى أنها
تحل ؛ وهو قول الشَّعْبِيِّ وَعَطَاءُ
قَالَا : فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَلَّ ذَبَاحَهُمْ
وهو يعلم ما يقولون .
﴿وَالْمُحَصَّنَاتُ مِنْ
الْمُؤْمِنَاتِ...﴾ وَأَحَلَّ لَكُمْ
العفائف من المؤمنات ومن
الكنانيات . وَخُصَّ الْمُحَصَّنَاتُ
بهذا المعنى بالذكر للترغيب فى
نكاحهن ، والحث على
اختيارهن . ﴿أَجُورَهُنَّ﴾ أى
مهورهن . ﴿مُحْصَنِينَ غَيْرِ
مُسَافِحِينَ﴾ أعفاء بالنكاح ، غير
مجاهرين بالزنا . يقال : سَفَحَ
الماء يَسْفُحُهُ إِذَا صَبَّهُ . ﴿وَلَا
تُخَذَى أَخْدَانٍ﴾ أى صديقات
للزنا بهن سرّاً جمع خِذْنٌ وهو

مما يقبل التعليم والتدريب .
وسُمِّيَتْ جَوَارِحٌ لِكَسْبِهَا الْقُوَّةَ
لأصحابها من الصيد . يقال :
جَرَحَ فُلَانٌ أَهْلَهُ يَجْرَحُ وَيَجْرَحُ ،
أى تكسب لعياله . ﴿مُكَلِّينَ﴾
أى مؤدِّبين ومُعَوِّدِينَ لها على
الصيد ؛ من الكلب بمعنى
الضراوة . يقال : كَلَّبَ الْكَلْبُ
يَكْلِبُ وَاسْتَكَلَبَ ، ضَرَى وَتَعَوَّدَ
أَكَلَ النَّاسُ . ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ
عَلَيْهِ﴾ أى على ما علمتم من
الجوارح عند إرساله .

٥ - ﴿وَطَعَامَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ﴾ أى وذبائحهم حلالاً
لكم إذا ذكروا عليها اسم الله
تعالى عند الذبح ؛ فإن ذكروا
عليها اسم غيره قيل لا تحل .

ص ١٤١]. ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ تذكر بنعمة خاصة بعد التذكير بنعمة عامة ، وهي إنجاؤهم من كيد أعدائهم . ﴿ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ أى يَبْسُطُوا بِكُمْ بالقتل والإهلاك . يقال : بَسَطَ يده إليه ، إذا بطش به . وَبَسَطَ إِلَيْهِ لِسَانَهُ ، إذا شتمه . وَابْسُطُ فِي الْأَصْلِ : مطلق المد ، وإذا اسْتَعْمِلَ فِي الْبِدِّ وَاللِّسَانِ كَانَ كُنَايَةً عَمَّا ذَكَرَ .

١٢ - ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ بيان لما كانوا عليه من نقض العهود والمواثيق ، وتحريف التوراة والإعراض عنها ، والخيانة للرسول . ﴿ نَقِيًّا ﴾ كفيلاً ، كفلاً عليهم بالوفاء لله بما واثقوه عليه من اليهود ؛ من التثقيب وهو البحث والتفتيش . وَالتَّقْيِبُ : من يَتَّقِبُ عن أحوال القوم وأسرارهم فيكون شاهداً لهم وضميتهم وعريفهم . وَأَصْلُهُ مِنَ التَّقْبِ وهو الثقب الواسع والطريق في الجبل . ﴿ وَعَزَّرْتُمُوهُمْ ﴾ نصرتموهم مع تعظيمهم وطاعتهم ، من التعزير وهو النصر والإعانة مع التعظيم والتفخيم ، وذلك بالذب عنهم والإعانة لهم والانقياد إليهم . ﴿ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ هو ما كان عن طيب نفس . أو ما لا يتبعه من ولا أدى أو ما كان من حلال .

١٣ - ﴿ لَعَنَاهُمْ ﴾ طردناهم من

يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ مُّشْكِرُونَ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ * وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا نَقُصُّهُمْ مِنْهُمْ لَعَنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِنْهُمُ مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ



الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يَنْبِئُهُمُ اللَّهُ
بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ
رَسُولُنَا يَبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ
وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ
مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ
وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ
أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ
مَا يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ
وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ ۖ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ
بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ
رَسُولُنَا يَبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْنَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا
مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ۖ يَتَقَوَّمُ
أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ

رحمتنا بسبب نفقهم ميثاقهم
عقوبة لهم : ﴿يُحَرِّقُونَ الْكَلِمَ﴾
يغيرونه . أو يؤولونه بالباطل .
﴿عَلَى خَائِتَةِ مِنْهُمْ﴾ على خيانة
وغدر منهم . اسم وضع موضع
المصدر . كقائلة في موضع
القيولة . وتلك عادتهم مع
رسلهم .

١٤ - ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا
نَصَارَى﴾ بيان لقبائح النصارى
وجناباتهم إثر بيان قبائح اليهود
وشروهم . و «نصارى» جمع
نصران ، كندامى جمع ندمان ،
ولم يستعمل نصران إلا بياء
السب . وقد صارت كلمة
نصرانى لقباً لكل من اعتنق
المسيحية . أى وأخذنا من الذين
قالوا إِنَّا نصارى ميثاقهم .
﴿فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمْ...﴾ ألزمتنا أو
ألصقنا بينهم العداوة والبغضاء .
يقال : أعربت فلاناً بكذا حتى
غرى به ، نحو ألزمته به
وألصقته ، وأصل ذلك من
الغراء وهو ما يُلصق به .

١٥ - ﴿نُورٌ﴾ هو محمد صلى الله
عليه وسلم .

١٩ - ﴿يَبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْنَةٍ مِنَ
الرُّسُلِ﴾ أى يبين لكم شرائع
الذين على انقطاع من الرُّسل ،
وطموس من السبل ، وتغير
الأديان ، وكثرة عبادة الأوثان ،
فكانت الثعنة به أتم الثعم .
وأصل الفترة : الانقطاع ،
يقال : فتر الماء إذا انقطع عما كان

عليه من البرودة إلى السخونة .
وَقَرَعَ عَنْ عَمَلِهِ يُقَرِّرُ وَيَقَرِّرُ فَنُورًا ،
إذا انقطع عما كان عليه من
الجدِّ . وَسُمِّيَتِ الْمُدَّةُ الَّتِي بَيْنَ
النَّبِيِّينَ قَرَّةً ؛ لِفَتُورِ الدَّوَاعِي فِيهَا
إِلَى الْعَمَلِ بِتِلْكَ الشَّرَائِعِ .

٢١ - ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ
الْمُقَدَّسَةَ﴾ هِيَ بَيْتُ الْمَقْدَسِ ،
وَقِيلَ : دِمَشْقُ وَفِلَسْطِينَ
وَالْأَزْدُنْ . وَقِيلَ : أَرْضُ الطُّورِ
وَمَا حَوْلَهُ .

٢٢ - ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾
شَدِيدِي الْبَطْشِ مُتَغَلِّينَ ،
لَا تَتَأَتَّى مَقَاوِمَهُمْ ، وَكَانُوا مِنْ
الْعَامِلَةِ بِقَايَا قَوْمِ عَادَ ، اسْتَحْذَرُوا
عَلَيْهَا وَمَلَكُوهَا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ فِي
حُوزَةِ الْيَهُودِ فِي زَمَنِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ . جَمْعُ جَبَّارٍ ، صِبْغَةٌ
مِبَالِغَةٌ ؛ مِنْ جَبَرٍ - الثَّلَاثِي -
وَهُوَ الَّذِي يَقْهَرُ النَّاسَ وَيُكْرَهُهُمْ
عَلَى مَا يَرِيدُهُ .

٢٥ - ﴿فَاْفَرُقْ﴾ فَافْصَلْ
بِحَكْمِكَ .

٢٦ - ﴿يَتَّبِعُونَ فِي الْأَرْضِ﴾
أَيَ يَسِيرُونَ مُتَحَبِّرِينَ فِي
الْأَرْضِ ، عَقُوبَةً لَهُمْ عَلَى
تَفْرِيطِهِمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ مِنْ
الَّتِي هِيَ وَالْحَيْرَةُ . يُقَالُ : نَاهَ بَيْتَهُ
وَيَتَّوهُ إِذَا تَحَيَّرَ . وَتَوَّهَ إِذَا حَيَّرَهُ .
وَوَقَعَ فِي التَّيِّهِ وَالتَّوَّهَ ، أَيُ فِي
مَوَاضِعِ الْحَيْرَةِ . وَأَرْضُ تَيْهٍ أَيُ
مُضِلَّةٌ ؛ وَمِنْهُ سُمِّيَتْ هَذِهِ
الْأَرْضُ الْبَرِّيَّةُ الَّتِي بَيْنَ مِصْرَ
وَالشَّامِ بِالتَّيِّهِ . ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى

مُلُوكًا وَءَاتَانَكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٥﴾
يَقُومُوا ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ
وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٦﴾
قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدَحِلْهَا
حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٧﴾
قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنِعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا
عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَلَمَّا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ
فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَنْ
دَخِلْهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا
إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا
نَفْسِي وَأَخِي فَافَرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٣٠﴾
قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ
فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٣١﴾ * وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ
أَبْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ
يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ
الْمُتَّقِينَ ﴿٣٢﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ
يَدِي إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾

الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ فَلَا تَحْزَنْ أَيُ حَزَنَ ، فَهُوَ أَسَىُّ مِثْلَ
عَلَيْهِمْ ؛ مِنْ الْأَسَىِّ وَهُوَ الْحَزَنُ . حَزِينٌ . وَأَسَا عَلَى مَصِيبَتِهِ - مِنْ
يُقَالُ : أَسَىُّ أَسَىِّ - كَتَبَ - بَابُ عَدَا - حَزَنَ . ﴿قَرَّبَا



يحضر فيها ليدفن غرابا قتله .
﴿سَوَاءٌ أَخِي﴾ جيفته أو عورته .
﴿يَا وَيْلَتَا﴾ أصلها : يا ويلتي ،
وهي كلمة جَزَع وتَحَسَّر ،
تُستعمل عند وقوع الداهية
العظيمة ، كأن المتحسر ينادي
ويلته ويطلب حضورها ، بعد
تنزيلها منزلة من ينادي ؛
ولا يكون ذلك إلا في أشد
حال . والْوَيْلَةُ كَالْوَيْلِ :
الفضيحة والليثة والهلاك .

٣٢ - ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ أصل
معنى الأجل : الجناية التي يخاف
منها أجلاً . يقال : أجل الرجل
على أهله شراً يأجله - بضم الجيم
وكسرهما - أجلاً ، إذا جنّاه
أو أثاره وهيجه ، ثم استعمل في
تعليل الجنايات ، كما في قولهم :
من أجلك فعلت كذا ، أى من
جرائك وجنابتك ، ثم اتسع فيه
فاستعمل في كل تعليل .
والمعنى : من أجل هذه المفساد

الحاصلة بسبب هذه الجريمة
الفظيعة ، شرعنا القصاص ،
وكتبنا في التوراة تعظيم القتل
العمد العدوان ، وشددنا على بني
إسرائيل فيه ، لشيوعه فيهم ،
حتى إنهم تجرّءوا على قتل
الأنبياء . وهم أول أمة نزل
الوعيد عليهم في القتل العمد
العدوان مكتوباً . ﴿لَمَسْرِفُونَ﴾
لجأوزون الحدة بارتكاب المعاصي
والآثام ، ومنها القتل بغير حق .
والإسراف : مجاوزة حد الحق .
أو هو التباعد عن حد الاعتدال

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ
النَّارِ ذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ
قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ
غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيَبْرَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ
قَالَ يَبْلُغُنِي أُعِزَّتْ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ
فَأُورِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ
ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ
نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا
وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ
رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ
لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

قُرْبَانًا ﴿اسْمٌ لَمَّا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ رَجَعَ ، وَبُوتَ بِهِ إِلَيْهِ رَجَعَتْ .
تعالى من صدقة أو ذبيحة . وباء بحقه أقر ولزم ، أى أنى أريد
أو نحوها . وهو في الأصل مصدر . أن تبوء بإثم قتلك لى ، وبإثمك
قرب منه - ككرم - إذا دنا . الذى قد صار إليك بذنوبك من
وكانت أمانة قبول القرابين أن . قبل قتلى .
تنزل من السماء ناراً بيضاء . ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ
فأاكلها ، فإن لم تنزل لم تكن . أخيه﴾ سهله له وزينته بعد هذه
مقبولة ، فأاكلها السباع والطير . الموعظة وهذا الزجر . يقال :
لعدم جواز أكل القرابين إذ ذلك . طاع الشيء يطوع ويطاع أى
٢٩ - ﴿أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ سهل وانقاد . وطوعه فلان له
ترجع وتقرّ ، من البؤ وهو سهله .
الرجوع واللزوم ، يقال . باء إليه ٣١ - ﴿يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾

مع عدم المبالاة به .

٣٣ - ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ نزلت في قُطَاعِ الطريق ومحاربتهم الله والرسول ، ومخالفتهم الأمر ، وخروجهم عن الطاعة ، فإذا قَتَلُوا فقط قَتَلُوا حَدًّا ، وإذا قَتَلُوا وأخذوا المَالَ قَتَلُوا وَصَلُّوا ، وإذا أخذوا المَالَ فقط قُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ من خلاف . الأول - لأخذ المَالَ . والثاني - لإخافة الطريق . وإذا أخافوا السبيل ولم يَقْتُلُوا ولم يأخذوا مَالًا نَفَوْا من الأرض ؛ أى أخرجوا إلى بلد آخر من بلاد الإسلام وسُجِنُوا فيه . وقيل . المراد بالنفى السَّجْنُ دون إخراج من البلد . قال الآكوسى : والظاهر أن هذا التفصيل عُلِمَ بالوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم . وقيل : الإمام مُخَيَّر بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق . ﴿يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ يبعدوا أو يسجنوا . ﴿خِزْيٌ﴾ ذل وفضيحة وعقوبة .

٣٥ - ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ اجتنبوا المعاصي ، التى منها المحاربة والفساد . وافعلوا الطاعات ، التى منها التوبة والاستغفار ودفع الفساد . ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ أى اطلبوا الزُّلْفَى إليه بالأعمال المرضية عنده وبهجر معاصيه ، والابتغاء : الطلب . والوسيلة هنا : ما يُتَقَرَّب به إلى الله تعالى من فعل الطاعات واجتناب

وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يَقْتُلُوا أَوْ يَصْلُبُوا أَوْ يَقَطَّعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ نِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٥﴾ يَتَأَيَّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ أَنَّ لَهُمْ مَتَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٧﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٨﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٩﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٠﴾

المعاصي ؛ من وسَّلَ إلى كذا ، أى تقَرَّب إليه بشيء ، وقيل : الوسيلة الحاجة ؛ أى اطلبوا متوجهين إليه تعالى حاجتكم ؛ فإن بيده مقاليد السموات والأرض ، ولا تطلبوها متوجهين إلى غيره .

٣٨ - ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ أى يديهما . والمراد . اليدُ اليمنى من المعاصي ؛ من وسَّلَ إلى كذا ، أى تقَرَّب إليه بشيء ، وقيل : الوسيلة الحاجة ؛ أى اطلبوا متوجهين إليه تعالى حاجتكم ؛ فإن بيده مقاليد السموات والأرض ، ولا تطلبوها متوجهين إلى غيره .

كل منها ؛ وحَّدُها لغةً : من رموس الأصابع إلى الرُّسُغ . ﴿نَكَالًا﴾ : عقوبة منه تعالى على انتهاك حرمة المَالَ . [راجع فى معنى النكال آية ٦٦ البقرة ص ١٩] . والخطابُ للرسول صلى الله عليه وسلم . أولولاة الأمور ومن أذن له فى إقامة الحدود .



أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾
 * يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِغَوَّامٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ ۚ مِنَ اللَّهِ شَيْءٌ أَوْلَيْكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَظْهَرِ قُلُوبُهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤٢﴾ سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُوا لِلشَّحِّ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٣﴾ وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا

حسب أهوائهم وأغراضهم . ومع ذلك يقولون لأتباعهم : إن أتاكم محمد بما نقوله فخذوه ، وإن أتاكم بغيره فارفضوه . وما يقولون إلا كذباً وباطلاً وقولاً محرفاً . ﴿ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾ فخِزْيُ المنافقين باقتضاحهم ، وازدياد غمِّهم بسرعة انتشار الإسلام وقوة شوكته . وخِزْيُ اليهود بالذلِّ وظهور كذبهم في كتمان ما في التوراة ، وإجلاء بني النَّضِير من ديارهم . ﴿ أَكَّالُونَ لِلْسُّخْتِ ﴾ هم أَكَّالُونَ لِلْمَالِ الحرام كالزُّبَا والرَّشْوَةِ . سُمِّي سُخْتًا من سخته إذا استأصله ، لأنه مَسْحُوتُ البركة أي مقطوعها . أو لأنه يُذْهِبُ فضيلة الإنسان ويستأصلها . واليهود أرغَبُ النَّاسِ فِي الْمَالِ الحرام وأحرصهم عليه .

٤٢ - ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ﴾ خير الرسول صلى الله عليه وسلم إذا ترفع إليه أهل الكتاب بين الحكم بينهم ، والإعراض عنهم ، ثم نسخ التخيير بقوله تعالى : (وَإِنْ أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ) (١) . وقيل : إن التخيير ثابت بهذه الآية ، وقوله تعالى : (وَإِنْ أَحْكَمْتُمْ) بيان لكيفية الحكم عند اختياره ، وأنه لا يحكم إلا بأحكام الإسلام . وأما إذا تحاكم مسلم وذمى فإنه يجب الحكم بينهما بأحكام الإسلام اتفاقاً . وتفصيل الأحكام في الفقه .

٤١ - ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ﴾ نزلت في المنافقين في الكفر من المنافقين واليهود ؛ نعيًا عليهم ، ووعيدًا لهم . ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ أى هم جميعًا مستحيون للكذب قابلون

﴿بِالْقِسْطِ﴾ أى بالعدل ، وهو ما جاء به الإسلام من الأحكام .
٤٣ - ﴿يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾
يغرضون عن حكمك الموافق .

٤٤ - ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّ﴾ أى يحكم بالتوراة لليهود أنبياءهم الذين بُعثوا فيهم بين موسى وعيسى عليهما السلام ، وانقادوا لله تعالى وأطاعوه بإقامتها وتنفيذ أحكامها . ﴿و﴾ يحكم بها لهم ﴿الرَّبَّانِيُّونَ﴾ وهم العباد من اليهود ﴿وَالْأَحْبَارُ﴾ وهم العلماء منهم جمع خبر ، مأخوذ من التَّحْبِيرِ والتَّحْسِينِ . وقيل : الربَّانيون علماء النصارى . والأحبار : علماء اليهود . ﴿بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ أى بالذى سألهم النبيون أن يحفظوه من كتاب الله من التَّغْيِيرِ والتَّبْدِيلِ . والضمير عائذ إلى الربَّانيين والأحبار . ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾ خطابٌ لرؤساء اليهود المعاصرين له صلى الله عليه وسلم ، وحثٌ لهم على الاقتداء بمن سلفهم من النبيين والربَّانيين والأحبار ، فى إقامة التوراة وحفظها من التحريف ، وعلى إظهار ما كتبوه من نعمة صلى الله عليه وسلم ، وحكم الرِّجْم المذكورين بها . ويتناول غيرهم بطريق الدلالة . ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ يختلف المفسرون فيمن نزلت فيهم هذه الآية والآيات بعدها ، فقيل :

هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا
وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا
عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا أَنْفُسَكُمْ وَالَّذِينَ هَادُوا
بِعَايِنَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ
هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ
بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ
وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ
كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ
هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى
وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا

فى اليهود خاصة ، قُرَيْظَةَ والنَّصِير . وقيل : فى الكفار عامة . وقيل : الأولى فى هذه الأمة . والثانية فى اليهود . والثالثة فى النصارى . والكفر إذا نُسِبَ إلى المؤمنين حُمِلَ على التشديد والتغليظ ، لا على الكفر الذى ينقل عن الملة . والكافر إذا وُصف بالفسق والظلم أريد منها العتوُّ والعُزْدُ فى الكفر . وعن ابن عباس : مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ

٤٥ - ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ فمن عفا من أصحاب الحق عن القصاص وتصدق به على الجاني فذلك كفارة لذنوبه . والضمير فى «له» يعود إلى المتصدق .

٤٦ - ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ

القرآن فقط ، فأمنوا به واعملوا به . وليس لأحد بعد بعثته صلى الله عليه وسلم إيمان مقبول إلا الإيمان به . ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أى ولو شاء الله أن يجعل الأمم جميعاً ثنتين بدين واحد وملة واحدة فى جميع الأعصار لفعل ، ولكنه تعالى حكيمٌ خبيرٌ يعلم ما للأمم والعصور من خصائص وطبائع ، وما يناسب كل أمة من أحكام وشرائع يستقيم بها أمرها وتقتضيه مصلحتها ، فأنزل شرائع شتى ، تتفق جميعها فى الأصول ، ويختلف بعض أحكامها فى الفروع باختلاف الأمم والعصور ، ومن الطبيعى أن يتسخ بعضها بعضاً فى بعض الأحكام . واقتضت حكمته تعالى أن يختم شرائعه بشريعة عامة كاملة كقيلة بمصالح الناس إلى يوم الدين ، فأنزل بها القرآن وميزه على سائر كتبه السابقة بما يعلمه الراسخون فى العلم ، وبعث به خاتم رسله وأفضل خلقه ، وأمره ببيانته للناس ، ففهم من أدرك هذه الحكمة ، فعرف ربّه حق المعرفة ، وآمن به وبكتبه ورسله وعمل بأحكامه . ومنهم من جهلها فجمدت قريحته وفسدت سريرته ، وآمن ببعض وكفر ببعض ، فكان الله عاصياً ، ولحكته جاحداً ، ولرسله مكذباً ، وعن كتبه معرضاً ، وبغضب الله حقيقاً ، ولنقمته أهلاً . ﴿يَلْبِسُكُمْ﴾ ليختبركم

أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مَنكُم شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٢٨﴾ وَأِنْ أَحْكَم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ

يعيسى ﴿أَتَبْنَاهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ﴾ أى جعلناه يقفوا آثارهم ويتبعهم . [راجع آية ٨٧ البقرة ص ٢٢] ٤٨ - ﴿وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ رقيباً على ما سبقه من الكتب السماوية المحفوظة من التغيير ، حيث يشهد لها بالصحة ، ويقرر أصول شرائعها ، وما شرع مؤيداً من فروعها ، وما نسخ منها ، من الهيمنة وهى الحفظ والارتقاب . يقال إذا رقب الرجل الشيء وحفظه : قد هيمن عليه ، وهو مهيمٌ . ﴿عَمَّا جَاءَكَ﴾ عادلاً عما جاءك . ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ الخطاب للأمم الثلاث . والشرعة : الشريعة وهى الطريق الظاهر الموصل

وهو أعلم بأمركم . .

٤٩ - ﴿وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾ أى واحذر فتنهم لك ، وأن يصرفوك عن بعض ما أنزل إليك ولو كان أقل قليل ، بتصور الباطل بصورة الحق ، أو بالكذب على التوراة بإنكار بعض أحكامها .

٥٠ - ﴿أَفْحَكُمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ أى أينصرفون عن قبول حكمك بما أنزل الله ويعرضون عنه ، فيبغون حكم الجاهلية ؟

٥١ - ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ نهى الله المؤمنين أن يتخذ أحد منهم أحداً من اليهود والنصارى ولياً ونصيراً ، أى لا تصافوهم مصافاة الأحاب ، ولا تستنصروا بهم ، فإنهم جميعاً يدّ واحد علىكم ، يبعثونكم الغوائل ، ويربضون بكم الدوائر ، فكيف يتوهم بينكم وبينهم موالاة ؟ ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ أى من جملتهم ، وحكمه حكمهم [راجع الآيات ١١٨ - ١٢٠ آل عمران ص ٩٢ ، ٩٣] .

٥٢ - ﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ كان المنافقون يعتذرون عن موالاة اليهود بقولهم : إنا نخشى أن تدور علينا دائرة من دوائر الدهر ، ودولة من دوله ، بأن ينقلب الأمر للكفار ، وتكون الدولة لهم على المسلمين فحتاج

وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٥٠﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥١﴾ * يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَمَا لَهُ مِنْهُمْ إِنَّا لَا نَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٣﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهْتُلَاوُا الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ

إليهم . أو نخشى أن يدور علينا الزمن بمكرهه ، كالحجب والقحط ، فلا يسميروننا ولا يقرضونا . والدائرة : النائبة من حوادث الدهر ، التى تحيط بالنام إحاطة الدائرة بما فيها . وأصلها ما أحاط بالشئ ، ثم استعير لما ذكر ، وتطلق على الهزيمة . ﴿بِالْفَتْحِ﴾ بالنصر إليهم . لرسوله صلى الله عليه وسلم .

٥٣ - ﴿أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ الجهد : الوسع والطاقة ، من جهد نفسه يجهدا فى الأمر ، إذا بلغ أقصى وسعها وطاقتها فيه ، أى أقسموا مجتهدين فى أيمانهم . والمراد أنهم أكدوا الأيمان وشددوها بأقصى وسعهم . ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾

ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ
يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ۖ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ
يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَآئِمَةً ۚ ذَلِكَ
فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٦﴾ إِنَّمَا
وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ الَّذِينَ يُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٨﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا
وَلَعِبًا مِّنَ الدِّينِ أَوْ تَوَلَّوْا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ
وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٩﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ
اتَّخِذُواهَا هُزُؤًا وَلَعِبًا ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾
قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُونَ مِنَّا ۖ لَا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ
وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ
فَاسِقُونَ ﴿٦١﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ
اللَّهِ ۚ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ
وَالْحَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ
عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٢﴾ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ

تذلل إذا تواضع . ولتضمينه معنى
الحثوث على بعل . ﴿أَعِزَّةٌ عَلَى
الْكَافِرِينَ﴾ أشداء غلظاء
عليهم ؛ من أعزنى فلان ، إذا
أظهر العزة من نفسه ، وأبدى
الجمرة والغلظة . والعزة : حالة
تمنع الإنسان من أن يُغلب
ويُفهر . ﴿لَوْمَةً لَّائِمَةً﴾ اعتراض
معترض في نصرهم الدين .
﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ كثير الفضل
والجود .

٥٧ - ﴿هُزُؤًا﴾ سخرية . وأصله
هُزَأ ، فأبدلت الهمزة واوا لضم
ما قبلها . يقال : هزأ منه وبه -
كمنع وسمع - هُزُوا وهُزُوا ،
سخر كاستهزأ . ﴿وَلَعِبًا﴾ أخذًا
على غير طريق الجد . مصدر لعب
يلعب ، كسمع .

٥٩ - ﴿هَلْ تَتَّقُونَ مِنَّا﴾ هل
تكرهون منا وتعيون علينا .
يقال : تقم عليه أمره ونقمت
منه نقمًا - من باب ضرب -
عبته وكرهته أشد الكراهة ،
والواو في ﴿وَأَنَّ﴾ بمعنى مع .

٦٠ - ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ
ذَلِكَ مَثُوبَةً ۖ﴾ خطاب لليهود
وقد قالوا للمسلمين : لا نعلم
دينًا شرًا من دينكم . ومرادهم
لا نعلم أهل دين شرًا من أهل
دينكم ؛ فأنزل الله الآية . أى قل
لهم : هل أخبركم بشر من أهل
ذلك الدين عقوبة عند الله يوم
القيامة هو من أبغده الله عن رحمته
وغضب عليه ، وجعل منهم فردة
وخنازير في طباعهم وقلوبهم ،

بطلت وضاعت .
٥٤ - ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾
عاطفين عليهم متذللين لهم ، لئنى
الجانب معهم . جمع ذليل ، من

وأطاع الشيطان وكلّ داعٍ إلى ضلالة. ﴿عَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ أطاع الشيطان في معصية الله. ﴿أَوَلَيْكَ شِرٌّ مَكَانًا﴾ من غيرهم. ﴿وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ أكثر ضلالاً عن السبيل السواء، وهو الملة الحنيفية الحقّة. والسواء: الوسط المعتدل.

٦١- ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ نزلت في منافق اليهود الذين كانوا يدخلون على الرسول صلى الله عليه وسلم يُظهرون له الإيمان به وبما جاء به نفاقاً. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ في قلوبهم من الكفر، وهو وعيد لهم.

٦٢- ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ يُبَادِرُونَ إلى ارتكاب الحرام، من الكفر والكذب، وأكل السحت والزنا، وإلى الظلم أو مجاوزة الحد في العصيان.

٦٣- ﴿لَوْلَا بَيِّنَاتُهمُ الرِّبَايُونِ﴾ أي هلا ينهاتهم عن ذلك علماء أهل الإنجيل، وعلماء أهل التوراة من اليهود!! وهو توبيخ شديد وذمٌ بليغ، لأولئك القادة الذين تركوا التهي عن هذه المنكرات، ولذا قال تعالى فيهم: ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

٦٤- ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ قال اليهود ذلك حين كفّ الله عنهم ما بسط لهم من الرزق، عقوبة

دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ^{٦١} وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْبَهُهُمْ الرِّبَايُونُ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمُ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا^{٦٤} بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا^{٦٥} بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كَمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سِيَئَاتِهِمْ وَلَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٧﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ

على عصيانهم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم، وكثرت بذلك عن بخله تعالى بالعطاء، كما يُكَنَّى بسط اليد عن الجود والسّاء. ومثله في الكناية عن البخل: فلان جعد الأنامل، ومقبوض الكف. ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ دعاء عليهم بالبخل، ومن ثم كان اليهود أبخل خلق الله. أو دعاء عليهم بأن بعدوا عن رحمة الله بسببه. وهو دعاء ثانٍ عليهم. ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ أي بالجود والعطاء الذي لا نهاية له. ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ



وأصحابه ، والتنجاشي
وأصحابه ، ومن نهج نهجهم .

٦٧ - ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ أمر
صلى الله عليه وسلم بالبلاغ
للتقلين كافة ، فبلغ الرسالة وأدى
الأمانة . روى عن عائشة رضي
الله عنها قالت : (من حدثك أن
عمداً كتم شيئاً مما أنزل الله عليه
فقد كذب - وقرأت - (يا أيها
الرَسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ
رَبِّكَ) وفي رواية (٣) : (لو كان
محمد صلى الله عليه وسلم كاتماً
شيئاً من القرآن لكتبتم هذه الآية :
(وتخفى في نفسك ما الله مبديه
وتخشى الناس والله أحق أن
تخشاه) (٤) . نزلت - حين صاق
ذرعاً بقومه ، وعرف أن من الناس
من يكذبه - لتثبته وبشارته
بحفظ الله تعالى له وكفالاته إياه .
﴿والله يعصمك من الناس﴾
يحفظك من الكفار أن يعتدوا
عليك بالقتل .

٦٨ - ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ فلا تحزن
ولا تتأسف على القوم الكافرين
لزيادة طغيانهم ، فإنهم هم
الذين ظلموا أنفسهم ، وضرره
عائد إليهم . وفي المؤمنين عتًى لك
عنهم .

٦٩ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ
هَادُوا﴾ نظم الآية : إن الذين
آمَنوا - أي بالسنتهم - ولم تؤمن
قلوبهم . والذين هادوا
والنصارى : من آمن منهم بالله
واليوم الآخر إيماناً حقاً ، ويندرج

إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَا كُلُّوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ
مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْنَصَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾
* يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ
تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ
وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ
وَالنَّصَارَى مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ

لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ (١) . وتقدم
القول في آيات الصفات ومنها
صفة اليد في المقدمة (٢) ﴿وَالْقَيْنَا
بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ أي بين
طوائف اليهود ، فهم طوائف
متعادية متباغضة في الدين
ولا يزالون كذلك . ولا يخلو أحد
منهم من الحسد والأثرة ، وهما
غرس نكد خبيث ، لا يثبت
إلا شراً وعداوة وبغضاً .
والعداوة : أخص من البغضاء ،
فإن كل عدو مبغض ، وقد
يبغض من ليس بعدو . ﴿كَلَّمَا

٦٦ - ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْنَصَةٌ﴾ من
أهل الكتاب طائفة معتدلة لم تغل
ولم تقصر ، وهم من أسلم
منهم ، كعبد الله بن سلام .
(٣) رواه البخاري . (٤) آية ٣٧ الأحزاب .

في ذلك : الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به . وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ، حين يخاف الكفار العذاب . ولا هم يحزنون ، حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب . والصابون كذلك ، فحذف خبره . وإنما عطف جملة (الصَّابُونَ) على ما قبله للإشارة إلى أنهم من أشد الفرق المذكورة ضللاً . فكانه قيل : كل هذه الفرق إذا آمنت وعملت صالحاً قبل الله توبتها ، حتى الصابئة فإنه تعالى يقبل توبتها . و (مَنْ آمَنَ) مبتدأ خبره جملة (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) ، والجملة من المبتدأ والخبر ، خبر (إِنْ) .

٧١ - ﴿وَحَسِبُوا أَنْ لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ أي ظن اليهود أنه لا يصيبهم من الله بلاء ولا عذاب بقتل الأنبياء وتكذيب الرسل ، لزعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ، أو لإمهال الله إليهم ، أو لنحو ذلك . فتأدوا في فنون القى والفساد ، وعموا عن الدين الذي جاء به الرسل ، وصموا عن استماع الحق الذي ألقوه إليهم . وهذه هي المرة الأولى من مرتي إفساد بني إسرائيل ، حين خالفوا التوراة وارتكبوا المحرمات . ثم عموا وصموا بعد أن تابوا مما كانوا عليه من الفساد ، وأنعم الله عليهم بفكاكهم من أسر الذل والمهانة

بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾

التي لبثوا فيها دهرًا طويلاً تحت قهر بُخْتَنَصْرَ ، ورجوعهم إلى بيت المقدس بعد التفرق في الأكناف والتشتت في الأرض . فاجترأوا - إلا قليلاً منهم - على قتل زكريا ويحيى ، وهما بقتل عيسى عليهم السلام . فكان ذلك هو المرة الأخرى من مرتي الإفساد . وقيل : إن العمى والصمم الأول إشارة إلى ما كان منهم في عهد زكريا ويحيى ، والثاني إشارة إلى ما كان منهم في زمن محمد صلى الله عليه وسلم . و (كَثِيرٌ مِنْهُمْ) بدل من الواو في (عَمُوا وَصَمُوا) .

٧٢ ، ٧٣ - ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا...﴾ للنصارى عقائد مختلفة متضاربة في عيسى عليه السلام ، تنكرها العقول ، وتأبأها الفطر ، وهم فرق شتى وشيع متكاذبة ، كل شيع تكفر الأخرى . فمنهم من يزعم أن الله هو المسيح ، ومنهم من يزعم أن الله ثالث آلهة ثلاثة ، ومنهم من يزعم أن المسيح ابن الله تعالى . وقد كذبهم الله جميعاً ، وسجل عليهم الكفر في غير آية ، وندد بعقولهم وهددهم أشد التهديد بما ذكره من الآيات البينات ، التي منها هذه الآيات .

نفذه من المواد ؛ وليس شيء من ذلك في قدرتها ، وإنما هو بقدرة الله تعالى وتديره ؛ فهما في ذلك كسائر البشر ، فكيف تنسبون إليهما ما نسبتم من الباطل المحال ؟! وقيل - كما نقله الآلوسی - : إنه كناية عن قضاء الحاجة ؛ لأن من أكل الطعام احتاج إلى التفض . وهذا أمر مذاقاً في أفواه مدعى الوهيتهما ؛ لما في ذلك - مع الدلالة على الاحتياج المنافي للألوهية - من البشاعة ما لا يخفى . ﴿ أَنَّى يُوَفَّقُونَ ﴾ كيف يصرفون عن استماع الحق وتبيينه مع ما بينا من دلائله . إن ذلك لشيء يتعجب منه غاية التعجب . يقال : أفكته عن الشيء بأفكته أفكاً ، صرفه عنه وقّله ؛ فإنا أفكته وهو مأفوك . وقد أفكت الأرض أفكاً : صرف عنها المطر .

٧٧ - ﴿ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ لا تجاوزوا الحد في دينكم ، فترفوا عيسى عن رتبة الرسالة ، وأمه عن رتبة الصديقية إلى ما انتهكتموه في حقها . ﴿ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ غلوا باطلاً . ﴿ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ ﴾ وهم أسلافكم الذين كانوا قبل البعثة . ﴿ وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ أى عن قصد طريق الحق الذى هو الإسلام بعد البعثة ، بسبب حسدهم وبغيتهم ، وتكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم . والسواء في الأصل : الوسط المعتدل ،

أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٦﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نَبِّينُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٧﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ قُلْ يَتَاهُلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٩﴾ لِعَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٨٠﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٨١﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾

٧٥ - ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ فهو بشر مخلوق لله تعالى ، وعبد من أصفياء عباده ، اختاره للرسالة ؛ كسائر الرسل الذين مضوا قبله ، وسيمضى كما مضوا ؛ فكيف يكون إلهاً أو جزء إله ؟! إن ذلك باطل من القول . ﴿ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ أى وما أمُّه إلا أمة من إماء الله كسائر النساء ديدنها الصدق مع الله ، أو التصديق له في سائر أمورها ؛ فمن أين لكم وصفها بما وصفتموها به ؟ ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ أى كانا محتاجين إلى القوت ، وإلى القوى التي لا بد منها في هضمه ، وإحالة إلى ما به قوام الجسم والحياة ، وفي نفوذ ما لا بد من



والمراد به الذين الحق .

٨٠- ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَقُولُونَ
الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أى ترى كثيرا من
اليهود ، وهم كعب بن الأشرف
وأصحابه ، يوالون المشركين
ويصافونهم ؛ لعداوتهم لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ،
ويتواطئون معهم على محاربه .
﴿ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ غضب
عليهم بما فعلوا .

٨٢- ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ .. ﴾
أى لتجدَنَّ أَشَدَّ الكفار عداوةً
للمؤمنين اليهود ؛ لشدة شكيمتهم
وتضاعف كفرهم ، وانهاكهم في
اتباع أهوائهم وتمرثهم على
الغرر ، والاستعصاء على
الأنبياء ، وتمكّن الحسد والبغى
في قلوبهم ؛ إلى حدّ استيجاب
إيصال الأذى والشر إلى من
خالفهم في الدين ، وقد جعلهم
الله قرناء المشركين في شدة العداوة
للمؤمنين ؛ بل هم أعرق فيها
ولذا قدّموا في الذكر عليهم .
﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ
آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ﴾ فهم
الذين عريكة وأسلس انقيادا إلى
الحق ، وفيهم من هو معرض عن
الدنيا ولذاتها والتنافس فيها ،
ومن كان شأنه ذلك لا يحسد
الناس ولا يعاديهم . والآية نزلت
في النجاشي وأصحابه . وقيل :
في الوفد الذين قدموا مع جعفر بن
أبى طالب مسلمين . وقيل : في
جماعة من أهل الكتاب كانوا على
شريعة من الحق مما جاء به عيسى

وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾ * لَتَجِدَنَّ
أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا
وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصٌ وَرَهَبَانٌ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾
وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ
الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا
مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ
الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يَدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾
فَأَنبِئُهُم بِمَا قَالُوا جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْحَرِيمِ ﴿٨٦﴾
يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ
وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا

عليه السلام ، فلما بُعث محمدٌ
صلى الله عليه وسلم آمنوا به
وصدقوه ؛ فَأَنبِئَ اللهُ تعالى عليهم
في هذه الآية ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
قَسِيصٌ وَرَهَبَانٌ وَأَنَّهُمْ
لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ عن اتباع الحق
والانقياد له إذا فهموه . أو أنهم
يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود .
و ﴿ قَسِيصٌ ﴾ أى علماء ،
جمع قسيس صيغة مبالغة ؛ من
تقَسَّسَ الشيء إذا تتبعه بالليل .
سُمُّوا بذلك في الأصل لتبعمهم
العلم بكثرة ﴿ وَرَهَبَانٌ ﴾ أى
عبادا ، جمع راهب ؛ من
الرَّهْبَةِ وهى الخافة . ومنه الترهُّب
وهو التعلُّد . والرَّهْبَانِيَّةُ وهى الغلو

رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ
 مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ
 يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَرْتُمْ - إِطْعَامَ عَشْرَةِ
 مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتَهُمْ أَوْ
 تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ ۖ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَلِكَ كَفَرَةُ
 أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ
 لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ
 عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ
 الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ
 وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ
 مُنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا
 فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا إِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾

في تحمل التعب من فرط الرهبة
 ٨٣ - ﴿تَقِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾
 تمتلئ أعينهم بالدمع فصبه
 ٨٧ - ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا
 أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ نزلت في جماعة
 من الصحابة اعترضوا المبالغة في
 الزهد والتقصف والعزوف عن
 متاع الدنيا ، مبالغة منهم في
 التبتد ، فنهوا عن ذلك ، أي
 لا تحرموا على أنفسكم ما لَدَّ

وطاب من الحلال ،
 ولا تتجاوزوا الحلال إلى
 الحرام ، وتمتعوا بأنواع الرزق
 الحلال الطيب
 ٨٩ - ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ
 فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [آية ٢٢٥ البقرة
 ص ٥٤] . و ﴿فِي﴾ بمعنى
 من . أو متعلق باللغو . ولكن
 يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان
 أي بتعقيدكم الأيمان وتوثيقها

بالقصد والنية ، أي إذا حثمت
 فيها ، وحذف للعلم به . والمراد
 بالمواخذه : المواخذه الذنبية
 بوجوب الكفارة . ﴿فَكَفَّارَتُهُ﴾
 أي كفارة الحنث فيه .
 والكفارة : اسم للفعله التي من
 شأنها أن تكفر الخطيئة . أي
 تسترّها وتمحوها ، إذ المحو
 لا يرى كالمتصور . ﴿أَوْ تَحْرِيرُ
 رَقَبَةٍ﴾ أي عتق نسمة من الرّق .
 ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ...﴾ فمن
 لم يجد شيئاً من الأمور الثلاثة
 المحيّر بينها : فعليه صوم ثلاثة
 أيام . وأحكام الكفارة مفصلة في
 الفقه . ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ أي
 عن الحنث فبروا بها ، إذا لم يكن
 الحنث خيراً وأفضل .

٩٠ - ٩١ - ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ
 وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ﴾ [راجع في
 تفسير الخمر والميسر آية ٢١٩ من
 البقرة ص ٥٢] وفي تفسير
 الأنصاب والأزلام [آية ٣ من
 هذه السورة] . ﴿رَجَسٌ﴾ أي
 خبث مستفذر . أو إثم أو شر .
 وعن الزجاج : الرجس اسم
 لكل ما استقذر من عمل قبيح .
 يقال : رجس - كفرج وكرم -
 عمل عمل قبيحاً . وأصله من
 الرجس . وهو شدة صوت الرعد
 وهدير البعير ، فسئى العمل
 الشديد في القبح رجساً .
 ﴿فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾
 فكونوا جانباً من هذا الرجس
 بعيدين عنه ، لكي تفلحوا
 بالاجتناب عنه ، والأمر

للوّجوب . ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾
استفهام إنكارى بمعنى انتهوا !
وهو من أبلغ ما يُنتهى به ؛ ولذا
قالوا : قد انتهينا يارب ! إذ
فهموا التحريم المؤكّد القاطع .

٩٣ - ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ
آمَنُوا... ﴾ مات ناسٌ من الصحابة
قبل تحريم الخمر والميسر وقد
طعموهما فقال بعض الصحابة :
كيف يا أصحابنا الذين ماتوا قبل
تحريمهما ؟ فنزلت الآية مبيّنة حال
من مات قبل التحريم وحال من
مات بعده . أى لا إثم على الذين
آمَنوا وعملوا الصالحات فيما
تناولوه منها قبل التحريم إذا
ما اتَّقَوْا الشُّرْكَ - أو ما حُرِّمَ
عليهم قبل ذلك - وثبُّوا على
الإيمان والأعمال الصالحة ، ثم
اتَّقَوْا الخمر والميسر بعد التحريم
وآمَنُوا بتحريمهما ، ثم ثبُّوا على
اتِّقَاءِ جميع ما شرع تحريمه
وأحسنوا العمل ؛ فتكرير الاتِّقَاءِ
باعتبار الأوقات الثلاثة . والمرادُ

أنه لا جناح عليهم إذا كان من
شأنهم أنهم كلما أمروا بشيء
أو نُهوا عن شيء سارعوا إلى
الطاعة والامتنال ؛ فكلما حَرَّمَ اللهُ
عليهم مباحاً اتَّقَوْهُ . وظاهرُ أن
انتفاء الجُنَاحِ إنما يَتَشَمَدُ اتِّقَاءُ
الحَرِّمَاتِ ، ولا دخل فيه لباقي
الصفات الحميدة المذكورة ،
وإنما ذُكِرَتْ شهادةً باتِّصافِ
هؤلاء الصحابة بها .

٩٤ - ﴿ لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللهُ بِشَيْءٍ مِّنَ

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا
طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا
وآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾
يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ
تَنَالُهُ وَأَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ
فَمَن آعَدَئى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَأَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُمُ
مَّتَعَمِدًا فِجْزَاءً مِّثْلَ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ
مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّرَةً طَعَامُ مَسْكِينٍ
أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللهُ
عَمَّا سَلَفَ وَمَن عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو
أَنْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَّعَالَكُمْ

الصَّيْدِ ﴿ لَيَحْتَبِرَنَّكُمْ بَنُوعٌ مِنَ
الْبَلَايَا - وهو تحريم مَصِيدِ الْبَرِّ
صَغَارًا وَكِبَارًا - وَأَنْتُمْ مُحْرَمُونَ
أَوْ فِي الْحَرَمِ ؛ لِيَتَمَيَّزَ مِنْ خِيفَةِ
الله وهو لم يره عَمَّنْ لَا يَخَافُهُ . فَمَن
اصطاده مِنْكُمْ بَعْدَ مَا أَعْلَمَكُمْ
الله بذلك فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ؛
لَا عُدَّتْهُ وَعَدَمُ مَبَالَاتِهِ بِطَاعَةِ
ربه ، وَمَن لَمْ يَتَّقُودْ كَيْجَ نَفْسِهِ
وطاعة ربه في الهَيْئِ مِنْ هَذِهِ
الْبَلَايَا لَا يَكَادُ يَكْبَحُهَا عَنْ
العظام والمزالق . وهذا سرٌّ من
أسرار الابتلاء .
٩٥ - ﴿ لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ
حُرْمٌ ﴾ أى لا تقتلوا صيد البرِّ -
وهو ما تَوَالَّدَهُ وَمُثَوَاهُ فِي الْبَرِّ مَا
هو ممتنع لتوحُّشه خلقةً وطبعاً -
وَأَنْتُمْ مُحْرَمُونَ وَلَوْ كُنْتُمْ خَارِجَ
الْحَرَمِ ؛ وَمِثْلُهُ لَوْ كُنْتُمْ فِي الْحَرَمِ
وَأَنْتُمْ حِلَالٌ . وقيل : (حُرْمٌ)
جمع حَرَامٍ ، وهو يقع على
المُحْرَمِ وَإِنْ كَانَ فِي الْحِلِّ ؛



وَاللَّيَّارَةِ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا
 اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٧﴾ * جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ
 الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ
 وَالْقُلُوبَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَلِيمٌ ﴿١٨﴾ اَعْلَمُوا

وعلى من في الحرم وإن كان
 حلالاً ؛ وهما سيان في النهي عن
 قتل الصيد . واستثنى من ذلك
 الحداة والغراب والفأرة والعقرب
 والكلب العقور ؛ وسُميت في
 الحديث فواسق . ولا شيء على
 المُحَرَّم إذا قتل نحو السبع والنمر
 والفهد إذا ابتدأت بالأذى
 والتعدى . وقيل مطلقاً ؛
 وتفصيل الأحكام في الفقه .
 ﴿ فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قُتِلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾
 أى فعليه جزاء من النعم مماثل
 للمقتول في الخلقة والمُنظر ؛ ففي
 البعامة بدنة . وفي حمار الوحش
 بقرة . وفي الظبي شاة . وفي
 الأرنب سخل ؛ أو ما يساوى
 قيمة هذا الجزاء طعاماً ، فيعطى
 لكل مسكين مُدٌّ . أو ما يعادل
 هذا الطعام صياماً ؛ فيصوم عن
 كل مُدٍّ يوماً . وإن لم يوجد
 للمقتول مماثل كالعصفور والجراد
 فعليه قيمته يُشترى بها طعام لكل
 مسكين مُدٌّ ؛ أو يصوم عن كل

مُدٍّ يوماً . وقوله : (مِنَ النَّعَمِ)
 حالٌ من (مثل) أو صفة له .
 وذهب آخرون إلى أن المائلة إنما
 تعتبر ابتداءً بحسب القيمة ؛ فيقوم
 المقتول من حيث هو ، فإن بلغت
 قيمته قيمة هذى يُخَيَّرُ الجاني بين
 أن يشتري بها هدياً يُهدى إلى
 الكعبة ويُذبح في الحرم ويتصدق
 ببلحه على من يشاء ، وبين أن
 يشتري بها طعاماً للمساكين ،
 لكل مسكين نصف صاع من بُرٍّ
 أو صاع من غيره ، وبين أن
 يصوم عن طعام كل مسكين
 يوماً . وإن لم تبلغ قيمته قيمة
 هذى يُخَيَّرُ بين إعطائها لمساكين
 وصوم يوم كامل . وقوله (من
 النعم) تفسير للهذى المشتري
 بالقيمة على أحد وجوه التخيير .
 ﴿ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ ﴾ أى
 الحرم . وَخَصَّتْ الكعبة بالذكر
 للتعظيم إذ هي الأصل .
 ولا يُجْزَى الذبيح في غيره . ﴿ أَوْ
 كَفَّارَةٌ ﴾ معطوف على ﴿ جَزَاءٌ ﴾

و ﴿ أَوْ ﴾ للتخيير ، وكذلك في
 قوله : ﴿ أَوْ عَدَلٌ ذَلِكَ صِيَامًا ﴾
 أى ما يعادل ذلك الطعام
 صياماً ؛ فيصوم عن طعام كل
 مسكين يوماً . والعَدْلُ -
 بالفتح - : ما عادل الشيء من
 غير جنسه . وأما بالكسر : فما
 عادله من جنسه . وقيل هما سيان
 ومعناها المثل مطلقاً . وقرئ
 بالكسر . والتفصيل في الفقه .
 ﴿ لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِه ﴾ أى جزاء
 ذنبه وسوء عاقبته . والوبالُ في
 الأصل : الثقل والشدة
 والوخامة . يقال : وبُل المطر إذا
 اشتد فهو وبيل . ووبُل المُرُوع
 وبالاً ووبالة بمعنى وخم . ثم قيل
 في سوء العاقبة : وبالٌ . وفي
 العمل السيئ : هو وبالٌ على
 صاحبه .
 ٩٦ - ﴿ أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ
 الْبَحْرِ ﴾ هو ما توالده ومثواه
 في الماء . والمراد بالبحر : جميع
 المياه ، بحراً أو نهراً أو غديراً
 أو بركة . وبالصيد : الاصطياد
 أو ما يُصَاد منه . وبطعام
 البحر : ما يؤكل من صيده .
 أى أحلَّ لكم الصيد وأكل
 ما يؤكل منه ، أو الانتفاع
 بما يُصَاد منه ، وأكل ما يؤكل
 من حيوان البحر . وقيل : طعام
 البحر ما يقذفه ميتاً . ﴿ مَتَاعًا
 لَكُمْ ﴾ تمتيعاً لكم ﴿ وَاللَّيَّارَةِ ﴾
 المسافرين منكم يتزوّدونه قديداً .
 ٩٧ - ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ
 الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ ﴾ الجعلُ :

أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٣﴾
 مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ
 وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿١٠٤﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ
 وَلَوْ عَجِبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأُولِي الْأَلْبَابِ
 لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ
 أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدِّلَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ
 الْفَرْعُ إِنْ تُبَدِّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠٦﴾
 قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾
 مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِجَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ
 وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُهُمْ
 لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ

التصيير (والكعبة) و(قياماً) مفعولاً جَعَلَ . و ﴿الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ بدل من الكعبة . والمراد به الحرم كله . والقيام والقيام : ما به صلاح الشيء ؛ كما يقال : الملكُ العادلُ قوامٌ رعيته ؛ لأنه يدبّر أمرهم ، ويردع ظالمهم ، ويدفع أعداءهم . وقد صير الله تعالى البيت للناس سبباً لإصلاح أمورهم ؛ حيث جعله مثابةً وأماً ومَلجأً ، ومجمعاً للتجارات والتعارف والتشاور ، وحرّمه إلى يوم القيامة ؛ لا يُغَصَّدُ ^(١) شجره ولا يُنْفَرُ صيده ^(٢) ، ولا يلتقط لُقْطَتَهُ إِلَّا من عَرَفَهَا ^(٣) ، ولا يُخْتَلَى خِلاَهُ ^(٤) . كما جعله محجاً للناس ومنسكاً وسبباً لتكفير الخطيئات وزيادة المثوبات . وجعل الأشهر الحرم قواماً للناس يأمنون فيها القتل والقتال ^(٥) ، ويسافرون فيها في أمن ؛ لتحصيل قدر ما يكفيهم من الأقوات طول العام . ﴿الْهُدَى﴾ ما يهدي من الأنعام إلى الكعبة . ﴿الْقَلَائِدَ﴾ ما يقلد به الهدى علامة له . وجعل الهدى وذوات القلائد منه قواماً لمعاش الفقراء . وكل ذلك لحكم سامية ، ومصالح ظاهرة ، اقتضتها حكمة العليم الخبير ، ورأفته بعباده .

١٠١ - ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾ نزلت حيناً أكثر من السؤال عن أمور يسوءهم إبدائها ؛ لكون التكليف بها شاقاً عليهم ،

أو لكونها مستورةً وفي إظهارها فضيحةٌ للسائل . فالأول : ١٠٣ - ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ ما شرع الله هذه المحرمات التي حرّمها على أنفسكم ، وزعمتم أنه حرّمها كذباً على الله تعالى . وكانوا في الجاهلية إذا ولدت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر شقوا أذنها ومنعوا ركوبها ، وتركوها لأهلهم ، لا تُنحر ولا يُحمل عليها ، ولا تُطرد عن ماء أو مرعى ، وسموها «البحيرة» أى مشقوقة الأذن ؛ من البحر وهو

أولكونها مستورةً وفي إظهارها فضيحةٌ للسائل . فالأول : ١٠٣ - ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ ما شرع الله هذه المحرمات التي حرّمها على أنفسكم ، وزعمتم أنه حرّمها كذباً على الله تعالى . وكانوا في الجاهلية إذا ولدت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر شقوا أذنها ومنعوا ركوبها ، وتركوها لأهلهم ، لا تُنحر ولا يُحمل عليها ، ولا تُطرد عن ماء أو مرعى ، وسموها «البحيرة» أى مشقوقة الأذن ؛ من البحر وهو

(١) لا يقطع . (٢) لا يشرذ ولا يزعج . (٣) لا يحل الانتفاع باللحمة إلا بعد التعريف عنها .

(٤) الخلا - بالقصر - : النبات الرطب الرقيق ما دام رطباً . واختلاؤه : قطعه . (٥) راجع آية ٢ من هذه السورة .

﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ أي لا يضركم ضلال من ضلَّ إذا أنتم رُشِّمَ العمل بطاعة الله ، وأديتم فيمن ضلَّ من الناس ما ألزمكم الله به ، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والأخذ على يدي الظالم إذا أراد ظلماً لمسلم أو معاهد ومنعه منه . فإذا أتي التروغ عن ذلك فلا ضير عليكم في تماديه في غيبه وضلاله ، إذا أنتم اهتديتم وأديتم حق الله تعالى .

١٠٦ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ أي أن المحتضر إذا أراد الوصية وكان في سفر فليحضر من يوصي له بإيصال ماله لورثته مسلماً ، فإن لم يجد فكافراً ، والاثنان أحوط ، فإذا جاء بما عندهما وقعت ريبه في كتم بعضه أو في الخيانة فيه فليحلفا ، لأنها مودعان مصدقان يسميها . فإذا وجد ما خافا فيه وأدعيا أنها تملكاه بشراء ونحوه ولا يثبت لها على ذلك ، يحلف المدعى عليه على عدم العلم بما ادعياه من الغلوك ، وأنه ملك لمورثهما لا لعلم انتقاله عن ملكه . والشهادة الأولى بمعنى الحضور أو الإحضار ، تقول : شهدت وصية فلان بمعنى حضرت . والشهادة الثانية في قوله تعالى : ﴿لشهادتنا﴾ بمعنى العلم المشاهد أو ما هو بمنزلة . والثالثة في قوله : ﴿أحق من شهادتهما﴾ بهذا المعنى أو بمعنى اليمين .

وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون ﴿١٠٧﴾ يتأبها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلَّ إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون ﴿١٠٨﴾ يتأبها الذين آمنوا شهداء بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نسترى به ثمناً ولو كان ذا قرني ولا كنتم شهداء لله إنه إذا لئم الآمين ﴿١٠٩﴾

الشق . وكان الرجل إذا قدم من سفر ، أو نجت ناقته من حرب ، أو برأ من مرض سبب ناقته وخلاها وجعلها كالبحيرة ، وتسمى «السائبة» . وقيل : هي الناقة التي تعتق للأصنام . وكانت الشاة إذا ولدت أنثى فهي لهم ، وإذا ولدت ذكراً فهو لآلهم ، وإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا : وصلت أخاها ، فلم يذبحوا الذكر لآلهم ، وتسمى «الوصيلة» . وقيل : هي الناقة تكثر بأنثى ثم تكثر بأنثى ، فكانوا يتركونها للطواغيت ويقولون : قد وصلت أنثى بأنثى ليس بينها

ذكر . وكان الفحل إذا لقح ولده ولده قالوا قد حصى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ، ولا يمنع ماء ولا مرعى حتى يموت . يقال : حماه يحنيه إذا حفظه ، وتسمى «الحامي» . وفي تفسير الأربعة خلاف كثير . وأول من ابتدئ هذه المنكرات عمرو بن لُحَيٍّ . وكان قد ملك مكة فاتخذ الأصنام ونصب الأوثان وغير دين إسماعيل عليه السلام .

١٠٤ - ﴿حسبنا﴾ كافينا .

١٠٥ - ﴿عليكم أنفسكم﴾ الرزوا العمل بطاعة الله ، فأثوا بما أمركم به ، وانتهوا عما نهاكم عنه

والاثنان الكافران وصيَّان لا شاهدان بالمعنى المتبادر . وفي تفسير الآية أقوالٌ أخرى . وقوله : ﴿ شَهَادَةُ بَيْنَكُم ﴾ مبتدأٌ حذوفٌ خبره ، أى فيما فُرض عليكم شهادةٌ ما بينكم . ﴿ اثنان ﴾ فاعل بـ « شهادة » أى أن يشهد اثنان . ﴿ مِنْكُم ﴾ أى من المسلمين . ﴿ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ سافروا . ﴿ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ ﴾ توقفانهما للحلف بعد صلاتهما ، أو بعد صلاة العصر ، وهو الوقت الذى يجتمع فيه الناس ، ويتحاشى فيه أهلُ الأديان الكذب فى الحلف . ﴿ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا ﴾ لا نحلف بالله كذباً لأجل عَرْض الدنيا ﴿ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾ أى ولو كان المُقْسَم له قريباً منا .

١٠٧ - ﴿ فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا ﴾ أى اطلع على خيانتها بوجود ما خانا فيه عندهما . ﴿ فَأَخْرَانِ ﴾ مبتدأٌ خبره جملة ﴿ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ﴾ أى يَقِفَانِ موقعهما فى الحبس من بعد الصلاة والحلف . ﴿ مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ ﴾ صفةٌ للمتدأ . و« اسْتَحَقَّ » بالبناء للفاعل . ﴿ الْأَوَّلِيَّانِ ﴾ تنبيهٌ أولى بمعنى أقرب فاعله . والمراد بالموصول : أهلُ الميت . وبالأوليَّان : الأقربان إليه الوارثان له ، الأحقَّان بالشهادة ، لعلمهما وإطلاعهما . ومفعول « استحق »

فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَدَتَيْهِمَا وَمَا أَعَدَّيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَحْذَرُوا أَنْ تَرُدَّ آمِنٌ بَعْدَ آمِنِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ * يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ قَالَوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عِلْمُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقِىٰ أَبْنِ مَرِيَمَ أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَبَدْتِكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَامَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي

محذوف ، تقديره : أن يجردوها ولا يكذبوا فيه . والله أعلم . للقيام بالشهادة ليظهروا كذب الكاذبين . ١٠٩ - ﴿ يَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ ﴾ أى أى إجابة أجبتكم بها ١٠٨ - ﴿ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ ﴾



السماء إن سأله أن ينزلها ! وهو كما يقول الرجل لصاحبه : هل تستطيع أن تقوم ؟ وهو يعلم أنه يستطيع . وقد طلبوا إنزالها لاعتقادهم قدرته تعالى على ذلك ؛ فإنهم مؤمنون . وقيل : إن سؤالهم ذلك من قبيل قول إبراهيم عليه السلام : (رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُخَيِّمُ الْمَوْتَى) (١) . فقال لهم عيسى : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ أن تسألوا مثل هذا ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ بكمال قدرته ! والمائدة : الخَوَانُ إذا كان عليه الطعام ؛ من مَادَه يَمِيدُهُ ، إذا أعطاه وأطعمه . ويُطْلَقُ على نفس الطعام مائدة لعلاقة المجاورة .

١١٣ - ﴿ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُنَا ﴾ تسكن قلوبنا وترداد يقيناً ﴿ وَنَعْلَمُ ﴾ علم مشاهدة ﴿ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا ﴾ فيما جئت به ﴿ وَنَكُونُ ﴾ لك ﴿ عَلَيَّهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ عند الذين لم يروها من قومنا ؛ ليؤمن كافرهم ، ويرداد الذين آمنوا إيماناً .

١١٤ - ﴿ نَكُونُ لَنَا عِيدًا ﴾ يكون يوم نزولها عيداً لنا ولن يأتي بعدنا . والعيد : بمعنى العائد ، مشتق من العود ؛ لعوده بالفرح والسرور . ﴿ وَآيَةٌ مِنْكَ ﴾ وتكون دلالة منك على كمال قدرتك ووحدةانيتك ، وحقبة يصدقون بها رسولك .

١١٥ - ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ وعداً بالإنزال مرة بعد

وَرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١٦﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٧﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٨﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَآرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٩﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أَعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ أَيُّ الْكِتَابِ وَالْفَهْمِ لَأَسْرَارِ الْعُلُومِ . ﴿ تَخْلُقُ ﴾ تُصَوِّرُ وَتَقْدِرُ . ﴿ الْأَكْمَةَ ﴾ الأعمى المطموس البصر خلقه . ﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ واذكر نعمتي عليك إذ صرفت عنك بني إسرائيل حين دبروا قتلك ؛ فأحبطت كيدهم ونجيتك منهم . ﴿ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ ﴾ أهتمهم وقذفت في قلوبهم . أو أمرتهم على لسانك . والحواريون . خاصته وأنصاره .

١١٢ - ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ هل ينزل علينا ربك مائدة من

أَمِّكُمْ ، حين دعوتهم إلى توحيدى وطاقى ، أمى إجابة قبول ، أم إجابة رد وإباء ؟ ﴿ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا ﴾ أى بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شيء ، سره وعلايته ، ظاهره وخفيه ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ .

١١٠ - ﴿ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ جبريل عليه السلام . ﴿ نُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ﴾ فى زمن الرضاة قبل أوان الكلام [راجع آية ٤٦ آل عمران ص ٨١] .

﴿ وَكَهْلًا ﴾ فى حال اكتمال القوة (بعد نزوله) . ﴿ عَلَّمْتُكَ ﴾

وَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ط
 قَالَ سُبْحَنكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ
 كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي
 نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا
 أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ
 شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ
 عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ
 عَذَابُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾
 قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ
 تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
 وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

مستقر أرواحهم الطاهرة . فالحق
 أنه عليه السلام رفع إلى السماء
 حياً بجسده ، وقد جعله الله وأمه
 آية ، والله على كل شيء قدير .
 ﴿الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ الحفيظ
 عليهم ، المراقب لأعمالهم ، الذي
 لا يغيب عنه شيء من أحوالهم .
 والله أعلم .

إِلَى وَمُطَهَّرُكَ مِنَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا ﴿١﴾ . وَلَا يَصِحُّ أَنْ يُحْمَلَ
 عَلَى الْإِمَامَةِ ؛ لِأَنَّ إِمَامَةَ عِيسَى فِي
 وَقْتِ حَصَارِ أَعْدَائِهِ لَهُ لَيْسَ فِيهَا
 مَا يَسُوغُ الْإِمْتِنَانُ بِهَا . وَرَفَعَهُ إِلَى
 السَّمَاءِ بَعْدَ الْمَوْتِ جَنَّةً هَامِدَةً
 سُخِّفَتْ مِنَ الْقَوْلِ . وَقَدْ نَزَّ اللَّهُ
 السَّمَاءَ أَنْ تَكُونَ قَبُورًا لَجُثَثِ
 الْمَوْتَى . وَإِنْ كَانَ الرُّفْعُ بِالرُّوحِ
 فَقَطْ ، فَأَيُّ مَرْتَبَةٍ لِعِيسَى فِي ذَلِكَ
 عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَالسَّمَاءِ

أخرى ، مع تهديد بأشد العذاب
 وأفظعه ، إذا كفروا بعد إنزالها .
 وجمهور المفسرين على أنها أنزلت
 عدة مرات . وعن الحسن
 ومجاهد : أنها لم تنزل ؛ لأنهم
 خافوا بعد هذا الوعيد أن يكفر
 بعضهم ، فاستعفوا وقالوا لا
 نريدها . والله أعلم .

١١٦ - ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا
 عِيسَى﴾ أى يقول له ذلك يوم
 القيامة توبيخاً لقومه على رءوس
 الأشهاد . ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ
 اتَّخِذُونِي﴾ وقد اتخذ النصارى
 عيسى إلهاً ، كفراً منهم
 وضلالاً . واتخذ قوم منهم فيها
 مضي أمه إلهاً وَيُسَمُّونَ
 الْمَرْيَمِيَّينَ . كما اتخذ قوم من
 اليهود عزيراً ابناً لله تعالى ؛
 فتجاوزوا بذلك ربهم وإلههم
 الحق . ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾
 تعلم ما في ذاتي ولا أعلم ما في
 ذاتك . والمراد : تعلم ما أعلم
 ولا أعلم ما تعلم . وتعلم ما في
 غيبي ولا أعلم ما في غيبك ،
 وتعلم ما أقول وأفعل ولا أعلم ما
 تقول وتفعل . وإطلاق النفس
 على الذات بالنسبة إليه تعالى
 جائز .

١١٧ - ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ فلما
 أخذتني وافياً بالرفع إلى السماء
 حياً . إنجاء لي مما دبروه من
 قتلي ؛ من التوقي . وهو أخذ
 الشيء وافياً أى كاملاً . وقد جاء
 التوقي بهذا المعنى في قوله تعالى :
 (يَا عِيسَى ابْنِي مَتَوْفِكَ وَرَافِعُكَ

(٦) سُورَةُ الْأَنْعَامِ مَكِّيَّةٌ

إِلَّا الْآيَاتِ ٢٠ وَ ٩١ وَ ٩٣ وَ ١١٤ وَ ١٢١ وَ ١٢٥ وَ ١٥٢
و ١٥٣ مَدَنِيَّةٌ وَأَيَّاهَا ١٦٥ نَزِلَتْ بَعْدَ الْحَجَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ
الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾
هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى
عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُتُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي
الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

١ - ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إِعْلَامٌ بِأَنَّهُ
تَعَالَى حَقِيقٌ بِالْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ ،
مُسْتَوْجِبٌ لَهَا ، لِخَلْقِهِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ ، عَلَى مَا هُمَا عَلَيْهِ مِنْ
بَدِيعِ الصَّنْعِ وَالْإِحْكَامِ . وَخَلْقِهِ
الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ، أَوْ ظِلَامَاتِ اللَّيْلِ
وَنُورَ النَّهَارِ ، مُنْفَعَةٌ لِلْعِبَادِ ،
وَآيَاتٌ لِلْمُتَفَكِّرِينَ ، وَدَلَائِلٌ عَلَى
وَحْدَانِيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ .
﴿وَجَعَلَ﴾ أَيَّ أَحْدَثٍ وَخَلَقَ .
﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَيَّ ثُمَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا مَعَ قِيَامِ هَذِهِ الدَّلَائِلِ
الظَّاهِرَةِ يَسُوُّونَ بِرَبِّهِمْ غَيْرَهُ مَا لَا
يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ،
فَيُكْفَرُونَ بِهِ ، أَوْ يُجْحَدُونَ
نِعْمَتَهُ ، فَأَيُّ شَيْءٍ أَعْجَبُ مِنْ

ذلك وأبعد عن الحق ! ، من
العَدْلِ بِمَعْنَى التَّسْوِيَةِ . وَقَوْلُهُ
﴿بِرَبِّهِمْ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ
﴿يَعْدِلُونَ﴾ . أَوْ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِرَبِّهِمْ يَمِيلُونَ عَنْهُ ، وَيَنْصَرِفُونَ إِلَى
غَيْرِهِ مِنْ خَلْقِهِ ، فَيُعْبَدُونَ مَا لَا
يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ ، مِنْ الْعَدُولِ .
وَقَوْلُهُ «بِرَبِّهِمْ» مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ
«كَفَرُوا» . وَ«ثُمَّ» عَلَى الْمَعْنَيْنِ
لِاسْتِبْعَادِ وَقُوعِ ذَلِكَ مِنْهُمْ .

٢ - ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ ابْتَدَأَ
خَلْقَكُمْ مِنَ الْمَادَّةِ الطِّينِيَّةِ بِخَلْقِ
أَصْلَكُمْ مِنْهَا ، ثُمَّ قَدَّرَ حَدًّا مُعَيَّنًا
مِنَ الزَّمَانِ لِلْمَوْتِ . وَأَجَلٌ آخَرُ
مُسْتَأْتَرٌ يَعْلَمُهُ تَعَالَى ، لَا يَعْلَمُ
وَقْتُ حُلُولِهِ سِوَاهُ تَعَالَى ، وَهُوَ
وَقْتُ الْبَعْثِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ .

وقيل : الْأَجَلُ الْأَوَّلُ مَا بَيْنَ
الْخَلْقِ وَالْمَوْتِ ، وَالثَّانِي مَا بَيْنَ
الْمَوْتِ وَالْبَعْثِ ، وَهُوَ الْبَرْزَخُ .
﴿قَضَى أَجَلًا﴾ كَتَبَ وَقَدَّرَ زَمَانًا
مُعَيَّنًا لِلْمَوْتِ . ﴿أَجَلٌ مُسَمًّى
عِنْدَهُ﴾ زَمَنٌ مُعَيَّنٌ لِلْبَعْثِ مُسْتَأْتَرٌ
يَعْلَمُهُ . ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُتُونَ﴾ أَيَّ
ثُمَّ أَنْتُمْ تَشْكُونَ فِي الْبَعْثِ . أَوْ
تَجَادِلُونَ فِيهِ . أَوْ تَجْحَدُونَ مَعَ
قِيَامِ الدَّلَائِلِ الْمَشَاهِدَةِ عَلَى الْقُدْرَةِ
عَلَيْهِ ، فَإِنَّ مِنْ قَدَرٍ عَلَى إِحْيَاءِ مَا
لَمْ يَشَمَّ رَاحَةُ الْحَيَاةِ قَطُّ ، قَادِرٌ
عَلَى إِحْيَاءِ مَا قَارَنَهَا مَدَّةً ، مِنْ
الْمَرِيَّةِ ، وَهِيَ الشَّكُّ وَالتَّرَدُّدُ فِي
الْأَمْرِ . وَأَصْلُهَا مِنْ مَرَى النَّاقَةِ
يَمْرِيهَا ، إِذَا مَسَحَ ضَرْعَهَا لِلدَّرِّ ،
وَاسْتَعْمَلَتْ فِي الشَّكِّ لِأَنَّهُ سَبَبٌ
لِاسْتِخْرَاجِ الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ كَالَّذِينَ
الْخَالِصِ مِنْ بَيْنِ قُرْثٍ وَدَمٍ . أَوْ
مِنَ الْمِرَاءِ بِمَعْنَى الْمَجَادَلَةِ . أَوْ مِنْ
مَرَى حَقَّةٍ ، إِذَا حَجَّه . وَ«ثُمَّ»
لِلِاسْتِبْعَادِ .

٣ - ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ
وَفِي الْأَرْضِ﴾ أَيَّ وَهُوَ الْإِلَهُ ،
أَوْ الْمَعْبُودُ ، أَوْ الْمُدَبِّرُ فِيهَا .
فَقَوْلُهُ : «فِي السَّمَاوَاتِ» مُتَعَلِّقٌ
بِلَفْظِ الْجَلَالَةِ ، بِإِعْتِبَارِ الْمَعْنَى
الْوَصْفِيَّةِ الَّتِي تَصَمُّنُهُ . ﴿يَعْلَمُ
سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ أَيَّ أَعْمَالِ
قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِ جَوَارِحِكُمْ .
﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ أَيَّ مَا
تَسْتَحِقُّونَهُ عَلَيْهَا مِنْ ثَوَابٍ أَوْ
عِقَابٍ . أَوْ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَهُ وَمَا
تَجْهَرُونَ بِهِ مِنْ أَقْوَالِكُمْ
وَأَعْمَالِكُمْ ، وَمَا تَفْعَلُونَهُ لِحُلْبِ

نفع أو دفع ضرر من أعمالكم التي
تكتسبونها بقلوبكم
وجوارحكم ، سرًا وعلنًا .

٤ ، ٥ - ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ﴾
أى وما نزل إليهم آية من آيات
القرآن ، ناطقة ببدائع صنعه ،
منبهة بجرى أحكام الوهية على
سائر خلقه ، وإحاطة علمه
بجميع أحوالهم ، وبأنباء اليوم
الآخر ، إلا أعرضوا عنها ، ولم
يعتنوا بها ، أو كذبوا بها ، كما
يُنسبُ عنه قوله تعالى : ﴿فَقَدْ
كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أى
بالقرآن . والفاء لترتيب ما بعدها
على ما قبلها ، إذ التكذيب
مرتب على الإعراض ، بمعنى
عدم القبول والاعتناء به . وقد
توعدهم الله على سوء صنيعهم
بقوله : ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا
كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ كما أتى من
قبلهم من المكذبين لرسولهم .

٦ - ﴿الَّذِينَ يَرَوْنَ﴾ أى ألم
يُصروا ، أو ألم يعرفوا ! ﴿كَمْ
أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ من
أمة فعلت مثل ما فعلوا ! .
والقرن : مدة معينة من الزمان .
وهو حقيقة في ذلك وفي أهله ،
على ما اختاره بعض المحققين .
والمراد هنا : أهله ، ولا حاجة
إلى تقدير مضاف . وقيل : هو
حقيقة في الأول ، واستعمله في
الأهل مجاز بالحذف . وأصله من
الافتراق بمعنى الاجتماع .
﴿مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾

وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا
مُعْرِضِينَ ﴿١﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ
يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَرَّمًا
أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ
أَكْرَمًا وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى
 مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
ءَاخَرِينَ ﴿٣﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَسُوهُ
بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾
وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ
ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٥﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا

أعطيناهم في أرضهم من القوة
والبسطة في الأجسام والأموال ما
لم نعط أهل مكة . يقال :
مكنته ومكنت له ، مثل نصحته
ونصحت له ، من التمكين ،
وهو إعطاء المكنة - بفتح الميم
وكسر الكاف - أى القوة
والشدة . ﴿السَّمَاءَ﴾ المطر .
﴿مِدْرَارًا﴾ غزيرًا متتابعًا في
أوقات الحاجة ، رحمةً منا
وإنعاماً ، فعاشوا في خصب
وسعة . يقال : دَرَّتْ السماء
بالمطر تَدِرُّ وتَدَرُّ دَرًّا ودرورًا فهي
مِدْرَار ، صبتة صَبًّا . وأصله من
الدَّر ، أى سيلان اللبن وكثرته .
ثم استعير للمطر الغزير .
﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أى ومع
ذلك التمكين وهذه القوة
أهلكناهم بسبب كفرهم . أفلا
يعتبر أهل مكة بذلك فلا يستمروا
في كفرهم وعنادهم !
٧ - ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي
قِرْطَاسٍ﴾ القِرطاس - بثلاث
القاف ، والكسر أشهر - : ما
يُكتب فيه . أى ولو نزلنا عليك
مكتوباً من عندنا في قِرطاس كما
اقترحوا فرأوه ولمسوه بأيديهم
لقالوا : ما هذا إلا سِحْرٌ بَيْنَ
ظَاهِرٍ ، إمعاناً منهم في الجحود
والعناد .



وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ آسَفْنَاهُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ لِّمَن مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَٰكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ * وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٤﴾ قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَخْخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ

حَاقَ بِهِ الْأَمْرُ يَحِيقُ حَقًّا وَحَقُّوًّا ، أَحَاطَ بِهِ كَأَحَاقٍ . وَالْحَقِيقُ : مَا يَشْتَمِلُ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ مَكْرُوهِ فِعْلِهِ . وَالشَّخْرِيَّةُ : الْاسْتِهْزَاءُ وَالتَّهْكُمُ .

١١ - ﴿عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ أَخْرَجَهُمْ وَنَهَيْتُهُمْ . مَصْدَرٌ كَالْعَاقِبَةِ ، وَهِيَ مَتْنَى الشَّيْءِ وَمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ .

١٢ - ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أَوْجِبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ رَحْمَةً عِبَادَهُ ، تَفَضُّلاً مِنْهُ وَإِحْسَاناً ، فَلَا يَعْجَلُ عَلَيْهِمُ بِالْعُقُوبَةِ حِينَ يَسْتَوْجِبُونَهَا بِمَا يَعْمَلُونَ . ﴿لِيَجْمَعَٰكُمْ﴾ أَيِ وَاللَّهِ لِيَجْمَعَٰكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِلْجَزَاءِ ، فَلَا يَغُرَّنْكُمْ هَذَا الْاِسْتِهْزَاءُ ؟ . ﴿خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ أَهْلَكُوهَا وَغَبَوُهَا بِالْكَفْرِ .

١٣ - ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ﴾ أَيِ وَاللَّهِ وَحْدَهُ جَمِيعُ مَا ثَبَتَ وَاسْتَقَرَّ فِيهَا ، مِنَ السَّكَنِ ، فَيَتَاوَلُ السَّاكِنُ وَالْمُتَحَرِّكُ . وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : كُلُّ مَا طَلَعَت عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ ، فَهُوَ مِنْ سَاكِنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . وَالْمُرَادُ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ رَبُّ جَمِيعِ مَا وَجَدَ فِي الْأَرْضِ بَرًّا وَبَحْرًا

١٤ - ﴿أَغَيَّرَ اللَّهُ أَخْخَذُ وَلِيًّا﴾ نَاصِرًا وَمُعِينًا ، أَسْتَنْصَرَهُ وَأَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى النَّوَائِبِ ، فَضْلاً عَنْ أَنْ أَخْخَذَهُ مَعْبُودًا ؟ مِنَ الْوَلَايَةِ بِمَعْنَى النُّصْرَةِ . ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ

مُعَابِنَةُ الْمَلِكِ عَلَى صُورَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ . وَهَذَا عَلَى فَرْضِ عَدَمِ الْهَلَاكِ بِرُؤْيَتِهِ . ﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ أَيِ وَلَخَلَطْنَا عَلَيْهِمْ بِمَثِيلِهِ رَجُلًا مَا يَخْلُطُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِأَنْ يَقُولُوا لَهُ : إِنَّمَا أَنْتَ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَلَسْتَ بِمَلِكٍ ، مِنْ اللَّبْسِ وَهُوَ الْخَلْطُ ، وَأَصْلُهُ السَّرُّ بِالثُّوبِ ، وَمِنْهُ اللَّبَاسُ . وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْمَعَانِي فَيُقَالُ : لَبَسَ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ يَلْبِسُهُ ، سَتَرَهُ بِهِ . وَلَبَسْتُ عَلَيْهِ الْأَمْرَ : خَلَطْتُهُ عَلَيْهِ ، وَجَعَلْتُهُ مُشْتَبِهاً حَتَّى لَا يَعْرِفَ جِهَتَهُ .

١٥ - ﴿فَحَاقَ﴾ أَيِ أَحَاطَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنَ الرُّسُلِ الْعَذَابُ الَّذِي كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ حِينَ يَحْجُوفُهُمُ الرِّسَالُ إِتْيَاهُ . يُقَالُ :

٨ - ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ أَيِ هَلَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ مَلَكٌ نَّشَاهِدُهُ مَعَهُ ، وَنَجْبَرْنَا أَنَّهُ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ ، فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا . ﴿وَلَوْ أُنْزِلْنَا مَلَكًا لَفُضِّي الْأَمْرُ﴾ جَوَابٌ عَنْ اقْتِرَاحِهِمْ . أَيِ لَوْ أُنْزِلْنَا عَلَيْهِ مَلَكًا فِي صُورَتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ ، وَشَاهَدُوهُ بِأَعْيُنِهِمْ لَزَهَقَتْ أَرْوَاحُهُمْ مِنْ هَوْلِ مَا يَشَاهَدُونَ . ﴿ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ﴾ أَيِ لَا يَمْهَلُونَ طَرْفَةَ عَيْنٍ بَعْدَ إِتْرَالِهِ وَمُشَاهَدَتِهِمْ لَهُ ، مِنْ النَّظَرِ . يُقَالُ : نَظَرْتُهُ وَأَنْظَرْتُهُ ، أَيِ أَخَّرْتُهُ .

٩ - ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ أَيِ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ النَّذِيرَ - الَّذِي اقْتَرَحُوا إِتْرَالَهُ مَعَهُ - مَلَكًا لَمَثَلْنَاهُ رَجُلًا ، لَعَدَمِ اسْتَطَاعَتِهِمْ

وَالْأَرْضِ ﴿١٧﴾ مُبْدِعِهِمَا عَلَى غَيْرِ
مثال يُحْتَدَى ، مِنْ الْفَطْرِ ، وهو
الإبداع والإيجاد من غير سَبَقٍ
مِثَال . وأصله : الشقُّ وفصلُ
شيء عن شيء ؛ ومنه فَطَرَ نَابُ
البعير أى طلع . واستعمل فيما
ذكر ؛ لاقتضائه التركيب الذى
سبيله الشقُّ والتأليف . أو لما فيه
من الإخراج من العدم إلى
الوجود . ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا
يُطْعَمُ﴾ يَرْزُقُ وَلَا يُرْزَقُ . والمرادُ
أن له تعالى العنى المطلق ، وأن
الخلق جميعاً محتاجون إليه وجوداً
وبقاءً . ﴿مَنْ أَسْلَمَ﴾ خضع
لله بالعبودية وانقاد له .

١٨ - ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾
أى الغالبُ لعباده ، الْمُقْتَدِرُ
عليهم ، الذى لا يُعْجزه شيء
أرادَه ، ولا يستطيع أحدٌ من
خلقه ردَّ تدبيره ، والخروج من
تحت قهره وتقديره . قال
الطبرى : القاهرُ : المتعبدُ
خلقه ، العالى عليهم . وإِنَّمَا قال
«فوق عباده» لأنه تعالى وصف
نفسه بقهره إِيَّاهُمْ ، ومن صفة
كلِّ قاهرٍ شيئاً أن يكون مستعلياً
عليه . والمعنى : والله الغالبُ
عبادَه ، المذلُّ لهم ، العالى عليهم
بتذليله إِيَّاهُمْ ؛ فهو فوقهم بقهره
إِيَّاهُمْ ، وهم دونَه . [راجع
المسألة الرابعة من المقدمة في
مذهب السلف والخلف في آيات
الصفات] .

١٩ - ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي
أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴿١٩﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ
يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢٠﴾ مَنْ يُصِرِّفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ
وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٢١﴾ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا
كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسَّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٢﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ
الْخَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي
وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ
أِنَّكُمْ لَتَنَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ
قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّى بَرِئٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٢٤﴾
الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ
الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الظَّالِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا

سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم
شاهداً يشهد له بالنبوة ؛ فترلت
الآية . أى أى شيء أعظمُ
شهادة ؟ فإن أجابوا وإلا فـ ﴿قُلْ
اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ يشهدلى
بالحق ، وعليكم بباطلكم ؛ بما
أنزله من القرآن ، وهو أكبرُ
معجزة وأصدق دليل . ﴿وَمَنْ
بَلَغَ﴾ أى وأُنْذِرَ مَنْ بَلَغَه القرآنُ
من سيوجد إلى يوم القيامة من سائر
الأمم . وفى هذا دلالة على عموم
الرسالة ، وأن أحكام القرآن تعمُ

ظهر لهم في وقوفهم هذا ما كانوا ينكرونه ولا يؤمنون به ، وهو نار الآخرة . فالمراد من « ما » : النار ، ومن الإخفاء : التستر بمعنى الإنكار والجحود . ومع ذلك لو رُدُّوا إلى الدنيا لعادوا إلى الكفر والتكذيب ، لسوء استعدادهم ، وإنهم لكاذبون لا يوفون بما وعدوا به .

٣٠ - ﴿ وَقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ ﴾
حُجِسُوا عَلَى حُكْمِ رَبِّهِمْ لِلْحِسَابِ
وَالْجَزَاءِ . وجواب الشرط :
لرأيت أمراً عظيماً . ﴿ قَالُوا بَلَى ﴾
أى إنه الحق . و« بلى » حرف
جواب لاستفهام دخل على نفى
فتفيد إبطاله ، [راجع آية ٨١
البقرة ص ٢١] .

٣١ - ﴿ بَعَثَ ﴾ فجأة . والمراد
بالساعة : يوم القيامة . والبغتُ
والبَغْتَةُ : مفاجأة الشيء بسرعة
من غير اعتداد به ، ولا إلقاء بال
إليه . ﴿ يَأْخُصُّنَا ﴾ الحسرة :
شدة الندم على ما فات . [راجع
آية ١٦٧ سورة البقرة ص ٣٨] .

﴿ فَرَطْنَا فِيهَا ﴾ قصرنا وضيعنا في
الحياة الدنيا . ﴿ يَحْمِلُونَ ﴾
أوزارهم ﴿ أَنَامَهُمْ وَخَطَايَاهُمْ ﴾
جمع وزر ، وأصله الحمل
الثقل ، وأطلق على الذنب
لثقله . والمراد : بيان شدة ما
يلاقونه من العذاب بسبب
ذنوبهم .

٣٢ - ﴿ لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ اللعِبُ
واللهو : كلاهما الاشتغال بما لا

وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ
قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ فَذُقُوا
الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣١﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا
بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا
عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ
أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٣﴾
قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُنَا الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَا
وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِعَايَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ
رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى
أَتَاهُم نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّل لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ
نَّبِيِّائِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٥﴾ وَإِنْ كَانَ كِبَرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ

يعنى العاقل ولا يُهمُّه ، من هوى

وطرب ، حراماً كان أو حلالاً .

غير أن اللعب ما قصد به تعجيل

المسرة والاسترواح به . واللهو :

ما شغل من هوى وطرب وإن لم

يُقصَد به ذلك . أى وما طُلاب

لذات الحياة الدنيا ومسراتها ونعماتها

المتنافسون فيها إلا في لعب وهو ،

لأنها عما قليل تزول وتضمحل ،

كما يزول لعب اللاعب وهو

اللاهى ، ولا يبقى له أثر ، فلا

يغتر بها العاقل .

٣٣ - ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَا ﴾ أى

في الحقيقة ، وإنما يكذبون آيات

الله وأنت رسول الله ، فلا تحزن مما

يقوله هؤلاء الظالمون الجاحدون .

٣٤ - ﴿ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ آيات

وعده بنصر رسله .

٣٥ - ﴿ وَإِنْ كَانَ كِبَرَ عَلَيْكَ ﴾ أى

وإن كان قد عظم ، وشق على

نفسك تكذيبهم وكفرهم وعدم



أَسْطَظَّتْ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ
فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ * إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ
يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾
وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ
عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾
وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا
أُمٌّ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى
رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ
فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأُ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأُ يُجْعَلْهُ عَلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ
أَوْ أَتَاكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾

قبورهم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ لا إلى غيره ، فيجازيهم على جحودهم وإصرارهم على الكفر .
٣٨ - ﴿الَّا أُمُّ أَمْثَلُكُمْ﴾ طوائف مختلفة أمثالكُم في الخلق والموت ، والحاجة إلينا في الرزق والتدبير في جميع أمورنا ، والدلالة على كمال القدرة وبديع الصنعة في تسخيرها وتصريفها بقدرتنا ، فكيف تظنون عدم قدرتنا على إنزال ما اقترحتم من الآيات ! إن ذلك جهل منكم عظيم ! وما نُزِّلَ الآيات وما نترك إنزالها إلا على حسب ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والمشيئة المبنيّة عليهما . ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ما تركنا في القرآن شيئاً مما يحتاج إليه الناس في أمر الدين والدنيا ، إمّا مفصلاً وإمّا مجملاً ، أو شيئاً يحتاج إليه المكلفون من أصول الدين وأحكامه وحكمه ، وضروب الهدى التي جاء بها الرسل .
وقيل : الكتاب اللوح المحفوظ . وفرطنا من التفريط وهو التقصير . يقال : فرط في الأمر تفريطاً ، قصّر فيه وضيعه وقدم العجز فيه .
والجملة معترضة لتقرير مضمون ما قبلها .
٣٩ - ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ظلمات الجهل والعناد والفكر . ﴿مَنْ يَشَأُ اللَّهُ يُضِلَّهُ﴾ من يرد سبحانه خلق الضلال فيه يخلق فيه حسب اختياره الناشئ عن استعداده ، بحيث لو غلّى ونفسه لاختاره .

إجابته إلى ما اقترحوا ، وأخذ منك الحزن على ذلك مأخذه ، وأحببت أن نجيبهم إلى ما اقترحوا ، فإن كنت تقدر على أن تتخذ سرباً في أعماق الأرض ، أو مصعداً تصعد به إلى السماء لتأتيهم بآية مما اقترحوا عليك فافعل ، وإذا كنت لا تقدر على ذلك فاصبر على شدائدكم وعلى تكذيبهم ومعارضتهم الآيات التي نصيها الله تعالى للناظرين المتأملين ، ولو شاء الله أن يجمعهم على الهدى لجمعهم ، ولكن لم يرد ذلك لعلمه بسوء اختيارهم . ﴿نَفَقًا فِي الْأَرْضِ﴾ سرباً فيها ينفذ إلى ما تحتها . ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بدقائق شئونه تعالى التي منها عدم تعلّق مشيئته بإيمانهم لفساد استعدادهم .
٣٦ - ﴿وَالْمَوْتَى﴾ أي الكفار الذين لا يسمعون ولا يستجيبون ﴿يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ يوم القيامة من

٤٠ - ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أى أخبروني عن حالتكم العجيبة ؟ والهمزة للاستفهام ، ورأى بمعنى علم ، وتعدى إلى مفعولين ، والتاء ضمير الفاعل ، وما بعده حرف خطاب يدل على اختلاف المخاطب ، أتى به للتأكيد ، والمفعول الأول محذوف تقديره : أغير الله تدعونه لكشفه ؟ والمعنى : أرايتكم عبادتكم الأصنام هل تنفعكم ؟ أو هل تكشف عنكم ضرركم ؟ أى أخبروني عن ذلك إن كنتم صادقين فى أن أصنامكم آلهة ، وأن عبادتكم لها نافعة . وفى استعمال أرايت بمعنى أخبرني تجوز : إطلاق الرؤية وإرادة الأخبار ؛ لأن الرؤية سبب له . وجعل الاستفهام بمعنى الأمر بجامع الطلب فى كل منهما .

٤٢ - ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ أى فكذبوا رسلهم فانتقمنا منهم ﴿بِالْبَاسَاءِ﴾ وهى الفقر والضيق فى المعيشة . ﴿وَالضَّرَاءِ﴾ وهى الأسقام والعلل العارضة للأجسام ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ يتذللون لله تعالى ويتوبون من كفرهم ، من الضراعة ، وهى الذلة والهيئة المنبئة عن الانقياد والطاعة . يقال : ضرع الرجل يضرع ضراعة ، خضع وذلل ، فهو ضارع وضرع .

٤٣ - ﴿جَاءَهُمْ بِأَسْنًا﴾ أتاهاهم عذابنا .

٤٤ - ﴿فَتَحْنًا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ

بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ ۖ وَتَسْأَلُونَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنًا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ۗ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَبَصَرَكُمْ وَخَمَّ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصْرُفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ

شَيْءٌ﴾ أى من التعم الكثيرة بدل البأساء والضراء ؛ إلزاماً للحجة واستدراجاً لهم . وفى الحديث : (إذا رأيت الله يعطى العبد فى الدنيا وهو مقيم على معاصيه فإنما هو استدراج) (١) . ﴿مُبْلِسُونَ﴾ آيسون من النجاة والرحمة ؛ من الإيلاس ، وهو اليأس والقنوط . يقال : أبلس من رحمة الله أى يش . أو مكتبون متحسرون .

٤٦ - ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروهم . ﴿نُصْرَفُ الْآيَاتِ﴾ نكرها على أنحاء مختلفة . ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْذِفُونَ﴾ يعرضون عن الآيات مكذبين . يقال : صدف عن الشيء يصدف صدفاً وصدوفاً ، إذا عرض عنه . وأصدفه عن كذا : أماله عنه وصرفه . وأصله

٤٥ - ﴿فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْمِ﴾ آخرهم الذى يدبرهم . والدائر :

عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾
وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ
وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ
كَذَّبُوا عَابَتْنا بِمَسْئَلِهِمُ الْعَذَابَ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾
قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ
وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا بِمَا يُوحَىٰ إِلَى قُلٍّ
هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾
وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ
مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ
الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ
مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ
مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَكَوْنُوا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَلِكَ

صَدَقَ الْجَبَلُ ، أَيْ جَانِبُهُ
وَمُنْقَطَعُهُ .
٤٧ - ﴿بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾
مفاجأة . أو ظاهراً عياناً .
٥٠ - ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ﴾
اقترحوا على الرسول صلى الله عليه
وسلم أشياء تعجيزاً وتعنتاً ؟
فنزلت الآية . أى قل لهم لا ادعى
أن عندى مقدرات الله فاتصرف
فيها كيف أشاء ! ولا أنى أعلم
الغيب فأخبركم بما سيكون ! ولا

أنى ملكٌ حتى لا آكل ولا أشرب
ولا أتزوج ! وما أنا إلا عبد لله يتبع
ما أوحاه الله إليه ، فكيف
تقترحون على ما لا شأن لى به !
والخزائن : جمع خزانة ، وهى
ما يخزن فيه الشيء النفيس .
وخزن الشيء : إحرازه حيث لا
تناله الأيدى . ﴿خَزَائِنُ اللَّهِ﴾
مرزوقاته أو مقدراته .
٥١ - ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾
خوف بالقرآن الذى أوحى إليك

القوم الذين يخافون ﴿أَنْ يُخْشَرُوا﴾
إلى ربهم ﴿غير منصورين ولا
مشفوعاً لهم . والمراد بهم عصاة
المؤمنين . وقيل : المقرون
بالبعث ، سواء كانوا جازمين
بأصله ، أو مترددين فى شفاعة
الأنبياء أو فى شفاعة الأصنام .
وهو أمر من الله لرسوله بتذكيرهم
وإنذارهم . وتنديد بالمشركين
الذين لا ينفع فيهم الوعظ
والتذكير .

٥٢ - ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ
رَبَّهُمْ﴾ ولا تبعث عنك ضعفاء
المؤمنين الذين سارعوا إلى الإيمان
بك ، واستداموا على عبادة ربهم
يبتغون بها وجهه الكريم ، مثل :
سلمان ، وبلال ، وصهيب ،
وعمار ، وخباب ، أملاً فى
إسلام رؤساء المشركين وسادتهم
الذين استنكفوا منهم وقالوا : لو
طردت هؤلاء السقاط لجالسناك .
بل اجعلهم جلساءك وأخصاءك
فهم عند الله أفضل وأزكى ، كما
قال تعالى : ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ
الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ
وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ
عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ
ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ
قُرْطَاساً ۝﴾ . ولم يقع منه صلى الله
عليه وسلم طردهم ، وإنما هم
بإيغادهم وقت حضور هؤلاء
السادة ، لمصلحة أخرى ، وهى
التلطف لهم أملاً فى إسلامهم .
والغداة لغة : كالبكورة ، ما بين

صلاة الفجر وطلوع الشمس .
والعشي : آخر النهار . أو من
الزوال إلى الغروب . والمراد بها
هنا جميع الأوقات . ﴿ مَا عَلَيْكَ
مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ لما قال
المشركون في حق هؤلاء
الضعفاء : إنهم ما قبلوا دينك
ولا زموك إلا لحاجتهم إلى المأكل
 والملبوس ؛ قال تعالى إن كان
الأمركم زعموا فما يلزمك إلا اعتبار
الظاهر ، وحسابهم على الباطن لا
يتعدى إليك ، كما أن حسابك لا
يتعدى إليهم . وهو كقوله تعالى :
(وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) (١) .
وقوله ﴿ فَتَطْرَدَهُمْ ﴾ جواب لقوله
﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ
شَيْءٍ ﴾ . وقوله ﴿ فَتَكُونُ مِنَ
الظَّالِمِينَ ﴾ جواب لقوله ﴿ وَلَا
تَطْرُدْ ﴾ أى فتكون من الذين
يضعون الشيء في غير موضعه .

٥٣ - ﴿ فَتَنَا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ﴾ جعلنا بعضهم فتنة لبعض ؛ أى
ابتلاء تظهر به حقائق أنفسهم غير
مشوبة بالشوائب التى تلبس بها
عادة . فابتلينا الفقراء بالأغنياء ،
والأغنياء بالفقراء ، وكل فريق
بضده .

٥٤ - ﴿ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا
بِجَهَالَةٍ ﴾ أى وهو جاهل بمقدار
ما يستحق عليه من العقاب
وما يفوته من الثواب . أو لإثارة
اللذة العاجلة على الآجلة .

٥٧ - ﴿ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ
بِهِ ﴾ ليس فى مقدرك إزال
العذاب الذى استعجلتموه

(١) آية ١٦٤ الأنعام . (٢) آية ٣٢ الأنفال .

فَتَنَا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهْتُوا لَا مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ
مَنْ بَيْنَنَا الْبَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا جَاءَكَ
الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ
عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ
تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ
نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
قُلْ لَا آتِيْعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ
الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ
مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ يَقْضُ
الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ ﴿٥٨﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي
مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ * وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا

بقولكم : (فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ ...) (١) وما الحكم

فى ذلك إلا الله وحده ، يتبع الحق
والحكمة فيما يقدره ويحكم به ،
وهو خير من يفصل بين الحق
والباطل . والاستعجال : المطالبة
بالشيء قبل وقته . ﴿ يَقْضُ
الْحَقَّ ﴾ من قص الأثر : تتبعه .
﴿ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ ﴾ بين الحق

والباطل بحكمه العدل .
٥٩ - ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ﴾
جمع مفتاح - كمنبر - : وهو آلة
الفتح ، وتسمى المفتاح . أو جمع
مفتاح - كمسجد - : وهو الخزانة
التي تحفظ بها الأشياء .
والغيب : ما استأثر الله بعلمه .
أى وعنده المفاتيح التى يفتح بها
الغيب ، وهو مجاز عن علمه تعالى



فيه . أو إلا في اللوح المحفوظ الذي
حُطَّ فيه بقلم القدرة أزلًا ، ما كان
وما سيكون . وهو بدلٌ من
﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ بدلٌ كلٍّ على
المعنى الأول ، واشتهل على
الثاني .

٦٠ - ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم
بِاللَّيْلِ﴾ يقبض أرواحكم إذا نمت
ليلاً . وأصل التوفي : أخذ الشيء
واقبًا . ويقال : توفيتُ الشيء
واستوفيته بمعنى : وهو كقوله
تعالى : ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ
مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا
فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ
وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ
مُّسَمًّى﴾ (٢) . ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم
بِالنَّهَارِ﴾ ما كسبتم فيه بخوارحكم
من الخير والشر . والاجترأ :
الاكتساب . يقال : جرح - من
باب نفع - واجترأ : أي
اكتسب بيده أو رجله أوفه .
وتخصيصُ التوفي بالليل ،
والجرح بالنهار ، باعتبار الغالب
والإفقد يعكس الأمر .

٦١ - ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾
[راجع آية ١٨ من هذه السورة
ص ١٧١] . ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ
حَفَظَةً﴾ ملائكة يكتبون أعمالكم
ومحفظونها ؛ لتعرض على رؤوس
الأشهاد يوم الحساب ، وهم
الكرام الكاتبون . وذلك من جملة
القهر لعباده . ﴿لَا يُفْرطُونَ﴾
لا يتوانون . أو لا يقصرون .

٦٣ - ﴿تَضَرَّعًا وَخُفْيَةً﴾ معلنين
الضراعة والدلة ، ومسرئين في

إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ
إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ
وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦٢﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَقَّعُكُمْ
بِالْبَلِّ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ
أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٦٣﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ
حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ
لَا يُفْرطُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ
الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ
مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ قُلْ اللَّهُ يُنْجِيكُمْ
مِنْهَا وَمَنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ قُلْ هُوَ الْفَادِرُ
عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ
أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ سِيعًا وَيُدْخِلَ بَعْضَكُمْ فِي بَعْضٍ
أَنْظِرْ كَيْفَ نُصْرَفُ أَلَا يَلِتُ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ ﴿٦٨﴾

الغيب ، والمراد بها القدرة الكاملة
على كلِّ الممكنات ؛ كما في قوله
تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا
خَزَائِنُهُ﴾ (١) . ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُّبِينٍ﴾ إلا في علمه تعالى المحيط
بجميع الأشياء إحاطة الكتاب بما

جمع المعلومات ، ما غاب عَنَّا
وما لم يَبْغ ؛ لأن المفاتيح هي التي
يتوصَّل بها إلى ما في الخزائن
المستَوْت منها بالإعلاق ؛ فن علم
كيف يفتح بها ويتوصَّل إلى ما فيها
فهو عالم . أو عنده خزائن

أنفسكم بها .

٦٥ - ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ يخلطكم فرقاً مختلفة الأهواء ، كلُّ فرقة تتبع إماماً ، تختصمون وتشتبكون في ملاحم القتال (١) .

﴿شِيَعًا﴾ جمعُ شيعة ، وهم الأتباع والأنصار . وكلُّ قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة . ﴿وَيُذِيقُ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ يسلط بعضهم على بعض بالعذاب والقتل . والبأسُ : الشدة . وهذا ما ابتلى به الناس في سائر العصور . ﴿نُصْرَفُ الْآيَاتِ﴾ نكرها بأساليب مختلفة .

٦٦ - ﴿يُوكِلُ﴾ بحفيظ وكل إلى أمركم فأجازيكم .

٦٨ - ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ أى استهزاء وطمعاً فيها . وأصل الخوض : العبور في الماء . ثم استعير للأخذ في الحديث فقيل : تخاضوا في الحديث ، أى أخذوا فيه . وأكثر ما يستعمل الخوض فيما كان على وجه اللعب والعبث . والخطاب لكل من يتأتى مخاطبته . أو للرسول والمراد أمته .

٧٠ - ﴿غَرَّتْهُمْ﴾ خدعتهم وأطمعتهم بالباطل . ﴿وَذَكَّرَ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ أى وذكر الناس بالقرآن أو بالحساب مخافة أن تُسلم

نفس إلى الهلاك ، أو تُحبس أو تُرْتَهَن أو تُفْتَضَح ، أو تُحرَم الثواب بسبب كفرها وذنوبها ، من البسَل بمعنى المنع بالقهر ،

(١) راجع آية ٩ من هذه السورة .

وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ، وَإِمَّا يُبْسِلَنَّ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدَ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَهُوََا وَغَرَّتُهُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَذَكَّرَ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذَ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُزِدْ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيْطَانُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى آمَنَّا قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ فَهُوَ الْهُدَى وَأْمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَإِنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ

أو التحريم ، أو الحبس والرهن ، متروك . وهذا بسيلٌ عليك ، أى أو الاستسلام . ومنه : أسدٌ محرّم . ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ﴾ بأسلٌ ، لمنعه فريسته من وإن تفند تلك النفس بكل فداء الإفلات . وشرابٌ بسيلٌ ، أى لا يقبل منها ما تقتدى به .



وَأَتَقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ
قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ
لِأَبِيهِ أَزْرَأُ أَصْنَامًا هَاتِهِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ دُرِّجَ مَعَكُم
فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا أَفَلَ
جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ
قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ

نَفْخَةُ الصُّعْقِ وَالْمَوْتُ ، وَنَفْخَةُ
الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِحَقِيقَتِهِ . أَيْ وَاسْتَقَرَّ الْمُلْكُ لِلَّهِ
تَعَالَى وَحْدَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ،
فَلَا مُلْكَ لِسِوَاهُ (وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ
لِلَّهِ) (٧٢)

٧٤- ﴿أَزْرَأُ﴾ لَقَبٌ لِأَبِي إِبْرَاهِيمَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمُسَمَّى تَارِخَ ، أَوْ هُوَ
أَسْمَ آخِرَ لَهُ . ﴿أَتُخَذُ أَصْنَامًا
أَهْلَةً﴾ جَمْعُ صَنِيمٍ ، وَهُوَ وَالتَّمَثَالُ
وَالْوُثْنُ بِمَعْنَى ، وَهُوَ الَّذِي يُتَّخَذُ
مِنْ حَجَرٍ أَوْ خَشَبٍ أَوْ مَعْدِنٍ عَلَى
صُورَةِ إِنْسَانٍ . أَيْ تَتَّخَذُهَا أَهْلَةُ
تَعْبُدُهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَهَا
وَرَزَقَهَا ! وَهِيَ لَا تَنْفَعُ
وَلَا تَضُرُّ ، وَلَا تَسْتَحِقُّ
الْأَلُوْهِيَّةَ ، بَلْ هِيَ مِمَّا تَصْنَعُونَ
بِأَيْدِيكُمْ

٧٥- ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ
مَلَكُوتَ﴾ أَيَّ كَمَا أَرَيْنَاهُ الْحَقَّ فِي
خِلَافِ مَا عَلَيْهِ قَوْمُهُ مِنَ الشَّرْكِ
نُورِيهِ زُبُورِيَّتَهُ تَعَالَى ، وَمَالِكِيَّتَهُ
لِلْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَالْمَلَكُوتِ : الْمُلْكُ الْعَظِيمُ ،
مُصَدَّرٌ زِيدَتْ فِيهِ الْوَاوُ وَالْتِمَامُ
لِلْمُبَالَغَةِ فِي الصِّفَةِ ، كَالرَّحْمَتِ
مِنَ الرَّحْمَةِ . وَهُوَ مَخْتَصٌّ بِمُلْكِهِ
تَعَالَى ، كَمَا ذَكَرَهُ الرَّاعِبُ .

٧٦- ﴿جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ سَبَرَهُ
الْجَنُّ وَتَغَشَّاهُ بِظُلُمَتِهِ ، وَأَصْلُ
الْجَنِّ : السَّتْرُ عَنِ الْحَاسَةِ .
يُقَالُ : جَنَّ الْجَنُّ عَلَيْهِ يَجْنُ
جَنًّا وَجَنُونًا ، وَأَجَنَّهُ وَأَجَنَّ عَلَيْهِ
إِجْنَانًا ، وَمِنْهُ الْجَنُّ وَالْجَنَّةُ -
بِالْكَسْرِ - وَالْجَنَّةُ - بِالضَّمِّ - وَهِيَ

رَدًّا مِثْلَ الَّذِي ذَهَبَتْ بِهِ الْمَرَدَّةُ
فَأَلْقَتْهُ فِي الْمَهَامَةِ وَالْقَفَارِ ، تَائِهًا
ضَالًّا عَنِ الْحَادَّةِ لَا يَدْرِي
مَا يَصْنَعُ ، لَهُ رُفْقَةٌ تَدْعُوهُ إِلَى
الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ قَائِلَةً لَهُ : إِنَّا ،
فَلَا يَجِيبُهُمْ . وَالْكَلَامُ مِنْ بَابِ
التَّمْثِيلِ . ﴿أَمَرْنَا لِنُسْلِمَ﴾ أَمَرْنَا
بِأَنْ نُسْلِمَ وَنُخْلِصَ الْعِبَادَةَ .

٧٣- ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ ،
قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ أَيَّ وَقَضَاؤُهُ الْمَعْرُوفِ
بِالْحَقِّقَةِ كَاثِنٍ ، حِينَ يَقُولُ
سُبْحَانَهُ لَشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ (كُنْ
فَيَكُونُ) ذَلِكَ الشَّيْءُ وَيَحْدُثُ .
(وَيَوْمَ) خَبَرٌ مُقَدَّمٌ (وَقَوْلُهُ) مُبْتَدَأٌ
مُؤَخَّرٌ (وَالْحَقُّ) صِفَتُهُ . ﴿فِي
الصُّورِ﴾ هُوَ قُرْآنُ يَنْفَخُ فِيهِ الْمَلَكُ

وَالْعَدْلُ : الْفِدَاءُ ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ
تَعَالَى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا
وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ
مِلَّةٌ مِنَ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أُفْتُدُوا
بِهِ) (١) . ﴿أَسْلِمُوا بِمَا كَسَبُوا﴾
أَسْلِمُوا إِلَى الْهَلَاكِ ، أَوْ بِأَحَدِ
الْمَعَانِي السَّابِقَةِ لِلْإِبْسَالِ ، بِسَبَبِ
أَعْمَالِهِمُ الْقَبِيحَةِ . ﴿حَنِيمٌ﴾ مَاءٌ
بَالِغُ نَهَابَةِ الْحَرَارَةِ ، يَتَجَرَّجُرُّ فِي
بَطُونِهِمْ ، وَتَتَقَطَّعُ بِهِ أَمْعَاؤُهُمْ .

٧١- ﴿وَنُرْدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾ أَيَّ
نَرْجِعُ إِلَى الشَّرْكِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ .
يُقَالُ لِمَنْ رُدَّ عَنْ حَاجَتِهِ وَلَمْ يَظْفَرْ
بِهَا : قَدْ رُدَّ عَلَى عَقْبِيهِ ، مِثْلُ :
رَجَعَ الْقَهْقَرَى . ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ
الشَّيَاطِينُ﴾ أَيَّ أَنْزَلُوهُ إِلَى الشَّرْكِ

ما يَتَّقِي به المحاربُ ضربَ قِرْنِه ،
والجَنَّة - بالفتح - وهى البستان
الذى يستر بأشجاره الأرض .
﴿ قَالَ هَذَا رَبِّى ﴾ قال هذا على
سبيل الفَرَض وإرخاء العِثَان ،
بجارية مع عُبَاد الأصنام
والكواكب ؛ لِيَكْثُرَ عليه
بالإبطال ، ويثبت أن الربَّ
لا يجوز عليه التغير والانتقال ؛
وكذا يقال فيما بعده . ﴿ فَلَمَّا
أَقْل ﴾ غاب وغَرِب . يقال : أَقْل
الشيءُ بِأَقْلٍ أَقْلًا وَأَقْلًا ، غاب .
﴿ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ أى
لا أعبد الأرباب أو لا أحبُّ عبادة
المنتقلين من حال إلى حال ؛ ومن
مكان إلى مكان .

٧٧ - ﴿ رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا ﴾ مبتدأ
فى الطلوع منتشر الضوء ؛ من
البُرُوج وهو الطلوع والظهور .
يقال : بَزَغَ النَّابُ بَزُوعًا إِذَا طَلَعَ .
٧٩ - ﴿ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ ﴾ أى للذى أوجدَها
وأنشأها على غير مثال سابق .
﴿ حَنِيفًا ﴾ مائلاً عن الأديان
الباطلة ، والعقائد الزائفة كلها إلى
الدين الحق .

٨٠ - ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ﴾ خاصموه
فى التوحيد . ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّى
شَيْئًا ﴾ أى إلا وقت مشيئة ربِّى
شَيْئًا من المكروه يصيبنى من
جهتها . والاستثناء متصلٌ بتقدير
الوقت .

٨١ - ﴿ سُلْطَانًا ﴾ حُجَّةً وبرهانًا .
﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ﴾
أى فأى الفريقين حقيقٌ بالأمن من

هَذَا رَبِّى فَلَمَّا أَقْلَ قَالَ لَنْ لَمْ يَهْدِنِ رَبِّى لِأَكُونَنَّ مِنَ
الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿ ٧٧ ﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا
رَبِّى هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفْلَتْ قَالَ يَلْقَوْمُ لِإِنِّ بَرِيءٌ مِمَّا
تُشْرِكُونَ ﴿ ٧٨ ﴾ لِإِنِّ وَجْهْتُ وَجْهَى لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ ٧٩ ﴾ وَحَاجَّهُ
قَوْمُهُ قَالَ اتَّخِذُونِى فِى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِى وَلَا أَخَافُ
مِمَّا تُشْرِكُونَ بِهِ ۚ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّى شَيْئًا وَسِعَ رَبِّى
كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿ ٨٠ ﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ
مِمَّا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ
عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿ ٨١ ﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ
أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿ ٨٢ ﴾ وَتِلْكَ جُنُتَا
ءَاتَيْنَاهُمَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ
إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿ ٨٣ ﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ
وَسُلَيْمَنَ وَيُؤَبَّ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ
نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ﴿ ٨٤ ﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ

عذاب الله يوم القيامة : الذى الذى عبد مالا يضر ولا ينفع
عبد من بيده النفع والضَّر : أم بلا دليل ولا برهان ؟ !

٨٩- ﴿وَالْحُكْمَ﴾ أى القضاء بين الناس بالحق ، أو الحكمة ، وهى علم الكتاب ومعرفة ما فيه من الأحكام ، أو الإصابة فى القول والعمل . ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا﴾ أى بهذه الثلاثة ﴿هُوَ لَا﴾ أى أهل مكة ﴿فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا﴾ أى أعددنا ووقفنا للإيمان بها والقيام بحقوقها ﴿قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ وهم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .

٩٠- ﴿فَبِهْدَاهُمْ أَقْدَرَهُ﴾ أى بطريقهم من الإيمان بالله وتوجيهه وأصول الدين أقدر ، دون فروع الشرائع القابلة للنسخ فإنهم يختلفون فيها ، فلا يمكن الاقتداء بهم فيها . والهاء للسكت .

٩١- ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ما عظموا الله حق تعظيمه . أو ما عرفوه سبحانه حق معرفته ، أى معرفته الحق فى اللطف بعباده والرحمة بهم ، ولم يراعوا حقوقه تعالى فى ذلك ؛ بل أدخلوا بها إخلالاً عظيماً ، إذ أنكروا بعثة الرسل وإنزال الكتب . ومرادهم بذلك :

الطعن فى رسالته صلى الله عليه وسلم . يقال : قدره يقدره . من باب نصر - عظمه . وأصل القدر : معرفة المقدار بالسبب والحزر . يقال : قدر الشيء يقدره ، إذا سبره وخره ليعرف مقداره ؛ ثم استعمل فى معرفة الشيء على أتم الوجوه ، حتى صار حقيقة فيه . ﴿تَجْعَلُونَهُ

كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَحُوطًا وَكَانَ أَفْضَلًا عَلَى الْعَالَمِينَ ٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهْدَاهُمْ أَقْدَرَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ٩٠﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا يَبْدُونَهَا وَيُحْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ٩١﴾

٨٢- ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ لم يخلطوا إيمانهم بشرك ، كما يفعل المشركون حيث يزعمون أنهم مؤمنون بالله ، وأن عبادتهم لغيره من تمتات إيمانهم وأحكامه ، لكونها لأجل التقريب والشفاعة .

٨٧- ﴿اجْتَبَيْنَاهُمْ﴾ اصطفييناهم للنبوة .

٨٨- ﴿لَحَبِطَ عَنْهُمْ﴾ أى لبطل وسقط عنهم . يقال : حبط العمل - كسبح وضرب - حبطاً وحبوطاً ، بطل .

٨٥- ﴿وَالْيَاسَ﴾ هو من أسباط

قَرَّاطِيسَ ﴿٩٢﴾ أَي أَوْرَاقًا مَكْتُوبَةً
مَفْرَقَةً لِتَتِمَّ كُنُوتُهَا مِنْ إِبْدَاءِ
مَا تَرِيدُونَ إِبْدَاءَهُ مِنْهَا ، وَإِخْفَاءِ
الكثير منها ، وَمِنْهُ نَعُوتُ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآيَةُ الرَّجْمِ .
وَالْقِرْطَاسُ : مَا يُكْتَبُ فِيهِ .
﴿قُلِ اللَّهُ﴾ أَي قُلِ : اللَّهُ تَعَالَى
أَنْزَلَهُ . أَوْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ ؛ إِنْ لَمْ يَحْبُوكْ
بَأَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ .
﴿خَوَّضِهِمْ﴾ بِأَظْلَهُمْ .

٩٢ - ﴿مُبَارَكٌ﴾ الْقُرْآنُ ﴿أَمْ﴾
الْقُرَى ﴿مَكَّةُ﴾ وَالْمَرَادُ أَهْلُهَا ،
وُسِّمَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا قَبْلَةُ أَهْلِ
الْقُرَى وَمَحَجُّهُمْ . ﴿وَمَنْ﴾
حَوَّلَهَا ﴿مِنْ أَهْلِ الْمَشَارِقِ
وَالْمَغَارِبِ ؛ لِعُمُومِ بَعَثَتِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلنَّاسِ كَافَّةً .

٩٣ - ﴿فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾
شِدَائِدُهُ وَسَكَرَاتِهِ . جَمْعُ غَمْرَةٍ ،
وَهِيَ الشَّدَّةُ . وَأَصْلُهَا الشَّيْءُ الَّذِي
يَغْمُرُ الْأَشْيَاءَ فَيَغْطِيهَا . يُقَالُ :
غَمَرَهُ الْمَاءُ - كَنَصَرَ - إِذَا غَلَا
وَسْتَرَهُ ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي الشَّدَائِدِ
وَالْمَكَارِهِ . ﴿أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾
أَي قَاتِلِينَ لَهُمْ أَخْرَجُوا أَرْوَاحَهُمْ .
وَهُوَ كِتَابَةٌ عَنِ الْعُتْفِ فِي السِّيَاقِ
وَالِإِلْحَاحِ ، وَالتَّشْدِيدِ فِي الْإِزْهَاقِ
مِنْ غَيْرِ تَنْفِيسٍ وَإِمْهَالٍ . وَجَوَابُ
(لَوْ) مُقَدَّرٌ ؛ أَي لَرَأَيْتُ أَمْرًا
فَفُطِعًا هَاتِلًا . ﴿عَذَابَ الْهُونِ﴾
أَي الْهُونَ وَالذَّلَّ .

٩٤ - ﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ﴾
أَي مَا أَعْطَيْنَاكُمْ وَمَلَكْنَاكُمْ فِي
الدُّنْيَا مِنَ الْأَوْلَادِ وَالْأَمْوَالِ

وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ
وَلِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٥﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ
إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى
إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو
أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ
بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِنَا
تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى
مَعَكُمْ شُفْعَاءَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ
لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٧﴾
* إِنْ اللَّهُ فَالِقُ الْخَيْلِ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ
وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٩٨﴾

وَالْخُدَمَ ، وَجِئْتُمُونَا فُرَادَى .
وَالْحَوْلُ : مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ التَّعْمِ .
يُقَالُ : خَوَّلَهُ الشَّيْءُ تَحْوِيلًا ؛
مَلَكَهْ إِيَّاهُ وَمَكَّنْهُ مِنْهُ وَمِنْهُ التَّخَوُّلُ
بِمَعْنَى التَّعَهُّدِ . ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ
بَيْنَكُمْ﴾ لَقَدْ تَقَطَّعَ الْإِتِّصَالُ
الَّذِي كَانَ بَيْنَكُمْ فِي الدُّنْيَا
وَاضْمَحَلَّ ، ففَاعِلٌ (تَقَطَّعَ)
ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى الْإِتِّصَالِ الْمَدْلُولِ
عَلَيْهِ بِلَفْظِ (شُرَكَاءَ) وَ(بَيْنَكُمْ)
مَنْصُوبٌ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ ، وَقُرِئَ
بِالرَّفْعِ ، أَي لَقَدْ تَقَطَّعَ وَصْلُكُمْ .
(وَبَيْنَ) مُصَدَّرٌ يُسْتَعْمَلُ فِي
الْوَصْلِ وَفِي الْفِرَاقِ بِالِاسْتِرَاكِ ؛
كَالْجَوْنِ لِلْأَسْوَدِ وَالْأَبْيَضِ ،
وَالْمَرَادُ هُنَا الْأَوَّلُ .



﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ يسكن إليه من يتعب بالنهار ويستأنس به لإسترواحه فيه . ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾ أى يجزيان في الفلك بحساب مقدّر معلوم ، لا يتغير ولا يضطرب حتى ينتهيا إلى أقصى منازلهما . بحيث تتم الشمس دورتها في سنة . ويتم القمر دورته في شهر ، وبذلك تنظم المصالح المتعلقة بالفصول الأربعة وغيرها . والحُسبان : مصدرٌ حَسَبَ المالَ حَسْبًا - من باب قتل - أحصيته عددًا .

٩٨ - ﴿أَنشَأَكُم مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ من آدم عليه السلام . وهو تذكير بنعمة أخرى ، فإن رجوع الناس جميعًا إلى أصل واحد أدعى إلى التوَادُّ والتَّراحم . ﴿فَمُستَقَرٌّ وَمُستَوْدَعٌ﴾ فلکم موضع استقرار في الأرحام ، وموضع استيداع في الأصلاب . وقرئ (مُستقرٌّ) بكسر القاف ، أى فمكم مستقرٌّ في الأرحام .

٩٩ - ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ أى أخرجنا من النبات الذى لا ساق له نباتًا غَضًّا أخضر ، وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة . وخَضِرٌ بمعنى أخضر ، اسم فاعل . يقال : خَضَرَ الزرع - من باب فرح - وأخضَرَ ، فهو خَضِرٌ وأخضر . ﴿يُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ أى سنابل فيها الحب يركب بعضه بعضًا ، كما فى الحنطة والشعير وسائر الحبوب . يقال : رَكِبَهُ - كسعه - رَكُوبًا ومَرَكِبًا ،

فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٩﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ

من الحيوان . وهو معطوف على (فَالِقُ) . ﴿فَأَنى تُؤفَكُونَ﴾ فكيف تُصرفون عن عبادته ، وتُشركون به مالا يقدر على شئ من فعله [آية ٧٥ المائدة ص ١٥٨] . ٩٦ - ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ الإصباح : مصدرٌ سُئِيَ به الصُّبح ، أى شاقٌ ظلمة الصبح - وهى العَبَسُ فى آخر الليل الذى يلى الفجر المستطيل الكاذب - عن بياض النهار ، فيضىء الوجود ويضمحل الظلام ، ويذهب الليل بسواده ويحىء النهار بضيائه .

٩٥ - ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْثِ﴾ شروق فى ذكر دلائل كمال القدرة والعلم والحكمة ، بعد تقرير دلائل التوحيد والنبوة . (فَالِقُ) أى شاقٌ ، يَشُقُّ الحبة اليابسة كالحنطة فيخرج منها النبات الأخضر اللامى . ويشقُّ التَّوَادُّ اليابسة فيخرج منها النخلة والشجرة النامية . ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ أى يُخرج ما ينمو من الحيوان والنبات مما لا ينمو ، كالنطفة والحبة . ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ أى كالنطفة والبيضة

وَحَرِّقُوا لَهُ، بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٠٢﴾ يَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ أَنَّى يَكُونُ
لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ
كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٤﴾
لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ
الْخَبِيرُ ﴿١٠٥﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَافِيرُ مِنْ رَبِّكُمْ قَمَنَ أَبْصَرَ

١٠٢ - ﴿وَكَيْلٌ﴾ رقيب ومتول.

١٠٣ - ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ لا تحيط بعظمته وجلاله على ما هو عليه أبصار الخلائق في الدنيا والآخرة ، أولا تدركه الأبصار إدراك إحاطة بكنهه وحقيقته ، فإن ذلك محال . والإدراك بهذا المعنى أخص من الرؤية التي هي مجرد المعاينة ، فنفيه لا يقتضي نفى الرؤية ، إذ نفى الأخص لا يستلزم نفى الأعم . فأنت ترى القمر ولا تدرك حقيقته ، ولذلك أثبت أهل السنة رؤية المؤمنين له تعالى في الآخرة ؛ كما قال تعالى : ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ .
وذهب بعض السلف إلى أن الآية مخصوصة بالدنيا . ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ أى وهو يدرك القوة

والمراد بهم الملائكة حيث عبدوهم وقالوا : هن بنات الله ؛ وأطلق عليهم جن لاستارهم . أو المراد الشياطين ؛ حيث أطاعوهم في عبادة غير الله تعالى من الأصنام والطواغيت . ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ...﴾ واختلقوا وافتروا له سبحانه بنين وبنات ! يقال : خرق الكذب يخرقه ، صنعته . وأصل الخرق : قطع الشيء على سبيل الفساد من غير تدبر وتفكر ؛ وذلك كما افترى بعض أهل الكتاب أن عزيرًا ابن الله ، وأن المسيح ابن الله . فالمشركون واليهود والنصارى سواء في الافتراء على الله بغير علم ؛ سبحانه وتعالى عما يصفون !

١٠١ - ﴿يَدِيعُ ..﴾ مبدع ومخترع . أو من أين يكون ؟

علاه ؛ كارتكبه . ﴿وَمِنْ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ ومن طلع النخل قنوان دانية . والطلع : أول ما يبدو ويخرج من ثمر النخل كالكميزان . وقشره يسمى الكفري ، وما في داخله يسمى الإغريض لبياضه . والقنوان : العراجين ، جمع قنو وهو العذق ، وهو للثمر بمنزلة العنقود للعب . (دانية) أى متدلية ، أو قريبة من يد المتناول . ﴿وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ﴾ عطف على (بنات) أى وأخرجنا به جنان كائنة من أعناب . ﴿مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ أى بعضه متشابه ، وبعضه غير متشابه في الهيئة واللون والطعم وغير ذلك ؛ مما يدل على كمال قدرة الصانع ؛ كما قال تعالى : ﴿يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَّضَلُ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكُلِ﴾ (١) . ﴿وَيَنْبَغُ﴾ أى وانظروا إلى حال نضجه وإدراكه نظر استدلال واستبصار ؛ كيف يعود شيئاً قوياً بعد الضعف ، جامعاً لمنافع شتى . مصدر ينبغ الثمرة كأيمنت ، ينبغ ويتبع يتبعاً ويتبعاً . إذا نضجت .
١٠٠ - ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ شروع في بيان جحودهم في معاملة خالقهم ، بعد أن من عليهم بالإيجاد وبما يحتاجون إليه في المعاش . أى وجعلوا الجن شركاء لله تعالى في الألوهية والعبادة ؛ وقد خلقهم من العدم ؛ فكيف يجعل المخلوق شريكاً للمخلق ؟

للحفظ . وأصله من دَرَسَ الحِطَّة يدْرُسُها دَرْسًا ودِرَاسًا ، إذا داسها ، كأن التالى يدوس الكلام فَيَخِفُ على لسانه . وقرئ (دارست) أى قارأت أهل الكتاب ، من المدرسة بين الاثنين ، أى قرأت عليهم وقرأوا عليك .

١٠٦ - ﴿ وَأَعْرَضَ عَنْ الْمُشْرِكِينَ ﴾ لا تعتد بأقوالهم الباطلة ، التى من جملتها ما حكى عنهم آنفاً ، ولا ثبالي بها .

١٠٨ - ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ ... ﴾ السبُّ : الشتم الوجيع ، وذكر المساوى لمجرد التحقير والإهانة . ﴿ عَدَّوْا ﴾ اعتداء وظلم . والعَدُو : الاعتداء والتجاوز عن الحق إلى الباطل ، نُهَو عن سب الأوثان ولعننا قبل الأمر بالقتال - كما قاله الزجاج وابن الأنبارى - ثم نسخ بآية القتال حين قوى المسلمون .

١٠٩ - ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ أبلغ ما فى وسعهم فى تغليظ الحلف [٢١ ، ٥٣ المائدة] . ﴿ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ أعلمهم بأن مرجع الآيات كلها إلى حكمه تعالى خاصة ، يقضى فيها حسب مشيئته المبتة على الحكم البالغة ، لا قدرة لأحد عليها ، فكيف أتصدى لاستدعاء إنزالها ، وأمرها لله وحده . ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾ أى وما يذريكم أيها المؤمنون الراغبون

فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ ﴿١٠٦﴾ وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٧﴾ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٠﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ وَنَقَلُبُ أَقْلَهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ كَمَا لَمْ

أُحصى عليكم أعمالكم ، وإنما الله هو الذى يحصىها عليكم ويجازيكم عليها . ١٠٥ - ﴿ وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ ﴾ أى وكما فصلنا الآيات الدالة على التوحيد فى هذه السورة تفصيلاً بديعاً مُحْكماً ، نفصل الآيات ونبيئها فى كل موطن لتلزمهم الحجة ﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾ أى قرأت الكتب على أهل الكتاب ، ثم جئتنا ترعم أنه من عند الله . يقال : درس الكتاب ، إذا أكثر قراءته وذلك

التي تدرك بها المبصرات ومحيط بها علماً ، إذ هو خالق القوى والحواس . ١٠٤ - ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ ﴾ هى آيات القرآن وحججه التى يهتدون بها إلى الحق . جمع بصيرة ، وهى للقلب بمنزلة البصر للعين ، فهى النور الذى يبصر به القلب ، كما أن البصر هو النور الذى تبصر به العين . وإطلاق البصائر على هذه الآيات من إطلاق اسم السبب على السبب . ﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ ﴾ برفيق



يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾
 * وَلَوْ أَنَّا زَلَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا
 عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبَلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَسَاءَ اللَّهُ
 وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ
 عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ
 زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ
 وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ

في إنزالها طمعًا في إسلامهم ﴿أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾. أي أنا أعلم أنهم لا يؤمنون وأنتم لا تعلمون ذلك ؛ ولذا توقعت إيمانهم ، ورغبتم في نزولها . فلاستفهام في معنى التثنية ، وهو إخبار عنهم بعدم العلم لا إنكار عليهم . وقيل : (أَنْ) - بالفتح - بمعنى لعل ، أي وما يديركم حالهم عند مجيء الآيات ، لعلها إذا جاءت لا يؤمنون ، فما لكم تَتَمَنُّونَ مجيئها !

١١٠ - ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ وندعهم في تجاوزهم الحد في العصيان يترددون متحيرين [آية ١٥ البقرة ص ٧] . ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يعمون عن الرشد أو يتحيرون .

١١١ - ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَلْنَا﴾ ولو أننا آتيناهم ما اقترحوا فزللنا إليهم الملائكة ، وأحيينا لهم الموتى يشهدون عيانًا بصدقك ، وزدنا على ذلك فجمعنا لهم جميع الخلائق مقابلة ومعينة حتى يواجهوهم ، يشهدون لك بالرسالة ، أو كفلاء بصدقك - ما استقام لهم الإيمان ، لسوء استعدادهم وفساد فطرهم . والحشر : الجمع ، وفعله من باب قتل . و﴿قُبَلًا﴾ - بضمين - بمعنى مواجهة ومعينة . تقول : لقيته قُبَلًا ومقابلة وقَبِيلًا ، أي مواجهة ، وهو بمعنى قِبَلًا في القراءة الأخرى . وقيل : جمع قَبِيل بمعنى كفيل ، أو بمعنى جماعة

جماعة ، أو صنفًا صنفًا .
 ١١٢ - ﴿شَيْطَاتِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ مَرَدَّةُ السُّوعِينَ . والشيطان : كلُّ عاتٍ متمردٍ من الإنس والجن . أي جعلنا لكل نبيٍّ أعداء من شياطين الإنس والجن ، يُسِرُّ بعضهم إلى بعض ما يَقْتُون به المؤمنون الصالحين ، ويزيئون لهم الباطل والمعاصي ليُغروهم ويخدعوهم . وَزُخْرَفَ القول : باطله الذي زَيَّنَ ومُوهَّ بالكذب . وأصلُ الزُخْرَفِ : الزينة المُرَوَّقة ؛ ومنه قيل للذهب : زُخْرَفٌ ، ولكلِّ شيء حسن مُوهَّ زُخْرَفٌ . والغُرُورُ : الخداعُ والأخذُ على غِرة .
 ١١٣ - ﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ﴾ ولتميل إلى هذا الزُخْرَفِ الباطل قلوبُ

الكافرين . معطوف على (غُرُورًا) المنصوب على أنه مفعول له . وأصلُ الصَّغُو : الميلُ . يقال : صَغَا يَصْغُو وَيَصْغَى صَغْوًا ، وَصَغَى يَصْغَى صَغًا وَصَغِيًا ، مَال . وَأَصْغَى إِلَيْهِ : مال بسمعه . وَأَصْغَى الْإِنَاءُ : أماله . ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا﴾ وليكتسبوا من الأعمال الخبيثة ما هم مكتسبون . وأصلُ الْقَرَفِ والاقتراف : قَشْرُ اللحاء عن الشجر ، والجلدة عن الجرح . واستعير الاقترافُ للاكتساب مطلقًا ، ولكنه في الإساءة أكثر ، فيقال : قرفته بكذا ، إذا عبته به وأتهمته . قال أبو حيان : ترتيب هذه المفاعيل في غاية الفصاحة ؛ لأنه أولاً يكون الخداع فيكون الميل فيكون

أَلَا يَحْزُونُونَ ﴿١١٤﴾ أَي يَكْذِبُونَ ،
أَي أَن شَاتَهُمُ الْكَذِبُ ، فَهَمْ
مُسْتَرْوُونَ عَلَيْهِ مَعَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ
اتِّبَاعِ الظَّنِّ فِي شَأْنِ خَالَقِهِمْ ؛
وَمِنْ ذَلِكَ تَحْرِيمُ الْحَلَالِ وَتَحْلِيلُ
الْحَرَامِ . وَأَصْلُ الْحَرْصِ : الْقَوْلُ
بِالظَّنِّ . يُقَالُ : خَرَصْتُ النَخْلَ
خَرْصًا - مِنْ بَابِ قَتَلَ - خَرَزْتُ
ثَمْرَهُ وَقَدَرْتُهُ بِالظَّنِّ وَالتَّخْمِينِ .
وَأَسْتَعْمَلُ فِي الْكَذِبِ لِمَا يَدْخُلُهُ مِنْ
الظَّنِّ الْكَاذِبَةِ ؛ فَيُقَالُ : خَرَصَ
فِي قَوْلِهِ - كَنَصَرَ - أَي كَذَبَ .

١١٨ - ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ
عَلَيْهِ﴾ لَمَّا قَالَ الْمُشْرِكُونَ :
أَتَأْكُلُونَ مَا قَتَلْتُمْ وَلَا تَأْكُلُونَ
مَا قَتَلَ رَبُّكُمْ ؟ نَزَلَتِ الْآيَةُ .
وَالْخَطَابُ لِلْمُسْلِمِينَ ؛ أَي كُلُوا مِمَّا
ذُكِّرَ عَلَى ذِمَّتِهِ اسْمُ اللَّهِ خَاصَّةً ،
دُونَ مَا ذُكِّرَ عَلَيْهِ اسْمُ غَيْرِهِ
كَالْأَوْثَانِ ، أَوْ مَا ذُبِحَ عَلَى
الْثُّصْبِ ، أَوْ اسْمٍ مَعَ اسْمِهِ
تَعَالَى ، أَوْ مَا ذُبِحَ خِطْفَ أَفْقِهِ ؛ كَمَا
قَالَ تَعَالَى (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ
يُذَكِّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ) .

١١٩ - ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ
عَلَيْكُمْ﴾ وَقَدْ بَيَّنَّ لَكُمْ مَا حَرَّمَهُ
عَلَيْكُمْ مِنَ الْمَطْعُمَاتِ ؛ إِلَّا
مَا دَعَيْتُمْ إِلَيْهِ الْفُرْجَةَ بَوْحَى غَيْرِ
مَثَلٍ . أَوْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : (قُلْ
لَا أَجِدُ فَيْسًا أُوحِيَ إِلَيَّ
مُحَرَّمًا) ^(١) . وَالتَّأَخَّرُ فِي التَّلَاوَةِ
لَا يَجُوزُ التَّأَخَّرُ فِي النَّزُولِ .

١٢٠ - ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ﴾
اتْرَكُوا جَمِيعَ الْمَعَاصِي سِرِّهَا

أَبْتَنِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا
وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ يُعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ
بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٥﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ
رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿١١٦﴾ وَإِنْ تَطِعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا
يَحْزُونُونَ ﴿١١٧﴾ إِنْ رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ
إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا
ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا
مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ
عِلْمٍ إِنْ رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١٢٠﴾ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ

الْقُرْآنَ - وَبَلَغَ الْغَايَةَ ؛ صَادِقًا فِي
أَخْبَارِهِ ، عَادِلًا فِي أَحْكَامِهِ .
﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ لَا مُغَيِّرَ لَهَا
بِخُلْفٍ فِي الْأَخْبَارِ ، أَوْ نَقْصٍ فِي
الْأَحْكَامِ ، أَوْ تَحْرِيفٍ أَوْ تَبْدِيلٍ ؛
وَهَذَا ضَمَانٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِكِتَابِهِ
بِالْحِفْظِ .

١١٦ - ﴿وَإِنْ تَطِعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي
الْأَرْضِ﴾ الْخَطَابُ لَهُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِأُمَّتِهِ . وَقِيلَ لَهُ ،
وَالْمُرَادُ أُمَّتُهُ . ﴿وَإِنْ هُمْ

الرَّضَا فَيَكُونُ الْإِقْتِرَافُ ، فَكُلُّ
وَاحِدٍ مُسَبِّبٌ عَمَّا قَبْلَهُ .

١١٤ - ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الْمُمْتَرِينَ﴾ أَي مِنَ الشَّاكِّينَ فِي
أَن أَهْلَ الْكِتَابِ يَعْلَمُونَ أَنَّ الْقُرْآنَ
مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ بِالْحَقِّ .
وَقِيلَ : الْخَطَابُ لِكُلِّ مَنْ يَتَأَتَّى
مِنَهُ الْإِمْرَاءَ . أَوِ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمَقْصُودُ أُمَّتُهُ .

١١٥ - ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾
أَي كَمُلَ كَلَامُهُ تَعَالَى - وَهُوَ

وعلايتها ، أو ما كان منها
بالجوارح وما كان بالقلوب .
﴿ يَفْتَرُونَ ﴾ يكتبون من الإثم
أيا كان .

١٢١ - ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ
يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ نهوا عن
أكل الميتات بأنواعها ، وما أهل
به لغير الله من ذبائح المشركين ،
وما ذبح على الثُصْب ونحوه ،
وما ذكر عليه اسم مع اسمه تعالى .
أما ذبائح المسلمين وذبائح أهل
الكتاب إذا ذكروا عليها اسم الله
فحلال . وتقدم الخلاف في ذبائح
أهل الكتاب إذا ذكروا عليها اسم
عزير أو المسيح في تفسير آيتي البقرة
والمائدة ^(١) . ﴿ وَإِنَّهُ لَفَسْقٌ ﴾
وإن أكل ذلك الخروج عن طاعة
الله . وقد اختلف الأئمة في ذبيحة
المسلم إذا لم يذكر اسم الله عليها ؛
فذهب قوم إلى تحريمها ، سواء
تركها عمدًا أو سهواً . وذهب قوم
إلى حلتها . وآخرون إلى حلتها إن
شُركت التسمية سهواً ، وإلى
حُرمتها إن تُركت عمدًا .
والمذاهب والأدلة مبسطة في
الفقه .

١٢٢ - ﴿ أَوْ مِمَّنْ كَانَ مِثْلًا
فَأَحْيَا ﴾ أى أنتم مثلهم ، ومن
كان ميتًا فأعطياه الحياة وجعلنا له
نورًا عظيمًا يمشي به فيما بين الناس
آمنًا ، كمن مثله في الظلمات ليس
بخارج منها . وهو تمثيل للمؤمن
والكافر لتفسير المسلمين عن طاعة
المشركين ؛ فقتل المؤمن المهتدى

وباطنه . إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَجَرُونَ بِمَا كَانُوا
يَفْتَرُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ
وَإِنَّهُ لَفَسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ
لِيُجَدِّلُواكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾
أَوْ مِمَّنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ
فِي النَّاسِ كَمَنْ مِثْلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا
كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ
جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا
يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ
آيَةٌ قَالُوا إِنَّا نُؤْمِنُ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ
اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا
صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

كمن كان ميتًا هالكًا فأحياه الله ،
وأعطاه نورًا يستضيء به في
مصلحه ، ويهتدى به إلى طريقه .
ومثل الكافر الضال كمن هو
منغمس في الظلمات لا خلاص له
منها فهو على الدوام متحير
لا يهتدى ؛ فكيف يستويان ؟!
والنور : هو القرآن أو الإسلام .
والظلمات : ظلمة الكفر ،
وظلمة الجهل ، وظلمة عمى
البصيرة ؛ وهو كقوله تعالى :

(وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ
وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ . وَلَا الظِّلُّ
وَلَا الْحَرُورُ . وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ
وَلَا الْأَمْوَاتُ) ^(٢) .
١٢٣ - ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ
قَرْيَةٍ ﴾ أى وكما جعلنا في قريتك
رؤساء دعاة إلى الكفر وإلى
عداوتك جعلنا في كل قرية من
قُرى الرسل من قبلك رؤساء من
المجرمين مثلهم ؛ ليمكروا فيها
ويتجبروا على الناس ، ثم كانت

(١) آية ١٧٣ البقرة وآية ٣ المائدة . (٢) آية ١٩ - ٢٢ فاطر .



فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ
يُرِدْ أَنْ يَضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّ
يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا
قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ * لَهُمْ دَارُ
السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾
وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْيَحْنُ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنْ
الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا
بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ
خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾

يتصعد ، بمعنى يتكلف الصعود
فلا يستطيعه . ﴿ كَذَلِكَ يَجْعَلُ
اللَّهُ الرِّجْسَ .. ﴾ أى مثل جعل
صدره ضيقاً حرجاً يجعل الله
العذاب على الكافرين . وأصل
الرَّجْس : النُّجْسُ والقَدْرُ ..
أو المأثم . أو العمل المؤدى إلى
العذاب . [آية ٩٠ المائدة
ص ١٦٠]

١٢٧ - ﴿ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ ﴾ متولى
إيصال الخير إليهم . أو موليهم
أو ناصرهم ، بسبب أعمالهم
الصالحة .
١٢٨ - ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ .. ﴾
المعشر : الجماعة أمرهم واحد .
والمراد بالجن هنا : الشياطين .
﴿ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ﴾ أكثرتم
من دعوتهم للضلال والغواية . أى
ويقال لهم فى ذلك اليوم : قد
أكثرتم من إغوائكم الإنس
وإضلالكم إياهم . أو أكثرتم
منهم بأن جعلتموهم أتباعكم .
﴿ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾
أى انتفع الإنس بالجن ، حيث
دلّوهم على المفسد وما يوصل
إليها . والجن بالإنس ، حيث
أطاعوهم وانقادوا إليهم فصاروا
كالأتباع لهم . والمراد بهم الكفار .
﴿ النَّارُ مَثْوَاكُمْ ﴾ مأواكم
ومستقركم ومقامكم . ﴿ إِلَّا مَا
شَاءَ اللَّهُ ﴾ الأرجح أن المراد بهذا
الاستثناء وبظايره فى آيات أخرى -
المبالغة فى الخلود . أى أنه لا ينتفى
فى وقت ما إلا وقت مشيئته
تعالى ، وهو تعالى لا يشاء

العاقبة للرسول . والأكابر : جمع
أكبر ، وهم الرؤساء والعظماء .
والجرمون : جمع مجرم ، من
أجرم إذا اكتسب أمراً مكروهاً ،
ومنه الجرم والجريمة ، للذنب
والإثم .
١٢٤ - ﴿ صَغَارٌ ﴾ ذُلٌّ وَهَوَانٌ
بعد استكبارهم . يقال : صَغِرَ
يَصْغُرُ صَغَرًا وَصَغَارًا فهو صاغر ،
إذا ذُلَّ وهان .
١٢٥ - ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ
يَهْدِيَهُ .. ﴾ أى فمن يُرِدِ اللَّهُ أَنْ
يهديه للإسلام ويوفقه له يوسع
صدره لقبوله ، ويستهلّه له بفضل
وإحسانه . ومن يرد أن يضلّه يُصَيِّرْ

ذلك ؛ فقد أخبر أن هؤلاء الكفار لا يخرجون من النار أبدًا . وفي إيراد المعنى في هذه الصورة بيان أن مردّ الأمور كلها إلى مشيئته تعالى ، وأن خلودهم إنما كان بمحض المشيئة ، ولو شاء الله عدمه لم يخلدوا . وفيه تنكيل آخر بهم ، وهو إبقاؤهم في حيرة دائمة وتردد ، بين الطمع في الخروج واليأس منه .

١٣٠ - ﴿وَعَرَّيْتُهُمُ الْحَبَابَ﴾ خدعتهم بهرجها .

١٣١ - ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ﴾ أى إتيان الرسل وإنذارهم ثابت ؛ لأنه لم يكن ربك مهلك أهل القرى بسبب أى ظلم فعلوه قبل أن ينبهوا إلى بطلانه ويُنْهَوْا عنه ؛ قال تعالى : (وَأَنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) (١) وقال : (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) (٢) .

١٣٤ - ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أى بجاعليه عاجزاً عنكم ، غير قادر على إدراككم ؛ من أعجزه بمعنى جعله عاجزاً . أو بفائتين العذاب ؛ من أعجزه الأمر ، إذا فاته .

١٣٥ - ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ أى على غاية تمكّنكم من أمركم ، وأقصى استطاعتكم . مصدر مَكَّن - كَرَّم - مكانة ، إذا تمكّن أبلغ التمكّن . والأمر للتهديد والوعيد .

١٣٦ - ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ (١) آية ٢٤ فاطر . (٢) آية ١٥ الاسراء .

وَكَذَلِكَ نُورِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٣١﴾ يَمْعَشَرِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٢﴾ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣٣﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ عَمَلًا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَالْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ ﴿١٣٥﴾ إِنْ مَا تَوَعَّدُونَ لَأَتِيَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٦﴾ قُلْ يَنْقُومِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٨﴾ وَكَذَلِكَ زَيَّنْ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

شروع في ذكر أحكام لهم فاسدة لله : ونصيباً لأوثانهم ؛ درجوا عليها في الجاهلية ؛ فقد فيشركونها في أموالهم . فما كان لله كانوا يجعلون من زروعهم صرفوه إلى الضيقات والمساكين ، وأنعامهم وسائر أموالهم نصيباً وما كان للأوثان أنفقوه عليها وعلى

قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ لِيَرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُهُمْ وَمَا يَقْتُرُونَ ﴿١٣٧﴾
وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرْتُ حَجْرًا لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَمُ حُرْمَتُ ظُهُورِهَا وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَقْتُرُونَ ﴿١٣٨﴾
وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ خَالِصَةٌ لَا ذِكْرَ لَنَا وَحَرَّمَ عَلَيْنَا أَزْوَاجَنَا وَإِن يَكُن مِّتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ * وَهُوَ الَّذِي

أَوَّالِدُهُمْ شُرَكَاءُهُمْ لِيَرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُهُمْ وَمَا يَقْتُرُونَ ﴿١٣٧﴾
وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرْتُ حَجْرًا لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَمُ حُرْمَتُ ظُهُورِهَا وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَقْتُرُونَ ﴿١٣٨﴾
وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ خَالِصَةٌ لَا ذِكْرَ لَنَا وَحَرَّمَ عَلَيْنَا أَزْوَاجَنَا وَإِن يَكُن مِّتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ * وَهُوَ الَّذِي

سَدَّتْهَا . فَإِذَا رَأَوْا مَا جَعَلَهُ اللَّهُ أَزْكَى بَدَلُوهُ بِمَا لِلْأَوْتَانِ . وَإِذَا رَأَوْا مَا جَعَلُوا لِلْأَوْتَانِ أَزْكَى تَزَكَّوْهُ لَهَا . فَتَرَتِ الْآيَةُ . وَ ﴿ذَرًا﴾ بِمَعْنَى خَلَقَ . يَقَالُ : ذَرَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ يَذَرُوهُمْ ذَرَاءً . أَيْ خَلَقَهُمْ وَأَوْجَدَهُمْ . وَقِيلَ : الذَّرْءُ الْخَلْقُ عَلَى وَجْهِ الْإِخْتِرَاعِ . ﴿الْحَرْثُ﴾ الزَّرْعُ . ﴿الْأَنْعَامُ﴾ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالضَّأْنُ وَالْمَعْزُ .
١٣٧ - ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ ..﴾ أَيْ وَمِثْل ذَلِكَ التَّزْيِينِ فِي قِسْمَةِ الْأَمْوَالِ بَيْنَ اللَّهِ وَالْأَوْتَانِ ، زَيْنٌ لَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ

بَيْنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُشَبِّهُ بَعْضُهَا بَعْضًا [آيَةُ ٩ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ ص ١٧٠] . ﴿يَفْتَرُونَ﴾ يَخْتَلِقُونَهُ مِنَ الْكُذْبِ .
١٣٨ - ﴿هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حَجْرًا﴾ أَيْ مَا جَعَلُوهُ لِأَهْتِمِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ مَحْجُورَةٌ ، أَيْ مَمْنُوعَةٌ مُحَرَّمَةٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا الرِّجَالُ دُونَ النِّسَاءِ ، وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا فَلَا تُرْكَبُ وَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهَا ، وَهِيَ الْبَحَائِرُ وَالسَّوَابِغُ وَالْوَصَائِلُ وَالْحَوَامِئُ ، وَأَنْعَامٌ دُعِيَتْ لِلْأَصْنَامِ فَيَذْكُرُونَ عَلَيْهَا عِنْدَ الذَّبْحِ أَسْمَاءَ أَصْنَامِهِمْ دُونَ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى .

١٣٩ - ﴿مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ ..﴾ أَرَادُوا أَجْزَاءَ الْبَحَائِرِ وَالسَّوَابِغِ الْمُحَرَّمَةِ ، فَرَعَمُوا أَنَّ مَا وُلِدَ مِنْهَا حَيًّا فَهُوَ حَلَالٌ لِلرِّجَالِ وَمَحْرَمٌ عَلَى النِّسَاءِ ، وَمَا وُلِدَ مَيْتًا اشْتَرَكَ فِي أَكْلِهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ . وَهَذَا نَوْعٌ آخَرُ مِنْ جَهَالَتِهِمْ . ﴿وَصَفَّهُمْ﴾ كَذَبَهُمْ عَلَى اللَّهِ بِالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ .

١٤١ - ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ﴾ أَيْ اللَّهُ عَزَّ وَشَانَهُ هُوَ الَّذِي أَبْدَعَ هَذِهِ الْجَنَّاتِ وَالْخَضَرِ وَالزَّرْعِ ، الْمُخْتَلِفَةَ الْأَنْوَاعِ وَالْأَشْكَالِ وَالرَّوَائِحِ وَالطُّعُومِ وَالْأَلْوَانِ ، الَّتِي يَنْتَفِعُ بِهَا الْإِنْسَانُ وَالْحَيَوَانُ ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ فِي ذَلِكَ شَرِكَةٌ أَوْ تَأْثِيرٌ ، فَكَيْفَ يُشْرِكُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ ؟ أَوْ يَتَصَرَّفُونَ فِيهَا خَلْقَهُ لَهُمْ بِالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ ؟ وَالْقِسْمَةُ بَيْنَ اللَّهِ وَأَهْتِمِ الْبَاطِلَةِ

أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ
مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ
كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ
وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤٢﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ
حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُّوا مِنْ رِزْقِكُمْ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُورَاتِ
الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٣﴾ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ
الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالِدَاكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ
الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّحُوْنِي
بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ
اثْنَيْنِ قُلْ ءَالِدَاكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ
أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهَذَا
فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ الْإِنْسَانَ بِغَيْرِ
عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ قُلْ لَا أَجِدُ

افتراء على الله ؟ ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾
وهي ما انبسط على وجه الأرض
وانتشر ، مما يحتاج إلى أن يتخذ له
عريش يحمل عليه ؛ كالكرم
والبطيخ والقرع ، جمع مغروش .
والعرش : عيدان تُصنع كهشة
السقف فتُمسكه . ﴿وغيرَ
مَعْرُوشَاتٍ﴾ وهو ما قام على ساق
واستغنى باستوائه وقوة ساقه عن
التعريش ؛ كالنخل والشجر .
﴿مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ﴾ أي ثمره الذي
يؤكل منه ، في الهیئة والطعم .
﴿مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ أي
متشابهًا في المظهر ، وغير متشابه في
المطعم . أو متشابهًا بعض
أفرادها في اللون أو الطعم
أو الهیئة . وغير متشابه في
بعضها . ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ
حَصَادِهِ﴾ أدوا زكاته المفروضة
يوم قطعه وجدّاه . وهذه الآية
مدنية وإن كانت السورة مكية .

١٤٢ - ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ﴾
أي وأنشأ لكم من الأنعام
حمولة . وهي الكبار الصالحة
للحمل ﴿وَفَرَسَاتٌ﴾ وهي صغارها
الدانية من الأرض ؛ مثل الفرش
المفروش عليها . ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُورَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ لا تسلكوا
طرقه في التحريم والتحليل ؛
كأهل الجاهلية افتراء على الله .
جمع خُطوة ، وأصلها ما بين
قدمي الماشي . أريد بها ما ذكر
بجاءا .

١٤٣ - ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ بدل
من (حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ) أي ثمانية

أصناف : أربعة ذكور من الإبل
والبقرة والضأن والمعز . وأربعة
إناث كذلك خلقها الله لنتفعا بها
أكلاً وركوباً وخملاً وحلباً وغير
ذلك ؛ ولم يحرم شيئا منها ولا من
أولادها ؛ فمن الافتراء على الله
تحريم ما لم يحرمه .
١٤٤ - ﴿وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا﴾
أمركم الله بهذا التحريم .
١٤٥ - ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ
إِلَيَّ ..﴾ قل لهم : قد تتبع
ما أوحى إليّ إلى الآن فلم أجِدْ من
المطاعم المحرمة إلا هذه الأربعة ؛
وليس فيها ما زعمتم من
المحرّمات ؛ كالبخائر والسواب
ونحوها . والحصر حقيقى بالنسبة
لما نزل تحريمه . وقد وردت السّنة
بعد نزول هذه الآية بتحريم لحوم

حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى الْيَهُودِ خَاصَّةً أَشْيَاءَ أُخْرَى غَيْرَ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ بِسَبَبِ بَغْيِهِمْ ؛ فَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ ﴿كُلَّ ذِي ظُفْرِ﴾ لِحَمًا وَشَحْمًا . وَهُوَ مَا لَمْ يَكُنْ مَشْقُوقَ الْأَصَابِعِ مِنْ بَهِيمَةٍ أَوْ طَيْرٍ ؛ وَيدخل فيه الإبل والنعام والبط والإوز . وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَحُومِ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ شَحْمَ الْكَلْبَتَيْنِ ، وَالشَّحْمَ الَّذِي عَلَى الْكَرْشِ . وَأَحَلَّ لَهُمْ :

- ١- الشَّحْمَ الْعَالِقَ بظهورهما . وقيل : العالق بالظهر والجنب من داخل بطونهما .
- ٢- مَا حَمَلَتْهُ الْحَوَايَا مِنَ الشَّحُومِ وَهِيَ الْمُبَاعِرُ ، أَوْ الْمَصَارِينِ ؛ جَمْعُ حَاوِيَةٍ أَوْ حَوِيَّةٍ أَوْ حَاوِيَاءَ . وَهِيَ مَا تَحْوِي مِنَ الْأَمْعَاءِ أَيْ تَجْمَعُ وَاسْتَدَارَ .
- ٣- مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ، وَهُوَ شَحْمُ الْأَلْيَةِ الْمُتَّصِلِ بِالْعُضْصُصِ فِي الضَّانِ .

١٤٧- ﴿وَلَا يَرُدُّ بَأْسَهُ﴾ عَذَابُهُ وَنَقِمَتُهُ ؛ إِذَا جَاءَ وَقْتُهَا الْمَقْدَرُ فِي عِلْمِهِ سَبْحَانَهُ .

١٤٨- ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ اِحتِجَّ الْمُشْرِكُونَ لِمَا ارْتَكَبُوا مِنَ الشَّرْكِ وَتَحَرَّمَ مَا حَرَّمَهُ ، بِأَنَّهُ وَاقِعٌ بِمِثْلَةِ اللَّهِ تَعَالَى . وَزَعَمُوا أَنَّهُ مَا دَامَ كَذَلِكَ فَهُوَ مُرَضًى عِنْدَهُ ؛ فَردَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مُرَضًى عِنْدَهُ لَأَذَاقَ أَسْلَافَهُمُ الْمَكْذِبِينَ الَّذِينَ قَالُوا لِرُسُلِهِمُ الدَّاعِينَ إِلَى التَّوْحِيدِ مِثْلَ قَوْلِهِمْ - عَذَابُهُ

فِي مَا أَوْحَى إِلَى مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ . إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ . فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ

مُخْبِتٌ . ﴿أَوْ فِسْقًا﴾ عَطْفٌ عَلَى (لَحْمٍ) . وَسُمِّيَ فِسْقًا لِتَوَعُّلِهِ فِي الْخُرُوجِ عَنِ الطَّاعَةِ . ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ أَيْ ذَبِحَ عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى . ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ [آيَةُ ١٧٣ الْبَقَرَةِ ص ٣٩ ، ٣ الْمَائِدَةِ ص ١٤٢] . ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ غَيْرَ طَالِبٍ لِلْمَحْرَمِ لِلدَّةِ أَوْ اسْتِثْنَاءٍ . ﴿وَلَا عَادٍ﴾ وَلَا مُتَجَاوِزَ مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ . ١٤٦- ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾

الْحُمْرُ الْأَهْلِيَّةُ . وَكُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ وَمِخْلَبٌ مِنَ الطَّيْرِ . وَقِيلَ : الْحَصْرُ إِضَافِيٌّ بِالنِّسْبَةِ لِمَا زَعَمُوهُ مِنْ تَحْرِيمِ الْبَحَائِرِ وَالسَّوَابِ ؛ أَيْ إِنَّمَا حَرَّمَ هَذِهِ الْأَرْبَعَةَ دُونَ مَا يَزْعُمُونَ مِنْ ذَلِكَ . فَلَا يَتَنَاقَى تَحْرِيمُ غَيْرِهَا مِمَّا ذَكَرَ . ﴿عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ أَيْ عَلَى أَيْ آكِلٍ يَأْكُلُهُ . ﴿دَمًا مَسْفُوحًا﴾ سَائِلًا مِهْرَاقًا . ﴿فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ أَيْ فَإِنَّ لَحْمَ الْخَنْزِيرِ نَجِسٌ قَذِيرٌ . أَوْ نَجِسٌ أَوْ خَبِيثٌ

ونقمته : ولما دمر عليهم وأزال عليهم رسله . وبأنه لا حجة لهم على ما زعموا ، وما يتبعون فيه إلا الاعتقاد الفاسد ، والكذب الفاضح . كيف وقد بعث رسله جميعاً إلى الخلق ، بالدعوة إلى التوحيد ، والتنديد بالشرك ، وإنذار المشركين ، وتخويفهم عذاب الله وبأسه الشديد . وهو نظير قوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) (١) وقوله تعالى : (وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) (٢) . وقوله تعالى : (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) (٣) . ﴿ تَخْرُصُونَ ﴾ تكذبون على الله فيما ادعيتموه [آية ١١٦ من هذه السورة

الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١١٦﴾ قُلْ هَلْ مَشْهُدَاءُ كُرَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنَتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١١٧﴾ * قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَنْ نَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا

الرُّسُلِ) (٤) . ١٥١ - ﴿ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ ﴾ أخبركم بما نهاكم عنه ربكم ، وبما أمركم به بقين لا ظناً ولا كذباً كما زعمتم . والأصل في كلمة (تعال) أن يقولها من كان في مكان عالٍ لمن هو أسفل منه ، ثم اتسع فيها حتى عمت . والمذكور في الآيتين خمسة محرمات بصيغ التثنية ، وخمسة واجبات بصيغ الأمر . وهي أحكام لا تختلف باختلاف الأمم والعصور . و (أَنْ) في قوله : (أَلَّا تُشْرِكُوا) تفسيريّة . ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

ص ١٨٨] ١٤٩ - ﴿ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾ بإرسال الرسل وإنزال الكتب . (فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ) فهو تعالى يهدي من هدى ، ويضل من ضل ، وكل من الهدى والضلال واقع بمشيئته تعالى ، ولكنه لا يرضى لعباده الكفر ، ولا يأمر بالفحشاء ، ولذلك أرسل الرسل ، وأنزل الكتب بأوامره ونواهيه : (مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ

(٣) آية الزمر . (٤) آية النساء .

(١) آية النحل . (٢) آية الزخرف .

ويأخذ صاحب الحق حقه من غير طلب الزيادة . والكيل والوزن : مصدران أريد بهما ما يُكال وما يوزن به ، كالعيش بمعنى ما يُعاش به . أو المكيل والموزون . ﴿ بِالْقِسْطِ ﴾ بالعدل دون زيادة ونقص . ﴿ وَسَعَهَا ﴾ طاقها وما تقدر عليه . ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾ وإذا قلتم قولاً في حكم أو شهادة أو رواية ونحو ذلك ، فاصدقوا فيه وقولوا الحق . ﴿ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ﴾ أى أوفوا بما عهد إليكم من هذه الأمور المعدودة ، أو أى عهد كان .

١٥٣ - ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي ﴾ أى ولأن هذا - أى المذكور فى هاتين الآيتين أو فى هذه السورة بأسرها - ديني وطريق الذي لا اعوجاج فيه فاتبعوه واعملوا به ، ولا تتبعوا الطرق الضالة المخالفة له . ﴿ لَعَلَّهُمْ يَلْقَاءَ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ لعلهم يصدقون بالبعث والجزاء .

١٥٥ - ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ ﴾ إشارة إلى القرآن .

١٥٦ - ﴿ أَنْ تَقُولُوا ﴾ أى أنزلنا إليكم القرآن كراهة أن تقولوا . أو لئلا تقولوا يوم القيامة لو لم ينزله . ﴿ إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ والخطاب لأهل مكة .

١٥٧ - ﴿ وَصَدَفَ عَنْهَا ﴾ أعرض عنها غير مفكر فيها أو صرف الناس عنها . يقال :

وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٦﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٧﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَلْقَاءَ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٨﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكًا فَاتَّبِعُوهُ وَأَتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٩﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ ﴿١٦٠﴾

أى وأحسنوا بهما إحساناً . ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ﴾ نهوا عما كانوا يفعلونه من وأد البنات . ﴿ مِنْ إِمْلَاقٍ ﴾ أو من خشيته . والإملاق : الفقر ، مصدر أملق الرجل إملاقاً ، إذا افتقر واحتاج . ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ ﴾ كبائر المعاصي عليها وسرها . جمع فاحشة ، وهو كقوله تعالى : (وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِنِّمِ وَبَاطِنَهُ) ^(١) . وقوله تعالى : (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ) ^(٢) . ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ الذى يوجب قتلها شرعاً ، كردة أو قصاص أو زناً يوجب

(١) آية ١٢٠ الأنعام . (٢) آية ٣٣ الأعراف .

صَدَفَ عَنْهُ - من باي ضرب وجلس - أعرض . وصدف فلانا وأصدفه عن كذا ، صرفه وأماله عنه .

١٥٨ - ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ ما ينتظر مشركو مكة بعد تكذيبهم بالآيات إلا أن تأتيهم ملائكة الموت لقيض أرواحهم . ﴿ أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ ﴾ أى فى ظلل من الغمام كما أخبر . أو يأتى أمره بقتلهم ؛ كما فسر ابن عباس . أو بعدا بهم ؛ كما فسر الحسن . ﴿ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ أى بعض أشراط الساعة . وفسر فى الحديث بطلوع الشمس من مغربها . فمن آمن من شرك أو تاب من معصية عند ظهور بعض الآيات لا يقبل منه ، لأنه رجوع اضطرارى . كما لو أرسل الله عذابا على قوم فآمنوا أو تابوا ، فإنه لا ينفعهم ذلك لمعاينتهم الأحوال والشدائد التى تضطرهم إلى الإيمان والتوبة . فقوله : ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا ﴾ كافرة أو مؤمنة ﴿ إِيمَانُهَا ﴾ أى ولا توبتها من المعاصي ﴿ لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ﴾ صفة راجعة إلى الأولى . ﴿ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ راجعة إلى الثانية . والآية وعيد للمكذبين ، وتأسيس من إيمان مشركى مكة ، وتمثيل لحالهم بحال من ينتظر ذلك .

١٥٩ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ ﴾ : هم المشركون فَرَّقُوا شَيْعًا ، فهم عبدة الملائكة ، ومنهم عبدة الأصنام . وقيل :

أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَضَرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلًا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّا

هم اليهود والنصارى ، تَفَرَّقُوا فِرْقًا يكفر بعضهم بعضًا . وقيل : هم أهل الأهواء والبدع من هذه الأمة . ﴿ كَانُوا شِيعًا ﴾ فِرْقًا وأحزابًا فى الضلالة . تَفَرَّقُوا شِيعًا واختلَفُوا ضَلَالًا . واختار الطبري التعميم ؛ وهو الأولى . فكل من فارق دين الإسلام مشركًا كان

أو يهوديًا أو نصرانيًا ، أو مبتدعًا ضالًا كالفرق المعروفة التى خلعت ربة الإسلام ، ومنها فرق البهائية والقاديانية والإسماعيلية الباطنية - فحمد صلى الله عليه وسلم برىء منه . ١٦١ - ﴿ دِينًا قِيَمًا ﴾ مستقيمًا . وَالْقِيَمُ وَالْقِيَمُ لغتان بمعنى

سورة الأعراف

٢ - ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾ لا يكن في صدرك ضيق بسبب إبلاغ الكتاب وتأدية ما أرسلت به إلى قوم لم يؤمنوا بكتاب ، ولم يعتقدوا صدق رسالة ، فتنلقوك بالتكذيب والإعراض والأذى والتبعت . فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، ولا ثبال بما يلقونك به ، وهو كقوله تعالى : (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتْرٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ)^(١) . والحرَج : شدة الضيق [آية ١٢٥ الأنعام

ص ١٩٠] ﴿لِئَلَّذَرَبِهِ﴾ متعلق بـ (أُنْزِلَ) .

٤ - ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ وكثير من أهل القرى الذين أعرضوا عن الحق ، وأصروا على الكفر ، قصدنا إهلاكهم بسبب ذلك ، فجاءهم عذاباً مرة وهم نامنون ليلاً كقوم لوط . ومرة وهم قائلون نهاراً كقوم شعيب ، وهو انذارٌ لمشركي مكة . والبيات : قصدُ العدو ليلاً . يقال : بيات القومُ العدو بياتاً ، إذا أوقعوا به ليلاً ، وهو حال بمعنى بائتين . والقيلولة : نومة الظهيرة ، أو الاستراحة نصف النهار ولو بلا نوم . يقال : قال يقيل قيلاً وقيلولة ، فهو قائل . والجملة حالٌ بمعنى أو قائلين . وإنزالاً

صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٦﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ . وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢٧﴾ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبَنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٨﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٩﴾

واحد ، وفري بهما . ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق [راجع آية ١٣٥ البقرة ص ٣٢] .

١٦٢ - ﴿وَنُسُكِي﴾ أى عبادتي كلها وتقربتي إليه تعالى . وهو من عطف العام على الخاص . وقيل : المراد به ذبائح الحج والعمرة ، واختاره الطبري .

١٦٤ - ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ لا تجتري نفساً إثماً إلا عليها من حيث عقابه . فلا يؤاخذ سواها به . وكلُّ ذى إثم فهو المعاقب بإثمه ، والمأخوذ بذنبه . ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾ ولا تحمل نفسٌ أئمةً ولا غير أئمةٍ إثمَ نفسٍ أخرى حتى تخلص هذه

(٧) سُورَةُ الْاِعرَافِ مَكِّيَّةٌ
الا من آية ١٦٣ إلى غاية آية ١٧٠ قدسية
وآياتها ٢٠٦ نزلت بعد ص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَصِّ ❶ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ
حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ❷ اتَّبِعُوا
مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ❸ وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا
بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ❹ فَا كَانَ دَعْوَاهُمْ
إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْنَاهُ إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ❺
فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ❻
فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ بَعْلَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ❼ وَالْوَزْنَ يَوْمَئِذٍ
الْحَقُّ ❷ قَنَ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ❸ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ❹
وَمَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ
بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ❺ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ
وَجَعَلْنَا لَكُم فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ❻
وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
لَادَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ❼

العذاب في هذين الوقتين وهما
وقت الغفلة والدعة - أقسى
وأقطع . ﴿بَأْسُنَا﴾ عذابنا .
﴿بَيِّنًا﴾ بائين أو ليلا وهم
نائمون . ﴿هُم قَائِلُونَ﴾
مستريحون نصف النهار
(القيولة) .

٥ - ﴿دَعْوَاهُمْ﴾ دعاؤهم
وتضرعهم .

٦ - ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ﴾ أى
فلنسألن يوم القيامة الأمم المرسل
إليهم المكذبين لرسلم عما أجابوا به
رسلمهم . والسؤال للتوبيخ ،
ولنسألن الرسل عن إبلاغ
رسالاتهم ، لتقريع الأمم إذا
أنكروا التبليغ .

٨ - ﴿وَالْوَزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ أى
والوزن الحق - أى العدل الذى
لا ظلم فيه لصحائف الأعمال -
كائن يوم يسأل الله الأمم
ورسلهم ، وإنما توزن الصحائف
يومئذ بميزان ، لإظهار العدل
الإلهى على رؤوس الأشهاد .
وقيل : المراد بالوزن الحق العدل
التام فى القضاء بين العباد .
﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بأن
رجحت حسناته على سيئاته ،
جمع موزون .

٩ - ﴿وَمَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بأن
رجحت سيئاته على حسناته .

١٠ - ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ﴾ تذكير
بفنون من النعم توجب الإيمان .
﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً﴾
ما تعيشون به وتحبون من المطاعم

والمشارب ، ونحوها . معيشة . وهى فى الأصل مصدر
أو ما توصلون به إلى ذلك من عاش يعيش عيشاً ومعاشاً
المكاسب والتجارات . جمع معيشة ، إذا صار ذا حياة ، ثم

الله تعالى وعلى أوليائه لتكبرك .

١٤ - ﴿أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾
أخرنى ولا تُمتنى إلى يوم البعث ،
وهو وقت النفخة الثانية عند قيام
الساعة . وقد طلب بذلك النجاة
من الموت ، إذ لا موت بعد
البعث ، من الإنظار . تقول :
أنظرته بحقى ، أنظره إنظاراً ، أى
أمهله .

١٥ - ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾
المُنْظَرِينَ : من المؤخرين . أى
إلى يوم الوقت المعلوم ، كما فى
آية ٣٨ من سورة الحجر وآية ٨١
من سورة ص . وهو على
المشهور : وقت النفخة الأولى
فيموت كما يموت غيره . وقيل :
المراد به الوقت المعلوم فى علم الله
أنه يموت فيه .

١٦ - ﴿فِيمَا أَغْوَيْتَنِي﴾
فأقسم بإغوائك إياى . أو فسبب
ذلك لأنترصدتهم على طريق الحق
وسبيل النجاة ، كما يترصد قطاع
الطريق السابلة فأصدتهم عنها .
والإغواء : خلق الغي بمعنى
الضلال . وأصل الغي الفساد ،
ومنه غوى الفصيل - كرضى
ورمى - غوى ، إذا يشم من اللبن
ففسدت معدته ، أو منع الرضاع
فهزل وكاد يهلك ، ثم استعمل فى
الضلال . يقال : غوى يغوى غيًّا
وغواية فهو غاو وغوى ، وإذا
ضل . وأغواه غيره وغواه :
أضله . ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾
لأنترصدتهم ولأجلسن لهم .
١٨ - ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا﴾
أى

قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ
خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٧﴾ قَالَ فَاهْبِطْ
مِنْهَا فَكَأَيْسَ كُفُوفٍ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ
مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٨﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٩﴾
قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٢٠﴾ قَالَ فِيمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ
لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ لَا تَجِدُنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ
أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا وَمَا مَدْحُورًا
لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢٣﴾
وَيَقَادِمُ أَسْكَنَ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكَلَا مِنْ حَيْثُ

أى ما ألزمت واضطرك إلى ألا
تسجد ، فالمنع مجاز عن الإلحاء
والاضطرار . أو ما حملك
ودعاك إلى ألا تسجد ، فالمنع مجاز
عن الحمل . والاستفهام للتوبيخ
والتقريع ، ولإظهار معاندته
وكفره ، وافتخاره بأصله ،
وحسده لآدم عليه السلام .

١٣ - ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾
الحبة التى هى دار المتقين . أو من
روضة كانت على نشر من الأرض
خلق فيها آدم عليه السلام .
﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾
أى من أهل الصغار والهوان على

استعمل فيما يعيش به أو يتوصل به
إلى العيش .

١١ - ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ
صَوَّرْنَاكُمْ﴾
أخرى ، تستوجب شكرهم
لسريانها إليهم . أى خلقنا أباكم
آدم طيباً غير مصور ، ثم صورناه
أبدع تصوير بأحسن تقويم سرى
إليكم . أو ابتدأنا خلقكم ثم
تصويركم ، بأن خلقنا أباكم آدم
ثم صورناه . و «ثم» على المعنيين
للترتيب الزمانى ، وكذا فى قوله
«ثم قلنا» .

١٢ - ﴿مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ﴾

أخرج من الجنة أو من تلك الروضة معيها مهاناً . يقال : ذامه يذامه ذاماً ، إذا عابه وحقره ، فهو مذموم ﴿مَذْهُورًا﴾ مطروداً مُبْعَدًا . يقال : دحره دحراً ودحوراً ، طرده وأبعده .

٢٠ - ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا﴾ .. ألقى إليهما الوسوسة . يقال : وسوس له وإليه . وهي في الأصل : الصوت الخفي المكرر ، ومنه قيل لصوت الحلي : وسواس . وأريد بها الحديث الخفي الذي يُلقيه الشيطان في قلب الإنسان ليقارف الذنب . ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا﴾ .. لتكون عاقبة ذلك أن يظهر لهما ما ستر عنهما من عوراتهما ، وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر . و﴿وَوَرَى﴾ من المواراة وهي الستر . والستوة : فرج الرجل والمرأة ، من الستوة . وسميت العورة ستوة لأن انكشافها

يسوء صاحبها . وقيل : الكلام كناية عن إزالة الحرمة وإسقاط الجاه . ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ﴾ أى كراهة أن تكونا . أو لئلا تكونا ملكين .

٢٢ - ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ فأنزلهما عن رتبة الطاعة إلى رتبة المعصية بما غرهما به من القسم ، من التذلية ، وهي إرسال الشيء من أعلى إلى أسفل ، ومنه دلكى الدلو في البئر . والغرور : إظهار التصح مع إبطان الغش . وأصله من غررت فلانا ، أى أصبت غرته وغفلته ، ونلت منه ما أريد .

سَنُتِمَّا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾
فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ تَيْهِمَا وَقَالَ مَانِهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُ تَيْهِمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفَّاءٌ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا

﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ .. شرعاً وأخذاً يَلْزَقَانِ من ورق الجنة ورقة فوق أخرى على عوراتهما لسترهما ، من الخُصْف ، وهو خَرَز طاقات الثعل ونحوه بالصاق بعضها ببعض . وفعله من باب ضرب . ولعل المعنى والله أعلم : أنها لما ذاقا الشجرة وقد نهيا عن الأكل منها ظهر لهما أنها قد زلا ، وخلعا ثوب الطاعة وبدت منهما سؤة المعصية ، فاستحوذ عليهما الخوف والحياء من ربهما ، فأخذوا يفعلان ما يفعل الخائف الخجل عادة من الاستتار والاستخفاء حتى لا يُرى ، وذلك بخصف أوراق الجنة عليهما يَجْتَنَانِ بها ويستتران ، وما لها إذ ذاك حيلة سوى ذلك . فلما سمعا النداء الرباني بتقريعهما ولومهما أُلْهِمَا أن يتوبا إلى الله ويستغفرا من ذنبيهما ، بكلمات من قبض الرحمة الإلهية ، فتاب الله عليهما وهو التواب الرحيم ، وقال لهما فقط أولهما ولنرتيها ، أُولُوهُمَا ولايليس : اهبطوا من الجنة إلى الأرض ، لينفذ ما أَرَادَهُ الله من استخلاف آدم وذريته في

واستتار . وإن عدواً يراك ولا تراه
لشديد المؤنة إلا من عصمه الله .
﴿وَقِيلَهُ﴾ جنوده من الجن ،
أو نسله . ﴿مِنْ حَيْثُ لَا
تَرَوْنَهُمْ﴾ أى بصورهم الخلقية .
أما إذا تمثلوا بصور أخرى فإنما
نراهم كما وقع كثيراً .

٢٨ - ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ أى
وإذا فعل المشركون فعلة متناهية في
القيح ، كالشرك ، والطواف
عرة بالبيت العظيم ، واتخاذ
البحائر والسواث وغير ذلك من
الكبائر ففعلوها عنه - احتجوا بتقليد
آبائهم ، وأن الله تعالى أمرهم
بها ، فرد الله عليهم بأنه ﴿لَا يَأْمُرُ
بِالْفَحِشَاءِ﴾ وإنما يأمر بمحاسن
الأعمال ومكارم الأخلاق
والخصال ، ويأمر بالعدل في
الأمور كلها ، وبأن تخلصوا له
عبادتكم ، والطاعة في عامة
أموالكم .

٢٩ - ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل وهو
جميع الطاعات والقرب .
﴿أَقِيمُوا وَجُوهَكُمْ﴾ توجهوا إلى
عبادته مستقيمين . وقوله :
﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أى في وقت
كل سجود ، أو في مكان كل
سجود . والمراد بالسجود :
الصلاة . والمقصود بذلك
إخلاص العبادة لله تعالى . ﴿كَمَا
بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ تعليل للأمرين
السابقين في قوله : ﴿وَأَقِيمُوا﴾
وقوله : ﴿وَأَدْعُوهُ﴾ أى أنه تعالى
يعيدكم أحياء يوم القيامة للحساب
والجزاء كما بدأكم ، لا يعجزه عن

تَحْيَوْنَ فِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ
أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ تِكْرٍ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى
ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ ءَابِتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾
يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكَ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ
الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تِهِمَا إِنَّهُ يَرِنُكُمْ
هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ
أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا
وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنْ أَلَّهَ لَا يَأْمُرُ
بِالْفَحِشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ
رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وَجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَى

الأرض ، وعمارة الدنيا بهم إلى
الأجل المسمى ، ومنازعة
عدوهم لهم فيها ، والله بالغ
أمره ، قد جعل الله لكل شيء
قدرًا . والله أعلم بأسرار كتابه .
٢٦ - ﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا﴾ أى
وهبنا لكم بما هيأناه من الأسباب
لباسين : لباس مذاكرة لعوراتكم
وأجسامكم ، ولباس زينة
وتجمل . فقوله : ﴿وَرِيشًا﴾ أى
لباسًا ريشًا ، أى ذا ريش
وزينة ، أخذًا من ريش الطائر
وهو زينته . وقيل : «وريشًا» أى

٢٧ - ﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا﴾ يزيل
عنها ، استلابًا بجداعه . ﴿إِنَّهُ
يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ تعليلٌ للتحذير
من متابعتة بقوله : ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمْ
الشَّيْطَانُ﴾ بيان أنه بمنزلة العدو
المداحي يكيد لكم في خفية

الأرض ، وعمارة الدنيا بهم إلى
الأجل المسمى ، ومنازعة
عدوهم لهم فيها ، والله بالغ
أمره ، قد جعل الله لكل شيء
قدرًا . والله أعلم بأسرار كتابه .
٢٦ - ﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا﴾ أى
وهبنا لكم بما هيأناه من الأسباب
لباسين : لباس مذاكرة لعوراتكم
وأجسامكم ، ولباس زينة
وتجمل . فقوله : ﴿وَرِيشًا﴾ أى
لباسًا ريشًا ، أى ذا ريش
وزينة ، أخذًا من ريش الطائر
وهو زينته . وقيل : «وريشًا» أى

ذلك شيء ، فإن القادر على البدء قادرٌ على الإعادة . وقيل : هو كلام مستأنف لتقرير قدرته على البعث ، والرد على منكبيه .

٣١- ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ كان بعض جهلة العرب يطوفون بالبيت غرة ، ويحرمون على أنفسهم في أيام الحج اللحم والدسم ، فأنزل الله الآية . أى البسوا ثيابكم مداراة لعوراتكم عند كل عبادة من طواف وصلاة ، وكلوا واشربوا ما أحل الله لكم ، ولا تسرفوا بتحريم الحلال .

٣٢- وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم : ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ وهى ما أحله لهم ، وما لا يحرمه الله فلا يحرم له . ويقول لهم : إن التعم التي قد أفاضها الله على المؤمنين وأجرها عليهم ، وهى غير خالصة لهم فى الدنيا لمشاركة غيرهم لهم فيها ، هى خالصة لهم يوم القيامة لحرمان الكفار من المتاع فى الآخرة .

٣٣- ويقول لهم : ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾ وهى كبائر المعاصى والآثام التى ترتكبون كثيرا منها ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ جهرها وسرها ﴿وَالْأَنثَمَ﴾ وحرم الإثم كله لما فيه من المفساد ﴿وَالْبَغْيَ﴾ وحرم البغى والظلم لما فيه من الضرر بالعباد . وعطف

وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ
أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣١﴾
* يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا
وَأَشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣٢﴾
قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ
مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ
يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾
وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً
وَلَا يَسْتَفِيدُونَ ﴿٣٥﴾ يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ

«الإثم» على ما قبله من عطف العام على الخاص . وعطف «البغى» على «الإثم» من عطف الخاص على العام . وكذا ما بعده لمزيد الاعتناء به ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ﴾ وحرم عليكم أن تسووا به فى العبادة إلها آخر لم ينزل به الله سلطانا ﴿حجة وبرهاننا﴾ ﴿وَأَنْ تَقُولُوا...﴾ وحرم عليكم الافتراء على الله بتحريم الحلال وتحليل الحرام .

وغير ذلك مما تقولونه على الله . ٣٤- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ...﴾ أى مدة عمر وبقاء محدودة فى علمه تعالى لا تتغير ولا تبدل ، كآجال آحاد الناس . فإذا جاء آخر عمرها فنيبت لا محالة ، لا يتأخر فناؤها عنه لحظة من الزمن ولا يتقدم عليه لحظة . والكلام كناية عن ذلك . وفيه وعيد لكفار مكة الذين كانوا يستعجلون العذاب الموعود استهزاء .



يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَائِلِينَ لَهُمْ تَوْبِيحًا
وَتَقْرِيعًا : ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أى تعبدونهم من
دونه لِيَسْنَعُوكُمْ مِنْ عَذَابِهِ .

٣٨ - ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ﴾
أى يقول تعالى لهم يوم القيامة :
ادخلوا النار في زمرة أمة مكذبة قد
مضت من قبلكم : فقد حقت
عليكم جميعاً كلمة العذاب .
﴿حَتَّى إِذَا أَذَارَكُوا فِيهَا﴾
تلاحقوا في النار فأدرك بعضهم
بعضاً واجتمعوا فيها ﴿قَالَتْ
أَخْرَاهُمْ﴾ دخولا في النار . أو هم
الأنبياء ﴿لأولاهم﴾ السابقة
دخولاً أوهم المتبوعون ﴿رَبَّنَا
هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾ بدعوتهم إيانا إلى
الضلال . أو سبهم لنا ما سنوا
من طرائق فاقتدينا بهم ﴿فَاتَيْنَهُمْ
عَذَابًا ضِعْفًا﴾ مضاعفاً .
والضعف : المثل مرة واحدة .
وقيل : ضعف الشيء مثله إلى ما
زاد عليه بلا نهاية ، وليس
مقصوراً على المثلين : ﴿مِنْ
النَّارِ﴾ أى من عذابها .

٣٩ - ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ
فَضْلٍ﴾ أى في الدنيا بالاعتداء .
بل كفرتم باختياركم : فلا دخل
لنا في كفركم .

٤٠ - ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ
السَّمَاءِ﴾ أى لا تفتح لأعمالهم ولا
لأرواحهم لفرط خبيثها وفسادها .
﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ أى ولا
يدخلون الجنة حتى يدخل ما هو
مثل في عظم الجنم فيها هو مثل في

يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ آيَتِي قَبْلَ أَنْ تَقُولَ وَلَا تَقُولُوا بِآيَاتِنَا وَأَسْتَكْبِرُوا
عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿قَبْلَ أَنْ
أُظْلِمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ
أُولَئِكَ يَتْلَوْنَ نَصِيحَتِهِمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ
رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنْنا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا
كَافِرِينَ ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ
مِنْ الْخَلْقِ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا
حَتَّى إِذَا أَذَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِجُهُمْ لَأُولَهُمْ رَبَّنَا
هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَعَاتَيْنَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ
ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿وَقَالَتْ أُولَهُمْ لَأَخْرِجُهُمْ
فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ
تَكْسِبُونَ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا
لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ
الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿

٣٧ - ﴿أُولَئِكَ يَتْلَوْنَ نَصِيحَتَهُمْ﴾
أى ينالهم في الدنيا نصيحتهم مما كتب
لهم من الأعمال والأرزاق
والأعمار . مع ظلمهم وافتراءهم لا
يحرمون منه إلى انقضاء آجالهم ،
تفضلاً منه تعالى ، رجاء أن
يصلحوا ويتوبوا : فإذا فرغ
أجلهم جاءتهم رسل الموت

ضيق المسلك ، وذلك مما لا يكون فكذا ما توقّف عليه . والمراد : أنهم لا يدخلونها أبداً ، لأن الشيء إذا علّق بما يستحيل حصوله دلّ ذلك على استحالة : نحو : لا أفعل كذا حتى يشبّ الغراب . أو يبيضّ القار . أى لا أفعله أبداً . والوَلُوجُ : الدخول بشدة . والسَّمُ : ثقب الإبرة . وفيه اللغات الثلاث ، والفتح أشهر . وجمعه سِمَامٌ وَسُمُومٌ وكلُّ ثقب في البدن فهو سَمٌ . والخِيَاطُ والمَخِيطُ - كإزار ومِثْر - : ما يُخاط به . والمراد هنا الإبرة .

٤١- ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ أى لهم فراش من تحتهم فيها . وأصل المهاد : المتمدّد الذى يُقعد ويضطجع عليه كالفرش ﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٌ﴾ أغطية . جمع غاشية ، وهى ما غشاهم فغطاهم كاللحاف ونحوه .

والمراد : أن النار تحيط بهم من تحتهم ومن فوقهم ، كما فى قوله تعالى : ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ (١) .

٤٢- ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أى طاقتها وما تقدر عليه بسهولة ، دون ما تضيق به ذرعاً . وأصل الوسع : الجدة والطاقة . والجملة معترضة بين المستدأ والخبر ، لبيان أن الصالحات التى كانت سبباً لدخولهم الجنة هى فى وسعهم وطاقتهم .

(١) آية ١٦ الزمر . (٢) المعنى متفق عليه .

لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٌ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَزَعَنَّا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تُلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾

٤٣- ﴿مِنْ غِلٍّ﴾ حقد وعداوة كانت بينهم فى الدنيا بمقتضى الطبيعة البشرية ، والتدافع فى المجتمع . والمراد أنه تعالى يُشَبِّههم نشأة أخرى لا تحمل فيها صدورهم غلاً ، كما كانت فى الدنيا . ﴿أُورِثُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أى بسبب ما عملتم فى الدنيا من الأعمال الصالحة . ولما كانت الأعمال الصالحة لا تُنال إلا بتوفيق الله ورحمته ، ولا يترتب عليها

دخول الجنة إلا بقبول الله لها ، كان دخول الجنة فى الحقيقة برحمته وتوفيقه وقوله تعالى ، لا بذات العمل ، وفى الحديث : (لن يدخل الجنة أحدٌ بعمله وإنما يدخلها برحمة الله) .

٤٤- ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ فأعلم مُعلمٌ . أى منادٍ بين الفريقين ، من التاذنين وهو النداء والتصويت للإعلام . ومنه الأذان للصلاة .

٤٥- ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ يطلبون



حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ
وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا
وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ * وَإِذَا صُفِّتْ أَبْصَرُهُمْ تِلْقَاءُ
أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾
وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ
قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾
أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ
لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ
النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا
رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾
الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ كَمَا نَسَوَا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا
بِعَائِنَا يُجَاهِدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ

هناك حتى يقضى الله فيهم بما يشاء . فبينما هم كذلك إذ قال الله لهم : أنتم عتقائي فارعدوا من الجنة حيث شئتم . فيكونون آخر أهل الجنة دخولا ممن لم يدخل النار . ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا﴾ يعرفون كلًّا من أهل الجنة وأهل النار ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ بعلاماتهم التي أعلمهم الله بها : كيباض الوجوه . ونضرة النعيم لأهل الجنة . وسواد الوجوه . وزرقة العيون لأهل النار . والسما : العلامة . ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ أى حين عرفوهم ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ أى نادوهم وهم لم يدخلوا الجنة حال كونهم طامعين في دخولها مترقبين له .

٤٧ - ﴿تِلْقَاءُ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ حيالهم ووجاههم . ظرف مكان بمعنى جهة اللقاء والمقابلة .

٤٩ - ﴿أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ...﴾ يقول الله تعالى أو بعض الملائكة لأهل النار : أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمته ؟ مشيراً إلى ضعفاء المؤمنين قد قيل لهم : ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ أو مشيراً إلى أصحاب الأعراف ثم يقول لهم : ادخلوا الجنة .

٥٠ - ﴿أَفِضُوا عَلَيْنَا﴾ صبوا علينا شيئاً ﴿مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من سائر الأشربة : ليخفف عنا ما نحن فيه من شدة العطش والعذاب . أو أفيضوا

السييل معوجة ، أى مائلة عن الحق [آية ٩٩ آل عمران ص ٨٩] .
٤٦ - ﴿وَيَتَّبِعُهُمَا حِجَابٌ﴾ وبين أهل الجنة وأهل النار حاجز عظيم ، وهو السور المذكور في قوله تعالى : ﴿فَضْرِبْ بَيْنَهُمْ سُورًا﴾ (١) . ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ أى على أعراف الحجاب - أى أعاليه - رجال

عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ
إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ
قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ
شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ
قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾
إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ
حَنِينًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ
أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾

علينا من الماء . وأطعمونا مما
رزقكم الله من الطعام والفاكهة .
٥١ - ﴿اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا
وَلَعِبًا﴾ فلم يرفعوا به رأساً ولم يعابوا
به . ﴿وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾
خدعهم عاجلاً ما هم فيه من
الدُّعَاةِ وَخَفَضَ الْعِيشَ وَالرِّفَاهِيَةَ ،
عن الأخذ بنصيبهم من الآخرة ،
حتى اجتالتهم المنايا (وَمَا الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) (١) .
يقال : غره : يغره غرّاً وغروراً
وغرّة . فهو مغرور . وغرير .
خدعه وأطمعه بالباطل . ﴿فَالْيَوْمَ
نَسَاءُهُمْ ..﴾ فيوم القيامة نتركهم
في العذاب جِيعاً عَطِشاً ،
لتركهم العمل والاستعداد للقاء
يومهم هذا ، ولجحودهم آيات
الله وتكذيبها . فالكاف في قوله
«كما» للتعليل و«ما» في قوله «وَمَا
كَانُوا» معطوفة على «ما» في «كما
نَسُوا» .
٥٣ - ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾
أى هل ينتظرون إلا عاقبة هذا
الكتاب وما يؤول إليه أمره ، من
تبيين صدقه . وظهور صحة ما
أخبر به من الوعيد ، والبعث
والحساب . وتأويلُ الشيء :
مرجههُ ومصيره الذى يؤول إليه
ذلك الشيء . والمراد أنهم بمنزلة
المنتظرين : من حيث أن ما ذكر
بآياتهم لا محالة . ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ
يَقُولُ ..﴾ أى يوم القيامة يقول
هؤلاء الذين تركوا القرآن وأعرضوا
عنه ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا
بِالْحَقِّ﴾ . ﴿يَقْتَرُونَ﴾ يكذبونه

أوهام العامة ، فإنه لو كان كذلك
لكان حاملاً له - تعالى عن ذلك -
لا محمولاً ، والله تعالى يقول :
(إِنَّ اللَّهَ يُنْصِتُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ أَنْ تَزُولَا وَلَكِنْ زَالَتَا إِنْ
أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ
بَعْدِهِ) (٢) . وقد ذكر العرش في
إحدى وعشرين آية . أما الاستواء
على العرش فذهب سلف الأمة -
ومنهم الأئمة الأربعة - إلى أنه صفة
لله تعالى بلا كيف ولا انحصار ولا
تشبيه وتمثيل ، لاستحالة اتصافه
تعالى بصفات المحدثين . ولوجوب
تنزيهه تعالى عما لا يليق به (لَيْسَ
كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ) (٣) وأنه يجب الإيمان بها

من الشركاء وشفاعتهم .
٥٤ - ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أنشأهن على غير
مثال سابق ، وأنشأ ما بينهما
كذلك في مقدار ستة أيام من أيام
الدنيا . أوفى ستة أيام ، وكل يوم
مقداره ألف سنة من السنين التى
نَعُدُّهَا . قال سعيد بن جبير : كان
الله قادراً على خلق السماوات
والأرض - أى وما بينهما - فى لحظة
ولحظة ، فخلقهن فى ستة أيام ،
تعليماً لخلقهن الثبوت والتأني فى
الأمور . ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى
الْعَرْشِ﴾ عرش الله تعالى - كما قال
الراغب - : مما لا يعلمه البشر إلا
بالاسم ، وليس كما تذهب إليه

(١) آية ١٨٥ آل عمران . (٢) آية ٤١ فاطر . (٣) آية ١١ الشورى .

أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾
وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا
وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ

الْغَمَاءُ وَالزِّيَادَةُ . أَوْ ثَبِتَ وَدَامَ كَمَا
لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ ؛ مِنْ الْبَرَكَةِ بِمَعْنَى
الثَّبُوتِ . يُقَالُ : بَرَكَ الْبَعِيرُ . إِذَا
أَنَاحَ فِي مَوْضِعِهِ فَلَزِمَهُ وَثَبِتَ فِيهِ .
وَكُلُّ شَيْءٍ ثَبِتَ وَدَامَ فَقَدْ بَرَكَ . أَوْ
تَعَالَى وَتَعَظَّمَ وَارْتَفَعَ . أَوْ تَقَدَّسَ
وَتَرَفَّعَ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ

٥٥ - ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾ سَلُّوا
رَبَّكُمْ حَوَائِجَكُمْ ، فَإِنَّهُ تَعَالَى
يَسْمَعُ الدُّعَاءَ وَيُجِيبُ الْمَظْطَرَّ .
وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى إِصْلَاحِ إِلَيْكُمْ ؛
وغيره عن ذلك عاجز ،
﴿تَضَرُّعًا﴾ : تَذَلُّلاً وَاسْتِكَانَةً ،
مِنْ الضَّرَاعَةِ ، وَهِيَ الذَّلَّةُ
وَالِاسْتِكَانَةُ . يُقَالُ : ضَرَعَ
ضَرَاعَةً ، خَضَعَ وَذَلَّ .
وَتَضَرَّعَ : أَظْهَرَ الضَّرَاعَةَ . حَالُهُ
مِنَ الضَّمِيرِ فِي «ادْعُوا» أَيْ
مُتَضَرِّعِينَ . ﴿وَخُفْيَةً﴾ أَيْ سِرًّا
فِي أَنْفُسِكُمْ . وَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ
يُجْتَهِدُونَ فِي الدُّعَاءِ وَمَا يُسْمَعُ لَهُمْ
صَوْتٌ ؛ إِنْ كَانَ إِلَّا هَمْسًا بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَ رَبِّهِمْ . وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ
مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ لِقَوْمٍ يَجْهَرُونَ : (أَتُنْهَى
النَّاسَ أَنْ يَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ - أَيْ
أَرْفُقُوا بِهَا وَأَقْصَرُوا مِنَ الصِّيَاحِ -
إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا
إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ
مَعَكُمْ وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ
عُنُقِ رَاحِلَتِهِ) (١) وَهُوَ تَعْلِيمٌ لِلْأَدَبِ
فِي الدُّعَاءِ

٥٦ - ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا﴾
خَائِفِينَ مِنَ الرَّدِّ ؛ لِقُصُورِكُمْ عَنْ
أَهْلِيَّةِ الْإِجَابَةِ . طَامِعِينَ فِي الْإِجَابَةِ

يَسْتَمِرُّ الْاسْتِدْالُ : فَيَتَغَيَّرُ كُلُّ
وَاحِدٍ مِنْهَا بِالْآخِرِ ؛ فَكَمَا يَغْطِي
النَّهَارُ بِاللَّيْلِ يَغْطِي اللَّيْلُ بِالنَّهَارِ ،
وَفِي ذَلِكَ مِنْ مَنَافِعِ الْخَلْقِ مَا فِيهِ
وَبِهِ تَتِمُّ الْحَيَاةُ ، وَهُوَ دَلِيلُ الْقُدْرَةِ
وَالْحِكْمَةِ وَالتَّوْبِيرِ مِنَ الْإِلَهِ الْعَلِيِّ
الْعَظِيمِ . ﴿يَطْلُبُهُ حَثِيئًا﴾ يَطْلُبُ
اللَّيْلُ النَّهَارَ طَلَبًا سَرِيعًا حَتَّى يَلْحَقَهُ
وَيُدْرِكَهُ . وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنْ أَنْ
أَحَدُهُمَا يَأْتِيَ عَقِبَ الْآخَرِ وَيُخْلِفُهُ
بِلَا فَاصل ؛ فَكَأَنَّهُ يَطْلُبُهُ طَلَبًا
سَرِيعًا لَا يَفْتَرُّ عَنْهُ حَتَّى يَلْحَقَهُ .
وَالْحَثُّ عَلَى الشَّيْءِ : الْحَضُّ
عَلَيْهِ . يُقَالُ : حَثَّ الْفَرَسَ عَلَى
الْعُدُويَحْتَهُ حَثًّا ، صَاحَ بِهِ أَوْ وَكَّرَهُ
بِرَجُلٍ أَوْ ضَرَبَ . وَذَهَبَ حَثِيئًا أَيْ
مَسْرِعًا . ﴿لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾
الْخَلْقُ : إِيجَادُ الْأَشْيَاءِ مِنَ الْعَدَمِ .
وَالْأَمْرُ : التَّوْبِيرُ وَالتَّصَرُّفُ عَلَى
حَسَبِ الْإِرَادَةِ لِمَا خَلَقَهُ . فَهُوَ
سُبْحَانَهُ الْخَالِقُ وَالْمُدَبِّرُ لِلْعَالَمِ عَلَى
حَسَبِ إِرَادَتِهِ وَحِكْمَتِهِ ؛ لَا
شَرِيكَ لَهُ فِي ذَلِكَ . ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ
رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ كَثُرَ خَيْرُهُ
وَإِحْسَانُهُ ؛ مِنْ الْبَرَكَةِ بِمَعْنَى
الْكَثَرَةِ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ . وَأَصْلُهَا :

كَمَا وَرَدَتْ . وَتَفْوِضُ الْعِلْمِ
بِحَقِيقَتِهَا إِلَيْهِ تَعَالَى . وَقَالَ الْإِمَامُ
الرَّازِي : إِنْ هَذَا الْمَذْهَبُ هُوَ
الَّذِي نَخْتَارُهُ وَنَقُولُ بِهِ وَنَعْتَمِدُ
عَلَيْهِ . وَذَهَبَ جُمْهُورُ الْمُتَكَلِّمِينَ
إِلَى وَجُوبِ صَرْفِهِ عَنْ ظَاهِرِهِ
لِاسْتِحَالَتِهِ . وَإِلَى تَأْوِيلِهِ عَلَى
التَّفْصِيلِ ، وَأَنْ الْمُرَادَ مِنْهُ - كَمَا
قَالَ الْإِمَامُ الْقَفَّالُ - أَنَّهُ اسْتِقَامَ
مُلْكُهُ ، وَأَطْرَدَ أَمْرُهُ ، وَنَفَذَ حُكْمُهُ
تَعَالَى فِي مَخْلُوقَاتِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى ذَلَّ
عَلَى ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَكَيْفِيَّةِ تَدْبِيرِهِ
لِلْعَالَمِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَلْفَوْهُ مِنْ
مُلُوكِهِمْ ، وَاسْتَقَرَّ فِي قُلُوبِهِمْ ؛
تَنْبِيْهَا عَلَى عَظَمَتِهِ وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ ،
وَذَلِكَ مَشْرُوطٌ بِنَفْيِ التَّشْبِيْهِ ؛
وَيَشْهَدُ بِذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (ثُمَّ
اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) (١)
[رَاجِعِ الْمَسْأَلَةَ الرَّابِعَةَ مِنَ الْمَقْدِمَةِ
ص ٥] وَقَدْ ذَكَرَ الْإِسْتِوَاءَ عَلَى
الْعَرْشِ فِي سَبْعِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ .
﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ التَّغْشِيَةُ :
التَّغْطِيَةُ وَالسَّرُّ . أَيْ يَجْعَلُ اللَّيْلَ
غَاشِيًا لِلنَّهَارِ مَغْطِيًّا لَهُ فَيَذْهَبُ
بَنُورِهِ ؛ وَهَكَذَا دَوَّالِكُ فِي كُلِّ
لَيْلٍ وَنَهَارٍ ، وَبِتَعَاقُبِ الْأَمْثَالِ

الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ
إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ
الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ
الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ
بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَالَّذِي خَبَتْ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ
نُصْرِفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُسْكِرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ
قَوْمِهِ فَقَالَ يَلْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ

تَفَضُّلاً مِنْهُ تَعَالَى وَكَرَمًا . أَوْ
خَائِفِينَ مِنْ عِقَابِهِ ، طَامِعِينَ فِي
ثَوَابِهِ . وَالْخَوْفُ : انزعاج في
الباطن يحصل من توقع أمر مكروه
يقع في المستقبل . وَالطَّمَعُ : توقع
أمر محبوب يحصل في المستقبل .
﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ
الْمُحْسِنِينَ﴾ رحمة الله : إفضاله
وإنعامه على عباده ، أو ثوابه .
وتذكير «قريب» باعتبار معناها .
أو لكون تأنيثها مجازيًا ، فيجوز في
خيرها التذكير والتأنيث .

٥٧ - ﴿بُشْرًا﴾ بضم فسكون
الشين ، مخفف «بُشْرًا» بضمين
جمع بشير ، ككثير ونذير ، أى
مبشرات بنزول الغيث المستبوع
لمنفعة الخلق . ﴿أَقْلَتْ سَحَابًا
ثِقَالًا﴾ بما فيه من الماء . وحقيقة
أقله : وجده قليلا ثم استعمل
بمعنى حمّله ، لأن الحامل يستقل
ما يحمله بزعم أن ما يرفعه قليل .
و«سحابًا» اسم جنس جمعي
يفرق بينه وبين واحده بالتاء ،
روعى معناه في قوله : «ثِقَالًا» ،
ولفظه في قوله : «سُقْنَاهُ» .
و«ثِقَالًا» جمع ثقيلة ، من
الثقل - كعقب - ضد الخفة .
يقال : ثقل - ككرم - ثِقْلًا
وثِقَالَةً ، فهو ثَقِيلٌ وهى ثقيلة .
﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ مجذب لا ماء فيه
ولا نبات . ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ
الْمَوْتَى﴾ أى كما أحيينا الأرض
بعد موتها بإحداث القوى النامية
فيها ، وإنزال الماء عليها ،
وتطريتها بأنواع الثبات والثمرات

نَكِدًا وَنَكْدًا وَأُنَكِدُ : شَوْمٌ عَسِرٌ .
وهم أنكاد ومناكيد . ﴿نُصْرِفُ
الآيَاتِ﴾ نكررها بأساليب
مختلفة .
٥٩ - ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ شروع
في ذكر أنباء بعض الرسل عليهم
الصلاة والسلام ، وما وقع لهم مع
أممهم المكذبة ، تسليّة له صلى الله
عليه وسلم . وتنشيطاً للمؤمنين ،
ووعيداً وإنذاراً للمكذبين .
﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ
غَيْرُهُ﴾ هذه دعوة جميع رسل الله
إلى أقوامهم ، فوحيد العبادة
شرعهم كافّة ، صلوات الله
وسلامه عليهم أجمعين . وهو
الدين القيم والملة الحنيفية
والإسلام .
٦٠ - ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ أشراف

نخرج الموتى من الأرض ، ونبعثهم
أحياء في اليوم الآخر .
٥٨ - ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ
نَبَاتَهُ﴾ الأول مثل ضربه الله
تعالى للمؤمن . يقول : هو طيب
وعمله طيب . والثاني مثل
للكافر ، يقول : هو خبيث
وعمله خبيث ، وفيها بيان أن
القرآن يثمر في القلوب التي تشبه
الأرض الطيبة الثرية . ولا يثمر في
القلوب التي تشبه الأرض الرديئة
السبخة . ﴿لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾
أى لا يخرج نباته إلا قليلاً عديم
النفع . وأصل النكد : القسر
القليل الذى لا يخرج إلا بعناء
ومشقة . يقال : نكد عيشه
يكد . اشتد وعسر . ونكدت
البئر : قلّ ماؤها ، ومنه : رجل



مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ قَالَ يَلْقَوْمَ
لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٢﴾
أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِمَّا اللَّهُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٦٣﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى
رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٤﴾
فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٥﴾ * وَإِلَى عَادٍ
أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَلْقَوْمَ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ
أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٦﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا
لَنَرَنَّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٧﴾
قَالَ يَلْقَوْمَ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٦٨﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ
أَمِينٌ ﴿٦٩﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ
مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ
قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً ۖ فَادْكُرُوا آلَاءَ
اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ
وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَآتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ

ضل الطريق يَضِلَّ وضلَّ عنه
ضلالاً وضلالةً ، زلَّ عنه فلم يهتد
إليه .

٦٢ - ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ أَخْرَجَ مَا
فِيهِ صِلَاحُكُمْ وَأَرْشَدَكُمْ إِلَيْهِ ؛
مِن النَّصِيحَةِ وَهُوَ تَحْوِي قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ
فِيهِ صِلَاحٌ لِلغَيْرِ ، أَوْ تَعْرِيفٌ وَجْهٍ
الْمُصْلِحَةِ مَعَ خُلُوصِ النِّيَّةِ مِنْ
شَوَائِبِ الْمَكْرُوهِ . وَأَصْلُهُ
الْخُلُوصُ ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ : نَصَحْتُ
لَهُ الْوَدَّ . أَيْ أَخْلَصْتَهُ ؛ وَأُرِيدُ
مِنْهُ مَا ذَكَرَ بِحَازٍ . وَيُقَالُ :
نَصَحْتُهُ وَنَصَحْتُ لَهُ ؛ وَبِالْإِلَامِ
أَفْصَحُ .

٦٤ - ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ أَيْ
السَّفِينَةِ . وَيُذَكَّرُ وَيُسْتَعْمَلُ
وَاحِداً وَجَمْعاً . ﴿قَوْمًا عَمِينَ﴾
عُمِيَ الْبَصَائِرُ عَنِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ .
لَا تَنْفَعُ فِيهِمُ الْمَوْعِظَةُ ، وَلَا
يَفِيدُهُمُ التَّذْكِيرُ . جَمْعُ عَمٍ صِفَةٌ
مُشَبَّهَةٌ . يُقَالُ : هُوَ عَمٌ -
كَفْرَحٍ - لَأَعْمَى الْبَصِيرَةِ . وَهُوَ
أَعْمَى لِأَعْمَى الْبَصَرِ . وَقِيلَ هُمَا
بِمَعْنَى : كَخَضِرٍ وَأَخْضَرَ .

٦٥ - ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾
وَأَرْسَلْنَا إِلَى عَادٍ - وَهُمْ عَادُ
الْأُولَى - أَخَاهُمْ هُودًا ؛ وَكَانُوا
بِالْأَحْقَافِ بَالِغِينَ . وَالْأَحْقَافُ :
الرَّمْلُ الَّذِي بَيْنَ عُمَانَ
وَحَضْرَمَوْتَ . وَكَانُوا عِبَادَ
أَصْنَامٍ .

٦٦ - ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾
أَيْ مَتَمَكِّناً فِي الْحِمَاقَةِ وَخَفَةِ
الْعَقْلِ ؛ حَيْثُ هَجَرَتْ دِينَ
قَوْمَكَ إِلَى دِينِ آخَرَ لَا يُعْرِفُ .

القوم وسادتهم [آية ٢٤٦ البقرة مُبِينٌ] فِي ذَهَابٍ عَنِ الْحَقِّ
ص [٥٩] . ﴿فِي ضَلَالٍ وَالصَّوَابُ بَيِّنٌ وَاضِحٌ﴾ . يُقَالُ :

٦٩ - ﴿بَسْطَةً﴾ قوة وعظم أجسام . ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾ نِعْمَةُ الكثيرة عليكم بشكرها . جمعٌ إلى كجمل وأحال . أو ألى . كقفل وأقال . أو إلى ؛ كمعنى وأمعاء . أو ألى كقفاً وأقفاء .

٧١ - ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ﴾ أى نزلَ وَوَجِبَ عليكم مِنْ قِبَلِ رَبِّكُمْ عَذَابٌ وَسَخَطٌ . وَالرَّجْسُ : العذاب ؛ من الارتجاس وهو الاضطراب ؛ ثم شاع في العذاب لاضطراب من ينزل به . والغضب : السُّخْطُ ، أو اللُّغْنُ والطردُ . وعبرَ بالماضى لتحقق وقوعه .

٧٢ - ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ...﴾ استأصلناهم عن آخرهم بالريح العقيم . وهى ریح الذَّبُور [آية ٤٥ الأنعام ص ١٧٥] .

٧٣ - ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ أى أرسلناه إليهم . وهى قبيلة من العرب تسمى عادًا الثانية . وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام إلى وادى القرى . فى طريق الذهاب من المدينة إلى ثوبك . ﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾ خلقها الله من صخر لا من أبوين . ﴿آيَةً﴾ معجزة دالة على صدق .

٧٤ - ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ جعل لكم مباءة فيها ، أى منازل تسكنونها . يقال : بَوَّأَهُ منزلاً ؛ أَنزَلَهُ وَهَيَّأَهُ لَهُ وَمَكَّنَ لَهُ فِيهِ . ﴿وَتَّحِثُونَ الْجِبَالَ﴾ تنجرونها

مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦٩﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنَتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُبُوحِهَا قُصُورًا وَتَحْتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِاللَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا

﴿بُيُوتًا﴾ تسكنون فيها ؛ مِنْ ﴿آلَاءِ اللَّهِ﴾ نعمة وإحساناته . السَّحْتُ ، وهو نَجْرُ الشَّيْءِ ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ الصُّلْبُ﴾ يقال : نَحَتَهُ يَنْحَتُهُ - مُفْسِدِينَ ﴿الْعَتُوُ﴾ : أشد الفساد كِبْصَرُهُ وَيَبْصُرُهُ وَيَقْلَمُهُ - بَرَاهُ . [راجع آية ٦٠ البقرة

عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَصْلِحْ أَئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ
مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
جَئِشِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ
رَبِّي وَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ﴿٧٩﴾
وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَأَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا
مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّا كُنَّا نُنَادِي الرِّجَالَ شَهْوَةً
مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ
جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ
إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ
كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا
كَيْفَ كَانَ عَقِيبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ

أهلكهم الزلزلة الشديدة .

يقال : رجفت الأرض ترجف
رجفًا ، إذا اضطربت وزلزلت ،
ومنه الرجفان للاضطراب
الشديد . وجاء في آية ٦٧ من
سورة هود إهلاكهم بالصيحة من
السماء التي زلزلت بها الأرض
فكان إهلاكهم بهما . وذكر في
كل موضع واحدة منها .
﴿جَانِسِينَ﴾ باركين على
الركب ، أو مقيمين . والمراد أنهم
هامدون صرعى لا حراك بهم ،
من الجنوم ، وهو للناس والطير

ص [١٧] .

٧٧- ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ نحروها
وأصل العقير : قطع عروق
البعير ، ثم استعمل في الشجر ،
لأن ناجر البعير يعقره ثم ينحره .
﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ استكبروا
عن امتثاله ، من العتو وهو النبو ،
أي الارتفاع عن الطاعة والتكبر
عن الحق غلوا في الباطل .
يقال : عتا يمتو عتوا وعتيًا
وعتيًا ، إذا تجاوز الحد في
الاستكبار ، فهو عاتٍ وعتي .
٧٨- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾

بمنزلة البروك للابل . يقال : جنم
الطائر يجنم جنمًا وجنومًا ، فهو
جائم وجنوم ، إذا وقع على
صدره ، أو لزم مكانه فلم يبرح .

٨٠- ﴿وَلَوْطًا﴾ أي وأرسلنا
لوطًا ، وهو ابن أخى إبراهيم
عليهما السلام ، وكان قد هاجر مع
إبراهيم من أرض بابل إلى الشام ،
فنزل فلسطين ، ونزل لوط
الأردن ، وبعثه الله إلى أهل سدوم
وما حولها من القرى ، وهى من
بلاد الشام ومن فلسطين مسيرة يوم
وليلة ، وهى القرى المؤفكات ،
بعث إليهم يدعوهم إلى عبادة
الله ، وبيناهم عن الفاحشة التي
اخترعوها ولم تكن معروفة في
الناس قبلهم .

٨٢- ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾
أي ينتزهون عن الإتيان في هذا
المأنى . يقال : تطهر الرجل أى
تنزه عن الإثم . أرادوا به السخريّة
والاستنزاء بلوط ومن معه .

٨٣- ﴿مِنَ الْعَابِرِينَ﴾ أى الباقين
في العذاب . أو الباقين
المعمرين ، ثم هلكت فيمن
هلك من قومها . والغابر :
الباقى . يقال : غير الشيء بغير
غبوراً . بقى .

٨٤- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾
أى نوعاً عجيباً من المطر . بينه الله
تعالى بقوله : ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ
حِجَابًا مِّنْ سِجَالٍ﴾ (١) .

٨٥- ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ﴾ أى
وأرسلنا إلى مديين - وهو ابن

إبراهيم عليه السلام ، سُمِّيَتْ به
القبيلة - شعبياً عليه السلام .
وكانوا أهل كفر وبخس للمكيال
والميزان ؛ فدعاهم إلى التوحيد ،
ونهاهم عن الخيانة فيها . وعن
السُّدَى وَعِكْرَمَة : أن شعبياً أرسل
إلى أُمْتَيْنِ : أهل مَدْيَن الذين
أهلكوا بالصيحة ، وأصحاب
الأيكة الذين أخذهم الله بعذاب
يوم الظلة ؛ وأنه لم يُبعث نبيٌّ
مرتين إلا شعب عليه السلام .
واختار ابن كثير : أنها أمة
واحدة ، أخذتهم الرجفة
والصيحة وعذاب يوم الظلة أى
السحابة ؛ كما قال تعالى :
(فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةُ)^(١) .
(وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا
الصَّيْحَةُ)^(٢) . (فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ
يَوْمِ الظَّلَّةِ)^(٣) . (فَأَوْفُوا الْكَيْلَ
وَالْمِيزَانَ) [آية ١٥٢ سورة
الأنعام ص ١٩٦] (وَلَا تَبْخَسُوا
النَّاسَ ..) ولا تنقصوهم
حقوقهم بتطفيف الكيل ونقصان
الوزن في المايعات ؛ فإن ذلك
خيانة . يقال : بخسه حقه
يُبْخِسه . إذا نقصه إياه .

٨٦ - (وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ
صِرَاطٍ) ولا تقعدوا بكل طريق
من الطرق المسلوكة تخوفون من آمن
بالقتل . أو تخوفون الناس أن يأتوا
شعبياً ، وتقولون لهم : إنه كذاب
يريد أن يفتنكم عن دينكم .
وجملة «توعدون» وما عطف عليها
في محل نصب على الحال من ضمير
«تقعدوا» . (وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا)

شُعْبِيًّا قَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ
قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ
وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾
وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا
فَكَثُرَكُمُ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾
وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ
وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ
خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ
قَرِينِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾
قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ
نُجِّنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا
أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى
اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ
وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا

تَوَدُّونَ سَبِيلَ اللَّهِ مُعْجَظَةً [آية ٩٩] أنعود إلى ملتكم - بمعنى نصير
إليها - ولو كنا كارهين لها ؟
٨٨ - (أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ) أى
والاستفهام للإنكار - أى لا نصير

٩٣ - ﴿فَكَيْفَ آسَى﴾ أى فكيف
أحزن عليكم ! يريد : أنكم
لستم مستحقين لأن يحزن
عليكم ، والآسى : الحزن .
وحقيقته اتباع الفئات بالغم .
يقال : أسيت عليه - كرضيت -
أسى ، حزن .

٩٤ - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ﴾
أى وما أرسلنا في قرية من القرى
المهلكة نبياً فكذبها أهلها ، إلا
أخذناهم بالبؤس والفقر والضر
والمرض ، كى يتدلّلوا ويخضعوا
ويبتهلوا إلى الله تعالى في كشف ما
نزل بهم . ﴿بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾
الفقر والبؤس والسقم والألم .
﴿يَضْرَعُونَ﴾ يتدلّلون ويخضعون
ويتوبون .

٩٥ - ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ
الْحَسَنَةَ﴾ ثم لما لم يفعلوا
ذلك ، واستمروا في كفرهم
وعنادهم امتحناهم بضدّ تلك
السمحة استدراجاً لهم ،
فأعطيناهم رخاءاً وخصباً ، وغنى
وسعة ، وصحة وعافية . ﴿حَتَّى
عَفَوْا﴾ كثروا ونعموا في أنفسهم
وأموالهم . يقال : عفا النبات ،
وعفا الشحم إذا كثر وتكاثر .
وأعفيت : تركته يعفو ويكثر ،
ومنه حديث (اعفوا للمحى) (١) .

﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا﴾
وقالوا - لجهلهم أن ما أصابهم في
الحالين ابتلاء من الله
وامتحان - : إن تلك عادة
الدهر ، يُداول الضراء والسرّاء
بين الناس ، من غير أن تكون

مِنْ قَوْمِهِ . لَئِنْ أَتَبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَلْسِرُونَ ﴿٩٦﴾
فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينَ ﴿٩٧﴾
الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّا يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا
كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَلْعَنُ قَوْمٌ لَقَدْ
أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِّن رَّبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى
عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا
أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿١٠٠﴾
ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ
مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠١﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا

الزلزلة الشديدة . وإسناد الإهلاك
إليها هنا من الإسناد إلى السبب
القريب . وإسناده إلى الصيحة في
آية ٩٤ من سورة هود من الإسناد
إلى السبب البعيد ، إذ هي من
أسباب الرجة . وعلى ما اختاره
ابن كثير يكون إهلاكهم بهما
وبعذاب يوم الظلة كما سلف .
﴿جَائِمِينَ﴾ [آية ٧٨ من هذه
السورة] .
٩٢ - ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ كأن
لم يقيموا في ديارهم ناعمى البال
رخبى العيش . يقال : غنى
بالمكان يغنى ، أقام به وعاش في
نعمة ورغد .

إليها في أى حال . وكلام شعيب
في قوله ﴿إِن عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ
إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ مبنى على
التغليب ، وإلا فإنه لم يكن في
ملتهم من قبل ونجاة الله منها .
٨٩ - ﴿رَبَّنَا افْتَحْ﴾ افصح
واحكم بيننا وبينهم بالحق ، من
الفتح ، وأصله إزالة الأغلاق ،
واستعمل في الحكم ، لما فيه من
إزالة الإشكال في الأمر . ومنه قيل
للمحكم : فاتح وقطاح - في لغة -
لفتح أغلاق الحق . وقيل
للمحكمة : الفتاحة والفتاحة ،
بضم الفاء وكسرهما .
٩١ - ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾

هناك داعية اليها . أو تبعه تترب عليها . ﴿ بَغْتَةً ﴾ فجأة ؛ فأخذناهم إثر ذلك بالعقوبة فجأة ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ليكون ذلك أعظم لحسرتهم . وفي هذه الآية بيان لسنن الله في الأمم المهلكة بسبب تكذيبها ؛ تحذيراً وتخويفاً من سوء العاقبة لمن هم على شاكلتهم في الكفر والتكذيب ؛ ككفار قريش .

٩٦ - ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ﴾ أى ولو أن أهل تلك القرى المهلكة آمنوا بما جاء به الرسل . واتقوا ما حرمه الله عليهم ﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ ﴾ لا تيناهم بركات من السماء والأرض ؛ كالطر والنبات والتار ، والأنعام والأرزاق . والأمن والسلامة من الآفات . جمع بركة . وهى ثبوت الخير الإلهى فى الشيء ؛ وسُمى بذلك لثبوت الخير فيه ، ثبوت الماء فى البركة .

٩٧ - ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى ﴾ أى أبعد ذلك الأخذ - لمن كذب واستكبر وعاند - والعلم به يأمن أهل مكة - وما حولها من القرى - المائلون لمن سبقهم فى التكذيب والعناد . أن ينزل بهم عذاباً ليلاً وهم فى غفلة وطمأنينة . أو نهاراً وهم ساهون لاهون [آية ٤ من هذه السورة] . ﴿ يَأْتِيهِمْ بَأْسًا ﴾ ينزل بهم عذابنا ﴿ بَيَاتًا ﴾ وقت بيات أى ليلاً .

٩٩ - ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ﴾ أى

لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ وَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا نَهْمٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرْتُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ

عذابه ونقمته ليلاً أو نهاراً ؛ آمن ما يكونون منه . أو إضرار نعيمه عليهم استدراجاً لهم ؛ حتى يُمِيعُوا فى الطغيان . ويرتادوا فى العتو ، فيهلكهم كما أهلك من قبلهم . ١٠٠ - ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ ﴾ أى أو لم يبين لأهل مكة وما حولها ما جرى للأمم السابقة إصابتها إياهم بذنوبهم لو شئنا ذلك ؛ كما أصبنا من قبلهم . و« يَهْدِ » أى يبين . والفاعل ضمير عائد على ما يفهم من سياق الكلام ؛ أى ما جرى للأمم المهلكة السابقة . و« أن » وما فى حيزها فى تأويل مصدر مفعول . ﴿ أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ ﴾ إصابتنا إياهم لو شئنا . ﴿ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ أى ونحن نختم على قلوبهم ، والجملة مستأنفة لإثبات حصول الطبع على قلوبهم . ١٠٢ - ﴿ مِنْ عَهْدٍ ﴾ من وفاء بما أوصيناهم .

على الله غير الحق . وهو صفة «رسول» أو خبر بعد خبر ، أو خبر مبتدأ محذوف ، أى أنا حقيق . و«على» بمعنى الباء .

١٠٧ - ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ﴾ أى حية عظيمة ضخمة في الجنة ، وإن كانت في حفة الحركة وسرعتها كأنها جان . وهى الحية الصغيرة . ﴿مُيِّنٌ﴾ ظاهر أمره لا يشك فيه .

١٠٨ - ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أى أخرج يده اليمنى من طوق قيصره ، لقوله تعالى : ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ (١) . والجيب : طوق القيصر . أو أخرجها من تحت إبطه ، لقوله تعالى : ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ (٢) . والنزع : إخراج الشيء عن مكانه . ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ﴾ بياضاً عجيباً خارقاً للعادة ، إذ كان لها شعاع يغلّب ضوء الشمس .

١١١ - ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أى قال الملأ لفرعون : أخر أمرهما ، ولا تعجل بقضاء في شأنهما . وأصله : أرجئه ، حذفت الهمزة وسكنت الهاء ، تشبيهاً للضمير المنفصل بالضمير المتصل . والإرجاء : التأخير . يقال : إذا أرجيت هذا الأمر وأرجأته ، إذا أخرته ، ومنه : (ترجي من تشاء مئنه) (٣) . ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ وأبعث في مدائن الصعيد بمصر رجالاً يجمعون إليك السحرة منها ، إذ

بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِعَاقِبَتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ فَظَلَمُوا بِهَا ط
فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ
يَنْفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٥﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ
أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن
رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٤﴾ قَالَ إِن كُنتَ
جِئْتَ بِعَاقِبَةٍ فَإِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٣﴾
فَأَتَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا
هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٠١﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ
هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٠﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ط
فَإِذَا تَأَمَّرُوا ﴿٩٩﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ
حَاشِرِينَ ﴿٩٨﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٩٧﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ
فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٩٦﴾
قَالَ نَعَمْ وَإِنِ كُنَّا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّمَا
أَن تُلْقِيَ وَإِنَّمَا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْكِينَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَلْقُوا ط
فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا
بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿٩٣﴾ * وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَلِقِ

١٠٣ - ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾ أى صدّهم عن الإيمان ، والباء فجحدوا وكفروا بها ظلماً وعلواً ، للسببية .
١٠٥ - ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا﴾ أى جدّير بالآأ أقول بتكذيبها . أو ظلموا الناس بسبب أقول . . .



كانت مقرهم ، وكان السحر في زمن فرعون غالباً . يقال : حشر الناس - من باب ضرب ونصر - ، جمعهم ؛ ومنه : يوم الحشر والمحشر .

١١٦ - ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ خيلوا لها ما يخالف الحقيقة . ﴿استرهبوهم﴾ خوفوهم تخويفاً شديداً .

١١٧ - ﴿تَلَقَّفْ مَا يَأْفِكُونَ﴾ تبتلع وتلقم بسرعة ما يكذبون ويموهون به . والتلقف : التناول بسرعة . يقال : لقف الشيء يلقفه لقفاً ولقفاناً ، أخذه بسرعة . والإفك : الكذب . يقال : أفك يافك ، وأفك يافك ، أفكا وأفكا - كضرب وعلم - إذا كذب . وأصله من الأفك - بفتح أوله - وهو صرف الشيء عن وجهه الذي يجب أن يكون عليه . وأطلق على الكذب إفكاً - بالكسر - لكونه مصروفاً عن وجه الحق ثم صار حقيقة فيه .

١١٨ - ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾ ظهر وتبين أمر موسى عليه السلام . ١٢٦ - ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا﴾ أى ما تكره منا وتعيب . [آية ٥٩ المائدة ص ١٥٤] . ﴿أفرغ علينا﴾ أفض أو صب علينا .

١٢٧ - ﴿وَيَذَرُكَ وَالْهَتَكَ﴾ قال جمهور المفسرين : إن فرعون كان قد صنع لقومه أصناماً صغيراً وأمرهم بعبادتها ، وسمى نفسه الرب الأعلى . وقال الحسن : إنه كان يعبد الكواكب ويعتقد أنها

عصاك فإذا هي تلقف ما يافكون ﴿١١٧﴾ فوق الحق وبطل ما كانوا يعملون ﴿١١٨﴾ فغلبوا هنالك وانقلبوا صغرين ﴿١١٩﴾ وألقى السحرة سجدين ﴿١٢٠﴾ قالوا آمنا برب العللين ﴿١٢١﴾ رب موسى وهرون ﴿١٢٢﴾ قال فرعون ءامنتم به - قبل أن ءاذن لكم - إن هذا لكم مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون ﴿١٢٣﴾ لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلف ثم لأصلبنكم أجمعين ﴿١٢٤﴾ قالوا إنا إلى ربنا منقلبون ﴿١٢٥﴾ وما تنقم منا إلا أن ءامننا بما تبئ ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين ﴿١٢٦﴾ وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم وإنا فوقهم قهرون ﴿١٢٧﴾ قال موسى لقومه استعينوا بالله وأصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده وآل عتبة للمتقين ﴿١٢٨﴾ قالوا أودينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ﴿١٢٩﴾ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص

المرئية للعالم السفلى كله ، وهو رب النوع الإنساني . ﴿نستحي

وأجذبوا. وأصابتنا سِنَّةٌ حمراء: أى جذبٌ شديد، ومنه حديث: (اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ

سِنَّينَ كَسَنَى يُونُسَ) (١).

١٣١ - ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيْئَةٌ﴾ أى قَحْطٌ وَجَدْبٌ، وبلاءٌ ومرضٌ ﴿يَطِيرُوا بِمُوسَى﴾ أى يَطِيرُوا وَيَتَشَاءُوا بِهِمْ. والأصلُ فى إطلاق الطَّيْرِ على التشاؤم: أن العرب كانت تزجر الطير فتشاءم بالبارح، وهو ما ولَّاك مُياسرةً. وتسمُن بالسَّانِح، وهو ما ولَّاك مُيامنةً. ومنه سَمَوُ الشَّوْم طَيْرًا وطائرًا، والتشاؤمُ تطيرًا. وقد يُطلق الطائر على الحظِّ والتَّصِيب، خيرًا كان أو شرًّا، ولكنه غالبٌ فى الشر. ﴿إِنَّمَا طَافَتْهُمُ عُنْدَ اللَّهِ﴾ أى سَبَّ شَوْمُهُمْ أَعْمَالُهُمُ السَّيِّئَةُ المكتوبة عند الله، فهى التى ساقَت إليهم ما يسوؤهم، وليس موسى عليه السلام ومن معه.

١٣٣ - ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ هو المعروف. وقبل: هو الموت الجارف، وكان بسبب الطاعون أو الجدري. والطوفان فى الأصل: اسمٌ لكل شىء حادثٍ يحيط بالجهات ويعم، كالماء الكثير، والقتل الذريع، والموت الجارف. ﴿وَالْقُمَّلُ﴾ ضربٌ من القُرَاد. أو هو السوسُ أو القُمَّلُ المعروفان.

١٣٤ - ﴿وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرَّجْزُ﴾ أى نزل بهم العذاب بهذه الأمور الخمسة التى أرسلها الله عليهم.

مِنَ الشَّجَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٣٢﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطِيرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ۚ أَلَا إِنَّمَا طَفَرُوهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣٣﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَاتَّخَذْنَاكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٤﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٥﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يُمُوسَى أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٦﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَلِّغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٣٧﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِآنِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٨﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمِغْرِبَهَا آلِي بَرْكَآ فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٩﴾ وَجَنَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ

نِسَاءَهُمْ ﴿١﴾ نستبقى بناتهم - مبادئ هلاكهم. والسَّيْنِ:

للخدمة. جمعُ سِنَّةٍ، أى عامُ الجَدْبِ

١٣٠ - ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ والقحط. تقول العرب: مستهم

بالسَّيْنِ ﴿٢﴾ شروعٌ فى تفصيل السَّيْنَةِ، وأسْتَوْثُوا إذا قَحِطُوا

١٣٥ - ﴿يَسْكُونُ﴾ ينقضون

العهد الذي عاهدوه بقولهم : «كُتُمْنُ لَكَ وَلَكُنَّا لَكَ بِنِي إِسْرَائِيلَ» . من الكُتْمِ ، وأصله فك طاقات الصوف المغزول ليغزل ثانياً ، ثم استعير لنقض العهد بعد إبرامه . يقال : نكث العهد والحبل ينكث وينكثه ، نقضه .
١٣٧ - ﴿دَمَرْنَا﴾ أهلكنا وخربنا : ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ يرفعون من الأبنية والقصور المشيدة . أو يجعلون له العروش من الشمار والأعنان .

١٣٨ - ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ شروع في قصتهم ، وما أحدثوه بعد أن من الله تعالى عليهم بما من في ذكر من قصة فرعون معهم ؛ تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم عما رآه من اليهود في المدينة من الكيد والمكر والتدبير السيئ ، والعناد والجحود .
﴿الْبَحْرُ﴾ : بحر القلزم ، وهو البحر الأحمر .

١٣٩ - ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُمْ فِيهِ﴾ مكتر مهلك ما هم فيه من الدين الباطل وعبادة الأصنام . والتبشير : الإهلاك ، أو التكسير والتحطيم . يقال : تبره بتبره وتبره ، أهلكه .

١٤٠ - ﴿أَبْغَيْكُمْ إِلَهًا﴾ أطلب لكم إلهاً معبوداً .

١٤١ - ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ﴾ تذكير بنعم الله عليهم ؛ إذ أنقذهم من أسر فرعون وقهره ، وما كانوا فيه من الهوان ، وبما صاروا إليه من

فَاتُوا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامِهِمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُمْ فِيهِ وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغْيِرَ اللَّهُ أَبْغَيْكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضْلُكَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ * وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَمَ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيكَ فَلَمَّا بَلَغَ رَجُلًا مَلْبَسًا أَجْوَدَ دَكَاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَمُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ

العرّة ، وبإغراق عدوهم وهم ينظرون ؛ ومع ذلك قالوا : «اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ» . يذيقونكم أو يكلفونكم أشد العذاب وأسوأه ١٤٢ - ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى



عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي نَحْذُمَاءَ آيَاتِكَ وَكُنْ مِنَ
الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَنَحْذَاهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكِ
بِأَخْذِهَا بِحَسَنٍ سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾
سَاصِرُونَ عَنِ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ
الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ
سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بَعَايَتَنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾

مَكَانَهُ ﴿ وَلَمْ يَفْقَهُ التَّجَلَّى ﴾
﴿ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ إذا تجلّت
لك . ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ﴾
ظهر له على الوجه اللائق بجلاله ،
﴿ جَعَلَهُ ذِكْرًا ﴾ أى مدقوقاً مفتتاً .
والذِّكْرُ والدُّقُّ بمعنى : وهو تفنيت
الشَّيْءِ وَتَحْقِيقُهُ . وفعله من باب
رَدَّ . قال الألويسي : وهو من
المتشابهات التي يُسلك فيها طريق
التسليم ، وهو أسلم وأحكم .
﴿ وَخَرَّ مُوسَى صَعْقًا ﴾ معشياً
عليه ، لعظم ما رأى من النور
الذى حصل به التجلّى . يقال :
صَعَقْتَهُم السَّمَاءُ تصعقهم -

كَمَعَ - صَاعَقَهُ . وكسَعَ صَعَقًا
وَصَعَقًا وَصَعَقَةً فَهُوَ صَعِقٌ ، غشي
عليه . ﴿ قَالَ سُبْحَانَكَ ﴾ تزيهاً
لك من مشابهة خلقك في شيء .
﴿ تَبَّتْ إِلَيْكَ ﴾ من الإقدام على
السؤال بغير إذن .

١٤٥ - ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي
الْأَلْوَاحِ ﴾ أى فى ألواح التوراة
من كل شيء يحتاجون إليه من
الحلال والحرام . والمحاسن
والقبائح . ﴿ وَأَمَرَ قَوْمَكَ بِأَخْذِهَا
بِحَسَنٍ ﴾ أى بحسنها وكلها
حَسَنٌ ، أو بما هو أحسن وأكثر
ثواباً فى كل شيء .

١٤٦ - ﴿ سَبِيلَ الرُّشْدِ ﴾ طريق
الهدى والساد . ﴿ سَبِيلَ الْغَيِّ ﴾
طريق الضلال والفساد .

١٤٧ - ﴿ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾
بطلت أعمالهم التي عملوها فى الدنيا
من البرّ والإحسان والخير ، فلا
ثواب لهم عليها .

رؤيتي وأنت فى هذه النشأة وعلى
الحالة التى أنت عليها ، وتأييد
الثنى باعتبارهما . وأما فى النشأة
الأخرى فقد ثبت فى الحديث
الصحيح أن المؤمنين يَرَوْنَ رَبَّهُمْ
فى عَرَصَاتٍ يوم القيامة وفى
رُوضَاتِ الْجَنَّاتِ . ويدلّ عليه
قوله تعالى : (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ
نَاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) (٢) .
وقد تقدّمت الإشارة إلى ذلك فى
تفسير قوله تعالى : (لَا تُدْرِكُهُ
الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ
الْأَبْصَارَ) (٣) . وفى الآية دلالة
على إمكان الرؤية فى ذاتها ، لأنه
تعالى علّقها على استقرار الجبل وهو
ممكن ، وتعليق الشيء بما هو
ممكن يدلّ على إمكانه ، وإليه
ذهب أهل السُنّة . ﴿ فَإِنْ اسْتَقَرَّ

وعده الله تعالى أن يكلمه عند
انتهاء ثلاثين ليلة يصومها ، وهى
شهر ذى القعدة ، وقد صام أيامه
وليلاته ، ثم أمره أن يصوم عشرة
بعدها ، هى عشر ذى الحجة .
﴿ قَتَمَ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾
وهو كما قال تعالى فى سورة
البقرة : (وَاذْكُرُوا مَا كُنْتُمْ
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) (١) .

١٤٣ - ﴿ وَكَلِمَةُ رَبِّهِ ﴾ أى أزال
الحجاب بين موسى وبين كلامه ،
فسمعه من غير واسطة بحرف
وصوت ، وهو لا يشبه كلام
المخلوقين . ﴿ قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ
إِلَيْكَ ﴾ أى أرنى ذاتك .
والمراد : مكّنى من رؤيتك . أو
تجلّى لى أنظر إليك وأرّك .
﴿ قَالَ لَنْ تَرَانِي ﴾ أى لن يطيق

١٤٨ - ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ ..﴾ أى من بعد ذهاب موسى إلى جبل المناجاة إليها معبوداً على صورة العجل المعروف ، صاغه لهم موسى السامري . وكانت صناعته الصياغة - من الحلي الذى استعاروه من القبط قبيل العرق ، وبقي فى أيديهم بعده . وطلب منهم أن يعبدوه ، وقال لهم : (هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى قَسَى) ^(١) فَعَكَفُوا عَلَى عِبَادَتِهِ . ﴿عَجَلًا جَسَدًا﴾ أى جَسَدًا لا يعقل ولا يُبَيَّنُّ . أو جَسَدًا ، أى أحمر ظاهر الحمرة لكونه مصنوعاً من الذهب . والجَسَدُ : الدم اليابس ، والزعفران أو نحوه من الصُّبغ ، ومنه ثوبٌ مُجَسَّدٌ ، مصبوغ بالزعفران أو أحمر . ﴿لَهُ خَوَارٌ﴾ أى صوتٌ يُشبه صوت البقر ، إذ صاغه على صورة العجل ، وجعله مُجَوِّفًا ، ووضع فى جوفه أنابيباً على شكل مخصوص ، وجعله فى مهبِّ الريح ، فإذا هبَّت الريح سَمِعَ لهذه الأنابيب صوتٌ يشبه خوار العجل . وقرئ «جَوَارٌ» أى صوتٌ شديد . وفى هذين الوصفين تقريبٌ لهم ، وتبكيثُ بشدة الجهل ، إذ ليس من شأن الإله أن يكون كذلك ! . ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ هو كقوله تعالى : (أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا) ^(٢) ، يُقَرِّعُهُمْ عَلَى قَرُطِ جَهَالَتِهِمْ وَضَلَالَتِهِمْ ، إذ عبدوا

وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَلَقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضَبَنَ أَسِفًا قَالَ بَلْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَتَعْلَمُونَ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقِ الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي

عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٌ ، لا يكلمهم ولا يرشدهم إلى خير ، ولا يملك لهم نفعاً ولا ضرراً ، وَذَهَلُوا عَنْ عِبَادَةِ الْخَالِقِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . ﴿اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ أى اتَّخَذُوا هَذَا الْعَجَلَ إِلَهًا مَعْبُودًا ، مع كونه مصنوعاً بأيديهم ، فظلموا أنفسهم بهذا الجهل ، وأوردوها مؤرد الهلاك . ١٤٩ - ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ أى وَلَمَّا نَدِمُوا أَشَدَّ النَّدَمِ عَلَى عِبَادَةِ الْعَجَل ، وَتَبَيَّنَا ضَلَالَهُمْ بِهَا تَبَيَّنَا ظَاهِرًا ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ وكان ذلك بعد عودة موسى من الميقات . يقال للنادم المتحير : سَقَطَ فِي يَدِهِ ، وَالْأَصْلُ سَقَطَ قَمَّةُ فِي يَدِهِ ، فحذف الفاعل وُبَيَّنَ الْفِعْلُ لِلْمَفْعُولِ ، كما فى مَرَّ بَزِيدٌ . وهو من الكناية ، لأن من شأن الإنسان إذا اشتدَّ نَدَمُهُ عَلَى شَيْءٍ أَنْ يَعْصُرَ يَدَهُ ، فَتَصِيرُ يَدُهُ مَسْقُوطًا فِيهَا ، لِأَنَّ قَمَّةَ وَقَعَ فِيهَا . ولما كان سقوط الأفواه فى الأيدي لازماً للنَّدَمِ أُطْلِقَ اسْمُ الْإِلَازِمِ

العالمين ، لتفرغ يده فيأخذ برأس أخيه . وعبر عن هذا الوضع بالإلقاء تفضيلاً لفعل قومه ؛ حيث كانت معابته سبباً لذلك وداعياً إليه . ﴿ وَكَادُوا يَقْتُلُونِي ﴾ قاربوا قتل حين نهيهم عن عبادة العجل ، فلم أقصر في منعهم منها . ﴿ فَلَا تَشْمِتْ بِيِ الْأَعْدَاءِ ﴾ لا تسرهم بما تنال مني من مكروه . والشامة : الفرح ببلية من تعاديه ويعدليك . يقال : شمت به يشمت شمتاً وشماتة ، إذا فرح بمصيبة نزلت به . وأشمته الله به .

١٥٤ - ﴿ سَكَتَ ﴾ سكن . ﴿ أَخَذَ الْأَلْوَا حَ ﴾ أى التى كان ألقاها . وظاهر الآية أن الألواح لم تتكسر ، ولم يرفع من التوراة شيء وأنه أخذها بعينها . ﴿ وَفِي نُسخِهَا ﴾ أى فيما نسخ فيها وكُتب . فنسخة بمعنى منسوخة ، كخطبة بمعنى عظوبة . والنسخ : الكتابة . والإضافة بياضة أو بمعنى فى . ﴿ لِرَبِّهِمْ بَرَّهُونْ ﴾ أى يخافون أشد الخوف من ربهم .

١٥٥ - ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ ﴾ أمر الله موسى أن يأتيه فى ناس من قومه ممن لم يعبدوا العجل ، يعتذرون عن تركهم وراءهم من عبدة العجل ، ووعدهم موعداً ، فاختار موسى منهم سبعين رجلاً وذهب بهم إلى الطور ، وسألوا الله أن يكشف عنهم البلاء . ويتوب على من عبد العجل ، فأخذتهم فى ذلك المكان

وَلَا مِى وَأَدْخَلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾
إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ
وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾
وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ
رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ
مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَا حَ وَفِي نُسخِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ
لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ
سَعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ
لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّى أَنُهِلَكُنِّى بِمَا فَعَلَ
السُّفَهَاءُ مِنَّا إِن هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ
وَتَهْدِى مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ
خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ * وَاصْنَبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا

بعبادة العجل ما أمركم به ربكم ! وهو انتظارى حافظين لعهدى ، وما وصيتكم به من التوحيد وإخلاص العبادة لله ، حتى آتاكم بكتاب الله فغيرتم وعبدتم العجل ! . يقال : عجلت الشيء : أى سبقته . ﴿ وَالْقَى الْأَلْوَا حَ ﴾ وضعها على الأرض حين رأى ما رأى من قومه ، واشتد غضبه حمية للذين ، أو غيره من الشرك رب

وأريد الملزوم على سبيل الكناية وهذا التركيب لم تعرفه العرب إلا بعد نزول القرآن ، ولم يوجد فى أشعارهم ومنثورهم ، فهو من فرائده البليغة .

١٥٠ - ﴿ أَسْفَا ﴾ شديد الغضب . أو حزناً مما حدث منهم من عبادة العجل . يقال : أسف بأسف أسفاً ، اشتد غضبه أو حزن ، فهو أسف وأسف . ﴿ أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ﴾ أسبقتم



حَسَنَةً فِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا مُبْدِيْنَ إِلَيْكَ قَالِ عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ
مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۖ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ
يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَاقِبَتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾
الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا
عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ
وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ
فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي
أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ

الرَّجْفَةُ ، وهى الزلزلة الشديدة
التي غشي عليهم بها من أجل أنهم
لم ينهَوْهم عن المنكر ، ولم يأمرهم
بالمعروف ، ثم أفاقوا ، وكان
ذلك لتأديبهم على تقصيرهم .
فالسبعون هنا غير السبعين الذين
كانوا مع موسى حين التكليم ،
والمبقات غير المبقات ، وإلى ذلك
ذهب بعض المفسرين ، وهو
الذى يقتضيه ظاهر النظم .
﴿ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ ﴾ قال
موسى هذا القول لاستجلاب
العفو عن هذه الجريمة التي اقترفها
قومه ، بعد ما من الله عليهم بالنعيم
السابعة الوافرة ، وأنقذهم من
فروع وقومه . ﴿ فَتَنَّاكَ ﴾ محنتك
وابتلاؤك .

١٥٦ - ﴿ وَآكُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ
الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾ أقسم لنا في الدنيا ما
يَحْسُنُ من نعمة وطاعة ، وعافية
وتوفيق . ﴿ وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ المثوبة
الحسنى ، أو المغفرة والرحمة ،
أو الجنة . ﴿ إِنَّا هُنَا مُبْدِيْنَ
تعليل لطلب الحسنة في الدارين ،
أى لآتائنا إليك من المعاصي التي
جئناك للاعتذار منها .. يقال :
هاد يهود ، إذا رجع وتاب .
﴿ قَالَ عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ ﴾
جواب من الله تعالى لنبية موسى
بإجابة سؤاله بقبول توبة قوم .
وحاصله - كما قاله الألوسي - :
إن عذابي الذى تخشى أن يُصيب
قومك أصيب به من أشاء ، فلا
يتعين قومك لأن يكونوا غرضاً له
بعد توبتهم ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ

كُلَّ شَيْءٍ ۖ ﴾ فلا تضيق عن
قومك . كيف - وقد تابوا ووقدوا
إلى - أرادهم خائبين ، بل إلى
سأرحمهم ، وأكتب الحظ الأوفر
من رحمتي لأخلافهم وذرائعهم
الذين يأتون من بعدهم ،
ويتصفون بما يُرضيني ويقومون بما
أمرهم به ، وهم من أدركوا بعثة
النبي محمد صلى الله عليه وسلم ،
واتبعوه إيماناً به وبما جاء من نعوته
في التوراة والإنجيل ، فيكونون
من آمن بالكتابين ، وأفلح في
الدارين . ووصف أخلافهم بما
وصفوا به لاستنهاض همم بني
إسرائيل إلى الثبات على التوبة ،
وبما يوجب الفلاح من الطاعة .
والقصر المستفاد من الجملة قصر
نسبي ، أى فسأجعلها خاصة
بهؤلاء دون من بقى منهم على دينه
ولم يؤمن بالنبي صلى الله عليه
وسلم حين بعثه .
١٥٧ - ﴿ النَّبِيُّ الْأُمِّيَّ ﴾ الذى لا
يكتب ولا يقرأ ، نسبة إلى أمة
العرب ، لأن الغالب عليهم
ذلك . أو إلى الأم ، كأن الذى لا
يكتب ولا يقرأ باق على حاله التي
وُلد عليها . وفى وصفه صلى الله
عليه وسلم بالأمية إشارة إلى أن
كمال علمه مع ذلك إحدى
معجزاته ، فإنه عليه الصلاة
والسلام لم يتفق له مطالعة
كتاب ، ولا مصاحبة معلم ، لأن

إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الَّذِي يُوْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ
وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَعْنَا لَهُمْ آثَنَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا
أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبْ
بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ أَلْفَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ
عَلِمَ كُلُّ أَنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَزَلَّنا
عَلَيْهِمُ الْآمَنَ وَالسَّلَوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ
وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ

الثوب ، وإحراق الغنائم وتحريم
السَّيِّئَاتِ ، وَتَعْيِينَ الْقِصَاصِ فِي
الْقَتْلِ مطلقاً دون شرع الدِّينَةِ ونحو
ذلك . والإِصْرُ فِي الْأَصْلِ :
الثَّقْلُ الَّذِي يَأْصِرُ صَاحِبُهُ أَى
يُجْبِسُهُ عَنِ الْحَرَكَ . وَالْأَغْلَالُ :
جَمْعُ غُلٍّ ، وَهُوَ الْحَدِيدَةُ الَّتِي
تَجْمَعُ يَدَ الْأَسِيرِ إِلَى عُنُقِهِ ،
وُسْمَى الْجَامِعَةَ . وَالْمَرَادُ بِهَا مَا
ذَكَرَ . ﴿وَعَزَّوْرُهُ﴾ عَظْمُوهُ
وَوَقْرُوهُ ﴿وَنَصْرُوهُ﴾ أَى عَلَى
أَعْدَائِهِ فِي الدِّينِ . وَإِذَا أُخِذَ فِي
مَعْنَى التَّعْزِيرِ النَّصْرَةُ يَكُونُ عَطْفُ
«نَصْرُوهُ» عَلَيْهِ مِنْ عَطْفِ اللَّازِمِ
عَلَى مَلْزومِهِ .

١٥٨ - ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أَمْرٌ
لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ
يَبْصُرَ بِمَا فِيهِ تَبَكُّيٌ لِلْيَهُودِ ،
وإِعْلَامٌ بِعُمُومِ رِسَالَتِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، رَدًّا
عَلَى زَعْمِهِمْ أَنَّهُ مَرْسَلٌ لِلْعَرَبِ
خَاصَّةً .

١٥٩ - ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾
وَهُمْ أَنَاسٌ كَانُوا عَلَى خَيْرٍ وَصَلَاحٍ
فِي عَهْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ،
مُخَالَفِينَ لِأَوَّلَتِكَ السُّفَهَاءِ مِنْ
قَوْمِهِ . وَقِيلَ : هُمْ مَنْ آمَنَ مِنَ
الْيَهُودِ بَعْدَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾
بِالْحَقِّ يَحْكُمُونَ فِي الْخِصُومَاتِ
بَيْنَهُمْ .

١٦٠ - ﴿وَقَطَعْنَا لَهُمْ آثَنَى عَشْرَةَ
أَسْبَاطًا﴾ أَى صَيَّرْنَا لَهُمْ اثْنَتَيْ
عَشْرَةَ أُمَّةً لِتُمَيِّزَ كُلَّ أُمَّةٍ عَنِ
الْأُخْرَى ، وَيُقَالَ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ :

الهُدَى وَالْأَسْوَدُ وَالنُّورُ . وَقَدْ ذَكَرَهُ
اللَّهُ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ بِاسْمِهِ
وَنَعُوته ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ أَى مَا
طَابَ فِي حُكْمِ الشَّرْعِ كَالشُّحُومِ
﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ أَى
مَا خَبِثَ فِي حُكْمِ الشَّرْعِ كَالرِّبَا ،
فَالْمَدَارُ عَلَى حُكْمِ الشَّرْعِ فِي حُلِّ
الْأَشْيَاءِ وَحُرْمَتِهَا ، لَا عَلَى الرَّأْيِ
وَالْفِكْرِ . ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ
وَالْأَغْلَالَ﴾ . يُخَفِّفُ عَنْهُمْ مَا
أَلْزَمُوا الْعَمَلَ بِهِ مِنَ التَّكْلِيفِ
الشَّاقِ الشَّدِيدَةِ فِي التَّوْرَةِ ،
كَقَطْعِ مَوْضِعِ النِّجَاسَةِ مِنَ

مَكَّةَ لَمْ تَكُنْ بِلَدَةَ الْعُلَمَاءِ ، وَلَا
غَابَ عَنْهَا غَيْبَةً طَوِيلَةً يُمْكِنُ التَّعَلُّمُ
فِيهَا ، وَمَعَ ذَلِكَ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ
أَبْوَابَ الْعِلْمِ ، وَعَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ
يَعْلَمُ مِنْ سَائِرِ الْعُلُومِ وَالْفُنُونِ الَّتِي
اشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا أَحَادِيثُهُ ، وَتَعَلَّمَهَا
النَّاسُ مِنْهُ ، وَكَانُوا بِهَا أَئِمَّةَ
الْعُلَمَاءِ ، وَقَادَةَ الْمُفَكِّرِينَ . فَا مَنِ
شَيْءٌ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْفَرْدُ أَوِ الْأُمَّةُ فِي
الْحَيَاتَيْنِ إِلَّا لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ هَدًى فِيهِ ، وَقَوْلٌ سَدِيدٌ
وَبَيَانٌ شَافٍ ، فَأَكْرَمَ بِأَمِيَّةٍ تَضَاهَى
عِنْدَهَا عِلْمُ الْعُلَمَاءِ فِي كُلِّ
الْعُصُورِ ! وَأَعْظَمَ بِهَا ! وَهِيَ

سَبَطُ . والأسباطُ في بني إسرائيل كالقبائل في العرب . والسَّبَطُ : ولدُ الولد أو الولدُ ﴿فَانْبَجَسَتْ﴾ انفجرت . يقال : بَجَسْتُ الماءَ أَنْبَجَسُهُ فانبجس ، بمعنى فَجَرْتُهُ فانفجر . ﴿اِثْنَا عَشَرَ عَيْنًا﴾ لكل سَبَطٍ عَيْنٌ ، وكان ذلك في الثَّيِّهِ . ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى﴾ . الْمَنِّ مادة صمغية حلوة كالعسل . ﴿السَّلْوَى﴾ الطائر المعروف بالسَّانِي . [آية ٥٧ البقرة ص ١٧] .

١٦١ - ﴿هَذِهِ الْقَرْيَةُ﴾ هي بيت المقدس أو أريحاء . ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ أى قولوا مسألتنا حِطَّةً ، أى أن تحطَّ عنا خطايانا [آية ٥٨ البقرة ص ١٧] .

١٦٢ - ﴿رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ عذاباً من السماء أهلكهم [آية ٥٩ البقرة ص ١٧] .

١٦٣ - ﴿حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ أى قرية من بحر القلزم - البحر الأحمر - مشرفة على شاطئه . والأكثرون على أنها أثلة . وقيل مَذِين ، وقيل طَبْرِيَّة . ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ يعتدون في يوم السبت حدودَ الله بصيد الحَيَّانِ فيه وقد نهوا عنه . يقال : عدا فلان الأمر واعتدى ، إذا تجاوزَه . ﴿شُرْعًا﴾ شارة ظاهرة على وجه الماء من كل ناحية كشوارع الطرق ، دانية من الساحل . جمعُ شارع ، من شرع عليه إذا دنا وأشرف . وكلُّ شيء

لَهُمْ أَسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسَعَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةُ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا

دنا من شيء فهو شارع . ودارُ شارعٌ : إذا دَنَتْ من الطريق . ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ ويوم لا يعظمونه تعظيم السَّبْتِ ، وذلك سائر الأيام غير يوم السَّبْتِ . يقال : سَبَتَ فلان - كَنَصَرَ وَضَرَبَ - إِذَا عَظَّمَ السَّبْتَ . ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ حيتانهم . اختبرهم الله بإظهار الحَيَّانِ لهم على ظهر الماء يوم السبت وإخفائها عنهم في غيره . ﴿نَبْلُوهُمْ﴾ نختبهم ونختبرهم بالشدة . ١٦٤ - ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ﴾ افترق أهل القرية ثلاث قِرَق : فرقة اعتدت بالصَّيْدَ يوم السبت . وفرقة نهت عنه . وفرقة سكنت فلم تفعل ولم تته عنه ، وقالت للناحية : ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فاجابها بأننا فعلنا ذلك معذرة إلى الله لوجوب التَّهْيِ عن المنكر ، وجائز أن ينتفعوا بها . فلما تركوا ما وُعظوا به أخذهم الله بالعذاب الشديد ، ونجى الفرقة الناهية . وأما الثالثة فقبل إنها ناجية ، وقيل هالكة ، والأول أصح . ﴿قَالُوا مَعْذِرَةُ﴾ أى نعظمهم لأجل المعذرة إلى الله تعالى ، وطلب عفوه ومغفرته ؛ فهو منصوب على المفعول لأجله .

يُذِيقُهُمْ مَا يَسُوُّهُمْ وَيُعْطِيهِمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ . و«تَأَذَّنْ» بمعنى آذَنَ أى أعلم . يقال : آذَنَ الأَمْرَ وبالأمر ، أعلمه . واذن تأذينا : أكثر الإعلام . ﴿يَسُوُّهُمْ﴾ يذيقهم ويكلفهم .

١٦٨ - ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ قَرَقَنَاهُمْ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ قِرْقًا حَتَّى لَا تَكُونَ لَهُمْ شَوْكَةٌ ﴿مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ﴾ أى المؤمنون ﴿وَمِنْهُمْ ذُنُوبٌ ذَلِكَ﴾ وهم غير المؤمنين . ﴿وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ﴾ عاملناهم معاملة المبتلى المختبر بالتَّعَمُّمِ والخصب والعافية ، وبالجذب والشدائد ، لِيَتَوَبُّوا وَيَرْجِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ . يقال : بَلَّاهُ يَبْلُوهُ بَلَاءً ، وَابْتَلَاهُ ابْتِلَاءً ، إِذَا جَرَّبَهُ وَاخْتَبَرَهُ .

١٦٩ - ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ...﴾ فجاء من بعد هؤلاء الذين فيهم الصَّالِحُ وغير الصَّالِحِ خَلَفٌ لا خَيْرَ فِيهِمْ ، وهم اليهود الذين كانوا في عَهْدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَالْخَلَفُ : الْقَرْنُ يَجِيءُ بَعْدَ الْقَرْنِ . وَهُوَ يَسْكُونُ اللَّامَ شَائِعٌ فِيمَنْ يَخْلَفُ بِالسُّوءِ ، وَيَفْتَحُهَا فِيمَنْ يَخْلَفُ بِالْخَيْرِ . ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضًا...﴾ يَأْخُذُونَ عَرَضًا عَنْ قَوْلِ الْحَقِّ مَتَاعَ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَهُوَ الرِّشْوَةُ فِي الْأَحْكَامِ ، وَالرِّشْوَةُ عَلَى التَّحْرِيفِ . وَالْعَرَضُ : مَتَاعُ الدُّنْيَا وَحُطَّائِمُهَا . و«الْأَذْنَى» الأقرب ، والمراد به الدنيا ، وهى مِنَ الدُّنْيَا لِلْقُرْبِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى

مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَهْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٧٠﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧١﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِمَّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ ذُنُوبٌ ذَلِكَ وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٢﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالْذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا

والمعذرة : مصدر كالمغفرة . يقال : عَذَرَهُ يَعْذِرُهُ عَذْرًا يقال : وَمَعْذِرَةٌ ، وهى التَّنْصِلُ مِنَ الذَّنْبِ . ١٦٥ - ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ شديد وجيع ، مِنْ بُؤْسِ بَيُّوسٍ بِأَسَا ، إِذَا اشْتَدَّ . ١٦٦ - ﴿عَتَوْا عَمَّا نُهَوْا عَنْهُ﴾ تكبروا عن ترك ما نُهَوْا عَنْهُ وَأَبَوْا

الصلوة إِنَّا لَنُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ * وَإِذْ تَقَفْنَا
الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا
مَاءَ آتَيْنَكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾
وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ
وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا
أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾
أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ
بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ
الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي

الآخرة . ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ
عَرَضٌ ..﴾ أى وإن أتاهم شيء
من خطام الدنيا أخذوه ، حلالاً
كان أو حراماً ، ويتمنون على الله
المغفرة . وإن وجدوا من الغد مثله
أخذوه ؛ وذلك لشدة حرصهم
على الدنيا وإصرارهم على
المعاصي . ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾
قرأوا ما في الكتاب وهو التوراة
وتدبروه مراراً ؛ فلم يزدوا على
الله ؟ .

١٧٠ - ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ ..﴾
أى والذين يتمسكون بالكتاب
الأول وهو التوراة فلم يعرفوه ولم
يغيروه ، فأذاهم ذلك إلى الإيمان
بالكتاب الثالى والعمل به وهو
القرآن - فإننا لا نضيع أجرهم .
نزلت في مؤمنى أهل الكتاب .
يقال : مَسَكْتُ وَمَسَكْتُ بِالشَّيْءِ
وَتَمَسَكْتُ بِهِ ، واستمسكت به
وأمسكت به بمعنى .

١٧١ - ﴿وَإِذْ تَقَفْنَا الْجَبَلَ ...﴾
زعزعا جبل الطور ، ورفعناه فوق
رءوسهم كأنه غمامة أو سقيفة ؛
وهو كما قال تعالى : (وَرَفَعْنَا
فَوْقَهُمُ الطُّورَ) ^(١) من التثنية وهو
الزعزعة والرفع والجذب بشدة .
يقال : تَقَفَ الشَّيْءُ يَتَقَفُهُ وَيَتَقَفُهُ
تَقَفًا ، جذبه واقتلعه . وَالظُّلَّةُ فِي
الْأَصْلِ : كُلُّ مَا أَظْلَكَ مِنْ سَقْفٍ
أَوْ غَيْرِهِ .

١٧٢ - ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ ..﴾
أى أخرج من ظهر آدم ذرئته كهينة
الذر ، ثم أخرج من هذا الذر

ذرئته كذلك ، ثم أخرج من الذر
الآخر ذرئته كذلك . وهكذا إلى
آخر النوع الإنساني . ﴿وَأَشْهَدَهُمْ
عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ قرَّره جميعاً
بربوبيته لهم . والشهادة على
النفس إقرار . ﴿قَالُوا بَلَى﴾ أى
قالوا أنت ربنا ﴿شَهِدْنَا﴾ أقرنا
على أنفسنا برُّوبيتك . ﴿أَنْ
تَقُولُوا﴾ أى لئلا تقولوا . أو كراهة
أن تقولوا . والمعنى على ما ذهب
إليه جمع من المفسرين : أنه
تعالى نصب للناس في كل شيء
من مخلوقاته ومنها أنفسهم - دلائل
توحيده وربوبيته - وركَّز فيهم
عقولاً وبصائر يتمكّنون بها تمكُّناً
تاماً من معرفتها ، والاستدلال بها
على التوحيد والربوبية ؛ حتى
صاروا بمنزلة من إذا دُعِيَ إلى
الاعتراف بها سارع إليه دون شك
أو تردد . فالكلام على سبيل المجاز
التمثيلي ؛ لكونهم في مبدأ الفطرة
مستعدين جميعاً للنظر المؤدّي إلى
التوحيد ، ولا إخراج للذرية ،
ولا قول ولا إظهار بالفعل .
وذهب جمع من السلف : إلى أن
الله تعالى أخرج من ظهر آدم ذرئته
كالذر . وأحياهم وجعل لهم
العقل والنطق ، وألهمهم ذلك
الإقرار ؛ لحديث رواه عمر رضى
الله عنه . وقد أفاض العلامة
الآلوسى في هذا المقام ، فارجع
إليه إن شئت .

ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبِعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ
الْعَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى
الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَشَبَّهُ الْكَلْبُ إِنْ تَحْمِلُ
عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرَكهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾
سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا
يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَى وَمَنْ يُضِلِلْ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا
مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ
لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ
كَأَنَّهُمْ أَصْغَرُ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾
وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ
يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾

إليه . رَكَنَ . ﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ
يَلْهَثُ...﴾ أى إن شددت عليه
وأجهدته لَهَثَ وإن تركته على
حاله لَهَثَ . فهو دائم اللَّهث في
الحالين ؛ لأن اللَّهث طبيعة فيه ،
فكذلك حال الحريص على
الدنيا ، إن وعظته فهو لحرصه لا
يقبل الوعظ . وإن تركت وعظه
فهو حريص ؛ لأن الحرص طبيعة
فيه ، كما أن اللَّهث طبيعة في
الكلب . واللَّهثُ : إذلاغ اللسان
بالنفس الشديد . يقال : لَهَثَ
الكلب - كَسَمِعَ وَمَنَعَ - يَلْهَثُ
لَهْثًا وَلَهْثًا ، إذا أخرج لسانه في
النفس .

١٧٩ - ﴿ذَرَأْنَا...﴾ خلقنا ؛
يقال : ذرأ الله خلقه يذرؤهم
ذرؤًا ، خلقهم . أخبر الله أنه
خلق كثيرًا من الثقلين لجهنم ؛
وهم الكفار المعرضون عن الآيات
وتدبرها ، الذين علم منهم أزلًا
اختيارهم الكفر ، فشاء منهم
وخلقهم فيهم ، وجعل مصيرهم
النار لذلك . واللام في « لجهنم »
للعاقبة والضرورة .

١٨٠ - ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾
يَمِيلُونَ ويَنحرفون فيها عن الحق إلى
الباطل . يقال : ألحد إلحادًا ،
إذا مال عن القصد والاستقامة .
وألحد في دين الله : حاد عنه .
ومن إلحادهم في أسمائه تسمية
أصنامهم بأسماء مشتقة منها ؛
كاللآت : من الله ، والعزى :
من العزيز ، ومناة : من المَنَّان .

﴿فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ﴾ فصار في
زمرة الضالين الراسخين في الغواية
بعد أن كان مهتدًا .
١٧٦ - ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾
أى لرفعناه إلى منازل الأبرار ،
بسبب تلك الآيات التي آتيناه إياها
والعمل بما فيها . ﴿أَخْلَدَ إِلَى
الْأَرْضِ﴾ رَكَنَ إلى الدنيا واطمأن
بها . يقال : خلد إلى كذا وأخلد

١٧٥ - ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ...﴾
أى أذكرهم قصة رجل من بني
إسرائيل أوتى علمًا ببعض كتب
الله ؛ ثم كفر بها ونبذها وراء
ظهره . ﴿فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ فخرج
منها بكفره بها . ﴿فَاتَّبَعَهُ
الشَّيْطَانُ﴾ لحقه وأدركه فصار
قُدُورًا ومتبوعًا للشيطان : أو فاتبعه
الشيطان خطواته وجعله تابعًا لها

وتسميته تعالى بما يؤهم معنى
فاسداً ، كقولهم له : يا أبيض
الوجه .

١٨١ - ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ وبالحق
يقضون ويثصفون الناس . والمراد
بهذه الأمة : أمة محمد صلى الله
عليه وسلم ؛ لقوله صلى الله عليه
وسلم : (لا تزال من أمتي أمة قائمة
بأمر الله لا يضرهم من خذلهم
حتى يأتي أمر الله تعالى وهم على
ذلك) رواه الشيخان . وقيل :
هم من آمن من أهل الكتاب .

١٨٢ - ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾
سنستدرجهم قليلاً قليلاً إلى
ما يهلكهم ويضاعف عقابهم ؛
بإذرار التعم وتواترها عليهم مع
انهاكهم في الضلال ، حتى
يفاجئهم الهلاك وهم غافلون .
وقد قيل : إذا رأيت الله تعالى أنعم
على عبد وهو مقيم على معصيته
فاعلم أنه مستدرج . وأصل
الاستدراج : الاستصعاد
أو الاستتزال درجة بعد درجة .
وهو استفعال من الدرجة بمعنى
النقل درجة بعد أخرى ، من
سفل إلى علو ، أو بالعكس .

١٨٣ - ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ أمهلهم
ملاوة من الدهر وهي المدة
الطويلة ؛ من الإملاء ، وهو
الإمهال وإطالة المدة ﴿كَيْدِيْ
مَنِينٌ﴾ أخذى شديد قوى .

١٨٤ - ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ
جَنَّةٍ﴾ من خبل وجنون ؛ من
الجَنِّ ، وهو السر عن الحاسة

وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِيْ لَهُمْ إِن كَيْدِيْ مَنِينٌ ﴿١٨٣﴾
أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِن هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ
مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ
أَجَلُهُمْ فَبَآئٍ حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَنْ يَضِلِّ اللَّهُ
فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾
يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا
عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثُقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ
خَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا

[آية ٧٦ الأنعام ص ١٨٠] .
والخبلُ يَجُنُّ العقل ويستره ،
(ما) نافية ؛ والمقصود تنزيه
للنبي صلى الله عليه وسلم عما نسبوه
إليه . وقيل : استفهامية
إنكارية ؛ أي أي شيء بصاحبهم
من الجنون .

١٨٥ - ﴿مَلَكُوتٍ﴾ هو الملك
العظيم . زيدت فيه الواو والتاء
١٨٦ - ﴿طُغْيَانِهِمْ﴾ تجاوزهم
الحد في الكفر .
١٨٧ - ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ أي متى



مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتَ مِنَ
الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ
حَمَلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ
ءَاتَيْنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا
صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيْشُرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْعًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿١٩١﴾
وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾
وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ
أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَالِمُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ

حين علم موت أولادهما ،
وحرصهما على حياتهم ، فَرَيْنَ لها
أنها إذا سَمَتْ أنها بهذا الاسم
عاش ، ففعلت وأقرها آدم على
هذه التسمية . وهو ليس شُرَكَاءَ في
العبادة وإنما هو شُرِك في
التسمية ، وهو خلاف اللاتق
بهما ، ولذا غوتبا عليه . والتعبير
بالجمع في قوله (شُرَكَاء) لأن من
استساغ الشركة في التسمية في
واحد استساغها في الأكثر .
وقيل : المراد بالنفس الواحدة
آدم ، وبالزوج حواء ، وقد دَعَوَا
رَبَّهُمَا حين أنقلها الحمل : لئن
آتَيْنَا ولدًا صالحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ
الشَّاكِرِينَ ، فلما آتاهما صالحًا
جعل أولادهما من بعدهما لله شركاء
فما آتَى أولادهما من الأولاد . وعلى
المعنيين قد تَمَّ الكلام بقوله : (فِيمَا
آتَاهُمَا) ثم ابتدأ بالخير عن الكفار
بقوله : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴾ . وقوله :

﴿ تَغَشَّاهَا ﴾ أي تَدَثَّرَهَا لقضاء
شهوته ، وهو كناية عن ذلك
بديعة ﴿ فَمَرَّتْ بِهِ ﴾ فاستمرت به
بغير مشقة . ﴿ أَثْقَلَتْ ﴾ صارت
ذات ثقل بكبر الحمل ، فلهمة
للضيق . ﴿ لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا ﴾
رَزَقْنَا نَسْلًا سَوِيًّا صالحًا لعمارة
الأرض ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ
الشَّاكِرِينَ ﴾ لنعمائكم .

١٩٠ - ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ ﴾
بتسمية ولديهما عبد الحارث
بوسوسة إبليس مريدًا بالحرث -

منكم . ﴿ كَأَنَّكَ خَفِيٌّ عَلَيْهَا ﴾ أي
كأنك عالمٌ بها ، من خَفِيَ عن
الشيء ، إذا بحث عن تعرف
حاله . ومن بحث عن شيء وسأل
عنه استحكم علمه به ، فأريد به
لأزم معناه مجازًا أو كناية . وعُدِّي
(خَفِيٌّ) يَعْنِ اعتبارًا لأصل
معناه ، وهو السؤال والبحث .
١٨٩ - ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ
نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ نزلت الآية في
تسمية آدم وحواء ولديهما بعبد
الحرث ، بوسوسة إبليس لحواء -
وكان يُسَمَّى بين الملائكة الحرث -

إثباتها واستقرارها ، والمراد متى
قيامها . آيَات : ظرفُ زمان
متضمنٌ معنى الاستفهام بمعنى
متى ، في محل رفع خبر مقدم ،
(مَرَّسَاهَا) مبتدأ مؤخر . وهو
مصدر ميمي ، من أرساه إذا أثبتته
وأقره . ﴿ لَا يُجْلِيهَا ﴾ لا يظهرها
ولا يكشف عنها . ﴿ أَثْقَلَتْ فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ شَقَّتْ
أو عَظُمَتْ على أهلها ، لخوفهم
من شدائدها وأهوالها ، من الثقل
ضد الخفة . (وَفِي) بمعنى على .
﴿ بَغْتَةً ﴾ فجأة ، على حين غفلة

نفسه . ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أى العرب بعبادة الأصنام .

١٩٤ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ أى إن هذه الأصنام التى تعبدونها من دون الله ، وتعتقدون فيها التفع والضّر إنما هى عبادٌ مملوكةٌ لله تعالى ، مُسَخَّرَةٌ مُذَلَّلَةٌ لقدرته - أمثالكم فكيف تعبدونها ؟! وأطلق عليها (عبادٌ) مع أنها جمادٌ وفق اعتقادهم فيها ، تبيكنا لهم وتوبيخنا .

١٩٥ - ﴿فَلَا تُنْظِرُونَ﴾ فلا تمهلونى ساعة بعد تدبير كيدكم مستعينين بشركائكم ، فإنى لا أبالى بكم ، من النظر بمعنى التأخير والإمهال .

١٩٩ - ﴿خُذِ الْعَقْوَ...﴾ أى أقبل ما عفا وتيسر من أخلاق الناس ، وارضى منهم بما تيسر من أعمالهم وتسهّل من غير كلفة ، ولا تطلب منهم ما يشقّ عليهم ويرهقهم حتى لا ينفروا . ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ أى بالمعروف المستحسن من الأفعال ، وهو كل ما عرف حسنه فى الشرع ، فإن ذلك أقرب إلى قبول الناس من غير تكبر .

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ وهذه الآية أجمع آية فى القرآن لمكارم الأخلاق .

٢٠٠ - ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ وإن تعرض لك من الشيطان وسوسة فاستجر بالله والجا إليه فى دفعها عنك ، من النزغ بمعنى التخس والعز ، وهو

مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكَ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَمْ أَرْجُلَ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ ءِاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظِرُونَ ﴿١٩٥﴾ إِنْ وَلِئِيَ اللَّهُ الَّذِى تَزَلُ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَلْبِغُونَ نَصْرَكَ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ الْعَقْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِنَّمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنْ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغِيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِغَايَةِ قَوْلِهِمْ لَوْلَا آجِبْنَاهَا

إدخال الإبرة أو طرف العصا طاف الشيء ، إذا دار حوله ونحوها فى الجلد ، وإطلاقه على الوسوسة مجاز .

٢٠١ - ﴿مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ لَمَّةٌ منه وسوسة ، بما فيه صدق عما يجب حقاً لله تعالى أوللعباد ، مريدًا بذلك اقتناصهم وإفسادهم . يقال : المَدُّ وهو الزيادة . يقال : مَدَّ

وجه وأكملة ﴿يَسْجُدُونَ﴾
يخضعون له تعالى ويعبدونه . والله
أعلم .

قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَإٌ
مِنْ رَبِّكَ وَهَدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ
الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾
وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنْ
الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾
إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ
وَيَسْبَحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾

سجدة

نَفْسِكَ ﴿ أَى استحضرت عظمته
جلّ جلاله في قلبك ﴿تَضَرُّعًا﴾
متضرّعًا متذللاً له . ﴿وَخِيفَةً﴾
خائفًا منه تعالى متذللاً له .
﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾
عطفت على (في نَفْسِكَ) أى اذكر
ربك ذكرًا في نفسك . وذكرًا
بلسانك دون الجهر . والمراد
بالجهر : رفع الصوت بإفراط .
وبما دونه ما هو أقل منه : وهو
الوسط بين الجهر والخافتة .
﴿وَالْغُدُوِّ﴾ وهو ما بين طلوع
الفجر وطلوع الشمس .
﴿وَالْآصَالِ﴾ جمع أصيل :
وهو من العصر إلى الغروب .
والمراد : دوام الذكر واتصاله
بقدر الإمكان . أى اذكر الله في
كل وقت . وراقبه في كل حال .
﴿وَيَسْبَحُونَهُ﴾ يترهونه
عن كل ما لا يليق بجلاله على أبلغ

بمؤنه زاده . و(الغنى) مصدر
غوى يغوى غيًا وغواية . ﴿ثُمَّ﴾
لا يُقْصِرُونَ ﴿ ثُمَّ لا يكفون عن
ذلك الإغواء حتى يبرؤوهم
بالكلية ؛ من أقصر عن الشيء .
إذا كف عنه ونزع مع القدرة
عليه . أو ثم لا يكف هؤلاء الناس
عن العى بل يبادون فيه .

٢٠٣ - ﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾
قالوا تهاكمًا : هلا جمعتها من
عند نفسك ! . يقال : جيت
الماء في الحوض ، جمعته ؛ ومنه
قيل للحوض : جابية لجمعه
الماء . أو هلا اخترعته عن نفسك .
يقال : اجتبيت الكلام واختلقته
وانتحلته واخترعته ؛ إذا افترعه
من قبل نفسك ﴿هَذَا بَصَائِرُ﴾
القرآن حجج بيّنة وبراهين نيرة .

٢٠٥ - ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي

سورة الأنفال

١ - ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ أى عن الغنائم ، وهى الأموال المأخوذة من الكفار قهراً بقتال . جمع نفل ، وأصله الزيادة . تقول : نفلتك ونفلتك ، أى زدتك . وسُميت أنفالاً لأنها زيادة خص الله تعالى بها هذه الأمة ؛ إذ كانت محرمة على من قبلهم من الأمم . سأل بعض أهل بذر النبي صلى الله عليه وسلم عن حكمها ، حين تنازعوا فى قسمتها ؛ فنزل الآية باختصاص حكمها بالله ورسوله ، يقسمها الرسول صلى الله عليه وسلم كما أمره الله تعالى ؛ فقسمها بينهم على السواء . ﴿لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ مفضوض إليهما أمرها ﴿وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ بعد أن أمرهم الله تعالى بالتقوى وامثال أمره وأمر رسوله ، أمرهم بإصلاح ذات بينهم . ﴿ذَاتَ﴾ كلمة بمعنى صاحبة ، ولا تستعمل إلا مضافة إلى الظاهر ؛ كذات الصدور ، وذات الشوكة . والبيان : يطلق على الوصلة وعلى الفرقة ؛ أى راعوا أحوالاً تحقق اتصالكم ، وهى ما يقتضيه كمال الإيمان من المؤادة والمصافاة فأحرصوا عليها . أوراغوا أحوالاً توجب فرقتكم فاجتنبوها . ثم وصف كاملي الإيمان بالصفات الخمس الآتية ؛ ترغيباً للسائلين فى

(٨) سُورَةُ الْأَنْفَالِ مِلَّةٌ
إِلَّا مِنْ آيَةِ ٣٠ إِلَى غَايَةِ آيَةِ ٣٦ فَكَيْتَةٌ
وَأَيُّهَا ٧٥ نَزَلَتْ بَعْدَ الْبَقَرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ
اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ
إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا
لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾
كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ

الاتصاف بها .

ولتفاوت مراتب اليقين إلى علم اليقين ، وحق اليقين ، وعين اليقين . ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ يعتمدون فيقوضون أمورهم كلها إليه تعالى وحده ؛ فلا يرجون غيره ، ولا يطلبون إلا منه ، ولا يرغبون إلا إليه .
٣ - ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [آية ٣ البقرة ص ٤] .
٤ - ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أى أولئك المتصفون بهذه الصفات ،

٢ - ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ خاف وفزع ، استعظماً لجلاله ، وحذراً من عقابه . والوجل : استشعار الخوف . يقال : وجل وجللاً فهو وجلٌ ، إذا خاف . ﴿زَادَتْهُمْ إِيْمَانًا﴾ أى زادتهم تلاوتها تصديقاً وقيتاً . والتصديق : لاشك فى تفاوته للفرق الظاهريين تصديق الأنبياء وآحاد الناس ،

أو النَّفِير ، فلما نجت العير عِلْمُ أَنْ
الظفر الموعود به إنما هو على النفير .
والعِيرُ : الإبل الحاملة لأموالهم ،
الآتية من الشام إلى مكة .
والتَّغْيِيرُ : المشركون الذين
استنفرهم أبو سفيان للقتال دون
العير . والطائفة من الناس :
الجماعة منهم . ومن الشيء :
القطعة منه .

٧ - ﴿ذَاتِ الشُّوْكَ﴾ أي

السلاح . أو الشدة والقوة . وذاتُ
الشُّوكَّة هي النفير . وقد أُجِّبُوا أَنْ
تكون لهم طائفة العير دون طائفة
النفير التي فيها القتال بالسلاح ،
ولكن الله أراد لهم وللإسلام ما هو
خير ، فكأنهم من أعدائهم وأعدى
الإسلام بنصرهم . ﴿وَيَقْطَعُ دَابِرَ
الْكَافِرِينَ﴾ أي آخرهم [آية ٤٥
الأنعام ص ١٧٥] . وقد هلك
في هذه الغزوة صناديد قريش
وعصابة المستهزئين ، وهم أئمة
الكفر في مكة . ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ
رَبَّكُمْ﴾ تطلبون منه العوث
والتصر على عدوكم . والعوث :
التخليص من الشدة ، فأجاب
دعاءكم بأنه مرسل إليكم مدداً
ألفاً من الملائكة ﴿مُرْسِلِينَ﴾ أي
متتابعين بعضهم في إثر بعض .
يقال : أَرْدَقْتُهُ وَرَدَّقْتُهُ بمعنى
تبعته . وقد قاتلت الملائكة في بدر
على الصحيح ، ولم تقاتل في
غيرها ، وإنما كانت تنزل لتكثير
عدد المسلمين [آية ١٢٤ ، ١٢٥

مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾
وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ
غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ
بِكَلِمَتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ
وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ

الغزوة ، مع أنهم كانوا ردة لهم .
فكان في الأمر بالقسمة بالسوية
خير للمؤمنين ، إذ أصلح الله بينهم
وردهم إلى حالة الرضا والصفاء .
والثانية كراهة بعض أهل بدر قتال
قريش ، بعد نجاة العير التي
خرجوا لأجلها ، لخروجهم من
غير استعداد للقتال لا بعدد
ولا بعدد ، فكان في القتال الذي
أمروا به عزة الإسلام وخضد
شوكة الكفر والطغيان . وفي هذه
الآية تنويه بأن الخير فيما قدره الله
لا فيما يظنون .

٦ - ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ...﴾

أي يجادلونك في أمر القتال
بقولهم : ما كان خروجنا إلا للعير
دون تأهب للقتال . ﴿يَعِدُّ مَا
تَبَيَّنَ﴾ الحق بإعلامك أنهم
يُنْصَرُونَ أيما توجهوا . وقد
أخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم
قبل نجاة العير بأن الله وعده الظفر
بإحدى الطائفتين : العير

الجامعون بين الإيمان والعمل ،
هم المؤمنون إيماناً حقاً ، أي ثابتاً
صدقاً ، وهو الإيمان الكامل .

٥ - ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ أي

حال بعض أهل بدر في كراهة
قسمة الغنيمة بالسوية ، مثل حال
بعضهم في كراهة الخروج
للقتال ، مع ما في هذه القسمة
والقتال من الخير . فالكاف بمعنى
مثل ، خبر مبتدأ محذوف وهو
المشبه ، والمذكور هو المشبه به ،
ووجه الشبه مطلق الكراهة .
وما ترتب على كل من المكروهين

من الخير للمؤمنين . وقد وقعت في
هذه الغزوة كراحتان بحكم الطبيعة
البشرية ، أعقبا إذعان وتسليم
ورضى من الصحابة رضوان الله
عليهم . الأولى - كراهة شبان أهل
بدر قسمة الغنيمة بالسوية ،
وكانوا يُحِبُّون الاستئثار بها ،
لأنهم هم الذين باشروا القتال دون
الشيخ الذين كانوا معهم في

١١ - ﴿إِذْ يُغَشِّكُمُ النَّعَاسُ﴾ يجعله غاشياً لكم كالغطاء من حيث اشتاله عليكم ؛ من غشاه تغشيه غطاه . والنعاسُ : أول النوم قبل أن يَنُقَل . ﴿أَمْتَةً مِنْهُ﴾ تعالى لكم ، يزيل به عن قلوبكم الرغب ويقويكم بالاستراحة به على القتال في الغد . مصدر بمعنى الأمن ، وهو طمأنينة القلب وزوال الخوف . يقال : أمِئتُ من كذا أَمْتَةً وَأَمْتًا وَأَمَانًا ، بمعنى ﴿رَجَزَ الشَّيْطَانُ﴾ وسوسه لكم وتخوفه إياكم من العطش . وأصل الرجز : الاضطراب ، ويطلق على كل ما تشتد مشقته على النفوس ﴿لِيَرْبِطَ﴾ يشد ويقوى باليقين والصبر .

١٢ - ﴿أَنَّى مَعَكُمْ﴾ أى بالعون والنصر . وقد بين الله ذلك بقوله : ﴿سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّغْبَ﴾ أى الخوف والانزعاج . وأصله : الانقطاع من امتلاء النفس بالخوف من المكروه ﴿فَأَضْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ بيان لكيفية التثبيت . والأعناق : الرءوس . والبنان : الأصابع ، جمع بنانة ؛ من قولهم : أبْنُ الرجل بالمكان ، وبين بين إذا أقام به . وسُميت بناناً لأن بها إصلاح الأحوال التي بها يمكن أن يبين ، أى يقيم . وقيل البنان هنا : مطلق الأطراف لوقوعها في

رَبِّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّكُمُ النَّعَاسُ أَمْتَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيَطْهَرَكُمْ بِهِ وَيَذْهَبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّغْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ كَفْؤُهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ

مقابلة الأعناق .

١٣ - ﴿شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ خالفوا أمرها . والمُشَاقَّةُ : المخالفة وأصلها المجانبة ؛ لأنهم صاروا في شِقِّ وجانب عن شِقِّ المؤمنين وجانبهم .

١٥ - ﴿زَحَفًا﴾ زاحفين نحوكم ، أو يزحفون زحفاً

لقتالكم . والرَّحْفُ : انبعاث من جرَّ الرجل ، كانبعاث الصبي قبل أن يمشي ، والبعير إذا أعيا . أو هو الدَّيْبُ في السير . سُمِّيَ به الجيش الكثيف المتوجّه للعدو ؛ لأنه لكثرتِه وتكاثفه يُرى كأنه جسم واحد يزحف يبطء وإن كان سريع السير . ﴿فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ أى تدبروا لهم ظهوركم

له .

١٧- ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ أي فلم تقتلوهم بحولكم وقوتكم مع كثرة عددهم وقلة عددكم ، ولكن الله هو الذي أظفركم بهم بحوله وقوته .
 ﴿وَمَارِمَيْتَ﴾ بالرعب يوم بدر في قلوب الأعداء ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ في وجوههم بالحصاء ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ بالرعب في قلوبهم فهزمهم ونصرهم عليهم . أو لما أوصلت الحصاة إلى أعينهم ، إذ رميتهم بها ولكن الله هو الذي أوصلها إليهما . ﴿وَيُبَلِّغُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ﴾ اللام للتعليل متعلقة بمحذوف مؤخر ، ولتحسين إليهم ويُنعم عليهم بالنصر والنعمة فعل ما فعل ، لا لشيء آخر ، والبلاء هنا محمول على الإحسان والنعمة ، ويطلق أيضا على المحنة . وأصله الاختيار ، وهو كما يكون بالنعمة لإظهار الشكر ، كما يكون بالمحنة لإظهار الصبر .

١٨- ﴿مُوهِنٌ﴾ مضعف .
 ١٩- ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا﴾ إن تطلبوا النصر لأعلى الجُندين وأهدى الفئتين فقد جاءكم النصر ، حيث نصر الأعلى والأهدى . قيل لهم هذا تهكما بهم . روى أنهم حين أرادوا الخروج إلى بدر تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا : اللَّهُمَّ انصر أعلى الجُندين وأهدى الفئتين ،

دبره ، إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيُنْسُ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾
 فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَارِمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكَ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَكَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تُعَوِّدُوا نُعْذِرْكُمْ وَلَنْ تَغْنِي عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ

والطَّرَف ، ومنه الاحتراف والتخريف . ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ﴾ أو إلا أن يكون في توليه منحاذا إلى جماعة أخرى من الجيش ، ومنضمًا إليها للتعاون معها على القتال ، من التحيز وهو الانضمام . يقال : حُزْتُ الشيء أحوزه ، إذا ضمته . والفِئَةُ : الجماعة من الناس ، سُمِّيَتْ فِئَةً لرجوع بعضهم إلى بعض في التعاضد ، وجمعها فئات ﴿بَاءَ بِغَضَبٍ﴾ رجع متلبسًا به مستحقًا

منهزمين ، والمنهزم يولّى ظهره من انهزم منه . والأدبار : جمع دبر ، وهو خلاف القبيل ، ويطلق على الظهر وهو المراد هنا .
 ١٦- ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ﴾ أي إلا أن يكون في توليه منعطفًا عن موقفه إلى موقف آخر أصلح للقتال فيه . أو إلى قتال طائفة أخرى أهم من هؤلاء . أو خادعًا للعدو بالفرقة ، مريدًا الكثرة ، والحرب خدعة . وأصل التحريف : الزوال عن جهة الاستواء إلى جهة الحرف



وَأَحْكَمَ الْحَزِينِ ؛ فَكَانَ ذَلِكَ فِي
نَفْسِ الْأَمْرِ دَعَاءً عَلَى أَنْفُسِهِمْ ،
لَا عَلَى الرَّسُولِ وَأَصْحَابِهِ .

٢٢ - ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ نَزَلَتْ
فِي نَفَرٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ بْنِ
قُصَيٍّ ، كَانُوا يَقُولُونَ : نَحْنُ صُمٌّ
بُكْمٌ عُمَى عَمَّا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ؛
فَقَتَلُوا جَمْعًا يَوْمَ بَذَرٍ ، وَلَمْ يَسْلَمْ
مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلَانِ . وَأُطْلِقَ الدَّابَّةُ
عَلَى الْإِنْسَانِ حَقِيقِيٌّ ؛ لِأَنَّهَا تُطْلَقُ
عَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ فِي الْأَرْضِ مُمَيِّزٌ
أَوْ غَيْرُ مُمَيِّزٍ .

٢٤ - ﴿يُخَيِّكُمُ﴾ يُوَرِّثُكُمْ حَيَاةَ
أَبَدِيَّةٍ فِي نَعْمٍ سَرْمَدِيٍّ . ﴿أَنَّ اللَّهَ
يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ أَيُّ حَوْلٍ
بَيْنَ الْمَرْءِ وَخَوَاطِرِ قَلْبِهِ ، فَيَمْنَعُهُ مِنْ
حُصُولِ مَا لَمْ يُرْذَلْ مِنْهُ ؛ فَلَا يَقْدِرُ
الْإِنْسَانُ أَنْ يُدْرِكَ مِنْ إِيمَانٍ
أَوْ كُفْرٍ ، أَوْ أَنْ يَعْبَى شَيْئًا
إِلَّا بِمَشِئَتِهِ تَعَالَى ؛ مِنَ الْحَوْلِ بَيْنَ
الشَّيْءِ وَالشَّيْءِ ، بِمَعْنَى الْحِجْزِ
وَالْفَصْلِ بَيْنَهُمَا . وَهُوَ مُجَازٌ عَنْ
غَايَةِ قُرْبِهِ تَعَالَى مِنَ الْعَبْدِ .

٢٥ - ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾ احْذَرُوا
إِبْتِلَاءَ اللَّهِ تَعَالَى وَحِمَّةَ تَنْزِلِ
بِكُمْ ، تَعَمُّ الْمُسَىءَ وَغَيْرَهُ ؛
كَالْقَحْطِ وَالْغَلَاءِ ، وَتَسَلَّطِ
الظُّلْمَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَالْمُرَادُ التَّحْذِيرُ
مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي هِيَ أَسْبَابُ
الْإِبْتِلَاءِ ؛ كَأَقْرَارِ الْمُنْكَرَاتِ وَالْبِدْعِ
وَالرَّضَا بِهَا ، وَالْمَدَاهِنَةِ فِي الْأَمْرِ
بِالْمَعْرُوفِ ، وَافْتِرَاقِ الْكَلِمَةِ فِي

الْهَمُّ الْبُكَرُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ
خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾
يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا
يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ
إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٥﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا
مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٦﴾
وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ
أَنْ يَخْطَفَكُمْ النَّاسُ فَعَاوَنَكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ
مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَسْكُرُونَ ﴿٢٧﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ
وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٩﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
إِنْ تَنَفَّسُوا اللَّهَ يَجْعَلَ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٣٠﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ

الْحَقُّ ، وَتَعْطِيلِ الْحُدُودِ ، وَفُتُو
الْمَعَاصِي وَنَحْوِ ذَلِكَ . وَفِي حَدِيثٍ
عَائِشَةَ مَرْفُوعًا : (إِذَا ظَهَرَ السُّوءُ
فِي الْأَرْضِ أَنْزَلَ اللَّهُ بِأَهْلِ الْأَرْضِ
بَأْسَهُ) فَقَالَتْ : وَفِيهِمْ أَهْلُ طَاعَةِ
اللَّهِ ؟ قَالَ : (نَعَمْ) ثُمَّ يَصِيرُونَ إِلَى
رَحْمَةِ اللَّهِ (١) .
٢٦ - ﴿يَخْطَفُكُمُ النَّاسُ﴾
يَسْتَلْبِقُكُمْ وَيَصْطَلِمُكُمْ بِسُرْعَةٍ .
٢٧ - ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾
أَيُّ بَرَكَةٍ فَرَّائِضَ اللَّهِ وَسَنَنِ رَسُولِهِ
وَارْتِكَابِ الْمَعَاصِي ؛ مِنَ الْخَوْنِ
وَهُوَ النِّقْصُ . يُقَالُ : خَوَّنَهُ
تَخْوِينًا ، نَسَبَهُ إِلَى الْخِيَانَةِ وَنَقَصَهُ .
وَالْخَائِنُ : يَنْقُصُ الْمَخُونُ شَيْئًا مِمَّا
خَانَهُ فِيهِ .

عبد الدار ، قاله استهزاء وإمعاناً
في الجحود ، فنزل جواباً له :

٣٣- ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾

أى وما كان الله مريداً لتعذيبهم
تعذيباً استتصال ، وأنت مقيم
بين أظهرهم بمكة . وقد جرت سنة
الله ألا يهلك قريةً مكذبةً وفيها
نبيها والمؤمنون به ، حتى يخرجهم

منها ثم يعذب الكافرين ﴿وَمَا كَانَ

اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ...﴾ أى وما كان الله

معذب هؤلاء الكافرين وبين

أظهرهم بمكة من المؤمنين

المستضعفين من يستغفر الله ، وهم

الذين لم يستطيعوا الهجرة حين

هاجر الرسول صلى الله عليه

وسلم ، وهو كقوله تعالى (لَوْ تَرَىٰ

لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا

أَلِيمًا) (١) وإسناد الاستغفار إلى

ضمير الجمع لوقوعه فيما بينهم ،

وليجعل ما صدر عن البعض بمنزلة

ما صدر عن الكل ، كقولهم :

بنو نعيم قتلوا فلاناً ، والقاتل

أحدهم .

٣٤- ﴿وَمَا لَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾

وأى شئ يمنع من عذابهم بعد

خروجك وخروج المستضعفين من

بين أظهرهم ، أى لا مانع منه بعد

ذلك خصوصاً بعد مقتضيه . وقد

أوقع الله بهم بأسه يوم بدر فقتل

صناديدهم ، وأسیر سرائهم

وأذلوا .

٣٥- ﴿مُكَاء﴾ صغيراً . يقال :

الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ

وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ

آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا

إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا

هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا

بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ

وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ

أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا

كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الْمُتَفَنُّونَ وَلَكِنْ

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا

مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾

ويحبط كيدهم ، ويدبر أمرك

ويحفظك منهم . أويجازهم على

مكرهم [آية ٥٤ آل عمران

ص ٨٢] .

٣١- ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾

أى مثل هذا القرآن ﴿إِنْ هَذَا

إِلَّا أَصَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ماسطوره

في كتبهم من الأحاديث

المكذوبة ، والقصاص المتخيّلة

[آية ٢٥ الأنعام ص ١٧٢] .

٣٢- ﴿وَإِذْ قَالُوا...﴾ القائل هو

الضربين الحارث من بني

٢٩- ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾

هداية في قلوبكم ، تفرقون بها بين

الحق والباطل . أو نصراً يفرق بين

المُحَقِّق والمُبْطِل . أو مخرجاً من

الشبهات . أو نجاة مما تخافون .

أو جميع ذلك .

٣٠- ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ أى بالوثاق .

أو بالإلغاف بالجراح حتى

لا تستطيع حراكاً ، ومنه : رجل

مُثْبِتٌ ، لا حراك به من المرض .

وأثبتته السقم : إذا لم يفارقه .

﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ يردّ مكرهم ،

مكا الطيرُ يَمَكُو مَكُواً ومُكَاءٌ ، إذا صَفَرُ . وهو في الأصل اسم طائر أبيض يوجد بالحجاز له صغير . ﴿ وَتَصْدِيئَةٌ ﴾ تصفيقا . وكانوا يَطُوفُونَ بالبيت عِراءَ ، يَصْفِرُونَ ويصفقون ، وكانوا إذا سمعوا الرسول صلى الله عليه وسلم يصلي ويتلو القرآن صَفَرُوا وصفقوا ، ليخلطوا عليه قراءته ، ويشغلوا عنه من يسمعه .

٣٦ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ﴾ نزلت في الْمُطْعِمِينَ يوم بَدْر ، وكانوا اثني عشر رجلا من قريش - منهم أبو جهل - يُطْعِم كل واحد منهم كل يوم عشر جُرُر . ﴿ ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴾ أى ندامة وأسفا لفواتها من غير ثمرة . يقال : حَسِرَ يَحْسِرُ ، ندم . والحسرة اسم منه ، وهى التلطف والتأسف على الفات [آية ١٦٧ البقرة ص ٣٨] .

٣٧ - ﴿ قَبِرْكُمُ جَمِيعًا ﴾ يجمعه ويضم بعضه إلى بعض . يقال : رَكَمَ الشيء يَرْكُمُهُ ، إذا جمعه وألقى بعضه على بعض . وارتكَم الشيء وتراكَم : اجتمع ؛ ومنه : (سَحَابٌ مَرْكُومٌ) ^(١) .

٣٨ - ﴿ سَنَةُ الْأُولَيْنِ ﴾ عادة الله فى المكذبين لرسله .

٣٩ - ﴿ لَا تَكُونُ فِتْنَةً ﴾ لا يوجد منهم شرك . أو لا يفتتن مؤمن عن دينه .

(١) آية ٤٤ الطور .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كَلُمَهُ اللَّهُ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴿٤٠﴾ * وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۚ إِن كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّبَعِ الْجَمْعَانِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ

٤١ - ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ ... ﴾ الغنيمة : ما أخذ من أموال الكفار قهراً بقتال . أو إيجاب خيل أو ركاب ؛ من الغنم وهو الفوز . يقال : غَنِمْنَا وغَنِمْنَا ، إذا ظفر بالشيء . وأما ما أخذ منها بغير قتال ولا إيجاب فهو الفىء ؛ وسيأتى فى سورة الحشر . والغنيمة خُمُسٌ ؛ فيعطى أربعة أخماسها ملكاً للمقاتلة الذين أحرزوها . والخمس الباقى كان فى عهد النبوة خمسة أسهم : للرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل . وقوله :



الَّذِينَ هُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبِ أَسْفَلَ مِنْكُمْ
وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ
أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ
حَى عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ
فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ كَثِيرًا قَلْبُكُمُ وَلَسْتَرْعَهُمْ
فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾
وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ
فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ
تَرْجِعُ الْأُمُورُ ﴿١٤﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً
فَاتَّبِعُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٥﴾ وَأَطِيعُوا

الغير وأصحابها أبو سفيان ومن
معه ﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ أى فى
مكان أسفل من مكانكم إلى
ساحل البحر الأحمر ، على ثلاثة
أميال من بدر . ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ
لَاخْتَلَفْتُمْ﴾ أى لو تواعدتم أنتم
وهم للقتال ، ثم علمتم حالهم
وحالكم لتختلفتم عن لقاءهم فى
الميعاد ، هية منهم وبأساً من
الظفر بهم ، بسبب قتلكم
وكثرتهم ، وضعفكم وقوتهم ،
﴿وَلَكِنْ﴾ تلاقيتهم على غير موعد
﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾
وهو نصركم وخذلانهم ﴿لِيَهْلِكَ
مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ لموت من
يموت عن حجة عاينها ﴿وَيَحْيَى
مَنْ حَى عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ ويعيش من
يعيش عن حجة شاهدها ،
فلا يبقى مجالٌ للتعلل بالأعذار .

أولئك من كفر ، ويؤمن من
آمن عن حجة واضحة ظاهرة .
٤٣ - ﴿لَفَشَلْتُمْ﴾ لجشتم ونهيتهم
الإقدام عليهم ، لكثرة عددهم
وعُددهم . من الفشل وهو ضعف
مع جبن .

٤٤ - ﴿وَيُقَلِّلْكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾
حين الالتقاء قبل الالتحام ، حتى
قال أبو جهل : إنما هم أكلة
جزور . وذلك ليجزئوا عليكم ،
ويتركوا الاستعداد والاستمداد .
ثم عند الالتحام كثركم فى أعينهم
حتى رأوكم مثلهم ، لتفاجئهم
الكثرة فيهنوا ويهابوا [آية ١٣ آل

﴿فَإِنَّ اللَّهَ خُمُسُهُ﴾ أى فحكمه أن
لله خُمُسُهُ وذكر الله تعالى لبيان أنه
لا بد فى الخمس من إخلاصه له
تعالى ، وأنه هو الحاكم به فيقسمه
كيف شاء . وليس المراد أن له
سهماً منه مفرداً ، لأن له كل
شئ ، فسهم الله وسهم رسوله
شئ واحد . وأما بعده صلى الله
عليه وسلم فقد سقط سهمه كما
سقط سهم ذوى القربى ، وإنما
يُعطون لفقرهم ولا يعطى
أغنياؤهم ، فيقسم الخمس على
اليتامى والمساكين وأبناء السبيل .
وقيل : يُصرف سهم الرسول صلى
الله عليه وسلم فى خمس
المذاهب فى قسمة الخمس وفى
الفتىء فى كتب الفروع . ﴿يَوْمَ
الْفُرْقَانِ﴾ أى يوم بدر ، الذى
فرق فيه بين الحق والباطل .
٤٢ - ﴿بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾
بجانب الوادى وخافته الأقرب إلى
المدينة ، ﴿وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ
الْقُصْوَى﴾ أى بالجانب الآخر
الأبعد منها . و(الدُّنْيَا) تأنيث
الأدنى بمعنى الأقرب .
و(القُصْوَى) : مؤنث الأقصى
أى الأبعد . ﴿وَالرَّكْبِ﴾ أى

٤٦ - ﴿وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾
قوتكم ودولتكم . وأطلق على
الدولة - بالفتح - ريح لشيها بها
في نفوذ الأمر وتمشي . تقول
العرب : هبت رياح فلان . إذا
دالت له الدولة : وجرى أمره على
ما يريد . وذهبت رياحه : إذا
ولت عنه وأدبر أمره .

٤٧ - ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
خَرَجُوا﴾ نزلت في مشركي مكة
الذين خرجوا لاستنقاذ العير
﴿بَطْرًا﴾ طغياناً في النعمة بترك
شكرها ، واتخاذها وسيلة إلى مالا
يرضى الله . أوفخراً وخيلاء .
والبطر : دهش يعتري الإنسان
من سوء احتمال النعمة وقلة القيام
بحقها ، وصرفها إلى غير وجهها .
وفعله كفرح . ﴿وَرِثَاءَ النَّاسِ﴾
ومراءاة للناس ليحمدوا لهم
شجاعتهم وسماحتهم .

٤٨ - ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ مجير
ومعين وناصر لكم . والجار :
الذي يجير غيره : أى يؤمنه مما
يخاف . والجار : الناصر
والحليف . ﴿نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾
رجع القهقري وولى هارباً .
أو بطل كيده وذهب ما خيله إليهم
من الثصرة والعون . يقال :
نكص عن الأمر نكوصاً
ونكصاً ، تكأ كما عنه وأحجم .
والعقب : مؤخر القدم . ونكص

اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا تَنْزِعُوا فَتَنْفَسُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ
وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيْنَ
لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ
النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئْتَانِ نَكَصَ
عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ
إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ
الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَى
إِذْ يَتَوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَصْرُبُونَ وجوههم
وَأَدْبَرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ
أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَذَابٌ ءَالِ

على عقيبه : رجع عما كان عليه
من خير . أى ليس بذى ظلم لهم ، إذ
يعذبهم بسبب ما قدمت أيديهم

من الذنوب ، بل ذلك عدل .

فظلام صيغة نسب ، كلبان
وتمار . أو هى صيغة مبالغة
والتكثير لكثرة العبيد ، كأنه
قيل : ليس بظالم لفلان ولا بظالم
لفلان ، وهكذا ، فلما جمع

هؤلاء عدل إلى ظلام لذلك .

٥٠ - ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَقَّى..﴾

ولو رأيت ما يصيب قتلى بدر من
أشد صنوف العذاب حين تقبض
الملائكة أرواحهم ، لرأيت منظرًا
فظيعًا .

٥١ - ﴿لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾

بعد ذلك فنكثوا ومالخوا المشركين عليه يوم الخندق ، وركب زعيمهم كعب بن الأشرف إلى مكة فحالف المشركين على حرب الرسول صلى الله عليه وسلم . فهم شر الدواب ، لتماديم في الكفر ورسوخهم فيه ، ولذا قال تعالى : ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

٥٧ - ﴿فَإِذَا تَشَفَّعْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾ . فإن ظفرت بهم في الحرب فافعل بهم فعلاً من القتل والتشكيل لتفرق به جمع كل ناقض للعهد ، حتى يخافك من وراءهم من أهل مكة وغيرها . يقال : ثقفه يتقفه ، صادفه أو ظفربه أو أدركه . وشردت بني فلان : قلعته عن مواطنهم وطردهم عنها حتى فارقوها .

٥٨ - ﴿وَإِذَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ . أى وإما تعلمن من قوم بينك وبينهم عهد مشاركتهم نقضه خيانة منهم ، بأمارات تلوح لك كما ظهر من بنى النضير فاطرح إليهم عهدهم . ﴿فَإِنِذَ إِلَيْهِمْ﴾ فاطرح إليهم عهدهم وخاربههم . ﴿سِوَاءِ﴾ أى على طريق مستور ظاهر ، بأن تعلمهم ببذك عهدهم قبل أن تحاربهم ، حتى تكون أنت وهم في العلم ببذك العهد سواء ، فلا يتوهم أحد فيك الغدر . أما إذا ظهر نقضهم العهد ظهوراً مقطوعاً به ، فلا حاجة إلى إعلامهم بالبذ . والبذ : إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به ،

فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِذَا تَشَفَّعْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَن خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانِذِ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

والطاعة ، وقابلوها بالكفر والعصيان ، بدل نعمهم ينقم جزاءً وفاً ، وهو كقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (١) .

٥٥ - ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ . نزلت في يهود قريظة ، الذين عاهدوا الرسول صلى الله عليه وسلم على ألا يمالئوا عليه ، فأعانوا المشركين بالسلاح واعتذروا ، ثم عاهدتهم

٥٢ - ﴿كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ [آية ١١ آل عمران ص ٧٤] .

٥٣ - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا﴾ . ذلك التعذيب على الأعمال السيئة عدل إلهي ، فقد جرت سنته تعالى في خلقه ، واقتضت حكمته في حكمه ألا يبدل نعمة بنقمة إلا بسبب ارتكاب الذنوب ، فإذا لم يتلق المنعم عليهم نعمته تعالى بالشكر

وفعله كضرب . والسواء :
المساواة والعدل والوسط .
٥٩ - ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ..﴾ لا يحسبن كفار مكة الذين نجوا يوم بدر من القتل والأسر أنفسهم قد سبقوا الله ، فخلصوا من عذابه ونجوا منه . ﴿سَبَقُوا﴾ خلصوا وأفلتوا من العذاب . ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ أى لا يجدونه عاجزاً عن إدراكهم . أو لا يفوتونه بل يدركهم بعذابه لا محالة . يقال : أعجزه الشيء أى فاته . وقوله : ﴿إِنَّهُمْ﴾ تعليل للنهى .

٦٠ - ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ أى أعِدُّوا لقتال أعدائكم : ما أمكنكم من كل ما يتقوى به عليهم فى الحرب ، من نحو حصون وقلاع وسلاح ، وآلات ومصانع ، وتعليم للفروسية وفنون الحرب . وما روى من تفسير القوة بالرمى فإنها هو على سبيل المثال ، وخص بالذكر لأنه كان إذ ذاك أقوى ما يتقوى به ؛ فهو من قبيل : (الحج عرفة ، والتقدم توبة) . ولذا فسر ابن عباس بأنواع الأسلحة ، وعكرمة بالحصون والمعقل . ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ أى ومن ربط الخيل للفر ، وخصت بالذكر من بين ما يتقوى به لمزيد فضلها وغنائها فى الحرب . ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ﴾ تحفون بهذا الإعداد أعداء الله ﴿وَعَدُوَّكُمْ﴾ أعداءكم وهم

سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَغْلِبُونَ ﴿٦٠﴾ * وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَ اللَّهِ ۚ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ ۚ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ غَزِيرٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ

كفار مكة ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ أى من غيرهم من الكفار كالمنافقين واليهود . والرَّهْبَةُ والرَّهْبُ : مخافة مع تحرُّز واضطراب . يقال : رَهَبَ يَرْهَبُ رَهْبَةً وَرَهْبًا ، خاف . ٦١ - ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ﴾ أى إن مال الأعداء المحاربون إلى المسألة والمصالحة على المهادنة والأمان فمِلْ إليها ، واقْبَلْ ذلك منهم ، مادام فيه خيرٌ وصلاحٌ بَيْنٌ للإسلام وأهله ؛ ولذلك قيلَ الرسول صلى الله عليه وسلم الصُّلَحُ مع المشركين عامُ الْحُدُوتِ عَلَى

وضع الحرب بينه وبينهم عشر سنين ، مع ما اشترطوا من الشروط . أمَّا المصالحة على الجزية فلا تصح إلا مع أهل الكتاب ؛ لأن المشركين لا يُقبل منهم إلا الإسلام أو السيف . يقال : جنح إليه يَجْنَحُ - مُكِّلْتُ النون - جُنُوحًا ، مال . والسَّلْمُ - بفتح السين وكسرها يُؤْتَى ويذكر - : الاستسلام والصُّلَحُ والمهادنة . ٦٢ - ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ نزلت فى بنى قريظة . أى وإن أرادوا بإظهار الميل إلى السلم الخديعة لتكف عنهم أو



أَلَا يَفْرُّ الْوَاحِدُ مِنَ الْعَشْرَةِ مِنَ الْكُفَّارِ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي وَسْعِهِمْ ، فَأَعَزَّ اللَّهُ بِهِمُ الدِّينَ عَلَى قُلْتِهِمْ ، وَخَذَلَ بِأَيْدِيهِمُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى كِبَرَتِهِمْ ، وَكَانَتِ السَّرَايَا تَهْزِمُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِ أَمْثَالِهَا تَأْيِيدًا مِنَ اللَّهِ لِدِينِهِ . وَلَمَّا شَقَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْإِسْتِمْرَارُ عَلَى ذَلِكَ ، وَضَعُفُوا عَنْ تَحْمِلِهِ ، وَلَمْ تَبْقَ ضَرُورَةٌ لِدَوَامِ هَذَا الْحُكْمِ لِكَثْرَةِ عِدَدِ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ دَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا نَزَلَ التَّخْفِيفُ ، فَقَرَضَ عَلَى الْوَاحِدِ الثَّبَاتَ لِلْأَثْنَيْنِ مِنَ الْكُفَّارِ ، وَرُخِّصَ لَهُ فِي الْفِرَارِ إِذَا كَانَ الْعَدُوُّ أَكْثَرَ مِنْ أَثْنَيْنِ . وَهُوَ - كَمَا اخْتَارَهُ مَكِّيٌّ - رُخْصَةٌ كَالْفَطْرِ لِلْمَسَافِرِ . وَذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَى أَنَّهُ نَسَخَ

الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَنْأِيهَا النَّبِيُّ حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ
إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ
يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ أَلَعَنْ خَفَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ
ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ
وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ
الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى
يُخْشَى فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ
الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ

٦٧ - ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى﴾ استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في أسارى بدر ، فأشار أبو بكر باستبقائهم رجاء توبتهم ، وأخذ فدية منهم تكون قوة للمسلمين . وأشار عمر - اجتهدًا منه - وآخرون بقتلهم إعزازًا للإسلام . قال صلى الله عليه وسلم إلى الرأي الأول . وكان فداء كل أسير أربعين أوقية من الذهب ، إلا العباس ففداؤه ثمانون . فنزلت الآية عتابًا على الإقدام على الفداء قبل الإثخان اللازم له قوة الإسلام وعزته . والمعنى : ما ينبغي لنبي أن يكون

ليستعدوا ، فصالحهم مع ذلك إذا كان فيه مصلحة ظاهرة للإسلام وأهليه ، ولا تخش منهم ، فإن الله كافيك بنصره ومعونته ، وقد أيدك الله بنصره وبالمؤمنين ، وآلف بين قلوبهم فتحابوا في الله ، واجتمعوا لإعلاء كلمته ، واتبعوا أمرك وأطاعوك ويظهر لي - والله أعلم - أنها من قضايا الأعيان الخاصة بالرسول المقطوع بتأييده ونصره ، كما يشير إليه التعليل في الآية .

٦٤ - ﴿حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ﴾ أى كافيك الله وكافى متبعيك من المؤمنين ، وناصركم ومؤيدكم على عدوكم ، وإن

كثُرَ عددهم وقلَّ عددكم . وَحَسْبُ : صفة مشبهة بمعنى اسم الفاعل ، والكاف في محل جر .

٦٥ - ﴿حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ بالغ في حثهم وإحاثهم على القتال بصبر وجلد ، من التحريض وهو الحث على الشيء بكثرة التريين له وتسهيل الخطب فيه . كأنه في الأصل إزالة الحرص ، وهو الإشراف على الهلاك من شدة الضى ، نحو مرضته ، أى أزلت عنه المرض .

﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ﴾ خبر بمعنى الأمر . فقرض الله على المؤمنين أول الأمر

سَبَقَ لَكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِنَّمَا
 غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٩﴾
 يٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّعَنِ فِيْ أَيْدِيكُمْ مِّنَ الْأَسْرِىٰٓءِ إِن يَّعْلَمِ
 اللَّهُ فِيْ قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ
 لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا خِيَابَتَكَ فَقَدْ
 خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾
 إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأَ وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ
 أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَالَكُمْ مِّنْ
 وَلَدَتِهِمْ مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي
 الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ
 وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِبَعْضِهِمْ

له أسرى ﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي
 الْأَرْضِ﴾ أى حتى يُبَالِغَ فِي قتال
 الأعداء ، إذلالاً للكفر وإعزازاً
 لدين الله ؛ من الثخانة ، وهى فى
 الأصل الغلظ والصلابة . يقال :
 ثَخُنَ الشَّيْءُ يَثْخُنُ ثَخُونَةً وَثَخَانَةً
 وَثَخَنًا ، غلظ وصلب فهو ثخين .
 ثم استعمل فى النكابة فى العدو
 فقيل : اثخن فيه ، أى بالغ فيه
 قتلاً وجراحة ؛ لأنه بذلك يمنعه
 من الحركة فيصير كالثخين الذى لا
 يسيل . ﴿يُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾
 أى حطامها وهو الفداء ﴿وَاللَّهُ
 يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ أى يريد لكم
 ثوابها بسبب الإثخان فى أعداء
 دينه .

٦٨ - ﴿لَوْ لَا كِتَابٌ﴾ لولا حكمٌ
 ﴿مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ فى كتابه ألا
 يعذب قوماً قبل تقديم البيان
 إليهم . أو ألا يعذب المخطئ فى
 الاجتهاد . أو سبق بإحلال الغنائم
 ومنها الفداء ، لأصابتكم بسبب ما
 أخذتم من الفداء قبل أن تؤمروا به
 ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

٦٩ - ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ ..﴾
 لما نزلت الآية السابقة كفَّ
 الصحابة عما أخذوا من الفداء ؛
 فنزلت هذه الآية بياناً لحلِّ
 أخذه ؛ اذ هو من الغنيمة .

٧١ - ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ فأقدرك
 الله عليهم حسبما رأيت يوم بدر ؛
 فإن عادوا إلى الخيانة فسيُمكنك
 الله منهم ويُقدرك عليهم . يقال :

مكَّنته من الشيء وأمكنته منه أولياء بعض ﴿فى النصرة
 وتمكن واستمكن . والميراث . روى عن ابن عباس
 ٧٢ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾ أى سبقوا إلى الهجرة
 رضى الله عنها أن النبى صلى الله
 عليه وسلم آخى بين هؤلاء
 بأن هاجروا قبل عام الحُدَيْبِيَّةِ ،
 المهاجرين والأنصار ، فكان
 وهو عام ست من الهجرة .
 المهاجرى يرثه أخوه الأنصارى ،
 إذا لم يكن له بالمدينة ولئى مهاجرى
 ﴿وَالَّذِينَ ءَاوَأَ وَنَصَرُوا﴾ هم
 وأنصار رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، وقد سماهم الأنصار
 لثورتهم له ولدين الله ﴿بَعْضُهُمْ
 تكان هجرة﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ

سورة التوبة

وُسُمِّيَ سورة براءة ،
والفاضحة ، لأنها فضحت
المنافقين . ولم تُكْتَبْ في أولها
البسملة لعدم أمره صلى الله عليه
وسلم بكتابتها ، إذ لم يَتَزَلَّ بها
جبريل عليه السلام . والأصل في
ذلك التوقيف . وقيل : إنها هي
والأنفال سورة واحدة ،
ومجموعهما السورة السابعة من
السبع الطول .

١ - ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ ﴾ لما
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى تبوك ، جعل المشركون
ينقضون العهود التي كانت بينه
صلى الله عليه وسلم وبينهم ، فأمره
الله ببثد عهودهم ، كما قال
تعالى : (وَإِنَّمَا تَخَافَنَ مِنْ قَوْمٍ
خِيَانَةٌ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ)^(١)
ففعل صلى الله عليه وسلم ما أمر
به . أي هذه براءة واصله من الله
ورسوله إلى المشركين ، بسبب
خيانتهم بنكث العهود التي كانت
بينه وبينهم . وأصل البراءة
التباعد . والتقصي مما يُكره
مجاورته . يقال : برىء منه يبرأ
براءة ، إذا تخلص منه وتباعد
عنه . ويقال : برىء ، إذا أعذر
وأندر ، أي هذا إعدار وإنذار إلى
الذين عاهدتم من المشركين .

٢ - ﴿ فَيَسْخَرُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ
أَشْهُرٍ ﴾ ولكي لا يُنسب إلى

أُولِيَاءَ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ
كَبِيرٌ ﴿٧٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا
لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ
بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو
الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

المهاجرين والأنصار من التوارث
بالمهجرة والمؤاخاة . والله أعلم .

يُهاجِرُوا .. ﴿٧٥﴾ أي ليس بين
المؤمنين الذين لم يهاجروا وبين
المهاجرين والأنصار ولاية
الإرث ، إذا كان بينهم وبينهم
قربة وعصوبة لانقطاع حكمها
بسبب عدم الهجرة ، وإنما بينهم
بحكم الإسلام ولاية النصرة إلا
على قوم معاهدين .

٧٥ - ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ
وَهَاجَرُوا ﴾ أي من بعد صلح
الحديبية وقبل الفتح وهاجروا ،
وهي الهجرة الثانية ﴿ فَأُولَئِكَ
مِنْكُمْ ﴾ أي مثلكم في النصرة
والموالاتة ، وإن كانوا أنزل درجة
من السابقين في الهجرة . ﴿ وَأُولُو
الْأَرْحَامِ ﴾ أي أولو القربات
بعضهم أولى ببعض في الميراث .
فُسِّخَ بهذه الآية ما كان بين

(٩) سُورَةُ النَّوْبَةِ مِلَانِيَّة
إِلَّا الْإِسْلَامِ الْآخِرِينَ فَكُنْتَ
وَأَيَّهَا ١٢٩ نَزَلَتْ بَعْدَ الْمَائِدَةِ

بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ۖ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَلِمُوا
أَنَّهُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الْكَافِرِينَ ۖ
وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ
أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ۚ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ
خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ
وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۖ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا
عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۖ فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا

المسلمين الغدرُ ونَبَذُ العهدِ دون
إعلامٍ وإنذارٍ ، أمهلُ الناكثون
مدةً أربعة أشهر ، يباح لهم فيها أن
يسيروا في الأرض حيث شاءوا
آمنين من القتل والقتال ،
ليتفكروا ويحتاطوا ويستعدوا ،
ويعلموا أن ليس لهم بعدها إلا
الإسلام أو السيف . وبعث
الرسول صلى الله عليه وسلم عليًا -
كُرم الله وجهه - بالأربعين آية
الأولى من هذه السورة ،
فأعلمهم بها في يوم الحج الأكبر -
وهو يوم النحر - في السنة
التاسعة ، وقد كان فيها عاشر ذى
القعدة بسبب النسيء الذي ابتدعه
المشركون ، فيكون آخر مدة
الإمهال اليوم العاشر من شهر ربيع
الأول من السنة العاشرة . وقيل :
إن يوم النحر في السنة التاسعة كان
عاشر ذى الحجة ، فيكون نهاية
المدة العاشر في شهر ربيع الآخر من
السنة العاشرة . والسياسة في
الأصل : جريان الماء وانبساطه
على موجب طبيعته ، ثم
استعملت في الضرب والاتساع في
السير ، فيقال : ساح في الأرض
سيحًا وسياحة ، إذا مر فيها مرَّ
السائح .
٣ - ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾
أي إيدان وإعلام من الله ورسوله
إلى الناس عامة يوم الحج الأكبر -
وهو يوم النحر - بأن الله ورسوله قد
برئًا من عهود المشركين ، وأنها قد

صلى الله عليه وسلم . ﴿ فَأَتِمُوا
إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ﴾ ولا
تُجروهم مجرى الناكثين إذا بقوا
على ما هم عليه من الوفاء
بالعهد ، وهم بنو ضمرة وبنو
مذليج من كنانة ، وقد بقي من
عهدهم تسعة أشهر فأتِم إليهم
عهدهم . وسيأتي ذكرهم في الآية
السابعة من هذه السورة .

٥ - ﴿ فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ

نَبَذت إليهم . يقال : آذنت الأمر
وبه ، أعلمه .

٤ - ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ ﴾ أي
لكن الذين لم ينكثوا العهد من
المشركين ﴿ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ
شَيْئًا ﴾ من شروطه ﴿ وَلَمْ يُظَاهِرُوا
عَلَيْكُمْ أَحَدًا ﴾ لم يعاونوا عليكم
أحدًا من أعدائكم ، كما عاونت
قريشُ بنى بكر على خراعة ،
وكانت خراعة في عهد الرسول

فيه العدو . يقال : رَصَدَتْ الشيءَ أرْصُده رَصْدًا ، إذا تَرَقَّبَتْه .

٦ - ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ بعد انسلاخ أشهر العهد ، أى استأمنك بعد انقضاء مدة الأمان ، وطلب جوارك وحمايتك أحد من المشركين الذين أُمِرَتْ بقتالهم وقتلهم ليسمع القرآن ويتدبره ، ويطلع على حقيقة الإسلام ، فأجزه وأمنه حتى يسمع كلام الله ولا يبقى له عذر ، ثم أبلغه موضع أمنه إن لم يُسلم . وهذه الآية - كما قال الحسن - محكمة غير منسوخة بآية : «وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً» .

٧ - ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾ استفهام فى معنى الإنكار ، أى مستنكر أن يكون لهؤلاء المشركين الناكثين عهدود عند الله ورسوله فإنهم قوم خيانة وعذر ، وليس لمن لم يف بعهد أن يبقى الله ورسوله له بالعهد .

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ﴾ أى لكن الذين عاهدتم ولم ينكثوا ، وهم الذين سبق استنساؤهم فى الآية الرابعة ، فاستقيموا لهم على العهد مدة استقامتهم لكم عليه . والمراد بالمسجد الحرام الحرم كله . ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ﴾ فما أقاموا على العهد معكم .

٨ - كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ أى كيف يكون لهؤلاء الناكثين

الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٨﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٩﴾ اشْتَرَوْا بِعَابِتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا

الإخراج ، من قولهم : سلخت الشاة عن الإهاب إذا أخرجتها منه ، ثم استعير للانقضاء . ﴿وَأَحْصُرُوهُمْ﴾ اجسومهم ، أو ضيقوا عليهم وامنعهم من التصرف فى البلاد . ﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ أى فى كل طريق يجتازون منه فى أسفارهم حتى تأخذوهم من أى جهة توجهوا . والمَرْصِدُ : الموضع الذى يُرْقَبُ

الحُرْمُ﴾ فإذا انقضت ، أو خرجت أشهر الأمان الأربعة المذكورة ، ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ الناكثين ﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ . وَسُمِّيَتْ حُرْمًا لأنه تعالى جعلها مدة أمان لهم يحرم قتالهم فيها ، من السِّلْخِ بمعنى الكشط . يقال : سلخ الإهاب عن الشاة يسلخه ويسلخه سلخاً ، كشطه ونزعه عنها . أو بمعنى

وَلَا ذِمَّةَ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا
الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَلِأَخْوَانِكُمْ فِي الدِّينِ وَنَفْصِلُ
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ
بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتَلُوا أُمَّةَ الْكُفَرِ
إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا
نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهُمْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ
مَرَّةٍ أَتُحْشِنُهُمْ فَلَلهُ أَحَقُّ أَنْ تَحْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾
فَقَتَلُوهُمْ يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُجْزِمُهُمْ وَيَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ
وَيَسْفِ سُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيَذِيبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ
وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ
حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ
وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ
وَلِجَئَةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ

عهدٌ عند الله وعند رسوله والحالُ
أنهم ﴿إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾
يظفروا بكم ويغلبوكم ﴿لَا يَرْقُبُوا
فِيكُمْ﴾ لا يراعوا في أمركم
﴿إِلَّا﴾ عهدًا ، أو حلفًا أو قرابة
﴿وَلَا ذِمَّةَ﴾ حقًا أو عهدًا .
يقال : ظهر عليه يظهر ، غلبه .
وأظهره الله على عدوه : أعانه
عليه . والذمة : كلُّ أمرٍ لزمك
بجيت إذا ضيعته لزمك مذمة . أو
هى : ما يُذمُّ به ، أى يُجتنب
فيه الذم .

١٢ - ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾
نقضوا أيمانهم من بعد عهدهم
المؤتق . يقال : نكث العهد
والحبل ينكته وينكته ، نقضه
فانتكث . وأصله من التكت ،
وهو أن تُنقض أخلاق الأَكسية
لتنزل ثانية .

١٤ - ﴿فَقَاتِلُوهُمْ ..﴾ قاتلوا
هؤلاء الناكثين الذين طعنوا في
دينكم وبدأوكم بالقتال ، حيث
هَمُّوا بإخراج الرسول من مكة ،
وقاتلوا خِزاعة حلفاءكم ، فليس
لهؤلاء عهد ولا ذمة ، إلا من تاب
منهم ورجع إلى الله فكُفُّوا عن
قتاله .

١٥ - ﴿غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ غضبها
ووجدتها الشديد .

١٦ - ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ
تُتْرَكُوا ...﴾ خطابٌ لمن شقَّ
عليهم القتال من المؤمنين أو
المنافقين ، وبيانٌ للحكمة في الأمر

به ، وأنها الامتحان والتحصيل .
أى بل أظننتم أن تُتركوا دون أن
تُؤمروا بقتال المشركين ، ولَمَّا يعلم
الله المخلصين منكم فيه غير
المتخذين بطانة من المشركين ،
يُفْشُونَ إليهم أسرارهم ويُدْخِلُونَهُمْ
في أمورهم ! أى ولم يُظهر الله
الذين جاهدوا منكم مع
الإخلاص من جاهدوا بدونه ،
ولم يُميِّز لكم هؤلاء من أولئك .
فكفَى العلم مجازً عن نفى التبيين
والإظهار . فكلمة «أَمْ» بمعنى بل
التي للإضراب الانتقالي وهزجة
الاستفهام الإنكارى . و«لَمَّا»
للتنى مع توقع الحصول .
﴿وَلِجَئَةٍ﴾ أى بطانة ، من
الْوُلُوج وهو الدخول . ووليجة
الرَّجُل : مَنْ يَدْخُلُهُ فِي بَاطِنِ



أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ
أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾
إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى
أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ * أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ
الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ
اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾
يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَّتِ لَهُمْ فِيهَا
نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ
أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَبَاءَ كُفْرٍ
وَأِخْوَانَكُمْ أُولَئِكَ إِنْ أَسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ
وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنْ

أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ
الطَّيِّبِ) (٢)

١٧ - ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ...﴾
افتخر المشركون بأنهم عمَّارُ المسجد
الحرام ، وَحِجَّةُ الكعبة ، وأنهم
يَقْرُونَ الحجيج وَيَفُكُّونَ العاني أَى
الأسير ، فترت الآية . أَى ما
ينبغي للمشركين أَنْ يَعْمُرُوا المسجد
الحرام بدخوله والخدمة فيه ، خال
كونهم مُقَرِّين على أنفسهم بالكفر
بسجودهم للأصنام ، وهو مُحْطٌ
لكل ما عملوا من برٍّ وخير
وافتخروا به ، موجبٌ لخلودهم في
النار . وذكر المسجد الحرام بلفظ
الجمع لأنه قبلة المساجد كلها ،
فعامره كعامرها . ﴿حِطَّتْ
أَعْمَالُهُمْ﴾ بطلت وذهبت
أجورها لكفرهم .

١٨ - ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ
اللَّهِ...﴾ بيانٌ لصفات مَنْ هُم
أهلٌ لعمارة المساجد ، وهى
الأربعة المذكورة الجامعة لخيري
الدنيا والآخرة .

١٩ - ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ
أَتَسُوْنَ أَهْلَ سِقَايَةِ الْحَجِّجِ وَعِمَارَةَ
المسجد الحرام منكم ، وأنتم على
هذا الشرك ، بمن آمن بالله
وأخلص له العبادة ، وجاهد في
سبيله بالنفس والمال ؟! كلا !
وقد بين الله فضلهم وعظم منزلتهم
في الآية التالية .

٢٣ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾

أموره ، وهو صاحب سره . أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ .
وقوله ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا﴾ معطوفٌ وَلَقَدْ فَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ
على «جاهدوا» داخلٌ في حيز صلة الله الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ
الموصول . ونظير هذه الآية قوله (الكاذبين) (١) ، وقوله تعالى :
تعالى : (أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا) (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا

لَمَّا أَمَرَ الْمُهَاجِرُونَ بِالْهَجْرَةِ شَقَّ عَلَيْهِمْ هَجْرُ أَهْلِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَدِيَارِهِمْ ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ فَهَاجَرُوا طَائِعِينَ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ، وَامْتِنَالاً لِأَمْرِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ﴿ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ ﴾ اخْتَارُوهُ وَأَقَامُوا عَلَيْهِ .

٢٤ - ﴿ وَأَمْوَالٌ أَقْتَرَفْتُمُوهَا ﴾ اكتسبتموها [آية ١١٣ الأنعام ص ١٨٧] . ﴿ كَسَادَهَا ﴾ بوارها بفوات وقت رواجها بسبب غيابكم عن مكة أيام الموسم . مصدر كَسَدَ الشَّيْءُ - من باب نصر وكُرم - كساداً وكُسوداً ، لم يَنْفُقْ ، فهو كاسد وكسيد ، أى غير رابح . ﴿ فَتَرَبَّصُوا ﴾ أى انتظروا ﴿ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ أى بعقوبته . وهو تهديدٌ وتخويفٌ لِمَنْ أثارَ حُبَّةَ مِنْ ذِكْرِ عَلَى حُبَّةِ اللَّهِ تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم . وفى الآية دليلٌ على أنه إذا تعارضت مصلحةٌ من مصالح الدِّينِ مع مُهِمَّاتِ الدُّنْيَا وجب ترجيح جانب الدِّينِ على الدُّنْيَا لِيَبْقَى الدِّينُ سَلِيمًا . وهذا موقفٌ تَزَلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ .

٢٥ - ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾ امتنانٌ على المؤمنين بالنصر على الأعداء الذى يَبْذُلُ الْغُيُورَ فِي سَبِيلِهِ أَحَبُّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِ . أى لقد نصركم الله على أعدائكم فى مواقع حرب كثيرة ،

كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ أَقْتَرَفْتُمُوهَا وَبِخْرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدَبِّرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ

ومن أعظمها غزوة بدر وقربظة وخيبر ومكة . ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ﴾ أى ونصركم يوم غزوة حنين ، وهو وادٍ معروفٌ بين مكة والطائف . وتسمى غزوة هوازن ونقيف . وكانت فى شوال عقبَ رمضان الذى وقع فيه فتح مكة سنة ثمانٍ من الهجرة . وكان عدد المسلمين اثني عشر ألفاً ، وعدد الكفار أربعة آلاف . ﴿ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا ﴾ فلم تنفعكم تلك الكثرة شيئاً من النفع فى أمر العدو ؛ من العناء وهو التَّعَفُّ . تقول : ما يُغْنِي عَنْكَ هَذَا ، أى ما يجزئُ عنكَ وما ينفعك . ﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ أى برُحْبِهَا وَسَعَتِهَا . ٢٦ - ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ ﴾ رحمته التى تسكن إليها القلوب ، وتطمئن اطمئناناً يستتبع النصر القريب ؛ من السكون ، وهو الثبوت بعد التحرك . أو من السَّكَنِ ، وهو زوال الرُّعب . ٢٧ - ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾

ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ
بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ
مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَاتِلُوا
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ
مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ
صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّى ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ
النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ
يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُمْ اللَّهُ أَلَمْ
يُؤَفِّكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا
إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

قَدَّرَ. مصدرٌ نَجَسَ الشيءَ إِذَا كَانَ قَدَرًا غَيْرَ
نَظِيفٍ. أَخْبَرَ عَنْهُمْ بِالْمَصْدَرِ
مِبَالِغَةً. كَانَتْهُمْ عَيْنُ النَجَاسَةِ.
﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾
أَيَ الْحَرَمِ كُلِّهِ. وَالْمُرَادُ نَهْيُ
الْمُسْلِمِينَ عَنْ تَمَكُّنِهِمْ مِنْ قَرْبَانِهِ
﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ وَهُوَ التَّاسِعُ
مِنَ الْهَجْرَةِ ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾
فَقَرًّا وَفَاقَةً بِسَبَبِ مَنَعِهِمْ مِنْ دُخُولِ

أَرْضِ الْحَرَمِ ، إِذْ كَانُوا يَأْتُونَ فِي
الْمَوْسَمِ لِلْمَتَاجَرِ . يُقَالُ : عَالَ
يَعِيلُ عَيْلَةً وَعَيْلًا ، إِذَا افْتَقَرَ فَهُوَ
عَائِلٌ ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ
فَضْلِهِ﴾ وَقَدْ أَغْنَاهُمْ وَأَفْضَلَ
عَلَيْهِمْ كَثِيرًا .

٢٩ - ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
أَمْرٌ بِقِتَالِ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ بَعْدَ الْأَمْرِ
بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ ، بِسَبَبِ أَنَّهُمْ لَا
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ،

وَإِيمَانِهِمْ الَّذِي يَزْعُمُونَهُ كَلَا
إِيمَانٍ . ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾
وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ الدِّينُ
الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ . ﴿حَتَّى
يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ وَهِيَ مَا قُدِّرَ عَلَى
رُءُوسِهِمْ مِنَ الْمَالِ ، نَظِيرُ كَفَّاتِنَا عَنْ
قِتَالِهِمْ وَاسْتَرْقَاقِهِمْ وَحِمَايَتِنَا لَهُمْ ،
مِنَ الْجِزَاءِ بِمَعْنَى الْقَضَاءِ . أَوْ مِنْ
الْمُجَازَاةِ بِمَعْنَى الْمَكَافَاةِ ، لِأَنَّهُمْ
يُجْزَوْنَنا عَنْ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ
بِذَلِكَ . ﴿عَنْ يَدٍ﴾ عَنْ طَوْعٍ
وَانْقِبَادٍ . ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾
أَذِلَّةٌ ، وَالذَّلِيلُ مَنْ أَذَلَّهُ اللَّهُ ،
وَالْعَزِيزُ مَنْ أَعَزَّهُ اللَّهُ . وَأَصْلُ الْبَيْدِ
الْجَارِحَةُ ، كُنِيَ بِهَا عَمَّا ذُكِرَ .
يُقَالُ : أُعْطِيَ فُلَانٌ يَدَهُ ، إِذَا
سَلَّمَ وَانْقَادَ ، لِأَنَّهُ مِنْ أَبِي لَا
يُعْطَى يَدَهُ .

٣٠ - ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ ..﴾ قَائِلُ
ذَلِكَ بَعْضُ مُتَقَدِّمِيهِمْ ، أَوْ بَعْضُ
مَنْ كَانُوا بِالْمَدِينَةِ . وَنِسْبَةُ الْقِيَحِ
الصَّادِرِ مِنَ الْبَعْضِ إِلَى الْكُلِّ
شَائِعٌ . وَكَذَا الْقَائِلُ بِنُتُوءِ الْمَسِيحِ لَهُ
تَعَالَى بَعْضُ النَّصَارَى .
﴿يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
قَبْلُ﴾ أَيِ يَشَابَهُونَ فِي هَذِهِ
الْأَقْوَالِ الشَّيْبَةَ قَوْلَ الْمُشْرِكِينَ
الَّذِينَ قَالُوا : الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ .
وَالْمُضَاهَاةُ وَالْمُضَاهَاةُ : الْمِشَابَهَةُ
وَالْمِشَاكَلَةُ ، أَوْ الْمَوَافَقَةُ .
﴿قَاتَلْنَاهُمْ اللَّهُ﴾ دَعَاءٌ عَلَيْهِمْ
بِالْإِهْلَاكِ . ﴿أَتَى يُؤَفِّكُونَ﴾

كيف يُصرفون عن الحق إلى الباطل ، بعد وضوح الدليل على استحالة أن يكون له تعالى ولد [آية ٧٥ المائدة ص ١٥٨] .

٣١- ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ﴾ أى اتخذ اليهود علماءهم ، والنصارى نساكهم كالأرباب من دون الله ، حيث أطاعوهم فى تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرّمه [آية ٤٤ ، ٨٢ المائدة ص ١٥١ ، ١٥٩] .
﴿أَرْبَابًا﴾ أطاعوهم كما يطاع الرب . ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ واتَّخَذُوا الْمَسِيحَ رَبًّا مَعْبُودًا مِنْ دُونِ اللَّهِ . أو ابناً لله تعالى . ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ أى والحال أنهم ما أمروا فى الكتب الإلهية وعلى لسان موسى وعيسى عليهما السلام إلا ليخلصوا العبادة لله تعالى وحده .

٣٢- ﴿يُظَاهِرُهُ﴾ ليعليه .

٣٤- ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ﴾ بياّن لحال الأحرار والرهبان فى إغوائهم لأراذلهم بعد بيان سوء حال الأتباع باتخاذهم كالأرباب ، وانقيادهم لهم فيما يأتون ويذرون . ﴿وَالَّذِينَ يَكْتَنُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ لما وصف الله أهل الكتاب بالحِرْص على أكل أموال الناس بالباطل ، ذكر بعده وعيد من جمع المال ، ومنع الحقوق الواجبة فيه ، سواء

(١) رواه الطبراني والبيهقي .

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَبْأَى اللَّهُ لِلَّذِينَ لَا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٣﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٤﴾ * يَنَاقِبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّا كَثِيرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتَنُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٥﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ تَكْتَنُونَ لَأَنْفُسَكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتَنُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتَلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٧﴾

أكان من أهل الكتاب أم من المسلمين . والمراد بالإنفاق فى سبيل الله : أداء الزكاة . وكل شئ مجموع بعضه إلى بعض فى بطن الأرض أو على ظهرها : كثر ، وجمعه كنوز . وعن ابن عمر رضى الله عنها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما أذى زكاته فليس بكثر) (١) أى بكثر أو عِدَّ عليه .
٣٦- ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾ كانت الأشهر الحرم الأربعة : رجب وذو القعدة وذو الحجة والحرم - معظمة فى الجاهلية ومحرمًا

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا
يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُخْرِجُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِّعُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ
إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ
أَرْضَيْتُمْ بِالْحَبَايَةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَنَّعَ الْحَبَايَةِ
الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبَكُمْ

كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴿٣٦﴾ ولم
يستثن القتال في الأشهر الحرم ؛
فدلَّ على جوازه فيها كغيرها من
الأشهر ، وإليه ذهب الجمهور .
وخالف في ذلك عطاء بن أبي
رَبَاح ، فذهب إلى أنه لا يحلُّ
القتال فيها ولا في الحرم إلا أن
يكون دفاعاً . ويؤيد الجمهور أنه
صلى الله عليه وسلم حاصر الطائفة
وغزا هوازن بخيْن في شوال وذى
القعدة سنة ثمان من الهجرة ،
وقوله : ﴿ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمُ ﴾
أى كون العدة كذلك ، وتحريم
الأربعة منها هو الذين المستقيم دين
إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .

﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾
بارتكاب المعاصي ؛ فإنها فيهن
أعظم وزراً .
٣٧ - ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ ﴾ أى تأخير
حرمة شهر إلى شهر آخر ؛ مصدر
نسأه أى أخره فهو منسوء كقتيل
بمعنى مقتول . ﴿ لِيُوَاطِّعُوا ﴾
ليوافقوا بما يصنعون من النسيء
عدة الأشهر الحرم بحيث تكون
أربعة في العدد ، وإن لم تكن عين
الأشهر المحرمة في دين إبراهيم
وإسماعيل عليهما السلام .

٣٨ - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾
نزلت في غزوة تبوك ، وهى على
طرف الشام بينها وبين المدينة أربع
عشرة مرحلة ، وكانت في رجب
سنة تسع بعد رجوعه صلى الله
عليه وسلم من الطائف ، حين بلغه

منها أربعة حُرْم ثلاثة متواليات
وَرَجَب مُضَر (١) ، وعاد يوم الحج
الأكبر إلى ما كان عليه في عهد
إبراهيم وإسماعيل وهو العاشر من
ذى الحجة كل عام . وَعُظِّمَتْ
الأشهر الحرم في الإسلام ،
وجعلت المعصية فيها أعظم وزراً
منها في غيرها ؛ كارتكابها في
الحرم وفي حال الإحرام ، والله
تعالى أن يميّز بعض الأزمنة عن
بعض بالفضل والتعظيم ؛ إلا أن
القتال فيها إعلاء لكلمة الله غير
محرم في الإسلام ، كما كان محرماً
في الجاهلية ، لأن الشرك ظلم
وفتنه وفساد ، وخطره أشد من
خطر القتال فيها ؛ كما قال تعالى .
(وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ) (٢) ولذا
قال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ

فيها القتال ، فإذا جاء شهر حرام
وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه
شهرًا آخر ؛ فيستحلون المحرم
ويحرمون صفرًا ، فإذا احتاجوا إليه
أحلوه وحرموا ما بعده ، وهكذا
حتى استدار التحريم على شهور
السنة كلها ، وقد يجعلون السنة
ثلاثة عشر شهرًا ، أو أربعة عشر
ليشع لهم الوقت ، ويحرموا أربعة
أشهر منها . وكان يختلف وقت
حجهم تبعاً لذلك . وقد أبطل الله
هذا النسيء الذى ابتدعه وحرمه
في هذه الآية ، وأخبر الرسول
صلى الله عليه وسلم في خطبة
الوداع بمضى في أوسط أيام
التشريق بـ (أن الزمن قد استدار
كهيبته يوم خلق الله السموات
والأرض ، السنة اثنا عشر شهرًا

أَنْ هَرَقَلَ جَمَعَ أَهْلَ الرُّومِ وَأَهْلَ
الشَّامِ لِحَارِبَتِهِ ، فَاسْتَنْفَرِ النَّاسَ فِي
وَقْتُ عُسْرَةٍ وَشِدَّةٍ مِنَ الْحَرْبِ
وَجَذْبٍ فِي الْبِلَادِ ، حَتَّى يَبْلُغَ
الْجَهْدُ بِهِمْ مَبْلَغَهُ ، وَكَانَ الْعُسْرَةُ
مِنْهُمْ يَعْتَقِبُونَ بَعِيرًا وَاحِدًا ، وَكَانَ
زَادَهُمُ التَّمَرُّدُ وَالشَّعِيرُ
الْمُسَوِّسُ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ .
وَلَكِنْ الْمُخْلِصِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ صَبَرُوا
عَلَى هَذِهِ الشَّدَائِدِ ، احْتِسَابًا لِلَّهِ
تَعَالَى ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ إِلَّا
الْقَلِيلُ . وَتَخَلَّفَ عَنْهَا الْمُنَافِقُونَ
وَكَثِيرٌ مِنَ الْأَعْرَابِ . وَتُسَمَّى غَزْوَةُ
الْعُسْرَةِ ، وَيُقَالُ لَهَا :
الْفَاضِحَةُ ، لِأَنَّهَا أَظْهَرَتْ حَالَ
كَثِيرٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ . وَهِيَ آخِرُ
غَزَوَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَدْ
أَنْفَقَ فِيهَا عَثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَفَقَةً
عَظِيمَةً لَمْ يُنْفِقْ أَحَدٌ مِثْلَهَا . وَأَوَّلُ
مَنْ أَنْفَقَ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
فَجَاءَ بِجَمِيعِ مَالِهِ ، وَعَمَرَ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ فَجَاءَ بِنِصْفِ مَالِهِ ، وَعَبَدُ
الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَطَلْحَةُ وَالتَّسَاءُ
بِجَلْبِينَ . ﴿ أَنْفِرُوا ﴾ أَخْرَجُوا
لِلْجِهَادِ ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾
يُقَالُ : نَفَرًا إِلَى الْحَرْبِ يَنْفِرُ وَيَنْفِرُ
نَفَرًا وَنَفُورًا ، خَرَجَ إِلَيْهِ بِسْرَةٍ .
وَاسْتَنْفَرِ الْإِمَامُ النَّاسَ : حَثَّهُمْ
عَلَى الْخُرُوجِ لِلْجِهَادِ . وَاسْمُ الْقَوْمِ
الَّذِينَ يُخْرَجُونَ : النِّفَرُ وَالنَّفَرَةُ
وَالنَّفَرُ . ﴿ إِنَّا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾
تَبَاطَأْتُمْ فِي الْخُرُوجِ مَائِلِينَ إِلَى
الْإِقَامَةِ بِأَرْضِكُمْ وَدِيَارِكُمْ ، مِنْ

عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا
وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِلَّا تَضُرُّوه فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ
إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ
إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ
سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ
الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٤١﴾ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ
وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا
لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ
لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٣﴾ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِإِذْنِ لَهِمْ
حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٤﴾

الثَّقَلُ : ضِدُّ الْخِفَةِ . يُقَالُ : ضِدُّ الْخِفَةِ . يُقَالُ : ضِدُّ الْخِفَةِ . يُقَالُ : ضِدُّ الْخِفَةِ .
تَنَاقَلَ عَنْهُ ، أَيْ تَقَلَّ وَتَبَاطَأَ . وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ يَحْرُسُونَهُ وَيَسْكُونُونَ
وَتَنَاقَلَ الْقَوْمُ : لَمْ يَنْهَضُوا لِلْجِهَادِ رَوْعُهُ ، وَبَصُرْفُونَ أَبْصَارَ الْكُفَّارِ
وَقَدْ اسْتَهْضَوْا لَهَا .
٤٠ - ﴿ ثَانِي اثْنَيْنِ ﴾ أَحَدَاثَيْنِ .
أَيُّ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي يَخْفُ عَلَيْكُمْ
الْجِهَادُ فِيهَا ، وَعَلَى الصِّفَةِ الَّتِي
يَتَقَلَّ عَلَيْكُمْ الْجِهَادُ فِيهَا . جَمْعُ
خَفِيفٍ وَثَقِيلٍ .



لَا يَسْتَعْدِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن
يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾
إِنَّمَا يَسْتَعْدِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾
* وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ
أَنْبِعَاءَهُمْ فَضَبَطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْفَاعِلِينَ ﴿٤٦﴾
لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خَلْقَكُمْ
يَئِغْوَنَكُمُ الْفِتْنَةُ وَفَيْكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدْ ابْتِغَاوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ
الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهَوهٗنَ ﴿٤٨﴾
وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَتَذُنُنِي ۖ وَلَا تَفْتِنُنِي ۖ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا
وَإِن جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ

شكهم الذي حلّ بقلوبهم
يتحيزون ، لا مع المؤمنين ولا مع
الكفار . وأصل معنى التردد :
الذهاب والحيء ، استعمل في
التحيز مجازاً أو كناية ، لأن التحيز
لا يقرب في مكانه .

٤٦ - ﴿ أَنْبِعَاءَهُمْ ﴾ نهوضهم
للخروج معهم . ﴿ فَضَبَطَهُمْ ﴾
منعهم وحبسهم . يقال : تثبطه
تثبطاً ، قعد به عن الأمر ،
وشغله عنه ومنعه ، تخذيلاً
ونحوه .

٤٧ - ﴿ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾
شراً وفساداً ، لأنهم جناء
مُخَذَّلُونَ . وأصل الخبال :
اضطراب ومرض يؤثر في العقل
كالجنون . أو هو الاضطراب في
الرأى . ﴿ وَلَا أُضْعِفُوا ﴾
خِلَافَكُمْ .. ﴿ وَلَسَعُوا بَيْنَكُمْ ﴾
مسرعين بالنمائم وإفساد ذات
البين ، من الإيضاع ، وهو في
الأصل : سرعة سير الإبل .

يقال : أوضعت الناقة إذا
أسرعت في سيرها . وأوضعتها
أنا : حملتها على السير بسرعة ،
فُيُسْتَعْمَلُ لازماً ومتعدداً ،
والخِلَالُ : جمع خَلَل وهو
الفرجة بين الشيئين ، واستعمل
ظرفاً بمعنى بين . ومفعول الإيضاع
محذوف ، تقديره الشائم .
﴿ يَئِغْوَنَكُمُ الْفِتْنَةُ ﴾ أى باغين
لكم ما تفتنون به من الخلف فيما
بينكم ، وتهويل أمر العدو

٤٢ - ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا .. ﴾ نزلت
في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة
تبوك ، واستأذنوا في القعود عنها
باعتذار كاذبة ، فأذن لهم النبي
صلى الله عليه وسلم . أى لو كان ما
دُعُوا إليه غنماً سهل المأخذ ،
وسفرًا متوسطًا بين القرب والبعد لا
مشقة فيه ، لخرجوا معك طمعاً في
المنافع التي تصل إليهم .
والعَرَضُ : ما عَرَضَ لك من
منافع الدنيا ومتاعها . والسَّفَرُ

القاصد : ما بينا . وكل متوسّط
بين الإفراط والتفريط فهو
قاصد ، أى ذو قصد ، لأن كل
واحد يقصده . والقاصد
والقصْدُ : المعتدل . ﴿ بَعُدَتْ
عَلَيْهِمُ الشَّقَّةُ ﴾ أى المسافة التي
تقطع بمشقة . وتطلق على الناحية
يقصدها المسافر وتلحقه المشقة في
الوصول إليها . وعلى السفر
البعيد .
٤٥ - ﴿ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ في

تَسُوهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيتولوا وهم فرحون ﴿٥٨﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٦٠﴾ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٦١﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهِونَ ﴿٦٢﴾ فَلَا تَعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٦٣﴾ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْهُمْ لَعِنُكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَغْرَبَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٦٥﴾

٥٤ - ﴿وَهُمْ كُسَالَى﴾ متناقلون ٥٥ - ﴿وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ﴾
بها ، لأنهم لا يرجون بأدائها ولتخرج أرواحهم وتهلك فيموتوا
ثواباً ، ولا يخافون بتركها عقاباً ، على الكفر . يقال : زهقت نفسه
وإنما يقيمونها نفاقاً . جمع تزهق ، خرجت . وزهق الشيء
كسلان ، من الكسل وهو التناقل هلك .
عن الشيء والفور فيه . وفعله ٥٦ - ﴿يَفْرُقُونَ﴾ يخافون أن يتزل
كفرح . بهم ما نزل بالمشركون من القتل

عليكم ، وإلقاء الرعب في قلوبكم . يقال : ابغنى كذا ، وابغ لي كذا ، أى اطلبه لأجلي .

٤٨ - ﴿قَلْبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ دبوا لك الحيل والمكايد .

٤٩ - ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ..﴾ أى من المنافقين من يقول : ائذن لي في التخلف في المدينة ﴿وَلَا تَقْنِي﴾ أى ولا توقني في المعصية والإثم ، إذا لم تأذن لي فتخلفت بغير إذنك . والقائل هو الجذ بن قيس وكان رأساً في المنافقين ، زعم أنه مغرم بالنساء ، ويخشى إذا رأى نساء بنى الأصفر أن يفتن بهن . وقال : أنا أعطيك مالى .

٥٢ - ﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا ..﴾ أى ما تنتظرون بنا إلا إحدى العاقبتين اللتين كل منهما أحسن من جميع العواقب : إما ظفرنا بالعدو ، وفيه الأجر والمغنم والسلامة ؟ وإما قتل العدو لنا ، وفيه الشهادة والفوز بالجنة والنجاة من النار ؟ وكلاهما مما نحب ولا نكره . والاستفهام للتقريع والتوبيخ . ﴿الحُسَيْنَيْنِ﴾ النصرة والشهادة .

٥٣ - ﴿لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ﴾ ما أنفقتموه أى لن يؤخذ منكم ، أو لن تثابوا عليه ، لعنكم وتمردكم على الله ورسوله ، وخروجكم عن الطاعة والاستقامة .



العيب . يقال : لَمَرَهُ وَهَمَرَهُ
يَلْمُرُهُ . إذا أعابه .

٥٩ - ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا
الجوابُ مقدرٌ : أى لكان خيراً
لهم .﴾ حَسْبُنَا اللَّهُ ﴿كافينا فضل
الله وقسمته .

٦٠ - ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ
أى الزكوات المفروضة مقصورة
على هذه الأصناف الثمانية .
والفقيرُ : مَنْ له أدنى شيء من
المال . والمسكينُ : من لا شيء
له ، فيحتاج إلى المسألة لقوته
ومداراة بدنه . وقيل : الفقير من
لا مال له ولا كسب يقع موقعاً من
حاجته . والمسكينُ : من له مالٌ
أو كسبٌ لا يكفيه . وأضلُّ
الفقير : المكسور فقار الظهر . أو
هو من الفقرة أى الحفرة ، ثم
استعمل فيما ذكر لانكساره بعُدته
وحاجته . أو لكونه أدنى حالا من
أكثر الناس ، كما أن الحفرة أدنى
من سطح الأرض المستوية .
والمسكين مأخوذ من السكون ضد
الحركة ، لأن العدم أسكنه
وأذله . ﴿الْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾
كالجباة والكتاب والحراس .
﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ أى فى فكها ،
بأن يُعان المكاتبون بشيء منها على
أداء بدل الكتابة . أو يشتري بها
رقابُ فُتُقى . أو يُفدى بها
الأسارى [آية ١٧٧ البقرة
ص ٤١] . ﴿وَالْعَارِمِينَ﴾
الديونيين الذين لا يجدون قضاءً .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا
وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ
رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾
* إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا
وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾
وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ
لَّكَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

والسبى : فيُظهرون لكم الإسلام
تَقِيَّةً ويؤيدونه بالأيمان الفاجرة ،
ويبطنون الكفر فى قلوبهم ، من
الفرق ، وأصله انزعاج النفس
بتوقع الضرر . يقال : فرّق فرَقاً
إذا خاف ، وأفرقه أى أخفته .
٥٧ - ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾ أى
حصناً ومَغِيلاً يلجأون إليه ﴿أَوْ
مَغَارَاتٍ﴾ كهوفاً فى الجبال
يستخفون فيها . ﴿أَوْ مُدْخَلًا﴾
سرداباً فى الأرض ، أو نفقاً كنفق
اليربوع يتَجَرَّون فيه ﴿لَوْ كُنَّا
إِلَيْهِ﴾ أى لأقبلوا إليه ﴿وَهُمْ

يَجْمَحُونَ﴾ يُسرعون أشدَّ
الإسراع ، لا يردُّهم شيء
كالفرس الجموح ، لشدة بغضهم
إياكم . وخوفهم من القتل .
والجموحُ : أن يغلب الفرسُ
صاحبه فى سيره وحريه . يقال :
جَمَحَ الفرس براكبه يَجْمَحُ جَمْحاً
وجُمُوحاً . استعصى عليه حتى
غلبه ، فهو جَمُوحٌ وجامحٌ .
٥٨ - ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ﴾ ومن
المنافقين من يعبيك ويطنن عليك
فى قسمة أموال الزكاة ، أو فيها
وفى قسمة الغنائم ، من اللَّمَز وهو

وفي الفقه تفصيلٌ لهذا الصنف .
﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فسرهُ الجمهور
بالغزاة الفقراء . وقيل : طلبة
العلم الفقراء . وقيل : منقطعو
الحجيج . وفسره في البدائع
بجميع القربات . ونقل القفالُ
جوازَ صرفِ هذا السهم إلى جميع
وجوه الخير ، من تكفين الموتى
وبناء الحصون وعمارَةِ المساجد ؛
لعموم قوله « في سبيل الله » .
﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ المسافر المنقطع
عن ماله في سفره وإن كان غنياً في
بلده ؛ والحقُّ به كلُّ من غاب
عن ماله ، وإن كان في بلده .
وقيل : هو الحاجُّ المنقطع في
سفره . أو هو الضيف . أما
المؤلفُ قلوبُهُم فهم أصناف ، وفي
حكم سهمهم بعده صلى الله عليه
وسلم أقوالٌ مبنيَّةٌ في الفقه .

٦١ - ﴿هُوَ أَذُنٌ﴾ أي يصدق كل
ما يقال له . يريدون أنه سريع
الاغترار بكل ما يسمع ، وحاشاه
ذلك ! أطلق عليه اسم الجارحة
التي هي آلة السمع ؛ كما قيل
للرَّبيضة عَيْنٌ . ﴿قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ
لَّكُمْ﴾ أي أذنٌ في الخير والحق .
وفما يجب سماعه وقبوله ؛ وليس
بأذن في غير ذلك كما تقصدون .
والإضافة على معنى في ، وهذا
أبلغ أسلوب في الردِّ على المنافقين .
﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ يصدق بالله ؛
ويسمع للمؤمنين ؛ لكونهم
صادقين عنده .
٦٣ - ﴿يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

يُحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمُ لِرِضَاكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ
يَرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ يُحَادِدِ
اللَّهِ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ
الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ
تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُّوا إِنَّا لِلَّهِ مُخْرَجٌ
مَا نَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ
وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾
لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ
مِّنْكُمْ نَعَذِّبُ طَائِفَةً يَأْتِيهِمْ كَانُوا يَمْجُرِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنَافِقُونَ
وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ
فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَّ اللَّهُ

يُخَالِفُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . وَأَصْلُ
المُحَادَّةِ : المُخَالَفَةُ والمُجَانَبَةُ
والمُعَادَاةُ ؛ مشتقةٌ من الحدِّ .
يقال : حَدَّ فلان فلاناً . إذا
صار في غير حُدِّه وجهته ؛ وجانبه
وخالفه ؛ كالمُشَاقَّةِ .
٦٤ - ﴿مُخْرَجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾
مُظْهَرٌ ما تخافونه من الفضيحة ؛
مأخوذ من الحذر - بالكسر
ومحرَّك - بمعنى التحرُّز ، وفعله
كطرب .
٦٥ - ﴿كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ كنا
نتحدَّث ونخوض في الكلام ؛
لقصر مسافة السفر بالحديث .
أجابوا بذلك حين أطلع الله رسوله
على ما قالوه استهزاء به في مسيره في
غزوة تبوك [راجع آية ١٤٠ النساء
ص ١٣٥] .
٦٧ - ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ أي
عن الإنفاق في طاعة الله
ومرضاته ؛ كناية عن الشُّحِّ
والبخل ؛ كما أن بسطها كناية عن

الجود والسخاء ، لأن من يُعطي
يُدَّ يده بالعطاء ، بخلاف من
يمنع . ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ تركوا
أمر الله حتى صاروا كالناسين له ؛
فجازاهم بأن صيرهم بمنزلة المنسي
من ثوابه ورحمته .

٦٨ - ﴿ هِيَ حَسْبُهُمْ ﴾ كافيتهم
جزاء وعقاباً ، لا يحتاجون إلى
زيادة على عذابها . يقال :
حسبك ! أى كفاك . وشيء
حساب : أى كافٍ .

٦٩ - ﴿ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ ﴾
تمتعوا بنصيبتهم الذى قُدِّرَ لهم من
ملاذ الدنيا . والخلق : مشتق
من الخلق بمعنى التقدير ، وأطلق
على النصب لأنه مقدر لصاحبه .
﴿ خُضْتُمْ ﴾ دخلتم فى الباطل .
﴿ كَالَّذِي خَاضُوا ﴾ أى
كالخوض الذى خاضوه .
﴿ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾ بطلت
وذهبت أجورها لكفرهم .

٧٠ - ﴿ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ ﴾ أى
أصحاب قرى قوم لوط - عليه
السلام - التى قلبت أعاليها
أسافلها ، من الالتفك ، وهو
الانقلاب يجعل أعلى الشيء أسفل
بالخسف . يقال : أفكك يافكه ،
إذا قلبه رأساً على عقب . وذكر
الله هذه الطوائف الست ؛ لأن
آثارهم باقية ، وبلادهم بالشام
والعراق واليمن . وكلها قرية من
أرض العرب ؛ فكانوا يمزجون عليها
فى أسفارهم ويعرفون الكثير من
أخبارهم

الْمُتَفِقِينَ وَالْمُتَفَقِّتِ وَالْكَفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ
فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾
كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأكْثَرَ أَمْوَالاً
وَأَوْلَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا
اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي
خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ
وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيَظْلِلَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ
وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ
طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ
هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جُنُودُ الْكَفَّارِ
وَالْمُتَفَقِّينَ وَأَغْلَطَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ
الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ

٧٢- ﴿فِي جَنَاتٍ عَذْنٌ﴾ أى إقامة وخلود. وقيل: هى اسم لكان مخصوص فى الجنة.

٧٣- ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ بالقتال ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ باللسان بالوعظ والزمام الحجة. ﴿وَاعْلَظْ عَلَيْهِمْ﴾ وشدد عليهم جميعاً فى الجهاد بقسمته.

٧٤- ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾ ما كرهوا وما عابوا شيئاً ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالغنائم [آية ٥٩ المائدة ص ١٥٤].

٧٥- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾ أى من المنافقين. نزلت فى شأن ثعلبة بن حاطب من بنى أمية بن زيد.

٧٨- ﴿يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ يعلم ما انطوت عليه صدورهم من النفاق، وما تناجوا به بينهم من المطاعن. والسِّر: هو الحديث المكتتم فى النفس. والتجوى: المساورة بالحديث [آية ١٤ النساء ص ١١٠].

٧٩- ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾ يعيرون (هم المنافقون). ﴿جَهْدَهُمْ﴾ أى طاقتهم وما تبلغه قوتهم. وهم الفقراء.

٨٠- ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ...﴾ أمر بمعنى الخير؛ أى استغفارك هؤلاء المنافقين وعدمه سيان، ومهما أكثر من فلن يغفر الله لهم؛ لإصرارهم على الكفر والفسوق.

(١) آية ٣٢ الحاقة.

وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أَيْمَاءٌ لَيْسَ لَهُمْ بَأْسٌ وَلَا يَنْصَرُونَ وَلَا يَصِيرُونَ ﴿٧٦﴾
إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَعَذِّبْهُمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٧﴾
* وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٨﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٩﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٨٠﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿٨١﴾
الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٨٢﴾ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٣﴾

وعن ابن عباس فى سبب نزول الآية: أنه لما نزل قوله تعالى: «سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ» سأل اللازمون رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستغفار لهم، فهم أن يفعل، فنزلت فلم يفعل. وذكر السبعين لإرادة التكثير والمبالغة على ما جرى عليه العرب فى أساليبهم عند إرادة ذلك. ونظيره قوله تعالى: (ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا) (١)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ صَامَ يَوْمًا فى سبيل الله باعد الله

بعد : فإنها قائمان بهم مع الزيادة على السبعين .

٨١- ﴿ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ بعد خروجه ، أو لأجل مخالفته .

٨٣- ﴿ فاقعدوا مع الخالفين ﴾ مع المتخلفين بعد القوم عن الجهاد لعدم لياقتكم له ، كالنساء والصبيان ونحوهم . وجميع جمع المذكور للتغليب .

٨٤- ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ ﴾ نهى صلى الله عليه وسلم عن صلاة الجنازة على من مات منهم وفيها الدعاء والاستغفار ، وعن القيام عند قبره للدفن أو للزيارة والدعاء له ، لأنهم كفروا بالله ورسوله ، وماتوا على فسقهم . وكان من عادته صلى الله عليه وسلم أن يفعل ذلك لمن مات من المسلمين ، وكان يعامل المنافقين بحكم الظاهر معاملة المسلمين ، حتى نزلت هذه الآية ، فما صلى بعدها على منافق ، ولا قام على قبره حتى قبض صلى الله عليه وسلم .

٨٥- ﴿ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ ﴾ تخرج أرواحهم .

٨٦- ﴿ اسْتَأْذَنَكَ أَوْلُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ ﴾ أى استأذنتك فى التخلف عن الجهاد أصحاب الغنى والسعة من المنافقين .

٨٧- ﴿ مَعَ الْخَوَالِفِ ﴾ أى مع النساء اللاتي تخلفن عن أعمال الرجال وقعدن فى البيوت . أو مع

فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَكُونُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَعَذَّنُوكَ لِخُرُوجٍ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعْذَنَكَ أَوْلُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَائِرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾

وجهه عن النار سبعين خريفاً ^(١) . مفهوم للعدد هنا . ويؤيد ذلك : وليس المراد بها التحديد ، فلا التعليل بالكفر والفسق المذكورين

الرجال العاجزين عن القتال .
يقال : امرأة خالفة ، ورجل خالفة ، أى لا خير فيه . والتاء للثقل إلى الاسمية ﴿وَطَبِعَ﴾ خم .

٩٠ - ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ ..﴾ شروع فى بيان أحوال منافق الأعراب ، بعد بيان أحوال منافق أهل المدينة . وكان منافقو الأعراب قسمين : قسم جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم معتذراً بأعذار كاذبة ، وهم أسد وغطفان ، اعتذروا بالجهد وكثرة العيال . وقيل : هم رهط عامر ابن الطفيل ، اعتذروا بخوف إغارة طيئ على أهلهم ومواشيهم ، وهؤلاء هم المعتذرون ، من عذر فى الأمر ، إذا قصر فيه مؤمناً أن له عذراً ولا عذر له . وقسم لم يحن ولم يعتذر ، وهم الذين ذكرهم الله تعالى بقوله : ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أى قعدوا عن الجىء إليه للاعتذار . والأعراب : سُكَّانُ البادية . والعرب : سُكَّانُ المدن والقرى .

٩١ - ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ ..﴾ شروع فى ذكر أرباب الأعذار الحقيقية ، بعد ذكر أرباب الأعذار المخلقة . أى لا إثم فى التخلف عن الجهاد على العاجزين عنه وهم : الضُّعَفَاءُ كالشيوخ والنساء والصبيان . والمرضى كالعمى والزمى والرج . والفقراء العاجزون عن أهبة السفر والجهاد

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩١﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٣﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ ﴿٩٤﴾ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَعِدُّونَكَ وَهُمْ أُغْنِيَائُكُمْ رِضًا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ

كجهينة ومزينة وبنى عذرة . ﴿حَرَجٌ﴾ إثم أو ذنب فى التخلف عن الجهاد . ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ بالإيمان والطاعة ظاهراً وباطناً . والضح : الأصل : الخلاص . يقال : نصحت له . واستعمل فى إرادة الخير للمنصوح له ، وأريد منه ما ذكرنا مجازاً .
٩٢ - ﴿وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ أى تسيل دمعاً من الحزن على فقدان ما ينفقونه على أنفسهم فى الجهاد . والفَيْضُ : انصبابٌ عن امتلاء ، وإسناده إلى العين للمبالغة ، كما فى جرى النهر .
٩٣ - ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ أى الطريق للمعاقبة . والمراد بالطريق : الأعمال السيئة المُفْضِيَةُ للعقاب .
٩٤ - ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ يعتذر المنافقون إليكم بعد عودتكم من الجهاد عن تخلفهم أعذاراً باطلة .



منهم ، وجهلهم بالقرآن والسُنن .
﴿ وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا
أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ وأخلق بالأل يعلموا
فرائض الله وأوامره ونواهيه .
يقال : هو جدير بكذا وأجدر ،
أى خليف به وأخلق . مشتق من
الجدر وهو أصل الشجرة ؛ فكأنه
ثابت ثبوت الجدر في قولك :
جدير . وأجدر . والمراد وصف
جنس الأعراب ؛ بدليل قوله
تعالى : (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) .

٩٨- ﴿مَغْرَمًا﴾ غرامة
وخسارة ؛ لأنهم لا ينفقونه رجاء
لثواب ، بل تقيّة ورياء ؛ من
القرام بمعنى الهلاك لأنه سببه .
﴿ وَيَتَرَبَّصُّ بَكُمْ الدَّوَائِرُ ﴾ ينتظر
بكم صروف الدهر ومصائبه التي
يتبدّل بها حالكم إلى سوء .
والترّص : الانتظار .
والدوائر : جمع دائرة وهى النائبة
[آية ٥٢ المائدة ص ١٥٣] .
﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ دعاء يخو
ما يتربصون به . والسوء : مصدر
سأه يسؤه سوءًا ، إذا فعل به ما
يكره فاستاء هو . والسوء -

بالضم - اسم منه . وقيل :
المفتوح بمعنى الدّم ، والمضموم
بمعنى العذاب والضرر . وإضافة
«دائرة» إلى «السوء» من إضافة
الموصوف إلى الصفة ؛ كما في رجل
صديق .
٩٩- ﴿صَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾
دعواته واستغفاره (للمنفقين) .

قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَنْبَارِكُمْ
وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ
بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِنُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا
عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا
عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾
الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾
وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمْ
الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ
الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ
قُرْبَةً عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ
سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٩﴾

ويروى أنهم كانوا كانوا بضعةً وثمانين رجلاً .
٩٥- ﴿لِنُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾
لنتركوهم ولا تؤنبوهم ،
ولتصفحوا عنهم . ﴿إِنَّهُمْ
رَجِسٌ﴾ إنهم قذّر أو نجس
فاجتنبوهم . جعلوا نفس الرجس
مبالغة في نجاسة أعمالهم .
٩٧- ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا
وَنِفَاقًا﴾ نزلت في أسد وعطفان ،
والعبارة بعموم اللفظ . أى أهل
البادية أشد كُفْرًا ونفاقًا من أهل
الحضر الكفار والمناققين ؛
لجفائهم وقساوة قلوبهم ،
وتوخشهم ونشاطهم في معزل عن
مخالطة العلماء بالدين ، والتعلم

١٠١ - ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ...﴾ شروع في ذكر أنواع المتخلفين عن غزوة تبوك .
 أى ومن الأعراب الذين حول المدينة كبعض أناس من قبائل سليم وأشجع وغفار ومزينة وجهينة .
 ومن أهل المدينة منافقون ﴿مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ﴾ مَرُّوا عليه وتمهروا فيه ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ لعراقتهم في النفاق والحقبة ، مع كمال فطنتك وصدق فراستك ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ لا يخفى علينا ما في سرائرهم ﴿سَعَدَّيْنَهُمْ مَّرَّتَيْنِ﴾ في الدنيا بالفضيحة وعذاب القبر ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ في الآخرة .

١٠٢ - ﴿وَأَخْرُونا اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ أى ومن المتخلفين قوم آخرون اعترفوا بذنوبهم ؛ وهى تخلفهم عن الغزو وعن صحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، وإيثارهم الدعة . ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾ وهو جهادهم في سبيل الله قبل هذه الغزوة ﴿وَأَخَّرَ سَيِّئًا﴾ وهو تخلفهم عن هذه الغزوة ، وتديؤوا وتابوا إلى الله منه . وكانوا عشرة أو أقل ، منهم : أبو لبابة بن عبد المنذر . ولما بلغهم ما نزل في المتخلفين أوثقوا أنفسهم في سوارى المسجد ، وحلفوا لا يحلهم إلا النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فأعرض عنهم حتى نزلت الآية فحل وثاقهم ؛ إذ قبل الله توبتهم كما يفيد قوله تعالى : ﴿عَسَى اللَّهُ

وَالسَّيِّقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠١﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَعَدَّيْنَهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٢﴾ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرُ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٣﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٥﴾ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عِلِّمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٦﴾ وَآخَرُونَ مَرْجُوفُونَ

أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ فإن التَّوْبَةَ فى حقِّه تعالى إطاع ، وهو من أكرم الأكرمين إيجاب . ولما أطلقهم طلبوا منه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ أموالهم صدقة طهرة لهم ؛ وكفارة عن ذنوبهم ؛ فتزل ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً...﴾ تنمى بها حسناتهم وأموالهم . ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ ادع لهم واستغفر لهم . ﴿سَكَنٌ لَهُمْ﴾ طمأنينة . أو رحمة لهم .

لَا مَرَّ لِلَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
 حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا
 وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
 مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَسْهَدُ
 لِنَهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ
 عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ
 يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾
 أَقْنِ أَسْوَ بُنَيْنَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ
 أَمْ مِنْ أَسْوَ بُنَيْنَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارِبَهُ
 فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾

تقم فيه . و«ضِرَارًا» مفعول له ،
 وكذا ما بعده . وهؤلاء الذين
 اتخذوه اثنا عشر رجلاً من كبار
 المنافقين : كانوا يصلُّون بمسجد
 قباء فقال لهم أبو عامر الراهب :
 ابثوا مسجداً واستعدوا بما استطعتم
 من قوة وسلاح فإني ذاهب إلى
 قَيْصَرَ ملك الروم ، فأني يحشد من
 الروم فأخرج محمداً وأصحابه ،
 فلما بئوه رغبوا إليه صلى الله عليه
 وسلم أن يصلِّي فيه ، فوعدهم أن
 يصلِّي فيه إذا عاد من ثبوك إن شاء
 الله تعالى . فأوحى إليه خبرهم
 وأعلمه بتأمرهم ، فلما عاد أمر
 بحرقه فحرق . والضَّرَارُ : طلبُ
 المضارة ومحاولته ، ومن ثم سُمِّيَ
 مسجد الضَّرَار . ﴿وكُفْرًا﴾ أى
 وتقوية للكفر الذى يضمرونه
 ﴿وتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وهم
 أهل قباء ، حسداً لهم على
 اجتماعهم ، وطمعاً فى اختلاف
 كلمتهم . ﴿وَإِرْصَادًا﴾ أى
 انتظاراً وإعداداً لمن حارب الله
 ورسوله ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أى من قبل
 بناء هذا المسجد - وهو أبو عامر
 الراهب الذى سمَّاه الرسول صلى
 الله عليه وسلم أبا عامر الفاسق .
 يقال : أرصدته له أعددته .
 ورصدته وأرصدته فى الخير ،
 وأرصدت له فى الشر .
 ١٠٨ - ﴿لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى
 التَّقْوَىٰ﴾ هو مسجد قباء .
 ١٠٩ - ﴿أَقْنِ أَسْوَ بُنَيْنَهُ﴾ أى أبعد ما عُلِمَ
 حالهم ، فن أسس بُنيان دينه على

١٠٦ - ﴿وَأَخْرَجُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ
 اللَّهِ﴾ أى ومن المتخلفين قومٌ
 موقوفٌ أمرهم إلى أن يظهر أمر الله
 فيهم ، وهم : مُرَّادُ بن الربيع
 وكعب بن مالك وهلال بن
 أمية ، تخلَّفوا عن الغزوة كسلاً مع
 الهمم بالحق به عليه الصلاة
 والسلام فلم يتيسر لهم ، فلما قدم
 النبى صلى الله عليه وسلم وكان قد
 نزل ما نزل فى المتخلفين قالوا : لا
 عُذْرَ لَنَا إِلَّا الْخَطِيئَةُ ، ولم يعتذروا
 كأنصحاب السَّوَارَى ، فأمر
 الرسول صلى الله عليه وسلم
 باجتماعهم إلى أن نزلت آية ١١٧ :

١٠٧ - ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا
 ضِرَارًا﴾ منصوبٌ على الذم . أى
 وأدُّم الذين اتخذوا . أو مبتدأ
 بتقدير مضاف خبره : «لَا تَقُمْ»
 أى ومسجد الذين اتخذوا .. لا

تقوى الله وطاعته وطلبه رضوانه
خير ، أم من أسس ببيان دينه على
ضلال وكفر ونفاق ! ؟ والشفا :
الحرفُ والشقيِرُ . والجرفُ -
بضمّتين - : البئرُ التي لم تُغط . أو
الهوة . أو المكانُ الذي يحرقه الماء
ويذهب به . وهار : أى هائر
ساقط . يقال : هار البناء إذا
سقط . وهو نعتٌ لـ «جرف» .
وقد مُثلُ بناءُ الدّين على الباطل
بالبناء على شفا جرف هار ﴿ فَأَنهَارَ
بِهِ ﴾ أى فسقط الجرفُ بالبيان
مع المباني ﴿ فَيَنَارُ جَهَنَّمَ ﴾ .

أبى طالب بعد موته ، فنهاه الله عن ذلك .
 ١١٤ - ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ خاشع متضرع في الدعاء . أو كثير التأوه من خوف الله . قال أبو عبيدة : الأواه : المتأوه قرعاً ، المتضرع يقيناً ولزوماً للطاعة . وأصل التأوه : قول الرجل أوّه . أو أوّه ؛ أى أتوجع . و«حليم» صبور على الأذى ، صفوح عن الجناية ، يقابلها بالإحسان والعطف .
 ١١٧ - ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ أى غفر الله للمؤمنين بسبب صبرهم على شدائد هذه الغزوة ما عساه قد فرط منهم من

١١٢ - ﴿السَّائِحُونَ﴾ أي الصائمون . سَمُوا سَائِحِينَ لتركهم الملاذ كالسائحين . وقيل : الغزاة المجاهدون . ﴿لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ لأوامره ونواهيهِ .

١١٣ - ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾ نزلت حين أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لعمه

قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۖ إِنَّ اللَّهَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ
وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ
يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ يَرْءُهُمْ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ
إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ
أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِّنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ
لِيتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ

النهى . أى ليس لهم أن يتخلفوا
عن رسول الله في الجهاد ﴿ وَلَا
يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ أى لا
يجعلوا أنفسهم رغبة عما التي فيه
نفسه ، والباء للتعدي . أو لا
يرغبوا عن نفسه بأنفسهم ، أى
بسبب صونها ، والباء للسببية .
وهو متضمن أمرهم بأن يصحبوه
على البأساء والضراء ، ويكابدوا
معه الشدائد والأحوال برغبة
ونشاط ، وأن يلتقوا أنفسهم في
الشدائد ما تلقاه نفسه الكريمة ﴿ وَلَا
يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ ﴾ عطش ﴿ وَلَا
نَصَبٌ ﴾ تعب ﴿ وَمَشَقَّةٌ ﴾ وَلَا
مَخْصَصَةٌ ﴿ مَجَاعَةٌ شَدِيدَةٌ تَظْهَرُ
خَمَصُ الْبَطْنِ وَضُمُورُهُ ﴾ وفعلها
كنصر . ﴿ وَلَا يَطْلُونُ مَوْطَأً ﴾ وَلَا
يدوسون مكاناً من أمانة الكفار
بأرجلهم أو حوافر خيلهم وأخفاف
رواحلهم . أو هو مصدر بمعنى
وطأ ودوس ، من وطئ كفهم .
﴿ يَغِيظُ الْكُفَّارَ ﴾ بغضهم
ويغهم . ﴿ وَلَا يَتَّكِلُونَ عَلَى عِدْوٍ
نِيْلًا ﴾ بقتل أو أسر ، أو جراحة أو
غنيمة ، ونحو ذلك .
١٢٢ - ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا
كَأَفَّةٍ ﴾ أى ما ينبغي للمؤمنين
ولا يجوز أن ينفروا جميعاً
للجهاد ، ويتركوا النبى صلى الله
عليه وسلم وحده في حالة عدم
خروجه بنفسه للجهاد وعدم التفرغ
للكافة . بل يجب أن ينقسموا
قسمين : طائفة تبقى معه لتعلم
العلم والفقه في الدين ، والتلقى
من مشكاة النبوة . وطائفة تنفر

١١٨ - ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ
خَلَفُوا ... ﴾ أى وتاب على
الثلاثة السابق ذكرهم في تفسير آية
١٠٦ الذين تخلفوا عن الغزو .
﴿ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ أى مع رُحْبها أى
سعتها . وأما الرَّحْبُ -
بالفتح - فهو المكان المسع .
﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾ تأكيد للتوبة
المفهومة مما سبق . ﴿ لِيَتُوبُوا ﴾
ليدوموا على التوبة ويشتوا عليها .
١٢٠ - ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ
الْمَدِينَةِ ... ﴾ المراد بالقى هنا :

الزلات . وضم ذكر النبى صلى
الله عليه وسلم إلى ذكرهم تنبيهاً على
عظم مرتبتهم في الدين ، وأنهم
بلغوا الرتبة التي لأجلها ضم ذكره
صلى الله عليه وسلم إلى ذكرهم .
والعُسْرَةُ : ضدُّ اليُسْرَةِ ، فهي
الشدَّة والضيق . ﴿ يَزِيغُ قُلُوبَ ﴾
تميل عن الخروج مع الرسول صلى
الله عليه وسلم لما فيه من الشدَّة
والمشقة . وَالزِّيغُ الميلُ . ﴿ ثُمَّ
تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ تأكيد للتوبة
والعفو .

للجهاد . فلما كثون يحفظون ما
تجدد من الأحكام ؛ فإذا قدم
الغزاة علموهم ما تجدد في
غيبتهم . فالتفقه والإندار إنما هو
عمل الطائفة الماكثة . وفي هذا
التقسيم رعاية المصلحة في
الجانبيين .

١٢٣ - ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ
يَلُونَكُمْ ۖ لَمَّا أُمِرُوا بِقِتَالِ
الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ۖ أُرْشِدُهُمُ اللَّهُ إِلَى
الطَّرِيقِ الْأَصْلَحِ ۖ وَهُوَ أَنْ يَبْدَأُوا
بِقِتَالِ الْأَقْرَبِ فَأَلْقَرِبَ ۖ حَتَّى
يَصِلُوا إِلَى الْأَبْعَدِ فَأَلْبَعْدَ ۖ لِعَدَمِ
تَصَوُّرِ الْقِتَالِ دَفْعَةً وَاحِدَةً ۖ وَلِهَذَا
قَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَوَّلًا قَوْمَهُ ۖ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى قِتَالِ سَائِرِ
العَرَبِ ۖ ثُمَّ إِلَى قِتَالِ أَهْلِ
الْكِتَابِ ۖ وَهُمْ قَرِيبَةٌ وَالتَّضْيِيرُ
وَحَيْثُ وَفَدَكَ ۖ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى غَزْوِ
الرُّومِ وَالشَّامِ ۖ وَتَمَّ فَتْحُهُ فِي زَمَنِ
الصَّحَابَةِ ۖ ثُمَّ إِنَّهُمْ انْقَلَبُوا إِلَى
العِرَاقِ ۖ ثُمَّ إِلَى سَائِرِ الْأَمْصَارِ ۖ
وَإِذَا قَاتَلَ الْأَقْرَبُ أَوَّلًا تَقَوَّى بِمَا
يُنَالُ مِنْهُ عَلَى الْأَبْعَدِ ۖ ﴿ غِلْظَةٌ ﴾
شِدَّةٌ وَشَجَاعَةٌ ۖ وَحِمَاةٌ ۖ
وَصَبْرٌ ۖ

١٢٥ - ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾
شَكٌّ وَنِفَاقٌ وَكُفْرٌ ۖ ﴿ فَرَادَتْهُمْ
رِجْسًا ﴾ شَكًّا وَنِفَاقًا وَكُفْرًا
مُضْمُومًا ﴿ إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾ لِأَنَّهُمْ
كَلِمًا جَحَدُوا سُورَةَ أَوْ آيَةً ۖ
أَوْ اسْتَهْزَأُوا بِهَا أَزْدَادُوا فِيهَا هُمْ
فِيهِ ۖ وَأَصْلُ الرِّجْسِ : الشَّيْءُ
الْمُسْتَقْدَرُ ۖ وَمَا هُمْ فِيهِ أَقْدَرُ
شَيْءًا !

الْمَدِينَةَ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ
رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْتَابُوا ۖ يَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ۖ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَلَا يَطْعُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ
نَيْلًا ۖ لَا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَمْرَ
الْمُحْسِنِينَ ﴿ ١٢٤ ﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً
وَلَا يَقْطَعُونَ وَأَدْيَا ۖ لَا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ ١٢٥ ﴾ * وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً
فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ
وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿ ١٢٦ ﴾
يُنَالِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَاتْلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ
وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿ ١٢٧ ﴾
وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ
هَذِهِ ءِيمَانًا ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ ءِيمَانًا وَهُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿ ١٢٨ ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ
رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿ ١٢٩ ﴾ أَوْ لَا يَرَوْنَ
أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ
وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿ ١٣٠ ﴾ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ
إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَا مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ



سورة يونس

٢ - ﴿أَن لَّهُمْ قَدَمٌ صِدْقٌ﴾
 القَدَمُ : السابقة والسَّالِفَةُ .
 والعربُ تُسمِّي كلَّ سابقٍ في خيرٍ
 أو شرٍّ قَدَمًا . وإضافته إلى الصَّدقِ
 من إضافة الموصوف إلى الصفة ؛
 كما في مسجد الجامع ، فتفيد
 المدح . وما قَدَمُوه هو الإيمان . أو
 الأعمال الصالحة المستتعة للثواب .
 أى أن لهم سابقة فضل ومثلة
 رفيعة عند ربهم . أو أجرًا حسنًا .
 أو ثوابًا كريمًا بما أسلفوا . وسميَ
 قَدَمًا لأنه لا يُنال إلا بالسَّعى وهو
 لا يحصل إلا بالقدم ؛ فسميَ
 المسبَّب باسم السَّبِّ .

٣ - ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ﴾ [آية ٥٤ : الأعراف
 ص ٢٠٧] . ﴿أَسْتَوَى عَلَى
 الْعَرْشِ﴾ استواء يليق به سبحانه .
 ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ يقضى ويُقدِّر
 شئون جميع الكائنات على وفق
 الحكمة والوجه الأكمل . وأصلُ
 التدبير : النظرُ في أدبار الأمور
 وأعقابها ؛ لتقع على الوجه
 المحمود .

٤ - ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ وعدكم
 بالثبوت والرجوع إليه وعدًا ،
 وحقَّ ذلك الوعدُ حقًّا ؛ أى ثبت
 ووجب ثباتًا ووجوبًا لا شك فيه ،
 فيجازيكم على جحودكم . ﴿إِنَّهُ
 يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ دليل على
 قدرته ؛ وهو كالتعليل لما قبله .
 ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل . ﴿وَالَّذِينَ
 كَفَرُوا﴾ أى وليجزي الذين كفروا

قُلُوبِهِمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
 مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
 رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ
 إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

(١٠) سورة يونس مكيّة
 ٤٠ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ قذية
 وآياتها ١٠٩ نزلت بعد الأسماء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّتِي تَنبَأُ بِأَيِّ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ
 لِلنَّاسِ عِجَابٌ أَن أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَن أَنذِرِ
 النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِندَ
 رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾
 إِنَّ رَبَّكَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ
 أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ

١٢٦ - ﴿يُفْثُونَ﴾ يُتَلَوْنَ شديدٌ وشاقٌّ عليه عثكم
 بالشدائد . ومثقتكم ؛ لكونه بعضًا منكم .

١٢٧ - ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ لا يتدبرون ، أو لا يفهمون لسوء
 استعدادهم . يقال : فقهه يفقهه ،
 وشق . والعتى المشقة . يقال :
 أكمة عثوت ، أى شاقة ، وفعله
 كفرح .

١٢٩ - ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ كافيني

١٢٨ - ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ الله ومعينى والله أعلم

بكفرهم ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ أى ماءً حاراً بالغ نهاية الحرارة . والجملة بيان لجزائهم فى الآخرة .

٥ - ﴿جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً..﴾ شروع فى بيان أدلة كمال قدرته تعالى وعظيم حكمته وتدبيره ، رداً على منكرى البعث . أى هو الذى جعل الشمس ذات ضياء فى النهار ، والقمر ذا نور فى الليل ، وقدر سير القمر فى منازلها الثانية والعشرين فى كل شهر ، تقديرًا بديعًا محكمًا ؛ ليعرف بذلك ابتداء الشهور والسنين وانهاؤها وعددها والحساب بالأوقات من الأشهر والأيام . وبذلك تنظم مصالح العباد فى العبادات والمعاملات وسائر الشؤون المعاشية .. وهو الذى جعل الليل والنهار خلفًا يتعاقبان دائماً بحسب طلوع الشمس وغروبها ، ويتفاوتان بحسب الأمكنة طولاً وقصرًا . ﴿قَدَرَهُ مَنَازِلَ﴾ صير القمر ذا منازل يسير فيها .

٧ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا..﴾ لا يتوقعون لقاء حسابنا ، فلا يأملون ثوابنا ، ولا يخشون عقابنا ؛ لإنكارهم البعث . والرجاء فى الأصل : توقع الخير ، كالأمل . ويُستعمل فى الخوف وتوقع الشر ، وفى مطلق التوقع الشامل للأمل والخوف ؛ وهو المراد هنا .

١٠ - ﴿دَعَوَاهُمْ فِيهَا﴾

إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لَعَلَّكُمْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَابِتِنَا غَافِلُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَنَحْمُكَ فِيهَا وَسَلَامٌ وَءَانِحٌ دَعَوْنَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣﴾ * وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ

سُبْحَانَكَ ﴿ أى دعاؤهم فى الجنة الملائكة بالسَّلام ؛ أى بالدعاء لهم التسبيح والتزنية ، الذى هو إشارة بالسَّلامة من كل مكروه . إلى وصفه تعالى بصفات الجلال ، والسخية : السَّكرمة بالحالة فيقابلون بالتحية منه تعالى ، أو من الجليلة . وأصلها من الحياة ؛ أى



الرُّشْدَ . وَالْجَمْلَةُ حَالِيَّةٌ [آية ١٥
البقرة ص ٧] .

١٢ - ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ﴾
أى إذا أصاب الإنسان .
﴿الضَّرَّ﴾ الجهد والبلاء والشدة .
أى شدةً ومكروه - ولو قليلاً
يسيراً - دعانا لكشفه في كل
أحواله ، فإذا استجبنا له استمر
على حالته الأولى ونسى ما كان فيه
من البلاء ، كأنه لم يدعنا إلى
كشفه . والمرادُ جنسُ الإنسان ،
أو الكافر من الناس باعتبار حال
بعض أفرادهِ ، وهو من يذكر الله
عند البلاء وينساه عند الرخاء .
والآية بيانٌ لكذب الذين
استعجلوا العذاب ، لأنهم
سيضرعون إلى الله عند نزوله ،
لكشفه وعجزهم عن احتماله .
﴿دَعَانَا لِجَنبِهِ﴾ استغاث بنا
لكشفه ملقياً لجنبه . ﴿مَرَّ﴾ استمر
على كفره ولم يتعظ .

١٣ - ﴿أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾ الأمم
الماضية [آية ٦ الأنعام ص
١٦٩] . ﴿ظَلَّمُوا﴾ بالكفر
وتكذيب الرسل .

١٤ - ﴿خَلَّافٌ﴾ خالفين لمن
سبقكم . جمع خليفة [آية ١٦٥
الأنعام ص ١٩٨] . ﴿لِنَنْظُرَ﴾
كَيْفَ تَعْمَلُونَ أى لنعلم أى عمل
تعملون ، خيراً أو شراً . والمرادُ :
لنعاملكم معاملة من يطلب العلم بما
يكون منكم لنجازيكم بحسبه ،
وإلا فهو تعالى عالم بما يكون
منهم .

لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَلَهُمْ بِالْخَيْرِ لِقَاضِي إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ
فَنَذَرَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾
وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا
فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ
مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾
وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكَ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي
الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ
مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُنْذِرَ عَلَيْهِمْ

الاستعجال بالخير - وهو طلب
التعجيل به - موضع التعجيل به
لهم ، لإفادة سرعة إجابته تعالى
لهم ، وإسعافهم بالخير ، حتى
كَانَ اسْتِعْجَالُهُمْ بِالْخَيْرِ تَعْجِيلٌ
لَهُ ، لَسَبَقَ رَحْمَتُهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ .
﴿لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ﴾ لأهلكوا
جميعاً . يقال : قضى إليه
أجله ، أى أنهى إليه مدته التى
قدَّرها لموته فهلك . ولكنه تعالى
لا يُعَجِّلُ الشَّرَّ لَهُمْ ، ولا يقضى
أجلهم استدراجاً لهم . ﴿فِي
طُغْيَانِهِمْ﴾ وهو إنكارهم
الْبَعْثَ ، وما يتفرع عليه من
الأعمال الفاسدة . ﴿يَعْمَهُونَ﴾
يترددون ويتحيرون . أَوْ يَعْْمُونَ عَنْ

أحياءك الله حياةً طيبةً . ثم يختمون
دعاءهم بالتحميد ، الذى هو
إشارة إلى وصفه بنعوت الجلال
والإكرام .
١١ - ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ
لِلنَّاسِ﴾ نزلت في المشركين
حين استعجلوا العذاب الذى
أوعدوا به ، استهزاءً وتكذيباً
لإنكارهم البعث ، فقالوا :
(اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ
عِنْدِكَ فَأُمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَةً مِنَ
السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ) (١) . أى ولو يُعَجِّلُ اللَّهُ لَهُمُ
الشَّرَّ الذى استعجلوه
﴿اسْتَعْجَلَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾ أى
تعجيله لهم بالخير . فوضع

١٥ - ﴿مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسٍ﴾ من قبل نفسي ومن عندي . مصدرٌ على تفعال ، ولا نظير له غير تبيان .

١٦ - ﴿وَلَا أَذْرَاكُمْ بِهِ﴾ ولا أعلمكم الله بالقرآن على لسانى . يقال : دريته وبه أدري ذرياً ودرابةً ، علمته . أو علمته بضرب من الحيلة . وأدراه به : أعلمه . و«لا» مؤكدة للتبني .

١٧ - ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ..﴾ أى وإذا كان القرآن بمشيئته تعالى وأمره : فمن اختلف من تلقاء نفسه كلاماً وقال هو من عند الله . أو بذلك بعض آياته ببعض ، كما يجوزون ذلك فى شأنى . أو كذب ببعض آياته كما يفعلون ، فهو أظلم من كل ظالم ! و«افترى» اختلف . يقال : افترى الكذب اختلقه ، ومنه الفرية أى الكذب . والفري : الأمر المختلق المصنوع . وزيادة «كذباً» مع أن الافتراء لا يكون إلا كذلك ، للإشارة إلى أن ما نسبوه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مع كونه افتراءً على الله هو كذب فى نفسه . ﴿لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ لا يفوزون بمطلوب .

١٨ - ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا﴾ كان المشركون يُنكرون البعث ، وقد حاجهم الله فى ذلك فى غير آية . وكانوا يقولون : (لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ) (١) . ويقولون : (إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) (٢) .

(١) آية ٣٨ النحل . (٢) آية ٢٩ الأنعام .

ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٌ ۖ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَيْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدَّلَهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدِلَهُ مِنْ تِلْكَ آيِ نَفْسِي ۚ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰٓ إِلَيَّ ۚ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَبْتُكُمْ بِهِ ۚ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَنْتَبِعُونَ ۚ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ ۚ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ

ومع ذلك قالوا : ﴿هَؤُلَاءِ﴾ أى الأصنام ﴿شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ . وروى عن بعضهم القول بشفاععة اللات والعزى لهم يوم القيامة . فذهب الجمهور إلى أنه إنما قيل على سبيل الفرض والتقدير : أى إن كان هناك بعث كما تزعمون فهولاء يشفعون لنا . وذهب الحسن إلى أن مرادهم الشفاععة فى

الدنيا لإصلاح المعاش لا فى الآخرة لإنكارهم البعث . والحق أنهم فى أمر مريب من البعث ، وأنهم فيه حيارى مضطربون ، ولذلك اختلفت كلماتهم . وسيأتى لذلك تنمة فى موضعه . ﴿قُلْ أَنْتَبِعُونَ اللَّهُ﴾ أى قل لهم تبكيئاً : أنخبرونة بما لا وجود له أصلاً وهو شفاعة الأصنام عنده ، إذ لو كان

دعاهم ورحمهم الله بالحيَا طفقوا
يطعون في آيات الله ؛ وذلك قوله
تعالى : ﴿ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي
آيَاتِنَا ﴾ أى بالطعن فيها وعدم
الاعتداد بها . ﴿ ضَرَاءَ مَسْتَهُم ﴾
نايبة أصابهم (الجوع والقحط) .
﴿ قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ﴾ أعجل
عقوبة وأشد أخذًا ؛ جزاء لكم
على مكرهم السيء .

٢٢ - ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ ﴾
تفسير لما أجمل في قوله تعالى :
﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا ﴾ : وضرب مثل ليظهر
ما هم عليه . ﴿ الْفُلْكَ ﴾ السفن
﴿ طَيِّبَةً ﴾ لينة الهبوب موافقة
للمقصد . ﴿ جَاءَتْهَا رِيحٌ ﴾
عاصف . أى ذات عصف ؛
على السب كلاين وتامر ،
والعصف : الكسر والنبات
المتكسر . والمراد : شديدة
الهبوب . ﴿ أُحِيطَ بِهِمْ ﴾ أحرق
بهم الهلاك .

٢٣ - ﴿ يَتَّبِعُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾
يفسدون فيها : متجاوزين إلى غير
ما أمر الله به . يقال : يتبعى
الجرح . إذا تراخى في الفساد
وجاوز الحد فيه . ﴿ يَبْغِزُ الْحَقَّ ﴾
تاكيد لما يفيد البغى .

٢٤ - ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا ﴾ بيان لشان الحياة الدنيا
وقصر مدة التمتع بها مهما طالت .
وقرب زمان الرجوع الموعود به .
أى إنما حالها فى سرعة تقضيها
وانصرام ملاذها . بعد كثرتها
والاغترار بها ؛ كحال ماء

عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي
مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ
بَعْدِ ضَرَاءَ مَسْتَهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ
مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ هُوَ الَّذِي
يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ
وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ
وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۖ
دَعَاؤُا اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَئِنْ أُنجِيتَنَا مِنْ هَٰذِهِ
لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا أُنجِيتَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ
فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۖ بَنَّا بِهَا النَّاسَ إِنَّمَا بِغَيْرِكُمْ عَلَيَّ
أَنْفُسُكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ

موجودًا لعلمه ، وحيث كان غير
معلوم له تعالى استحال وجوده ؛
لأنه لا يعزب عن علمه شيء .
﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ تنزيها له تعالى .
والعناد ؟!

٢٥ - ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ
رَحْمَةً ﴾ يتبعى على كفار مكة
غلوهم فى كفرهم ؛ فقد ابتلاهم
بحبس المطر عنهم سبع سنين حتى
كادوا يهلكون . فطلبوا منه صلى
الله عليه وسلم أن يدعو لهم
بالخضب ووعده بالايان ؛ فلما

٢٥ - ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ
آيَةٌ ﴾ أى هلا أظهر الله على يديه
آية من الآيات التى اقترحناها ؛
كآية موسى وعيسى عليها السلام .
ولم يردعهم عن هذا القول
ما يرون من المعجزات الباهرة ؛
التي أعلاها القرآن العظيم ، المعجز

أَنْزَلْنَاهُ .. ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ
الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ استكملت
حسنها وبهاءها ﴿وَأَزَيْنَتْ﴾
بأصناف الثبات وأشكالها وألوانها
المختلفة . وأصل الزخرف : الزينة
المزوقة . ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾
فجعلنا زرعها كالمحصول من
أصله بالمنجل ، من الحصد وهو
قطع الزرع . يقال : حصد الزرع
يحصده ويحصده حصداً
وحصاداً ، قطعه بالمنجل ، فهو
حصيد ومحصول . ﴿كَأَنَّ لَمْ
تَغْنِ﴾ كأن لم تمكث تلك الزروع
قائمة على ظهر الأرض في الماضي
القريب ، من غنى بالمكان -
كرضى - . إذا طال مقامه به
مستغنياً عن غيره . أى فذلك
الدنيا في سرعة تقضيها وانصرام
نعيمها : بعد إقبالها واغترار الناس
بها .

٢٥ - ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ
السَّلَامِ﴾ ترغيب في الآخرة بعد
الثومين من شأن الدنيا .

٢٦ - ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى﴾
أى لهم المثوبة الحسنى . وهى
الجنة . والعرب توقع هذه اللفظة
على الخلعة المحبوبة ، والخصلة
المرغوب فيها ، ولذلك ترك
موصوفها . ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ هى النظر
إلى وجه الله الكريم . أو هى المغفرة
والرضوان . ﴿وَلَا يَرْهَقُ
وُجُوهَهُمْ﴾ . الرهق :
العشيان . يقال : رهقه برهقه ،
إذا غشي به . والقر : الدخان
الساطع من الشواء والعود

أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا
يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ
زُخْرُفَهَا وَازَّيْنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَنتَهَا
أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنِ
بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾
وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ * لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ
وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ
سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ
كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنْ زَبْدٍ مُظْلِمٍ أُولَئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا
ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا
بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِبَانًا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾

ونحوها : يصيب الوجوه فتغير ﴿قِطْعًا﴾ أى أجزاء من الليل
وتسود . ﴿ذِلَّةٌ﴾ : الهوان ، أى المظلم الحال كالسود .
لا يصيبهم ما يصيب أهل النار من ذلك . و ﴿مُظْلِمًا﴾ حال من الليل ،
وقرى «قِطْعًا» أى بسواد .

٢٧ - ﴿عَاصِمٍ﴾ مانع يمنع
سخطه وعذابه . ﴿كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ
وُجُوهُهُمْ﴾ أى أن وجوههم فى
شدة سوادها كأنما ألبست
٢٨ - ﴿مَكَانَكُمْ﴾ الزموا
مكانكم فى الموقف ﴿أَنْتُمْ
وَشُرَكَاءُكُمْ﴾ أى الأصنام حتى
تنظروا ما يفعل بكم وبهم .



نفس ما قدمت من عمل وتعاينه
بكنهه - متبعة لآثاره من خير
أو شر ؛ من التلو وهو الاختبار .
نقول : تلوته أى اختبرته . وأصله
من تلى الثوب بلى وبلاء . إذا
خلق ؛ فكان المختبر للشيء أخلقه
من كثرة اختباره له . وقرئ « تلو »
بناءين ؛ أى تقرأ كل نفس كتاب
حسناتها وسيئاتها .

٣١ - ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ ... ﴾
هذه ثمانية أسئلة أجابوا عن خمسة
منها . وأجاب الرسول صلى الله
عليه وسلم عن اثنين منها بتعليم الله
إياه ؛ لعدم قدرتهم على الإجابة
عنها . ولم يذكر جواب الأخير
منها لشهرته والعلم به ؛ وهو
قوله : « أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى
الْحَقِّ » .

٣٢ - ﴿ رَبُّكُمْ الْحَقُّ ﴾ الثانية
ربوبيته بالبرهان ثبوتاً لا ريب فيه .
﴿ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ فكيف مع
ذلك تُصرفون عن الحق إلى
الضلال . وعن التوحيد إلى
الشرك .

٣٣ - ﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ ﴾ كما
حققت كلمة الربوبية لله تعالى .

أو كما صرفوا عن الحق بعد الإقرار
به . حقت « كَلِمَةُ رَبِّكَ » على
هؤلاء المتمردين في الكفر « أَنَّهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ » أى وجب وثبت
حكمهم عليهم بذلك . يقال : حق
الأمر يَحِقُّ وَيَحَقُّ حَقَّةً . وجب
ووقع بلاشك . وحق الشيء
أوجبته ؛ كأحقه لازم متعدي .

٣٤ - ﴿ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ فكيف

فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم
لغافلين ﴿٣١﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا
إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٢﴾
قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ
السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ
أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ
الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٤﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ
كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٥﴾
قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ
قُلْ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣٦﴾
قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ
يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ
لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ قُلْ لَكُم كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٧﴾

﴿ فَرِئَلْنَا بِهِمُ ﴾ قرئنا بين
المشركين وشركائهم ؛ وقطعنا
الوصل التي كانت بينهم في الدنيا .
وذلك حتى يتبرأ كل معبود ممن
عنده ؛ من زيل ؛ بمعنى فرق
وميز . والتضعيف فيه للتكثير
لا للتعدية ؛ لأن زال ثلاثية متعدي

٣٠ - ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُوا ... ﴾ في هذا
الموقف الدخض الرلق - وهو
موقف الحشر - تحبر وتعلم كل

نصرفون مع ذلك عن التوحيد إلى
الشرك [آية ٧٥ المائدة
ص ١٥٨] .

٣٥- ﴿أَمَّنْ لَا يَهْدِي...﴾ هذه
قراءة حفص ويعقوب . أى
لا يهتدى ؛ أبدلت التاء دالاً -
لاتحاد مخرجها - وأدغمت في
الدال . وكسرت الهاء تخلصاً من
التقاء الساكنين . والمعنى : وإذا
كان شركاؤكم لا يهدون إلى الحق
فأنا أسألكم : الله الذى يهدي إلى
الحق حقيق بالاتباع أم الأوثان التى
لا تهتدى إلا أن تهتدى ؟! أى لا
تنقل من مكان إلى مكان إلا أن
تحمّل وتُنقل . فبين الله بهذا عجز
الأوثان والأصنام حتى عن حالها
في أنفسها .

٣٧- ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ...﴾
زعم المشركون أن محمداً صلى الله
عليه وسلم قد اختلق القرآن من
تلقاء نفسه ؛ فأخبر الله تعالى أن
هذا القرآن وحى أنزله عليه ، وأنه
مبّر عن الاختلاق والافتراء ،
وأنه لا يقدر عليه أحد إلا الله . ثم
ذكر ما يؤكد ذلك بقوله :
﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾
أى ما سبقه من الكتب المنزلّة ؛
فهو موافق لها في أصولها .
﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ أى تفصيل
ما كُتِبَ وأُثبت من الشرائع .
﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أى لاشك فيه
أنه كذلك .

٣٨- ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ «أم»
منقطعة بمعنى بل التى للانتقال

وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ
شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَذَا
الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي
بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ
مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ
تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ
وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبِّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾

والهمزة التى للإنكار ؛ عند
الجمهور . أى بل يقولون افتراه
واختلقه ؟! وهو قول منهم فى غاية
الشناعة . ﴿قُلْ﴾ إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا
تَرَعَمُونَ ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ أى
فأتوا من عند أنفسكم . أو من
سبقكم من فصحاء العرب
وبلغائهم بسورة مماثلة له فى صفاته
وخصائصه ؛ فحيث عجزتم عن
ذلك دلّ على أنه ليس من كلام
البشر . ﴿وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ﴾
دعاه والاستعانة به من أمتكم أو
من غيرها . ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
فى أى افتريته .

٣٩- ﴿بَلْ كَذَّبُوا...﴾ أى فما
أجابوا وما قدرُوا . بل سارعوا إلى
تكذيبه من غير أن يتدبروا
ما فيه ؛ ويقفوا على ما فى
تضاعفه من الأدلة على صدقه ،
وأنه كلام رب العالمين . ومسارعة
الإنسان إلى تكذيب ما لم يحيط به
علماً من أفحش الجهل ! ﴿وَلَمَّا
يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ أى ولم يعرفوا
معانيه المنبئة عن علو شأنه مع
انسياقها إلى النفوس بنفسها بمجرد
التأمل والتدبر . فالتأويل : بمعنى
التفسير . والإتيان مجاز عن
المعرفة . أو ولم ينتظروا وقوع ما

دلائل نبوتك الواضحة .

٤٥ - ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ﴾
ويوم يجمعهم في موقف الحساب
كانهم لم يلبثوا في الدنيا إلا برهة
يسيرة من نهار . والمراد بهذا
التشبيه : بيان تأسفهم وتمنيهم
طول مكثهم قبل ذلك ؛ لهول
ما يرون مما لم يكونوا متوقعين له ؛
﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعرف
بعضهم بعضاً في هذا الموقف ؛
كانهم لم يتفارقوا إلا قليلاً .

٤٦ - ﴿وَأَمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ أي
وإن أريناك في حياتك بعض ما
نعدُّهم به من العذاب فذاك ؛
وإن توفيناك قبل أن نريك
فسنريكه في الآخرة .

٤٧ - ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ﴾
ولكل أمة مكلف بشريعة رسول
يأتي يوم القيامة يشهد عليها بالبلاغ
والكفر والإيمان ؛ فإذا شهد
بذلك قضى بينها وبينه بالعدل ؛
فحكم بنجاة المؤمن وعقاب
الكافر . ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل في
الدنيا أو يوم الجزاء . ﴿وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً أصلاً في ذلك
القضاء .

٤٩ - ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ جواب
آخر عن استعجالهم العذاب [آية
٣٤ الأعراف ص ٢٠٣] .

٥٠ - ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ﴾
أي قل لهم : إن عذابكم أمر
مختوم ؛ له أجل معلوم ؛ سئ الله
في الذين خلّوا من قبلكم ؛
فأخبروني إن حل بكم يفتة ، في

وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيْعُونَ
مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيْعٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ④١ وَمِنْهُمْ
مَنْ يَسْتَمْعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا
لَا يَعْقِلُونَ ④٢ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي
الْعُمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ④٣ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ
شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ④٤ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ
كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ
قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ④٥
وَأَمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِينَكَ فَإِلَيْنَا
مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ ④٦ وَلِكُلِّ
أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ④٧ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ④٨ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلَا
نَفْعاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ
فَلَا يَسْتَفْرِخُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ④٩ قُلْ أَرَأَيْتُمْ

إليه . أخبر به من الأمور المستقبلية مع
توقعه . ومسارعتههم إلى التكذيب
دون انتظار ذلك مع قيام تلك
الأدلة على صدقه - غاية في
الجهالة ! فالتأويل : بمعنى وقوع
مدلوله - وهو عاقبته وما يتوَلَّ
٤١ - ﴿لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾
لي ثمرة عملي - ولكم
ثمرة أعمالكم من الثواب والعقاب
يوم الحساب .
٤٣ - ﴿يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ يعاين



إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٌ أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ
الْمُجْرِمُونَ ﴿٥١﴾ أَلَمْ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ ءَالْفَنَ وَقَدْ
كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا
عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٣﴾
* وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ
وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٤﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ
مَا فِي الْأَرْضِ لَا قُنْدَتْ بِهِ ءَ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا
الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٥﴾
أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
وَالِيهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ
مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٨﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا
هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ
مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَاللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ
أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى

أَيِّ وَقْتٍ فِي أَيِّ حَالَةٍ كُنْتُمْ
عليها : - أَيُّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِهِ
تَطْلُبُونَهُ عَلَى عَجَلٍ ؟ ! والمراد
تقريعهم على الاستهزاء بالوعد
وعلى استعجال العذاب ، وتهويل
أمر العذاب الذي سيحل بهم عما
قريب . و ﴿ بَيِّنَاتٌ ﴾ أَيُّ وَقْتٍ
بَيِّنَاتٍ ، وهو الليل . [آية ٤
الأعراف ص ١٩٨] .

٥١ - ﴿ أَلَمْ إِذَا مَا وَقَعَ ﴾ أَيُّ أَبْعَدَ
مَا وَقَعَ الْعَذَابُ وَحُلِّ بِكُمْ ﴿ أَمَنْتُمْ ﴾
بِهِ الْآنَ ؟ حِينَ لَا يَنْفَعُكُمُ الْإِيمَانُ
﴿ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾
والمقصود الإنكار عليهم في تأخير
الإيمان إلى هذا الحد . وهمة
الاستفهام داخلية على « ثُمَّ » المقيدة
للتراخي . والاستفهام للتقريع
والتوبيخ .

٥٣ - ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ ﴾
يستخبرونك عن العذاب الموعود .
يقال : استنبأت زيدا عن
عمرو ، أَيُّ طَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يُخْبِرَنِي
عَنْهُ . ﴿ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ أَيُّ
نَعَمْ وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَاقِعٌ . وَلَا
تُسَمَّعُ « إِي » حَرْفَ جَوَابٍ بِمَعْنَى
نَعَمْ إِلَّا مَعَ الْقَسَمِ خَاصَّةً . ﴿ وَمَا
أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ [راجع آية ١٣٤
الأنعام ص ١٩١] .

٥٤ - ﴿ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ ﴾ أَيُّ
أَخْفَوْا آثَارَ الْقَمِّ وَالْأَسْفَ عَلَى مَا
فَعَلُوا مِنَ الظُّلْمِ ، كَالْبِكَاءِ وَالْعَوِيلِ
وَعَضِّ الْأَيْدِي ، فَلَمْ يَظْهَرُوا
لشِدَّةِ حَيْرَتِهِمْ وَذَهْوِهِمْ حِينَ رَأَوْا
الْأَهْوَالَ الشَّدَادَ .
٥٩ - ﴿ أَرَأَيْتُمْ ﴾ أَخْبَرُونِي مَا

خلقه الله لأجل نفعكم من
الأرزاق قبضتموه ، وجعلتم منه
حراماً كالبحيرة والسائبة . وحلالاً
كالميتة ، أأذن لكم الله فيه ؟ أم
تفترون على الله الكذب بنسبة ذلك
إليه ؟ ! و « قُلْ » الثانية للتأكيد .
﴿ أَذِنَ لَكُمْ ﴾ أعلمكم بهذا
التحليل والتحريم . ﴿ تَفْتَرُونَ ﴾

في شعاع الشمس الداخل من
النافذة .

٦٢ - ﴿إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾ بيان
لأحوال أولياء الله المحصلين ، وهم
عبادته الذين يتولونه بالطاعة
ويتولاهم بالكرامة . جمع ولي ،
وهو ضد العدو ، فهو المحب ،
ومحبة العباد لله طاعتهم له . ومحبة
لهم إكرامه إياهم . وأصله من
الولي بمعنى القرب . وهؤلاء لا
يخافون حين يخاف الناس ، ولا
يحزنون إذا حزن الناس يوم
القيامة .

٦٤ - ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾
لا تبديل لأقواله تعالى . التي من
جملتها ما يشر به المؤمنين المتقين .
٦٥ - ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾
كلام مستأنف لتعليل النهي عن
الحزن . أي إن الغلبة الشاملة ،
والقوة الكاملة ، والقُدرة التامة لله
تعالى وحده ، فهو ناصر
ومعينك ، فلا يحزنك ما يقولون
فيك وفي القرآن ، وما يدبرونه في
أمرك .

٦٦ - ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ أي ما يتبع هؤلاء
المشركون شركاء في الحقيقة ، وإن
ظنوها شركاء جهلاً منهم وسفهاً .
﴿وَأَنَّهُمْ إِلَّا يَحْزَنُونَ﴾ يحزنون
ويقدرون أنهم شركاء ، فهو مجرد
تخمين . أو يكذبون فيما نسبوه إلى
الله من ذلك [آية ١١٦ الأنعام
ص ١٨٨] .

٦٧ - ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
اللَّيْلَ﴾ بيان لتفردته تعالى

اللَّهُ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ
وَلَكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٦﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ
وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا
عَلَيْكُمْ شُهَدَاءَ إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ
مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ
مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦٧﴾ أَلَا إِنَّ
أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾
الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٠﴾ وَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ
جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧١﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ

تكذبون في نسبة ذلك إليه .

٦١ - ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ في
أمر معني به ، من شأنه -
بالهمز - شأنه . إذا قصد ، فهو
مصدر بمعنى المفعول . ﴿وَمَا تَتْلُوا
مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾ أي وما تلو قرآنًا
من أجل الشأن الذي تزل بك .
و«من» الأولى تعليلية ، والثانية
مزيدة للتأكيد . ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ
عَمَلٍ﴾ أي عمل كان ﴿إِلَّا كُنَّا
عَلَيْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ رُقباء مطلعين
عليه حافظين له ، لإحاطة علمنا
بكل شيء . ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾

تشرعون فيه . وتلبسون به .
وأصل الإفاضة : الاندفاع بكثرة
أو شدة . ثم أقام - جل شأنه -
البرهان على إحاطة علمه
بالجزئيات أو الكليات بقوله :
﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ﴾
ما يغيب ويخفى عنه تعالى أصغر
شيء في الوجود . والإمكان .
يقال : عزب الشيء يعزب
ويعزب ، غاب وخفى فهو
عازب . و (المثقال) : ما يوازن
الشيء . والدرة : التلمة الحمراء
الضغيرة جدًا . أو الهباءة التي ترى

بالقدرة الكاملة ، والنعمة الشاملة ، ليدلّهم على تفرده باستحقاق العبادة .

٦٨ - ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها له تعالى عما نسبوه إليه . ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا﴾ أى ما عندكم حجة وبرهان على ما زعمتم من اتخاذة تعالى ولداً ؛ حيث قلتم : الملائكة بنات الله . وقالت اليهود : عزيز ابن الله . وقالت النصارى : المسيح ابن الله .

٧١ - ﴿كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي﴾ عظم وشق عليكم قيامي . أى وجودي بينكم ، أو إقامتي بين أظهركم ، أو على دعوتكم مدة طويلة ؛ فهو اسم مكان ، أو مصدر ميمي . ﴿فَاجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾ اعزموا وصمموا على إهلاكى . يقال : أجمع أمره وأجمع عليه . أى عزمه وصمم عليه . وأصله جعل أمره مجموعاً بعد ما كان مفترقاً .

﴿وَشُرَكَاءَ كُمْ﴾ أى مصاحبين لهم فى العزم على إهلاكى . ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ﴾ ثم لا يكن أمركم مستورا عليكم بل أظهروه وجاهرونى به ؛ فإن الستر إنما يُصار إليه ابتغاء الهرب أو نحوه ؛ وذلك محال فى حقى ؛ فلم يكن للستر وجه . والعُمة : السُرّ ، من غمّه

إذا ستره . و «عَلَيْكُمْ» متعلق بـ «عُمة» . ﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ ..﴾ أدّوا إلى ذلك الأمر الذى تريدون لى ؛ كما يؤدى

فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ ۖ إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٨﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۚ سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ مَلِكٍ مُطِيعٍ ۚ قُلْ إِنْ أَرَادْتُمْ أَنْ تُقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ لَا يَفْلَحُونَ ﴿٧١﴾ مَنَعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ * وَأَنْزَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأًا نُوْحًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ۖ يَتَقَوَّمُ ۖ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكَّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَ كُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴿٧٣﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٤﴾ فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ

الرجل دَبَّته إلى غريمه ؛ من القضاء بمعنى الأداء . يقال : خارجٌ مخرج التهم . قضى دينه . إذا أدّاه . ﴿وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ ولا تمهلوني بل عجلوا

أشد ما تقدرون عليه ! والكلام خارجٌ مخرج التهم . ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾ وصيرنا التابعين يخلفون فى الأرض



٧٨ - ﴿لَتَلْفَنَّا﴾ لتصرفنا وتلويها
﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ من
الدين . واللف : لفته يلفته لفتاً .
صرفه إلى ذات اليمين أو الشمال .
ولفت الشيء وقثله : لواه عنه
وصرفه .

٨٣ - ﴿وَمَلَّاهُمْ﴾ أى أشراف
قومهم . ﴿أَنْ يَفْقَهُهُمْ﴾ أى
يتفهمهم ويعذبهم ليحملهم على
الرجوع عن الإيمان ، من الفتن
[آية ١٠٢ البقرة ص ٢٥] .

٨٥ - ﴿لَا تَجْعَلْنَا قِتَّةً﴾ أى
موضع عذاب لهم ، بأن تسلطهم
علينا فيعذبونا أو يفتنونا عن ديننا .

٨٧ - ﴿أَنْ تَبَوَّأَ لِقَوْمِكُمَا﴾ أى
أخذاً لهم مباءة ، أى بيوتاً بمصر
يسكنون فيها . يقال : بَوَّأت له
مكاناً ، سَوَّيته وهيأته له . وتَبَوَّأَ
المكان : اتخذته مباءة ، ومنه
(تَبَوَّأَ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ
لِلْقِتَالِ) ^(١) ﴿وَأَجْعَلُوا يُبُوتَكُمْ
قِبْلَةً﴾ أى مصلًى تَصُلُّون فيها سرّاً
بعد أن خرب فرعون كنائسكم ،
حتى تأمنوا وتظهروا على فرعون
وقومه .

٨٨ - ﴿أَطْمَسَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾
أهلكها . أو أطمع أثرها . يقال :
طَمَسَ بَطْمَسٍ ويطمئس ويطمئس
طمؤساً ، دَرَسَ وَاَمْحَى أثره .
﴿وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ اربط
عليها واطمع وقسها حتى لا تلين ولا
تشرح للإيمان ، من الشد على
الشيء للاستيثاق منه .

وَجَعَلْنَاهُمْ خَلِيفَةً وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا فَانظُرْ
كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٩﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا
إِلَى قَوْمِهِمْ بِجَاءِهِمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَبُوا
بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْغِعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٠﴾
ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ
وَمَلَائِيهِ بِعَايَتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٨١﴾
فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا السِّحْرُ
مُبِينٌ ﴿٨٢﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ
هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٨٣﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا عَمَّا
وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ
وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُتْرَكُ بِكُلِّ
سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٨٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى
الْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلقُونَ ﴿٨٦﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ
بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ
الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٧﴾ وَيَحِقُّ لِلَّهِ الْحَقُّ بِكَلِمَتِهِ وَلَوْ كَرِهَ
الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٨﴾ فَأَمَّا لِمُوسَى إِلَّا ذُرِيَةٌ مِنْ قَوْمِهِ

من هلكوا بالطوفان . والفساد ، وذلك بخذلانهم
٧٩ - ﴿نَطْغِعُ﴾ أى مثل ذلك . وتخليتهم وشأنهم لانهاكهم في
الطبع المحكم نطع على قلوب الضلال . والطبع : الختم
المتجاوزين للحدود في الكفر والاستيثاق .

٩٠ - ﴿بَغْيًا وَعَدُوًّا﴾ ظلماً واعتداءً . يقال : بغى عليه بغياً ، إذا علا وظلم . وعدا عليه عدواً وعدواناً : ظلمه ، كتعدي واعتدى .

٩١ - ﴿الْآن﴾ أى الآن تؤمن حين يشت من الحياة وأيقنت الموت ؟! فالظرف متعلق بمحذوف يقدر مؤخراً . والاستفهام للتوبيخ والإنكار ؛ لتأخيره الإيمان إلى وقت لا يجدى فيه نفعاً لعدم قبوله .

٩٢ - ﴿آيَةً﴾ عبرة ونكالا .

٩٣ - ﴿بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ مَبْوًأً صَدَقَ﴾ أسكناهم وأنزلناهم منزلاً كريماً ، ومكاناً صالحاً مرضياً . وإضافته إلى الصدق للمدح ؛ كما فى : قدم صدق . ودخل صدق .

٩٤ ، ٩٥ - ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ﴾ الخطاب فى هذه الآية وفى قوله بعد : (فَلَا تَكُونَنَّ) (وَلَا تَكُونَنَّ) للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد غيره ؛ كما فى نظائرها . ﴿الْمُتَمَرِّينَ﴾ الشاكين المتزلزين .

٩٨ - ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ «لَوْلَا» للتخصيص كهلاً ؛ وفيه معنى التوبيخ والتنى . أى فهلاً كانت قرية من القرى التى أهلك هلاك الاستئصال . آمنت قبل معاناة العذاب ولم تؤخر إيمانها إلى حين معانيته كما أخر فرعون إيمانه - فنفعها ذلك ! بأن يقبله الله منها

عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ مُوسَى يُقَوْمُ إِن كُنْتُمْ ءَامِنُمْ بِاللّٰهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩١﴾ وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ يَبُوتَا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٤﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ * وَجَلَّوْنَا بَنِي إِسْرَآءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَآءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٦﴾ ءَالْعَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩٧﴾ فَالْيَوْمَ نُجَبِّدُكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَآءِيلَ

مُبَوَّأً صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى
جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا
كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقرءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ
جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَا تَكُونَ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ
الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا
إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ
فِي الْحَبِوَةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ
لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ
حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلَ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾
قُلْ أَنْظِرُوا مَا ذَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي
الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ
إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِلَىٰ
مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ

ويكشف عنها العذاب بسببه .
لكن قوم يونس لم يجزوا على ستة
أسلافهم ، بل يادروا إلى الإيمان
قبل نزول العذاب حين رأوا
أماراته ، فقبل الله إيمانهم ،
وكشف عنهم العذاب ومثعهم إلى
حين . ﴿عَذَابُ الْخِزْيِ﴾ الدال
والهوان .

٩٩ - ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾ أي لكنه
لم يشأ ذلك ، لكونه مخالفاً للحكمة
التي بُني عليها أساس التكوين
والتشريع .

١٠٠ - ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ﴾ أي
وما كان للنفس عليم الله تعالى أنها لا
تؤمن ، أن تؤمن في حال من
الأحوال ، كسلامة العقل وصحة
البدن وغيرهما - إلا في حال
ملاستها إرادة الله أن تؤمن .
وإرادته تابعة لعلمه به ، وعلمه به
محال ، لتعلقه بنقيضه وهو عدم
الإيمان ، فيلزم انقلاب العلم
جهلاً ، فتكون إرادته ذلك
محالاً ، فيكون إيمانها محالاً ، إذ
الموقوف على المحال محال . ذكره
العلامة الآكوسي . ﴿وَيَجْعَلُ
الرِّجْسَ﴾ العذاب أو الكفر . أو
الخذلان الذي هو سبب
العذاب . وأصله الشيء
المستفذر .

١٠٥ - ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ﴾
وأوحى إلى أن أقم نفسك على
دين الإسلام ، مقيلاً بوجهك
عليه غير ملتفت إلى سواه .
﴿حَتِيفًا﴾ مائلاً إليه .

١٠٨ - ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾
أى بحفيظ أحفظ أعمالكم
وأجازيكم عليها ؛ إنما أنا بشير
ونذير . والله أعلم .

إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ وَأُمِرْتُ أَنْ
أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٩﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١٠﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ
اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ
الظَّالِمِينَ ﴿١١١﴾ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ يَضُرَّ فَلَا كَاشِفَ
لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ
بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١١٢﴾ قُلْ
يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ
فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۚ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا
وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١١٣﴾ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ
وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١١٤﴾

(١١) سُورَةُ هُودٍ مَكِّيَّةٌ
إِلَّا الْآيَاتِ ١٢ وَ ١٧ وَ ١١٤ فَذُنُوبُهُ
وَأَيَاتُهَا ١٢٣ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ بَنِي إِسْرَءِيلَ

سورة هود

١ - ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾
هذا كتاب نُظِمَتْ آيَاتُهُ تَنْظِيمًا
مَحْكَمًا مُتَقَنًّا ، لَا يَنْطَرِّقُ إِلَيْهِ نَقْصٌ
وَلَا خَلَلٌ ، مِنْ الْإِحْكَامِ وَهُوَ
الْإِتْقَانُ ، كَالْبِنَاءِ الْمَحْكَمِ
الرَّصِيفِ . يُقَالُ : أُحْكِمْتُ
الشَّيْءَ ، أَتَقَنَّهُ فَاسْتَحْكَمَ . ﴿ثُمَّ
فُضِّلَتْ﴾ جُعِلَتْ مَفْضَلَةً كَالْعَقْدِ
الْمَفْضَلِ بِالْفَرَائِدِ . أَوْ قُرِئَتْ فِي
التَّنْزِيلِ ، فَتُرِلَتْ نَجْمًا عَلَى حَسَبِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكِتُ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فُضِّلَتْ مِنْ لَدُنْ
حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۚ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ
نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ



يَمْتَعِكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٤﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَزِيزٌ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٧﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَعْبُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٨﴾

صدره على بغضه . ويظهر له المحبة والمودة . ويظن أن ذلك يخفى على الله تعالى . ﴿لَيْسَتْخَفُوا مِنْهُ﴾ من الله تعالى جهلا منهم . ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ حين يبالغون في الاستخفاء ، كمن يجعلون ثيابهم أغشية لهم حتى لا يظهر منهم شيء ! ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أى يعلم الله سرهم وعلايتهم فيجازيهم على نفاقهم ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ .

٦ - ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ...﴾ بيان لإحاطة علمه بكل شيء . ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ موضع قرازاها في الأصلاب ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ موضع استيداعها في الأرحام ، وما يجري مجراها من البيض ونحوه .

٧ - ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ...﴾ [آية ٥٤ الأعراف ص ٢٠٧] . ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ أى ليس تحت عرشه غير الماء قبل خلق السموات والأرض . ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أى خلق السموات والأرض وما فيها الذي منه أنتم ، ورُبَّ فيها جميع ما تحتاجون إليه من مبادئ وجودكم وأسباب معاشكم ، ليعاملكم معاملة من يختبر غيره ، ليميز المحسن من المسيء ، والمطيع من العاصي . ويظهر للناس حاله في الدنيا وفي يوم الحساب . ويجرى حكم القضاء الإلهي في أمره على حسب ما يظهر من حاله . ﴿أَيُّكُمْ

ذنوبكم ، ولاخلاصكم في توبتكم منها . و«أن» مصدرية ، وهى توصل بالأمر والتهى كما توصل بغيره . ٥ - ﴿يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ﴾ يطؤونها على ما يسترونه من العداوة والبغضاء ، من ثبوت الثوب ، إذا طويته على ما فيه من الأشياء المستورة . نزلت في الأخنس بن شريق من منافق مكة ، وكان رجلاً حلو المنطق ، حسن السياق للحديث ، يضرر للرسول صلى الله عليه وسلم الكراهة ، ويطوى

الوقائع والمصالح . و«ثم» على الأول للترتيب الإخباري . وعلى الثاني للترتيب الزماني .

٢ - ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ أى أحكمت وفصلت لئلمحضوا العبادة لله تعالى ، فإن الإحكام والتفصيل يدعوهم إلى الإيمان والتوحيد وما يتفرع عليه من الطاعات .

٣ - ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا...﴾ معطوف على «أَلَّا تَعْبُدُوا» أى ولاستغفاركم ربكم من

أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٨﴾ أى بطاعة الله .
وأورع عن محارمه ؛ فيجازيكم
على أعمالكم .

٨ - ﴿أُمَّةٌ مَّعْدُودَةٌ﴾ طائفة من
الأيام معلومة أو قليلة . [آية ١٠٤
آل عمران ص ٩٠] .
﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ أحاط بهم
العذاب الذى كانوا يستعجلونه
استهزاء .

٩ - ﴿إِنَّهُ لَكُؤْمُسٌ كَفُورٌ﴾ أى
لشديد اليأس من أن يعود إليه مثل
ما سلب منه ، كثير الكفران لما
سلف له القلب فيه من النعم .
يقال : يش من الشيء يئأس .
إذا قنط منه .

١٠ - ﴿ضُرَاءَ مَسْتَه﴾ نائبة ونكبة
أصابته . ﴿إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ﴾ بطر
بالنعمه مُعْتَرِّبَهَا ، كثير التعاطف
على الناس بما أوفى منها . مشغول
بذلك عن القيام بحققها .

١١ - ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾
استثناء منقطع .

١٢ - ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ﴾ أى
فلعلك تارك تبليغ بعض ما يوحى
إليك ؛ وهو ما يثير غضب
المشركين ؛ وضائق بتبليغه
صدرك ؛ مخافة تكذيبهم
واستهزائهم بقولهم : هلاً أعطى
ملاً كثيراً يغني به ! وهلاً جاء معه
ملك يصدقه ويشهد له بالنبوة !
فدُم على التبليغ ولا تضيق بأمرهم
ذرغاً ؛ فما عليك إلا الإنذار
وعلينا الحساب . و«لعل» للترجى

وَلَيْنَ أَتَرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولَنَّ
مَا يَحْسِبُهُ ۖ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ
بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ وَلَيْنَ أَذْقْنَا الْإِنْسَانَ
مِنَ رَحْمَةٍ ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَيْفُوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾
وَلَيْنَ أَذْقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضُرَاءَ مَسْتَه لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ
السَّيِّئَاتُ عَنِّي ۖ إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾
فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ
أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ۖ إِنَّمَا
أَنْتَ نَذِيرٌ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ
أَفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ ۖ مُفْتَرِيَاتٍ وَأَدْعُوا
مَنْ أَسْتَطْعَمُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾
فَإِلَّا يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمُوا ۖ إِنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ
لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ

المبالاة بهم . ﴿وَكِيلٌ﴾ قائم به
حافظ له .

١٣ - ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أى بل
أقولون اختلق محمد القرآن من
تلقاء نفسه ؛ فتحذاهم الله بقوله :
﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ﴾ فى
البلاغة ﴿مُفْتَرِيَاتٍ﴾ مختلقات
من عند أنفسكم إن صح أنى

والتوقع ؛ ولا يلزم من توقع الشيء
وقوعه . فقد يمتنع لما نفع . وهنا
لا يتوقع منه صلى الله عليه وسلم
ترك تبليغ شيء مما أوحى إليه .
ولا ضيق الصدر به ؛ لثبوت
عصمته من ذلك . وفى الآية تنديد
بالمشركين وإنذار لهم بسوء
العاقبة . وحث له على عدم

أضدادهم الذين يريدون بأعمالهم الحياة الدنيا . أى أفن كان على برهان جلي من ربه يدل على حقيقة الإسلام وهو القرآن ، ويؤيده ويقويه شاهد منه على كونه من عند الله وهو إعجازه فى نظمه ، وكتاب موسى من قبله - كمن ليس كذلك ؟ لا يستويان ؟ والبيته : القرآن والتلو : التبعية بمعنى التقوية . والشاهد : إعجازه ، والثروة المؤيدة له . والضمير فى « منه » للقرآن ، لإفادة أن إعجازه وصف ثابت له فى ذاته غير خارج عنه . و « من قبله » حال من « كتاب موسى » المعطوف على « شاهد » . « شاهد » على تنزيهه وهو إعجاز نظمه . « فلا تك فى مزية منه » أى فى شك من كون القرآن نازلاً من عند الله . أو من أن مواعدهم النار . والخطاب للرسول والمراد أمته ، كما فى نظائره . أو لكل من يصلح للخطاب . والمراد : التحريض على النظر الصحيح المزيل للشك .

١٨ - « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى .. » بعد أن بين الله تعالى حال المؤمنين المتصفين بالصفة الحميدة السابقة ، بين حال الكافرين ، وذكر من أوصافهم أربعة عشر وصفاً ، أولها : افتراء الكذب ، وآخرها : الخسران فى الآخرة ، كذبوا على الله تعالى بنسبة ما يستحيل عليه من الشريك والولد . « وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ » أى

الحياة الدنيا وزينتها نواق إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ﴿١٥﴾ أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحيط ما صنعوا فيها وبطل ما كانوا يعملون ﴿١٦﴾ أفن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتب موسى إماماً ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك فى مزية منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴿١٧﴾ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين ﴿١٨﴾

اختلقته من عند نفسه ! فإنكم عرب فصحاء بلغاء . وقد وقع التحدى بالقرآن كله كما فى سورة الإسراء ، ثم بعشر سور كما هنا ، ثم بسورة واحدة كما فى سورتي البقرة [آية ٢٣ ص ٩] ويونس [آية ٣٨ ص ٢٧٧] . وقد عجزوا عن الإتيان بمثل أقصر سورة منه ، فدل على أنه منزل من عند الله تعالى .

١٥ - « مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا » نزلت فى الكفار الذين يعملون أعمالاً صالحة فى الدنيا مع تشبهم بالكفر ، فهؤلاء يعجل الله

لهم ثوابها كاملاً فى الدنيا ، بسطة عرب فصحاء بلغاء . وقد وقع التحدى بالقرآن كله كما فى سورة الإسراء ، ثم بعشر سور كما هنا ، ثم بسورة واحدة كما فى سورتي البقرة [آية ٢٣ ص ٩] ويونس [آية ٣٨ ص ٢٧٧] . وقد عجزوا عن الإتيان بمثل أقصر سورة منه ، فدل على أنه منزل من عند الله تعالى .

١٦ - « وَحِطَّ » أى بطل فى الآخرة « مَا صَنَعُوا فِيهَا » أى فى الدنيا . يقال : حِطَّ - كَسَمِعَ وَضَرَبَ - حِطّاً وَحِطْواً ، بَطَلَ . وأحبط الله عمله ، أبطله .

١٧ - « أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ .. » بيان لحال الذين يريدون بأعمالهم وجه الله تعالى ، إثر بيان حال

الحاضرون في موقف العَرْض والحساب ، وهم الملائكة مطلقاً ، أو الحَفْظَةُ منهم ، أو الملائكة والأنبياء والمؤمنون . جمع شاهد أو شهيد ، بمعنى حاضر .
١٩ - ﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ ويطلبون سبيل الله معوجةً [آية ٩٩ آل عمران ص ٨٩] .

٢٠ - ﴿ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ أى مفلتين أنفسهم من عذابه لو أراد الله ذلك .

٢٢ - ﴿ لَا جَرَمَ .. ﴾ وردت هذه الكلمة في القرآن في خمسة مواضع متلوة بـ « أَنْ » واسمها ، وليس بعدها فعلٌ . وجمهور النحاة على أنها مركبة من « لا » و « جَرَمَ » تركيب خمسة عشر ، ومعناها بعد التركيب معنى فعلٍ ، وهو : حقٌ وثبت ، والجملة بعدها فاعله . أى حقٌ وثبت كونهم في الآخرة هم الأخسرون . وقيل : إن « لا » نافية للجنس ، و « جَرَمَ » اسمها ، وما بعدها خبرها . والمعنى : لا محالة في أنهم في الآخرة هم الأخسرون ، أى في خسرانهم .

٢٣ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا .. ﴾ بيان لأحوال المؤمنين في الدنيا وربهم في الآخرة ، إثر بيان أحوال الكافرين في الدنيا وخسرانهم في الآخرة . ﴿ وَأَخْبَثُوا ﴾ أى اطمأنوا وخشعوا . وأصل الإخبات : نزولُ الخَبْتِ ، وهو المَطْمَئِنُّ من الأرض ، ثم أطلق على الاطمئنان

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ * مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَبْصِرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِتَىٰ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيُسْرِ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُبَادُوا بِآيَاتِنَا وَمَا نَرَىٰ لَكَ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكَ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ

والخشوع ؛ تشبيهاً للمعقول قائلًا لهم ذلك .

٢٦ - ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴾ أى بالمحسوس ، ثم صار حقيقة فيه ، ويُعَدَّى بالي وباللام .
٢٥ - ﴿ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ أى ﴿ عَذَابَ يَوْمِ الْيُسْرِ ﴾ مؤلم .



شيء تؤهلکم لاتباعنا لکم .

٢٨ - ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني [آية ٤٠ الأنعام ص ١٧٤] . ﴿عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ حُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ يشهد لي بالنبوة والصدق . ﴿فَعُمِّيتُ عَلَيْكُمْ﴾ أخفيت عليكم عقوبة لكم . والضمير للبيئة ، أو للرحمة بمعنى النبوة . يقال : عُمِّيَ عليه الأمر ، أى أخفى عليه حتى صار هو بالنسبة إليه كالأعمى . وقرئ «عُمِّيتُ» أى خفيت .

٢٩ - ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ...﴾ أى لا أطرد المؤمنين الذين أتبعوني . ووصفتموهم بأنهم أراذل وأخسَاء . كما طلبتم منى ذلك أنفة من مجالستهم . واستكباراً عن الانتظام في سلوكهم ! ﴿إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ لقاء فوز ورضوان .

٣١ - ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ أى خزانة رزقه وماله . رَدُّ لِقَوْلِهِمْ : ﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ . ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ﴾ رَدُّ لِقَوْلِهِمْ : ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ﴾ الآية . ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ رَدُّ لِقَوْلِهِمْ : ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ . ﴿تُزَادِرِي أَعْيُنُكُمْ﴾ تستحقرهم وتستصغروهم ، من الأزدراء وهو الإعابة . يقال : أزدرأه إذا عابه . وَزَرَى عليه زَرِيًّا وزرابة : إذا حقره . وَأَزْرَى به : أدخل عليه عيباً .

رَبِّي وَءَاتَنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيتُ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْنَاهُمْ مَوْحَاً وَأَنْتُمْ لَهَا كَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ لَا آتِنَاكِ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرْسَلْتُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقُولُونَ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمَنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَنْتَوَحُّ قَدْ جَدَلْنَا فَاكْثَرَتْ جَدَلْنَا فَأَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾

ونسبة الإيلام إلى اليوم مجاز لوقوع العذاب فيه ، كما في : نهاره صائم .
٢٧ - ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ الأشراف والسادة [آية ٢٤٦ البقرة ص ٥٩] ﴿بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ أى إنساناً مثلاً لنا ، ليس فيك مزية تخصك من بيننا بالنبوة ! ﴿بَادِي الرَّأْيِ﴾ أى اتبعوك ظاهراً لا

٣٣- ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾
بمُصِيرِهِ سبحانه عاجزاً بالهرب من عذابه .

٣٤- ﴿أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ يضلّكم .

٣٥- ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أى بل يقول قوم نوح : إنه اختلق ما جاء به من عند نفسه ونسبه إلى الله تعالى ! فهو من قصة نوح .
﴿فَعَلَىٰ إِجْرَامِي﴾ فعلّى عقابُ إجرامى . أى عقابُ اكتسابِ الذنب . والإجرامُ : اكتسابُ الذنب . يقال : أجرم وجرم واجترم ، بمعنى اكتسب الذنب واقتله .

٣٦- ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ فلا تحزن بما كانوا يفعلون فى هذه المدة الطويلة ، من التكذيب والاستهزاء والإيذاء ؛ فقد حان وقت عقابهم . يقال : ابتأس فلان بالأمر ، إذا بلغه ما يكرهه . والمبتئسُ : الكارهُ الحزين . وأصله من البؤس وهو الحزن .

٣٧- ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أى واصنع السفينة بمرأى منا . أو محفوظاً بكيّلتنا . أو اصنعها بعلمنا . والفلْكُ يكون واحداً فيذكر . وجمعاً فيؤنث .

٣٨- ﴿سَخَّرُوا مِنْهُ﴾ استهزؤوا به ؛ لصنعه السفينة . يقال : سَخَّرَ منه وبه يَسْخَرُ سَخَرًا وَسُخْرًا ، هَزْئًا . والاسمُ السُّخْرِيَّةُ .

٣٩- ﴿يُخْزِيهِ﴾ يذله ويهينه .

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُخْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعِ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ نَعْلَبُ مِنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ * وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَرُهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرَىٰ بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنِىْ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾

﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ﴾ أى يجب عليه عذابٌ دائمٌ . يقال : حلَّ عليه أمرٌ الله يحلُّ خلْولاً . وجب .
٤٠- ﴿جَاءَ أَمْرُنَا﴾ نَزَلَ عَذَابُنَا . ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ تبع الماء منه وارتفع بشدة ؛ كما تفور القدر عند غليانها . وكان ذلك علامة لنوح على بدء الطوفان .
٤١- ﴿مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ بفتح



٤٣ - ﴿سَاوِيَ﴾ سَأَلْنِي وَأَسْتَدُ ﴿لَا عَاصِمَ﴾ لَا مَانِعَ وَلَا حَافِظَ .

٤٤ - ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ﴾ القولُ في هذه الآية مجازٌ عن تعلق القدرة بزوال الماء وبهلاكهم ، كما قيل في قوله تعالى : (يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (١) . ﴿وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾ أَمْسِكِي عن إرسال المطر . يقال : أَقْلَعُ عن عمله إِقْلَاعًا ، كَفَّ عنه . وَأَقْلَعْتُ عنه الْحُتَّى إِذَا تَرَكَتْهُ . ﴿وَعِغْضُ الْمَاءِ﴾ نَقْصُ . يقال : غَاضَ الْمَاءُ يَغِغِضُ . قُلٌّ وَنَقْصٌ . ﴿الْجُودَى﴾ جَبَلٌ بِالمَوْصِلِ . ﴿بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ هَلَاكًا لَهُمْ . يقال : بُعِدَ بُعْدًا ، بمعنى هَلَكَ ، قَالَ تَعَالَى : (أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِثْتُ ثَمُودَ) (٢) أَيْ أَلَا هَلَاكًا لِمَدْيَنَ كَمَا هَلَكْتَ ثَمُودُ . وبعض العرب يقول في المكان : بُعِدَ - بِالضَّمِّ ، وَفِي الْهَلَاكِ : بُعِدَ - بِالْكَسْرِ ، وَيَذْهَبُ إِلَى أَنْ اسْتَعْمَلَ الْمَضْمُونُ فِي الْهَلَاكِ مجازًا . ومثله يقال في قوله تعالى : (أَلَا بُعْدًا لِعَادَ) (٣) ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (أَلَا بُعْدًا لِسُودَ) (٤) .

٤٨ - ﴿وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾ خَيْرَاتٍ وَنِعَمٍ ثَابِتَةٍ عَلَيْكَ . جَمْعُ بَرَكَةٍ ، وَهِيَ ثُبُوتُ الْخَيْرِ وَنِازِلُهُ وَزِيَادَتُهُ . وَاشْتِقَاقُهَا مِنَ الْبَرَكِ ، وَهُوَ صَدْرُ الْبَعِيرِ . يُقَالُ : بَرَّكَ الْبَعِيرُ ، إِذَا أَلْقَى بَرَكَةً عَلَى الْأَرْضِ .

قَالَ سَاوِيَ إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَتَّارِضْ أَبْلَعِي مَاءَكَ وَيَسْمَاءُ أَقْلِعِي وَغِضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَبْنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَبْنُوحُ أَمْ يَطِغُ أَهْلُكَ بِرَأْسِكَ وَعَلَى أُمِّهِمْ مَعَكَ وَأُمٌّ سَمِعَتْهُمْ ثُمَّ مِمْسَهُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا

الميم الأولى مع الإمالة ، وبضم ٤٢ - ﴿فِي مَوْجٍ﴾ الْمَوْجُ : مَا الْمِيمُ الثَّانِيَّةُ ، مُصْدِرَانِ مِنْ جَرَى ارْتَفَعَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ عِنْدَ وَارِسَى ، أَيْ بِاسْمِ اللَّهِ جَرَّتْهَا اضْطِرَابُهُ . وَأَصْلُهُ مِنْ مَا جِ مَوْجٌ وَإِرْسَاؤُهَا إِذَا اضْطَرَبَ .

وَبُتِّتْ . ومنه البركة ؛ لثبوت الماء فيها .

٥٠ - ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ ..﴾ [آية ٦٥ الأعراف ص ٢١٠] .

٥١ - ﴿فَطَرَنِي﴾ خلقني وأبدعني . يقال : فطر الأمر ؛ ابتدأه وأنشأه . وفطر الله الخلق ؛ خلقهم . وأصل الفطر : الشق ؛ ثم استعمل في الخلق والإبداع مجازاً .

٥٢ - ﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ يُنْزِلُ المطر عليكم كثير الدُّرُورِ والتَّنَائُعِ من غير إضرار ؛ وكانوا قد مُنِعُوهُ سنين . [آية ٦ الأنعام ص ١٦٩] .

٥٤ - ﴿اعْتَزَّكَ بِغَضِّ الْهَيَّا بِسُوءٍ﴾ أصابك بعض أصنامنا يجنون وَجْهَكَ لِسَبِّكَ إِيَّاهَا . يقال : عَرَاهُ الأمرُ واعتراه بمعنى أصابه . وأصله من قولهم : عراه يعُروُهُ ، أى غَشِيَهُ طالِبًا معروَفَهُ ؛ كاعتراه .

٥٥ - ﴿فَكِيدُونِي﴾ فاحتالوا في كيدي وضرى . ﴿ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ﴾ لا تمهلوني بكيدكم ، بل عاجلوني بالعقوبة ؛ من الإنظار بمعنى الإمهال . قال ذلك لِعَظَمِ وَثُوقِهِ بحفظ الله له ، وصَوْنِهِ من كيد أعدائه .

٥٦ - ﴿أَحْذِ بِنَاصِيَتِهَا﴾ مالِكُهَا وقاهرٌ لها . والأخذ : التناولُ بالقَهْرِ . والناصية : منبتُ الشعرِ في مقدِّمِ الرأسِ ، ويُطْلَقُ علي الشعر الثابت نفسه . والكلام كناية أو مجاز عن القَهْر والغلبة ، وإن لم

اللَّهُ مَالِكُكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ . إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾
يَنْقُومُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ
فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَنْقُومُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ
تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً
إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْنَا
بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ
بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ
قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوكَ أَنِّي بَرِيٌّ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾
مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي
تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ
بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِنْ
تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ
رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ
آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾

٥٨ - ﴿جَاءَ أَمْرُنَا﴾ نزل عذابنا يكن هناك أخذًا بالناصية . والعرب إذا وصفوا إنسانًا بالذلة والخضوع لغيره قالوا : ما ناصية فلان إلا بيد فلان ؛ أى أنه في قبضته بصرفه كيف شاء .
٥٧ - ﴿حَفِيفٌ﴾ رقيق مهين .
٥٨ - ﴿عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شديد



وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا
أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً
وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادِ
قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ * وَإِلَى نَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقُومِ
أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنْ
الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ
إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا
مَرْجُوءًا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا
لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَقُومِ أَرَأَيْتُمْ
إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً مِّنْ بَيْنِ
مِنْ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾
وَيَقُومِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ
اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾
فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ
غَيْرُ مَكْدُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ

مضاعف ، هو عذاب الآخرة . الذي لا يقبل الحق ولا يتبعه .
٥٩ - ﴿ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ أى اتبع سفلتهم
رؤساءهم . والجبار : المتعظم . عنيدهم : المتكبر على العباد ، المترفع عن قبول الحق . والعنيدهم : المعانده .
٦٠ - ﴿ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ ﴾ هلاكها

لهم [آية ٤٤ من هذه السورة]
٦١ - ﴿ وَإِلَى نَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ [آية ٧٣ الأعراف ص ٢١١]
﴿ وَاسْتَغْفِرْكُمْ فِيهَا ﴾ جعلكم عمّارها وسكانها .
يقال : أغمره المكان واستعمره ، جعله يغمره . وأصله من العمارة ضد الخراب .
٦٢ - ﴿ مُرِيبٌ ﴾ موقع في الريبة ، أى القلق والاضطراب ، اسم فاعل من أرب . يقال : أربته فأنا أريبه ، إذا فعلت به فعلاً يوجب لديه الريبة . أو مُرِيبٌ بمعنى ذى ريبة ، من أرب باللازم ، أى صار ذا ريبة .
٦٣ - ﴿ غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ غير أن نجعلوني خاسراً هالكا بإبطال أعمالي ، والتعرض لعذاب الله وسخطه . يقال : خسره تخسيراً : أهلكه .
٦٤ - ﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ﴾ معجزة دالة على صدق فى الرسالة .
٦٥ - ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ فنحروها [آية ٧٧ الأعراف ص ٢١٢]
٦٦ - ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ﴾ [آية ٧٨ الأعراف ص ٢١٢] من الصياح ، وهو الصوت الشديد . يقال : صاح إذا صوت بقوة . وأصل ذلك تشقيق الصوت ، من قولهم : انصاح الحشْبُ أو الثوب . إذا انشق فسمع منه صوت .
﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ ﴾

جَائِمِينَ ﴿ آية ٧٨ الأعراف .

٦٨ - ﴿كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ كَانَ لَمْ يَلْبَثُوا فِيهَا أَصْلًا ﴿ آية ٩٢ الأعراف ص ٢١٤ . ﴿الْأَبْعَدُ لِيُمُودَ﴾ هَلَاكَ لَهُمْ ﴿ آية ٤٤ من هذه السورة .

٦٩ - ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ أَي نُسَلِّمُ عَلَيْكَ سَلَامًا . ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ أَي سَلَامٌ عَلَيْكُمْ . ﴿بِعَجَلٍ حَنِيدٍ﴾ مَشَوِيٌّ عَلَى الْحَجَارَةِ الْمُخْتَاةِ فِي حُقْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ ؛ وَهُوَ مِنْ صُنْعِ أَهْلِ الْبَادِيَةِ . يُقَالُ : حَنَدَ الشَّاةُ يَحْنِدُهَا حَنْدًا ، شَوَاهَا بِهِذِهِ الطَّرِيقَةِ ؛ فَهِيَ حَنِيدٌ .

٧٠ - ﴿نَكَرَهُمْ﴾ أَنْكَرَهُمْ وَنَفَرَ مِنْهُمْ . تَقُولُ : نَكَرْتَهُ أَنْكَرَهُ نَكَرًا وَنُكُورًا ، وَأَنْكَرْتَهُ وَاسْتَنْكَرْتَهُ ، إِذَا وَجَدْتَهُ عَلَى غَيْرِ مَا تَعَهَّدَ فَفَرَّتْ مِنْهُ . ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أَضْمَرَ مِنْ جَهَنَّمَ خَوْفًا وَفَزَعًا . وَأَصْلُ الْوَجَسِ : الصَّوْتُ الْخَفِيُّ . وَالْإِيحَاسُ : وَجُودُهُ فِي النَّفْسِ ؛ أَرِيدَ بِهِ الْفَزَعُ الَّذِي يَقَعُ فِي الْقَلْبِ مِنْ صَوْتٍ أَوْ غَيْرِهِ .

٧١ - ﴿فَضَحِكْتَ﴾ سُرُورًا بِزَوَالِ الْخِيفَةِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَعَنْهَا ؛ أَيْ قَوْلِ الْمَلَائِكَةِ : (لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ) .

٧٢ - ﴿يَاوَيْلَنَا﴾ كَلِمَةٌ أَرَادَتْ بِهَا التَّعَجُّبُ ، لَا الدَّعَاءُ عَلَى نَفْسِهَا بِالْوَيْلِ وَالْهَلَاكِ . وَهِيَ كَثِيرَةٌ فِي أَفْوَاهِ النِّسَاءِ إِذَا طَرَأَ عَلَيْهِنَّ مَا يَتَعَجَّبْنَ مِنْهُ .

٧٣ - ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾ مَحْمُودٌ فِي

ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمٍ إِذْ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِئَرِهِمْ جَنِّينَ ﴾ ﴿ كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾ ﴿ إِلَّا إِنْ تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدَ لِيُمُودَ ﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَالَتْ أَن لَيْتَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿ وَأَمْرًا لَهُمْ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿ قَالَتْ يَلُوبِلَتْنِي آءُ الدُّ وَالْأُنْجُوزُ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ ﴿

أفعاله . ﴿مَجِيدٌ﴾ كَثِيرُ الْخَيْرِ وَأَصْلُهُ مِنْ مَجَدَتْ الْإِبِلُ وَالْإِحْسَانُ . أَوْ ذُو الشَّرَفِ وَأَجَدَتْ : إِذَا وَقَعَتْ فِي مَرْعَى وَالْكَرَمِ . وَالْمَجْدُ : السَّعَةُ فِي الْكَرَمِ وَالْجَلَالِ . يُقَالُ : مَجَدَ - ٧٤ - ﴿الرَّوْعُ﴾ بِفَتْحِ الرَّاءِ : كَقَصْرٍ وَكَرَمٍ - مَجْدًا وَمَجَادَةً ، أَيْ كَرَمٌ وَشَرَفٌ . وَأَجَدَهُ أَفْزَعَهُ ؛ كَرَوْعَهُ . ٧٥ - ﴿لَحَلِيمٌ﴾ مَتَانٌ غَيْرُ

شره ، عظيم بلاؤه ، من العصب وهو الشد ، كأنه لشدّة شره قد عصب به الشر والبلاء ، أى شدّه به .

٧٨ ، ٧٩ - ﴿يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾

أى يسوق بعضهم بعضا إليه من شدّة فرحهم . يقال : هرع الرجل وأهرع ، إذا أعجل . ﴿هؤلاء﴾

بناتى . يرشدهم إلى نسايتهم ، وأضافهن إلى نفسه لأن

كل نبي أبو أمته من حيث الشفقة والتربية . ﴿ولا تحزون فى ضيقي﴾

ولا تفضحوني وتذلوني فى أضيائي ، من الخزي [آية ٨٥

البقرة ص ٢٢] وقولهم : ﴿مآلنا فى بناتك من حق﴾

أى قد علمت أنا لا أرب لنا فى النساء ، وما لنا فبين كبير حاجة .

٨٠ - ﴿أو أوى إلى ركن شديد﴾

أى أو اتى الحأ وأنضوى إلى عشيرة قوية تمنعنى منكم .

تقول : أوتى إليك فأنا أوى إليك أوتيا ، بمعنى صرت إليك وانضمت . وإنما قال ذلك لأنه

لم يكن من قومه نسبا ، بل كان غربيا فيهم . وجواب (لا) محذوف ، أى لمنعتكم بالقوة .

٨١ - ﴿فأسر بأهلك﴾

الهمزة ووصلها ، من أسرى وسرى ، ومعناها : السّر ليلًا .

وقيل : أسرى سار أول الليل . وسرى سار آخره . والقطع : الطائفة من الليل . أو ظلمة آخره .

٨٢ - ﴿جعلنا عاليها سافلها﴾

بأيديهم يذرع ، إذا سار ماذا خطوه . مأخوذ من الذراع ، وهو

العضو المعروف ، فإذا حمل عليه أكثر من طوقه ضاق ذرعه عنه وضعف ومدّ عنقه . فجعل ضيق الذراع كناية عن نفاد الوسع والطاقة ، فيقال : ضاق به ذرعا ، إذا لم يطقه ولم يقدر عليه (ذرعا) تمييزٌ مُحَوَّلٌ عن الفاعل ، أى ضاق بأمرهم ذرعه . ﴿يوم عَصِيبٌ﴾ شديد

بَلَاءٍ بِهِمْ مُّاعِرِضٌ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ

وَأَنَّهُمْ أَتَيْنَهُمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٨﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ

رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ

عَصِيبٌ ﴿٧٩﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ

كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْفِقُونَ هَهُؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ

أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ

مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٨٠﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ

مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴿٨١﴾ قَالَ لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ

أَوْ أَوْى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٢﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ

رَبِّكَ لَن يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا

يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ

إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا

عجول ﴿أواه﴾ [آية ١١٤ التوبة

ص ٢٦٧] ﴿مُنِيبٌ﴾ راجع

إلى الله سبحانه .

٧٧ - ﴿سَيِّئًا بِهِمْ﴾ أى ساءه

وأخزته حضورهم ، لاعتقاده

أنهم أناس ، فخاف أن يقصدتهم

قومه بالسوء وهو عاجز عن

مداغمتهم . ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾

نفد طاقة ووُسْعًا بسببهم ، فلم يجد

من ذلك المكروه مخلصا . والذرع

فى الأصل : مصدرُ ذَرَعَ البعير

بأيديهم يذرع ، إذا سار ماذا

خطوه . مأخوذ من الذراع ، وهو

العضو المعروف ، فإذا حمل عليه

أكثر من طوقه ضاق ذرعه عنه

وضعف ومدّ عنقه . فجعل ضيق

الذراع كناية عن نفاد الوسع

والطاقة ، فيقال : ضاق به

ذرعا ، إذا لم يطقه ولم يقدر

عليه (ذرعا) تمييزٌ مُحَوَّلٌ عن



جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً
مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنْ
الظَّالِمِينَ يَبْعِيدُ ﴿٨٣﴾ * وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا
قَالَ يَنْقُومُ عَبْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا
الْمِكَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ تُحِيطُ ﴿٨٤﴾ وَيَنْقُومُ أَوْفُوا الْمِكَالَ وَالْمِيزَانَ
بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا
فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشُعَيْبُ
أَصْلَوْنَا تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ
فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾

أى قلبنا قراهم ، وكانت عند
حِمَص ببلاد الشام ، وأكبرها
سَدُوم ، وهى المَوتِفِكَات
المذكورة فى سورة التوبة .
﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ وأمطرنا على
هذه القرى بعد قلبها ﴿حِجَارَةً
مِّن سِجِّيلٍ﴾ وهو حجر وطين
مختلط ، وهو لفظ عربى يُطلق على
كل شديد صلب . وقيل مُعَرَّب .
﴿مَنْضُودٍ﴾ متتابع فى النزول ؛
من النَّضْد ، وهو وضع الشيء
بعضه على بعض . يقال : نَضَد
متاعه يَنْضِده ، جعل بعضه فوق
بعض ، كَنَضْدِه ؛ فهو مَنْضُود
ونَضِيد ومنْضُد .

٨٣- ﴿مُسَوِّمَةً﴾ مُعَلِّمَةً فى حكم
الله بسيا تميّز بها عن حجارة
الأرض . وقد عَذَّب بها أصحاب
الفيل .

٨٤- ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ [آية ٨٥
الأعراف ص ٢١٣]
﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكَالَ
وَالْمِيزَانَ﴾ أى أَلْتِى الكيل
والوزن ، لا عند الأخذ ولا عند
الإعطاء ؛ فلا تُعْطُوا غيركم
ناقصًا ، ولا تزيدوا عن حقكم
فما تأخذونه ؛ فيكون نقصًا من
مال غيركم . ﴿أَرَأَيْتُمْ بِخَيْرٍ﴾
بسعة تغنيكم عن التطفيف ﴿يَوْمٍ
مُّحِيطٍ﴾ مهلك .

٨٥- ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل بلا
زيادة ولا نقصان . ﴿وَلَا تَبْخُسُوا
النَّاسَ﴾ .. ولا تنقصوهم
مما استحقوه شيئًا . وهو تعميم بعد

تخصيص ؛ ليشمل غير المكيل
والموزون ، كالمذروع والمعدود .
ويشمل الجودة والرداءة . يقال :
بخسه حقه ، إذا نقصه .
﴿وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ﴾ ..
لا تسعوا فى الأرض مفسدين .
[آية ٦٠ البقرة ص ١٧] وقد
كانوا يقطعون الطريق على
السَّابِلَة .
٨٦- ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أى
ما أبى الله لكم من الحلال ؛ بعد
إيفاء الحقوق بالعدل - خير لكم
مما تأخذونه بالحرام . اسم مُضَدِر
من بقى ضد فنى . ﴿بَحْفِظُ﴾
برقيب فأجازيكم بأعمالكم .
٨٧- ﴿أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ كان
شعيب عليه السلام كثير الصلاة ،
وكانوا يستهزئون به لذلك
ويتضاحكون فقالوا له ذلك .
﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا﴾ .. أى
وأن نترك فعلًا ما نشاء فى أموالنا
من التطفيف وغيره . فهو عطف
على (ما) فى قوله : (مَا يَعْبُدُ
آبَاؤُنَا) . و(أو) بمعنى الواو .
﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾
وصفوه بذلك تهكمًا وسخرية .

أنهاكم عنه ثم أفعله ! وإنما اختار لكم ما اختار لنفسى . يقال : خالفنى فلان إلى كذا ، إذا قصده وأنت مؤل عنه . وخالفنى عنه : إذا ولئى عنه وأنت تقصده . ﴿وَالْيَهُ أَنْبُءُ﴾ أرجع فى كل أمورى لا إلى غيره .

٨٩ - ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِى﴾ لا تكسبكم معاداتى أن يصيبكم مثل ما أصاب أسلافكم المكذبين . [آية ٢ المائدة ص ١٤١]

٩١ - ﴿رَهْطُكَ﴾ الرهط : اسم جمع ، يُطلق فى المشهور على العصاة دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة . ورهط الرجل : قومه وقبيلته الأقربون . ٩٢ - ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا﴾ نذم أمر الله وراء ظهوركم ، وتركتموه كالشئ الملقى الذى لا يلتفت إليه . والظهري : نسبة إلى الظهر ، وأصله المرمى إلى الظهر ، وكثر الظاء فيه من تغييرات النسب ، ثم توسعوا فيه فاستعملوه للمنى المتروك .

٩٣ - ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ على غاية تمكنكم من أمركم ، وأقصى استطاعتكم [آية ١٣٥ الأنعام ص ١٩١] .

﴿ارْتَقِبُوا﴾ انتظروا العاقبة والمآل .

٩٤ - ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ [آية ٦٧ هذه السورة

قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّى وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَكَ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِى إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٩﴾ وَيَقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِى أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٩٠﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩١﴾ قَالُوا يَشْعِبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا قِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ ﴿٩٢﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَهْطِىْ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنْ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٣﴾ وَيَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُجْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٤﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِئَرِهِمْ جَثَمِينَ ﴿٩٥﴾ كَانُوا

٨٨ - ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى﴾ أخون فى وحيه ، أو أخالفه فى بينة . أى أخبرونى . وجواب : أمره ونهيهِ ! ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ﴾ الشرط محذوف ، تقديره : فهل أخالفكم .. أى ما أريد بنهيي يسعنى مع هذا الإنعام العظيم أن إياكم عن البخس والتطفيف أن

٧٨ ، ٩١ الأعـراف
ص ٢١٠ . ﴿ جَانِمِينَ ﴾
هامدين ميتين لا
يتحركون .

﴿ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾ لم يقيموا فيها
طويلاً في رعد ﴿ أَلَا بُعْدًا
لِلْمَدِينِ ﴾ [آية ٤٤ هذه
السورة] . ﴿ بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾
هلكت من قبل .

٩٦ - ﴿ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴾ برهان بين
على صدق رسالته .

٩٨ - ﴿ يَتَقَدَّمُ قَوْمَهُ ﴾ يتقدمهم
ويقودهم إلى النار ، كما قادهم في
الدنيا إلى الكفر والضلال ؛ من
قَدَّم يَتَقَدَّم قَدَمًا وَقَدُومًا . أى
تقدم . ﴿ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ﴾
أدخلهم فيها بكفره وكفرهم .
﴿ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ المدخل
المدخول فيه وهو النار .

٩٩ - ﴿ يَنْسُ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾
الرِّفْدُ : العطاء . يقال : رَفَدَهُ
يَرْفُدُهُ رَفْدًا ، أَعْطَاهُ . والرِّفْدُ -
بالكسر - : اسمٌ منه - وأصله
ما يضاف إليه غيره ليُعْمَدَ
ويُقِيمَ ؛ ومنه رَفَدَ الحائِطُ :
دَعَمَهُ . وقد لُعِنُوا في الدنيا وَلُعِنُوا
في الآخرة . أى بشس العطاء
المعطى لهم تلك اللعنة المضاعفة .
وَسُمِّيَتِ اللَّعْنَةُ رَفْدًا تَهْكُمْ بِهِمْ .

١٠٠ - ﴿ وَحَصِيدٌ ﴾ أى ومن
القرى ما عفا أثره ؛ كالزَّرْعِ
المحسود بالمناجل . من قولهم :
زَرَعُ حَصِيدٌ : إذا كان قد
استؤْضِلَ بقطعه .

لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾
إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ
بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَتَقَدَّمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ
وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ
الْقِيَمَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى
نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ
وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَاغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ
الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ
وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا غَيْرَ تَنْبِيءٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا
أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَلِيلَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ
تَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا
لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ
فَنُفِثَ شَقٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ
فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ

١٠١ - ﴿ غَيْرَ تَنْبِيءٍ ﴾ غير تخبير وهو كناية عن الهلاك .
وإهلاك . والنَّبُّ والتَّنبُّ والتَّنبُّابُ ١٠٦ - ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا ﴾
والتَّنبِيءُ : التَّقْصُّ والحَسَارَةُ . وهم الكفار ؛ كما أن ﴿ الَّذِينَ
يَقَالُ : تَبَّتْ يَدَايَ أَى خَسِرْتَا . سَعِدُوا ﴾ هم المؤمنون ؛ مطيعين



وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾
 * وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ
 مَجْدُودٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ
 إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوقِفُهُمْ
 نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
 فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ
 وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ كَلَّا لَمَا لِيَوفِيَهُمْ
 رَبُّكَ أَعْمَلُهُمْ إِنَّهُمْ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا

١٠٨ - ﴿عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْدُودٍ﴾
 غير مقطوع عنهم . يقال : جَدَّ
 يَجْدُهُ جَدًّا : كسره وقطعه ؛
 ومنه الجَذَاز - بضم الجيم
 وكسرها - لَمَّا تَكسَّر من الشيء .
 والضمُّ أَفصح . قال تعالى :
 (فَجَعَلَهُمْ جَذَاذًا) (٢)

١٠٩ - ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ أى
 فى شكٍّ من عادة هؤلاء المشركين
 أنها ضلالٌ مؤدِّ إلى مثل ما حل بمن
 قبلهم من أمثالهم الضالين . وقوله
 (مِمَّا يَعْبُدُونَ) ما : مصدرية .

١١٠ - ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ
 مُرِيبٍ﴾ أى وإن هؤلاء المكذِّبين
 لفي شكٍّ من القرآن أو من العذاب
 موقع فى الرِّيبَة . أو ذى ريبَة [آية
 ٦٢ من هذه السورة] .

١١١ - ﴿وَإِنْ كَلَّا لَمَا لِيَوفِيَهُمْ﴾
 قرئ بتشديد (إِنْ) و(لَمَّا) . وقد
 قيل فى إعرابها : (كَلَّا) اسمُ
 (إِنْ) . واللامُ فى (لَمَّا) هى
 الداخلة فى خبر (إِنْ) . وما بعد
 اللام هو (مِنْ) الجارة . و(مَا)
 الموصولة أو الموصوفة المراد بها هنا
 مَنْ يَعْقِلُ . فَقُلِّبَتِ النُّونُ مِيمًا
 للإدغام ، فاجتمع ثلاث ميماتٍ
 فحذفت واحدة منها للتخفيف
 فصارت (لَمَّا) . والحارُّ والجورُ
 خبر (إِنْ) ، وجملته
 (لِيَوفِيَهُمْ) - وهى قَسَمٌ
 وجوابه - صلةٌ أوصفت ل(مَا) .
 والمعنى : وإن كَلَّا لَمِنْ الَّذِينَ
 أُولِمْنَ خَلْقِ اللَّهِ كَيُوفِيَهُمْ جزاء
 أعمالهم .

وعصاة . ﴿زَفِيرٌ وَشَهيقٌ﴾
 الزفير : إخراج النفس من الصدر
 من شدة الحزن . مأخوذ من الزفر -
 بالكسر - وهو الحمل على الظهر
 لشدة . والشهيق : ردُّ النفس إلى
 الصدر . والمرادُ بهما الدلالة على
 شدة كربهم وغمهم .
 ١٠٧ - ﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ
 وَالْأَرْضُ﴾ أى مدة دوامها ،
 والمقصود التأييد ونفى الانقطاع ،
 على حدِّ قول العرب : لا أفعل
 كذا ما اختلف الليل والنهار ،
 أو ملاح كوكب . ﴿إِلَّا مَا شَاءَ
 رَبُّكَ﴾ نقل ابنُ عطية أنه على
 طريق الاستثناء الذى تدب إليه
 الشرع فى كل كلام ، فهو على

١١٣ - ﴿فَاسْتَقِمْ﴾ أى أَلَزِمَ التَّهَجُّجَ الْمُسْتَقِيمَ الْمُتَوَسِّطَ بَيْنَ طَرَفَيْ الْإِفْرَاطِ وَالتَّقْرِيطِ أَنْتَ وَمَنْ آمَنَ مَعَكَ كَمَا أَمَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى . ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾ أى لَا تُجَاوِزُوا مَا حُدِّدَ لَكُمْ بِإِفْرَاطٍ أَوْ تَقْرِيطٍ ﴿وَلَا تَرْكَبُوا﴾ أى لَا تَمِيلُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴿أَنْفُسَهُمْ بِشُرْكَ أَوْ مَعْصِيَةٍ﴾ . بِقَالَ : رُكِّنَ إِلَيْهِ - كَنَصَرَ وَعَلِمَ وَنَفَعَ - إِذَا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ . وَيُسْتَنَى مِنْ ذَلِكَ لِلضَّرُورَةِ : صَحْبَةُ الظَّالِمِ عَلَى الثَّقِيَّةِ مَعَ حُرْمَةِ الْمَيْلِ الْقَلْبِيِّ إِلَيْهِ .

١١٤ - ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ أى أَدِّ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ عَلَى تَمَامِهَا فِي طَرَفَيْ النَّهَارِ ، وَهِيَ الْغَدَاةُ وَالْعِشَاءُ . وَصَلَاةُ الْغَدَاةِ : الصُّبْحُ . وَصَلَاةُ الْعِشَاءِ - وَهُوَ مِنَ الزَّوَالِ إِلَى الْغُرُوبِ - : الظُّهْرُ وَالْعَصْرُ . ﴿وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ﴾ أى طَائِفَةٌ مِنْ أَوَّلِهِ . وَهِيَ صَلَاتَا الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ ، جَمْعُ زُلْفَةٍ ، كَعُرْفٍ وَغُرْفَةٍ . ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ . إِنَّ الْأَعْمَالَ الْحَسَنَةَ - كَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَنَحْوِهَا مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ - وَكَالْعَزَمِ عَلَى اجْتِنَابِ الْكَبِيرَةِ - يَكْفِرْنَ السَّيِّئَاتِ وَيُذْهِبْنَ الْمَوَاحِظَةَ عَلَيْهَا . وَالْمَرَادُ بِهَا : الذُّنُوبُ الصَّغَائِرَ ، لِأَنَّ الْكِبَارَ تَكْفُرُهَا التَّوْبَةُ ﴿ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ عِظَةٌ لِلْمَتَعَطِّلِينَ .

١١٦ - ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾ أى مِنْ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ ﴿أُولُو بَقِيَّةٍ﴾ ذُوو

أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٣﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فْتُمْسِكُوا النَّارَ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿١١٤﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيْ النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٥﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَمْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٦﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٧﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٩﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٠﴾ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَشِئْتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا

خَصْلَةٌ بَاقِيَةٌ مِنَ الْعَقْلِ . أَوْ ذُوو فَضْلٍ . وَأَصْلُ الْبَقِيَّةِ : مَا يَصْطَفِيهِ الْإِنْسَانُ لِنَفْسِهِ وَيَذْخَرُهُ لِيَنْتَفِعَ بِهِ ، وَمِنْهُ فَلَانٌ مِنْ بَقِيَّةِ الْقَوْمِ : أَيْ مِنْ خِيَارِهِمْ . وَالْمَرَادُ : أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَا اسْتَنْتَى . ﴿مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾ مَا أَنْعَمُوا فِيهِ مِنَ الثَّرْوَةِ وَالْعَيْشِ الْهَنِئِءِ . وَالشَّهَوَاتِ الْعَاجِلَةِ : فَطَرُوا النِّعْمَةَ وَاسْتَكْبَرُوا وَكَفَرُوا بِاللَّهِ . أَوْ فَسَقُوا عَنْ أَمْرِهِ ، مِنْ الثَّرْفَةِ وَهِيَ النِّعْمَةُ وَالطَّعَامُ الطَّيِّبُ ، وَالشَّيْءُ الطَّرِيفُ تَخَصُّصُهُ بِهِ

سورة يوسف

٣- ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ نُبَيِّنُ لَكَ قِصَّةَ يَوْسُفَ ابن يعقوب - عليهما السلام - أحسن البیان . وإن كانت من قبل ذلك لم تقَرع سمعك . يقال : قصص عليه الخبر . أعلمه إياه . واقتصر الحديث : رواه على وجهه . وأصله من قولهم : قصص الأثر قصصاً وقصصاً ، تنبئه .

٤- ﴿يَا أَبَتِ أَصْلُهُ يَا أُنَى﴾ فحذفت الياء وعوض عنها تاء التانيث اللفظي ، ونقلت إليها كسرة الباء ، ثم فتحت الباء على القاعدة في فتح ما قبل تاء التانيث .

٥- ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ فيحتالوا في هلاكك احتيالاً خفياً لا قبل لك بدفعه . (وكاد) يتعدى بنفسه فيقال : كاده يكيد به كيداً . إذا احتال لإهلاكه . ولتضمنه معنى احتال عُدَى باللام .

٦- ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ أى كما اجتنبك لهذه الرؤيا الحسة يجتنبك لأمر عظام . والاجتنباء : الاصطفاء والاختيار . ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ أى وهو يعلمك تعبير الرؤيا . وهو علم ما بثول إليه : من الأول وهو الرجوع .

٧- ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ..﴾ سأل اليهود النبى صلى الله عليه

يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَا كُنْتُمْ إِنْأَا عَمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَأَنْتَظِرُونَ إِنْأَا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

(١٢) سيرة يوسف مكية
إلا الآيات ٢١ و ٢٢ و ٢٣ فمدنية
وآياتها ١١١ أنزلت بعد سورة هود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْبَرِّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنْأَا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصُصْ

صاحبك . يقال : عرف - خلق . ﴿وَمَتَّ كَلِمَةً رَبُّكَ﴾ كفرح - تنعم . وأترفته التعمه : وجب حكمه وقضاؤه الأزل . ١٢١- ﴿عَلَى مَا كُنْتُمْ﴾ على خالتكم التي أنتم عليها وهي الكفر . والأمر للتهديد . [آية ٩٣ من هذه السورة ص ٣١٥] . والله أعلم . ١١٩- ﴿وَلَذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أى خلق الناس مختلفين : بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل ، ليكون فريق منهم فى الجنة وفريق فى السعير . أو لرحمته خلق من

وسلم عن قصة يوسف ؛ فترلت هذه السورة جملة واحدة فيها كل ما في التوراة من القصة وزيادة ؛ فكان ذلك آية له صلى الله عليه وسلم دالة على صدقه . وفيها من العبر الكثيرة ما لا غنى عنه للناس .

٨ - ﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ جماعة قادرون على خدمته دون يوسف وأخيه . والعصبة : ما بين العشرة إلى الأربعين كالعصابة ؛ من العصب وهو الشد ؛ لأن كل واحد منها يشد الآخر ويعضده . أو لأن الأمور تعصب بهم ؛ أى تشد فتقوى . ﴿ ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ خطأ ظاهر بإثارهما عليهما بالمحبة . مع فضلنا عليهما . وكونهما بمنزل عن كفاية الأمور ؛ ولم يريدوا الخطأ في الدين . وأصل الضلال : المثل عن المنهج السوى . يقال : ضل بضل . إذا خفى وغاب وضاع .

٩ - ﴿ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾ ألقوه في أرض بعيدة عن أبيه . ﴿ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ تخلص لكم محبة أبيكم دون أن يشارككم فيها أحد ؛ فيقبل عليكم بكلية . يقال : خلا المكان يخلو خلواً وخلاء . قرع . ومكان خلاه ؛ ليس به أحد .

١٠ - ﴿ وَالْقُوَّةُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ ﴾ في قعر الجب حيث يغيب خبره . والجب : البئر التي لم تطفأ . لم تبن بالحجارة - وجمعه أجباب وجباب وجيبة ؛ وسُميت

رَبَّيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٨﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩﴾ * لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَنِي ضَلُّلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿١٢﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقُوَّةُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿١٤﴾ أَرْسَلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٥﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَسِرُونَ ﴿١٧﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا

جبالاً لأنها قطعت في الأرض قطعاً . والعيابة : غور الجب وما غاب منه عن الأعين وأظلم من أسفله . ﴿ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ﴾ أى المارة من المسافرين ؛ فيذهب به إلى ناحية بعيدة فتستريحون منه . جمع سيار . وهو المبالغ في السير . ١٢ - ﴿ يَرْتَع وَيَلْعَبْ ﴾ يتسع في أكل الفواكه ونحوها . ويلهو



استنبأ

١٧- ﴿نَسْتَبِقُ﴾ نستابق في
الرَّمْيِ بالسَّهْمِ : أو على الخيل
أو على الأقدام ، يقال :
استبقا ، أى تسابقا حتى يُنظر أيُّهما
أسبق .

١٨ - ﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ زَيْتٌ وَسَهْلٌ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً عَظِيماً فِي يُوسُفَ فَعَلَّمُوهُ ، مِنْ التَّسْوِيلِ ، وَهُوَ تَرْبِيعُ النَّفْسِ لِمَا تُحَرِّصُ عَلَيْهِ ، وَتَصْوِيرُ الْقَبِيحِ مِنْهُ بِصُورَةِ الْحَسَنِ . ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ فَصِيرٌ صَبْرٌ جَمِيلٌ ، وَهُوَ مَا لَا شَكْوَى فِيهِ لِأَحَدٍ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى .

١٩ : ٢٠ - ﴿وَجَاءَتْ
سَيَّارَةٌ ۖ ﴿١﴾ مَسَافِرُونَ مِنْ جِهَةٍ
مَدِينٍ إِلَى مَصْرَ ۖ ﴿٢﴾ فَأَرْسَلُوا
وَارِدَهُمْ ۖ ﴿٣﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَقَدَّمُ الْقَوْمَ
فَيَبْرِدُ الْمَثَلُ وَيَسْتَقْبِلُهُمْ . وَيَقَعُ
عَلَى الْوَاحِدِ وَعَلَى الْجَمَاعَةِ . وَيُقَالُ
لِكُلِّ مَنْ يَبْرِدُ الْمَاءَ : وَارِدٌ ، وَلِلْمَاءِ
مَوْزُودٌ . ﴿٤﴾ فَأَذَلَّنِي ذَلُّهُ ۖ فَأَرْسَلَهَا
إِلَى الْجَبِّ لِيَسْتَخْرِجَ الْمَاءَ مِنْهُ ،

فَتَعْلَقُ بِهَا يُوسُفُ ، فَلَمَّا خَرَجَ فَرَحَ
الْوَارِدُ وَقَالَ : ﴿ يَا بُشْرَى هَذَا
غَلَامٌ ﴾ . يُقَالُ : أَذْلَى ذَلْوُهُ
يُدْلِيهَا فِي الْبُئْرِ ، إِذَا أَرْسَلَهَا فِيهَا
لِيَمْلَأَهَا ، فَإِذَا نَزَعَهَا وَأَخْرَجَهَا
مَلَأَ قَيْلٍ : ذَلَا الدَّلْوُ يَدْلُوهَا ،
مِنْ بَابِ عَدَا . وَالدَّلْوُ : الَّتِي
يُسْتَقْفَى بِهَا تَوْنٌ وَتَذْكُرُ .
﴿ وَأَسْرَوْهُ بِضَاعَةً ﴾ أَيِ اخْفَى

بِهِ ۖ وَاجْعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْحَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ
لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ
عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا
يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَاكْلَهُ الذِّبْ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا
وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَى قَبْضَةٍ يَدِهِمْ كَذِبٌ
قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ
فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْلَاهُ قَالَ يَبْنَشِرِي هَذَا غُلْمٌ
وَأَسْرُوهُ بَضْعَةً ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ
بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾
وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَأَمْرَأَةٍ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ
عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَأً لِيُوسُفَ
فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۖ وَاللَّهُ غَالِبٌ
عَلَى أَمْرِهِ ۖ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا

بالاستباق والانتضال ونحوهما ؛
من الرِّع ، وهو الانتساع في المِلَادِ
والتَّعَمُّمُ في العيش ؛ وفعله كَمَعَمَ .
ومنه للانتساع في الخِصْبِ
الرَّتْعَةُ .
١٥ - ﴿وَأَجْمَعُوا﴾ عَزَمُوا عَزْمًا
قَوِيًّا . يقال : أَجْمَعْتُ السَّيْرَ
والأَمْرَ وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ : عَزَمْتُ

بَلَغَ أَشَدَّهُ ۖ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣﴾ وَرَوَدَتْهُ أَنَّى هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ
 وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ
 إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٤﴾
 وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَىٰ أَبْرَهْنَ رَبَّهُ
 كَذَلِكَ لَصِرَفُ عَنْهُ أَسْوَأَ ۖ وَالْفَحْشَاءُ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا
 الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٥﴾ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَيْصَهُ مِنْ دُبُرٍ

الذين . أو علم تعبير الرؤيا .
 ٢٣ - ﴿وَرَوَدَتْهُ ..﴾ المارودة .
 مفاعلة من الزويد ، وهو الرفق
 والمحل ، وتثنيها (ب) عَنْ
 لتضمينها معنى المخادعة . أى دَعَتْهُ
 امرأة العزيز إلى نفسها ، وفعلت
 معه فعل المخادع لصاحبه عن شئ
 لا يريد أن يخرج من يده ، وهو
 يحتمل أن يأخذه منه ، فكان منها
 الطلب ، وكان منه الإباء خوفاً
 من الله تعالى . وقيل : إن المفاعلة
 من جانب واحد ، على حد
 قولهم : مماثلة المدين ، ومداواة
 المريض ، ونظائرهما . ﴿هَيْتَ
 لَكَ﴾ اسم فعل بمعنى هَلَمْ ، أى
 تعال وأقبل وأسرع ونحوه ، ويدل
 على الحث والإقبال على الشئ .
 وقيل : هى لفظة معربة ، أو من
 الألفاظ التى اتفقت فيها اللغات .
 واللام فى (لَكَ) لتبيين

المخاطب ، كما فى : سَقِيَا لَكَ ،
 ورَغِيَا لَكَ . وهى متعلقة
 بمحذوف ، كأنها تقول : أقول
 لك ، أو الخطاب لك . ﴿قَالَ
 مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أعوذ بالله معاذاً مما
 تريدن منى ! أى أعتصم بالله
 واستجير به ، وألتجئ إليه النجاء
 فى دفع ذلك عني . وهو منصوب
 على المصدر بفعل محذوف .
 ٢٤ - ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ
 بِهَا ..﴾ الهم : المقاربة من
 الفعل من غير دخول فيه .
 ولا خلاف فى أن هَمَّتْهَا كان
 بالمعصية ، وكان عَزَمًا وَجَرَمًا ،
 ولا فى أن يوسف عليه السلام لم
 يأت بفاحشة ، وأن الله برأه منها
 وأنطق المرأة ببراءته ، وأن هَمَّهُ
 عليه السلام كان مجرد خاطرة قلب
 بمقتضى الطبيعة البشرية ، من غير
 جَرَمٍ وعَزَم . وذلك لا يدخل

الوارد وأصحابه أمره عن باقى
 الرفقة ، مخافة أن يشاركوهم فيه
 إذا علموا خبره ، وقالوا لهم : قد
 دفعه إلينا أهل هذا الماء بضاعة
 لنبيعه لهم بمصر . من الإسرار ،
 ضد الإعلان . والبضاعة :
 القطعة من المال تتخذ للتجارة ،
 من البضع وهو القطع ، وأصله
 جملة من اللحم يُبْضَع ، أى
 يُقَطَّع . ولما علم إخوة يوسف بأمره
 أتوا الوارد وأصحابه وقالوا : إنه
 عبد أبى منّا ، فاشتروه منهم بشمن
 ناقص زهداً فيه لكونه معيماً .
 ﴿وَشَرَوْهُ﴾ بـاعه إخوته .
 أو السيارة . و﴿بَخْسٍ﴾ أى
 نقص بمعنى ناقص أو منقوص ،
 مصدر بَخَسَهُ يَبْخَسُهُ بَخْسًا ،
 نقصه أو عابه .
 ٢١ - ﴿أَكْرَمَىٰ مَثْوَاهُ﴾ ولما
 اشترى العزيز - الذى كان على
 خزائن مصر - قِبل ملكها
 يومئذ - يوسف من السيارة قال
 لزوجته زُلَيْخَا : اجعلى منزله
 ومقامه عندنا حسناً مرضياً [آية
 ١٥١ آل عمران ص ٩٧] .
 ﴿غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ لا يقهره
 شئ ، ولا يدفعه عنه أحد .
 ٢٢ - ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشَدَّهُ﴾ منتهى
 شدته وقوته ، وذلك بنام خلقه
 واستكمال عقله [آية ١٥٢ الأنعام
 ص ١٩٦] . وفى سِئته التى بلغت
 فيها أشدّه أقوال . ﴿آيَاتُهُ
 حُكْمًا﴾ أى حكمة ، وهى
 الإصابتة فى القول والعمل . أو هى
 النبوة . ﴿وَعِلْمًا﴾ أى فقهًا فى

يشتغل بدفعها بالقوة وقرعها هارباً ، حتى صارت الشهادة حجة له على براءته . فلم يقع منه همٌ بالفاحشة ، وإنما وقع منه الهمُّ بدفع امرأة العزيز عن نفسه ، ولم يحصل الدفع بالفعل لرؤيته برهان ربه . وفي البحر : أنه لم يقع منه همٌ أثبت ، بل هو منفى لوجود رؤية البرهان ، وهو نظير قولك : قارفت الذنب لولا أن عصمك الله . وجواب (لولا) محذوف لدلالة ما قبله عليه ، أى لولا أن رأى البرهان لهم بها ، أى أن الهم كان يوجد لو لم يبرهان ربه ، لكنه رآه فانتفى الهم (المخلصين) المختارين لطاعته أو لرسالته .

٢٥ - ﴿وَأَسْبَقَ الْبَابَ﴾ تسابقاً إليه ، يقصد هو الفرار من الفاحشة ، وتقصد هي منعه من لتقضى حاجتها منه . والتسابق والمسابقة بمعنى واحد . ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾ شقته ، من القد وهو القطع والشق ، وأكثر ما يستعمل فيما كان طويلاً ، وهو المراد هنا ، لأنها جذبت من وراء ، فاخترق القميص إلى أسفله . ﴿وَأَلْفَيْ سَيْدَهَا﴾ وجدا زوجها .

٢٦ - ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾ صبي في المهدي أنطقه الله ببراءته . ٣٠ - ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ أصاب حبها إياه شغاف قلبها ، حتى غلب عليه وتمكن منه . والشغاف : سويداء القلب ، أو حجابها وغلافه الذي هو فيه . يقال : شغف الهوى

وَأَلْفَيْ سَيْدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ * وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَنَّا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾

وحدث النفس من غير اختيار ولا عزم ، مثل هم يوسف . وقد عصمه الله وصرف عنه السوء والفحشاء ، كيف وهو من عباد الله المخلصين ؟ . وقيل : إنه عليه السلام هم بدفعها عن نفسه بالقوة وكاد ، لولا أن أراه الله أنه لو فعل ذلك لفعلت معه ما يوجب هلاكه ، فكان في الامتناع عنه صون نفسه من الهلاك ، فربما تعلقت به فتمزق ثوبه من قدام ، وكان في علم الله أن الشاهد يشهد بأن تمزيقه من الأمام دليل جنائته ، وتمزيقه من الخلف دليل جنائتها وبراءته ، فلا جرم لم

تحت التكليف ، ولا يخل بمقام النبوة ، كالصائم يرى الماء البارد في اليوم الحار فتميل نفسه إليه ، ولكن يمنعه منه دينه ، فلا يؤاخذ بهذا الميل . وقوله تعالى : ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّي﴾ أى لولا مشاهدته البرهان الإلهي على شناعة المعصية لجرى على موجب مثله الجبلي ، لكنه لمشاهدته البرهان استمر على ما هو عليه من الطهارة وإباء المعصية . ولذا قيل : الهمُّ همٌّ ثابت ، وهو ما كان معه عزم وعقد ورضاً ، مثل هم امرأة العزيز . وهم عارض ، وهو الخطرة



قلبه شَغَفًا - من باب نفع - بلغ شَغَافَهُ . والاسمُ الشَّغْفُ . و(جَبًا) تمييزٌ محوّلٌ عن الفاعل ، والأصل : شَغَفَهَا حُبُّهَا إِيَّاهُ .

٣١ - ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ ﴾ فلما سمعت بمكرهن ، باغتيابهن إياها وسوء مقالتهن فيها . وسُمِّيَ ذلك مَكْرًا لشبهه به في الإخفاء . ﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا ۖ ﴾ هيأت لهن في مجلسها ما يثبتكن عليه من الثمارق والوسائد ؛ اسمٌ مفعول . من الاتكاء وهو الميل إلى أحد الشقيين في الجلوس كعادة المترفين . وأحضرت لهن طعامًا يقطع بالسكين عند أكله ، وآتت كل واحدة منهن سكينًا ؛ فلما رأين يوسف ﴿ أَكْبَرَتْهُ ﴾ أى أعظمته ، ودھشن عند رؤيته من قُرط جماله . يقال : أَكْبَرُ الشيء ، رآه كبيرًا وعظمٌ عنده .

وكَبُرَ الشيء : جعله كبيرًا ؛ من الكبير بمعنى العظم . ﴿ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ خَدَشْنَهَا وَحَزَنَهَا بما في أيديهن من السكاكين ؛ ولم يشعرن لافتتانهن به . يقال إذا خَدَشَ الإنسان يدَ صاحبه : قطع يده . ﴿ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا ۖ ﴾ معاذ الله أن يكون هذا بشرًا ! أو جانب يوسف ما قُرف به لله ؛ أى لأجل مخافة الله ومراقبته . والمرادُ تزريهه ويُعده ؛ كأنه صار في جانبِ عما اتهم به لما رأوه من آثار العصمة وجلال النبوة عليه . ف(حَاشَ) فعلٌ ماضٍ ، واللامُ في (لله) للتعليل . وقيل : هو اسم

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعَصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنَنَّهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُورِثُ أَثَرًا قَالَا تَبَا وَيْلَهُ ۖ فَبَدَأَ بِذَاتِ رَأْسِهِ ثَلَاثًا يَوْمَاضَةً فَأَخَذَتْ لَهَا خُبْرًا غَبِيرًا ﴿٣٦﴾ تِلْكَ نَارُ الْفِتْنَةِ الَّتِي يَكِيدُ لِلْفِرْثَانِ وَمَنْ هُمْ إِلَّا نَارُ الْفِتْنَةِ يَكِيدُونَ ﴿٣٧﴾

فَعِلٌ بمعنى بَرئ الله من كل سوء . امتناعًا بليغًا ، وتحفظ تحفظًا شديدًا عما طلبته منه ؛ من العصمة التقصير والعجز عن خلق مثله ؛ وفيه معنى التعجب من قدرته تعالى مثل هذا الصنيع البديع . ٣٢ - ﴿ فَاسْتَعَصَمَ ﴾ فامتنع بالله : امتنع بلطفه من المعصية .

تَرْزُقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكَ إِنَّا إِلَهُهُ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا
 ذَلِكُمَا مَعَلَّنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
 وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي
 إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ
 مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ
 أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ يَصْحَبِي السِّجْنُ وَأَرْيَابُ
 مُضَرَ قَوْمٍ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٧﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ
 دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَزَلَّ اللَّهُ
 بِهِمَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا
 إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾
 يَصْحَبِي السِّجْنُ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا
 وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَنَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ
 الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٣٩﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا
 اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ
 فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ

يَأْتِيهَا قَبْلَ إِيْتَانِهِ بِطَرِيقِ الْكُشْفِ
 بِنُورِ الْبُيُوتَةِ ، لِأَجْلِ أَنْ يَعْلَمَ صَدَقَهُ
 فِيمَثَلَا دَعَاَهُ لَهَا إِلَى التَّوْحِيدِ .
 وَهَذِهِ مُعْجَزَةٌ لَهُ كَمُعْجَزَةِ عِيسَى
 حَيْثُ قَالَ (وَأَتَيْنَاكُمْ بِمَا
 تَأْكُلُونَ وَمَا تَلْخَعُونَ فِي
 بُيُوتِكُمْ) (١) . ﴿ذَلِكُمَا﴾
 التَّأْوِيلُ وَالْإِخْبَارُ بِمَا يَأْتِي .

٤٠ - ﴿الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ الْمُسْتَقِيمُ .
 أَوْ الثَّابِتُ بِالْبِرَاهِينِ .

٤٢ - ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ﴾ .
 أَنَسَى الشَّيْطَانُ ذَٰلِكَ النَّاجِي ذَكَرَ
 يُوسُفَ عِنْدَ سَيِّدِهِ ﴿بِضْعَ سِنِينَ﴾
 الْبِضْعُ - بِالْكَسْرِ وَيُفْتَحُ - : مَا
 بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى الثَّلَاثِ أَوْ السَّعِ ،
 مِنَ الْبِضْعِ يَعْنِي الْقَطْعَ وَالشَّقَّ .
 يَقَالُ : بَضَعْتُ الشَّيْءَ ، أَيِ
 قَطَعْتَهُ .

٤٣ - ﴿يَاكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ﴾
 مَهْزُولَةٌ . وَالْعِجَافُ -
 بَفَتْحَتَيْنِ - : ذَهَابُ السَّمَنِ ،
 وَهُوَ أَعْجَفُ وَهُوَ عَجْفَاءُ . وَقَدْ
 عَجِفَ - كَفَرِحَ وَكَرَّمَ - : ذَهَبَ
 سِمْنُهُ ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا
 تَعْبُرُونَ﴾ أَيِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُرُونَ
 الرُّؤْيَا ، أَيِ تَعْلَمُونَ تَعْبِيرَهَا عِلْمًا
 مُسْتَمِرًّا ، مِنَ الْعُبُورِ وَهُوَ
 الْمَجَاوِزَةُ . يَقَالُ : عَبَّرَ الرُّؤْيَا يَعْبُرُهَا
 عَبْرًا وَعِبَارَةً وَعَبْرَهَا ، فَسَّرَهَا
 وَأَوَّلَهَا ، أَيِ ذَكَرَ غَاقِبَتَهَا وَآخِرَ
 أَمْرِهَا . وَعَبَّرَتِ النِّهْرَ عَبْرًا
 وَعُبُورًا ، إِذَا قَطَعْتَهُ وَجَاوَزْتَهُ .
 وَاللَّامُ لِقَوِيَّةِ الْفِعْلِ بَعْدَهَا .
 ٤٤ - ﴿أَصْعَاثُ أَخْلَامٍ﴾ أَيِ

٣٣ - ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ أَمِلَ إِلَيْهِنَّ
 وَأَمَّا إِلَهُنَّ عَلَى مَا يُرَدُّنَ مَتَى بِحُكْمِ
 الْمَثَلِ الطَّبِيعِيِّ وَالشَّهْوَةِ الْبَشَرِيَّةِ ،
 مِنَ الصَّوْنَةِ ، وَهِيَ الْمَثَلُ إِلَى
 الْهَوَى . يَقَالُ : صَبَا يَصْبُو صُبًّا
 وَصَبْوَةً ، إِذَا مَالَ ، وَمِنْهُ الصَّبَا
 ٣٦ - ﴿أَغْصَرُ خَمْرًا﴾ عَنَابٌ يُؤْوَلُ
 لِحُمْرِ أَسْقِيَةِ الْمَلِكِ .
 ٣٧ - ﴿لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ﴾
 وَعَدَمًا بِإِخْبَارِهَا بِكُلِّ طَعَامٍ

هذه تخالط أحلام ومنامات باطلة . جمع ضُغْتُ ، وأصله ما جمع من أخلاط الثبات وحُرم كالخزمة من الكَلَا ، استعير لما تجمعه القوة المتخيلة من أحاديث النفس ووساوس الشيطان في المنام . والأحلام جمع حُلُم وحُلُم . وهو ما يراه النائم مما ليس بحسن .

٤٥ - ﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ تذكر بعد حين طويل من الزمن ما سبق له مع يوسف في السجن . وأصله اذُكِّرَ - بوزن افتعل - من الذُكْر ، ودخله الإبدال . والأمة هُنا : الطائفة من الزمن [آية ١٠٤ آل عمران ص ٩٠] .

٤٧ - ﴿دَابَّاً﴾ أى على عادتك المستمرة في الزراعة . مصدر دَابَّ على الشيء يدَّابُّ دَابَّاً ودَابَّاً ، أى دَآوَم عليه ولازمه . وحاصل تعبيره : أنه أول البقرات السَّانِ والسَّنبلات الخضر سنين مُخصبة ، والعجاف واليابسات سنين مُجذبة ، وابتلاع العجاف السَّانَ بأكل ما جُمع في السنين المحصبة في السنين المُجذبة .

٤٨ - ﴿تُحْصِنُونَ﴾ تُحْرِزونه وتُحْبِثُونه من البذر للزراعة ، من الإحصان ، وهو جعل الشيء في الحصن كالأحراز . يقال : أحصن الشيء ، جعله في الحصن ، وهو الموضع الحصين الذى لا يوصل إلى جوفه .

٤٩ - ﴿فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾

بَقَرَاتِ سِمَانٍ يَا كُلُّهُنَّ سَعِ عِجَافٌ وَسَعِ سُنْبَلَاتِ خُضْرٍ
وَأَخْرَ يَا سِتِ يَأَيُّهَا أَلَمَلَا أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ
لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٌ وَمَا نَحْنُ
بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ يَعْلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا
وَأَدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٨﴾
يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَعِ بَقَرَاتِ سِمَانٍ يَا كُلُّهُنَّ
سَعِ عِجَافٌ وَسَعِ سُنْبَلَاتِ خُضْرٍ وَأَخْرَ يَا سِتِ لَعَلِّي
أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ
سَعِ سِنِينَ دَابَّاً فَمَا حَصَدْتُمْ فَذُرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا
مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَعٌ شَدَادٌ
يَا كُلُّنَا مَا قَدَّمْتُمْ لَهْنَ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ يَأْتِي
مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصُرُونَ ﴿٥٢﴾
وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ
إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلُهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ
إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ

يُحْطَرُونَ ، من العَيْث وهو المطر . يقال : غاث الله البلاد غيثاً ، أنزل بها المطر . وغاث الغيث الأرض يَغِيثُها ، أصابها . أو يغاثون ، من الغوث وهو زوال الهم والكرب . يقال : أغاثه الله إغاثة ، أعانه ونصره فهو مُغِيثٌ . واستغاثني فأعته إغاثة ومغوثه . والاسم الغوث والغياث . ﴿وَفِيهِ يَعْصُرُونَ﴾ ما شأنه أن يعصر من نحو العنب والزيتون والقصب والسَّمسم للانتفاع بما يخرج منها ؛



يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ
 قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْقَتْلَ حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا رَوَدْتُهُ
 عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ
 أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾
 * وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا
 مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ
 أَتُوتَنِي بِهِ أَتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ
 لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ
 إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ
 يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ
 وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا جُرْأَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ
 لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ
 فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ
 بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُوتَنِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي
 أَوْفَى الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَلَمَّا لَمْ تَأْتُوْنِي بِهِ

وذلك لخصه .
 ٥٠ - ﴿مَا بَالُ النَّسْوَةِ﴾ أي ما حالهن . والبال : الحال التي
 بُكِّرَتْ بها ، ومنه : ما باليت
 بكذا ، أي ما اكرثت به .
 ٥١ - ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ﴾ ولما

خطوب . وخصه بعضهم بما له
 خطر ، وأصله الأمر العظيم الذي
 يكثر فيه التخاطب ويخطب له .
 ﴿حَاشَ لِلَّهِ﴾ معاذ الله أن يعمل
 سوءاً ! أو تزورها لله تعالى عن أن
 يعجز عن خلق بشر عفيف
 كيوسف . ﴿الآن حَصْحَصَ
 الْحَقُّ﴾ انكشف الحق وتبين بعد
 خفاء . وأصله حصّ ، كما قيل :
 كَبَّكَ فِي كَبٍّ . من الحصّ وهو
 استئصال شعر الرأس بخلق أو
 مرض .

٥٢ - ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي﴾ هو من
 كلام يوسف عليه السلام .
 وقيل : هو من كلام امرأة
 العزيز .

٥٤ - ﴿مَكِينٌ﴾ متمكنٌ نافذُ
 القول لعظم منزلتك . اسم فاعل
 من مَكَّنْ مكانةً ، إذا عَظَّمَ
 وارتفع . يقال : مَكَّنْهُ مِنْ
 الشيء ، جعلت له عليه سلطاناً
 وقدرةً ، فتمكّن منه واستمكن ،
 أي قدر عليه .

٥٥ - ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾
 حفيظٌ للخزائن ، عليمٌ بوجوه
 مصالحها . أو حفيظٌ لما
 تستودعني ، عليمٌ بما تؤولني .

٥٦ - ﴿يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾
 يتخذ من أرض مصر منزلاً وموطناً
 ينزله حيث يشاء . يقال : يَوَّاهُ
 منزلاً وفي منزل ، أنزله .

٥٩ - ﴿جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ﴾ هيأ
 لهم ما هم في حاجة إليه من
 الطعام ، وأوفّر ركايتهم به .

وأصلُ الجَهاز - بالفتح - والكسر لغة قليلة - : ما يحتاج إليه المسافر من زاد ومتاع . يقال : جهّزت المسافر تجهيزًا ، هيّأت له جهازه ، ومنه جهازُ العروس وجهازُ الميت .

٦٢ - ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ البضاعة في الأصل : قطعة وافرة من المال تُقتنى للتجارة . والمراد بها هنا : الثمن الطعام الذي اكتالوه من مصر . والرحال : الأوعية التي يُحمل فيها الطعام وغيره . جمع رَحْل ، وأصله ما يوضع على البعير للركوب . ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾ لكي يعرفوها . ﴿إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ﴾ رجعوا إليهم . ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لتحملهم معرفتهم إياها على الرجوع إلينا .

٦٥ - ﴿مَا نَبْغِي﴾ أى أى شيء نطلب من إحسان الملك الذي وصفناه لك وراء ما فعل ، من الثبَاء وهو الطلب . ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ نَجْلِبُ لهم الميرة ، وهى الطعام يجلبه الإنسان من بلد إلى بلد . يقال : مَارَ عِيَالَهُ يَمِيرُهُمْ مِيرًا ، وأماهم وامتارَ لهم ، بمعنى جلب لهم طعامًا ، وهو مَيَّارٌ . وهو معطوف على محذوف ، أى نستعين بها ونمير أهلنا .

٦٦ - ﴿مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ ميثاقًا وعهدًا مؤكدًا باليمين ، وجمعه مَوَائِقُ وميثاق . ﴿لَتَأْتِنَنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ أى إِلَّا أَنْ

فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا سَرُّودُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَقَالَ لِفَتْنَيْنِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسَلْنَا مَعَنَا أَخَانًا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٧١﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانًا وَزَادَ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴿٧٢﴾ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٧٣﴾ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٧٤﴾ وَقَالَ يَبْنَئِي لَأَتَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَآدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٧٥﴾

تَهْلِكُوا جميعاً . تقول العرب : الإِتْيَانُ به . ﴿وَكَيْلٌ﴾ مطلع أحيط بفلان ، إذا هلك أو قارب الهلاك وأصله من إحاطة العدو ، واستعمل في الهلاك ؛ لأن من أحاط به العدو يهلك غالباً . أو ألا أن تغلبوا عليه فلا تطبقوا

٦٧ ، ٦٨ - ﴿لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ...﴾ نهاهم عن الدخول من باب واحد ، وأمرهم بالدخول من أبواب متفرقة ،

الْقَدَرِ . وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ سِرَّ الْقَدَرِ ، وَأَنَّهُ لَا يَنْدَفِعُ بِالْحَذَرِ .

٦٩ - ﴿أَوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ ضَمَّهُ إِلَى نَفْسِهِ وَأَنْزَلَهُ مَعَهُ فِي مَنزِلِهِ . يُقَالُ : آوَاهُ إِذَا ضَمَّهُ . وَأَوَيْتُ مَتَرِي وَإِلَى مَتَرِي ، نَزَلْتُهُ . وَتَأَوَّيْتُ الطَّيْرُ وَتَأَوَّتْ : تَجَمَّعَتْ . ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ فَلَا تَحْزَنْ بِشَيْءٍ فَعَلُوهُ بِنَا فِيمَا مَضَى ؛ افْتَعَالٌ مِنَ الْبُؤْسِ وَهُوَ الشَّدَّةُ وَالضَّرُّ . يُقَالُ : بَتَّسَ - كَسَمِعَ - بُؤْسًا وَبُؤْسًا ؛ اشْتَدَّتْ حَاجَتُهُ . وَابْتَأَسَ يَبْتَئِسُ ابْتِئَاسًا ؛ وَمِنْهُ الْمَبْتَئِسُ ، أَيْ الْكَارِهَ الْحَزِينَ .

٧٠ - ﴿السَّقَايَةِ﴾ هِيَ إِنَاءٌ كَانَ يَشْرَبُ بِهِ الْمَلِكُ ، وَيُكِيلُ بِهِ الطَّعَامَ لِلْمَمْتَارِينَ ؛ لِعِزَّةٍ مَا يُكَالُ بِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ . وَهُوَ الصُّوَاعُ وَالصُّوَاعُ : ﴿أَذُنُ مُوَدَّنٍ﴾ نَادَى مُنَادٍ وَأَعْلَمَ مُعْلِمٌ ؛ مِنَ التَّأْذِينَ وَهُوَ الْإِعْلَامُ . ﴿أَبْتَهَا الْعِيرُ﴾ هِيَ فِي الْأَصْلِ : الْإِبِلُ الَّتِي تَحْمِلُ الْمِيرَةَ ، وَالْمِرَادُ هُنَا أَصْحَابُهَا . وَقِيلَ : الْعِيرُ قَافِلَةُ الْحَمِيرِ ، ثُمَّ أُطْلِقَتْ عَلَى كُلِّ قَافِلَةٍ .

٧٢ - ﴿نَفَقْدُ صُوعِ الْمَلِكِ﴾ صَاعُهُ ، وَهُمَا لُغَتَانِ مَعْنَاهُمَا آلَةُ الْكَيْلِ ، وَتَقْدَمُ أَنَّهُ هُوَ السَّقَايَةُ . وَالصُّوَاعُ يُؤْتَى بِاعْتِبَارِ السَّقَايَةِ ، وَيُذَكَّرُ بِاعْتِبَارِ الصَّاعِ . ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ كَفِيلٌ أَوْ ذِيهِ إِلَيْهِ . وَأَصْلُ الزَّعِيمِ : الْقَائِمُ بِأَمْرِ الْقَوْمِ ، وَهُوَ الْكَفِيلُ وَالْحَمِيلُ وَالضَّمِينُ

وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ آبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لَمَّا عَلِمْنَاهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٠﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أُخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُوَدَّنٌ ابْنَتَا الْعِيرِ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٧٢﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعِ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٣﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا قَاتِلُوا جَرَؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٥﴾ قَالُوا جَرَؤُهُ مِنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَرَؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾

عندها ما يريد ، أو يمنع عندها ما يريد منه ؛ والله فقال لما يريد . وقد أخبر الله تعالى أن امتثالهم أمر أبيهم ما كان يغني عنهم من الله شيئاً لو سبق في قضائه إصابتهم بالعين ؛ ولكن شفقة يعقوب حملته على وصيته بما ذكر ؛ دفعاً للخطرة التي تسبق إلى النفس ، وهو يعلم أن ذلك لا تأثير له إلا بإذن الله . ﴿وَأَنَّهُ لَذُو عِلْمٍ﴾ بَأَنِ الْحَذَرِ لَا يَنْدَفِعُ

أخذاً بالسبب العادي في اتقاء الحسد . وأرشدهم إلى التوكل على الله مع ذلك ؛ لأنه لا حكم إلا له تعالى ، ولا بدفع قضاءه شيء إلا أن يكون شيء قد قدره الله تعالى سبباً لمنع شيء آخر . فكل من التوكل والأخذ بالأسباب مطلوب من العبد ؛ إلا أنه حين الأخذ بالأسباب يجزم بأن الحكم لله وحده في كل الأمور . وما الأسباب إلا أمور عادية يخلق الله

والقبيل .

٧٥ - ﴿جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ أي جزاء سرقة : استرقاق من وُجد في رحله سنة . وكان ذلك شريعة يعقوب في حكم السارق .

٧٦ - ﴿كَيْدَنَا لِيُوسُفَ﴾ دَبَرْنَا لأجل تحصيل غرضه تلك المقدمات . وأصله الاحتيال والمكر ، يُستعمل في الممود وفي المذموم ، وهو هنا من الأول . واللام في «ليوسف» للتعليل . ﴿فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ أي في حكمه ، إذ جزاؤه فيه مضاعفة العزم لا الاسترقاق . فألهمه الله تعالى أن يسأل إخوته عن الحكم فيجيبوا بسنتهم وطريقتهم ، وذلك قوله : ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ .

٧٧ - ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ يَعْنُونَ شقيقه يوسف عليه السلام . فقد روى أنه دخل كنيسة فوجد تمثالاً من ذهب يعبدونه فأخذه ودقته . وأنه كان لجده أبي أمه صنم من ذهب وفضة فكسره وألقاه على الطريق ، فعبّره إخوته بذلك . وليس شيء من ذلك بسرقة ، وإنما هو مثلها في الظاهر .

٧٩ - ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ استجير بالله استجارة من أن نأخذ بريئاً بغير برىء . والأصل : ندعوك عاقلين أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده .

فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ * قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَبْنَؤُهَا الْغَرَزُ وَإِنْ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا اسْتَبَسَّوْا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِيَ أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَيْبُكُمْ فَقُولُوا يَبْنَؤُنَا إِنَّا أَبْنَاءُ سَرَقٍ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَيْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسَعَلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي

٨٠ - ﴿فَلَمَّا اسْتَبَسَّوْا مِنْهُ...﴾ وخالصة ، صار خالصة . فلما استبسوا من يوسف أن يجيبهم إلى ما سألوهم بأساً كاملاً ، انفردوا عن الناس يتناجون ويتشاورون فيما يقولونه لأنهم في شأن بنيامين . يقال : خَلَصَ يَخْلُصُ خلوفاً ومن قبل هذا قصرتم في أمر يوسف

صَفَح .

٨٥- ﴿تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُونُسَ﴾ أي لا تزال تذكره تفتجأ عليه ! قال الكسائي : فتأت وفئت أفعل كذا ، أي مازلت . وقال الفراء : إن «لا» مضمره ، أي لا تفتأ ، وإنما أضمرت لأنه لا يلتبس بالإثبات . فإن القسم إذا لم يكن معه علامة الإثبات - وهي اللام ونون التوكيد - كان على الثاني ، لأنه لو كان مثبتاً لزم أن يكون بهما عند البصريين ، أو بأحدهما عند الكوفيين ، فلما وجدناه خالياً منها علمنا أن القسم على الثاني ، أي أن جوابه منفى لا مثبت . ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ مشفياً على الهلاك لطول مرضك . وهو في الأصل مصدر حرض - من باب تعب - أشرف على الهلاك ، فهو حرض . ولكونه كذلك في الأصل يستوى فيه المذكور والمؤنث ، والواحد والجمع .

٨٦- ﴿أَشْكُوْتِي﴾ هَمِي الذي انطوت عليه نفسي ! وأصله : التفريق وإثارة الشيء ؛ كبثّ الريح التراب ؛ واستعمل في الغم الذي لا يطيق صاحبه الصبر عليه .

٨٧- ﴿فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُونُسَ وَأَخِيهِ﴾ أي تحسسوا خبراً من أخبارهما . أو تحسسوا عنها . والتحسس : التعرف . وأصله طلب الخبر بالحاسة . واستعمل في

كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَمْلَنَّا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴿٨٦﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٧﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسُفُ عَلَى يُونُسَ وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٨﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُونُسَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٩﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرِّي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٠﴾ يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُونُسَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٩١﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الْفُسْرَ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُرْجَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٩٢﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُونُسَ

فات . يقال : أسف على كذا يأسف أسفاً ، حزن أشد الحزن ؛ كأنه يقول : يا أسفا هلم فهذا أوانك ؛ وألفه بدل من ياء المتكلم . ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مكظومٌ ممثلي من الحزن ، ممسكٌ عليه لا يئته . يقال : كظمت الغيظ أكظمته كظماً وكظوماً ، أمسكت على ما في نفسك منه على غيظ أو

ولم تحفظوا عهداً أيكم فيه و«ما» زائدة .

٨٣- ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ...﴾ بل زينت لكم أنفسكم أمراً أردتموه ؛ فصبر جميل ! لا شكوى معه لغير الله تعالى .

٨٤- ﴿يَا أَسْفَا﴾ يا حزني عليه والأسف : شدة الحزن على ما

التَّعْرِفَ لِلزُّومَةِ لَهُ . ﴿ وَلَا تَيَّسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ ﴾ . وَلَا تَقْطُطُوا مِنْ فَرْجِ اللَّهِ وَتَنْفِسِهِ . وَأَصْلُ مَعْنَى الرُّوحُ : النَّفْسُ . يُقَالُ : أَرَّاحَ الْإِنْسَانُ إِذَا تَنَفَّسَ ، ثُمَّ اسْتَعِيرَ لِلْفَرْجِ .

٨٨ - ﴿ الضَّرُّ ﴾ الهزال من شدة الجوع . ﴿ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُرْجَاةٍ ﴾ مدفوعة يردُّها كُلُّ مَنْ يراها لرداءتها . يُقَالُ : رَجَّاهُ ، سَاقَهُ وَدَفَعَهُ ، كَرَجَّاهُ وَأَزْجَاهُ . وَالرَّيْحُ تُرْجَى السَّحَابَ : تَسَوَّهَ سَوًّا رَفِيقًا . وَكَانَتْ بِضَاعَتُهُمْ مِنْ مَتَاعِ الْأَعْرَابِ صُوفًا وَسَمْنًا . أَوْ دِرَاهِمَ زُبُوفًا ؛ مَرْدُودَةٌ لِعِشِّ فِيهَا .

٩١ - ﴿ أَتَرَكَ اللَّهَ عَلَيْنَا ﴾ اختارك وفضلك علينا .

٩٢ - ﴿ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾ لَا تَأْنِيبَ وَلَا تَوَمَّ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ . يُقَالُ : ثَرَبَهُ يَثْرِبُهُ ، وَثَرَبَهُ وَعَلَيْهِ وَآثَرَهُ ، إِذَا بَكَتْهُ بِفَعْلِهِ وَعَدَّدَ عَلَيْهِ ذُنُوبَهُ . قِيلَ : أَصْلُهُ مِنَ الثَّرَبِ . وَهُوَ شَحْمٌ رَقِيقٌ يُعْشَى الْكَرْشَ وَالْأَمْعَاءَ .

٩٣ - ﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا ﴾ . أَيْ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا ، مُشِيرًا إِلَى الْقَمِيصِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ حِينَئِذٍ . وَقَدْ عَلِمَ بِالْوَحْيِ أَنَّ الْإِقَاءَةَ عَلَى وَجْهِ أَبِيهِ يَرُدُّ إِلَيْهِ بَصَرَهُ ؛ وَهَذَا مِنْ بَابِ خَرَقَ الْعَادَةَ . وَقِيلَ : إِنَّ يُوسُفَ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ أَبَاهُ قَدْ عَرَا بَصَرَهُ مَا عَرَاهُ مِنْ كَثْرَةِ الْبُكَاءِ عَلَيْهِ وَضِيقِ الْقَلْبِ .

وَإِخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٨﴾ قَالُوا أَأَنْتَ لَا أَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَتَرَكْنَا اللَّهَ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بِصِيرًا وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْفَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بِصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَبْنَابَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا

بعث إليه قيصه ليجد ريحه فيزول بكأؤه . ويفرح قلبه فرحاً شديداً ، فعند ذلك يزول الضعف ويقوى البصر . ﴿ يَأْتِ بِصِيرًا ﴾ يصير بصيرا من شدة السرور . ٩٤ - ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ ﴾ خرجت من عريش مصر قاصدة مكان يعقوب عليه السلام قرب بيت المقدس . ﴿ قَالَ أَبُوهُمْ ﴾ يعقوب عليه السلام لمن حضره من ذوى قرابته ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ أَيْ إِنِّي لَأَشْمُ رِيحَهُ ! لَوْلَا تُفَنِّدُكُمْ إِنِّي لَصَدَقْتُمُونِي ! وَقَدْ أَشْمَهُ اللَّهُ مَا عَنَى مِنَ الْقَمِيصِ مِنْ رِيحِ يُوسُفَ مِنْ مَسِيرَةِ أَيَّامٍ . وَهِيَ مُعْجَزَةٌ ظَاهِرَةٌ . قَالَ مَالِكٌ : قَدْ أُوصِلَ رِيحَهُ مَنْ أُوصِلَ عَرْشَ بَلْقَيْسَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَى سُلَيْمَانَ طَرَفُهُ . وَالتَّفَنُّيدُ : التَّسْبِيحُ إِلَى الْفَنَدِ ، وَهُوَ الْكَذِبُ أَوْ الْخَطَأُ فِي الْقَوْلِ وَالرَّأْيِ . أَوْ الْحَرْفُ وَإِنْكَارُ الْعَقْلِ



كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِبَ هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِي مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ تَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ

ليوسف ساجدين على الجباه ، وكان ذلك جائزًا في شريعة يعقوب ، وجاريًا بحرى التحية والتكرمة . وقيل : انه كان بإيماء السردوس . ﴿ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ ﴾ أى هذا السجود تصديق الرؤيا التى رأيتها فى الصغر . وكان بين الرؤيا وظهور تأويلها أربعون سنة ، فى قول الأكثرين . ﴿ الْبَدْوِ ﴾ البادية . ﴿ نَزَغَ الشَّيْطَانُ ﴾ أفسد وأغرى . وأصله من نَزَغَ الرَّائِضُ الدَّابَّةَ : إِذَا نَحَسَهَا وَحَمَلَهَا عَلَى الْجَرَى . وإلى هنا انتهت القصة ، وفيها عِبَرٌ ومعجزات وعجائب .

١٠١ - ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي ﴾ ولما أتم الله النعمة على يوسف قابله بالثناء عليه تعالى ، ثم سأله حُسن العاقبة ، والخاتمة الصالحة . ﴿ فَاطِرَ ﴾ يا مبدع ومخترع .

١٠٢ - ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ ﴾ أى ما ذُكِرَ من قصة يوسف وإخوته ، من أخبار الغيب التى لا سبيلَ لك إلى العلم بها إلا من طريق الوحى ، لأنك لم تقرأها فى كتب ، ولم تسافر إلى غير بلدك ، ولم تكن مع إخوة يوسف حين اعترموا الكيد له ، ودبروا ما دبروا من الأمر . فترى القرآن بهذه القصة الطويلة على أحسن ترتيب وأفصح عبارة ، وأصدق بيان . ﴿ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ ﴾ عزموا على

وخالفه ، لأن أمه قد توفيت قبل ذلك .

٩٥ - ﴿ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ أى لنى ذهابك عن طريق الصواب قديمًا بالإفراط فى محبة يوسف والتوقع للقاءه .

١٠٠ - ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ أى على سرير الملك .

﴿ وَخَرُّوا ﴾ أى أبواه وإخوته

﴿ لَهُ ﴾ أى لأجله ﴿ سُجَّدًا ﴾ أى

لله تعالى . وقيل : خروا جميعاً

من هَرَمٍ أو مرض .

٩٥ - ﴿ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ أى لنى ذهابك عن طريق الصواب قديمًا بالإفراط فى محبة يوسف والتوقع للقاءه .

١٠٠ - ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ أى على سرير الملك .

﴿ وَخَرُّوا ﴾ أى أبواه وإخوته

﴿ لَهُ ﴾ أى لأجله ﴿ سُجَّدًا ﴾ أى

لله تعالى . وقيل : خروا جميعاً

إليه واعتفها . والمرادُ بها أبوه

الكيد ليوسف .

١٠٥ ، ١٠٦ - ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ﴾ أى وكما من آية [آية ١٤٦] آل عمران ص ٩٧] نسليّة للرسول صلى الله عليه وسلم ، وتقريباً لكون الإعراض عن التأمل فى الآيات ، والجحود للحقائق شأن الكفار دائماً ، ومنهم قريش واليهود الذين سألوا عن قصة يوسف تعيناً وتعجيراً ، فلما نزلت كاملة وافية لم يُسلّموا ، واستمروا على جحودهم وتكذيبهم . وذلك من فرط الجهل والعناد ؛ مع أن هؤلاء الذين كفروا بالله لو تأملوا فى الآيات النفسية والآفاقية لآمنوا به ، وأخلصوا له العبادة وحده ؛ ولكن أكثرهم حين تفرعهم الحجج ، وتلجئهم الآيات البينات إلى الإقرار بوجود الإله ، وبأنه خالق كل شيء - يؤمنون به ، ثم يخطون إيمانهم بالشرك فى العبادة ؛ فيعبدون من دون الله الأصنام وغير الأصنام ضلالاً وكفراً ، وذلك قوله تعالى :

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ .. وعن ابن عباس رضى الله عنهما : أنهم يُقرّون أن الله خالقهم فذلك إيمانهم ، وهم يعبدون غيره فذلك شركهم .

١٠٧ - ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ﴾ نائمة تغشاهم وتجلّلهم ؛ والمراد بها عقوبة الدنيا والغاشية : كل ما يغطى الشيء ويسره ؛ ومنه غاشية السّرج . ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة .

لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٧﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٨﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٩﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١٠﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١١١﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٢﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ

١١٠ - ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾ أى وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً فتراخى نصرهم ، حتى إذا يشوا من إيمان أممهم بأساً شديداً ، وظن أممهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروا به من العذاب ولم يصدّقوا ، جاءهم نصرنا . وقُرئ «كُذِّبُوا» بالتشديد ؛ أى حتى إذا يش الرسل من إيمان من كذبهم من أممهم ، وظنوا أن أتباعهم الذين آمنوا بهم كذبوهم لطول البلاء وتأخر النصر - جاءهم نصرنا . يقال : كذبه - بالتخفيف - لم يصدّقه فقال له الكذب . وكذبه - بالتشديد - تكذّياً وكذباً : جعله كاذباً وقال له كذبت . أو أخبر أنه كاذب . ﴿ظَنُّوا﴾ توهم الرسل أو حدثهم أنفسهم . ﴿بِأَسْنَا﴾ عذابنا . ١١١ - ﴿عِبْرَةً﴾ عظة وتذكرة . ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ ما كان

سورة الرعد

٢ - ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ﴾
 بين الله تعالى في هذه الآية والآيتين
 بعدها عشرة أدلة من العالم العلوي
 والسفلي على كمال قدرته وعظم
 حكمته : خلقه السماوات مرتفعة
 بغير عمد . وتسخير الشمس
 والقمر لمنافع الخلق . وخلق
 الأرض صالحة للاستقرار عليها .
 وخلق الجبال فيها تشبيهاً ،
 والأنهار لتسقي الزرع . وخلق
 زوجين اثنين من كل نوع من
 الثمرات . ومعاقبته بين الليل
 والنهار . وخلق بقاعاً في الأرض
 متلاصقة مع اختلافها في الطبيعة
 والخواص . وخلق جنات من
 الأعناب للثفك . وخلق أنواع
 الحبوب المختلفة للغذاء . وخلق
 النخيل صنواناً وغير صنوان .
 وجميعها تسقى بماء واحد لا
 تفاوت فيه ، مع اختلاف الثمار
 والحبوب في اللون والطعم والرائحة
 والشكل والخواص . ﴿يُغَيِّرُ
 عَمَدَ﴾ أي بغير دعائم ، اسم
 جمع مفردة عماد . يقال :
 عمدت الحائط أعمده عمداً
 وأعمدته ، إذا دعمته ، فاعتمد
 واستند . ﴿تَرَوْنَهَا﴾ أي رفع
 السماوات مرتبة لكم بدون دعائم
 تدعّمها . والجملة في محل نصب
 حال من السماوات . ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى
 عَلَى الْعَرْشِ﴾ [آية ٥٤ الأعراف
 ص ٢٠٧] . ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾
 يقضي ويقدر ويتصرف في جميع

عِبْرَةٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۖ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

(١٣) سُوْرَةُ الرَّعْدِ مَدَنِيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٤٣ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ حَجَّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَرْ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ
 مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَٰكِن أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾
 اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ
 عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ
 مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ
 رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا
 رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ
 اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

في أمور دينهم ودنياهم ، على نحو
 ما بيّنه في قوله تعالى : (مَا قَرَأْنَا
 فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) (١) . والله
 أعلم .

هذا القرآن حديثاً يُخلَقُ ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من
 الكتب السماوية ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي وتبيين كل شيء من
 أصول الدين ، إذ ما من أمر ديني
 إلا وهو يستند إلى القرآن بالذات أو
 بالواسطة ، أو مما يحتاج إليه العباد

العوامل على أكمل الوجوه .

٣ - ﴿مَدَّ الْأَرْضَ﴾ بسطها طولاً وعرضاً إلى ما لا يدرك البصر منتهاه ؛ لا مكان الاستقرار عليها والمدَّ البسط . ولا تنافى بين المدَّ وكبرية الأرض ؛ لأن الأول بحسب رؤية العين ، والثاني بحسب الحقيقة . ﴿رَوَّاسَى﴾ جبالات راسخات في أحيازها تمسكها عن الاضطراب ؛ من الرسو وهو ثبات الأجسام الثقيلة . يقال : رسا الشيء يرسو رسوا ورُسُوا ، ثبت ؛ كراسى . وأرست التند في الأرض : أثبتته . ﴿زَوْجَيْنِ﴾ نوعين وضربين . ﴿يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ يجعل الليل غاشياً للنهار وساتراً له ؛ أى يأتى به بدله فيصير الجو مظلماً بعد ما كان مضيئاً [آية ٥٤ الأعراف ص ٢٠٧] .

٤ - ﴿قَطَعَ﴾ بقاع مختلفة الطابع والصفات . ﴿وَنَخِيلٌ﴾ صنوان .. ﴿صفة لنخيل ، وهو جمعُ صنو . والصنُو : الفرع الذى يجمعه وآخر أصل واحد ؛ فإذا خرج نخلتان أو ثلاث من أصل واحد فكل واحد منهن صنو . والاثنان صنوان بكسر النون ، والجمع صنوان بضم النون . وأصله المثل ؛ ومنه قيل لعم الرجل : صنؤا به ، أى مثله ؛ فأطلق على كل غصن صنو لماثله للآخر في التفرع من ذلك الأصل . ﴿الْأَكْلِ﴾ - بضمّين وضم فسكون - : اسم لما يؤكل

يَتَفَكَّرُونَ ﴿١﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرَاتٌ وَجَنَّتْ مِّنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ صِنَوَانٍ وَغَيْرِ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضْلُ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ * وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَوَدَّ كُنَّا تَرْبَاً أَوْ نَالَنِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنْ مَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٥﴾

من الثمر والحب ؛ وإنما اقتصر على الأكل لكونه أعظم النافع . قال مجاهد : هذا كمثل بني آدم صالحهم وخبيثهم وأبوهم واحد . ٥ - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ أى أولئك المنكرون لقدرته تعالى على البعث هم الكافرون برّبهم . ﴿وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ وهم أصحاب النار المخلدون فيها . جمع غل ، وهو طوق من حديد تشدُّ به اليدُ إلى العنق ؛ من

الغلل ، وأصله تدرعُ الشيء وتوسطه . ومنه قيل للماء الجارى بين الشجر : غلّ ؛ أى ذلك شأنهم في الآخرة . وقيل : هو تمثيل لحالهم في الدنيا - من حيث إياؤهم الإيمان وعدم التفاتهم إلى الحق - بحال من في أعناقهم أغلال فلا يستطيعون معها التفاتاً . ٦ - ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ ..﴾ كان صلى الله عليه وسلم يهذهم بعذاب الدنيا ويعذاب الآخرة ؛ فكانوا يستعجلونه في نزوله ؛ طعناً في

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ
وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ
جَهَرَ بِهِ ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾
لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ
أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ
دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا

سَرَبًا وَسُرُوبًا ، أَى ذَهَبَ فِي
سِرِّهِ - بسكون الراء مع فتح السين
وكسرها - أَى طريقه . والمراد :
أنه يستوى في علمه تعالى السر
والجهر ، والخفي والظاهر .

١١ - ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾ للمذكور
مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ أَوْ جَهَرَ بِهِ :
ملائكة يتعاقبون عليه بالليل
والنهار ، لحفظه وكلاءته ،
ولكتابة أقواله وأعماله ، من
التعقيب ، وهو أن يؤتى بشيء
بعد آخر . يقال : عقب الفرس
في عذوه ، أَى جرى بعد جريه .
وعقبه تعقياً : جاء عقبه .
و«معقبات» جمع معقبة بمعنى
مُعَقَّب ، أَى مَلَكٌ مُعَقَّبٌ ،
والثناء للمبالغة ، كما في علامة . أو

بمعنى جماعة معقبة . ﴿مِنْ أَمْرِ
اللَّهِ﴾ أَى بسبب أمره تعالى
وإعاقته . وهذا ما لم يكن هناك
قَدَرٌ ، فإذا كان خلوا عنه .
﴿مِنْ﴾ بمعنى بَاءِ السَّبَبِ . ﴿إِنَّ
اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ﴾ أَى قد جرت السنة
الإلهية بأنه تعالى لا يبدل ما بقوم
مِنْ نِعْمَةٍ وَعَاقِبَةٍ وَخَيْرٍ بِضَدِّهِ ،
حتى يعتدوا فيبدلوا أحوالهم : من
جميل إلى قبيح ، ومن صلاح إلى
فساد ، ومن طاعة إلى عصيان ،
فإذا أراد أن يُنْزَلَ بِهِمْ نِقْمَتَهُ
وجزاءه فلا رادَّ له ، ولا مُعَقَّبٌ
لِحُكْمِهِ . ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ
وَالٍ﴾ وَلِيٌّ نَاصِرٌ ، بَلَى أُمُورَهُمْ
وَيُدْفِعُ السُّوءَ عَنْهُمْ ، من الولاية
وهى النصرة وتولي الأمر .
يقال : وَلِيَ عَلَى الشَّيْءِ وَلَايَةً فَهُوَ

ونقصه غيره ، فيستعمل لازماً
ومتعدياً ، وكذا ازداد . ﴿وَكُلُّ
شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ أَى وكل
شَيْءٍ عِنْدَهُ تعالى بِقَدَرٍ وَحَدٍّ لَا
يُجَاوِزُهُ وَلَا يَنْقُصُ عَنْهُ ، قَالَ
تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ
بِقَدَرٍ﴾ (١) فيعلم كميته وكيفيته
وزمته ومكانه وسائر أحواله ،
ويعلم ما غاب عن الحواس وما
يشاهد بها ، أو السر والعلانية .

٩ - ﴿الْكَبِيرُ﴾ العظيم الذى كل
شَيْءٍ دُونَهُ . ﴿الْمُتَعَالِ﴾
المستغلى على كل شَيْءٍ فى ذاته
وصفاته وأفعاله .

١٠ - ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ أَى
ومن هو ذاهبٌ فى سِرِّهِ وطريقه ،
ظاهراً بالنهار يُبْصَرُهُ كُلُّ أَحَدٍ .
يقال : سَرَبَ فى الأَرْضِ يَسْرُبُ

خبره واستزاء به ، فنزلت الآية .
والاستعجال : طلب الأمر قبل
مجيء وقته . ﴿وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ
قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ﴾ العقوبات
المُتَكَلِّلاتُ . جمع مُثَلَّةٌ ، وهى
العقوبة الفاضحة التى تنزل
بالإنسان فيجعل مثلاً يرتدع غيره
به . وَسُمِّيَتْ مَثَلَاتٍ لِمِثْلَتِهَا
للأفعال المعاقب عليها فى السوء .
﴿مَغْفِرَةٌ لِلنَّاسِ﴾ ستر وإمهال .

٨ - ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ﴾ . بيان لما يدل
على كمال علمه وقدرته تعالى وعظم
سلطانه ، وعلى حكمته فى قضائه
وقدره . ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ
وَمَا تَزْدَادُ﴾ أَى يعلم ما تنقصه
الأرحام وما تزداده فى البنية وفى
المدة وفى العدد . يقال : غاض
الشَيْءُ وَغَاضَهُ غَيْرُهُ ، نحو نقص

وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ
وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا
مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي آلِهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾
لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ
لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا كِبَاسٌ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ
بِیَبْلُغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾
وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا
وَظُلْمًا هُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتُخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي
الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ

١٢ ، ١٣ - ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ
الْبَرْقَ﴾ ذكر خمسة أنواع من
الظواهر الكونية ، جعل فيها شبهًا
بالثَّعم وشبهًا بالثَّقم ، وكلها دلائلُ
على عِظَم قدرته تعالى وبتدیع
صنعتة ، الموجبين لإفراده
بالعبادة . ﴿خَوْفًا﴾ من الصواعق
﴿وَطَمَعًا﴾ في الغيث .
﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ﴾ الغيم
المنسحب في الهواء . ﴿الثَّقَالَ﴾
بالماء . جمع ثقيلة ، أى مثقلة به .
﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾
تسبيحه متلبسًا بحمده : دلالته
على كمال قدرته أوضح دلالة ؛
قال تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا
يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (١) . ﴿وَهُوَ شَدِيدُ
الْمِحَالِ﴾ المِحَال : الكيدُ
والمكر ، والتدبيرُ والقوة ،
والعذابُ والعقاب ، والإهلاكُ
والعداوة ؛ كالمُحَالَة . يقال :
مَحَلَّ بِهِ - مثْلَةُ الحاء - مَحَلًّا
وَمِحَالًا ، إذا كاده وعرضه
للهلاك ؛ أى شديد المُحَالَة
والمكايده لأعدائه . وفيه من
التهديد لهم ما لا يخفى .

١٤ - ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ لله
الدعوة الحق (كلمة التوحيد) .
﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾
أى والأصنامُ التى يعبدونها من
دون الله لا تستجيب لهم بشيء مما
يطلبونه منها ؛ إلا كاستجابة الماء
لمن بَسَط كَفِّهِ إليه من بعيد ؛
ليطلبه ويدعوه ﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾



بنفسه ، من غير أن يؤخذ بشيء
كإناء ونحوه . ﴿وَمَا هُوَ بِیَبْلُغِهِ﴾
لكونه جهادًا لا يشعر بعطشه ، ولا
يسقط كَفِّهِ إليه ولا بدعوته له ؛
فكذلك هذه الأصنامُ جهادات لا
تُجَسِّسُ بعبادتهم ، ولا تستطيع
إجابتهم بشيء .
١٥ - ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أى أن
جميع مَنْ فيها من الملائكة
والثقلين خاضعون لعظمته ؛
منقادون لأحكامه إيجابًا
وإعدادًا ، شاءوا أو أبوا ؛ من
غير مداخله حُكْم غيره . يستوى
في ذلك مؤمنهم وكافرهم ؛ إلا
أن المؤمن خاضعٌ بذاته وبظاهره ،
والكافر خاضعٌ بذاته متمردٌ
بظاهره . وتنقاد له تعالى ظلالُ مَنْ
له منهم ظِلٌّ ؛ فهى تحت قَهْرِهِ
ومشيئته فى الامتداد والتقلُّص ،
والقِيَّة والزوال ؛ إذ الحركة
والسكون بيده تعالى ، والمتحركُ
والساكنُ فى قبضته . فالمراد من
السجود : الخضوع والانقياد .
والظلالُ : جمعُ ظِلٍّ ، وهو
الخيال الذى يظهر للجزم . والعُدُوُّ

وهو الموضع الذي يسيل فيه الماء بكثرة ، ويُطلق على الفرجة بين الجبلين ﴿ فَاحْتَمِلِ السَّيْلُ ﴾ أى فحمل الماء السائل في الأودية ﴿ زَبْدًا ﴾ وهو ما يعلو على وجه الماء عند اشتداد حركته ويُسمى العُثَاء . وما يعلو على القدر عند الغليان كالرغوة ويُسمى الوُضْر والحَبْث . ﴿ رَابِيًا ﴾ عاليًا مرتفعًا فوق الماء ، طافيًا عليه . وهنا ثم المثل الأول ، ثم ابتداء في الثاني فقال : ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ﴾ أى ومن الذى يفعلون عليه الإيقاد في النار كالذهب والفضة والنحاس والرصاص وغيرها من المعادن . ﴿ انْتِغَاءً حِلْيَةً ﴾ أى لأجل اتخاذه حلية للزينة والتجمل كالأولين ﴿ أَوْ مَتَاعًا ﴾ أو لأجل اتخاذه متاعًا يُرتفق به كالأخرين . ﴿ زَبْدٌ مِّثْلُهُ ﴾ أى مثل ذلك الزبد في كونه رابيًا فوقه ، فقلوه « زَبْدٌ » مبتدأ مؤخر خبره « مِمَّا يُوقِدُونَ » . ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ﴾ أى يضرب مثلها للناس للاعتبار . ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ﴾ فأما الزبد من كل من السيل ومما يُوقدون عليه في النار فيذهب مرميًا به مطروحًا . يقال : جفأ الماء بالزبد ، إذا قذفه ورمى به . وجفأت القدر : رمت بزبدتها عند الغليان . وأجفأت به وأجفأته . ١٨ - ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا ﴾ بيان لما ل حال كل من أهل الحق والباطل ، بعد بيان شأن كل منها

أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا تَحْلِقَهُ فَنَشَبَهُ انْخَلَقَ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْرُ ۝ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ انْتِغَاءً حِلْيَةً أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ ۚ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ۝ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ۖ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَاءٌ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝

عاجزين لا يقدرُونَ على شيء ، فكيف يصنعون ذلك ؟ !

١٧ - ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ ضرب الله مثلين للحق : هما الماء الصافي ، والجوهر الصافي ، اللذان يُنتفع بهما . ومثلين للباطل : هما زبد الماء ، وزبد الجوهر ، اللذان لا نفع فيهما . ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ فسالت المياه في الأودية بمقدارها الذى عينه الله تعالى ، واقتضته حكمته في نفع الناس أو بمقدارها قلة وكثرة بحسب صغر الأودية وكبرها . والأودية : جمع واد ،

والغداة : البكرة ، أو من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس والآصال : جمع أصيل وهو العشي ، وهو ما بين العصر وغروب الشمس . ﴿ ظِلَالُهُمْ ﴾ تنقاد لأمره تعالى وتخضع .

١٦ - ﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾ أى بل أجعلوا ! والاستفهام للإنكار والمعنى أنهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله ، حتى يتشابه خلقهم بخلق الله ، فيقولون : هؤلاء خلقوا كخلق الله ! واستحقوا بذلك العبادة كما استحقها سبحانه . ولكنهم اتخذوا شركاء



* أَقْنِ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمْ هُوَ
أَعْمَى ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ
بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ
مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ
الْحِسَابِ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا
الصَّلَاةَ وَآتَوْا زَكَاةً مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيدْرءُونَ
بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ جَنَّتُ عَدْنٍ
يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ
وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٥﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ
عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ
يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ وَلَهُمْ
سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٧﴾ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ
وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ
إِلَّا مَتْنَعٌ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ

حالا ومالاً. ﴿الْحُسْبَى﴾ أى
المثوبة الحسنى. ﴿سُوءُ
الْحِسَابِ﴾ الحساب السيئ ،
وهو المناقشة المشار إليها في
حديث : (من نوقش الحساب
عذب) (١). ﴿وَيْسَ الْمِهَادُ﴾
ويش الفراش الذى مهدوه
لأنفسهم مهادهم .

٢٠ : ٢٣ - ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ
اللَّهِ﴾ بدل من «أولى الألباب» .
وجملة ما وُصفوا به ثمانية أوصاف
جليلة وهى : «يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ
وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ
مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ
رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ
وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا زَكَاةً مِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً» وآخرها : ﴿وَيَدْرءُونَ
بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ﴾ أى يدفعون
بالعمل الصالح السيئ من
الأعمال ، فيجازون الإساءة
بالإحسان . أو يتبعون السيئة
الحسنة فتمحوها . يقال : درأه
درءاً ، دفعه . ودرأ السيل
واندراً : اندفع . ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ
عُقْبَى الدَّارِ﴾ العقبى والعقب :
الجزء ، ومنه : أعقبه أى
جازاه . والمراد بـ «عُقْبَى
الدار» : الجنة . ﴿وَجَنَّاتُ
عَدْنٍ﴾ بدل منه .

٢٥ - ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ...﴾
بيان لأحوال الأشقياء بعد بيان
أحوال السعداء . وجملة أوصافهم
الجامعة ثلاثة : نقضهم للعهد ،
قطعهم ما أمر الله به أن يوصل ،

(١) متفق عليه .

إفسادهم فى الأرض. ﴿سُوءُ
الدَّارِ﴾ عاقبتها السيئة وهى النار .
٢٦ - ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أى يضيق ،
ضدٌ يَسْطُرُ بمعنى يوسع . يقال :
قَدَّرَ - كضرب ونصر - أى قَرَّرَ
وضيق . وقَدَّرَ الله الرزق يقدره -
بكسر الدال - ضيقه . ففتح
أبواب الرزق فى الدنيا لا تعلق له
بالكفر والإيمان ، بل هو منوطٌ
بمشيئة الله تعالى ، فقد يضيق على
المؤمن امتحاناً لصبره وتكفيراً
لذنوبه . ويوسع على الكافر

٣٠ - ﴿وَالَيْهِ مَتَابٌ﴾ أي إليه وحده مرجعي و مرجعكم ، فيُشيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم ، ويجازيكم على كفركم وعصيانكم . يقال : تاب إلى الله تَوَّابًا وتوبةً ومَتَابًا . رجع عن المعصية .

٣١ - ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا﴾ نزلت في نفر من المشركين غلَّوا في كفرهم وتَمَادَوْا في ضلالهم ، حتى اقترحوا على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يسير لهم بالقرآن جبال مكة ليتفسحوا في أرضها ، ويفجر لهم فيها الأنهار والعيون ليزرعوها ويتخذوا فيها البساتين ، ويحيي هم الموتى ليخبروهم بصدقه . وجواب «لو» محذوف ، أي ما آمنوا به - أي بالقرآن - إذا فعلت به هذه الأفاعيل العجيبة . ﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ أي بل الله قادر على الإتيان بما اقترحوا من الآيات ، ولكن إرادته لم تتعلق بذلك ، وهو الحكيم الخبير ، لعلمه بعقوبتهم ونفورهم من الحق . ﴿أَفَلَمْ يَيْتَسَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي أغفل الذين آمنوا فلم يقطعوا أطماعهم في إيمان كفار قريش مما نزل من الآيات . أو أغفلوا عن كون الأمر جميعًا لله فلم يعلموا . واستعمال يئس بمعنى علم حقيقة في لغة . وقيل مجاز ، لتضمن اليأس معنى العلم ، فإن اليأس من الشيء عالم بأنه لا يكون ، كما استعمل الرجاء في معنى الخوف ، والنسيان في معنى الترك مجازًا

مَنْ رَبِّهِ قُلْ إِنْ اللَّهُ يُضِلْ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِ إِلَى اللَّهِ مَنْ أَنْتَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَتَابٌ ﴿٢٩﴾ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَبِثُوا عَلَى اللَّهِ أَوْحِينَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ خَلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتَسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَنْ هُوَ قَائِمٌ

طَيِّبِي ، قلبت الباء واوًا لوقوعها ساكنة إثر ضمة ، كما قلبت في مؤقن ومؤسر من اليقين واليأس . وقيل : طوبى اسم لشجرة في الجنة . ﴿وَحَسُنَ مَتَابٌ﴾ مرجع ومنقلب ، من الأوب وهو الرجوع . يقال : آب يثوب أوبًا وإيابًا ومَتَابًا ، إذا رجع .

استدراجًا له . ﴿متاع﴾ شيء قليل ذاهب زائل .
٢٧ - ﴿أَنْتَابَ﴾ رجع إليه وأقبل عليه ، من الإنابة بمعنى الرجوع إلى توبة الخير .
٢٩ - ﴿طُوبَى لَهُمْ﴾ عيش طيب لهم في الآخرة . مصدر كُشِرَى وزُلْفَى من الطيب . وأصله

لتضمن ذلك ﴿قَارِعَةً﴾ بليّة وداهية تفرغهم ، أى تهلكهم وتستأصلهم ؛ من القرع وهو ضرب الشيء بالشيء بقوة . وجمعها قوارع .

٣٢ - ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أمهلهم ؛ من الإملاء وهو أن يترك ملاءة من الزمان في أمن ودعة .

٣٣ - ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ﴾ أفمن هو رقيب على كل نفس ، حفيظ عليها ، عالم بما عملت من خير أو شر فجازيها به ؛ كمن ليس كذلك ؟ والاستفهام إنكارى ، وجوابه : ليس كذلك . ﴿أَمْ يَظَاهِرُونَ الْقَوْلَ﴾ أى بل اتسمونهم شركاء يظاهر من القول ، بسب ظن باطل لا حقيقة له في نفس الأمر !

٣٤ - ﴿وَاقٍ﴾ حافظ بعصمهم من العذاب . اسم فاعل من الوقاية ، وهى الصيانة والحفظ . وفعله من باب ضرب .

٣٥ - ﴿أَكُلُّهَا دَائِمٌ﴾ ما يؤكل فيها لا انقطاع لأنواعه . ﴿وَزُلْهَا﴾ دائم لا يزول .

٣٦ - ﴿وَالَيْهِ مَتَابٌ﴾ إلى الله وحده مرجعى للجزاء .

٣٨ - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا...﴾ عابوا الرسول صلى الله عليه وسلم بكثرة الزواج فتزل : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا﴾ ، وبعدم إجابة مقترحاتهم فتزل : ﴿وَمَا كَانَ

عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنِيعُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَظْهَرُونَ الْقَوْلَ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يَضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَبِيزَةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٣٤﴾ * مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ اتَّيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أَشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴿٣٦﴾ وَكَذَلِكَ أُنْزِلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَنْ أَتَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾

والأجل : مدة الشيء . والمراد به أزمنة الموجودات ؛ فلكل موجود زمان يوجد فيه محدود ، لا يزداد عليه ولا ينقص . لا فرق في ذلك بين الأرزاق والآجال ، والأحكام والشرائع ، وإتيان

لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله ، وبعدم نزول ما خوفهم به من العذاب فتزل : ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ ، وينسخ الأحكام الثابتة في الشرائع السابقة فتزل : ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِتُ﴾ .



التغيير والتبديل ، والكتاب الذي يقع فيه المحو والإثبات هو اللوح المحفوظ .

٤١- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ ...﴾ أي أنكروا نزول ما وعدناهم ، أو شكوا ولم يروا أننا نفتح أرضهم من جوانبها ونلحقها بدار الإسلام ! أو أولم يروا هلاك من قبلهم وخراب ديارهم كقوم عاد وثمود ! فكيف يأمنون حلول ذلك بهم ! ﴿لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾ لا راد ولا ميطل له . والله أعلم

يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾
وَأَن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعَنَّكَ فَلِئِمَّا عَلَيْكَ الْبَلَّغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْتَسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقِيَ الدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

الأحكام ، لاقتضاء الحكمة ذلك . «ويثبت» أي يُبقي ما يشاء منها غير منسوخ . أو يثبت منها ما يشاء بتبديل المنسوخ بغيره ، أو ببقاء الحكم غير منسوخ ، أو بإنشاء حكم ابتداء . ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أم كل شيء : أصله ، وهو الذي لا يتغير ولا يتبدل ، ولا يقع فيه محو ولا إثبات . والمراد به في القول المشهور : اللوح المحفوظ الذي أثبت فيه جميع أحوال الخلق إلى يوم القيامة . والكتاب الذي يقع فيه المحو والإثبات هو صحف الملائكة دونه . وفي قول آخر : العلم الأزلي الذي لا يكون شيء إلا على وفق ما فيه ، ومحال عليه

المعجزات ونزول القرآن وغيره والكتاب : ما تكتب فيه أزمته المقدرات ، وهو صحف الملائكة أو اللوح المحفوظ . فتأخر نزول العذاب بهم إنما هو لعدم حلول وقته المقدّر له ، قال تعالى : (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ) (١)

٣٩- ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ المحو : إذهاب أثر الكتابة . والإثبات : التدوين في الكتاب . فيمحو الله ما يشاء ويثبت في صحف الملائكة ، إذ هي القابلة للمحو والإثبات ، أو بوقوعها فيه . وذلك حسبما تقتضيه المشيئة والحكمة الإلهية ، فينسخ ما يشاء نسخه من

(١٤) سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ مَكِّيَّةٌ

الْأَيْتِيُّ ٢٨ وَ ٢٩ فَيَدْنِيَانِ
وَأَيَّاهَا ٥٢ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ نُوحٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِي كَتَبَ أَرْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾
اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ
لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا
مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ
مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيْمَنِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ
أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَخْرَجَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ
يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْعُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحِبُّونَ
نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾

١ - ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ...﴾ أى بدعائك إياهم إلى اتباع ما تضمنه الكتاب من التوحيد وغيره ، من ظلمات الكفر والضلالة والجهل ، إلى نور الإيمان والعلم . وفي جمع «الظلمات» وإفراد «النور» إشارة إلى أن الكفر طرق كثيرة ، وأما الإيمان فطريق واحد . ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بتيسيره وتوفيقه لهم أو بأمره . ﴿إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ الصراط : الطريق ، استعير للهدى . والعزير : هو الذى لا يغلبه غالب . والحميد : هو المحمود بكل لسان ، الممجّد في كل مكان .

٢ - ﴿وَوَيْلٌ﴾ هلاك [آية ٧٩ البقرة ص ٢١] وهو وعيد للكافرين .

٣ - ﴿يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا...﴾ يختارونها ويؤثرون لذائذها على الآخرة ونعيمها . ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ يطلبون لسبيل الله اعوجاجاً وزيفاً عن الحق لموافقة أهوائهم . أو يطلبونها معوجة غير مستقيمة . [آية ٩٩ آل عمران ص ٨٩] .

٥ - ﴿بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ أى بنعائه وبلائه . ﴿صَبَّارٍ﴾ كثير الصبر على البلاء . ﴿شَكُورٍ﴾ كثير الشكر على النعماء . والصبر : حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع فعلاً أو تركاً . يقال :

صَبَرَهُ عَنْ كَذَا يَصْبِرُهُ ، إِذَا شَكَرْتَ النَّاقَةَ - كَفَرَحَ - امْتَلَأَ حَبْسَهُ . وَالشُّكْرُ : عِرْفَانُ ضَرْعِهَا . وَمِنْهُ أَشْكُرُ الضَّرْعُ : الْإِحْسَانُ وَنَشْرُهُ . وَأَصْلُهُ مِنَ امْتَلَأَ .



وَاذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادُ وَثَمُودُ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِء وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٨﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِ اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِء وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا أَدَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٢﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ

٦ - ﴿يَسْمُومُونَكُمْ﴾ ييغون لكم [آية ٤٩ البقرة ص ١٥] .
﴿يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ يستبقون بناتكم للخدمة . ﴿بَلَاءٌ﴾ ابتلاء بالنعم والنقم .

٧ - ﴿تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ أعلم إعلماً لا تبقى معه شبهة ؛ للدلالة صيغة التفعّل على المبالغة في الإعلام .

٩ - ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ عضوا على أناملهم غيظاً وحققاً . أو وضعوا أيديهم على أفواههم ؛ إشارة منهم إلى الرسل : أن اسكتوا . ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ أي بما جئتم به من المعجزات والبيّنات .
﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ﴾ من الإيمان والتوحيد .
﴿مُرِيبٌ﴾ موفع في الريبة . أو ذي ريبة [آية ٦٢ هود ص ٢٩٤] .

١٠ - ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُبْدِعُهَا وَمُبْدِعُ مَا فِيهَا على أحكم نظام ، دون احتذاء مثال سابق [آية ١٤ الأنعام ص ١٧١] . ﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ بحجة ظاهرة على صدقكم ، تسلط بقوتها على نفوسنا وتجذبنا إلى اليقين ؛ من السّلاطة وهي الحكم من القهر . يقال : سلطته فسلط .

١٤ - ﴿مَقَامِي﴾ قيامي عليه ومراقبتي له . أو مكان وقوفه بين يديّ للحساب .

١٥ - ﴿وَاسْتَفْتَحُوا﴾ استنصروا الله على أعدائهم ؛ من الفتح بمعنى النصير . أو طلبوا من الله الحكم بينهم وبين أعدائهم ؛ من الفتح بمعنى الحكم بين الخصمين . والسين والناء للطلب . ﴿جَبَّارٌ﴾ متعظم في نفسه ، متكبر على أقرانه : يَجْبِرُ نقيضه بإدعاء منزلة من تعالى لا يستحقها . ﴿عَنِيدٌ﴾ مُعَانِدٌ للحق ، مُبَاهٍ بما عنده ؛ من العناد بمعنى الميل . يقال : عَنَدَ عن الطريق - كَنَصَرَ وضرب وكرم - عَثُودًا ، مال . وعَنَدَ : خالف الحق ؛ ومنه العائد ، للبعير يحور عن الطريق ويَعْدِل .

١٦ ، ١٧ - ﴿مَاءٌ صَدِيدٌ﴾ هو ما يسيل من أجساد أهل النار . وأصل الصديد : ماء الجرح الرقيق ، وهو بدلٌ من «ماء» . ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ يتكلف بلعه مرة بعد أخرى ؛ لمرارته وحرارته مع غلبة العطش عليه . والجَرْعُ : البلع . وفعله كَسَمِعَ وَمَتَّع . ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ أى ولا يقارب أن يُسِيغَهُ فضلاً عن الإساغة ؛ بل يَعْصُ به فيشره بعد عناء جَرْعَةٍ غَبَّ جَرْعَةٍ . والسَّوْغُ : انحذارُ الشراب في الخلق بسهولة وقبول نفس . يقال : ساغ الشرابُ سَوْغًا وسَوَاغًا ، إذا كان سهل المدخل .

١٨ - ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ شبه ما يعمله الكافرون في الدنيا من أعمال البر والخير في حبوها

لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٦﴾ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٧﴾ مِّنْ وَرَآيِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٨﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَآيِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٩﴾ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَلُ الْبَعِيدُ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٢١﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٢﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءً عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٢٣﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ

وذهابها هباءً منثورًا في الآخرة ؛ لابتنائها على غير أساس من الإيمان والعلم بالله - برتادٍ أسرعته به الريح الشديدة الهبوب ففرقتها ؛ فلم يبق له أثر . و«عاصِفٌ» شديد الريح .

٢١ - ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ خرجوا من قبورهم يوم القيامة ، وظهروا في الفضاء للجزاء على أعمالهم . وأصل البروز : الظهور ؛ مأخوذ من البراز ، وهو الفضاء الواسع ؛ ثم استعير لمجتمع الناس يوم القيامة ﴿سَوَاءً عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا...﴾ أى مستو علينا الجزع والصبر . والجزعُ : حُزْنٌ يصرف الإنسان عَمَّا هو بصده . يقال : جَزَعَ يَجْزَعُ جَزْعًا وجَزُوعًا . إذا ضُفِّعَ عن حمل ما

وَصَرَاحاً ، إذا استغاث ، فهو صارخٌ وصريخٌ ، أى مستغيثٌ طالبٌ للمُصرة والمعاونة ، وذاك مُصرِخٌ أى مغيثٌ . واستصرِخته فأصرِخنى : استغثت به فأغاثنى ، فهو صريخٌ ومُصرِخٌ ، أى مغيثٌ . من الصُراخ وهو الصياح الشديد عند الفزع أو المصيبة .

٢٤ ، ٢٦ - ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ﴾ أى لكلمتى الإيمان والكفر . أو لمعرفة الله تعالى ومحبته وطاعته ، وضد ذلك . ﴿ كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾ كلمة التوحيد والإسلام . ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾ ضاربٌ بعروقه فى الأرض . ﴿ وَفَرَعُهَا ﴾ أى أعلاها . ﴿ أَكْلَهَا ﴾ تمرها الذى يؤكل . ﴿ كَلِمَةً خَيِّبَةً ﴾ كلمة الكفر والضلال . ﴿ اجْتَنَّتْ ﴾ اقتلعت جنتها ، أى شخصها وذاتها . ﴿ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ﴾ لقرب عروقها من سطح الأرض . يقال : اجتنت الشيء اجتثاً ، إذا اقتلعت واستأصلته . وهو افتعالٌ من لفظ الجثة وهى شخص الشيء .

٢٧ - ﴿ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الْآخِرَةِ ﴾ فى مدّة الحياة الدنيا وفى القبر عند السؤال . وقيل : فى الحياة الدنيا وفى يوم القيامة .

٢٨ - ﴿ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ دار الهلاك . ويُطلق البوار أيضاً على الكساد . يقال : بار المتاع بواراً ، كسد . والكاسد فى حكم الهالك . ٢٩ - ﴿ يَصْلَوْنَهَا ﴾ يدخلونها . أو يقاسون حرّها .

وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُمْ فَأَخْلَفْتُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٦﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٨﴾ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٩﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٣٠﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٣١﴾

نزل به ولم يجد صبراً . ﴿ مُعْتُونٌ ﴾ ٢٢ - ﴿ سُلْطَانٌ ﴾ تسلط أو عتاً دافعون عنا . ﴿ مَا لَنَا مِنْ مَحِصٍ ﴾ محيد ومهرب من العذاب . يقال : حاص عنه يحيص حيصاً ومحيصاً ، إذا عدل عنه وحاد على جهة الفرار .



٣٠- ﴿أَنْدَادًا﴾ أمثالاً في التسمية أو في العبادة ؛ وهي الأصنام والأوثان .

٣١- ﴿وَلَا خِلَالَ﴾ ولا مخالفة ، أى لا مواذة في يوم القيامة بين الناس تنفع في تدارك ما فات . مصدر خاللت . أو جمع خليل أو خلّة بمعنى الصداقة ؛ كقلة وقلال .

٣٢ ، ٣٣- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ...﴾ ذكر لهذا الموصول سبع صلوات : أولها - خلق السموات ، وآخرها « وَأَنَا كُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ » . وهي تشمل على عشرة أدلة على وحدانيته تعالى وعلمه وقدرته : خلق السموات ، وإنزال المطر من السماء ، وإخراج الثمرات به ، وتسخير الفلك في البحار ، وتسخير الأنهار ، وتسخير الشمس ، وتسخير القمر دائبين ، وتسخير الليل والنهار للتمكين من السعى للكسب ، وإعطاء ما يحتاج إليه الناس في معاشهم . ﴿دَائِبِينَ﴾

دائمين في إصلاح ما يصلحان من الأبدان والنبات وغيرهما . أو دائمين في السير في مدارهما بغير اختلال ؛ لا يفتران عن ذلك مادامت الدنيا ؛ من الدأب - بسكون الهمزة وفتحها - وهو العادة المستمرة على حالة واحدة . [آية ١١ آل عمران ص ٧٤] .

٣٤- ﴿لَا تُحْصَوْهَا﴾ لا تطبقوا

وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۚ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۚ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ ﴿٣٣﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٤﴾ وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۚ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٦﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّلَنِي كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَصْبَحْتُ مِنْ ذُرِّيَةِ بَوَادٍ

عدها لعدم تناهيها . مكة عند المكان الذي سبني فيه

٣٥- ﴿وَاجْنُبْنِي...﴾ أبعدني البيت المحرم . ﴿تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ تسرع إليهم شوقاً ووداداً . يقال : هوى يهوى هويًا ، إذا أسرع في السير . أو تريداهم ؛ كما تقول : وجبته - بالتشديد - مبالغة .

٣٧- ﴿مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أى بعضهم ، وهو ابنه إسماعيل عليه السلام الذي رزق به من السيدة هاجر ، وأوحى إليه أن ينقلها إلى

٣٩- ﴿إِسْمَاعِيلَ﴾ من السيدة هاجر . ﴿وَأِسْحَاقَ﴾ من السيدة

سارة . وإسماعيلُ أَسْنُ من أخيه ، وبينهما ثلاث عشرة سنة ، على ما قيل .

٤١ - ﴿ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ﴾ طلب المغفرة لوالديه قبل أن يتبين له أن والده عدو لله ، وكانت أمه مؤمنة ، ثم لما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ، ونهى عن الاستغفار له .

٤٢ - ﴿ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ ترتفع فيه أبصار أهل الموقف ، فلا تطرف أجفانهم من هول ما يرونه . يقال : شَخَصَ بصره يَشْخَصُ فهو شاخص ، إذا فتح عينه وجعل لا يطرف . وشَخَصَ شخصاً : ارتفع .

٤٣ - ﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ مُسْرِعِينَ إلى الدَّاعِي بِلَذَّةٍ واستكانة ، كإسراع الأسير والخائف . يقال : أهْطَعَ في عَدُوِّهِ يَهْطَعُ إهْطَاعاً ، إذا أَسْرَعَ . ﴿ مُقْنِي رُؤُوسِهِمْ ﴾ رافعيها إلى السماء مع إدامة النظر بأبصارهم إلى ما بين أيديهم من غير التفات إلى شيء . يقال : أْقَعَ رأسه ، إذا نصبه ورفعته ، أو لم يلتفت يمينا وشمالاً ، بل جعل طرفه موازياً . ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ أي لا ترجع إليهم أجفانهم التي يكون فيها الطرف ، أي التحريك . ﴿ وَأَقْنَدُهُمْ هَؤُلَاءِ ﴾ وقلوبهم فارغة خالية عن الفهم ، لا تبي شيئا ، ولا تعقل من شدة الخوف والدهشة .

٤٨ - ﴿ يَوْمَ يُبْدَلُ الْأَرْضُ ﴾

غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْعِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا آخِرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعَوْتِكَ وَنَبِّحِ الرُّسُلَ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزُ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾

يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا
لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ
فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَّابِلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ
النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا
أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

(١٥) سُورَةُ الْحَجَرِ مَكِّيَّةٌ

الْآيَةُ ٨٧ فَدَنِيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا ٩٩ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ يُوسُفَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿١﴾ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا
وَيَسْتَمْتَعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ وَمَا

سُورَةُ الْحَجَرِ

الذين كفروا بالقرآن عند رؤيتهم في
الآخرة رحمة الله لعصاة المؤمنين
حين يخرجهم من النار ﴿لَوْ كَانُوا
مُسْلِمِينَ﴾ مثلهم ، متقادين
لأحكامه ، حين لا يُجديهم
التمنى . و«رُبَّ» : حرف
يُستعمل في التقليل وفي التأكيد ،
وقد تزايد بعدها «ما» النافية
وتخفف باؤها وتشدَّد . وحملها
كثير من المفسرين هنا على التقليل
بالنسبة إلى زمان ذهاب عقولهم من

١ - ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾
«تِلْكَ» : إشارة إلى آيات هذه
السورة . أى تلك آيات من
الكتاب الكامل ، ومن قرآن عظيم
الشان ، بين في حكمه
وأحكامه ، وفي هدايته
وإعجازه ، فأقبلوا عليها ، ولا
تقابلوها بالتكذيب والإعراض .
٢ - ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ...﴾ أى يتمنى

ظرفاً للانتقام . وتبدل الأرض
والسَّمَوَاتِ في ذلك اليوم : تغيير
صفاتها وهيئاتها عما كانتا عليه في
الدنيا . يقال : بدلت الحلقة
خاتماً ، إذا غيرت شكلها .
﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ﴾ خرجوا من
أجداثهم ليستوفوا جزاءهم [آية
٢١ من هذه السورة] .

٤٩ - ﴿مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾
المُّقْرَّنُ : من جُمع مع غيره في
قرن ، وهو الوثاق . والأصْفَادُ :
جمع صَفَد ، وهو القيد الذى
يوضع في الرجل . أو الغل الذى
تُضَمُّ به اليد والرجل إلى العنق ،
أى قرن بعضهم مع بعض ،
وضمَّ كلٌّ لمشاركه في كفره . أو
قرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم
بالأغلال .

٥٠ - ﴿سَرَّابِلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ﴾
أى تُطلى جلودهم بالقَطِرَانِ ،
وهو ما يُهْنَأ به الإبل الجربى ،
وهو حارٌّ نينٌ شديد الاشتعال
بالنار ، حتى يكون الطلاء
كالسرابيل - أى القمصان -
ليجتمع لهم لذغ القطران وكرامية
لونه ونشُّ ريمه ، وإسراع النار في
جلودهم . ﴿وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ
النَّارُ﴾ تَعْلُوها وتحيط بها النار التى
تسعر بأجسادهم المسرَّابلة
بالقطران ، من العشى وهو
التغطية .

٥٢ - ﴿بَلَاغٌ لِلنَّاسِ﴾ كفاية في
العظة والتذكير . والله أعلم .



أَهْلَكَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ① مَا نَسِيقُ
 مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَعْجِرُونَ ② وَقَالُوا يَأْتِيهَا الَّذِي
 نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ③ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ
 إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ④ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا
 بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ⑤ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ
 وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ⑥ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ
 الْأَوَّلِينَ ⑦ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ
 يَسْتَهْزِءُونَ ⑧ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ⑨
 لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ⑩ وَلَوْ فَتَحْنَا

إِلَّا نَبَأًا ⑪ كَمَا قَالَ تَعَالَى : (وَلَوْ
 جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا
 عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ) ⑫ . بل في
 ذلك مضرة بكم ، لأنه لا يكون
 مع ذلك إلا استئصالكم في الحال
 إن لم تؤمنوا وتصدقوا ، كما جرت
 بذلك سنة الله في القرون الخالية ،
 وأنتم غير أهل للإيمان والتصديق .
 ﴿ مُنْظَرِينَ ﴾ أي مؤخرين
 مُسْهَلِينَ ، بل يعجل لهم
 العذاب ، من الإنظار بمعنى
 التأخير والإمهال .

٩ - ﴿ الذِّكْرُ ﴾ القرآن . ﴿ وَإِنَّا
 لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ أي من كل ما
 يقدح فيه ، كالتحريف والتبديل
 والزيادة والنقصان . أو حافظون
 له بالإعجاز ، فلن يقدر أحد على
 معارضته . أو بقيام طائفة من
 الأمة بحفظه والذب عنه إلى آخر
 الدهر .

١٠ - ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا ﴾ رُسُلًا
 ﴿ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ في الفرق الأولين ،
 يدعونهم إلى ما تدعو إليه ، فما
 قبلوهم إلا بالاستهزاء بهم وبما
 جاءوا به من الكتب ، فليس
 بدعاً من الرسل ، فتسل بمن
 سبقك . والشيع : جمع شيعة ،
 وهي الفرقة المتفقة على طريقة
 ومذهب ، من شاع إذا تبعه .

١٢ ، ١٣ - ﴿ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ ﴾
 أي كما سلكناه كتب الرسل السابقين
 في قلوب أولئك المستهزين مستهزاً
 بها غير مقبولة - نسلك الذكور
 الذي أنزلناه إليك في قلوب
 المجرمين أهل مكة مستهزاً به غير

شدة الدهشة ، فإن أهوال القيامة
 تذهلهم فيهنئون ، فإذا وجدت
 منهم إفاقة في وقت ما تمتوا هذه
 الأمانة .
 ٣ - ﴿ ذَرَهُمْ ﴾ خَلَّهُمْ
 وشأنهم ، يَتَعَمَّوْا بَدَنِيَاهُمْ ،
 وتلهيهم آمالهم الكاذبة عن
 أخراهم ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ سوء
 عقابهم .
 ٤ - ﴿ وَلَهَا كِتَابٌ ﴾ أجل مقدر
 مكتوب في اللوح .
 ٧ ، ٨ - ﴿ لَوْ مَا تَأْتِينَا
 بِالْمَلَكَةِ ﴾ هلا تأتينا بالملائكة
 يشهدون لك ويعضدوك في
 الإنذار ﴿ إِنْ كُنْتَ مِنَ
 الصَّادِقِينَ ﴾ في ادعائك ما

عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾
 لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾
 وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾
 وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَن أَسْرَقَ
 السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا

مقبول ؛ لكونهم جميعاً من أهل
 الخذلان الذين ليس لهم استعداد
 لقبول الحق . والسُّكَّرُ : مصدر
 سَكَّرَ - من باب نصر - وهو
 إدخال الشيء في الشيء كإدخال
 الخيط في الخيط . ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾
 به أي بالذِّكْرِ . والجملة حال
 من مفعول «نسلكه» أي نسلكه
 غير مؤمن به . أو بيان للجملة
 السابقة . ﴿سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي
 سنة الله وعادته فيهم ؛ وهي
 الإهلاك للتكذيب . وهو وعيد
 لأهل مكة .

للحقيقة . والسُّحْرُ : الخداع
 وتخيل ما لا حقيقة له . أو ما لُطِفَ
 مأخذه ودق . وفعله كمنع ،
 والفاعل ساحر ، والمفعول مسحور
 [آية ١٠٢ البقرة ص ٢٥] .
 ١٦ ، ١٧ - ﴿جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ
 بُرُوجًا﴾ اشتملت هذه الآية وما
 بعدها إلى آية ٢٧ على أربعة عشر
 دليلاً على قدرة الخالق وبداة
 صنعه وتعالى حكمته ؛ مما يوجب
 الإيمان به وبوحدانيته ، وإفراذه
 بالعبادة ، ومقابلة نعمه بالشكران
 بدل الكفران . و«جَعَلْنَا» أي
 خلقنا وأبدعنا فيها منازل وطرقاً
 تسير فيها الكواكب . وهي
 الاثنا عشر بُرجاً المشهورة . وقيل :
 البروج الكواكب نفسها . جمع
 بُرْج ، وهو في الأصل القصر
 والحِصْن ، واستعمل فيما ذكر على
 سبيل التشبيه . ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ
 كُلِّ شَيْطَانٍ﴾ منعناه من التعرض
 لها والوقوف على ما فيها في
 الجملة . أو من دخولها والاختلاط

١٤ ، ١٥ - ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ
 بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أي ولو فتحتنا
 لكفار مكة المعاندين باباً من
 السماء ﴿فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ أي
 يصعدون ؛ فينظرون إلى ملكوت
 السموات وما فيها من الملائكة
 والعجائب ﴿لَقَالُوا﴾ لفرط
 عنادهم وجحودهم ﴿إِنَّمَا سُكَّرَتْ
 أَبْصَارُنَا﴾ أي سُدَّتْ وُضِعَتْ من
 الإبصار ، وما نرى إلا تخيلاً لا
 حقيقة له ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ
 مَّسْحُورُونَ﴾ في عقولنا بسحر
 صنعه محمد . و«يَعْرُجُونَ» من
 العُروج وهو الذهاب في صعود .
 وفعله من باب دخل ؛ ومنه
 المعراج والمعارج . و«سُكَّرَتْ» من
 السُّكْرِ - بفتح فسكون - وهو سدُّ
 الباب أو التَّهر . يقال : سَكَّرْتُ
 النهر أسكَّره سَكْرًا ، سَدَدْتُهُ ؛
 والتشديد للمبالغة .
 و«مَسْحُورُونَ» أي مصروفون
 بالسحر عن إدراك عقولنا

إِلَّا بِقَدَرٍ ﴿٢١﴾ وما نوجد شيئاً من تلك
المقدورات إلا بمقدار معين تقتضيه
الحكمة ، وتستدعيه المشيئة .

٢٢ - ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾
حوامل . جمع لاقح بمعنى
حامل ، حملها الماء والتراب
بمرورها عليها ، وحملها السحاب
وسوقه واستنداره . وهي مقلّحة
تلقح السحاب بما تمجّه فيها من
بخار الماء ، وتلقح الشجر بنقل
الجراثيم الحية من ذكره إلى إناثه .

٢٣ - ﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ لزوال
ملك كل مالك عما ملك ، وبقاء
جميع ذلك لنا .

٢٦ - ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ﴾ بيان لأطوار خلق
آدم أبي البشر : ابتداء الله خلقه
من تراب مفرق الأجزاء ، ثم بلّّه
بالماء وتركه حتى اسودّ وتغيّر
ريحه ، ثم صور فيه تمثال إنسان
أجوف ، فجفّ ويسّ ، حتى
إذا نفّس شعث له صلصلة ، فقيره
طوّراً بعد طور ، حتى نفّخ فيه من
روحهِ ، فتبارك الله أحسن
الخالقين ! ﴿صَلْصَالٍ﴾ طين
يابس غير مطبوخ ، له صلصلة
وصوت إذا نفّس ، كما يصوت
الحديد ، فإذا طبخ بالنار فهو
الفخار . ﴿حَمًا﴾ طين أسود
متغيّر . ﴿مَسْنُونٍ﴾ مصور ، من
سنّ الشيء صورته . وعلى هذه
الأطوار تُخرج الآيات الواردة في
أطواره الطينية ، كآية : (خَلَقَهُ
مِنْ تَرَابٍ) (٣) وآية : (بَشَرًا مِنْ

وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾
وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَاشٍ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾
وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ
مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ
نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ
مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْرِبِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ
يُخْشِرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

وإنما المتكفل برزقهم خالقهم ربّ
العالمين . وعبر به «مَنْ» تغليظاً
للعقلاء .

٢١ - ﴿خَزَائِنُهُ﴾ جمع خزانة ،
وهي في الأصل : المكان الذي
تُخزن فيه نفائس الأموال
للحفظ . والكلام تمثيل لإفادة أن
مقدوراته تعالى التي لا تُحصى -
في كونها محجوبة عن الخلق ،
مصونة عن الوصول إليها مع وفور
رغبتهم فيها ، وكونها متيعة للإيجاد
والتكوين ، بحيث متى تعلقت
إرادته تعالى بوجودها وجدت بلا
إبطاء - شبيهة بنفائس الأموال
المخزونة للحفظ ، المعدة للتصرف
فيها بإرادة مالكها . ﴿وَمَا نُنْزِلُهُ

شَيْئاً رَصْدًا) (١) . وقيل : المنع
من مولده صلى الله عليه وسلم .

١٩ - ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾
بسطناها للاستقرار عليها .
﴿وَالْقَيْنَا﴾ وضعنا ﴿فِيهَا
رَوَاسِيَ﴾ جبلاً ثوابت [آية ٣
سورة الرعد ص ٣١٨] . ﴿مِنْ
كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ أى مُقدّر
بمقدار معين حسبما تقتضيه
الحكمة ، كما قال تعالى : (إِنَّا كُلَّ
شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (٢)

٢٠ - ﴿مَعَايِشٍ﴾ [آية ١٠
الأعراف ص ١٩٩] . ﴿وَمَنْ
لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ أى وجعلنا لكم
فيها من العبيد والحوال والدواب
والأنعام من لستم له برازقين ،

طين) ^(١) وهذه الآية .

٢٧ - ﴿مِنْ نَّارِ السَّمُومِ﴾ السَّمُومُ : الريحُ الحارّةُ التي تقتلُ . وَسُمِّيتُ سَمُومًا لِأَنَّهَا لَشِدَّةُ لَطَافَتِهَا وَقُوَّةُ حَرَارَتِهَا تَنْفِذُ فِي مَسَامِ الْبَدَنِ . وَقِيلَ : هِيَ نَارٌ لَا دُخَانَ لَهَا تَنْفِذُ فِي الْمَسَامِ .

٢٩ - ﴿سَوِّتُهُ﴾ سَوِّتُ خَلْقُهُ وَصُورَتُهُ بِالصُّورَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ . ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ أَيْ أَفَضْتُ عَلَيْهِ مَا بِهِ حَيَاتُهُ ، وَهُوَ الرُّوحُ الَّذِي هُوَ مِنْ أَمْرِي . ﴿سَاجِدِينَ﴾ سَجُودَ تَحِيَّةٍ لَا سَجُودَ عِبَادَةٍ .

٣١ - ﴿أَبَى﴾ اِمْتَنَعَ تَكْبَرًا .

٣٢ - ﴿مَالِكٌ﴾ أَيْ غُرُضُ لَكَ أَوْ مَا عَذَرَكَ .

٣٤ - ﴿رَجِيمٌ﴾ مَطْرُودٌ مِنَ الرَّحْمَةِ أَوْ مَرْجُومٌ بِالشَّهَبِ .

٣٥ - ﴿الَّلَّعَنَ﴾ الْإِبْعَادَ عَلَى سَبِيلِ السَّخَطِ .

٣٦ - ﴿فَانْظُرْنِي﴾ أَخَّرَنِي إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ ، مِنَ الْإِنْظَارِ بِمَعْنَى التَّأْخِيرِ وَالْإِمْهَالِ . طَلَبَ أَلَّا يَمُوتَ أَبَدًا ، فَأَخَّرَنِي إِلَى يَوْمِ النَّفْخَةِ الْأُولَى فَقَطْ ، ثُمَّ يَمُوتُ عِنْدَهَا .

٣٨ - ﴿الْوَقْتُ الْمَعْلُومُ﴾ وَقْتُ النَّفْخَةِ الْأُولَى .

٣٩ - ﴿لَاغْوِيَهُمْ﴾ لِأَحْمِلْنَهُمْ عَلَى الْغَوَاةِ وَالضَّلَالِ .

٤٠ - ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ هُمُ الَّذِينَ أَخْلَصْتَهُمْ بِتَوْفِيقِكَ لِطَاعَتِكَ .

(١) آية ٧١ سورة ص .

مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ ﴿٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ يَبْنَئُ بِلَيْسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿١٢﴾ قَالَ لَئِنْ لَأَكُنْ لَا تَجِدُ لِبَشَرٍ خَلَقْتُهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿١٣﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَلَمَّا نَكَرَجِمُ ﴿١٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿١٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿١٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٢١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ

وَقُرِئَ بِكسْرِ اللَّامِ ، أَيْ الَّذِينَ أَرَاغِيهِمْ . ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ لَا عُدُولَ أَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ لَكَ ، وَلَمْ يُشْرِكُوا عَنْهُ .

٤٢ - ﴿سُلْطَانٌ﴾ تَسْلُطٌ وَقُدْرَةٌ مَعَكُمْ فِيهَا أَحَدًا .

٤١ - ﴿قَالَ﴾ اللَّهُ تَعَالَى ﴿هَذَا﴾ عَلَى الْإِغْوَاءِ .

٤٣ - ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ الْمَخْلَصِينَ مِنْ أَعْوَانِهِ حَتَّى عَلَى أَنْ لَمَوْعِدُهُمْ .. ﴿الضَّمِيرُ لَ «مَنْ



جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾
 آدَخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينَ ﴿٤٦﴾ وَزَعَنَّا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ
 غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ
 وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ * نَبِيِّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا
 الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾
 وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا
 سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوَجَّلْ إِنَّا
 نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ
 الْكِبَرُ فِيمَ يُبَشِّرُونَنِي ﴿٥٤﴾ قَالُوا بِشَرْنَكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ
 مِنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا
 الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾
 قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ
 إِنَّا لَمُنَجِّهِمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أَمْرًا تَقْدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَّ

وهو الماء المتخلل بين الشجر . وهو
 إشارة إلى أنهم يُشَاءُونَ في الآخرة
 نشأة أخرى صالحة غير النشأة
 الدنيوية .

٤٨ - ﴿نَصَبٌ﴾ إعياء وتعب .
 يقال : نصب يتصب ، أعبأ .
 ونصب الرجل : ومنه عيش
 ناصب : فيه كد وجهد .

٥١ - ﴿ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ هم
 الملائكة الذين نزلوا عنده ضيوفاً
 بصور آدمية وبشروه بالولد ، ثم
 أخبروه بأنهم أرسلوا لإهلاك قوم
 لوط . والضيف : يُطلق على
 الواحد والجمع ، وهو في الأصل
 مصدر ضافه ، أي أماله .

٥٢ - ﴿وَجِلُونَ﴾ خائفون
 لدخولهم بغير إذن ، وفي غير وقت
 دخول الضيف ، وامتناعهم من
 أكل طعامه ، من الوجل ، وهو
 استعمار الخوف [آية ٢ الأنفال

ص ٢٣٣]

٥٥ - ﴿الْقَانِطِينَ﴾ الآيسين من
 خرق العادة لك ، من القنوط ،
 وهو اليأس من الخير .

٥٧ - ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ فاشانكم
 الذي أرسلتم لأجله سوى هذه
 البشارة [آية ٥١ يوسف ص
 ٣٠٩ ، ٣١٠]

٦٠ - ﴿إِلَّا أَمْرًا﴾ استثناء من
 الضمير في «لَمُنَجِّهِمْ» .
 ﴿تَقْدَرْنَا﴾ إنها لمن الغابرين
 علمنا أو قضينا أنها من الباقين في
 العذاب ، من التقدير بمعنى
 الحكم . وإسناد الملائكة الفعل

النصب . يقال : قسمت كذا
 قسماً وقسمة ، قرزته . وقسمه
 يقسمه وقسمه : جزأه . وقسم
 الدهر القوم : فرقهم ،
 كقسمهم .

٤٧ - ﴿مِنْ غِلٍّ﴾ حقد
 وضعفة . وأصله من الغلالة ،
 وهي ما يلبس بين الثوبين ،
 الشعار والدثار . أو من الغلل ،

اتبعتك أول «الغاوين» .
 ٤٤ - ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ أي
 لهم سبعة أطباق بعضها فوق
 بعض ، وكل طبق يسمى
 دركاً ، يترها الغاؤون بحسب
 تفاوت مراتبهم في العوابة
 والمتابعة . ﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ فريق
 معين من الأتباع الغاوين مقرر من
 غيره ، من القسم ، وهو إفراز

الْغَيْرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
 إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ
 يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسِرْ
 بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ
 مِنْكَ أَحَدٌ وَامْضُ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ
 ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْحِحِينَ ﴿٦٦﴾
 وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَتُولَاءِ
 ضَيِّقِي فَلَا تَفْضَحْنَ وَلَا تَكْزُبْنَ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْا
 قَالُوا أَوَلَمْ نَكُنْ مِنْكَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٦٩﴾ قَالَ هَتُولَاءِ بَنَاتِي إِنْ
 كُنْتُمْ فَعَلِينَ ﴿٧٠﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧١﴾
 فَأَخَذَتْهُمُ الصَّبْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٢﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهُمَا
 وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

إلى أنفسهم مجازاً ؛ على حد قول
 خاصة الملك : نحن فعلنا ؛ وإن
 كانوا فعلوه بأمر الملك .
 و«الغَيْرِينَ» من غير بمعنى بقي
 [آية ٨٣ الأعراف ص ٢١٢] .

٦٢ - ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ أنكرهم
 ولا أعرفكم .

٦٣ - ﴿بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾
 أى بالعذاب الذي كانوا يشكون
 أنه نازل بهم ويكذبونك فيه .

٦٥ - ﴿فَأَسِرْ بِأَهْلِكَ ..﴾ سِرْ
 بهم في طائفة من الليل . أو ظلمة
 آخره [آية ٨١ سورة هود ص
 ٢٩٦] . ﴿بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾
 بطائفة منه أو من آخره . ﴿وَاتَّبِعْ
 أَدْبَارَهُمْ﴾ كُنْ على أترهم ؛
 لتطلع عليهم وعلى أحوالهم .

٦٦ - ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ﴾ أوحينا
 إليه . ﴿أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ﴾
 أى آخرهم [آية ٤٥ الأنعام ص
 ١٧٥] . ﴿مُصْحِحِينَ﴾ أى
 داخلين في الصباح ؛ من أصبح
 الثامة ، وصيغة أفعل تأتي
 للدخول في الشيء ؛ نحو أنجد
 وأنهم ؛ أى دخل في نجد وفي
 تهامة .

٦٩ - ﴿وَلَا تُخْزَوْنَ﴾ لا تذُلُّوني
 بالتعريض بالسوء لهم [آية ٧٨ هود
 ص ٢٩٦] .

٧٠ - ﴿عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ عن
 إجارة أو ضيافة أحد منهم .

٧١ - ﴿هَتُولَاءِ بَنَاتِي﴾ يريد
 نساءهم ، أو بناته حقيقة ؛

فباشروهن بالعقد المشروع [آية ٧٨
 هود] .

٧٢ - ﴿لَعَمْرُكَ﴾ قسم من الله
 تعالى بحياة محمد صلى الله عليه
 وسلم . أو من الملائكة بحياة لوط
 عليه السلام . والعمر - بفتح
 العين - : لغة في العمر -
 بضمها - ومعناها : مدة حياة
 الإنسان وبقائه ؛ والتزم الفتح في
 القسم . و«عمر» مبتدأ خبره
 محذوف وجوباً ، تقديره : قسمي

أو بمي ، أو نحوه . ﴿إِنَّهُمْ لَفِي
 سَكْرَتِهِمْ ..﴾ غوايتهم . أو شدة
 غلغلتهم التي أزال عقولهم ،
 وتميزهم بين القبيح والحسن .
 ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون حيارى
 [آية ١٥ البقرة ص ٧] .

٧٣ - ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّبْحَةُ﴾
 صيحة السماء ، وكل شيء أهلك
 به قوم فهو صيحة وصاعقة [آية
 ٦٧ هود ص ٢٩٥] .

﴿مُشْرِقِينَ﴾ أى داخلين في وقت

مساكنهم قُربَ مَدِينِ قَرِيَّةٍ شَعِيبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَكَانُوا مَعَ كُفْرِهِمْ يَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ ، وَيَنْقُصُونَ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ [آيَةُ ٨٥ الأعراف ص ٢١٢ ، ٢١٣] .

٧٩- ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾ أي وإن قري قوم لوط ومساكن قوم شعيب لطريق واضح يأتون به في سفرهم ، ويهتدون به إلى الموضع الذي يريدونه .

٨٠- ﴿أَصْحَابُ الْحِجْرِ﴾ هم ثمود قوم صالح عليه السلام . والحِجْرُ : واد بين الشام والمدينة ، كانوا يسكنونه وله آثار باقية . والحِجْرُ في الأصل : كل ما أحيط به الحجارة .

٨٣- ﴿مُضْجِجِينَ﴾ داخلين في وقت الصباح .

٨٧- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ أي أنزلنا عليك سبعاً من المثاني : هي فاتحة الكتاب ، وآياتها سبع ، آخرها «غير المغضوب عليهم» إن لم تعدّ البسملة آية منها ؛ فإن عُدَّتْ آيةً منها فالآية السابعة «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» إلى آخرها .

وُسِّمَتِ الْمَثَانِي لِأَنَّهَا تُثْنِي فِي كُلِّ صَلَاةٍ بِقَرَاءَتِهَا . أَوْ لِأَنَّهَا أُثْنِي بِهَا عَلَى اللَّهِ ؛ إِذْ جُمِعَتِ الْحَمْدُ وَالْوَحِيدُ وَمُلْكُهُ يَوْمَ الدِّينِ .

وَالْمَثَانِي : جَمْعُ ثَنِي وَمِثْلَةٍ .

بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكُسْرُهَا ؛ مِنْ ثَنِي الشَّيْءَ ثَنِيًا : إِذَا رَدَّ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ ؛ فَهِيَ بِمَعْنَى طَاقَاتِ الشَّيْءِ الَّتِي يُعْطَفُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ .

لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَاهُمُ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يُخْتَنُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُضْجِجِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْغِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى

الشروق . فكان ابتداء العذاب عند الصبح . وانتهاه وقت الشروق .

٧٦- ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ وَإِنْ قَرَى قَوْمَ لُوطٍ الْمَهْلَكَةَ لَئِي طَرِيقٍ مُّعْلَمٍ وَاضِحٍ يَرَاهُ كُلُّ مَحْتَازٍ بِهِ إِلَى الشَّامِ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَأَنكُمْ لَتَسُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّضْجِجِينَ . وَبِاللَّيْلِ﴾ (١)

٧٨- ﴿أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ أصحاب الغنضة . وهي الشجر الملتف . والمراد بها : البقعة الكثيفة الأشجار التي كانت فيها

٧٤- ﴿مِّن سَجِيلٍ﴾ طين متحجر [آية ٨٢ هود ص ٢٩٦ ، ٢٩٧] .

٧٥- ﴿لَايَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ للمتفكرين . المتفرسين الذين يشتتون في نظرهم حتى يعرفوا حقائق الأشياء بسماها . تفعل من الوسم ، وأصله التثبُّت والتفكر ؛ مأخوذ من الوسم وهو

﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ معطوف على «سَبْعًا» من عطف الكل على جزئه .

٨٨ - ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ..﴾ أى لا تطمع نفسك إلى ما متعنا به ﴿أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ أصنافاً من الكفار من متاع الدنيا وزينتها ؛ فإنه مستحق بالنسبة لما آتيناك من عندنا . ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ تواضع وألن جانبك .

٩٠ ، ٩١ - ﴿كَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى الْمُفْتَسِمِينَ ..﴾ أى ولقد أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب المفتسمين ، الذين جعلوا القرآن أجزاء وأعضاء لفرط عنادهم ؛ فجعلوا ما يوافق كتابهم حقاً ، وما يخالفه باطلاً ، فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه . فقلوه : «كَمَا أُنْزِلْنَا» متعلق بقوله : «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ» لأنه فى

معنى أنزلنا عليك . و﴿عِصِينَ﴾ أى أجزاء وأعضاء متفرقة ؛ من عصيت الشيء تعصية ، أى قرعته وجعلته أجزاء ، كل فرقة عِصَّة ، بوزن عِزَّة . وأصلها عِصْوَةٌ كعِزْوَةٍ . أو جعلوه أكاذيباً فأكثروا البهت والكذب عليه . جمع عِصَّة بمعنى الكذب والبهتان ؛ من العَصَ ، وهو أن يقول الإنسان فى غيره ما ليس فيه . يقال : عَصَّه عَصْهاً ، رماه بالكذب . وقد أَعْصَهَتْ : أى جثت بالبهتان .

٩٤ ، ٩٥ - ﴿فَاصْدَعْ بِمَا

مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى الْمُفْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ قُورَيْكَ لِنَسْلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

تُؤْمَرُ﴾ أظهره واجهزه . يقال : فاصدع بالحقجة . إذا تكلم بها جهاراً . أو افرق بين الحق والباطل ؛ من الصدع بمعنى الشق والفرق . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفياً بالدعوة ، حتى نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه معلنين بها لا يبالون بالمشركين ؛ كما قال تعالى : ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ . ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِينَ﴾ تولينا إهلاكم ؛ من كفيت فلاناً المثونة : إذا توليتها له ولم تحوجه إليها .

٩٨ - ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فافزع إلى الله تعالى فيها نابك من ضيق الصدر بالتسبيح والتحميد ؛ يَكْفِكَ ويكشف الغم عنك .

٩٩ - ﴿الْيَقِينُ﴾ أى الموت . والله أعلم .

(١٦) سُورَةُ النَّحْلِ مَكِّيَّةٌ

إِلَّا آيَاتُ الثَّلَاثِ الْآخِرَةِ فَذُنُوبُهُ
وَأَنفَاسُهَا ١٢٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الْكَهْفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَنِّي أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ

سُورَةُ النَّحْلِ

١ - ﴿أَنِّي أَمْرُ اللَّهِ...﴾ قَرَبَ وَدَنَا مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مِنَ التَّصَرُّعِ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، وَالْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ وَاسْتِصْصَالِ الْأَمْوَالِ ، وَالْأَسْتِیْلَاءِ عَلَى الْمَنَازِلِ وَالْدِيَارِ . أَوْ قَرَّبَ مَجِيءَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي فِيهِ عَذَابُ الْمُنْكَرِينَ . وَأُبْرِزَ الْمَتَوَقَّعُ فِي صُورَةِ الْوَاقِعِ لِتَحْقِيقِهِ وَلِصَدَقِ الْخَبَرِ بِهِ ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ أَيْ الْأَمْرُ فَإِنَّهُ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ . وَكَانَ الْكَفَّارُ يَسْتَعْجِلُونَ الْمَوْعِدَ بِهِ اسْتِهْزَاءً ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تَنْزَهُ وَتَعَاطَمُ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ عَنْ إِشْرَاكَهُمْ الْمُؤَدَّى إِلَى صُدُورِ تِلْكَ

الْأَبَاطِيلِ عَنْهُمْ . أَوْ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ فَيُدْفَعُ مَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ . وَكَانُوا يَقُولُونَ : إِنْ صَحَّ مَجِيءُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَإِنَّ الْأَصْنَامَ تَشْفَعُ لَنَا فِيهِ .

٢ - ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾ بِالْوَحْيِ ، أَيْ الْمَوْحِي بِهِ الَّذِي مِنْ جَمَلَتِهِ التَّوْحِيدُ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (١) . وَإِطْلَاقُ الرُّوحِ عَلَيْهِ مُجَازٌ ، لِأَنَّ بِالْوَحْيِ تَحْيَا الْقُلُوبُ الْمَيِّتَةَ بِدَاءِ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ ، كَمَا أَنَّ بِالرُّوحِ حَيَاةَ الْأَبْدَانِ . وَالْمُرَادُ بِالْمَلَائِكَةِ : جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَسُولُ الْوَحْيِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ حَفَظَةِ الْوَحْيِ

(١) آية ١٥ غافر . (٢) آية ٧٨ يس

وقيل : جبريل خاصة ، والواحد يسمى باسم الجمع إذا كان رئيساً عظيماً

٣ - ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ...﴾ شُرُوعٌ فِي بَيَانِ أدَلَّةِ التَّوْحِيدِ ، وَاتِّصَافِ ذَاتِهِ الْعَلِيِّ بِصِفَاتِ الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا كَافٍ فِي صَرْفِ الْمُشْرِكِينَ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الشَّرِكِ . وَالْمُرَادُ بِالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ : الْعَالَمُ الْعُلُويُّ وَالسُّفْلِيُّ . وَخَلَقَهَا بِالْحَقِّ : إِيجَادَهَا مُتَبَسِّطًا بِمَا يَحِقُّ لَهُ بِمَقْتَضَى الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ .

٤ - ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ...﴾ أَيْ هَذَا النَّوْعَ غَيْرَ الْفَرْدِ الْأَوَّلِ مِنْهُ وَهُوَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ أَيْ مِنْ مَنِيٍّ . وَأَصْلُهَا الْمَاءُ الصَّافِي . أَوْ قَلِيلُ الْمَاءِ الَّذِي يَبْقَى فِي الدَّلْوِ أَوْ الْقِرْبَةِ ، كَالنُّطَاقَةِ . وَجُمُعُهَا نُطْفٌ وَنُطَافٌ . يَقَالُ : نُطِفْتُ الْقِرْبَةَ - مِنْ بَابِ قَتْلٍ وَضَرْبٍ - إِذَا قَطَرَتْ ، مِنْ النُّطْفِ بِمَعْنَى السَّيْلَانِ وَالتَّقَاطُرِ . ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ مُخَاصِمٌ وَمُجَادِلٌ فِي الْبَعْثِ مَعَ خَلْقِهِ مِنْ نُطْفَةٍ مَهِينَةٍ ، يُنْكَرُ عَلَى خَالِقِهِ الْقُدْرَةَ عَلَيْهِ وَيَقُولُ : (مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) (٢) . ﴿مُبِينٌ﴾ بَيْنٌ الْخُصُومَةِ ظَاهِرُهَا . يَقَالُ : خَصِمَ الرَّجُلُ يَخْصِمُ - مِنْ بَابِ تَعِبٍ - إِذَا أَحْكَمَ الْخُصُومَةَ ، فَهُوَ خَصِمٌ وَخَصِيمٌ

٥ - ﴿وَالْأَنعَامَ خَلَقَهَا﴾ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ، ذَكَرَ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ



الإنسان ، وبدأ بذكر الحيوان
المنتفع به وهو الأنعام : الإبل
والبقرة والغنم . ﴿لَكُمْ فِيهَا
دِفْءٌ﴾ الدِفْءُ : السخونة ؛
ويقابله حِدَّةُ البرد . ويُطلق على ما
يُدْفئ من الأصواف والأوبار .
وعلى نتاج الإبل وألبانها وما ينتفع
به منها . يقال : دَفِئَ الرجل -
من باب طَرَب - فهو دَفِئٌ -
كَتَبَ - ودَفَانٌ وهي دَفَاى ؛
كغضبانَ وغَضَبى .

٦ - ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ زينة
وعظيمة ووجاهة عند الناس
﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ حين تردونها
بالعشى من مسارحها إلى
مراحها . يقال : أراح الماشية
يُريحها إراحة ، إذا ردها إلى
المراح ؛ وهو منزلها الذى تأوى
إليه وتروح عشية . ﴿وَحِينَ
تَسْرَحُونَ﴾ حين تُخرجونها غداة
من مراحها إلى مسارحها
ومراعيها . يقال : سرح الماشية
أسرحها سرحًا وسروحًا ، أى
أخرجتها بالغداة إلى المرعى ؛
وسرحت هى . وسرح فلان
ماشيتَه يُسرحها تسريحًا : إذا
أخرجها للمرعى غداة .

٧ - ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ أى
وتحمل الإبل أحمالكم الثقيلة إلى
بلد لم تكونوا بالفيه بها إلا بمشقة
أنفسكم وعنائها . أو إلا بذهاب
نصف أنفسكم ، أى نصف
قوتكم . والأثقال : جمع
ثقل ؛ وهو ما يُثقل الإنسان حملة
من متاع وغيره . والشق .

وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ
وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا
بَلِغِيهِ إِلَّا بِسِقِّ الْأُنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾
وَالْحَيْلُ وَالْبِغَالُ وَالْحَمِيرُ لَتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ
لَهَدَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُبْتِغِ لَكُمْ بِهِ
الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَخَرَلَكُمْ أَيْلَ

الدلائل عليه وإرسال الرُّسل ،
وإنزال الكتب لدعوة الناس إليه .
والسَّيْلُ : الطريق . والقَصْدُ
منه : هو المستقيم الذى لا
اعوجاج فيه وهو الإسلام .
يقال : سَيْلٌ قَصْدٌ وقاصدٌ ، أى
مستقيم ؛ كأنه يقصد الوجه الذى
يؤمّه السالك ولا يعدل عنه ، فهو
نحو : طريق سائر . ﴿وَمِنْهَا
جَائِرٌ﴾ أى ومن جنس السبيل
سبيلٌ معوجٌ منحرفٌ عن الحق ؛
وهو ملل الكفر ونحل أهل الأهواء
الضالة ؛ من الجور ضدَّ العدل
وضدَّ القصد .

١٠ - ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ﴾
شروعٌ فى ذكر أنواع أخرى من

بالكسر - : المشقة . ومن كل
شئ : يصفه . وقرئ بفتح
الشين بمعنى المشقة أيضًا . وقيل :
المفتوح المصدر ، والمكسور
الاسم .

٨ - ﴿وَالْحَيْلُ ..﴾ ثم ذكر
أنواعاً أخرى من الحيوان المنتفع
به . ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾
ويخلق لكم غير ذلك أشياء
ترتفعون بها ، وتتفنون بشمراتها فى
الدنيا ؛ لا تعلمونها الآن ولا تخطر
لكم ببال . وستعلمونها حين
يجىء الوقت المقدر لخلقها ؛ والله
عليمٌ خبير .

٩ - ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾
بيان طريق الهدى ؛ ينضب

وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهٖ ۚ
 إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ
 فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ
 يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَكُمْ لَكُلًّا مِنْهُ حَمًا
 طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ
 مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَكُمْ سَكُونٌ ﴿١٤﴾
 وَالنَّخْلَ فِي الْأَرْضِ رَوْسًى أَنْ يَمِيدَ بِكُمْ وَانْهَرًا وَسَبِيلًا
 لِّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ الْبَالَغَةَ حَمْلَ عَمَلِكُمْ وَتَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾
 أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعَدُّوا
 نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ

خاصة ﴿حِلْيَةً﴾ بالكسر : ما
 يتحلَّى به نساؤكم ويترنَّ به ،
 كاللؤلؤ والمرجان . وجعلها حلَّى
 وحلَّى . أمَّا جمعُ الحلَّى - بفتح
 فسكون - فهو حلَّى ﴿وَتَرَى﴾
 الفلَّكَ مَوَاحِرَ فِيهِ ﴿جَوَارِي﴾ في
 البحر ، تشقُّ الماء شقًّا . يقال :
 مَحَرَّتِ السَّفِينَةُ تَمْحَرُّ وَتَمْحَرُّ
 مَحْرًا وَمُحْرًا ، إِذَا حَرَّتْ تَشَقُّ
 الْمَاءَ بِمَقْدَمِهَا . وَأَصْلُ الْمَحْرِ :
 الشَّقُّ . يقال : مَحَرَ الْمَاءُ
 الْأَرْضَ : إِذَا شَقَّهَا .

١٥ - ﴿رَوْسًى﴾ جبالاً
 ثوابت . ﴿أَنْ يَمِيدَ بِكُمْ﴾ كراهة
 أَنْ تَمِيدَ . أولئكَ تَمِيدُ ، أَيْ تَمِيلُ
 بِكُمْ وَتَضْطَرِبُ . يقال : مَادَتْ
 السَّفِينَةُ تَمِيدُ مَيْدًا ، إِذَا تَحَرَّكَتْ
 وَمَالَتْ . وَمَادَتْ الْأَغْصَانُ :
 تَمَايَلَتْ .

١٦ - ﴿وَعَلَامَاتٍ﴾ معالم للطرق
 تهتدون إليها .

١٧ - ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا
 يَخْلُقُ﴾ من هذه الآية إلى آية
 ٢٩ ، ومن آية ٣٣ إلى آية ٣٩ في
 مُحَاجَّةِ عِدَّةِ الْأَصْنَامِ وَمُنْكَرِ
 الْبَعْثِ ، بعد بيان دلائل القدرة
 الباهرة والوحدانية ، وخلق هذه
 النعم الوافرة التي يتقلب فيها
 العباد . أَيْ أَفَمَنْ يَخْلُقُ هَذِهِ
 الْمَخْلُوقَاتِ الْبَدِيعَةَ وَغَيْرَهَا كَمَنْ لَا
 يَخْلُقُ شَيْئًا ! فكيف تعبدون من لا
 يستحقُّ العبادة ، وتتركون عبادة
 مَنْ يَسْتَحِقُّهَا وَهُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ ؟ !
 ١٨ - ﴿لَا تُحْصَوْهَا﴾ لا تطبقوا
 حصرها لعدم تناهيها .

مشيئة تعالى . والجملة مبتدأ
 وخبر ، والجارُّ والمجرور متعلق
 بالخبر .

١٣ - ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي
 الْأَرْضِ﴾ معطوفٌ على «النُّجُومِ»
 أَيْ وَمَا خَلَقَ لِأَجْلِكُمْ فِي الْأَرْضِ
 مِنْ حَيَوَانَ وَنَبَاتٍ وَمَعَادِنَ ، حَالُ
 كَوْنِهِ ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ أَيْ
 أَصْنَافُهُ وَأَنْوَاعُهُ فِي الْخَلْقَةِ
 وَالْهَيْئَةِ ، وَالْخَوَاصِّ وَالْمَنَافِعِ .

١٤ - ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ
 الْبَحْرَ﴾ بيانُ نوعِ آخَرٍ مَا خَلَقَ
 لِلْإِنْتِفَاعِ بِهِ وَهُوَ الْبَحَارُ .
 ﴿تَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ﴾ مِنَ الْبَحْرِ الْمَلْحِ

النَّعْمَ عَلَى الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانَ
 ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ أَيْ وَمِنَ الْمَاءِ يَنْبُتُ
 شَجَرٌ وَهُوَ مَا تَرْعَاهُ الْمَاشِيَةُ . ﴿فِيهِ﴾
 تَسِيمُونَ ﴿أَيْ تَرْعُونَ دَوَابَّكُمْ﴾
 يقال : أَسَامَ فَلَانٌ إِبِلَهُ يُسِيمُهَا
 إِسَامَةً ، إِذَا أَخْرَجَهَا إِلَى
 الْمَرْعَى . وَسَامَتِ هِيَ تُسَوِّمُ
 سَوِّمًا : إِذَا رَعَتْ حَيْثُ شَاءَتْ .
 وَأَصْلُ السَّوْمِ : الْإِبْعَادُ فِي الْمَرْعَى .

١٢ - ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ
 وَالنَّهَارَ﴾ بيانُ لَأَنْوَاعٍ أُخْرَى
 سَمَاوِيَّةٍ وَأَرْضِيَّةٍ مِمَّا خَلَقَ لِنَفْعِ
 الْإِنْسَانِ . ﴿وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ
 بِأَمْرِه﴾ بِتَدْبِيرِهِ الْجَارِي عَلَى وَفْقِ

٢٣ - ﴿لَا جَرَمَ﴾ حق وثبت أن الله يعلم [آية ٢٢ هود ص ٢٨٩].

٢٤ - ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أباطيلهم وثرهائهم . جمع أسطورة ، كآعاجيب وأعجوبة [آية ٢٥ الأنعام ص ١٧٢].

٢٥ - ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ...﴾ آثام ضلالهم كاملة ، وحملوا معها آثام إضلالهم لأتباعهم ؛ فضعف لهم العذاب على الضلال والإضلال . ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أى من المضللين بما يستحقونه من العقاب الشديد على الإضلال ، بل يقدمون عليه جهلاً منهم بما يستحقونه منه .

٢٦ - ﴿الْقَوَاعِدِ﴾ الدعائم والعمد . أو الأساس .

٢٧ ، ٢٨ - ﴿تَشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾ تخاصمون المؤمنين في شأنهم ، وترغمون أنهم شركاء حقاً . ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ﴾ أى الذل والهوان يوم القيامة ﴿وَالسُّوءَ﴾ أى العذاب وأبدل منهم : ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أى توفتهم . وغير بالمضارع حكاية للحالة الماضية .

﴿فَالْقَوَا السَّلَمَ﴾ فاستسلموا لأمره تعالى وانقادوا حين رأوا عذاب الآخرة ، وجحدوا ما كان منهم في الدنيا من الشرك والعصيان ، وقالوا كاذبين : ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ وهو - كما قالوا - : (والله ربنا ما كنا مشركين) (١) . فرد الله

أو الذين أوتوا العلم عليهم بقولهم : (١) آية ٢٣ الأنعام .

يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٤﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَسْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢٥﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٦﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذِ أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٨﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوَّارٍ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٩﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنَّ اللَّهَ بَنَسَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَسْعُرُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ نَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَثْوًى الْمُنْكَرِينَ ﴿٣٣﴾

﴿بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تُجَدِّبِكُمْ نَفْعًا إِنكَارُكُمْ لَهُ ! تَعْمَلُونَ﴾ فيجاريكم عليه ؛ ولا ٢٩ - ﴿فَلَئْسَ مَثْوًى



* وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا
لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ
وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ
الْمُتَّقِينَ ﴿٣٢﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ
سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ هَلْ
يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ
كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٤﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا
وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ
وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٦﴾
وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
الطَّاغُوتَ فَهُمْ مِنْ هُدًى اللَّهِ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ
الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَقِبَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدًى لَكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ

دنس الشرك والمعاصي ﴿٣٨﴾ ادْخُلُوا
الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ هُوَ نَظِيرُ
قوله تعالى : (وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي
أُورِثُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (١).
أى بسبب أعمالكم الصالحة ،
وسببها عادة ، والسبب
الحقيقي فضل الله ورحمته بقبولها
وجعلها سبباً .

٣٣ - ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ
الْمَلَائِكَةُ﴾ [آية ٢١٠ البقرة
ص ٤٩ ، ١٥٨ الأنعام
ص ١٩٧] . ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ
رَبِّكَ﴾ أى القيامة التى فيها
عذابهم . أو العذاب المستأصل
لهم فى الدنيا .

٣٤ - ﴿حَاقَ بِهِمْ﴾ أحاط .
أوزل بهم .

٣٥ - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾
هو كقوله تعالى : ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ
أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا
وَلَا آبَاؤُنَا﴾ [آية ١٤٨ الأنعام
ص ١٩٤] .

٣٦ - ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾
[آية ٢٥٦ البقرة ص ٦١ ، ٦٢ ،
٥١ النساء ص ١١٨] . ﴿حَقَّتْ
عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ وجبت عليه
بالقضاء السابق حتى مات مُضِرّاً
على الكفر .

٣٧ - ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى
هُدَاهُمْ﴾ أى إن تطلب بجهنك
هُدَاهُمْ لم تقدر عليه ، فإن الله
لا يهتدى من يخلق فيه الضلالة
بسوء اختياره : وفساد
استعداده . يقال : حرص عليه -
كضرب وسمع - إذا اجتهد .

الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٣٨﴾ أى فليفسد مقام
المتعاطمين عن الإيمان بالله :
جهنم .
٣١ - ﴿حَسَنَةٌ﴾ أى مثوبة حسنة
جزاء إحسانهم .
٣٢ - ﴿طَيِّبِينَ﴾ طاهرين من

والاسم الحِصص بالكسر .

٣٨ - ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أَكْذَبُوا الْإِيمَانَ وَشَدَّدُوا بِأَقْصَى وَسْعِهِمْ [آية ٥٣ المائدة ص ١٥٣] .

٤٠ - ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ﴾ أى إنما إيجادنا لشيء عند تعلق مشيئتنا به أن نوجده في أسرع ما يكون [آية ١١٧ البقرة ص ٢٩] . والآية لتقرير إمكان البعث . وقيل : لبيان كيفية التكوين مطلقاً ، ومنه التكوين في الإعادة .

٤١ - ﴿هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾ أى في سبيل الله ابتغاء مرضاته وإعلاء لکلمته . ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ لَنُثَرِّلَهُمْ فِي الدُّنْيَا دَارًا حَسَنَةً وَهِيَ الْمَدِينَةُ [آية ٧٤ الأعراف ص ٢١١] .

٤٤ - ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ أى أرسلناهم بالمعجزات للدلالة على صدقهم ، وبالكُتُب لبيان الشرائع والتكاليف . يقال : زَبُرْتُ الْكِتَابَ - من باب نَصَرَ وَضَرَبَ - . أى كَتَبْتَهُ كِتَابَةً عَظِيمَةً . وَالزُّبُرُ : جَمْعُ زَبُورٍ بمعنى مَزُودٍ ، وَهُوَ الْكِتَابُ . ﴿لَنُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ﴾ من الأحكام والشرائع وأحوال القرون الماضية . وَأَسْرَارِ الْقُرْآنِ وَعِلُومِهِ - بَيَانًا شَافِيًا وَاقِيًا ؛ فَكَانَتِ السُّنَنُ مَفْسَّرَةً لِلْقُرْآنِ .

٤٥ - ٤٧ - ﴿أَن يَخْشِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ يُهْلِكُهُم بِالْخَشْفِ وَهُوَ التَّغْيِيبُ فِي الْأَرْضِ .

لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جُرْأَلِيَّةَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَعَلُوا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِنُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُيبِهِمْ فَاهُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ

أَوْ تَغْيِيبُ الْأَرْضِ بِهِمْ . يقال : أَي يَصِيْبُهُمُ الْعَذَابُ فِي خَشْفَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ خَسْفًا : أَصْفَارُهُمْ . وَالْأَخْذُ فِي الْأَصْلِ : غِيْبُهُ فِيهَا . وَخَشَفَ هُوَ فِي الْأَرْضِ وَخَشَفَ : الْقَهْرُ وَالْإِهْلَاكُ .



يَتَفَقَّهُوا ظِلَّهُ، عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ
ذَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾
يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾
* وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ
فَلْيَنبِئْ فَارِهُوْنَ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا يَكُم مِّنْ
نِّعْمَةٍ فَرِحْتُمْ بِهَا إِذَا فَتِنَاكُمْ أَفْئُتُونَ ﴿٥٣﴾
ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ
يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَيَمْتَنُوا فَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا

بالهمزة ، كإفشاء الله ،
وبالتضعيف نحو قِيَا الله الظِّلَّ
فتفقيًا . فتفقي الظلال : رجوعها
بعد انتصاف النهار ، فلا يكون
إلا بالعشي . والظل يكون
بالغداة . وقيل مطلقًا ﴿سُجَّدًا
لِلَّهِ﴾ متفاداة لحكمه وتسخير
تعالى . ﴿وَهُمْ ذَاخِرُونَ﴾ أى
وهذه الأشياء ذوات الظلال أدلاء
متفادون لحكمه تعالى . يقال :
ذَخِرَ يَذْخِرُ ذَخْرًا ، وَذَخِرَ يَذْخِرُ
ذَخْرًا : صَغُرَ وَذَلَّ . وَأَذْخَرَهُ
فَذَخَر : أَذَلَّهُ فَذَلَّ وَجُمِعَتْ جَمْعُ
العُقلاء لوصفها بصفتهن ، وهى
الانقياد والطاعة .

٤٩ - ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ﴾ سجود
المؤمنين والملائكة لله تعالى سجود
طاعة وعبادة . وسجود غيرهم
سجود خضوع وتسخير ، بمعنى
أنها لا تستطيع أن تستعصى على
ما يريد منها .

٥١ - ﴿فَارِهُوْنَ﴾ أى إن ربهم

شيئًا فإياي أربها . أى خافوا ،

من الرهبة وهى خوفٌ معه تحرُّرٌ .

٥٢ - ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾ وله

العبادة أو الطاعة والانقياد دائمًا .

أو واجبًا لازمًا . يقال : وَصَبَ

الشئُ يَصُبُّ وَصْبًا . دَامَ

وَثَبَتْ : كَأَوْصَبَ . وَوَصَبَ عَلَى

الأمْرِ : وَاطْبَ عَلَيْهِ . وَوَصَبَ

الدِّينُ : وَجِبَ . وَ(وَاصِبًا) حَالٌ

مِنَ الضَّمِيرِ فِي (لَهُ) .

٥٣ - ﴿فَالْيَهُ تَجَارُونَ﴾ ترفعون

أصواتكم بالتضرُّع فى كشفه .

يقال : جَارِي جَارًا وَجَوَارًا .

والتقلُّبُ : الحركة إقبالاً

وإدباراً ، والمراد الأسفار .

والأشجار ونحوها . تتقلَّب ظلالها

وترجع من جانب إلى جانب ،

فتكون أوَّل النهار على حال ،

وآخره على حال . أو تكون قبل

الزوال على حال ، وأثناءه على

حال ، وبعده على حال . متفاداة

فى كل ذلك لله ، جارية على

ما أَرَادَهُ لها من امتدادٍ وتقلُّصٍ ،

غير ممتنعة عليه سبحانه فيها سخرها

له ، وهو المراد بسجودها .

والتَفَقُّهُ : تَفَعَّلَ ، من فاء يَفْعُ

إذا رَجَعَ . وفاء لازمٌ ويُعَدَّى

والمعادى إقبالاً

وإدباراً ، والمراد الأسفار .

﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ فائتين من عذاب

الله بالهرب . ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى

تَخَوُّفٍ﴾ على مخافةٍ وحذرٍ من

أَنْ يَهْلِكُوا كَمَنْ هَلَكَ قَبْلَهُمْ .

أو مِنْ الهلاك لظهور أماراته .

أو على تَنَقُّصٍ شيئًا فشيئًا فى

الأموال والأنفس والثمرات حتى

يُهْلِكُهُمْ جَمِيعًا . يقال : تَخَوَّفَتْهُ

إذا تَنَقَّصَتْهُ .

٤٨ - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا...﴾ أى أَعْمُوا

ولم يروا ما خلق الله من الأشياء

رفع صوته بالدعاء وتضرع واستغاث. وأصله صباح الوحش.

٥٦ - ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لآلهتهم التي ليس من شأنها العلم ؛ لكونها جادات لا تحس ولا تشعر ﴿تَفْتَرُونَ﴾ تكذبونه على الله .

٥٨ - ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مملوء غيظًا وغما [آية ١٣٤ آل عمران ص ٩٥ ، ٨٤ يوسف ص ٣١٤].

٥٩ - ﴿يَتَوَارَى﴾ يستخفي ويتغيب ﴿عَلَى هُونٍ﴾ على هوانٍ وذُلٍّ . ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ يُخْفِيهِ فِيهِ . والمراد : أنه يتده ويدفنه حيا حتى يموت . أو يهلكه مطلقا ؛ وكانوا يفعلون ببناتهم ذلك . من الدُس . وهو إخفاء الشيء في الشيء ؛ وبأبه رد .

٦٠ - ﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾ أي صفة السَّوْءِ التي هي كالمثل في القبح والسَّوْءِ . وهي كراهة الإناث ووأدهن خشية الإملاق أو العار [آية ٩٨ التوبة ص ٢٦٤].

٦٢ - ﴿لَا جَرَمَ﴾ أي حق وثبت ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ [آية ٢٢ هود ص ٢٨٩]. ﴿وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ مقدّمون يُعَجَّلُ بهم إلى النار . يقال : أفرطته إلى كذا ، وهو مُعَدَّى بالهمزة ؛ من فرط إلى كذا تقدّم إليه . أو منسيئون متركبون في النار أبداً ؛ من أفرط فلانا خلفي : تركته ونسيته .

٦٦ - ﴿لَعِبْرَةٍ﴾ لَعِظَةٌ ؛ مِنْ

رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لِنَسْلَنَ عَنْكُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ

لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ

هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يَوَازِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَآيَةٍ وَلَكِنْ يَنْزِعُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَفْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾

وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾

تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَرِيقٌ لَّهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فُھُو وَلِيَهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنْ لَكَ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّتُفَكِّرَ

بِمَا فِي بَطُونِهِ ۚ مِنْ بَيْنِ فَرِثٍ وَدِمْرٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَخْجَدُونَ

متساوية الأضلاع لا خلل فيها ولا تفاوت ، وفي غدوها لاقتطاف الأزهار والثمار ، ورواحها إلى خلياتها من مسافات بعيدة دون أن تخطئها ، وفي تنصيب أمة النحل في الخلايا ملكة عليها نافذة الحكم والسلطان ، وإقامة حاجب على كل خلية يحرسها ولا يمكن غير أهلها من الدخول فيها ، مع صغر حجم النحلة وضعف بنيتها ، ودأبها على العمل بنظام دقيق - أدلة متضافرة على كمال قدرة مبدعها ، وبداعة صنع ملهمها . وكم في هذه المخلوقات الصغيرة من عجائب ودلائل كالتلجمل والعنكبوت والذباب : (إِنَّ الَّذِينَ يُدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ . مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) (١)

٦٩ - ﴿سُبُلَ رَبِّكَ ذُلُلًا﴾ مُدَلَّلَةً ، ذُلُلًا الله تعالى وسهلاً لك . جَمْعُ ذُلُولٍ ، وهو حال من (سُبُلَ) أي الطرق التي هداها إليها وهي راجعة إلى خلاياها وبيوتها . ﴿شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ﴾ تبعاً لاختلاف سن النحل صغراً وكبراً ، واختلاف المرحى . ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ أي في العسل شفاء للمرضى الذين يتجمع العسل في أمراضهم ، وذلك من نعمه تعالى ؛ إذ خلق الداء

مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٧٠﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٧١﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الشَّعَرَةِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٧٢﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ

وإخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب ، ذكر في هذه الآية إخراج العسل - وهو شفاء للناس - من طائر ضعيف وهو النحل . ﴿بُيُوتًا﴾ أوكاراً تبنيها لتعسل فيها . ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ أي يتنصتون للنحل من الخلايا . يقال : عَرَّشَ يَعْرِشُ وَيَعْرِشُ ، أي بنى عريشاً ، كأعرش وعَرَّشَ ، من العرش وهو سقف البيت . ومنه عرشت الكرم وعرشته ، إذا جعلت له كهنة السقف لرفعه عن الأرض . والمراد : أنه تعالى ألهم النحل أن تتخذ بيوتاً من الشمع الذي تجمّع فيه العسل شيئاً فشيئاً ، في كهوف الجبال وفي متجوف الأشجار ، وفي الخلايا التي يبننها الناس لذلك . ولولا هذا الإلهام لم تأو إلى هذه الأماكن ولم تجمّع فيها العسل . وفي بنائها هذه البيوت الدقيقة المحكمة البديعة ؛ من مسدسات

العبور [آية ١٣ آل عمران ص ٧٤] . ﴿مِنْ بَيْنِ قَرْثٍ﴾ هو الأشياء المأكولة المنهضة بعض الانهزام في الكرش ؛ فإذا خرجت من الكرش سُبَيْتَ رَوْثًا . ٦٧ - ﴿وَمِنَ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾ أي ومن ثمراتها ثمر ﴿تَتَخَذُونَ مِنْهُ سَكْرًا﴾ أي خمراً ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ وهو نحو الزبيب والنمر والدبس والخل . والسكر كالسكر : مصدر سُمِيَ به الخمر . وقد كانت حين الامتنان بها حلالاً ؛ إذ السورة مكية ، والتحريم في سورة المائدة وهي آخر السور نزولاً بالمدينة [آية ٩٠ ص ١٦٠] . وفي الآية إشارة إلى عدم حسنها ؛ لمقابلتها بالرزق الحسن . ٦٨ - ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ لما ذكر الله تعالى من دلائل قدرته وبديع صناعته إخراج اللبن من بين قَرْثٍ ودم ،

والدواء ، وسنّ التداوى لعباده .
٧٠ - ﴿أَرْذَلِ الْعُمَرُ﴾ أحسنه وأحقه . وهو وقت الهرم الذى تنقص فيه القوى وتضعف . ويكون حال الإنسان فيه كحالته وقت الطفولة . من ضعف العقل والقوة ؛ وهو كقوله تعالى : (وَمَنْ نَعْمَرُهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ) ^(١) وليس لذلك سنٌ معينة على الصحيح .

٧١ - ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ﴾ مَثَلٌ ضربه الله للذين جعلوا له شركاء . فقال لهم : إنكم لا ترضون أن تُسووا بينكم وبين ممالككم فيما أنعمت به عليكم من الأرزاق ؛ ولا أن تجعلوهم فيه شركاء ؛ فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدى شركاء لى فى ملكى وسلطانى !

٧٢ - ﴿وَحَفَدَةً﴾ أى أولاد أولاد . أو أعوانا وخدما ؛ يحفدون فى مصالحكم ويعينونكم . يقال : حَفَدٌ يَحْفِدُ حَفْدًا وحفودًا . إذا أسرع فى الخدمة والطاعة ؛ ومنه : (وإليك نسعى وتحفد) أى نسرع إلى طاعتك .

٧٤ - ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ جمعٌ مثل - بالسكون - . أى فلا تجعلوا له أمثالا وأكفاء ؛ فهو كقوله تعالى : (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا) ^(٢) . أو جمعٌ مَثَل - بالتحريك - . أى فلا تشبهوه بخلقه ولا تُشركوا به أحدًا .

٧٥ - ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ أى

وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمَرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِالنِّعْمَةِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّْا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ

مَثَلَكُمْ فى إشراككم بالله الأوثان . كمثال من سوى بين عبد مملوك عاجز عن الثرف فى أى شىء . وبين حر كريم قد رزقه الله مالا طيبا كثيرا فهو يتصرف فيه كما يشاء . فهل يستوى العبد والحر الموصوفان بهذه الصفات . مع أنهما مشتركان فى البشرية والخلقية لله تعالى ؟! وأن ما ينفقه الحر لا دخل له فى إيجاده ولا تملكه

وإنما أعطاه الله إياه ؛ فإذا لم يستويا مع ذلك فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون معه الأصنام ؟! والأول مَثَلٌ لِلصَّم . والثانى مَثَلٌ لله العلى الأعلى .
٧٦ - ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾ أى ومَثَلٌ هؤلاء فى إشراكهم بالله هذه الأوثان - مَثَلٌ من سوى بين رجلين : أحدهما



غيره . أو ثَقِيلٌ لا خَيْرَ فيه ،
وجمعه كُلُّول .

٧٧ - ﴿كَلِمَاتٍ الْبَصَرِ﴾ أى
وما شَأْنُ السَّاعَةِ فِي سُرْعَةِ مَجِيئِهَا
إِلَّا كَفَتْحِ الْعَيْنِ . يقال : لَمَحْتُ
الشَّيْءَ أَلَمَحَهُ لَمَحًا ، نَظَرْتُ إِلَيْهِ
بِاخْتِلَاسِ الْبَصَرِ . وَلَمَحَهُ لَمَحًا
وَلَمَحَانًا : إِذَا نَظَرَهُ بِسُرْعَةٍ ،
أَوْ كَرَجَعَ الطَّرْفَ مِنْ أَعْلَى الْحَدَقَةِ
إِلَى أَسْفَلِهَا . ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ أى
بل هُوَ أَقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ وَأَسْرَعُ .
والمقصودُ : تَمْثِيلُ سُرْعَةِ الْمَجِيءِ
عَلَى وَجْهِ الْمُبَالَغَةِ .

٧٨ - ﴿وَالْأَفْنَدَةِ﴾ جمعُ فَوَادٍ ،
وهو وَسَطُ الْقَلْبِ . والفَوَادُ مِنْ
الْقَلْبِ كَالْقَلْبِ مِنَ الصَّدْرِ .

٨٠ - ﴿تَسْتَحْفُونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ
وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ تَجِدُونَهَا خَفِيفَةً
الْحَمْلَ وَقَتَ سَفَرِكُمْ ، وَقَتَ
نَزُولِكُمْ وَإِقَامَتِكُمْ فِي مَسِيرِكُمْ .
يُقَالُ ظَعْنٌ يَظْعُنُ ظَعْنًا وَظَعْنًا ،
سَارَ ﴿وَمِنْ أَصَوَافِهَا﴾ أى
وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَصَوَافِهَا
﴿وَأَوْبَارَهَا وَأَشْعَارَهَا أَثَانًا﴾ مَتَاعًا
كَثِيرًا لِبَيْوتِكُمْ مِنَ الْفُرَشِ
وَالْأَكْسِيَةِ وَنَحْوِهَا ، مِنْ أَثْنِ
يَثْنٍ - مَثَلَةُ الْهَمْزَةِ - أَثَانَةً وَأَثَانًا ،

إِذَا كَثُرَ وَتَكَاثَفَ . ﴿وَمَتَاعًا﴾
وَشَيْئًا تَتَنَفَّعُونَ بِهِ فِي الْمَتَجَرِّ
وَالْمَعَاشِ [آيَةُ ٣٦ الْبَقَرَةِ
ص ١٣] . وَقِيلَ : الْأَثَانُ
وَالْمَتَاعُ شَيْءٌ وَاحِدٌ ، وَجُمِعَ بَيْنَهُمَا
لِاخْتِلَافِ لَفْظِهِمَا .

٨١ - ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ

أَحَدُهُمَا أَكْبَرَ لَا يَقْدَرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كُلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا
يُوجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٧٦ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٧٧ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ
أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ
وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٧٨ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ
مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنْ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٧٩ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ
سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا
يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا
وَأَشْعَارِهَا أَثْنًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ٨٠ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ
مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ
لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْبَأْسَ كَذَلِكَ
يُنِمْ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ٨١ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا

أَخْرَسُ أَصَمٌّ لَا يَفْهَمُ وَلَا يُفْهَمُ ،
وَلَا يَقْدَرُ عَلَى شَيْءٍ ، وَهُوَ عِيَالٌ
عَلَى مَنْ يَلِي أَمْرَهُ وَيَعُولُهُ ، حِينًا
يُرْسَلُهُ لِأَمْرٍ لَا يَأْتِي بِشَيْءٍ وَلَا يَكْفِي
لَهُمْ . وَالْآخِرُ مُنْطَبِقٌ فَعَهُمْ
ذَوْرُشْدٌ وَرَأْيٌ ، يَكْنَى النَّاسُ فِي
مَهْمَاتِهِمْ وَيَنْفَعُهُمْ ، يَحْتَمُّ عَلَى
الْعَدْلِ ، وَهُوَ فِي نَفْسِهِ عَلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ وَسِيرَةٍ صَالِحَةٍ ،
وَلَا يَتَوَجَّهُ لَغَرَضٍ إِلَّا وَيَبْلُغُهُ بِأَقْرَبِ
سَعْيٍ . ﴿أَبْكُمُ﴾ أى وُلْدُ
أَخْرَسٍ . ﴿كُلُّ﴾ ثَقُلُ وَعِيَالٌ عَلَى

ظِلَالًا ﴿٨٤﴾ أَي مَا تَسْتَظِلُّونَ بِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ . مِنَ الْغَامِ وَالْجِبَالِ وَالْأَشْجَارِ وَنَحْوِهَا . ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَأًا﴾ أَمَا كُنْ تَسْكُنُونَ فِيهَا ، وَهِيَ الْكَهَوفُ وَالْغَيْرَانُ وَالْأَسْرَابُ . أَوْ حَصُونًا وَمَعَاقِلَ تَسْتَرُونَ فِيهَا . جَمْعُ كِنٍ وَهُوَ وَقَاءُ كُلِّ شَيْءٍ وَسِتْرُهُ . يُقَالُ : كُنْهُ وَكُنْتُهُ ، سَتَرَهُ . وَيُجْمَعُ أَيْضًا عَلَى أَكْنَةٍ . ﴿سَرَايِلَ﴾ قَمِيصًا وَثِيَابًا مِنَ الْقُطْنِ وَالصُّوفِ وَالْكُتَّانِ وَنَحْوِ ذَلِكَ . ﴿تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ أَيِ الْبَرْدِ ؛ فَفِيهِ اكْتِفَاءٌ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ . وَخَصَّ الْحَرَّ بِالذِّكْرِ لِأَهَمِّيَّتِهِ عِنْدَهُمْ ؛ إِذْ هُوَ أَكْثَرُ نَكَابَةٍ مِنَ الْبَرْدِ . ﴿وَسَرَايِلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ﴾ أَيِ فِي حَرِّكُمْ . وَهِيَ الدَّرُوعُ وَنَحْوُهَا . وَالْبَأْسُ : شِدَّةُ الْحَرْبِ .

٨٤ - ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ الْاِسْتِعْتَابُ : طَلْبُكَ إِلَى الْمَسْأَلَةِ الرَّجُوعَ عَنْ إِسَاءَتِهِ . وَالْعُتْبَى : رَجُوعُهُ عَنْهَا إِلَى مَا يُرْضِيكَ . وَأَصْلُ الْكَلِمَةِ مِنَ الْعُتْبِ ، وَهُوَ لَوْمُكَ صَاحِبَكَ عَلَى إِسَاءَةٍ كَانَتْ مِنْهُ إِلَيْكَ ؛ فَإِذَا ذَكَرَ كُلَّ مِنْهَا صَاحِبَهُ بِمَا قَرِطَ مِنْهُ كَانَ عِتَابًا وَمُعَانَبَةً . أَيِ لَا يُطْلَبُ مِنْهُمْ الْعُتْبَى . أَيِ الرَّجُوعَ عَمَّا أَغْضَبَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْهُمْ إِلَى مَا يُرْضِيهِ ؛ إِذِ الدَّارُ الْآخِرَةُ دَارُ جَزَاءٍ لَا دَارَ عَمَلٍ وَتَكْلِيفٍ .

٨٥ - ﴿يُنْظَرُونَ﴾ يَمْهَلُونَ وَيُؤَخَّرُونَ .

٨٦ - ﴿فَالْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾ أَيِ

عَلَيْكَ الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿٨٧﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٩﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ قَالِقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩١﴾ وَالْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٩٢﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٩٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بُيِّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٤﴾ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ

قال الذين اتخذهم الكفار شركاء لله وعبدوهم من دونه ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فِي زَعْمِكُمْ أَنَا شُرَكَاءُ اللَّهِ . مَبْطُلُونَ فِي عِبَادَتِكُمْ إِنَّا نَا مِنْ دُونِهِ .

٨٧ - ﴿وَالْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ﴾ أَيِ الْاِسْتِسْلَامَ وَالْاِنْقِيَادَ لِحُكْمِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ . بَعْدَ أَنْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا مُتَكَبِّرِينَ عَنْ حُكْمِهِ تَعَالَى . وَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ أَلْهَمُهُمْ شَيْئًا .

٨٨ - ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا ..﴾ فَلَهُمْ عَذَابَانِ : عَذَابٌ عَلَى الْكُفْرِ . وَعَذَابٌ عَلَى الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ .

٩٠ - ﴿يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ الْعَدْلُ : كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ لِمَعْنَى الْمُسَاوَاةِ وَالْاِسْتِقَامَةِ وَالتَّوَسُّطِ . شَامِلَةٌ لِلْعَدْلِ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ ، بَيْنَا رَحْمَةً تَعَالَى عَلَى حِظِّ نَفْسِهِ .



﴿وَالْإِحْسَانُ﴾ يَطْلُقُ الْإِحْسَانُ عَلَى إِتْقَانِ الْعَمَلِ وَإِكْمَالِهِ ، وَعَلَى إِصْلَاحِ النَّفْسِ إِلَى الْخَلْقِ . وَهُوَ مَقْدَرٌ أَحْسَنُ يُحَسِّنُ إِحْسَانًا ، فَيَقَالُ : أَحْسَنْتَ كَذَا ، أَيْ أَتَقْتَهُ وَأَكْمَلْتَهُ . وَأَحْسَنْتَ إِلَى فُلَانٍ : أَيْ أَوْصَلْتَ إِلَيْهِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ ، وَكَلَامُهَا مَأْمُورٌ بِهِ شَرْعًا . ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ أَيْ مَا عَظُمَ قُبْحُهُ مِنَ الذُّنُوبِ : قَوْلًا أَوْ فِعْلًا . ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ أَيْ مَا أَنْكَرَهُ الشَّرْعُ ، وَهُوَ يَعْصِي جَمِيعَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي . ﴿وَالْبَغْيِ﴾ أَيْ التَّطَاوُلَ عَلَى النَّاسِ بِالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ .

٩١ - ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ نَزَلَتْ فِي الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَالْمَوَاقِيقِ ، وَالْحَفَظَةِ عَلَى الْأَيْمَانِ الْمُؤَكَّدَةِ لَهَا ، وَمِنْهَا مَبَايِعَتُهُمُ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِسْلَامِ . وَتَوْكِيدُ الْيَمِينِ : تَوْثِيقُهَا . ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ أَيْ شَاهِدًا رَقِيبًا . أَوْضَامًا . وَالْجُمْلَةُ حَالٌ مِنْ فَاعِلٍ (تَنْقُضُوا) .

٩٢ - ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ﴾ مَثَلٌ ضَرَبَ لِنَاقِضِي الْعَهْدِ بَعْدَ تَوْثِيقِهَا . أَيْ وَلَا تَكُونُوا فِيمَا يُقَدِّمُونَ عَلَيْهِ مِنَ النِّقْضِ كَمَنْ أَخَذَ عَلَى غَرْهَا بَعْدَ إِحْكَامِهِ وَإِسْرَامِهِ فَنَقَضَتْهُ . ﴿قُوَّةٍ﴾ إِسْرَامٌ وَإِحْكَامٌ . ﴿أَنْكَاثًا﴾ حِمَاةٌ مِنْهَا جَمْعُ نَكَثٍ وَهُوَ مَا نَقَضَ لِيُغْزَلَ ثَابِتًا . وَفَعْلُهُ مِنْ بَابِ قَتَلَ . ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ أَيْ

بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِبْتَائِي ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩١﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَرْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَضِلُّ مِنْ بَشَرٍ وَيَهْدِي مِنْ بَشَرٍ وَلَتَسْلُطَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٥﴾ وَلَا تَسْتُرُوا عَهْدَ اللَّهِ أَنْكَاثًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ

اعتقادًا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك . وعملاً كالتعبد بأداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب . وخلقاً كالوجود المتوسط بين البخل والتبذير . وبالعدل الإلهي قامت السماوات والأرض . والعدل خاصة هذه الأمة : كما قال تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) ^(١) أَيْ عَدُولًا خَيْرًا .

وتقديم رضاه على هواه ، وامتنال أوامره واجتناب منيئاته وللعدل بين العبد ونفسه ، بمنعها مما فيه هلاكها وفسادها . وللعدل بين العبد والخلق ، بالإنصاف من نفسه ، وبإزالة النسيجة وترك الحيانة والإساءة إليهم ، والصبر على الأذى . ويتحقق العدل بالتوسط في كل الأمور . بين طرفي الإفراط والتفريط .

لا تكونوا متشبهين بامرأة هذا شأنها ، متخذين أيمانكم وسيلة للعذر والخيانة . أو للفساد بينكم . والدخُلُ : العيب ؛ واستعمل فيما يدخل الشيء وليس منه ، ثم كنى به عن العذر أو الفساد والعداوة المستبطنة . ﴿ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ ﴾ أى لأجل وجدانكم جماعة أخرى ﴿ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ ﴾ أكثر عدداً وأعز نفراً من التى عاهدتموها . وكانت قريش تفعل ذلك ؛ بل عليكم الوفاء بالعهد وإن قل من عاهدتموهم عن أولئك . و(أربى) : أزيد عدداً وأقوى . يقال : ربأ الشيء يربو ، إذا كثر ﴿ يَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ ﴾ يخبركم به هل توفون بعهدكم .

٩٤ - ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ تصریح بالتهى عن اتخاذ الأيمان دخلاً . بعد التهى الضمنى عنه فى الآية السابقة ، حيث وقع قيداً لقوله : (وَلَا تَكُونُوا) - مبالغة فى فُجَحِ المتهى عنه . وتمهيداً لقوله تعالى : ﴿ فَتَرَلَّ قَدَمٌ بَعْدَ كُفُوتِهَا ﴾ ورسوخها عن محجة الإسلام . وهو مثل يضرب لكل من وقع فى بلية ومحنة بعد عافية ونعمة .

٩٦ - ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ ﴾ أى ما عندكم من متاع الدنيا ونعيمها ينفضي ويفنى . يقال : نفد الشيء ينفد نفاداً ونفداً ونفوداً . ذهب وفنى ؛ ضد بقى . ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ فى الآخرة ﴿ بَاقٍ ﴾ لا يزول ولا يفنى .

اللَّهُ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنِىْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطٰنِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتِرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ زَلَّ

٩٧ - ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا .. ﴾ من عمل صالحاً .. ترغيب للمؤمنين فى الإتيان بكل ماكان من شرائع الإسلام . ﴿ حَيٰوةً طَيِّبَةً ﴾ فى الآخرة . أوفى القبر . أوفى الدنيا ؛ بالقناعة والرضا بما قسم الله له وقدره . وذلك شأن كامل الإيمان . ٩٨ - ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ .. ﴾ أى فإذا أردت قراءة القرآن فاسأل الله أن يعيذك من وساوس الشيطان ؛ حتى لا يصرف قلبك عن التأمل فيه ، ولا يلقى فيه الشبه والشكوك . ولا يزيّن لك الانصراف عنه . ٩٩ - ﴿ سُلْطٰنٌ ﴾ تسلط وولاية . ١٠٠ - ﴿ يَتَوَلَّوْنَهُ ﴾ يتخذونه ولياً مطاعاً . ١٠١ - ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً .. ﴾ رد لقول المشركين : إن محمداً يسحر بأصحابه ، يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غداً ، ما هو إلا مفتر يتقول من تلقاء نفسه . أى وإذا نسخنا آية بآية أخرى . ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ ﴾ أى بما هو أصلح لخلقهم . وبما يغيّر ويبدل من أحكامه ؛ فلعل ما يكون مصلحة فى وقت ؛ يصير مفسدة بعده فيُسَخِّه . وما لا يكون مصلحة حيثئذ ؛ يكون مصلحة الآن فيشبهه

بَدَلٍ إِلَى غَيْرِ بَدَلٍ .

١٠٢ - ﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾ جبريل عليه السلام [آية ٨٧ البقرة

ص ٢٢]

١٠٣ - ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ أى لغة الذى يُميلون قولهم عن الاستقامة إليه ؛

فَيُضِيفُونَ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَعْلَمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لغةً أَعْجَمِيَّةً غَيْرَ عَرَبِيَّةٍ . وهذا القرآن عَرَبِيٌّ

مُسَبِّحٌ . أعجزكم بفصاحته وبلاغته . وأنتم أهل اللسان

والبيان ؛ فكيف يقدر من هو أعجمي على مثله ! وأين فصاحة القرآن من عجمته ! والإلحاد :

المثيل . يقال : لَحَدَ وَالْحَدُ ، إذا مال عن القصد ؛ ومنه لَحَدُ الْقَبْرِ

لأنه حفرة مائلة عن وسطه ؛ والمُلْحِدُ لأنه أَمال مذهبه عن الأديان كلها . والأعجمي :

منسوب إلى الأعجم وهو الذى لا يُفصح في كلامه . سواء أكان من العرب أم من العجم ؛ زيدت

فيه باء التثنية تأكيداً .

١٠٦ - ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ﴾ مبتدأ خبره محذوف ؛ تقديره : فعليه

غضب من الله .

١٠٧ - ﴿اسْتَحْجُوا﴾ اختاروا وآثروا .

١٠٨ - ﴿طَبَعَ﴾ ختم .

١٠٩ - ﴿لَا جُزْمَ﴾ حق وثبت .

أولاً بحالته [آية ٢٢ هود ص ٢٨٩]

١١٠ - ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ

هَاجَرُوا﴾ أى إنه لهم لا عليهم ؛

رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لَبِثْتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَهَدَىٰ وَبَشَّرَ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ

إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ

وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ

اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي

الْكُذِّبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ

الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا

مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ

بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ

عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى

الْآخِرَةِ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَتْهُمُ وَأَبْصَرَتْهُمْ

وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جُزْمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ

هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا

مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنُوكُمْ جَاهِدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ

بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾ * يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ

مكانه . ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ على كل شيء قدير^(١) ويبيد حامل تخلفه من عندك ؛ قال تعالى : ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ

بمعنى أنه ناصرهم لا خاذلهم .
﴿فَتَنُوا﴾ عَذَّبُوا لِأَجْلِ أَنْ يَرْتَدُّوا
عن الإسلام ، مِنَ الْفِتَنِ [آية
١٠٢ البقرة ص ٢٥] .

١١٢ - ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
قَرْيَةً﴾ جعل الله قرية موصوفة
بهذه الصفات مثلاً لكل قوم أنعم
الله عليهم بهذه النعم فأبطرتهم .
وكفروا بالله فانتقم منهم . ويدخل
في هؤلاء دخولاً أولياً أهل مكة .
والمراد بالقرية : أهلها .

﴿آمِنَةً﴾ لا يُغَار عليهم
﴿مُطْمَئِنَّة﴾ قَارَةٌ بأهلها
لا يحتاجون للشجعة كما يحتاج سائر
العرب . ﴿رَغَدًا﴾ واسعاً .
﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ
وَالْخَوْفِ﴾ فأذاقها الله ما غشيها
من صنوف البلاء بسبب
صنيعهم ؛ وهكذا أهل مكة .

١١٥ - ﴿الدَّمَ﴾ المسفوح وهو
السائل . ﴿وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ﴾ أى
الخنزير بجميع أجزائه . ﴿وَمَا أَهْلُ
لَيْعٍ﴾ الله به .. ﴿[آية ١٧٣ البقرة
ص ٣٩ ، ٣ المائدة
ص ١٤٢] .﴾ اضطُرَّ دَعَتْ
الضرورة إلى تناول منه . ﴿غَيْرِ
بَاغٍ﴾ غير طالب للمحرّم للذة
أو استئثار . ﴿وَلَا عَادٍ﴾
ولا متجاوز ما يسد الرمق .

١١٩ - ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ
عَمِلُوا السُّوءَ﴾ بعد أن هدّد
المشركين على أنواع من قبائحهم
كإنكار البعث والنبوة ، وكون
القرآن من عند الله ، ونحرهم
ما أحلّ الله وتحليل ما حرّم الله -

تُجَدِّلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً
مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ
بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا
كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ
فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا
مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ
إِنْ كُنْتُمْ تُعْبُدُونَهُ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ
وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ
غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا
تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا
عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَنَعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾
وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ
وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ
إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ
ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى

بَيْنَ أَنْ كُلَّ ذَلِكَ لَا يَمْنَعُ مِنْ قَبُولِ تَوْبَتِهِمْ. وَغُفْرَانِ ذُنُوبِهِمْ إِذَا تَابُوا وَأَضَلُّوْهُ. ﴿يَجْهَلُونَ﴾ جَاهِلِينَ بِاللَّهِ وَبِعِقَابِهِ. أَوْ غَيْرِ مُتَدَبِّرِينَ فِي الْعَوَاقِبِ لَغَلْبَةِ الشَّهَوَاتِ عَلَيْهِمْ.

١٢٠ ، ١٢١ - ﴿كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ أى كَانَ أُمَّةً وَخَلَدَهُ ؛ إِذَا كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ مَا كَانَ عِنْدَ أُمَّةٍ بِأَسْرَاهَا. أَوْ كَانَ مُنْفَرِّدًا بِالْإِيمَانِ فِي وَقْتِهِ مَدَّةً مَا ، وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ كُفَّارٌ. ﴿قَانِتًا﴾ مُطِيعًا لِلَّهِ خَاضِعًا لَهُ ؛ مِنْ الْقَنُوتِ وَهُوَ الطَّاعَةُ مَعَ الْخُضُوعِ. ﴿حَنِيفًا﴾ مَائِلًا عَنِ الْأَدْيَانِ الْبَاطِلَةِ إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ. ﴿اجْتَنَبَهُ﴾ اجْتَنَبَهُ وَاصْطَفَاهُ لِلنَّبِئَةِ [١٧٩ آل عمران ص ١٠٢].

١٢٣ - ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ شَرِيعَتَهُ وَهِيَ التَّوْحِيدُ ، وَهِيَ الْإِسْلَامُ الْحَنِيفُ الْمَعْبُورُ عَنْهَ آتِفًا بِالصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

١٢٧ - ﴿فِي ضَيْقٍ﴾ أى فِي ضَيْقٍ صَدْرٍ وَخَرَجٍ. قُرِئَ بِفَتْحِ الضَّادِ وَكَسْرِهَا ، وَهِيَ لَفْظَانِ فِي الْمَصْدَرِ. يُقَالُ : ضَاقَ الشَّيْءُ يَضِيقُ ضَيْقًا وَضَيْقًا ، خِلَافًا اتَّسَعَ ؛ فَهُوَ ضَيْقٌ. وَضَاقَ صَدْرُهُ : خَرَجَ ؛ فَهُوَ ضَيْقٌ أَيْضًا ، وَالْأَسْمُ الضَّيْقُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

سُورَةُ الْإِسْرَاءِ

١ - ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى﴾ اسْمٌ مُصَدَّرٌ (سَجَّ) ، مَنْصُوبٌ بِفِعْلِ مُضَمَّرٍ تَقْدِيرُهُ : سُبِّحْتَ اللَّهُ

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

(١٧) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ مَكِّيَّةٌ

إِلَّا الْآيَاتِ ٢٦ وَ ٣٢ وَ ٣٢ وَ ٥٧ وَمِزَانِيَّةٌ ٧٣ إِلَى غَايَةِ آيَةِ ٨٠ مِزْنِيَّةٌ وَأَوَّلُهَا ١١١ نَزَلَتْ بَعْدَ الْقَصَصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ



وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي
وَكِيلاً ﴿١﴾ ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا
شَكُورًا ﴿٢﴾ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ
لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقَ كَبِيرًا ﴿٣﴾
فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ
شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٤﴾

سُبْحَانًا أَيْ تَسْبِيحًا ، بمعنى تَرْهَتْه
تَرْيَهَا ، وباعده تَبْعِيدًا مِنْ كُلِّ
سُوء . وفيه معنى التَعَجُّب مِنْ بَاهِر
قُدْرَتِهِ فِي إِسْرَائِهِ بِعَبْدِهِ .
وَالْإِسْرَاءُ . السَّيْرُ بِاللَّيْلِ خَاصَّةً ،
مَصْدَرُ أُسْرَيْتَ . ﴿بِعَبْدِهِ﴾ أَيْ
بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
﴿لَيْلًا﴾ أَيْ فِي جِزءٍ قَلِيلٍ مِنَ
اللَّيْلِ . وَفَائِدَةُ ذِكْرِهِ مَعَ أَنَّ
الْإِسْرَاءَ لَا يَكُونُ إِلَّا لَيْلًا :
الْإِشَارَةُ بِتَكْوِينِهِ إِلَى تَقْلِيلِ مَدَّةِ
السَّيْرِ . وَكَانَ الْإِسْرَاءُ بِقِطْعَةٍ بِالْجَسَدِ
وَالرُّوحِ . ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ فِي السَّنَةِ
الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ مِنَ الْبَعْثَةِ فِي قَوْلِ .
وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ كَانَ فِي لَيْلَةِ السَّابِعِ
وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ . وَغُرِجَ
بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ
إِلَى السَّمَاءِ ، وَفِيهَا فُرِضَتْ
الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ . وَكَانَ عُرُوجُهُ
بِالْجَسَدِ وَالرُّوحِ أَيْضًا ، وَذَلِكَ مِنَ
الْمُعْجَزَاتِ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ . ﴿لِئْرِيَّةٍ..﴾ لِنَرْفَعَهُ إِلَى
السَّمَاءِ فَتَرِيهِ ..

٢- ﴿وَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ..﴾
فَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسْرِيَ
بِهِ ، وَكَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ
حِينَ غُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَأُعْطِيَ
الْقُرْآنَ الَّذِي يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ .
وَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سَارَ إِلَى
الطُّورِ ، وَنَاجَاهُ اللَّهُ ، وَأَعْطَاهُ
التَّوْرَةَ وَهِيَ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ .
﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً﴾
أَيْ لَتَلَّا تَتَّخِذُوا رَبًّا غَيْرِي تَكُونُ
إِلَيْهِ أُمُورُكُمْ وَتُفَوِّضُونَهَا إِلَيْهِ .

وَالْمُرَادُ : التَّنْهِي عَنْ الْإِشْرَافِ بِاللَّهِ
تَعَالَى .
٣- ﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ
نُوحٍ﴾ مِّنْصُوبٌ عَلَى
الْإِخْتِصَاصِ . وَالْمُرَادُ : حَمَلُهُمْ
عَلَى التَّوْحِيدِ بِذِكْرِ إِنْعَامِهِ عَلَيْهِمْ فِي
ضَمَنِ إِنْعَامِهِ عَلَى آبَائِهِمْ مِنْ قَبْلُ ؛
حِينَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ وَكِيلٌ سِوَاهُ تَعَالَى .
﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ أَيْ إِنْ
نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ عَبْدًا كَثِيرَ
الشُّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى نِعَمِهِ ؛ مِنْ
الشُّكْرِ . وَأَصْلُهُ الْإِمْتِلَاءُ .
يُقَالُ : عَيْنٌ شَكْرَى . أَيْ
مَمْلُوءَةٌ . ثُمَّ اسْتَعْبِرَ لِلْإِمْتِلَاءِ مِنْ ذِكْرِ
الْمَنْعَمِ بِالنِّثَاءِ وَإِظْهَارِ نِعَمِهِ .
٤- ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي
إِسْرَائِيلَ..﴾ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ ؛
بِمَعْنَى أَعْلَمْنَاهُمْ وَأَخْبَرْنَاهُمْ فِي
التَّوْرَةِ بِمَا سَيَقَعُ مِنْهُمْ مِنَ الْفَسَادِ
مَرَّتَيْنِ فِي أَرْضِ الشَّامِ . قِيلَ :
الْأُولَى - تَغْيِيرُ التَّوْرَةِ وَعَدَمُ الْعَمَلِ
بِهَا - وَحَبْسُ إِرْمِيَاءَ وَجَرْحُهُ ؛ إِذْ

بَشَّرَهُمُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ . وَالْآخَرَى - قَتْلُ زَكَرِيَّا
وَيَحْيَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ . وَقَالَ
الْجَبَّارِيُّ : إِنَّهُ تَعَالَى لَمْ يُبَيِّنْ ذَلِكَ
فَلَا يَقْطَعُ فِيهِ بَحْرٌ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى :
﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ جَوَابُ قَسَمِ
مُحَذَّوفٍ . ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقَ كَبِيرًا﴾
أَيْ لَتَتَكَبَّرَنَّ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ .
أُولَتُغْلِبَنَّ النَّاسَ بِالظُّلْمِ
وَالْعُدْوَانِ . وَتُفَرِّطَنَّ فِي ذَلِكَ
إِفْرَاطًا مُّجَاوِزًا لِلْحَدِّ .
٥- ﴿وَعَدُ أُولَاهُمَا﴾ الْعِقَابُ
الْمَوْعُودُ عَلَى أَوَّلَاهُمَا . ﴿أُولَى
بَأْسٍ﴾ ذَوِي قُوَّةٍ وَبَطْشٍ فِي
الْحُرُوبِ . وَالْبَأْسُ : الشَّدَّةُ
وَالْمُكْرَهُ . ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ
الدِّيَارِ﴾ تَوَسَّطُوهَا وَتَرَدَّدُوا بَيْنَهَا .
ذَاهِبِينَ وَجَائِثِينَ لِقَتْلِكُمْ ؛ مِنْ
الْجَوَسِ وَهُوَ طَلَبُ الشَّيْءِ
بِاسْتِقْصَاءٍ ، وَالتَّرَدُّدُ خِلَالَ الدُّوَرِ
وَالْبَيُوتِ فِي الْغَارَةِ وَالطُّوفُ فِيهَا .
يُقَالُ : جَاسَ يَجُوسُ جَوَسًا

وليدخلوا بيت المقدس بالسيف
والقهر والإذلال ﴿وَلْيُسَبِّرُوا
مَا عَلَوْا﴾ ﴿لِيُذَمِّرُوا وَيُهْلِكُوا﴾
ما استولوا عليه تدميراً ؛ من التَّيَر
وهو الإهلاك [آية ١٣٩ الأعراف
ص ٢١٩]

٨- ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عَدُنَا﴾ أى
وإن عدتم إلى الإفساد عُدنا إلى
العقوبة كما فعلتم وفعلنا من قبل .
وقد عادوا بتكذيب النبی صلى الله
عليه وسلم فعاد الله بتسليطه
عليهم ، فقتل قُرَيْظَةَ وأجلى بنى
النضير . وَضَرَبَ الْجَزِيَّةَ عَلَى
الْبَاقِينَ ﴿حَصِيرًا﴾ ﴿مَحْصَبًا
وَسِجِّتًا يُحْسِنُونَ وَيُسْجَنُونَ فِيهِ
مِنَ الْحَضَرِ بِمَعْنَى التَّضْيِيقِ .

٩- ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي
هِيَ أَقْوَمُ﴾ مقابل لقوله تعالى
(وَأَنَّا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ
هُدًى لِّبَنِي إِسْرَآئِيلَ) أى أن القرآن
يدعو الإنسان إلى الخير الذى
لا خير فوقه من الأجر العظيم .
ويحذر من الشر الذى لا شر وراءه
من العذاب الأليم .

١١- ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ﴾
أى أن بعض أفراد الإنسان - وهو
الكافر - يدعو لنفسه بما هو الشر
من العذاب الأليم بلسانه ،
أوبأعماله السيئة المُقْضِيَةِ إليه -
دعاء كدعائه بالخير لو فرض أنه
دعاه به . ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ
عَاجِلًا﴾ فى دعائه بالشَّرِّ متسرعاً
فى طلب ما يضره ، متعامياً عن
ضرره ؛ من العَجَلَةِ وهى طلب
الشيء قبل أوانه .

ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ
وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿١٠﴾ إِنَّ أَحْسَنَ مَا أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ
وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسْهِقُوا
وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَلِيُسَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتَبِيرًا ﴿١١﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ
وَإِنْ عُدْتُمْ عَدُنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿١٢﴾
إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ
الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّ
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَتَدْنَاهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٤﴾
وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ
عَاجِلًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلْنَا آيَةَ الْبَيْلِ وَالنَّهَارِ آيَتَيْنِ فَمَحْوَا آيَةَ
الْبَيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ
وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ وَفَصَّلْنَاهُ
تَفْصِيلًا ﴿١٦﴾ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ

مجاز شائع ؛ كما يقال : تراجع
الأمر . ﴿أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ أى أكثر
من أعدائكم نافرين . والتَّيَرُ
والتَّافِرُ : مَنْ يَتَقَرُّ مع الرجل من
عَشِيرَتِهِ للذهاب إلى العدو .
٧- ﴿لِيَسْؤُوا وَوُجُوهَكُمْ﴾
أى بعثناهم ليجعلوا آثار المساءة
والكآبة بادية فى وجوهكم .

وجُوسَانًا : أى قُتْسَ وَنَقَبَ
(خِلَالِ الدِّبَارِ) ما حوَالَى
جُذْرَهَا وما بين بيوتها .
٦- ﴿الْكُرَّةُ﴾ الدَّوْلَةُ وَالْعَلَّةُ
والْكُرَّةُ : المَرَّةُ من الشيء ؛
وأصلها الكُرُّ وهو الرجوع ؛
مصدر كَرَّ يَكُرُّ : أى رجع
واستعمال الكُرَّةُ فى الدَّوْلَةِ وَالْعَلَّةُ

١٢ - ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ بيان لبعض الدلائل الآفاقية التي تدل على قدرته تعالى. أي خلقنا المكونين بهيئتهما وتعاقيهما واختلافهما في الطول والقصر على وتيرة عجيبة - آيتين دالتين على أن لها صناعاً قادراً حكيمًا ، وعلى ما هدى إليه القرآن من الإسلام والتوحيد. ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ أي الآية التي هي الليل أي جعلنا الليل مَحْوً الضوء مطموسة ، مظلمًا لا يظهر فيه شيء. ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي جعلنا الآية التي هي النهار مُبْصِرَةً. أو مُبْصِرًا فيها. من قولهم : أبصر النهار ، إذا أضاء وصار بحالة يُبْصَرُ فيها. ١٣ - ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ لِّلزَّمَانِ طَائِرَةٌ﴾ والزمان كل إنسان مكلف عمله الصادر منه باختياره ، حسب قدراته له من خير وشر ، كأنه طار إليه من عُشِّ الغيب ووكر القدر ، فلازمه ملازمة لا فكاك منها. وكانوا يتفاءلون برجر الطير ، ويسببون إليه الخير والشر ، فاستعير الطائر لما يشبه ذلك من قدر الله وعمل العبد ، لأنه سبب للخير والشر. ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا﴾ هو صحيفة عمله.

١٤ - ﴿حَسِيبًا﴾ مُحَاسِبًا كجليس بمعنى مُجَالِس. أو حَاسِبًا وعادًا عليه ؛ كصريم بمعنى صارم. يقال : حَسَبَ عليه كذا يَحْسِبُهُ ، عدّه عليه .

وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿١٢﴾ أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٣﴾ مِّنْ أَهْنَدَىٰ فَلَمَّا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَلَمَّا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٤﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٥﴾ وَكَرَّ أَهْلُكَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۖ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٦﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٧﴾ وَمَن أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا

١٥ - ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾ أي لا تحمل نفس أئمة إثم نفس أخرى حتى يمكن تخلص النفس الثانية من وزرها ، وإنما تحمل كل منها إثم ما باشرته أو تسببت فيه. [آية ١٦٤ الأنعام ص ١٩٨] . ١٦ - ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهْلِكَ قَرْيَةً﴾ أي وإذا دنا وقت تعلق إرادتنا بإهلاك أهل قرية بعذاب الاستئصال لما اقترفوه من الظلم والمعاصي - أَمَرْنَا بالطاعة مُتَنَعِمِيهَا وَجَبَّارِيهَا وَقَادَتُهَا فَفَسَقُوا فِيهَا وَتَمَرَّدُوا. وهو من باب قولهم : أَمَرْتُهُ فَعَصَانِي. مِنَ التَّرَفَّةِ . [آية ١١٦ هود ص ٣٠١] . وَخُصُّوا بالذكر مع توجه الأمر بالطاعة إلى الكل ؛ لأنهم أئمة السفق ورؤساء الضلال ، وغيرهم تبع لهم . أو المعنى : وإذا دنا ذلك الوقت أَقْضَيْنَا عَلَيْهِمُ النَّعْمَ الْمُبْطَرَةَ لَهُمْ وَصَبَيْنَاهَا عَلَيْهِمْ ؛ كَأَنَّا أَمَرْنَاهُمْ بِالْفَسْقِ فَفَسَقُوا فِيهَا وَعَصَوْا. وقيل (أَمَرْنَا) بمعنى كَثَرْنَا كَأَمَرْنَا ، وبها قرئ . وقرئ (أَمَرْنَا) بتشديد الميم ، أي كَثَرْنَاهُمْ أَوْ جَعَلْنَاهُمْ أَمْرَاءَ مُسَلِّطِينَ. ﴿فَدَمَّرْنَاهَا﴾ فاستأصلناها بالهلاك ؛ لأن غير المترف يتبع المترف في فسقه



سَعِيهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعِيهِمْ مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾
 كُلًّا نُمِدُّ هُنُوًا وَهَنُوًا مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ
 عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ
 عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾
 لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ﴿٢٢﴾
 * وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
 إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ
 لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾

٩ - (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا).
 ١٠ - (وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ).
 ١١ - (وَالْمَسْكِينِ). ١٢ -
 (وَابْنِ السَّبِيلِ). ١٣ - (وَلَا تُبْذِرْ
 تَبْذِيرًا). ١٤ - (فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا
 مِّسُورًا). ١٥ - (وَلَا تَجْعَلْ بَيْنَكَ
 مَغْشُورًا إِلَىٰ غُفَيْكَ). ١٦ -
 (وَلَا تَسْطِطْهَا ..) ﴿تَخْذُولًا﴾
 غير منصور ولا معان من الله.
 ١٧ - (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ)
 ١٨ - (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ). ١٩ -
 (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ). ٢٠ -
 (فَلَا يُسْرِفَ فِي الْقَتْلِ).
 والباقي : (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ
 وَأَوْفُوا الْكَيْلَ . وَزِنُوا
 بِالْقِسْطَاسِ . وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ
 لَكَ بِهِ عِلْمٌ . وَلَا تَمْشِ فِي
 الْأَرْضِ مَرَحًا).

٢٣ - ﴿قَضَىٰ رَبُّكَ﴾ أمر والزم
 وحكم . ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ﴾
 لا تقل لها : أنا أتضجر وأقلق من
 كل فعل لكما تضجرا . وآف :
 اسمُ فعلٍ مضارع هو اتضجر .
 والتهى عن ذلك يدل على التهي
 عن سائر أنواع الأذى بدلالة
 التخصيص ﴿وَلَا تُنْهَرُهُمَا﴾ لا تزرجهما
 عما يتعاطيان مما لا يعجبك ،
 والتهر : الزجر بمغاظة . يقال :
 نهره وانتهره بمعنى . والمراد من
 التهى الأول : المنع من إظهار
 الضجر منها مطلقا . ومن الثاني :
 المنع من إظهار المخالفة في القول
 على سبيل الرد والتكذيب .
 ﴿قَوْلًا كَرِيمًا﴾ حسنا جميلا
 لينا .

الحظر بمعنى الحجر . يقال :
 حظره يحظره فهو محظور ، أى
 ممنوع .
 ٢٢ - ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ ..﴾ لما
 بين سبحانه أن سعادة الآخرة
 منوطة بإرادتها وبأن يسعى الإنسان
 لها سعيها . وبأن يكون مؤمنا -
 فصل ذلك بذكر خمسة وعشرين
 نوعا من أنواع التكليف : ١ -
 التوحيد بقوله : (لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ
 إِلَهًا آخَرَ) . ٢ - الأمر بعبادة
 الله . والنهي عن عبادة غيره
 بقوله : (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا
 إِلَّا إِيَّاهُ) . ٤ - (وَبِالْوَالِدَيْنِ
 إِحْسَانًا) . ٥ - (فَلَا تَقُلْ لَهُمَا
 آفٌ) . ٦ - (وَلَا تُنْهَرُهُمَا) . ٧ -
 (وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) . ٨ -
 (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ) .

عادة : من التدمير وهو إدخال
 الهلاك على الشيء مع طمس
 الأثر . ﴿القرون﴾ الأمم المكذبة .
 ١٨ - ﴿يَصْلَاهَا﴾ يدخلها .
 مِنْ صَلَّيْتُ الرَّجُلَ النَّارَ ، أدخلته
 فيها . وصلَّيت الشاة : شويتها .
 ﴿مَذْخُورًا﴾ مطرودا مُبْعَدًا من
 رحمة الله [آية ١٨ الأعراف
 ص ٢٠٠] .
 ٢٠ - ﴿كُلًّا نُمِدُّ﴾ أى نزيد كلا
 من الفريقين مرة بعد أخرى ،
 فنزيد المعجل لهم من العطايا
 العاجلة ، ونزيد المشكور لهم من
 العطايا الآجلة . يقال : أمدت
 الجيش بالجند ، إذا زاده وقواه .
 ﴿مَحْظُورًا﴾ ممنوعا عن أحد ممن
 يريد إعطاؤه ، مؤمنا كان
 أو كافرا ، تفضلا منه تعالى ، من

٢٤- ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ..﴾ إِنَّ جَانِبَكَ مُتَذَلِّلًا لَهَا من مبالغتك في الرحمة بهما .

٢٥- ﴿لِلْأَوَّابِينَ﴾ الرجّاعين إليه تعالى بالتوبة مما فرط منهم . جمعُ أَوَّابٍ : بمعنى كثير الأوبة والرجوع إلى طاعة الله . يقال : آب يَتَوَبُّ . أى رجع .

٢٦- ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى﴾ أعط ذوى قرباك حقوقهم من صلة الرَّحِمِ . والمودةِ والمعاودةِ . والزيارةِ وحسنِ المعاشرةِ . والمؤالفةِ على السَّراءِ والضَّراءِ . ونحو ذلك .

٢٩- ﴿مَغْلُولَةً﴾ مقبوضة عن الإنفاق في سبيل الخير . وأصلُ العُلِّ : الطَّوْقُ الذى يُجْعَلُ في العنق وتضمُّ به اليدُ إليه ؛ كَتَى به عما ذكر . ﴿تَبْسُطُهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ كناية عن التبذير والإسراف . ﴿مَحْسُورًا﴾ منقطعًا بك ؛ لاشيء عندك بسبب الإسراف وإتلاف المال ؛ مِنْ حَسَرَهُ السَّيْرُ يَحْسِرُهُ وَيَحْسَرُهُ . إذا أثر فيه أثراً بليغاً . ويقال : بعيرٌ محسورٌ ؛ إذا ذهب قُوته فلا انبعاثَ به . نُهَوِا عن البُخْلِ والإسراف . وهو حثٌّ على التوسط والاعتدال في إنفاق المال .

٣٠- ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يُضَيِّقُ وَيَقْصُرُ على حسب ما تقتضيه الحكمة الإلهية .

٣١- ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾

وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذِرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ أِبْغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنْ رَبُّكَ يَبْسُطَ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَنْتَحِنُوا تَحْنُ تَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾

خَشْيَةً إِمْلَاقٍ ﴿٣١﴾ أى خوفَ فاقةٍ الظَّنَّ بالله تعالى . يقال : أَمْلَقَ وفقر . وهو نهى للموسرين ، كما نهى الموسرين بقوله تعالى : (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ أَمْلَاقٍ) . والمراد التَّهْيُّ عن وادِّ البنات لذلك ؛ لما فيه من سوء خَشْيَةٍ إِمْلَاقٍ ﴿٣٢﴾ الظَّنَّ بالله تعالى . يقال : أَمْلَقَ الرجلُ ، افتقر . وأصله من أَمْلَقَ الرجلُ بمعنى لم يبق له إلا المَلَقُ - محركة - وهو ما استوى من الأرض ؛ بمعنى أنه قَاعٌ لَا نِباتَ فيه . ﴿إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خِطْئًا﴾

وهو الرجوع . [آية ٥٩ سورة

النساء ص ١١٩ ، ١٢٠] .

٣٦ - ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ [لا تتبع ما لا علم لك به من قول أو فعل . ويندرج في ذلك شهادة الزور والكذب . وأن تقول للناس وفي الناس ما لا علم لك به ، وترميهم بالباطل . يقال : قفوه أقفوه . وقفئه أقفوه وقفيته . إذا اتبعت أثره . وأصل القفو : العضة والبهت والقذف بالباطل .

٣٧ - ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ فخرًا وكبرًا وخيلاء . والمرح في الأصل : شدة الفرح والتوسع فيه . والمذموم منه أن يكون متلبسًا بكبر وخيلاء ، وتجاوز للقدّر . وفعله من باب فرح . وتقيّد التهي بقوله : (في الأرض) للتذكّر بالمبدأ والمعاد المانع من الكبر والخيلاء . وللتمهيد للتعليل الآتي .

٣٨ - ﴿كَانَ سَيِّئًا﴾ أي السيئ منه وهو المنهيات الاثنا عشرة ﴿عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ أي وأما حسنه وهو المأمورات فهو مرضى عند الله محمود .

٣٩ - ﴿ذَلِكَ﴾ أي المتقدم من التكاليف والأحكام المحكمة التي لا يتطرق إليها التسخ والنقض . المذكورة في الآيات الثمانية عشرة : من آية ٢٢ إلى هذه الآية . ﴿مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ﴾ . وعن ابن عباس : أن التوراة كلها في هذه الآيات .

وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ . وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ . إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُنْتُمْ وَزِنًا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ . ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٧﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ . إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٨﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا . إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٩﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٤٠﴾ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ . وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٤١﴾ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا . إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٣﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا

إنما - وزنا ومعنى - مصدر خطئ خطأ ، كأنهم إنما ، وقرئ (خطأ وخطاء) وهما لغة في (خطأ) . ﴿كبيرًا﴾ عظيمًا فاحشًا .

٣٣ - ﴿سُلْطَانًا﴾ تسلطًا على القاتل بالقصاص أو الدية .

٣٤ - ﴿يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ قوته . أي زمن قوته واشتداده ، بحيث يمكنه

﴿مَذْهُورًا﴾ أي مطروذاً مبعداً من رحمة الله تعالى .

٤٠ - ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمُ﴾ أفضلكم ربكم فخصكم ؟

٤١ - ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ بيئاً فيه أحسن بيان ضرورياً من الأمثال والمواعظ والقصاص والأخبار والأحكام . من التصريف . وهو كثرة صرف الشيء من حالة إلى أخرى . ومن أمر إلى آخر . ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ أي وما يزيدهم ذلك التصريف والتذكير إلا تباعداً وشروذاً عن الحق . وغفلة عن الاعتبار . يقال : نفرت الدابة تنفر وتنفر نفوراً ونفاراً فهي نافر ونفور . جزعت وتباعدت . ونفر الطَّبِيُّ نفراً ونفراناً : شرده .

٤٢ - ﴿لَا تَبْتَغُوا﴾ لطلبوا . سَيْبِلًا . بالمبالغة والمبالغة .

٤٤ - ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ﴾ تسبيح هذه الكائنات لله تعالى هو دلالتها بإمكانها وحدوثها وتغير شئونها وبديع صنعها . على وجود مبدعها ووحدته وقدرته . وتترجمه عن لوازم الإمكان والحدوث . كما يدل الأثر على المؤثر . فهي دلالة بلسان الحال لا يفقهها إلا ذوو البصائر . أمّا الكافرون فلا يفقهون هذا التسبيح . لفرط جهلهم وانطماس بصائرهم وكثافة حجبهم . والله تعالى لم يعاجلهم بالعقوبة حليماً منه . وهو غفور لذنوبهم إذا تابوا إليه وأنابوا .

لَا تَبْتَغُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٣﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٤﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِيحُ بِحَمْدِهِ . وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٥﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِلَاخِرَةٍ حجاباً مستوراً ﴿٤٦﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٧﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٨﴾

وقيل : تسبيحها بلسان المقال . وقد خلق الله فيها القدرة على ذلك ولم يَرْتَضِ الإمامُ هذا القول . وقيل : تسبيح العقلاء بلسان المقال . وتسبيح غيرهم بلسان الحال .

٤٥ - ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ...﴾ بعد أن بين سبحانه عدم فقه هؤلاء الكافرين الجاحدين للبعث دلالة المحدثات على صانعها وعلى وحدانيته وقدرته . مثلهم - في جهلهم بشئونه صلى الله عليه وسلم وبصدق رسالته . وفرط نُبُو قلوبهم عن فهم القرآن الكريم . ومَجَّ أسماعهم له - بمن أقيم

حجاب سائر بينه وبين مخاطبه . وجعلت على قلبه أغطية تحول دون فهم كلامه . وصُمَّتْ آذانه صمماً ثقيلاً يمنع من سماعه . فهو لا يرى ولا يفقه ولا يسمع . ﴿مَسْهُورًا﴾ أي سائر لك عنهم . ومفعول يَرُدُّ بمعنى فاعل ؛ كميمون بمعنى يامن .

٤٦ - ﴿أَكِنَّةً﴾ أي أغطية . جمع كِنَان وهي ما يتغشاها من خذلان الله لهم في فهم ما يُتْلَى عليهم . ﴿وَقُرًّا﴾ أي صمماً وثقلاً .

٤٧ - ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ...﴾ نزلت تهديداً للمشركين على استهزائهم



أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٥١﴾ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَوْنَا لِمَبْعُوثُونَ
خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٥٢﴾ * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٣﴾
أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا
قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ
وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥٤﴾
يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿٥٥﴾ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ
الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا
مُبِينًا ﴿٥٦﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَسْأَلِ رَحْمَتُكَ أَوْ إِنْ يَسْأَلِ
يُعَذِّبُكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ

عِظَامًا نَحْرَةً ﴿وَرُفَاتًا﴾ ثَرَابًا أَوْ
أجزاء متفتتة ٥١. والرُّفَاتُ : ما
تكسر ويلى من كل شيء ؛
الكَلَفَاتُ . يقال : رَفَتَ الشيء
يَرْفُتُهُ وَيَرْفُتُهُ ، كسره ودقه . .

٥١ - ﴿يَكْبُرُ﴾ يعظم عن قبول
الحياة كالسماوات . ﴿الَّذِي
فَطَرَكُمْ﴾ أى الذى أبدعكم من
غير مثال هو الذى يُعيدكم بعد
الموت بقدرته التى لا يتعاضلها
شيء . ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ
رُءُوسَهُمْ﴾ سيحركونها نحوك
تعجبًا واستهزاء . يقال : نَغَضَ
رَأْسُهُ يَنْغِضُ وَيَنْغِضُ نَغْضًا
وَنُغْضًا ، إذا تحرك واضطرب .
وأنغض رأسه : حركه بارتفاع
وانخفاض ؛ كالتعجب من
الشيء .

٥٢ - ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ أى
منقادين لبعثه انقيادًا حامدين له .

٥٣ - ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي ..﴾ أمر
المؤمنين أن يقولوا عند محاوره
المشركين الكلمة التى هى أحسن
وأقرب إلى استئثارهم للإيمان ،
حتى لا يُلجَّأوا فى العناد . وهو
كقوله تعالى : ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ
الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٢)
كَأَن يَقُولُوا لَهُمْ : ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ
بِكُمْ ..﴾ . ﴿يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ يفسد
ويُهَيِّجُ الشر بينهم . يقال : نَزَعَهُ
يَنْزِعُهُ ، طعن فيه واغتابه . ونَزَعُ
بينهم : أفسد وأغرى ووسوس .

٥٤ - ﴿وَكِيلًا﴾ موكولا إليك
أمرهم .

الحديث . وقد جعلوا عَيْنَ النَّجْوَى
مبالغة ، على حَدِّ : قومٌ عدلٌ ،
وقومٌ رضا . جمعٌ نَجْوَى كَقَتِيلٍ
وَقَتْلَى ، أى متناجون فى أمرك .
﴿مَسْحُورًا﴾ قد خلبه السَّحَرُ
فاختلط عقله ، وهو كما قالوا فى
حقه : ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ
جِنَّةٌ﴾ (١) . اسمٌ مفعول ، من
سَحَرَهُ يَسْحَرُهُ سَحَرًا : وهو
الأخذة وكلُّ ما لَطَفَ مأخذه
ودق .

٤٩ - ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا﴾ أى
أُنْبِثُ خَلْقًا جَدِيدًا إِذَا صِرْنَا

بالقرآن وبالرسول صلى الله عليه
وسلم وتكذيبهما ، وعلى تناجيهم
فما بينهم بقولهم : ساحرٌ ، أو
شاعرٌ ، أو كاهنٌ ، أو مجنونٌ .
وتسليته له صلى الله عليه وسلم ؛
أى نحن أعلم بما يستمعون القرآن
متلبسين به من اللغو والاستهزاء
والتكذيب حين استأعهم إليك ،
وحين تناجيهم بما ذكر . و ﴿إِذَا﴾
فى قوله «إِذَا يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذَا
هُمْ نَجْوَى» : ظَرْفٌ لقوله
«أَعْلَمُ» . ﴿نَجْوَى﴾ مصدرٌ
بمعنى التَّنَاجَى والمَسَارَاةِ فى

٥٥ - ﴿زُبُورًا﴾ كتابًا فيه تحميد وتمجيد ومواظب .

٥٦ - ﴿تَحْوِيلًا﴾ نقله إلى غيركم ممن لم يعبدكم .

٥٧ - ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ أى الذين اتخذهم الكفار آلهة من العقلاء ؛ كالملائكة وبعض الإنس والجن . ﴿الْوَسِيلَةَ﴾ القرية بالطاعة والعبادة .

٥٩ - ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ...﴾ وما كان سبب تركنا إرسال الآيات التى اقترحها المشركون إلا علمنا بأنهم سيكذبون بها كما كذب بأمثالها الأولون ؛ فيستوجبون مثلهم عذاب الاستئصال على ما جرت به السنة الإلهية . وقد قضيتا بإمهال المكذبين من هذه الأمة لحكم نعلمها . ﴿مُبْصِرَةً﴾ آية بيّنة واضحة . ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾ أى فظلموا أنفسهم وعرضوها للهلاك بسبب عقرها .

٦٠ - ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ فهم فى قبضة قدرته . ومنهم كفار مكة فسيهلكهم . ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا...﴾ وهى ما عاينه صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء من العجائب السماوية والأرضية . وأطلق على ذلك رؤيا مع أنه كان يقظة ؛ لأن الرؤيا تطلق حقيقة على رؤيا المنام ورؤية اليقظة ليلاً . أو على سبيل التشبيه بالرؤيا ؛ لما فيها من العجائب ، أو لوقوعها ليلاً وسرعة تقضيها كأنها منام .

يَمْنٌ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٨﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٦٠﴾ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦١﴾ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا نُوحًا الْنَاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَحْوِيلًا ﴿٦٢﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا أَرْءَايَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦٤﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا

وقد كانت سبب افتتان الضعفاء من المسلمين ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ﴾ أى وما جعلنا الشجرة التى جاء القرآن بلفظ آكلها - وهى شجرة الزقوم - إلا فتنه لبعض الناس ؛ حيث كذبوا خلق وقد كانت سبب افتتان الضعفاء من المسلمين ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ﴾ أى وما جعلنا الشجرة التى جاء القرآن بلفظ آكلها - وهى شجرة الزقوم - إلا فتنه لبعض الناس ؛ حيث كذبوا خلق

شجرة فى النار . ﴿طُغْيَانًا﴾ تجاوزا للحد فى كفرهم وتمردا . ٦٢ - ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا...﴾ أخبرنى عن هذا الذى كرمته على ! لم كرمته على وأنا أكرم منه [آية ٤٠ الأنعام ص ١٧٤] . ﴿لَا حَتِّكَنَّ

الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَى لَيْلٍ أَنْتَرْنَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأُحْتَنِكَ
 ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ مَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ
 فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَاسْتَغْفِرْ مَنْ
 اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمُ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ
 وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ مِمَّا يَعِدُهُمُ
 الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ
 سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَبُّكُمُ الَّذِي يُرْسِلُ
 لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ
 رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ
 إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا رَجَعْتُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ
 كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ
 عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ
 يُعِيدَ كُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ
 فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْكُمْ نَاصِيَةً ﴿٦٩﴾

ذُرِّيَّتُهُ ﴿لَأَسْتُولِيَنَّ عَلَيْهِمْ اسْتِغْلَاءً﴾ ٦٤ - ﴿وَاسْتَغْفِرْ﴾ اسْتَغْفَرَ أَوْ
 قَوِيًّا ، وَلَا قُوْدَتُهُمْ حَيْثُ شَتَبَ ،
 مِنْ قَوْلِهِمْ : حَتَّى الدَّابَّةُ يَحْتَكِيهَا
 وَيَحْتَكِيهَا وَأَحْنَكِيهَا ، إِذَا جَعَلَ فِي
 حَتَكِيهَا الرِّسْنَ لِيَقُوْدَهَا بِهِ . أَوْ
 لَأَسْتَأْصِلَهُمْ بِالْإِغْوَاءِ ، مِنْ
 قَوْلِهِمْ : احْتَنَكَ الْجَزَاءُ الْأَرْضَ ،
 إِذَا أَكَلَ نَابَتَهَا وَأَتَى عَلَيْهِ .

٦٥ - ﴿وَاسْتَغْفِرْ﴾ اسْتَغْفَرَ أَوْ
 أَرْجَعَ . يُقَالُ : اسْتَغْفَرَهُ . إِذَا
 اسْتَخَفَّهُ فَخَدَعَهُ وَأَوْقَعَهُ فِيمَا أَرَادَهُ
 مِنْهُ . وَاسْتَغْفَرَنِي فَلَانِ أَرْجَعَنِي .
 ﴿بِصَوْتِكَ﴾ أَيُّ بَدْعَاتِكَ إِيَّاهُمْ
 إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى . ﴿وَأَجْلِبْ﴾
 عَلَيْهِمْ ﴿أَيُّ صَاحٍ عَلَيْهِمْ
 وَسُقُفُهُمْ﴾ مِنْ الْجَلْبَةِ بِمَعْنَى

الصَّيْحَابِ . يُقَالُ : جَلَبَ عَلَى فَرَسِهِ
 وَأَجْلَبَ ، إِذَا صَاحَ بِهِ مِنْ خَلْفِهِ
 وَاسْتَحْتَهُ لِلْسَّبْقِ . أَوْ أَجْمَعَ عَلَيْهِمْ
 خَيْلَكَ وَرَجْلَكَ . يُقَالُ : أَجْلَبَ
 عَلَى الْعَدُوِّ بِخَيْلِهِ ، أَيُّ جَمَعَ عَلَيْهِ
 الْخَيْلَ . ﴿بِخَيْلِكَ﴾ أَيُّ
 بِفُرْسَانِكَ الرَّاكِبِينَ عَلَى الْخَيْلِ .
 ﴿وَرَجْلِكَ﴾ أَيُّ وَبِجُنْدِكَ الْمَشَاةِ .
 يُقَالُ : فَلَانِ يَمْشِي رَجُلًا . أَيْ
 غَيْرَ رَاكِبٍ . وَالْمَرَادُ : تَمْشِيْلُ
 تَسْلُطُهُ عَلَيْهِمُ بِالْإِغْوَاءِ وَالْإِضْلَالِ
 بِقَائِدٍ جُنْدٍ يَفْعَلُ ذَلِكَ بَعْدَوَهُ
 لِلتَّمَكُّنِ مِنْهُ وَإِهْلَاكِهِ . ﴿إِلَّا
 غُرُورًا﴾ أَيُّ إِلَّا وَعْدًا بَاطِلًا
 خَادِعًا . وَأَصْلُ الْغُرُورِ : تَزْيِينُ
 الْبَاطِلِ بِمَا يُؤْمَرُ أَنَّهُ حَقٌّ . يُقَالُ :
 غَرَّ فُلَانًا . إِذَا أَصَابَ غُرَّتَهُ - أَيُّ
 غَفْلَتَهُ - وَنَالَ مِنْهُ مَا يَرِيدُ . وَغُرَّهُ
 يَغُرُّهُ غُرُورًا : خَدَعَهُ . وَأَصْلُهُ مِنَ
 الْغُرِّ . وَهُوَ الْأَثَرُ الظَّاهِرُ مِنْ
 الشَّيْءِ ، وَمِنْهُ غُرَّةُ الْفَرَسِ .

٦٥ - ﴿عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ تَسْلُطٌ
 وَقُدْرَةٌ عَلَى إِغْوَائِهِمْ .
 ٦٦ - ﴿يُرْسِلُ﴾ يُسَوِّقُ وَيُدْفِعُ
 بِرَفْقٍ . يُقَالُ : أَرْجَى الْإِبِلَ
 سَاقِيَهَا بِرَفْقٍ . وَالرَّيْحُ تُرْجَى
 السَّحَابَ : تَسَوَّقُهُ سَوَاقًا رَفِيقًا .

٦٧ - ﴿إِلَّا إِلَهُهُ﴾ اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ
 إِذَا أُرِيدَ بِهِ «مَنْ تَدْعُونَ» أَهْلُهُمْ .
 وَمُتَّصِلٌ إِذَا أُرِيدَ بِهِ أَهْلُهُمْ وَاقِفٌ
 تَعَالَى .

٦٨ - ﴿أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ﴾ يَغُورُ
 وَيَغِيبُ بِكُمْ تَحْتَ الثَّرَى .
 ﴿حَاصِبًا﴾ رِيحًا شَدِيدَةً تُرْمِيكُمْ
 بِالْحَصْبَاءِ ، وَهِيَ الْحَجَارَةُ



* وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ
خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ
فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ
وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى
فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِنْ كَادُوا
لَيَفْتَنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوتِيتَ إِلَيْكَ لَيَفْتَنَنَّا غَيْرَهُ
وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ
تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْعًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضَعْفَ

الصَّغَارِ ، واحداً منها حصبة .
يقال : حَصَبَ فلانٌ فلاناً ،
إذا رماه بها .

٦٩ - ﴿قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾
ريحاً شديدةً تَقْصِفُ لشدتها ما
مَرَّتْ به مِنَ الأشجار وغيرها
فَتَحْطِمُهُ وتُدْقُهُ ، من قولهم :
قَصَفَ فلانٌ فلاناً ظهر فلان ، إذا
كسره . أو ريحاً لها قَصِيفٌ ، أى
صوتٌ شديد ، كأنها تَقْصِفُ أى
تتكسر . ﴿تَبِيعًا﴾ مطالباً بطلابنا
بما فعلنا انتصاراً لكم ، ودركاً
للثأر من جهتنا . فعِلٌ بمعنى فاعل
أى تابع ، بمعنى مطالب بالثأر .
ويقال لكلٍّ من طَائِفٍ بئار أو
غيره : تابعٌ وتَبِيعٌ .

٧١ ، ٧٢ - ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ
أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ﴾ أى بِنَبِيِّهِمْ ، أو
بكتاب أعمالهم ، فيقال : يا أتباعَ
موسى ، ويا أتباعَ عيسى ، ويا
أتباعَ محمد . أو يا أصحابَ
كتاب الخير ، ويا أصحابَ
كتاب الشر . ﴿فَمَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ أى أُعْطِيَ
صحائفَ أعماله بيمينه تشريراً
وبشارة . ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ من
أجورهم ﴿فَتِيلًا﴾ أى قدر
فتيل ، وهو الخيط الرقيق الذى
فى الحز الكائن فى ظهر التواة
طولاً . وهو كناية عن أنهم لا
يَنَقُصُونَ أدنى شىء من ثوابهم .
وأما الذين يُوْتُونَ كِتَابَهُمْ بشمالهم
فهم الذين عناهم الله تعالى
بقوله : ﴿وَمَنْ كَانَ فى هَذِهِ﴾
أى فى الدنيا ﴿أَعْمَى﴾ البصيرة

٧٤ - ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ ..﴾ أى
ولولا تَثْبِيتُنَا إِيَّاكَ على الحقِّ
بالعصمة لقاربت أن تميل إليهم
شيئاً من الميل فيما اقترحوه عليك
بقوة خَدَعِهِمْ وشدّة احتيالهم ؛
لكن الله تعالى ثَبَّتَكَ تَثْبِيتاً ، فَمَنَعَكَ
بالعصمة من أن تقارب الميل ،
ففضلاً عن الميل نفسه إليهم .
و«لَوْلَا» حرفٌ يدل على امتناع
الجواب لوجود الشرط ، أى
امتناع القرب من الركون لوجود
التثبيت ، وإذا امتنع القرب منه
امتنع هو بالضرورة . وعن ابن
عباس رضى الله عنها : كان
رسول الله معصوماً ، ولكن هذا
تعريفٌ للأمة لئلا يَرَكْنَ أحداً منهم

﴿فَهُوَ فى الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ لا
يهتدى إلى سبيل النجاة ﴿وَأَضَلُّ
سَبِيلًا﴾ منه فى الدنيا ؛ لاستحالة
تداركه ما فات .

٧٣ - ﴿وَإِنْ كَادُوا
لَيَفْتَنُونَكَ ..﴾ «إِنْ» مخففة من
الثقلية ، واسمها ضميرُ الشأن ،
و«كَادُوا» قاربوا ؛ أى إِنْ الشَّانُ
قاربوا فى ظنهم الباطل ليصرفونكَ
بفتنتهم عما أُوتِيتَ إِلَيْكَ . والآيةُ
مَكِّيَّةٌ ، نزلت فيها عرضه كفار
قريش عليه صلى الله عليه وسلم .
من جعل آية الرحمة آية عذاب
وبالعكس ، وقيل مَدَنِيَّةٌ ، نزلت
فى وفد ثقيف . ﴿لَيَفْتَنَنَّا غَيْرَهُ﴾
لنختلق وتقول علينا .

أى شدة ظلمته . يقال : غَسَقَ اللَّيْلُ وأَغْشَقَ ، وظَلِمَ وأَظْلَمَ ، وَدَجَا وأَدْجَى ، وَغَبَسَ وأَغْبَسَ ، وَغَبَشَ وأَغْبَشَ ، بمعنى : وأصلُ معنى الغَسَقِ : السَّيْلَانِ . يقال : غَسِقَتْ العينُ - كَضَرَبَ وَسَمِعَ - أى سال دمعها ، فكان الظلمة تنصب على العالم وتسيل عليهم . والمراد بالصلاة التى تُقام من بعد الدُّلُوكِ إلى الغَسَقِ : صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء . ﴿ وَقرآنَ الْفَجْرِ ﴾ أى وأقم قراءة الفجر أى صلاته . وَسُمِّيَتْ قرآناً لأن القراءة ركُنُها ، من تسمية الشيء باسم جزئه . كتسمية الصلاة ركوعاً وسجوداً وقنوتاً .

٧٩ - ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ ﴾ أى وتيقظ من نومك فى بعض الليل فتَهَجَّدْ بالقرآن ، أى بالصلاة . ﴿ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ فريضة زائدة على الصلوات الخمس خاصة بك دون أمثلك ، بناء على أن فرض التَهَجُّد لم يُنسخ فى حقِّه صلى الله عليه وسلم . أو فضيلة وزيادة درجات ، بناء على أنه مندوب فى حقِّه ، وأنَّ الوجوب منسوخ فى حقِّه كما نُسخ فى حقِّ أمته والتَهَجُّدُ : الصلاة بعد القيام من النوم ليلاً ، وقيل : الاستيقاظ من النوم ليلاً للصلاة ، من الهجود ، وهو النوم ليلاً . ثم استعملت صيغة « تهجد » فى إزالته ، كتأثم وتخرج فى إزالة الحرج والإثم . ﴿ مَقَامًا

الْحَيَوَةِ وَضِعَفَ أَلَمَاتٍ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْهَا نَصِيرًا ٧٥ ﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ٧٦ ﴾ سُنَّةٌ مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ٧٧ ﴾ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنْ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ٧٨ ﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ٧٩ ﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي

إلى المشركين فى شيء من أحكام الله تعالى وشرائعه . ﴿ تَرْكُنَ إِلَيْهِمْ ﴾ تميل إليهم . ٧٥ - ﴿ لَا أَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ .. ﴾ أى عذاباً مضاعفاً فى الحياة الدنيا ، وعذاباً مضاعفاً فى المات . والمراد به : ما يشمل العذاب فى القبر والعذاب بعد البعث . أو ضعف العذاب المعجل للعضاة فى الدنيا ، وضعف العذاب المؤجل لهم بعد الموت . وضعفُ الشيء : مثله [آية ٣٨ الأعراف ص ٢٠٤] . ٧٦ - ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْزُونَكَ .. ﴾ أى وإنَّ الشَّانَ قاربوا لَيُزْعِجُونَكَ بعداوتهم ومكرهم ليخرجوك من مكة ، ولو أخرجوك لاستوصلوا على بكرة ٧٧ - ﴿ تَحْوِيلًا ﴾ تغييراً وتبدلاً . ٧٨ - ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾ أى بعد زوالها وهو ميلها عن وسط السماء لجهة الغرب . يقال : ذلكت الشمس تدلُّك ، أى مالت وانتقلت من وسط السماء إلى ما يليه . ومادة « ذلَّك » تدل على التحول والانتقال . ﴿ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾

مَحْمُودًا ﴿٨٠﴾ هو مقامُ الشفاعة العظمى في فصل القضاء . أو مقامُ الشفاعة لِأَمْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة .

٨٠ - ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ إدخالاً مَرْضِيًّا جِدًّا فِي كُلِّ مَا أَدْخُلُ فِيهِ مِنْ أَمْرٍ أَوْ مَكَانٍ . فهو مصدرٌ بمعنى الإدخال ؛ كَالْمُجْرَى وَالْمُرْسَى ، وإضافته من إضافة الموصوف لصفته [آية ٣ يونس ص ٢٧١] . ﴿سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ قَهْرًا وَعِزًّا نَصَرَهُ الْإِسْلَامُ .

٨١ - ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ أى جاء الإسلام أو الدين الحق . وزال واضمحَلَّ بمجيئه الشرك . يقال : زَهَقَتْ نَفْسُهُ تَزْهَقُ زَهْوَكَ . خرجت من الأسف على الشيء . وزهق السهم : جاوز المرمى إلى ما وراءه .

٨٢ - ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ...﴾ أى لا يزيد القرآن المكذِبِينَ بِهِ إِلَّا هَلَاكًا ؛ فَكَلِمًا نَزَلَتْ آيَةٌ تَجَدَّدَ تَكْذِيبُهُمْ وَكَفَرُهُمْ بِهَا فَازْدَادُوا هَلَاكًا . وَالْخَسَارُ وَالْخَسَارَةُ : الْهَلَاكُ وَالضَّلَالُ . ﴿خَسَارًا﴾ هَلَاكًا بِسَبَبِ كَفَرِهِمْ بِهِ .

٨٣ - ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ...﴾ بَعْدَ مَا بَنَفَسَهُ تَكْبَرًا وَتَعَاطُفًا ؛ كَانَ لَمْ تَنْلِهِ نِعْمَةٌ مَّا ؛ مِنَ النَّأَى وَهُوَ الْبُعْدُ . وَالْجَانِبُ : النَّفْسُ . يقال : جاء من جانب فلان كذا . أى منه ، وهو كناية ؛ كما يُعْبَرُ بِالْمَقَامِ وَالْمَجْلِسِ عَنْ صَاحِبِهِ .

مُخْرِجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۚ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ۚ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَكُوفًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ۚ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَكِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عِلْفًا وَكَيْلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ

﴿يَكُوفًا﴾ شَدِيدَ الْيَأْسِ مِنْ رَحْمَتِنَا . ٨٤ - ﴿كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ أى كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُعْرِضِ وَالْمُقْبِلِ ، أَوْ مِنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ يَعْمَلُ عَلَى طَرِيقَتِهِ وَمَذْهَبِهِ الَّذِي يَشَاكِلُ حَالَهُ وَيُشَابِهُهُ فِي الْهُدَى وَالضَّلَالِ ، وَالْحُسْنِ وَالْقُبْحِ . مِنْ قَوْلِهِمْ : طَرِيقُ ذُو شَوَاكِلَ ، أى طَرِيقُ تَشَعُّبٍ مِنْهُ ؛ مَاخُودَةٌ مِنَ الشَّكْلِ - بِالْفَتْحِ - وَهُوَ الْمِثْلُ وَالظُّمِيرُ يُقَالُ : لَسْتُ عَلَى شَكْلِي وَلَا شَاكِلَتِي . ٨٥ - ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ سَأَلَ الْيَهُودُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كُنْهِ الرُّوحِ تَعْتَنِي وَامْتَحَنَانًا ؛ فَأَمَرَ أَنْ يُجِيبَهُمْ بِأَنَّهُ مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ يَعْلَمُهُ . وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُطْلَعْ عَلَى الرُّوحِ مَلَكًا مُقَرَّبًا وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا ؛ بِدَلِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ . ٨٦ - ﴿وَلَكِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ...﴾ فِي الْآيَةِ امْتِنَانٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِإِبْقَاءِ الْقُرْآنِ أى إِلَى قَرَبِ قِيَامِ السَّاعَةِ . ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عِلْفًا وَكَيْلًا﴾ أى مَنْ يَتَعَهَّدُ بِاسْتِرْدَادِهِ بَعْدَ

واستظهره : استعان .

٨٩ - ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا..﴾ أى كررنا ورددنا الينيات والعبر في القرآن بأساليب مختلفة ، وأتينا فيه من البدائع ما يشبه في حسنه وغبائه الأمثال ؛ ليهتدى الناس بهديه ، فأبى أكثرهم إلا جحوداً للحق . وحين قرعهم حُججَهُ وألقوا بأيديهم عجزاً ، اقترحوا واحداً من هذه الأمور الستة التي اشتملت عليها الآيات ؛ تعسفاً واستخفافاً وإمعاناً في التكذيب . ﴿فَأَبَى﴾ فلم يرض ﴿كُفُوراً﴾ أى جحوداً ، من الكفر وهو الستر والتغطية .

٩٠ - ﴿يَبْشُرُ﴾ أى عينا لا ينضب ماؤها ولا يغور : من ينبع الماء من العين : ينبع - بتثنية الباء فيها - خرج .

٩١ - ﴿فَتَجَرَّ الْأَنْهَارُ﴾ أى تشققها . والمراد : فتجرها .

٩٢ - ﴿كِسْفًا﴾ أى قطعاً . جمع كِسْفَةٍ . يقال : كسفت الثوب ، قطعته . ﴿قَبِيلًا﴾ أى مقابلة وعياناً . أو كفضلاً بما تدعيه شاهداً بصحته .

٩٣ - ﴿مِنْ زُخْرُفٍ﴾ أى ذهب . وأصله الزينة ، وإطلاقه على الذهب لأن الزينة به أعجب . ﴿تَرْقَى فِي السَّمَاءِ﴾ تضعد في معارجها . يقال : رقى يرقى رقياً ورقياً . صعد .

٩٧ - ﴿وَنَخْشُرُهُمْ يَوْمَ﴾

عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا فَتَجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا نَسَبًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيْ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا

إذهابه ؛ كما يلتزم الوكيل ذلك فيما يوكل فيه .
٨٨ - ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ..﴾ أى لا يقدرون على الإتيان بمثله في بلاغته وحسن نظمه ، وتأليفه وأسلوبه البديع ، ولو تعاونا جميعاً على ذلك . وقد عجز فصحاء العرب - وهم أئمة البيان وفرسان البلاغة وذوو اللسان في

الخطب - عن معارضته بعد التحدى . فكان غيرهم أعجزا وتتابع القرون وتضافر الأعداء فلم يستطع أحد أن يأتي بمثله ؛ فكان ذلك آية من آيات الله ، ودليلاً على أنه من وحي الله ، وليس من كلام البشر .
﴿ظَهيراً﴾ أى مُعيناً ، ومنه : أظهره الله على عدوه . وأعانه .

الْقِيَامَةِ... ﴿٩٧﴾ أَي نَبْعُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
مَنْكِبِينَ عَلَى وُجُوهِهِمْ ، إِهَانَةً لَهُمْ
وَتَعَذُّبًا ، إِمَّا مَشْيًا وَإِمَّا سَحَبًا
عَلَيْهَا . وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرَانِ فِي
حَالَيْنِ قَبْلَ دُخُولِهِمُ النَّارَ . وَأَمَّا
فِيهَا فَيُسْحَبُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ وَيَقَالُ
لَهُمْ : (ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ) (٩٨) .
﴿عَمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ فَلَا
يُبْصِرُونَ وَلَا يَنْطَلِقُونَ وَلَا يَسْمَعُونَ .
وَهَذَا هُوَ شَأْنُهُمْ فِي بَعْضِ الْمَوَاقِفِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ . ﴿خَبَتْ﴾ سَكَنَ
لَهَا . وَصَارَ عَلَيْهَا خِيَاءٌ مِنْ
رَمَادٍ . أَيِ غِيَاءٍ . وَقِيلَ :
سَكَنَتْ وَطْفِئَتْ أَيِ ذَهَبَ لَهَا .
﴿سَعِيرًا﴾ لَهَا وَتَوَقَّدًا .

٩٨ - ﴿رُفَاتًا﴾ تَرَابًا أَوْ أَجْزَاءً
مُتَفَتِّتَةً [آيَةُ ٤٩ هَذِهِ السُّورَةِ] .

٩٩ - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ جَوَابٌ عَنْ
اسْتِعْجَالِهِمْ قُدْرَتَهُ تَعَالَى عَلَى
الْإِعَادَةِ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ .

١٠٠ - ﴿تَقْوَرًا﴾ مُبَالَعًا فِي التَّقْفِيرِ
وَالْبُخْلِ . يُقَالُ : قَفَّرَ يَقْفِرُ وَيَقْفَرُ ،
وَأَقْفَرُ وَقَفَّرَ : قَلَّلَ . وَفُلَانٌ مُقْفَرٌ :
أَيِ فَقِيرٌ . وَأَصْلُهُ مِنَ الْقَتَارِ . وَهُوَ
الدُّخَانُ مِنَ الشَّوَاءِ وَالْعُودِ
وَنَحْوِهَا .

١٠١ - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى نِسْعَ
آيَاتٍ﴾ وَهِيَ فِي رَوَايَةِ عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ : الْعَصَا وَالْيَدُ وَالطُّوفَانُ
وَالْجُرَادُ وَالْقُمَّلُ وَالضَّفَادِعُ وَالْدَّمَ
وَالْجَذْبُ ، أَيِ فِي بُوَادِيهِمْ وَالتَّقْصُصُ
مِنْ الثَّمَرَاتِ . أَيِ فِي مَزَارِعِهِمْ .
﴿مَسْحُورًا﴾ سُحِرَتْ فَخُوِلَتْ
عَقْلُكَ وَاخْتَلَتْ . وَادَّعَيْتَ مَا

(١) آيَةُ ٤٨ الْقَمَرِ .

بَنِي وَيَبْنِكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾
وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ
أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ . وَتَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ
عَمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَاوَلَهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ
سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ هُمُ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا
أَوْذَا كُنَّا عِظَمًا وَرَفُنَا أَوْنَا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾
* أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَارِيبَ فِيهِ
فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ
خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ
الْإِنْسَانُ قَنُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى نِسْعَ آيَاتٍ
بَيِّنَاتٍ فَسَعَلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ
إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ
مَا أَتَزَلُ هَنُؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرُ
وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مُنَبِّئًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَهُمْ
مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا

ادَّعَيْتَ [آيَةُ ٤٧ هَذِهِ السُّورَةِ] . ثُبُورًا : أَهْلَكَ . أَوْ مَصْرُوفًا عَنْ

١٠٢ - ﴿بَصَائِرَ﴾ بَيِّنَاتٍ تَبَيَّنَتْ
مِنْ شَهَادَتِهَا بِصَدْقِ ﴿مُنَبِّئًا﴾
مُهْلِكًا : مَنْ ثَبَّرَ اللَّهُ الْكَافِرَ يَبْثِرُهُ
قَوْلُهُمْ : مَا تَبَرَّكَ عَنْ هَذَا ؟ أَيِ مَا
مَنْعَكَ وَصَرَفَكَ عَنْهُ .





مِنْ بَعْدِهِ لِنَبِيِّ إِسْرَءِيلَ أَسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ
الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٣﴾ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٤﴾ وَقُرْءَا أَنَا فَرَقْنَاهُ
لِتَقْرَأُوا عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكَّةٍ وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٠٥﴾
قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ
إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَجْرُونَ لِلَّذِينَ سَجَدَا ﴿١٠٦﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ
رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٧﴾ وَيَجْرُونَ لِلَّذِينَ
يَسْكُونُ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٨﴾ قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا
الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا
بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٠٩﴾
وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ
فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا ﴿١١٠﴾

مَكَّةَ أَي عَلَى تَوْدَةٍ وَتَأَن وَتَرْتِيل
فِي التَّلَاوَةِ : لِيَفْهَمُوهُ وَيَتَسَرَّوْهُمْ
حِفْظُهُ . وَالْمَكَّةُ : التَّلَبُّثُ فِي
الْمَكَانِ وَالْإِقَامَةُ مَعَ الْإِنْتَظَارِ .
﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ أَي عَلَى حَسَبِ
الْحَوَادِثِ وَالْمَصَالِحِ .

١٠٧ - ﴿يَجْرُونَ لِلَّذِينَ سَجَدَا﴾
يَسْقُطُونَ سُرْعَةً عَلَى وُجُوهِهِمْ
سَاجِدِينَ تَعْظِيمًا لِلَّهِ تَعَالَى وَشُكْرًا لَهُ
لَا يُجَازِ وَعْدَهُ بِعَشْتِكَ . يُقَالُ : خَرَّ
لِلَّهِ سَاجِدًا يَخْرُ خُرُورًا ، أَي
سَقَطَ . وَالْآيَةُ فِي مُؤْنَى أَهْلِ
الْكِتَابِ .

١١٠ - ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ﴾
أَي بِقِرَاءَتِهَا حَتَّى لَا يَسْمَعَهَا
الْمُشْرِكُونَ فَيَسُبُّوا الْقُرْآنَ وَمُتَرَلِّهِ .
﴿وَلَا تَخَافُوهَا بِهَا﴾ حَتَّى لَا
يَسْمَعَهَا مِنْ خَلْقِكَ . وَالْمَخَافَةُ :
إِسْرَارُ الْخَدِيثِ لَا يَسْمَعُهُ الْمُتَكَلِّمُ ،
وَهِيَ ضِدُّ الْمَجَاهَرَةِ بِهِ . يُقَالُ :
خَفَتِ الرَّجُلُ بِصَوْتِهِ : إِذَا لَمْ
يَرْفَعُهُ . وَخَافَتْ بِقِرَاءَتِهِ مَخَافَةً :

إِذَا لَمْ يَرْفَعْ صَوْتَهُ بِهَا . وَقِيلَ :
الصَّلَاةُ الدُّعَاءُ . ﴿سَبِيلًا﴾ طَرِيقًا
وَسَطًا .

١١١ - ﴿وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا﴾ عَظَمُهُ
تَعْظِيمًا عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ أَوْ
شَرِيكٌ ، أَوْ نَاصِرٌ مُعَيَّنٌ . وَاللَّهُ
أَعْلَمُ .

١٠٣ - ﴿أَنْ يَسْتَفْرِهُمُ﴾
يُزَعِّجُهُمْ أَوْ يَسْتَحْفَظُهُمْ وَيُخْرِجُهُمْ
مِنْ أَرْضِ مِصْرَ . [آيَةُ ٦٤ هَذِهِ
السُّورَةِ] .
١٠٤ - ﴿لَفِيفًا﴾ مَخْطُوطِينَ أَنْتُمْ
وَهُمْ . وَاللَّفِيفُ : اسْمٌ جَمْعٌ لَا
وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفَظِهِ . وَمَعْنَاهُ :
الْجَمَاعَةُ مِنْ قِبَائِلٍ شَتَّى .
١٠٥ - ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ
نَزَلَ﴾ أَي وَمَا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ إِلَّا
مَلَسًّا بِالْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي

اِقْتَضَتْ إِنْزَالَهُ . وَمَا نَزَلَ إِلَّا مُلْتَبَسًا
بِالْحَقِّ : أَيِ الْعَقَائِدِ وَالْأَحْكَامِ
وَنَحْوِهَا مِمَّا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ . أَوْ مَا أُرْدِنَا
بِإِنْزَالِ الْقُرْآنِ إِلَّا تَقْرِيرَهُ لِلْحَقِّ ،
فَلَمَّا أُرْدِنَا ذَلِكَ وَقَعَ وَحَصْلُ كَمَا
أُرْدِنَا .

١٠٦ - ﴿فَرَقْنَاهُ﴾ فَوَضَعْنَاهُ ، أَوْ
فَرَقْنَاهُ فِيهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . أَوْ
أَنْزَلْنَاهُ مُتَجَمِّعًا عَلَى تَفْرِيقٍ . وَقُرِئَ
بِالتَّشْدِيدِ . أَي أَنْزَلْنَاهُ مَفْرَقًا لَا
جَمْلَةً . ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى

سُورَةُ الْكَهْفِ

(١٨) سُورَةُ الْكَهْفِ مَكِّيَّةٌ

إِلَّا آيَةَ ٢٨ وَمِنْ آيَةِ ٨٢ إِلَى غَايَةِ آيَةِ ١٠١ فَدُنِيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ١١٠ نَزَلَتْ بَعْدَ الْغَاشِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ
لَهُ عِوَجًا ۖ قِيمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا
حَسَنًا ۖ مَكِينٍ فِيهِ أَبَدٌ ۖ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ
اللَّهُ وَلَدًا ۖ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ
كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۖ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۖ
فَلَعَلَّكَ بَخْعُ نَفْسِكَ عَلَىٰ إِثْرِهِمْ ۖ إِنَّ لَكَ يَوْمَئِذٍ بِهَذَا
الْحَدِيثِ أُسْفًا ۖ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا
لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا
صَعِيدًا جُرْزًا ۖ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ

١ - ٢٠ - ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ أى لم يجعل فيه شيئاً من العوج ينوع من أنواع الاختلال والاختلاف ، لا فى اللفظ ولا فى المعنى . ﴿قِيمًا﴾ أى مستقيماً معتدلاً . لا إفراط فيما اشتمل عليه من التكليف حتى يشق على العباد ، ولا تفريط فيه بإهمال ما هم فى حاجة إليه ، حتى يحتاج إلى كتاب آخر . أو قِيمًا بمصالح العباد ، متكفلاً بها وبيبانها لهم ، لاشتماله على ما ينتظم به المعاش والمعاد . والعوج : الانحراف عن الاستقامة [آية ٩٩ آل عمران ص ٨٩] . ﴿لِيُنْذِرَ بَأْسًا...﴾ لِيُنْذِرَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا فى الآخرة . وأصل البأس : الشدة فى الحرب .

٥ - ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ أى عَظُمَتْ فى الشناعة والقبح تلك الكلمة التى تقوَّهوا بها دون تعقل وفهم ، وهى قولهم : «اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا» . وكبر : فعلٌ ماضٍ ، لإنشاء الذم ، وفاعله ضميرٌ مفسَّرٌ بالنكرة بعده المنصوبة على التمييز . والمخصوص بالذم محذوف . أى كَبُرَتْ هِىَ . أى المقالة التى قالوها كلمةٌ خارجةٌ من أفواههم تلك المقالة الشنعاء .

٦ - ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ﴾ قاتلٌ نفسك حزناً وغضباً لإعراضهم عن الإيمان وتكذيبهم بالقرآن . والمراد : لا يكن منك

ذلك . يقال : باخع نفسه بخعاً وبخوعاً . قتلها من شدة الوجد أو العُظ . وأصل البَخْع : أن تبلغ بالذبح البخاع - بكسر أوله - وهو عرق فى الصُّلب يجرى فى عظم الرقبة ، وذلك أقصى حدِّ الذبح . ﴿أُسْفًا﴾ مفعولٌ لأجله . ٧ - ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا...﴾ تعليلٌ للتهى المقصود من كلمة الترجى . تسليةٌ له صلى الله عليه وسلم وتسكيناً لأسفه ؛ لأنه تعالى مختبرٌ لأعمالهم ومجازيهم عليها . فكانه تعالى يقول له : لا تحزن فإنى مستقيم لك منهم . ﴿لِنَبْلُوهُمْ﴾ لنختبرهم بما خلقنا من هذه الزينة . ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أى أتبعُ لأمرنا ونهيها ، وأعملُ بطاعتنا ، وأبعدُ من الاغترار بزينة الدنيا . أى لنعاملهم معاملةً المختبر ؛ من الابتلاء بمعنى

ماوى لهم . يعبدون الله وحده فيه ، فراراً بدينهم من قومهم الذين كانوا يعبدون غير الله . ومن ملكهم الذى كان يأمرهم بذلك واسمه دقيانوس . يقال : أوى إلى منزله يأوى أوياً . نزل به نفسه وسكنه . والفتية : جمع فتى وهو الطرى من الشباب . وهى لنا من أمرنا الذى نحن عليه من مهاجرة الكفار والمثابة على الإيمان والطاعة . **رشدًا** : اهتداء إلى الطريق الحق ، وسداداً إلى العمل الذى تحب . والرشد والرشد : ضد الغي والضلال . يقال : رشد يرشد ، ورشد يرشد . **رُشدًا** ورشدًا ورشادًا : اهتدى .

١١ - **﴿فَصَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾** أمناهم إمامة ثقيلة .
١٢ - **﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾** أيقظناهم من نومهم . **﴿أَمَدًا﴾** مدة وعدد سنين أو غاية .

١٤ - **﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾** قويناها بالصبر والثبوت على الحق ، حين وقفوا بين يدي ملكهم الجبار . موقف صدق وعزم ، وأعلنوا التوحيد بنوعيه : توحيد الربوبية . وتوحيد الألوهية : نذلاً لما دعاهم إليه من عبادة الأوثان . وأصل الرّبط : الشد . يقال : ربطت الدابة ، شددتها برباط . واستعماله فيما ذكر مجاز ، كما فى قولهم : هو رابط الجأش : إذا كان قلبه لا يفرق ولا يفرع عند الحرب والشدة . **﴿قُلْنَا إِذَا﴾** أى

وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَتِنَا عَجَبًا ۝٩ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠ فَضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ۝١٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۝١٣ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ۝١٤ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝١٥

٩ - **﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾** بل أظننت . **﴿الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾** الكهف : الثقب المتسع فى الجبل ، فإن لم يكن فيه سعة فهو غار . وجمعه كهوف وأكھف . والمراد : الكهف الذى اتخذوه هؤلاء الفتية بمدينة أفسوس أو طرسوس (١) . **وَالرَّقِيمُ** : لوح رقت فيه أسماء أهل الكهف وقصصهم . أو ما تمسكوا به من شرع عيسى عليه السلام ، فهو مصدر بمعنى المرقوم أى المكتوب . أو هو اسم للوادة الذى كانوا فيه .

١٠ - **﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ﴾** التجأوا إلى الكهف واتخذوه

الاختبار [آية ٤٩ البقرة ص ١٥] .

٨ - **﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ﴾** أى وإنا لمصيرون عند انقضاء الدنيا **﴿مَا عَلَيْهَا﴾** مما جعلناه زينة لها **﴿صَعِيدًا﴾** ثراباً **﴿جُرْزًا﴾** لا نبات فيه . يقال : أرض جُرْز ، لا تثبت ، أو أكمل نباتها ، أو لم يصبها مطر . وجُرزت الأرض : إذا ذهب نباتها بقطط أو جراد . وهو كناية عن إفناء متاع الدنيا ، ويعقب ذلك الجزاء على الأعمال ، فلا يحزنك أمرهم فإننا سنجازيهم على ما عملوا يوم الحساب .

(١) أفسوس : بلد بفر طرسوس . وطرسوس : مدينة شهيرة بآسيا الصغرى .



وَإِذْ أَعَزَّلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْدَأَ إِلَى الْكَهْفِ
يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ
مَرْفَقًا ﴿١٦﴾ * وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوِرُّ عَنْ
كُهُفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ
الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ
يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا
مُرَشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ آيِقًا وَالَهُمْ رُفُودٌ وَنُقِلَبُهُمْ ذَاتَ
الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَاهُ يَلْوِصِيدُ
لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ
رُعبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لَيِسَاءً لَوْ بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ
مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ
أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ
فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ
وَلَا يُسْعِرَنَّ بَكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ

إِنْ دَعَوْنَا غَيْرَهُ تَعَالَى ﴿شَطَطًا﴾
أَيُّ قَوْلًا هُوَ عَيْنُ الشُّطُطِ وَالْبُعْدُ
الْمُقَرَّبُ عَنْ الْحَقِّ . وَالشُّطُطُ :
مَصْدَرٌ بِمَعْنَى مَجَاوِزَةِ الْقَدْرِ فِي كُلِّ
شَيْءٍ . وَصِفَ بِهِ الْقَوْلُ مِبَالِغَةً .
ثُمَّ اقْتَصَرَ عَلَى الْوَصْفِ مِبَالِغَةً عَلَى
الْمِبَالِغَةِ . يُقَالُ : شَطَّ يَشِطُّ وَيَشْطُ
شَطَطًا وَشَطُوطًا . بَعْدُ .

١٦ - ﴿مَرْفَقًا﴾ مَا تَرْتَفِقُونَ
وَتَتَفَقَعُونَ بِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ . وَقُرِئَ
﴿مَرْفَقًا﴾ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكَسْرِ الْفَاءِ
بِهَذَا الْمَعْنَى . وَفِي آيَةِ امْتِدَاحِ
الْهَجَرَةِ لِسَلَامَةِ الدِّينِ .

١٧ - ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ
تَرَاوَرُّ﴾ تَعْدِلُ وَتَمِيلُ ﴿عَنْ
كُهُفِهِمْ﴾ مِنَ الزَّوْرِ بِمَعْنَى التَّمِيلِ .
وَمِنْهُ : زَارَهُ إِذَا مَالَ إِلَيْهِ .
وَالْأَزْوَارُ : الْمَائِلُ الزَّوْرُ أَيْ
الصدر . وَازْوَرَّ عَنْ الشَّيْءِ
ازْوَرَارًا . وَتَرَاوَرَ عَنْهُ تَرَاوَرًا :
عَدَلَ وَانْحَرَفَ . وَأَصْلُهُ :
تَرَاوَرُ . فَخُذْتَ أَحَدِي التَّائِبِينَ
تَخْفِيفًا . ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ جِهَةٌ
بَيْنَ الْكَهْفِ . أَيْ بَيْنَ الدَّاخِلِ
فِيهِ ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ﴾
تَتَرَكَّهُمْ وَتَعْدِلُ عَنْهُمْ . يُقَالُ :
قَرَضَ الْمَكَانَ . عَدَلَ عَنْهُ وَتَنَكَّبَهُ .

أَوْ تَقْطَعُهُمْ بِمَعْنَى تَجَاوَزَهُمْ
وَتَتَرَكَّهُمْ . مِنَ الْقَرَضِ بِمَعْنَى
الْقَطْعِ . يُقَالُ : قَرَضَ الْمَكَانَ
يَقْرِضُهُ . أَيْ قَطَعَهُ . ﴿وَهُمْ فِي
فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ أَيْ فِي مَسَّعٍ مِنْهُ وَهُوَ
وَسْطُهُ . وَالْفَجْوَةُ : سَاحَةٌ
الدَّارِ : مَأْخُودَةٌ مِنَ الْفَجَا وَهُوَ
تَبَاعَدُ مَا بَيْنَ الْفَخْذَيْنِ . يُقَالُ :

رَجُلٌ أَفْجَى . وَامْرَأَةٌ فَجْوَاءُ .
وَالْمَرَادُ : أَنَّ الشَّمْسَ تَمِيلُ عَنْهُمْ
طَالِعَةً وَغَارِيَّةً ، لَا تَبْلُغُهُمْ
لِتَوْدِيهِمْ بِحَرْهَا ، وَتُغَيِّرُ الْوَانِتَهُمْ ،
وَتُبَلِّغُ ثِيَابَهُمْ . وَهُمْ فِي وَسْطِ
الْكَهْفِ يَحِثُّ بِنَاهُمْ رُوحُ الْهَوَاءِ ،
وَلَا يُؤْذِيهِمْ كَرَبُ الْغَارِ وَلَا حَرٌّ
الشمس . ﴿ذَلِكَ﴾ أَيْ مَا ذَكَرَ
مِنْ هَذِهِ الْأَوْضَاعِ وَالْحَالَاتِ
﴿مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ الدَّالَّةُ عَلَى
قُدْرَتِهِ ، وَعَجِيبِ صَنْعَتِهِ .
١٨ - ﴿بِالْوَصِيدِ﴾ أَيْ بِرَحِيَّةِ
الْكَهْفِ . أَوْ بَعْتَةِ الْبَابِ ، كَأَنَّهُ
يَحْفَظُهُ عَلَيْهِمْ . وَجَمْعُهُ وَصَائِدُ

الكهف ، فحكى الله تعالى عنهم ثلاثة أقوال لا غير . فدل على أنه لا قائل برابع ، وأتبع القولين الأولين - وهما لغير المؤمنين - بقوله : « رَجَمًا بِالْغَيْبِ » أى قولاً بلا علم ولا اطلاع ، فدل على بعدهما عن الصواب . وحكى الثالث - وهو للمؤمنين - وأعقبه بقوله : « وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ » فدل على أنه الواقع في نفس الأمر ، وإنما استفيد منه التقرير ، لأن الكلام قد تم عند قوله : « وَيَقُولُونَ سَبْعَةً » ثم عطف عليه قوله : « وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ » والثامن لا يكون ثامناً إلا بعد سابع ، فكانه قيل : هم سبعة وثامنهم كلبهم . « رَجَمًا بِالْغَيْبِ » أى يرمون رمياً بالخبر الغائب عنهم ، الذى لا يُطَّلَعُ لهم عليه ويأتون به . والرَّجْمُ فى الأصل : الرَّمْيُ بالرَّجَمِ ، وهو الحجارة الصغيرة . استعير للتكلم بما لا علم به ، ولا اطلاع عليه لحفاؤه ، تشبيهاً له بالرَّمْيِ بالحجارة التى لا تصيب الرَّمْيُ . « قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ » أى أقوى وأقدم فى العلم بها . وفيه إرشاد إلى أن الأفضل فى مثل هذا ردُّ العلم إليه تعالى ، وعدم الخوض فيه ، فإذا أطلعنا الله على أمره قلنا به ، وإلا وقفنا . وثبوت الأعلمية له تعالى لا يناق علم قليل من الناس به ، وهو قوله تعالى : « مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ » أى ما يعلم عدَّتَهُم إلا قليل من الناس ، والأكثر لا يعلمونها .

يَرْجُوهُمْ أَوْ يُعِيدُوهُمْ فِي مَلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَلِكَ أَعَثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتَنَا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِسَاىَ إِنِّى فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ

وَوُضِدَ . « رَجَمًا » أى خوفاً وفزعاً . مصدر رَجَعَهُ يَرْجِعُهُ . أى خوفه ، فهو مرعوب ورعيب . ١٩ - « بَعَثْنَاهُمْ » أبقظناهم من موتهم الطويلة . « فَأَبَعُوا » أَخَذَكُمْ يَوْرَقَكُمْ . بدراهمكم المضروبة . « أَنَّهَا أَرْكَى طَعَامًا » أى أى أطعمته المدينة أحل وأظهر ، أو أخود أو أكثر بركة . « وَلَيَتَلَطَّفْ » وليتكلف اللطف فى الاستخفاء دخولاً وخروجاً . « وَلَا يُشْعِرَنَّ بَكُمْ أَحَدًا » لا يخبرن أحداً بأمركم خشية تعذيبكم . ٢٠ - « إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا »

﴿فَلَا تُنَارِ فِيهِمْ﴾ أي فلا تجادل في شأن أصحاب الكهف أحدًا من الخائضين فيه ﴿إِلَّا مَرَاءَ ظَاهِرًا﴾ واضحًا بذكر ما قصصنا عليك من شأنهم ولا تزد عليه . يقال : ماراه مرأً ، جادله . ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ فَإِنْ فِيا أَوْحِيَّا إِلَيْكَ لِمَدْوَحَةٍ عَنْ غَيْرِهِ .

٢٣ . ٢٤ - ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِسِيٍّ...﴾ أي لا تقولَنَّ أَفْعَلُ غَدًا إِلَّا مُتَلَبِّسًا بِقَوْلٍ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ . نزلت إرشادًا له صلى الله عليه وسلم حين سأله قريش عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين فقال : (ائْتُونِي غَدًا أَخْبِرْكُمْ) ؛ ولم يقل إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فآبطاً عليه الوحى بضعة عشر يوماً حتى شقَّ عليه . ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ أى إذا نسيت تعليق القول بالمشيئة . ثم ذكرت أنك لم تعلقه بها فائت بها ؛ أى مادمت فى مجلس الذكر - كما روى عن الحسن - أو ما لم تأخذ فى كلام آخر .

٢٦ - ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ أى بالزمن الذى لبثوه فى كهفهم ممن اختلفوا فيه . وقد أخبر أنه ثلاثمائة سنة وتسع سنين قرينة . فهو الحق الصحيح الذى لا شك فيه . وهو إحدى معجزاته صلى الله عليه وسلم . ﴿أَبْصُرْ بِهِ وَأَسْمَعْ﴾ صِغَةً تَعَجُّبٍ ؛ أى ما أبصره وما أسمعته تعالى . والمراد : الإخبار بأنه تعالى لا يغيب عن بصره وسمعه

وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمَعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَأَنْتَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾

شئ . وذكر بصيغة التعجب للدلالة على أن أمره فى الإدراك خارج عما عليه إدراك المبصرين والسماعين ؛ إذ لا يحجبه شئ ولا يتفاوت عنده لطيفٌ وكثيفٌ . وصغيرٌ وكبيرٌ . وخفىٌ وجليلٌ . ٢٧ - ﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ملجأً تعدل إليه وتميل عند الإمام مُلْتَمَةً ؛ من الاتحاد بمعنى الميل . يقال : أُلْحِدَ . مال وعدل . والتحد إلى كذا : مال إليه . ٢٨ - ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ نزلت فى شأن فقراء الصحابة وضعفائهم ؛ كعمَّارٍ وضُحَيْبٍ وبلالٍ وأضرابهم . حين طلب سادة قريش من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يُنَحِّيَهُمْ عن مجلسه وقالوا : لو نَحَّيْتَ هؤلاء لجالسناك واتبعناك ؛ أى احبس نفسك وثبتها . يقال : صَبَرْتُ زَيْدًا أَصْبِرُهُ صَبْرًا . أى حبسته . ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ أى يعبدونه بذكره . وحمده وتهليله وتسيحه وتكبيره . أو بتلاوة القرآن . ﴿بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ أى فى طرفي النهار . وهو كناية عن دوام العبادة . ﴿وَلَا تُعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أى لا تصرف عينك النظر عنهم إلى هؤلاء المتغطرسين

وَحَسِّنَتْ مُرْتَفَقًا ۖ وَإِلَّا فَلَا
ارتفاق لأهل النار .

٣١ - ﴿جَنَّاتٌ عَذْنٌ﴾ جنات

إقامة واستقرار . ﴿مِنْ سُنْدُسٍ﴾

ما رَقَّ من الحرير . ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾

ما غلظ منه ونَحْنُ ﴿مُتَكِينِينَ﴾ فيها

على الْأَرَائِكِ ﴿جمع أريكة ،

وهي كل ما يُتوكأ عليه من سرير أو

مِنَصَّة أو فراش . أو هي السرير في

الحَجَلَة ، وهي بيت كالقبة يزِين

للمعروس بالشباب والستور

والأسيرة ، ويكون له أزرار كبار .

٣٢ - ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا ۖ﴾

أى اضرب مثلاً للمؤمنين الذين

يدعون ربهم بالغداة والعشي مع

مكابدة مشاق الفقر . وللكافرين

المستكبرين على الله مع تقليم في

نعمه تعالى ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ بستانين .

﴿وَحَفَفَتْهُمَا بِخُلٍّ﴾ جعلنا

التخل محيطاً بكل منهما .

٣٣ - ﴿أَنْتَ أَكَلَهَا﴾ ثمرها ،

وهو ما يؤكل من ثمر التخل والكرم

وصنوف الزرع . ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ

شيئاً﴾ أى ولم تنقص منه شيئاً من

النقص في سائر السنين . وهو كناية

عن تمامها ونعموها دائماً . ﴿فَجَزَّنا

خَلالَهُمَا﴾ شققنا وأجرينا

وسطحها .

٣٤ - ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ۖ﴾ أى

وكان لصاحب الجنة : أموال

كثيرة أخرى غيرها . جمع ثمرة ،

وهو يجمع على ثمار وجمعه ثمر .

﴿وَهُوَ يُخَاوَرُ﴾ أى يراجعه

الكلام . يقال : تخاوروا إذا

تراجعوا الكلام بينهم . ﴿وَأَعِزُّ

وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ۖ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ

فَلْيَكْفُرْ ۖ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۖ

وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ

بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٢٩﴾

أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُجَلِّوْنَ

فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ

سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَكِينِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمٌ

الَّتَوَابُ وَحَسِّنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ * وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا

رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا

بِخُلٍّ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾ كَلْنَا الْجَنَّتَيْنِ ءَانتَ أَكَلَهَا

وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ

المستكبرين . يقال : عداه عن

الأمر عَدُوَانًا - صَرَفَهُ وَشَغَلَهُ .

﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾ جعلناه غافلاً

ساهياً . ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطًا﴾ أى

إفراطاً وإسرافاً . أو ضياعاً

وهلاكاً . أو مجاوزاً فيه الحد .

٢٩ - ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾

السُرَادِقُ : كل ما أحاط بشيء

من حائط أو مضرب أو خياء . أو

كل بيت من كُرْسُف أى قطن ، أو

الحجرة التي تكون حول الفسطاط

تمنع من الوصول إليه ، وجمعه

سُرَادِقَات . ﴿يُغَاثُوا بِمَاءٍ

كَالْمُهْلِ﴾ هو ماء غليظ كدُرْدَى

الرَّيْت - أو هو دُرْدِيَّة وعكره .

أو ما أذيب من معادن الأرض أو

من النحاس فانواع وتوَج بالعلبان

حتى بلغ أقصى الغاية في الحرارة .

أو هو القطران الرقيق . ﴿وسَاءَتْ

مُرْتَفَقًا﴾ مثكاً . من الارتفاق وهو

الاتكاء على مِرْفَق اليد . وأطلق

عليها مرتفق مشاكلة لقوله بعد :

نَفَرًا أَي عَشِيرَةً ، أَوْ حَشَمًا وَأَعْوَانًا . وَالتَّفَرُّ : مَنْ يَنْفِرُ مَعَ الرَّجُلِ مِنْ قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ لِقَاتِلِ عَدُوِّهِ .

٣٥ - ﴿ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ ﴾ تَهْلِكُ وَتَفْنَى . يَقَالُ : بَادَ يَبِيدُ بَيْدًا وَبَيُودًا ، إِذَا هَلَكَ .

٣٦ - ﴿ خَيْرًا مِنْهَا مُثْقَلًا ﴾ مَرْجَعًا وَعَاقِبَةً . اسْمُ مَكَانٍ ، مِنْ الْإِنْقِلَابِ بِمَعْنَى الرَّجُوعِ وَالْإِنْصِرَافِ عَنِ الشَّيْءِ إِلَى غَيْرِهِ . أَقْسَمَ أَنَّهُ إِذَا فُرِضَ بَعَثٌ فِي الْآخِرَةِ لِيَجِدَنَّ فِيهَا خَيْرًا مِنْ جَنَّتِهِ الَّتِي فِي الدُّنْيَا .

٣٨ - ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ ﴾ أَي لَكِنْ أَنَا أَقُولُ : هُوَ اللَّهُ رَبِّي .

٣٩ - ﴿ وَلَوْلَا ﴾ كَلِمَةٌ تَخْضِيبُ كَهَلًا ، وَإِذَا دَخَلَتْ عَلَى الْمَاضِي أَفَادَتِ التَّوْبِيخَ . أَي هَلَا قُلْتَ - عِنْدَ دُخُولِكَ جَنَّتِكَ وَإِعْجَابِكَ بِهَا - مَا أَرَاهُ بِهَا مِنَ الْحُسْنِ وَالنُّصَارَةِ هُوَ مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ؟ فَرددت الأمر إلى المشيئة الإلهية ؟

٤٠ ، ٤١ - ﴿ وَيُرْسِلْ عَلَيْهَا حُسْبَانًا ﴾ عَذَابًا ﴿ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ كَالصَّوَاعِقِ وَالسَّمُومِ . أَوْ مَرَامِيٍّ مِنْ عَذَابِهِ ، إِمَّا بَرْدًا وَإِمَّا حِجَارَةً ، وَإِمَّا غَيْرَهُمَا مِمَّا يَشَاءُ . ﴿ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا ﴾ تَرَابًا أَوْ أَرْضًا ﴿ زَلَقًا ﴾ لَا نَبَاتَ فِيهَا . أَوْ مُزَلَقَةً لَا تَثْبِتُ عَلَيْهَا قَدَمٌ . وَالْمُرَادُ أَنَّهَا تُصْبِحُ عَدِيمَةً النَّفْعِ حَتَّى مَنْفَعَةُ الْمَشْيِ عَلَيْهَا . يَقَالُ : مَكَانٌ زَلَقٌ ، أَي دَخُضٌ ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرُ زَلَقْتُ رَجُلَهُ تَزَلُّقُ

ثُمَّ رَفَعَالَ لِيَصْحَبِيهِ ، وَهُوَ يُجَاوِرُهُ ، أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٦﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٧﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُجَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٨﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٩﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَى أَنَا أَقْلَ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٤٠﴾ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلْ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤١﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤٢﴾ وَأَحِيطْ بِشَمْرِهِ ، فَاصْبَحَ يَقْلِبُ كَفْبِهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِبَةٌ عَلَى غُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلْبِثَتْنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٣﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةً يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٤﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ

زَلَقًا ، وَمَعْنَاهُ الزَّلُّلُ فِي الْمَشْيِ لَوَحْلٍ وَنَحْوِهِ . ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا ﴾ غَائِرًا ذَاهِبًا فِي الْأَرْضِ ؛ مَصْدَرٌ وَصِفٌ بِهِ لِلْمَبَالِغَةِ وَهُوَ بِمَعْنَى الْفَاعِلِ . يَقَالُ : غَارَ الْمَاءُ يَغُورُ غَوْرًا وَغَوْرًا ، أَي سَقَلُ فِي الْأَرْضِ وَذَهَبَ فِيهَا .

٤٢ - ﴿ وَأَحِيطْ بِشَمْرِهِ ﴾ أَهْلَكَ أَعْمَارُهُ وَأَفْنَيْتَ كُلَّهَا ، مَاخُذٌ مِنْ إِحَاطَةِ الْعَدُوِّ بِالْإِنْسَانِ ، وَهِيَ اسْتِدَارَتُهُ بِهِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ ، وَمِنْهُ (إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ) (١) .

ثَوَابًا وَخَيْرٌ عَقْبًا ﴿٤٤﴾ وَاصْرِبْ لَهُمْ مِثْلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 كَمَا أُنزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ
 فَأَصْبَحَ هَبِيمًا تَذُرُّهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ
 الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ
 نُسِرُّ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ
 نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ
 جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّ لَنَا
 لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوَضَعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ
 مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُنَوِّلُنَا مَالٍ هَذَا الْكِتَابُ
 لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا
 حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ
 اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ
 عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ
 دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾

متفتتا بعد البهجة والغصارة ؛ من
 الهشم وهو كسر الشيء اليابس ؛
 ومنه هشم الثريد يهشمه : كسره
 وثرده . ﴿تَذُرُّهُ الرِّيحُ﴾ تفرقه
 وتنسفه . يقال : ذرت الريح
 الشيء تذرؤه وذروا وتذرية ؛
 أطارته وأذهبته .

٤٦ - ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾

الطاعات وأعمال الحسنات .

٤٧ - ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾

ظاهرة للأعين ، من غير شيء
 يسترها من جبل أو شجر أو بنيان .

يقال : برز بروزا ، خرج إلى

البراز - أى الفضاء - وظهر بعد

الحفاء . ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾

جمعناهم إلى الموقف من كل

صوب . ﴿فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ

أَحَدًا﴾ فلم نترك منهم أحدا دون

أن نبعته من قبره حيا .

٤٨ - ﴿مَوْعِدًا﴾ وقتا لإنجازنا

الوعد بالبعث والجزاء .

٤٩ - ﴿وَوَضَعَ الْكِتَابُ﴾

صحائف أعمال العباد .

﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين وجلين .

﴿لَا يَغَادِرُ﴾ لا يترك ولا يبق .

﴿أَحْصَاهَا﴾ عدها وضبطها

وأثبتها . ﴿يَاوِيلَتَا﴾ نداء

لهلكنهم ، كأنهم يقولون :

يا هلا كنا قبل ، فهذا أوانك ا

والويلتة : الهلاك وحلول الشر

والفج والحسرة .

٥٠ - ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجدوا

تحية وتعظيم لا عبادة . ﴿فَفَسَقَ

عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ خرج عن طاعته

﴿آية البقرة ص ٩ ، ١٠﴾ .

وهو تعالى خير عاقبة لمن والاه .

والعقب والعقب : العاقبة .

يقال : عاقبة أمره كذا وعقباه

وعقبه ، أى آخره وما يصير إليه

منتهاه .

٤٥ - ﴿فَأَصْبَحَ هَبِيمًا﴾ يابسا

﴿يُقَلَّبُ كَفِيَّةً﴾ كتابة عن الندم

والتحسر . ﴿خَاوِيَةً عَلَى

عُرُوشِهَا﴾ [آية البقرة ص

٦٣] .

٤٤ - ﴿الْوَلَايَةُ لِلَّهِ﴾ النصر له

تعالى وحده . ﴿وَخَيْرٌ عَقْبًا﴾ أى



* مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ
أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ
يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا
لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ
النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ
الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ
يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ
سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ
الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيَجِدُلُ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا
هُزُوعًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ

٥١ - ﴿وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا﴾ أعوانًا وأنصارًا في شأن من شئني . يقال : فلان يعصُد فلانًا ، إذا كان يقويه ويعينه . والعصُد في الأصل : ما بين المِرْقَ إلى الكَتِف ، ويُستعار للمعين والناصر فيقال : فلان عصدي ، ومنه (سَشَدُ عَصْدَكَ بِأَخِيكَ) ^(١) لَأَن الْيَدَ قَوْمُهَا الْعَصْد .

٥٢ - ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ وجعلنا بين الدَّاعِينَ والمدْعُوبِينَ مَهْلِكًا يشتركون فيه وهو جهنم . اسم مكان من وَبِقَ وَبُوقًا - كَوْبَ وَتُوبًا - ، أَوْ وَبِقَ وَبَقًا - كَفَرَحَ فَرَحًا - : إذا هَلَكَ .

٥٣ - ﴿فَظَنُّوا﴾ أى علموا . ﴿مُوَاقِعُوهَا﴾ واقعون فيها أو داخلون فيها . ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ أى معدلاً عنها ، ومكاناً ينصرفون إليه .

٥٤ - ﴿صَرَّفْنَا﴾ كررنا بأساليب مختلفة . ﴿كُلِّ مَثَلٍ﴾ معنى غريب بديع كالمثل في غرابته .

٥٥ - ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ أى وما منع كفار مكة من الإيمان بالله وتبذير الشرك ، ومن الاستغفار مما فرط منهم من الآثام إلا تقدير الله إتيانهم ما جرت به سنته في الأمم المكذبة السابقة من الهلاك الدنيوي أو العذاب الأخروي . أو إرادته تعالى ذلك ، بناءً على ما علم سبحانه من سوء استعدادهم وخُبث

نفوسهم ؛ ف «أَنْ» وما بعدها في تأويل مصدر فاعل «منع» بتقدير مضاف وهو : تقدير أو إرادة . وفي الآية إنذار لهم بأن شأنهم وعاقبة أمرهم شأن الأولين المكذبين . ﴿سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ عذاب الاستئصال إذا لم يؤمنوا . ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ أى صوفًا وألوانًا ، أو عيانًا ومُقابَلَةً . ٥٦ - ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ ليزيلوا أو يبطلوا الحق بجدالهم ؛ ٥٨ - ﴿مُؤْتَلًّا﴾ ملجأً يلجأون من إحاض القدم ، وهو إزلاقها . يقال : أدحض قدمه ، أى أزلقها وأزلقها عن موضعها . واللَّحْضُ : الطين الذي يزلق فيه . ﴿هُزُوعًا﴾ استهزاء وسخرية . ٥٧ - ﴿أَكِنَّةٌ﴾ أغطية . ﴿وَقُرًا﴾ أى نَقْلًا وصممًا [آية ٢٥ الأنعام ص ١٧٢] . والآية فيمن علم الله أنهم يموتون على الكفر من مشركي مكة . ٥٨ - ﴿مُؤْتَلًّا﴾ ملجأً يلجأون

طويلاً : جمعه أحقاب ، وفي
معناه الحقة من الدهر وجمعها
حقب - كسيرة وسدر - ،
والحقة وجمعها حقب ؛ كعرة
وعرف .

٦١ - ﴿مَجْمَعٌ بَيْنَهُمَا﴾ أي
المكان الذي وعد موسى أن يجتمع
فيه بالخضر عليه السلام .
و«بين» ظرف أضيف إلى البحرين
على الاتساع . ﴿سَرَبًا﴾ مسلكاً
ومذهباً ؛ كالسرب في الأرض .
والسرب : الثقب والحفير تحت
الأرض ، والقناة يدخل منها الماء
البستان .

٦٢ - ﴿نَصَبًا﴾ تعباً وإعياء .

٦٣ - ﴿أَرَأَيْتَ﴾ أخبرني . أوتبه
وتذكر . ﴿أَوْتَنَا﴾ التجأنا .
﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾
أي سبيلاً يعجب منه ، أو اتخذاً
عجباً وهو كون مسلكه كالطاق
والسرب .

٦٤ - ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ أي
ذلك الذي ذكرت من أمر الحوت
هو الذي كنا نطلبه ونلتمسه ، من
حيث إنه أماراة على الفوز
بالمطلوب ، من البغاء بمعنى
الطلب . ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا
قَصَصًا﴾ فرجعا في طريقهما الذي
سلكاه يتبعان آثارهما اتباعاً حتى
انتهيا إلى مدخل الحوت . يقال :
قص أثره قصاً وقصصاً ، تتبعه .

٦٥ - ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا﴾
هو الخضر ، وهو نبي عند
الجمهور . واختلف في حياته ،

عَمَّا وَنَسَى مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً
أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى
فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٦٦﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ
لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ
مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً ﴿٦٧﴾ وَتِلْكَ الْأَقْرَى
أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٦٨﴾
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا آبرُحَ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ
أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا
فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٧٠﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ
إِنِّي غَدَاءٌ نَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٧١﴾ قَالَ
أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ
وَمَا أَنْسَيْتُهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ
فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٧٢﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى
آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٧٣﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ

في قصة موسى الكليم عليه
السلام . ﴿لِفَتْنِهِ﴾ يُوشع بن
نون . وقيل : إنه ابن أخت موسى
عليه السلام . ﴿مَجْمَعُ
الْبَحْرَيْنِ﴾ أي قرب ملتقاهما مما
يلي المشرق ، وهما على ما يظهر
البحر الأحمر ، والبحر الأبيض .
﴿أَمْضَى حُقُبًا﴾ أي أسير دهرًا

إليه . يقال : وأل إليه يتل وألا
وؤؤولا - بوزن وؤولا - لحا .

٥٩ - ﴿لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾
هلاكهم ميقاناً وأجلًا معيناً ، لا
يستأخرون عنه ساعة ولا
يستقدمون .

٦٠ - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى﴾ شروع

فذهب جمع من الأئمة إلى أنه ليس بحق اليوم : منهم البخاري وإبراهيم الحري وعلي بن موسى الرضا وأبو يعلى وشيخ الإسلام ابن تيمية . وذهب آخرون إلى أنه حق وسيموت آخر الزمان . وقال ابن القيم : إن الأحاديث التي يُذكر فيها حياته كلها كذب ، ولا يصح في حياته حديث واحد .

٦٦ - ﴿مِمَّا عَلَّمْتُ رُشْدًا﴾ علماً ذا رشد أصيب به الخير في ديني .
٦٨ - ﴿نَحِطُ بِهِ خُبْرًا﴾ علماً . يقال : خَبَرَ الأمرُ بِخَبْرَةٍ ، علّمه ، والاسم الخبر ، وهو العلم بالشيء ، ومنه الخبر ، أى العالم .

٧١ - ﴿شَيْئًا إِمْرًا﴾ عظيماً مُتَكْرراً . والإمر : الداهية ، وأصله كلُّ شيء شديد كثير ، ومنه قيل للقوم : قد أَمُرُوا ، إذا كثروا واشتد أمرهم . وأمرُ امرٍ : منكرٌ عجيبٌ .

٧٣ - ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ لا تكلفني من أمرى مشقة في صحبتى إياك . يقال : أرهقه طغياناً ، أغشاه إياه وألحق ذلك به . وأرهقه عُسْرًا : كلفه إياه . والإرهاق : أن يحمل الإنسان على ما لا يطيقه .

٧٤ - ﴿شَيْئًا نُكْرًا﴾ مُتَكْرراً عظيماً . يقال : نُكِرَ الأمرُ ، أى صعب واشتد . وعن قتادة : النُّكْرُ أشدُّ من الإمر .

٧٦ - ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ أى قد بلغت إلى الغاية

رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلِمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عَلَيْهَا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَاَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَاَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي سَارِكَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَلِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾

التي تُعذر بسببها في فراق حيث خالفتك مراراً .

٧٧ - ﴿فَأَبَاوَا﴾ فامتنعوا . الشئ وتبعه يقال : إنه وراءه بحثاً واستقصاءً : سواءً أتاه من الأمام أو من الخلف . قال الزجاج : «وراء» يكون لخلف وقدام ، ومعناها : ما توارى

٧٨ - ﴿بِتَأْوِيلٍ﴾ بمآل وعاقبة .

٧٩ - ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾



الرديئة. ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ أى
رحمة عليها وبرًا بها.

٨٢- ﴿يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ قوتها
وشدتها وكمال عقلها.

٨٣- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي
الْقَرْنَيْنِ﴾ هو عبد صالح ملكه الله
الأرض . وأعطاه العلم والحكمة
والسلطان . وقيل : نبي . كما
يشهد له ظاهر قوله تعالى : «فَلَمَّا يَأْ
ذَا الْقَرْنَيْنِ» . وسُمِّيَ ذا القرنين
لبلوغه المشرق والمغرب ، فكانه
حاز قرني الدنيا . وليس هو
الإسكندر المقدوني تلميذ
أرسطو . بل كان قبله بقرون .

٨٤ : ٨٦- ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
سَبِيلًا﴾ أى علمًا أو طريقًا يوصله
إليه . ﴿فَاتَّبَعَ سَبِيلًا﴾ سلك طريقًا
أفضى به إلى المغرب . يقال : اتَّبعَ
واتَّبع بمعنى واحد وهو السير .
﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾
أى مُتَهَيَّ الأَرْضِ المعمورة في
زمنه من جهة المغرب . وكذا يقال
في قوله تعالى : «حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ
مَطْلِعَ الشَّمْسِ» . ﴿وَجَدَهَا
تُغْرِبُ فِي عَيْنِ حَمِئَةٍ﴾ أى رآها
في نظره عند غروبها كأنها تغرب في
عين مظلمة وإن لم تكن كذلك في
الحقيقة . كما أن راكب البحر

يرأها كأنها تطلع من البحر وتغيب
فيه إذا لم ير الشط . والذي في
أرض مَلَسَاءَ واسعة يراها كأنها
تطلع من الأرض وتغيب فيها .
«حَمِئَةٍ» أى ذات حمأة وهي
الطين الأسود . من حَمِئَتِ البئر

فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا
أَنْ يُضْفِفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ
قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٨٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي
وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٨﴾
أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ
أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٨٩﴾
وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا
طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٩٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ
زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٩١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ
يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا
صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا
رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ
تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٩٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ
قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٩٣﴾ إِنَّا مَكَّاهُ فِي الْأَرْضِ
وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلًا ﴿٩٤﴾ فَاتَّبَعَ سَبِيلًا ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ

يُوقِعَهَا لَوْ يَقَىٰ حَبًّا فِي الطغيان
والكفر لشدة محبتها له . وقد
أعلمه الله أنه طبع كافرًا [آية ٧٣
هذه السورة] .

٨١- ﴿خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً﴾ أى
طهارة من الذنوب والأخلاق

عنه . أى ما استتر عنهك ؛
وليس من الأضداد كما زعم بعض
أهل اللغة . وهو ما يستأنس به
لما قلناه . ﴿غَصْبًا﴾ استلابًا بغير

حق .
٨٠- ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا﴾

تَحْمًا حَمًا : صارت فيها الحمأة .
وَقُرِئَ « حَامِيَّة » أَيْ حَارَّةٌ . اسْمُ
فَاعِلٍ مِنْ حَمَى يَحْمِي حَمِيًّا .

٨٧ - ﴿عَذَابًا نَكْرًا﴾ مِنْكَرًا
فَظِيحًا ، وَهُوَ عَذَابُ جَهَنَّمَ .

٩٠ - ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا
سِتْرًا﴾ أَيْ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِ
الْشَّمْسِ مَا يَسْتُرُونَ بِهِ مِنَ الْبِنَاءِ أَوْ
مِنَ الْبِنَاءِ وَاللِّبَاسِ : فَهُمْ قَوْمٌ عَرَاةٌ
يَسْكُنُونَ الْأَسْرَابَ وَالْكَهَوفَ فِي
نَهَايَةِ الْمَعْمُورَةِ مِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ .

٩١ - ﴿خُبْرًا﴾ عَلَمًا شَامِلًا .

٩٣ - ﴿بَيْنَ السَّدِّينِ﴾ الْجَبَلَيْنِ .
وَسُمِّيَ الْجَبَلُ سَدًّا لِأَنَّهُ سَدٌّ فَجًّا مِنْ
الْأَرْضِ . قِيلَ : إِنَّمَا فِيهَا بِقَرَبٍ
مِنْ عَرْضِ تِسْعِينَ دَرَجَةً مِنْ جِهَةِ
الشَّمَالِ .

٩٤ - ﴿بِأَجُوجَ وَمَاجُوجَ﴾

قَبِيلَتَيْنِ مِنْ ذُرِّيَةِ يَافَثَ بْنِ نُوحٍ .

﴿خَرَجًا﴾ وَقُرِئَ (خَرَجًا)

وَمَعْنَاهُمَا الْجُعْلُ مِنَ الْمَالِ .

وَقِيلَ : الْخَرْجُ الْمَصْدَرُ . أَطْلُقَ

عَلَى الْخَرَاكِ وَهُوَ اسْمٌ لِمَا يُخْرَجُ مِنَ

الْأَمْوَالِ . ﴿عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا

وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ حَاجِزًا يَنْعَمُهُمْ مِنَ

الْوُصُولِ إِلَيْنَا . وَالْإِفْسَادُ فِي أَرْضِنَا .

٩٥ - ﴿رَدْمًا﴾ حَاجِزًا حَصْبِيًّا

وَجَدَارًا مَتِينًا . وَهُوَ أَوْثَقُ مِنَ السِّدِّ

وَأَحْكَمُ . يُقَالُ : ثَوْبٌ مُرْدَّمٌ .

أَيْ فِيهِ رِقَاعٌ فَوْقَ رِقَاعٍ . وَسَحَابٌ

مُرْدَّمٌ : أَيْ مُتَكَاثِفٌ بَعْضُهُ فَوْقَ

بَعْضٍ .

٩٦ - ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾

قِطْعَةً الْعَظِيمَةِ . جَمْعُ زُبْرَةٍ -

كَعُرْفَةٍ - وَهِيَ الْقِطْعَةُ الْكَبِيرَةُ مِنْ

إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ

وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَلْذَآ الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ

وَأِمَّا أَنْ نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٨﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ

نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكْرًا ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا

مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ

لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٩٠﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩١﴾ حَتَّىٰ إِذَا

بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ

لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٢﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا

لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩٣﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٤﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ

السَّيِّئِينَ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ

قَوْلًا ﴿٩٥﴾ قَالُوا يَلْذَآ الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ

مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ

بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٦﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ

فَاعِيزَنِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٧﴾ ءَاتُونِي

زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا

حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٨﴾

وَجَمَعْتُ حُرُوفَهُ . ﴿بَيْنَ

الاجْتِمَاعِ : وَمِنْهُ زُبْرَةُ الْأَسَدِ ، لَمَّا

اجْتَمَعَ مِنَ الشَّعْرِ عَلَىٰ كَاهِلِهِ . وَأَصْلُ الصَّدَفِ الْمِثْلُ فِي خُفِّ

وَزُبُرَتِ الْكِتَابُ : أَيْ كَتَبَتْهُ الْبَعِيرُ إِلَى الْجَانِبِ الْوَحْشِيِّ . وَسُمِّيَ

الْحَدِيدُ . وَأَصْلُ الزُّبْرِ : وَجَمَعْتُ حُرُوفَهُ . ﴿بَيْنَ

الاجْتِمَاعِ : وَمِنْهُ زُبْرَةُ الْأَسَدِ ، لَمَّا

اجْتَمَعَ مِنَ الشَّعْرِ عَلَىٰ كَاهِلِهِ . وَأَصْلُ الصَّدَفِ الْمِثْلُ فِي خُفِّ



﴿نَقْبًا﴾ خَرَقًا لصلابته وثخائه

٩٨ - ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ أرضًا مستوية . أو مثل دكاء وهي الناقة لا سنام لها . وقرئ ﴿دَكَّا﴾ أى مذكوكنا مسوى بالأرض . ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ تذييل من ذى القرنين . وهو آخر ما حكى من قصته .

٩٩ - ﴿يَسْمُوجُ﴾ يخلط ويضطرب . ﴿نَفَخَ فِي الصُّورِ﴾ نفخة البعث .

١٠١ - ﴿غِطَاءً﴾ غشاء غليظ وستر كثيف .

١٠٢ - ﴿تُرْلًا﴾ شيئاً للضيافتهم . وأصله : المنزل وما يهيا للضيف من الزاد تكرمه له . وفي التعبير عن جهنم بالترل تهكم واستهزاء بهم .

١٠٥ - ﴿وَزَنًا﴾ مقداراً واعتباراً لحبوط أعمالهم .

١٠٧ - ﴿جَنَّتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ أفضل الجنة . وهو معنى قولهم : إنه وسط الجنة وربوتها وأعلاها وأرفعها . وهو لفظ عربى يجمع على فرايس . وقيل مُعَرَّبٌ ، ومعناه : البستان الذى يجمع ما فى البساتين . ﴿تُرْلًا﴾ ذكر فى مقابلة ذلك النزول المعد للكاافرين .

١٠٨ - ﴿لَا يَتَّبِعُونَ عَنْهَا حَوْلًا﴾ تحوُّلاً ، لكونها أطيب المنازل وأعلاها . مصدر سماعي لِتَحَوَّلَ كالعوج والصَّعَر . يقال : حال من مكانه حَوْلًا .

فَبَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾
قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ﴿٩٨﴾
وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٩﴾ * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿١٠٠﴾
وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠١﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠٢﴾
الْحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٣﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٤﴾
الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَآخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٧﴾
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٨﴾

كل واحد من الجانبين صدقاً والشَّفع . ﴿قِطْرًا﴾ نحاساً لكونه مصادقاً ومقابلاً للآخر ، من قولك : صادفت الرجل ، أى لاقيه ، ولذا لا يقال للمفرد صدق حتى يصادفه الآخر . فهو من الأسماء المتضايقة كالزَّوج ويرقوا عليه لملاسته وارتفاعه

١٠٩ - ﴿مِدَادًا﴾ هو المادة التي يكتب بها . ﴿لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ معلوماته وحكمته تعالى . ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾ فَنِي وَفَرغ . يقال : نَفِدَ يَنْفَدُ نَفَادًا وَنَفْدًا ، فَنِي وَذَهَبَ ، ومنه : أنفذه واستنفذه ، أى أفناه .. ﴿مَدَدًا﴾ عونًا وزيادة . والله أعلم .

خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُلْ لَوْ كَانَتِ
الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ
كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا
بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَمَنْ
كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ
بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

(١١٩) سُورَةُ مَرْيَمَ مُكَيِّتَةً
الْآيَاتِ ٥٨ وَ ٧١ فَذُنُوبَانِ
وَأَيَّاهَا ٩٨ نَزَلَتْ بَعْدَ فَاطِرٍ

سُورَةُ مَرْيَمَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَبَّعَصَ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾
إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ
الْعَظْمُ مِنِّي وَآسْتَعِلُّ الرَّأْسَ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ
رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ
أُمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ
مِنْ آلٍ يَعْقُوبُ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يٰزَكَرِيَّا إِنَّا
نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾

٢ - ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف ، أى المثلث عليك ذكر ... الخ .

٣ - ﴿نِدَاءً خَفِيًّا﴾ دعاء مستورًا لم يسمعه أحد .

٤ - ﴿وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ ضَعُفَ مِنَ الْكِبَرِ . وَقُرِئَ «وَهْنٌ» بالحركات الثلاث ، مِنَ الْوَهْنِ وهو الضَّعْفُ . وَخُصَّ الْعَظْمُ بالذكر لأنه عمود البدن وبه قوامه ، فإذا وَهَنَ تداعى البدن كله . وَأُفْرِدَ لِأَن الْمُرَادَ بِهِ الْجَنْسُ . ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ﴾ أى بدعائى إِيَّاكَ فيما مضى من عمري ﴿رَبِّ شَقِيًّا﴾ خائبًا . بل كنت سعيدًا بإجابته ، فَأُسْعِدْنِي الْآنَ بإجابته .

٥ ، ٦ - ﴿خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ أى بَنِي عَمِّي وَعَصَبَتِي ، وَكَانُوا شِرَارَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَخَافَ أَلَا

يُحْسِنُوا خِلَافَتَهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ فِي أَمْتِهِ وَيُيَدِّلُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ . جَمْعُ مَوْلَى ، وَهُوَ الْعَاصِبُ . ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ ابْنًا مُرَضِيًّا عِنْدَكَ ، ﴿يَرِثُنِي﴾ فِي الْعِلْمِ ، ﴿وَيَرِثُ مِنْ آلٍ يَعْقُوبُ﴾ النُّبُوَّةُ ، بِمَعْنَى أَنَّهُ يَصْلُحُ لَهَا . وَالْوَلِيُّ : يُطْلَقُ عَلَى التَّصِيرِ

أَيَّامَهُنَّ . ﴿سَوِيًّا﴾ أى حال
كونك سوى الخلق سليم
الحواس ، لا غلة بك من خرس
أو مرض .

١١ - ﴿مِنَ الْمُحَرَّابِ ..﴾ من
المُصَلِّي ، أو من الغرفة [آية
٣٧ آل عمران ص ٧٩] .
﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾ أشار إليهم
﴿أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أى
صلُّوا لله تعالى طرفي النهار . أو
نُزْهوه فيها ، وهو كقوله تعالى :
(وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) (١)

١٢ ، ١٣ - ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ﴾
فهم التوراة والعبادة . أو النبوة .
﴿وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا﴾ أى وأعطيناه
من عندنا رحمة عظيمة عليه . أو
رحمة في قلبه وتعطفًا على الناس .
﴿وَزَكَاةً﴾ بركة ونماء ، أو
طهارة من الذنوب ، أى جعلناه
مباركًا نفاعًا معلمًا للخير ﴿تَقِيًّا﴾
مطيعًا محتنبًا للمعاصي .

١٤ - ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ كثير البر
والإحسان إليهما . ﴿وَلَمْ يَكُنْ
جَبَّارًا﴾ مستكبرًا متعاليًا
﴿عَصِيًّا﴾ ذا عصيان ومخالفة
لربه .

١٦ - ﴿انْتَبَذَتْ ..﴾ اعتزلت
وانفردت للتخلي للعبادة . افتعال
من التَّذُّد ، وهو طرح الشيء
والقاؤه كأنها ألقت بنفسها إلى
جانب ، معتزلة عن الناس . في
مكان بلى شرقى بيت المقدس أو
شرق دارها ، متخذة من دونهم
سائرًا .

قَالَ رَبِّ أَلَيْسَ لِي عَلَمٌ وَكَانَتْ أَمْرًا عَاقِرًا
وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (٨) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ
هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِن قَبْلُ وَلَدْتُكَ شَيْئًا (٩)
قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ
ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ
فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (١١) يَسْبِحُنِ خُذِ
الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَحَنَانًا مِّنْ
لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٣) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ
جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ
يُيَعَّثُ حَيًّا (١٥) وَأَذْكُرُنِي الْكِتَابِ مَرِّمَ إِذِ انْتَبَذَتْ
مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ
حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧)

الكبر حالة لا سبيل إلى إصلاحها
ومداوانها ، وهى اليأس والصلابة
في المفاصل والعظام . يقال : عتا
الشيخ يعتو عتياً ، كبر وولى .
وأصله عتوؤ ، قلبت الواو الثانية
ياءً وأدغمت ، ثم كسرت التاء ثم
العين إتباعاً لها . وقرئ «عتياً» .

١٠ - ﴿آيَةً﴾ علامة على تحقق
المستول لأشرك . ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ
النَّاسَ﴾ أى لا تستطيع تكليمهم
بلسانك ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ﴾ مع

والعين . ﴿رَضِيًّا﴾ مرضياً عندك
قولا وفعلًا .

٧ - ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ
سَمِيًّا﴾ شريكاً في الاسم ، حيث
لم يُسم أحد قبله يحيى . أو شبيهاً
في صفاته وأحواله .

٨ - ﴿أَلَيْسَ لِي عَلَمٌ﴾
كيف ؟ أو من أين يحدث لى
غلام ؟! استفهام تعجب وسرور
بهذا الأمر العجيب . ﴿بَلَغْتُ مِنَ
الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ أى بلغت بسبب

١٧ - ﴿حِجَابًا﴾ سترًا .
﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ أى
جبريل عليه السلام [آية ٨٧ البقرة
ص ٢٢] ليشرها بالسلام وينفخ
فيها فتحمّل به . والإضافة
للتشريف ؛ كبيت الله . ﴿فَتَمَثَّلَ
لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ أى فى صورة
إنسان معتدل الخلق كامل البنية ؛
لتناسل بكلامه ولا تتغير منه .
ولو بدا لها فى الصورة الملكيّة
لنقرت منه ولم تستطع مكالمته ..
يقال : رجلٌ سَوِيٌّ . إذا استوت
أخلاقه وخلقه عن الإفراط
والتقريط .

١٨ - ﴿إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ أى إن
كان يُرجى منك تقوى الله فإنى
عائدة به منك ؛ وهو كقول
القاتل : إِنْ كُنْتَ مُؤْمِنًا فَلَا
تَظْلَمْنِي .

١٩ - ﴿عَلَمًا زَكِيًّا﴾ مزكى
مطهرًا بالخلقة .

٢٠ - ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ فاجرة
تبغى الرجال . أو يبغيها الرجال
للفجور بها . يقال : بَغَتْ الأُمّةُ
تَبَغَى بَغْيًا . فهي بَغِيٌّ وَبَعُورٌ . إذا
عَهِتْ . والبَغِيُّ : الأُمّةُ أو الحرّةُ
الفاجرة .

٢٢ - ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ بعيدًا من
أهلها وراء الجبل . يقال : قَصَا
عنه قَصُوءًا وَقَصُوءًا . بَعْدَ فهو
قَصِيٌّ . وهو بمكان قَصِيٍّ : أى
بعيد .

٢٣ - ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى
جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ أَلْجَأَهَا . يقال :

قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾
قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾
قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ
بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَ لَكَ
آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾
* فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا
الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلْبِثْنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا
وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي
قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَرَى إِلَيْكَ يَجِدُكَ
النَّخْلَةُ سَقِطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي

السلام ؛ مِنَ السَّوِّ بمعنى الرُّفعة .
يقال : سَرَوُ الرَّجُلِ يَسْرُو - كَشَرَفَ
يَسْرُفُ - فهو سَرِيٌّ . أو جعل
قُرْبَكَ جَدًّا وَلَا صَغِيرًا كَانَ قَدْ انْقَطَعَ
مَاؤُهُ ثُمَّ جَرَى وَامْتَلَأَ . وَسُمِّيَ
(سَرِيًّا) مِنْ سَرَى يَسْرِي ؛ لِأَن
الماء يسرى فيه .

٢٥ - ﴿رُطْبًا﴾ هو نضيج البُسْرِ .
﴿جَنِيًّا﴾ مجيئًا . أى صالحًا
للاجتماع .

٢٦ - ﴿وَقَرَى عَيْنًا﴾ طيبي نفسًا
بالولد . وارفَضِي عَنْكَ مَا
أَحْزَنَكَ ؛ أَمْرٌ مِنْ قَوَّتْ عَلَيْهِ تَقَرَّرَ -
بالكسر والفتح - قَرَّةٌ وَقَرَّةٌ
وَقُرُورًا : إذا رَأَتْ مَا كَانَتْ

أَجَأَتْهُ إِلَى كَذَا - بمعنى أَلْجَأَتْهُ
واضطرتته إليه . وهو تَعْدِيَةٌ
«جاء» بالهمز . والمَخَاضُ : وَجَعُ
الولادة . يقال : مَخَضَتِ الْمَرْأَةُ
تَمَخَضُ . إذا أَخَذَهَا الطَّلُقُ .
وَالْجِذْعُ : مَا بَيْنَ الْعُرُوقِ
وَمَتَشَعَّبَ الْأَغْصَانُ مِنَ الشَّجَرَةِ .
﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾ شَيْئًا مَتْرُوكًا
مَطْرُوحًا . وَكُلُّ شَيْءٍ نَسِيَ وَتَرَكَ
وَلَمْ يُطْلَبْ فَهُوَ نَسِيٌّ وَنَسِيٌّ .
«مَنْسِيًّا» تَأْكِيدٌ .

٢٤ - ﴿فَتَادَاهَا﴾ جبريل أو
عيسى عليها السلام . ﴿قَدْ جَعَلَ
رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ إِنْسَانًا رَفِيعَ
الْقَدَرِ . وَالْمَرَادُ بِهِ عِيسَى عَلَيْهِ



تميم . وهارون : قيل هو أخ موسى عليه السلام ، وكانت من نسله . وقيل : هو رجل صالح في بني إسرائيل .

٢٩ - ﴿مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ﴾ أى كيف نكلّم من لم يزل في المهد صبياً ؟ [آية ٤٦ آل عمران ص ٨٠] وقد نكلّم ، فوصف نفسه بثلاث صفات ، أولها - العبوديّة لله عزّ وجلّ ، وآخرها - تأمّن الله له في أخوف المقامات . وكلّ هذه الصفات تقتضى تربية أمّه .

٣٠ - ﴿آتَانِي الْكِتَابَ﴾ سبق في قضائه إيتاى الكتاب . وكذا يقال فيما بعده .

٣٢ - ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْ﴾ بارّاً بهما محسناً مكرّماً .

٣٤ - ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ أى حال كون عيسى كلمة الله ، بمعنى أنه خلق بكلمة «كن» من غير أب . ﴿يَمْتَرُونَ﴾ أى يختصمون ويختلفون . يقال : ماريت فلاناً ، إذا جادلته وخاصته [آية ١٤٧ البقرة ص ٣٥] .

٣٥ - ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً لله عن اتحاد الولد ، من التسبيح بمعنى التنزيه عن النقائص . ﴿إِذَا قُضِيَ أَمْرٌ﴾ أى أرادته [آية ١١٧ البقرة ص ٢٩] .

٣٧ - ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾ فقال فريق منهم : هو ابن الله ، وقال فريق إنه هو الله ، وقال

وَقَرَىٰ عَيْنًا فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٩﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٣٠﴾ يَأْتِيَنَّ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءَ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٣١﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٣﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣٤﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٥﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٦﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٨﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٩﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٤٠﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا

مشوّقة إليه . مأخوذ من القرار بمعنى الاستقرار أى السكون ، لأن العين إذا رآته سكنت إليه ولم تنظر إلى غيره . يقال : فلان يقرى القرى ، إذا كان يأتي بالعجب في عمله . والفري : الأمر المحتلّق المصنوع .

٢٧ - ﴿شَيْئًا فَرِيًّا﴾ عظيماً أو عجيباً . أو مصنوعاً مختلفاً . ٢٨ - ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ هو كقولهم : يا أخا العرب ، ويا أخا

فريق ثالث : إنه ثالث ثلاثة (١) .
والثلاثة : الله وعيسى ومريم ؛
تعالى الله عما يقولون علواً
كبيراً ٢٢ .

٣٨ - ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾
صيغتا تعجب ، لفظها لفظ الأمر
ومعناها التعجب ، أى حمل
المخاطب على التعجب ، وفاعلها
الضمير المحرور بالباء وهى زائدة
فيها لزوماً ، كما زيدت جوازاً فى
فاعل (كفى بالله شهيداً) (٢) .
والمعنى : ما أسمعهم وما أبصرهم
فى ذلك اليوم ؛ لما يخلع قلوبهم
ويسود وجوههم ؛ وقد كانوا فى
الدنيا ضماً وعمياناً .

٣٩ - ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ الندامة
الشديدة على ما فات .
٤٣ - ﴿صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ مستقيماً
لا اعوجاج فيه ؛ وفيه النجاة لك
من غضب الله ونقمته .

٤٤ - ﴿لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ إذ أن
عبادة الأصنام عبادة له ؛ لأنه هو
الذى يُسَوِّطُهَا وَيُعْرِى بِهَا .
﴿عَصِيًّا﴾ كثير العصيان .

٤٥ - ﴿وَلِيًّا﴾ قريباً تليه وبليك
فى العذاب .

٤٦ - ﴿وَاهْجُرْنِي﴾ أى
فاخذرنى واتركنى ﴿مَلِيًّا﴾ أى
دهراً طويلاً ؛ من الملاوة -
بتثنية الميم - وهى البرهة الطويلة
من الدهر . والمراد : أبداً الدهر .

٤٧ - ﴿كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ باراً
مطلقاً ؛ فيجيب دعائى لك .
يقال : حفى به حقاًوة . اعنى به

لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنْذِرْهُمْ
يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا
وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ
إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَّبِعْ
مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَتَّبِعْ
إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا
سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَتَّبِعْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ
كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَّبِعْ إِنِّي خَافُ أَنْ يَمَسَّكَ
عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ
أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْهَيْئَةِ يَلْمِزْهُمْ لِيْن لَمْ تَكُنْ لَهُ لَارْجُئًا
وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي
إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَرَلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾
فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا
وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ

وبالغ فى إكرامه ؛ فهو حافٍ السعى
٥٠ - ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ ثناء حسنا
وحقى .
٤٨ - ﴿شَقِيًّا﴾ خائباً ضائع فى أهل كل دين .

(١) راجع مزاعم هذه الفرق فى تفسير الألوسي لآية ١٧١ من سورة النساء - والمثل والنحل للشهرستاني . (٢) آية ٧٩ النساء .



مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ٥١ وَنَدَيْنَاهُ
 مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ٥٢ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ
 رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ٥٣ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ
 إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ٥٤ وَكَانَ يَأْمُرُ
 أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ٥٥
 وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ٥٦
 وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ
 عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ
 وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا
 إِذَا تُنْتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ٥٨
 * نَخْلَفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا
 الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ٥٩ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ
 وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ
 شَيْئًا ٦٠ جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ
 إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ٦١ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا
 وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ٦٢ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي
 نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ٦٣ وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا
 بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ
 وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ٦٤ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

٥١ - ﴿كَانَ مُخْلَصًا﴾ أخلصه
 الله تعالى له واصطفاه . وقرئ
 بكسر اللام : أى أخلص عباده
 لله .

٥٢ - ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ مُنَاجِيًّا .
 تقرب مكانة وتشریف بإسماعه
 كلامنا : من المناجاة وهي
 المسارة بالكلام .

٥٨ - ﴿وَاجْتَبَيْنَا﴾ اصطفينا
 واختارنا للرسالة والوحي : من
 الاجتباء بمعنى الاختيار . ﴿خَرُّوا
 سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ ساجدين
 وباكين : اخضوعاً وخشوعاً .
 وخوفاً وحذراً . وتعظيماً وتمجيداً
 لله تعالى . جمع ساجد وباك .
 وأصله بكوى . فقلبت الواو ياء
 وأدغمت . وحزكت الكاف
 بالكسر لمناسبة الياء .

٥٩ - ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ
 خَلْفٌ﴾ عقب سوء . والمشهور
 استعمال الخلف - بالسكون - في
 الشر كما هنا ، وبالفتح في الخير .
 فيقال : خلف صالح . ﴿غِيًّا﴾
 ضلالاً وخساراً : أى جزاء غي
 وهو العذاب في الآخرة [آية ٢٥٦
 البقرة ص ٦١ ، ٦٢] .

٦١ - ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ أى
 كان موعوده وهو الجنة آتياً عباده
 الذين وعدهم بها في الدنيا .
 وهي غائبة عنهم غير حاضرة .
 و«مَأْتِيًّا» اسم مفعول بمعنى فاعل .

٦٢ - ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾
 أى فضولاً من الكلام لا نفع
 فيه . أو باطلاً وقيحاً منه .

﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أى فى مقدار طرفى النهار فى الدنيا . والمراد : دوام الرزق فيها وعدم انقطاعه .

٦٤ - ﴿وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ نزلت لما احتبس الوحي عنه صلى الله عليه وسلم أياماً ، حين سئل عن قصة أصحاب الكهف وذى القرنين والروح . وشق ذلك عليه . ثم نزل الوحي بعد أيام ، فقال صلى الله عليه وسلم لجبريل : (أبطأت على حتى ساءنى واشتقت إليك) فقال له جبريل : (إني كنت أشوق . ولكنى عبد مأمور إذا بعثت نزلت ، وإذا حبست احتبست) فأنزل الله الآية .

٦٥ - ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ نظيراً أو شبيهاً يستحق العبادة لربوبيته وألوهيته ، وكمال تضرعه عن النقائص ، وأتصافه بصفاته الجليلة .

٦٦ - ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ ..﴾ نزلت فى الوليد بن المغيرة . أو أبى بن خلف أو العاص بن وائل . فهو من العام الذى أريد به الخصوص . وقيل : المراد جنس منكرى البعث .

٦٨ - ﴿جَنِيًّا﴾ باركين على الركب عجزاً عن القيام ، لما يصيبهم من هول الموقف وشدته . يقال : جنّا يحنو ويحنى جنواً وجنيّاً ، جلس على ركبته ، فهو جاثٍ وجمعه جثى وجثى ، وبها قرئ . وأصله جنوؤ بوأوين ، قلبت الثانية ياء ثم الأولى كذلك

وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ٦٥ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَوْذَا مِمَّا تَلَسَوْفَ تُخْرِجُ حَيًّا ٦٦ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ٦٧ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ٦٨ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ٦٩ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ٧٠ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ٧١ ثُمَّ نَحْيِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ٧٢ وَإِذَا نُتِيَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ

استكبر وجاوز الحد : فهو عاتٍ وعتّى .

٧٠ - ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ﴾ أى بالأشد كفرةً . الذين ﴿هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ أى مقاساة لحرقها . أو دخولاً فيها . يقال : صلى النار وبها - كرضى - صليّاً وصليّاً وصلاً - قاسى حرّها ، كتصلاًها . ويقال : صلى اللحم يصليه صليّاً . شواه وألقاه فى النار للإحراق . وأصله النار . وصلاه إياها وفيها وعليها : أدخله إياها وأثواه فيها . وأصل صليّ : ضلوى . قلبت الواو ياءً وادغمت وكسرت اللام لمناسبة الياء .

٧١ - ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا

وَأُدْغِمَتْ فى الياء ، ثم كسرت اللام لمناسبة الياء . والجيّم إبتاعاً لما بعدها . أو أصله جنوى .

٦٩ - ﴿لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ ..﴾ ثم لنخرجن من كل طائفة تشايحت على الكفر والباطل - الذين هم أشد نبواً عن طاعة الله وعصيانا - إلى أن يحاط بهم . فإذا اجتمعوا طرحنهم فى النار على الترتيب . نقدّم أولاهم فأولاهم بالعذاب . والشيعّة فى الأصل : الجماعة المتعاونون على أمر من الأمور . يقال : تشايح القوم - إذا تعاونوا . ﴿عِتِيًّا﴾ أى نبواً عن الطاعة وعصيانا . يقال : عتا عتياً وعتياً وعتوا ،

ومنه : دار الندوة .

٧٤ - ﴿قَرْنٌ﴾ أمة ﴿أَنَّا﴾ متاعاً ﴿وَرَبَّنَا﴾ منظرًا ومرءًا في العين ؛ من الرؤية ؛ كالطحن بمعنى المطحون .

٧٥ - ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ فليسهله وليمثل له في العمر والسعة ؛ ليزداد طغياناً وضلالاً .
﴿وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ أقل أعواناً وأنصاراً .

٧٦ - ﴿وَحَيْرٌ مَرْدًا﴾ أى مرجعاً وعاقبة .

٧٧ - ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ نزلت في العاص بن وائل ، وكان من المشركين المنكرين للبعث ؛ وقال ما قال استهزاء وسخرية . وقيل في الوليد ابن المغيرة ؛ وكان كذلك .

٧٨ - ﴿أُطْلِعَ الْعَيْبُ﴾ أعلم الغيب (استفهام) .

٧٩ - ﴿كَلَّا﴾ حرف رذع وزجر عن التفتوه بهذه العظيمة التكرار ، أى لم يكن ذلك ! . ﴿وَنُمَدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ﴾ نزيده فوق عذاب كفره عذاباً في جهنم على ذلك ؛ من المد ؛ وأكثر ما يستعمل في المكروه . كما أن الإمداد أكثر ما يستعمل في المحبوب .

٨١ - ﴿عِزًّا﴾ شفعاء وأنصاراً يتعززون بهم .

٨٢ - ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ أعداء مخالفين لهم . يقال : ضده في الخصومة - من باب رد - غلبه

قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيِ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٤﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرَدًّا ﴿٧٥﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٦﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَلَقِيْتُ الصَّالِحِينَ خَيْرٍ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٍ مَرْدًا ﴿٧٧﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٨﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ آتَاهُ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٩﴾ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٨٠﴾ وَنَزِّنُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨١﴾ وَأَنخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨٢﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ

وآرذها .. أى داخلها ؛ مسلماً كان أو كافراً ؛ فتكون برداً وسلاماً على المؤمنين ، ثم ينجى الله الذين اتقوا . أو وأصلها بالمرور على الصراط المنسوب على مثنها من غير دخول فيها . والخطابُ خاصٌّ بالذين سبقت لهم الحسنى . أو يراد بالورود : الإشراف والاطلاع والقرب ؛ فإنهم حين يحضرون للحساب يكونون بقرب جهنم ، فيؤنثها وينظرون إليها ثم ينجى الله الذين اتقوا لما نظروا إليه ، ويُنصار بهم إلى الجنة ، ويذر الظالمين في النار جثثاً .

٧٣ - ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ مجلساً ومجتمعاً ؛ يفاخرون فقراء المؤمنين بالمال والجاه العريض . والسدى والسدى والندوة والمُتَدَى : مجلس القوم ومجتمعهم حيث يتندون . يقال : ندوت القوم أندوهم ندوا ، إذا جمعتهم في مجلسٍ للانداء ؛

ومنعهُ برفق . وضادّه خالفه .

٨٣- ﴿تُؤْذِهِمْ آزًا﴾ تُحَرِّكُهُمْ تحريكاً قوياً ، وتغريهم إغراءً شديداً بالمعاصي حتى يواقعوها . يقال : آز الشيء يَؤْزُهُ ويؤْزُهُ آزاً ، حرّكه شديداً . وآزهُ يؤْزُهُ آزاً ، أغراه وهيجهُ . وآزهُ : حثّه . والآزُ والأزير والهزّ والهزير : بمعنى التهييج وشدة الإزعاج . وأصله من آزت القدر تؤْز وتثر آزاً وأزيراً : اشتدّ غلبانها .

٨٥- ﴿وَفَدَّا﴾ رُكباناً على نجائب ؛ جمع وافد . يقال : وَفَدَ إِلَيْهِ وعليه يَفْدُ وَفْدًا ووُفُودًا ، قَدِمَ وورد . والوفدُ : هم الذين يَفْدُونَ على الملوك مستنجزين الحوائج .

٨٦- ﴿وَرَدَّا﴾ عِطاشاً . والوردُ : الجماعة يَرْدُونَ الماء ، ولا يَرْدُونَ إِلَّا للعطش .

٨٧- ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾ جملةٌ مستأنفة ؛ أى لا يملك الناسُ في ذلك اليوم أن يشفعوا في غيرهم ولا أن يشفع غيرهم فيهم ؛ إلا من اتصف منهم بما يستاهل معه أن يشفع ؛ أو إلا من أذن له الرحمن فيها ؛ كقوله تعالى : (يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا) (١) . ﴿عَهْدًا﴾ أى أمراً ، من قولهم : عهد الأمير إلى فلان بكذا ، إذا أمره به . ويقال : أخذت الإذن بكذا اتخذته .

٨٩- ﴿شَيْئًا إِذَا﴾ فظيماً مذكراً .

(١) آية ١٠٩ طه .

وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢) أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيْطَانَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْذُهُمْ آزًا (٨٣) فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعِدُّهُمْ عِدًّا (٨٤) يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًّا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرَدًّا (٨٦) لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٨٧) وَقَالُوا أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَنَخِرُ الْحِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا (٩٥) إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ

والإيُّ والإدَّة - بكسرهما - : مهدودة . يقال : هذَّ الحائط العجب والأمر الفظيع ، والذاهية والمسكر ؛ كالآد بالفتح . وأذته الذاهية تؤذّه وتبذّه : ذهته .

٩٠ ، ٩١- ﴿يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ يتشققن منه قطعاً ؛ من التفطير . يقال : فطره يفطره ويفطره ، شقه ؛ فانفطر وتفتطر . ﴿ونخِرُ﴾ الحِبَالُ هَدًّا أى تسقط على سرر متقابلين . يقال : ودّته

سورة طه

١ - ﴿طه﴾ لَفْظٌ اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ . أَوْ اسْمٌ لِلسُّورَةِ . أَوْ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٢ - ﴿لَتَشْفَى﴾ لَتَشْفَى وَتَتَعَبُ مِنْ فَرْطِ تَأْثُلِكَ عَلَى كَفَرِهِمْ بِهِ ، بَلْ لَتُبْلَغَ وَتَذَكَّرُ وَقَدْ فَعَلْتَ ، فَلَا عَلَيْكَ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بَعْدَ ذَلِكَ . وَأَصْلُ الشِّقَاءِ فِي اللُّغَةِ : الْعَنَاءُ .

٣ - ﴿لِمَنْ يَخْشَى﴾ أَي لِمَنْ شَأْنُهُ أَنْ يَخْشَى اللَّهَ وَيَتَأَثَّرَ بِالْإِنْذَارِ . وَخُصَّ الْخَاشِئُ بِالذِّكْرِ مَعَ أَنَّ الْقُرْآنَ تَذَكُّرٌ لِلنَّاسِ كَافَّةً لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِهِ ، وَغَيْرُهُ بِمَنْزِلَةِ الْعَدَمِ .

٥ - ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ أَي اسْتَوَاءً يَلِيْقُ بِكَمَالِهِ تَعَالَى ، بَلَا كَيْفٍ وَلَا تَشْبِيهِ وَلَا تَمَثِيلَ [آيَةُ ٥٤ الْأَعْرَافِ ص ٢٠٧] .

٦ ، ٧ - ﴿وَمَا تَحْتِ الثَّرَى﴾ الثَّرَى : الثَّرَابُ الثَّقِيلُ . يُقَالُ : ثَرَبْتُ الْأَرْضَ - كَرَضَيْتُ - ثَرَى فَهِيَ ثَرِيَّةٌ ، إِذَا نَدَيْتُ وَلَانَتْ بَعْدَ الْجُدُوبَةِ وَالْيُبْسِ . وَالْمُرَادُ : مَا وَارَاهُ الثَّرَى وَهُوَ تَحْوِمُ الْأَرْضَ إِلَى نَهَايَتِهَا . وَخُصَّ بِالذِّكْرِ مَعَ دُخُولِهِ فِي قَوْلِهِ : (وَمَا فِي الْأَرْضِ) لِرِيزَادَةِ التَّقْرِيرِ . ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى إِحَاطَةَ عِلْمِهِ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ إِنْشَاءً إِحَاطَةَ قُدْرَتِهِ وَشُمُولَهَا لَجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ بِقَوْلِهِ : ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ﴾ أَي تَرْفَعُ صَوْتَكَ بِالذِّكْرِ

بِهِ قَوْمًا لَدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُحِْسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا ﴿٩٨﴾

(٢٠) سُورَةُ طه مَكِّيَّةٌ
إِلَّا آيَتَيْ ١٣٠ وَ ١٣١ فَدُنِيَّتَانِ
وَأَيَّاهَا ١٣٥ نَزَلَتْ بَعْدَ مَرْيَمَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ أَنْ لَتَشْفَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكُّرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَاكَ

صَوْتًا خَفِيًّا . وَأَصْلُ الرَّكْرِ : الْخَفَاءُ . يُقَالُ : رَكَرَ الرَّحْمُ بِرَكَرْهُ ، وَبَرَكَرْهُ ، عَزَزَهُ فِي الْأَرْضِ ، وَمِنْهُ الرُّكَازُ لِلْهَالِ الْمَدْفُونِ . وَالْمُرَادُ : أَنَّهُ اسْتَأْصَلَهُمْ ، فَلَا عَيْنَ لَهُمْ وَلَا أَثَرَ ؟ فَكَذَلِكَ عَاقِبَةُ مُشْرِكِي مَكَّةَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَوَدِدْتَهُ أَوْدَهُ . أَحْبَبْتَهُ .
٩٧ - ﴿قَوْمًا لَدًّا﴾ ذَوِي لَدٍّ وَشِدَّةٍ فِي الْحَصُومَةِ بِالْبَاطِلِ ، وَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ . جَمْعُ اللَّذِّ ، وَهُوَ الْخِصْمُ الشَّدِيدُ الثَّابِتُ [آيَةُ ٢٠٤ الْبَقَرَةِ ص ٤٨] .

٩٨ - ﴿قَرْنٍ﴾ أَمَةٌ . ﴿هَلْ يُحِْسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ أَي هَلْ تَجِدُ أَحَدًا مِنْهُمْ . يُقَالُ : أَحَسَّ الرَّجُلُ الشَّيْءَ إِحْسَاسًا ، عَلِمَ بِهِ ، أَي لَا تَعْلَمُ مِنْهُمْ أَحَدًا لِعَدَمِ وَجُودِهِ . ﴿تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا﴾



أَوْ الدِّعَاءُ ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ أَي وَيَعْلَمُ أَخْفَى مِنَ السِّرِّ . وَالسِّرُّ : مَا حَدَّثَ الْإِنْسَانُ بِهِ غَيْرَهُ فِي خَفَاءٍ . وَالْأَخْفَى مِنْهُ : خَوَاطِرُهُ الْتَفْسِيَةُ الَّتِي لَا يُحَدِّثُ بِهَا غَيْرَهُ .

٩ - ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ استئنافٌ لتقرير أمر التوحيد الذي إليه انتهى مساق الحديث ، وبيان أنه أمر مستمرٌ جاءت به جميعُ الرِّسَالَاتِ السماوية ودعا إليه كلُّ رسول . ١٠ - ﴿إِذْ رَأَى...﴾ وهو قادمٌ من مَدْيَنَ إِلَى مِصْرَ ومعه زوجته بنت شعيب عليه السلام . ﴿إِنِّي آنَسْتُ﴾ أَبْصَرْتُ أَبْصَارًا يَبِينُ لَا شَبَهَ فِيهِ . ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ﴾ بِجَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ ، وَهِيَ الشَّعْلَةُ الَّتِي تَأْخُذُهَا مِنَ النَّارِ فِي طَرَفِ عُودٍ وَنَحْوِهِ . ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ أَي أَجِدُ عِنْدَهَا هَادِيًا يَدُلُّنِي عَلَى الطَّرِيقِ ؛ وَكَانَتِ اللَّيْلَةُ مَظْلَمَةً . أَوْ عَلَى الْمَاءِ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ ضَلَّ طَرِيقَهُ . مُصَدَّرٌ سُمِّيَ بِهِ الْفَاعِلُ مُبَالِغَةً .

١١ - ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾ أَي النَّارَ الَّتِي آتَسَهَا ؛ وَكَانَتْ فِي شَجَرَةٍ . قِيلَ : إِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نَارًا ، بَلْ كَانَتْ نُورًا مِنْ نُورِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى . ﴿نُودِيَ﴾ مِنْ حَضْرَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ : ﴿يَا مُوسَى﴾ وَهَذَا أَوَّلُ الْمَكَالَمَةِ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَيْنِهِ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ . وَآخِرُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى : (أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ

(١) آية ٤٨ من هذه السورة .

حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا آخَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمُوسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْتَسُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَى ﴿١٩﴾ فَالْقَهَا فَإِذَا

كَذَّبَ وَتَوَلَّى) (١) وَقَدْ سَمِعَ الصَّوْتِ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ وَيَجْمَعُ الْأَعْضَاءَ ؛ فَعَرَفَ أَنَّهُ نِدَاءُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . ١٢ - ﴿الْمُقَدَّسِ﴾ الْمُطَهَّرِ أَوْ الْمُبَارَكِ . ﴿طُوًى﴾ اسْمٌ لِلْوَادِي الْمُقَدَّسِ ؛ أَيِ الْمُطَهَّرِ أَوْ الْمُبَارَكِ . ١٥ - ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ أَقْرَبُ أَنْ أَسْتَرَهَا مِنْ نَفْسِي . فَكَيْفَ أَظْهَرُكُمْ عَلَيْهَا ! أَوْ فَكَيْفَ يَعْلَمُهَا مَخْلُوق ! جَرَى الْخُطَابُ عَلَى مَا تَعَارَفَهُ الْعَرَبُ إِذَا بَالِغُ أَحَدِهِمْ فِي اخْتِفَاءِ شَيْءٍ أَنْ يَقُولَ : كِدْتُ

أُخْفِيهِ مِنْ نَفْسِي ! أَوْ أَقْرَبُ أَنْ أُخْفِيَهَا وَلَا أَظْهَرَهَا بِقَوْلِي إِنَّهَا آتِيَةٌ . وَلَوْلَا أَنْ فِي الْإِخْبَارِ بِذَلِكَ مِنَ اللَّطْفِ وَقَطْعِ الْأَعْدَارِ مَا لَا يَخْفَى لِمَا فَعَلْتَ ! وَقَوْلُهُ : ﴿لَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ مُتَعَلِّقٌ بِـ «آتِيَةٌ» . وَجُمْلَةُ (أَكَادُ أُخْفِيهَا) مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَهَا .

١٦ - ﴿فَتَرْدَى﴾ فَتَهْلِكُ إِنْ أَنْتِ أَنْصَدَدْتَ عَنْ ذِكْرِهَا وَمِرَاقِبَتِهَا وَالتَّأَهُبِ لَهَا . يُقَالُ : رَدَى - كَرَضَى - رَدَى . هَلَكَ . وَأَرَادَهُ غَيْرُهُ : أَهْلَكَ ؛ وَمِنْهُ تَرْدَى فِي

هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا
سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ
بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ﴿٢٢﴾ لِنُرِيكَ مِنْ
آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾
قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾
وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾
وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَمَزُوا لِي آيَةً ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ
بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَاشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَى نُسَبِّحَكَ
كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَاصِرًا ﴿٣٥﴾
قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ

وأصله جناح الطائر ، وسُمِّيَ بذلك لأنه يمنحه أى يُعَمِّله عند الطيران ، ثم تَوَسَّعَ فيه فأطلق على العضد . ﴿تَخْرُجُ بَيْضَاءَ﴾ تَبْرَأَ مشرقة . ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ أى من غير عيب . والسُّوءُ : الرَّذَاءَةُ والقُبْحُ في كل شيء . وَكُنِيَ به عن البرص لشدة قُبْحِهِ . ﴿آيَةً أُخْرَى﴾ معجزة أخرى غير العصا .

٢٤ - ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ جاوز الحد في العتو والتمرد على ربه حتى ادعى الربوبية [آية ٢٥٦ البقرة ص ٦١ ، ٦٢] .

٢٩ - ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا﴾ مُعِينًا وظهيرًا في إبلاغ رسالتك ؛ مِنْ الْمُوَاظَرَةِ وهى المعاونة . يقال : وازرت فلاناً موازرةً ، أعنته على أمره . أو من الوزر وهو الملجأ ، وأصله الجبل يُتَحَصَّنُ به .

٣١ ، ٣٢ - ﴿أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي﴾ قُوَّهَ ظَهْرِي . يقال : أَزَّرَ فلانٌ فلاناً ، إذا أعانه وشَدَّ ظَهْرَهُ . وأزَّره : أعانه وقَوَّاه . وأصله مِنْ شَدَّ الْإِزَارَ . ﴿وَاشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ اجعله شريكى في أمر الرسالة لتعاون على أداها .

٣٦ - ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾ أعطيتَ مَسْئُولَكَ ، فَعُلٌ بمعنى مفعول ؛ كَالْأَكْمَلِ بمعنى الماكول .

٣٧ - ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾ ذَكَرَ اللهُ مِنَ الْمَنِّ عَلَى مُوسَى بغير سؤال ثانياً : الأولى -

بسرعة وخفة .

٢١ - ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ أى إلى هيئتها الأولى التى كانت عليها قبل أن نصيرها حَيَّةً تَسْعَى . فَعِلَةٌ مِنَ السَّيْرِ ، يقال للهيئة والحالة الواقعة فيه ، ثم استعملت في مطلق الهيئة والحالة التى يكون عليها الشيء .

٢٢ - ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ أى واضمم يدك اليمنى إلى عضد اليسرى بأن تجعلها تحته عند الإبط ، وذلك بعد أن تُدْخِلُهَا مِنْ طَوْقٍ مِذْرَعَتِكَ . والجناح : العضد ،

البئر : أى سَقَطَ فيها .

١٨ - ﴿أَتَوَكَّلُ عَلَيْهَا﴾ أَتَحَامِلُ عليها فى المشى ونحوه . ﴿وَأَهْشُرُ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾ أَضْرِبُ بِهَا الشَّجَرَ الْيَابِسَ لِيَسْقُطَ وَرَقُهُ فَتَرَعَاهُ غَنَمِي . يقال : هَشَّ الشَّجَرَةَ بالعصا يَهْشُهَا وَيَهْشُهَا هَشًّا ، إذا خبطها ليتساقط ورقها . ﴿وَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى﴾ حَاجَاتٌ وَمَنَافِعٌ أُخْرَى غَيْرَ ذَلِكَ . مَفْرَدُهَا مَارِبَةٌ - مثناة الرء - من قَوْلِهِمْ : لَا أَرَبَ لِي فِي كَذَا ، أى لا حاجة لى فيه .

٢٠ - ﴿حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ تَمْشِي

مرّة أخرى ﴿٣٧﴾ إِذْ أُوحِيَآ إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾
 أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْبَيْتِ فَلْيُلْقِهِ الْبَيْمُ
 بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوْلُهُ ۖ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ
 مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ
 هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ
 كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ
 الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَمِيتَ سِنِينَ ۚ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ
 جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسَّىٰ ﴿٤٠﴾ وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾
 أَذْهَبَ أَنتَ وَأَخُوكَ بِأَيِّنِّي وَلَا نَبِيَّآ فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾

فتناك فتونا وضرباً من الابتلاء ؛ جمع قتي . ﴿ فَلَمِيتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾ قرية شبيب عليه السلام ، واقعة حول خليج العقبة عند نهايته الشمالية ، وشمال الحجاز وجنوب فلسطين ، على ثماني مراحل من مصر . ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ ﴾ أى وفق الوقت الذى قدرناه لتكليمك واستنباطك بلا تقدّم ولا تأخّر عنه . تقول العرب : جاء فلان على قدر ، إذا جاء لميقات الحاجة إليه . وكانت سنه إذ ذاك أربعين سنة .
 ٤١ - ﴿ وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنَفْسِي ﴾ جعلتك محلّ صنيعي وإحساني ؛ لتبلغ رسالتى وإقامة حجّتي .
 ٤٢ - ﴿ وَلَا نَبِيَّآ ﴾ لا تضعفاً ولا تفتراً . يقال : ونى فى الأمر وعن الأمر بنى ونياً ، إذا فتر وضعف . ﴿ فِي ذِكْرِي ﴾ فى تسليغ رسالتى . أو فى ذِكْرِي بما يليق بى من الصفات الجليلة عند تبليغ رسالتى ، والدعاء إلى عبادتى .
 ٤٥ - ﴿ إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُقْرِطَ عَلَيْنَا ﴾ أى نخشى أن يُعاجلنا

قوله : ﴿ إِذْ أُوحِيَآ إِلَىٰ أُمِّكَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَعَدُوُّ لَهٗ ﴾ . والثانية - قوله : ﴿ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي ﴾ . والثالثة - قوله : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ إلى قوله : ﴿ مَن يَكْفُلُهُ ﴾ . والرابعة - قوله : ﴿ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَا تَحْزَنَ ﴾ . والخامسة - قوله : ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا ﴾ . والسادسة - قوله : ﴿ وَقَتْنَاكَ فُتُونًا ﴾ . والسابعة - قوله : ﴿ فَلَمِيتَ ﴾ إلى قوله : ﴿ يَا مُوسَى ﴾ . والثامنة - قوله : ﴿ وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنَفْسِي ﴾ .

٣٩ - ﴿ فَاقْذِفِيهِ فِي الْبَيْمِ ﴾ فالقيه واطرحه فى نهر النيل . ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ أى ليُفعل بك الصّنيعة والإحسان ، وتربى بالحُتُو والشفقة ؛ وأنا مراعيك كما يراعى الإنسان الشىء بعينه إذا اعتنى به . يقال : صنعتُ الفرسَ صُنعاً وصُنعَةً ، إذا أحسنت إليه وقت يعالّفه وتسمينه ؛ وهو استعارة تمثيلية للحفظ والصّون .

٤٠ - ﴿ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ ﴾ على امرأة تضمّه إلى نفسها فتحفظه وتُرضعه وتُربيّه . يقال : كفّله وكفّله ، إذا عالّه . والكافلُ العائل . ﴿ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ﴾ أى تُسرّ برجوعك إليها بعد أن قدفثك فى اليمّ [آية ٢٦ مريم ص ٣٩٢] . ﴿ وَقَتْنَاكَ فُتُونًا ﴾ أى ابتليناك ابتلاءً بالمحن ؛ فخلّصناك منها مرّة بعد أخرى . والفتون : مصدرٌ كالقعود والجلوس . أو

المفعول : مفعول ثانٍ لـ «أعطى» . ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ أى دَلَّ بذلك على وجوده وقدرته وتفضله .

٥١ - ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ البالُ فى الأصل : الفكرُ ، ثم أطلق على الحال التى يُعَتَى بها . أى ما حالُ الأممِ الخالية التى عُبِدَت غيرَ ما تدعو لِعبادته ، مثل قوم نوح وعاد وثمود الذين عبدوا الأوثان ، فأجابه موسى بأن العلم بأحوالهم لا تعلق له بمنصب الرسالة ، وأن علمها عند علام الغيوب الذى أحاط بكل شيء علماً ، فيجازيهم على كفرهم وضلالتهم .

٥٢ - ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي﴾ لا يغيب عن علمه شيء ما .

٥٣ - ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ...﴾ ابتداء كلام منه تعالى بعد انتهاء كلام موسى عليه السلام بقوله «وَلَا يَنْسَى» . وقيل : هو من كلام موسى عليه السلام . ﴿مَهْدًا﴾ قرشاً ، وهو المهاد فى الأصل : ما يُمَهَّد للصَّبى [آية ٢٠٦ البقرة ص ٤٩] .

﴿سُبُلًا﴾ طرقاً تسلكونها لقضاء مآربكم . ﴿أَزْوَاجًا﴾ أصنافاً أو زوجات . ﴿مِنْ تَبَاتٍ شَيْءٍ﴾ مختلف المنافع والألوان والطعوم والروائح ، جمعُ شَيْت بمعنى متفرق ، وألفه للتأنيث .

٥٤ - ﴿وَأَرْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ أرعوها فيما خلقناه لها من هذه

أَذْهَبًا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٥٢﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى ﴿٥٣﴾ فَلَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴿٥٤﴾ قَالَ لَا نَخَافُ إِنَّنِي مَعَكُمْ أَسْمِعْ وَأَرَى ﴿٥٥﴾ فَاتَّبَاهُ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مِنْ أَنْتَبَعِ الْهُدَى ﴿٥٦﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٥٧﴾ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَهُوسُفَى ﴿٥٨﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٩﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٦٠﴾ قَالَ عَلَيْهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٦١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴿٦٢﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٦٣﴾ * مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا

٥٠ - ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ أى وهب كل شيء من الأشياء الأمر اللائق بما ينطبق به من الخواص والمنافع المطابق له ، كما أعطى العين الهيئة التى تُطابق الإبصار ، والأذن الشكل الذى يوافق الاستماع ، وهكذا . و«خَلْقَهُ» مصدرٌ بمعنى اسم

بالعقوبة ، ولا يضر إلى إتمام الدعوة وإظهار المعجزة . يقال : فرط عليه ، عجل عليه وآذاه . ﴿أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ أى يزداد طغياناً فيقول فى شأنك مالا ينبغي لفرط جراته . ٤٦ - ﴿إِنِّى مَعَكُمْ﴾ حافظكم . وناصركم .



النباتات . يقال : رعتِ الدَّابَّةُ
تَرْعى رَعْيًا ورعايةً ، ورعاها
صاحبُها إذا أسامها وسرحها
وأراحها . ﴿لَا يَأْتِ إِلَّا الْوَلِيُّ
النَّهْيُ﴾ أى لذوى العقول السليمة
يدركون بها أن ذلك الخلق
العظيم ، والنظام البديع لا يكون
إلا من رَبِّ قَادِر حكيم . جَمْعُ
نَهْيَةٍ . سَمَى الْعَقْلُ بِهَا لِنَهْيِهِ عَنْ
الْقَبَائِح .

٥٥ - ﴿نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾
مَرَّةً أُخْرَى يوم البعث ، بتأليف
أجزاءكم المتفرقة ، وَرَدَ الْأَرْوَاحِ
من مقرها إليها ، وإخراجكم إلى
الْمَحْشَرِ . عَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ
النَّعْمَ تَذَكِيرًا وإرشادًا ليؤمنوا به .
وَالْتَارَةُ : مُفْرَدُ تَارَاتٍ وَتِيرٍ ؛
وهي في الأصل : اسمٌ لِلتَّوَرِ
الواحد وهو الجريان ، ثم أُطْلِقَ
على كل فعلة من الفعلات
المتجددة : تَارَةً . ويقال :
أَتَارَهُ ، أعاده مَرَّةً بعد مَرَّةٍ .

٥٦ - ﴿وَأَنبِئْ﴾ امتنع عن
الإيمان والطاعة .

٥٨ - ﴿مَكَانًا سَوًى﴾ مَحَلًّا
نَصْفًا عَدْلًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ . يقال :
مَكَانٌ سَوًى وَسَوًى وَسَوَاءٌ ، أى
عَدْلٌ وَوَسْطٌ ، يَسْتَوِي طَرَفَاهُ
بِالنِّسْبَةِ لِلْفَرِيقَيْنِ .

٥٩ - ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّبِينَةِ﴾
يوم عيد كان لهم في كل عام . أو
يوم سَوْقٍ كانوا يترتبون فيه .

٦٠ - ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ مَكْرَهُ ،
وذلك بجمع سَحَرَتِهِ .

نَعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ
آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّهُ مِنْ
أَرْضِنَا بِسِحْرِكِ يَمُوسَى ﴿٥٧﴾ فَلَمَّا بَيَّنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ
فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ
مَكَانًا سَوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّبِينَةِ وَأَنْ يُخْشَرَ
النَّاسُ ضَحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ جَمْعَ كَيْدِهِ ثُمَّ أُنبِئْ
قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ
بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى ﴿٦٠﴾ فَتَنَزَّلُ عَوَا أَمْرُهُمْ
بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴿٦١﴾ قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا لَسِحْرَانِ
يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا
بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ﴿٦٢﴾ فَاجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًّا

هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴿٦١﴾ أى قالوا بطريق
التَّجَاسُي والإسرار ما استقرَّ عليه
رَأْيُهُمْ مِنْ أَنَّ مُوسَى وَهَارُونَ
سَاحِرَانِ . و«إِنْ» محففةٌ مهملةٌ
عن العمل ، وَاللَّامُ فارقةٌ .
و«هَذَانِ» مبتدأٌ خبرُهُ
«سَاحِرَانِ» . ﴿وَيَذْهَبَا
بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ أى بمذهبكم
ودينكم الذى هو أمثلُ المذاهبِ
وأفضلُها ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ : فَلَنْ
حَسَنَ الطَّرِيقَةِ ؛ أى المذهب . أو
بِمُلْكِكُمْ الذى أنتم فيه ،
وعيشكم الذى تنعمون به .

٦١ - ﴿وَيُلْكُمُ﴾ دعاء عليهم
بالهلاك . ﴿فَيُسْحِتُكُمْ بِعَذَابٍ﴾
فَيَسْتَأْصِلُكُمْ وَيُبِيدُكُمْ بِعَذَابٍ
عَظِيمٍ ؛ مِنْ الْإِسْحَاتِ ، وَأَصْلُهُ
اسْتَقْصَاءُ الْحَلْقِ لِلشَّعْرِ ، ثُمَّ
اسْتَعْمَلَ فِي الْإِهْلَاكِ وَالْإِسْتِصَالِ
مُطْلَقًا . يقال : أَسَحَتْ مَالَهُ
إِسْحَاتًا ، اسْتَأْصَلَهُ وَأَفْسَدَهُ ؛
كَسَحَتْهُ سَحَاتًا .

٦٢ - ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾
بالْعَوَا فى إخفاء ما يتساورون به عن
موسى وأخيه . وَالنَّجْوَى :
المُسَاوَاةُ فى الْحَدِيثِ . ﴿قَالُوا إِنْ

٦٤ - ﴿فَاجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾
 فَاخْكُمُوا كَيْدَكُمْ وَاغْزِمُوا عَلَيْهِ ،
 وَلَا تَجْعَلُوهُ مَتَرَفًا . يُقَالُ :
 أَجْمَعْتُ الرَّأْيَ وَأَزْمَعْتُهُ وَغَرَمْتُ
 عَلَيْهِ بِمَعْنَى . ﴿وَقَدْ أَقْلَحَ ...﴾
 فَازَ بِالْمَطْلُوبِ مَنْ طَلَبَ الْعُلُوفَ
 وَالْعَلَبَ وَسَمَى سَعْيَهُ .

٦٥ - ﴿يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ﴾
 أَى تَطْرَحَ مَا مَعَكَ قَبْلَنَا . وَالْإِلْقَاءُ
 فِي الْأَصْلِ : طَرَحَ الشَّيْءَ حَيْثُ
 تَلْقَاهُ أَى تَرَاهُ ، ثُمَّ تُعَوِّفُ فِي كُلِّ
 طَرَحٍ .

٦٧ : ٦٩ - ﴿فَأَوْحَسَ فِي نَفْسِهِ﴾
 خَيْفَةً . الْإِيحَاسُ : الْإِخْفَاءُ
 وَالْإِضْهَارُ . وَالْخَيْفَةُ : الْخَوْفُ ،
 أَى أَخْفَى مُوسَى فِي نَفْسِهِ شَيْئًا مِنْ
 الْخَوْفِ مِنْ مَفَاجَأَةِ ذَلِكَ بِمَقْتَضَى
 الْحِيلَةِ الْبَشَرِيَّةِ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْأَمْرِ
 الْمَهُولِ . وَلَكِنَّ اللَّهَ تَبَّهَ وَقَالَ
 لَهُ : ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ
 الْأَعْلَى﴾ . وَالَّذِي مَأْفَى يَمِينِكَ تَلْقَفُ
 مَا صَنَعُوا . أَى تَبْتَلِعُ بِسُرْعَةٍ
 مَا مَوْهُوًا بِهِ . يُقَالُ : لَقِفَهُ يَلْقَفُهُ
 لَقْفًا وَلَقْفَانًا ، تَنَاوَلَهُ بِسُرْعَةٍ
 وَحِذْقٍ بِالْيَدِ أَوْ الْقَمِّ .

٧٢ - ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ أَى وَلَنُ
 نُؤْثِرَكَ عَلَى الَّذِي أَبْدَعْنَا
 وَأَوْجَدْنَا ، أَوْ هُوَ قَسَمٌ بِاللَّهِ .
 وَفَعَلَهُ مِنْ بَابِ نَصَرَ .

٧٦ - ﴿تَرَكْنِي﴾ تَطَهَّرَ مِنْ دَنَسِ
 الشَّرِكِ وَالْكَفْرِ .

٧٧ - ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ أَى سَرَّ
 بِهِمْ أَوَّلَ اللَّيْلِ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ إِلَى
 خَلِيجِ السَّوْدِيسِ [آيَةُ ١ الْإِسْرَاءِ

وَقَدْ أَقْلَحَ الْيَوْمَ مِنْ أَسْعَى ٦٤﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ
 تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا
 فَإِذَا جِأَهُمْ وَعِصْبُهُمْ يُحْمَلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا
 تَسْعَى ٦٦﴾ فَأَوْحَسَ فِي نَفْسِهِ خَيْفَةً مُوسَى ٦٧﴾
 قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ٦٨﴾ وَالَّذِي مَأْفَى يَمِينِكَ
 تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ٦٩﴾ إِمَّا صَنَعُوا كَيْدَ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ
 السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ٧٠﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَهُمْ قَالُوا آمَنَّا
 بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ٧١﴾ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ
 لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا قِطْعَنَ
 أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَكُمْ فِي جُدُوعِ
 النَّخْلِ وَلِتَعْلَمَنَّ أَيْتَا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى ٧٢﴾ قَالُوا لَنْ
 نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ
 مَا أَنْتَ قَاضٍ ٧٣﴾ إِمَّا تَقْضِ هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ٧٤﴾
 إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ
 مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ٧٥﴾ إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبُّهُ
 مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ٧٦﴾
 وَمَنْ يَأْتِهِ مَوْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ
 الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ٧٧﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَرَكَنِي ٧٨﴾

ص ٣٥٨ . ﴿يَسَّأ﴾ أى يابساً لا طين فيه ولا ماء . واليَّسُ : المكان إذا كان فيه ماء وذهب . ﴿لَا تَخَافُ ذَرْكَاً﴾ أى لا تخشى أن يُدركك فرعون وجنوده من ورائك . والدَّرْكُ - محرَّكة - : اللحاق . يقال : أدركه لحقه . ﴿وَلَا تَخْشَى﴾ الغرق من الأمام .

٧٨ - ﴿فَعَشِيَهُمْ﴾ علامهم وغمرهم .

٨٠ - ﴿الْمَنَ وَالسَّلَوَى﴾ [آية ٥٧ البقرة ص ١٦ ، ١٧] .

٨١ - ﴿وَلَا تَطْعُوا فِيهِ﴾ تتعدوا حدود الله فيما رزقناكم بأن تكفروا به ، من الطغيان وهو تجاوز الحد في العصيان [آية ٢٥٦ البقرة ص ٦٢] . ﴿فَيَحِلُّ عَلَيْكُمْ﴾

غَضَبِي ﴿فيجب عليكم عقابي﴾ . يقال : حلَّ أمر الله عليه يحل بضم حلالاً ، وجب . وقرئ بضم الحاء ، أى فينزل عليكم . يقال : حلَّ يحلُّ خلولاً ، نزل .

﴿فَقَدْ هَوَى﴾ أى هلك ؛ وأصله السَّقُوطُ من علُو . يقال : هَوَى يَهْوَى هَوِيًّا وهَوِيًّا وهَوِيَانًا ، سقط إلى أسفل ؛ ثم استعمل في الهلاك للزومه له .

٨٣ - ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ﴾ أمر موسى عليه السلام بحضور الميقات مع قوم مخصوصين ؛ وهم الثقباء السبعون الذين اختارهم الله من بني إسرائيل ليذهبوا معه إلى الطور لأجل أن

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تُخْشَى ﴿٧٧﴾ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴿٧٩﴾ يَبْنِي إِسْرَاءَ يَلْ قَدْ أَتَجَبْنَاكَ مِنَ عَدُوِّكَ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَ وَالسَّلَوَى ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿٨٢﴾ * وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمْوَسَّى ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ

بأخذوا التوراة ؛ فسار بهم موسى ثم عجل من بينهم مشوقاً إلى ربه ، وخلفهم وراءه وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل ؛ فقال تعالى : «وَمَا أَعْجَلَكَ» ، أى أى شئ عجل بك عنهم فتقدمت عليهم . يقال : أعجله وعجله تعجيلاً ، استعجته ؛ من العجلة وهى طلب الشئ وتخزيه قبل أوانه .

٨٥ - ﴿قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ أى ابتلينا القوم الذين خلفتهم مع

هارون - وهم غير النقباء السبعين - بعبادة العجل ؛ إلا قليلاً منهم حيث أطاعوا موسى السامريّ فيما دعاهم إليه ، وكان من عظامهم ، من قبيلة تُعرف بالسامرة ؛ وكان منافقاً . والفِتْنَةُ : الابتلاء والاختبار [آية ١٠٢ البقرة ص ٢٥] .

٨٦ - ﴿أَسِفًا﴾ حزناً على ما صنع قومه . أو شديد الغضب . والأسفُ : الحزن والغضب



على ديني .

٨٧ ، ٨٨ - ﴿مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا﴾ أى بقدرتنا وطاقتنا ورغبتنا . يقال : ملكه يملكه ملكاً - بثلاث الميم - اختواه قادراً على الاستبداد به ﴿حُمَلْنَا أَوْزَارًا﴾ أى أثقالاً وأحمالاً . جمع وزر وهو الثقل . ﴿مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ أى من حلى القبط . ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ فطرحناها فى النار . ﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ ما معه من الحلى . وقيل : ما معه من الحلى ومن التراب الذى وقع عليه حافر فرس جبريل عليه السلام . ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ﴾ [آية ١٤٨ الأعراف ص ٢٢١] .

٩٥ - ﴿فَمَا خَطْبُكَ﴾ فما شأنك وما الأمر العظيم الذى حملك على ما صنعت ؟ [آية ٥١ يوسف ص ٣٠٩ ، ٣١٠] .

٩٦ - ﴿قَالَ بَصُرْتُ﴾ عِلِمْتُ بالبصيرة ما لم يعلموا به . يقال : بَصُرَ بالشئ يَبْصُرُ - ككُرم وفرح - أى علمه . ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ رُوى أَنَّ السامري رأى جبريل عليه السلام راكباً على فرس حين جاء إلى موسى ليذهب به إلى الميقات ، ولم يره أحد غيره من قوم موسى ، ورأى الفرس كلما وضعت حافرهما على شئ اخضر ، فعلم أن للتراب الذى تضع عليه الفرس حافرهما شأنًا ، فأخذ منه خفّة وألقاها فى الحلى المذاب . وخصّ بالرؤية ابتلاء ،

غَضِبْنَا سِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴿٨٨﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٩﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٩٠﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٢﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَهْدُرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٤﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٥﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحَيَّتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّى خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمَرِيُّ ﴿٩٧﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٨﴾ قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوةِ أَنْ تَقُولَ

معاً ، وقد يُطلق على كل واحد أى يجب ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبٌ﴾ منهما على الانفراد . ﴿أَنْ يَحِلَّ﴾ ﴿مَوْعِدِي﴾ وعدكم لى الثبات

ليقضى الله أمراً كان مفعولاً .
وعلمه بأن له شأنًا يجوز أن يكون لما
شاهده من اخضرار الأرض ،
وأن يكون بإخبار موسى عليه
السلام فيما مضى . ﴿ فَبَذَتْهَا ﴾
ألقيتها في الحلى المذاب . ﴿ سَوَّلَتْ ﴾
لي نفسي ﴿ زَيَّنَتْ وَحَسَّتْ ﴾ .
يقال : سَوَّلَتْ له الأمر تسويلاً ،
إذا صورته له بالصورة التي
تستويه وتحتته لديه .

٩٧ - ﴿ لَا مِاسَ ﴾ أى لا أمس
ولا أمس طول الحياة . مصدر
ماسٌ ؛ كقتال من قاتل .
والمراد : أنه لا يحاط أحدًا ولا
يحاطه أحد . ﴿ ثُمَّ لَتَسْفِيَهُ ﴾ فى
اليوم نسفًا ﴿ لَنَذْرِيبُهُ ﴾ فى البحر
نذرية ، حتى لا يبقى منه عينٌ ولا
أثر . يقال : نسف الطعام يسفه
بالمِسْف ، إذا ذراه فطير عنه
قشوره وثرابه .

١٠٠ - ﴿ وَزَرًّا ﴾ عقوبة ثقيلة على
إعراضه .

١٠٢ - ﴿ زُرْقًا ﴾ زرق العيون من
شدة الهول . أو عُمَيَّا ؛ لأن العين
إذا ذهب نورها ازرق ناظرها ؛
قال تعالى : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمَيًّا ﴾ (١) .
أو عطاشًا ؛ لأن العطش الشديد
يغيّر سواد العين فيجعله
كالأزرق ؛ قال تعالى : ﴿ وَتَسْوَقُ
الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِثًا ﴾ (٢) .
ولا منافاة بين ذلك كما هو ظاهر .

١٠٣ - ﴿ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ ﴾
يتهايمون بينهم لشدة هول
الموقف ؛ من المخافة وهى إسرارٌ

(١) آية ٩٧ الإسراء . (٢) آية ٨٦ مريم .

لَامِسَاسٌ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَهُ . وَأَنْظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ
الَّذِي ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحْرِقَهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ
نَسْفًا ﴿ ٩٧ ﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ
كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿ ٩٨ ﴾ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ
سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿ ٩٩ ﴾ مَنْ أَعْرَضَ
عَنْهُ فَإِنَّهُ يَجْمَلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَرَرًا ﴿ ١٠٠ ﴾ خَالِدِينَ فِيهِ
وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿ ١٠١ ﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ
وَنُحْشِرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿ ١٠٢ ﴾ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ
لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿ ١٠٣ ﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿ ١٠٤ ﴾ وَيَسْأَلُونَكَ
عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿ ١٠٥ ﴾ فَيَذَرُهَا
قَاعًا صَفْصَفًا ﴿ ١٠٦ ﴾ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿ ١٠٧ ﴾

المنطق ؛ كالخفاف والخفت .
١٠٤ - ﴿ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً ﴾
أعدلهم وأفضلهم رأيًا ومذهبًا .
١٠٥ - ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ
الْجِبَالِ ﴾ سأل كفار قريش النبي
صلى الله عليه وسلم عما يفعل الله
يوم القيامة بالجبال سؤال
استهزاء ؛ لإنكارهم البعث .
﴿ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾ يقلعها
من أصولها ثم يجعلها كالرمل ؛ ثم
يُصِيرُهَا كالصوف المنفوش . ثم

تذروها الرياح ، ثم يصيرها
كالهباء المنثور . ﴿ فَيَذَرُهَا ﴾ فيترك
الأرض التي كانت عليها الجبال
﴿ قَاعًا ﴾ أرضًا لا نبات فيها ولا
بناء ﴿ صَفْصَفًا ﴾ مستوية
ملساء ؛ كأن أجزاءها صفٌ واحدٌ
من كل جهة . وعن ابن عباس
ومجاهد : القاع والصفصاف بمعنى
واحد . وهو المستوى الذى لا
نبات فيه .
١٠٧ - ﴿ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا ﴾ أى
لا ترى فى الأرض مكانًا منخفضًا



يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ، وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ
لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ
السَّفِينَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ
بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ * وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ
وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ
الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾
وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ
لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَلَّى
اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يُقَضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾
وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ نُجِدْ لَهُ
عِزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا
إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَنْقَادُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ
وَلِرِزْوَجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ

ذلك اليوم خضوع العاة ، أى
الأسارى ، ﴿لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾
[آية ٢٥٥ البقرة ص ٦١]

﴿حَمَلَ ظُلْمًا﴾ شركاً وكفراً
١١٢- ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ ولا يخاف
انتقاصاً من حقه . يقال : هَضَمَهُ
حَقَّهُ ، نقصه .

١١٣- ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا
عَرَبِيًّا﴾ أى ومثل أنزال الآيات
المشتملة على ذكر القصص
المتقدمة المثبتة عمداً سيقع من
أحوال القيامة وأهوالها - أنزلنا
القرآن كله على هذه التورية
﴿عَرَبِيًّا﴾ مبيهاً ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ
الْوَعِيدِ﴾ أى كررنا الوعيد فيه
﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الكفر
والمعاصي . ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ
ذِكْرًا﴾ اعتباراً مؤذياً إلى الانقياد ،
لكنهم لم يلتفتوا لذلك ونسوه ، كما
لم يلتفت أبوههم آدم إلى النهي ،
ونسى العهد إليه .

١١٤- ﴿أَنْ يُقَضَىٰ إِلَيْكَ﴾ أن
يفرغ ويتم إليك .

١١٥- ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ
قَبْلِ﴾ أى وصيئناه ألا يقرب هذه
الشجرة ﴿فَنَسَى﴾ العهد . ولم
يشغل بحفظه حتى غفل عنه .

﴿وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عِزْمًا﴾ ثبات قدم
فى الأمور . أو صبراً عن أكل
الشجرة .

١١٦- ﴿أَبَى﴾ امتنع عن
السجود استكباراً .

١١٧- ﴿فَتَشْقَى﴾ فتتع
بمتاع الدنيا .

﴿وَلَا أَمَّا﴾ أى مكاناً مرتفعاً ،
خلوها من الأودية والروابي ، بل
تراها مستوية .

١٠٨- ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ لا يعوج
أخفاه .

١١١- ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ﴾ أى
ذل الناس وخضعوا لله تعالى فى

١١٨ - ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۖ﴾ أي ألا يصيبك فيها شيء من الجوع والعري والظما . والعري : خلاف اللبس . يقال : عرى من ثيابه يعرى عرياً وعرياً ، إذا تجرد من اللباس .

١١٩ - ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ أي لا يصيبك حر شمس الضحى لانقائها فيها . يقال : ضحا - كسعى ورعى - ضحوا وضحيًا ، أصابته الشمس .

١٢٠ - ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ الوسوسة : الخطرة الرديئة . وأصلها من الوسواس وهو صوت الحلي والهمس الخفي ، أي أنهى إليه الوسوسة . ﴿لَا يَتْلَىٰ﴾ لا يزول ولا يفتي .

١٢١ - ﴿فَبَدَّتْ لُهُمَا سَوَاتُهُمَا﴾ [آية ٢٢ الأعراف ص ٢٠١] . ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ أخذا يلصقان ويلزقان . ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ﴾ خالف نهيه ، ولكنه كان متاولاً ، إذ اعتقد أن النهى عن شجرة معينة لا عن النوع كله ، وتسمية ذلك عصياناً لعلو منصبه عليه السلام .

وقد قيل : حسنت الأبرار سيئات المقرين . ﴿فَفَوَىٰ﴾ أي فصل عن مطلوبه ، وهو الخلود في الجنة ، وحاد عنه ولم يظفر به . يقال : غوى يغوى غياً ، وغوى غوايةً ، ضل . أو ففسد عليه

لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۖ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَنَادِمُ هَلْ أَدْرَاكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لُهُمَا سَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَلِمَا يَا ابْنَكُم مِّنِي هَدَىٰ فَمِنْ أَتْبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِعَايَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَرَّ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾

عيشه بنزوله إلى الدنيا . والغى : أو كتاب .

١٢٤ - ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنُ الْفَسَادِ﴾

١٢٢ - ﴿اجْتَبَاهُ﴾ اصطفاه للنبوة وقربه .

١٢٣ - ﴿فَمِنْ أَتْبَعَ هُدَايَ﴾ أي ما أبعثه بهداية الخلق من رسول

ذكري عن الهدى ، الذاكِر لي والداعي إلى مَعِيشَةٍ ضَنْكًا ضيقة شديدة . والضنك : ضيق

على (كلمة) أى ولولا العبرة بتأخير العذاب عنهم ، والأجل المسمى لأعمارهم لما تأخر عذابهم أصلاً .

١٣٠- ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ قبل طلوع الشمس أى صلاة الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ أى صلاة العصر . ﴿وَمِنْ آثَارِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾ أى فصل المغرب والعشاء ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ أى وصل في أطراف النهار الظهر أى فى طرفى نصفه ، يعنى فى الوقت الذى يجمع الطرفين وهو وقت الزوال ، إذ هو نهاية النصف الأول وبداية النصف الثانى . وقيل : المراد بالتسبيح التنزيه عن سوء ، والثناء على الله بالجميل فى هذه الأوقات .

١٣١- ﴿وَلَا تَمُدَّنْ عَيْنَكَ﴾ نهي عن الإعجاب بالدنيا وزينتها ، والرغبة فيها والتعلق الشديد بها ، بحيث يلهيه ذلك عن النظر إلى الأخرى . وتكون هى الشغل الشاغل له . والخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد أمته ، لأنه صلى الله عليه وسلم كان أزهى الناس فيها . وأبعدهم عن التطلع لرخارفها . وأعلق بما عند الله من كل أحد . ﴿أَزْوَاجًا﴾ أصنافاً من الكفار . ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ زينتها وبهجتها ، مفعول ثان لـ «متعنا» لتضمينه معنى أعطينا ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾

وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنْ عَيْنَكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَابْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِعَايَةٍ مِنْ رَبِّهِ ؕ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

معنى «يهدى» يدل على الهدى . ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ كثرة إهلاكنا الأمم الماضية . لأولى النهى لذوى العقول والبصائر .

١٢٩- ﴿لَكَانَ لِزَامًا﴾ لكان عقابهم على جناباتهم لازماً لهم فى الدنيا ، كما فعل بالأمم السابقة . مصدر لازمه إذا لم يفارقه . وَأَجَلٌ مُّسَمًّى معطوف

العيش ، وكل ما ضاق فهو ضنك ، يستوى فيه الواحد والأكثر والمذكر والمؤنث يقال : ضنك بضنك ضنكاً وضناكة وضنوكه ، ضاق .

١٢٨- ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ أَغْفَلُوا فلم يبين الله لهم كم أهلك أمماً غابرة لتكذيبها الرسل ، ليتعظوا ويعتبروا ويؤنسوا إلى ربهم . وأصل

(٢١) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ١١٢ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾
مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ
ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَاءَ وَانْتُمْ
تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمَ بَلْ

لِنَعْمَالِهِمْ مَعَامَلَةٌ مِنْ يَخْتَرُهُمْ بِهِ ،
أَوْ لِنَعَذِبِهِمْ فِي الْآخِرَةِ بِسَبَبِهِ .

١٣٣- ﴿أَوْ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي
الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ أَي أَجْهَلُوا وَلَمْ
يَكْفِهِمْ اشْتِهَالُ الْقُرْآنِ عَلَى بَيَانِ مَا
فِي الصُّحُفِ الْأُولَى وَهِيَ الْكُتُبُ
الْإِلَهِيَّةُ ، فِي كَوْنِهِ مُعْجَزَةٌ حَتَّى
طَلَبُوا غَيْرَهَا ؟ فَالْبَيِّنَةُ : الْقُرْآنُ .
وَالصُّحُفُ الْأُولَى : مَا سَبَقَهُ مِنْ
الْكِتَابِ السَّامِيَةِ .

١٣٤- ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ مِنْ قَبْلِ
الْإِبْتِهَاتِ بِالْبَيِّنَةِ ﴿نَذِلَّ﴾ أَي
بِالْهَوَانِ وَالْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا
﴿وَنَخْزِي﴾ بِالْإِفْتِضَاحِ
وَالْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ .

١٣٥- ﴿مُتَرَبِّصٌ﴾ مُنْتَظِرٌ
مَالَهُ . ﴿الصَّرَاطِ السَّوَّى﴾
الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ وَهُوَ الْإِسْلَامُ .
﴿وَمَنْ اهْتَدَى﴾ مَنْ الضَّلَالَةَ .
وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

ينزل به جبريل عليه السلام آية
آية ، وسورة سورة في وقت بعد
وقت . أمّا معناه وهو الكلام
النفسي فقديم غير محدث .

٣- ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ غَافِلَةٌ
عَنْهُ ، لَا تَتَأَمَّلُ فِي آيَاتِهِ وَلَا تُفَكِّرُ
فِي حِكْمِهِ . يُقَالُ : لَهِيَ عَنْهُ -
كَرْضِي - وَلَهَا - كَدَعَا - لَهَايًا
وَلَهْيَانًا ، سَلَا وَغَفَلَ وَتَرَكَ ذِكْرَهُ .
وَهُوَ حَالٌ مِنْ فَاعِلٍ (اسْتَمِعُوهُ) أَوْ
(يَلْعَبُونَ) . ﴿وَأَسْرَأُ﴾
الْجَوَى .. بِالْعَوَا فِي إِخْفَاءِ
تَنَاجِيهِمْ بِمَا يَهْدُمُونَ بِهِ أَمْرَ الْقُرْآنِ
حَتَّى لَا يَقْطُنَ أَحَدٌ إِلَى أَنَّهُمْ
يَتَنَاجَوْنَ ، مُبَالِغَةٌ فِي إِحْكَامِ التَّدْبِيرِ
السَّيِّئِ . وَالْجَوَى : الْمَسَارَةُ

١- ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ..﴾ قُرْبَ الزَّمَنِ الَّذِي
يَحْسَبُ فِيهِ الْمُشْرِكُونَ عَلَى انْكَارِهِمْ
الْبَعْثَ وَهُوَ زَمَنُ قِيَامِ السَّاعَةِ ؛ إِذْ
هُوَ آتٍ لَا مُحَالَةَ ، وَكُلُّ آتٍ
قَرِيبٌ . ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ تَامَّةٌ
عَنْهُ ، وَجَهَالَةٍ عَامَّةٌ بِالْإِيمَانِ
وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ ، وَسَائِرِ مَا جَاءَ
بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
﴿مُعْرِضُونَ﴾ عَنْ الدَّلَائِلِ
وَالْآيَاتِ وَالنَّذْرِ .

٢- ﴿مُحَدَّثٍ﴾ أَي مُحَدَّثٍ
تَنْزِيلُهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَهُوَ لَفْظُ الْقُرْآنِ ؛ فَقَدْ كَانَ

٨ - ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً...﴾

أى وما جعلنا الرسل الذين أرسلناهم قبلك أجساداً لا يتغذون بالأغذية - أى ملائكة - ولكن جعلناهم مثلك أجساداً تتغذى . والجسد : مصدر جسد الدم يجسد : التصق . وأطلق على الجسم المركب لالتصاق أجزائه بعضها ببعض ، ويطلق على الواحد المذكر وغيره ، ولذلك أفرد . وقيل : أفرد لإرادة الجنس . وهو رد لقولهم : (ما لهذا الرسول يأكل الطعام)^(١) .

١٠ - ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ فيه موعظتكم ، أو فيه شرفكم وصيتكم .

١١ - ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أهلكنا أهلها . وأصل القضم : كسر الشيء حتى يبين ويفصل . يقال : قضم ظهره يقضمه فانقضم ، أى كسره فانكسر ، واستعمل في الإهلاك مجازاً . ومنه قيل للداهية المهلكة : قاصمة الظهر .

١٢ - ﴿أَحْسُوا يَاسَا﴾ عايثوا عذابنا الشديد . وأصل الإحساس : الإدراك بالحاسة [آية ٥٢ آل عمران ص ٨٢] . والبأس : الشدة والمكروه . ﴿إِذَا هُمْ مِنْ يَرْكُضُونَ﴾ يهربون مسرعين من قريتهم . وأصل الركض : ضرب الدابة بالرجل لحثها على العدو ، ومنه (اركض برجلك)^(٢) وكُنِيَ

أفتره بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ﴿٥﴾ ماءً آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون ﴿٦﴾ وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فقلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴿٧﴾ وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ﴿٨﴾ ثم صدقناهم الوعد فأنجينهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين ﴿٩﴾ لقد أنزلنا البكر كتبا فيه ذكر كرم أفلا تعقلون ﴿١٠﴾ وكرم قصصنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماء آخرين ﴿١١﴾ فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون ﴿١٢﴾ لا تركضوا وأرجعوا إلى ما أترفتم فيه ومسكنكم لعلكم تسألون ﴿١٣﴾ قالوا يولينا إنا كنا ظالمين ﴿١٤﴾ فما زالت تلك دعوتهم حتى جعلناهم

بالحديث ، وقالوا : ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ فكيف تصدقونه في دعوى الرسالة ! والرسول لا يكون إلا ملكاً ! ﴿أفتأتون السحر﴾ أى أجهلتم أنه ساحر فتحضرون عنده وتقبلون منه ﴿وأنتم تبصرون﴾ أى تعانون سحره ! وقد قالوا ذلك لزعمهم أن كل ما يظهر على يد البشر من الخوارق فهو من قبيل السحر .

٥ - ﴿بل قالوا﴾ في القرآن هو ﴿أضغاث أحلام﴾ أخلاط كأخلاط الأحلام ، وأباطيل لا حقيقة لها [آية ٤٤ يوسف ص ٣٠٩] . ﴿بل افترأ﴾ اختلقه من تلقاء نفسه ﴿بل هو شاعر﴾ وما جاء به شعر ، يجل ما لا حقيقة له .

٧ - ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً﴾ رد لقولهم : (هل هذا إلا بشر مثلكم) .

به عن الهرب السريع .

١٣ - ﴿ مَا أَتَرَقْتُمْ فِيهِ ﴾ ما نَعْتَم فيه من العيش الهنيء ، والنعم الوفرة التي كانت سبب بطركم ؛ من الترفة [آية ١١٦ هود ص ٣٠١] . وقيل ذلك لهم استهزاء .

١٤ - ﴿ يَا وَيْلَتَا ﴾ يا هلاكتنا [آية ٣١ المائدة ص ١٤٨] .

١٥ - ﴿ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴾ أى كالثبات المحصود بالمنجل ، وكالنار الخامدة في الهلاك والاستئصال . فعيل بمعنى مفعول ، يستوى فيه الواحد وغيره ؛ وفعله من بابى نصر وضرب . و«خامدين» من خمدت النار تَحْمَدُ وتَحْمِدُ خَمْدًا وخمودًا : سكن لهيئها .

١٦ - ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ .. ﴾ ما خلقنا هذه المخلوقات البديعة الصنع ، المحكمة التدبير ، خالية من الحكم والمصالح ؛ بل خلقناها لحكم بالغة مستتعبة غايات جليلة ومنافع عظيمة .

١٧ - ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا ﴾ اللهو : الترويح عن النفس بما تشاغل به عن الجد ، وهو قريب من العبث الباطل ؛ وهو محال عليه تعالى ، وهو من تعليق المحال على المحال . ومنه اتخاذ الصاحبة والولد ؛ أى لو أردنا اتخاذ اللهو لكان ذلك من جهة إرادتنا ، لكن ذلك مستحيل استحالة ذاتية

حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعَيْنٍ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَا نَتَّخِذَنَّهُ مِنْ لَدُنَّا إِنَّ كُنَّا فَعِيلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِمَّنْ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ

تعالى به مما لا يليق بشأنه الجليل .
١٩ - ﴿ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ لا يَكْلُونَ ولا يَتَعَبُونَ ؛ مأخوذ من الحسير ؛ وهو البعير المنقطع بالإعياء والتعب . يقال : حسر البعير يحسره ويحسره ، أى ساقه حتى أعياه ؛ كاحسره . واستحسرت : أغبت وكلت ؛ يتعدى ولا يتعدى . وحسر البصر يحسر حصوراً ، كَلَّ وانقطع من طول مدى ونحوه .

٢٠ - ﴿ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ لا يسكنون عن نشاطهم في تنزيه الله تعالى وتعظيمه وطاعته . فذلك سجية فيهم . يقال : فتر يفترو ويقترو فتراً ، وفترًا ، سكن بعد جدّة ؛ ولأن بعد شدّة . وقتر الماء : سكن حرّه ؛ فهو فاتر .

فيستحيل أن نريده . يقال : لهوت به الهو لهوًا ، وتلهيت به : أولعت به .

١٨ - ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ ﴾ أى بل شأنا أن نغلب الحق الذى من جملة الجد على الباطل الذى من جملة اللهو . ﴿ فَيَدْمَغُهُ ﴾ فَيَمْحَقُهُ ويهلكه . وأصل الدمغ : كسر الدماغ . يقال : دمغه يدمغه ، إذا شجّه حتى بلغت الشجة الدماغ ، واسمها الدامغة . وإذا بلغت الشجة ذلك لم يُنتظر للمشجوج بعدها حياة . ﴿ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ ذاهب هالك . يقال : زهق الشيء يزهُق زهُوقًا ؛ بطل وهلك ؛ فهو زاهق وزهوق . ﴿ وَلَكُمُ الْوَيْلُ ﴾ العذاب والعقاب ﴿ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ الله

وجود مراد أحدهما إلا وجود مراد الآخر . وإذا وقع مراد أحدهما دون الآخر فهو الإله القادر . والآخر عاجز فلا يكون الها . ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ فتزيتها الله وتبرئة له من أن يكون له شريك في الألوهية .

٢٣ - ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ في عباده من إعزاز وإذلال ، وهداية وإضلال ، وإسعاف وإشقاء ، لأنه الرب المالك المتصرف . والخلق يسألون يوم القيامة عما عملوا لأنهم عبيد ، وقد أعطاهم نور العقل ليستدلوا ويرشدوا ، ويميزوا بين الحق والباطل ، فأبصر قوم وعمى آخرون ، وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

٢٦ - ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ يعنون من الملائكة ، حيث قال الزاعمون : هن بنات الله . ﴿سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ أى بل هم عباد مخلوقون له تعالى ، مقربون عنده . وقد وصفهم الله في هذه الآية بسبع صفات : و«عباد» جمع عبد . والعبودية لله تعالى : إظهار التذلل والخضوع له سبحانه . ومكرم : اسم مفعول من أكرم . وإكرام الله للعبد : إحسانه إليه وإنعامه عليه .

٢٧ - ﴿لَا يَسْأَلُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ، ولا يقولون شيئاً حتى يقوله .

٢٨ - ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ أى وهم من خوف الله

لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٣﴾
لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٤﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٦﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٧﴾ لَا يَسْأَلُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ

الكونية المترتبة على ذلك - لا يمكن أن يصدر إلا عن صانع قادر ، حكيم مدبر ، منفرد بالإنجاد والإبداع والتدبير ، لا شريك له في فعله ، ولا مُعَقَّب لحُكْمه ولا رادٍّ لأمره . إذ أن تعدد الآلهة يلزمه التنازع والتغالب بينهم في الأفعال . والتصادم في الإرادات ، فيختل النظام ، ويضطرب الأمر ويحرب العالم . ولما كان المشاهد غير ذلك - دل على وحدة الإله المتصرف المدبر القدير . ألا ترى أنه لو فرض تعدد الإله . وأراد أحدهما حركة كوكب وأراد الآخر سكونه ، فلا جائز أن يقع مرادهما معاً للزوم اجتماع الضدين . ولا جائز أن يمنع مرادهما معاً لأنه لا مانع من

٢١ - ﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً﴾ أى بل اتخذوا آلهة من أجزاء الأرض وهي الأصنام والأوثان ؟ والاستفهام للإنكار والتوبيخ . ﴿هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ أى أهم يعثون الموتى من قبورهم ؟ كلا ! من أنشر الله الميت فنشر : أى أحياه فحيى . وقرئ بفتح الباء وضمة الشين من نشر ، وهو وأنشر بمعنى أحيى . وقد يحيى نشر لازماً فيقال : نشر الموتى نشوراً - من باب قعد - حيوا .

٢٢ - ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ أى إن هذا النظام المحكم المستمر ، والاتساق البديع الدائم ، والارتباط بين أجزاء العالم العلوى والسفلى ، والآثار



وعقابه حَذِرُونَ أَنْ يَخْلُقُوا أَمْرَهُ
وَنَهْيَهُ . يقال : أشفق منه ، أى
حَذَرَهُ .

٣٠ - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ فى هذه
الآية والآيتين بعدها سبعة أدلة على
التوحيد وكمال القدرة ؛ أى ألم
يتفكروا ويعلموا . والمراد :
التمكن منه بالنظر العقلى . ﴿أَنْ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتَا
رَتْقًا ۖ﴾ ملتصقتين ليس بينهما
انفصال ففصلنا بينهما . والرَّتْقُ :
مصدرٌ بمعنى الضم والالتصام .
يقال : رَتَقَ الفتق يرتقه رَتْقًا
ورَتْقًا ، إذا شدّه . ورَتَقْتُ
الشيء فارتقت ، أى التأم .
والفتق : ضدُّ الرَّتْقِ ، وهو
الفصل بين المتصلين . يقال :
فَتَقَ الشيء يفتقه ، شقّه . وعن
ابن عباس : كانتا ملتصقتين فرفع
الله السماء ووضع الأرض . وعن
الحسن وقتادة : كانتا جميعًا
ففصل الله بينهما بالهواء . وقيل :

كانتا معدومتين فأوجدناهما .
واستعمال الرَّتْقِ والفتق فى ذلك
مجاز . ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ
شَيْءٍ حَيٍّ﴾ خلقنا من الماء كلَّ
شَيْءٍ حَيٍّ ؛ أى مُتَّصِفٍ بالحياة
الحقيقية وهو الحيوان ، أو كلَّ
شَيْءٍ نامٍ فيدخل النبات ، ويرادُّ
من الحياة ما يشمل الثَّمَوِ . وهذا
العالمُ مخصوص بما سوى الملائكة
والجن مما هو حىٌّ .

٣١ - ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ
رَوَاسِيَ﴾ جبالاً ثوابتَ . ﴿أَنْ تَمِيدَ

أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَىٰ وَهُمْ مِنْ
خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٣٨﴾ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ
دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾
أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا
رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ
أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ
بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾
وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا
مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِلْبَشَرِ مِنْ
قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَلَا يَمَتُّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٤٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ

يسير فى فلكه بسرعة ؛ كالسايح فى
الماء ؛ من السَّيْح وهو المَرَّ السَّريع
فى الماء أو الهواء . وأتى بضمير
جَمْعِ العقلاء لكون السَّباحة
المُسْتَدَّة إليهما من فعل العقلاء ؛
كقوله تعالى : (رَأَيْتُهُمْ لِي
سَاجِدِينَ) ^(١) . (قَالَتَا أَتَيْنَا
طَائِعِينَ) ^(٢) .

٣٤ - ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ﴾
نزلت حين قال الأعداء :
(نَتَرَبَّصُّ بِكَ رَبِّ الْمُنُونِ) ^(٣)
بغضاً له .

بِهِمْ﴾ أى كراهة أن تتحرك
وتضطرب بهم اضطراباً لا يعقبه
تثبيت . [آية ١٥ النحل ص
٣٤٤] . ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا
سُبُلًا﴾ أى جعلنا فى الأرض
مسالكَ طرقاً واسعة للسابلة ؛
جمعُ فِجٍّ وهو الطريق الواسع .
والسُّبُلُ : جمعُ سبيل وهو
الطريق ، بذلُّ من «فِجَاجًا» .

٣٢ - ﴿سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ مصوناً
من الوقوع أو التغير .

٣٣ - ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾
أى كلُّ واحد من الشمس والقمر

الْوَعْدُ - جَهْلًا مِنْهُمْ وَغَفْلَةً عَنْ
شَأْنِهِ . ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى شِدَّةَ مَا
يَحْصِلُ لَهُمْ مِنْهُ يَقُولُهُ : لَوْ يَعْلَمُ
الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ
وُجُوهِهِمُ النَّارَ . . . أَيْ لَمَا كَانُوا
بِتِلْكَ الصِّفَةِ مِنَ الْكُفْرِ وَالِاسْتِهْزَاءِ
وَالِاسْتِعْجَالِ .

٤٠- ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْثَةٌ﴾ بَلْ
تَأْتِيهِمْ السَّاعَةُ الْمَوْعُودُ بِهَا وَبَعْدَاجِمْ
فِيهَا مَفْاجَأَةً مِنْ غَيْرِ شَعُورٍ
بِمَجِيئِهَا . مُصَدِّرٌ بَغْثَةً كَمَنْعَةٍ
وَمِنْهُ الْمُبَاجِغَةُ أَيْ الْمَفْاجَأَةُ .
﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ تَدْهَشُهُمْ وَتُحِيرُهُمْ
وَالْفِعْلُ كَعَلِمَ وَنَصَرَ وَكَرَّمَ
وَرَهَى [آيَةُ ٢٥٨ الْبَقَرَةِ ص
٦٢ ، ٦٣] . ﴿وَلَا هُمْ
يُنْظَرُونَ﴾ يُمَهِّلُونَ لِتَوْبَةٍ أَوْ
مَعْدَةٍ . وَهُوَ تَهْدِيدٌ وَوَعْدٌ .

٤١- ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأُوا بِرُسُلِهِمْ﴾
تَسْلِيَةً لِلرُّسُلِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَنْ اسْتِهْزَائِهِمْ . ﴿فَحَقَّ﴾
أَحَاطَ أَوْ نَزَلَ بِهِمْ . يَقَالُ : حَقَّ
بِهِ الشَّيْءُ يَحِقُّ ، أَحَاطَ بِهِ .

٤٢- ﴿مَنْ يَكْلُؤْكُمْ﴾ يَحْفَظُكُمْ
وَيَحْرُسُكُمْ . يَقَالُ : كَلَاهُ كَلًّا
وَكِلَاةً وَكِلَاةً ، حَرَسَهُ وَحَفِظَهُ .
وَاكْتِلَاتَ مِنْهُ : احْتَرَسَتْ .

وَالِاسْتِهْزَاءُ لِلتَّجْرِيعِ وَالتَّيْبِيهِ
لِلْمُسْتَهْزِئِينَ كَيْ لَا يَغْتَرُّوا بِمَا يَقْبَلُونَ
فِيهِ مِنَ النِّعَمِ ، وَبِالِإِمْهَالِ
وَالْمُطَاوَلَةِ .

٤٣- ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ
أَنْفُسِهِمْ﴾ أَيْ أَنْ هَؤُلَاءِ الْآلِهَةِ لَا
يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَنْصُرُوا أَنْفُسَهُمْ ،
وَيَدْفَعُوا عَنْهَا مَا يَنْزِلُ بِهَا ﴿وَلَا هُمْ

ذَاقُوا الْمَوْتَ وَنَبَلُّوكم بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا
تَرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا يَتَخَذُونَكَ
إِلَّا هُزُؤًا هَذَا الَّذِي يَذْكُرُ الْهِنَاكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ
هُمْ كَفَرُوا ﴿٣٦﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ سَأَوِرِيكُمْ
أَيْنَتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ
لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ
وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْثَةٌ فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَأُوا
بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَقَّ بِالَّذِينَ سَخَرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَنْ يَكْلُؤْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ
بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ
تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنْنَا
يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ

٣٥- ﴿وَنَبَلُّوكم بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾
تَحْتَرِكُكُمْ ، أَيْ نَعَامَلُكُمْ مَعَامَلَةَ
الْمُخْتَبَرِ بِمَا تَحْبُونَ وَمَا تَكْرَهُونَ
لَأَجْلِ إِظْهَارِ شُكْرِكُمْ وَصَبْرِكُمْ
﴿فِتْنَةً﴾ أَيْ ابْتِلَاءً وَاخْتِبَارًا ،
مُصَدِّرٌ مُؤَكِّدٌ لـ «نَبَلُّوكم» مِنْ
غَيْرِ لَفْظِهِ .
٣٧-٣٩- ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ
عَجَلٍ﴾ الْعَجَلُ : طَلَبُ الشَّيْءِ
وَتَحَرُّيهِ قَبْلَ أَوَانِهِ . وَفَعْلُهُ مِنْ بَابِ
طَرِبَ . وَالْمُرَادُ : أَنْ جَنَسَ
الْإِنْسَانَ خَلْقَ مَجْبُولًا مَطْبُوعًا عَلَى
الْعَجَلَةِ وَالتَّسْرِعِ . فَيَسْتَعْجِلُ كَثِيرًا
مِنَ الْأَشْيَاءِ وَقَدْ تَكُونُ مُضِرَّةً بِهِ .
وَمِنْ ذَلِكَ اسْتِعْجَالُهُمُ الْعَذَابَ
الَّذِي أَوْعَدُوا بِهِ - مَتَى هَذَا

مِمَّا يُصْحَبُونَ ﴿﴾ بنصر وتأييد ؛ فهم في غاية العجز . أو ولأهم منا يجارون . تقول العرب : أنا لك صاحبٌ من فلان وجارٌ ؛ بمعنى مُجيرك ومانعك منه . وأصبح فلان فلاناً ؛ أجاره ومنعه . فكيف يتوهمون فيها النصر لهم !

٤٤ - ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ .. ﴾ هذه الآية مدنية وإن كانت السورة مكية ؛ أى أعمى المستهزون فلا يرون أنا نأتى أرضهم فننقصها من أطرافها بتسليط المسلمين عليها وانتزاعها من أيديهم ؟ ! ﴿ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ استفهامٌ بمعنى الإنكار ، معناه : بل نحن الغالبون وهم المغلوبون .

٤٦ - ﴿ وَلَكِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ .. ﴾ أصابهم شيء قليل من العذاب أو طرفٌ منه . وفى هذا التعبير ثلاث مبالغات : ذكر المس الذى يكنى فى تحقيقه إصبالٌ ما . وما فى النّفح من التّزارة والقلة ؛ يقال : نفحه بعطية ، رخصه وأعطاه يسيراً . والبناء الدالّ على المرة . وهى لأقل ما يُطلق عليه الاسم . والمراد : بيان سرعة تأثرهم بأقل شيء من العذاب الذى كانوا يستعملونه استهزاءً . وأنه إذا ناهم جزعوا ونادوا بالويل والثبور .

٤٧ - ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ ... ﴾ بيان للعدل الإلهي يوم القيامة فى الجزاء على ما سلك من الأعمال ، وأنه تعالى لا يظلم أحداً شيئاً ممّاله

عَلَيْهِمُ الْعُمرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءُ إِذَا مَا يُنذِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَكِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يُوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَانَ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾ * وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا

أو عليه ؛ فلا يُنقص من إحسان المحسن شيء ما ، ولا يُزاد فى إساءة المسىء شيء ما . والقِسْطُ : العدل . والمَوازِينُ : ما توزن به صحائف الأعمال .

٥١ - ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ ﴾ هدايته الكاملة إلى وجوه الصلاح فى الدّين والدّنيا من قبل استنبائه ؛ ترشيداً لمُتصّب النّوّة والدعوة إلى الحق ؛ كما هو شأننا فىمن نصطفيه لذلك من عبادنا .

٥٢ - ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ .. ﴾ الأصنام ؛ وغبر عنها بالتماثيل



تحقيقاً لها ، فإن البثال هو الشيء المصنوع من رخام أو نحاس أو خشب أو معدن أو نحو ذلك . على هيئة مخلوق من مخلوقات الله تعالى كالإنسان والحيوان والكواكب . يقال : مثلت الشيء بالشيء ، أى شبهته به . ﴿ أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ أى أنتم لأجلها عاكفون على عبادتها ، أو ملازمون لها ومقبلون عليها ، وأنتم قد صنعتموها بأيديكم ؟

٥٦ - ﴿ فَطَرَهُنَّ ﴾ خلقهن وأبدعهن

٥٨ - ﴿ فَجَعَلَهُنَّ جُذَاذًا ﴾ فجعل الأصنام قطعاً وكسراً . واحده جذاذة ، من الجذ وهو القطع والكسر . تقول : جذذت الشيء ، أى قطعته وكسرتة .

٦١ - ﴿ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ ﴾ ظاهراً بمرأى من الناس .

٦٣ - ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ ﴾ قصد بإسناد الفعل إلى كبيرهم - ومعلوم عجزه عنه بداهة - إثباته لنفسه بأسلوب تعريضى تهكمى ، إلزاماً لهم بالحجة .

٦٥ - ﴿ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ ﴾ انقلبوا من الفكرة المستقيمة الصالحة ، في تظلم أنفسهم بعبادة ما لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه فضلاً عن غيره - إلى ما كانوا عليه من الكفر ، وعبادة الأوثان ، فأخذوا في المجادلة بالباطل وقالوا : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا

ءَابَاءُ نَاهَا عِبْدِينَ ﴿٥٦﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٧﴾ قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنْ آلِ الْعِينِ ﴿٥٨﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٩﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٣﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦٤﴾ قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٦﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٨﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٩﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ قُلْنَا يَنْتَرِكُوْنِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٧٢﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٣﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧٤﴾ وَوَهَبْنَا

هَؤُلَاءِ يَسْتَطِقُونَ ﴿٦٦﴾ فَكَيْفَ نَسْأَلُهُمْ ؟! فَعَلْتُ مَبْنًى لِّلْمَجْهُولِ ؛ مِّنَ التَّكْسُوفِ وَهُوَ قَلْبُ الشَّيْءِ مِّنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ ، وَأَصْلُهُ قَلْبُ الشَّيْءِ بِحَيْثُ يَصِيرُ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ .

٦٧ - ﴿أَفِ لَكُمْ﴾ اسمُ فِعْلٍ بِمَعْنَى أَنْتَضَجَ . ضَجَرَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ إِصْرَارِهِمْ عَلَى الْبَاطِلِ بَعْدَ وَضُوحِ الْحَقِّ وَانْقِطَاعِ الْعُذْرِ ؛ فَتَأَقَّفَ بِهِمْ . وَأَصْلُهُ صَوْتُ الْمُتَضَجِّرِ مِنْ اسْتِغْدَارِ الشَّيْءِ [آيَةُ ٢٣ الْإِسْرَاءِ ص ٣٦٢] وَاللَّامُ لِيَانِ الْمُتَضَجِّرِ لِأَجَلِهِ .

٧١ - ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا﴾ أَخْرَجْنَاهُ وَمَعَهُ زَوْجُهُ سَارَةَ وَابْنُ أَخِيهِ أَوْ ابْنُ عَمَتِهِ لُوطٌ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى الشَّامِ ؛ فَنَزَلَ إِبْرَاهِيمُ بِفَلَسْطِينَ ، وَنَزَلَ لُوطٌ بِالْمُوتَفَكَةِ . فَبُعِثَ نَبِيًّا إِلَى أَهْلِهَا وَمَا قَرَّبَ مِنْهَا . ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ مَتْنِهَا إِلَى أَرْضِ الشَّامِ .

٧٢ - ﴿وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ عَطِيَّةٌ مَّا زِيَادَةٌ عَلَى مَا سَأَلَ ؛ إِذْ دَعَا رَبَّهُ فِي إِسْحَاقَ فَرِيدَ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ مِنْ غَيْرِ دَعَاءٍ ؛ مِنْ نَفْلِهِ إِذَا أَعْطَاهُ .

٧٤ - ﴿أَتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ حِكْمَةً أَوْ نُبُوَّةً ، أَوْ فَصْلَ الْقَضَاءِ بِالْحَقِّ بَيْنَ الْخُصُومِ ﴿وَعِلْمًا﴾ فَقَهَا فِي الدِّينِ وَمَا يَنْبَغِي عِلْمَهُ . ﴿كَانُوا قَوْمٌ سَوَاءٌ﴾ فَسَادٍ وَفَعْلٍ مَكْرُوهٍ [آيَةُ ٩٨ التَّوْبَةِ ص ٢٦٤] .

٧٨ - ﴿فِي الْحَرْثِ﴾ أَيِ

لَهُ- إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٧﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴿٧٨﴾ وَلُوطًا أَتَيْنَهُ حُكْمًا وَعَلَمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمٌ سَوَاءٌ فَاسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿٨٠﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلٍ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٨١﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمٌ سَوَاءٌ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ دَاوُدَ الْجَبَالَ يُسَبِّحُنَّ وَالطَّيْرُ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٨٤﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكَ لِنُحْصِنَكَ

الزَّرْعَ ، وَكَانَ كَرَمًا قَدْ تَدَلَّتْ عَنَاقِيدُهُ ﴿إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ تَفَرَّقَتْ وَانْتَشَرَتْ فِيهِ لَيْلًا بِلَا رَاعٍ فَرَعَتْهُ وَأَفْسَدَتْهُ . يُقَالُ : نَفَسَتْ الْغَنَمُ وَالْإِبِلُ ، أَيْ رَعَتْ لَيْلًا بِلَا رَاعٍ ؛ مِنْ بَابِ نَصَرَ وَضَرَبَ وَسَمِعَ . وَالنَّفْسُ اسْمٌ مِنْهُ .

٧٩ - ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ فَفَهَّمْنَا سُلَيْمَانَ الْحُكُومَةَ . وَكَانَ دَاوُدُ قَدْ حَكَّمَ بِإِعْطَاءِ صَاحِبِ الْحَرْثِ رِقَابَ الْغَنَمِ فِي حَرْثِهِ ، فَرَأَى سُلَيْمَانَ أَنْ تُدْفَعَ الْغَنَمُ إِلَى صَاحِبِ الْحَرْثِ يَنْتَفِعَ بِشِرَائِهَا ، وَيُدْفَعَ الْحَرْثُ إِلَى صَاحِبِ الْغَنَمِ لِيَقُومَ عَلَيْهِ ؛ فَإِذَا عَادَ إِلَى مَا كَانَ



مِنْ بَاسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَسَلِمَنَّ الرِّيحُ
عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا
وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ
يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ
حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ * وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ
الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا
مَا بِهِ مِنْ ضِرٍّ وَعَافَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ
عِنْدِنَا وَذَكَرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ
وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي
رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ
مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُجَيِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾
وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ
خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ

اللبوس واللباس واللبس
والملبس - كمقعد ومثبر - كل ما
يلبس ﴿٨٠﴾ لتخصيكم من
باسيكم لتجعلكم في حرز من
الإصابة بآلة الحرب من عدوكم .
يقال : أحصنه وحصنه ، جعله
في حرز ومكان منيع .

٨١ - ﴿٨٠﴾ وللسليمان الريح
عاصفة ﴿٨١﴾ أى وسخرنا لسليمان
الريح ، شديدة الهبوب . يقال :
عصف الريح تعصف ،
اشتدت ، فهي عاصف وعاصفة
وعصفوف ، سُميت بذلك
لتحطيمها ما تمر عليه فتجعله
كالعصف وهو الثبن .

٨٢ - ﴿٨٢﴾ يعقوصون له ﴿٨٣﴾ فى البحار
لاستخراج نفائسها . ﴿٨٤﴾ لهم
حافظين ﴿٨٥﴾ من الزرع عن أمره أو
الإفساد .

٨٣ - ﴿٨٣﴾ أنى مسنى الضر ﴿٨٤﴾ هو ما
يصيب النفس من المرض والهزال
ونحوهما .

٨٥ - ﴿٨٥﴾ وذا الكفل ﴿٨٦﴾ هو إلياس
أو زكريا أو يوشع بن نون .
وقيل : إنه كان عبدا صالحا ولم
يكن نبيا .

٨٧ - ﴿٨٧﴾ وذا النون ﴿٨٨﴾ أى اذكر
صاحب النون وهو يونس بن متى
عليه السلام . والنون : الحوت .
وجمعه نونان وأنوان . وقيل له ذو
النون لابتلاع الحوت له . ﴿٨٩﴾ إذ
ذهب مغاضبا ﴿٩٠﴾ غضبان على قومه
من أجل ربه : لكفرهم أول
أمرهم . وقد فارقهم بدون أن

عليه وسلم وسمعه الناس معجزة
له ، وهو كقوله تعالى : (يَا جِبَالُ
أُوبَىٰ مَعَهُ) (١) .

٨٠ - ﴿٨٠﴾ وعلمناه صنعة لبوس
أى عمل الدروع بالآلة الحديد
له . واللبوس الدرع . وأصل

عليه فى السنة المقبلة رد كل واحد
منهما ما لصاحبه إليه ، فرجع داود
إلى حكم سليمان عليهما السلام
﴿يُسَبِّحُن﴾ يُقَدِّسُن الله تعالى
وهو من المعجزات ، كما سبّح
الحصا فى كف الرسول صلى الله

وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
وَيَدْعُونَ رَغْبًا وَرَهْبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي
أَخْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا
وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً
وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ
كُلُّ إِبْنٍ رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ ۖ وَإِنَّا لَهُ كَنُيُوبٌ ﴿٩٤﴾
وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا
فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَاجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾

بأمره الله تعالى بفراقهم . ﴿فَقَطَّ﴾
أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴿﴾ أى أن لن
نقضى عليه بعقوبة . أو أن لن
نضيق عليه ؛ عقاباً له على ترك
قومه من غير أمرنا . يقال :
قَدَرْتُ عليه الشيء أَقْدَرُهُ وَأَقْدَرُهُ
قَدَرًا وَقَدَرًا ، ضَيَّقْتُهُ عليه .
ومنه : (فَقْدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ) (١) أى
ضيقه عليه . (اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ
لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) (٢) . ﴿فَقَادَى﴾
فى الظُّلُمَاتِ ﴿﴾ ظُلْمَةِ بَطْنِ
الْحُوتِ وظُلْمَةِ الْبَحْرِ . وظُلْمَةِ
الَّيْلِ .

٩٠ - ﴿وَيَدْعُونَ رَغْبًا وَرَهْبًا﴾
راغبين فى نعيمنا ، وراهبين من
نقمنا . مصدران بمعنى اسم
الفاعل ، منصوبان على الحال :
وفعلها من باب طَرِبَ .
﴿خَاشِعِينَ﴾ متواضعين
خاضعين ، لا يستكبرون عن
دعائنا .

٩١ - ﴿وَالَّتِي أَخْصَنَتْ
فَرْجَهَا ۖ﴾ حَفِظَتْ فَرْجَهَا مِنْ
النِّكَاحِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ؛ يعنى
مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ عَلَيْهَا السَّلَامُ .
﴿مِنْ رُوحِنَا﴾ أى من جهة رُوحِنَا
وهو جبريل عليه السلام ؛ أمرناه
فنفخ فى جيبِ درعها فأحدثنا
بذلك عيسى عليه السلام .
﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾
دلالة لهم على كمال قدرتنا ؛ إذ
خلقنا ولدًا من غير أب .

٩٢ - ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾ أى إن
ملة التوحيد والإسلام ، وهى دين

جميع الأنبياء عليهم السلام -
دينكم الذى يجب أن تحافظوا على
حدوده وتراعوا سائر حقوقه .
﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ دِينًا وَاحِدًا مُتَّفَقًا
عليه من جميع الأنبياء . منصوبٌ
على الحال من «أُمَّتُكُمْ» .
٩٣ - ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾
جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قِطْعًا
وتفرقوا فيه شيعًا . والمراد بهم :
المعادنون الجاحدون .
٩٤ - ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ أى
وممنعٌ على أهل قرية
﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ لفرط طغيانهم
وتمردهم ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾
فى الآخرة للجزاء .
٩٥ - ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ

وَمَاجُوجُ﴾ حَتَّىٰ هُنَا : ابتدائية ،
وما بعدها غاية لما يدل عليه ما
قبلها ؛ فكانه قبل : بل يستمرون
على هلاكهم حتى تقوم الساعة
فيرجعوا إلينا ويقولوا : يا ويلنا قد
كنا فى الدنيا فى غفلة تامة من أمر
البعث والجزاء ، بل كنا ظالمين
بتكذيب الآيات والنذر .
﴿وَهُمْ﴾ أى يَأْجُوجُ وَمَاجُوجُ .
﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾ مرتفع من
الأرض كجبل أو أكمة .
﴿يَنْسِلُونَ﴾ يُسْرِعُونَ فى السَّيْرِ
مُشَاةً إلى المحشر كَسَلَانِ الذُّنَابِ ؛
من التَّسَلُّ وهو مقاربة الخطو مع
الإسراع . يقال : نَسَلَ فى مشيته
يَسْلُ وَيَسْلُ نَسْلًا وَنَسْلَانًا ،
أَسْرَعَ .

فَتَحَتْ» و «هِيَ» ضمير الشأن مبتدأ ، و «شَاخِصَةً» خبر مقدم ، و «أَبْصَارُ» مبتدأ مؤخر ، والجملة خبر «هي» .

٩٨ - ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ إنكم - أيها الكفار - والأصنام والطواغيت التي تعبدونها من دون الله وقود جهنم . وحصب النار : ما يُرمى فيها وتهيج به . يقال : حصبه يحصبه ، إذا رماه بالحصباء ، وهي صغار الحجارة . ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ حطبها وقودها الذي به تهيج . ﴿لَهَا وَارِدُونَ﴾ فيها داخلون .

١٠٠ - ﴿لَهُمْ فِيهَا زُفِيرٌ﴾ تنفس شديد يخرج من أقصى أجوافهم [آية ١٠٦ هود ص ٢٩٩] . ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ شيئاً ما لشدة الهول . أو لشدة الزفير .

١٠٢ - ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ أي حسيس النار ، وهو صوتها الذي يُحَسّ من حركة تلهبها إذا نزلوا منازلهم في الجنة . وأصل الحسيس : الصوت تسمعه من شيء يمر قريباً منك .

١٠٣ - ﴿لَا يَحْزَنُهُمْ﴾ يقال : حزنه الأمر حزناً ، جعله حزناً كآثره . ﴿الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ﴾ وهو أهوال يوم القيامة . أو نفخة البعث . مصدر فرغ - كفرح ومتع - وهو انقباض ونفاذ يعترى الإنسان من الشيء المخيف .

١٠٤ - ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ﴾ أي اذكر لهم

وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُرْوِلُنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءَ إِلَٰهًا مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زُفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَنَتَلَقِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَىَّ أَمَّا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أُدْرِيَ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾

مرتفعة الأجفان لا تكاد تطرف من شدة الهول . يقال : شخص بصر فلان يشخص شخصاً فهو شاخص ، إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف ، جواب قوله : «إذا

٩٧ - ﴿وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ وهو ما بعد النفخة الثانية من البعث والحساب والجزاء معطوف على «فَتَحَتْ» . ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١٠٥﴾ وَإِنْ
أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةً لَّكُمْ وَمَنَعَ إِلَيَّ حِينَ ﴿١٠٦﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكَمْ
بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٠٧﴾

(٢٢) سُورَةُ الْحَجِّ مَلَانِيَّةٌ
إِلَّا الْآيَاتِ ٥٢ وَ ٥٣ وَ ٥٤ وَ ٥٥ فَيَنْبَغِيكَ وَاللَّيْلَةِ
وَأَيَّاهَا ٧٨ نَزَلَتْ بَعْدَ النُّورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ۖ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ
عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ
وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ
بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن
يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾

هذا اليوم . والطّي : ضدّ الشّر .
والسّجل : الصحيفة التي يُكتب
فيها . والكُتِبَ : بمعنى
المكتوبات : أي ما يُكتب في
الصحف من المعاني الكثيرة .
واللّام بمعنى على ؛ كما في قوله
تعالى : (وَلَلَّهُ لِلْجَبِينِ) (١) . أي
يومَ نَطْوِي السَّمَاءَ طَيًّا مِثْلَ طَيِّ
الصحيفة على ما فيها من
المكتوبات . وفي هذا التّشبيه إيماؤه
إلى أنّ ذلك من أهون ما تتناوله يدُ
القدرة الإلهيّة .

١٠٥ - ﴿كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ﴾ أي
الزبور وهو المكتوب ؛ من
قولهم : زَبَرْتُ الكتابَ ، أي
كتبته . والمراد به : الجنس ؛
فيشمل جميع الكتب المنزلة على
الرّسُل عليهم السلام . ﴿مِن بَعْدِ
الذِّكْرِ﴾ أي أم الكتاب الذي
تُكتب فيه الأشياء قبل ذلك ،
وهو اللّوح المحفوظ . وقيل :
الذِّكْرُ العِلْمُ ، وهو المراد بأمّ
الكتاب .

١٠٦ - ﴿لَبَلَاغًا﴾ كفاية ، أو
وصولاً إلى البغية .

١٠٩ - ﴿أَذُنُّكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾
أعلمتكم ما أمّرت به حال كونكم
جميعاً مستوين في العلم به ، لا
أخصّ أحداً منكم دون أحد ،
والهمزة فيه للتّقليل ؛ من أذن بمعنى
عَلِمَ ، وقد كثر استعماله في إيجازاته
مُجَرَّي الإنداز ؛ ومنه في قراءة
(فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ) (٢) . ﴿وَإِنْ أَدْرَىٰ﴾
وما أدري وما أعلم . والله أعلم .

(١) آية ١٠٣ الصفات . (٢) آية ٢٧٩ البقرة .

٢ - ﴿تَذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ﴾ تنسى
وتترك كلّ امرأة الطفل الذي
ألقمته ثديها من شدة كَرِبِها
ودهشتها ؛ من الذّهل . وهو
شغلٌ يورثُ حُزناً ونسياناً . وفعله
كَمَعَ . والمَرْضِعةُ : المباشرة
للإرضاع بالفعل . تقول :
أرضعت المرأة فهي مُرضِع ، إذا
كان ولدٌ مُرضعه ، فإن وصفها
بإرضاع ولدها بالفعل قلت :
مَرْضِعة . ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ
حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ ولدها قبل تمامه

سُورَةُ الْحَجِّ
١ - ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ من
أمارات الساعة ما يحدث في
الأرض من الزّلزلة الشديدة ، التي
أخبر الله عنها بأنها شيء عظيم
الأهوال ، ويعقبها طلوع الشمس
من مغربها . والزّلزلة : التّحريك
الشّدِيدُ ، والإزعاجُ العَنيفُ .
مصدرُ زَلَزَلَ اللهُ الأرضَ زَلَزَلَةً
وزلزالاً . حرّكها . وقيل : هذه
الزّلزلة كناية عن أهوال يوم
القيامة .

كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ
السَّعِيرِ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ
فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّن
مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّينَ لَكُمْ وَنُقَرِّفِي الْأَرْحَامَ
مَا نَسَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِنَبْلُغُوا
أَشْدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ
الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ
هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ
مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ

لا محالة ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ من منى [آية ٤ النحل ص ٣٤٢] .
﴿مِنْ عِلْقَةٍ﴾ قطعة من الدم جامدة يتحول إليها المني .
وجمعها علق . ﴿مِنْ مُضْغَةٍ﴾ قطعة قليلة من اللحم تتحول إليها العلقة . ﴿مُخَلَّقَةٍ﴾ مستبينة الخلق مضورة . ﴿لِنَبْلُغُوا أَشْدَّكُمْ﴾ كمال عقولكم ، ونهاية قواكم [آية ١٥٢ الأنعام ص ١٩٦] . ﴿إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾ أخسّه وأدونه ؛ وهو مثل زمن الطفولة الأولى . ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ يابسة لا نبات فيها . يقال : هَمَدَتِ الْأَرْضُ تَهْمَدُ هُمُودًا ، يَبَسَتْ وَدَرَسَتْ . وَهَمَدَ الثوب يَبِي . ﴿اهْتَزَّتْ﴾ تحركت في رأى العين بسبب حركة النبات . يقال : هَزَّ الشَّيْءُ - مِنْ بَابِ رَزَّ - فَاهْتَزَّ ، حَرَكَهُ فَتَحَرَّكَ . ﴿وَرَبَتْ﴾ زادت وانتفخت لما يتداخلها من الماء والنبات . يقال : ربا الشيء يَرْبُو رَبْوًا ، زَادَ وَنَمَا ؛ وَنَمَتِ الرِّبَا وَالرَّبْوَةُ . ﴿بَهِيجٍ﴾ نَضِرُ حَسَنَ الْمُنْظَرِ ؛ مِنْ بَهَجٍ - كَطَرَفٍ - بَهَاجَةً وَبَهْجَةً أَيْ حَسَنَ .
٦ - ﴿ذَلِكَ﴾ أى ذلك المذكور من خلق الإنسان وإحياء النبات شاهد ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ .
٨ - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ﴾ هذه الآية واردة في شأن المتبوعين . والآية الثالثة من هذه السورة واردة في شأن أتباعهم .

من شدة الهول ﴿سُكَارَى﴾ أى كالسكارى لما شاهدوا من سلطنة الجبروت ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾ على التحقيق ؛ جمع سُكْرٍ وسُكْرَانٍ .
٣ - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ﴾ يُنَازِعُ ويخاصم ؛ مِنَ الْجِدَالِ وهو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة . وأصله من جدلت الحبل : أى أحكمت قتله ؛ كَأَنَّ الْمُتَجَادِلَيْنِ يَقْتُلُ كُلُّهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ رَأْيِهِ . نزلت في النَّصْرَيْنِ الْحَارِثِ . ﴿وَيَبْغِي كُلُّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ متمرد متجرد للفساد ، مُعْرِى من الخير ، [آية ١١٧ النساء ص ١٣١] .
٤ - ﴿تَوَلَّاهُ﴾ اتخذه وليًا وتبعه .
٥ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ لما ذكر تعالى من يُجَادِلُ في قدرته بغير علم وكان جدالهم في البعث - ذكر دليلين واضحين على صحته : أحدهما في نفس الإنسان وابتداء خلقه وتطوره في أطواره السبعة ؛ وهى : الثَّرَابُ ، والنُّطْفَةُ ، والعَلَقَةُ ، والمُضْغَةُ ، والإِخْرَاجُ طِفْلًا ، وبلوغُ الْأَشَدِّ ، والتَّوَفَّى . أو الرَّدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ . والثانى في الأرض التى يشاهد تنقلها من حال إلى حال ؛ فإذا اعتبر العاقل ذلك تبين له جواز البعث عقلاً ؛ فإذا ورد الشرع بوقوعه وجب التصديق به

٩ - ﴿ثَانِي عَطْفِهِ ..﴾ لاوى جانبه ، أى متكبراً شموخاً ، معرضاً عن الحق ، من الثنى وهو اللى . يقال : ثنى الشيء - كسعى ورعى - رذ بعضه على بعض فتنى . وانشى انعطف . والعطف : الجانب . ويقال : هو ينظر فى عطفه ، أى معجب بنفسه . وثنى عنى عطفه : أعرض . ﴿خزى﴾ ذل وهوان بالذكر القبيح .

١٠ - ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [آية ١٨٢ آل عمران ص ١٠٣] .

١١ - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ..﴾ على طرف من الدين ، لا ثبات له ولا استقرار ، كالأذى يكون على طرف الجيش ، فإن أحسّ بظفر قر ، وإلا قر . وحرف كل شيء : طرفه وحده ، ومنه حرف الجبل . وهو مثل لاضطرابه فى أمر دينه وتزلزل قدمه فيه ﴿وَأَنَّ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ﴾ ابتلاء بالشور والآلام فى النفس أو الأهل أو المال .

١٢ - ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أى يعبد من دونه تعالى . ﴿مَالًا يَصْرُهُ﴾ ترك عبادته له فى الدنيا ﴿وَمَالًا يَنْفَعُهُ﴾ عبادته له فى الآخرة وهو الأصنام .

١٣ - ﴿لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ أى يقول الكافر يوم القيامة برفع صوت وصراخ حين يرى تضربه بعبوده ودخوله النار

يُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيرُهُ يَوْمَ الْقَبِيْمَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ، خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَالًا يَصْرُهُ وَمَالًا يَنْفَعُهُ ، ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ، لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنْ اللَّهُ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَن لَّنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

بسيه : ولا يرى أثرًا مما كان يتوقعه منه من نفع أو دفع ضر : والله ليس الذى يتخذ ناصراً . ولبس الذى يُعَاشِرُ وَيُخَالِطُ !! .

١٥ - ﴿مَنْ كَانَ﴾ من الكفار بسبه : ولا يرى أثرًا مما كان يتوقعه منه من نفع أو دفع ضر : والله ليس الذى يتخذ ناصراً . ولبس الذى يُعَاشِرُ وَيُخَالِطُ !! .

١٥ - ﴿مَنْ كَانَ﴾ من الكفار بسبه : ولا يرى أثرًا مما كان يتوقعه منه من نفع أو دفع ضر : والله ليس الذى يتخذ ناصراً . ولبس الذى يُعَاشِرُ وَيُخَالِطُ !! .



وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَنِ
يُرِيدُ ﴿١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ
وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ
بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٨﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ
وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ
اللَّهُ قُلًا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٩﴾
* هَذَانِ خَصْمَانِ أَخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا
قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمْ
الْحَمِيمُ ﴿٢٠﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢١﴾
وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢٢﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا
مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٣﴾
إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ
وَلَوْ لَوًّا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَهَدُّوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ
الْقَوْلِ وَهَدُّوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

لِيَخْتَنِقَ بِهِ ، مِنْ قَطْعٍ ، إِذَا
اِخْتَنَقَ . وَأَصْلُهُ قَطَعَ نَفْسَهُ ، وَهُوَ
كَنَاءَةٌ عَنِ الْاِخْتِنَاقِ . ﴿فَلْيَنْظُرْ﴾
أَي فليقدر في نفسه النظر ﴿هَلْ﴾
يُذْهَبُ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ أَي الذي
يَغِيظُهُ مِنَ النَّصْرِ .

١٧ - ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ [آية ٢٢
البقرة ص ١٨] . ﴿وَالْمَجُوسَ﴾
هم عبدة الشمس أو القمر أو
النار . أو القائلون بأن للعالم
أصلين : التور والظلمة .
﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ هم عبدة
الأصنام والأوثان .

١٨ - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ﴾
[آية ١٥ الرعد ص ٣٢١] .
﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ حَقَّ لَهُ
الثواب ، وهم المنقادون لله تعالى
ظاهراً وباطناً . ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ
الْعَذَابُ﴾ وهم المتمردون على الله
تعالى ، الجاحدون لنعمه .

١٩ - ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ أَي
فريق المؤمنين وفريق الكافرين
خصمان في شأنه عز وجل .
﴿الْحَمِيمُ﴾ الماء البالغ غاية
الحرارة . أو هو السُّحاس
المذاب .

٢٠ - ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾
يذاب به ما في بطونهم من الشحوم
والأحشاء . يقال : صهر الشحم
يُصْهَرُ فأنصهر ، أذابه فذاب ،
فهو صهير . أو يُصْهَرُ بمعنى
ينضج .

٢١ - ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾
مطارق تضرب بها خزنة النار
رؤوسهم إذا أرادوا الخروج منها ،
جمع مَقْمَعَةٍ ، وهى آلة تُستعمل
في القمع عن الشيء والزجر عنه .

يقال : قَمَعَهُ يَقْمَعُهُ ، وأقعه ،
إذا ضربه بها ، وقهره وذله .

٢٤ - ﴿صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾

الإسلام الذي ارتضاه لعباده ديناً .

٢٥ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ..﴾ خيرٌ «إن» محذوفٌ لدلالة آخر الآية عليه ، بعد قوله «وَالْبَادِ» تفديره : نَذِيقُهُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ . ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أى وعن المسجد الحرام . والمراد به مكة ؛ عُبِّرَ به عنها لأنه المقصود الأهم منها . ﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ..﴾ مطلقاً بلا فرق بين مكى وأفاقي . ﴿سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ﴾ المقيم فيه . يقال : عكف يعكف ويعكف عكفاً وعكوفاً ، لزِمَ المكان وأقام فيه . ﴿وَالْبَادِ﴾ أى الطارئ عليه وهو الأفاقي . وأصله من يكون فى البادية ومسكنه المضارب

والخيام ، ويتنجد المناجع ولا يقيم فى مكان و﴿سَوَاءٌ﴾ مفعول ثانٍ لـ «جعلنا» ، و«الْعَاكِفُ» فاعلٌ لـ «سواء» بمعنى مستو . ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ﴾ أى ومن يُرِدْ فيه مراداً ما عادلاً عن القصد والاستقامة ؛ فيشمل سائر الآثام ، لما فيها من الميل عن الحق إلى الباطل . ومنه كما فى السنن : احتكارُ الطعام فى الحرم . ومنه : دخوله بغير إحرام ؛ كما روى عن عطاء . يقال : ألحد فى دين الله ، أى حاد عنه وعدل . ﴿يُظْلَمُ﴾ أى بغير حق ، وهو تأكيد لما قبله ، والباء فيها للملابسة . وقيل : الأولى زائدة ، وأبْدَ بقراءة «ومن يُرِدْ

وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يُظْلَمُ نُذُقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْعَمَةٍ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْبَاسَ الْفَقِيرِ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ

والضَّلالات .

٢٧ - ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ﴾ ناد فيهم وأعلمهم . ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ مُشاةً على أرجلهم ؛ جمعٌ راجل أو رَجُل . يقال : رَجُلٌ يَرْجُلُ ، فهو رَجُلٌ وراجل ؛ إذا لم يكن له ظهر يركبه . ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أى وركبائاً على كلٍّ بغير مهزول أنهكه بعد الشقة . يطلق على الذَّكَرَ والأنثى ، وهو اسم فاعلٍ من ضَمَرَ يَضْمُرُ ضَمُورًا ، وَضَمُرٌ ضَمْرًا ؛ فهو ضامِرٌ فيها . ﴿يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ صفةٌ لـ «كلٍّ» . والجمعُ باعتبار المعنى ؛ كأنه قيل : وركبائاً على ضوامرٍ من كلِّ طريق بعيد . والفَجُّ فى

الحَادَةِ يُظْلَمُ » أى إلحاداً فيه بظلم . والآية نزلت فى المشركين حين صدوا الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه عامَ الحُدَيْبِيَّةِ عن المسجد الحرام ؛ فكره صلى الله عليه وسلم أن يقاتلهم وكان مُحْرِمًا بعُمْرَةٍ ، فصالحوه على أن يعود فى العام القابل لقضاء العُمْرة .

٢٦ - ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ جعلنا مكان البيت - أى الكعبة المشرفة - مباءةً له عليه السلام ؛ أى مرجعاً يُرجع إليه للعمارة والعبادة [آية ١٢١ آل عمران ص ٩٣] . ﴿وَطَهَّرْ بَيْتِي﴾ من الأرجاس الحسنة والمعنوية الشاملة للكفر والبِدْعِ

٣٠ - ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ﴾
 أى ما أمر الله باحترامه . وهو
 جميع التكاليف فى مناسك الحج
 وغيرها . وتعظيمها بالعلم بوجوب
 مراعاتها والعمل بموجبه .
 ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾
 أى فاجتنبوا القدر الذى هو
 الأوثان . وهى التماثيل التى كانوا
 يعبدونها من دون الله تعالى .
 ﴿قَوْلَ الزُّورِ﴾ قول الباطل
 والكذب القبيح .

٣١ - ﴿حُفَاءَ﴾ مائلين عن سائر
 الأديان الباطلة إلى الدين الحق .
 ﴿فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ﴾ تستلبه جوارح
 الطير وتذهب به . والخطف :
 الاختلاس بسرعة . ﴿أَوْ تَهْوَى بِهِ
 الرِّيحُ﴾ أى تسقطه وتقدفه .
 يُقَالُ : هَوَى يَهْوَى هَوِيًّا . سقط
 إلى أسفل . ﴿سَحِيقَ﴾ بعيد ؛
 من السَّحَق . يقال : سَحَقَ
 الشيء - كبعد - فهو سحيق .
 أى بعيد . وأسحقه الله : أبعد .

٣٢ - ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾
 جمع شعيرة . وهى كل شىء لله
 تعالى فيه أمرٌ أشعر به وأعلم .
 وشعائره الله : أعلام دينه فى
 الحج . أو الأعمال التى أمر بها فيه
 عند هذه الأعلام [آية ١٥٨ البقرة
 ص ٣٦] ومنها البدن التى تُهدى
 للبيت المعظم . وتعظيم شعائر
 الله : امتثال ما أمر به عندها .
 وأداء أعمال المناسك على الوجه
 المشروع . ومن المفسرين من فسر
 الشعائر هنا بالبدن الهدايا ؛ بقرينة
 ما بعده . وتعظيمها : اختيارها

وَلْيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ
 اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِ . وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ
 إِلَّا مَا يَسُلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ
 وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ .
 وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ
 أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ
 شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا
 مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾

﴿وَأَطِيعُوا الْبَائِسَ﴾ هو الذى
 أصابه بؤس ؛ أى شدة ومكره .
 ٢٩ - ﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ أى
 يُزيلوا عنهم أدرانهم والمراد به :
 الخروج من الإحرام بالخلق أو
 القَص ، وقلم الأظفار
 والاستحداد ، ولبس الثياب ونحو
 ذلك . وَتَفَثٌ : التَّوَسُّعُ والقَدَرُ
 من طول الشعر والأظفار
 والشعث . يقال : تَفَثَ يَتَفَثُ
 تَفَثًا فهو تَفَثٌ . إذا ترك الأدهان
 والاستحداد ونحوهما فعلاه
 التَّوَسُّعُ . والقضاء فى الأصل :
 القَطْعُ والْفَضْلُ ؛ أريد به الإزالة
 مجازًا . ﴿وَلْيَطُوفُوا﴾ طواف
 الإفاضة . وهو طواف الزيارة
 الذى هو من أركان الحج . وبه
 تمام التحلل من الإحرام .

الأصل : شقَّةٌ يكتنفها جبالان ،
 ويُستعمل فى الطريق الواسع .
 والمراد هنا : مطلق الطريق ،
 وجمعه فجاج . و «عتيق» أى
 بعيد ؛ من العَمَق . وأصله البعد
 سَفَلًا ؛ ومنه بئر عميقة . وفعله
 ككرم وسبع .

٢٨ - ﴿لَيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾
 عظمة دينية وذنوبية .
 ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ أى
 يذكروه بالحمد والثناء عند إعداد
 الهدايا ، وعند الذبح والنحر وغير
 ذلك . ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾
 هى عشر ذى الحجة على ما ذهب
 إليه جمهور المفسرين . وقيل :
 هى أيام النحر ، أو يوم العيد وأيام
 التشريق . ﴿بِهِمِ الْأَنْعَامُ﴾
 الإبل والبقر والضأن والمعز .

حساناً سمناً .

٣٣ - ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ أى لكم فى تلك الشعائر منافع بالأجر والثواب الحاصل بتعظيمها . ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو انقضاء أيام الحج . ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا﴾ أى محل الناس منها - أى من إحرامهم - منته . ﴿إِلَىٰ الثَّيْتِ الْعَتِيقِ﴾ بطواف الزيارة بعد أداء تلك الشعائر .

٣٤ . ٣٥ - ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَسْكًا﴾ أى إراقة دم وذبح قربان . أى شرعنا لكل أمة مؤمنة أن يتسكوا لله تعالى ؛ أى يذبحوا لوجهه تقرباً إليه . ويطلق المنسك - بالفتح - على موضع إراقة الدم أو زمانها . وقرئ بكسر السين بمعنى الموضع . ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ المتواضعين لله تعالى ؛ أو المطمئنين ؛ من الإخبات وهو فى الأصل نزول الحَبْتِ ؛ أى المطمئن من الأرض . وجمعه أخبات وخبوت . ثم استعمل استعمال اللين والتواضع . ﴿وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ وخذرت مخالفته تعالى [آية ٢ الأنفال ص ٢٣٣] .

٣٦ - ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ البدن : جمع بدنة . وهى الإبل . أو الإبل والبقر المهداة إلى البيت المعظم . وسُمِّيَتْ بُدْنًا لعظم أبدانها وضخامتها ، وكانوا يُسَمُّونَهَا ثم يهدونها إلى البيت ؛ وهى من أعلام دينه تعالى فى الحج . و

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَسْكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَرِيعةٍ أَلَّا يَعْصُوا لِلَّهِ وَاحِدًا فَلَهُ أَسْلُوبٌ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ * إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ

﴿صَوَافٍ﴾ جمع صَافَةٍ . أى قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن ؛ مِنْ صَفٍّ بَصَفٍّ . وقرئ : «صوافن» جمع صافنة ؛ مِنْ صَفْنِ الرَّجُلِ يَصْفِنُ . إذا صَفَّ قدميه . ﴿وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ سقطت جنوبها على الأرض بعد النَّحْرِ ؛ وهو كناية عن موتها . يقال : وجبت الشمسُ تَجَبَّ وجباً ووجوباً . غابت . ووجب الجدارُ : سقط . وظاهره يؤيد كَوْنُ المرادِ مِنَ البدنِ الإبلَ خاصة . ﴿وَأَطِعُوا الْقَانِعَ﴾ هو السائل ؛ مِنَ الْقَنوعِ وهو السؤال والتذلل . يقال : قَنَعَ يَقْنَعُ ، إذا سأل ؛ فهو قانع وقنيع . ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ هو الذى يتعرض لك لتعطيه ولا يسأل . يقال : عَرَّه يَعْرُهُ عَرًّا ، وعراه واعتراه واعتره ؛ إذا أتاه طالباً معروفه من غير مسألة . ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بشاره للمؤمنين بالنصر



الشرائع ، وتُصان التبعيدات من الهدم . فلولا دفعُ الله المشركين بالمؤمنين بالاذن لهم في الجهاد لهدمت في زمن موسى المعابد ، وفي زمن عيسى الصوامع والبيع ، وفي زمن نبينا عليه الصلاة والسلام المساجد . والذين دُفع بهم المشركون في زمن موسى وعيسى عليهما السلام إنما هم المؤمنون من أتباعهم الذين لم يحرقوا ولم يُبدلوا ، واستمروا على الحق . ﴿صوامع﴾ معابد للرهبان ، جمع صومعة ، وهي البناء المرتفع المحذو الطرف . يقال : صمّع الثريدة ، أي رفع رأسها وحدده . ﴿وبيع﴾ كنائس للنصارى ، جمع بيعة ولا تختص بالربان . ﴿وصلوات﴾ كنائس لليهود .

٤٤ - ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ قوم شيعب عليه السلام . ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ أمهلتهم بالعقوبة ، ولم أعاجلهم بها ، من الإملاء بمعنى الإمهال . ﴿نكير﴾ أي إنكارى عليهم بالعذاب والهلاك . مصدر من نكرت عليه وأنكرت ، إذا فعلت فعلاً يردعه . وهو وعيد للمكذّبين لرسوله صلى الله عليه وسلم .

٤٥ - ﴿فَكَائِنٌ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ فكثير من القرى أهلكناها [آية ١٤٦ آل عمران ص ٩٧] . ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ خالية من أهلها لهلاكهم [آية ٢٥٩ البقرة ص ٦٣] . ﴿وَبَرٌّ﴾

بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الصَّوْمِعُ وَبِيعَ وَصَلَوَاتُ وَمَسْجِدُ يُذَكِّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ أَلِيمٌ ﴿٤١﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَائِنٌ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبَرٌّ مُعْطَلَةٌ وَقَصِيرٌ مَشِيدٌ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ فَلَيْسَ بَأْسٌ بِهَا لَا تُعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ

لشيت قلوبهم . ﴿خَوَانٍ كَفُورٍ﴾ النَّاسِ . تحريض على القتال خائن للأمانات ، جاحد للنعم . ٣٩ - ﴿أَذِنَ﴾ أي في القتال . ٤٠ - ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ﴾

وَعَدَهُ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾
وَكَايِنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا
وَالِىَ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ
نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ
رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ
فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ ۚ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ
لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ

فاسدة ﴿فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ في هذه الآيات المتلوة لإغوائهم ، وحملهم على مجادلته بالباطل ، وقد قال : (لَأُغْوِيَهُمْ أَجْمَعِينَ) ^(١) ، كما قال تعالى : (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَكَايِنٌ يَلْعُونُ إِلَى أُولَئِكَ لِيُجَادِلُوهُمْ) ^(٢) ، وقال سبحانه : «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا» ^(٣) . وهذا كقولهم عند سماع آية (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ) ^(٤) : إن محمداً يحلُّ ذبيحة نفسه ويُحَرِّمُ ذبيحة الله تعالى ، وقولهم عند سماع آية (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ) ^(٥) : إن عيسى والملائكة عبدوا من دون الله ، ونحو ذلك . ﴿فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ أى يزيله من بعض القلوب بانزال ما يُبطله حتى لا يبقى فيها أثر للشك والريغ فتؤمن بما جاء به الرسول ﴿ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ﴾ يأتى بها محكمة مثبتة لا تقبل الرد ، فلا يتطرق إلى قلوبهم شك فيها . ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وذلك

مُعْطَلَةٌ ﴿مُهْجُورَةٌ لِهَلَاكِ أَهْلِهَا﴾ : مِنْ بَارَتْ الْأَرْضُ أَثَارُهَا بَارًا : حَفَرْتُهَا ، فَهِيَ مَبْثُورَةٌ . ﴿وَقَصُرَ مَشِيدٌ﴾ مُجْتَصَصٌ بِالشَّدِيدِ وَهُوَ الْجِصَّ ، أَخْلَيْنَاهُ مِنْ سَاكِنِيهِ بِإِهْلَاكِهِمْ . يُقَالُ : شَادَ الْبِنَاءَ يَشِيدُهُ ، طَلَاهُ بِالشَّدِيدِ .
٤٨ - ﴿أَهْلَيْتُ لَهَا﴾ أَهْلَيْتُهَا .

٥١ - ﴿مُعْجِزِينَ﴾ مُعَاجِزِينَ مَسَابِقِينَ لِلْمُؤْمِنِينَ ، أَيْ مُعَارِضِينَ لَهُمْ ، فَكَلِمَا طَلَبَ الْمُؤْمِنُونَ إِظْهَارَ الْحَقِّ طَلَبَ هَؤُلَاءِ إِطْطَالَهُ . يُقَالُ : عَاجَزَهُ فَأَعْجَزَهُ ، أَيْ سَابَقَهُ فَسَبَقَهُ ، لِأَن كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا يُطَلِّبُ إِعْجَازَ الْآخَرِ عَنِ الْخَلْقِ بِهِ .

٥٢ ، ٥٣ - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ...﴾ المراد بالرسول : مَنْ بُعِثَ بَكِتَابٍ . وبالنبي : مَنْ بُعِثَ بِغَيْرِ كِتَابٍ . أَوْ بِالْأَوَّلِ : مَنْ بُعِثَ بِشَرَعٍ جَدِيدٍ . وَبِالثَّانِي : مَنْ بُعِثَ

لتقرير شرع من قبله . والمراد بالتمنى : القراءة والتلاوة . وأصله نهاية التقدير ، على ما قال أبو مسلم . وأطلق على القراءة لأن التالى يقدر الحروف ويتصورها فيذكرها شيئاً فشيئاً . والمعنى على ما ذكره العلامة الألوسى : «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى» أى تلا على قومه الآيات المرسل بها للدعوة إلى التوحيد ، وَبَيَّذَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشُّرْكِ . ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ﴾ شَبَّهَا وَتَحْتَلَّاتٍ بَاطِلَةٌ ، وَاحْتِمَالَاتٍ

(١) آية ٨٢ سورة ص . (٢) آية ١٢١ الأنعام . (٣) آية ١١٢ الأنعام . (٤) آية ٣ المائدة . (٥) آية ٩٨ الأنبياء .

أهل الصحة ، ولا رواه ثقة بسند صحيح سليم متصل . وهو ما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب ، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم . وشنع عليهم الإمام أبو منصور الماتريدي وقال : إن حضرة الرسالة بريئة من مثل هذه الرواية اهـ . والغرائيق : الأصنام ، وهي في الأصل : الذكور من طير الماء ، واحدها غَرْثُوقٌ وغَرْثِيقٌ ، فشبها بالطيور التي تعلق وترتفع في السماء ، لزعمهم أنها تشفع لهم .

٥٥ - ﴿ مَرِيَّةٌ مِنْهُ ﴾ شك وقلبي من القرآن . ﴿ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ أى حتى تأتيهم ساعة الحشر لموقف الحساب فجأة ، فيصبروا إلى العذاب الدائم . ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ ﴾ أى لا مثل له في عظمته وشدة . أو لا يوم بعده وهو يوم القيامة .

٥٩ - ﴿ لِيَدْخُلَهُمْ مُدْخَلًا ﴾ أى إدخالاً ، من أدخل يُدْخِلُ ، وهو مصدرٌ ميميٌّ للفعل الذى قبله ، والمفعول به محذوف ، أى لِيَدْخُلَهُمُ الْجَنَّةَ إِدْخَالًا ﴿ يَرْضَوْنَ ﴾ أو هو اسم مكان أريد به الجنة ، فيكون مفعولاً ثانياً .

٦٠ - ﴿ ثُمَّ بُعِيَ عَلَيْهِ ﴾ ظلم بمعاودة العقاب .

٦١ - ﴿ يُبْلِغُ السَّلِيلَ فِي النَّهَارِ ﴾ يدخل الليل في النهار

مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَّةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٩﴾ لِيَدْخُلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٦٠﴾

هو الحق من عند الله ﴿ فَيُؤْمِنُوا بِهِ ﴾ فثبت الله بذلك إيمانهم ويزيدهم منه ﴿ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾ فتخضع وتسكن وتتطامن . ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ إلى طريق الحق الذى يَدْخُصُ الباطل ويُدْمَعُهُ . وقد ذكر كثير من المفسرين في تفسير هذه الآيات قصة الغرائيق المشهورة ، وهى من وضع الزنادقة كما قال محمد بن إسحاق . وقال البيهقي : إنها غير ثابتة من جهة النقل ، ثم طعن في روايتها . وقال القاضي عياض في الشفاء : بكفيك في توهم هذا الحديث أنه لم يُخرجه أحد من

الإحكام ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُُلْقِي الشَّيْطَانُ ﴾ من تلك الشبهة ﴿ فِتْنَةً ﴾ ابتلاء ﴿ لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ﴾ وهم المنافقون ﴿ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ وهم المجاهرون بالكفر من أهل العناد والجحود . ﴿ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ وهم هؤلاء جميعاً ﴿ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ أى خلاف شديد ومُشَاقَّةٌ تامة لله ولرسوله .

٥٤ - ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ ءُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ الذين أزال الله عن قلوبهم الشك والرتب ، وَحَبَّبَ إِلَيْهِمُ الْإِيمَانَ وَكَرِهَ إِلَيْهِمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ . ﴿ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ أى إن ما جاء به المرسلون



* ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ
لِيَنْصُرْنَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٦٢﴾ ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّهِ
يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦٣﴾ ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٤﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ
مُخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُو الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٦﴾ أَلَمْ
تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَأَلْفَلَكَ تَجَرَّى
فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ
إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٧﴾ وَهُوَ
الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ
لَكَفُورٌ ﴿٦٨﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ
فَلَا يَنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَاَدْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى
هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٩﴾ وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَعْمَلُونَ ﴿٧٠﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ

فيزيد النهار ، ويدخل النهار في
الليل فيزيد الليل [آية ٢٧ آل
عمران ص ٧٧] .

٦٢ - ﴿هُوَ الْعَلِيُّ﴾ العلى على
جميع الأشياء بقدرته ؛ وكل
شيء دونه ﴿الْكَبِيرُ﴾ العظيم
الذى لا شيء أعظم منه
سبحانه ؛ وكل شيء دونه .

٦٣ - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ
السَّمَاءِ...﴾ ذكر الله في هذه
الآية والآيات الثلاث بعدها ستة
أدلة على قدرته تعالى ، أوالها -
إنزال الماء النازل عنه اخضرار
الأرض بالنبات . ثانيا - قوله ﴿لَهُ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾
ومن جملة خلق المطر والنبات
لمنفعة الحيوان مع استغنائه تعالى
عن ذلك . ثالثا - تسخير ما في
الأرض للإنسان كالأحجار
والمعادن والنار والحيوان .
رابعا - تسخير الفلك بالجرى في
البحار ؛ ولولا ذلك لكانت
تغوص أو تقف . خامسا -
إمساك السماء أن تقع على الأرض
إلا بمشيئته تعالى . سادسا -
الإحياء ثم الإماتة ثم الإحياء .

٦٧ - ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾
بيان للنعم التكليفية إثر بيان النعم
الكويتية ، أى ولكل أهل ملة
وشرع - وإن نسخ - جعلنا
شريعة ؛ وهو كقوله تعالى :
(لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً
وَمِنْهَا جَا) (١) . وقيل : المنسك
المكان المعين ، أو الزمان المعين

لأداء الطاعات . فالأمة التى
كانت من مبعث موسى إلى مبعث
عيسى عليها السلام منسكها الإنجيل . والنسك من مبعث
النسك التوراة . والنسك من مبعث عيسى
التي مبعث عيسى

يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ مِنَ الْقُرْآنِ
لَشِدَّةِ تَكْرِهُمِهِمْ سَمَاعَهُ .
وَالسُّطُوةُ : شِدَّةُ الْبَطْشِ .
يقال : سَطَا بِهِ وَعَلَيْهِ يَسْطُو سَطْوًا
وَسُطُوَّةً ، إِذَا بَطَشَ بِهِ .

٧٣ - ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ...﴾ أَي بَيَّنَّ
اللَّهُ تَعَالَى لِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ حَالَةً هِيَ
فِي الْغَرَابَةِ كَالْمَثَلِ .

٧٤ - ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرَهُ﴾
مَا عَظَمُوهُ حَقَّ تَعْظِيمِهِ . أَوْ مَا
عَرَفُوهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ ، حَيْثُ أَشْرَكُوا
بِهِ الْعَاجِزِينَ عَنْ خَلْقِ الذَّبَابِ وَمَا
لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْإِتِّصَافِ مِنْهَا إِذَا
سَلَبْتَهُمْ شَيْئًا عَلَى ضَعْفِهَا .

٧٨ - ﴿اجْتَبَاكُمْ﴾ اخْتَارَكُمْ
لِلذَّبِّ عَنْ دِينِهِ ، وَاصْطَفَاكُمْ
لِحَرْبِ أَعْدَائِهِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ .
﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ
حَرَجٍ﴾ أَي لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ فِي دِينِهِ
الَّذِي تَعَبَّدُكُمْ بِهِ ضَيْقًا لَا مَخْرَجَ
لَكُمْ مِمَّا ابْتَلَيْتُمْ بِهِ ، بَلْ وَسَّعَ
عَلَيْكُمْ ، فَجَعَلَ الثَّوْبَةَ فِي بَعْضِ
مَخْرَجًا ، وَالْكَفَّارَةَ فِي بَعْضِ
مَخْرَجًا ، وَالْقِصَاصَ كَذَلِكَ .
وَشَرَعَ الْيُسْرَ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، وَمِنْهُ
الرُّخْصَةُ الْمَشْرُوعَةُ . ﴿مَلَّةً أَيْكُمْ
إِبْرَاهِيمَ﴾ أَي وَسَّعَ دِينَكُمْ تَوْسِعَةً
مَلَّةً أَيْكُمْ ، مَنْصُوبٌ عَلَى
الْمَصْدَرِ بِفَعْلٍ ذَلَّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ مِنْ
نَفْيِ الْمَخْرَجِ بَعْدَ حَذْفِ مُضَافٍ .

﴿هُوَ﴾ أَي اللَّهُ تَعَالَى .
﴿سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾
أَي مِنْ قَبْلِ نَزُولِ الْقُرْآنِ فِي الْكُتُبِ
السَّابِقَةِ . ﴿وَفِي هَذَا﴾ أَي فِي

فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٧٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ﴿٨٠﴾ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٨١﴾
وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ
لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا نُتِيَ
عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا
الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا
قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ مِنَ ذَلِكَمُ النَّارِ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٨٣﴾ يَتَأَيَّاهِ النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ
فَأَسْتَمِعُوا لَهُ ، إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ
يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذَّبَابُ شَيْعًا
لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٨٤﴾
مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٨٥﴾ اللَّهُ
يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ
بَصِيرٌ ﴿٨٦﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ
تَرْجِعُ الْأُمُورُ ﴿٨٧﴾ يَتَأَيَّاهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرَكَعُوا وَاتَّجَدُوا
وَأَعْبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾

غير . والمراد من الآية : زجر
معاصره صلى الله عليه وسلم من
أهل الأديان الأخرى عن مخالفته
وعصيانه .
٧١ - ﴿سُلْطَانًا﴾ حجة وبرهاناً .
٧٢ - ﴿الْمُنْكَرُ﴾ الأمر المستبح
من العبوس والتجهم . ﴿يَكَادُونَ
يَسْطُونَ﴾ يَتَطَشُونَ ﴿بِالَّذِينَ



القرآن . ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ومتولّى أموركم . ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ الله تعالى . مَنْ تَوَلَّاهُ لَمْ يَضِغْ ، وَمَنْ نَصَرَهُ لَمْ يُخْذَلْ . والله أعلم .

وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

(٢٣) سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَاتُهَا ١١٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ

١ : ٧ - ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أى تحقق فوزهم بمطلوبهم فى الآخرة ، ونجائهم فيها مما يكرهون . والفلاح : الظفر بالمرام وإدراك البغية ، أو البقاء فى الخير . وقد وصفهم الله بست صفات فى الآيات التالية : ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ أى متذللون لله تعالى بطاعته ، والقيام فيها بما أمرهم به ، مع خوف القلب وسكون الجوارح . ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾ أى عن الباطل أو عن كل قبيح من الكلام . أو عما لا يُعْتَدُّ به من الأقوال والأفعال . ﴿مُعْرِضُونَ﴾ فى جميع أوقانهم . ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ﴾ أى لأجل تزكية نفوسهم ﴿فَاعِلُونَ﴾ الخير ، وهو كما قال تعالى : (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى) (١) . (قَدْ أَفْلَحَ

مَنْ زَكَّاهَا) (٢) . ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ ممسكون لا يرسلونها على أحد . ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ الحرائر . ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ من الإماء . وهو

وصف لهم بكمال العفة . ﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ أى فمن طلب خلاف ذلك الذى أحلناه لهم ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ المعتدون المتجاوزون حدود الله تعالى .

والرابع - خلق الأنعام ومنافعها للإنسان. والسلالة : ما سُئل من الشيء واستُخرج منه. يقال : سللت الشيء من الشيء ، استخرجته منه فأنسل . ﴿ مِنْ طِينٍ ﴾ متعلق بـ «سلالة» بمعنى مسلوقة منه . و «مِنْ» في الموضعين ابتدائية . والمراد : أن نوع الإنسان خُلق مما ذُكر ؛ باعتبار خلق أصله منه وهو آدم عليه السلام ؛ فيكون كل إنسان مخلوقاً من ذلك خلقاً إجمالياً في ضمن خلقه .

١٣ - ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً ﴾ أى ثم خلقنا نوع الإنسان باعتبار أفرادهِ المغايرة لآدم عليه السلام من مَنِيٍّ يُمْنَى [آية ٥ الحج ص ٤٢٤] . ﴿ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ أى في مستقرٍّ متمكن وهو الرحم .

١٤ - ﴿ عَلَقَةً ﴾ أى دماً جامداً . ﴿ مُضْغَةً ﴾ قطعة لحم بقدر ما يُمضغ . ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ مبادئاً للخلق الأول بنفخ الروح فيه بعد هذه الأطوار التي كان فيها جامداً ، فصار إنساناً ذا قوى وحواسٍ ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ ﴾ كثر خيرُهُ وإحسانُهُ [آية ٥٤ الأعراف ص ٢٠٧] . ﴿ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ أى اتقن الصانعين صنعاً . والخلق في الأصل : التقدير المستقيم . ويُستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء . وفي إيجاد الشيء من الشيء بطريق الاستحالة . والأول لا يكون إلا لله تعالى ، والثاني يُسند إلى الله

رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ يَخْفَضُونَ ﴿٩﴾
أُولَئِكَ هُمُ الْفَارِغُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ
مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ
خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا
آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنكُمْ بَعْدَ
ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾

في الأصل مصدران أريد بهما ما ذكر .

١١ - ﴿ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ ﴾ أعلى الجئات . أو أفضلها [آية ١٠٧ الكهف ص ٣٨٨] . رَوَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (ما منكم من أحدٍ إلا وله منزلان منزلٌ في الجنة ومنزلٌ في النار فإذا مات فدخل النار وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنَزَلَهُ) .

١٢ - ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ ﴾ في هذه الآية وما بعدها إلى آية ٢٢ أربعة أنواع من الأدلة على قدرته تعالى على البعث : الأول - تقلب الإنسان في أطوار تسعة . والثاني - خلق السماوات السبع . والثالث - إنزال الماء الذي به الحياة بقدر .

ويدخل في ذلك الزنا واللواط والسحاق ، ومواقعة البهائم ، والاستمراء باليد ، كما ذهب إليه الجمهور . يقال : ابتغيت الشيء وَبَغَيْتُهُ وَبَغَيْتُهُ ، إذا طلبته . ويقال : عدا الأمر وعن الأمر يعدوه عدواً ، جاوزه وتركه ، كتعداه فهو عادٍ .

٨ - ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَائِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ أى والذين هم قائمون بحفظ ما أئتمنوا عليه ، مؤفون بما عاهدوا الله والناس عليه ، كالتكاليف الشرعية ، والأموال المودعة ، والأيمان والسدور والعقود ونحوها . والرعى : الحفظ . يقال : رعى حَفِظْتُهُ . ورعى الأمير رعيته رعاية : حَفِظَهَا . والإمانة والعهد

تعالى ويُسند إلى الخلق ؛ قال تعالى : (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)^(١) ، (وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَظْفَارِي)^(٢) . والمراد به هنا : التقدير وفي معناه تفسيره بالصنع .

١٧ - ﴿ سَبْعَ طَرَائِقَ ﴾ سبع سموات بعضهم فوق بعض . والعرب تسمى كل شيء فوق شيء طريقة ، بمعنى مطروقة ؛ من طَرَقَ التعلل : إذا وضع طاقاته بعضها فوق بعض ؛ وهو كقوله تعالى : (سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا)^(٣) .

١٨ - ﴿ مَاءً يَقْدَرُ ﴾ أى تقدير لائق ؛ لاستجلاب المنافع ودفع المضار . أو بمقدار ما علمناه من حاجات الناس ومصالحهم ؛ ومنه : (وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ)^(٤) .

٢٠ - ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ﴾ أى وأنشأنا لكم شجرة تخرج من الجبل المعروف بهذا الاسم وهو جبل المناجاة . ﴿ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ ﴾ تنبت ملتبسة بالذهن ومصحوبة به ؛ كما نقول : خرج فلان بسلاحه . والذهن : عصارة كل شيء ذى دسم ؛ والمراد به هنا : زيت الزيتون .

وقرى (تَنْبُتُ) بضم التاء ؛ من أنبت بمعنى نبت . أو من أنبت المتعدى بالهمزة ؛ كأنبت الله الزرع ، والتقدير : نبت جناها مصحوبًا بالذهن ﴿ وَصَبَّغَ لِلْأَكْلِينَ ﴾ أى وبإدام للأكلين .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبَّغَ لِلْأَكْلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾

وَالصَّبْغُ وَالصَّبَاغُ - بالكسر فيها - : الإدام لأنه يَصْبَغُ الحَبْرُ . وأصل الصَّبْغُ : ما يُلَوَّنُ به الثوب ؛ فكان الزيت إدامًا يؤتدَم به كما كان دُهْنًا يُدَهَن به ويُسْرَج منه . والتَّغَايُرُ بين المعطوف والمعطوف عليه باعتبار الصفات لا باعتبار الذات .

٢١ - ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ﴾ العبرة : اسمٌ من الاعتبار ، وهو الحالة التي يُتَوَصَّلُ بها من معرفة المشاهد إلى معرفة ما ليس بمُشَاهَد ، أى وإن لكم فى الأنعام لآيةً تعتبرون بها فتعرفون

أيدى الله عندكم وقدرته على ما يشاء ؛ وخصها بالذكر لأن العبرة فيها أظهر .

٢٢ - ﴿ وَعَلَيْهَا ﴾ وعلى الإبل منها .

٢٣ - ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾ فى هذه الآية وما بعدها إلى آية ٥٠ خمس قصص : قصتنا نوح وهود ، وقصة أم أخرى بعدهم كقوم صالح ولوط وشعيب ، وقصة موسى وهارون ، وقصة عيسى وأمه عليهم السلام .

٢٤ - ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ ﴾ أى أشراف القوم . وقد دلَّسوا على أتباعهم بخمس شبه : الأولى - قولهم :

(١) آية ١ النساء . (٢) آية ١١٠ المائدة . (٣) آية ٣ الملك . (٤) آية ٢١ الحجر .

فَقَالَ الْمَلَأُو الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ
 مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ
 مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا
 رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ مَقَرٌّ يَنْصَوِرُ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ
 أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ
 بِأَعْيُنِنَا وَّوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا
 مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ
 مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾
 فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
 الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أُنْزِلْنِي
 مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ
 قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا
 اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿٣٢﴾ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ

(مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ)
 والثانية - (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ
 مَلَائِكَةً) . والثالثة - (مَا سَمِعْنَا
 بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ) .
 والرابعة - (إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ
 جَنَّةٌ) . والخامسة - (فَقَرَّبَصُوا بِهِ
 حَتَّى حِينٍ) ولم يتعرض لردّها
 لظهور فسادها . ﴿أَنْ يَتَفَضَّلَ﴾

الجنة ، أو إلى أن يموت .
 ٢٧ - ﴿اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾
 بمرأى منا ومُنْظَر . أو بحفظنا لك
 عن أن يفسدها عليك قومك .
 ﴿وَوَحَيْنَا﴾ أَمْرُنَا وتعليمنا إياك
 صنعناها . ﴿وَفَارَ التَّنُورُ﴾ [آية
 ٤٠ هود ص ٢٩١] . ﴿فَاسْلُكْ﴾
 فيها . فادخل في الفلك .
 ٢٩ - ﴿مِثْلًا مُبَارَكًا﴾ بضم الميم
 وفتح الزاي ، أى إنزالاً ، أو
 مكان إنزال مباركاً . وقُرئ
 «مِثْلًا» بفتح الميم وكسر الزاي ،
 أى مكان نزول مباركاً . والمراد
 بالبركة هنا : النجاة من العرق
 وكثرة النسل ، وتتابع الخيرات بعد
 الإنجاء .
 ٣٠ - ﴿لَمُبْتَلِينَ﴾ لِمُخْتَبَرِينَ
 بالثقم والتميم .
 ٣١ - ﴿قَرْنًا آخَرِينَ﴾ قومًا
 غيرهم . والقرن : القوم
 المجتمعون في زمان واحد ، وهم
 عادٌ على ما رجّحه أكثر
 المفسرين . وقيل ثمود .
 ٣٣ - ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾
 آثاروا شيتين : أحدهما قولهم
 «مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ» . والثانية
 قولهم : «أَيُّدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِثُّمُ
 وَكُنْتُمْ ثَرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ
 مُخْرَجُونَ» . وبتوا عليها إنكار
 البعث والطعن في رسالته بقولهم
 «إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ» .
 ﴿وَأَتَرَفْنَاهُمْ﴾ نعمناهم بما وسعنا
 عليهم من نعم الدنيا حتى بطروا
 [آية ١١٦ هود ص ٣٠١] .

٣٦- ﴿هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ﴾ اسمُ فعلٍ ماضٍ بمعنى بَعْدَ : أى بَعْدَ بَعْدَ مَا تُوْعَدُونَ به من الخروج من القبور . والثانية تأكيدٌ لفظيٌّ لها ، واللَّامُ زائدة في الفاعل .

٤١- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ صيحةٌ جبريل عليه السلام ، صاح بهم مع الريح العاتية فهلكوا عن آخرهم . وقد أهلك الله عادًا قومَ هود بالصيحة وبالريح العاتية . وذكر أحدُهما في الآية للإشارة إلى أنه لو انفرد لكني في تدميرهم . ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ فصبرناهم هلكى هامدين كغُثَاءِ السَّيْلِ ، وهو الرَّمِيمُ الهامد الذي يحمله السَّيْلُ من ورق الشجر والعيدان اليابسة البالية محالطاً لَزَيْدِهِ . يقال : غُثَا الوادى يَغْثُو غُثْوًا فهو غُثَا ، إذا كثر غُثَاؤه . ﴿فَبُعِدُوا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فهلاكاً لهم [آية ٤٤ هود ص ٢٩٢] .

٤٢- ﴿قُرُونًا آخَرِينَ﴾ أمماً أخرى .

٤٤- ﴿أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى﴾ متواترين ؛ أى متتابعين واحداً إثر واحدٍ مع فَضْلٍ وَمُهْلَةٍ . مصدرٌ كدَعَوَى ، وَأَلْفُهُ لِلتَّائِبِ . وأصله : وَتَرَى فَقَلْبُ التَّائِبِ الْوَاوُتَاءُ ؛ من الواترة وهى التتابعُ مع تَرَاخٍ وَفَتْرةٍ . وهو منصوبٌ على الحال من «رُسُلَنَا» . ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أى جعلنا الأمم

من قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلْقَاءِ الْآخِرَةِ وَاتَّرفَنَّهُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ بِأَكْلِ مَا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيْعِدُكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ * هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْحَبَنَّ نَدْمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعِدُوا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلٌّ مَّا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعِدُوا لِقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا

المكذبة مثلاً يتحدَّث بهن الناس تعجباً وتلهياً ؛ جمعُ أَخْذُوثة كعجوبة ، ولا يقال ذلك إلا في الشر . والمراد : أنهم أهلكوا ولم يبق بين الناس إلا أخبارهم يتلهون بها كالأعاجيب . ﴿فَبُعِدُوا لِقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ فهلاكاً لهم لعدم إيمانهم . ٤٥- ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ برهان



الرَّبُّوبِيَّةُ ﴿فَاتَّقُونَ﴾ فخافوا عقابي في مخالفة أمرى

٥٣ - ﴿فَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أى قطعوا أمر دينهم وجعلوه أدياناً مختلفة مع أنه واحد في الأصل . ﴿زُبُرًا﴾ قطعاً ، فصاروا طوائف وأحزاباً شتى . جمع زُبُرَة - كقُرعة - بمعنى قطعة ، أى طائفة من الناس .

٥٤ - ﴿فَذَرَهُمْ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، أى اترك كفار مكة ﴿فى عَمْرَتِهِمْ﴾ أى جهالتهم وضلالتهم . والعمرّة فى الأصل : الماء الذى يعمّر القامة ويسترها ، ثم استعير لما ذكر .

٥٥ ، ٥٦ - ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ ..﴾ أى أبطنون أن الذى نعطيهم إياه ونجعله مدداً لهم فى الدنيا من مال وأولاد ، نسارع لهم به فيما فيه خيرهم وإكرامهم ؟! والاستفهام إنكارى بمعنى النفي . ﴿يَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنه استدراج لهم عاقبته الهلاك .

٥٧ - ﴿مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ أى من خشية عقابه حذرون خائفون .

٦٠ - ﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوْا﴾ يعطون ما أعطوا من الصدقات . ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَّةٌ﴾ خائفة من ألا يقبل منهم ذلك الإيتاء ، والآية على الوجه اللاتى [آية ٢ الأنفال ص ٢٣٣] . ﴿أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ﴾ أى لأنهم إليه ﴿رَاجِعُونَ﴾ يوم

قَوْمًا عَلَيْهِ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَ وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَبِيدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَامَّةً رَّأْيَةً وَأَوْيَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَنَّا إِلَهُ الرُّسُلِ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ فَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلٌّ حَزْبٌ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرَهُمْ فِي عَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ

للعيون . اسمٌ مفعول ، من عانه إذا أدركه وأبصره بعينه ؛ فاليم زائدة . وأصله معيون كمشيوع . ثم دخله الإعلال .

٥٢ - ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ جملة مستأنفة . وقرئ بفتح همزة «إن» بتقدير واعلموا [آية ٩٢ الأنبياء] . والمراد : أن شريعة الأنبياء جميعاً هى شريعة الإسلام . لا تختلف فى التوحيد ولا فى العقائد المبينة عليه وإن اختلفت فى الأحكام الفرعية . ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾ لا شريك لى فى

بين مظهر للحق .

٤٧ - ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ خادمون .

٥٠ - ﴿وَأَوْيَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ﴾ أسكنناهما وأئرلناهما فى ربوة ، أى أوصلناهما إليها فكانت مسكنهما . والرَّبْوَةُ : المكان المرتفع ، وهى دمشق أو بيت المقدس ، أو الرملة من فلسطين ، أو مصر . ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ يستقر بها من يأوى إليها لما فيها من الثمار والزروع . ﴿وَمَعِينٍ﴾ أى ماء جارٍ ظاهر

القيامة ؛ فيؤاخذ كل إنسان بما عمل .

٦١ - ﴿وَهُمْ لَهَا﴾ أى لأجلها ﴿سَابِقُونَ﴾ غيرهم . أو وهم إليها سابقون . يقال : سبقت له وإليه بمعنى .

٦٢ - ﴿وُسْعَهَا﴾ قدر طاقتها من الأعمال .

٦٣ - ﴿غَمْرَةٍ﴾ جهالة وغفلة وغطاء .

٦٤ - ٦٥ - ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ﴾ أى حتى إذا عاقبنا أهل الثعمة والبطر منهم [آية ١١٦ هود ص ٣٠١] . ﴿بِالْعَذَابِ﴾ أى الجذب والقحط الذى أصابهم بمكة سبع سنين حين دعا عليهم النبى صلى الله عليه وسلم . أو القتل والأسريوم بذر . ﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ يصرخون ويستغيثون بربهم . والجوار : الصراخ مطلقاً ، أو باستغاثة . يقال :

جأر الثور يجأر : إذا صاح . وجأر الداعى إلى الله تعالى : ضج ورفع صوته . وقيل : المراد بالعذاب عذاب الآخرة . وتخصيص المترفين بذلك للإشارة إلى أن ما كانوا فيه من المتعة فى الدنيا لم ينفعهم يوم القيامة . وإلا فغيرهم كذلك ؛ فيقال لهم : ﴿لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ﴾ أى يوم العذاب ﴿إِنَّكُمْ مِمَّنْ لَا تُنصَرُونَ﴾ أى لا ينالكم منا نصرَةٌ تنجيكم مما أنتم فيه .

٦٦ - ﴿عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾

هُمْ بِقَايَتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنَادِي عَلَيْكُمْ فَاكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَكْصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ

تَكْصُونَ﴾ ترجعون وراءكم . وكان عامة سمرهم ذكر القرآن والطين فيه بأنه شعر أو سحر أو أساطير . اسم جمع كحاج . يقال : سمر فلان يسمر . إذا تحدث ليلاً . وأصل السمر : ظل القمر ؛ وسُمي بذلك لسمرته . وقيل : سواد الليل . ثم أطلق على الحديث بالليل . ﴿تَهْجُرُونَ﴾ تهذون بالباطل من القول فى القرآن . يقال : هَجَرَ يَهْجُرُ هَجْرًا وهَجْرًا فهو هاجر . إذا هذى وتكلم بغير معقول لمرض أو لغيره . و «مُسْتَكْبِرِينَ»

أى بالقرآن الذى فيه ذكرهم
وشرفهم .

٧٢ - ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾ أم
يزعمون أنك تسألهم على تبليغ
الرسالة أجرًا وجعلًا ؛ فكصّوا
على أعقابهم مستكبرين ! ؟
والخَرْجُ : والحَرْجُ : الإتاوة .
وجمع الخَرْجُ : أخراجُ . وجمعُ
الخَرْجِ : أَخْرَجَةٌ وأخارج .

٧٤ - ﴿عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّا كِبُونَ﴾
لعادلون عن هذا الصراط
المستقيم ، وهو الإسلام
والتوحيد . يقال : نكَبُ عن كذا
يَتَكَبُّ نَكْبًا وَنُكْبًا ، ونَكَبَ
يَتَكَبُّ نَكْبًا ، إذا عدَلَ ؛ كَنَكَبَ
عنه وَتَكَبَّ .

٧٥ - ﴿لَلْجَوِّ فِي طُغْيَانِهِمْ
يَعْمَهُونُ﴾ لهادوا في غيوتهم
وجرأتهم على الله تعالى عامهين
مرتددين في الضلال ؛ من
اللجاج ، وهو التمدادى والعناد في
تعاطى الفعل المزجور عنه .
يقال : لَجَّ في الأمر يَلِجُ وَيَلِجُ
لَجَجًا وَلَجَجًا وَلَجَاجَةً ، إذا
لازمه وواظبه ؛ ومنه اللَّجَّةُ -
بالفتح - لكثرة الأصوات . وَلُجَّةُ
البحر - بالضم - لتردد أمواجه .
والعمَّة : التردد في الأمر تحيرًا .

٧٦ - ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا رَبَّهُمْ﴾ فما
خضعوا لربهم وانقادوا له
وأطاعوه . واستكان : أى انتقل
من كَوْنٍ إلى كَوْنٍ ؛ ثم غلب
استعماله في الانتقال من كَوْنٍ الكبير
إلى كَوْنٍ الخضوع . ﴿وَمَا

ءَابَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ ٧٨ ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ
مُنْكَرُونَ﴾ ٧٩ ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ
وَأَكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كَذِبُونَ﴾ ٨٠ ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ
لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ
بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ ٨١ ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ
خَرْجًا نَحْرَاجَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ٨٢ ﴿وَأَنَّكَ
لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ٨٣ ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُونَ﴾ ٨٤ ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ
وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجَوِّ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ٨٥ ﴿وَلَقَدْ
أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا رَبَّهُمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ ٨٦

بل ألم يعرفوه صلى الله عليه وسلم
بالأمانة والصدق وحسن الخلق !
وقد كانوا قبل مبعثه يستوثقونه
الصادق الأمين ؛ فكيف يكذبونه
في رسالته ! ؟
٧٠ - ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ أى
بل يقولون به جنون . وقد كانوا
يعرفون أنه أَرْجَحُ الناس عقلاً ؛
وأنفبهم رأياً ! ﴿بَلْ جَاءَهُمُ
بِالْحَقِّ﴾ أى ليس الأمر كما زعموا
في حق القرآن والرسول ؛ بل
جاءهم بالصدق الثابت الذى لا
محيد عنه . وهو التوحيد ودين
الإسلام الذى تضمنته القرآن .
٧١ - ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾

و «سأمرا» و «تهجرُونَ» أحوال
ثلاثة مترادفة على الواو فى
«تَكْصُون» أو متداخلة .
٦٨ - ﴿أَفَلَمْ يَذْكُرُوا الْقَوْلَ﴾ أى
أفعلوا ما فعلوا مما سبق ؛ فلم
يتدبروا القرآن ويعلموا أنه مُعْجَزٌ
ودليل على صدق الرسالة فيؤمنوا
به ! ؟ ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ
آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ أى بل أجاءهم
من الكتاب ما لم يأت أسلافهم
حتى استبعدوه وخاضوا فيه بما
خاضوا من الكفر والضلال ! مع
أن مجيء الرسل بالكتب مما لا
مساغ لجحوده !
٦٩ - ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾



يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ وما يتذللون له تعالى بالدعاء .

٧٧ - ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبَسِّسُونَ﴾ ساكتون من شدة الحيرة . أو آيسون من كل خير . يقال : أبلس الرجل إبلاسا ، سكت . وأبلس : آيس [آية ٤٤ الأنعام ص ١٧٥] .

٧٩ - ﴿ذُرَّاكُم﴾ خَلَقَكُمْ وَبَشَّكُمْ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ بالتناسل .

٨٣ - ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ما سطره في كتبهم من الأحاديث الملفقة والأخبار الكاذبة . جمع أسطورة كأحدوته .

٨٤ - ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ . . .﴾ أى قل لهم الزاما للحجة على أنه تعالى قادر على البعث ، وأنه هو الذى يستحق أن يُعبد وحده ، وقد ألزمهم بثلاث حُجج .

٨٨ - ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مَلِكُ كُلِّ شَيْءٍ ، أو خزانته . ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ يُغِيثُ من يشاء ويمنعهُ مما يشاء ؛ ولا يُغِيثُ أحداً منه أحداً ولا يمنعه منه فيدفع عنه عذابه وعقابه . يقال : أجرت فلاناً على فلان ، إذا أغثته منه ومنعته ؛ وعدى بعلى لتضمينه معنى النصر .

٨٩ - ﴿فَأَنى تُسْحَرُونَ﴾ فكيف تُخدعون وتُصرفون عن الرشد والحق مع علمكم به ، إلى ما أنتم عليه من الغنى ؛ فإن من لا يكون مسحوراً محتلاً العقل لا يكون

حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبَسِّسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا نَلْمَعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَٰذَا مِنْ قَبْلُ إِنَّ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّعْيِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَمْلِكُ مِنْ يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّىٰ

كذلك ! من سَحَر - كَمَعَ - والمسحور : المخدوع أو من تأثر بمعنى خَدَعَ أو أتى عَمَلَ السَّحَر . بعمل السَّحَر .

لجأ إليه . وهو عياده : أى
مَلَجَوْهُ . ﴿هَمَزَاتٍ﴾ جمع
همزة ، وهى النخسة والعنزة
والدقعة بيد أو غيرها . يقال :
همزه يهمزه ويهمزه ، إذا نخسه
ودقعه وغمره ، ومنه المِهْمَاز وهو
حديدية فى مؤخر خُفِّ الرائص
يَحُثُّ بها الذابة على المشى .

١٠٠ - ﴿كَلَّا﴾ كلمة رَدْع وزجر
عن طلب الرجعة إلى الدنيا ،
﴿بَرْزَخٍ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أى
حاجز بينهم وبين الرجعة إلى الدنيا
إلى يوم البعث . وهو إقناط لهم من
الرجعة ، وتهديد لهم بعذاب القبر
إلى يوم البعث . وأصله الحاجز
والحاجب بين الشيئين أن يصل
أحدهما إلى الآخر .

١٠١ - ﴿نُفَخَ﴾ فى الصُّور هو
القرن الذى يُنْفَخ فيه نفخة الصُّعْق
ونفخة البعث . والمراد هنا :
النفخة الثانية . أى إذا نُفَخَ فى
الصُّور نفخة النشور فلا تنفعهم
أنسابهم شيئاً ، لعِظَم الهول
واشغال كل نفسه . ولا يسأل
أحد أحداً كما هو الشأن فى الدنيا .

وقيل : المراد النفخة الأولى
١٠٤ - ﴿تَلْفَحُ وَجُوهُهُمُ النَّارُ﴾
يَحْرِقُهَا لَهَبُ النَّار . يقال : لفحته
النار والسوم يحرها تلفحه لَفْحاً
ولَفْحَاناً ، أحرقت . ﴿وَهُمْ فِيهَا
كَالْحُوتِ﴾ متفَلِّصو الشفاء عن
الأسنان من أثر ذلك اللَّفْح ، من
الكُلُوح وهو أن تنقلص الشفتان
وتتشرما عن الأسنان . يقال :
كلح يكَلِّح كلُّوحاً وكلأحاً ،
كتكلح . وقولهم : ما أَقْبَحَ

عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٧﴾
رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٨﴾ وَإِنَّا عَلَى أَنْ
تُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَذْفَعَ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ
السَّيِّئَةِ لَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ
هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿١٠١﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿١٠٢﴾
حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٠٣﴾
لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا
وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٤﴾ فَإِذَا نُفِخَ
فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠٥﴾
فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٦﴾
وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ
فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تَلْفَحُ وَجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا
كَالْحُوتِ ﴿١٠٨﴾ أَلَمْ تَكُنْ أَتْنَى عَلَيْنَا فَنَنْتَلِيكُمْ فَنَكْتُم بِهَا
نُكْدِيُونَ ﴿١٠٩﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا

دأبه صلى الله عليه وسلم مقابلة
السيئة بالحسنة ، والعفو عن أساء
إليه .

٩٧ - ﴿أَعُوذُ بِكَ ..﴾ استجير
بك من وساوس الشياطين وما
يخطرونه بالقلب ، بما يُغْرِى
بالمعاصى والشُرور ، وألجأ إليك فى
دفعها . يقال : عاذبه واستعاذ .

٩٣ - ﴿إِمَّا تُرِيدُنِي ..﴾ أى إن
تُرِيدُنِي ما يُوعَدُونَ به من العذاب ،
فلا تجعلنى قريباً لهم فيه فأهلك
مثلهم .

٩٦ - ﴿أَذْفَعَ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ
السَّيِّئَةِ﴾ إرشاد له صلى الله عليه
وسلم إلى ما يليق بمنصبه الرفيع من
حسن الخلق والمكارم . وكان من

كَلَحَّتْهُ ۖ يَرَادُ بِهِ الْقَمُّ وَمَا حَوَالَيْهِ .
 ١٠٦ - ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾
 ملكتنا لذاتنا وأهواؤنا التي بها
 شقاؤنا . والشَّقْوَةُ والشَّقَاوَةُ :
 ضدُّ السعادة . مصدرٌ شَقِيَ ۖ
 كَرَضِيَ .

١٠٨ - ﴿اٰخِسْتُوا فِيهَا﴾ انزجروا
 انزجارَ الكلاب إذا زجرت . أو
 أمكثوا فيها صاغرين أدلاء . [آية
 ٦٥ البقرة ص ١٩] .

١١٠ - ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا﴾
 هُزَّءًا ۖ ومنهم بلالٌ وعَمَارٌ
 وأضرابها من الضعفاء . مصدرٌ
 بكسر السين وضمها ۖ كعَصِيٍّ
 وعَصِيٍّ ۖ مِنْ سَحَرٍ - كَفَرَحٍ -
 زبدت فيه بَاءُ السَّبِّ للمبالغة في
 قُوَّةِ الفعل . وفي المختار : سَحَرَمَنهُ
 وبه ۖ وهزئ منه وبه بمعنى .
 والاسمُ السَّحَرِيَّةُ والسَّحَرِيُّ - بضم
 السين وكسرها - وبها قرئ .

١١٣ - ﴿فَاسْأَلِ الْعَادِثِينَ﴾
 الحاسين الذين يُحْصُونَ أَعْدَادَ
 الأشياء ۖ وهم الملائكة .

١١٦ - ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾ ارتفع
 بعظمته ونزّه عن العبث . والله
 أعلم .

ضَالِّينَ ﴿١٠٧﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾
 قَالَ آخِسُوا فِيهَا وَلَا تُكْمِرُونَ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ
 عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ
 الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوُكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ
 مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ
 هُمُ الْفَآيُزُونَ ﴿١١١﴾ قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾
 قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَعَلَ الْعَادِثِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ
 لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنكُم تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَخَسِبْتُمْ أَنَّ
 خَلْقَكُمْ عَبَثًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ
 الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾
 وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا
 حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾
 وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾

(٢٤) سُورَةُ النُّورِ مَدَنِيَّةٌ
 وَأَيَاتُهَا ٦٤ نَزَلَتْ بَعْدَ الْحَشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أُنزِلَتْهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأُنزِلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ
 لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ

سُورَةُ النُّورِ

اشتملت هذه السُّورة على
 أحكام العفافِ والستر ۖ وهما
 قوام المجتمع الصالح ۖ وبدونها
 ينحطُّ الإنسانُ إلى ذرَك الحيوان .
 رَوَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :



مِنْهُمَا مِائَةٌ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ الرَّأْيَانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا

(عَلِّمُوا رجالكم سورة المائدة وعَلِّمُوا نساءكم سورة النور) (١)
 ١ - ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا﴾ أى هذه سورة . والسورة : آيات من القرآن مسرودة ، لها بدء وختام ، وجمعها سور ، مأخوذة من سور البلد . وأصلها المنزلة الرفيعة . أو كل منزلة من البناء ، وسميت بها سورة القرآن لرفعتها ، أو لأنها درجة إلى غيرها . ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ أَوْجَبْنَا ما فيها من الأحكام إيجاباً قطعياً . أو ألزمتكم العمل بها ، من الفرض بمعنى القطع ، وأصله : قطع الشيء الصلب والتأثير فيه ، وأطلق على الإيجاب القطعي للأحكام مجازاً .
 ٢ - ﴿الرَّائِيَّةُ وَالزَّانِي﴾ أى من زنت ومن زنى ، فاجلدوا أيها الحكماء كل واحد منهما مائة جلدة ، مُحْصَنًا كان أو غير مُحْصَنٍ (٢) . وقد نسخ الحكم في حق المحصن قطعاً بحكم الرجم الذى أمر به الرسول صلى الله عليه

وهو غير محصن [آية ١٦ من النساء ص ١١٠] . ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ رحمة ورقة قلب . ﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾ فى إقامة حده الذى شرعه تعالى إذا رفع إليكم ، تحملك على تعطيله بشفاعة أو بغيرها . يقال : رأف به - مثله - رافة ورافة ورأفاً . إذا رحمة .
 ٣ - ﴿الرَّائِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ نزل لزرع المؤمنين عن نكاح الزانيات بعد زجرهم عن الزنا . أى أن الفاسق الخبيث الذى من شأنه الزنا لا يرغب غالباً فى نكاح الصالح من النساء اللاتي على خلاف صفته ، وإنما يرغب فى نكاح فاسقة خبيثة مثله أو مشركة . والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك ، لا ترغب غالباً فى نكاح الصالح من الرجال بل تفر منهم . وإنما ترغب فيمن هو من شكلها من الفسقة والمشركين ، لأن المشكلة علة الألفة ، والمخالفة سبب للنفرة . وهو كقولهم : لا يفعل الخير إلا تقى ، فإنه جار مجرى الغالب ، وقد يفعله من ليس بتقى . وحرم ذلك النكاح على المؤمنين تحريم تنزيه ، وعبر عنه بالتحريم مبالغة فى الزجر . أو حرم عليهم باعتبار ما فى ضمن عقده من المفسد ، كالتعرض للتهمة والسبب لسوء القالة ، والظعن فى النسب وغير ذلك ، فلا تكون الحُرمة راجعة إلى نفس العقد ليكون عقد نكاح الزواني والزانيات باطلاً للإجماع

(١) رواه البيهقي . (٢) يحقق الإحصان بالإسلام والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول . والتفصيل فى كتب الفقه .

بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْلَهُمْ مَحْنِنِينَ جَلَدًا وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ
شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ
تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾
وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا
أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ
الصَّادِقِينَ ﴿١٢﴾ وَالْخَمِيسَةُ أَنْ لَعَنَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ

على صحته . وأما نكاحُ المشرك
والمشركة ، فإن كانت الآية نزلت
قبل تحريمه - وقد حُرِّمَ بعد
الحُدُوتِ - فالأمر ظاهر . وإن
كانت نزلت بعده فتكون حرمة
مستندة إلى أدلة أخرى . واختار
العلامة الآلوسي : أن الآية لتقبيح
أمر الزاني أشدَّ تقبيح ؛ ببيان أنه
بعد أن رضى بالزنا لا يليق به من
حيث الزنا أن ينكح العفيفة
المؤمنة . وإنما يليق به أن ينكح
زانية مثله ، أو مشركة هي أسوأ
حالاً وأقبح أفعالاً منه . وكذلك
الزانية بعد أن رَضِيَتْ بالزنا
والتَّقَبُّبُ ، لا يليق أن ينكحها
من حيث إنها زانية إلا من هو على
شاكلتها وهو الزاني . أو من هو
أسوأ حالاً منها وهو المشرك . ولا
يُشْكَلُ على هذا التفسير صحة
نكاح الزاني المسلم الزانية
المسلمة ، وكذلك العفيفة
المسلمة ، وصحة نكاح الزانية
المسلمة الزاني المسلم ، وكذلك
العفيف المسلم . كما لا يشك عليه
بطلان نكاح المشركة والمشرك ؛
لأن ذلك ليس من اللبقة وعدم
اللبقة ليس من حيث الزنا بل من
حيثية أخرى يعلمها الشارع .
وجعل المَشار إليه في قوله : « وَحَرَّمَ
ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ » - الزنا
المفهوم مما تقدم ، ويجوز أن يكون
نكاح الزانية . ويراد بالتحريم
المنع ، وبالمؤمنين : الكاملون في
الإيمان . ومعنى منعهم من نكاح
الزواني : جعل نفوسهم آتية عن

الميل إليه ؛ فلا يليق ذلك بهم .
والآية على التفسيرين خيرٌ لا
نهي ، والنكاح فيها بمعنى العقد .
٤ - ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ
الْمُحْصَنَاتِ .. ﴾ أى يقذفون
النساء العفيفات بالفاحشة ،
ويلحق الرجال بالنساء في هذا
الحكم اتفاقاً . مبتدأ أخبر عنه
بثلاث جمل - قوله :
« فَأَجْلِدُوهُمْ » ، وقوله : « وَلَا
تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا » ،
وقوله : « وَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ » . واتفقوا على رجوع
الاستثناء الآتى إلى الجملة
الآخيرة ؛ فلا يزول عنهم اسمُ
الفسق إلا بالتوبة والإصلاح .
وعلى عدم رجوعه إلى الأولى ؛
فيُجلد القاذف وإن تاب .
واختلفوا في رجوعه إلى الثانية ؛
ف عند جمهور الأمة يرجع إليها
أيضاً ؛ فلا تُقبل شهادتهم في أى
شئ أبداً ، أى ما داموا مصرين

على عدم التوبة ، إلا إذا تابوا
وحسنت حالتهم . وعند أبى
حنيفة لا يرجع الاستثناء إليها ؛
فلا تُقبل منهم شهادة أبداً ، أى
طول الحياة وإن تابوا وأصلحوا .
والخلاف في هذا مفرغ على
الخلاف في عود الاستثناء الواقع
بعد جملة متعاطفة ؛ هل يعود إلى
الكل ، أو إلى الأخيرة فقط .
وتفصيل الأدلة في الفقه
والأصول .

٧ - ﴿ أَنْ لَعَنَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ أى حالة
عليه . واللَّعْنُ : الطرد والإبعاد
على سبيل السخط ، وفعله
كَمَنَعَ ؛ ومنه المُلَاعَنَةُ واللَّعَانُ بين
الزوجين .

٨ - ﴿ وَيَذَرُهَا عَنِهَا الْعَذَابُ ﴾
يدفع عنها العذاب الدنيوى وهو
الحبس أو الحد ؛ من الذرء وهو
الدفع .

٩ - ﴿ أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا ﴾

مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ
 أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَمِيسَةَ
 أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾
 وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ
 حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ
 لَا نَحْسِبُهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ
 مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ
 عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ
 بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا
 عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَقَوَّيْتُكَ
 عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
 وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ
 عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوهُ بِالْسَنَنِكَ وَتَقُولُونَ
 يَا قَوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ
 اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ
 نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمْ

الصديقة أم المؤمنين عائشة رضي
 الله عنها ، وتوعد الذي تولى كبره
 بالعذاب العظيم ، وبزأها الله مما
 افتروه . والإفك : الكذب .
 يقال : أفك - كضرب وعلم -
 أفكاً وأفكاً ، وأفكاً ، أى
 كذب . وكانت القصة سنة ست
 في غزوة بنى المصطلق بعد نزول
 آية الحجاب . ﴿عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾
 جماعة منكم . والعصبة : العشرة
 فما زاد إلى الأربعين [آية ٨ يوسف
 ص ٣٠٣] . ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى
 كِبْرَهُ﴾ أى تحمل معظمه وقام
 بإشاعته وهو رئيس المنافقين :
 عبد الله بن أبي بن سلول .

١٢ - ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾
 لولا : حرف تخيير بمعنى
 هلاً . والخطاب للمؤمنين دون من
 تولى كبره منهم . وقد زجرُوا بتسعة
 زواجر ، آخرها في آية ٢١ .

١٤ - ﴿فِيمَا أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾ أى
 بسبب ما خضتم فيه من حديث
 الإفك . يقال : أفاض : أفاض
 الحديث وخاض فيه وأخذ فيه
 واندفع ، بمعنى . وأصله من
 قوهم : أفاض الإباء ، إذا ملأه
 حتى فاض .

١٥ - ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾ تظنونه
 سهلاً لا تبعه له .

١٦ - ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أصل معناه
 التنزيه لله من كل نقص ، ثم كثر
 حتى استعمل في كل متعجب منه
 [آية ٣٢ البقرة ص ١٢] .
 والمراد هنا : التعجب من عظم

١١ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا
 بِالْإِفْكِ﴾ بعد أن بين الله تعالى
 قبح الزنا وحده ، وحكم قذف
 المحصنات وحده ، ذكر في ست
 عشرة آية قصة الإفك على

خص الغضب بجانب المرأة
 للتغليظ عليها ، لأن النساء كثيراً
 ما يستعملن اللعن ، قرئاً يتجرأن
 على التفوه به لسقوط وقعه على
 قلوبهن بخلاف غضبه تعالى .

هذا الأمر ومن تقوه به . ﴿ هَذَا بُهْتَانٌ ﴾ أى كَذِبٌ بيهت ويحير سامعه لفظاعته . ﴿ عَظِيمٌ ﴾ لا يُقدَّر قدره لعظمة المبهوت عليه . يقال : بهت يبهته بهتاً وبهتاً وبهتاً . قال عليه ما لم يفعل . والبهت - بفتح الباء - : الانقطاع والحيرة . وبالضم : الكذب والباطل الذى يُتحير منه .

٢١ - ﴿ لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ طرقه ومسالكه ووساوسه ؛ بالإصغاء إلى حديث الإفك والخوض فيه . جمع خطوة ، وهى فى الأصل اسم لما بين القدمين . ﴿ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ ما عظم قبحه من الذنوب . ﴿ وَالْمُنْكَرِ ﴾ ما ينكره الشرع ويكرهه الله . ﴿ مَا زَكَايَ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ أى ما طهر من دنس هذا الذنب أحد منكم إلى آخر الدهر .

٢٢ - ﴿ وَلَا يَأْتِلَ أُولُو الْفَضْلِ .. ﴾ لا يحلف أولو الزيادة فى الدين والسعة فى المال منكم على عدم الإحسان لمن هم موضع له . نزلت فى الصديق - رضى الله عنه - حين حلف ألا يُنفق على مسطح - وهو من ذوى رَحِمِهِ - بعد أن خاض مع الخائضين فى حديث الإفك ، ونزل القرآن ببراءة الصديقة . يقال : آلى وائتلى يأتلى ، أى حلف ؛ من الآلية وهى اليمين ، وجمعها أَلْيَا . ﴿ وَالسَّعَةِ ﴾

اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَبَيَّنَّ اللهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنْ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ * يَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَايَ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتِلَ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنْ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾

الغنى . ﴿ أَنْ يُؤْتُوا ﴾ أى كراهة أن يؤتوا . ٢٥ - ﴿ دِينَهُمُ الْحَقُّ ﴾ جزاءهم الثابت عليهم ؛ أى المقطوع بحصوله لهم . ٢٣ - ﴿ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ العفاف ، وكذلك المحصنون . ٢٦ - ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ .. ﴾



عائشة - رضي الله عنها - فضلاً
تبرئة الله لها في هذه الآية .

٢٧ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾
بعد أن بين الله الزواجر عن الزنا
وعن قذف العفاف به ، شرع في
تفصيل الزواجر عما عسى أن يؤدي
إلى أحدهما من مخالطة الرجال
للنساء ، ودخولهم عليهن في
أوقات الخلوات ، وتعليم الناس
الآداب القويمة ، فنهاهم أن
يدخلوا بيوتا غير بيوتهم حتى
يستأذنا ممن يملك الإذن بالدخول
فيها ، ويسلموا على أهلها ولو
كانوا من محارمهم . والأكثرون
على تقديم السلام على
الاستئذان . ﴿تَسْتَأْذِنُوا﴾ أي
تستأذنا ، من الاستئناس بمعنى
الاستعلام والاستكشاف ، من
آنس الشيء إذا أبصره ظاهراً
مكتشفاً . والمستأنس : مستعلم
للحال مستكشف أنه هل يرد
دخوله أولاً .

٢٨ - ﴿أُزْكِي لَكُمْ﴾ أظهر لكم
من دنس الرية والدناءة .

٢٩ - ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾
بمثلة الاستثناء من قوله : «لَا
تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ» ، أي
ليس عليكم إثم في أن تدخلوا بغير
استئذان بيوتا غير معدة لسكني
طائفة مخصوصة فقط ، بل معدة
لتنفع بها من يحتاج إليها من غير أن
يغخذها مسكناً ، كالرباطات
والفنادق والحوانيت والحمامات
وغيرها حين تكون بهذه الحالة .

يَوْمَئِذٍ يُوقِفُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ
الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ
لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ
مُبرءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾
يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى
تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى
يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قَبِلَ لَكُمْ أَرْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى
لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
مَا تَبْذُرُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ
أَبْصَارَهُمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ
خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلِ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ

بالضرورة ، واتضح بطلان ما
رُميت به افتراء ، كما قال تعالى :
﴿أُولَئِكَ مُبرءون مِمَّا يَقُولُونَ﴾
والإشارة إلى أهل بيت النبوة
رجالاً ونساءً ، وتدخل فيهم
الصديقة دخلاً أولياً بقرينة سياق
الآية . أي أولئك مترهون مما يقوله
أهل الإفك في حقهم من
الكاذب الباطلة . وحسب

تقرير للسنة الإلهية فيما بين الناس
من إلف الشكل لشكله ،
وانجذاب كل قبيل إلى قبيله . أي
الخبثات من النساء محتصات
بالخبثين من الرجال ، والخبثون
منهم محتصون بالخبثات منهن .
وإذا كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم أطيب الطيبين تبين كون
الصديقة من أطيب الطيبات

﴿فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾ أى فيها حقٌ تمتع لكم ؛ كالاتكان من الحر والبرد وإيواء الأمتعة والبيع والشراء والاعتسال ، ونحو ذلك مما يليق بحال هذه البيوت ودخلها ؛ فلا بأس من دخولها بغير استئذان ممن دخلها قبل ، أو ممن يتولى أمرها .

٣٠ - ﴿يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ يَكْفُوا من نظرهم إلى ما يحرم النظر إليه . والغَضُّ : إطباق الجفن على الجفن بحيث يمنع الرؤية . يقال : غَضَّ الرجلُ صوته وطَرَفَه ، ومن صَوْتِهِ ومن طَرَفِهِ غَضًّا ، خَفَضَهُ ، ومنه : غَضَّ من فلان غَضًّا وغَضاضَةً ، إذا انتقصه . وكذلك القول في «يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ» و «يَغْضُوا» جواب «قُلْ» لتَضَيُّهُ معنى حرف الشرط ؛ كأنه قيل : إنْ تَقَلَّ لهم غَضُوا يَغْضُوا . ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ عمَّا لا يحلُّ لهم من الرِّثَا واللَّوَاظَةِ والكشف والإبداء .

٣١ - ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عمَّا لا يحلُّ لهن من الرِّثَا والسَّحَاق والإبداء . ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الزَّيْنَةُ : ما يُتَرَتَّبُ به ؛ كالخلخال والخضاب في الرِّجْلِ ، والسَّوَارِ في المِعْصَم ، والقُرْطُ في الأُذُن ، والقِلَادَةُ في العُنُق ، والوَشَاح في الصَّدْر ، والإكْلِيل في الرَّأْس ، ونحو ذلك . فلا يجوز للمرأة إظهارها حال ملابستها

مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلَ الَّذِي لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيَّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَى مِنْكُمْ

لمواضعها ، ولا يجوز للأجنبي النظر إليها كذلك ؛ واللهى عن إظهار الزينة حال ملابتها لمواضعها يستلزم النهى عن إظهار مواضعها بفحوى الخطاب . ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ أى ما جرت العادة بظهوره ؛ كالخاتم في الإصبع ، والكحل في العين ، والخضاب في الكف . ونحو ذلك ؛ فإنه يجوز للمرأة إظهاره . وقيل : المراد بالزينة مواضعها من البدن ؛ فيحرم إظهارها ، وكذلك النظر إليها ؛ إلا ما استثنى لدفع الحرج وهو الوجه والكفان ، أو هما والقَدَمَانِ . ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ بيان لكيفية إخفاء بعض مواضع الزينة بعد التهي عن إبدائها ؛ أى وتُلْقِينَ خُمُرَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ . والخُمُرُ : جمعُ خِمَارٍ ، وهو ما تُعْطَى به المرأة رأسها ، وتُسَمَّى المَقْنَعَةُ . وأصله من الخَمَر وهو السَّتْر . والجُيُوبُ : جمعُ جَيْبٍ ، وهو فتحة في أعلى القميص يبدو منه بعض الجسد ؛ وأصله من الجَيْب بمعنى القطع . تقول : جَبْتُ القميصَ أَجُوبَهُ وَأَجِيبَهُ ، إِذَا قَوَّرتَ جَيْبَهُ . والمراد بالجَيْب هنا : محله وهو العُنُق . أمر النساء بستر شعورهن وأعناقهن ونحوهن وصُدُورهن بِخُمُرِهِنَّ عن الأجانب ؛ لئلا يُرى منهن شيء من ذلك . ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ نَهَى النساء في هذه

وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ
يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَسِعَ عِلْمُهُ ﴿٣٢﴾ وَلَيْسَتَّعِفُ
الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ
وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ
إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۚ وَآتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي
ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ۚ إِنْ أَرَدْنَا
تَحْصِينَ لِّبَنَاتِنَا لَمَكَنَّاهُنَّ وَنُحْرِقُهُنَّ ۚ وَمَنْ يُكْرِهِنَّ
فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أُنزِلْنَا

يُظْهِرُوا عَلَى عَوَازِ النِّسَاءِ ﴿٣١﴾ أَي
الأطفال الذين لم يعرفوا ما العورة
ولم يميزوا بينها وبين غيرها ؛ من
قولهم : ظهر على الشيء ، إذا
أطلع عليه . أو الذين لم يبلغوا حدَّ
الشهوة والقدرة على الجماع ؛ من
قولهم : ظهر على فلان ، إذا قوَّى
عليه وغلبه . ﴿٣٢﴾ وَلَا يَضْرِبَنَّ
بِأَرْجُلَيْهِمَا فِي الْإِسْخَارِ ۚ إِنَّ
لِلَّهِ سَمْعًا بَصِيرًا ۚ وَلَا يَسْمَعُ
مِنْ دُونِ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَلَهُ
الْغَنَاءُ ۚ وَلَهُ عِلْمُ الْغُيُوبِ ۚ
سَدًّا لِلزُّبُرِ ۚ وَالْفُجْرَاءُ يَكُونُونَ
بِهِمْ ۚ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُ
بَنِي إِسْرَافِيلَ ۚ وَلَهُ الْغَنَاءُ
بِالْغَنَاءِ ۚ وَلَهُ عِلْمُ الْغُيُوبِ ۚ
سَدًّا لِلزُّبُرِ ۚ وَالْفُجْرَاءُ يَكُونُونَ
بِهِمْ ۚ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُ
بَنِي إِسْرَافِيلَ ۚ وَلَهُ الْغَنَاءُ
بِالْغَنَاءِ ۚ وَلَهُ عِلْمُ الْغُيُوبِ ۚ

٣٢ - ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ﴾
جمع أَيْمٍ ، وهو كلُّ ذَكَرٍ لَا أُنْثَىٰ
معه ، وكلُّ أُنْثَىٰ لَا ذَكَرٍ معها ،
بَكَرًا أَوْ نَسِيًّا ، وَالْأَمْرُ لِلأَوْلِيَاءِ
وَالسَّادَةِ وهو اللَّذَابُ عِنْدَ
الْجُمْهُورِ . يُقَالُ : أَمَّ يَتِيمٌ فَهُوَ
أَيْمٌ ، أَيْ زَوْجًا مِنْ لَا زَوْجَ لَهُ
مِنَ الْأَحْرَارِ وَالْحُرَّاتِ . وَمَنْ كَانَ
فِي صَلَاحٍ وَخَيْرٍ مِنْ عَيْدِكُمْ
وَإِمَائِكُمْ . وَالْمُرَادُ مِنَ الْإِنْكَاحِ :
الْمُعَاوَنَةُ وَالتَّوَسُّطُ فِي النِّكَاحِ
وَالْتَّمُكِينَ مِنْهُ .

٣٣ - ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾
أَي يَطْلُبُونَ الْمَكَاتِبَ مِنْكُمْ لِيَصِيرُوا
أَحْرَارًا . وَهِيَ مُعَاوَدَةُ بَيْنِ السَّيِّدِ

مَحْمُولٌ عَلَى الْإِسْتِجَابِ . وَالْعَاشِرُ
- قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُمْ﴾ أَي مِنْ الْإِمَاءِ . وَأَمَّا
الْعَبِيدُ فَهُمْ كَالْأَجَانِبِ ؛ لِأَنَّهُمْ
فَحُولٌ لَيْسُوا أَزْوَاجًا وَلَا مُحَارِمًا ؛
وَالشَّهْوَةُ مُتَحَقِّقَةٌ فِيهِمْ لِحَوَازِ
النِّكَاحِ فِي الْجُمْلَةِ . وَالْحَادِي
عَشَرَ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿أَوِ الثَّائِبِينَ
غَيْرِ أُولَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾
وَهُم الرِّجَالُ الَّذِينَ لَا حَاجَةَ لَهُمْ
بِالنِّسَاءِ وَلَا يَعْرِفُونَ شَيْئًا مِنْ
أُمُورِهِنَّ ، بَحِثْ لَا تَحْدِثْهُمْ
أَنْفُسُهُمْ بِفَاحِشَةٍ وَلَا يَصْفُوْنَهُنَّ
لِلْأَجَانِبِ . وَالْأَرْبَةُ : الْحَاجَةُ .
يُقَالُ : أَرَبَ الرَّجُلُ إِلَى الشَّيْءِ
يَأْرَبُ أَرْبًا وَإَرْبَةً وَمَأْرَبَةً ، إِذَا
أَحْتَاجَ إِلَيْهِ . وَالثَّانِي عَشَرَ - قَوْلُهُ
تَعَالَى : ﴿أَوِ الطَّغْلُ الَّذِينَ لَمْ

الآية عن إبداء مواضع الزينة
الحفية لكل أحد ؛ إِلَّا مَنْ اسْتَشْنَى
فِيهَا ، وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ نَوْعًا :
الْأَزْوَاجُ ؛ لِأَنَّهُمْ الْمُقْصُودُونَ
بِالزَّيْنَةِ ، وَلأنَّ كُلَّ بَدَنِ الزَّوْجَةِ
حَلَالٌ لَهُمْ . وَالْمُحَارِمُ السَّبْعَةُ
الْمَذْكُورُونَ ؛ لِأَحْتِيَاجِ النِّسَاءِ
لِحَاطَتِهِمْ ، وَأَمِنْ الْفِتْنَةِ مِنْ قَبْلِهِمْ
لَمَّا رَكَزَ فِي الطَّبَاعِ مِنَ الْغَفْرِ مِنْ
مَمَاسَةِ الْقَرَائِبِ ، وَيُلْحَقُ بِهِمْ
الْأَعْمَامُ وَالْأَخْوَالُ وَالْمُحَارِمُ مِنَ
الرِّضَاعِ . وَالتَّاسِعُ - مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ
تَعَالَى بِقَوْلِهِ : ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ أَي
الْمُحْصَنَاتِ بَيْنَ الصُّحْبَةِ وَالْخِدْمَةِ
مِنَ الْحُرَّاتِ ، مُسْلِمَاتٍ كُنَّ أَوْ غَيْرَ
مُسْلِمَاتٍ ؛ كَمَا اخْتَارَهُ الْإِمَامُ
الرَّازِي . وَمَا رُوِيَ عَنِ السَّلَفِ مِنْ
مَنْعِ تَكْشُفِ الْمُسْلِمَاتِ لِلْكَافِرَاتِ



إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمِمَّا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤﴾ * اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
مِثْلُ نَوْرِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيُّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَرَكَةٍ
زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ
تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ
وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

كانه قبل : كيف يقع منكم به صلاح المعاش والمعاد . أو الله
إكراههم على البغاء وهن إماءة موجد العالم كله . أو مبدئ الأمور فيه
يُردن العِقة ويأبئين الفاحشة ١٩ وحده . أو منوره بالشمس والقمر
السم أحق بمحملهم على العِقة إذا والكواكب ؛ فقد جعل الشمس
أرذن البغاء . وقيل : إن هذا ضياء والقمر نوراً . والضياء والنور
الشرط خرج مخرج الغالب ؛ لأن قد شاع إطلاق كل واحد منهما على
الغالب أن الإكراه لا يكون إلا الآخر ؛ وناط بهذا النور مصالح
عند إرادة التحصن ، فلا يلزم منه خلقه ومعايشهم . حتى أبصروا
جواز الإكراه عند عدم إرادة وظلمة وخمود . ﴿مِثْلُ نُورِهِ﴾
التحصن . ﴿وَمَن يَكْرَهُهُنَّ﴾ أى صفة نوره العجيبة الشأن فى
على البغاء ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ الإضاءة﴾ ﴿كَمِشْكَاةٍ﴾ كصفة
إكراههم ﴿أى كونهن مكرهات مشكاة وهى الكوة غير النافذة ؛
عليه ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لهن لا وهى أجمع للضوء الذى يكون فيها
لهن .
٣٥ - ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ من مصباح أو غيره . ﴿فِيهَا
وَالْأَرْضِ﴾ أى الله نور العالم مِصْبَاحٌ ﴿سِرَاجٌ ضَخْمٌ ثَاقِبٌ﴾
كله ؛ علويته وسفليته ؛ بمعنى ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ فى
متوره بالآيات التكوينية والتثريبية قنديل من الزجاج الصافي الأزهر .
الدالة على وجوده ووحدانيته وسائر ﴿كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ شديد
صفاته ، والهادية إلى الحق وإلى ما الإنارة ؛ نسبة إلى الدر في صفاته

وعبده ، يقول فيها السيد لعبده :
إذا أدبتي إلى كذا من المال فأنت
حر لوجه الله ، ويقبل العبد
ذلك ؛ فإذا أدى ما شرط عتق .
﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ أى يندب لكم
مكاتبتهم كما طلبوا ؛ مسارة إلى
تحريرهم ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾
أى أمانة وقدره على الكسب .
﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَّالِ اللَّهِ ..﴾ أمر
للموالى بإعانة المكاتبين بشئ مما
أعطاهم الله على سبيل
الاستحباب . ﴿وَلَا تَكْرَهُوا
فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ..﴾
الفتيات : الإماء ؛ وكل من
الفتى والفتاة كنية مشهورة عن
العبد والأمة مطلقاً . والبغاء : زنا
المرأة خاصة . مصدر بُغَت المرأة
تبغى بغاءً : فجرت ، وهى بغية
وهن بغياء . والتحصن : التَّصُونُ
عن الزنا والتعفف عنه . وكان
بعض الجاهليين يكره إماءه على
الزنا ابتغاء كسب المال أو الولد .
وكان لرأس المنافقين جوار
يكرههم عليه ؛ فاشتكى بعضهم
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
إكراهه لهم على الزنا ؛ وهن بأبيته
وَيَسْتَعْفِفْنَ عنه فى الإسلام ؛
فنزلت الآية بالتهى عن إكراههم
على الزنا . ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾
تعففاً عنه . وليست إرادتهن
التحصن شرطاً فى التهى عن
الإكراه ، ولكن لما كان سبب
النزول ما ذكر خرج التهى على
صفة السبب ؛ وفيه من التشجيع
عليهم والتقبيح لصنيعهم ما فيه .

٣٦ - ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ متعلق -

(يُسَبِّحُ) والمراد بها المساجد كلها
﴿أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ أى أمر الله
أن يعظم قدرها بضيائها عن
دخول الجُنب والحائض
والنفساء ، وعن تلويثها وإدخال
نجاسات فيها . وعن كل ما فيه إثم
ومعصية أو امتحان لها . ﴿يُسَبِّحُ لَهُ
فِيهَا﴾ . بترتبه تعالى فيها ،
وبقدسه عما لا يليق به في ذاته
وصفاته وأفعاله ، فلا يذكر فيها
إلا بما هو شأنه عز وجل . وقيل :
المراد من التسبيح الصلاة . وفاعل
(يسبح) قوله : (رجال) . و
(فيها) تأكيد لقوله : (في
بُيُوتٍ) . ﴿بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾
[آية ١٥ الرعد ص ٣٢١] .

٣٨ - ﴿بِعَمَلِهِمْ﴾ [آية ٢١٢
البقرة ص ٥٠] .

٣٩ - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بيان
لحال الكافرين بضرب مثلين
لأعمالهم ، بعد بيان حال المؤمنين
ومآل أمرهم . ﴿أَعْمَالُهُمْ
كَسْرَابٍ﴾ هو الشعاع الذى يرى
وسط النهار عند اشتداد الحر في
الفلوات الواسعة ، كأنه ماء
سارِبٌ وهو ليس بشيء . ويسمى
الآل . ﴿بِقَيْعَةٍ﴾ جمع قاع ،
وهو ما اتسط من الأرض واتسع
ولم يكن فيه نبت . وفيه يترأى
السراب . ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ﴾
الذى اشتدت حاجته إلى الماء
﴿مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ
شَيْئًا﴾ مما حسبه وظنه . شبه ما
يعمله الكافر من أنواع البر في الدنيا

فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ
لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ
وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ
يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيََهُمُ
اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ
مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ
كَسْرَابٍ يَقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ
يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ

التي فيها زجاجة صافية ، وفي تلك
الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ
الغاية في الصفاء والبرقة
والإشراق ، حتى يكاد يضيء
بنفسه من غير أن تمسه النار .
﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ أى هو نور عظيم
على نور . فنور الله متضاعف لا
خذ لتضاعفه ، لا كالنور الممثل
به ، فإن لتضاعفه خذاً معيناً
محدوداً مهما كان إشراقه وإضاءته .
﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ العظيم
الشان . ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته من
عباده . بتوفيقهم لفهم آياته
الدالة على صفاته وحكمته .
وفهم كتبه وشرائعه . وأسرار
مخلوقاته الدالة على الخير وسعادة
الدارين .

وإشراقه وحسنه . ﴿يُوقَدُ مِنْ
شَجَرَةٍ﴾ أى من زيت لشجرة
﴿مُبَارَكَةٍ﴾ كثيرة المنافع . وهو
إدامٌ ودهان ، ودباغٌ ووقود ،
وليس فيها شيء إلا وفيه منفعة .
﴿لَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ﴾ أى ليست
شرقية فقط ، ولا غربية فقط ،
بل هى شرقية وغربية ، ضاحية
للمشمس طول النهار ، تصيبها عند
طلوعها وعند غروبها ، وذلك
أحسن لزيتها . ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا﴾
من شدة صفائه وإنارته . ﴿يُضَىُّ
وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ وقد شبه في
الآية نور الله بمعنى أدلته وآياته
سبحانه - من حيث دلائلها على
الحق والهدى . وعلى ما ينفع
المخلق في الحياتين - بنور المشكاة

مِنْ فَوْقِهِ ، مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ ، سَحَابٌ ظُلُمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ
بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ
لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاءَ
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَمَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ
صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾
وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ سَحَابًا ثُمَّ يُولِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا
فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ
جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ
مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ

التي يظنها نافعة له عند الله ومنجية
له من عقابه - من حيث خبوطها
ومحو أثرها في الآخرة ، وخيبة أمله
فيها - بسراب يراه الظلمات في
الفلاة وهو أشد ما يكون حاجة إلى
الماء فيحسبه ماء ؛ فيأتيه فلا يجده
شيئاً فيخيب أمله ويتحسر .
﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ﴾ أى وجد
حُكْمَهُ تعالى وقضاهه ﴿فَوْقَهُ﴾
حِسَابَهُ ﴿أَعْطَاهُ وَافِيًا كَامِلًا جَزَاءَ
كَفَرِهِ﴾ أما أجورهم عليها فيؤفونها
في الدنيا فقط .

٤٠ - ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾ أى أعماهم
الحسنة في الدنيا من حيث خلوها
عن نور الحق كظلمات ﴿فِي بَحْرٍ
لُجِّيٍّ﴾ عميق كثير الماء
﴿يَغْشَاهُ﴾ بعلوه ويغطيه ﴿مَوْجٌ
مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ آخر ﴿مِنْ فَوْقِهِ﴾
أى من فوق هذا الموج الأعلى
﴿سَحَابٌ﴾ قائم . ﴿ظُلُمَاتٍ﴾
هذه ظلمات متراكمة ﴿بَعْضُهَا
فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ظلمة السحاب فوق
ظلمة الموج فوق ظلمة البحر .
﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ﴾ مَنْ ابْتُلِيَ بِهَا
﴿لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ مِنْ تَرَكَمِ
الظلمات ؛ أى لم يقرب من رؤيتها
فضلاً عن أن يراها . وقيل :
(أو) للتنويع ؛ فشبهت أعمالهم
الحسنة بالسراب . والسببة
بالظلمات . ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ
نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ أى من لم يشأ
سبحانه أن يهديه كنوره في الدنيا فما
له من هداية فيها من أحد .
٤١ - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ
لَهُ ..﴾ أى ألم تعلم ، بمعنى قد

علمت علماً يقيناً بالوحي أو
بالمكاشفة أو الاستدلال : أن
جميع الكائنات من العقلاء
وغيرهم ، تنزهه في ذاته وصفاته
وأفعاله ، عن كل ما لا يليق بشأنه
العظيم ؛ حتى الطير صافات -
بدالاتها بلسان الحال على وجوده
وكمال قدرته ؛ وأنه ليس كمثله
شيء . (والطير) معطوف على
(مَنْ) . ﴿صَافَاتٍ﴾ باسقاط
أَجْنَحَتِهَا في الهواء ؛ من الصف
وهو جعل الشيء على خط
مستقيم . وخصت هذه الحالة
بالذكر لكونها أغرب أحوالها ؛
فإن استقرارها في الهواء مُسَبَّحَةٌ مِنْ
دون تحريك لأجنحتها ولا استقرار
على الأرض من أبدع صنع الله
تعالى . وفي الآية تقريع للكفار
حيث جعلوا من الجمادات التي من
شأنها التسبيح لله تعالى شركاء له
يعبدونها كعبادته .
٤٣ - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ﴾ دليل من
الآثار العلوية على كمال قدرته تعالى
وانفراده بالخلق والتدبير . ﴿يَرْزُقُ
سَحَابًا﴾ يسوقه سَوْقًا رقيقاً إلى
حيث يريد . يقال : زجى الشيء
يزجيّه تزجية ، دفعه برفق ؛
كَزَجَاهُ وَأَزْجَاهُ . ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ
رُكَّامًا﴾ مُتَرَكَمًا بعضه فوق
بعض . يقال : رَكَمَ الشيء

خلق الحيوان وبدع صنعه .

٤٧ - ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا...﴾ نزلت في المنافقين .

٤٩ - ﴿يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ متقادين لحكمه طائعين . يقال : أذعن لفلان ، انقاد ولم يستغص ، وأسرع في طاعته .

٥٠ - ﴿أَفَى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ...﴾ ترديد لأسباب إعراضهم عن حكمه صلى الله عليه وسلم ، أى أسبب إعراضهم عن التحاكم إليه أنهم مرضى القلوب بالتناق ! أم سببه أنهم ارتابوا في ثبوته مع ظهور حقيقتها ! أم سببه أنهم يخافون أن يحيف الله ورسوله عليهم ! ثم أضرب عن سببه هذه الثلاثة بأنه ليس شيء من ذلك سبباً ، وإنما سببه أنهم يريدون أن يظلموا صاحب الحق ، ولا يتأتى لهم ذلك مع انقيادهم لحكمه صلى الله عليه وسلم ، لأنه لا يحكم إلا بالحق . ﴿يحيف﴾ يجر ، من الحيف وهو الميل إلى أحد الجانبين . يقال : خاف في قضائه ، مال . وتحيف الشيء : أخذته من جوانبه .

٥٣ - ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أى مجتهدين فيها [آية ٥٣ المائدة ص ١٥٣] . ﴿طَاعَةً مَعْرُوفَةً﴾ أى هذه طاعة باللسان لا بالجنان ، معروفة عنكم وهى دأبكم ، فإنكم تكذبون وتحلفون وتقولون ما لا تفعلون .

٥٤ - ﴿مَا حُمِّلَ﴾ ما أمر به من

الله اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٨﴾
وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٩﴾
لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكِ مُبَيِّنَاتٍ وَاللهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٠﴾ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِن يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٥٣﴾ أَفَى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَطِعِ اللهَ

يركمه ركنًا : إذا جمعه وألقى بعضه على بعض . وتراكم وارتكم الشيء : اجتمع والركام : الرمل المتراكم . ﴿الودق﴾ أى المطر . وهو فى الأصل مصدر وُدق السحاب يدق وُدقًا ، إذا نزل منه المطر . ﴿خلاله﴾ أى فتوقه ومخارجه . جمع خلل : كجبال وجبل . ﴿سنا يرقه﴾ أى شدة ضوء برق السحاب ولمعانه . يقال سنا يسوسنا ، أى أضاء . ٤٤ - ﴿يُغَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ دليل آخر زمني إثر الدليل العلوي . ٤٥ - ﴿وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾ دليل ثالث من عجائب



وَرَسُولُهُ وَيَخْشَى اللَّهَ وَيَتَّقَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٧﴾
 * وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لِيَخْرُجُنَّ قُلُوبُهُمْ
 لَا تُقْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلُوبُهُمْ
 أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ
 وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ
 إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٩﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ
 وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي
 شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٠﴾
 وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ
 تُرْحَمُونَ ﴿٦١﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ
 وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦٢﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 لَيَسْتَغْفِرَنَّ لَهُمْ رَبُّكَ أَمَّا مَلَكُوتُ الْيَمْنُكُمُ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا
 الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ
 تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ
 ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ
 طَوَفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
 الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ

التبليغ . ﴿مَا حُمِّلْتُمْ﴾ مَا أُمِرْتُمْ
 به من الطاعة والانقياد .

٥٧ - ﴿مُعْجِزِينَ﴾ فائتين من
 عذابنا بالهرب .

٥٨ - ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾
 أمر الله المؤمنين أن ينعوا
 بمالبيكهم - عبيدا وإماء -
 وصبيانهم الذين لم يبلغوا الحلم -
 ذكورا وإناثا - من الدخول عليهم
 في مضاجعهم بغير إذن في هذه
 الأوقات الثلاثة ، خشية أن
 يطلعوا على عوراتهم . وخُصَّت
 بالذكر لكونها الأوقات التي تغلب
 فيها الخلوة بالأهل والتجرد من
 الثياب . والأمر للاستحباب .
 وقيل للوجوب . و ﴿الحلم﴾
 بضمين : الاحتلام المعروف في
 النوم . ثلاث مرات أي في ثلاثة
 أوقات في اليوم والليله ، منصوب
 على الظرفية للاستئذان .
 ﴿تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ﴾ تخلعونها
 وتطرحونها . ﴿ثلاث عورات
 لكم﴾ أي هي أوقات ثلاث
 عورات كائنه لكم . جمع
 عورة ، وهي في الأصل شق في
 الشيء ، ثم غلب في الخلل الواقع
 فيما بينهم حفظه ويتعين ستره ، وهو
 السوءة .

٦٠ - ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾
 أي العجائز اللواتي قعدن عن الولد
 أو عن الحيض ، أو عن
 الاستمتاع لكبرهن ، ولم يبق لهن
 مطمع في الأزواج . جمع قاعد ،
 بغير تاء لاختصاصها بالنساء ،

الأصل : مجتمع الشجر ، ثم أطلق على الضيق وعلى الإثم . أى لا إثم على هذه الطوائف الثلاث فى القعود عن الجهاد وغيره مما رخص لهم فيه لما قام بهم من الأعذار . ولا إثم على من ذكروا بعدهم فى الآية فى الأكل من البيوت المذكورة . ﴿ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ حرج ﴿ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ ﴾ أى من البيوت التى فيها أزواجكم وعيالكم ، فدخل فيها بيوت الأولاد . ﴿ أَوْ مَمْلِكَتِكُمْ مَفَاتِحُ ﴾ أى أو البيوت التى تملكون التصرف فيها بإذن أربابها ، كما إذا كنتم وكلاء عنهم أو خازنين عندهم ، فيباح لكم الأكل منها بالمعروف . ومفتاح جمع مفتاح ، وهو آلة الفتح . وملئها : كناية عن كون الشيء تحت يد الشخص وتصرفه . ﴿ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾ أى أو بيوت أصدقائكم وإن لم يكن بينكم وبينهم قرابة ، فيجوز الأكل من بيوت الأخذ عشر صنفاً المذكورة وإن لم يحضروا . إذا علم رضاهم به بصريح اللفظ ، أو بالقرينة وإن كانت ضعيفة ، كما قاله الجلال . ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا ﴾ مجتمعين ﴿ أَوْ أَشْتَاتًا ﴾ متفرقين . وقد كان بعضهم يتحرج أن يأكل وحده حتى يجد له أكيلًا ، كبنى ليث بن عمرو بن كنانة ، فنزلت الآية . جمع شت شت . يقال : شت الأمر يشت شتًا وشتاتًا ، تفرق . وأمر

الْحَلْمُ فَلْيَسْتَعِذُوا كَمَا اسْتَعِذَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٦﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحُهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّتُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ كَلِمَةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٥٧﴾

ولولاه لوجبت التاء ، كما فى قاعدة من القعود بمعنى الجلوس . ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ ﴾ حرج أو إثم ﴿ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ ﴾ ينزعن عنهن ثيابهن الظاهرة التى لا يفضى نزعها إلى كشف العورة ، كالقناع الذى يكون فوق الخمار ، والجلباب والرداء الذى يكون فوق الثياب ، حال كونهن ﴿ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ﴾ أى غير

شَتَّ : متفرق . ﴿ فَأَذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا ﴾ من هذه البيوت التي رُحِّصَ لكم في الدخول فيها ﴿ فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ أى على أهلها الذين هم بمنزلة أنفسكم ﴿ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ أى حيَّوهم تحية مشروعة من لدنه تعالى ﴿ طَيِّبَةٌ ﴾ تطيب بها نفوسهم وتطمئن . ومعنى التحية في الأصل : أن تقول : حيَّاك الله ! أى أعطاك الحياة ؛ ثم عُمِّمَ لكلِّ دعاء .

٦٢ - ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ نزلت في المنافقين الذين كان يعرض بهم النبي صلى الله عليه وسلم في مجالسه وخطبه ، وكانوا إذا جلسوا في مجلسه ينظرون إلى الصحابة ، فإن رأوهم غافلين عنهم خرجوا خفية واستنارًا من غير استئذان . فأخبر الله تعالى أن المؤمنين الكاملين إذا كانوا مع نبيهم في طاعة يجتمعون عليها - كالجمعة والعيد والجهاد - أو تشاور في أمر جليل ، لم ينصرفوا عنه حتى يستأذنه ويأذن لهم ، وجعل ذلك علامة على كمال الإيمان ، وفارقًا بين الإخلاص والتفائق . وهذا الأدب الإسلامي من الآداب العامة في أمثال هذه المجتمعات .

٦٣ - ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ ﴾ أى لا تقيسوا دعاءه عليه الصلاة والسلام إياكم على دعاء بعضكم بعضًا في حال من الأحوال ، وأمر من الأمور التي من جملتها المساهلة فيه والرجوع

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ . إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ . إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا . قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونُ مِنْكُمْ لَوْ أَوَّاذَ فليحذر الذين يحالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴿٦٣﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

مجردًا دون وصفه بالرسالة أو النبوة ، ودون الصلاة والسلام عليه في كتبهم وخطبهم وأحاديثهم ؛ ومنهم من يسميهم بسمته العلماء . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ! ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونُ مِنْكُمْ لَوْ أَوَّاذَ ﴾ أى يخرجون من الجماعة قليلا قليلا في خفية متلاوذين ، يستتر بعضهم ببعض حتى يخرجوا جميعًا ، وكان المنافقون يفعلون ذلك في خطبه صلى الله عليه وسلم . والتسلل والانسلال : الخروج والانطلاق في استخفاء . واللواذ : من الملاوذة ، وهى أن

عن مجلسه بغير استئذان ؛ فإن ذلك من المحرمات . وقيل : المعنى لا تجعلوا نداء الرسول صلى الله عليه وسلم وتسميته كنداء بعضكم بعضًا باسمه أو كنيته . فلا تقولوا : يا محمد ، ولا يا أبا القاسم ، بل نادوه وخاطبوه بالتوقير وقولوا : يا رسول الله ، يا نبي الله ، مع تواضع وخفض صوت . قال السيوطي : في هذا التهيء تحريم ندائه صلى الله عليه وسلم باسمه ؛ والظاهر استمرار ذلك بعد وفاته إلى الآن اهـ . فليتق الله وليتأدب بالأدب القويم أقوام في هذا العصر درجوا على ذكر اسمه الشريف

(٢٥) سُورَةُ الْفُرْقَانِ مَكِّيَّةٌ

إِلَّا الْآيَاتِ ٦٨ وَ ٦٩ وَ ٧٠ فَدَنِيَّةٌ
وَأَيَّاتُهَا ٧٧ نَزَلَتْ بَعْدَ دُرَيْسٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ
نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَخْذَ
وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَّا يَخْلُقُونَ
شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا
وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِنَّا هَذَا إِلَّا آفَكٌ أَفْتَرْتَهُ وَآعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ
فَقَدْ جَاءَ وَظَلَمَ وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ
أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ
الَّذِي يَعْلَمُ الْسِرِّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

اشتملت هذه السورة على
التوحيد ؛ لأنه المقصد الأسمى .
وعلى شأن النبوة ؛ لأنها الوساطة
بين الله تعالى وخلقه . وعلى أحوال
المعاد ؛ لأنه الخاتمة . وعلى حكاية
أباطيل الكافرين المتعلقة بالقرآن

تستتر بشيء مخافة من يراك . أو هو
الرؤغان من شيء إلى شيء في
خفية . ﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾
يُعرضون عنه أو يصدّون .
والمخالفة : أن يأخذ كل واحد
طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو
فعله ! ﴿فَتَنَةٌ﴾ بلاء ومحنة في
الدنيا . والله أعلم .

وبالرسول صلى الله عليه وسلم
وإبطالها .

١ - ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ﴾ أي
تعالى على كل شيء . وتعظيم [آية
٥٤ الأعراف ص ٢٠٧] :
﴿الْفُرْقَانُ﴾ أي القرآن ؛ لفرقه
بين الحق والباطل .

٢ - ﴿فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ فهيئة لما
أراد به من الخصائص والأفعال
اللائقة به ، تهيئة بدعية بحكمته
وفق إرادته .

٣ - ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾
أصناماً . وقد وصفها الله بسبع
صفات ، آخرها قوله : (وَلَا
نُشُورًا) . ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ
مَوْتًا﴾ لا يقدرُونَ على إمامة
الأحياء ، ولا على إحياء الموتى في
الدنيا ، ولا على بعثهم في
الآخرة .

٤ - ﴿إِفْكٌ أَفْتَرَاهُ﴾ كذب
وبهتان اختلقه وتخرّصه من تلقاء
نفسه [آية ١١ النور ص ٤٤٨] .
﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ﴾ على افتراءه ﴿قَوْمٌ
آخَرُونَ﴾ من أهل الكتاب
والقاتلون صناديد المشركين ؛
كالنضر بن الحارث وأشباعه .
﴿ظَلَمًا وَزُورًا﴾ أي بظلم عظيم .

وكذب قطع الخرفوا به عن جادة
الحق والإنصاف . والزور في
الأصل : تحسين الباطل ؛
مأخوذ من الزور وهو الميل في
الزور . وأطلق على الكذب زوراً لما
فيه من الميل عن الصدق
والانحراف عن الحق .

٥ - ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾

وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ
 نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُبَلِّغُنِي إِلَيْهِ كِتَابًا أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ
 مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾
 أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلِ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
 سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾
 بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾
 إِذَا رَأَوْهُم مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾
 وَإِذَا أَلْقَاوُا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مَّقْرِنِينَ دَعَا هُنَا لِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾
 لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾
 قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ
 لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ

أَكَاذِبُهُمْ وَأَبَاطِلُهُم الَّتِي سَطَرُهَا
 فِي كِتَابِهِمْ . ﴿ اَكْتَسَبَهَا ﴾ أى أمر
 غيره بكتابتها له ، أو جمعها .
 ﴿ فَهِيَ تُمَلَى عَلَيْهِ ﴾ أى تلقى عليه
 بعد اكتسابها ليحفظها ﴿ بُكْرَةً
 وَأَصِيلًا ﴾ غُدوة وعشيًا .
 ومرادهم أنها تملَى عليه خفية .
 ٦ - ﴿ يَقْلُمُ السَّرَّ ﴾ يعلم كل ما

يغيب ويخفي .
 ٧ - ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ ﴾
 اشتمل قولهم على ست قبائح ،
 آخرها قوله : (إِلَّا رَجُلًا
 مَسْحُورًا) . وقد رد الله تعالى عليها
 إجمالاً في البعض وتفصيلاً في
 البعض .

٨ - ﴿ أَوْ يُبَلِّغُنِي إِلَيْهِ كِتَابًا ﴾ أو ينزل
 عليه من السماء مالٌ عظيمٌ يُغْنِيهِ
 عن التماس المعاش بالأسواق كسائر
 الناس . وأصلُ الكثرة : جعلُ
 المال بعضه على بعض وحفظه ،
 من كثر الثمر في الوعاء : حفظه .
 ﴿ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ .. ﴾ بستان ذو
 شجر يُدْرَى عليه الخير ، وسُمِّيَ جَنَّةً
 لستره الأرض بأشجاره ، من
 الجَنِّ وهو ستر الشيء عن الحاسة .
 ﴿ مَسْحُورًا ﴾ مغلوبًا على عقله
 بالسحر . والسحر عندهم معروفٌ
 بتأثيره في العقول .

١٠ - ﴿ إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا
 مِنْ ذَلِكَ ﴾ أى إن شاء وهب لك
 في الدنيا خيرًا مما اقترحوه من
 الجنة ؛ بأن يُعْجَلَ لك فيها مثل ما
 وعدك في الآخرة من الجنات
 والقصور المشيدة .
 ١١ - ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ﴾

انتقالٌ من حكاية جناباتهم السابقة
 المتعلقة بأمر التوحيد والنبوة ، إلى
 حكاية نوع آخر من جناباتهم
 متعلق بأمر المعاد ، وما يترتب عليه
 من فنون العذاب لكفرهم
 وجحودهم . ﴿ سَعِيرًا ﴾ نَارًا
 عظيمة شديدة الاشتعال .
 ١٢ - ﴿ إِذَا رَأَوْهُم ﴾ أى قابلتهم
 تلك النار المستمرة ، وهى جهنم
 ﴿ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا ﴾ أى صوت
 غليان وفوران شديد . والتغيظ في
 الأصل : إظهار الغيظ ، وهو
 شدة الغضب الكامن في القلب .
 ﴿ وَزَفِيرًا ﴾ هوى الأصل : ترديدُ
 النفس من شدة العم حتى تنتفخ
 منه الضلوع ؛ فإذا اشتد كان له
 صوت يُسمع .
 ١٣ - ﴿ مُقَرَّنِينَ ﴾ قد قرنت
 أيديهم إلى أعناقهم بالأغلال . أو
 مقَرَّنِينَ في السلاسل والأصفاد ،
 بعضهم مع بعض . أو مع
 الشياطين الذين أضلّوهم . ﴿ دَعَا



عَلَىٰ رَبِّكَ وَعَدًّا مَّسْئُولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ
ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ
تَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعِيبَاءَهُمْ حَتَّىٰ
نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا
تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمَ مِنْكُمْ
نُدِقُهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ
إِلَّا أَنْهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمَشُّوا فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا
بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾
* وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ
أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا
كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ

التذكير لآيات الوهيته
ووجدت : ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾
هَلَكِي ، غلب عليهم الشقاء
والخذلان . جمع باثر ، من البوار
وهو الهلاك . وأصله فرط
الكساد . يقال : بارت السوق ،
إذا خلت من المشترين . وبار
الطعام : إذا لم يكن له طالب .
وأطلق على الهلاك لكون البائر
كالكالك .

١٩ - ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا﴾ فما
تلكون دفعًا للعذاب عن أنفسكم
قبل حلوله . وأصل الصرف : ركة
الشيء من حالة إلى أخرى . ﴿وَلَا
نَصْرًا﴾ من أي جهة بعد حلوله .

٢٠ - ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ
فِتْنَةً﴾ ابتلاء وامتحاناً . كل واحد
مختبر بضده ، فالأغنياء امتحان
للفقراء ، ليظهر هل يصرون ؟
والفقراء امتحان للأغنياء ، ليظهر
هل يشكرون ؟ وهو تسلية له صلى
الله عليه وسلم عن قولهم : ﴿أَوْ
يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَثْرًا أَوْ تُكُونُ لَهُ جَنَّةً﴾ .

٢١ - ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا...﴾
كناية عن إنكارهم البعث
والحشر . أو لا يؤمنون لقاء جزائنا
بالخير ، لإنكارهم ذلك .
﴿وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ جاوزوا الحد
في الظلم والطغيان تجاوزاً بالغا .
مصدر عتأ يعتو عتوًا وعُتْيًا .

٢٢ - ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُجْرِمِينَ﴾ أي يقول لهم الملائكة
ذلك يوم القيامة . ﴿وَيَقُولُونَ
حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ أي ويقول
الملائكة للمجرمين : حرامًا مُحَرَّمًا

هَٰذَا كَيْبُورًا هَلَاكًا ، فقالوا :
واكبوراه ! يقال : تَبَرَّيْشِيرُ بُورًا .
وثبره الله : أهلكه هلاكًا
لا يتعش .
١٦ - ﴿وَعَدًّا مَّسْئُولًا﴾ جديرًا
بأن يُسأل ويُطلب لعظم شأنه .
١٧ - ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ﴾ من الملائكة وعزير
وعيسى ، وسائر العقلاء المعبودين
الذين لم يقع منهم ضلال لأولئك
الجهلة العابدين . وإطلاق «ما»
على العقلاء حقيقة أو مجاز .
١٨ - ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهاً لك
وتبرئة مما زعمه المشركون من
الأنداد لك . ﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي
لَنَا...﴾ أي ما استقام لنا ونحن
عبادك المطيعون لك أن نتخذ
- متجاوزين إياك - أولياء نعبدهم ،
فكيف يتصور أن نحمل غيرنا على
أن يتخذ ولياً يعبد من دونك ؟
﴿نَسُوا الذِّكْرَ﴾ أي غفلوا عن
ذكرك والإيمان بك . أو عن

عليكم البشري في هذا اليوم .
والْحَجَرُ - بالكسر ويفتح - :
الحرام ، وأصله المنع .
و(مَحْجُورًا) صفة مؤكدة
للمعنى ؛ كما في : موت مائت .
أو يقول المحرمون حين يرون
الملائكة : حِجْرًا مَحْجُورًا ؛ أى
حرامًا محرمًا عليكم التعرض لنا .
وكان الرجل في الجاهلية يقول
ذلك إذا لقي من يخافه في شهر
حرام أو في الحرم فيأمن شره ؛
فقالوها يوم القيامة ظانين أنها
تنفعهم فيه كما كانت تنفعهم في
الدنيا .

٢٣ - ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ
عَمَلٍ .. ﴾ وَعَمَدُنَا إِلَى مَا عَمَلَهُ
الكَافِرُونَ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ
وَالْبِرِّ ؛ كَصِلَةِ رَحِمٍ وَإِغَاثَةِ
مَلْهُوفٍ وَفَرَى ضَيْفٍ مَعَ كُفْرِهِمْ
وَجُحُودِهِمْ ، فَجَعَلْنَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
بَاطِلًا لَا ثَوَابَ لَهُ وَلَا جُذُوعَ ؛
كَالْهَبَاءِ الْمُنْثُورِ . وَالْهَبَاءُ : مَا يَخْرُجُ
مِنَ الْكُوَّةِ مَعَ ضَوْءِ الشَّمْسِ شَبِيهَاً
بِالْعُبَارِ . وَالْمُنْثُورُ : الْمَتَفَرِّقُ
الذَّاهِبُ كُلُّ مَذْهَبٍ . الَّذِي
لَا يَبْقَى جَمْعُهُ . شُبِّهَتْ بِهِ هَذِهِ
الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْكُفْرِ فِي
عَدَمِ الْجُذُوعِ ؛ وَتَقَدَّمَ أَنَّهُمْ
يُجَازَوْنَ بِهَا فِي الدُّنْيَا . وَهُوَ مِثْلُ
قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا
أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَاقِيَةٍ » (١) وَقَوْلِهِ
تَعَالَى : (مِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ
أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ
فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ) (٢) .

٢٤ - ﴿ وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ مِثْرًا

وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٢٣﴾ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ
بَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٤﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ ذَلِكَ خَيْرٌ
مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٥﴾ وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ
وَتُزَلُّ الْمَلَائِكَةُ تَزِيلًا ﴿٢٦﴾ الْمَلِكُ يَوْمَ ذَلِكَ الْخَاقُ لِلرَّحْمَنِ
وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ
عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلْبِثَنِي أَنْتَ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٨﴾
يَنْوِيلَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٩﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي
عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ
خَذُولًا ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا

وَمَاوًى لِّلْأَسْتِرَاحِ . وَالْمَقِيلُ فِي
الْأَصْلِ : مَكَانُ الْقِيلُولَةِ . وَهِيَ
الْإِسْتِرَاحَةُ نِصْفُ النَّهَارِ وَإِنْ لَمْ
يَكُنْ هُنَاكَ نَوْمٌ ؛ وَمِنْهُ (أَوْهُمْ
قَائِلُونَ) (٣) . وَالْمَرَادُ : أَنَّهُمْ فِي
أَقْصَى مَا يَكُونُ مِنْ حَسَنِ الْمَقِيلِ .
٢٥ - ﴿ وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ
بِالْغَمَامِ ﴾ وَادَّكُرَ يَوْمٌ تَتَفَتَّحُ
السَّمَاءُ عَنِ الْغَمَامِ . وَهُوَ سَحَابٌ
أَبْيَضٌ رَقِيقٌ مِثْلُ الضَّبَابِ . فَالْبَاءُ
بِمَعْنَى عَنْ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (يَوْمَ
تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ) (٤) . وَهُوَ
مِثْلُ : انشَقَّتْ الْأَرْضُ عَنْ
النَّبَاتِ ؛ أَيْ ارْتَفَعَتْ تَرْبَتُهَا عَنْهُ
عِنْدَ طُلُوعِهِ .

٢٧ - ﴿ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى

(١) آية ٣٩ النور . (٢) آية ١٨ إبراهيم . (٣) آية ٤ الأعراف . (٤) آية ٤٤ ق .

الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ
الْمُجْرِمِينَ ۖ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۖ كَذَلِكَ
لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ
بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ
يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا
وَاضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا
مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ
لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً
وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ

مُفَرَّقٍ كَمَا أُنْزِلَتِ الْكُتُبُ
السَّابِقَةُ ۖ رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ
بِقَوْلِهِ (كَذَلِكَ) أَى تَرْتِيلًا مِثْلَ
ذَلِكَ التَّنْزِيلِ الَّذِى اقْتَرَحْتُمْ
خِلَافَهُ ، تَرْتِيلًا فَجَعَلْنَاهُ مَفْرَقًا
مُتَّحِمًا ، لِنُقَوِّى بِهِ قَلْبَكَ وَقُلُوبَ
الْمُؤْمِنِينَ بِتَسْيِيرِ حِفْظِهِ وَضَبْطِهِ
وَفَهْمِ مَعَانِيهِ ، وَالْوُقُوفِ عَلَى
تَفَاصِيلِ مَا رُوِىَ فِيهِ مِنَ الْحِكْمِ
وَالْمَصَالِحِ ، وَتَجَدُّدِ عَجْزِ الطَّاعِنِينَ
فِيهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . ﴿وَرَتَّلْنَاهُ﴾
قُرْآنَهُ آيَةً بَعْدَ آيَةٍ ، كَمَا قَالَ
تَعَالَى : (كِتَابٌ أُخْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ
فُصِّلَتْ) (٣) . أَوْ قُرْآنَهُ عَلَيْكَ
بِلِسَانِ جَبْرِيلَ شَيْئًا فَشَيْئًا عَلَى نُودَةٍ
وَتَمَثَّلُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : نَغْرُ مُرْتَلً ؛
أَى مَفْلُجُ الْأَسْنَانِ غَيْرُ مُتَلَاصِقِهَا .
٣٣ - ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾
أَى بِكَلَامٍ عَجِيبٍ هُوَ مِثْلُ فِى
الْبُطْلَانِ ، يَرِيدُونَ بِهِ الْقُدْحَ فِى
رِسَالَتِكَ وَيُجَاهِدُونَكَ بِهِ .
﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ أَى وَبَعَا هُوَ
أَحْسَنَ مَعْنَى مِنْ مَثَلِهِمْ .

٣٦ - ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾
أَهْلَكْنَاهُمْ أَشَدَّ الْإِهْلَاكِ .
٣٧ - ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾
عَلَامَةً ظَاهِرَةً عَلَى قُدْرَتِنَا ، يُعْتَبَرُ
بِهَا مَنْ شَاهَدَهَا أَوْ سَمِعَهَا .
٣٨ - ﴿وَأَصْحَابَ الرُّسُلِ﴾
الرُّسُلُ : بَشَرٌ كَانَتْ لِبَقِيَّةٍ مِنْ
نُحُودٍ ، وَأَصْحَابُهَا قَوْمٌ كَذَّبُوا بِنَبِيِّهِمْ
وَرَسُولِهِ أَى دَسُّوهُ فِى الْبُتْرِ ،
فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ كَمَا أَهْلَكَ الْقُرُونُ
السَّابِقَةَ . ﴿وَقُرُونًا﴾ أَمَّا .

٢٨ - ﴿يَا وَيْلَتَا﴾ دَعَاءٌ بِالْوَيْلِ
وَالشُّبُورِ [آيَةُ ٣١ الْمَائِلَةُ
ص ١٤٨]

٢٩ - ﴿لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ كَثِيرُ
الْخَذْلَانِ لِمَنْ يُوَالِيهِ .
٣٠ - ﴿اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ
مَهْجُورًا﴾ مَتْرُوكًا فَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَلَمْ
يَرْفَعُوا إِلَيْهِ رَأْسًا ، وَلَمْ يَتَأَمَّرُوا
بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ ، مِنَ الْهَجْرِ بِمَعْنَى
الْتَرَكِ ، نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَهُمْ
يَبْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ) (١) أَى
يَصْذَوْنَ وَيَتَعَدُّونَ عَنْهُ . أَوْ قَالُوا

٣٩ - ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾
أهلكنا إهلاكًا هائلًا ، لعدم
تأثرهم بما ضربنا من الأمثال ،
ولتتماديهن في الكفر والطغيان .
والتَّبِيرُ : التفتيت . وكلُّ شَيْءٍ
فَتَنَهُ وكسرتَه فقد تَبَّرْتَه . ومنه
التَّبِيرُ : لِفَتَات الذهب والفضة .

٤٠ - ﴿أَمْطَرْتُ مَطَرُ السَّوَاءِ﴾ أى
رُميت بالحجارة من السماء
فَهَلَكْتَ . وهى سَدُوم . أعظمُ
قرى قوم لوط . وكذلك أَهْلَكَتْ
سائر قراهم . والسَّوَاءُ - بالفتح - :
مصدر ساءهُ ، أى فَعَلَ بِهِ
مَا يَكْرَهُ . والسَّوَاءُ - بالضم - :
اسمٌ منه . ﴿لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾
أى لا يتوقعون بعثًا أصلاً .

٤١ - ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ مهزوةً به .

٤٣ - ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ..﴾
أخبرني ! مَنْ جَعَلَ هَوَاهُ إِلَهًا لِنَفْسِهِ
معرضًا عن استماع الحجة الباهرة .
﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾
حفيظًا وكفيلًا حتى تَرُدَّهُ إِلَى
الإيمان . ويُخرجه من هذا
الضلال ! [آية ٤٠ الأنعام

ص ١٧٤ .

٤٥ - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ﴾ ألم
تنظر إلى صُنْعِ رَبِّكَ فتعلم كَيْفَ
مَدَّ الظِّلَّ ؟ وقد اشتملت هذه
الآية والآيات التسع بعدها على
سنة أدلة محسوسة على توحيده
تعالى ، وانفراده بالإيجاد والقدرة
الباهرة والصنع العجيب - :
الظُّلَالُ بَسْطًا وَقَبْضًا . والليلُ
والنَّهَارُ رَاحَةً وَنُشُورًا . والرياحُ

(١) آية ١١ النبا .

الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ
الْأَمْثَلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ
الَّتِي أَمْطَرْتُ مَطَرُ السَّوَاءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرُونَهَا بَلْ كَانُوا
لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا
أَهْذًا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِنْ كَادَ لَيُبْذِلُنَا عَنْ
الْهِتِنِ لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ
الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ
هُوَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ
أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ
هُمْ أَضَلَّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ
شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾
ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ

بُشْرًا ، والأمطار حياةً وَمَرْجُ
البحرين العذب والملح . وخلق
الإنسان من نقطة مهينة وتناسله .
نُشُورٌ : يتشرف فيه الناس لطلب
المعاش ، وهو كقوله تعالى :
(وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا) (١) .

٤٧ - ... وَالنَّوْمَ سُبَاتًا ﴾ أى
قَطْعًا لأعمالكم . أو راحةً
لأبدانكم . والسُّبَاتُ - كما قال
الرَّجَّاج - : أَنْ يَنْقَطِعَ عَنِ الْحَرَكَةِ
وَالرُّوحُ فِي بَدَنِهِ ، مِنَ السَّبْتِ وَهُوَ
القطع ، أو الراحة والسكون .

٤٨ - ﴿بُشْرًا﴾ مُبَشِّرَاتٍ
بِالْعَيْشِ .
٥٠ - ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ..﴾ أى
صَرَّفْنَا المطر بينهم في البلدان
المختلفة ، والأوقات المتغيرة ،



الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنَحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مِّمَّا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِيًا كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ * وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۖ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۖ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَا مِنْ شَاءِ

فُرَاتٌ ﴿ شديداً العذوبة - مائل إلى الحلاوة وهو ماء الأنهار. وُسْمَى فُرَاتًا لأنه يَفَرُّ العَطش ، أى يقطعهُ ويكسره . ﴿ مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ شديداً الملوحة والمرارة ، وهو ماء البحار . سُمِيَ أُجَاجًا من الأَجِيج وهو تَلَهَّب النار ، لأن شربه يزيد العطش . ﴿ بَرْزَخًا ﴾ حاجزاً عظيماً من الأرض ، يمنع بَقَى أحدهما على الآخر ، لحفظ حياة الإنسان والنبات ؛ كما قال تعالى : (يَبْتَغِيهِمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ) (١) . ﴿ وَجِجًا مَحْجُورًا ﴾ أى وجعل كل واحد منهما حراماً مُحَرَّمًا على الآخر أن يفسده . والمراد : لزوم كل منهما صفته ؛ فلا ينقلب العذب في مكانه مِلْحًا ، ولا المِلْح في مكانه عَذْبًا .

٥٤ - ﴿ فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ أى جعل من جنس البشر ذوى نسب : ذكوراً يُنسب إليهم ، وذوات صهر : إناثاً يُصَاهِرُهُنَّ ؛ كقوله تعالى : (فَجَعَلَ مِنْهُ الرِّجَالِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى) (٢) . والصَّهْرُ : يطلق على قرابات النساء ذوى المحارم وذوات المحارم ؛ كالأبوين والإخوة وأولادهم ، والأعمام والأخوال والحالات ؛ فهؤلاء أصهارُ زوج المرأة . وعلى من كان من قبل الزوج من ذوى قرابته المحارم ؛ فهم أصهارُ المرأة أيضاً .

٥٥ - ﴿ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴾ مُعِينًا للشيطان على

وعلى الصفات المتفاوتة ؛ فتزيد منه في بعض البلدان ، ونقص منه في بعض آخر منها على حسب الحاجة . أو ولقد كررنا هذا القول بين الناس في القرآن وما سبقه من الكتب ؛ وهو ذكر إنشاء السحاب وإنزال المطر ؛ ليعتبروا ويُذعنوا بكمال قدرتنا ، فأبى أكثرهم إلا كفران النعمة وجحودها ﴿ كُفُورًا ﴾ جحوداً وكفراناً بالنعمة .

٥٣ - ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ أرسل البحرين : العذب والمِلْح في مجاريهما متجاورين ؛ كما ترسل الخيل في المَرَج . يقال : مَرَج الدابة يَمَرِّجُهَا ، أرسلها ترعى . أو خلطهما فأمرج أحدهما في الآخر وأفاضه فيه ؛ من المَرَج وأصله الخلط . يقال : مَرَج أمرهم يَمَرِّج ، اختلط ؛ ومنه قيل للمرعى : مَرَج ؛ لاجتماع أخلاط من الدواب فيه . ﴿ عَذْبٌ

معصية الله بالشرك والعدواة .
والظهير : المعين

﴿ وَسَبِّحْ ﴾ نزهة تعالى على جميع
النقائص . ﴿ بِحَمْدِهِ ﴾ مثبثاً عليه
بأوصاف الكمال .

٥٩ - ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾
[آية ٥٤ سورة الأعراف
ص ٢٠٧] .

٦٠ - ﴿ وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ تباعدًا
عن الإيمان .

٦١ - ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي .. ﴾ [آية
٥٤ الأعراف ص ٢٠٧] .
﴿ بُرُوجًا ﴾ منازل رفيعة ، اثني
عشر منزلاً للكواكب السيارة .
وأصلها القصور العالية ، وسُميت
بها هذه المنازل لعلوها وارتفاعها .

٦٢ - ﴿ جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
خَلْفَةً ﴾ يخلف كل منها الآخر .
والخلفة : كل شيء ، ومنه خلفه
النبات وهو ورق يخرج بعد الورق
الأول في الصيف .

٦٣ - ﴿ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ
هَوْنًا ﴾ مشياً ليلاً رقيقاً ، أو يمشون
هينين في ثودة وسكينة ووقار
وحسن سمت . والهون : مصدر
بمعنى اللين والرفق ، صفة لمصدر
محدوف ، أوحال من ضمير
(يَمْشُونَ) . ﴿ قَالُوا سَلَامًا ﴾ أى
تسليماً منكم ومشاركة ، لا خير
بيننا وبينكم ولا شر ، فيتحملون
ما ينالهم من أذى الجهلاء
والسُّفهاء .
٦٤ - ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾

أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي
لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ
خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ
خَيْرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ
أَنْسَجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ
فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَرًّا مُنِيرًا ﴿٦١﴾
وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ
أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى
الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾
وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ لِرَبِّهِمْ تَجَدًّا وَقِيَمًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾
إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ
يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ

لازماً دائماً غير مفارق في حق
الكفار ، وغير دائم في حق
عصاة المؤمنين . والغرام : الولوع
بالشيء والشر الدائم والهلاك .
يقال : فلان مُعْرَمٌ بكذا ، أى
لازم له مولع به ، ومنه الغريم
للازمته .
٦٧ - ﴿ وَلَمْ يَقْتُرُوا .. ﴾ لم
يضيّقوا تضيق الشحيح : من قتر
بمعنى ضيق . يقال : قتر بقتير
ويقتّر قتراً وقتوراً . وقتر وأقتر :
ضيّق في النفقة . ﴿ وَكَانَ بَيْنَ
ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ وسطاً بين سَيِّئَتَيْنِ .
والقوام : الشيء بين الشئتين .



لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي
حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ
أُتَمَامًا ٧٨ يُضْعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ
مُهَانًا ٧٩ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا
فَأُولَئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا ٨٠ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ
مَتَابًا ٨١ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ
مَرُّوا كِرَامًا ٨٢ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَجْرُوا
عَلَيْهَا صُغًا وَعُيُتَانًا ٨٣ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ
أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِمُنْفِقِينَ إِمَامًا ٨٤
أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرَّةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا حَبَّةَ
وَسَلَمًا ٨٥ خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ٨٦
قُلْ مَا يَعْبُؤُنِي بِكُرْبِيِّ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ
فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ٨٧

ما هو به ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾
أى بكل ما يجب أن يلقى ويُطرح
من قول أو فعل لا خير فيه ﴿مَرُّوا
كِرَامًا﴾ معرضين عنه منكرين
له ، لا يرضونه ولا يُمَالُون عليه
ولا يحالسون أهله . يقال : تَكْرَم
فلان عما يشينه ، أى تتره وأكرم
نفسه عنه .

٧٣ - ﴿لَمْ يَجْرُوا عَلَيْهَا صُغًا
وَعُيُتَانًا﴾ لم يسقطوا عليها صُغًا
وعُيُتَانًا ، بل أَكْبُوا عليها سامعين
مُبْصِرِينَ بِآذَانٍ وَاعِيَةٍ ، وعيونٍ
راعية ، متفتحين بها .

٧٤ - ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ ما تَقَرُّ به
أَعْيُنًا ، أى ما تُسَرُّ وتُفْرَحُ به [آية
٢٦ مريم ص ٣٩٢] ﴿إِمَامًا﴾
قدوة وحجة أو أئمة .

٧٥ - ﴿يُجْزَوْنَ الْغُرَّةَ﴾ أعلى
منازل الجنة وأفضلها .

٧٧ - ﴿مَا يَعْبَأُكُمْ ..﴾ أى أى
اعتداد يعتد بكم ربى ، لولا
عبادتكم له تعالى . يقال :
ما عِبَاتُ به ، أى ما عُدَّتْهُ من
هَمٍّ وما يكون عبئًا على ، كما
تقول : ما اكترتُ له ، أى
ما عُدَّتْهُ من كوارثي وما يُهْمُّنى .

﴿دُعَاؤُكُمْ﴾ عبادتكم له تعالى .
ثم خاطب الكافرين من عباده
بقوله : ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ
يَكُونُ﴾ جزاء التكذيب
﴿لِزَامًا﴾ عذابًا دائمًا ملازمًا
لكم . مصدر لازم ، كقاتل
قتالًا . والمرادُ به هنا : اسمُ
الفاعل . والله أعلم .

وقوام الرجل : قامته وحسن طوله . ٦٩ - ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِ﴾ لضمه معصيته إلى كفره .

٦٨ - ﴿يَلْقَى أَتَمًا﴾ جزاء الإثم وهو العقوبة . يقال : أتمه الله بأثمه إثمًا وأتَمًا ، جازاه جزاء الإثم ، فهو مأثوم ، أى مجزئ جزاء إثمه . ٧٢ - ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ..﴾ لا يحضرون الباطل ، شركا أو كذبًا أو غيرها . وأصل الزور : تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته ، حتى يُخَيَّل أنه خلاف

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

(٢٦) سُورَةُ الشُّعَرَاءِ مَكِّيَّةٌ
إِلَّا آيَةَ ١٩٧ وَ ٢٢٤ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ فَدُنِيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا ٢٢٧ نَزَلَتْ بَعْدَ الْوَاقِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ① تِلْكَ ءَايَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ② لَعَلَّكَ
بِخِعُ نَفْسِكَ ③ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ④ إِنْ نَسَا نُنَزِّلْ
عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ⑤
وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ
مُعْرِضِينَ ⑥ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِبِهِمْ أُتْبِتُوا مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِءُونَ ⑦ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أُتْبِتْنَا فِيهَا
مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ⑧ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَتْ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ⑨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ⑩
وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ⑪
قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ⑫ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ

٣ - ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾
قَاتِلُهَا وَمُهْلِكُهَا مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ
لَا سِتْمَارَهُمْ عَلَى جُحُودِ مَا جِثَّ
بِهِ . أَى اِرْحَمَهَا وَأَشْفِقْ عَلَيْهَا [آيَةُ
٦ الْكَهْفِ ص ٣٧٥] .

٤ - ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا
خَاضِعِينَ﴾ أَى فَتَظَلَّ جَمَاعَتُهُمْ أَوْ
رُؤَسَاؤُهُمْ خَاضِعِينَ لَهَا مُتَقَادِينَ .
يُقَالُ : جَاءَنِي عُتْقٌ مِنَ النَّاسِ -
بِضْمٍ فَسَكُونُ وَبِضْمَتَيْنِ - ، أَى
جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ ، أَوْ رُؤَسَاؤُهُمْ
وَالْمُقَدَّمُونَ فِيهِمْ . وَقِيلَ لَهُمْ أَعْنَاقُ
كَمَا قَبِيلٌ وَجَوْهٌ وَصُدُورٌ . أَوْ
الْأَعْنَاقُ جَمْعُ عُتْقٍ وَهُوَ الْعَضْوُ
الْمَعْرُوفُ . وَالْمَعْنَى : فَتَظَلَّ
أَعْنَاقُهُمْ خَاضِعِينَ لَهَا مِنَ الذَّلَّةِ .
وَالْأَصْلُ : فَظَلُّوا لَهَا خَاضِعِينَ ؛
فَأَقْحَمَتِ الْأَعْنَاقُ لِبَيَانِ مَوْضِعِ
الْخُضُوعِ ، وَتُرِكَ الْجَمْعُ بَعْدَ
الْإِقْحَامِ عَلَى أَصْلِهِ . وَقِيلَ :
عَوَلَتْ مُعَامَلَةُ الْعُقَلَاءِ ؛ فَأَخْبِرْ
عَنْهَا بِجَمْعٍ مِنْ يَعْقِلُ لَمَّا أُسْنِدَ إِلَيْهَا
مَا يَكُونُ مِنْ فِعْلِ الْعُقَلَاءِ وَهُوَ
الْخُضُوعُ .

٥ - ﴿مُحَدَّثٍ﴾ مُحَدَّثٌ تَنْزِيلُهُ ،
وَمُتَجَدِّدٌ إِنْبَاءُهُمْ بِهِ .

٧ - ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا ..﴾ بَيَانٌ
لِإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْآيَاتِ التَّكْوِينِيَّةِ
بَعْدَ إِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْآيَاتِ
التَّنْزِيلِيَّةِ . أَى أَصَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ
وَتَكْذِيبِهِمْ ، وَلَمْ يَنْظُرُوا فِي
عَجَائِبِ الْأَرْضِ الزَّاجِرَةِ لَهُمْ عَنْ
ذَلِكَ ، وَالِدَاعِيَةِ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ

تعالى ! ﴿زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ صِنْفٌ
حَسَنٌ كَثِيرُ الْمَنَافِعِ . وَأَصْلُ
الْكُرْمِ : الشَّرْفُ وَالْفَضْلُ ؛ وَهُوَ
فِي كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ .
٨ - ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ ..﴾ أَى
إِنْ فِيهَا ذِكْرٌ مِنَ الْإِبْنَاتِ لِلدَّلِيلِ عَلَى
أَنْ مُنَبِّهًا قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى .
﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مَعَ
عَظَمِ الْآيَاتِ الْمَوْجِبَةِ لِلْإِيمَانِ لِفَرْطِ

تَمَادِيهِمْ فِي الضَّلَالِ . «وَكَانَ»
زَائِدَةٌ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ سَيِّوْنُهُ .
وَكُرِّرَتْ هَاتَانِ الْآيَاتَانِ فِي هَذِهِ
السُّورَةِ ثَمَانِي مَرَّاتٍ : الْأُولَى -
هَذِهِ . وَالْبَاقِيَاتُ عَقِبَ قِصَصِ
مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ وَقَوْمِ نُوحٍ وَقَوْمِ
هُودٍ وَقَوْمِ صَالِحٍ وَقَوْمِ لُوطٍ وَقَوْمِ
شُعَيْبٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ؛ لِتَنْبِيهِ كُفَّارِ
مَكَّةَ إِلَى أَنْ فِي كُلِّ قِصَّةٍ مِنْهَا عِبْرَةٌ

يَكْذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَيَصِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ
إِلَى هَرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾
قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِمَا يَنْتَنَّا ۖ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأَتَيَا
فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسَلَ
مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ
فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ
وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ
الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي
حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّهَا
عَلَى أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ
الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ
إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ ۖ أَلَا تَسْمِعُونَ ﴿٢٥﴾
قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ
الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْكُمُ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنْ
اتَّخَذَتِ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾
قَالَ أَوْلَوْجِثْنِكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ ۖ إِنْ
كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ
مُسِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٣﴾

توجب عليهم الإيمان ، وترجمهم
عن التكذيب والعصيان .

١٥ - ﴿كَلَّا﴾ حرف ردع وزجر
عن خوف القتل . أى كَلَّا لن
يقتلك قومُ فرعون ! وهو وعدٌ منه
تعالى بدفع بليَّة الأعداء عنه .
﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ نسمع ما
تقولون وما يقال لكم ؛ فننصركم
ونخذل عدوكم . أو الخطاب
لموسى وهارون ومن يتبعهما .

١٩ - ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ﴾
قتلت القبطى حين وكزته .
﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أى
الجاحدين للنعمة التى سلفت مئنا
إليك من التربية والإحسان .

٢٠ - ﴿فَعَلْنَاهَا إِذَا﴾ أى إذ
ذاك . ﴿وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ أى
الجاهلين أن هذه الوكزة تبلغ
القتل ؛ لأنى لم أتعلمه . وإنما
قصدت بها مجرد التأديب فأذت
إليه . ويقال لمن جهل شيئا وذهب
عن معرفته : ضالٌ .

٢٢ - ﴿أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾
أخذتهم لك عبيدا ؛ فكان ذلك
سببا فى وجودى عندك ، فهو نعمة
ظاهرا ونعمة باطنا . يقال :
عبدته وأعبدته ، إذا اتخذته
عبدا .

٢٤ - ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ أى إن
كنتم موقنين بشيء من الأشياء .
فهذا أولى بالإيقان ؛ لظهوره
ووضوح دليله .

٣٠ - ﴿أَوْلَوْجِثْنِكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾
أى أجمعلى من المسجونين أن

اتخذت إلهًا غيرك ولو جثث
بشيء يتبين به صدق فيما دعوتك
إليه ؟! يريد به المعجزة .

٣٣ - ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ ﴾ .. أخرج
يدَهُ من جيبِهِ بعد أن أدخلها فيه .
﴿ هِيَ بَيَاضٌ ﴾ بياضاً نورانياً ، لها
شعاع يكاد يغمى الأبصار .

٣٤ - ﴿ لِلْمَلَأِ ﴾ وجوه القوم
وسادتهم .

٣٦ - ﴿ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ أخر أمرهما
ولا تعجل بعقوبتهما . ﴿ وَأَبْعَثْ ﴾
في المدائن حاشرين ﴿ رجالاً ﴾
يجمعون لك أمهر السحرة من
أقصى البلاد [آية ١١١ الأعراف
ص ٢١٦] .

٣٩ - ﴿ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴾
حث على الاجتماع واستعجال له .

٤٤ - ﴿ بَعْزَةَ فِرْعَوْنَ ﴾ بقوته
وعظمته .

٤٥ - ﴿ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ تبتلع
بسرعة ما يموهون ويزورون به من
الخيال والحُذَعِ الباطلة [آية ١١٧
الأعراف ص ٢١٧] .

٥٠ - ﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ ﴾ لا ضرر
علينا فيما يلحقنا من عذاب الدنيا
لايماننا . مصدرُ ضارَه الأمرُ
يصوره ويضيره ضيراً وضوراً .
أي ضره .

٥٢ - ﴿ أَسْرَ بَعَادَى ﴾ أسر بهم
ليلاً ، أو في أول الليل إلى البحر
الأحمر من أرض مصر [آية ١
الإسراء ص ٣٥٨] . ﴿ أَنْكُمْ
مُتَّبِعُونَ ﴾ يتبعكم فرعون
وجنوده .

قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرُ عَلِيمٍ ﴿٣٣﴾ يُرِيدُ أَنْ
يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَاذًا تَأْمُرُونَ ﴿٣٤﴾ قَالُوا
أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَا نُؤُوكَ
يَكُلْ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ جُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ
مَعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا
تَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَأَجْرَاءُ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾
قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى
الْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَهُمْ وَقَالُوا
بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى
عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ
سِحْدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى
وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا آمَنَّا لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكَ إِنَّهُ
لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا قِطْعَانَ
أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلْبَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾
قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ
أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾
* وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴿٥٢﴾
فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ



يقال : حَذِرْ حَذْرًا - من باب
تعب - واحترز ، بمعنى استعد
وتأهب ؛ فهو حاذِرٌ وحِذْرٌ ،
والاسم منه الحِذْرُ . وقال
الرجاج : الحاذِرُ المستعدُّ ،
والحِذْرُ المتيقظُ .

٦٠ - ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾ فلحقوهم .
تقول : اتبعته ، أى تبعته ؛
وذلك إذا كان سبقك فلحقته .
﴿مُشْرِقِينَ﴾ داخلين فى وقت
الشروق ؛ من أشرق ، أى دخل
فى وقت الشروق كما أصبح
وأمسى .

٦١ - ﴿تَرَاءَى الْجَمْعَانِ﴾ رأى
كل منهما الآخر .

٦٣ - ﴿فَانْفَلَقَ﴾ انشق اثنى عشر
فرقًا .

٦٤ - ﴿وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ﴾
وقربنا هنالك فرعون وقومه من قوم
موسى حتى دخلوا على أثرهم
مداخلهم فى البحر ؛ من الزلف
وهو القرية . يقال : أزلفه أى
قربه .

٧١ - ﴿فَنَظَّلُهَا عَاكِفِينَ﴾ أى
نظل لأجلها مقبلين على عبادتها .

٧٥ - ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾
أتأملتم فعليتم أى شئ تعبدونه أنتم
وآباؤكم الأقدمون !

٨٣ - ﴿هَبْ لِي حُكْمًا﴾ كما لافى
العلم والعمل ، أستعد به للقيام
بأعباء الرسالة .

٨٤ - ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ
صِدْقٍ﴾ ثناء حسنًا وذكرًا

لَشِرْذِمَةٍ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ
حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾
وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي
إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ
قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ
رَبِّى سَيِّدِينَ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ
الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾
وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَخْبَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ
أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ
الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ
وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا
عَلَكَيْنِ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾
أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا
كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾

٥٣ - ﴿حَاشِرِينَ﴾ جامعين
للعساكر ليتبعوهم .
٥٤ - ﴿لَشِرْذِمَةٍ﴾ طائفة قليلة من
الناس بالنسبة إلى كثرة جيشه . أو
هى السفلة منهم . وجمعها
شراذم ؛ ومنه ثياب شراذم . أى
٥٦ - ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾
وإننا لجمع من عادتنا الحذر
والاحتراز والأخذ بالحزم فى
الأمر . وقُرئ (حَذِرُونَ) وهما
بمعنى واحد ؛ كما قال أبو عبيدة .

جميلًا ، وصيتًا وقبولًا في الأمم
الآخرين ، باقياً إلى يوم القيامة .
٨٧ - ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ لا تفضحني
ولا تذلي بعقابك .

٨٩ - ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ برىء من
مرض النفاق والكفر .

٩٠ ، ٩١ - ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ
لِلْمُتَّقِينَ﴾ أُذِنَتْ وَقُرِبَتْ لِلَّذِينَ
اتَّقَوْا عِقَابَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ بِطَاعَتِهِمْ
إِيَّاهُ فِي الدُّنْيَا ، بحيث يشاهدونها
من الموقف فيتهجون بأنهم من
أهلها . ﴿وُبُرْزَتِ الْجَحِيمُ
لِلْغَاوِينَ﴾ جُعِلَتْ بَارِزَةً ظَاهِرَةً
لِلضَّالِّينَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ ، بحيث
يرؤنها من الموقف فيوقنون أنهم
مواقعوها فيتحسرون ، من البروز
وهو الظهور ، وأصله من البراز
وهو الأرض الفضاء الواسعة .
والغَاوُونَ : جمعُ غَاوٍ أى ضال .
يقال : غَوَى يَغْوِي غِيًّا وَغَوَايَةً ،
ضَلَّ ؛ فهو غَاوٍ وَغَوٍ .

٩٤ - ﴿فَكُكِّبُوا فِيهَا﴾ أُلْقُوا فِيهَا
على رؤوسهم مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ إِلَى أَنْ
اسْتَقَرُّوا فِي قَعْرِهَا ، مِنْ الْكِبْكِبَةِ
وهي الإلقاء على الوجه مَرَّةً بَعْدَ
أُخْرَى .

٩٨ - ﴿تُسَوِّكُكُمْ بِسَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾ نجعلكم وإياه سواء في
استحقاق العبادة وأنتم أعجز
الخلق .

١٠١ - ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾
يَهْتَمُّ بِنَا ، مِنْ الْإِحْتِمَامِ وَهُوَ
الاهتمام . أَوْ مِنْ الْحَامَةِ وَهِيَ
الخاصة . والمراد : الصديق
الخالص .

أَنْتُمْ وَعَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ
الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ
يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾
وَالَّذِي يُمَيِّنُ لِي كُلَّ شَيْءٍ وَيُمِيزُنِي ثُمَّ يَحْكُمُ لِيَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي
خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ
بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾
وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاعْفِرْ لِأَيِّهَا
كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾
يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرْزَتِ
الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾
مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصَرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُكِّبُوا
فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾
قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لِنَظُنُّكَ
مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا
الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ
حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾

١٠٢ - ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ..﴾ ١١١ - ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾
رجعة إلى الدنيا فنؤمن بالله . أى وقد اتبعك الأرذلون جاهاً



إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٦﴾
 وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١١٧﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ نُوحَ
 الْمُرْسَلِينَ ﴿١١٨﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١١٩﴾
 إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا
 وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ
 الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * قَالُوا أَنْتُمْ
 لَكُمْ وَاتَّبِعَكَ الْأَرْدَلُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١٢٤﴾
 وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٥﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٢٦﴾
 قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهِ يَنُوحَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١٢٧﴾
 قَالَ رَبِّ إِنْ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١٢٨﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا
 وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٩﴾ فَانْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ
 فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿١٣٠﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٣١﴾
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾
 وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٣٣﴾ كَذَبَتْ عَادُ
 الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٤﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٣٥﴾
 إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٣٦﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا
 وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ
 الْعَالَمِينَ ﴿١٣٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٣٨﴾

ومالاً . أو سِفلةُ الناس أصحاب
 الصناعات الدنيئة .

١١٨ - ﴿ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ
 فَتْحًا ﴾ فاحكم بيني وبينهم حكمًا
 من عندك تهلك به المَبطل ،
 وتنتقم به ممن كفر بك ، وجحد
 توحيدك وكذب رسولك [آية ٨٩
 الأعراف ص ٢١٣] .

١١٩ - ﴿ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴾
 الموقر المملوء بالناس والدواب
 والمتاع .

١٢٨ - ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ﴾ -
 بكسر الراء - جمع ربيعة ، وهي
 المكان المرتفع من الأرض . أو
 الطريق أو الوادي أو الجبل ،
 استعير الريع للزيادة والارتفاع .
 ﴿ آيَةً ﴾ أى بناء شامخاً ، كأنه
 علم . ﴿ تَعْبَثُونَ ﴾ يبنائها إذ لم
 تكونوا محتاجين إليها ، وإنما
 بنيتموها للتفاخر بها . وقيل « آية »
 أى بُرْج حَمَامٍ ، وكانوا يبنون
 البروج فى كل ريع للهو بالحمام .
 والعَبَثُ : فعلٌ ما لا فائدة فيه .
 وفعله من باب طرب .

١٢٩ - ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ ﴾
 وتعملون حياضاً وبركاً تجمعون
 فيها مياه الأمطار كالصهاريج ،
 واحده مَصْنَعَةٌ . والمصانع أيضاً :
 المباني من القصور والحصون .

١٣٢ - ﴿ أَمَدَّكُمْ ﴾ أنعم
 عليكم .

١٣٧ - ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ
 الْأَوَّلِينَ ﴾ أى ما هذا الذى نحن
 عليه إلا عادة الأولين من قبلنا التى

درجوا عليها ، من اعتقاد أنه لا بعث بعد الموت ولا حساب .
وَقُرِئَ (إِلَّا خَلَقْتُ) بمعنى الاختلاق والكذب ؛ أى ما هذا الذى جئنا به إلا اختلاق الأولين وكذبهم .

١٤٨ - ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾
الطَّلْعُ : اسمٌ من الطلوع وهو الظهور . وأصله ثمر النخل فى أول ما يطلع ، وهو بعد التلقيح يُسَمَّى خَلَلًا ثُمَّ بَلَحًا ثُمَّ بُسْرًا ثُمَّ رُطْبًا ثُمَّ تَمْرًا . والهَضِيمُ : البانع التضييع ، أو الرطب اللين ، أو المذبذب ، أو المنهشم الذى إذا مُسَّ تَفَّتْ ، أو الداخِلُ بَعْضُهُ فى بعض ، وهو وصف للطلع المراد به التمر مجازًا لأوله إليه . والمقصود : الامتنان عليهم بأجود ما يكون عليه ثمر النخل .

١٤٩ - ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ التَّحْتُ : البرئ . يقال : نَحَتَهُ نَحْتًا ، إذا براه . والنَّحَاتَةُ : البراية . ﴿فَارِهِينَ﴾ حاذقين بنحتها ، من قره - ككرم - قراهة وقراهية ، أى حَذَقَ ، فهو فارهٌ بَيْنُ الْفُرُوهَةِ ، وجمعها فُرَةٌ . وقُرِئَ «فَرِهينَ» بمعنى «فارِهينَ» . ويل : بمعنى أشيرين بطيرين ، من قره - كفرح - أى أشير وبطير ، فهو فَرَةٌ .

١٥٣ - ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ أى الذين سُحِرُوا كثيرًا حتى غلب على عقولهم السحر .

١٥٥ - ﴿لَهَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ

وَتَخَذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٦٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٦٨﴾ وَاتَّقُوا الَّذِى أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَيْنٍ ﴿١٧٠﴾ وَجَنَّتْ وَعُيُونٌ ﴿١٧١﴾ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٢﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧٤﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٧٥﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٦﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٧﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٨﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٨١﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِى إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هُنَا ءَامِنِينَ ﴿١٨٣﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٨٤﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٨٥﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٨٦﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٨٧﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٨٨﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٩٠﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٩١﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ هَآ شَرِبَ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿١٩٢﴾ وَلَا تَمْسُوهَا سَوْءٌ

نصيكم . وفيه دليل مشروعية
قسمة المياه في الماء وغيره .

١٦٦ - ﴿أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾
متعدون في الظلم ، متجاوزون
ما أحله الله لكم إلى ما حرمه
عليكم ؛ جمع عاد . يقال :
عدا في الأمر يعدو ، جاوز الحد
وظلم .

١٦٨ - ﴿مِنَ الْقَالِينَ﴾
المتبغضين أشد البغض المنكرين
فعله ؛ جمع قال . يقال :
قلته - من باب رمى - قلتي
وقلاء ، أبغضته . والقلبي : أبلغ
البغض ، كأنه يلقى الفؤاد والكبد
ويشويهها .

١٧١ - ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي
الْقَابِرِينَ﴾ أي في الباقين في
العذاب بعد سلامة من خرج ؛
وهي امرأته . وقد هلكت فيمن
هلك من قومها لرضاها
بمعصيتهم .

١٧٢ - ﴿دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ﴾
أهلكناهم أشد إهلاك .

١٧٣ - ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾
حجارة من سجيل [آية ٨٤
الأعراف ص ٢١٢] .

١٧٦ - ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ
الْأَيْكَةِ﴾ الأيكة : العنقة تنبت
السدر والأراك ونحوهما من ناعم
الشجر ؛ كما ذكره الخليل . وهي
قرب مدائن ، وأصحابها قوم نزلوا
بها ، وأرسل إليهم شعيب عليه
السلام كما أرسل إلى أهل مدائن
فكذبوه فأهلكوا بالظلة [آية ٨٥

فَبَاخَذَكُمُ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٦٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا
نَدِيمِينَ ﴿١٦٧﴾ فَاخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٦٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٩﴾
كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ
أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٧٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا
عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧٤﴾ أَتَأْتُونَ الذَّكَرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٧٥﴾
وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ
قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٧٦﴾ قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ
الْمُخْرَجِينَ ﴿١٧٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٧٨﴾ رَبِّ
نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٩﴾ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٨٠﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٨١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٨٢﴾
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٨٣﴾ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٨٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٨٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٦﴾
إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ ﴿١٨٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٨٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ

يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٩٠﴾ أَيُّهَا النَّصِيبُ مِنْ لَكُمْ أَنْ تَشْرَبُوا فِي يَوْمِهَا ، وَلَا هَا
الماء ولكم نصيب منه ، ليس أَنْ تَشْرَبَ فِي يَوْمِكُمْ الَّذِي هُوَ



الأعراف ص ٢١٣ ، آية ٧٨
الحجر ص ٣٤٠ .

١٨١ - ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ الثاقصين لحقوق الناس في الكيل والوزن . يقال : خسر الشيء - من باب ضرب - نقصه . وأخسره مثله .

١٨٢ - ﴿وَلَا تَبْخُسُوا﴾ لا تنقصوا ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ بالميزان السوي الذي لا بخس فيه على من وزنتم له .

١٨٣ - ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ لا تفسدوا فيها أشد الإفساد بالقتل والغارة وقطع الطريق ونحو ذلك ؛ وكانوا يفعلون ذلك [آية ٦٠ البقرة ص ١٧] .

١٨٤ - ﴿وَالْجِبَلِ الْأُولِ﴾ الجبل : الأمتة من الخلق ، والجماعة من الناس ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا﴾ (١) . أي واتقوا الذي خلق الخلائق والأمم الماضية الذين

كانوا على خلقه وطبيعة عظيمة ؛ كأنها الجبال قوة وصلابة ، لا سيما عاد الذين قالوا : ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ (٢) . فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر حين عتوا عن أمره وأنتم أضعف منهم حالاً ! وأهون شيء عليه أن يأخذكم كما أخذهم . وتطلق الجبل على الخلقة والطبيعة ؛ أي وذوى الجبل الأولين .

١٨٥ - ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ

(١) آية ٦٢ يس . (٢) آية ١٥ فصلت .

عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرَى إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾

* أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾

وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ

أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا

الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّ الْأُولِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ

الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ

لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ

كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾

فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ

يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ

مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ

لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾

المُخْسِرِينَ﴾ [آية ١٥٣ من هذه السورة] .

١٨٧ - ﴿فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ قطع عذاب من السماء ؛ جمع كسفة وهي القطعة من الشيء . وقرئ «كسفا» بكسر فسكون بمعناه ؛ وهي جمع كسفة أيضاً .

١٨٩ - ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ وهي سحابة أظلمت يوماً فوجدوا لها برداً ونسيماً بعد أن

سُلط عليهم الحر أياماً ؛ فاجتمعوا تحتها فأنهبها الله عليهم ناراً ، ورجعت بهم الأرض فاحترقوا جميعاً .
١٩٣ - ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ هو رُوح القدس الأمين على الوحى : جبريل عليه السلام .
١٩٦ - ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيرُ الْأُولِينَ﴾ أى وإن نعت القرآن والإخبار عنه بأنه صدق وحق . وأنه من عند الله ، وأنه ينزل على محمد

عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ
مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَنَفِي ذُرِّ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ
آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ
عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾
لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيهِمْ
بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾
أَفِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ
سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَى
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَنِعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا هَا
مُنْذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا نَنْزِلُ بِهِ
الْشَّيْطَانُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنْصِيحِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾
إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ
إِلَهَاءَ أَنْتَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ
الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ

به ، ولتمحلوا لجحودهم عذراً ،
ولسمّوه سحراً . جمع أعجم ،
وهو الذي لا يفصح وفي لسانه
عجمة وإن كان عربى اللّسب . أو
جمع أعجمي . إلا أنه حذف منه
ياء اللّسب تخفيفاً ، كأشعرين
جمع أشعري [آية ١٠٣ النحل
ص ٣٥٦] .

٢٠٠ - ٢٠١ - ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾
في قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿﴾ أى على
مثل هذه الحال وهذه الصفة من
الكفر بالقرآن والتكذيب له ،
وضعناه ومكّناه في قلوب
المجرمين . فكيفما فعل بهم
وضّيع ، وعلى أى وجه دُبر أمرهم
فلا سبيل إلى أن يتغيروا عما هم
عليه من جحوده وإنكاره .
وقوله : ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ..﴾
توضيح لما قبله ، أى أنهم لا يزالون
على جحوده والتكذيب به ، حتى
يعاينوا الوعيد ، وعندئذ لا
ينفعهم الإيمان به .

٢٠٢ - ﴿فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً﴾ فجأة
من غير توقّع وانتظار .

٢٠٣ - ﴿هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾
ممهلون لنؤمن ؟ كلا .

٢٠٥ - ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ أخبرني ﴿إِنْ
مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ طويلاً ، بطول
العمر وطيب العيش .

٢٠٦ - ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا
يُوعَدُونَ﴾ به من العذاب .

٢٠٧ - ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ﴾ أى
أى شيء أغنى عنهم ﴿مَا كَانُوا
يَمْتَنِعُونَ﴾ أى تمنعهم ذلك التمتع

صلى الله عليه وسلم لمثبت في كتب
الأنبياء السابقين ، جمع زبور
[آية ١٨٤ آل عمران ص
١٠٣] .
١٩٨ - ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ
الْأَعْجَمِينَ﴾ أى ولو نزلنا القرآن
على رجل من الأعجمين لا بقدر
على التكلم بالعربية ، ولا يتصور
اتهامه باكتسابه واختراعه
لعجمته - بهذا النظم الرائع
المعجز ، فقرأه عليهم قراءة
صحيحة خارقة للعادة - لكفروا

[آية ٤٠ الأنعام ص ١٧٤ .

٢١٠ - ﴿وَمَا تَسْزِلُ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ كما يزعم المشركون أن لمحمد صلى الله عليه وسلم تابعا من الجن يخبره كما تخبر الكهنة . وأن القرآن مما ألقاه إليه .

٢١٣ - ﴿فَلَا تَدْعُ...﴾ الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمقصود أمته .

٢١٤ - ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ جهرا . ولما نزلت صعد صلى الله عليه وسلم على الصفا وأنذرهم كما أمر .

٢١٥ - ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ إلن جانبك وتواضع .

٢١٩ - ﴿وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ أى ويرى سبحانه تغييرك من حال كالجُلوس والسجود ، إلى حال كالقيام فيما بين المصلين إذا أُمَّتْهُمْ .

٢٢٢ - ﴿أَفَاكِ أُنِيمِ﴾ كذاب كثير الإثم ؛ كالكهنة والمتنبئين .

٢٢٤ - ﴿وَالشُّعْرَاءِ﴾ أى شعراء الكفار الذين كانوا يهجون الرسول صلى الله عليه وسلم ويقولون فيه الكذب والباطل . وكذلك من على شاكلتهم من الشعراء الذين يخوضون فى الباطل ويكذبون ويمزقون الأعراض ، وينشرون المثالب ويقدحون فى الأنساب ،

ويقرطون فى المدح والقدح - ﴿يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ أى غواة الناس ؛ فيروون أشعارهم

الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرْسُكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَمِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

(٢٧) سُورَةُ النَّمْلِ مَكِّيَّةٌ

وآياتها ٩٣ نزلت بعد سورة الشعراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ تِلْكَ آيَةُ الْقُرْآنِ وَإِنْ كِتَابٌ مِّبِينٌ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ

سُورَةُ النَّمْلِ

ويستحسنون قبايحهم ويحسنون

١ - ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ...﴾

٢٢٥ - ﴿يَهَيِّمُونَ﴾ يخوضون . بين الله أن آيات هذه السورة من القرآن المنزل والكتاب المبين : هُدًى وبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ؛ وَعَظْفُ

الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٣﴾
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ
الْأَخْسَرُونَ ﴿٤﴾ وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى الْفَرُءَانَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ
عَلِيمٍ ﴿٥﴾ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا
سَعَاتِيكُمْ مَتَى يَخْبِرُ أَوْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ
تَصْطَلُونَ ﴿٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ
وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧﴾ يَمْوَسَّى
إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَاللَّيَّ عَصَاكَ فَلَمَّا

الكوكب والعُود المُوقد .
والقَبَسُ : ما يُقْبَسُ من النار في
رأس عود أو قصبه ونحوها ، وهو
بدلٌ من (شهاب) ، أو صفة له
على تأويله بالمقبوس . وقُرئ
بالإضافة وهي بمعنى من ؛ كما في
خاتم فضة . ﴿لَعَلَّكُمْ
تَصْطَلُونَ﴾ رجاء أن تستدفئوا بها
من البرد . والاصطلاء : الدُّفْوُ
من النار لتسخين البدن . وهو
الدَّفء . يقال : اصطلى
يصطلى ، إذا استدفأ ، والطاء فيه
مبدلة من تاء الافعال .

٨ - ﴿بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ
حَوْلَهَا﴾ قُدِّسَ وَطُهِرَ واختير
لِلرَّسَالَةِ مَنْ فِي مَكَانِ النَّارِ ، وهو
موسى عليه السلام ومن حوله
مكانها . وهم الملائكة
الحاضرون . والمكان : هو البقعة
المباركة المذكورة في قوله تعالى :
(مَنْ شَاطِئُ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي
الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ) (٢) . وهو ناحية
من الله تعالى لموسى ، كما حبا
إبراهيمَ عليهما السلام على السَّنة
الملائكة حين دخلوا عليه بقولهم :
(رَحِمَهُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ
الْبَيْتِ) (٣) . وأصلُ البركة :
ثبوتُ الخير الإلهي في الشيء .
والخيرُ هنا : تكليمُ الله موسى
وإرساله وإظهارُ المعجزات له .
والنَّارُ : النورُ ؛ كما رُوِيَ عن الخير
رضي الله عنه . ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾
نزه الله نفسه عن كل سوء ونقص
ومماثلة للحوادث . وهو من تَمَنَّة
النداء . وخبرٌ منه تعالى لموسى

اشتملت هذه السورة على خمس
قصص : قصة موسى ، وقصة
النمل ، وقصة بلقيس (١) ، وقصة
صالح . وقصة لوط . ثم على
خمس أدلة : على التوحيد وإبطال
الشرك ، ثم على التنديد بمنكري
البعث ، ثم على اليوم الآخر وما
يصيب المشركين فيه من الهول
والعذاب ، ثم على الأمر بعبادة
الله وحده . ﴿آنَسْتُ نَارًا﴾
أبصرت من بُعدٍ نارا . يقال :
آنس الشيء ، أبصره وعلمه
وأحسن به . ﴿بِشَهَابٍ قَبَسٍ﴾
بشعلة نار مقبوسة ؛ أي مأخوذة
من أصلها . والشَّهابُ في
الأصل : كلُّ أبيض ذي نور نحو

الكتاب على القرآن كعطف إحدى
الصفتين على الأخرى . ووصف
المؤمنين بثلاث صفات جامعة بين
خيرى الدنيا والآخرة . ثم بين
بعدها سوء عاقبة الكافرين .

٢ - ﴿هُدًى﴾ هادٍ من
الضلالة .

٤ - ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ حَبَّأَ
إليهم أعمالهم السيئة بما ركبنا فيهم
من الشهوات حتى رأوها حسنة
وسهلنا عليهم وسائلها ومبادياها .

﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ أى يَعمَونَ عن
الرشد . أو هُمْ في تيه الضلال
يترددون [آية ١٥ البقرة ط]

٧ - ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ﴾

(١) بلقيس - بكسر الباء والقاف - : ملكة سبأ . (٢) آية ٧٣ مود . (٣) آية ٣٠ القصص . (٤) آية ٧٣ مود .

بالتزويه ؛ لئلا يتوهم من سماع كلامه تعالى التشبيه بما للبشر .

١٠ - ﴿ تَهْتَزُّ ﴾ تتحرك بشدة واضطراب . ﴿ كَانَهَا جَانٌ ﴾ أى كأنها فى شدة حركتها واضطرابها مع عظم جثتها : حية صغيرة سريعة الحركة . وقال الطبرى : الجان الحية العظيمة . ﴿ وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ أى لم يرجع على عقبه ؛ من عقب المقاتل : إذا كثر بعد الفرار .

١٢ - ﴿ وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾ أى أدخل يدك اليمنى فى طوق قميصك - وهو مدخل الرأس منه المفتوح إلى الصدر - وضعها تحت عضدك الأيسر ؛ وكان الذى عليه يومئذ مذرعة من صوف لا كُم لها . ﴿ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ أى داء برص [آية ٢٢ طه ص ٤٠٠] . ﴿ فَبِئْسَ آيَاتُ ﴾ أى آية معدودة من جملة تسع آيات [آية ١٠١ الإسراء ص ٣٧٣] .

١٣ - ﴿ جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً ﴾ واضحة بيّنة . وإسناد الإبصار إلى الآيات مجاز . من الإسناد إلى السبب . والمبصر حقيقة هم المتأملون فيها . وهم إنما يُبصرونها بسبب تأملهم فيها .

١٤ - ﴿ ظَلَمَّا ﴾ للآيات حيث أنزلوها عن منزلتها الرفيعة وسموها سحرا . ﴿ وَعُلُّوْا ﴾ أى ترفعا واستكبارا عن الإيمان بها .

١٦ - ﴿ عَلَّمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ ﴾ فهم ما يريد كل طائر إذا صوّت ؛

رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَّى يُعَقِّبُ يَلْمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلِمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأَوْثِنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَإِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحَشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنْ الْإِنسِ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾

وهو إحدى معجزاته عليه كوضعه وضعا . أى كفه عنه فاتزع . أى فانكف . ومنه

١٧ - ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ أى تُحْبَسْ أوثانهم وتُمنع من السير حتى يلحقهم أواخرهم ؛ فيكونون مجتمعين لا يتخلف منهم أحد . وذلك للكثرة العظيمة ؛ من الوزع وهو الكف والمنع . يقال : وزعه عن الظلم وزعا -

١٨ - ﴿ لَا يَخْطِئُكُمْ ﴾ أى لا تكونوا حيث أنتم فيحطمكم جنود سليمان ؛ على حد : لا

عليه وسلم حين تكلم معه وشهد له
بالرسالة . ونطقت معجزة له عليه
السلام .

١٩ - ﴿أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ﴾ اللهمني شكر نعمتك
بالثبوة والملك والعلم ، من الوزع
وهو الكف والمنع . أى كفى عما
يؤدى إلى كفران النعمة بأن تلهمني
ما به تقيدها من الشكر . أو
اجعلني أزغ شكر نعمتك ، أى
أكفه وأرتبطه بحيث لا ينفلت عني
حتى لا أنفك شاكراً لك . وهو
محاز عن ملازمة الشكر والمداومة
عليه . أو رغبني ووقفني إلى شكر
نعمتك ، من أوزعه بالشىء .
أغراه ، فأوزع به فهو موزع أى
مغرى به .

٢١ - ﴿يَسْأَلُكَ مِثْنِ﴾ بحجة
تبين عذره في غيابه .

٢٢ - ﴿أَحْطْتُ﴾ أى بطريق
الإلهام . ﴿مِنْ سَيِّءٍ﴾ هو فى
الأصل اسم لسيئ بن يشجب بن
يعرب بن قحطان . ثم صار اسماً
لحى من الناس سُموا باسم أبيهم .
أو اسم للقبيلة . أو لمدينة تعرف
بمأرب باليمن بينها وبين صنعاء
مسيرة ثلاث ليال . وعلى الأول
هو اسم مصروف . وعلى الثانى
ممنوع من الصرف للعلمية
والتأنيب .

٢٣ - ﴿أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ﴾ هى
بلقيس بنت شراحيل من نسل
يعرب بن قحطان . وكان أبوها
ملك اليمن كلها . وكانوا مجوساً
يعبدون الشمس . ﴿وَلَهَا عَرْشٌ

حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأْتِيهَا النَّمْلُ
أَدْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزَعْنِي
أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾
وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنْ
الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَا عَذِيبَتُهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْبَحْنَهُ
أَوْ لِيَأْتِنِي سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿٢١﴾ فَكَثَّ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
أَحْطْتُ بِمَا لَهُمُ نَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ بَنِيَّ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾
إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا
عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدَتْهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فُصَدَّهُمْ عَنِ
السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ
الْحَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا
تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾
* قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾

أَرَيْتَ ههنا ، أى لا تحضر هنا . يحطمه ، كسره . فانحطم
بحيث أراك . والمراد من وتحطم . وقد علمت النملة أن
الحطم : الإهلاك ، وأصله الآتى هو سليمان بطريق الإلهام ،
كسر الشىء . يقال : حطمته . كما علم الضب رسول الله صلى الله



عَظِيمٌ ﴿ هُوَ سَرِيرُ الْمَلِكِ الْمَشَارِ
إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « أَتَيْكُمْ يَأْتِينِي
بِعَرْشِهَا » .

٢٥ - ﴿ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ﴾ . أَيْ
وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ لِأَجْلِ
أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .
﴿ يُخْرِجُ الْخَبَاءَ ﴾ يُظْهِرُ الشَّيْءَ
الْمُخْبِئَ ﴿ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
كَائِنًا مَا كَانَ ؛ مِنْ غَيْثٍ فِي
السَّمَاءِ ، وَنَبَاتٍ فِي الْأَرْضِ ،
وَأَسْرَارٍ فِي الْكَائِنَاتِ ، وَخَوَاصِّ
فِي الْمَوْجُودَاتِ ؛ يَهْدِي إِلَيْهَا مِنْ
بِشَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ ، أَفْرَادًا وَأُمَمًا عَلَى
تَعَاقُبِ الْعُصُورِ . وَالْخَبَاءُ فِي
الْأَصْلِ : مُصَدَّرُ خَبَأْتُ الشَّيْءَ
أَخْبَوْتُهُ خَبَأً . أَيْ سَتَرْتُهُ . ثُمَّ أُطْلِقَ
عَلَى الشَّيْءِ الْمُخْبِئِ ؛ كَمَا طُلِقَ
الْحَلْقُ عَلَى الْمَخْلُوقِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :
(هَذَا خَلْقُ اللَّهِ) (١)

٢٨ - ﴿ تَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ تَنَحَّ عَنْهُمْ
قَلِيلًا .

٢٩ - ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ ﴾ الْمَلَأُ :
أَشْرَافُ الْقَوْمِ . ﴿ كِتَابُ كَرِيمٍ ﴾
مَكْرَمٌ مُعْظَمٌ لِكُونِهِ مَخْتُومًا . وَفِي
الْأَثَرِ : كَرَامَةُ الْكِتَابِ خَشْمُهُ .
وَذَكَرْتُ لَهُمْ مَا تَضَمَّنَتْهُ .

٣١ - ﴿ أَلَا تَعْلَمُوا عَلَيَّ ﴾ أَلَا
تَتَكَبَّرُوا عَلَيَّ .

٣٣ - ﴿ وَأَوَّلُوا بِأَسَى شَدِيدٍ ﴾
أَصْحَابُ نَجْدَةٍ وَشَجَاعَةٌ وَبَلَاءٌ فِي
الْحَرْبِ .

٣٤ - ﴿ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً
أَفْسَدُوهَا ﴾ أَيْ إِذَا دَخَلُوهَا عَثْوَةً
فِي حَرْبٍ خَرَّبُوهَا وَاتْلَفُوهَا .

(١) آية ١١ لقمان .

أَذْهَبَ يَكْنِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ
مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿ ٢٨ ﴾ قَالَتْ يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ
إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ ﴿ ٢٩ ﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ ٣٠ ﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿ ٣١ ﴾
قَالَتْ يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرٍ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً
أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿ ٣٢ ﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوَّلُوا قُوَّةً وَأَوَّلُوا بِأَسَى
شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿ ٣٣ ﴾ قَالَتْ إِنَّ
الْمَلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا
أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿ ٣٤ ﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ
فَنَاطِرَةٌ بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿ ٣٥ ﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ
أُمِّدُونَنِي بِمَالٍ فَوَّاءَ اتَّسَّاءَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ
بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿ ٣٦ ﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ
لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿ ٣٧ ﴾
قَالَ يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُ أَتَيْكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي
مُسْلِمِينَ ﴿ ٣٨ ﴾ قَالَ عَفَرْتُ مِنْ آلِجَنِّ أَنَا أَتَيْتُكَ بِهِ

٣٧ - ﴿ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ ﴾ أَيْ إِلَى
بَلْقَيْسَ وَقَوْمِهَا بِمَا أَتَيْتَ مِنْ
الْهَدِيَّةِ . ﴿ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا ﴾ لَا
قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى مُقَابَلَتِهَا وَمَقَاوِمَتِهَا .

٣٨ - ﴿ أَتَيْكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾
وَكَانَ بَيْنَ سَبَأَ وَبَيْتِ الْمَقْدَسِ -
حَيْثُ مُلْكُ سُلَيْمَانَ - مَسِيرَةٌ
شَهْرَيْنِ ؛ وَقَدْ طَلَبَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ

قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾
 قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ
 أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا
 مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ؕ أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ ۚ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا
 يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾
 قَالَ نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرُ أَتَهْتَدِينَ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ
 لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ
 كَأَنَّهُ هُوَ ۖ وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِّن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾
 وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ
 كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۚ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ
 لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مَُّرَدٍّ مِّنْ
 قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ
 لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ

علماً : اسمه آصف بن برخيا وكان
 وزير سليمان عليه السلام . وقيل :
 هو سليمان نفسه . قال ذلك
 للعفريت ، للدلالة على شرف
 العلم وفضله . وأن هذه الكرامة
 كانت بسببه . ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ ۖ﴾
 هو تمثيل لسرعة الإتيان به على نحو
 خارق للعادة في أقل مسافة .
 ﴿طَرْفُكَ﴾ نظرك . أو جفن
 عينك بعد فحه . ﴿لِيَبْلُوَنِي﴾
 ليختبرني ويمتحنني . ﴿أَشْكُرُ﴾
 نعماءه . ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ أترك
 شكرها .

٤١ - ﴿قَالَ نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾
 أى قال سليمان . وقد أتى له
 بالعرش : غيروه عما كان عليه من
 الهيئة والشكل . إلى حالٍ تُنكرُ
 إذا رآته . من التكرير ضد
 التعريف ، وهو جعل الشيء
 بحيث لا يُعرف .

٤٢ - ﴿وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ
 قَبْلِهَا ۖ﴾ هو من كلام سليمان -
 على الأرجح - ، وآخراً : «مِنْ
 قَوْمٍ كَافِرِينَ» ، قاله ثناءً على الله
 تعالى وتحدثاً بنعمته . أى أنها وإن
 هُديت إلى العلم بجلال الله
 وقدرته ، وصدق الرسالة
 والمعجزة وإلى الإسلام ، لكننا
 أوتينا العلم من قبل أن تؤتى هي
 العلم . وكُنَّا مسلمين من قبل أن
 تُسلم . والجملة معطوفة على
 مقدّر ، أى فقد أصابت في
 الجواب وعرفت الحق ، وأوتينا
 العلم من قبلها .

السلام إحصار عرشها ليربها
 القدرة الإلهية ، وبعض ما خصه
 الله من العجائب ، ويشهداها
 دلائل النبوة والصدق : ﴿يَا تُورِي
 مُسْلِمِينَ﴾ مستسلمين طاعينين .
 وقد وقع ذلك كما يدل عليه قوله
 تعالى : «وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ
 رَبِّ الْعَالَمِينَ» .
 ٣٩ - ﴿قَالَ عِفْرِيْتُ مِنَ الْجِنِّ﴾
 أى ماردٌ قوى من الشياطين . وقد
 سَحَرُوا سليمان عليه السلام تسخيراً
 إلهياً ، كما يُسَحَرُ الإنسان
 للإنسان . ويقال للشديد إذا كان
 فيه خُبث ودهاء : عِفْرِيْتُ وَعِفْرُ
 وَعِفْرِيَّةٌ وَعِفْرَارِيَّةٌ .
 ٤٠ - ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْ
 الْكِتَابِ﴾ هو رجلٌ من صلحاء
 بني إسرائيل . آتاه الله من لدنه

٤٤ - ﴿ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ أى صَرْحُ الْقَصْرِ . وَالصَّرْحُ : الصَّخْنُ وَالسَّاحَةُ . يقال : هذه صرحة الدَّارِ ؛ أى ساحتها وعرضتها . وَكَانَ قَدْ صُنِعَ مُسْتَوِيًّا أَمْلَسَ ، وَاتَّخَذَ بِلَاطُهُ مِنْ زُجَاجٍ صَافٍ كَالْبَلُّورِ . يُرَى مَا يَجْرِي تَحْتَهُ مِنَ الْمَاءِ . ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ ظَنَّتْهُ مَاءً غَزِيرًا كَالْبَحْرِ . ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ أى مُمْلَسٌ ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ : شَجَرَةٌ مُرْدَاءٌ ، إِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا وَرَقٌ . وَالتَّمْرِيدُ فِي الْبِنَاءِ : التَّمْلِيسُ وَالتَّسْوِيَةُ ؛ وَمِنْهُ الْأَمْرُ دَلَمَاسَةً وَجْهَهُ وَنَعُومَتُهُ لِعَدَمِ وَجُودِ الشَّعْرِ بِهِ . ﴿مِنْ قَوَارِيرٍ﴾ مِنْ زُجَاجٍ لَا يَحْجُبُ مَا وَرَاءَهُ ؛ جَمْعُ قَارُورَةٍ .

٤٥ - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ﴾ أى إِلَى الْقَبِيلَةِ ، وَتَسْمَى عَادًا الثَّانِيَةَ . وَأَمَّا عَادُ الْإِوَلَى فَهُمْ قَوْمُ هُودَ . وَبَيْنَهُمَا عَلَى مَا قِيلَ نَحْوُ مِائَةِ عَامٍ .

٤٧ - ﴿قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ﴾ أى قَالَ الْكَافِرُونَ مِنْ قَوْمِهِ لَجَهْلِهِمْ : أَصَابَنَا الشُّومُ وَالتَّحَسُّ بِكَ ﴿وَيَمْنُ مَعَكَ﴾ فِي دِينِكَ ؛ حَيْثُ تَوَالَتْ عَلَيْنَا الشَّدَائِدُ مِنْذُ جِئْتَ بِمَا جِئْتَ بِهِ . وَكَانَ الْعَرَبُ أَكْثَرَ النَّاسِ طَيْرَةً ؛ فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُهُمْ سَفَرًا مِثْلًا زَجَرَ طَائِرًا فَإِذَا طَارَ يَمْنَةً تَيَامُنًا ، وَإِذَا طَارَ يَسْرَةً تَشَاءَمَ ؛ فَنَسُوا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ إِلَى الطَّائِرِ ، وَاسْتَعِيرَ لَمَّا كَانَ سَبَبًا لَهَا ؛ وَهُوَ قَدَّرَ اللَّهُ أَوْ عَمِلَ الْعَبْدُ الَّذِي هُوَ سَبَبُ الرَّحْمَةِ أَوِ الثَّقَمَةِ .

صَالِحًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُ لِمَنْ نَسْتَعِجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا نَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَيَمْنُ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْسِنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ نِسْعَةٌ رَهْطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾

أشخاص من رؤسائهم ؛ وهم الذين سَعَوْا فِي عَقْرِ النَّاقَةِ [آيَةُ ٩٢ هُودُ ص ٢٩٨] .

٤٩ - ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ أى قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : احْلِفُوا بِاللَّهِ ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ لَنَأْتِيَنَّهُ بَغْتَةً فِي اللَّيْلِ فَتَقْتُلُهُ هُوَ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ ؛ مِنَ الْبَيَاتِ وَهُوَ مَبَاغَتُهُ الْعَدُوَّ لَيْلًا . يُقَالُ : بَيَّتَ الْقَوْمَ الْعَدُوَّ ، إِذَا أَوْقَعُوا بِهِ لَيْلًا . ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ مَا حَضَرْنَا هَلَاكَهُمْ ، أى وَهَلَاكَه ؛ مُصَدَّرٌ كَمَرْجِعَ ، مِنْ هَلَكَ الثَّلَاثُ . وَفُتِحَ الْيَمُّ بِضَمِّ الْيَمِّ وَفُتِحَ الْإِلَامُ ؛ أى إِهْلَاكَهُمْ وَإِهْلَاكَه ، مِنْ أَهْلَكَ الرَّبَاعِي .

٥٠ - ﴿وَمَكْرُؤًا مَكَرًا﴾ ذَبْرْنَا لَصَالِحٍ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ تَدْبِيرًا عَمُودًا . وَهُوَ نَجَاتُهُمْ وَمَجَازَاةُ

وَفِي الْقُرْطُبِيِّ : وَلَا شَيْءَ أَضُرُّ بِالرَّأْيِ ، وَلَا أَفْسَدُ لِلتَّدْبِيرِ مِنْ اعْتِقَادِ الطَّيْرِ ؛ وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ خَوَارَ بَقَرَةٍ ، أَوْ نَعِيبَ غُرَابٍ يَرُدُّ قَضَاءً أَوْ يَدْفَعُ مَقْدُورًا فَقَدْ جَهِلَ . فَلَمَّا قَالُوا ذَلِكَ ﴿قَالَ﴾ لَهُمْ صَالِحٌ ﴿طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أى سَبَبُ مَا يَصِيبُكُمْ مِنَ الشَّرِّ قَدَّرَ اللَّهُ . أَوْ عَمَلُكُمْ السَّبِيُّ مَكْتُوبٌ عَلَيْكُمْ عِنْدَهُ تَعَالَى . ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ تُخْتَبَرُونَ بِتَعَاقُبِ السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ؛ لِتَنْتَبِهُوا إِلَى أَنَّ مَا يَنَالُكُمْ مِنْ حَسَنَةٍ بِفَضْلِ اللَّهِ ، وَمَا يَصِيبُكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَبِشُومِ أَعْمَالِكُمْ . أَوْ يَفْتَنُكُمْ الشَّيْطَانُ بِوَسْوَستِهِ إِلَيْكُمْ الطَّيْرَةَ .

٤٨ - ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ وَهِيَ الْحِجْرُ . ﴿نِسْعَةٌ رَهْطٌ﴾ تِسْعَةٌ



فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِمِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ
 أَجْمَعِينَ ﴿٥٧﴾ فَلَئِكَ بَيُّوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٨﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا
 يَتَّقُونَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ
 تُبْصِرُونَ ﴿٦٠﴾ أَيْسَرُ لَنَا تَوْحِيدُ الرَّجَالِ شَهْوَةً مِنْ دُونِ
 النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّجْهَلُونَ ﴿٦١﴾ * فَمَا كَانَ جَوَابَ
 قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوآءَ آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ
 أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٦٢﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ
 قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ
 مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٦٤﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ
 الَّذِينَ اصْطَفَى ؎ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ أَمَّنْ خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا
 بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا
 ؎ أَلَمْ يَجْعَلْ

المتأمرين عليهم من قومهم ، تبالون إظهارها مجانة .

٥٦ - ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ﴾ أي لوطاً وأهله ، كما يراد من بني

آدم : آدم وبنوه . أو المراد بآل لوط : من أتبع دينه ، ويعلم منه

إخراجه بالأولى . ﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ يتنزهون ويتباعدون عن أفعالنا .

٥٤ - ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ لا

قال ذلك على سبيل الاستهزاء .

٥٧ - ﴿قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ قدرنا كونها من الباقيين في العذاب

[آية ٨٣ الأعراف ص ٢١٢] .

٥٨ - ﴿مَطَرًا﴾ حجارة من السماء مهلكة .

٥٩ - ﴿اللَّهُ خَيْرٌ﴾ الألف منقبة

عن همزة الاستفهام : أي الله

الذي ذكرت شئونه العظيمة

خير . أم الذي يشركونه به من

الأصنام ؟! أو أعبادة الله خير أم

عبادة ما يشركونه ؟

٦٠ - ﴿أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضَ ...﴾ في هذه الآية

والآيات الأربع التالية خمسة أدلة

على انفرادة تعالى بالخلق

والإيجاد ، والتصرف والتدبير ،

فلا إله غيره . ولا يستحق العبادة

سواه . وقد عقب كل دليل

بقوله : «إِلَهُ مَعَ اللَّهِ» ! أي

أغيره يقرب به سبحانه ! ويجعل

شريكاً له في العبادة ، مع تفرده

تعالى بالخلق والتكوين ؟!

والإنكار للتوحيخ والتبكيث .

﴿حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ بساتين

ذات منظر حسن ، ورواق يسر

الناظرين . جمع حديقة . وهي

في الأصل البستان الذي عليه

حائط ، من أحرق بالشئ : إذا

أحاط به ، فإن لم يكن محوطاً

فليس بحديقة ، ثم توسع فيها

فاستعملت في كل بستان وإن لم

يكن محوطاً بحائط . ﴿بَلْ هُمْ

قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ أي يعدلون عمداً

عن الحق الواضح وهو التوحيد ،

إلى الباطل البين وهو الشرك ؛ من العدول بمعنى الانحراف . أو يساوون بالله تعالى غيره من آلهتهم ؛ من العدل بمعنى المساواة .

٦١ - ﴿الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ مستقرًا بالدَّخْو والتسوية . ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي﴾ جبالاً ثوابتْ ثَمَكُهَا من التحرك والاضطراب . ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ بَرْزَخًا فاصلاً من الأرض بين العذب والملح ، حتى لا يَبْغِي أحدهما على الآخر .

٦٣ - ﴿يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا﴾ مُبَشِّرَاتٍ بِالْعَيْثِ [آية ٥٧ الأعراف ص ٢٠٩] . ﴿رَحْمَتِهِ﴾ المطر الذي به نجيا الأرض .

٦٤ - ﴿هَآئُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ حَجَّتْكُمْ عَلَى أَنْ مَعَهُ تَعَالَى إِلَهًا آخَرَ ، أَوْ أَنْ صَانِعًا يَصْنَعُ صُنْعَهُ .

٦٥ - ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ وَقْتِ السَّاعَةِ وَالْحُجُوعِ عَلَيْهِ فِي السُّؤَالِ ؛ فَتَرَلَّتِ الْآيَةُ . أَيْ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مِمَّنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ، أَيْ لَكِنْ اللَّهُ وَحْدَهُ يَعْلَمُهُ ، فَالَكُمْ تَطْلُبُونَ مِنِّي عِلْمَ الْغَيْبِ !

٦٦ - ﴿بَلْ إِذَا دَرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ التَّادِرُكُ : الِاضْمِحْلَالُ وَالْفَنَاءُ . وَأَصْلُهُ التَّابِعُ وَالتَّلَاحِقُ . يُقَالُ : تَدَارَكَ بَنُو فُلَانٍ ، إِذَا تَتَابَعُوا فِي الْهَلَاكِ .

الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَآئُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلْ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَنِنَا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ

و« في » بمعنى الباء ؛ أى بل تتابع علمهم في شئون الآخرة التي منها البعث ، حتى اضمحل وفنى ، ولم يبق لهم علمُ شَيْءٍ مما سيكون فيها قطعاً ؛ مع توافر أسبابه ومباده من الدلائل . والمراد : أن أسبابَ عِلْمِهِمَ بِهَا مع توافرها قد تساقطت عن درجة اعتبارهم ؛ فأجرى ذلك مُجْرَى تَتَابُعِهَا فِي الْإِنْقِطَاعِ . ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ أى بل هم في شكٍ عظيمٍ من نفس الآخرة وتحققها ، فضلاً

٧٠- ﴿فِي ضَيْقٍ﴾ حرج وضيق صدر.

٧٢- ﴿عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفٌ لَّكُم﴾ الرَدِف : ما تبع الشيء ولحقه . يقال : رَدِفْتُ فلاناً ورَدِفْتُ له ، أى صِرتُ له رَدِفًا ، يتعدى بنفسه وباللام ، كما في نصحه ونصح له ، وشكره وشكر له . أى عسى أن يكون لحقكم ووصل إليكم بعض العذاب الذى تستعجلون حلوله .

٧٤- ﴿مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ ما تخفى وتستتر من الأسرار .

٧٥- ﴿غَائِبَةٍ﴾ شئ يغيب ويخفى عن الخلق .

٨٢- ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أى دنا وقوع ما نطقت به الآيات الكريمة من مجيء الساعة وأهوالها . ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ﴾ فى آخر الزمان ، وهى من أشراط الساعة الكبرى . والله أعلم بحقيقتها . والدَّابَّةُ لغة : اسم لما دبَّ من الحيوان ، مُمَيَّزَةٌ وغير مُمَيَّزَةٍ . ﴿تُكَلِّمُهُم﴾ تخبرهم ﴿أَنَّ النَّاسَ﴾ المنكرين للبعث ﴿كَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ أى بالآيات المُرَّةِ من عند الله بمجىء الساعة لا محالة ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾ بصدقها ، وهامى ذى قد أصبحت بأهوالها منهم قاب قوسين أو أدنى .

٨٣- ﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ بيان لُطُف من أهوال يوم

كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٧٠﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧١﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧٢﴾ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفٌ لَّكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ نَبِيِّ إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٩﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٨٠﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨١﴾ وَمَا أَنتَ بِهْدَىٰ الْعَمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٢﴾ * وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٣﴾

٦٧- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهم عمون ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا﴾ عنى عن دلائلها ، أو عن كل ما يوصل إلى الحق ومنها هذه الدلائل .

٦٨- ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أباطيلهم التى سطروها فى كتبهم .



القيامة . أى واذكر يومَ نَجْمُ من كل أمةٍ جماعةٌ كثيرةٌ مكذبةٌ بآياتنا ، وهم الرؤساء والقادة . وأصلُ الفُوج : الجماعة المارة بسرعة ، ثم أطلق على كل جماعة وإن لم يكن مرورٌ ولا إسرارٌ ، وجمعه أفواج . ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [آية ١٧ من هذه السورة] .

٨٧ - ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ واذكر هذا اليومَ العظيمَ الشأن . والصُّورُ : القرن الذى يُنفخ فيه نفخة الصَّعَق والبُعْث ، قال تعالى : (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) ^(١) . ونحن نؤمن بالصُّور ونفوض علمَ حقيقته إلى علام الغيوب . والمراد هنا : النفخة الثانية . والفرعُ الحاصلُ فيها : هو الرُّعبُ الذى يصيب الناسَ من مشاهدة الأمور الهائلة فى ذلك اليوم . ﴿فَفَزَعٌ﴾ خاف خوفًا يستعج الموت . ﴿وَكُلُّ أُنُوءٍ ذَاخِرِينَ﴾ أذلاء صاغرين . يقال : ذَخَرَ الشخص - كَمَنَعَ وَفَرَح - ذَخْرًا وَذَخُورًا ، صَغُرَ وَذَلَّ . وأدخَرته بالهمز للتعدية . والذَّاخِرُ : الصاغِرُ الرَّاعِمُ .

٨٨ - ﴿مَرَّ السَّحَابِ﴾ أى تمر فى الجو مرَّ السحب التى تسيّرُها الرياحُ سيرًا حثيثًا .

٩٠ - ﴿فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ ألقوا بسبب شركهم فى النار على وجوههم منكوسين .

(١) آية ٦٨ الزمر .

وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عَلَيَّا أَمَا ذَاكُمُ تُعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٩﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصَرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٠﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزَعٌ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أُنُوءٍ ذَاخِرِينَ ﴿٩١﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٩٢﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٩٣﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَإِنْ أَتَلُّوا الْقُرْآنَ أَنْ فَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿٩٦﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرَ يَكْرَءِ آيَتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ

عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

(٢٨) سُورَةُ الْقَصَصِ مَكِّيَّةٌ

إلا من آية ٥٢ إلى غاية آية ٥٥ فمدنية وآية ٨٥
فبالجحفة أثناء الهجرة وآياتها ٨٨ نزلت بعد النزل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ تَتْلُوا
عَلَيْكَ مِنْ نَبْلِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾
إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا أَهْلَهَا شِيعًا يَسْتَضِعُّ
طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَذْبَحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ
مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا
فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾
وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ
أَرْضِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ غَالِقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا يُخَافِي وَلَا
تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾
فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ
وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ

سُورَةُ الْقَصَصِ

وُسَمِيَ سُورَةُ مُوسَى

٤ - ﴿عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ استكبر
وتجبر في أرض مصر ، وجاوز
الحد في العدوان حتى ادعى

يقال : كَبِهَ وَأَكْبِهَ ، إِذَا نَكَسَهُ
وَقَلَبَهُ عَلَى وَجْهِهِ . وَكَبَّجُوا : إِذَا
فَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ،
قَالَ تَعَالَى : (فَكَبَّجُوا فِيهَا هُمُ
وَالْعَاوُونَ) (١) وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) آية ٩٤ الشعراء .

الرئوسية ، من العلو وهو
الارتفاع . ﴿وَجَعَلْنَا أَهْلَهَا شِيعًا﴾
أى فرقًا وأصنافًا فى أنواع الخدمة
والتسخير فى الأعمال الشاقة [آية
٦٥ الأنعام ص ١٧٨] .
﴿وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ يستحي
بناتهم للخدمة .

٦ - ﴿وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾
نُفَصِّلُ عَلَيْهِمْ عَلَيْهَا يَتَصَرَّفُونَ فِيهَا كَيْفَ
شَاءُوا . وَأَصْلُ الْعَمَلِ : أَنْ تَجْعَلَ
لِلشَّيْءِ مَكَانًا يَتِمَّكَّنُ فِيهِ ، ثُمَّ
اسْتَعِيرَ لِلتَّسْلِيْطِ وَإِطْلَاقِ الْأَمْرِ ،
وَشَاعَ حَتَّى صَارَ حَقِيقَةً لِّغَوِيَّةٍ فِيهِ .
﴿يَحْذَرُونَ﴾ يخافون من ذهاب
ملكهم وهلاكهم على يد مولود
من بنى إسرائيل ، من الحذر وهو
الاحتراز من الأمر المخيف .
يقال : حَذَرَهُ - مِنْ بَابِ عَلِمَ -
إِذَا احْتَرَزَ مِنْهُ .

٧ - ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾
أى ألهمتها ، ولم تكن نية
بالإجماع .

٨ - ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾
ليصير الأمر إلى ذلك ، فاللأم لأم
الصيرورة والعاقبة والحزن -
بالتحريك وبضم فسكون - :
تقيض السرور ، وقعله كفرح .
وحزنه الأمر وأحزنه : جعله
حزينًا . ﴿كَانُوا خَاطِئِينَ﴾
مذنبين آثمين .

٩ - ﴿قُرْءَةً عَيْنٍ﴾ أى هو قرءة
عَيْنٍ ﴿لِي وَلَكَ﴾ وهو كناية
عن السرور به [آية ٢٦ مريم
ص ٣٩٢] .

١٠ - ﴿فَارْعَا﴾ خَالِيًا مِنَ التَّفَكُّرِ
 فِي شَيْءٍ سِوَى ابْنِهَا مُوسَى الَّذِي
 وَقَعَ فِي يَدِ الْعَدُوِّ. ﴿إِنْ كَادَتْ
 لَتُبْدِيَ بِهِ﴾ أَيْ لَتَصْرُحُ بِأَنَّهُ ابْنُهَا
 مِنْ شِدَّةِ وَجْدِهَا عَلَيْهِ ؛ مِنْ بَدَا
 يَبْدُو بَدَوْا وَبَدَاءَ : ظَهَرَ ظَهُورًا
 بَيِّنًا. ﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى
 قُلُوبِهَا﴾ تَبَنَاهُ وَقَوَيْنَاهُ بِالْهَامِهَا
 الصَّبْرِ. وَبِمَا أَنْزَلْنَا فِيهِ مِنَ
 السَّكِينَةِ. وَأَصْلُ الرِّبْطِ : الشَّدُّ
 لِلتَّقْوِيَةِ ؛ وَمِنْهُ رَابِطُ الْجَاشِئِ ؛
 لِقُوَى الْقَلْبِ.

١١ - ﴿قُصِّيه﴾ اتَّبَعِي أَثَرَهُ
 وَتَبَّعِي خَبْرَهُ. يُقَالُ : قَصَّ أَثَرَهُ
 يَقْصُهُ وَاقْتَصَّه وَتَقْصَصْهُ .
 تَبَّعَهُ ؛ وَمِنْهُ الْقَصَصُ لِلْأَخْبَارِ
 الْمَتَّبِعَةِ. ﴿فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ
 جُنبٍ﴾ فَأَبْصَرَتْهُ عَنْ بُعْدٍ أَوْ مِنْ
 مَكَانٍ بَعِيدٍ.

١٢ - ﴿يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ يَقُومُونَ
 بِتَرْبِيَتِهِ لِأَجْلِكُمْ .
 ١٣ - ﴿تَقَرَّرْ عَيْنُهَا﴾ تَسِرْ
 وَتَفْرَحْ بَوْلَدِهَا .

١٤ - ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ نِهَآةَ قُوَّتِهِ
 وَنُغْوِهِ ﴿وَاسْتَوَى﴾ أَيْ وَنَمَّ
 اسْتَحْكَمَهُ وَكَمَّلَ عَقْلَهُ ؛ مِنْ
 الْإِسْتَوَاءِ . وَهُوَ اعْتِدَالُ الْعَقْلِ
 وَكَمَالُهُ . وَالْأَغْلَبُ أَن يَكُونَ ذَلِكَ
 فِي سِنِ الْأَرْبَعِينَ . ﴿حُكْمًا﴾
 نُبُوَّةً .

١٥ - ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾ هِيَ
 مِصْرُ. أَوْ مِثْلُ. أَوْ عَيْنُ شَمْسٍ
 مِنْ بِلَادِ الْقَطْرِ الْمِصْرِي. ﴿فَوَكَرَهُ

فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا
 أَوْ نَخْتَذَهُ وَالدَّاهِمُ لَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ ﴿١٠﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ
 مُوسَى فَرِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَّبَطْنَا عَلَى
 قُلُوبِهَا لَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ
 قُصِّيه فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ ﴿١٢﴾
 * وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
 عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٣﴾
 فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِنَعْلَمَ أَنَّ
 وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ وَلَمَّا بَلَغَ
 أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا
 فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ
 عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ
 عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ
 الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ
 نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾

مُوسَى .. ضربه بيده مضمومة الكف .

١٧ - ﴿ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ مُعِينًا
 قَتْلَهُ . وَإِنَّمَا قَصِدَ دَفْعَهُ فَكَانَتْ فِيهِ
 لِمَنْ أَوْقَعَ غَيْرَهُ فِي جُرْمٍ .

١٨ - ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ يَتَرَصَّدُ

القاتل هو القبطي حيث فهم من قول موسى للإسرائيل : (إِنَّكَ لَعَوِيٌّ) أنه هو الذي قتل القبطي بالأمس .

٢٠ - ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾ هو مؤمن آل فرعون ﴿يَسْعَى﴾ يسرع في المشي . ﴿إِنَّ الْمَلَأَ﴾ وجوه القوم وكبراءهم . ﴿يَأْتِمُرُونَ بِكَ﴾ يأمر بعضهم بعضاً بقتلك . أو يتشاورون في شأنك ليقتلوك ، وسمى التشاور ائتماراً لأن كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر .

٢٢ - ﴿تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾ قصد ما يُحاذى جهتها . و(تلقاء) اسم مصدر في الأصل منصوبٌ على الظرفية . يقال : داره تلقاء دار فلان ، إذا كانت محاذية لها . و(مدین) : قرية شعيب عليه السلام ، ولم تكن في سلطان فرعون ومملكه . وبينها وبين مصر مسيرة ثمانى ليالٍ . ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ الطريق الوسط الذى فيه النجاة .

٢٣ - ﴿أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ﴾ جماعة كثيرة منهم . ﴿يَسْقُونَ﴾ مواشيهم . ﴿تَذُودَانِ﴾ تطردان أغنامهما عن الماء ، حتى يفرغ الناس وتخلوها البئر ، من الذود بمعنى الطرد والدفع . ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ﴾ ما شأنكما لا تسقيان مع الناس ؟! والخطب : الأمر العظيم الذى يكثر فيه التخاطب . ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ أى حتى يصرف الرعاة مواشيهم يديرها عن الماء عجزاً

قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾

فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ

بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٨﴾

فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَمْوَسَّى

أَتُرِيدُ أَنْ تَمُتُنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا

أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ

الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى

قَالَ يَمْوَسَّى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ

إِلَى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ

قَالَ رَبِّ اجْنُبْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ

مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾

وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ

وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا

قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾

ضالٌّ بَيْنَ الضَّلَالَةِ لَتُسَبِّحَكَ فِي قَتْلِ رَجُلٍ .

١٩ - ﴿يَبْطِشُ﴾ يأخذ بقوة

وعنف . ﴿قَالَ يَا مُوسَى﴾ القاتل

هو الإسرائيلي الذي استصرخ

موسى حيث توهّم إرادته البطش

به دون القبطي من قول موسى له : (إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ) وقيل :

الأخبار هل وقفوا على ما كان منه . يقال : ترقبه وارقبه .

استظهره ورصدته .

﴿يَسْتَصْرِخُهُ﴾ يستغيث به من قبطي آخر بصوت مرتفع ؛ من

الصُّراخ وهو رفع الصوت ؛ لأن المستغيث يصرخ رافعاً صوته في

طلب العوث . ﴿لَعَوِيٌّ مُبِينٌ﴾

عن مساجلتهم ؛ من أصدر
الرباعي . وقرئ بفتح أوله ؛ من
صدر الثلاثي . والصدر عن
الشيء : الرجوع والانصراف
عنه ؛ ضد الورود . يقال : صدر
عنه يصدر ويصدر صدرًا .
رجع . والاسم بالتحريك .
والرعاء : جمع الرعى وهو
الحفظ .

٢٥ - ﴿ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾
مع استحياء : قد سترت وجهها
بثوبها . والاستحياء والحياء :
الحشمة والانقباض والانزواء .
يقال : استحيته واستحييت
منه . واستحياء واستحياء منه .

٢٧ - ﴿ عَلَى أَنْ تُاجِرَنِي ﴾
نفسك ﴿ ثَمَانِي حِجَجٍ ﴾ أى فى
ثمانى سنين . أى على أن تكون لى
فيها أجيرًا ؛ من أجرته أى كنت له
أجيرًا ؛ مثل أبوته : أى كنت له
أبًا . أو على أن تثبتي رعى ثمانى
حجج ؛ أى تجعله ثوانى وأجرى
على الإنكاح . يعنى بذلك المهر ؛
من أجره الله على ما فعل ؛ أى
أثابه ، والمفعول الثانى (ثَمَانِي
حِجَجٍ) بتقدير المضاف
المذكور ؛ لأن العمل هو الذى
وقع ثوابًا لا نفس الزمان .

٢٩ - ﴿ أَنْسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ
نَارًا ﴾ أبصرها وأحسها من الجهة
التي تلى جبل الطور ؛ وقد ظلها
نارًا وهى من نور الله ؛ من
الإناس وهو الإبصار بالعين الذى
لا شبهة فيه . ﴿ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ
النَّارِ ﴾ أى عود من الخشب فى

فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ
إِلَىٰ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٥﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ
اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ
لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ
نَجَّوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأَبَتِ
اسْتَعْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَعَجَرْتُ الْقَوَى الْأَمِينُ ﴿٢٧﴾
قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ
تَأْجِرَنِي تَمْشِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا
أُرِيدُ أَنْ أُشْقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ
الصَّالِحِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ
قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٩﴾
* فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ
جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا
لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ
تَصْطَلُونَ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ
فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسْ إِلَىٰ أَنَا اللَّهُ
رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تهتَرُ كَانَتْهَا

رأسه نار . وهى القبس . البرد [آية ٧ النمل ص ٤٨٠] .
﴿ تَصْطَلُونَ ﴾ تستدفئون بها من ٣٠ - ﴿ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ



الأرض على غير هيئة التي إلى جانبها . وجمعها بُقْعَ وبِقَاع . ووصفت بد (المباركة) لما وقع فيها من التكليم والرسالة . وظهر فيها من الآيات والمعجزات . ﴿ مِنْ الشَّجَرَةِ ﴾ أى من ناحيتها .

٣١ - ﴿ تَهْتَزُّ ﴾ تتحرك بشدة واضطراب . ﴿ كَانَهَا جَانٌ ﴾ حية في سرعة حركتها وخفتها . ﴿ وَلَّى مُدْبِرًا ﴾ هاربًا خوفًا منها . ﴿ وَكَمْ يُعَقِّبُ ﴾ لم يرجع على عقبه آية ١٠ النمل ص ٤٨١ .

٣٢ - ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾ [آية ١٢ النمل ص ٤٨١] ﴿ يَبْضَاءُ ﴾ لها شعاع يغلب شعاع الشمس . ﴿ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ غير داء برص ونحوه . ﴿ وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴾ أى إذا هالك أمر يدك وما تراه من شعاعها فأدخلها في جيبك تعد إلى حالتها الأولى . أو إذا فرغت عند معاينة الحية فاضمم يدك إلى صدرك يذهب عنك الفرع . والجناح : اليد . والرهب - بفتح فسكون ، وقرئ بفتحين وضم فسكون . الخوف والفرع .

٣٤ - ﴿ رَدَّءًا ﴾ عونًا . يقال : ردأته على عدوه وأردأته ، أعتته عليه . وردأت الحائط : دَعَمَتْه بخشبة لئلا يسقط .

٣٥ - ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ سنقويك به ونعينك . وشُدُّ العَضْدِ كناية عن تقويته ، لأن اليد تشتد بشدة العضد - وهو من المرفق إلى الكتف - والجملة تقوى بشدة اليد

جَانٌ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَّى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ
إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ
بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ
فَذَنْكَ بَرْهَنَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا
قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا
فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي
لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ
يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ
سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكَ بِأَيِّنَّا أَنْتُمْ وَمِنْ أَتْبَعَكُمْ
الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ
قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا
الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى
مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ
مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْتِمُنُّ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي
صَرْحًا لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَى إِلَهِي مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ
الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ

الْأَيْمَنِ ﴿ جَانِهِ الذى عن يمينه وشواطئ . ﴾ فى البُقْعَةِ موسى : وجمعُه شُطُطٌ الْمُبَارَكَةُ ﴿ البُقْعَةُ : القطعة من

على مزولة الأمور ﴿سُلْطَانًا﴾
حجة أو تسلطاً وعلبة .

٣٦- ﴿سِحْرٌ مُفْتَرًى﴾ محتلق . أو
سحر تعلمته ثم افترته على الله
تعالى كذباً .

٣٧- ﴿عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ أى عاقبة
الدنيا وهى الجنة .

٣٨- ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ
غَيْرِي﴾ أراد بنى علمه باله غيره
نفى وجوده ؛ لزعمه أنه لو كان
موجوداً لعلمته . وهو لم يعلمه
فكان غير موجود . ﴿فَاجْعَلْ لِي
صَرْحًا﴾ بناءً عالياً كالقصر ؛ من
صرح الشيء وصرحه : إذا بينه
وأظهره . ﴿لَعَلِّي أَطْلُعَ إِلَى إِلَهٍ
مُوسَى﴾ أراد به التهم بموسى ؛
كانه نسب إليه القول بأن إلهه فى
السماء فقال لوزيره : ابنى لى
صرحاً أصعد فيه لعلنى أراه ؛
تهكماً بموسى . ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُ مِنَ
الْكَاذِبِينَ﴾ فى إثباته إلهاً غيرى .
وأراد بالظن اليقين ؛ فلا ينافى ما
ادعاه أولاً من اليقين بعدم وجود
إله غيره . وكذا طلبه بناء الصرح
رجاء الأطلاع على إله موسى : لا
ينافى يقينه بعدم وجوده ؛ لأنه
على سبيل التهم والسخرية .

٤٠- ﴿فَتَبَدَّلْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾
ألقيناهم وأغرقناهم فى البحر .

٤١- ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾ قدوة
فى الضلال والكفر ؛ يتبعهم
غيرهم فيه ؛ فيكون عليهم وزرهم
ووزر أتباعهم .

الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ
وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ
الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا
مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى
بَصَارٍ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾
وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا
كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ
عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ
آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ
إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّنْ أَنْتُمْ مِنْ
نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ

٤٢- ﴿لَعْنَةً﴾ طرداً وإبعاداً عن
الرحمة . ﴿مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾
المطرودين المبعدين ؛ جمع
مقبوح . قبحه الله . أى نجاه
وأبعده عن كل خير . أو من
المشوهين فى الخلقة بسواد الوجه
وزرقة العيون .

٤٤- ﴿قَضَيْنَا﴾ عهدنا .
٤٥- ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ
مَدْيَنَ﴾ أى وما كنت مقيماً فى
أهل مدين وقت تلاوتك على أهل
مكة قصة موسى وشعيب ؛ حتى
تنقلها إليهم بطريق المشاهدة .

٤٣- ﴿الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ الأمم
الماضية المكذبة . ﴿بَصَائِرَ﴾

حقيقتها . ولا شك أن أحكام رسالة إسماعيل قد اندرست ، لتطاوُل الأمد بين بعثته وبعثة نبينا صلى الله عليه وسلم ، ولم يقف الأكثرون في أغلب هذه الأوقات المتطاولة على حقيقتها ، فجعل ذلك بمنزلة عدم إتيان النذير لهؤلاء المعاصرين . ولا يُحمل لفظ القوم على العرب عامة ، لا مع إبقاء عدم الإتيان على ظاهره لمناقته لقوله : (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) وقد أرسل إليهم إسماعيل ، ولا مع تأويله بما ذكر للقطع ببلوغ دعوة إسماعيل إلى العرب بعده في الجملة وفي بعض الأزمنة .

٤٧ - ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ...﴾ (لولا) الثانية : تخصيصة ، وجوابها قوله (فَنُفِثَ آيَاتُكَ) . وحاصل معنى الآية : أنه أرسل رسوله إليهم ليُظَلَّ تعللهم عند حلول العذاب بهم بسبب كفرهم بقولهم : ﴿لَوْلَا أُرْسِلَتْ إِلَيْنَا رَسُولٌ﴾ فَنُفِثَ آيَاتُكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وهو كقوله تعالى : (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) (٣) . ومعناها التركيب : لولا إصابة المصيبة لهم بما اكتسبوا من الكفر المسبب عنها قولهم المذكور لما أرسلناك إليهم رسولا ، فجعلت الإصابة سببا للإرسال ،

مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أُرْسِلَتْ إِلَيْنَا رَسُولٌ فَنُفِثَ آيَاتُكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغْيِرَ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ * وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾

مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ (٢) . وقيل : القوم هم العرب المعاصرون له صلى الله عليه وسلم ، إذ لا يُتَصَوَّرُ إنذاره لمن سلفهم . و (ما) نافية ، أى لم يأتهم نذير قبلك . فإذا قيل : إنهم قد أتاهم نذير لأنهم من ذرية إسماعيل وقد بُعث إلى العرب وذرائعهم لعدم انقطاع رسالته بموته ، فيجب عليهم العمل بها إلى أن يُبعث إليهم رسول آخر . يقال : إن المراد من عدم إتيان نذير إليهم أنه لم تأتهم ولم تصل إليهم دعوة رسول قبله على

فإخبارك بها إنما هو عن وحي الهى . ورسالة ربانية . والضمير فى قوله : «تَثْلُو عَلَيْهِمْ» لأهل مكة . والجملة حالية . ٤٦ - ﴿لِنُذِرَ قَوْمًا...﴾ أى لتنذرهم العقاب الذى أتاهم من نذير قبلك ، أى على لسانه وبواسطته . و (ما) اسم موصول مفعول ثانٍ (لِنُذِرَ) . و (مِنْ) نذير متعلق بـ (أَتَاهُمْ) . وهذا القول فى تفسير الآية جار على ظواهر القرآن ، قال تعالى : (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) (١) ، (أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا



باعتبار ترتب القول المذكور عليها ، ولذا أدخلت عليها (لولا) ، وعطف القول عليها بالفاء المفيدة للسببية .

٤٨ - ﴿قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾ أي قال كفار مكة : ما أوتى موسى ومحمد سحران تعاونا بتصديق كل منهما الآخر ، وإنا بكل واحد من الكتابين كافرون . وقُرئ «ساحران» أي موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام .

٥١ - ﴿وَصَلَّاتُ لَهُمُ الْقَوْلُ﴾ أنزلنا عليهم القرآن إنزالاً متواصلًا متتابعًا ؛ ليكون ذلك أقرب إلى التذكُّر والتدكير ، فإنهم يَطْلَعُونَ كلَّ يوم على جديد . أو جعلناه متتابعًا في الأنواع : وعدًا ووعدًا ، وقصصًا ومواعظ ، ونصائح وأحكامًا ؛ إرادة أن يتعظوا فيتعلموا . وأصله من التوصليل ، وهو ضمُّ قطع الحبل بعضها إلى بعض .

٥٢ - ﴿هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ المراد بهم مؤمنو أهل الكتاب .

٥٤ - ﴿وَيَذَرُونِ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ أي يدفعون السيئة والأذى من الكفار بالاحتمال والصفح والحلم ؛ من الذرة وهو الدفع .

٥٥ - ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾ أي السبَّ والشتم من الكفار ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ تَكْرُمًا وَتَرْهًا . واللغو في الأصل : السقط وما لا يُعْتَدُّ به من كلام وغيره ؛ كاللغا واللغوى . ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾

الَّذِينَ آمَنُوا أَنبَتَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ءَ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِن تَبِيعَ الْهُدَىٰ مَعَكَ نَتَّخِطُفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نَمُكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِبِّي إِلَيْهِ تُحْرَتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَءَاثِلُكَ مِنَ قَرِيَةٍ

سلمتم منا لا نعارضكم بالشم . بسرعة . ومرادهم : التعلُّل في عدم اتباع الرسول بالخوف من اجتماع العرب على حزمهم ، ولا طاقة لهم بهم ؛ فردَّ الله عليهم بقوله : ﴿أَوْ لَمْ نَمُكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ يأمنون فيه على أنفسهم وأموالهم . ﴿يُجِبِّي إِلَيْهِ تُحْرَتٌ﴾ كلُّ شَيْءٍ يُحْمَلُ إِلَيْهِ وَيُجْمَعُ فِيهِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ تُحْرَتٌ أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ . يقال : جَبَّى الْمَاءَ فِي الْحَوْضِ ، جَمَعَهُ فِيهِ . والاستفهام للتقرير ؛ والمقصود أننا فعلنا ذلك معهم وهم مشركون ،

٥٦ - ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ نزلت في حِرْصه صلى الله عليه وسلم على إيمان عَمَّةِ أَيْ طَالِب .

٥٧ - ﴿وَقَالُوا إِن تَبِيعَ الْهُدَىٰ﴾ أي قال أهل مكة للرسول صلى الله عليه وسلم : إنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب أن يتخطفونا من أرضنا ويخرجونا من بلادنا . ﴿نَتَّخِطُفُ﴾ نَسْرَعُ بِسُرْعَةٍ . وَالتَّخَطُّفُ : الانْتِزَاعُ

وأنه تعالى قد مضت سنته ألا يعذب قومًا قبل الإنذار إليهم ، الزامًا للحجة ، وقطعًا للمعذرة ، حتى لا يقولوا : (لولا أُرْسِلَتْ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَنَّبَحِ آيَاتِكَ) ، وهو كقوله تعالى : (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) (١).

٦١ - ﴿مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾
المشهودين عذاب الله وأليم عقابه ، جمع مُحَضَّر ، اسم مفعول من أحضره ، وأغلب ما يستعمل الإحضار في العذاب .

٦٣ - ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ ثبت عليهم مقتضاه وتحقق ، وهو قوله تعالى : (لَا مَلَأَنُ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (٢) ، ونحوه من آيات الوعيد . والقائلون هم الشياطين ، أو رؤساء الكفر الذين اتخذهم اتباعهم شركاء لله ، بأن أطاعوهم في كل أمر . ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ أغويانهم بطريق الوسوسة والتسويل ، لا بالإكراه والإلحاء ، فغَوُوا باختيارهم غيًا مثل غَيَّنَا باختيارنا ، فنحن وهم في ذلك سواء .

٦٤ - ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾
أى لو أنهم كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل ، يدفعون به العذاب عنهم لدفعه به . أو لو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين لما رأوا العذاب .
٦٦ - ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾ خفيت واشتبهت عليهم الحجة .
٦٨ - ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ تجهيل للمشركين في اختيارهم

بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَنِلَكَ مَسْكِنَهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَنَجِّنُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَقْسَمُ وَعْدَنَاهُ وَعَدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتْنَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ

فكيف نعرضهم للتخطف إذا تَمَرَّدَتْ وَطَغَتْ في معيشتها ، وهو آمنوا ؟
٥٨ - ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ كثيرًا الأشرُّ وقلة احتمال التهمة والظن بها . وفعله كَفَرَح .
أهْلَكْنَا . ﴿بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ كفرت نعمة معيشتها الزافهة الآمنة ، فلم تقم بحق شكرها . أو الْقُرَى ﴿بيان للسنة الإلهية ،

الشركاء واصطفائهم إياهم آله
وشفعاء ؛ أى وربك يخلق ما يشاء
خلقه ﴿ وَيَخْتَارُ ﴾ أى وهو
سبحانه يصطفى ما يشاء
اصطفاه ؛ فيصطفى مما يخلقه
شفعاء ويختارهم للشفاعة ،
ويفضل بعض مخلوقاته على بعض
بما يشاء . ﴿ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ ﴾
أى ما استقام هؤلاء المشركين أن
يصطفوا ما شاءوا ، ويفضلوا
بعض مخلوقاته على بعض !
فيجعلوا منها شفعاء وشركاء لله !
فليس لهم إلا اتباع اصطفائه
تعالى ؛ وهو سبحانه لم يصطف
شركاءهم الذين اصطفوهم
للعباداة والشفاعة على الوجه الذى
اصطفوهم عليه . والخيرَةُ :
الاختيار . وجملة (مَا كَانَ لَهُمُ
الْخَيْرَةُ) مؤكدة لما قبلها . أفاده
الآلوسى .

٦٩ - ﴿ مَا تَكُنْ صُدُورُهُمْ ﴾ ما
تضم من الباطل والعداوة .

٧١ - ﴿ أَرَأَيْتُمْ ﴾ أخبرونى [آية
٤٠ الأنعام ص ١٧٤] . وفى هذه
الآية واللّتين بعدها دلائل على
كمال القدرة الإلهية ، موجبة
للتوحيد فى العباداة . ﴿ سَرْمَدًا ﴾
أى دائماً لا ينقطع . والسَرْمَدُ :
دوام الزمان من ليل أو نهار .

٧٥ - ﴿ يَفْتَرُونَ ﴾ يخلقونه من
الباطل فى الدنيا .

٧٦ - ﴿ فَبَعِثْ عَلَيْهِمْ ﴾ طلب
الفضل عليهم ؛ وأن يكونوا تحت
أمره لقوته وغناه . ﴿ مَفَاتِحُ ﴾
جمع مفتاح - وهو ما يفتح به

صَلِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ
مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۚ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ ۚ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ
وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ
فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ
الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَظْلَمٍ ۖ تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ
الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ
أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾
وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾
وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعِلُوا
أَنْ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ * إِنْ
قُلُورُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَعَثْنَا عَلَيْهِمُ وَلَاءَ أَمْنِهِ
مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنْ مَفَاتِحُ لَنُؤَا بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ
إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾

الباب . أو المفاتيح : الخزائن ، أى لتفتل المفاتيح العُصبة وتُميلهم
جمع مفتاح . ﴿ لَنُؤَا بِالْعُصْبَةِ ﴾ من ثقلها فلا يستطيعون حملها ؛



والباء للتعدي . يقال : ناء به
الحمل ، أثقله وأماله ، كما
يقال : ذهب به وأذهبه بمعنى .
والعُصْبَةُ : الجماعة التي يتعصب
بعضهم لبعض ، وحُصَّتْ في
العُرف بالعشرة إلى الأربعين .
﴿ لَا تَفْرَحْ ﴾ لا تبطر ولا تأشر
بكثرة المال .

٧٧ - ﴿ وَلَا تَسْ نَصِيكَ مِنَ
الدُّنْيَا ﴾ ولا تترك نصيبك من
الطيات التي أحلها الله لك .

٧٨ - ﴿ مِنَ الْقُرُونِ ﴾ من الأمم .
﴿ وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ
الْمُجْرِمُونَ ﴾ لا يسألون سؤال
استعتاب ، كما قال تعالى : (ثُمَّ
لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ
يُسْتَعْتَبُونَ) (١) ، (وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ
فَيَعْتَدِرُونَ) (٢) . ولكنهم يسألون
سؤال توبيخ ، كما قال تعالى :
(قَوْمَكَ لَنَسْتَلْهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا
كَانُوا يَعْمَلُونَ) (٣)

٧٩ - ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي
زِينَتِهِ ﴾ أى في زينة يهت
الأنظار ، حتى تمتلئ الناظرون إليه
أن يكون لهم مثلها . وهى مظاهر
الغنى الفاحش . والترف الزائد .

٨٠ - ﴿ وَبَلَّغَكُمْ ﴾ كلمة أصلها
الدعاء بالهلاك . منصوبة بمقدر ، ثم
أى ألزكم الله الويل . ثم
استعملت في الزجر والبغث على
ترك ما لا يرضى . ﴿ وَلَا يُلْقَاهَا ﴾
ولا يلقى هذه المثوبة ، أى لا يوفق
للعمل بها . أو لا يلقى هذه الكلمة
التي تكلم بها الأحبار ، أى لا

وَأَبْنَعَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ
مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ
الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ
إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ
أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ
جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَى
قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
يَلْبِثَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُمْ لَذَو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾
وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ
وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْآصِفُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ
وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ
تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا
لَخَسَفَ بَنَاهُ وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ
الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ
وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ
فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا
السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ الَّذِي قَرَضَ

يفهمها ﴿إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ يقال : تلقاه أى استقبله : والضمير راجع - على الثانى - لمقالة الذين أوتوا العلم .

٨١- ﴿فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ غَيَّبْنَاهُمَا فِيهَا . يقال : حَسَفَتِ الْأَرْضُ تَخْفُفُ ، وانخسفت وخسفتها الله . وخسَفَ بِهِ ، وخسَفَ هو ، أى غاب .

٨٢- ﴿وَيَكُنَّ اللَّهُ يَسْطُ الرِّزْقَ...﴾ «وَيَ» : اسمُ فعلٍ بمعنى أعجب ، وتكون للتحسر والتندم . وكان المنتدم من العرب المظهر لندمه يقول : وَيَ ؟ وقد تدخل على «كَانَ» المشددة - كما فى الآية - والمخففة . والقياسُ كتابتها مفصولة ، وكُتِبَتْ مُتَّصِلَةً بالكاف لكثرة الاستعمال . وقيل : «وَيَكُنَّ» كلمة واحدة بمعنى أَلَمْ تَرَ . ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يُضَبِّقُ . ﴿وَيَكُنَّ لَا يُفْلِحُ﴾ أَلَمْ تَرَ الشَّانَ لَا يَفْلَحُ .

٨٥- ﴿لَرَأَدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ إلى بلدك الذى نشأت فيه وهو مكة . وسُمِّيَ بِلَدِّ الرَّجُلِ الذى كان فيه معادًا ، لأنه - عادةً - يتصرف فى البلاد ثم يعود إليه . رُوِيَ أَنَّهَا نَزَلَتْ بِالْجُحْفَةِ بعد أن خرج النبىُّ صلى الله عليه وسلم مهاجرًا من مكة واشتاق إليها .

٨٦- ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾ مُعِيْنًا لَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ . والخطابُ فيه وفيما بعده للنبيِّ صلى الله عليه وسلم ، والمقصودُ أَمْنُهُ . والله أعلم .

عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأَدُكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتَ إِلَيْكَ وَادَّعَى إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدَّعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

(٢٩) سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ مَكِّيَّةٌ
الْأَمْرُ إِلَى غَايَةِ آيَةِ ١١ فَدَنِيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٦٩ نَزَلَتْ بَعْدَ الرُّومِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

كالمهاجرة والمجاهدة ووظائف الطاعات ، ويقفون المصائب فى الأنفس والأموال ، ليشتمز المخلص من المنافق ، وقوى الإيمان من ضعيفه . والصابر من الجزوع ، فيعامل كل بما يقتضيه حاله . يقال : حَسِبَهُ يَحْسِبُهُ مَحْسَبَةً وَحَسْبَانَا ، ظَنَّهُ .

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ
٢- ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا...﴾ رُوِيَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فى أناس من الصحابة قد جرعوا ، أو جرع أهلهم من أذى المشركين لهم . أى أظنَّ الناس أن يتركوا على ما هم عليه لقولهم : آمَنَّا بِاللَّهِ ؟! غيرَ ممتحنين بمشاق التكاليف ؛

الكَاذِبِينَ ﴿١﴾ فِيهِ : أَيْ فليُكَافَأَنَّ
كُلًّا بِمَا عَمِلَ . وَلتُرْتَبِ الْمَكَافَاةُ عَلَى
الْعِلْمِ أَقِيمِ السَّبَبُ مَقَامَ الْمُسَبَّبِ . أَوْ
فليُظْهِرَنَّ اللهُ الصَّادِقِينَ مِنَ
الكَاذِبِينَ حَتَّى يَوْجَدَ مَعْلُومًا ؛ لِأَنَّهُ
تَعَالَى عَالِمٌ بِهِمْ قَبْلَ الْإِخْتِبَارِ .

٤ - ﴿أَنْ يَسْقُونَا﴾ يُعْجِزُونَا فَلَا
نَقْدِرُ عَلَى مَجَازَاتِهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ
السَّيِّئَةِ . وَأَصْلُ السَّقَى :
الْقُوَّةُ ، ثُمَّ أُرِيدَ مِنْهُ مَا ذُكِرَ .

٥ - ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾
أَيُّ يُخَافُهُ لِمَا وَرَاءَهُ مِنَ الْحِسَابِ
وَالْجَزَاءِ . أَوْ يَتَوَقَّعُ مُلَاقَاةَ جَزَائِهِ ،
أَوْ حُكْمِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَوْ يَأْمُلُ
مُلَاقَاةَ ثَوَابِهِ - فليَعْمَلْ عَمَلًا
صَالِحًا وَلَا يَشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ
أَحَدًا . وَدَلِيلُ هَذَا الْجَوَابِ قَوْلُهُ
تَعَالَى : ﴿فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ﴾ أَيُّ فَإِنْ
الْوَقْتُ الَّذِي عِنْتَهُ اللهُ لِلذِّكَ
﴿لَا ت﴾ لَا مَحَالَةَ .

٧ - ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾
لنُغْفِرَ عَنْهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ لَهُمْ ؛ مِنْ
التَّكْفِيرِ وَهُوَ سَتْرُ الشَّيْءِ وَتَغْطِيَتُهُ .

٨ - ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾ أَمْرَاهُ
﴿حُسْنًا﴾ أَيُّ إِبْصَاءً حُسْنًا أَيُّ ذَا
حُسْنٍ ؛ فَهُوَ وَصَفٌ لِمَصْدَرٍ
مَحذُوفٍ . أَوْ أَنْ يَفْعَلَ حُسْنًا ؛ فَهُوَ

مَفْعُولٌ لِفِعْلِ مَحذُوفٍ . وَالْمُرَادُ :
الْبِرَّ بِهَا وَالْعُطْفَ عَلَيْهَا ،
وَالْإِحْسَانَ إِلَيْهَا وَالطَّاعَةَ لَهَا فِي
الْمَعْرُوفِ .

١٠ - ﴿جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ أَيُّ مَا
يُصِيبُهُ مِنْ أَذَاهُمْ ﴿كَعَذَابِ اللَّهِ﴾
فِي الْآخِرَةِ ؛ فَجَزَعُ مِنْهُ وَلَمْ يَصْبِرْ
عَلَيْهِ ، وَأَطَاعَهُمْ فِيمَا يَرِيدُونَ مِنْهُ

فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفِقُونَا سَاءَ

مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ

لَا تَ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَنْ جَاهَدْ فَلِنَا يَجْهَدْ

لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ

أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ

بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ

عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكَ فَانْبِثْكُم مَّأْكُتُمْ

تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ

فِي الصَّلَاحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ

فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ

جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ

اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ

٣ - ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِهِمْ﴾ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ بِضُرُوبِ

الْفِتَنِ وَفَنُونَ الْمِحْنِ فَصَبَرُوا ؛ فَمَا

لَهُمْ لَا يَصْبِرُونَ مِثْلَهُمْ ؟ وَالْجُمْلَةُ

حَالٌ مِنَ (الْأَسَى) . أَيُّ أَحْسَبُوا

ذَلِكَ وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ سَنَةَ اللَّهِ تَعَالَى

عَلَى خِلَافِهِ ! ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ

صَدَقُوا﴾ فِي الْإِيمَانِ . ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ

وَالْإِسْتِفْهَامُ لِلتَّفْرِيعِ وَالْإِنْكَارِ

وَجُمْلَةً (أَنْ يُتْرَكُوا) سَدَّتْ مَسَدًا

مَفْعُولِي (حَسِبَ) . وَ (أَنْ يَقُولُوا)

أَيُّ لِأَنْ يَقُولُوا مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ

(يُتْرَكُوا) . ﴿وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ﴾

أَيُّ لَا يُمْتَحِنُونَ وَيُخْتَبِرُونَ ؛ فِي

مَوْضِعِ الْحَالِ مِنْ ضَمِيرِ

(يُتْرَكُوا) .

فَكَفَّرَ بِاللَّهِ ؛ كَمَا يَطِيعُ اللَّهُ مَنْ يَخَافُ
عَذَابَهُ فَيُؤْمِنُ بِهِ . نَزَلَتْ فِي
الْمُنَافِقِينَ .

١٢ - ﴿خَطَابَاكُمْ﴾ أَوْزَارَكُمْ .

١٣ - ﴿وَلِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾

أَوْزَارَهُمْ وَذُنُوبَهُمْ الَّتِي ارْتَكَبُوهَا
بِأَنْفُسِهِمْ ﴿وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾
وَأَوْزَارًا مَعَ أَوْزَارِهِمْ . وَهِيَ أَوْزَارُ
مَنْ أَصْلُوهُمْ مِنَ الْإِتْبَاعِ ؛ وَهُوَ
قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ
كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ
يُصِلُونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (١)

١٤ - ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ أَيِ

الْمَاءِ الْكَثِيرِ الَّذِي طَافَ بِهِمْ
وَعَلَاهُمْ فَغَرِقُوا [آيَةُ ١٣٣
الْأَعْرَافِ ص ٢١٨] .

١٧ - ﴿أَوْثَانًا﴾ تَمَائِيلَ وَأَصْنَامًا

مَصْنُوعَةً بِأَيْدِيكُمْ مِنْ حِجَارَةٍ أَوْ
غَيْرِهَا ؛ جَمْعُ وَثْنٍ . وَقَدْ حُرِّمَ
بِالْإِجْمَاعِ صَنْعُ التَّمَائِيلِ لِذِي الرُّوحِ
وَاتِّخَاذُهَا ؛ سَدًّا لِلذَّرِيعَةِ الشَّرِّكَ
وَالْعَوَايَةِ . ﴿وَتَخْلُقُونَ أَفْكَاءَ﴾

وَتَكْذِبُونَ كَذِبًا ؛ حَيْثُ تَسْمُونَهَا

أَهَةً . وَتَجْعَلُونَهَا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ،

وَتَرْعَمُونَ أَنَّهَا لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ

شَفْعَاءُ . أَوْ تَنْجِتُونَهَا وَتَصْنَعُونَهَا

بِأَيْدِيكُمْ لِلْإِفْكَ وَالْكَذْبِ ؛

وَاللَّامُ الْمَقْدَرَةُ لَامُ الْعَاقِبَةِ .

وَالْإِفْكَ : الْكَذْبُ . وَكُلُّ

مَصْرُوفٍ عَنْ وَجْهِهِ الَّذِي يَحِقُّ أَنْ

يَكُونَ عَلَيْهِ .

١٩ - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ احْتِجَاجٌ عَلَى

مَنْكِرِ الْبَعْثِ ، وَاسْتِدْلَالٌ عَلَى

الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ بِأَدَلَّةٍ وَاضِحَةٍ جَلِيَّةٍ .

أَيِ أَلَمْ يَنْظُرُوا وَيَعْلَمُوا كَيْفِيَّةَ خَلْقِ

ءَامِنُوا وَلِيَعْلَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ

ءَامِنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطِيئَتَكُمْ وَمَاهُمْ بِحَامِلِينَ

مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلِيَحْمِلُنَّ

أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا

كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ

فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ

ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً

لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ

ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ

مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوثَانًا وَتَخْلُقُونَ أَفْكَاءَ إِنْ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ

مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ

الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ

تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا

أَلْبَلَعُ الْمِصِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ

الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا

اللَّهُ تَعَالَى الْخَلْقَ ابْتِدَاءً مِنْ مَادَّةٍ - وَقَوْلُهُ : ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أَيِ ثُمَّ هُوَ
كَالْطُّفَةِ وَالتَّرَابِ - وَمِنْ غَيْرِ يُعِيدُهُ . وَهُوَ إِخْبَارٌ مِنْهُ تَعَالَى
مَادَّةً ؛ لِيَسْتَدِلُّوا بِذَلِكَ عَلَى قُدْرَتِهِ بِالْإِعَادَةِ .

عَلَى الْإِعَادَةِ وَهِيَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ؟ . ٢٠ - ﴿قُلْ سِيرُوا فِي
وَالْإِسْتِفْهَامَ لِلْإِنْكَارِ وَتَقْرِيرِ الْأَرْضِ ..﴾ أَيِ قُلْ لِمَنْكِرِ
الرُّؤْيَا ؛ أَيِ قَدْ عَلِمُوا ذَلِكَ . الْبَعْثُ : سَيَحُوا فِي الْأَرْضِ

وَتَتَّبِعُوا أحوال الخلق ؛ فانظروا كيف خلقهم ابتداءً على أطوار مختلفة . وطبائع متغيرة ، وأخلاق شتى . والكيفية في هذه الآية باعتبار بدء الخلق على أطوار مختلفة . وفي الآية السابقة باعتبار بدء الخلق من مادة وغيرها . ﴿ ثُمَّ اللَّهُ الَّذِي أَنشَأَ النَّشْأَةَ الْأُولَى وَأَوْجَدَ الخلق من العدم ﴾ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ﴿ بعد الموت ؛ فكما لم يتعذر عليه إنشاؤهم مبدئاً لا يتعذر عليه إنشاؤهم معيداً بعد الموت .

٢١ - ﴿ وَاللَّهُ يُقَلِّبُكُمْ ﴾ تُرْجَعُونَ وَتُرْثَوْنَ ؛ من القلب وهو صرف الشيء عن وجهه إلى وجه آخر .

٢٢ - ﴿ بِمُعْجِزِينَ ﴾ فائتين من عذابه بالهروب .

٢٥ - ﴿ مَوَدَّةً بَيْنَكُمْ ﴾ أى للتودد بينكم . والتواصل لاجتماعكم على عبادتها . واتفاقكم عليها ، وللخشية من ذهاب المودة فيما بينكم إن تركتم عبادتها . منصوب على أنه مفعول له . ﴿ وَمَا أَوَّاكُم النَّارُ ﴾ منزلكم الذى تأوون إليه النار .

٢٦ - ﴿ فَأَمَّنْ لَهُ لُوطٌ ﴾ وهو أول من آمن به .

٢٩ - ﴿ وَتَقَطَّعُونَ السَّبِيلَ ﴾ بالقتل ونهب الأموال . أو تعترضون السابلة بفعل الفاحشة .

﴿ نَادِيكُمْ ﴾ مجلسكم الذى تجتمعون فيه . ﴿ أَهْلُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ﴾ قرية سدوم . وهى أكبر قرى قوم لوط ، وأول بلد ظهرت

فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢١﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢٢﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَلَيُلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٦﴾ * فَتَأْمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٨﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَنَاتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكُمْ لَنَاتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ



فيه هذه الفاحشة ؛ على ما قبل .

٣٢ - ﴿الْغَائِبِينَ﴾ الباقين في العذاب .

٣٣ - ﴿سِئَاءَ بِهِمْ﴾ اعترته المساءة والغم بسبب مجيء الرسل ؛ مخافة أن يتعرض لهم قومه بسوء ، كما هي عادتهم مع الغرباء وقد ظنهم من البشر . ﴿وَصَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا﴾ نفدت طاقته [آية ٧٧ هود ص ٢٩٦] .

٣٤ - ﴿رَجَزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ عذاباً منها ؛ حجارة أو ناراً ، أو أمراً بالحسف ، وسُمي بذلك لأنه يُقلق المذنب ويُزعجه ؛ من قومه : ارتجز ، أى ارتجس واضطرب .

٣٥ - ﴿آيَةً بَيِّنَةً﴾ هى آثار ديارها الخربة .

٣٦ - ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ لا تفسدوا فيها إفساداً ؛ من العتو وهو أشد الفساد .

٣٧ - ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ أى الزلزلة الشديدة التى رجفت منها قلوبهم ؛ بسبب صيحة جبريل عليه السلام ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ﴾ باركين على الركب من شدة الهول ميتين . وأصله من جثم الطائر ؛ إذا وقع على صدره ، أو لصق بالأرض .

٣٨ - ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ عقلاء متمكنين من التدبر .

٣٩ - ﴿وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ فائتين من عذابنا .

كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّا أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِن فِيهَا لُوطًا قَالُوا تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالُوا لَا تَحْفَ وَلَا تُحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَاتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رَجَزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَنَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقُرُونِ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ

٤٠ - ﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾
ريحا عاصفة تخصبهم بالحجارة .
وهم قوم لوط . ﴿أَخَذَتْهُ
الصَّبْحَةُ﴾ صوت من السماء
مهلك مرجف .

٤١ - ﴿مِثْلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ
دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أى مثل
هؤلاء فى اتخادهم الأصنام آلهة
يعبدونها ويعتمدون عليها ،
ويرجون نفعها وشفاعتها ، كمثل
العنكبوت فى اتخادها بيتا واهيا
من نسجها لا يغنى عنها فى حر ولا
قر ، ولا فى مطر ولا أذى .
والعنكبوت : دويبة معروفة
تسج نسجا رفيعا مهلهلا فى
الهواء ، وتطلق على الواحد
والجمع ، والمذكر والمؤنث ،
والغالب فى استعمالها التأنيث ،
والواو والتاء زائدتان ، كما فى
طاغوت . وجمعها عناكب
وعناكب .

٤٥ - ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَهْتَفِ عَنْ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ أى من شأنها
إذا أدبت كما أمر الله بالوقوف بين
يديه بغاية الذلة والخضوع ،
ونهاية التعظيم والخشوع أن تكون
مانعة لفاعلها من الفحشاء
والمنكر . ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أى
من كل شىء . أو لذكر الله تعالى
إياكم أكبر من ذكركم إياه . أو
لذكر العبد لله تعالى أكبر من سائر
أعماله ، وهو أفضل الطاعات .

٤٦ - ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ
إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ شروع فى

أُغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ
يُظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مِثْلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ
كَمِثْلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْيُوتِ لَبَيْتُ
الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ
الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾
خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ أَتُلُّ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ
الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ * وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ
الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ
وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا
وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَلِكَ أُنْزِلَ
إِلَيْكَ الْكِتَابُ فَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ
بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا
الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا
تَخْطُ بِيَمِينِكَ إِذْ أَلَّا رَتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَةٌ
بَيْنَتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا
إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ



قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ كُنِيَ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٣﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٤﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٥﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٦﴾ يَلْعَبَادَى الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّا أَرْضِي وَسِعَةً فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ ﴿٥٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُؤْتِيَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٩﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٦٠﴾ وَكَانَ مِنْ دَآيِبِهِ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَرَجَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَاِنِّي يُؤْفِكُونَ ﴿٦٢﴾ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ

إرشاد المؤمنين إلى أمثل الطرق في مُحاجة أهل الكتاب . أى لا تحاجوهم إلا بالطريقة التي هي أحسن الطرق وأنفعها ؛ وهي أن تكون بالرفق واللين ، لا بالإغلاظ والمخاشنة ؛ فإنها يحملان على المعادة ؛ ويصدان عن اتباع الحق . ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بالإفراط في الاعتداء والعناد ، ولم ينفع فيهم الرفق - فأغلظوا لهم . والآية - على الصحيح - غير منسوخة .

٥٣ - ﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ هو يوم القيامة . ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة .

٥٥ - ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ﴾ يحلّ لهم العذاب كالغشاء المحيط ؛ وهو عذاب الآخرة . و«يَوْمَ» ظرفٌ لمحدوف تقديره : يكون من الأحوال ما لا يحيط به الوصف .

٥٨ - ﴿لَنُؤْتِيَنَّهُمْ...﴾ لننزلهم على وجه الإقامة قصوراً عالية بيّنة من الجنة . يقال : بَوَات له منزلاً ، سَوِيته وهيأته . ﴿غُرَفًا﴾ منازل رفيعة عالية .

٦٠ - ﴿وَكَانَ مِنْ دَآيِبِهِ﴾ كم من دآية [آية ١٤٦ آل عمران ص ٩٧] .

٦١ - ﴿فَاِنِّي يُؤْفِكُونَ﴾ فكيف يُصرفون عن الإقرار بتفرده تعالى في الألوهية ، مع إقرارهم بتفرده سبحانه في الخلق والتسخير ؟ [آية ٧٥ المائدة ص ١٥٨] .

٦٢ - ﴿وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ يضيّق

يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ وَيَتَهَجُونَ بِهِ زَمَانًا
يَنْصَرِفُونَ عَنْهُ ﴿وَأَنَّ الدَّارَ
الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ لَهَا دَارُ
الْحَيَاةِ الدَّائِمَةُ ، الَّتِي لَا يَمُوتُ بِهَا
مَوْتُ وَلَا يَغْتَرِبُ بِهَا انْقِضَاءُ .
وَالْحَيَوَانُ : مُصَدَّرٌ حَتَّى ، سُمِّيَ
بِهِ ذُو الْحَيَاةِ ، وَأُطْلِقَ هُنَا عَلَى
نَفْسِ الْحَيَاةِ الْحَقَّةِ .

٦٥ - ﴿الَّذِينَ﴾ الْعِبَادَةُ
وَالطَّاعَةُ .

٦٧ - ﴿وَيُخْطَفُ النَّاسُ مِنْ
حَوْلِهِمْ﴾ يُخْطَفُونَ مِنْ حَوْلِهِمْ
قَتْلًا وَسَبًّا ، إِذْ كَانَتْ الْعَرَبُ
حَوْلَ الْحَرَمِ فِي تَغَاوُرٍ وَتَنَاهُبٍ ،
وَأَهْلُ مَكَّةَ آمِنُونَ ، مَنْ الْخُطْفُ
وَهُوَ الْأَخْذُ بِسُرْعَةٍ .

٦٨ - ﴿مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ مُسْتَقَرٌّ
وَمَكَانٌ إِقَامَةٌ لَهُمْ . يُقَالُ : ثَوَى
بِالْمَكَانِ ، أَيْ أَقَامَ بِهِ طَوِيلًا .
وَالِاسْتَفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ .

٦٩ - ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾
أَيَّ مَنْ أَجَلْنَا وَلَوْجَهْنَا خَالِصًا .
﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾
بِالنُّصْرِ وَالْمُعُونَةِ وَالتَّوْفِيقِ لِسَبْلِ
الْخَيْرِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

سُورَةُ الرُّومِ

٣ ، ٢ - ﴿غَلِبَتِ الرُّومُ...﴾
اِحْتَرَبَتِ الْفَرَسُ وَالرُّومُ فِيمَا بَيْنَ
أَدْرِعَاتٍ وَبُضْرَى مِنْ أَرْضِ الرُّومِ
يَوْمَئِذٍ ، وَهِيَ أَقْرَبُ أَرْضِهَا
بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَكَّةَ . وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ
الْهِجْرَةِ بِخَمْسِ سِنِينَ ، وَقِيلَ
بِسِتَّةٍ . فَظَهَرَ الْفَرَسُ عَلَى الرُّومِ ،
فَلَمَّا بَلَغَ الْخَبِيرُ مَكَّةَ شَقَّ عَلَى

مَنْ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٣٦﴾
وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ
لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ
دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ
يُشْرِكُونَ ﴿٣٨﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخْطَفُ النَّاسُ
مِنْ حَوْلِهِمْ أَفْبَالًا يَلْبِطُونَ وَيُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٤٠﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا
جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ
جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٢﴾

(٣٠) سُورَةُ الرُّومِ مَكِّيَّةٌ

الْآيَةُ ١٧ مَدَنِيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٦٠ نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَنْشِقَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَ ﴿١﴾ غَلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ

عَلَيْهِ ، مَنْ قَدَّرْتُ عَلَيْهِ الشَّيْءَ : الدُّنْيَا . وَاللَّعِبُ : اللَّعِبُ . وَهُوَ
ضَيْقُهُ ، كَأَنَّمَا جَعَلْتَهُ بِقَدَرٍ .
٦٤ - ﴿إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ﴾ اللَّهُوُّ :
اِشْتِغَالُ الْإِنْسَانِ بِمَا لَا بَغْيَةَ وَلَا
يَهْمَ . أَوْ هُوَ الْاِسْتِمَاعُ بِمِلْدَاتٍ
الدُّنْيَا . وَاللَّعِبُ : اللَّعِبُ . وَهُوَ
فَعْلٌ لَا يُقْصَدُ بِهِ مَقْصَدٌ صَحِيحٌ .
أَيُّ أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي سُرْعَةٍ
تَقْضِيهَا لَيْسَتْ إِلَّا كَالشَّيْءِ الَّذِي
يَلْهُو وَيَلْعَبُ بِهِ الصِّبْيَانُ ،



مَنْ بَعْدَ عَلَيْهِمْ سَيِّغْلِبُونَ ﴿٤﴾ فِي يَضْعُ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ
مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ يَنْصُرُ
اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ وَعَدَ اللَّهُ
لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧﴾
يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ
غَافِلُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى
وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٩﴾ أَوَلَمْ

المؤمنين ؛ لأن الفرس مجوس
لا يدينون بكتاب . والروم أهل
كتاب . وفرح المشركون وقالوا :
أنتم والنصارى أهل كتاب ، ونحن
والفرس أميون . وقد ظهر إخواننا
على إخوانكم . ولنظهرن نحن
عليكم ؛ فترلت الآية وفيها : أن
الروم سيغلبون الفرس في يضع
سنين . واليضع : ما بين الثلاث
إلى العشرة . ﴿عَلَيْهِمْ﴾ كونهم
مغلوبين .

٤ ، ٥ - ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ
الْمُؤْمِنُونَ يَنْصُرُ اللَّهُ﴾ بإظهار
صدقهم فيما أخبروا به المشركين من
غلبة الروم . ويتغلب من له
كتاب على من لا كتاب له .

وغيظ الشامتين من المشركين . ثم
بعد سبع سنين وقعت الحرب الثانية
بينها ؛ فظهر الروم على الفرس -
كما أخبر الله تعالى - حتى بلغوا
المدائن من بلاد الفرس ؛ وكانت
في السنة الثانية من الهجرة يوم
بدر - على القول الأول - أوفى
السادسة عام الحديبية - على
القول الثاني - ففرح المؤمنون .
وكان ذلك من الآيات الباهرة
الشاهدة بصدق النبوة . ومن
دلائل إعجاز القرآن ؛ لما فيه من
الإخبار بالغيب الذي لا يعلمه
إلا الله تعالى .

٦ - ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ أى وعد الله
المؤمنين وعدًا بالنصر والفرح
﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ أيًا كان
بما يتعلق بالدنيا والآخرة .

البالغة ! ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أى
وأجل معين قدّره الله تعالى أزلاً
لبقائها ، لا بُدَّ أن تنتهى إليه
وتفتى عنده ، وهو وقت قيام
الساعة وتبدل الأرض غير الأرض
والسموات . والأجل : يُطلق على
المدة المضروبة للشيء . وعلى غاية
وقت الحياة .

٩ - ﴿وَأَنَارُوا الْأَرْضَ﴾ قلبوها
للزراعة ، واستنباط المياه
واستخراج المعادن منها ونحوها ،
وغير ذلك .

١٠ - ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ﴾ أى ثم
كانت العقوبة السيئة وهى العذاب
في جهنم عاقبة الذين عملوا
السيئات . والسوءى : تأنيث
الأسوأ ؛ كالحسنى تأنيث
الأحسن . وقرئ (عاقبة) بالرفع

٧ - ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا﴾ بيان لسبب جهلهم
بشئونه تعالى ، وهو قصر تفكيرهم
على ما يظهر من شئون الدنيا ويلذ
لهم منها ؛ دون أن يفكروا فيما
وراءها من المقاصد العليا التى هى
السعادة الحقّة . وكيف ينعمون بها
ويحصلون عليها (وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ
الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا
يَعْلَمُونَ) (١) !

٨ - ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي
أَنفُسِهِمْ﴾ أى أقصروا النظر
على ظاهر من الحياة الدنيا ؟ ولم
يُحدثوا التفكر في قلوبهم فيعلموا
أنه تعالى ما خلق هذه العوالم
إلا بالحق الثابت الذى يحق
ثبوته ؛ لا بتناؤه على الحكم

البأس ، وأطلق على ما ذكر
محاربا ، للزومه للحزن غالبا [آية
٤٤ الأنعام ص ١٧٥] .

١٥ - ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾ هي في
الأصل : الأرض التي بها ماء
ونبات ، ولها رَوْقٌ ونضارة .
أو هي البستان الحسن النضر .
والمراد بها الجنة . ﴿يُحْبَرُونَ﴾
يُسْرُونَ ، أَوْيَعُمُونَ ،
أَوْيُكْرِمُونَ . والحبر والحبرة
والحبر : السرور والنعمة .

١٦ - ﴿فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ
مُحْضَرُونَ﴾ أى لا يغيبون عنه
أبداً ، من الحضور ضد الغياب .

١٧ - ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ فترها
الله تزيها عما لا يليق به ، وصفوه
بصفات الكمال . وهو بإطلاقه
يتناول التزيه بالقلوب والألسنة
والجوارح في هذه الأوقات
المذكورة ، لما في كل منها من
النعم المتجددة ، ولظهور آثار
القدرة والرحمة فيها . وقيل :
التسبيح الصلاة . (حين
تُسُون) صلاة المغرب والعشاء .
(وحين تُصْبِحُونَ) صلاة
الصبح ، (وعشيًا) صلاة
العصر ، (وحين تُظْهِرُونَ) صلاة
الظهر . واختار الرازي الأول .
وهو يتضمن الصلاة ، لكونها
أفضل أعمال الأركان التي هي من
أنواع التزيه المأمور به .

١٩ - ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ
الْمَيِّتِ﴾ [آية ٢٧ آل عمران
ص ٢٧٧] . ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾
أى ومثل ذلك الإخراج البديع

يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا
أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ
الَّذِينَ اسْتَفْتَوْا السَّوْءَ أَنْ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا
بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾ اللَّهُ يَسْخَرُ الْأَخْلَاقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ
تَرْجَعُونَ ﴿١٢﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٣﴾
وَلَا يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ
كَافِرِينَ ﴿١٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِذُ بِتَقَرُّقُونَ ﴿١٥﴾
فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ
يُحْبَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَائِ
الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٧﴾ فَسُبْحَانَ
اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٩﴾
يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ

على أنها اسم كان ، وخبرها للشيء . أولان كذبوا .
(السوءى) . ﴿السوءى﴾ ١٢ - ﴿يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾
العقوبة المتناهية في سوء (النار) يسكتون وتقطع حجتهم . وأصل
﴿أَنْ كَذَبُوا﴾ بأن كذبوا ، والباء الإيلاس : الحزن الناشئ من شدة

العجيب . تُخْرِجُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ للحساب والجزاء يوم القيامة . وهو نوع تفصيل لقوله تعالى : (اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) فالإبداء والإعادة بتساويان في قدرة من هو قادر على إخراج الحي من الميت وعكسه .

٢٠ - ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ اشتملت الآيات من ٢٠ إلى ٢٥ التي بدئت بلفظ (وَمِنْ آيَاتِهِ) على اثني عشر دليلاً على وحدانيته تعالى وانفراده بالخلق ، وقدرته على البعث : خلق الإنسان من مادة التراب وصورته بعد تقلبه في أطوار التكوين بشراً سوياً صالحاً للاستخلاف في عمارة الأرض . وجعله ذكوراً وإناثاً للاختلاف والتزاوج والناسل ؛ حتى يبق النوع الإنساني إلى الأمد المقدّر له . وخلق السموات مزينة

بالكواكب للاهتمام بها في ظلمات الليل ، وبالشمس التي سخر ضوءها وحرارتها لحياة الحيوان والنبات ، وبالقمر لتعلم عدد السنين والحساب . وخلق الأرض التي نستوى على ظهورها وما فيها من جبال وأنهار وبحار وخيرات عظيمة . واختلاف الأنسنة واللغات . واختلاف الألوان والصفات مع كون الأصل واحداً ؛ للتأثير وإمكان التعارف والتفاهم . وجعل الليل مناماً لراحة الأبدان والقوى . وجعل النهار معاشاً لا ابتغاء الرزق الذي به القوت والبقاء . وإراءة البرق

أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ الْإِنْسَانُ وَالْوَنُكُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ

سبحانه ! جل شأنه وعز سلطانه ! ﴿ تَنْتَشِرُونَ ﴾ تنصرفون فيما هو قوام معاشكم ، وتقلبون في الأرض في أسفاركم ابتغاء رزقكم .

٢١ - ﴿ لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ ليعيلوا إليها وتألفوها .

٢٢ - ﴿ وَاخْتِلَافُ السِّيَتِكُمْ ﴾ أى لغاتكم ولهجاتكم . أو أصواتكم وأنغامكم ؛ فلا يكاد يسمع منطقان متساويان من كل وجه . ﴿ وَالْوَنُكُ ﴾ أى ألوان أجسامكم . أو تخطيطات أعضائكم وهيئاتها وخللاها ؛

المبشر بالمطر ليطمع الإنسان في فضله تعالى ، والمندر بالصواعق ليخاف بطشه وانتقامه . وإنزال المطر من السماء لإحياء موات الأرض بالنبات والرى للإنسان والحيوان . وقيام السموات . وقيام الأرض واستمساكها وبقاؤها بقدرته تعالى وتدبيره . ثم ذكر في آية ٢٦ المبدوءة بقوله : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ ﴾ دليلاً آخر ، وهو إرسال الرياح مبشرات بالرحمة ، ومتفعا بها في البر والبحر . وكل ذلك ليعلم الإنسان أن بعث من في القبور إذا نفخ الصور أمرهين يسير على من هو على كل شئ قدير ؛

أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً
مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٍ قَانِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ
أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّن شُرَكَاءَ
فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَإِنَّتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ تَخِيفَتَكُمْ أَنْفُسُكُمْ
كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ
وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
فَطَرَّ اللَّهُ آتَىٰ فطرَ النَّاسِ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ
ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

أَيْمَانُكُمْ... أَي إِنْكُمْ
لَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَشَارِكَكُمْ فِيهَا
رِزْقَانَاكُمْ مِنْ الْأَمْوَالِ وَنَحْوَهَا
مَالِيكُمْ ، وَهُمْ أَمْثَالُكُمْ فِي
الْبَشَرِيَّةِ غَيْرِ مَخْلُوقِينَ لَكُمْ . فَكَيْفَ
تَشْرِكُونَ بِهِ سُبْحَانَهُ فِي الْمَعْبُودِيَّةِ
- الَّتِي هِيَ مِنْ خِصَائِصِهِ تَعَالَى -
مَخْلُوقَهُ ! بَلْ مَبْصُوعَ مَخْلُوقِهِ !!
حَيْثُ تَصْنَعُونَهُ بِأَيْدِيكُمْ ثُمَّ تَعْبُدُونَهُ
مِنْ دُونِهِ . وَجَمَلُهُ ﴿فَأَنْتُمْ فِيهِ
سَوَاءٌ﴾ فِي مَوْضِعِ الْجَوَابِ
لِلْاِسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِي ، أَي فَإِنَّكُمْ
وَهُمْ مُسَوِّوْنَ فِي التَّصَرُّفِ فِيهِ ؟!
وَقَوْلُهُ ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾ خَيْرٌ ثَانٍ
لِ(أَنْتُمْ) . وَقَوْلُهُ ﴿كَخِيفَتَكُمْ﴾
صِفَةٌ لِّمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ ، أَي خِيفَةً
كَائِنَةً مِّثْلَ خِيفَتِكُمْ مِّنْ هُوَ مِنْ
نَوْعِكُمْ . أَي تَخَافُونَ أَنْ تَسْتَبْدُوا
بِالتَّصَرُّفِ فِيهِ بِدُونِ رَأْيِهِمْ
كَخِيفَتِكُمْ مِنَ الْأَحْرَارِ الْمُسَاهِمِينَ
لَكُمْ .

٣٠ - ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾
أَقْبَلْ عَلَى الدِّينِ إِقْبَالًا كَامِلًا غَيْرَ
مُلْتَفٍ إِلَى سِوَاهُ وَاتَّبَتْ عَلَيْهِ
﴿حَنِيفًا﴾ مَائِلًا إِلَى الْحَقِّ ،
مَعْرُضًا عَنْ كُلِّ بَاطِلٍ [آيَةُ ١٣٥
الْبَقَرَةِ ص ٣٢] . وَالْخُطَابُ لَهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمَرَادُ هُوَ
وَأُمَّتُهُ . ﴿فَطَرَةَ اللَّهُ﴾ أَي أَلْزَمُوا
فَطَرَةَ اللَّهِ بِالْجَزَى عَلَى مَوْجِبِهَا ،
وَعَدَمِ الْإِخْلَالِ بِهِ بِاتِّبَاعِ الْهَوَى
وَوَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ ، وَالْفِطْرَةُ .
قَابِلِيَّةُ الدِّينِ الْحَقِّ وَالتَّهَيُّؤُ
لِإِدْرَاكِهِ . أَوْ هِيَ دِينُ الْإِسْلَامِ
وَالْتَوْحِيدِ ﴿لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ لَدِينِهِ

بِحَيْثُ وَقَعَ التَّأْيِيزُ بَيْنَ الْأَشْخَاصِ ،
حَتَّى إِنْ التَّوَامِينَ مَعَ تَوَافُقِ مَوَادِّهِمَا
وَأَسْبَابِهَا وَالْأُمُورِ الْمَلَابِسَةِ لَهَا فِي
التَّخْلِيقِ ، يَخْتَلِفَانِ لَا مَحَالَةَ فِي
شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَا فِي غَايَةِ
النَّشَابَةِ .
﴿قَانِتُونَ﴾ مُطِيعُونَ طَاعَةً
انْقِيَادًا ، لَا يَمْتَنِعُونَ عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ
يُرِيدُ فَعْلَهُ بِهِمْ ، وَإِنْ عَصَاهُ
بَعْضُهُمْ فِي الْعِبَادَةِ .
٢٧ - ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ أَي
بِالْبَعْثِ أَسْهَلُ عَلَيْهِ تَعَالَى مِنَ الْبَدْءِ .
وَالْأَسْهَلِيَّةُ عَلَى طَرِيقِ التَّمْيِيلِ
وَالْتَقْرِيبِ ، بِمَا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ
النَّاسِ مِنْ أَنْ إِعَادَةَ الشَّيْءِ مِنْ
مَادَّتِهِ الْأَوَّلَى أَسْهَلُ مِنْ ابْتِدَائِهِ ،
وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ! فَلَا يُقَاسُ عَلَى
خَلْقِهِ فِي ذَلِكَ ! فَإِنْ كُلُّ
الْمُمَكِّنَاتِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَتِهِ سَوَاءٌ .
﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ الْوَصْفُ
الْأَعْلَى فِي الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ .
٢٨ - ﴿هَلْ لَّكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ



* مُبِينِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِبَعًا
 كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرٌّ
 دَعَوْا رَبَّهُمْ مُبِينِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا
 فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ
 فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا
 فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا
 النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ
 أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ
 الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
 يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ
 السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ
 الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبٍّ لَّا يَرْبُؤَ أَمْوَالِ النَّاسِ
 فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ
 فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ

الذى فطرهم عليه . ومعنى فطر
 الناس عليه : أن الله خلقهم قابلين
 له ، غير نابين عنه ، منساقين إليه
 إذا خَلُّوا وأنفسهم ، دون أن
 تعترضهم الأهواء والوساوس .
 ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ أى الدين
 المأمور بإقامة الوجه له : هو الدين
 المستوى الذى لا اعوجاج فيه ،
 ولا انحراف عن الحق بحال ، وهو
 دين الإسلام .

٣١ - ﴿مُبِينِينَ إِلَيْهِ﴾ راجعين
 إليه تعالى بالتوبة وإخلاص
 العمل . يقال : أناب إلى الله
 إنابةً ، رجع ؛ حالاً من فاعل
 الزموا المقدرة . وقوله : ﴿وَاتَّقُوهُ
 وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا﴾
 معطوف على الزموا .

٣٢ - ﴿وَكَانُوا شِبَعًا﴾ فرقا
 مختلفة في الدين ، تشابح كل فرقة
 كبيرها الذى أضلها . .

٣٥ - ﴿سُلْطَانًا﴾ كتاباً
 أوحى .

٣٦ - ﴿فَرِحُوا بِهَا﴾ بطروا
 وأشروا . ﴿يَقْنَطُونَ﴾ ييشون من
 رحمة الله ؛ بخلاف المؤمن فإنه
 يشكر ربه عند النعمة ؛ ويرجوه
 عند الشدة .

٣٧ - ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أى يضيِّقه على
 من يشاء أن يضيِّقه ؛ والله فى ذلك
 الحكم البالغة .

٣٨ - ﴿فَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾
 أحسن إليه بالصدقة والصلة والبر
 تقرباً إلى الله تعالى .

٣٩ - ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبٍّ﴾ المراد

به هنا : العطية يُعطىها الرجل
 لأخيه بطلب المكافأة منه بأفضل
 منها ؛ ليزيد فى أموال الناس ؛
 فإن ذلك لا يُبارك فيه فى حكمه
 تعالى . ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ﴾
 أى صدقة تطوع ، ولم تُحمل على
 المفروضة ؛ لأن السورة مكتبة .
 والزكاة لم تُفرض إلا فى السنة
 الثانية من الهجرة . ﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ
 اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ ذوو
 الأضعاف من الحسنات ؛ من
 أضعف : إذا صار ذا ضعف ؛

كأقوى وأيسر . أى صار ذا قوة
ويَسَار .

٤١ - ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ﴾ كالجذب والموتان
والغلاء الشديد ، وكثرة الحرق
والغرق ، وإخفاق الصيادين
والغاصة ، ومحو البركات من كل
شيء ، وقلة المنافع في الجملة ،
وكثرة المضار وتسلط الأعداء ،
ونحو ذلك مما أصاب الناس بسبب
معاصيهم عقاباً لهم حتى يتوبوا إليه
تعالى . يقال : فسد - كَنَصَرَ
وكرّم - فساداً ، ضدّ صلح ،
ومنه المفسدة ، ضدّ المصلحة .
وهى كلمة جامعة لكل ما ذكر
ونحوه .

٤٣ - ﴿لَا مَرَدَّ لَهُ﴾ لا يقدر أحد
على رده . ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾ يفرقون
فريقين : فريق في الجنة وفريق في
السعير ، من التصدّع وهو
التفرق . يقال : صدعته
صدعاً - من باب نفع - شققته
فانصدع . وصدعت القوم صدعاً
فتصدّعوا ، أى فرقهم ففرقوا .
وأصله «يتصدعون» فقلت تاؤه
صاداً وأدغمت .

٤٤ - ﴿فَلَا تَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ أى
يوطّئون لأنفسهم منازل في
الجنة ، كما يوطّئ الرجل لنفسه
فراشاً لئلا يصبىه في مضجعه ما
ينغص عليه رقاده أو يؤذيه .
مأخوذ من مهد فراشه : إذا
وطّاه .

٤٨ - ﴿فَنُفِثَ سَحَاباً﴾ تهبّه
وتشره وتحركه ، من الثور وهو

رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمَيِّنُكُمْ ثُمَّ يُجَيِّدُكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ
مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾
ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ
لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٢﴾
قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٣﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ
يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٤﴾ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا
فَلَا نَفْسٍ يَمْهَدُونَ ﴿٤٥﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٦﴾
وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ
مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْزِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى
قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا
وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٨﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ
الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ
وَيَجْعَلُ لِكُفْرِهِمْ كَسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا
أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٩﴾
وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٥٠﴾

الهِجَان . ﴿ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا ﴾
قِطْعًا . ﴿ فَتَرَى الْوَدْقَ ﴾ المطر .
يقال : ودق - كوعد - قطر [آية
٤٣ النور ص ٤٥٥] . ﴿ يَخْرُجُ
مِنْ خِلَالِهِ ﴾ فُرْجِهَ وَوَسْطَه .

٤٩ - ﴿ لَمُتِلِسِينَ ﴾ ساكتين من
شدة الحزن آيسين [آية ١٢ من
هذه السورة] .

٥٠ - ﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ
اللَّهِ ﴾ المترتبة على إنزال المطر ؛ من
النبات والأشجار وأنواع الثمار -
نظر اعتبار واستبصار لتستدل بها
على قدرة الله تعالى على البعث .

٥١ - ﴿ قَرَأَوْهُ مُصْفًرًا ﴾ أى رأوا
النبات الذى أصابته الريح مصفراً
بعد خضرته ونضارته .

٥٤ - ﴿ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ .. ﴾
استدلال آخر على كمال قدرته تعالى
بخلق الإنسان على أطوار مختلفة .
أى بدأكم على ضعف وهو حال
الطفولة ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ
قُوَّةً ﴾ وهى قُوَّةُ الشَّابِّ . ﴿ ثُمَّ
جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا ﴾ عند
الكِبَرِ وَالْهَرَمِ ﴿ وَشِبْثَةً ﴾ هى تمام
الضعف ونهاية الكِبَرِ . مصدر
كالشَّبِّ .

٥٥ - ﴿ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴾ بصرفون
عن الحق فى الدنيا بإنكار البعث
[آية ٧٥ المائدة ص ١٥٨] .

٥٦ - ﴿ فِى كِتَابِ اللَّهِ ﴾ أى فى
حُكْمِ اللَّهِ . أو فى سابق علمه
وقضائه .

٥٧ - ﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ لا
يُطلب منهم استرضاء الله تعالى

فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
إِنَّ ذَلِكَ لَمُعْجَى الْمُؤْنَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٩﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ
يَكْفُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمُؤْنَى وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ
الدَّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥١﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَى عَنْ
ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُوْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾
* اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ
ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشِبْثَةً يَخْلُقُ
مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ
الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾
وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ
اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنْ كُنْتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ
وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا
الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَقَدْ جِئْتُم بِآيَةٍ لِيَقُولَنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى

وإزالة غضبه عليهم بالتوبة العُتْبَى . أى الرجوع إلى ما
والطاعة . حيث حَقَّتْ عليهم يُرضى الله تعالى من التوبة والعمل
كلمة العذاب ؛ من الصالح ؛ لانقطاع التكليف فى
الاستعتاب : وهو طلب ذلك اليوم . والعُتْبَى : اسمٌ من



سورة لقمان

- ٢ - ﴿الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ أى
ذى الحكمة . أو الحكيم مُثَرَّلُهُ
٤ - ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ...﴾ [آية
٣ البقرة ص ٤]

٦ - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ
الْحَدِيثِ﴾ نزلت فى الضر بن
الحارث ، اشترى قَيْتَةَ فكان لا
يسمع بأحد يريد الإسلام إلا
انطلق به إلى قَيْتَةَ فيقول :
أطعميه واسقيهِ وغَنِّهِ . ويقول :
هذا خير مما يدعوك إليه محمد
[صلى الله عليه وسلم] من الصلاة
والصيام ، وأن تقاتل بين يديه !
وقيل : كان يخرج إلى فارس
فيشتري أخبار الأعاجم فيروها
ويحدث بها قريشاً ويقول لهم : إن
محمدًا يحدثكم بأحاديث عادٍ
وثمود . وأنا أحدثكم بحديث
رُسُمٍ واسفنديار والأكاسرة ،
فيستملحون حديثه ويتركون سماع
القرآن . وكان قصده بذلك صدق
الناس عن الإسلام ، جهلا منه
بالحق ، أو بما يرتكب من الوزر .
أى ومن الناس من يقصد الإغواء
والصدق عن سبيل الله والهزء بها ،
فيتوسل إلى ذلك بما يستهوى عقول
الناس ويحذب قلوبهم ، ويُلهمهم
عن الحق والهدى حتى يصلوا
السبيل . ولكل قوم وزمان
الِهَاتٌ يعرفها الغواة المضللون .
والإشراء على حقيقته ، أو بمعنى
الاختبار والإيثار على القرآن .
وإضافة «لَهُوَ» إلى «الحديث»

قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ
وَلَا يَسْتَحْفَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٢﴾

(٣١) سورة لقمان مكيّة
إلا الآيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ فدينية
وآياتها ٣٤ نزلت بعد الصفات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى
وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى
مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ
مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ
عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾
وَإِذَا نُتِيَ عَلَيْهِ ءَايَتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن
فِي أُذُنِهِ وَقْرًا فَنَسِيَهُ بَعْدَ إِذِ انبَأَ أَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا

الإعتاب بمعنى إزالة العتب : يقال : استخف فلان
كالعطاء والاستعطاء [آية ٨٤
النحل ص ٣٥٣]

٦٠ - ﴿وَلَا يَسْتَحْفَكَ﴾ لا
يحملك على الخفة والقلق . أو لا
يستفزك عن دينك وما أنت

بمعنى من . ﴿هَزُوا﴾ سخرية - مهزوا بها .

٧ - ﴿وَلَّى مُسْتَكْبِرًا﴾ أعرض متكبراً عن تدبرها . ﴿وَقَرَأَ﴾ صمماً مانعاً من السماع .

٩ - ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ أى وعدهم الله ذلك وعداً . وحقه حقاً ، فهما مصدران مؤكّدان .

١٠ - ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ﴾ استشهداً على عزته سبحانه التى هى كمال قدرته ، وتمهيداً لقاعدة التوحيد وتقريره . وإبطالاً لأمر الشرك وتقريع لأهله . ﴿يَغْيِرُ عَمِدٌ﴾ بغير دعائم [آية ٢ الرعد ص ٣١٨] . ﴿رَوَّاسِي﴾ جبالاً ثوابت راسخات . ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أى لئلا تتحرك وتضطرب بكم [آية ١٥ النحل ص ٣٤٤] . ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾ نشر وفرق . يقال : بثه - من باب رد - وأبثه بمعنى : أى نشره . وبثَّ الريح التراب : فرقه وأثاره . ﴿زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ صنف حسن كثير المنافع .

١٢ - ﴿آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ أى العقل والفهم . أو الإصابة فى القول والعمل . أو نوراً فى القلب يُدرك به الحقائق ؛ كنور البصر الذى تُدرك به المبصرات . وكان رجلاً صالحاً حكيماً ولم يكن نبياً . قيل : إنه من بلاد النوبة . أو من السودان ، أو من الحبشة ؛ وكان نجاراً . والله أعلم بحقيقة أمره .

وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
يَغْيِرُ عَمِدَ تَرَوْنَهَا وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ
وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا
فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا
خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾
وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ
فَلِنَمَّا يَشْكُرْ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾
وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ
إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ
حَلَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلْتُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي
وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ

١٣ - ﴿وَهُوَ يَعِظُهُ﴾ الوعظ : وهن أى ضعفًا متزايدًا بازدياد زجرٍ مقترن بتخويف . وقال نقل الحمل إلى مدة الطلق . أو الخليل : هو التذكير بالخير فيما ضعفًا متتابعًا ، وهو ضعف يرق له القلب . وقد وعظ ابته بعشر مواعظ .
١٤ - ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ كلامٌ مستأنف ، أعترض به على نهج الاستطراد فى أثناء وصية لقمان لابنه ، مؤكّد لما اشتملت عليه من التهى عن الشرك ؛ أى أمرناه أن يبرهما ويحسن إليهما ، ويطيع أمرهما فى المعروف . ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى الْمَعْرُوفِ﴾ أى ضعفًا متزايدًا بازدياد زجرٍ مقترن بتخويف . وقال نقل الحمل إلى مدة الطلق . أو الخليل : هو التذكير بالخير فيما ضعفًا متتابعًا ، وهو ضعف يرق له القلب . وقد وعظ ابته بعشر مواعظ .
١٥ - ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا﴾ أى ضعفًا متتابعًا ، وهو ضعف يرق له القلب . وقد وعظ ابته بعشر مواعظ .
١٦ - ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ كلامٌ مستأنف ، أعترض به على نهج الاستطراد فى أثناء وصية لقمان لابنه ، مؤكّد لما اشتملت عليه من التهى عن الشرك ؛ أى أمرناه أن يبرهما ويحسن إليهما ، ويطيع أمرهما فى المعروف .
١٧ - ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ كلامٌ مستأنف ، أعترض به على نهج الاستطراد فى أثناء وصية لقمان لابنه ، مؤكّد لما اشتملت عليه من التهى عن الشرك ؛ أى أمرناه أن يبرهما ويحسن إليهما ، ويطيع أمرهما فى المعروف .

فِي مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعَمُهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا
 مَعْرُوفًا وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ
 فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْنِيْ إِنَّهَا إِن تَكُ
 مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ
 أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾
 يَبْنِيْ أَقِمْ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ
 وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾
 وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا
 إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ
 وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ
 الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ تَخَرَّكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ
 وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهِرَةً وَبَاطِنَةً
 وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا
 كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا

من الإساءة والإحسان . ﴿١٥﴾ مِثْقَالُ حَبَّةٍ ... ﴿١٦﴾ وزن أصغر شيء .

١٨ - ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ لا تُثْمِلُ صفحة وجهك عن الناس ، ولا تُعرض عنهم كما يفعل أهل الكبر . يقال : صَعَّرَ خَدَّهُ وصاعره . أماله عن النظر إلى

مَعْرُوفًا ﴿١٥﴾ أى فى أمور الدنيا التى لا تتعلق بالدين ما دمت حيًّا ، صحابًا معروفًا يرتضيه الشرع . وبقضيه الكرم والمروءة . ﴿١٦﴾ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ أى رجع إلى التوحيد والإخلاص مطيعًا .

١٦ - ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا﴾ أى الحَصَلَةُ

الناس تهاونًا وتكبرًا . والصَّعْرُ فى الأصل : داءٌ يصيب البعير فيلوى منه عنقه ؛ كُنِيَ به عن التكبر واحتقار الناس . ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ فَرَحًا وبطْرًا واختيالًا . مصدرُ مَرَحٍ - كَفَرَحٍ - فهو مَرَحٌ ومَرَّيْحٌ ؛ وقع حالاً مبالغاً . أو سرح مَرَحًا ؛ على أنه مفعولٌ مطلقٌ للفعل محذوف . والجملة فى موضع الحال . وقرئ «مَرَحًا» بكسر الراء . ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متكبرٌ يَخْتَالُ فى مشيته ؛ ومنه الخِيَلَةُ والمَخِيلَةُ والحَالُ بمعنى الكِبَرِ . ﴿فَخُورٌ﴾ كثير المباهاة بنحو المال والجاه . يقال : فخر - كَمَعَ - فهو فاخر وفخور . إذا تمدح بالخصال تطاولاً على الناس .

١٩ - ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ اعتدل فيه ، وتوسط بين البطء والإسراع ؛ من القصد وهو العدل واستقامة الطريق ، وضد الإفراط ؛ كالاقتصاد . ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ أنقص فيه وأقصر ، ولا ترفعه فوق الحاجة . يقال : غَضَّ فلان من فلان ، نقصه ووضع من قدره . وغَضَّ من طرفه غضا وغضاضاً وغضاضةً : خَفَضَهُ واحتمل المكروه .

٢٠ - ﴿أَلَمْ تَرَوْا ..﴾ خطابٌ للمشرَكين ، وتوبيخٌ لهم على الإصرار على الشُّرك مع مشاهدتهم دلائل التوحيد . ﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾



بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آيَاتًا أُولَٰئِكَ هُمُ السَّيِّطُونَ
يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ
إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى
اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ
إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ
غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَٰكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾
لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ
يَمْدُدُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْزُبُ عَنْكُمْ لَئِلَّا تَتَّقُوا
وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ
فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتَخْرَجُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ
يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾

جعل ما فيها مُسَخَّرًا لَكُمْ بحيث
تستفعلون به . ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ
نِعْمَتَهُ﴾ أوسعها وأتمها . يقال :
سَبَّغَتِ الثَّيْمَةُ سُبُوغًا - من باب
قعد - اتسعت . وأسبغها الله :
أفاضها وأتمها . والنَّعْمَةُ : ما
يُنتَفَعُ به وَيُسْتَلَذُّ وتُحمد عاقبته .
أو هي المنفعة المفعولة على جهة
الإحسان إلى الغير . ﴿وَمِنَ النَّاسِ
مَنْ يُجَادِلُ...﴾ [آية الحج ص
٤٢٣] نزلت في البَّضْر بن
الحارث . وأبى بن خلف -
وكانا يجادلان النبي صلى الله عليه
وسلم في التوحيد والصفات .
٢٢ - ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى
اللَّهِ﴾ يفوض جميع أموره إليه
تعالى ويقبل عليه بكلِّيته . ﴿وهو
مُحْسِنٌ﴾ في أعماله ﴿فقد
استمسك بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ أى
تعلق أقوى تعلق بأوثق الأسباب .
شبه المتوكل على الله في جميع
أموره . المحسن في أعماله - بمن
ترقى في جبل شاق ، أو تدلى منه
فاستمسك بأوثق عُروَةٍ من جبل
متين مأمون انقطاعه . والعُرْوَةُ من
التوب : مدخل زره . والوُثْقَى :
ثانيث الأوثق : من وثق -
ككرم - أخذ بالوثيقة في أمره ؛
أى بالثقة . ومنه الوثيق أى
الحكم .

٢٤ - ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ شديد
ثقيل (عذاب النار) .

٢٧ - ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي
الْأَرْضِ...﴾ أى ولو أن أشجار
الأرض كلها أقلامٌ . والبحرُ

الحيط يمدّه - بعد نفاذه - سبعة
أبحر ، وكتببت بتلك الأقلام
وبذلك المداد كلماته تعالى ما نفدت
كلماته ؛ ونفدت الأقلام والمداد .
﴿يَمْدُدُهُ﴾ يزيده ﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾
أى أبحر كثيرة - لا خصوص معلوماته .

وأصله استفامة الطريق ، ثم أطلق على ما ذكر مبالغة . ﴿ خَتَارٌ ﴾ غدار لنقضه العهد الفطري ؛ من الخثر وهو الغدر والخديعة ، أو أشدهما ، كالحثور . وفعله كضرب ونصر .

٣٣ - ﴿ لَا يَجْزِي ﴾ لا يقضى والدُّ عن ولده شيئاً ؛ من جزي بمعنى قضى . ﴿ الْعُرُورُ ﴾ هو كلُّ ما يعثر الإنسان ويخدعه من نحو مال وجاه ، وشهوة وشيطان وهو أحبث الغاررين ؛ نعوذ بالله منه .

٣٤ - ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ هذه الأمور الخمسة من المعيات ، قد استأثر الله تعالى بعلمها يقيني على وجه الإحاطة والشمول . لأحوال كلِّ منها وتفصيله على الوجه الآتم المطابق للواقع ؛ فلم يُطلع عليها ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا على هذا النحو من العلم . فلا ينافي أن يُطلع بعض أصفيائه وخواصه على أحدها لا على هذا النحو ؛ ففي الصحيح

عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله تعالى وكلَّ بالرحم ملكاً يقول يارب نطفة يارب علقة يارب مضغة فاذا أراد الله تعالى أن يقضي خلقه قال : أذكر أم أنثى شقي أم سعيد فإل الرزق فما الأجل فيكتب في بطن أمه) فحينئذ يعلم بذلك الملك ومن شاء الله تعالى من خلقه . وليست المعيات محصورة في الخمسة ؛ بل كلُّ غيب لا يعلمه إلا الله على

ذَلِكَ بِإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَإِنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطِلُ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٥﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٦﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمْ يَنْجِهم إِلَى الْبَرِّ فَنَهُم مَّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٧﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُورًا رَبُّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْعُرُورُ ﴿٣٨﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٩﴾

٣٢ - ﴿ غَشِيَهُمْ مَوْجٌ ﴾ علاهم وغطاهم موج ﴿ كَالظَّلِيلِ ﴾ جمع ظلة - كعُرْفَة وعُرف - وهي ما أظلَّ من سحاب أو جبل أو غيرها . وقيل : هي السحابة تظل . وأكثر ما يقال فيما يُستوخم ويُكره . ﴿ مَّقْتَصِدٌ ﴾ سالك القصد ؛ أي الطريق المستقيم لا يعدل عنه إلى غيره ، وهو الوفاء في البر بما عاهد الله عليه في البحر ؛ وهو التوحيد والطاعة .

٢٩ - ﴿ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ يُدْخِلُ كلَّ واحد منها في الآخر [آية ٢٧ آل عمران ص ٧٧] . وفي الآية من الدلالة على القدرة الباهرة على البعث ما يوجب الإيمان به ؛ كما في الآية التالية .

٣٠ - ﴿ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ العالی على جميع خلقه بالفهر ، الكبير عن أن يكون له شريك . أو عن أن يتصف بما لا يليق بجلاله وكَماله .

(٣٢) سُورَةُ السَّجْدَةِ مَكِّيَّةٌ
إِلَّا مِنْ آيَةِ ١٦ إِلَى غَايَةِ آيَةِ ٢٠ قَدْ نُسِيتِ
وَأَيُّهَا ٣٠ نَزَلَتْ بَعْدَ الْمُفْصَلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ
لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ
وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ
إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ
سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ

النحو المذكور . وما يُخَيَّرُ به
المنجم والطبيب وعلما المراسد
من الأمور التي لم تتكشف بعد ،
فبيناه ظن لا يقين ببعض الأحوال
الجزئية - ينبنى على أمارات أو
حساب قد يصيب وقد يُخطئ .
والله أعلم .

سُورَةُ السَّجْدَةِ

٢ - ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ .. مبتدأ
خبره (مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .
وجملة (لَا رَيْبَ فِيهِ) أى فى كونه
مثلاً منه تعالى معترضة بينهما . أو
حال من (الكتاب) .

٣ - ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أى بل
أيقولون : اختلق القرآن وافتعله
من تلقاء نفسه ! ف (أَمْ)
مُنْقَطِعَةٌ ، بمعنى بل التى للإضراب
وهزة الاستفهام ، إنكاراً لقولهم
وتعجباً منه لظهور عجز بلغائهم
عن مُعارضته . والافتراء :
الاختلاق . يقال : افترى
الكذب أى اختلقه . وأصله من
الفرى بمعنى قطع الجلد ، وأكثر
ما يكون للإفساد . ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّكَ﴾ بدليل إعجازه ،
فليس الأمر كما قالوا تعنتاً أو
جهلاً . ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَتْهُمْ مِنْ
نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ﴾ [آية ٤٦
القصص ص ٤٩٥] .

٤ - ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ أى
استواءً يليق به سبحانه بلا كيف
ولا تمثيل [آية ٢٩ البقرة ص
١١ ، ٥٤ الأعراف ص
٢٠٧] . ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ

وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ ليس لكم إذا
جاوزتم رضاه ولى أى ناصر
يتصركم إن أراد بكم ضرراً . ولا
شفيع يشفع لكم عنده . وأصل
الشفاعة : الانضمام إلى آخر ناصر
له سائلاً عنه ، وأكثر ما يُستعمل
فى انضمام من هو أعلى حُرمة ومرتبة
إلى من هو أدنى .
٥ - ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ .. التدبير
الإحكام والإتقان ، وهو هنا
إرادة الأشياء على هذا النحو .
والأمر : الشأن . والمراد شئون
الدنيا كلها . والجازان متعلقان
به . والعروج : الارتفاع
والصيرورة إليه تعالى . واليوم :
يوم القيامة ، ويتفاوت طوله
بحسب اختلاف الشدة . فيعادل
فى حالة ألف سنة من سنى
الدنيا ، وفى حالة خمسين ألفاً
منا . أى يُحكمُ الله شئون الدنيا
كلها السماوية والأرضية إلى أن
تقوم الساعة . أى يريد بها محكمة



١٠ - ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَأَيُّ وَقَالٍ مَنكُرٍ﴾ أي وقال منكرو البعث : إذا ذهبنا وغينا في الأرض . وصيرنا ترابًا بعد الموت ، نخلق بعد ذلك خلقًا جديدًا ! من قولهم : أضل الماء في اللبن ، إذا غاب .

١١ - ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ يستوفي نفوسكم ولا يبقى أحدًا منكم ﴿الَّذِي وَكَّلَ بِكُمْ﴾ أي قبض أرواحكم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ تصيرون إليه أحياء بالبعث والنشور للحساب والجزاء . وأصل التوفي : أخذ الشيء وافيًا تامًا . يقال : توفاه الله ، أي استوفي روحه وقبضه . وتوفيت مالى : استوفيته . والتفعل والاستفعال يلتقيان ، تقول : تقضيته واستقضيته ، وتعجلته واستعجلته .

١٢ - ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾ مَطْرُقُهَا مِنَ الْخِزْيِ وَالْحِيَاءِ وَاللَّدْمِ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ ، مِنَ التَّكْسِ وَهُوَ قَلْبُ الشَّيْءِ عَلَى رَأْسِهِ ، كالتَّكْسِيسِ . وفعله من باب نصر . وجواب (لو) محذوف ، أي لرأيت العجب . ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ أي بالبعث والحساب الآن .

١٣ - ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ أي لو شئنا إيتاء كل نفس رشدها وتوفيقها إلى الإيمان لآتيناه إيتاءه . ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ أي ثبت وتحقق قولي :

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ * قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ

متقنة حسبما تقتضيه الحكمة . ثم تصير كلها إليه في يوم القيامة . وهو اليوم الذي لا حكم فيه لسواه ولا ملك لغیره (لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) ﴿١﴾ لِيَحْكُمَ فِيهَا شَأْنُهُ أَنْ يُحْكَمَ فِيهِ بِمَا يَرِيدُ . ثم وصف هذا اليوم بما يفيد الشدة وعظم الهول ، وأنه إذا قيس بأيام الدنيا كان كألف سنة منها . وقد يكون خمسين ألفًا . وإذا كانت صيرورة الأمر كله إليه يوم القيامة ، فكيف يكون للمشركين فيه من دون الله ولي أو شفيع ؟

٧ - ﴿أَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ أَحْكَمَ وَأَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ، أَي أَوْجَدَهُ مُحْكَمًا مُتَّقِنًا عَلَى وَفْقِ

ما أَرَادَهُ سُبْحَانَهُ . واقتضته الحكمة واستدعته المصلحة . وقرئ «خَلَقَهُ» أَي أَحْسَنَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ، فَهُوَ بَدَلُ اشْتِمَالٍ مِنْهُ . ﴿وَبَدَأَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ﴾ أَي خَلَقَ آدَمَ مِنْ طِينٍ ، فَصَارَ عَلَى أَحْسَنِ صُورَةٍ وَأَبْدَعَ شَكْلٍ .

٨ - ﴿مِنْ سُلَالَةٍ﴾ خُلَاصَةٍ [آيَةُ ١٢ الْمُؤْمِنُونَ ص ٤٣٦] . ﴿مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ مُمْتَهِنٍ : لَا يُعْتَنَى بِهِ وَهُوَ الْمَنِي . وَالْمَهِينُ : الْحَقِيرُ وَالضَّعِيفُ وَالْقَلِيلُ .

٩ - ﴿سَوَّاهُ﴾ قَوْمَهُ بِتَصْوِيرِ أَعْضَائِهِ وَتَكْمِيلِهَا . ﴿مِنْ رُّوحِهِ﴾ إِضَافَتُهَا إِلَيْهِ تَعَالَى لِلتَّشْرِيفِ ، كَبَيْتِ اللَّهِ .



مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ
يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَكُمُ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِعَاقِبَتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا
سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَى
عَنْهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا
رَزَقْنَهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّنْ
قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا
كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾
وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا
مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ
بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ

﴿لَا مَلَأَنَّا جَهَنَّمَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ
أَجْمَعِينَ﴾ وهم الذين سبق في
علمنا أنهم يؤثرون الضلال على
الهدى لفساد استعدادهم ، فلم
نشأ إعطاءهم الهدى وأنتم منهم .
وإنما شئنا إعطاءه للابرار الذين
علمنا أنهم يختارون الهدى على
الضلال ؛ لنقاء نفوسهم وكمال
استعدادهم . ومشيئنا لأفعال
العباد منوطة باختيارهم أيها
المعلوم لنا أولاً . (مِنَ الْجَنَّةِ) أى
مِنَ الْجَنَّةِ . وسُئِلُوا جَنًّا
لاستشارهم عن الأنظار ؛ من
الْجَنِّ وهو السَّتر . قال تعالى :
(إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِمَّ مِنْ حَيْثُ لَا
تُرَوْنَهُمْ) (١)

١٤ - ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ تركناكم
في العذاب غير ملتفت إليكم
كالشيء المنسي ؛ جزاء نسيانكم
لقاء هذا اليوم .

١٥ - ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾ سقطوا
ساجدين لله تعالى ؛ تواضعاً له
وخشوعاً وخوفاً من عذابه . قال
أبو حيان : هذه السجدة من
عزائم سجود القرآن .

١٦ - ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ
الْمَضَاجِعِ﴾ تتنحى وترتفع
جنوبهم عن فراش التوم للعبادة .
والتجافى : التنحى إلى جهة
فوق . وأصله من جفا السرج عن
فرسه ؛ إذا رفعه ؛ كأجفاه .
ويقال : تجافى عن مكانه إذا لم
يلزمه . والجُنُوبُ : جمع
جَنَب . وأصله الجارحة المعروفة
أريد به الشخص . والمضاجعُ :

والصلة ؛ ثم عمَّ كلَّ عطاء .
﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أى بسببه .
وكون العمل سبباً إنما هو بمحض
فضل الله تعالى .

٢٠ - ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا
فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ منزلهم
ومسكنهم .

٢١ - ﴿مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾
أى الأقرب . وهو عذاب
الدنيا ؛ كالأسقام والمصائب
والجذب .

جمع مضجع وهو مكان الاتكاء
للنوم . والمراد : هجرهم النوم
وقيامهم ليلاً للتهجد والعبادة .

١٧ - ﴿مِنَ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ أى مما
تسر به قلوبهم [آية ٢٦ مريم ص
٣٩١ ، ٣٩٢] .

١٩ - ﴿فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى﴾
أى الجنات التى يأوون إليها
ويسكنون . ﴿نُزُلًا﴾ ثواباً . أو
ضيافة . وأصله ما يهيا للضيف
النازل من الطعام والشراب

الموصللة للمطلوب . ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا ..﴾ كثرة اهلاكنا الأمم قبلهم . ﴿الْقُرُونِ﴾ الأمم الخالية . وجملة ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ﴾ حال من الضمير في (لَهُمْ) .

٢٧ - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ أي أعموا ولم يشاهدوا . ﴿أَنَا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ أي اليابسة التي جُرُزَ نباتها وقطع ، إما لعدم الماء أو لرغيه . [آية ٨ الكهف ص ٣٧٥]

٢٨ - ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ أي الفصل في الخصومة بيننا وبينكم . والفتح : القضاء والحكم . [آية ٨٩ الأعراف ص ٢١٣] قال المشركون ذلك استهزاء وتكديبا .

٢٩ - ﴿يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ أي يوم القيامة . ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ﴾ أي لا ينفع الذين ماتوا على الكفر إيمانهم في ذلك اليوم . ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ أي يُمهلون في العذاب . والله أعلم .

الْعَذَابِ الْأَكْبَرَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٣٠﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَرْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٣١﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٣٢﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٣﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٣٤﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٥﴾

٢٣ - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة . ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ﴾ شك . ﴿مِنْ لِقَائِهِ﴾ أي لقاء موسى الكتاب بقبول ورضا وتحمل لشدائد الدعوة به ، فكُنْ مثله في ذلك .

٢٦ - ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ أي أغفلوا ! ولم يُبينْ لهم مآل أمرهم ، أو طريق الحق كثرة من أهلكنا من الأمم السابقة المعروفة لهم بسبب كفرهم ، فكذلك هم يُهلكون ، من الهداية وهو الدلالة

سُورَةُ الْأَخْرَابِ

(٣٣) سُورَةُ الْأَخْرَابِ مَدَنِيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٧٣ نَزَلَتْ بَعْدَ آلِ عِمْرَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتْلُوهَا النَّبِيُّ أَتَى اللَّهَ وَلَا تَطْعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ
رَبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ
فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ النَّسَىٰ تَطْهَرُونَ مِنْهُنَّ
أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ
بِأَفْوَاهِكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝
ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ ۚ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ۚ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا
أَبَاءَهُمْ فَلِأَخْوَانِكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ
جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ۚ وَلَكِنْ مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ

١ - ﴿أَتَى اللَّهَ﴾ دُخِلَ عَلَى التَّقْوَى .
أَوْ زَادَ مِنْهَا ، وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَتَى الْمُتَّقِينَ . ﴿وَلَا تَطْعُ
الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ وَدُخِلَ عَلَى
عَدَمِ إِطَاعَتِهِمْ فِيمَا يَطْلُبُونَهُ مِنْكَ مِنْ
رَفْضِ ذِكْرِ آلِهِمْ ، وَأَنْ تَقُولَ إِنَّهَا
تَشْفَعُ وَتَنْفَعُ . وَهُوَ تَخَصُّصٌ بَعْدَ
تَعْمِيمٍ ، لِإِقْتِضَاءِ الْمَقَامِ الْإِهْتِمَامِ
بِهِ .

٣ - ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ حَافِظًا
مَتَوَلِّيًا كُلَّ أُمُورِكَ .

٤ - ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ
فِي جَوْفِهِ﴾ مَثَلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ لِلْمُظَاهَرِ
مِنْ أَمْرَانِهِ ، وَالْمُنْبَتَّى وَلَدَ غَيْرِهِ
تَمْهِيدًا لِمَا بَعْدَهُ . أَيْ كَمَا لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ
لِلْإِنْسَانِ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ . لَمْ يَجْعَلِ
الْمَرْأَةَ الْوَاحِدَةَ زَوْجًا لِلرَّجُلِ
وَأُمَّالَهُ ، وَالْمَرْءَ دَعِيًّا لِرَجُلٍ وَابْنًا
لَهُ . ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي
تُظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾
بِتَحْرِيمِهِنَّ عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحْرِيمًا
مُؤَبَّدًا . يُقَالُ : ظَاهَرَ مِنْ أَمْرَانِهِ
وَتُظَاهَرُ وَظَهَرَ . إِذَا قَالَ لَهَا أَنْتِ
عَلَيَّ كَظَهَرِ أُمِّي ، يَرِيدُ بِهِ تَحْرِيمَهَا
عَلَيْهِ كَأُمِّهِ . وَقَدْ رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ

فِي سُورَةِ الْمَجَادَلَةِ بِقَوْلِهِ : (الَّذِينَ
يُظَاهَرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ
أُمَّهَاتُهُمْ ۚ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي
وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُتَكْرِمًا مِنَ
النُّقُولِ وَزُورًا) (١) . ﴿وَمَا جَعَلَ
أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ جَمْعُ
دَعَى ، وَهُوَ الَّذِي يُدْعَى ابْنًا لِغَيْرِ
أَبِيهِ . وَكَانَ الرَّجُلُ يَتَّبِعُ وَلَدَ

غَيْرِهِ ، وَيُجْرَى عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْبَنُوَّةِ
النِّسْبَةِ ، وَمِنْهَا حَرَمَةُ تَزْوِجِهِ
بِمُطْلَقَتِهِ ، كَمَا تَحْرِمُ زَوْجَةَ الْإِبْنِ
النِّسْبَى عَلَى أَبِيهِ . فَأَبْطَلَ اللَّهُ
بِذَلِكَ حُكْمَ هَذَا الظَّاهَرِ وَأَبْطَلَ
النِّسْبَى . ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أَيْ مَا ذَكَرَ
مِنْهَا ﴿قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ أَيْ
مَجْرَدُ قَوْلٍ بِاللِّسَانِ لَا يَحْكِي

الواقع . ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ أَيْ
الْقَوْلَ الثَّابِتَ الْحَقُّقَ ﴿وَهُوَ يَهْدِي
السَّبِيلَ﴾ يُرْشِدُ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ .
٥ - ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾
انْسِبُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ النَّسَبِيِّينَ دُونَ
غَيْرِهِمْ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَبَيَّنَ قَبْلَ الْبُعْثَةِ زَيْدُ
ابْنِ حَارِثَةَ بَعْدَ أَنْ أَعْتَقَهُ ، فَكَانَ

مطلقاً : عَصَبَةٌ وَغَيْرَ عَصَبَةٍ
بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي
الْإِرْثِ ﴿١﴾ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴿٢﴾ أَى فِيمَا
أَنْزَلَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ، وَهُوَ آيَةُ
الْمَوَارِيثِ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ (١) .
﴿٣﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ ﴿٤﴾
بَيَانٌ لِأَوَّلَى الْأَرْحَامِ . وَكَانَ بِالْمَدِينَةِ
تَوَارِثٌ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
بِالْهَجْرَةِ وَالْمُوَاخَاةِ - كَمَا تَقْدُمُ فِي آيَةِ
٧٢ مِنَ الْأَنْفَالِ - ثُمَّ نُسِخَ بِآيَةِ ٧٥
مِنْهَا وَاتَّكَدَ النُّسْخُ بِهَذِهِ الْآيَةِ ،
وَجُعِلَ التَّوَارِثُ بِحَقِّ الْقَرَابَةِ .
﴿٥﴾ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ
مَعْرُوفًا ﴿٦﴾ أَى لَكِنْ إِذَا أَوْصَيْتُمْ إِلَى
مَنْ تَوَادُّوهُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ شَيْءٍ مِنْ
أَمْوَالِكُمْ كَانَ ذَلِكَ جَائِزًا ، فَيَكُونُ
لَهُمْ بِحُكْمِ الْوَصِيَّةِ لَا الْمِيرَاثِ .

٧ - ﴿٧﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ
مِيثَاقَهُمْ ﴿٨﴾ أَى وَادَّكَرَ وَقْتُ
أَخَذْنَا مِنْ جَمِيعِ النَّبِيِّينَ الْعَهْدَ
الْوَثِيقَ بِتَلْيِغِ الرِّسَالَاتِ وَإِقَامَةِ
الدِّينِ الْحَقِّ . أَوْ بِتَصَدِيقِ بَعْضِهِمْ
بَعْضًا فِي أَصُولِ الشَّرَائِعِ . وَخُصَّ
خَمْسَةٌ مِنْهُمْ بِالذِّكْرِ ، وَهُمْ أَوْلُو
الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ لِفَضْلِهِمْ عَلَى
سَائِرِهِمْ ، وَقُدِّمَ ذِكْرُ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَزِيدِ فَضْلِهِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى
سَائِرِ النَّبِيِّينَ . صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ
عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ . ﴿٩﴾ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٠﴾
عَهْدًا وَثِيقًا قَوِيًّا عَلَى الْوَفَاءِ .

٩ - ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴿١٢﴾ بَيَانٌ
لِمَزِيدِ فَضْلِهِ تَعَالَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي
صَرْفِهِ أَعْدَاءَهُمْ عَنْهُمْ وَهَزْمِهِ إِيَّاهُمْ
حِينَ تَحَرَّبُوا عَلَيْهِمْ ، وَذَلِكَ فِي
شَوَالِ سَنَةِ خَمْسٍ أَوْ أَرْبَعٍ مِنْ

أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَى
بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ
تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ
مَسْطُورًا ﴿١٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ
وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا
مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٤﴾ لَيْسَ لَكَ الصَّدِيقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ
وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١٦﴾

وَدَعَتْهُمْ نَفْسُهُمْ إِلَى خِلَافِهِ وَجِبَ
أَنْ يُؤْثِرُوا مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ عَلَى
مَا دَعَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ إِلَيْهِ ، لِأَنَّهُ لِمَزِيدِ
شَفَقَتِهِ عَلَيْهِمْ وَنَصَحِهِ لَهُمْ لَا
يَدْعُوهُمْ إِلَّا إِلَى مَا فِيهِ نَجَاتُهُمْ .
وَنَفْسُهُمْ كَثِيرًا مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى مَا
فِيهِ هَلَاكُهُمْ . ﴿١٧﴾ وَأَزْوَاجُهُ
أُمَّهَاتُهُمْ ﴿١٨﴾ أَى كَأُمَّهَاتِهِمْ فِي
وَجُوبِ تَعْظِيمِهِمْ ، وَحُرْمَةِ
نِكَاحِهِمْ بَعْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
حُرْمَةً مُؤَبَّدَةً . وَأَمَّا فِيمَا عَدَا ذَلِكَ
مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِمْ وَالْحُلُوقَةِ بِهِمْ
وَإِرْثِهِمْ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَهِنَّ فِيهِ
كَالْأَجْنِيَّاتِ ، وَلِذَا لَمْ يَتَعَدَّ
التَّحْرِيمُ إِلَى بَنَاتِهِنَّ . ﴿١٩﴾ وَأَوْلُوا
الْأَرْحَامُ ﴿٢٠﴾ أَى ذَوُو الْقَرَابَاتِ

يُدْعَى إِلَّا زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ . فَلَمَّا
نَزَلَتِ الْآيَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَنْتَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ
ابْنِ شَرَاهِيلَ) . ﴿٢١﴾ هُوَ أَقْسَطُ ﴿٢٢﴾
أَعْدَلُ . ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا
أَبَاءَهُمْ ﴿٢٤﴾ لَتَنْسُبُوهُمْ إِلَيْهِ .
﴿٢٥﴾ فَأَخْوَانُكُمْ ﴿٢٦﴾ إِخْوَانُكُمْ ﴿٢٧﴾ فِي
الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴿٢٨﴾ أَى أَوْلِيَائُكُمْ
فِيهِ ، فَادْعُوهُمْ بِالْأَخْوَةِ
وَالْمَوْلَوِيَّةِ ، وَقُولُوا لِلوَاحِدِ مِنْهُمْ :
أَخِي وَمَوْلَايَ . وَلِذَا قِيلَ لِسَالِمٍ بَعْدَ
نَزُولِ الْآيَةِ : سَالِمُ مَوْلَى أَى
حَدِيقَةٍ ، وَكَانَ قَدْ تَبَيَّنَ قَبْلُ .

٦ - ﴿٢٩﴾ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٠﴾
أَى أَحَقُّ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ فِي
الطَّاعَةِ ، فَإِذَا دَعَاهُمْ إِلَى أَمْرٍ

الهجرة . وتسمى غزوة الأحزاب
وغزوة الخندق . ﴿ إِذْ جَاءَكُمْ
جُنُودٌ ﴾ . وهم قريش وبنو أسد
وعطفان وبنو عامر وبنو سليم
وقريظة والتضير ، وكانوا زهاء
اثنى عشر ألفاً . ولما سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بإقبالهم أمر بحفر
خندق حول المدينة بإشارة سلمان
الفارسي . ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِيحًا ﴾ . هي ريح الصبا وكانت
شديدة البرودة . ﴿ وَجُنُودًا لَمْ
تَرَوْهَا ﴾ . هم الملائكة ، ولم يقاتلوا
في هذه الغزوة ، وإنما ألحقوا
الرعب في قلوب المشركين .

١٠ - ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ ﴾
مالت عن ستنها حيرة وذهشة ،
شاخصة لا تلتفت إلى شيء إلا إلى
عدوها . يقال : زاغ يزيغ زيغاً
وزيغاً ، مال . وزاغ البصر :
كل ، وكلاله من استدامة
شخصه من شدة الهول .
﴿ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾
نبتت عن أماكنها من الصدور .
حتى بلغت الحلقم . وهو كناية
عن شدة اضطراب القلوب
ووجيها من عظم الفرع والخوف .
﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ﴾ أي
الظنون المختلفة . ظن المنافقون أن
المسلمين يستأصلون ، وأيقن
المؤمنون حقاً أن وعد الله حق وأنهم
هم المنصورون .

١١ - ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾
أي في ذلك المكان الدخض اختبر
الله المؤمنين بالخوف والجوع وشدة
الحصار ، ليتبين المخلصون من

﴿ إِذْ جَاءَكُمْ ﴾ . ﴿ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾ . ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ
الْأَبْصَارُ ﴾ . ﴿ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ . ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ
الظَّنُونَا ﴾ . ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا
شَدِيدًا ﴾ . ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ . ﴿ وَإِذْ قَالَتْ
طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا
وَيَسْتَعِذُّ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا
هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ . ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ
مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُلِواْ الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا
يَسِيرًا ﴾ . ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَٰلَهُدَا اللَّهُ مِنْ قَبْلِ لَا يُؤْلُونَ

النافقين . ﴿ وَزُلْزِلُوا ﴾ اضطربوا
كثيراً من شدة الفرع .
١٢ - ﴿ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَّرَضٌ ﴾ هم المنافقون . والعطف
لتغاير الصفات . ﴿ غُرُورًا ﴾ باطلاً
من القول . يقال : غرَّ غرّاً
وغروراً وغرّة ، خدعه وأطمعه
بالباطل ، فاعتر هو . وكان
القائلون بهذه المقالة نحو سبعين
رجلاً من المنافقين .

١٣ - ﴿ يَثْرِبَ ﴾ اسم المدينة
النورة قديماً . ﴿ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾
أي لا إقامة أو لا مكان إقامة لكم
ههنا ﴿ فَارْجِعُوا ﴾ إلى بيوتكم
بالمدينة . ﴿ وَيَسْتَعِذُّ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ

النبي . هم بنو حارثة بن الحارث
وبنو سلمة . ﴿ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾
خالية ضائعة غير حصينة . يقال :
دار ذات عورة ، ودار مغورة :
إذا كان سهل دخولها . وكل
مكان ليس بممنوع ولا مستور فهو
عورة . والعورة في الأصل :
الخلل في البناء ونحوه . ﴿ فِرَارًا ﴾
هرباً من القتال مع المؤمنين .

١٤ - ﴿ مِنْ أَقْطَارِهَا ﴾ جوانبها
ونواحيها . ﴿ سُلِواْ الْفِتْنَةَ ﴾ أي
طلب منهم مقابلة المسلمين .
﴿ لَا تَلَبَّثُوا بِهَا ﴾ أي لأعطوها
وفعلوها . ﴿ وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا
يَسِيرًا ﴾ أي ما تأخروا بالفتنة إلا



الْأَذْبَرُ ۖ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ
الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُنْتَعُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ
أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ * قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ
مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشْجَةٌ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ
يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ
الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشْجَةً
عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَا يَتُؤَمِنُوا فَاخْبِطْ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ
ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ۖ

محمد قتلاً ؛ فإننا نخاف عليكم
الهلاك . اسم فعل أمر [آية ١٥٠
الأنعام ص ١٩٥] . وَلَا يَأْتُونَ
الْبَاسَ ۖ الحرب والقتال ۖ إِلَّا
قَلِيلًا ۖ أى إلا إتياناً قليلاً حين لا
يجدون منه بُدًّا ، فيأتون رياء
وسُعة لا احتساباً عند الله تعالى .
١٩ - ﴿أَشْجَةٌ عَلَيْكُمْ﴾ بُخلاء
عليكم بالثَّغْرَةِ والنَّفَقَةِ في سبيل
الله والمعاونة في حَقْرِ الحَدِّقِ ۖ
وبكل ما فيه منفعة لكم . جمع
شحيح ؛ من الشَّح وهو البخل
مع الخُص . منصوب على الحال
من ضمير «يأتون» . ﴿فَإِذَا جَاءَ
الْخَوْفُ﴾ من جهة العدو أو منه
صلى الله عليه وسلم ﴿رَأَيْتَهُمْ
يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ خوفاً من القتال
أو منك ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾
بأحداقهم يميناً وشمالاً دون أن
تطرف . ﴿كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ
الْمَوْتِ﴾ أى كدوران عيني الذي

تغشاه سكرات الموت ؛ لذهوله
وشدة خوفه . ﴿سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ
حِدَادٍ﴾ أى بسطوا فيكم ألسنتهم
الذَّارِبَةَ بِالْأَذَى والسب
والتنقيص . يقال : سلق البيض
وغيره يسْلُقُهُ ، أغلاه بالنار إغلاءً
خفيفة . وسَلَقَهُ بالكلام : آذاه
به . وأصل السَّلَق : بسط العضو
ومدّه للقهر ، يداً كان أو لساناً .
و«حِدَادٍ» : أى ماضية صارمة
تؤثر تأثير الحديد . يقال : حدّ
السَّكِينِ وأحدها وحددها ،
مسحها بحجر أو ميرد ؛ فهي
حديد . ﴿أَشْجَةٌ عَلَى الْخَيْرِ﴾

١٨ - ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ
مِنْكُمْ﴾ المُبْطِئِينَ عَنِ الْقِتَالِ ،
الضَّارِفِينَ النَّاسَ عَنْ نُصْرَةِ الرَّسُولِ
صلى الله عليه وسلم . وهم طائفة
من المنافقين كانوا يُحْذِلُونَ
المسلمين ؛ من العَوَق وهو المنع
والصَّرْفُ والتَّشْيِيط ؛ كالتَّعْوِيقِ
والاعتياق . يقال : عاقه يعوقه
عَوْقًا ، وعَوَّقَهُ واعتاقه : صرفه
عن الوجه الذى يريده .
﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾
تعالوا إلى ما نحن فيه من الإقامة
والأمن والدِّعة ، ولا تشهدوا مع

زماناً يسيراً قدر ما يأخذون
أسلحتهم . والثَّابِتُ : الإبطاء
والتأخر ؛ وهو تمثيل لإسراعهم
إلى القتال وهم في أشد حال إذا ما
دُعُوا إِلَى مَقَاتِلَةِ الْمُسْلِمِينَ ، لَفَرَط
كراهتهم لهم ؛ فضلاً عن تعللهم
باختلال البيوت مع سلامتها .

١٥ - ﴿لَا يَأْتُونَ الْأَذْبَارَ﴾ لَا
يَفْرُونَ وَلَا يَنْهَزُونَ ؛ كُنِيَ عَنْ
ذَلِكَ بَتَوَلَّى الْأَذْبَارَ ، لِأَنَّ الْمَنْهَزَ
الْفَارِي يَتَوَلَّى ظَهْرَهُ مِنْ قَرْنِهِ .
١٧ - ﴿يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾
يَمْنَعُكُمْ مِنْ قَدَرِهِ تَعَالَى .

بُخْلَاءَ حَرِصِينَ عَلَى الْغَنِيمَةِ .
يُشَاحُونَ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ قَسَمَتِهَا .
٢٠ - ﴿يُودُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ يَتَمَنَّى الْمُنَافِقُونَ إِذَا فُرِضَ رَجُوعُ الْأَحْزَابِ لِلْقِتَالِ مَرَّةً أُخْرَى ، أَن يَكُونُوا غِيَبًا عَنْكُمْ فِي الْبَادِيَةِ مَعَ الْأَعْرَابِ حَذَرًا مِنَ الْقَتْلِ ؛ لِشِدَّةِ خَوْفِهِمْ وَجُبْنِهِمْ .
يَقَالُ : بَدَا الْقَوْمُ بَدَاءً ، خَرَجُوا إِلَى الْبَادِيَةِ . وَقَوْمٌ بُدَى وَبُدَا : بَادُونَ . وَالْأَعْرَابُ : جَمْعُ أَعْرَابٍ وَهُمْ أَهْلُ الْبَادِيَةِ ؛ كَمَا أَنَّ الْعَرَبَ جَمْعُ عَرَبٍ وَهُمْ أَهْلُ الْحَاضِرَةِ .

٢١ - ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أَيِ خُصْلَةٍ حَسَنَةٍ مِنْ حَقِّهَا أَن يُؤْتَى وَيُقْتَدَى بِهَا ، وَهِيَ الثِّقَةُ بِاللَّهِ وَالثَّبَاتُ فِي الشَّدَائِدِ . وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَكَارِهِ وَالْقِتَالِ بِنَفْسِهِ . أَوْ قُدْوَةٌ صَالِحَةٌ ؛ بِمَعْنَى الْمُؤْتَى بِهِ أَيْ الْمُقْتَدَى بِهِ . وَقُرِئَ بِكسر الهمزة . وَالْخُطَابُ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصَ .

٢٣ - ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾ أَدَّى نَذْرَهُ ، وَوَفَّى بَعْدَهُ مَعَ اللَّهِ حَتَّى اسْتَشْهَدَ فِي سَبِيلِهِ . وَالنَّحْبُ : النَّذْرُ . وَقَضَاؤُهُ : الْوَفَاءُ بِهِ . يُقَالُ : نَحَبَ - كَنَصَرَ - إِذَا نَذَرَ . وَقِيلَ « قَضَى نَحْبَهُ » : أَيِ مَاتَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الصَّدَقِ وَالْوَفَاءِ .

٢٤ - ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ..﴾ أَيِ ابْتِلَاهُمْ اللَّهُ بِرُؤْيَا ذَلِكَ الْخُطْبِ لِيَجْزِيَ ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُتَافِقِينَ﴾ أَيِ فِي الْآخِرَةِ ﴿إِنْ شَاءَ﴾ أَن

وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يُوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَاحِبِهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ

يَمُوتُوا عَلَى نِفَاقِهِمْ ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ أَيِ يَوْفِقُهُمُ لِلتَّوْبَةِ . أَوْ يَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ إِذَا تَابُوا فَلَا يُعَذِّبُهُمْ فِيهَا .
٢٦ - ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ..﴾ وَأَنزَلَ يَهُودَ قَرِيبَةً مِنَ الَّذِينَ عَاوَنُوا الْأَحْزَابَ عَلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ . وَنَقَضُوا الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدْرًا وَخِيَانَةً . ﴿مِنْ صَاحِبِهِمْ﴾ أَيِ مِنْ حَصُونِهِمْ . جَمْعُ صَيْصِيَّةٍ وَهِيَ كُلُّ مَا يُتَحَصَّنُ



تَطْعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ
قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا
فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ
تُرِيدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ
مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يٰ نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنِ يَأْتِ مِنْكُنَّ
بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ
ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ * وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ
وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا
رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يٰ نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ
إِنْ أَتَقَيْنَ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ
مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا

٢٨ - ﴿قُلْ لِأَزْوَاجِكَ...﴾ طلب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم - وهن تسع - السعة في النفقة وثيابا للزينة . فأمر أن يخبرهن بين التسريح بإحسان ليتلن الدنيا ، وبين الصبر على ضيق الحال ليظفرن في الآخرة بالحسن ، فاخترن - رضى الله عنهن - الله ورسوله والدار الآخرة . وقد كافأهن الله على ذلك بخرمة الزيادة عليهن ، وخرمة استبداهن بقوله : (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن) (١) ﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾ أعطكن متعة الطلاق ، وهى مستحبة للمطلقات المدخول بهن اللاتي سمي هن مهر ، وهى حق على المتقين [آية ٢٣٦ البقرة ص ٥٧] . ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ أطلقكن طلاقا خاليا من الضرار أو من الخصومة ، وهو التسريح بإحسان .

٣٠ - ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنِ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ...﴾ وَعَظَّ لِنِسَائِهِ صلى الله عليه وسلم مع عصمة الله لهن وطهارتهن من كل سوء . أى من يأت منكن بمعصية ظاهرة القبح يضاعف عقابها ، فإن المعصية من رفيع الشأن أشد قبحا ، فناسب أن يضاعف جزاؤها . والجملة الشرطية لا تقتضى وقوع الشرط ، كما فى قوله تعالى : (لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ) (٢)

صلى الله عليه وسلم وقال : (لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة) . فكان القتل منهم على ما قيل ستمائة أو سبعمائة مقاتل . ﴿الرُّعْبُ﴾ الخوف الشديد .

٢٧ - ﴿وَأَرْضًا لَمْ تَطْعُوهَا﴾ أى وأورثكم أرضا لم تطعوها بعد بقصد القتال وهى خير ، وهى مدينة كبيرة محصنة ، بينها وبين المدينة أربع مراحل ، وكان فتحها فى شهر المحرم من السنة السابعة . وتفصيل هذه الغزوات فى السيرة .

به ، ومنه قيل لقَرْنَ الثَّوْرَ وَالظَّبْيَ وشوكة الديك التى فى رجله صَبِيئَةً ، لتحصنها بها . وكان ذلك إثر غزوة الخندق فى آخر ذى القعدة . وقد حاصره الرسول صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة ، ثم طلبوا حين اشتد البلاء عليهم أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ ورضى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسّم الأموال . وتُسبى الذراري والنساء ، فكبر النبي

(١) آية ٥٢ سورة الأحزاب .

(٢) آية ٦٥ الزمر .

٣١ - ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُكَنَّ﴾ أى تخضع وتطع .

٣٢ - ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ..﴾ أدب أدب الله به نساء نبيه صلى الله عليه وسلم ، وهن في مكان القدوة لسائر النساء ، ومن حكمة هدى النبوة للأمة . أى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء ؛ فإذا نُقِصَت أمة النساء جماعةً جماعةً لم توجد جماعةً منهن تعدلكن في الفضل والسابقة ﴿إِنْ اتَّقَيْتُنَّ﴾ الله عز وجل كما أمركن . أى إن دُمِست على ما أنتن عليه من التقوى ؛ وهو شرط لتفى المثلية . ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ لا ترفقن الكلام ولا تُلته إذا خاطبتن الرجال . والعرب تعدن من محاسن خصال النساء - جاهلية وإسلامًا - تنزية خطابين عن ذلك لغير الزوج من الرجال . ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ حسناً محموداً بعيداً عن الريبة والأطعاج .

٣٣ - ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ الزمتها ، فلا تخرجن لغير حاجة مشروعة . ومثلهن في ذلك سائر نساء المؤمنين .

والحكمة فيه : أن ينصرفن إلى رعاية شؤون بيوتهن ؛ وتوفير وسائل الحياة المنزلية التي هي من خصائصهن ولا يحسنها الرجال ، وإلى تربية الأولاد في عهد الطفولة وهي من شأنهن . وقد جرت السنة الإلهية بأن أمر الزوجين قسمة

تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٤﴾ وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ

من زينتها ما أوجب الله عليها ستره ؛ كالشعر والعتق والصدر والذراعين والساقين ، مما شأنه أن يثير النظر إليه شهوة الرجال . ومن التبرج في بعض الروايات : المشية بتكسر وحركات مثيرة ؛ كما كان يفعل نساء الجاهلية الأولى . مأخوذ من التبرج وهو سعة العين وحسها . و «الأولى» بمعنى المتقدمة . يقال لكل متقدم ومتقدمة : أول وأولى . أو هي بمثابة قولهم : الجاهلية الجاهلاء . ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ تعليل لما تقدم من الأوامر والتواهي . والرَّجْسُ : الإلثم والسذنب ، والقذر والنقائص . والمراد هنا : ذهاب كل ذلك عنهم . و «ال» فيه للاستغراق ، ويحتمل أن تكون للجنس . ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ هم نساؤه صلى الله عليه وسلم بقرينة السياق .

٣٤ - ﴿وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي

بينهما ؛ فلرجال أعمال من خصائصهم لا يحسنها النساء ، وللنساء أعمال من خصائصهن لا يحسنها الرجال ؛ فإذا تعدى فريق عمله اختل النظام في البيت والمعيشة . ومما يباح خروجهن لأجله : الحج ، والصلاة في المسجد ، وزيارة الوالدين ، وعبادة المريض ، وتعزية الأقارب ، والعلاج ونحو ذلك ؛ بشروطه التي منها التسر وعدم التبذل .

و «قَرْنَ» وقرئ «قَرْنَ» بكسر القاف ؛ كلاهما من القرار بمعنى السكون . يقال : قر بالمكان يقر - بالفتح والكسر - إذا أقام فيه وثبت . والأمر من الأول قرن ، وأصله : اقررن - بفتح الراء الأولى - . ومن الثاني قرن ، وأصله : اقررن - بكسر الراء الأولى . ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ أى إذا خرجتن لحاجة فيحرم أن تبدى إحداكن

يُوتِكُنْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴿٣٦﴾
 أى اعمَلَنَ بما ينزل في بيوتكن من
 القرآن الجامع بين كونه آياتِ بَيِّنَاتٍ
 دَالَّةٌ على صدق النبوة ، وكونه
 حكمةً مشتملةً على فنون العلوم
 والشرائع : والحكم والمواعظ .
 والآداب والفضائل : وفي الآية

إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ - وقد خُصِّصَ
 ينزل الوحي في بيوتهم دون سائر
 الناس - أحقُّ بهذه الذكري من
 سواهم .

٣٥ - ﴿وَالْقَاتِنِينَ﴾ المطيعين
 الخاضعين لله .

٣٦ - ٣٧ - ﴿وَمَا كَانَ﴾ أى ما

صَحَّ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ .
والمراد : أنه لا يحل لأى مؤمن
ولا لأى مؤمنة ﴿إِذَا قَضَىٰ﴾ أى
أراد ﴿اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾ أى
أراد رسول الله صلى الله عليه
وسلم . وذكر ﴿اللَّهُ﴾ للإشعار بأن
ما يفعله صلى الله عليه وسلم إنما
يفعله بأمر الله تعالى ؛ لأنه لا ينطق
عن الهوى . ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُمْ
الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ أى أن يختاروا
من أمورهم ما شاءوا ؛ بل يجب
عليهم أن يُدْعُوا لأمره صلى الله
عليه وسلم ويجعلوا رأيهم تابعاً لرأيه
فى كل شئ . نزلت فى زينب بنت
جَحْش الأسدية ابنة أُمَيَّة بنت
عبد المطلب عمَّة رسول الله صلى
الله عليه وسلم . ذلك أنه خطبها
صلى الله عليه وسلم لمولاه وجَّهه
زيد بن حارثة . وقال لها : (إنى
أريد أن أزوِّجك زيد بن حارثة
وقد رضيته لك) فابت
واستنكفت منه وقالت : يا رسول
الله . أنا خيرٌ منه حسباً ! ووافقها
أخوها عبد الله ؛ فلما نزلت الآية
رضياً وسلم . فانكحها رسول الله
صلى الله عليه وسلم زيداً ودخل بها
ومكث عنده نحو سنة . وكانت
حديدة الطبع . تُحْشِنُ له القولَ
وتُسَمِّعُه ما يكره . وتفخر عليه
بحسبها ؛ فشكاها إلى الرسول صلى
الله عليه وسلم . ورغب فى فراقها
فقال له : ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ
زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ فى أمرها . ولا
تطلقها ضراً وتعللاً بحديثها
وتكبرها . ﴿وَأُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا

اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ
قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْشَوْنَهُ
وَلَا يُحْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾
مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ
وَحَاتِمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَأْتِيهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَيَحُوهُ بَكْرَةٌ

وحرمة المصاهرة. وزيد من
رجالهم ، فليس النبيُّ أبًا له ،
فلا يحرم عليه التزوُّج بمطلقة .
﴿وَحَاتِمَ النَّبِيِّينَ﴾ أى أنهم به
ختموا ، فهو كالحاتم والطابع
لهم . ختم الله به النبوة فطبع
عليها ، فلا تفتح لأحد بعده إلى
قيام الساعة . وقرئ بكسر التاء ،
بمعنى أنه ختمهم أى جاء آخرهم .
وقيل : الخاتم - بكسر التاء
وفتحها - بمعنى واحد ، مثل
طابع وطابع . والمراد على
القراءتين : أنه صلى الله عليه وسلم
آخر أنبياء الله ورسله ، فلا نبيُّ
ولا رسول بعده إلى قيام الساعة ،
فن زعم النبوة بعده فهو كذابٌ
أفَّاكٌ . وكافر بكتاب الله وسنة
رسوله . ولذا أفنينا بكفر طائفة
القاديانية . أتباع المفتون غلام
أحمد القادياني الزاعم هو وأتباعه
أنه نبيُّ يوحى إليه . وأنه لا تجوز
مناكحتهم ولا دفنهم في مقابر

طلَّقها دَعِيَّةُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ . ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ أى سنَّ الله
ذلك سُنَّةً . ﴿خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾
مضوا من قبلك من الأنبياء .
﴿قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ واقعًا لا محالة .
والقَدَرُ : إيجاد الأشياء على قدر
مخصوص من الوجوه التى تقتضيها
الحكمة والمصلحة . ويقابله
القضاء ، وهو الإرادة الأزلية
المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه ،
وقد يستعمل كلُّ منهما بمعنى
الآخر . والأظهر أنه هنا بمعنى
القضاء . و «مَقْدُورًا» وصفٌ
مؤكد ، كما فى قولهم : ظلٌّ
ظليلٌ ، ويومٌ أيومٌ .

٣٩ - ﴿حَسِيبًا﴾ مُحَاسِبًا عَلَى
عِزَائِمِ الْقُلُوبِ وَأَفْعَالِ الْجَوَارِحِ ،
فلا ينبغي أن يُخْشَى غَيْرُهُ .

٤٠ - ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ
رِجَالِكُمْ﴾ أبوةٌ حَقِيقِيَّةٌ تترتب
عليها أحكامها من الإرث والثفقة

اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴿﴾ وهو ما أَوْحَى اللَّهُ
إِلَيْكَ أَنْ زَيْدًا سَيَطْلُقُهَا وَتَكُونُ
إِحْدَى نِسَائِكَ بِتَزْوِيجِ اللَّهِ إِيَّاهَا
لَكَ ؛ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
حَرَجٌ فِي التَّزْوُجِ بِمَطْلَقَاتِ أَدْعِيَائِهِمْ
بَعْدَ انْقِضَاءِ عِدَّتِهِنَّ . فلم يخبره
صلى الله عليه وسلم بذلك استحياءً
من أن يقول : إنَّ التى معك
ستكون زوجتى . وَمِنْ أَنْ يَقُولَ
النَّاسُ : إنه يتزوَّج مطلقَةً ابْنَتَهُ ؛
فَعَاتِبَهُ اللَّهُ عَلَى إِخْفَاءِ ذَلِكَ
﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ
تُخْشَاهُ﴾ أى تستحي من قولهم .

والله وحده أحقُّ أن تخشاه . أى
تستحي منه فى كلِّ أمر ؛ فتفعل ما
أباحه لك وأذن لك فيه . وبُئِديهِ
ولا تخفيه . فهو عتابٌ على تركِ
الأولى به صلى الله عليه وسلم .
﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا﴾ أى
حاجةً . وطابت عنها نفسه .
وطَلَّقَهَا وانقضت عدَّتُهَا
﴿زَوْجَاتِكُنَّ﴾ جعلناها زوجةً
لك بلا عقد ومهر وشهود ؛ لِكَيْ
لا يكون .. وهو من خصوصياته
صلى الله عليه وسلم . وكان ذلك
فى سنة خمس من الهجرة .
وكانت سنَّها خمسًا وثلاثين سنةً .
وكانت صَوَامَةً قَوَامَةً مُحَسَّنَةً .
﴿أَدْعِيَائِهِمْ﴾ من تنبؤهم (قبل
نسخ التنبى) .

٣٨ - ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ
حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ أى قَسَمَ
له وقَدَّرَ ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ : فَرَضَ لَهُ
فِي الدِّيَّانِ كَذَا . أَوْ قِيَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ
وَأَمَرَهُ بِهِ مِنْ تَزْوُجِ زَيْنَبَ الَّتِى

ملائكته الذال على السلامة من كل مكروه وآفة .

٤٩ - ﴿فَمَتَّعُوهُمْ﴾ فأعطوهم المنفعة المعروفة وجوباً إن لم يكن لها مهر مسمى ، واستحباً إن كان قد سمي لها مهر مع نصفه . ويجوز أن يراد بالمنفعة العطاء ، فيعم نصف المهر المسمى الواجب للمطلقة قبل الميسر ، والمنفعة الواجبة للمطلقة قبل الميسر التي لم يسم لها مهر ، ويكون الأمر للوجوب لا غير [راجع آيات ٢٨ من هذه السورة ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ من البقرة ص ١١ ، ٥٧] .
﴿وسرَّحُوهُمْ﴾ أخرجوهم من منازلهم لعدم وجوب العدة عليهن . ﴿سراحاً جميلاً﴾ إخراجاً عارياً عن أذى ومنع واجب .

٥٠ - ﴿أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ﴾ أعطيت مهرهن ، وهن نساؤه اللاتي في عصمته ، كعائشة وحفصة رضي الله عنهما . وأطلق على المهر أجر لمقابلته الاستمتاع الدائم بالضع وغيره ممّا يحل الانتفاع به من الزوجة ، كما يقابل الأجر المنفعة .
﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ أي من السبي ، كصفية بنت حيي بن أخطب ، من سبي خيبر . وجؤيرة بنت الحارث ، من سبي بني المصطلق . ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ﴾ أي قراباتك من جهة الأب ، وقراباتك من جهة

وَأَصِيلًا ﴿٤٩﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكَ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٥٠﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٥١﴾ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٢﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٥٣﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٥٤﴾ وَلَا تَطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذِلَّهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٥٥﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٥٦﴾ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبْتَ نَفْسَهَا

المسلمين . وكذلك أفق الآلوسى بكفر البائية ، وهم عصابة من غلاة الشيعة لهم عقائد مكفرة .
٤٢ - ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ترهوه عمّا لا يليق به في وقت البكرة والأصيل ، أي أول النهار وآخره . وتخصيها بالذكر ليس لقصر التسبيح عليها دون سائر المسلمين . وكذلك أفق الآلوسى بكفر البائية ، وهم عصابة من غلاة الشيعة لهم عقائد مكفرة .
٤٤ - ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ أي تحية المؤمنين من الله تعالى يوم لقاءهم له عند الموت أو عند البعث أو عند دخول الجنة : هي التسليم عليهم على لسان

لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ
دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ
وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَلَّالَ يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ
غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾ * تُرْجَى مِنْ نِسَاءٍ مِنْهُنَّ وَتُؤْوَى
إِلَيْكَ مِنْ نِسَاءٍ وَمِنْ أَبْتِغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَأَ عَنِهِنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ
بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ

الأم . وهنَّ نساء قريش ونساء
بنى زهرة . ﴿اللاتى هاجرنَ
معك﴾ أى حصلت منهن الهجرة
وإن لم تقترن بهجرته صلى الله عليه
وسلم . وتقييد إحلل الأزواج
بإتداء المهور ، والمملوكات بكونهن
مما أفاء الله عليه . والقربات
بكونهن مهاجرات - للإرشاد إلى
ما هو الأفضل له صلى الله عليه
وسلم ، لا لتوقف الجل عليه .
﴿وَأَمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ
نَفْسَهَا ...﴾ أى وأحللنا لك امرأة
مؤمنة إن ملكتك المئنة بها بائ
عبارة كانت بلا مهر وأنت تريد
ذلك ؛ فتكون إرادتك قبولاً .
وممن وهبن أنفسهن له صلى الله
عليه وسلم خولة بنت حكيم .
وقيل : لم تكن عنده صلى الله
عليه وسلم امرأة إلا بعقد نكاح أو
ملك بمين . وحل الواهبه نفسها له
مهر من خصائصه صلى الله عليه
وسلم ، فلا تحل لغيره إلا بمهر ؛
كما قال تعالى : ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾
أى خلص لك إحلل الواهبه
خالصة ، أى خلوصاً بلا مهر ؛
فهى مصدر كالعافية . ﴿مِنْ دُونِ
الْمُؤْمِنِينَ﴾ فلا بد في الإحلل لهم
من مهر المثل . ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا
فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ أى
في حق أزواجهم من شرائط العقد
وحقوقه ؛ فلا يجوز لهم الإحلل
به ، ولا الإقتداء بالرسول صلى
الله عليه وسلم فيها خصه الله به
توسعة عليه وتكريماً له . فلا يجوز
لهم التزويج إلا بعقد ومهر

وشهود . ولا يجوز لهم الزيادة على
أربع .
٥١ - ﴿تُرْجَى مِنْ نِسَاءٍ﴾
مِنْهُنَّ ... ﴿بَيَانٌ لِلتَّوَسُّعَةِ عَلَيْهِ
صلى الله عليه وسلم في ترك القسم
بين نسائه ، وأنه لم يفرض عليه كما
فرض على أمته ؛ فحصر بجعل
الأمر إليه : إن شاء أن يقسم بينهن
قسم ، وإن شاء أن يترك القسم
ترك . ولكنه مع هذا كان يقسم
بينهن إلى أن مات - عدا سودة
التي وهبت ليلتها لعائشة - تطيباً
لنفوسهن ، وصوتاً لهن عما تؤدى
إليه العبرة مما لا ينبغى من القول .
وقيل : كان القسم واجباً عليه ثم
نسخ وجوبه بهذه الآية .
و«ترجى» تؤخر المضاجعة أى
تركها . و«تؤوى» أى تضم
وتضاجع . وقيل : الآية في
الطلاق ؛ أى تطلق من تشاء منهن
وتمسك من تشاء . وقيل في
الأمرين ؛ لإطلاق الإرجاء
والإبواء . ﴿وَمَنْ أَبْتِغَيْتَ مِمَّنْ
عَزَلْتَ﴾ أى طلبت إبواء من
اجتنبتها . ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾
في ذلك . ﴿ذَلِكَ﴾ أى تفويض
الأمر من الله تعالى إلى مشيتك .
﴿أَدْنَى﴾ أقرب إلى ﴿أَنْ تَقْرَأَ
عَنِهِنَّ﴾ ويرضين عن طيب
نفس بما تصنع معهن ؛ فإذا
سويت بينهن وجدن ذلك تفضلاً
منك ؛ وإذا رجحت بعضهن
علمن أنه بحكم الله تعالى وإذنه
لك فيه ؛ ولا حق لهن قبلك ؛
فتطمئن نفوسهن به .
٥٢ - ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ

بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَاقِبًا ﴿٥٢﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ
غَيْرِ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ
فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ
يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مَنْ
الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ
ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا
رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَسْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ
ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِنْ تَبَدُّوا شَيْعًا أَوْ تُخَفُّوهُ
فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَ فِي

عليه وسلم ؛ فيدخلون بيته قبل
الطعام ؛ ويمكثون منتظرين
نُضْجَهُ ؛ ثم يأكلون ولا
يخرجون ؛ وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يتأذى بهم . أى لا
تدخلوا بيوت النبي إلا وقت أن
يؤذن لكم إلى طعام - أى تدعوا
إليه - ولا تدخلوها إلا غير
منتظرين نُضْجَهُ وإدراكه .
فالنهي مخصوص بمن دخل من غير
دعوة ؛ ومكث منتظرًا للطعام من
غير حاجة ؛ فلا تفيد الآية النهي
عن الدخول بإذن لغير طعام ؛ ولا
عن المكث بعد الطعام لمهم آخر .
و «غير ناظرين» حال من ضمير
«تدخلوها» و (إناء) أى نُضْجَهُ
ويبلغه . يقال : أتى الطعام بأني
أنيًا وإنني - كقلى يقلى - إذا نُضِجَ
وبلغ . ﴿ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ ﴾ أى
إلى الطعام ؛ وهو يتضمن الإذن
بالدخول . ﴿ فَادْخُلُوا فَإِذَا
طَعِمْتُمْ ﴾ أى أكلتم الطعام .

يقال : طَعِمَ يَطْعُمُ طَعْمًا ؛ ذاق
وأكل . ﴿ فَانْتَشِرُوا ﴾ فنفروا ولا
تمكثوا في البيت . ﴿ وَلَا مُسْتَعْسِنِينَ ﴾
لحديث ﴿ أى ولا تدخلوها
مستأنسين لحديث بعضكم بعضًا .
والظاهر - كما قال الآلوسى -
حرمة المكث على المدعو للطعام
بعد أن يطعم إذا كان في ذلك أذى
لرب البيت . وليس ما ذكر مختصًا
بالمخاطبين ؛ ولا بالمكث في بيت
النبي صلى الله عليه وسلم ؛ بل هو
حكم وأدب عام . ﴿ وَإِذَا
سَأَلْتُمُوهُنَّ ﴾ إذا طلبتم من نسائه

التلاوة . وقيل : بآية «إنا
أخْلَلْنَا» . وعن عائشة وأمّ
سلمة : ما مات رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى أحلّ له أن
يتزوج من النساء ماشاء . ولكن لم
يقع منه صلى الله عليه وسلم زيادة
ولا استبدال ؛ لتكون المنة له
عليهن . ﴿ رَاقِبًا ﴾ حفيظًا
ومطلعًا .

٥٣ - ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ
النَّبِيِّ ... ﴾ نزلت في أناس كانوا
يتحينون طعام رسول الله صلى الله

بعد ﴿ أى من بعد التسع اللاتي في
عصمتك اليوم ؛ وهن اللاتي
اخترتك . ﴿ وَلَا أَنْ تَبْدُلَ بَيْنَ مِنْ
أَزْوَاجٍ ﴾ بأن تطلق واحدة منهن
وتكبح بدلها أخرى ؛ فحرم عليه
الزيادة عليهن والاستبدال بين
مكافأة لمن على اختياره صلى الله
عليه وسلم . والآية مُحْكَمَةٌ .
وقيل : منسوخة بآية «تُرْجَى مَنْ
تَشَاءُ» ؛ بناءً على أن معناها :
تُطْلَقُ مَنْ تَشَاءُ وتمسك من تشاء .
وأنها متأخرة في النزول عن هذه
الآية وإن كانت متقدمة في

صلى الله عليه وسلم ﴿مَتَاعًا﴾ شيئاً يُتَمَتَّعُ به من الماعون ونحوه . ومثله العلم والفيتا . ﴿فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ أى ستر بينكم وبينهن . ﴿ذَلِكُمْ﴾ أى السؤال من وراء حجاب ﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من الرِّيبِ وخواطر السوء . وكان نزول آية الحجاب في شهر ذى القعدة من السنة الخامسة من الهجرة . وحكمُ نساء المؤمنين في ذلك حكمُ نسائه صلى الله عليه وسلم . ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ أى تفعلوا فعلاً يؤذيه نحو اللَّبث في بيته . والاستئناس فيه بالحديث الذى كنتم تفعلونه ، ومكاملة نسائه من دون حجاب . ﴿وَلَا أَنْ تُكَلِّمُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ أى من بعد وفاته أو فراقه ؛ لأنهنَّ أمهات المؤمنين ، ولا يحلُّ للأولاد نكاح الأمهات . ﴿إِنْ ذَلِكُمْ﴾ أى إيذاؤه ونكاح أزواجه من بعده . ﴿كَانَ عِندَ اللَّهِ ذَنْبًا﴾ عَظِيمًا ﴿جَسَبًا﴾ ٥٥ - ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ﴾ استئناف لبيان من لا يجب عليهن - وكذا على غيرهن من النساء - الاحتجابُ عنهن ؛ ولم يُذكر العمُّ والخالُّ لأنها بمنزلة الوالدتين .

٥٦ - ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ المرادُ بالصلاة هنا العطفُ ، وهو من الله الرحمة ، ومن الملائكة الاستغفارُ ، ومن الناس الدعاءُ . ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ قولوا : السلام عليك

ءَابَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانَهُنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَاءَهُنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَآتَقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ٥٧ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ٥٨ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ٥٩ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ٦٠ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٦١ * لَيْنَ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ٦٢ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا نُقِفُوا

أيها النبىُّ ونحوه . والسلامُ : أيها النبىُّ ونحوه . والسلامُ : مصدرٌ بمعنى السلامة ؛ أى السلامة من النقائص والآفات لك ، أى ملازمة لك . ولتضمنه معنى الثناء عُدَى بعلی . ٥٨ - ﴿بُهْتَانًا﴾ فعلًا شنيعًا . أو كذبًا فظيعًا .

٥٩ - ﴿يُذْنِبِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ يُسَدِّلْنَ الجلابيبَ ٦٠ - ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُتَافِقُونَ﴾ عن نفاقهم . ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ

عليهنَّ حتى يسترن أجسامهن من رءوسهنَّ إلى أقدامهن . والإدناء : التقريبُ ، ولتضمنه معنى السَّدل أو الإرخاء عُدَى بعلی . والجلابيبُ : جمعُ جلابب . وهو ثوبٌ يستر جميع البدن يُعرف بالملاءة أو الملحفة .



بِهِمْ ﴿لِنَسْلُطَنَّكَ عَلَيْهِمْ

٦١ - ﴿أَيَّمَا لِقَاؤِكُمَا أَيْنَا وَجَدُوا
وَوَفَّرَ بِهِمْ﴾ ﴿أَخَذُوا وَقَتْلُوا تَقْتِيلًا﴾
وقد انتهى المنافقون عما هو
المقصود بالثبوت وهو الإيذاء فلم
يقتلوا. أما اليهود فلم ينتهوا ووقع
القتل والإجلاء لهم.

٦٨ - ﴿إِنَّهُمْ ضِعَفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ عَذَابَيْنِ بِضَافٍ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْآخَرُ : عَذَابًا عَلَى ضِلَالِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ ، وَعَذَابًا عَلَى اضْلَالِهِمْ لَنَا .

٦٩ - ﴿وَجِيهًا﴾ ذا جاه وقدر
مستجاب الدعوة .

٧٠- ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾
صَوَابًا أَوْ صِدْقًا . أَوْ قَاصِدًا إِلَى
الْحَقِّ ؛ مِنْ سَدَدَ سَهْمَهُ يُسَدِّدُهُ ،
إِذَا وَجَّهَهُ لِلْغُرْضِ الْمَرْبُوبِ وَلَمْ يَبْغِ
بِهِ عَنْ سُنَّتِهِ . وَالْمُرَادُّ مِنَ الْأَمْرِ
بِهِ : التَّهَيُّ عَنْ ضِدِّهِ ؛ وَمِنْهُ مَا
قَالَ الْمُنَافِقُونَ فِي شَأْنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَزَيْدٍ وَزَيْنَبَ .

٧٢ - ﴿عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ هي التكاليف والفرائض . أو كلُّ ما يؤتمن عليه من أمر ونهي ، وشأن دين ودنيا . وَسُمِّيَتْ أَمَانَةً لِأَنَّهَا حَقُوقٌ أَدْعَاهَا اللَّهُ الْمُكَلَّفِينَ وَائْتَمَنَهُمْ عَلَيْهَا . وَأَوْجِبَ عَلَيْهِمْ مَرَاعَاتَهَا وَالْمَحَافِظَةَ عَلَيْهَا . وَأَدَاءَهَا مِنْ غَيْرِ إِخْلَالٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا . وَنَقَلَ الْقُرْطُبِيُّ عَنِ الْقَبَالِ عَنْ غَيْرِهِ : أَنَّ الْعَرَضَ فِي الْآيَةِ صَرْبٌ مِثْلُ : أَيْ أَنَّ هَذِهِ الْأَجْرَامَ عَلَى عَظَمِهَا لَوْ كَانَتْ بَحِثٌ يَحْجُزُ تَكْلِيفُهَا لِثَقُلِ

أَخِذُوا وَقْتَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ
وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۝٦٢ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ
السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ
تَكُونُ قَرِيبًا ۝٦٣ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ
سَعِيرًا ۝٦٤ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا
نَصِيرًا ۝٦٥ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلْبِسْنَا
أَطْعَمَنَا اللَّهُ وَأَطْعَمَنَا الرَّسُولُ ۝٦٦ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَمْنَا
سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ۝٦٧ رَبَّنَا آتِنَاهُمْ
ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَاهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ۝٦٨ يَأْتِيهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ
مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيبًا ۝٦٩ يَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى

مَرَضٌ ﴿ هُمُ الْمُنَاقِقُونَ ﴾ وَالْعَظْفُ
لِتَغَايِرِ الصِّفَاتِ مَعَ اتِّحَادِ الذَّاتِ .
﴿ وَالْمَرْجُفُونَ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ هُمُ
الْمُنَاقِقُونَ ، وَالْعَظْفُ لَمَّا ذُكِرَ .
وَقِيلَ : هُم مِّنْ حَوْلِ الْمَدِينَةِ مِنْ
الْيَهُودِ وَكَانُوا يَنْشُرُونَ أَخْبَارَ الشَّيْءِ
عَنْ سَرَايَا الْمُسْلِمِينَ ، وَيَلْفَقُونَ
الْأَكَاذِبَ الضَّارَّةَ بِالْمُسْلِمِينَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبِينَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ
مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾
لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ
وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾

(٣٤) سُورَةُ سَبَأٍ مَكِّيَّةٌ
الْآيَةُ ٦ هُدْيَةٌ
وآيَاتُهَا ٤٥ نَزَلَتْ بَعْدَ لُقْمَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ
مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ
وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ

عليها تقلدُ الشرائع ؛ لما فيها من
العقاب والثواب . أى أن التكليف
أمرٌ حقُّه أن تُعجز عنه السموات
والأرض والجبال ، وقد حملة
الإنسان وهو ظلومٌ جهولٌ لو
عقل . وفي القرآن من ضرب
الأمثال كثير . ﴿فَأَبَيْنَ﴾ امتنع .
﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ خفن من
الحيانة فيها . وقيل : الآية من
الحجاز ؛ أى أنا إذا قايسنا ثقل
الأمانة بقوة السموات والأرض
والجبال . رأينا أنها لا تطيقها ؛
وأنها لو تكلمت لأبت وأشفقت ؛
فعبّر عن هذا بعرض الأمانة . كما
تقول : عرضت الحمل على البعير
فأباه ؛ وأنت تريد قايست قوته
بثقل الحمل فأريت أنها تقصُر
عنه .

٧٣ - ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ
الْمُنَافِقِينَ﴾ اللام للعاقبة ؛ أى
لتكون عاقبة الحمل أن يعذب الله
من لم يرج الأمانة ولم يقم بحققها .
ويقبل توبة من أطاعه وراعى
حقها ؛ وأناب إليه تعالى في
أموره . والله أعلم .

سُورَةُ سَبَأٍ

أى كل ما يدخل فيها ؛ كمطر
وكنوز ودفائن وأموات . ﴿وَمَا
يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ أى كل ما يخرج
منها ؛ كنبات وحيوان وغيرها .
﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من مطر
وبَرْد . وصواعق . وبركات
وملائكة . وكتب ونحوها .
﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ أى ما يصعد
فيها من الملائكة والأعمال ؛
والأرواح والدعاء . والطير
والبخار ونحوها ؛ من العروج وهو

١ - ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾
أى والحمد لله الذى له خاصة
الحمد في الآخرة على ما أنعم به على
المؤمنين فيها ؛ يقولون إذا دخلوا
الجنة : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا
وَعْدَهُ) ^(١) ، (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ) ^(٢) . (الْحَمْدُ
لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا) ^(٣) .

٢ - ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾

كَفَرُوا لَا تَأْتِيَنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَكُمَ عَلِيمٌ
الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا
فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُبِينٍ ﴿٦﴾ لَيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
أُولَٰئِكَ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا
فِي ءَابَتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ
رَجْزِ الْإِيمِ ﴿٨﴾ وَرَى الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ
الْحَمِيدِ ﴿٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ
يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مِّنْكُمْ أَم مِّمَّزِقٌ إِنَّكُمْ لَنِ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٠﴾
أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿١١﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ

الذَّهَابِ فِي صُعُودِ السَّمَاءِ : يقال : عَزَبَ الشيءُ يَعْزُبُ
جَهَةً الْعُلُوَّ مطلقاً . وَيَعْزُبُ : إذا غاب وبُعِدَ .
٣ - ﴿لَا تَأْتِيَنَا السَّاعَةُ﴾ أنكروا قيام الساعة فأمر صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم : ﴿بَلَىٰ﴾ أى ليس الأمر إلا إتيانها . وهى حرف جواب لردّ التّفى : فتفيد إثبات المنفى قبلها . ثم أكد ذلك بقوله : ﴿وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَكُمُ﴾ .
﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ لا يغيب عن علمه وزن أصغر غلّة .

يقال : عَزَبَ الشيءُ يَعْزُبُ وَيَعْزُبُ : إذا غاب وبُعِدَ . والمراد : أنه لا يغيب عن علمه شيء ما مهما دقّ وصغُر .

٥ - ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾ بالقدح فيها وصدّ الناس عن الإيمان بها ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ أى مسابقين ؛ يحسبون أنهم يفوتونا فلا تقدّر عليهم . يقال : عاجزه وأعجزه : إذا غلبه وسبقه . ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزٍ﴾ أى من

سَيِّئِ الْعَذَابِ وَأَشَدَّهُ . ﴿الْإِيمِ﴾ أى مؤلّم موجع . صفة لـ «عَذَابٍ» . وقرئ بالجر صفة لـ «رَجْزٍ» .
٧ - ﴿يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مِّمَّزِقٍ﴾ أى يحدثكم أنكم - إذا مُثِمُّمٌ وفُرِّقَتْ أجسامكم في الأرض كلّ فريق - وصيرتم رفقاء وعظاماً ، أو فُرِّقَتْ في كلِّ مكان ، من القبور وبطون الطمّ والسباع والبحار ونحوها - تُبعثون وتُحاسَبون ! . قالوا ذلك استهزاء وتعجّباً . وتمزيقُ الشيء : تخريقه وجعله قطعاً قطعاً . يقال : ثوب مَزِيقٌ وممزوقٌ ومتمزّقٌ وممزّقٌ ، أى مقطّع ممزّق .

٨ - ٩ - ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ الهمزة للاستفهام ؛ كما فى : «أطلع الغيب» أى اختلق على الله كذباً فيما نسبّه إليه من أمر البعث ! أم به جنونٌ فهو يتكلّم بما لا بدرى ! . ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أى ليس الأمر كما زعموا . بل هم فى غايّة الضلال عن الفهم وفيما يؤدى إليه ذلك من العذاب : ثم هدّدهم على ما اجترأوا عليه ، وذكرهم بما يشاهدونه من أدلّة القدرة فقال : ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا﴾ أى أعموا فلم ينظروا . ﴿نَخْشِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ كما فعلنا بقارون . ﴿أَوْ نَسْقُطُ عَلَيْهِمْ كِسَفًا﴾ قطعاً من السَّمَاءِ . ﴿لَهُمْ﴾ كما أسقطناها على أصحاب الأيكة لتكذيبهم وجحودهم . ﴿إِنْ فِي



ذَلِكَ لآيَةٍ لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿١٠﴾
 رَاجِعْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالتَّوْبَةِ .
 ١٠ - ﴿يَا جِبَالُ أَوِيسِي مَعَهُ﴾ أَيْ
 وَقُلْنَا : يَا جِبَالُ رَجِعِي وَرَدَدِي
 مَعَهُ التَّسْبِيحَ إِذَا سَبَّحَ اللَّهُ تَعَالَى ؛
 قَالَ تَعَالَى : (إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ
 مَعَهُ يُسَبِّحُنَّ بِالْعَشِيِّ
 وَالْإِشْرَاقِ) (١) . يَقَالُ : أَوْبَ
 تَأْوِيئًا . إِذَا رَجَعَ . وَأَصْلُهُ آبُ
 أَوْبَا بِمَعْنَى رَجَعَ ؛ فَيُعَذِّدِي
 بِالتَّضْعِيفِ . ﴿وَالطَّيْرُ﴾ أَيْ
 وَآتَيْنَاهُ الطَّيْرَ . بِمَعْنَى سَخَرْنَاهَا لَهُ
 تُؤَوِّبُ مَعَهُ . ﴿وَاللَّهُ لَهُ الْحَدِيدُ﴾
 صَبْرَنَاهُ لِيَتَنَا فِي يَدِهِ كَالْعَجِينِ ؛
 يَشْكَلُهُ كَمَا يَشَاءُ . مِنْ غَيْرِ إِدْخَالِ
 نَارٍ وَلَا طَرَفٍ بِمُطَرَقَةٍ .
 ١١ - ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ﴾ أَيْ
 أَلَّاهُ لَهُ لِعَمَلِ دُرُوعٍ وَاسْعَاتٍ .
 وَالسَّابِغَةُ : الدَّرْعُ الْوَاسِعَةُ .
 يَقَالُ : سَبَغْتُ الدَّرْعَ ، وَسَبَّغَ
 الشَّيْءُ سُبُوغًا : طَالَ إِلَى الْأَرْضِ
 وَاتَّسَعَ . ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾ أَيْ
 أَحْكَمَ نَسِجَ الدَّرُوعِ بَحِثَ تَدْخُلِ
 الْحَلْقَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ ؛ مِنْ
 التَّقْدِيرِ . وَهُوَ هُنَا : التَّفْكِيرُ فِي
 تَسْوِيَةِ الْأَمْرِ وَتَهْيِئَتِهِ . وَالسَّرْدُ :
 نَسِجُ الدَّرُوعِ . يَقَالُ : سَرَدَ الدَّرْعَ
 سَرْدًا - مِنْ بَابِ نَصَرَ - نَسَجَهَا .
 وَقِيلَ : السَّرْدُ اسْمُ جَامِعٍ لِلدَّرُوعِ
 وَسَائِرِ الْحَلَقِ .
 ١٢ - ﴿غَدُوْهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا
 شَهْرٌ﴾ جَرَّبَهَا فِي الْعُدُوَّةِ وَهِيَ مِنْ
 أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى الزَّوَالِ مَسِيرَةُ شَهْرٍ .
 وَفِي الزَّوَالِ وَهُوَ مِنَ الزَّوَالِ إِلَى
 الْغُرُوبِ كَذَلِكَ ؛ أَيْ مَا تَقَطَّعَهُ فِي

هذه المدة يقطع عادةً في شهر .
 ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ وَهُوَ
 الشَّحَاسُ الْمَذَابُ ؛ مِنْ قَطَرٍ يَقَطُرُ
 قَطْرًا وَقَطْرَانًا : إِذَا سَالَ . أَسَالَهُ
 لَهُ قَتَعَ كَمَا يَنْبِيعُ الْمَاءُ مِنَ الْعَيْنِ .
 ﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ أَيْ
 يَعْدِلُ مِنَ الْجَنِّ عَمَّا أَمَرْنَاهُ بِهِ مِنْ
 طَاعَةِ سُلَيْمَانَ ﴿نَذِيقُهُ مِنْ عَذَابِ
 السَّعِيرِ﴾ فِي الْآخِرَةِ . يَقَالُ : زَاغَ
 عَنْ الْأَمْرِ يَزِغُ زَيْغًا ؛ إِذَا عَدَلَ
 عَنْهُ .
 ١٣ - ﴿مِنْ مَّحَارِبٍ﴾ أَيْ
 قُصُورٍ وَمَسَاجِدَ . جَمْعُ مَحْرَابٍ .
 وَهُوَ كُلُّ مَوْضِعٍ مُرْتَفِعٍ . وَيُطْلَقُ
 عَلَى مَكَانٍ وَقُوفِ الْإِمَامِ فِي
 الْمَسْجِدِ . وَعَلَى الثَّرْفَةِ الَّتِي يَصْعَدُ
 إِلَيْهَا بِدَرَجٍ . وَعَلَى أَشْرَفِ بُيُوتِ
 الدَّارِ . ﴿وَتَمَائِيلٍ﴾ أَيْ صُورٍ
 لِلْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ مِنْ
 زُجَاجٍ أَوْ نُحَاسٍ أَوْ رِخَامٍ ؛ تَقَامُ
 فِي الْمَسَاجِدِ ؛ لِئَرَاهَا النَّاسُ فَيَعْبُدُوا
 اللَّهَ تَعَالَى وَحْدَهُ مِثْلَ عِبَادَتِهِمْ .

يزعم منهم علم الغيب ؛ وإلا
لعلموا بموته في حينه ، فلم يلبثوا
بعده في هذه الأعمال الشاقة .

١٥ - ﴿لَقَدْ كَانَ لِسِيَّ فِي
مَسْكِنِهِمْ﴾ هو في الأصل اسم
رجل ، وهو سبأ بن يشجب بن
يعرب بن قحطان بن هود ، وهو
أول ملوك اليمن . وكان له
عشرة أولاد : تيامن منهم يعلم
السبل ستة ، وهم : الأزد وكندة
ومذحج والأشعرثيون وأنار
وحمير . وتشاءم منهم بعده
أربعة . وهم : عاملة وغسان
ولحخم وجذام . والمراد به هنا :
الحى أو القبيلة المسماة باسمه ؛

فبصرف على الأول . ويترك صرفه
على الثانى ؛ وبها قرئ ،
ومسكنهم : مأرب - بوزن
مئزل - باليمن على مسيرة ثلاث
ليال من صنعاء . ويطلق عليها
سبأ ، وهى مدينة بليقيس .
﴿آيَةٌ﴾ علامة دالة على قدرته
تعالى وإحسانه ووجوب شكره .
أو دالة على أن من بطر التعمة ولم
يقم بحق شكرها سلبه الله إياها ؛
وبدله بها يؤساً وشقاء ؛ فليتعظ
بذلك من كفر بالله وغبط نعمه ؛
ككفار مكة . ﴿جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ
وَشِمَالٍ﴾ طائفتان من البساتين :
طائفة عن يمين بلدهم ، وطائفة
عن شماله ينعم الناس بثمارها
ويستترون بظلالها . ﴿بَلَدَةٌ
طَيِّبَةٌ﴾ زكية مستلذة .

١٦ - ﴿فَاعْرُضُوا﴾ عن الشكر أو
كذبوا أنبياءهم . ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ

مَوْتَهُ إِلَّا دَابَّةَ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتْ
الْجَنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ
الْمُهِينِ ١٥ لَقَدْ كَانَ لِسِيَّ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّاتٍ
عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ
طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ١٦ فَاعْرُضُوا فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ
الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ
وَشِقَىٰ وَمِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ١٧ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا

الشكر : الاعتراف بالتعمة
للمنعم ، والشاء عليه لإنعامه ،
واستعمال النعم في طاعته .
﴿شُكْرًا﴾ مفعول لأجله .

١٤ - ﴿دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ أى الدابة
التي تفعل الأرض وهو أكل
الحشَب ؛ وتسمى الأرضة وسُرَّة
وسوسة الحشَب . يقال : أرست
الدابة الحشَب أرضاً - من باب
ضرب - أكلته ؛ وإضافة دابة
إليه من إضافة الشيء إلى فعله .
﴿تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ أى عصاه
التي كان يتوكأ عليها . وَسُمِّيَتْ
مِيسَاءً لأنه يُزَجَّر بها ويُساق ،
وتؤخر بها الغنم وتدفع إذا جاوزت
المرعى ؛ من نساء البعير - كمنع -
إذا زجره وساقه . أو أخره
ودفعه ؛ كنسأه وأنسأه . وقد
أكلت الأرضة شيئاً منها فسقط .
فعلت الجن علماء بيتاً كذب من

وكان اتخذها في شريعته جائزاً ؛
أما في شريعتنا فمحرم ؛ سداً
لذريعة التشبه بمأخذى الأصنام .
﴿وَجَفَّانٍ كَالْجَوَابِ﴾ أى قصاع
كبار كالحياض العظام . جمع
جفنة وهى أعظم القصاع .
وجابية وهى الحوض الضخم
الذى يجبى فيه الماء للإبل أى
يجمع ؛ ومنه جيئت الخراج
جباية ، والماء فى الحوض جيباً ؛
جمعه . ﴿وَقُدُورٍ﴾ هى ما يطبخ
فيها الطعام من فخار أو نحاس أو
غيره . ﴿رَاسِيَاتٍ﴾ أى ثابِتات
على الأثافي (١) ، لا تحمل ولا
تُحرك لصخامتها وعظمتها .
﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ﴾ اعملوا يا آل
داود بطاعة الله . ﴿شُكْرًا﴾ له
تعالى على ما خصكم به من
النعم ، وعلى سائر النعم التى عمكم
بها مع سائر خلقه . وحقيقة

(١) الأثافي : جمع أثفية - بضم الهزء وتكسر - : الحجر يوضع عليه القدر .

سَيْلَ الْعَرَمِ ﴿١٧﴾ الْعَرَمُ : اسمٌ للوادي الذي كان يأتي السَّيْلُ منه . وقيل : المطر الشديد . وقيل : السَّيْلُ الذي لا يطاق . وإضافة «سَيْلٍ» إليه من إضافة الموصوف إلى الصفة مع التجريد . أى أرسلنا عليهم السَّيْلَ الذي لا يطاق . وقيل : العَرَمُ جمعٌ لا واحد له . أو واحدُه عَرْمَةٌ . وهو الأحباسُ والسُّدُودُ تَبَى في أوساط الأودية لحجز السيول . وكانت السيول تأتي المدينة من الأودية ، فَبْنَى سِدًّا عَظِيمًا لحجزها وللاتنفاع بها في رى أراضيها على الدوام ، فأخصبت ونمت الزروع وكثرت الأموال ؛ فَبَطَرُوا معيشتهم وأعرضوا وأهلوا - لشدة ترفهم - إصلاحه فتصدع بناؤه ، ولم يقو على مقاومة السيل بعد . فلما جاء اجتاحت أراضيهم واكتسح أموالهم ، ومزقهم شَرٌّ مُمَزَّقٌ ؛ فَنَشِثُوا في البلاد . وضرب بهم المثل ، فقيل : ذهبوا أيدي سَبَا . وتفرقوا أيادي سَبَا . واليَدُ : الطريق ؛ أى فرقهم طرقهم التي سلكوها كما تفرق أهل سَبَا في مذاهب شتى . فلحق كل فرع بجهة ؛ ومنهم غسان لحق بالشام ، والأوسُ والحَزْرَجُ بيشرب . والأزدُ بعمان ، وخزاعة بنهامة . وآلُ خزيمه بالعراق . ﴿أَكُلْ﴾ ثمر ﴿خَمِطٌ﴾ بدلٌ منه ، وهو ثمر الأراك . أو هونيت مرٌ لا يمكن أكُله ؛ أى ثمرٌ نبت مرٌ .

وَهَلْ تُجْزَى إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٨﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٩﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِیظٌ ﴿٢٢﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ

من السير كميل أو مرحلة ؛ فلا مشقة يتحملونها في أسفارهم .

١٩ - ﴿بَاعَدْنَا بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ طلبوا بطراً وطغياناً أن يجعل الله بينهم وبين الشام مكان تلك القرى العامرة مفاوز وصحارى متباعدة الأقطار ؛ فأجابهم إلى ما طلبوا . ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ صيرناهم أحاديث ، يتلهى الناس بأخبارهم ، ويضربون بهم المثل ، فيقولون : تفرقوا أيدي سَبَا . ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ﴾ فرقناهم في البلاد .

٢٠ - ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ أى حقق عليهم إبليس بطاعتهم له وعصيانهم

﴿وَأَثَلِ﴾ هو ضربٌ من الطِّفَاءِ . أو هو السَّمَرُ ، وهو نوعٌ من العِصَاهِ مفردة سَمَرَةٌ . ﴿سِذْرٌ﴾ هو الضَّالُّ ، وهو نوعٌ من السَّدَرِ لا يُنْتَفَعُ به ولا يصلح ورقه للعلول ، وله ثمرة عَفْصَةٌ لا تؤكل . أى أن ثمار أراضيهم التي كانت طيبة نافعة أصبحت بعد التبدل على العكس من ذلك ؛ جزاء إعراضهم بطراً وكفراً .

١٨ - ﴿الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ قرى الشام ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾ متواصلة بحيث يظهر لمن في بعضها ما في مقابلته من الأخرى . ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ جعلنا نسبة بعضها إلى بعض على مقدار معين



لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾
وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا
فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ
الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ * قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا
تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ

هؤلاء الآلهة الباطلة معينٌ يُعِينُهُ فِي
تدبير أمرٍ من أمور السموات
والأرض .

٢٣ - ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ﴾
تعالى ﴿إِلَّا لِمَنْ﴾ أي لشافع
﴿أَذِنَ لَهُ﴾ من النبيين والملائكة -
ونحوهم من المستأهلين لمقام
الشفاعة عنده - في الشفاعة لمن
يستحقها . وظاهر أن الكفار لا
يستحقونها ، وأن الأصنام ليست
أهلاً لها ، ونظيره قوله تعالى :
(مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا
بِإِذْنِهِ) ^(١) . وقوله تعالى : (وَلَا
يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْضَىٰ) ^(٢) .

وهو تكذيبٌ لقولهم : هؤلاء
شفعاؤنا عند الله . ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ
عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ أي كُشِفَ عنها
الفرع . والتضعيف هنا للسلب .

رَبُّهُمْ مَا كَانَ يَظُنُّهُ ظَنًّا مِنْ أَنَّهُمْ
بِإِغْوَائِهِ إِيَّاهُمْ يَتَّبِعُونَهُ وَيَطِيعُونَهُ فِي
معصية الله . وقرئ «صدق»
بالتخفيف ، أي صدق في ظنه .
بمعنى أصاب فيه .

٢١ - ﴿سُلْطَانٌ﴾ تسلط واستيلاء
بالوسوسة والإغواء .

٢٢ - ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ
مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فيما يُهْمُّكُمْ من
أموركم لعلهم يستجيبون لكم .
والأمر للتوبيخ والتعجيز . ﴿لَا
يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي لا
يملكون شيئاً ما من خير أو شر . أو
نفع أو ضرر في أمر من الأمور ؛
فكيف يكونون آلهة تُعبد ؟!
والجملة مستأنفة في موقع الجواب
عما قبلها . ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ
ظَهِيرٍ﴾ أي ليس له تعالى من

كما في : قَرَدْتُ البعير ، إذا أزلت
قَرَادَهُ . ومنه البريض . والفرعُ :
انقباضٌ ونفازٌ يعتري الإنسان من
الشيء الضعيف . و(حَتَّى) غايةٌ
لما فهم مما قبلها من أن ثم انتظاراً
وترقباً من الراجين للشفاعة
والشفعاء ، هل يؤذن لهم أو لا
يؤذن لهم ، والكل في قرع وخوف
في ذلك الموقف الرهيب . فكانه
قيل : يترقبون ويتوقفون ملياً
فزعين ، حتى إذا كُشِفَ الفرعُ
وأزيل عن قلوب الشافعين
والمشفوع لهم بكلمة من رب العزة
في إطلاق الإذن . تابشروا بذلك
فسأل بعضهم بعضاً : ﴿مَاذَا قَالَ
رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ﴾ أي القول
الحق . وهو الإذن بالشفاعة لمن
ارتضى .

٢٤ ، ٢٥ - ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ
هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بعد أن
عُرف مما تقدم من هو على الهدى
ومن هو على الضلال ، أخبرهم
الله بأنهم على الضلال على جهة
الإنصاف في الحجة . فهو كقول
المتبصر في الحجة لصاحبه : أخذنا
كاذباً ، وقد عَرَفَ أَنَّهُ الصَّادِقُ
المصيب . وصاحبه الكاذبُ
المخطئ . ومثله في الإنصاف
بكلام أبلغ وأسلوب أرفع : قوله
تعالى : ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا
أَجْرَمْنَا﴾ أي كسبنا ﴿وَلَا تُسْأَلُ
عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ .

٢٦ - ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾
أي يحكم بالعدل ، فيثب المطيعُ
ويعاقب العاصي . ﴿وَهُوَ

الْفَتْحُ ﴿٢٦﴾ أَيْ الْحَاكِمُ فِي كُلِّ أَمْرٍ
بِالْحَقِّ ﴿٢٧﴾ الْعَلِيمُ ﴿٢٨﴾ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِحُكْمِهِ
مِنَ الْمَصَالِحِ .

٢٧ - ﴿كَلَّا﴾ رَدُّ لَمْ عَنْ زَعْمِ
الشَّرِكِ .

٢٨ - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً
لِلنَّاسِ﴾ أَيْ إِلَّا إِلَى النَّاسِ
جَمِيعًا . وَأَصْلُهُ مِنَ الْكَفِّ بِمَعْنَى
الْمَنْعِ ، وَأُرِيدَ بِهِ الْعَمُومُ لِمَا فِيهِ مِنَ
الْمَنْعِ مِنَ الْخُرُوجِ . وَاشْتَهَرَ فِيهِ
حَتَّى قُطِعَ فِيهِ النَّظَرُ عَنْ مَعْنَى الْمَنْعِ
بِالْكَلْبَةِ .

٣١ - ﴿وَلَوْ تَرَى .﴾ أَيْ وَلَوْ
تَرَى حَالَ الظَّالِمِينَ وَقْتَ وَقُوفِهِمْ
لِلْحِسَابِ رَاجِعًا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ
الْقَوْلِ لِرَأْيِ حَالَةِ فَطِيعَةٍ .
﴿مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أَيْ
مَحْبُوسُونَ عِنْدَهُ تَعَالَى فِي مَوْقِفِ
الْحِسَابِ .

٣٣ - ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾
بَلْ صَدَدًا مَكْرُكُمْ بَنًا فِي اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ ، وَأَضِيفَ الْمَكْرُ إِلَيْهَا
لَوْقُوعِهِ فِيهَا . وَالْمَكْرُ فِي
الْأَصْلِ : الْإِحْتِيَاؤُ وَالْحَدِيدَةُ .
يُقَالُ : مَكْرَبُهُ يَمَكْرُ ، فَهُوَ مَا كَرَّ
وَمَكَارٌ . ﴿وَنَجْعَلُ لَهُ أُنْدَادًا﴾
أَشْبَاهًا وَنَظَرَاءَ وَأَمثَالًا نَعْبِدُهَا مِنْ
دُونِهِ تَعَالَى . جَمْعُ نَدَى . ﴿وَأَسْرُوا
النَّدَامَةَ﴾ أَيْ أَخَفُوا النَّدَمَ عَلَى مَا
كَانَ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الضَّلَالِ
وَالْإِضْلَالِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُسْتَكْبِرِينَ ،
وَمِنَ الضَّلَالِ فَقَطْ بِالنِّسْبَةِ
لِلْمُسْتَضْعِفِينَ لِمَا عَابَنُوا الْعَذَابَ
وَهَاتَمُوا شِدَّتَهُ . أَوْ أَظْهَرُوا النَّدَمَ
عِنْدَهُ . وَأَسْرَ مِنَ الْأَضْدَادِ ،

وَهُوَ الْفَتْحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَحَقُّمُ بِهِ
شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ
إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَفْخِرُونَ عَنْهُ
سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ
بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ
مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ
يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا
مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضْعِفُوا
أَنَحْنُ صَدَدٌ نَكُرُ عَنْ أَهْدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ
مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ
وَنَجْعَلَ لَهُ أُنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ
وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ
إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ
نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾

تَأْتِي بِمَعْنَى الْإِخْفَاءِ وَالْإِبْدَاءِ . فَعْنَى أَسْرَهُ : جَعَلَهُ سِرًّا أَوْ أَزَالَ
وَهَمَزُهَا تَصْلُحُ لِلْإِثْبَاتِ وَالسَّلْبِ : سِرَّهُ . وَنَظِيرُهُ : أَشْكَيْتُ .

﴿وَجَعَلْنَا الْأَعْلَانَ﴾ أي القيود
﴿فِي أَعْنَاقِ﴾ المستكبرين
والمستضعفين ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
جزاء ما كانوا يعملون .

٣٤ - ﴿قَالَ مُتَرَفُّوهُ﴾ أغنياؤها
ورؤساؤها وجباريها المتسعون في
الثم فيها . البطرون بها .

٣٦ - ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يُقَرَّرُ ويضيق
الرزق على من يشاء أن يُقَرَّرَ عليه .
ضدَّ يسط . والأمْر في كلِّها على
حسب ما تقتضيه الحكمة الإلهية .

٣٧ - ﴿تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾
أي قُرْبَى . منصوبٌ على
المصدرية من معنى العامل ،
والتقدير : تقربكم قُرْبَى .
﴿لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ﴾ أي أن
يجازيهم الله الضعف ، مصدرٌ
مضافٌ لمفعوله ، أولهم الجزاء
المضاعف ، من إضافة الموصوف
إلى الصفة . ﴿فِي الْعُرُفَاتِ﴾
المازِل الرفيعة في الجنة .

٣٨ - ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ زاعمين
سبقهم لنا ، وعدم قدرتنا عليهم .
﴿فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ﴾ أي في
جهنم يحضرهم الزبانية فيها .

٣٩ - ﴿وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ يضيقه على
من يشاء بحكمته .

٤١ - ﴿أَنْتَ وَلِئْنَا﴾ أنت الذي
نواليه . ﴿يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ أي
الشياطين ، حيث كانوا يطيعونه
فيما يسؤلون لهم من عبادة غيره
تعالى .

٤٣ - ﴿مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرَى﴾

وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾
قُلْ إِنْ رَبِّي يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنْ
أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا
أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ
صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ
فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَابِنَاتِنَا
مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنْ
رَبِّي يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ
وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾
وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْتُلَاةٍ يَا كُمْ
كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلَبِئْنَا مِنْ دُونِهِمْ
بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾
فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ
لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا
تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا نُثِلَى عَلَيْهِمْ ءَابِنَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا
مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ
ءَابَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرَى وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤٣﴾
وَمَا ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ



قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا
مِيعَاتِ مَاءِ آيَاتِنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ
نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ * قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا
لِلَّهِ مَشْنَىٰ وَفُرَدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ
إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾
قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ
بِالْحَقِّ عَلَّمَ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِي
الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ
عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فَمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ
قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزَعُوا فَلَا قُوَّةَ وَأَخَذُوا

أى ما هذا القرآن إلا كذب في نفسه . مفترى على الله من حيث نسبته إليه ، فـ « مفترى » تأسيس لا تأكيد .

٤٤ - ﴿ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا .. ﴾ أى لم نأتهم بكتب تدل على صحة الشرك ليُعذروا فيه ؛ ولم نرسل إليهم قبلك نذيراً بدعوهم إلى الشرك ، ويُخوفهم العقاب على تركه . وفى هذا من التهكم والتجھيل لهم ما لا يخفى .

٤٥ - ﴿ مِيعَاتِ مَا آتَيْنَاهُمْ ﴾ عشر ما أعطيناهم من النعم . ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ فكيف كان إنكارى عليهم بالتدبير والإهلاك ؛ فليحذر هؤلاء من مثله . وأصل النكير : تغيير المنكر ؛ أى إزالته بالعقوبة فى الدنيا . إذ هى التى يحصل فيها تغييره .

٤٦ - ﴿ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ ﴾ أى إنمّا أمركم وأوصيكم بخصلة واحدة . أو أحذركم سوء عاقبة ما أنتم فيه بكلمة واحدة . هى : ﴿ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَىٰ وَفُرَدَىٰ ﴾ أى تجتهدوا فى الأمر بإخلاص لوجه الله تعالى . متفرقين اثنين اثنين وواحدًا واحدًا ﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾ فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته وما جاء به ، فيتعاذد الاثنان فى التفكر والتأمل فى أمره ، وينظر الواحد فى أمره بعدل ونصفة ؛ فعند ذلك تعلمون أنه على الحق . ﴿ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ ﴾ من جنون

وخبل ؛ حتى يتصدى لهذا الأمر العظيم من تلقاء نفسه . غير مبالي بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان وظهور عجزه ؛ بل هو من تعلمونه أرجع الناس عقلاً . وأصدقهم قولاً . وأفضلهم علماً . وأحسنهم عملاً . وأجمعهم للكالات البشرية ؛ فما جاءكم به إنما هو وحي يوحى إليه من الله تعالى . وما هو إلا رسول بشير ونذير .

٤٨ - ﴿ يَقْذِفُ بِالْحَقِّ ﴾ أى يُلقِي الوحي إلى أنبيائه بسبب الحق أو متلبساً به . أو يقذف الباطل العظيم من تلقاء نفسه . غير مبالي بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان وظهور عجزه ؛ بل هو من تعلمونه أرجع الناس عقلاً . وأصدقهم قولاً . وأفضلهم علماً . وأحسنهم عملاً . وأجمعهم للكالات البشرية ؛ فما جاءكم به إنما هو وحي يوحى إليه من الله تعالى . وما هو إلا رسول بشير ونذير .

٤٩ - ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ ﴾ أى الإسلام والوحيد . أو القرآن . ﴿ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ أى ذهب الباطل - وهو الشرك والكفر - ولم يبق له إبداء ولا إعادة . وهو كناية عن ذهابه واضمحلاله بالمرّة ؛ فإن الإبداء

حيل بينهم وبين ما يشتهون من ذلك في الآخرة . والأشياء : جمعُ شَيْعٍ . وشَيْعٌ جمعُ شَيْعةٍ . وشَيْعةُ الرجل : أتباعه وأنصاره . [آية ٦٥ الأنعام ص ١٧٨] .
﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾ جميعاً على نمط واحد ﴿في شك﴾ أى من أمر الدين والتوحيد والرسول والبعث ﴿مريب﴾ موقع في الريبة : من أرابه : إذا أوقعه في الريبة والتهمة . والله أعلم .

مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴿٥٤﴾

فعلُ الأمر ابتداءً ، والإعادة فعله ثانياً ، ولا يخلو الحى عنها . بعضهم بعضاً بها .

٥٣ - ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾ أى وكانوا يرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم : فينسبون إليه تعالى الشريك ويقولون : لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار . ويقولون في القرآن : سحر وشعر وأساطير الأولين . وفي الرسول : ساحر شاعر كاهن مجنون . ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ من جهة بعيدة عن أمر من تكلموا في شأنه وعن الحق والصدق . والعرب تقول لكل من تكلم بما لا يحقه : هو يقذف ويرجم بالغيب .

٥٤ - ﴿وَحِيلَ﴾ فى الآخرة ﴿بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ وهو الإيمان المقبول والتوبة المنجية . ﴿كَمَا فُعِلَ﴾ فى الآخرة ﴿بِأَشْيَاعِهِمْ﴾ أمثالهم ونظرائهم من كفار الأمم الماضية الذين كانوا ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أى من قبلهم : فقد

فعلُ الأمر ابتداءً ، والإعادة فعله ثانياً ، ولا يخلو الحى عنها . فعدمها كناية عن هلاكه : كما يقال : فلان لا يأكل ولا يشرب ، كناية عن هلاكه .

٥١ - ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا﴾ أى لو ترى إذا اعتراهم فرغ وهلع في الآخرة عند البعث ومعاناة العذاب لرأيت أمراً هائلاً . ﴿فَلَا قُوَّةَ﴾ فلا نجاة ولا مهرب لهم يومئذ من عذاب الله . ﴿وَأَخَذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أى من موقف الحساب إلى النار .

٥٢ - ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أى ومن أين لهم فى الآخرة تناوُلُ الإيمان والتوبة من الكفر : وقد كان ذلك قريباً منهم فى الدنيا فضيعوه ! وكيف يقدرُونَ على الظفر به فى الآخرة وهى بعيدة من الدنيا ! والتَّنَاقُشُ : التناوُل . يقال : ناشه ينوشه نوشاً تناوله : ومنه

سُورَةُ فَاطِرٍ

(٣٥) سُورَةُ فَاطِرٍ مَكِّيَّةٌ
وآياتها ٤٤ نزلت بعد الفرقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِئَةِ
رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّنْثَى وَتِلْكَ رُبَّعٌ يُزِيدُ فِي الْخَلْقِ
مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ
لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ
لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَتَأَيَّأُ النَّاسُ
أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ
مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾
وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ
تَرْجِعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَتَأَيَّأُ النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا

١ - ﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ مُوجِدُهُمَا عَلَى غَيْرِ مَثَالٍ يُحْتَذَى [آية ١٤ الأنعام ص ١٧١] . والمراد بهما : العالم بأسره . ﴿ جَاعِلِ الْمَلَكِئَةِ رُسُلًا ﴾ أى إلى الأنبياء . يبلغونهم رسالاته بِالْوَحْيِ وَالْإِهَامِ وَالرُّؤْيَا الصَّادِقَةِ . أو إلى العباد نِعْمَةً أَوْ نِقْمَةً . ﴿ أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّنْثَى وَتِلْكَ رُبَّعٌ ﴾ ذوى أَجْنَحَةٍ عديدة ؛ فلبعضها فى كلِّ جانب اثنان ، ولبعضها ثلاثة . ولبعضها أربعة . والمراد : كثرة الأجنحة لا الحصر ؛ فلا ينافى الزيادة فى بعضها عن ذلك . « وَمَنْثَى » اسمٌ معدولٌ به عن اثنين اثنين . ممنوعٌ من الصَّرف . وكذلك يقال فى « ثَلَاثَ وَرُبَاعَ » . ﴿ يُزِيدُ فِي الْخَلْقِ ﴾ أى فى خلق كلِّ ما يريد خلقه ﴿ مَا يَشَاءُ ﴾ كلِّ ما يشاء أن يزيدَه من الأمور التى لا يُحِيطُ بها الوصف ؛ ومن ذلك أَجْنَحَةُ الْمَلَكِئَةِ فيزيد فيها ما يشاء . وكذلك ينقص فى الخلق ما يشاء ؛ والكلُّ جارٍ على مقتضى الحكمة والتدبير .

٢ - ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ ﴾ أى ما يرسل الله للناس رحمة ، أى رحمة كانت ، مطراً أو رزقاً أو نعمة ، أو أمناً أو علماً أو حكمة ، أو نحو ذلك . ﴿ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ فلا أحد يقدر على منعها .

٣ - ﴿ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ أى اذكروا بألستكم وقلوبكم ما أنعم الله به عليكم من النعم التى عددها فى الآيتين السابقتين وغيرها . واحفظوها بذاكرة حقاها والإقرار بها . وطاعة موليا وتخصيصه بالعبادة . ثم بين وحدة النعم بقوله : ﴿ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ ﴾ لكم ولغيركم ؟! أى لا خالق غيره سبحانه ! وهو استفهامٌ تقرير وتوبيخ أو إنكار .

﴿ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ رزقاً حساً فيه بقاؤكم . والجملة مستأنفة ؛ أو صفة لـ « خالق » . ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ جملة مستأنفة لتقرير التنى المستفاد مما قبله . ﴿ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ فكيف تصرفون عن توحيد خالقكم ورازقكم إلى الشرك فى عبادته ؟! من الأفك - بالفتح - [آية ٧٥ المائدة ص ١٥٨] . أو فكيف يقع منكم التكذيب بتوحيده ؛ من

بمعنى : لا تهلك ولا تمت أسفاً عليهم ، وندماً على عدم إيمانهم [آية ١٦٧ البقرة ص ٣٨] .
(عليهم) متعلق بـ (حسرات) .
ونظير هذه الآية قوله تعالى :
(لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) (٧)

٩ - ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ مبتدا وخبر . ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ تحركه وترعجه من مكانه . أو تجمعها ونجى به . ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ أى مثل إحياء الموات الذى تشاهدونه - إحياء الأموات للحساب ، فى كمال الاختصاص بالقدرة الإلهية ، من نشر [آية ٢١ الأنبياء ص ٤١٣] .

١٠ - ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ أى الشرف والمِنَّة ، من قولهم : أرض عزاز ، أى صلبة قوية . أى من كان يريد العزة التى لا ذلة معها فليعتز بالله تعالى ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ فى الدنيا والآخرة ، دون ما عبده من الأوثان وغيرها .

ومن اعتز بالله أعزه الله ، ومن اعتز بالعبيد أدله الله . وكان المشركون يتعززون بالأصنام ، كما قال تعالى : (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا) (٣) والمنافقون يتعززون بالمشركين ، كما قال تعالى : (الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئْسَ عُنْدَهُمُ الْعِزَّةُ) (٤) ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ هو كل كلام هو ذكر لله تعالى . أو هو لله سبحانه ، كالأمر بالمعروف

تَفَرَّنْكَ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكَ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُودٌ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ لَمْ يَضِلُّ مِنْ يَسَاءٍ وَيَهْدَى مِنْ يَسَاءٍ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ ﴿١٠﴾

الإفك - بالكسر - وهو الكذب ، وهو راجع إلى الأول لأنه قول مصروف عن الصدق .
٥ - ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ﴾ فلا تخذعنكم ولا تلهينكم بالزخارف . ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ﴾ بسبب حلمه وإمهاله ﴿الْغُرُورُ﴾ أى المبالغ فى الغرور والخذاع . وهو الشيطان بما يُمتيكم من الأمانى الكاذبة .
٨ - ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ أى أفمن زُيِّنَ له الشيطان أو نفسه وهواه عمله القبيح فرآه حسناً ، كمن لم يُزَيَّنْ له ؟ لا يستويان . (وَمَنْ) موصولة مبتدأ . والخبر محذوف لدلالة الكلام عليه . وقد صرح بالجزأين فى نظير هذه الآية من قوله تعالى : (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتِيَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ) (١١) ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾ أى لا تلمض نفسك ،

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ
مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ
عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ
فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ
لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ
فِيهِ مَوَاحِرَ لَبَنَتُغُوًا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾

والتهى عن المنكر والتَّصِيحَة والعلم
التَّافِع . وصعودُهُ إليه : قبولُهُ
والرَّضَا به . أو صعودُ صحائفه .
أى إليه تعالى لا إلى غيره يصعد
الكَلِمُ الطَّيِّبُ ؛ أى يُقْبَلُ عنده
ويكون مرضيًا . أو تُرْفَعُ الصحف
التي هو فيها فيجازى الله يوم القيامة
أصحابها بالحسنى . وهو بيان
لطريق تحصيل العِزَّة وحثُّ على
سلوك سبيلها . ﴿ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ
يَرْفَعُهُ ﴾ أى يرفعه الله ويقبله من
المؤمنين ؛ فالفاعل ضميرُ عائِدٍ إلى
الله ، والضميرُ المنصوبُ عائِدٌ إلى
العمل . ﴿ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ
يَبُورٌ ﴾ أى يَبْطُلُ وَيَفْسَدُ فلا
ينفعهم ؛ من البوار [آية ٢٨
إبراهيم ص ٣٣٠] . والمشارُ
إليهم هم صناديدُ قريش الذين
مكروا برسول الله صلى الله عليه
وسلم في دار الندوة .

١١ - ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾
دليلٌ آخرُ على صحة البعث
والنشور وكمال القدرة عليه . ﴿ ثُمَّ
مِنْ نُطْفَةٍ ﴾ هى المَئِي [آية ٤
النحل ص ٣٤٢] .
﴿ أَزْوَاجًا ﴾ ذَكَورًا وَإُنْثَى . ﴿ وَمَا
يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ ﴾ أى ما يُمَدُّ في
عمر أحدٍ ﴿ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ
عُمُرِهِ ﴾ أى من عُمُر أحدٍ آخر
﴿ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴾ عنده تعالى ؛
أى فى اللوح المحفوظ . أو فى
الصحيفة ، أو فى العلم الأزلى .
أو بقضائه تعالى . وعن ابن عباس
رضى الله عنهما فى تفسير الآية :
ليس أحدٌ قُضِيَ له طولُ العمر إلا

وهو بالغُ ما قُدِّرَ له من العمر ،
وإنما ينتهى إلى الكتاب الذى قُدِّرَ
له لا يُزَادُ عليه . وليس أحدٌ قُضِيَ
له أنه قصيرُ العمر ببالغِ العمر - أى
الذى بلغه الأول - ولكن ينتهى
إلى الكتاب الذى قُدِّرَ له .
١٢ - ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ ﴾
مَثَلٌ للمؤمن والكافر . فالبحرُ
العذبُ : مَثَلٌ للمؤمن ، والبحرُ
المِلْحُ : مَثَلٌ للكافر . وكما أنَّ
البحرين - وإن اشتركا فى بعض
الفوائد - لا يتساويان فيما هو
المقصود بالذات من كل منهما .
كذلك المؤمن والكافر - وإن
اشتركا فى بعض الصفات
كالشجاعة والسخاء والأمانة - لا
يتساويان فى الخاصية العظمى ؛
لبقاء الأول على الفطرة الأصلية
ومعاندة الآخر لها . ﴿ هَذَا عَذْبٌ
فُرَاتٌ ﴾ [آية ٥٣ الفرقان ص

[٤٦٦] . ﴿ سَائِغٌ شَرَابُهُ ﴾ سهلٌ
أخدارُهُ فى الخلق لعدوئته
﴿ أُجَاجٌ ﴾ [آية ٥٣ الفرقان] .
﴿ وَتَسْتَخْرِجُونَ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾
أى اللَّوْلُو والأصداف
والمَرَّجان . وهى إنما تُستخرج
من المِلْح خاصة . وما يفيدُه
ظاهر الآية من أنها تُستخرج من
كلٍّ من العذب والمِلْح غيرُ مراد ؛
بل الكلام جَرى على نمط قوله
تعالى : (وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ
الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبَيِّنُوا
مِنْ فَضْلِهِ) (١) . وقولُ القائل :
لو رأيت الحسن والحجاج لرأيت
خيرًا وشرًّا ؛ فالأولُ للأول .
والثانى للثانى . وهنا الأولُ وهو
اللحمُ الطَّرِيُّ من البحرين .
والثانى وهو الحَبْلَةُ من الثانى وهو
المِلْح . ﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ
مَوَاحِرَ ﴾ شَوَاقٍ للماء بصدورها .



يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾
 إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكُكُمْ وَلَا يَنْبِتُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ * يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ

أو هو الشُّكَّة في ظهر النواة .
 يُضْرَبُ مثلاً للشئ الدنيء
 الطفيف .

١٨ - ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ولا تحمل نفس أمة أثم نفس أخرى ؛ وإنما تحمل كل نفس أثم الفعل الذي باشرته أو تسببت فيه . ﴿وَأَنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِهَا لَا يَحْمِلُ﴾ الحمل - بالكسر - : ما وُضع على الظهر أو الرأس ؛ أى وإن تطلب نفس مثقلة بالذنوب من يحمل عنها ذنوبها التي أنقلتها ليخفف عنها . لا تجد من يستجيب لها ولو كان من أقربائها . ﴿وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ﴾ مَنْ تطهر من ذنس الكفر والذنوب بالإيمان والتوبة والعمل الصالح فإنما يتطهر لنفسه ؛ وإليها يعود الأجر والثواب . وهو حثٌ على تركية النفس وتطهيرها .

١٩ : ٢٢ - ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ...﴾ مثل الكافر في هذه الآية بالأعمى في عدم اهتدائه . والمؤمن بالبصير في اهتدائه . والكفر بالظلمات ، والإيمان بالنور ، ومستقرهما في الآخرة بالظل والحرور . ثم مثل العلماء بالله بالأحياء ، والجاهلون بالله بالأموات . وزيادة «لا» في المواضع الثلاثة التي أوتها (وَلَا الظُّلُمَاتُ) لتأكيد نفي الاستواء . و﴿الْحَرُورُ﴾ : الريح الحارة بالليل ؛ كالسَّموم بالنهار . وقيل : الحرور يكون ليلاً

أى ذلكم العظيم الشأن . المتصف بالصفات المتقدمة - من أول السورة إلى هنا - هو الله وهو ربكم . وهو الذى له التصرف المطلق في العالم كله . ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ ما يملكون قشرة نواة فافوقها ، ولا يقدرון على شئ . والقطمير : القشرة البيضاء الرقيقة الملتفة على النواة .

يُجْرِيهَا اللَّهُ مِقْلَةً ومديره بريح واحدة . [آية ١٤ النحل ص ٣٤٤] .

١٣ - ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ يدخل أحدهما في الآخر [آية ٢٧ آل عمران ص ٧٧] . ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ : مقدر لفنائها (يوم القيامة) . ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾

ونهاراً . والسَّوْمُ لا يكون إلا بالَّهَار . والمرادُ به : النار . كما أن المراد بالظِّل : الجنة .

٢٤ - ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ أى ما مِنْ أُمَّةٍ ماضيةٍ إلا مضى فيها نذيرٌ من الأنبياء . والعربُ أمةٌ قد بُعث إليهم إسماعيلُ عليه السلام . كما بُعث موسى وعيسى إلى بنى إسرائيل [آية ٤٦ القصص ص ٩٥ ، آية ٣ السجدة ص ٥٢١] .

٢٥ - ﴿وَبِالْزُّبُرِ﴾ أى بالكتب المترلة من عند الله . جمعُ زبور وهو المكتوب : كصُحُف إبراهيم وموسى . ﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ أى التوراة والإنجيل المترلَّين : وهو من عطف الخاص على العام .

٢٦ - ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أى إنكارى عليهم بحلول عقوبتى .

٢٧ - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ﴾ خطابٌ لكل من يصلح له بتقرير دليل من أدلة القدرة الباهرة . والصَّنعة البديعة يوجبُ الإيمان بالله . وَيَذْفَعُ فى صدور المكذِبين : بعد أن ذكر أخذه تعالى لهم عقوبةً على التكذيب والجحود . وهو اختلاف ألوان الثمرات والجبال . والناس والدواب والأنعام اختلافاً بيّناً . ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ...﴾ أى ذوو طرائقٍ وخطوطٍ تخالف لونَ الجبل : بيضٍ وحمراً وسوداً . جمعُ جُدَّةٍ . وهى الطريقة فى

وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى الْأَحْبَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ
إِنَّ اللَّهَ يَسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ
فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾
وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ
رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾
ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ
تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ
مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ
أَلْوَنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ
وَأَلَّا نَعْلَمَ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ
مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ

السَّماء والجبل . وأصلُها الحُطَّة التى فى ظهر الحمار تخالف لونه . ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ أى أصنافها بالشدة والضعف . ﴿وَعَرَابِيبُ سُودٌ﴾ جمعُ غريب . وهو الذى أبعد فى السواد وأغرب فيه . و(سودٌ) بدلٌ من (غرابيب) . وهى معطوفةٌ على (بيضٌ) . وقيل : معطوفةٌ على (جُدَدٌ) . أى ومن الجبال مخطَّطٌ ذو جُدَدٍ . ومنها ما هو على لونٍ واحد وهو السَّواد الشديد . والمراد : أنها مختلفة الألوان كثيراً .

٢٨ - ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ أى إنما يخافه تعالى بالغيب العالمون به : وبما يليق به من الصفات الجليلة والأفعال الجميلة : لأن مدار الخشية معرفة الخشى . والعلمُ بصفاته وأفعاله . أمَّا الجاهلون به تعالى فلا يخشونه ولا يخافون عقابه . وهذه الآية مكتملة لقوله تعالى : (إِنَّمَا تُنذِرُ

والأحكام والمواظ والامثال ؛
بالذات كالعلماء الراسخين ؛ أو
بالواسطة كغيرهم . (وَتُمْ)
للتراخي الزماني . والمراد
بـ (الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا) أمة الإجابة .
وفي التعبير بالاصطفاء تنويه
بفضلها على سائر الأمم . ثم قسمها
الله تعالى إلى ثلاثة أنواع : أشار
إلى الأول بقوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ
ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾ بارتكاب صغائر
الذنوب المؤدى إلى نقصانه من
الثواب . وإلى الثاني بقوله :
﴿ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ ﴾ معتدل في أمر
الدين . لا يميل إلى إفراط ولا إلى
تفريط . وإلى الثالث بقوله :
﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ ياذن
الله . وهو السابق لغيره في أمور
الدين . وقيل الظالم : من
رجحت سيئاته على حسناته .
والمقتصد : من استوت حسناته
وسيئاته . والسابق : من رجحت
حسناته على سيئاته . وكلهم من
أهل الجنة . ﴿ ذَلِكَ ﴾ أى
تورث الكتاب لمن اصطفيناه .

٣٣ - ﴿ يَدْخُلُونَهَا ﴾ الضمير
راجع للأنواع الثلاثة .

٣٤ - ﴿ وَقَالُوا ﴾ أى ويقولون
عند دخولهم الجنة . وعبر بصيغة
الماضي للدلالة على تحققه .
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا
الْحَزْنَ ﴾ أى جنس الحزن الشامل
لجميع أحزان الدارين والدنيا
والآخرة . والحزن والحزن : ضد
الفرح .
٣٥ - ﴿ دَارَ الْمُقَامَةِ ﴾ دار

الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٣١﴾
لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ
شَكُورٌ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ
الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ
بَصِيرٌ ﴿٣٣﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا
فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ
بِالْخَيْرَاتِ يَآذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٤﴾
جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ
وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٥﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٦﴾ الَّذِي
أَحْلَلْنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا
يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ

الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ (١)
بتعيين من يخشاه من الناس . بعد
بيان اختلاف طبقاتهم ومراتبهم في
الصفات .
٢٩ - ﴿ يَرْجُونَ تِجَارَةً ﴾ أى
معاملة مع الله تعالى لنيل الربح وهو
الثواب . ﴿ لَّن تَبُورَ ﴾ أى تكسد
[آية ١٠ من هذه السورة] -
والجملة خبر « إِنَّ » .
(١) آية ١٨ من هذه السورة .

الإقامة الدائمة (الجنة) ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ لا يصيبنا فيها تعب ولا مشقة وعناء. يقال : نَصِب - كَفَرَح - إذا تَعِبَ وأَعْيَا. ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ إعياء من التعب ، وكَلَالٌ من التَّصَبُّبِ. يقال : لَغِبَ لَغْبًا وَلُغُوبًا وَلُغُوبًا - كَمَتَعَ وَسَمِعَ وَكَرَّمَ - أَعْيَا أَشَدَّ الإعياء .

٣٧ - ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا﴾ يستغيثون ويصْجُونَ في النار رافعين أصواتهم . افتعالٌ من الصَّراخ وهو الصياح بجهد ومشقة ، ويستعمل كثيرًا في الاستغاثة ؛ لجهد المستغيث صوته . والصارخ : المستغيث . وأصله يَصْطَرِّخُونَ ؛ فأبدلت التاء طاءً لقرب مخرجها من الصاد لما نُقِلَتْ . ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ﴾ أي ألم نَهْلِككم ونعمرْكم العمر الذي يتمكن من التذكر فيه من أراد التذكُّر !

٣٩ - ﴿جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ خلفاء في أرضه . وملككم منافعها ومقاليد التصرف فيها ؛ لتشكروه بالطاعة . أو جعلكم خلفاء لمن سبقكم من الأمم الذين كذبوا الرسل فهلكوا ؛ فلم تتعظوا بحالهم وما حلَّ بهم من الهلاك . جمع خليفة . ﴿إِلَّا مَقْتًا﴾ أي أشدَّ البغض والاحتقار والغضب . ﴿الْأَخْسَارُ﴾ هَلَاكًا وخُسْرَانًا في الآخرة .

٤٠ - ﴿أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ﴾

لَا يَقْضِي عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا تَدَّكُرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَجَاءَ كُرُّ النَّذِيرِ فَذُوقُوا فَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٠﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٤١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أُمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ

أى أخبروني عن حال شركائكم ! أروني أى جزء خلقوا من الأرض حتى يستحقوا الألوهية والشركة ؟! ورأى بصرية تتعدى بالهمزة إلى مفعولين : أولهما «شركاءكم» .. والثاني الجملة إنكارى فيه وفي الموضعين بعده . و «أروني» أى أخبروني تأكيداً لـ «أَرَأَيْتُمْ» . ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ أى بل ألهم شركه مع الله في خلق السموات حتى يستحقوا ما زعمتم



تغليظها [آية ٥٣ المائدة ص ١٥٣] . ﴿نُفُورًا﴾ تباعدًا عن الحق والهدى .

٤٣ - ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ بدل من «نُفُورًا» . أو مفعول لأجله . ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ معطوف على «استكبارًا» . وأصل التركيب : وأن مكروا المكر السيئ ، فأقيم المصدر مقام أن والفعل وأضيف إلى ما كان صفة له . ومكرهم : شركهم بالله . أو كيدهم للنبي صلى الله عليه وسلم . ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ أى لا يحيط مكروه ذلك المكر إلا بأهله الماكرين ، من الحَقِّق وهو الإحاطة . يقال : حاق به كذا ، أى أحاط به . أو لا يصيب ولا ينزل إلا بهم . ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ فما ينتظرون . ﴿سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾ سنة الله فيهم بتعديدهم لتكذيبهم . والله أعلم .

سُورَةُ يَسْ

١ - ﴿يَسْ﴾ من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه . وقيل : اسم للسورة ، أو للقرآن ، أو للرسول صلى الله عليه وسلم .

٢ : ٤ - ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ قَسَمَ منه تعالى بكتابه المحكم وجوابه ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ على صراطٍ مُسْتَقِيمٍ . أى على طريقة مستقيمة . وأعلم أن الأقسام الواقعة في القرآن وإن

أَيْمَنَهُمْ لِنَ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿١﴾ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٢﴾ أُولَئِكَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَنِقَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٣﴾ وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤﴾

(٣٦) سُورَةُ يَسْ مَكِّيَّةٌ
الْأَيَّةُ ٤٥ هُدْيَةٌ
وَأَيَّاهَا ٨٢ نَزَلَتْ بَعْدَ الْحَجِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْ ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ

فيهم ؟ ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا﴾ أى باطلاً . وهو قولهم : هؤلاء بل آتيناهم كتابا بالشركة ؟ ﴿فَهُمْ﴾ شفعاؤنا عند الله .
٤٢ - ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ مِنْهُ ؟﴾ (إِلَّا غُرُورًا) أى وعدًا أيمنهم غاية اجتهدهم في

وردت في صورة تأكيد المحلوف عليه ، إلا أن المقصود الأصلي بها تعظيم المقسم به ؛ لما فيه من الدلالة على اتصافه تعالى بصفات الكمال ، أو على أفعاله العجيبة ، أو على قدرته الباهرة . فيكون المقصود من الحلف الاستدلال به على عظم المحلوف عليه ، وهو هنا عظم شأن الرسالة . كأنه قيل : إن من أنزل القرآن - وهو ما هو في عظم شأنه - هو الذي أرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم . ومثل ذلك يقال في الأقسام التي في السور الآتية .

٦ - ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا﴾ وهم قريش المعاصرون له صلى الله عليه وسلم . ﴿مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ أي لتخوفهم العذاب الذي أنذره به آبائهم الأبعدون على لسان إسماعيل عليه السلام . ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ أي لأنهم غافلون عنه [آية ٤٦ القصص ص ٤٩٥ ، ٣ السجدة ص ٥٢١ ، ٢٤ فاطر ص ٥٥٣] .

٧ - ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ أي والله لقد ثبت وتحقق الحكم أزلاً بالعذاب ﴿عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾ أي أكثر المنذرين ، وهم كفار مكة ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بإنذارك إليهم ؛ لسبق علمنا بسوء اختيارهم الموجب لإصرارهم الاختياري على الكفر وموتهم عليه .

٨ - ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ قيوداً عظيمة . والغُلُّ -

الرَّحِيمِ ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ﴾ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَغَشِيَهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى

بالضم - : ما تُشدُّ به اليدُ إلى العنق للتعذيب والتشديد . ﴿فَهِيَ﴾ أي الأغلال واصله ﴿إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ جمع ذَقْن وهو أسفل اللّحَيْن . ﴿فَهُمْ مُّقْمَحُونَ﴾ رافعون رؤوسهم مع غَضْ أَبصارهم ، لا يستطيعون أن يطأطئوها لوصول الأغلال إلى أذقانهم ؛ من الإفحاح ، وهو رفع الرأس وغلُّ البصر . يقال : أقمحه الغُلُّ . إذا ترك رأسه مرفوعاً من ضيقه . وهو تمثيل لحال هؤلاء المصرّين على الكفر - الشاغبين براء وسهم عن اتباع الرسول ؛ في عدم التفاتهم إلى الحق ، وعطف أعناقهم نحوه ، وطأطة رؤوسهم إليه - بحال أولئك المغلولين . ٩ - ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ عظيماً . والسَّدُّ : الحاجز بين الشئين . ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ جعلنا على أبصارهم غشاوة ؛ أي غطاءً ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ لا يقدرون على إحصاء شيء بسبب ذلك . وهو تمثيل آخر لحال هؤلاء - في حبسهم في حظيرة الجهالات - ومنعهم عن النظر في الدلائل والآيات ؛ لسوء اختيارهم وفساد استعدادهم - بحال من أحاطت بهم سدود فحجبته عن الإبصار . ١١ - ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ أي إنما تنذر إنذاراً نافعاً مستتبعا أثره من علم الله أنه اتبع القرآن . متأملاً فيه عاملاً به وهم الأقلون . أما هؤلاء المستكبرون فلا ينفع فيهم الإنذار ؛ بل

تركوه بعدهم من أثر حسن أو سيئ ، فنجازهم على ما قدموا وما آخروا . ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ بيانه في أصل عظيم يقتدى به ، مظهر لما كان وما يكون إلى يوم القيامة ، وهو اللوح المحفوظ .

١٣ - ﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ هي أنطاكية من أرض الروم ، وكان أصحابها من عبدة الأوثان . ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ أصحاب عيسى عليه السلام من الحواريين ، أرسلهم إليهم بأمره تعالى حين رفع إلى السماء .

١٤ - ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ فقوتنا الرسالة بثالث ، من التعزيز وهو التقوية . يقال : تعزز لحم الناقة إذا صلب . وعزز المطر الأرض ، إذا لبدها وشدها .

١٨ - ﴿إِنَّا نَطِيرُنَا بِكُمْ﴾ تشاء منا بكم ، فما أصابنا من بلاء فإنما هو بيسكم [آية ٤٧ النمل ص ٤٨٥]

١٩ - ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ شؤمكم معكم ، وهو استدامتكم على الكفر . أو سيئه منكم لا مئاً ، وهو سوء عقيدتكم وأعمالكم . ﴿أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ﴾ أين وعظمت وخوفتم سوء عاقبة أعمالكم تطيرتم ؟

٢٠ - ﴿يَسْعَى﴾ يعدو ويسرع في مشيته حرصاً على نصيح قومه .

٢٢ - ﴿فَطَرْنِي﴾ أوجدني

وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٣﴾ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ ﴿١٧﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ قَالُوا إِنَّا نَطِيرُنَا بِكُمْ لَيْنَ لَمْ تَنْتَهُوا لِنَرْجِئِكُمْ وَلِيَسْتَكْمِلَ مِنَّا عَذَابَ الْإِيمِ ﴿١٩﴾ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَلْقَؤُمْ أَتَبَعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ أَتَبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٣﴾ أَنَأْخُذُ مِنْ دُونِهِ ۚ إِلَهَةٌ إِنْ يُرَدِّدِ الرَّحْمَنُ يَضِرِّ لَّا تَغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْعًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٤﴾ إِنِّي إِذْ أَنَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٥﴾ إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ ﴿٢٦﴾ قَبْلِ أَنْ دَخِلَ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي

وجوده وعدمه بالنسبة إليهم سواء .

١٢ - ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ نَحْصِي ما أسلفوا في حياتهم من أعمال صالحة أو فاسدة ، وما

وخلقني بعد العدم بقدرته .

٢٣ - ﴿لَا تُغْنِ عَنِّي﴾ لا تدفع عني .

٢٦ - ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ بشرته ملائكة الموت عند قتل أعدائه له بدخول الجنة في الآخرة . أو بدخول روحه فيها وطوافه بها ، كأرواح الشهداء .

٢٩ - ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَبِيحَةٌ وَاحِدَةً﴾ ما كانت هلكتهم إلا بصبيحة واحدة من السماء ، صاح بها جبريل عليه السلام ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ أى كالنار الخامدة التي استحالت رماداً [آية ١٥ الأنبياء ص ٤١٢ ، ٤١٣] .

٣٠ - ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ يا غماً وتندباً على العباد المكذبين ، أو منهم على أنفسهم في استهزائهم بالرسول [آية ١٦٧ البقرة ص ٣٨] .

٣٢ - ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ أى ما كلُّ المخلوقات إلا مجموعون لدينا يوم القيامة في المحشر ، محضرون للجزاء والحساب .

٣٣ - ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ﴾ اشتملت هذه الآية وما بعدها إلى آية ٤٤ على ثلاثة أدلة على القدرة على البعث ، وعلى ما يوجب الإقرار له تعالى بالوحدانية وإفراده بالعبادة : أولها - دليل أرضى برئى . والثانى - دليل سماوى . والثالث - دليل أرضى بحرئى .

يَعْلَمُونَ ﴿بِمَا غَفَر لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرِمِينَ﴾ ٢٧

* وَمَا أُنزِلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَبِيحَةٌ وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَحْسَرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَرَاهِلَكَّا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَنَهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾

الدلائل ينكرون قدرته على أن يخلق مثلهم ! وهو الخلاق العليم : الذى لا يتعاضم ولا يستعصى على قدرته شيء في ملكوته ؟!

٣٤ - ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا﴾ شققنا في الأرض .

٣٥ - ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ أى لم يعملوا الثمر وإنما الفاعل له هو الله تعالى وحده ، والجملة حالية . أو ليأكلوا مما عملته أيديهم . وصنعوه بقواهم كالغصير والدبس وغيرهما .

٣٦ - ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ

ثم ذكر ثلاثة أدلة أخرى على ذلك في آيات ٦٦ - ٦٨ مشاهدة في جسم الإنسان وقواه : أولها - الإبقاء على حاسة بصره . والثانى - الإبقاء على صورته الإنسانية . والثالث - تنكيس قواه ورؤيه إلى أرذل عمره إذا عُمِّر . ثم ذكر دليلاً سابعاً في آيات ٧١ - ٧٣ مشاهدًا في خلق الأنعام ومنافعها . ثم ذكر دليلاً ثامناً في آية ٧٧ مشاهدًا في أطوار خلق الإنسان . ثم ذكر دليلاً تاسعاً في آية ٨٠ مشاهدًا في خلق الضد من ضده ، فكيف مع تواتر هذه

سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ
وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَآيَةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ
تَسْلُخُ مِنْهُ النَّهَارُ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٩﴾ وَالشَّمْسُ
تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ هَآءَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٤٠﴾
وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٤١﴾
لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ
النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٢﴾ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا

كلَّ ليلةٍ في منزلٍ لا يتخطَّاهُ ، ولا يتقاصر عنه . على تقدير مستوٍ من ليلةٍ المستهلِّ إلى الثَّانِيَةِ والعشرين . ثم يستمرُّ ليلتين إن كان الشهر تامًّا ، وليلةٍ إن نقص يوماً ، فإذا كان في آخر منازلِهِ دَقَّ وَتَقَوَّسَ ﴿٣٨﴾ حَتَّىٰ عَادَ ﴿٣٩﴾ أى صار في رأى العين ﴿٤٠﴾ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٤١﴾ أى العتيق اليابس ، وهو عود العذق ما بين الشَّارِيخِ إلى منبتِهِ من النخلة . والعذق : القِوُّ من النخل وهو كالعنقود من العنب . والشَّارِيخُ : جمع شمرِاخ وشَمْرُوخ ، وهو العنكال الذى عليه البُسْر . وَسُمِّيَ عُرْجُونًا من الانعراج وهو الانعطاف ، شبه القمر به في دَقَّتِهِ وَتَقَوَّسِهِ واصفراره .

٤٠ - ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ أى لا يصحُّ لها أن تدرك القمر في مسيره فتجتمع معه في الليل ، لأنه تعالى حدّد لكلٍّ منها وقتًا معيَّنًا يظهر فيه سلطانه ، فلا يدخل أحدهما في سلطان الآخر ، بل يتعاقبان . وإلَّا لاختلَّ تَكُونُ النبات وتديُّرُ عيش الإنسان والحيوان . ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ أى ولا آية الليل - وهى القمر - تسبق آية النهار - وهى الشمس - ، بحيث يظهر سلطانه في وقت ظهور سلطانه . ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يَدْوَرُونَ . حكى ابن حَرَمٍ وابنُ الْجَوَازِي وغيرهما الإجماع على أن السماوات كرويةٌ مستديرةٌ ،

ظلمته ليظهر الليل . ﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ أى داخلون في الظلام . ٣٨ - ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ أى وآية لهم الشمس تسير مسرعةً إلى مكان استقرارها كلَّ يوم في رأى العين ، وهو أفق الغرب خاصَّةً . أو إلى مكان استقرارها . وهو الحدُّ المعين الذى تنتهى إليه من فلكها في آخر السنة ، فهى تجرى دائماً ، كلما انتهت من دَوْرَةِ استأنفت أخرى لتبلغه . شبه بمسافرٍ إذا قطع مسيره ، من حيث إن في كلٍّ منهما انتهاءً إلى موضع معيَّن ، وإن كان للمسافر قرارٌ بعد ذلك والشمس لا قرار لها بعده ، بل تستأنف الحركة منه كما بدأت . ٣٩ - ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ أى قَدَرْنَا سيره في منازل ، ينزل

الأزواج ﴿أى أسبَحَ سبحانه ؛ أى أَرْزَاهُ تعالى عما لا يليق به مما فعلوه . تنزيهاً خاصاً به . حقيقةً بشأنه عزَّ وجلَّ . والمراد بالأزواج : أنواعُ المخلوقات وأصنافها . يقال : زوج لكل واحد من القريئين . من الذكر والأنثى في الحيوان المتزوج . ولكل قريئين فيه وفى غيره . ولكل ما يقترن بآخر مماثلاً له أو مُضَادًّا . وقيل : المراد بالأزواج خصوصُ الذكور والأنثى من الحيوان والنبات . ٣٧ - ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ تَسْلُخُ مِنْهُ النَّهَارُ﴾ أى تَنَزَعُ عنه النهار الذى هو كاللباس الساتر فظهر الظلمة . أو تخرج منه النهار إخراجاً لا يبقى معه أثر من ضوئه [آية التوبة ص ٢٤٨] . والمراد : إزالة ضوء النهار من مكان الليل وموضع

استدلالاً بهذه الآية . وخالف في ذلك جماعة من أهل الجدل .

٤١- ﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أى أولادهم صغاراً وكباراً في السفن المملوءة دون أن يلحقهم أذى ، وتمكيناً للكبار منهم من وسائل العيش . وأهمها التجارات .

٤٣- ﴿فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ﴾ فلا مغيب لهم . أو فلا إغاثة لهم من الفرق . وعلى الثاني هو مصدر كالصرخ يجوز به عن الإغاثة ؛ لأن المستغيث ينادى من يستغيث به فيصرخ المغيب له ويقول : جاءك الغوث والعون .

٤٥- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أى لأهل مكة ﴿اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ أى مثل عذاب الأمم الماضية ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ أى عذاب الآخرة . أو اتَّقُوا ما يوجهها - أعرضوا عن ذلك إعراضاً ؛ وحذف الجواب للعلم به مما بعده .

٤٨ ، ٤٩- ﴿وَيَقُولُونَ﴾ استهزاء وتكديباً ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ أى متى يكون البعث الذى تقولونه ! فاجابهم الله تعالى بقوله : ﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾ أى ما ينتظرون ﴿إِلَّا صَبِيحَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ هى نفخة الصّعق التى يموت بها أهل الأرض ﴿تَأْخُذُهُمْ﴾ تفههم يتخاصمون ويتنازعون فيما انهمكوا فيه من شئون الدنيا . غافلين عن الآخرة .

٥١- ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ نفخة

ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ انْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انْطَعِمُوا مِنْ تَوَيْسَاءِ اللَّهِ أَطْعَمَهُمْ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَبِيحَةٌ وَاحِدَةٌ تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَتُوبِلَنَا مِنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرِّقِدْنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَبِيحَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ

البعث ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ يخرجون مسرعين أى القبور . جمع جدث . ﴿إِلَى﴾ [آية ٩٦ الأنبياء ص ٤٢١] .



فَكَهُونٌ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرْبَابِكِ
مُتَكِفُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾
سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَامْتَنَزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا
الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ * أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ
أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ
أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ
جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ
الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ أَصَلُّوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ
تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا
أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ
نَسَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى
يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا

الادعاء بمعنى التمسى . تقول
العرب : ادع على ما شئت ؛ أى
تمن .

٥٩ - ﴿وَامْتَنَزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا
الْمُجْرِمُونَ﴾ انفردوا عن المؤمنين
إلى مصيركم من النار وكونوا على
حدة . يقال : امتاز وتميز
وامتاز ، أى انفصل بعضه من
بعض .

٦٠ - ﴿أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾
أوصيكم . أو أكلفكم .

٦٢ - ﴿أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾
أغوى منكم خلقاً كثيراً [آية ١٨٤
الشعراء ص ٤٧٧] .

٦٤ - ﴿أَصَلُّوْهَا﴾ ادخلوها ، أو
قاسوها حرها .

٦٦ - ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى
أَعْيُنِهِمْ﴾ بيان لأنهم فى قبضة
القدرة ، ومستحقون للعذاب
لكفرهم وإنكارهم . أى فى
قدرتنا إذا شئنا - جزاء لهم على
جناياتهم - أن نمنحو أعيُنهم
ونمسحها . أو أن نزيل ضوءها
فيصيروا عُتْمًا لا يقدرون على

التردد فى الطرق لمصالحهم ،
ولكننا أبقينا عليهم نعمة البصر
فضلا منا ، فحقهم أن يشكروا
عليها ولا يكفروا . ﴿فَاسْتَبَقُوا
الصِّرَاطَ﴾ أى تبادروا إلى الطريق
ليجوزوه كعبادتهم فلم يستطيعوا .
﴿فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ فكيف يبصرونه
وقد طمسنا على أعينهم !

٦٧ - ﴿وَلَوْ نَشَاءُ
لَمَسَخْنَاهُمْ﴾ وفى قدرتنا إذا
شئنا - عقابا لهم على ضلالهم - أن

بالفتح - : وهى طيب العيش
والنشاط . يقال : فكه الرجلُ
فكها وفكاهة فهو فكه وفكاهة ،
إذا كان طيب العيش فرحاً ذا
نشاط من التمتع .

٥٦ - ﴿عَلَى الْأَرْبَابِكِ﴾ على
النمر فى الحجال [آية ٣١
الكهف ص ٣٨٠] .

٥٧ - ﴿وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾ أى ما
يطلبونه ؛ من الدعاء بمعنى
الطلب . أو ما يتمنونه ؛ من

٥٣ - ﴿مُخْضَرُونَ﴾ للحساب .

٥٥ - ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ
فِي شُغْلٍ﴾ أى يقال للكفار
ذلك ؛ زيادة لحسرتهم .
والشغل : الشأن الذى يصدُّ
الإنسان ويشغله عما سواه من
شئونه ؛ لكونه أهم عنده من
غيره . أى هم فى شغل بما هم فيه
من النعيم عن كل ما يخطر بالبال .
﴿فَاكِهُونَ﴾ متلذذون فى
النعمة ؛ من الفكاهة -

نَغَيَّرَ صُورَهُمُ الْإِنْسَانِيَّةَ إِلَى صُورِ
حَيَوَانِيَّةٍ قَبِيحَةٍ وَهُمْ فِي أَمَاكِنِهِمْ ،
فَلَا يَقْدِرُوا عَلَى الْفِرَارِ مَتَى بِاقْبَالِ أَوْ
إِدْبَارِ ، وَلَكِنَّا لَمْ نَفْعَلْ ذَلِكَ جَزَاءً
عَلَى سَنَنِ الرَّحْمَةِ وَالْحِكْمَةِ
الدَّاعِيَتَيْنِ إِلَى إِمْهَالِهِمْ . ﴿ عَلَى
مَكَانَتِهِمْ ﴾ أَي فِي أَمَكِنَتِهِمْ .

٦٨ - ﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ ﴾ نُطِلُّ عُمُرَهُ
﴿ تُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ﴾ نَرُدُّهُ إِلَى
أَرْدَلِ الْعُمُرِ ، فَيَبْدُلُهُ بِالْقُوَّةِ
ضَعْفًا ، وَبِالشَّبَابِ هَرَمًا ،
وَبِالْعَقْلِ خَرَفًا . يُقَالُ نَكَّسْتُهُ
نَكْسًا - مِنْ بَابِ قَتَلَ - إِذَا قَلَبْتَهُ
فَجَعَلْتَ رَأْسَهُ أَسْفَلَ ، أَلَيْسَ
ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى كِبَالِ قُدْرَتِنَا عَلَى
الْبَعْثِ ! ﴿ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾

ذلك !
٧٠ - ﴿ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ﴾ أَي
عَاقِلًا أَوْ مُؤْمِنًا ، فَهُوَ الَّذِي يَنْتَفِعُ
بِالْإِنْدَارِ .

٧١ - ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا .. ﴾ دَلِيلٌ آخَرُ
مِنْ أَدْلَةِ الْقُدْرَةِ ، وَتَنْبِيْهُ
بِالْمُشْرِكِينَ ، وَتَسْلِيَةٌ لِلرُّسُولِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَي أَلَمْ يَتَفَكَّرُوا وَلَمْ
يَرَوْا .. ؟ !

٧٢ - ﴿ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ ﴾ صَبَّرْنَاهَا
مُسَخَّرَةً مُنْقَادَةً لَهُمْ .

٧٥ - ﴿ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ
مُحَضَّرُونَ ﴾ أَي وَأَهْتَمُّهُمْ مِنْ
الْأَصْنَامِ جُنْدٌ لَهُمْ ، مُحَضَّرُونَ
مَعَهُمْ فِي النَّارِ لِيُعَذَّبُوا بِهِمْ فِيهَا ،
عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَقُوْدُهَا
النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ » .

٧٧ - ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾
مُبَالِغٌ فِي الْخُصُومَةِ وَالْجَدَلِ

أَسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿ ٦٧ ﴾ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ
فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿ ٦٨ ﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا
يَنْبَغِي لَهُ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ ﴿ ٦٩ ﴾ لِيُنْذِرَ
مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿ ٧٠ ﴾ أَوَلَمْ
يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا
مَالِكُونَ ﴿ ٧١ ﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا
يَأْكُلُونَ ﴿ ٧٢ ﴾ وَهُمْ فِيهَا مَنَّعٌ وَمَشَارِبٌ أَفْلَا
يَسْكُرُونَ ﴿ ٧٣ ﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ
يُنصَرُونَ ﴿ ٧٤ ﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ
مُحَضَّرُونَ ﴿ ٧٥ ﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۚ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ
وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿ ٧٦ ﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ
نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿ ٧٧ ﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا
وَلَسَى خَلْقُهُ قَالٍ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿ ٧٨ ﴾

المتكر للبعث مثلاً . أى أورد فى
شأننا قصة هى كالمثل فى الغرابة .
وهى إنكار إحيائنا العظام : فقال
منكراً : ﴿ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ
وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ ! ونسى خَلْقَنَا إِيَّاهُ
من نطفة . وتقليبه فى أطوار شتى
حتى صار إنساناً سوياً . « رَمِيمٌ »
أى بالية أشد البلى . بمعنى
فاعل : من رَمَّ الَّلَازِمَ بمعنى

الباطل . ظاهر متجاهر فى إنكار
البعث : مع علمه بأصل
خلقه : كيف ومن قدر على أن
يجعل من هذه النطفة إنساناً
سوياً ! لا ريب أنه بقدر على أن
يعيد خلقه كما بدأه . بل ذلك
أهون عليه !

٧٨ - ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا .. ﴾
وضرب لنا ذلك الإنسان الخصيم

الواو والتاء فيه للمبالغة ؛ كما في
جَبَرَتْ وَرَحِمَتْ . والله أعلم .

سُورَةُ الصَّافَاتِ

١ : ٥ - ﴿ وَالصَّافَاتِ صَفًا ﴾ .
أقسم الله تعالى بمجاعات وطوائف
ثلاث من خلقه . والله أن يقسم بما
شاء . تنويهاً يعظم شأن المُقْسَمِ
به . فأقسم بالصفات أنفسها في
العبادة : صلاة أو جهاداً أو
غيرهما . ملائكة أو أناسي أو
غيرهما . فالزاجرات عن ارتكاب
المعاصي بالأقوال والأفعال كائنين
من كانوا . فالتاليات آيات الله على
الناس للتعليم ونحوه كذلك .
والترتيب بالفاء على سبيل الترتيب في
الصفات : فالأولى كمالاً والثانية
أكمل ؛ لتعدى منفعتها . والثالثة
أكمل وأكمل ؛ لتضمها الأمر
المعروف والنهي عن المنكر ،
والتحلي عن الرذائل . والتحلي
بالفضائل ولا تدافع بين هذه
الصفات ؛ فقد تجتمع كلها في
جماعة واحدة . . . و« صفاً »
و« زجراً » و« ذكراً » مصادر
مؤكدّة . وجواب القسم ﴿ إِنَّ
الْهَكْمَ لَوَاحِدٌ ﴾ . وإثبات
المطالب المهمة بتقديم القسم
طريقة مألوفة عند العرب . وقد
عقبه بالدليل اليقيني على وحدانيته
تعالى فقال : ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ
الْمَشَارِقِ ﴾ فإن وجودها وبقائها
على هذا النمط البديع من أظهر

قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ
عَلِيمٌ ﴿١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا
أُنْتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٢﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ
الْعَلِيمُ ﴿٣﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ
كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤﴾ فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ
شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥﴾

(٣٧) سُورَةُ الصَّافَاتِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ١٨٢ نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَنْعَامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَاتِ صَفًا ﴿١﴾ فَالزَّجَرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ
ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءِ

نباتان أخضران إذا ضرب أحدهما
بالآخر اتقدت منها شرارة
٨١ - ﴿ بَلَى ﴾ هو قادر على خلق
مثلهم

٨١ - ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا ﴾
[آية ١١٧ البقرة ص ٢٩]

٨٣ - ﴿ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أى
ملك كل شيء ملكاً تاماً . زيدت

بلى ، ولم تلحقه التاء لصيرورته
بالغلبة اسماً لما بلى من العظام
فانسلخ عن الوصفية . أو بمعنى
مفعول ؛ من رم المتعدى بمعنى
أبلى . يقال : رمه أى أبلاه .
فيستوى فيه المذكر والمؤنث .

٨٠ - ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ
الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ﴾ الندي
الرطب ؛ كالمرخ والعقار ؛ وهما

الأدلة على وحدانيته تعالى .
والرب : المالك . والمشارك :
مشارك الشمس إذ أنها في كل
يوم تشرق من مشرق ، وتغرب في
مغرب . واكتفى بذكرها عن
المغرب لاستلزامها إياها . ولأن
الشروق أدل على القدرة وأبلغ في
النعمة . وقيل : مشارك
الكواكب وهي متعددة .

٧ - ﴿ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ
مَارِدٍ ﴾ أى وحفظًا السماء حفظًا
من كل شيطان متجرد عن الخير
بخروجه عن طاعة الله تعالى .
والمارِد والمرِيد بمعنى [آية ١١٧
النساء ص ١٣١] .

٨ - ﴿ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ
الْأَعْلَى ﴾ أى الملائكة في السماء .
جملة مستأنفة لبيان حالهم عند
حفظ السماء . مع التنبيه على
بيان كيفية الحفظ . وما يعترضهم
في أثنائه من العذاب . أى لا
يُمَكِّنُونَ من التسميع مبالغة في نفي
السمع . ﴿ وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ
جَانِبٍ ﴾ أى ويرجمون بالشهب
من كل جانب من جوانب السماء
إذا حاولوا الصعود إليها لاستراق
السمع .

٩ - ﴿ دُحُورًا ﴾ أى للدحور .
وهو الطرد والإبعاد . مصدر دَحَرَهُ
يَدْحَرُهُ دَحْرًا ودُحُورًا : أبعدَهُ .
﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾ أى
دائم في الآخرة غير الرّجْم .
يقال : وَصَبَ الشَّيْءُ يَصِيبُ
وَصُوبًا ، دام وثبت ؛ ومنه قوله

(١) آية ٥٢ النحل . (٢) آية ٢١٢ الشعراء .

الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَكِبِ ① وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ
مَارِدٍ ② لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ
كُلِّ جَانِبٍ ③ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ④ إِلَّا مَنْ
خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ⑤ فَاسْتَفْتِهِمْ
أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ
لَازِبٍ ⑥ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ⑦ وَإِذَا ذُكِّرُوا
لَا يَذْكُرُونَ ⑧ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ⑨ وَقَالُوا

تعالى : (وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا) ①
أى الطاعة دائمة .
١٠ - ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ ﴾
أى لا يسمع الشياطين إلا الشيطان
الذى سلب السَّلب من كلام
الملائكة بسرعة وخفة فيما
يتفاوضون فيه مما سيكون في العالم
قبل أن يعلمه أهل الأرض .
وذلك في غير الوحى ؛ لقوله
تعالى : (إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ
لَمَعْرُوُونَ) ② . والخطف :
الاختلاس والأخذ بخفة وسرعة
على غفلة . والاستثناء من واو
(يَسْمَعُونَ) . و (مَنْ) في محل
رفع بدل منه . ﴿ فَأَتْبَعَهُ ﴾ تبعه
ولحقه . وأتبع وتبع بمعنى ؛
كأردفه ورفقه . ﴿ شِهَابٌ ﴾ آية
١٨ الحجر ص ٢٣٥ . ﴿ ثَاقِبٌ ﴾
مضى كأنه يثقب الجو بضوئه .
﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾

أى لاصق بعضه ببعض . يقال :
لَزَبَ الشَّيْءُ يَلْزُبُ لَزْبًا وَلَزُوبًا .
دخل بعضه في بعض . ولَزَبَ :
لَصَقَ وَصَلَبَ . وطينٌ لازِبٌ :
يلزق باليد لا اشتداده ؛ أى فليسوا
أصعب خلقًا وأشق إيجادًا ممن
خلقنا من هذه المخلوقات العظيمة .
فن قدر على ذلك كيف يعجز عن
الإعادة والبعث ؟! ﴿ بَلْ
عَجِبْتَ ﴾ من قدرته تعالى على
هذه الخلاق العظيمة وإنكارهم
البعث . ﴿ وَيَسْخَرُونَ ﴾ وهم
يسخرون من تعجبك وتقريرك
للبعث .

١٤ - ﴿ يَسْتَسْخِرُونَ ﴾ يبالغون في
السخرية والاستهزاء .

١٦ - ﴿ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
وَعِظَامًا ﴾ أى أنبعت إذا متنا وكان
بعض أجزائنا ترابًا وبعضها
عظامًا ؟!



إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَوْ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا
أَوْنَا لَمُبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ
وَأَنْتُمْ دَانِحُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ
يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَذَا
يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ * أَحْشُرُوا
الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ
اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ
مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ
مُتَسَلِّمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾
قَالُوا إِنَّا كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ
تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ
بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ ﴿٣٠﴾ حَقَّقَ عَلَيْنَا قَوْلَ رَبِّنَا إِنَّا
لَذَاقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ
يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ
بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لِلَّهِ كَوَاةٌ هِئَانًا لِمَا نَعْمَلُ
نَحْنُونَ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾

داخلة على واو العطف .

١٨ - ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَانِحُونَ﴾ أى قل تبعثون أنتم وأبائكم وأنتم صاغرون أذلاء [آية ٤٨ النحل ص ٣٤٧ ، ٣٤٨] .

١٩ - ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ أى فانما البعثة صيحة واحدة ، من زجر الراعى غنمه ، صاح عليها . وهى نفخة البعث . وَسُمِّيتْ زَجْرَةٌ لأنها طردت بصوت ، كما تُزجر الإبل والخيل عند السوق . ﴿فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أى فإذا هم أحياء يُبصرون كما كانوا فى الدنيا .

٢٠ - ﴿يَوَيْلَنَا﴾ يا هلاكنا احضر . ﴿يَوْمُ الدِّينِ﴾ أى الجزاء على الأعمال .

٢٢ - ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ أمثالهم من العصاة : عابد الصنم مع عابد الصنم ، وعابد الكوكب مع عابد الكوكب ، وكذا الزناة مع الزناة ، وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر . وهكذا .

٢٤ - ﴿وَقِفُوهُمْ﴾ اجسومهم فى الموقف ﴿إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ عن العقائد والأعمال . يقال : وقف الدابة وقفا ، حبسها عن المشى .

٢٧ ، ٢٨ - ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ يتلاومون ويتخاصمون ، أى الأتباع والرؤساء ، يسأل بعضهم بعضا سؤال تفرع ومخاصمة . ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ قال الأتباع للرؤساء : إنكم كنتم تأتوننا من الناحية التى منها الخير وهو الدين ، تهنون أمره

١٧ - ﴿أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ أى أو وعظاما مبعوثون كذلك !٢
أبائنا الذين ماتوا وصاروا ترابا والهمزة للاستفهام الإنكارى

إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوْكَهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيضَاءُ لَّدَّةٍ لِلشَّرِيبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُتْرَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى

عليها . وتصرفونا عنه . وترثون لنا الضلالة . واليمين بمعنى الدين . وقد أجابهم الرؤساء بخمسة أجوبة في الآيات ٢٩ - ٣٢ .

٣٠ - ﴿بَلْ كُتِبَ قَوْمًا طَآغِينَ﴾ مجاوزين الحد في العصيان ؛ اختياراً منكم لا جبراً منا .

٣١ - ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا﴾ ثبت ووجب علينا .

٣٢ - ﴿فَاعْوَيْنَاكُمْ﴾ فدعوناكم إلى الغي والضلال دعوة غير ملجئة ؛ فاستجبت لنا باختياركم الغي على الرشد . ﴿إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ فلا عتب علينا في تعرضنا لإغوائكم بتلك الدعوة لتكونوا أمثالنا في العوابة .

٣٧ - ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ...﴾ بل أتى محمدٌ بالحق ، وهو التوحيد الذي دعا إليه جميع الرسل ؛ فكان مصداقاً لهم في الدعوة إليه . فكيف تقولون شاعر مجنون !!

٤٠ - ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ الذين أخلصهم الله لطاعته .

٤٥ : ٤٧ - ﴿بِكَأْسٍ...﴾ هو إناء فيه شراب ؛ فإن لم يكن فيه شراب فهو قَدَح . ويُسمى الشراب نفسه كأساً ، فيقال : شربت كأساً ؛ من تسمية الشيء باسم محله . ﴿مِّنْ مَّعِينٍ﴾ أى من نهر معين أو شراب معين . أى خارج من العيون والمنايع ؛ من عان الماء إذا نبع . أو ظاهر للعيون جار على وجه الأرض كالأنهار ؛ من عان الماء إذا ظهر . ووصفت الكأس بكونها من معين لإفادة

كثرة الخمر في الجنة . ﴿بَيضَاءُ لَّدَّةٍ لِلشَّرِيبِينَ﴾ صفتان للكأس باعتبار ما فيه . أوله بمعنى الخمر . أى أنها بيضاء اللون عند مزجها ؛ لذيدة الطعم والرائحة عند الشاربين . ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ ليس فيها غائلة كخمر الدنيا ؛ فلا أذى فيها ، ولا مضرة على شاربها في جسم أو عقل . وحقيقتها غير حقيقة خمر الدنيا . وكذا سائر ما في الجنة . والقول : إهلاك الشيء من حيث لا يحسن به . يقال : غاله يغوله غولاً ، واغتاله اغتيالاً ؛ أهلكه وأخذه من حيث لم يدر . ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُتْرَفُونَ﴾ أى ولا هم بشربها تترع عقولهم . ويذهب بها كخمر الدنيا . والترف في الأصل : نزع الشيء وإذهابه بالتدرج . يقال : ترف ماء البئر يترفه ؛ إذا نزحه وترعه كله منها شيئاً فشيئاً . ونزف الرجل - كغنى - : سكر أو ذهب عقله ؛ فكان الشارب ظرفاً للعقل فترع منه وأخرج . و «عن» بمعنى باء السببية ؛ كما في قوله تعالى : (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي) (١) . وخُصَّت هذه المفسدة بالذكر مع عموم ما قبلها لكونها من أعظم مفسدات الخمر ؛ ولذا سُميت أم الخبائث . ٤٨ . ٤٩ - ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ قصرن أبصارهن على أزواجهن . لا يمددنها إلى غيرهم ؛ لفرط محبتهم لهم . ﴿عِينٌ﴾ أى نُجْلُ العيون حسانتها . جمع عَيْنَاء ، وهى الواسعة العين في جمال . ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ أى أنهم كبيض النعام - الذى كنه الريش في العش - فلم تمشه الأيدي ولم يصبه الغبار - في الصفاء وشوب

أى من الذين أحضروا للعذاب
مِثْلَكَ ومثل أحزابك . وأخضر لا
يُستعمل عند الإطلاق إلا في
الشر .

٥٨ - ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَبِيتِينَ﴾
أى نحن مخلدُونَ . فما نحن
بمبتين .. ٩١

٦٢ : ٦٥ - ﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نَزْلًا﴾
الشرل : ما يُعدُّ ويُهَيَّأ من الطعام
للنازل . ﴿أَمْ شَجَرَةُ الرَّقُومِ﴾ هى
شجرة لا وجود لها في الدنيا .
وإنما يخلقها الله في النار ، كما يخلق
فيها الحيات والعقارب وخزنة
النار ، والأغلال والقيود . ﴿فِتْنَةً
لِّلظَّالِمِينَ﴾ محنة وعذابا لهم في
الآخرة . ﴿أَصْلُ الْجَحِيمِ﴾ قعر
جهنم . ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ
الشَّيَاطِينِ﴾ أى ثمرها الذى
يطلع منها - في تنهى قبحة
وكراهيته - كأنه رؤوس الشياطين
في قبح منظرها وبشاعتها ، بُكره
أهل النار على أكله . فهم

يتزقّمونه على أشد الكراهة .
والتشبيه بها على نحو ما جرى به
استعمال المخاطبين من التشبيه
بالشيطان إذا أرادوا المبالغة في
تقبيح الشيء . فيشبهون كل ما
تنهى في القبح بما يتخيله الوهم
وإن لم يروه ، وهو وجه الشيطان
أورأسه ، على حد التشبيه بأنياب
الأغوال . والمعنى : أذلّك الرزق
المعلوم المُعدُّ لأهل الجنة خير . أم
شجرة الرقوم المُعدَّة لأهل
النار ؟!

٦٧ - ﴿إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا﴾ أى

بعض يتساءلون ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي
قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَؤُنْكُ لِمَنْ الْمَصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَوْ ذَا مِثْنَا
وَكُنَّا تَرَآءَا وَعِظَمًا ؕ نَالِمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ
مُطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأُطْلِعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ
تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ
مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَبِيتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتُنَا
الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا لَهَوٌ أَلْفُوزٌ
الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَلَّكَ
خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الرَّقُومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً
لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾
طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا كُفُونَ مِنْهَا

القرين الذى قال لى ما حكّيته
لكم ا . ﴿فَأُطْلِعَ﴾ على أهل
النار . ﴿فَرَأَاهُ فِي سَوَاءٍ
الْجَحِيمِ﴾ في وسط النار ،
وسمى الوسط سواء لاستواء
المسافة منه إلى الجواب .

٥٦ - ﴿إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ﴾
لتهلكنى بصدك إياى عن الإيمان
بالبعث والجزاء . يقال : أردى
فلان فلانا ، إذا أهلكه . وردى
فلان - من باب رضى - إذا
هلك .

٥٧ - ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾

البياض بقليل صفرة مع لمعان ،
وهو لون محبوب في النساء عند
العرب ، فيشبهون النساء بالبيض
ويقولون هن : يتنصت الحدور .
٥٣ - ﴿أَيْنَا لَمَدِينُونَ﴾ أى
لمبعوثون ومجزئون بأعمالنا بعد أن
صرنا ترآءا وعظما ، من الذين
بمعنى الجزاء ، أى أنه لا يصدق
ذلك .

٥٤ ، ٥٥ - ﴿قَالَ﴾ أى ذلك
المؤمن الذى في الجنة . هل
أنتم ؟ يا أهل الجنة ﴿مُطَّلِعُونَ﴾
على أهل النار لأريكم ذلك

إن لهم على هذه الشجرة خلطاً ومزاجاً ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾ ماء شديد الحرارة . أى يُشَاب طعائمهم منها الذى ملأوا منه بطونهم . بعد ما غلبهم العطش بهذا الماء الحار الذى تقطع منه أمعائهم : قال تعالى : (وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ) (١)

٧٠ - ﴿فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ أى فهم يُرْعَجُونَ ويَحْتَوْنَ على الإسراع فى السعى على آثار آبائهم من غير تدبر ، ومع ظهور كونهم على الباطل بأدنى تأمل . والإهرع : الإسراع الشديد . أو إسرع فيه رعدة . يقال : هرع وأهرع - بالبناء للمجهول فيها - إذا استحث وأزعج . وأقبل يهرع : أى يُرْعَد فى غضب أو ضعف أو خوف .

٧٥ - ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ﴾ شروع فى ذكر سبع قصص ثببت أحوال بعض المرسلين وحسن عاقبتهم ، وأحوال المنذرين وسوء خاتمهم . وهى قصة نوح ، وقصة إبراهيم ، وقصة إسماعيل ، وقصة موسى وهارون ، وقصة إلياس وقصة لوط . وقصة يونس ، عليهم السلام . وفيها عبر بالغة ، وإنذار وتهديد وتسلية للرسول صلى الله عليه وسلم .

٧٨ - ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ أبقينا على نوح ذكراً جميلاً ، وثناء حسناً فيمن بعده إلى آخر الدهر .

فَالْقُورَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٩﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٧٠﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٧١﴾ إِنَّهُمْ أَلْقَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٧٢﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٣﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٧٥﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٦﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلَصِينَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحَ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٨﴾ وَجَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَّا عَلَى الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٩﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمُ الْبَاقِينَ ﴿٨٠﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨١﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٨٢﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٣﴾ إِنَّهُم مِّنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٥﴾ * وَإِنَّ مِّنْ شَيْعَةٍ لِّإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٦﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٧﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٨﴾ أَفَكَاةً أَوْ هَاتَاةً أَوْ إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تَرْيَدُونَ ﴿٨٩﴾ قَاظِنُكُمْ رَبَّ

٧٩ - ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾ فى مَعْنَى على مناجاه وسنته فى الدعوة العالمين ﴿دَعَاءٌ مِنْهُ تَعَالَىٰ نُوحٌ﴾ عليه السلام بالسلامة من أن يُذكر بسوء فى الملائكة والثقلين جميعاً . وقيل : الجملة مفعول «تركنا» أى تركنا عليه أن يسلموا عليه إلى يوم القيامة . ٨٣ - ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ أى أتريدون إفكاً آلهة دون الله ! والإفك : الكذب ، أو أسوأ الكذب . وهو مفعول



الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي
سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَى إِلَهِهِمْ
فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ
عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ
أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْنُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾
قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَرَأَدُوهُ
كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى

السَّقَمِ وَبَدَتْ لَهُ أَمَارَاتُهُ وَأَعْرَاضُهُ
يقول : إني سقيم . وقد سلك عليه
السلام بنظره في النجوم وبقوله إني
سقيم منسلك التعريض الفعلي
والقولي ، وهو ليس بكذب . وقد
قيل : إن في المعارض لمندوحة
عن الكذب . وتسميته كذباً في
الحديث الصحيح إنما هو بالنظر
لِمَا قَهَمَ القَوْمُ منه لا بالنظر إلى
قصده عليه السلام . وجعله ذنباً
في حديث الشفاعة لِمَا بَيَّنَّ له أنه
كان منه خلاف الأولى . وكذلك
يقال في قوله : «بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ»
وقوله في زوجته سارة : هي
أختي .

٩١ - ﴿فَرَاغَ إِلَى إِلَهِهِمْ﴾ قال
بخفية إلى أصنامهم ليكسرهما .
وَأَصْلُ الرَّوْعِ : الميل إلى الشيء
على سبيل الاحتياح . يقال : راغ
إليه . مال نحوه لأمر يريده منه
بالاحتياح . وراغ الثعلب رَوْعًا
ورَوْعَانًا : مال إلى جانب ليخدع
مَنْ خَلْفَهُ ، فَتَجَوَّزَ به عما ذُكِرَ .

٩٣ - ﴿ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ أي
ضاربًا باليد اليمنى . أو بالقوة
(فَجَعَلْنَاهُمْ جُذَاذَا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ
لَعَلَّهُمْ إِلَهِ يَرْجِعُونَ) (١) .

٩٤ - ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ﴾
يُسْرِعُونَ ، مِنْ زَفَ الظِّلْمِ يَزِفُ
زَفًا وَزَفِيًّا : عدا بسرعة كأنه
يطير .

٩٥ - ﴿مَا تَتَحْنُونَ﴾ أي الأصنام
التي تنحتونها بأيديكم .

كعاداتهم ليمكن من ذلك .
فَأَرَاهُمْ أَنَّهُ نَظَرَ فِي النُّجُومِ - وكانوا
يتعاطون علم النجوم - فاستدل
بها على أنه مشارف للسقم فلا
يستطيع الخروج معهم .
٩٠ - ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾
خشية العدو : قال في غيبتهم
إلى الأصنام فحطّمها . وإنما
أراههم ذلك - وهو لم ينظر في
النجوم إلا نظرة المؤمن الذي يشهد
فيها الدليل على قدرة مُبدعها
ووحدة صانعها - ليؤمهم أنه نظر
فيها على غرارهم : فيطمئثوا إلى
صدق اعتذاره عن الخروج ،
ويتم له ما يريد من قمع الشرك
 وإقامة التوحيد . وقوله «إني
سَقِيمٌ» أي مُشارفٌ للسقم :
صدق : لأن كل إنسان لابد أن
يَسْقَمَ . وكفى باعتلال المزاج أول
سريان الموت سقمًا ، وَمَنْ شَارَفَهُ

«تريدُونَ» و«إِلَهَةٌ» بدل منه ،
وجعلت نفس الإفك مبالغة .
٨٧ - ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾ أي أي سبب حملكم
على ظن أنه تعالى يترككم بلا
عقاب حين عديم غيره ؟
والاستفهام إنكارى .
٨٨ - ٨٩ - ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي
النُّجُومِ﴾ . فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ كان
قومه يعبدون الكواكب ويعتقدون
تأثيرها في العالم ، وكانوا يعبدون
الأصنام ويتخذونها ذريعة إلى
عبادة الكواكب . واستترال
روحانياتها كما يزعمون . فأراد أن
يكادهم في أصنامهم ، ليكسرهم
الحجة في أنها لا تجلب خيرًا ولا
تدفع شرًا . وأن عبادتها شركٌ
وضلالٌ ، فدبر أن يحطمها في
غفلة منهم . وأن يتخلف عن
الخروج معهم في يوم العيد

وَالنَّحْتُ : النَّجْرُ وَالْبَرْئُ .
يقال : نَحْتُهُ يَنْحُتُهُ نَحْتًا ، بَرَأهُ .

٩٦ - ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ أى وخلق عملكم . أو الذى تعملونه .

٩٧ - ﴿فَالْقُوَّةُ فِي الْجَحِيمِ﴾
أى النار الشديدة التأجج . وكلُّ نار بعضها فوق بعض جحيمٌ ؛ مِنْ الْجَحْمَةِ وهى شدة التأجج والانتقاد . يقال : جَحِمَ النار - كمنع - أوقدها .

٩٩ - ﴿ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ أى إلى المكان الذى أمرنى ربى بالمصير إليه وهو الشام .

١٠٠ ، ١٠١ - ﴿هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ﴾ أى هب لى ولداً صالحاً . ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ هو - على الأرجح - إسماعيل عليه السلام ، وهو الذى كان معه بمكة فى القصة التالية دون إسحاق ؛ بدليل قوله بعد «وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ» . وقيل : هو إسحاق وإليه ذهب أهل الكتابين .

١٠٢ - ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيُ﴾ أى مرتبة أن يسعى معه فى أعماله وحاجاته . قيل : كانت سته يومئذ ثلاث عشرة سنة .

١٠٣ - ﴿أَسْلَمًا﴾ اسْتَسْلَمًا وانقاداً لأمره تعالى . ﴿وَوَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ صَرَعَهُ وَأَسْقَطَهُ عَلَى شِقَهِ فَوَقَعَ جَبِيئُهُ عَلَى الْأَرْضِ . وَأَصْلُ الثَّلْ : الرَّمْيُ عَلَى الثَّلِّ ، وَهُوَ

رَبِّ سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾
فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ
يَبْنَىٰ إِلَيَّ أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ
قَالَ يَنَابِتُ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ
الصَّادِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَيْنَاهُ
أَنْ يَلِإِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾
وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكَآ عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾
سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾
إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ
الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَرَكَآ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا
مُحْسَنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَّآ عَلَىٰ مُوسَىٰ
وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾

الرَّمْلُ المجتمع ، ثم عَمَّ فى كلِّ صَرَعٍ وَدَفَعٍ . يقال : تَلَّهُ تَلَاءً - من باب قتل - فهو متلول

وكليل ، صرعه أو ألقاه على عنقه وخذه . وَالْجَبِينُ : أَحَدُ جَانِبَيْ الْجَبَةِ ، وَلِلْوَجْهِ جَبِيْنَانِ ، وَالْجَبَةُ بَيْنَهُمَا .

١٠٦ - ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ أى الابتلاء والاختبار ١٢٣ - ﴿إِلْيَاسَ﴾ نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ

الْمُبِينِ الذى يَتَمَيَّزُ بِهِ الْخَالِصُ مِنْ غَيْرِهِ . أَوِ الْمِحْنَةُ الظَّاهِرَةُ صَعُوبَتُهَا لِكُلِّ أَحَدٍ .

١٠٧ - ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ بِمَذْبُوحٍ عَظِيمٍ الْقَدَرِ ؛ لِكُونِهِ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى . مُصَدَّرٌ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ ؛ كَالطَّحْنِ بِمَعْنَى الْمَطْحُونِ .

١٢٣ - ﴿إِلْيَاسَ﴾ نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ

بنى إسرائيل ، من سبط هارون عليه السلام .

١٢٥ - ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ أتعدون بعلاً ! وهو صنم سُميت باسمه بعدُ مدينته بَعْلَكُ بالشام .

١٣٠ - ﴿الْيَاسِينَ﴾ هو لغة في إلياس : بزيادة الياء والنون ، ونظيره سيناء وسنين . وقيل : هو جمع إلياس على التغليب بإطلاقه على قومه .

١٣٥ - ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ الباقيين في العذاب .

١٣٦ - ﴿دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ﴾ أهلكتناهم .

١٣٧ ، ١٣٨ - ﴿مُضْجِجِينَ . وَبِاللَّيْلِ﴾ أى فى الصباح والمساء .

١٤٠ - ﴿أَبْقَ﴾ أى هرب من قومه بغير إذن ربه . يقال : أبق العبد - كضرب ومنع وسمع - هرب من سيده من غير خوف ولا كد عَمَلٌ : فهو أبق . ﴿الْمَشْحُونُ﴾ المملوء .

١٤١ - ﴿فَسَاهَمَ﴾ فقارع من فى السفينة بالسَّهَامِ . ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ أى المغلوبين بالقرعة . يقال : أدحض الله الحجة فدحضت ، أى أبطلها قَبِطَتْ . والدَّحْضُ فى الأصل : الرُّقَى فى الماء والطين .

١٤٢ - ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾ ابتلعه بسرعة ، من لَقِمَ الشيء - كسَمِعَ - وَاَلْتَقَمَهُ : أكله بسرعة . وَاَلْتَقَمَهُ : ابتلعه فى مهلة . وكان ذلك فى نهر دجلة .

وَنَصَرْنَهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١٢٦﴾ وَآتَيْنَهُمَا

الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٢٧﴾ وَهَدَيْنَهُمَا الصِّرَاطَ

الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَّمَ عَلَى

مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾

إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ الْيَاسَ لَمِنْ

الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَأَنْتُمْ أَتَدْعُونَ

بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٣٤﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ

ءَابَائِكُمْ الْأُولِينَ ﴿١٣٥﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٣٦﴾

إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٣٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٣٨﴾

سَلَّمَ عَلَى آلِ يَاسِينَ ﴿١٣٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي

الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤١﴾ وَإِنْ

لَوْ طَالَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤٢﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٣﴾

إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٤٥﴾

وَإِنَّا لَنَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٤٦﴾ وَبِالْبَيْلِ أَفْلَا

تَعْقِلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَإِنْ يُؤْسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤٨﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى

الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٩﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٥٠﴾

فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٥١﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ

الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٥٢﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٥٣﴾

* فَبَدَّلْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٥٤﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً



﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أى مكتسب ما يلام عليه من مفارقة قومه بغير إذن ربه . يقال : أَلَامَ الرجلُ . إذا أتى ما يلام عليه من الأمر وإن لم يُلَم . وأما المَلُومُ : فهو الذى يلام . سواء أتى بما يستحق أن يلام عليه أم لا .

١٤٣ - ﴿الْمُسَبِّحِينَ﴾
الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح .

١٤٥ - ﴿قَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ﴾ أمرنا الحوتَ بطرحه فى الفضاء الواسع من الأرض . على شَطِّ النهر قَرَبَ نِيَّوَى من أرض المَوْصِل . حيث لا يواريه شىء من شجر أو غيره ؛ من التَّبَذ وهو الطرح والإلقاء . والعراء : الأرضُ الواسعة التى لا نبات بها ولا معلَّم ؛ مشتقٌّ من العُرَى وهو عدم السُّترة .

١٤٦ - ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ أى من الشجر الذى لا يقوم على ساق . ويقال لكل ما لا ساق له من النبات ونحوه : يَقْطِينٌ . وللمقرعة الرُّطبة : يقطينة .

١٤٩ - ﴿فَاسْتَفْتَيْهِمْ﴾ أى فاستفت كفار مكة . معطوفٌ على قوله تعالى : ﴿فَاسْتَفْتَيْهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ .

١٥١ - ﴿إِنكِهِمْ﴾ كذبهم على الله .

١٥٣ - ﴿أَصْطَفَى﴾ اختار ؟ (استفهام توبيخ) .

١٥٦ - ﴿سُلْطَانٌ﴾ حجة وبرهان .

مَنْ يَقْطِينٍ ١٤٦) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ١٤٧) فَآمَنُوا فَنَعَّمْنَا عَلَيْهِمْ إِلَى حِينٍ ١٤٨) فَاسْتَفْتَيْهِمُ الرِّبْكَ ١٤٩) الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ١٥٠) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ١٥١) أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ١٥٢) وَلَدَّ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ١٥٣) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ١٥٤) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ١٥٥) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٥٦) أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ١٥٧) فَأَتُوا بِكِنَانِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١٥٨) وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ١٥٩) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ١٦٠) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ١٦١) فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ١٦٢) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاعِلِينَ ١٦٣) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ١٦٤) وَمَا

١٥٨ : ١٦٣ - ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا﴾ أى جعل المشركون بين الله تعالى وبين الملائكة نسبا ؛ بقولهم : الملائكة بناتُ الله . وَسُمِّيَتِ الْمَلَائِكَةُ جِنَّةً من الاجتنان وهو الاستتار ؛ لأنهم لا يُرَوْنَ بِالْأَبْصَارِ . ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ أى علمت الملائكة أَنَّ المشركين القائلين ذلك لَمُحْضَرُونَ النَّارَ للعذاب لكذبهم فيه . وقالت تنزيهاً لله عن ذلك : ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ . إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ أى لكن عبادُ الله المخلصون الذين نحن منهم : بَرَاءٌ من أن يصفوه بما لا يليق به . وهو استثناء منقطعٌ من فاعل (يُصِفُونَ) . ثم علَّل الملائكة هذه البراءة بقولهم : ﴿فَأَنكُمُ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ أى الأصنام التى تعبدونها . ﴿مَا أَنْتُمْ جَمِيعًا عَلَيْهِ﴾ على الله تعالى ﴿بِفَاعِلِينَ﴾ بمفسدين أحداً باغوائكم ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ داخِلُهَا . و (عَلَيْهِ) متعلقٌ (بِفَاعِلِينَ) . والفتنُ هنا :

عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٧٠﴾ أَي
لأخلصنا العبادة له . ولكنا
أهذى منهم .

١٧٠ - ﴿فَكُفِّرُوا بِهِ﴾ لَمَّا
جاءهم .

١٧٢ : ١٧٣ - ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ
الْمَنْصُورُونَ﴾ تفسير للكلمة .
﴿وَأَن جُنْدَنَا﴾ أى حِزْبَنَا . وهم
الرسل وأتباعهم . والجند :
الأنصار والأعوان . ﴿لَهُمُ
الْغَالِبُونَ﴾ والمراد بالنصرة
والغلبة : ما كان بالحجة ، أو ما
كان بها دائما ، وفي مواطن القتال
غالبا . على أن العاقبة المحمودة لهم
على كل حال ، كما قال تعالى :
«وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» .

١٧٧ - ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾
فإذا نزل بهم العذاب الذى
استعجلوه . والساحة فى الأصل :
الفناء الواسع عند الدُّور : يُكْنَى
بها عن القوم أنفسهم . ﴿فَسَاءَ
صَبَاحُ الْمُثْدِرِينَ﴾ الذين أُنذِرُوا
بالعذاب .

١٨٠ - ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ الغلبة
والقدرة والبطش . والله أعلم .

مِنَّا إِلَٰهُمَّ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٩﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٧٠﴾
وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾
لَوْ أَن عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ
الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكُفِّرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾
وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ
الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِن جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ
عَنَّهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾
أَفِعْدَا إِنَّا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ
صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾
وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

الصَّافُونَ﴾ أنفسنا فى مواقف
العبودية والعبادة دائما . ﴿وَإِنَّا
لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ أى المُرْهُون
الله تعالى عما لا يليق به فى كل
حال . ومنه ما نسبته المشركون إليه
تعالى .

١٦٧ : ١٦٩ - ﴿وَأَن كَانُوا
لَيَقُولُونَ﴾ أى كفار مكة قبل البعثة
﴿لَوْ أَن عِندَنَا ذِكْرًا﴾ أى كتابا
﴿مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أى من جنس
كتبهم ؛ كالتوراة والإنجيل ﴿لَكُنَّا

الإفساد ؛ من قوهم : فتن عليه
غلامه ، إذا أفسده . وجملة ﴿مَا
أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾ خير إن
﴿وَصَالٌ﴾ بكسر اللام معتل
كفاز . ثم قالت الملائكة تبييها
لتحيزهم فى موقف العبودية
وإظهارا لقصور شأنهم .

١٦٤ - ﴿وَمَا﴾ أحد ﴿مِنَّا إِلَٰهُ
مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ فى المعرفة والعبادة
والانتباه إلى أمره تعالى .
١٦٥ - ١٦٦ - ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ

سورة ص

(٣٨) سُورَةُ صَ مَكِّيَّةٌ
وآياتها ٨٨ نزلت بعد القمَر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ
وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَذَّاهُنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّن قَرْنٍ فَكَادُوا
وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَغَيَّبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ
وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ
إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّا هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ
مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ
يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آلِمَّةٍ الْآخِرَةِ إِن هَذَا إِلَّا

١ - ﴿ص﴾ من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله تعالى . وقيل : اسم للسورة . أو للقرآن . ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ أى الشرف . أو الذِّكْرَى والموعظة . أو المذكور فيه ما يحتاج إليه في الدين من الشرائع والأحكام وغيرها . وهو قسم جوابه محذوف ؛ لدلالة قوله : «مُنْذِرٌ مِنْهُمْ» عليه . أى إنك لمن المرسلين .

٢ - ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ﴾ حَيَّةٍ واستكبار عن قبول الحق . ﴿وَشِقَاقٍ﴾ مخالفة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

٣ - ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ كثيرا أهلكتنا . ﴿مِنْ قَرْنٍ﴾ أمة وأقوام من الأمم الخالية ، مقترنين في زمن واحد . ﴿فَكَادُوا﴾ أى استغاثوا حين نزول العذاب بهم . ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ أى ولا تنفعهم الاستغاثة في هذا الحين . و «لا» حرف نفى والتاء مزيدة لتأكيد التثنية . والحين : وقت بلوغ الشيء وحصوله ؛ وهو ظرف مبهم يتخصص بالإضافة .

والمَنَاصُ : بمعنى الفرار والخلاص . يقال : ناص ناصا عن قرنه - من باب قال - نَوْصًا ومَنَاصًا . إذا قَرَّوَرَاغ ؛ أى ليس الوقت وقت فرار وخلاص . أو بمعنى النجاة والفوت . يقال : ناصه ؛ إذا فاته ونجا ؛ أى ليس الوقت وقت نجاة وفوت .

٥ - ﴿إِن هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾

متجاوز حد العجب . وهو أبلغ من عجب ؛ مثل قولهم للرجل الذى فيه طول : طويل . وللذى تجاوز حد الطول : طوال . قال المشركون ذلك حين ذهبوا إلى أبى طالب يطلبون منه أن يكف الرسول عن شتم آلهم ؛ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لعمته : (إني أريدكم على كلمة واحدة يقولونها يدين لهم بها العرب . وتودى إليهم بها العجم الجزية) فقالوا : ما هى ؟ وأبيك لنعطيكها وعشرًا معها . قال : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فقاموا فزعين يقولون : «أجعل الآلهة إلهاً واحداً ! إن هذا لشيء عَجَابٌ» (١) .

٦ - ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا﴾ أى يقول بعضهم لبعض : امضوا على طريقكم ! وداوموا على سيركم . ولا تدخلوا مع محمد في دينه . ﴿وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾ اثبتوا على عبادتها ، متحملين ما تسمعون فيها من القدح . ﴿إِن هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ أى لشيء عظيم خطير ! يريد محمد ميثا إمضاءه وتنفيذه لا محالة . أو لشيء من نواب الدهر يراد بنا ! فلا حيلة لنا إلا تجرع مرارة الصبر عليه ؛

أَخْلَقَ ﴿٧﴾ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ
مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ
رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾
جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ
قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَمُودُ وَقَوْمُ
لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٤﴾ إِنْ كُلُّ
إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ حَقَّ عِقَابِ ﴿١٥﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا
صَبْحَةً وَاحِدَةً مَأْهًا مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا

الْأَحْزَابِ ﴿١﴾ أَيُّ هُمْ - والمراد
قريش - جندٌ كثيرٌ من الكفار
المتحزبين مهزومٌ مكسورٌ عما
قريب ؛ فمن أين لهم تدبيرُ الإلهية
والتصرفُ في الأمور الربانية ؟ فلا
تكثر بهم . والهزيمةُ المبشِّرُ بها :
ما وقع لهم يوم بدر ، أو يوم
الفتح . وأصلُ الهُزْمِ : غمٌّ
الشيء اليأس حتى يتحطم
ويكسر . يقال : تهزمت القربة ،
يسيت وتكسرت . وهزمت
الجيش : كسره .
١٢ - ﴿ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴾ أَي
المباني العظيمة الضخمة . أو
الجنود الذين يقولون ملكه كما تقوى
الأوتاد البيت . أو الملك الثابت
ثبوت البيوت بالأوتاد .

١٣ - ﴿ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ﴾ هم
قوم شعيب عليه السلام [آية ٧٨

الحجر ص ٣٤٠] .

١٥ - ﴿ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ ﴾ ما
ينتظر كفار مكة الذين هم أمثالُ
أولئك الكفار المهلكين ﴿ إِلَّا ﴾
صَبْحَةً وَاحِدَةً ﴿ هِيَ نَفْخَةُ الْبَعْثِ ﴾
﴿ مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴾ أَي من نوقم
وانتظار مقدار فَوَاقٍ ناقة ، وهو
الزمن الذي بين الحَلَّتَيْنِ . أو
رجوع اللب في الضرع بعد
الحلب . وقرئ بالضم معناه .

١٦ - ﴿ عَجَلْنَا لَنَا قَطْعًا ﴾ أَي
نصيبنا من العذاب الذي توعَدتنا
به . ولا تؤخره إلى يوم الحساب
الذي مبدؤه الصبحة المذكورة .
والقِطُّ : النصيبُ المفروز ، كأنه
قُطَّ وقُطِع من غيره . ويُطلق على

أيمكون خزائن رحمته تعالى
فيتصرفون فيها كما يشاءون
فيتخيرون للنوبة من يريدون .
١٠ - ﴿ فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴾
أَي إِنْ كَانَ عَنْدهم خَزَائِنُ الرَّحْمَةِ
ولهم ذلك المُلْكُ : فليصعدوا في
المعارج والطرق التي توصلهم إلى
العرش حتى يستَوْوُوا عليه ،
ويدبروا أمر العالم ويترلوا الوحي
على من يختارونه ، ويمنعوا إزاله
على محمد ! يقال : رَقِيَ يَرْقِي
وارتقى ، إِذَا صَعِدَ . وَالْأَسْبَابُ :
جمع سَبَب ، وأصله كلُّ ما
يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى غَيْرِهِ مِنْ حَيْلٍ أَوْ
نَحْوِهِ . وَالْأَمْرُ لِلتَّهَكُّمِ .
١١ - ﴿ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنْ

والاستمسالك بالرأى فيه .
٧ - ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ
الْآخِرَةِ ﴾ أَي مَا سَمِعْنَا بِهَذَا التوحيد
الذي يدعو إليه محمد في ملَّة
العرب ، التي أدركنا عليها آباءنا .
﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾ أَي مَا
هذا الذي يدعو إليه إِلَّا كَذِبٌ
وتحريفٌ تخلفه من نفسه . يقال :
خَلَقَ الْكَلَامَ وَغَيْرَهُ ، صَنَعَهُ .
وَاخْتَلَقَ الْإِفْكَ : افتراه ؛
كَتَخَلَّفَهُ .

٨ - ﴿ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ
بَيْنِنَا ﴾ ونحن السادة العظماء وهو
دوننا .. ! يريدون إنكار كَوْنِ
القرآن منزلاً عليه من عند الله .
٩ - ﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ ... ﴾ أَي بَلْ

صحيفة الجائزة ؛ لأنها كانت تخرج في صكاك مقطوعة . أى عجل لنا صحيفة أعمالنا لننظر فيها . وجمعه قطوط وقطعة .

١٧ - ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾ قصص الله تعالى في هذه السورة قصص طائفة من الأنبياء عليهم السلام ؛ تسلياً للرسول صلى الله عليه وسلم . أى اذكر ما حصل لهم من المشاق والحن ؛ فصبروا عليها حتى قرع الله عنهم . فكانت عاقبتهم أحسن عاقبة ؛ فكذلك أنت ! تصبر . وأمرك أيل لا محالة إلى أحسن حال . ﴿ذَ الْأَيْدِ﴾ أى القوة في العبادة والدين . يقال : آد الرجل يثيد أيذاً وإياداً ، إذا قوى واشتد ، فهو أيدي ؛ ومنه : أيديك الله تأييداً . ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رجاء إلى ما يرضى الله . وروى في تفسيره : أنه الرجل يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله تعالى ؛ من آب الرجل إلى أهله : رجع .

١٨ - ﴿يُسَبِّحَنَّ﴾ يقدس الله تعالى معه إذا سبَّح ﴿بِالْعَشِيِّ﴾ أى من الزوال إلى الغروب . أو إلى الصباح . ﴿وَالْإِشْرَاقِ﴾ أى وقت إشراق الشمس ، أى وقت ارتفاعها عن الأفق الشرقي وصفاء شعاعها ؛ وهو الضحوة الصغرى . يقال : شَرَقَتِ الشمسُ . إذا طلعت . وأشرقت : إذا أضاءت وصفت . وتخصيص هذين الوقتين بالذكر لاختصاصهما بمزيد شرف .

٢٠ - ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ قويناه

قَطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ﴿١٧﴾ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٨﴾ إِنَّا نَخْرُنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٩﴾ وَالطَّيْرَ مُحْشُورَةً كُلُّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿٢٠﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢١﴾ * وَهَلْ أَنتَكَ نَبِيُّ الْخَصَمِ إِذْ تَسُورُوا الْمِحْرَابِ ﴿٢٢﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُسْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٣﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أُكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٤﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ

بأسباب القوة كلها . ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ الثبوة وكمال العلم وإتقان العمل . ﴿وفصل الخطاب﴾ فصل الخصام بالتمييز بين الحق والباطل . أو الكلام الفاصل بين الصواب والخطأ ؛ وهو كلامه في القضايا والحكومات ، وتدبير الملك والمشورات .

٢١ - ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصَمِ﴾ أى المتخاصمين . أو الخصماء . والخصم : يطلق على الواحد والأكثر والمذكر والمؤنث . والمخاصمة : المنازعة . وأصلها : أن يتعلق كل واحد بخصم الآخر ، أى يجانبه . أو أن يجذب كل واحد خصم الجوارق من جانب . ﴿تَسُورُوا الْمِحْرَابِ﴾ علوا سور غرفته التي كان يتعبد فيها ، ونزلوا من أعلاه إليه . والسور : الحائط المرتفع ؛ نظير : تسم الجمل ، إذا علا سنامه .

٢٢ - ﴿بَغَى﴾ تعدى وظلم ﴿بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ . ﴿وَلَا تُسْطِطْ﴾ ولا تتجاوز الحق في الحكم . يقال : شط عليه في الحكم يشط شططاً . واشتط وأشط : جار وتجاوز الحد . ﴿واهدننا إلى سواء الصراط﴾





سُؤَالٍ نَعَجِّنُكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ
لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۖ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ
فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ ۖ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ
وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿٢٥﴾ يَذَّادُوذُ إِنَّا
جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ
يَظْلُمُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ تُنْزَلُ
الْحِسَابُ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا

ظهر له أنهم جاءوا إليه في خصومة
ليحكم بينهم ، وأن ماطئة غير
واقع استغفر من ذلك الظن ،
حيث اختلف ولم يقع مظنونه ،
وخر ساجداً منياً إلى الله تعالى .
فغفر الله له ذلك الظن الذي
ما كان ينبغي من مثله ، وحسنات
الأبرار سيئات المقرين . ويقرب
منه ما قيل : إنهم كانوا يقصدون
قتله ، فوجدوا عنده أقواماً
فتصنعوا هذه الخصومة ، فعمل
قصدهم . وعزم أن ينتقم منهم ،
فظن أن ذلك امتحان من الله تعالى
له : هل يغضب لنفسه أم لا ،
فاستغفر ربّه بما عزم عليه لحق
نفسه لعدوله عن العفو الأليق به .
٢٥ - ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾
لَقُرْبَةً مَّا وَمَكَانَةً وَالزُّلْفَى
وَالزُّلْفَةُ : القربة والمنزلة .
﴿وَحُسْنَ مَّآبٍ﴾ أى مرجع
ومقلب ، وهو الجنة .
٢٦ - ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ
خَلِيفَةً﴾ استخلفه الله على الملك
في الأرض ، والحكم فيها بين
أهلها ، وأرشده لما يقتضيه
منصب الخلافة . وفيه إرشاد لمن
سواه من الحكام . ﴿فَيُضِلَّكَ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أى فيكون اتباع الهوى
سبباً لضلالك عن الدلائل التي
نصها الله تعالى على الحق ،
تشريعاً وتكويناً ، عقليةً ونقليةً .
والضلال عن سبيل الله يستلزم
نسيان يوم الحساب الموجب
للعذاب الشديد .
٢٧ - ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ

وأيقن أننا ابتليناه بما جرى في
مجلس الحكومة ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾
لِزَلَّتْهُ بالنسبة لمقامه ومنزله .
﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ أى ساجداً لله
تعالى . وعبر عنه بالركوع لأن في
كل منها انحناء ، ولذا كانت آية
سجدة . ﴿وَأَنَابَ﴾ رجع إلى الله
تعالى بالتوبة من ارتكابه خلاف
الأولى في هذه القصة . وحاصلها
كما ذهب إليه أبو حيان وغيره : أن
المنسورين المحراب كانوا إنساً ،
وقد دخلوا إليه من غير المدخل
المعتاد ، وفي غير وقت جلوسه
للحكم ، ففرغ منهم ظاناً أنهم
يريدون اغتياله ، إذ كان منفرداً
في محرابه ابتلاء منه تعالى له . فلما

أرشدنا إلى قصد السبيل . وهو
الوسط العدل . والمراد : عين الحق .
٢٣ - ﴿أَكْفَلْنَاهَا﴾ أى اجعلني
أكفلها . والمراد ملكيتها ، وانزل
عنها حتى أكفلها . يقال : كفل
عنه بالمال لغريمه . وأكفله المال
ضمته إياه . وكفله إياه -
بالتخفيف - فكفل هو به - من
بأنى نصر ودخل - وكفله إياه
تكفلاً مثله . وقيل : اجعلها
كفلى أى نصيبى . ﴿وَعَزَّنِي فِي
الْخَطَابِ﴾ غلبنى في الحاجة ،
بأن أتى فيها بما لم أطق رده .
يقال : عزّه في الخطاب وعازّه ، غلبه .
٢٤ - ﴿الْخُلَطَاءُ﴾ الشركاء .
﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ عِلْمُ

وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ﴿٢٧﴾ أَى خَلْقًا عَبَثًا مَجْرَدًا عَنِ الْحِكْمَةِ ؛ بَلْ خَلَقْنَاهَا خَلْقًا مُشْتَمِلًا عَلَى الْحِكْمِ الْبَاهِرَةِ ، وَالْمَصَالِحِ الْجَمَّةِ ، وَالْأَسْرَارِ الْبَالِغَةِ . وَذَلِكَ أَقْوَى دَلِيلٍ عَلَى عَظَمِ الْقُدْرَةِ ، وَأَنَّهُ لَا يَتَعَصَاها أَمْرُ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ . وَعَلَى أَنَّهُ تَعَالَى لَا يَبْرُكُ النَّاسَ سُدىً إِذَا مَاتُوا ؛ بَلْ يَعِيدُهُمْ وَيَحْاسِبُهُمْ عَلَى مَا قَدَّمُوا وَأَخَّرُوا . ﴿ ذَلِك ﴾ أَى خَلْقُهَا بَاطِلًا ﴿ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أَى مَظَنُونُهُمْ ؛ فَإِنْ جَحَدُوهُمْ الْبَعْثَ وَالْجَزَاءَ ذَهَابَ مِنْهُمْ إِلَى أَنْ خَلَقَهَا عَبَثٌ خَالٍ عَنِ الْحِكْمَةِ . ﴿ قَوْلٌ ﴾ هَلَاكٌ . أَوْ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ .

٢٨ - ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ تَقْرِيرٌ لَوْجُوبِ الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ ؛ إِذْ لَوْ لَمْ يَجِبْ لَاسْتَوَى الْمَصْلُحُونَ وَالْمُفْسِدُونَ ، وَالْمُتَّقُونَ وَالْفُجَّارُ ، وَذَلِكَ مَحَالٌ .

٣١ - ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِ (اذْكُرْ) مَقْدَرَةٌ . ﴿ بِالْعَشِيِّ ﴾ أَى مِنَ الزَّوَالِ إِلَى الْغُرُوبِ . ﴿ الصَّافِنَاتُ ﴾ الصَّافِنُ مِنْ الْخَيْلِ : الْقَائِمُ عَلَى ثَلَاثِ قَوَائِمَ ، وَقَدْ أَقَامَ الرَّابِعَةَ عَلَى طَرَفِ الْحَافِرِ . يُقَالُ : صَفَنَ يَصْفِنُ صَفُونًا ، فَهُوَ صَافِنٌ . ﴿ الْجِيَادُ ﴾ جَمْعُ جَوَادٍ ، وَهُوَ الْفَرَسُ - ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى - إِذَا كَانَ سَرِيعَ الْعَدُوِّ ، أَوْ جَيِّدَ الرِّكْضِ . يُقَالُ : جَادَ الْفَرَسُ يَجُودُ جَوْدَةً فَهُوَ جَوَادٌ ، إِذَا صَارَ رَاضِعًا . وَصِفَتْ هَذِهِ الْخَيْلُ بِوَصْفَيْنِ مُحَمَّدَيْنِ وَاقِفَةٍ

بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كَتَبْنَا إِلَيْكَ مَبْرُكًا لِيدْرُوءًا لَيْتَنَّهُ وَلَيْتَدَّكَرُ أُولَؤُا الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى

لَتُعْرَفَ أَنَّهَا خَيْلٌ مَحْبُوسَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وَقَالَ الْإِمَامُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ : إِنَّ رِبَاطَ الْخَيْلِ كَانَ مَتَدُوبًا إِلَيْهِ فِي شَرِيعَتِهِمْ ، كَمَا هُوَ مَتَدُوبٌ فِي شَرِيعَتِنَا ؛ ثُمَّ إِنْ سَلِمَانُ احْتِاجَ إِلَى الْجِهَادِ ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الْخَيْلِ وَإِعْدَادِهَا ، وَقَالَ : إِنِّي لَا أَحِبُّهَا لِأَجْلِ الدُّنْيَا وَحِظِّ النَّفْسِ ، وَإِنَّمَا أَحِبُّهَا لِأَمْرِ اللَّهِ وَتَقْوِيَةِ دِينِهِ ، وَهُوَ الْمَرَادُّ بِقَوْلِهِ : ﴿ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴾ . ثُمَّ أَمَرَ بِإِعْدَادِهَا حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ، ثُمَّ بَرَدَّهَا إِلَيْهِ ؛ فَلَمَّا عَادَتْ إِلَيْهِ طَفِقَ يَمْسَحُ سَوْقَهَا وَأَعْنَاقَهَا ، عَنَابَةً بِهَا لِكُونِهَا مِنْ أَعْظَمِ عُدَدِ الْجِهَادِ ، وَإِعْلَامًا بِأَنَّ مِنَ الْحَزْمِ مَبَاشَرَةَ الْوَالِي الْأُمُورَ

وَجَارِيَةً . وَقَدْ اسْتَمَرَّ عَرْضُهَا حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ وَلَمْ يُصَلِّ الْعَصْرَ . ٣٢ - ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ ﴾ آثَرْتُ ﴿ حُبَّ الْخَيْرِ ﴾ أَى الْخَيْلِ . وَالْعَرَبُ تَسْمِي الْخَيْلَ خَيْرًا . ﴿ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴾ أَى عَلَيْهِ . ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ ﴾ أَى اسْتَرَتْ الشَّمْسُ بِالْحِجَابِ ﴿ بِمَا يَحْجِبُهَا عَنْ الْإِبْصَارِ .

٣٣ - ﴿ رُدُّوْهَا عَلَيَّ ﴾ أَى أَعِيدُوا عَرْضَ الْخَيْلِ مَرَّةً أُخْرَى . ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ أَى شَرَعَ يَضْرِبُ سَوْقَهَا وَأَعْنَاقَهَا بِالسَّيْفِ قَرِيبَةً لِلَّهِ تَعَالَى ؛ وَكَانَ تَقْرِيبُ الْخَيْلِ مَشْرُوعًا فِي شَرِيعَتِهِ . وَقِيلَ : الْمَرَادُّ بِالْمَسْحِ وَسْمُهَا

الأكوسي عن الشعراني نحوه ، ثم
بعد أن ناقش هذا التفسير قال :
انه وجه ممكن في الآية على بُعد
إذا قطع النظر عن الأخبار
المأثورة .

٣٤ - ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ .. ﴾
ابتليناه واختبرناه . وسبب ذلك
على ما في الصحيحين : أنه حلف
ليطوفنَّ على نساائه الليلة ، لتلد كل
واحدة فارساً يُجاهد في سبيل الله .
فقبل له : قل إن شاء الله ؛ فتسبي
ولم يقل . فطاف عليهن جميعاً فلم
تحمل منهن إلا واحدة جاءت بشق
إنسان ، وهو الحسد الذي ألقته
القبالة على كرسيه حين عرضته عليه
ليراه ؛ فكان ذلك محنته لأنه لم
يستثن لما استغرقه من الحرص
وغلب عليه من التمني ؛ وذلك
بالنسبة إلى مقامه خلاف الأولى .
وقد عدّه ذنباً فأناب إلى الله ورجع
إليه ، وإلى ذلك ذهب المحققون
كالقاضي عياض وغيره .

٣٦ - ﴿ تَجْرَى بِأَمْرِهِ رُحَاءٌ ﴾
لينة غير عاصفة . ﴿ حَيْثُ
أَصَاب ﴾ أي قصد وأراد .
٣٧ - ﴿ غَوَاصٌّ ﴾ في البحر
لاستخراج نفائسه .

٣٨ - ﴿ وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي
الْأَصْفَادِ ﴾ مقروناً بعضهم
ببعض بالأغلال والقيود ، وهم
المردّة من الشياطين .

٣٩ - ﴿ يَغْيِرُ حِسَابَ ﴾ غير
محاسب على شيء من الأمور .
٤٠ - ﴿ لَزُلْفَى ﴾ لقرباً
وكرامة .

كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي
مُلْكاً لَا يَبْغِي لِي أَحَدٌ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾
فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾
وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ
فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ
حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِن لَّهِ عِندَنَا لُزْلَفٌ وَحُسْنُ مَّكَابٍ ﴿٤٠﴾
وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِيَ الشَّيْطَانُ
بِنُصَبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ
بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ رَأْسَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ
رَحْمَةً مِنَّا وَذُكِّرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخَذْ بِيَدِكَ
ضِغْثًا فَاصْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ
الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ
بِمَخْلِصَةٍ ذُكِّرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ
الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ
وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِن لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ

ما يدل على المرض . وقال : إن
هذا الذي ينطبق عليه لفظ
القرآن ، ولا يترتب عليه شيء من
المحظورات . اهـ ملخصاً . ونقل

بنفسه كلما استطاع ؛ لأنه كان
أعلم الناس بأحوال الخليل
ومحاسنها ، وعيوبها وأمراضها ،
فكان يمسحها حتى يعلم هل فيها

٤٥ - ﴿أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَفْصَارِ﴾ أولى القوة في الطاعة . والبصيرة في الدين . جمع يَدٍ بمعنى القوة . وبَصَرٍ بمعنى بصيرة مجازاً .

٤٦ - ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ﴾ جعلناهم خالصين لنا بخِصْلَةٍ خالصةٍ عظيمةٍ لا شوب فيها ؛ هي تذكيرهم للآخرة دائماً . والباء للسببية .

٤٨ - ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ هو رجل صالح من بني إسرائيل ، تكفل لأحد أنبيائهم بطاعات فوفى بها .

٤٩ - ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ المذكور من محاسنهم شرف لهم .

٥٢ - ﴿قَاصِرَاتِ الطُّرُقِ﴾ خابسات نظرن على أزواجهن ؛ لشدة محبتن لهم . ﴿أَتْرَابُ﴾ أى مستويات في السن والشباب والحسن .

٥٤ - ﴿مَالَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ أى انقطاع وفناء أبداً . يقال : نَفَدَ نفاداً ونفداً ، فَنِيَ وذهب .

٥٥ - ﴿لَشَرِّ مَآبٍ﴾ لأسوأ منقلب ومصير .

٥٦ - ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها أو يقاسون حرها . ﴿فَيْسَ الْمِهَادُ﴾ أى ما مهدوه لأنفسهم وهو الفراش .

٥٧ - ﴿حَمِيمٌ﴾ ماءٌ بالغ أقصى الحرارة . ﴿وَعَسَاقٌ﴾ صديد يسيل من أجسادهم ؛ من قوهم : غثيق الجرح - كضرب وسَمِعَ - غسقنا . إذا سال منه ماءٌ أصفر .

مَآبٍ ٥١ جَنَّتِ عَدْنٍ مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ٥٢ مَتَكِينٍ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَلَكَهٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ٥٣ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطُّرُقِ أَتْرَابُ ٥٤ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ٥٥ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَالَهُ مِنْ نَفَادٍ ٥٦ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ٥٧ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيْسَ الْمِهَادُ ٥٨ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ٥٩ وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ٦٠ هَذَا فَوْجٌ مُتَقَحِّمٌ مَعَكُمْ لَا مَرَجًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ٦١ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرَجًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَيْسَ الْقَرَارُ ٦٢ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدُّهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ٦٣ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كَمَا نَعُدُّهُمْ مِنْ الْأَشْرَارِ ٦٤ اتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ٦٥ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ٦٦ قُلْ

٥٨ - ﴿وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ أى وعذاب آخر من مثل الحميم والعساق في الشدة والفضاعة : أصناف وأجناس . ثم يقول بعض الطَّاغِينَ لبعض عند دخولهم النار مع أتباعهم : ٥٩ - ﴿هَذَا فَوْجٌ﴾ أى جمع كثير من أتباعكم في الضلال . ﴿مُتَقَحِّمٌ مَعَكُمْ﴾ داخل معكم النار كرهاً . مُقَاسٍ فيها ما تُقَاسُونَهُ ؛ فإنهم يُصَرِّبُونَ بِمَقَامٍ من حديد حتى يقتحموها بأنفسهم خوفاً من تلك المقام . يقال : قَحِمَ فى الأمر يُقَحِّمُ قُحُومًا . رمى بنفسه فيه من غير روية . وأقحم فرسه الثَّهْرَ . فأنقحم : أى أدخله فدخل . ﴿لَا مَرَجًا بِهِمْ﴾ دعاء عليهم

إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾
 رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾
 قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ
 لِي مِن عِلْمٍ بِالْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ
 إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ
 إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ
 مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ
 كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ
 الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَبْنَ بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا
 خَلَقْتُ يَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾
 قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾
 قَالَ فَانْجِرْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى
 يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعُثُونَ ﴿٧٩﴾

لأجلها هزة الوصل . (وَسِخْرِيًّا) أي هُزْأًا وسخريةً في الدنيا . أنكروا على أنفسهم ذلك الاستسغار ، حيث لم يروهم معهم في النار . ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْبَصَارُ﴾ فلا نراهم وهم فيها .

٦٧ - ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ..﴾ أي ما أنبأتكم به من كوني رسولاً منذراً من عند الله الذي لا إله إلا هو - نبأ جليل خطير ، يجب أن تلتقوا إليه بالآ ، وتذعنوا له إذعائاً ، ولكنكم قابلتموه بالإعراض والتكذيب ، لفرط غفلتكم وتماذيككم في ضلالتكم . ثم عُقب ذلك بذكر نبأ لا يمكن أن يُعرف إلا من طريق الوحى ، ليكون دليلاً على صدقه صلى الله عليه وسلم في أخباره ، وأنه رسول من عند ربه . وهو قصة خلق آدم . ٦٩ - ﴿بِالْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى﴾ الملائكة . ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في شأن آدم وخلقته وخلافته .

٧٢ - ﴿سَوَّيْتُهُ﴾ أتممت خلقه بالصورة الإنسانية . ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ أفضت عليه ما به الحياة من الروح التي هي من أمرى . ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ تحية له وتكريماً . ٧٥ - ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ أي للذي خلقته بيدي ومذهب السلف فيه : أن اليد - مفردة وغير مفردة - إذا وصف الله تعالى بها نفسه فهي صفة ثابتة له على الوجه الذي يليق بكمالها ، مع

بعضهم لبعض : ﴿مَالِكًا لَا تَرَى﴾ في النار ﴿رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ﴾ في الدنيا ﴿مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ أي الأراذل الذين لا خير فيهم . يعنون بذلك الضعفاء من المؤمنين كعمار وبلال وصهيب وسلمان وخباب . ٦٣ - ﴿أَتَخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾ الهزة للاستفهام ، وقد سقطت

بضيق المكان ، أي لا أتوا مكاناً رجباً بل ضيقاً . ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ داخلوها أو مقاسو حرها مثلاً [آية ٧٠ مريم ص ٣٩٥] . ٦٠ - ﴿أَنْتُمْ قَدْ شِئْتُمْ لَنَا﴾ أي أنتم قد شئتم لنا بإغوائنا وإغرائنا على ما قدّمنا من الكفر ولم نرتكبه من تلقاء أنفسنا ! ٦٢ - ﴿وَقَالُوا﴾ أي الطّاغوت

تترجمه تعالى عن مشابهة الحوادث في الجسمية والجوارح ؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ! ومذهب الخلف : تأويل اليد بالقدرة أو الشعمة . والتشبيه للتأكيد . وأنه تمثيل للاعتناء بخلقهم ؛ [راجع المسألة الرابعة من المقدمة ص ٥] . ﴿الْعَالِينَ﴾ المستحقين للعلو والرفعة .
٧٧ - ﴿رَجِيمٌ﴾ مرجوم مطرود .

٧٩ - ﴿فَأَنْظِرْنِي﴾ فأمهلني .
٨١ - ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ المعين لفناء الخلق ، وهو وقت النفخة الأولى لا إلى يوم البعث .

٨٢ - ﴿فَعِزَّتِكَ﴾ أى بسلطانك وقهرك ﴿لَأَغْوِيَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لأضلهم بتزيين المعاصي لهم .

٨٣ - ﴿قَالَ﴾ الله تعالى ﴿فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ (الحق) الأولى مبتدأ خبره محذوف ؛ أى فالحق قسمي لأملأن جهنم . أقسم الله بالحق الذى هو ضد الباطل تعظيماً له .

أوبالحق الذى هو من أسماء تعالى . (والحق) الثانى مفعول (لأقول) قُدم عليه لإفادة الحصر ؛ أى لا أقول إلا الحق ، والجملة معترضة بين القسم والمقسم عليه لتقرير مضمون الجملة القسمية .

٨٦ - ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ من المتصنعين الذين يتحلون بما ليسوا من أهله ؛ حتى أنتحل النبوة وأتقول القرآن ، وأتحرص

قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَعِزَّتِكَ لَا غُيُوبَ لَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالِينَ ﴿٨٧﴾ وَلِتَعْلَمَ نَبَأُ بَعْدِ حِينٍ ﴿٨٨﴾

(٣٩) سُورَةُ الزُّمَرِ مَكِّيَّةٌ
إِلَّا الْآيَاتِ ٥٢ وَ ٥٣ وَ ٥٤ فَهِيَ نَسِيَةٌ
وَأَيَّاهَا ٧٥ نَزَلَتْ بَعْدَ سَبَا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ
إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾
أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ

سُورَةُ الزُّمَرِ : ما لم يأمرني به الله . يقال : ما لم تكلف الشيء ، إذا تجشمت على خلاف عاداتك . والمتكلف : العريض لما لا يعنيه .
١ - ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ أى القرآن . مبتدأ خبره : ﴿مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ فليس قولاً مفترى كما يزعم الجاحدون .
٨٨ - ﴿نَبَأٌ﴾ صدق أخباره . والله أعلم .

٢ - ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ أى متبشراً بالحق والصواب ، وذلك بوجب قبوله والعمل بكل ما فيه ، وإخلاص

إمكانها فضلاً عن وقوعها . وقد عُرف في فصيح الكلام : تعليق الحال على الحال جوازاً ووقوعاً .

على أن الوالدية تقتضي التجانس بين الوالد والولد ؛ إذ هو بضعة منه . وقد ثبت أن كل ما سواه تعالى حادث مخلوق له . فيلزم بموجب التجانس أن يكون المخلوق من جنس الخالق . وهو يستلزم حدوث الخالق أو قدم المخلوق . وكلاهما محال . ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له تعالى عن اتخاذ الولد !

٥ - ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي متلبساً بالصواب ، مشتملاً على الحكم والمصالح ، ومن كان هذا شأنه : استحال أن يكون له شريك أو صاحبة أو ولد . وقد اشتملت هذه الآية والتي بعدها على ثمانية أدلة على كمال قدرته تعالى ، وعلى وحدته وقهره ما سواه : خلق السماوات والأرض بالحق . وتكوير الليل على النهار . وعكسه . وتسخير الشمس والقمر لمنافع الخلق . وخلق النوع الإنساني من نفس واحدة خلقها وهي آدم . وخلق حواء من آدم . وخلق الأنعام ثمانية أزواج . وتطور الأجنّة في بطون الأمهات . ﴿يَكْوِرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾ ... ﴿تَكْوِيرُ الشَّيْءِ﴾ : إدارته وضّم بعضه إلى بعض ككّور العامة . أي أن هذا يكّر على هذا ، وهذا يكّر على هذا كروراً متتابعاً كتتابع أكوار العامة بعضها

فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣٠﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣١﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيَكْوِرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَتَخِرَّ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٣٢﴾ خَلَقَكُمْ

(اتخذوا) ، وجملته (إن الله يخلقكم بينهم) خبر الموصول . ٤ - ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا...﴾ قال المشركون : الملائكة بنات الله . وقالت اليهود : عزير ابن الله . وقالت النصارى المسيح ابن الله . فردّ الله تعالى عليهم بأنه لو أراد اتخاذ الولد على ما يظنونه ، لاختار من خلقه ما يشاء هو . لا ما يختارونه هم ويشاءونه ؛ لكنه لم يختار أحداً . فدلّ ذلك على أنه لم يرِدْ اتخاذ الولد . وهو نظير قوله . تعالى : (لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاصْتَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنَّ كُفَّا فَاعِلِينَ) (١) . وإرادة اتخاذ في الآيتين متمنعة ؛ لأن الإرادة لا تستعمل إلا بالممكنات . واتخاذ الولد محال كما ثبت بالبرهان القطعي فتستحيل إرادته . وجعلها في الآيتين شرطاً وتعليقاً الجواب عليها . لا يقتضي

العبادة لمن أنزله . ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ العبادات غاية التذلل للمعبود . والدين هنا : العبادات والطاعة والإخلاص فيه : أن يمحض العبد عبادته لله تعالى ، ولا يجعل له شريكاً فيها . ولا يقصد بعمله إلا وجه الله تعالى ؛ فلا يشويه بشيء من الرياء .

٣ - ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أي آلهة يعبدونها قائلين : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ ويشفعوا لنا عنده فيما يتوكلنا من أمور الدنيا . ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ وبين خصمائهم الذين هم المخلصون له الدين يوم القيامة . ﴿فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من التوحيد والشرك ؛ بإدخال الموحدين الجنة ، والمشركين النار . فقلوه (مَا نَعْبُدُهُمْ) حال من فاعل

على أثر بعض : إلا أن أكوار
الجماعة مجتمعة وفيما نحن فيه
متعاورة ؛ وقريب منه قوله
تعالى : (يُعْشَى اللَّيْلُ النَّهَارُ يَطْلُبُهُ
حَيْثُ) (١). وقيل المعنى : يريد
الليل على النهار ويضمه إليه ؛ بأن
يجعل بعض أجزاء الليل نهاراً
فيطوئ النهار عن الليل . ويزيد
النهار عن الليل ويضمه إليه ؛ بأن
يجعل بعض أجزاء النهار ليلاً
فيطوئ الليل عن النهار . وهو
كقوله تعالى : (يُولِجُ اللَّيْلُ فِي
النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارُ فِي
الْإِلَيْهِ) (٢) . ﴿كُلُّ يَجْزِي لِأَجَلٍ
مُسَمًّى﴾ هو وقت نهاية دورته .
أو وقت انقطاع حركته .

٦ - ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ
الْأَنْعَامِ ..﴾ أى من كل من
الإبل والبقر والضأن والمعز
زوجين : ذكرًا وأنثى . يتم بهما
التناسل وبقاء النوع . وعبر عن
الخلق بالإنزال لأن الخلق إنما
يكون بأمر من السماء . ﴿فِي
ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ : ظلمات
البطن . والرَّحِم . والمَشِيمَةُ التى
بداخله ؛ وفيها يتم تكوين الجنين
وتصويره . ونفخ الروح فيه
وتدبيره حتى يولد . وهو من أقوى
الأدلة على القدرة الباهرة .
﴿فَأَنسَى تُصْرَفُونَ﴾ فكيف
تصرفون عن التوحيد إلى الشرك ؟
وتزعمون أن له شريكاً أو ولداً مع
وفور الأدلة الصارفة عن هذا
الزعم الفاسد ؛ من الضرف وهو
إبدال الشيء بغيره . وفعله من
(١) آية ٥٤ الأعراف . (٢) آية ٦١ الحج .

مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ
الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقَكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا
مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِنْ تَكْفُرُوا
فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ
تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ
رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ
بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ * وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا
رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نِسَىٰ مَا كَانَ يُدْعُوا
إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾
أَمَّنْ هُوَ قَلَنْتُ ۚ إِنَّا لِلَّهِ أَسِيرُونَ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ
وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰؤِ الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَعْبَادُ

باب ضَرْب . وَزَّرَ أُخْرَىٰ ﴿ [آية ١٦٤ الأنعام

ص ١٩٨] .

٨ - ﴿دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ راجعاً
إليه تعالى بالدعاء . مُتَضَرِّفًا عما
كان يدعو من دون الله وقت
الرخاء . ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً
مِنْهُ﴾ أعطاه نعمة عظيمة تفضلاً
منه سبحانه وملكه إياها ؛ من

٧ - ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾

أى لا يحمد منهم الكفر ويمدحه .
أو لا يجازى الكافر مجازاة المرضي
عنه بل مجازاة المغضوب عليه . ثم
إن الرضا غير الإرادة . فإنها تسبق
الفعل . وهو يتأخر عنه ؛ فنفيه
لا يستلزم نفيها . ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ

فسيحة ؛ فمن لم يدرك التقوى والإحسان في وطنه فليهاجر إلى حيث يتمكن منها ؛ كما هو ذاب الأنبياء والصالحين . ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ ﴾ على مفارقة الأوطان واحتمال الشدائد في طاعة الله . ﴿ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ من الحاسنين

١٦ - ﴿ لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ ﴾ أى لأولئك الحاسنين أطباق كثيرة من النار فوقهم كهشة الظلل جمع ظلة ، وأصلها السحابة تظل ما تحتها ، وأكثر ما يقال فيها يستوخم ويكره . ﴿ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ من النار . والمراد : أن النار محيطة بهم إحاطة تامة من جميع الجوانب . وإطلاق الظلة على ما تحتم لكونها ظلة لمن تحتم من أهل الدركات ؛ وهو كقوله تعالى : ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ قَوْفِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ قَوْفِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ (٢)

١٧ - ﴿ اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَبْعُدُوهَا ﴾ أى اجتنبوا عبادة الطاغوت ، وهو الأصنام أو الشياطين ، وكل معبود من دون الله [آية ٢٥٦ البقرة ص ٦٢] . ويستعمل في الواحد والجمع والمذكر والمؤنث . ﴿ أَنَا بُوا إِلَى اللَّهِ ﴾ رجعوا إلى عبادته وحده .

١٩ - ﴿ أَقْمِنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ ﴾ كان صلى الله عليه وسلم حريصاً على إيمان قومه أشد

الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكَ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١٠) قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١١) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي ﴿ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (١٥) لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يَخَوْفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادُهُمْ يَتَعَبَّدُونَ لَهُ مَا شَرَعُوا لَهُمْ وَالَّذِينَ أَجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَبْعُدُوهَا وَأُنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (١٨)

التي هي اسم موصول ؛ أى بل آمن ﴿ هُوَ قَائِمٌ ﴾ أى قائم بواجب الطاعات ، ودائم على وظائف العبادات كمن ليس كذلك ؟! من القنوت وهو لزوم الطاعة مع الخشوع ؛ وحذف المعادل لدلالة الكلام عليه . ﴿ أَنَاءَ اللَّيْلِ ﴾ أى ساعاته .

١٠ - ﴿ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ﴾

التخويل ؛ وأصله إعطاء الخول ؛ أى العبيد والخدم . أو إعطاء ما يحتاج إلى تعاذه والقيام عليه ، ثم غُيِّرَ لمطلق الإعطاء . ﴿ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا ﴾ أمثلاً ونظائر يعدها من دون الله . جمع نداء ، وهو المثل والنظير .

٩ - ﴿ آمَنَ ﴾ أصلها (أم) التي بمعنى بل وهمزة الاستفهام . (ومن)

الحرص ؛ فأعلمه الله أن من سبق عليه القضاء بأنه من أهل النار لا يقدر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يُنقذه منها بجعله مؤمناً . أى أنت مالك أمر الناس قادر على التصرف فيهم ؛ فمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تُنقذه ! أى لست مالكا ولا قادرا على ذلك . وزيدت همزة الاستفهام في (أفأنت) لاستطالة الكلام .

٢٠ - ﴿لَهُمْ عُرْفٌ﴾ منازل رفيعة عالية في الجنة .

٢١ - ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تمثيل للحياة الدنيا - في سرعة زوالها وقرب اضمحلالها - بما ذكر من أحوال الزرع ؛ تحذيرا من الاغترار بها ؛ وتنفيرا من التثبث بأذيالها . بعد أن وُصفت الجنة بما يُرغب فيها ويشوق إليها . ﴿فَسَلَكُوهَا بَيَاسٍ﴾ أدخله في عيون ومسارب في الأرض . جمع يسوع وهو المنبع والمجرى . ﴿ثُمَّ يَهِيْجُ﴾ ييسر ويجف ؛ من الهيج بمعنى اليبس والجفاف . يقال : هاج النبات هيجاً وهيجاً . ييسر واصفر . أو يثور ؛ من الهيج بمعنى الحركة .

يقال : هاج الشيء يهيج ، ثار لمشقة أو ضرر . ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ فتاتا منكسرا . يقال : حطم الشيء حطما - من باب تعب - إذا تكسر . وحطمته حطما - من باب ضرب - كسره . وتحطم العود : إذا تقطعت من اليبس .

٢٢ - ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ...﴾ أى أكل الناس

أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ...
لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَهُ مَضْفَرًا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّتَانِي تَقْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّبِعِ بَوَجهَهُ سَوْءَ الْعَذَابِ يَوْمَ

سواء ؟ فمن شرح الله صدره . وخلقه مستعدا لقبول الإسلام فقي على الفطرة النقية التي لم تشبها العوارض المكتسبة الفادحة فيها ﴿فَهُوَ﴾ بمقتضى ذلك ﴿عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ﴾ وهداية - كمن قسا قلبه - وخرج صدره بتبديل الفطرة بسوء الاختيار - واستولت عليه ظلمات القى

والضلال ؛ فأعرض عن ذكر ربه ؟ ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ هلاك وخزي لهم . ٢٣ - ﴿أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ أبلغه وأصدق وأوفاه (القرآن) . ﴿كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾ يشبه بعضه بعضا في فصاحته وبلاغته . ونظمه وإعجازه . وفي صحة معانيه وأحكامه . وصدقه

ولا يحتاج إلى الانتقاء بوجه من الوجوه !

٢٦ - ﴿فَإِذَا قَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ﴾
الذل والهوان والصغار .

٢٨ - ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ ليس صاحب عوج . أى لا لئس ولا اختلاف ولا اختلال فيه [آية ٩٩ آل عمران ص ٨٩] .

٢٩ - ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا...﴾
أى للمشرك الذى يعبد آله كثيرة : عبدا مملوكا لجماعة متشاكسين ، لشكاسة أخلاقهم وسوء طباعهم ، يتجادبونه ويتعاورونه فى أغراضهم المتباينة ، فهو فى حيرة من أمره ، لا يدرى على أيهم يعتمد ، ولا أيهم يرضى بخدمته . وضرب للموحد مثلاً : رجلاً خالصاً لفرد واحد ، ليس لغيره سبيل عليه يخدمه بإخلاص ، وذلك الفرد يعوله ويعرف له صدق بلائه ، فهو فى راحة من الحيرة وتوزع القلب ، فأى الرجلين خير ؟

﴿مُتَشَاكِسُونَ﴾ متنازعون شرسو الطباع . يقال : رجلٌ شكسٌ وشكسٌ ، أى صعبُ الخلق وفعله ككرهم . ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ أى خلوصاً لفرد واحد . مصدرٌ وصِف به مبالغة . وقرئ (سَلَمًا) بمعناه .

٣١ - ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ فتقيم عليهم الحجة بأنك بلغت الرسالة ، وهم يعتذرون بالأباطيل والتعللات الكاذبة .

٣٢ - ﴿مَتَوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ مأوى ومقام لهم .

الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾

كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ

ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ

يَنْدَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانَا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ

يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ

وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾

ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

مما فيه من الوعيد ، من الاقشعار وهو التقبض الشديد . يقال : اقشعر جلده ، أى تقبض تقبضاً شديداً . أوقف شعره إذا عرض له خوف شديد من أمر هائل دهمه بغتة . وهو كتابة عن شدة خوفهم من الله تعالى . ﴿تَلِينَ جُلُودَهُمْ﴾ تسكن وتطمئن لينة غير منقبضة .

٢٤ - ﴿أَفَمَنْ يَتَّبِعِ بَوَجهُ سُوءِ الْعَذَابِ﴾ أى أكل الناس سواءً ! فمن يتقى بوجهه العذاب السيئ الشديد لكون يده التى كان يتقى المكاره بها مغلولة إلى عنقه - كمن هو آمين لا يناله مكروه ،

وهدائه . وحكمته . واستتباعه مصالح الخلق فى المعاش والمعاد وغير ذلك . ﴿مَثَانِي﴾ ثنى وتكرر فيه القصص والمواعظ . والأمثال والأحكام . والوعد والوعيد . وثنى تلاوته . فلا يمل على كثرة الترداد . جمع ثنى ، ومثناة ومثنى ، من الثنية بمعنى التكرير والإعادة . ووصف القرآن كله هنا بالمثنى . وسُميت الفاتحة بالمثنى فى سورة الحجر [آية ٨٧ ص ٣٤٠] . ﴿تَقْشِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ نعلوها قشعيرة ورعدة من الخوف

٣٦ - ﴿الَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾
 أى الله تعالى كافٍ نبيه صلى الله عليه وسلم شر من عاداه من الكافرين . أدخلت فيه هزة الإنكار على كلمة التثنية فأفاد إثبات الكفاية . ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ أى بالأوثان التى اتخذوها آلهة . وقد روى أن قريشاً قالت له صلى الله عليه وسلم : لتكفن عن شتم آلهتنا أوليصيتك منها خجل ؟ فترلت الآية .

٣٨ - ﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾ أخبرونى . ﴿مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أى الأصنام التى تعبدونها من دونه تعالى . ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ كافى فى جميع أمورى من إصابة الخير ودفع الشر .

٣٩ - ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ على حالتكم من العداوة التى تمكنت فيها . وأصل المكانة : المكان المحسوس ؛ استعيرت للحالة التى عليها الإنسان استعارة المحسوس للمعقول . أو على حسب تمكنتكم واستطاعتكم . والأمر للتهديد .

٤٠ - ﴿مَنْ يَأْتِيهِ﴾ مفعول ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بمعنى تعرفونه . ﴿يُخْزِيهِ﴾ يذله ويهينه . ﴿وَيَجِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ أى ينزل به عذاب دائم [آية ٨١ طه ص ٤٠٥] .

٤٢ - ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾ أى يقبض الأرواح حين الموت . وحين النوم ؛ بأن يقطع تعلقها

* فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٧﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٨﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۚ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٤٠﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٤١﴾ وَلَٰئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرَّهُ ۚ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٤٢﴾ قُلْ يَتَقَرَّبُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَجِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَلِإِيمَانِهِ يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤٥﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فِيمِمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ

البعث ، وتقرّده بالالوهية ،
واتخاذهم الأصنام آلهة تشفع لهم
عند الله ، أى بل اتخذوا ؟
وهزة الاستفهام المقدرة :
للإنكار عليهم فى اتخاذهم
إياها .

٤٤ - ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾
أى أنه تعالى مالك الشفاعة كلها ،
لا يستطيع أحد شفاعة عنده إلا أن
يكون المشفوع مرتضى ، والشفيع
مأذوناً له فى الشفاعة ، كما قال
تعالى : (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ
ارْتَضَى) (١) وقال تعالى : (مَنْ ذَا
الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) (٢)
وكلاهما مفقود هنا .

٤٥ - ﴿أَشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أى نفرت
وانقضت من ذكره تعالى وحده
دون أن تذكر معه آلهتهم ، من
الشمر وهو نفور النفس مما تكره .
يقال : اشمأز ، أى انقبض
واقشعر أو دُعر . وشمز وجهه :
تمعر ونقبض . والمشمز : النافر
الكاره ، أو المدعور .

٤٦ - ﴿فَاطِرُ...﴾ يا مبدع
ومخترع .

٤٧ - ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ...﴾
أى ظهر لهم من فنون عذاب الله ما
لم يكن فى حسابهم .
﴿يَحْتَسِبُونَ﴾ يظنونه ويتوقعونه .

٤٨ - ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ أى أحاط
بهم . وأنزل .

٤٩ - ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْتَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا﴾
أعطيناها إياها تفضلاً منا . ﴿بَلْ

الْآخِرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ
أُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَيْعًا وَلَا يَعْصُونَ ﴿٤٧﴾ قُلْ لِلَّهِ
الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٩﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا
فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ
الْقَبْضَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٥١﴾
وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥٢﴾ فَلَمَّا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرْدَعَانَا ثُمَّ إِذَا
خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ
فِتْنَةٌ وَلَكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٣﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن

بالأجسام تعلق التصرف ظاهراً
وباطناً فى الموت . وظاهراً فقط فى
النوم . ﴿فَيَمْسِكُ إِلَهِي قَضَىٰ﴾
عليها الموت . أى لا يردها إلى
البدن . ﴿وَيُرْسِلُ الْآخِرَىٰ﴾ إلى
بدنها عند اليقظة . ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ

هِيَ فَتْنَةٌ ﴿٥١﴾ مِحْنَةٌ وَابْتِلَاءٌ لَهُ ؛ لِيُظْهِرَ أَبَشْكُرَ أَمْ يَكْفُرُ .

٥١ - ﴿وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أَي بَقَاتِلِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ .

٥٢ - ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أَي يَضِيقُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ ابْتِلَاءً . وَسَعَةً الرِّزْقِ قَدْ تَكُونُ اسْتِدْرَاجًا . وَتَقْتِيرُهُ قَدْ يَكُونُ إِعْظَامًا .

٥٣ - ﴿أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ أَفْرَطُوا فِي الْمَعَاصِي جَانِبِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بَارْتِكَابِهَا . وَالْخَطَابُ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمَذْنِبِينَ . وَالْإِسْرَافُ : تَجَاوَزُ الْحَدَّ فِي كُلِّ فِعْلٍ بِفِعْلِهِ الْإِنْسَانُ ؛ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فِي الْإِنْفَاقِ أَشْهَرُ . وَلِتَضَيُّعِهِ مَعْنَى الْجَنَابَةِ عُدَى بـ «عَلَى» . ﴿لَا تَقْطُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ لَا تَيَاسُوا مِنْ مَغْفِرَتِهِ تَعَالَى لَكُمْ . وَالْقَنُوطُ : الْيَأْسُ . وَفِعْلُهُ كَتَضَرَّ وَضَرَبَ وَحَسِبَ وَكُرِمَ . ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ يَسْتُرُهَا ، أَوْ يَمَحُوها وَلَا يُؤَاخِذُ بِهَا ؛ أَي لِمَنْ شَاءَ مِنْ عَصَاةِ الْمُؤْمِنِينَ تَابُوا أَوْ مَاتُوا مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ . فَإِنْ تَابُوا قَبْلَ تَوْبَتِهِمْ كَمَا وَعَدَ ؛ فَضْلًا مِنْهُ . وَإِنْ لَمْ يَتَوْبُوا فَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ تَعَالَى ؛ إِنْ شَاءَ غَفَرَهُمْ ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ ، ثُمَّ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ .

أَمَّا غَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ : فَإِنْ تَابُوا مِنَ الْكُفْرِ قَبْلَ أَنْ يَتَوْبَتَهُمْ ، وَالْإِسْلَامُ يَجِبُ مَا قَبْلَهُ . وَإِنْ مَاتُوا مُصْرَبِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» [آيَةُ ٤٨ النساء ص

قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٤﴾ * قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٥﴾ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٦﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٧﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرُنِي عَلَى مَا قَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٨﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ

[١١٨] . وَهَذِهِ الْآيَةُ أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ . وَنَضْرَعُ إِلَى اللَّهِ الرَّوْفِ الرَّحِيمِ : أَنْ يَغْفِرَ ذُنُوبَنَا ، وَيَسْتُرَ عِيُونَنَا بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ . ٥٤ - ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾ ارْجِعُوا إِلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ ﴿وَأَسْلُمُوا لَهُ﴾ أَخْلَصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ . وَفِي الْآيَةِ حَثٌّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى التَّوْبَةِ . ٥٥ - ﴿بَغْتَةً﴾ فَجْأَةً . ٥٦ - ﴿أَنْ تَقُولَ﴾ أَي كِرَاهَةً أَنْ

تَقُولَ ﴿نَفْسٌ يَا حَسْرَتًا﴾ أَي يَا حَسْرَتِي وَنِدَامَتِي ﴿عَلَى مَا قَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ أَي بِسَبِّ تَفْرِيطِي وَتَقْصِيرِي فِي طَاعَةِ اللَّهِ . أَوْ فِي حَقِّهِ تَعَالَى ؛ أَي مَا يَحِقُّ لَهُ وَيَجِبُ وَهُوَ الطَّاعَةُ . وَأَصْلُ الْجَنْبِ الْجَانِبُ : الْجَهَةُ الْمَحْسُومَةُ لِلشَّيْءِ . وَأُطْلِقَ عَلَى الطَّاعَةِ بِحَاجَازٍ حَيْثُ شُهِتَ بِالْجَهَةِ ؛ بِجَامِعِ التَّعَلُّقِ فِي كُلِّ بَصَاحِبِهِ . فَالطَّاعَةُ لَهَا تَعَلُّقٌ بِاللَّهِ . كَمَا أَنَّ الْجَهَةَ لَهَا



بمعنى الإلزام . أى أنه لا يملك أمر
السموات والأرض ، ولا يتمكن
من التصرف فيها غيره تعالى .

٦٥ - ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ ۖ ﴾
أى ولقد أوحينا إليك وإلى كل
رسول تقدمك : لئن أشركت بالله
شيئاً ليبطلن عملك الذى عملت
قبل الشرك . ﴿ لِيَحْطَبَنَّ عَمَلُكَ ۖ ﴾
ليبطلن عملك ويفسدن .
﴿ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۖ ﴾
وهو كلام على سبيل الفرض .
للإعلام بغاية شناعة الشرك .
وكونه بحيث ينفى عنه من يستحيل
أن يباشره فكيف بمن عداه !
ويقرب منه ما قيل : إن الخطاب
للرسول والمقصود أمته . [آية ٨٨
الأنعام ص ١٨٢] .

٦٧ - ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ
قَدْرِهِ ۖ مَا عَظُمُوهُ تَعَالَى حَقَّ
تَعْظِيمِهِ ۖ ﴾ [آية ٩١ الأنعام ص
١٨٢] . ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا
قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ ﴾ بيان لعظم
قدرته تعالى . وأن المتولى لإبقاء
السموات والأرض فى الدنيا هو
المتولى لتخريبها يوم القيامة : فله
سبحانه وحده القدرة التامة على
الإيجاد والإبقاء والإفناء فى
الدارين : فكيف يشركون به
غيره ؟! والقبضة : المرة من

القبض ، وتطلق على المقدار
المقبوض بالكف : أى
والأرض - مجموعة - مقبوضة له
تعالى يوم القيامة . وخص بالذكر
وإن كانت قدرته شاملة لدار الدنيا
أيضاً ، لأن الدعاوى تنقطع فى

مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي
كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَ ءَاتِي
فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ
أَلْبَسَ فِي جَهَنَّمَ مَنُوءَىٰ لِلْمُكَابِرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُخَوِّى اللَّهُ الَّذِينَ
اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ
خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مُقَالِيدُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ
هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَاْمُرُوْنِ اعْبُدُوْا اِيْهَا
الْجَاهِلُوْنَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ اَوْحٰى اِلَيْكَ وَاِلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكَ
لَئِنْ اَشْرَكَتْ لَيَحْطَبَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُوْنَنَّ مِنَ الْخٰسِرِيْنَ ﴿٦٥﴾
بَلِ اللّٰهُ فَاَعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشّٰكِرِيْنَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللّٰهَ
حَقَّ قَدْرِهِ ؕ وَالْاَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَالسَّمٰوٰتُ مَطْوِيٰتٌ بِيَمِيْنِهٖ ؕ سُبْحٰنَهٗ وَتَعَالٰى عَمَّا
يُشْرِكُوْنَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى الصُّوْرِ فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّمٰوٰتِ

تعلق بصاحبا . ﴿ السَّاحِرِينَ ﴾ سبب فوزهم . أو بمكان فوزهم
المستهزئين بدينه وكتابه وأهله . وهو الجنة .

٥٨ - ﴿ كَرَّةً ﴾ رجعة إلى الدنيا .

٦٠ - ﴿ مَنُوءَىٰ لِلْمُكَابِرِينَ ﴾

ماوى ومقام لهم .

٦١ - ﴿ بِمَفَازَتِهِمْ ﴾ أى بنجيم

٦٣ - ﴿ لَهُ مُقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ ﴾ مفاتيح خرائنها .

جمع مقلاد أو مقليد . أو اسم

جمع لا واحد له : من التقليد

وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى
فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا
وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ
بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوَقَّيْتُ كُلَّ نَفْسٍ
مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا
إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ
لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ
رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِن
حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا

ذلك اليوم ؛ كما قال : (وَالْأَمْرُ
يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) وقال : (لِمَنْ الْمُلْكُ
الْيَوْمَ ، لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) .
﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾
قال الزَّمَخْشَرِيُّ : الغرض من
هذا الكلام إذا أخذته بمجموعه -
تصوير عظمته تعالى ، والتوقيف
على كنهه جلالة لا غير ؛ من غير
ذهاب بالقبضة واليمين إلى جهة
حقيقة أو جهة مجاز . فهو تمثيل
لحال عظمته تعالى ، ونفاذ
قدرته - بحال من يكون له قبضة
فيها الأرض جميعاً ، ويمين بها
يطوي السماوات . وقيل : هو
تنبيه على مزيد جلالته وعظمته
تعالى ؛ بإفادة أن الأرض كلها مع
عظمها وكثافتها في مقدوره ،
كالشيء الذي يقبض عليه القابض
بكفه . فالحبضة مجاز عن الملك
أو التصرف ؛ كما يقال : هو في يد
فلان وفي قبضته ، للشيء الذي
يهُون عليه التصرف فيه وإن لم
يقبض عليه . واليمين : مجاز عن
القدرة التامة . والسلف - كما
ذكره الآلوسی - يذهبون إلى أن
الكلام تنبيه على مزيد جلالته
وعظمته ، ورمز إلى أن آلهتهم -
أرضية أم سماوية - مقهورة لله
تعالى . إلا أنهم لا يقولون بالتجوُّز
بالقبضة عن الملك أو التصرف ، بل
ولا باليمين عن القدرة ؛ بل
ينزّهونه تعالى عن الجوارح
والأعضاء ، ويؤمنون بما نسبته
تعالى إلى ذاته بالمعنى اللائق به
الذي أراده سبحانه . قال

- الخطابي : ليس عندنا معنى اليد
الجارحة ، إنما هي صفة جاء بها
التوقيف ؛ فنحن نطلقها على ما
جاءت لا نكفيها ، وننتهي إلى
حيث انتهى بنا الكتاب والأخبار
المأثورة . وقال سفيان بن عيينة :
كل ما وصف الله به نفسه في كتابه
فتفسيره : تلاوته وال سكوت
عليه .
٦٨ - ﴿وَنَفَخَ فِي الصُّورِ﴾ أي في
القرن ، النفخة الأولى التي بها
الموت . ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ خَرَّ
مَيِّتًا مَنْ كَانَ حَيًّا فِيهَا . ﴿ثُمَّ نَفَخَ
فِيهِ أُخْرَى﴾ نفخة البعث .
﴿يَنْظُرُونَ﴾ ينتظرون ماذا يفعل
بهم .
٦٩ - ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ أي
صحائف الأعمال في أبدى
أصحابها ؛ فأخذ بيمينه وأخذ
بشماله .
٧١ - ﴿زُمَرًا﴾ جماعات متفرقة
بعضها في إثر بعض . جمع زُمرة
وهي الجماعة القليلة ؛ ومنه شاة
زَمرة : أي قليلة الشعر . ورجل
زَمِرٌ : أي قليل المروءة .
﴿حَقَّتْ﴾ وجبت وثبتت .
٧٢ - ﴿مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾
ماوى المتكبرين عن طاعة الله .
٧٣ - ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ أي
وقد فتحت أبوابها . والجملة
حالية ، وجواب (إذا) مقدّر بعد
(خالدين) ، أي سَعِدُوا أو

وجوانبه : جمعٌ خافٍ وهو
المُحْدِقُ بالشئ . يقال :
حَفَفْتُ بالشئ ، إذا أَحَطْتُ
به ، مأخوذ من الحِفَاف وهو
الجانب . والله أعلم .

سُورَةُ غَافِرٍ

١ - ﴿حَم﴾ من المتشابه الذي
استأثر الله بعلمه . وقيل : اسمٌ
من أسمائه تعالى ، أو من أسماء
القرآن . والسُّورُ المبتدأة بها سبعٌ
متواليات ، كلها مكيةٌ إلا آيات .
وتسمى آل حَم ، أو ذوات
حَم ، أى السُّورُ المصحوبة بهذا
اللفظ . كما تسمى الحواميم .

٣ - ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ ..﴾ هو وما
بعده صفاتٌ للاسم الجليل .
وكلها للترغيب إلا الثالثة فإنها
للترهيب . ومجموعها للحث على
ما هو المقصود من إنزال
الكتاب ، وهو المذكور بعد :
من التوحيد والإيمان بالبعث
المستلزم للإيمان بما سواهما ،
والإقبال على الله تعالى . و«غافر»
أى سائر ، من العَفْرِ وهو السُّرُّ

أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾
وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا
جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
طِبِّتُمْ فَأَدْخَلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ
نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ
مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ
بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

(٤٠) سُورَةُ غَافِرٍ مَكِّيَّةٌ

الْآيَاتُ ٥٦ وَ ٥٧ فَدُنِّيَّتَانِ
وَأَيَّاهَا ٨٥ نَزَلَتْ بَعْدَ الزُّمَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٧٢﴾
غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ
اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبَلَدِ ﴿٧٤﴾

فازوا . ﴿طِبِّتُمْ﴾ طَهَّرْتُمْ مِنْ وَاحِدٍ مِّنَا مِنْ جَنَّتِهِ الْوَاسِعَةِ حَيْثُ
دَنَسَ الْمَعَاصِي . يَرِيدُ .

٧٤ - ﴿صَدَقْنَا وَعْدَهُ﴾ أَنْجَزْنَا مَا ٧٥ - ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ﴾
وَعَدْنَا مِنَ النِّعَمِ . ﴿نَتَّبِعُوهُ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ مُحَدِّقِينَ
الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ أَيُّ نَزَلَ كُلُّ مَحِيطِينَ بِالْعَرْشِ ، مُصْطَفِينَ بِحَافَتِهِ



كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْرَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٦﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٧﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٨﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ قِيَ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ

والتغطية . يقال : غفر الله ذنبه يغفره غفرًا ومغفرةً وغفرانًا وغفيرًا ، غطى عليه وعفا عنه . والذنب : كلُّ فعل تُستَوْحَم عقابه ؛ أخذًا من ذنب الشيء . وجمعه ذنوب . والله تعالى غافرٌ وغفارٌ وغفورٌ وذو مغفرةٍ للذنوب . ﴿ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾ أى الرجوع عن الذنب والتوبة منه . مصدرٌ كالأوب بمعنى الرجوع . أو اسمٌ جمع لتوبة . ﴿ ذِي الطَّوْلِ ﴾ ذى الفضل بالثواب والإنعام . أو بهما وبترك العقاب . والطول : السعة والغنى . أو القدرة أو الإنعام .

٤ - ﴿ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴾ أى تصرفهم فيها بالتجارات الراجعة ، وسلامتهم فيها مع كفرهم ، فإنه استدراج ، وعمًا قريب يؤخذون بكفرهم أخذًا من سبقهم من الأمم المكذبة . وهو تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم ، ووعدٌ لهم بسوء العاقبة . والتقلب : الخروج من أرض إلى أخرى .

٥ - ﴿ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾ لِيُزِيلُوا وَيُطْلُوا بِهِ الْحَقَّ الَّذِي جاءهم به الرسل [آية ٥٦ الكهف ص ٣٨٣] .

٦ - ﴿ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾ أى كما وجب حكمه تعالى بالإهلاك على الأمم الماضية المكذبة ، وجب على الذين كفروا من قومك فلا تحزن . وهو وعيدٌ لهم .

٧ - ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ ﴾ أى الملائكة الحاملون للعرش والخائفون به ﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ أى ينزهونه تعالى عن كل مالا يليق بجلاله ، متلبسين بالثناء عليه . ﴿ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ إيمانًا كاملاً ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ مثلهم ، فهم مشابرون على ولاية المؤمنين ونصرتهم . وفى هذا تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتعزيزٌ للمؤمنين . ويقال لهؤلاء الملائكة : الكروبيون - أى الأقربون - جمع كروبي ، من كَرَبَ بمعنى قَرَّبَ . ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ ﴾ استغفارهم ذلك . ﴿ فَاغْفِرْ ﴾ بمقتضى سعة رحمتك وعلمك ﴿ لِلَّذِينَ تَابُوا ﴾ أى علمت منهم التوبة من الذنوب . واتباع سبيل الهدى الذى دعوت إليه ﴿ وَقِهِمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ احفظهم منه .

٨ - ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ أى إقامة ، من عدن بالمكان يَعْدِنُ وَيَعْدُنُ عَدْنًا ، إذا لزمه فلم يبرح منه .

١٠ - ﴿لَمَقْتُ اللَّهَ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ...﴾ أى يقال للكفار وهم فى النار : وقد مقتوا أنفسهم الأثارة بالسوء التى أوقعتهم فى هذا العذاب الأليم : - لمقت الله إياكم أعظم وأشد من مقتكم أنفسكم اليوم ؛ لأنكم قد دُعيت إلى الإيمان به مراراً فأبيتُم وكفرتم . والمقت : أشدُّ البغض . يقال : مقتَه مقتاً ومقتَه : فهو مقتب وممقت .

١١ - ﴿أَمْثَلْنَا اثْنَيْنِ﴾ أرادوا بالأولى : خلقهم مادة لا روح فيها وهم فى الأرحام . وبالثانية : قبض أرواحهم عند انقضاء أجلهم . والإماتة : جعلُ الشيء عادم الحياة ، سبق بحياة أم لا . ﴿وَأَخْيَيْنَا اثْنَيْنِ﴾ أرادوا بالأولى : نفخ أرواحهم فى أبدانهم وهى فى الأرحام . وبالثانية : نفخ الأرواح فيها يوم البعث والنشور . وهو نظير قوله تعالى : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ (١)

١٢ - ﴿تُؤْمِنُوا﴾ تدعوا وتقروا بالشرك .

١٣ - ﴿يُنِيبُ﴾ يرجع إلى التفكير فى الآيات .

١٤ - ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ خطابٌ للمؤمنين . أى إذا كان الأمر كما ذكر من اختصاص التذكير بمن ينيب ؛ فاعبدوه أيها المؤمنون مخلصين له دينكم . ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ وإن

فَقَدَرِ حَتَّهُ ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَلَّيْتُمْ فَالْحُكْرُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلْ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذْ

ومنه المعدن المعروف لاستقراره فى الأرض . ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ...﴾ أى وأدخل معهم فى جنات عدن هؤلاء ؛ ليكمل سرورهم . ويستضاعف ابتهاجهم . ٩ - ﴿وَقِهِمْ﴾ أى هؤلاء الأتباع

غاضهم ذلك منكم :

١٥ - ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ أى هو تعالى المرتفع بعظمته فى صفات جلاله وكماله ووحدانيته عن كل ما سواه . ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ أى خالقه ومالكة . ﴿يُلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ﴾ أى هو يُنزل الوحي أو الكتب المنزلة بقضائه . أو ينزل جبريل عليه السلام من أجل تبليغ أمره تعالى . ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ يوم القيامة الذى يلتقى فيه الأولون والآخرون .

١٦ - ﴿هُمْ بَارِزُونَ﴾ خارجون من القبور ظاهرون لا يستترهم شيء . ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ..﴾ السائل والمجيب هو الله تعالى . وقيل : المجيب أهل المحشر جميعاً .

١٨ - ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ يوم القيامة . وأصل معنى الآزفة : القربة ، من أزف الرجل - كفح - أزفاً وأزوقاً : دنأ وقرب ، ثم جعلت اسماً للقيامة لقربها بالإضافة إلى ما مضى من عمر الدنيا أو لما بقى .

إذ ﴿الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ إذ قلوبهم مرتفعة عن مواضعها من صدورهم . متشبثةً بملقوقهم . والحناجر : جمع حنجور أو حنجرة . وهى الحلقوم . ﴿كَاطِمِينَ﴾ مُسْكِنِينَ عليها لا تخرج مع أنفاسهم ، كما يمسك صاحب القربة فمها لئلا يهراق الماء [آية ١٣٤ آل عمران ص ٩٥] . وهو كناية عن شدة

الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمَزْنَ وَقُرُونِ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾

الفرع وفرط الغم . ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ﴾ قريب مشفق . يقال : احتم فلان لفلان . أى احتد ؛ فكانه الذى يحتد حامية لذويه . ومنه قيل الخاصة الرجل : حاتمته ؛ ولذا فسر الحميم بالصدق .

٢١ - ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ أى من دافع يدفع عنهم عذاب الله ويحفظهم منه . يقال : وقاه وقاية . أى صانه

فالقُتل وقع مرتين . ﴿ واستحيوا نساءهم ﴾ أى استبقوا الإناث من أولادهم للخدمة كما فعلتم من قبل . ﴿ ضلال ﴾ ضياع وخسران .

٢٧ - ﴿ إني عذتُ بربي وربكم ﴾ لجأت إليه واستجرت به من شر كل مستكبر عن الإذعان للحق ، كافر بالبعث والجزاء . يقال : عاذ به واستعاذ ، لجأ إليه واستجار به .

٢٩ - ﴿ ظاهرين في الأرض ﴾ غالبين عالين على بني إسرائيل في أرض مصر ؛ لا يقاومكم أحد في هذا الوقت . ﴿ فمن ينصرتنا من بأس الله ﴾ أى عذابه ﴿ إن جاءنا ﴾ فلا تتعرضوا بقتله لعذاب الله ونقمته . ﴿ ما أريكُم ﴾ ما أشير عليكم برأى إلا بما أرى من قتله .

٣٠ - ﴿ الأحزاب ﴾ الأمم الماضية المتحيزة على الأنبياء .

٣١ - ﴿ دأب قوم نوح ﴾ عادتهم في الإقامة على التكذيب ؛

٣٢ - ﴿ يوم التناد ﴾ يوم القيامة الذى يكثر فيه نداء أهل الجنة أهل النار وبالعكس . والنداء بالسعادة لأهلها ، وبالشقاوة لآخرين . ونداء الكفار بعضهم بعضاً للاستغاثة وللثخاصم .

٣٣ - ﴿ ما لكم من الله من عاصم ﴾ مانع يمنعكم من عذابه . يقال : عَصَمَهُ الطعام ، منعه من الجوع . واعتصم بالله : امتنع بلفظه من المعصية .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾
وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿٢٨﴾ يَنْقُومَ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَنْقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَنْقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُؤَلَوْنَ مَذْبِرَيْنِ مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ

وحفظه . ومنع عنه ما يضره . وهو وعيد شديد للمكذبين .
٢٥ - ﴿ قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه ﴾ أى قال فرعون ومن معه : أعيذوا على بني إسرائيل ما كنتم تفعلونه بهم أولاً من قتل الذكور من أولادهم كى تصدوهم عن مظاهرة موسى .

٣٤ - ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ...﴾ هو يوسف بن يعقوب عليها السلام . وكان مجيئه إلى آبائهم ؛ فَنَسَبَ ما لِلآبَاءِ إِلَى الْآبَاءِ ، لاشتراكهم جميعاً في الضلال والتكذيب . ﴿مُرْتَابٌ﴾ في دين الله شاك في وحدانيته .

٣٥ - ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ...﴾ مبتدأ خبره (كبر) والفاعل ضمير راجع إلى الجدال المفهوم من (يجادلون) ؛ أى كبر جدالهم . ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ بغير برهان وحجة (مقتاً) تمييز محوّل عن الفاعل ؛ أى عظم بُغْضاً جدالهم عند الله وعند المؤمنين .

٣٦ - ﴿يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْخًا﴾ [آية ٣٨ القصص ص ٤٩٤] . ﴿صَرْخًا﴾ قصراً . أو بناء عالياً ظاهراً . ﴿أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ الابواب أو الطرق .

٣٧ - ﴿أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾ أى طرقها وأبوابها ؛ جمع سَبَب وهو كل ما يتوصّل به إلى الشيء . ﴿فَأَطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ فأنظر إليه . ﴿وَإِنِّي لَأُظَنُّ كَاذِبًا﴾ في إثبات إله غيرى . والمراد بالظنّ : اليقين ؛ لقوله في آية القصص : (مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي) مريداً به نفى وجود إله غيره . وقد أسلفنا في تفسيرها : أَنَّ أَمْرَهُ بِنَاء الصَّرْحِ وَرَجَاءَهُ الْإِطْلَاعَ عَلَى إِلَهِ مُوسَى مِنْ ضُرُوبِ التَّهَكُّمِ وَالشُّخْبَةِ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ . ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ وما مكروهه واحتياله في إبطال آيات

مِنْ قَبْلِ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كِبَرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرْخًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأُظَنُّ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الدُّنْيَا مَتْنٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ وَأُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ * وَيَقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي

٤٣ - ﴿لَا جَرَمَ...﴾ حقّ وثبت يقال : تَبَّ اللَّهُ فلاناً . أى أنه ليس لاهتكم دعوة أصلاً ؛ أهلكه . وثبتّ بداهة : خسرنا . فليست آلهة حقّة [آية ٢٢ هود ص ٢٨٩] . ﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ﴾ ٤٠ - ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بلا نهاية مستجابة . أو استجابة دعوة . من الرازق لما يعطى . ﴿مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾ رجوعنا بعد



الموت إليه تعالى للجزاء .

٤٥ - ﴿وَحَاقَ﴾ أحاط أو نزل .

٤٦ - ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ أى تعرض أرواحهم عليها فى الغدوة والعشى . والمراد : دوام عذابها فى البرزخ إلى قيام الساعة . وفى الآية إثبات لعذاب القبر .

٤٧ - ﴿مُغْنُونَ عَنَّا﴾ دافعون أو حاملون عنا .

٥١ - ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ أى شأننا دائماً أن نصر رسلنا وأتباعهم فى الدنيا بالحجة والظفر ، والانتقام لهم من المكذبين بالعقوبات القاسية . وفى الآخرة كما قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ الحفظة والأنبياء والمؤمنون . جمع شهيد أو شاهد ، يشهدون للرسول بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب .

٥٢ - ﴿مَعَذِرَتُهُمْ﴾ عذرهم أو اعتذارهم حين يعتذرون .

٥٥ - ﴿وَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أى دم على التسبيح والتحميد لربك . أوصل لربك ﴿بِالْعَشِيِّ﴾ ، وهو من بعد الزوال إلى الليل ﴿وَالْإِبْكَارِ﴾ . وهو من طلوع الفجر الثانى إلى طلوع الشمس . والمراد الدوام عليه . وقيل : هو أمر بالصلوات الخمس .

٥٦ - ﴿سُلْطَانٍ﴾ حجة وبرهان . ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبِيرٌ﴾ أى ما فى قلوبهم إلا تكبر عن

لَا تُكْفِرُ بِاللَّهِ وَأَشْرَكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفِيرِ ﴿٤٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٩﴾ فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٥٠﴾ فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّامَكُرُوا وَحَاقَ بِقَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٥١﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ يَتَحَاوَنُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٥٣﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٥٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٥٥﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَدْعُنَا إِلَى الْبَيْتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٦﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٩﴾ هُدًى وَذِكْرًا لِلأُولَى

الحق ، وتعاضلهم عن التعلم وأنفة عن الطاعة ، وهو الذى حملهم على التكذيب . ﴿ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ ﴾ أى بالغى مقتضى ذلك الكبر وموجهه ، وهو الرياسة أو النبوة .

٥٧ - ﴿ لَخَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .. ﴾ أى لخلقها أعظم من خلقه تعالى الإنسان ، فمن قدر على الأعظم فهو على خلق ما لا يعد شيئا بالنسبة إليه بدءا وإعادة أقدر وأقدر !

٥٨ - ﴿ وَمَا يَسْتَوِى الْأَعْمَى ﴾ فلا بد أن يكون لهم حال أخرى يظهر فيها ما بين الفريقين من التفاوت ، وهى فيما بعد البعث .

٦٠ - ﴿ سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ صاغرین أذلاء [آية ٤٨ النحل ص ٣٤٧ ، ٣٤٨] .

٦١ - ﴿ اللَّهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ .. ﴾ ذكر فى هذه الآية وما بعدها ستة أدلة على قدرته تعالى على البعث ، توجب الإقرار به وتوحيده فى العبادة .

٦٢ - ﴿ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ فكيف تصرفون عن عبادته عز وجل إلى عبادة غيره .

٦٣ - ﴿ يُؤْفَكُ ﴾ بصرف عن التوحيد الحق .

٦٤ - ﴿ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ مستقرا تعيشون فيها . ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَاءً ﴾ كالقبة المضروبة على الأرض من غير عمد ولا حامل . ويطلق البناء

الْأَلْبَبِ ﴿ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لَذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿ نَخْلُقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ وَمَا يَسْتَوِى الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿ اللَّهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ الْبَلِيلَ لِنَسْكَوْنَا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلِيقَ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿ اللَّهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿ هُوَ الْحَىُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿



أى أسلم أمرى له تعالى وأنقاد لحكمه . أو أخلص توحيدى له .

٦٧ - ﴿نُطْفَةٍ﴾ مَنِى . ﴿عَلَقَةٍ﴾ قطعة دم جامد . ﴿ثُمَّ لَتَبَلُّوْا أَشْدَّكُمْ﴾ أى ثم يُثَبِّتُكُمْ لتكامل قواكم . ويتناهى شبابكم . ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ عن ربكم أنه يثبِّتكم كما أماتكم ، ويعيدكم كما بدأكم .

٦٨ - ﴿فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ [آية ١١٧ البقرة ص ٢٩] .

٦٩ - ﴿أَنَّىٰ يَصْرُقُونَ﴾ كيف يصرقون عن آيات الله الواضحة ، الموجبة للإيمان بها ، إلى الجحود والتكذيب ، والجدال الباطل فيها .

٧١ ، ٧٢ - ﴿إِذَا الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ أى فسوف يعلمون عقوبة تكذيبهم ، إذ الأغلال والسلاسل في أعناقهم يُجرّون بها في الحميم ، ثم في النار يُحرقون فيكونون وقودها .

(والأغلال) : جمع غلٍّ ، وهو القيد يوضع في اليد والعنق فيجمعها ، ولذا يسمّى الجامع (والسلاسل) : جمع سلسلة ، من تسلسل الشيء : اضطرب . كأنه تصوّر منه تسلسل متردّد تردّد لفظه تنبيها على تردّد معناه . ومنه ماء سلسل : أى تردّد في مقرّه حتى صفا . ﴿والحميم﴾ الماء البالغ غاية الحرارة .

﴿يُسْجَرُونَ﴾ توقد أو تملأ بهم من سجر التنوير : إذا ملأه وقودا .

* قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أُعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشْدَّكُمْ ثُمَّ لَسَوْكُمْ شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّىٰ مِنْ قَبْلٍ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ تَرَىٰ إِلَى اللَّهِ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يَصْرُقُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلًا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذَا الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾

على ما يقيمه العرب من القباب . وتعظم . أو كثر خيرُه وإحسانه . للسكنى ، وإطلاقه على السماء . ٦٥ - ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أى الطاعة . ٦٦ - ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ ..﴾ ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ تعالى بذاته

٧٥ - ﴿تَفْرَحُونَ﴾ تطرون وتأسرون . ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ تتوسعون في الفرح بما أوتيتهم من النعم حتى نسيت الآخرة .
٧٦ - ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ فبئس مقامهم جهنم لتكبرهم عن الحق ؛ من توى بالمكان : إذا أقام به .

٧٧ - ﴿فَأَمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ..﴾ أى فإن ترك بعض الذى نعدهم به من القتل والأسر فذاك . أو توفيتك قبل ذلك ﴿فَالْيَتَا يُرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم .

٧٨ - ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾ فالمعجزات على تشعب فتونها عطايا من الله ؛ قسمها بين رُسُلِهِ ؛ حسب اقتضته مشيئته تعالى المبينة على الحكيم البالغة ؛ ليس لهم فيها اختيار . فليس لى أن أتى بآية مما اقترحتم إلا أن يأذن الله بها .

٧٩ - ٨٠ - ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ﴾ المراد بها الإبل خاصة . ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ أى أمرا ذا بال تهتمون به ؛ كحمل الأثقال والأسفار .

٨١ - ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ الدالة على كمال قدرته ؛ بحيث تشاهدونها في كل شيء إذا استعلمتم عقولكم ، وتجردتم من أهوائكم . ﴿فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ أى ليس شيء من هذه الآيات يستطيع عاقل إنكاره

فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾
اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَكَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا

لوضوحها ! . والاستفهام للتوبيخ .
٨٢ - ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا ..﴾ أى أقعدوا فلم يسيروا في أقطار الأرض ؛ فينظروا كيف كان عاقبة الأمم المكذبة ، كعاد وثمود قوم لوط وأصحاب مدين وغيرهم . ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ﴾ فادفع عنهم وما نفعهم .
٨٣ - ﴿فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أى فرح الكفار بما لديهم من العلوم بأمر الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها . واستهزأوا بعلوم الدين لما فيها من قع الأهواء والحد من الشهوات . واعتقدوا أنه لا علم أنفع من علومهم ففرحوا بها . ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ أحاط ، أو نزل بهم جزاء ﴿مَا كَانُوا بِهِ

بيان صفاته وأفعاله تعالى ،
وبعضها في عجائب خلقه في
العوالم كلها ، وبعضها في
الأحكام ، وبعضها في المواعظ
والأخبار ، وبعضها في التبشير
والإنذار ، وبعضها في رياضة
النفوس وتهذيبها ، وغير ذلك من
الفنون والعلوم التي لا تحصى .

٥ - ﴿ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ﴾ أغطية
متكاثفة فلا تفقه ما تقول . جمع
كِنَان . ﴿ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ﴾ صمم
يمنع من استماع قولك . ﴿ وَمِنْ
بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ ﴾ سائر وحاجز
منيع يمنع التواصل بيننا . وهو
تمثيل لنُبُو قلوبهم عن إدراك الحق
وقبوله . ومعج أسماعهم له ،
وامتناع موافقتهم للرسول صلى الله
عليه وسلم ، لتباعد ما بين
المذهبين .

٦ - ﴿ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ ﴾ فالزموا
الاستقامة في طريقكم إليه تعالى
بالإيمان به ، وطاعته والإخلاص
في عبادته . ﴿ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾
هلاك وخزي لهم لشركهم بهم .
٨ - ﴿ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ غير
مقطوع عنهم ، من مَمْنُون
الحنبل : إذا قطعت . أو غير
منقوص عما وعدهم الله به .

٩ - ﴿ قُلْ إِنَّا نَكْفُرُونَ بِالَّذِي
خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ أي
أوجدتها في مقدار يومين من أيام
الدنيا . وقيل : اليوم منها كالف
سنة من أيامنا . والآية : تنديد
بالمشركين ، لتأديبهم في الشرك مع
ظهور الدلائل الموجبة للإيمان

ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُفَّا بِهِ ءُ مُشْرِكِينَ ﴿٥٥﴾ فَلَمْ
يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسًا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ
خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَاكَ الْكَافِرُونَ ﴿٥٥﴾

(٤١) سُورَةُ فَصَّلَتْ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَاتُهَا ٥٤ نَزَلَتْ بَعْدَ غَافِرٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ
فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾
بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾
وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا
وَقُرْءَانٍ مِّنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاَعْمَلْ إِنَّا نَحْمِلُونَ
قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىَّ أَنْمَأ إِلَهُكُمْ إِلَهُ
وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾
الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ

سُورَةُ فَصَّلَتْ

وُسْمَى حَمْدُ السَّجْدَةِ

٣ - ﴿ كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ ﴾
مُيِّرَتْ آيَاتُهُ : لفظاً بفواصل
ومقاطع ، ومعنى بكون بعضها في

يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾

٨٤ - ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَاسًا ﴾ عابوا
في الدنيا شدة عذابنا . وأصل
البأس : الشدة والمكروه .

٨٥ - ﴿ خَلَتْ ﴾ مضت . والله
أعلم .



مَمْنُونٌ ﴿٨﴾ * قُلْ أُنْكُرُ لَكُمْ كُفْرُوكَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ
فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾
وَجَعَلَ فِيهَا رُوسًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا
أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ أَسْتَوَى
إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا
أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ
سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأُوحِيَ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرًا وَزَيْنًا
السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصْصِيحٍ وَحِفْظٍ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً

بِوَحْدَانِيَّتِهِ تَعَالَى وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ .
﴿أَنْذَادًا﴾ أمثالاً من مخلوقاته
تعبدها .

١٠ - ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُوسًا﴾
جبالاً ثوابت ﴿مِنْ فَوْقِهَا﴾ لثلا
تميد وتضطرب ﴿وَبَارَكَ فِيهَا﴾
جعلها مباركة قابلة للخير ؛
كالإنبات وإخراج ما ينفع الناس .
﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ جعل
أقوات أهلها التي يحتاجون إليها في
معاشهم على مقادير معينة ؛
بحيث جعل في كل قطر ما يناسب
أهله ؛ ليكون الناس محتاجاً
بعضهم إلى بعض فيما يرتفقون به .
وهو سبب عمارة الأرض ونظام
العالم . ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أى
خلق ما في الأرض في تمام أربعة
أيام ﴿سَوَاءً﴾ مستوية كاملة .
مصدر مؤكد لمُضْمَرٍ هو صفة
لـ «أيام» ، أى استوت سواء أى
استواء ؛ وقيدت به لدفع توهم
التجوّز بإطلاقها على ما دونها
بقليل . ﴿لِلْسَّائِلِينَ﴾ أى قدر فيها
أقواتها لأجل الطالبين لها ؛
المحتاجين إليها من المُفْتَاتِنِ . فمُدَّةُ
خلق كلٍّ من الأرض وما فيها
مقدارٌ يومين . وتمامُ المُدَّتَيْنِ
أربعة أيام كاملة .

١١ - ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾
أى قصد إلى خلقها وإيجادها .
وظاهر هذه الآية وآية (هُوَ الَّذِي
خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ
أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ
سَمَوَاتٍ) ^(١) يدلُّ على تقدُّم خلق
الأرض وما فيها على خلق السماء

(١) آية ٢٩ البقرة .

وما فيها ؛ وإليه ذهب جمهورُ
المفسرين . وقيل : إن خلق
السماء متقدِّم على خلق الأرض ؛
أخذاً بظاهر قوله تعالى في سورة
النازعات : «بَعْدَ ذَلِكَ دَخَاهَا»
أى بسطها . ووفق بعضهم بين
ظواهر الآيات ؛ كما روى عن ابن
عباس بأن الله خلق الأرض قبل
خلق السماء . ثم خلق السماء ثم
دحا الأرض بعد ذلك . واعترض
عليه بأن آية البقرة صريحة في خلق
ما في الأرض قبل خلق
السموات . ومعلوم أن خلق ما
فيها إنما هو بعد الدحو ؛ فكيف
يكون الدحو متأخراً عن خلق
السموات ؟! ولذلك رجح

الجمهور القول الأول ، وأولوا
قوله تعالى : «وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ
دَحَاهَا» بما سيأتي بيانه في تفسيرها
بمشيئته تعالى . ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾
مكونة مما يشبه الدخان . ﴿فَقَالَ
لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا ..﴾ أخرجنا ما
خلقتُ فيكما من المنافع لمصالح
العباد . ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾
فعلنا ما أمرتنا به منقادين ؛ وهو
تصويرٌ لافعالها بالقدرة الإلهية .
١٢ - ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ
سَمَوَاتٍ﴾ ففرغ من تسويتهن على
أبدع صورة وأحكم وضع ﴿فِي
يَوْمَيْنِ﴾ أى في مقدارهما ؛ فمُدَّةُ
الخلق كلها ستة أيام ؛ كما قال
تعالى : (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ

١٣ - ﴿أَنْذَرْتَكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ

صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ عذاباً مهلكاً مثل عذابهم . والصاعقة في الأصل : كل ما أفسد الشيء وغيره عن هيئته . وتطلق على الصيحة التي يحصل بها الهلاك .

١٦ - ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا

صَرَصْرًا﴾ شديدة السموم ؛ من الصر - بالفتح - وهو شدة الحر .

أو شديدة البرودة مهلكة ؛ من

الصر - بالكسر - وهو شدة البرد

الذي يصير ؛ أى يجمع ظاهر جلد

الإنسان ويُبْقِضُهُ . أو شديدة

الصوت ؛ من صر يصر صراً

وصريراً : إذا صوت وصاح

بشدة . والحق أنها تجمع

الشدتين . ﴿فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ﴾

مشائيم عليهم . استمرت بهم

حتى أيدوا . جمع نجسة صفة

مشبهة ؛ من نحس - كفح

وكرم - ضد سعد . وهى أيام

الحسوم ، وتسمى أيام العجز .

وقرى «نحسات» بسكون الحاء

للتخفيف . ﴿أُخْرَى﴾ أشد

إذلاً وإهانة .

١٧ - ﴿فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ بينا لهم

طريق الضلال والرشد .

﴿فَأَخَذْتَهُمْ صَاعِقَةً الْعَذَابِ

الهُونِ﴾ أى الهوان والذل ؛

وصف به العذاب مبالغة . أو بمعنى

المهين .

١٩ - ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يُسْتَوْفَى

مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ

بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ

شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾

فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ

أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أُولَئِكَ زُجِرُوا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ

أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا

عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرَصْرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَبْلِيَهُمْ عَذَابَ

الْآخِرَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى

وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا

الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ

بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا

يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ

يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ

وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا

لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ

كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ

أَيَّامٍ ﴿١﴾ . ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ

سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ أى خلق في كل منها

ما اقتضت حكمته أن يكون فيها من

الملائكة والنباتات وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالى . ﴿وَحِفْظًا﴾ أى وحفظناها حفظاً من الاختلال والاضطراب والسقوط .

فالأكابر جُرْمًا . وهو كناية عن كثرتهم ؛ من الوزع وهو المنع . أو يُساقون ويدفعون إلى النار [آية ١٧ التمل ص ٤٨١]

٢٢ - ﴿وَمَا كُنْتُمْ تُسْتَرُونَ...﴾ أى تقول لهم جوارحهم يوم القيامة حين يلمونهم على الشهادة عليهم : ما كنتم فى الدنيا تخفون شيئاً عني : مخافة أن تشهد عليكم بما تركبون من الكفر والمعاصي ؛ لأنكم كنتم غير عالمين بشهادتنا عليكم . بل كنتم تستترون بالحيطان والحجب ؛ لاعتقادكم أنه تعالى لا يعلم خفيات أعمالكم ؛ وهذا هو الذى أهلككم فأصبحتم فى

الآخرة من الخاسرين .
٢٣ - ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ وهو اعتقادكم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ؛ وهو ما تخفونه . ﴿أَرَادَاكُمْ﴾ أهلككم ؛ وهو خبر «ذلكم» . يقال : ردى - كصدى - هلك . وأزاده غيره : أهلكه .

٢٤ - ﴿وَإِنْ يَسْتَعْجِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ وإن يطلبوا الرضا فما هم من المَرْضَى عنهم ؛ بل لابد لهم من الثواء فى النار . أو إن يسألوا العُتْبَى وهى الرجوع إلى ما يرضى الله تعالى جزاءً مما هم فيه ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ أى المجابين إليها [آية ٨٤ النحل ص ٣٥٣] .

٢٥ - ﴿وَقِضْنَا لَهُمْ قُرْآنًا﴾ هيئنا وسببنا لهم من حيث لم يحتسبوا قرآنًا سوءً من الجن والإنس ؛

وَمَا كُنْتُمْ تُسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْكَ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصْبرُوا فَالنَّارُ مَشْوَى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْجِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ * وَقِضْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لِنَجْعَلَهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ

يضلونهم بالإغواء . ويستولون عليهم استيلاء القبيض على البيض . والقبيض : قشر البيض الأعلى . يقال : قبض الله فلاناً لفلان ؛ جاءه به وأتاحه له . والقرآن : جمع قرين وهو الظير . ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ وجب وتحقق مقتضاه ؛ وهو قوله تعالى لإبليس : (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ) ^(١) .

٢٦ - ﴿وَالْغَوْا فِيهِ...﴾ الثوا فى



سوء أحوال الكافرين فيها : أى قالوا ذلك اعترافاً بربوبيتهم ، وإقراراً بوحدانيته ﴿ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ أى ثبتوا على الاستقامة فى أمر الدين والتوحيد .

٣١- ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴾ تطلبون وتتمنون لأنفسكم [آية ٥٧ يس ص ٥٦٢] .

٣٢- ﴿ تَزُلَّ مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴾ أى رزقاً وضيافة مهيأة لكم من الله تعالى . والنزل : هو القرى الذى يهبط للضيف النازل لإكرامه .

٣٤- ﴿ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ صديق قريب مضاف لك .

٣٥- ﴿ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ أى ما يؤتى هذه الحصلة الشريفة إلا الذين فيهم خلق الصبر على المكاره ، وكظم الغيظ وترك الانتقام .

٣٦- ﴿ وَإِنَّمَا يَتَرَفَعُ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ ﴾ أى وإن تعرض لك من الشيطان وسوسة ، تصرفك عن تلك الحصلة الشريفة فاستعد بالله [آية ٢٠٠ الأعراف ص ٢٣١] .

٣٧- ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ ﴾ رُدُّ عَلَى عَنَدِهِ الشمس والقمر ، كالصائبة الذين يعبدون الكواكب .

٣٨- ﴿ فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ هم الملائكة . والعندية : عندية مكانة وتشريف ، لا عندية مكان فهي على حد : (أنا عند ظنِّ عبدى بى) . ﴿ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾ لا يملكون تسيحه وعبادته ، من السامة وهى الملالة والضجر مما

قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا نَتَزَلُّ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٥﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣٦﴾ تَزُلَّ مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٧﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٩﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَإِنَّمَا يَتَرَفَعُ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٤٢﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٤٣﴾

القرآن أثناء تلاوة محمد [صلى الله عليه وسلم] له باللغو ، وهو ما لا معنى له ، من نحو الصباح والمساء والتصدية : لعلكم تغلبونه على القراءة . يقال : لَغَى يَلْغَى - إذا تكلم باللغو .

٢٩- ﴿ الْأَسْفَلِينَ ﴾ فى الدرك الأسفل من النار .

٣٠- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ شروع فى بيان حسن أحوال المؤمنين فى الدارين ، بعد بيان



يُكَرِّرُ فعله [آية ٢٨٢ البقرة ص ٦٩]. يقال : سَمَّ الشيءَ ومنه يَسَامُ سَامًا وسَامًا وسَامَةً وسَامَةً . أى ملكه .

٣٩ - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ أى ومن آياته الدالة على قدرته على البعث ﴿أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ يابسة جامدة ؛ من خشعت الأرض : يبست ولم تُنْطَر . ويقال : أرضٌ خاشعةٌ : أى متعبئةٌ منهشمةُ النبات . وبلدةٌ خاشعةٌ : أى مُعبَّرةٌ لا مَثَرٌ بها . ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾ تحركت بالنبات قبل بروزه على سطحها وبعده . ﴿وَرَبَّتْ﴾ انتفخت وعلت ؛ لأن النبات إذا دنا أن يظهر ارتفعت له الأرضُ وانتفخت ، ثم تصدعت عنه . يقال : هَرَّ الشيءُ فاهتز ، حَرَكَه فتحرك ؛ وبابه رَدَّ . وربما الشيءُ : زاد ؛ وبابه عدا .

٤٠ - ﴿يُلْجِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ يَمِيلُونَ عما يليق فى شأن آياتنا بالطعن والتحريف والتأويل الباطل ، واللغو فيها ؛ من الإلحاد وهو الميل عن الاستقامة [آية ١٨٠ الأعراف ص ٢٢٨] .

٤١ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ خبر «إن» محذوفٌ لدلالة السَّيَاق عليه . ويقدر بعد قوله : «حميد» أى يخلدون فى النار . أو يعذبون ونحوه .

٤٤ - ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَبًا﴾ أى ولو أنزلناه بلغة العجم ؛ كما قالوا : هَلَّا أنزل

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَاِبَتٌ عَرِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَبًا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ

القرآن بلغة العجم ؟ ﴿لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ هَلَّا بُيِّنَتْ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ نفهمه ! ولقالوا منكربين : ولا أعجبًا لفرط تعنتهم ! . أقرآن أعجميٌّ ورسولٌ عَرَبِيٌّ ! والاعجميُّ : يُطلق على الكلام قاصدين بذلك إنكار القرآن من أصله . فهم لا يؤمنون به لا عربيًا



فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ * إِلَيْهِ يَرُدُّ عِلْمُ
السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ
أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ
قَالُوا أَذْنُكَ مَا بَيْنَنَا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحْصٍ ﴿٤٨﴾ لَا يَسْمَعُ
الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ
قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَدْقَنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّهُ
لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ
إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْخُسَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا
أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ
الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ

الطلع : وغطاء الثور ؛ كالكمامة
والكمّة - بالكسر فيها - ويجمع
أيضاً على أكمّة وكمّام . ﴿٤٦﴾ قالوا
أذنك . . . أعلمناك بلسان
الحال . وبما تعلم من قلوبنا أنه
ليس مثلاً أحد يشهد لهم بالشركة .
يقال : آذنه الأمر به . أعلمه .

٤٨ - ﴿٤٨﴾ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ
مَحْصٍ : أيقنوا ألا مهرب لهم من
العذاب . يقال : حاص يحصيل
حيصاً ومحيصاً . إذا هرب .

٤٩ - ﴿٤٩﴾ لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ : لَا
يَمَلَّ وَلَا يَفْتَرُ ﴿٤٩﴾ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ ﴿٤٩﴾
أى من طلب السّعة في النّعمة
وأسياب العيش . ﴿٤٩﴾ وَإِنْ مَسَّهُ
الشَّرُّ : الضيق والعسر . ﴿٤٩﴾ فَيَئُوسٌ
قَنُوطٌ : فهو يئوس قنوط من فضل
الله ورحمته . واليأس : أن يقطع
رجاءه من الخير . وهو من عمل
القلب . والقنوط : أن يبتدأ أثر
ذلك عليه في الصورة . وهو
التضاؤل والانكسار . وفعل اليأس
من باب فهم . وفعل القنوط من
باب جلس ودخل وطرب وسلم .

٥٠ - ﴿٥٠﴾ هَذَا لِي : هذا حتى
أستحققه بعمل . ﴿٥٠﴾ عَذَابٍ
غَلِيظٍ : شديد لا يفتر عنهم .

٥١ - ﴿٥١﴾ وَنَأَى بِجَانِبِهِ : أى ثنى
عطفه . وهو كناية عن الانحراف
والتكبر والصلف ؛ على أن
الجانب هو العطف . أو ذهب
بنفسه وتباعد عن شكر النّعمة
تكبراً واختيلاً ؛ على أن الجانب
في الأصل الناحية والمكان . ثم

الذى لا يفهمه العربى . وعلى
المتكلم به . والياء للمبالغة في
الوصف - كأحمرى - وليست
للشّب . ﴿٥٠﴾ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ :
صَمٌّ مانع عن سماع القرآن .
﴿٥٠﴾ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى : ظلمة وشبهة
مستولية عليهم .
٤٥ - ﴿٤٥﴾ لَقَدْ شَكُّ مِنْهُ مُرِيبٌ :
موقع في الرّيبة . أو موجب للقلق
والاضطراب .
٤٦ - ﴿٤٦﴾ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ :
لِلْعَبِيدِ : أى بذى ظلم لهم .
فَظْلَامٌ : صيغة نَسَب - كتمار
وخبّاز - لا صيغة مبالغة .
٤٧ - ﴿٤٧﴾ إِلَيْهِ يَرُدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ :
إرشاد للمؤمنين في التقصّي عن
هذا السؤال إذا وَجَّهَ إِلَيْهِمْ -
بتفويض العلم فيه إلى الله وحده ؛
وقد سألوا الرسول صلى الله عليه
وسلم عن وقت قيامها . ﴿٤٧﴾ مِنْ
أَكْمَامِهَا : من أوعيتها . جمع
كمّ - بالكسر - وهو وعاء

عِنْدَ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ
بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى
يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ
أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُخِيطٌ ﴿٥٤﴾

(٤٢) سُورَةُ الشُّورَى مَكِّيَّةٌ
١٧ آيَاتٍ ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٧ فُذِّيَتْ
وَأَيَّاهَا ٥٢ نَزَلَتْ بَعْدَ فَضَّلَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ عَسَى ﴿٢﴾ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ
بِتَفَطُّرِنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ

سُورَةُ الشُّورَى

وَجِيءَ بِ «يُوحَى» بَدَلِ «أُوْحَى»
لِلدَّلَالَةِ عَلَى اسْتِمْرَارِهِ فِي الْمَاضِي ،
وَأَنْ يُحْيَا مِثْلَهُ عَادَتُهُ تَعَالَى .
٥ - «تَكَادُ السَّمَوَاتُ
بِتَفَطُّرِنَ» أَيِ يَتَشَقَّقْنَ فَيَسْقُطْنَ مَعَ
عِظَمِهِنَّ «مِنْ فَوْقِهِنَّ» مِنْ
أَعْلَاهُنَّ . مِنْ عَلَوِّ شَأْنِهِ تَعَالَى
وَعِظَمَتِهِ . وَهَيْئَتِهِ وَجَلَالِهِ .
«وَالْمَلَائِكَةُ» فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَا
«يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ» يَنْزَهُونَهُ

٣ - «كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ ..»
أَيِ مِثْلَ مَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ مِنْ
الدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ وَالتَّصْدِيقِ
بِالْبَعْثِ وَالثَّبُوتِ - أُوْحَى اللَّهُ بِهِ
إِلَيْكَ وَإِلَى الرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ .
لِتَبْلُغُوهُ لِلنَّاسِ هِدَايَةً وَتَبْصِيرًا .
وَإِنذَارًا وَتَبْشِيرًا . فَالكَافُ مَفْعُولٌ
«يُوحَى» وَفَاعِلُهُ لَفْظُ الْجَلَالَةِ .
وَالْمُشَارُ إِلَيْهِ مَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ .

كُنِيَ بِهِ عَنِ الشَّيْءِ نَفْسِهِ .
وَالثَّأْيُ : التَّعْدُّ . يُقَالُ : نَأَيْتَهُ
وَنَأَيْتَ عَنْهُ نَأْيًا . أَيِ تَبَاعَدْتَ
عَنْهُ . «فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ» كَثِيرٌ
مُسْتَمَرٌّ . مُسْتَعَارٌ مِمَّا لَهُ عَرْضٌ مُتَّسِعٌ
لِلإِشْعَارِ بِكَثْرَتِهِ ، وَالْعَرَبُ
تُسْتَعْمَلُ الطُّولُ وَالْعَرْضُ فِي
الْكثْرَةِ . يُقَالُ : أَطَالَ فُلَانٌ فِي
الْكَلَامِ . وَأَعْرَضَ فِي الدُّعَاءِ .
إِذَا أَكْثَرَ .

٥٢ - «أَرَأَيْتُمْ» أَخْبِرُونِي عَنْ
حَالَتِكُمُ الْعَجِيبَةِ [٤٠ الْأَنْعَامُ
ص ١٧٤] .

٥٣ - «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي
الْآفَاقِ» سَنُرِيهِمْ آيَاتٍ وَحِدَاتِنَا
وَقُدْرَتِنَا فِي أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ ، مِنْ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
وَالنُّجُومِ ، وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ،
وَالرِّيَّاحِ وَالْأَمْطَارِ ، وَالرَّعْدِ
وَالْبَرْقِ وَالصَّوَاعِقِ ، وَالنَّبَاتِ
وَالْأَشْجَارِ ، وَالْجِبَالِ وَالْبَحَارِ
وغيرها . جَمْعُ أَفَقٍ : كَأَعْنَاقٍ
وَعُنُقٍ . أَوْ جَمْعُ أَفَقٍ : كَأَجْبَالٍ
وَجَبَلٍ ، وَهُوَ النَّاحِيَةُ . يُقَالُ :
أَفَقَ فُلَانٌ يَأْفِقُ ، رَكِبَ رَأْسَهُ
وَذَهَبَ فِي الْآفَاقِ . وَالتَّسُّةُ إِلَيْهِ
أَفَقِيٌّ بِفَتْحَتَيْنِ ، وَأَفَقِيٌّ
بِضَمَّتَيْنِ ، وَهُوَ الْقِيَاسُ . «وَفِي
أَنْفُسِهِمْ» بِمَا أُوْدَعْنَا فِيهِمْ مِنْ
الْخَوَاسِ وَالْقَوَى ، وَالْعَقْلِ
وَالرُّوحِ ، وَبِمَا نَصَبْنَاهُمْ بِهِ مِنْ
الْبَلَايَا وَالْمِحَنِّ ، وَمَا نُجْرِيهِ
عَلَيْهِمْ مِنَ النِّعَمِ .
٥٤ - «مِرْيَةٍ» شَكٌّ عَظِيمٌ .
وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وتنذر من حولها من العرب
العذاب على الشرك بالله . وحُصِّوا
بالذكر مع عموم الرسالة لأنهم
أول المنذرين . وأقرب من
سواهم إليه صلى الله عليه وسلم .
﴿وتُنذِرُ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ أى وتنذر
الناس هول يوم القيامة الذى
يجمع فيه الخلاق للحساب ،
ويُقضى فيه على فريق بالعذاب
ولفريق بالثواب .

٨ - ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً
وَاحِدَةً﴾ أى على الدين الحق ،
فلم تختلف آخرتهم . ولكنه لم يشأ
ذلك لحكمته البالغة ؛ فافترق
الناس على أديان شتى . والحق
واحد ؛ ليقضى الله أمراً كان
مفعولاً . وهو كقوله تعالى : (وَلَوْ
شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى
الْهُدَى) (١) . وقوله تعالى : (وَلَوْ
شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى) (٢) .

﴿وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي
رَحْمَتِهِ﴾ وهم الذين عرفوا الدين
الحق واتبعوه . ﴿وَالظَّالِمُونَ﴾
لأنفسهم يجهلهم به ومعاندتهم له
﴿مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يوم
الجزاء .

٩ - ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ
أَوْلِيَاءَ﴾ أى بل اتخذوا -
متجاوزين الله - أولياء من
الأصنام وغيرها . فـ «أَمْ» بمعنى
بل وهنزة الاستفهام الإنكارى ؛
وهى لإنكار وقوع ذلك ونفيه على
أبلغ وجه . أى أن ما فعلوا ليس
من اتخاذ الأولياء فى شيء ؛ لأن
ذلك فرع كون الأصنام أولياء ،

وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ۖ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِظُ
عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا
وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ
فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ
يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ
وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۚ فَاللَّهُ هُوَ
الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾
وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ۖ ذَلِكُمُ اللَّهُ
رَبِّ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ

أعمالهم فيجازيهم بها . ﴿وَمَا أَنْتَ
عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ بموكل عليهم ،
ولا مفوض إليك أمرهم ؛ بل ما
عليك إلا البلاغ ، وعلينا
الحساب .

٧ - ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ۖ﴾
أى ومثل ذلك الإحياء البديع البين
أوحينا إليك قرآناً عربياً ، لا لبس
فيه عليك ولا على قومك .
﴿لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾ أى أهل أم
القرى وهى مكة ؛ وسُميت
بذلك لأنها بالنسبة لما حولها
كالأصل . ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أى

عماً لا ينبغي له من الشريك
والولد وسائر النقائص . مُتَكَبِّين
بحمده تعالى والثناء عليه ؛ إيماناً به
وإذعائاً لعظمته . ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ يطلبون
للمؤمنين من أهل الأرض عفو الله
وغفرانه ؛ خوفاً عليهم من سطوة
جبروته .

٦ - ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ
أَوْلِيَاءَ﴾ شركاء وأندادا ؛ وهم
الذين جهلوا عظمته تعالى فنسبوا
إليه ما لا يليق به . ﴿اللَّهُ حَفِظُ
عَلَيْهِمْ﴾ رقيب عليهم . يُحْصَى

وهو أظهر الحالات .

١٠ - ﴿وَالَيْهِ أُنِيبُ﴾ إليه أرجع في كل الأمور .

١١ - ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خالقها ومبدعها على غير مثال سابق ؛ من فطره - من باب نصر - ابتدأه واخترعه .

﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾ يكثركم بسبب هذا التزاوج بين الذكور والإناث . يقال : ذرأ الشيء كثره . والذرء والذر أخوان . والضمير المنصوب عائذ إلى مخاطبين وإلى الأنعام على سبيل التغليب . وفي معنى باء السبيبة .

والضمير المجرور عائذ إلى التزاوج المفهوم من قوله : ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ . ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ليس شيء مثله تعالى في شئونه ؛ والكاف زائدة . أو ليس مثل صفته شيء من الصفات التي

لغيره . أو ليس كذاته شيء ؛ والكاف أصلية ، والمثّل بمعنى الذات . تقول العرب : مثلك لا يبخل . يعنون : أنت لا تبخل ؛ على سبيل الكناية ، قصدًا إلى المبالغة في نفي البخل عن المخاطب بنفيه عن مثله ، فيثبت انتفاؤه عنه بدليله . والمراد : تنزيهه تعالى عن مشابهة شيء من الخلق في شيء ؛ ذاتًا وصفاتٍ وأفعالاً .

١٢ - ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ له مفاتيح خزائنها ؛ ومن يملك المفاتيح يملك الخزان

وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذَرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ يُكَلِّمُ شَيْءٌ عَالِمٌ ﴿١٢﴾ * شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّى بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ مِنْ

[آية ٦٣ الزمر ص ٥٩٢] . ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يُضَيِّقُ وَيَقْتَرُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ .

١٣ - ﴿شَرَعَ لَكُمْ﴾ الخطاب لأُمَّته صلى الله عليه وسلم . أى سنّ لكم من الشريعة . ﴿مَا وَصَّى﴾ به . ما أمر به وألزم . أرباب الشرائع من مشاهير الأنبياء ، وأمرهم به أمرًا مؤكدًا ، وهو ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ أى توحيد الله والإيمان به ؛ وطاعة رسله فيما جاءوا به من الشرائع . والمراد بإقامته : قبوله والعمل به . ﴿وَلَا

تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ أى لا تختلفوا في الدين ، أى في هذه الأصول التي أجمعت عليها الشرائع الإلهية . ﴿كَبُرَ﴾ عظم وشق . ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يصطفى ويختار لرسالته من يشاء من عباده [آية ١٧٩ آل عمران ص ١٠٢] . ﴿يُنِيبُ﴾ يرجع إليه ويقبل على طاعته .

١٤ - ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا ..﴾ أى الأمم السابقة بعد موت أنبيائهم . ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ ظلمًا وتجاوزًا للحدّ بسبب الحرص على الدنيا



بيننا وبينكم ، لأن الحق قد ظهر ، فلم يبق للاحتجاج حاجة . ولا للمخالفة محمل سوى المكابرة والعناد .

١٦ - ﴿ اسْتَجِيبْ لَهُ ﴾ استجاب الناس وأذعنوا لدين الله . ﴿ حُجَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ ﴾ باطلة زائلة ، كالشيء الذى يزول عن موضعه [آية ٥٦ الكهف ص ٣٨٣] .

١٧ - ١٨ - ﴿ وَالْمِيزَانِ ﴾ أى وأنزل الميزان ، أى العدل الذى يحكم به بين الناس . وإنزاله : أمرهم به وتكليفهم إقامته . وتسميته ميزاناً من تسمية الشيء باسم آله ، لأن الميزان آلة الإنصاف بين الناس فى المعاملات . ﴿ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ لعل مجيئها قريب . أو لعل البعث قريب . ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ استعجال استهزاء وإنكار . ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا ﴾ خائفون من قيامها مع اعتناء بها ، لأنهم لا يدرون ما الله فاعل بهم ، من الإشفاق وهو عناية مشوبة بخوف ، لأن المشفق يحب المشفق عليه ويخاف ما يلحقه . فإذا عُدِّى بمن فعنى الخوف فيه أظهر . وإذا عُدِّى بنى فعنى العناية فيه أظهر ، كما فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ (١) . ﴿ يُبَارَوْنَ فِي السَّاعَةِ ﴾ يجادلون . أو يشكون فيها .

١٩ - ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ﴾ بار

بَعْدِهِمْ لِنِ شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ ﴿١٤﴾ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ جَحْتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِى أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَإِلَّا إِنْ الَّذِينَ يُبَارَوْنَ فِي السَّاعَةِ لِنِ ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِىُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي

موقع فى الرية وقلنى النفس واضطرابها .

١٥ - ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ ﴾ أى فلأجل هذا التفريق والتشعب فادع إلى التوحيد ، وإلى الاتفاق على الملة الحنيفية . ﴿ واسْتَقِمْ ﴾ الزم المنهج المستقيم ، الذى لا عوج فيه ولا انحراف . ﴿ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ لا احتجاج ولا خصومة

وزينتها . ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ ﴾ هى العدة بتأخير العذاب عنهم ﴿ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ وهو يوم القيامة . ﴿ لَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ ﴾ باستئصال المظالم حين افترقوا . ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أَوْرَثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ هم أهل الكتاب الذين كانوا فى عهده صلى الله عليه وسلم . ﴿ لَقِنِ شَكٌّ مِنْهُ مُرِيبٌ ﴾

بهم ورفيق . يُفيض عليهم
أجمعين من صنوف البر ما لا تبلغه
العقول . وقيل : اللطف منح
الهداية . والتوفيق للطاعة ؛ وهو
خاص بالمؤمنين . وما يرى من التعم
على الكفار ليس بلطف . وإنما
هو إملاء واستدراج ؛ إلا ما آل
إلى وفاة على الإسلام .

٢٠ - ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ
الْآخِرَةِ ..﴾ أى من كان يريد
بأعماله ثواب الآخرة - وهو شأن
المؤمن - نضاعفه له . والحَرْثُ فى
الأصل : مصدر بمعنى إلقاء البذر
فى الأرض . ويُطلق على الحاصل
به وهو الزرع . ويُستعمل مجازاً فى
ثمرات الأعمال ونتائجها ؛ تشبيهاً
لها بثمرات البذور .

٢١ - ﴿كَلِمَةُ الْفَضْلِ﴾ الحكم
بتأخير العذاب للآخرة .

٢٢ - ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ
مُشْفِقِينَ ..﴾ أى تراهم يوم
القيامة خائفين خوفاً شديداً مما
كسبوه فى الدنيا من السيئات ؛
والعذاب عليه واقع بهم لا محالة .
﴿فِى رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾ فى
أشرف بقاعها وأطيبها وأنزهها .
جمع رَوْضَةٍ . وهى الموضع المزدهر
الكثير الماء والخضرة ؛ ولا تقول
العرب لمواقع الأشجار ؛
رياض .

٢٣ - ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى﴾
أى لكن أسألكم أن تؤدوا قرابتي
لقرابتي منكم . وتصلوا الرِّجَمَ
التي بيني وبينكم فتحفظوني ؛
فالقربة هنا : قرابة الرِّجَم ،

حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ
فِى الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَائُوا شَرَعُوا لَهُمْ
مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَضْلِ لَفُضِيَ
بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِى رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ
عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ الَّذِى
يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ
لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى وَمَنْ
يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ
يَشَأِ اللَّهُ يَحْمِلْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحْيِ
الْحَقَّ يَكَلِّمُنِي بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ
الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ
وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

و«فى» للسببية بمعنى لام التعليل . وهو الكسب [آية ١١٣ الأنعام
أو لكن أسألكم أن تؤدوا قرابتي
وأهل بيتي . و«فى» للطريقة
المجازية ؛ أى إلا مودة واقعة فى
قرابتي . ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾
يكتسب أى حسنة ؛ من القرف
وهو الكسب [آية ١١٣ الأنعام
ص ١٨٧] .
٢٤ - ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ كلام
مستأنف غير داخل فى جزء
الشَّروط ؛ لأنه تعالى يمحو الباطل
مطلقاً . وسقطت منه الواو لفظاً



الْصَّالِحِينَ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ * وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ
لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ
بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ
بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ۚ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾
وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
مِنْ دَابَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَا
أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ
كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ
مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ

دَبَّ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ أَوْ غَيْرَهَا .
وظاهره وجود دواب في
السموات . وجوزه الرمحشري
فقال : يجوز أن يكون للملائكة
مشي مع الطيران ؛ فيوصفون
بالذئب كما يوصف الحيوان . وأن
يخلق الله في السموات حيوانات
يمشون فيها مشي الحيوانات في
الأرض . وقال الفراء : أراد ما
بث في الأرض دون السماء
وهو من نسبة ما في أحد الشئين
إليها جميعاً ؛ إذ يصدق أنه فيها
وإن كان في أحدهما . على غلط
قوله تعالى : (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ
وَالْمَرْجَانُ) (١) وهما إنما يخرجان
من الملح . ومن قبيل : بنو تميم
فيهم شاعر مجيد ؛ وإنما هو في
فخذ من أفخاذهم .

٣٠ - ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ
مُصِيبَةٍ﴾ في مسند الإمام أحمد
عن علي كرم الله وجهه قال : ألا
أخبركم بأفضل آية في كتاب الله
حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه
وسلم . وذكر الآية ثم قال :
(وسأفترها لك يا علي ما أصابكم
من مرض أو عقوبة أو بلاء في
الدنيا فما كسبت أيديكم والله تعالى
أكرم من أن يشق عليكم العقوبة
في الآخرة . وما عفا الله تعالى عنه
في الدنيا فإنه سبحانه أحلم من أن
يعاقب به بعد عفوهِ) . وقال
علي : هذه الآية أرجى آية في
كتاب الله . وإذا كان يكفر عنا
بالمصائب ويعفو عن كثير . فأى
شيء يبقى بعد كفارته وعفوهِ .

والفساد ؛ من البغى بمعنى الكبر .
﴿وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ﴾ بتقدير ﴿مَا
يَشَاءُ﴾ وهو ما تقتضيه حكمته جل
شأنه !

٢٨ - ﴿قَنَطُوا﴾ يشسوا من نزوله .

٢٩ - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ
السَّمَاوَاتِ﴾ أي ومن الآيات
الدالة على كمال قدرته الموحية
لتوحيده . وتصديق ما وعده من
البعث : خلق السموات والأرض
على هذه الصورة العجيبة والنظام
المحكم . ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ
دَابَّةٍ﴾ أي وخلق ما قرق ونشر فيها
من دواب . والدابة اسم لكل ما

لالتقاء الساكنين ؛ وخطأ حملاً
له على اللفظ ؛ كما كتبوا (سندعُ
الربانية) (١) فهو مرفوع لا مجزوم ،
ويؤيده عطف «يُحَقِّقُ» المرفوع
عليه .

٢٥ - ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾
أي من أهل طاعته بالتجاوز عما
تابوا منه . (عن) بمعنى من .

٢٧ - ﴿لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ أي
لَطَعُوا وعَتَوْا جميعاً فيها لغناهم ؛
من البغى وهو الظلم وتجاوز
الحد . والغنى : مبطرة مباشرة أو
لتكبروا في الأرض . وفعلوا ما
يستتبعه الكثير من العلو فيها

٣١- ﴿بِمُعْجِزَيْنِ﴾ بفائتين من العذاب بالهرب .

٣٢- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَغْلَامِ﴾ أى السفن الجارية في البحر كأنها من عظمها أعلام أى جبال شاهقة . جمع جارية وهى السفينة . وسُميت جارية لجريانها في الماء . وجمع عَلم وهو الجبل الطويل . وأصله الأثر الذى يُعلم به الشيء ، كعلم الطريق وعلم الجيش ؛ وسُمي الجبلُ علمًا لذلك .

٣٣- ﴿فَيُظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾ فيصِرْنَ ثوابت على ظهر البحر لا يحرين . يقال : رَكَدَ الماء ركودًا - من باب قعد - سكن ؛ فهو راكد . وكلُّ ثابت في مكان فهو راكد .

٣٤- ﴿أَوْ يُوقَفَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾ يهلكهن بإرسال الرياح العاصفة المغرقة ؛ بسبب ما كسبهن ركبانها من الذنوب . يقال : أوقفه .

حبسه أو أهلكه . ووقى - كَوَعَدَ وَوَحَلَ وَوَرِثَ - وَبُوقًا وَمُؤَبَّقًا : هَلَكَ . وهو عطفٌ على «يُسْكِنَ» . والأصل : أو يرسلها - أى الريح - عاصفةً فيوقى ناسًا بذنوبهم . ويُنج ناسًا بالعفو عنهم . وبهذا ظهر وجه جَزَمَ «يَعْفُ» .

٣٥- ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ...﴾ بالنصب عطفٌ على مقدّر ، أى لينتقم منهم ويعلم . أو ليظهر عظيم قدرته ويعلم . ﴿مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ﴾

الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَغْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِنَّ يَسْأَلُ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيُظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوقَفَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَا أُوَيْسَتْ مِنْ شَيْءٍ فَنَنْفَعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كِبَرَهُمُ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا

ما لهم مهربٌ من العذاب على مجادلهم في آيات الله . يقال : حاص عنه حيصًا وحيوصًا ومحيصًا ومحاصًا . عدل وحاد . ٣٧- ﴿وَالَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كِبَارَهُمُ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ عطفٌ على «الَّذِينَ آمَنُوا» . وكبار الإثم : ما رُتِبَ عليها الوعيد ، أو ما وجب فيها الحد . أو كل ما نهى الله عنه . والفواحش من الذنوب : ما فحش وعظم قبحه ؛ وعطفها من عطف الخاص على العام . ٣٨- ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ العرى : «ذكر الله الانتصار في أى شأنهم إذا حَزَبَهُمُ أمرٌ يحتاج إلى مراجعة الرأى : التشاور فيه بينهم . والشورى : مصدرُ شاورته ؛ مثلُ البشري والذكري . والتشاورُ والمشاورة والمشورة : استخراجُ الرأى بمراجعة البعض البعض ؛ من قولهم : شُرِرت العسل - بكسر الشين - إذا أخذته من موضعه واستخرجته منه . ٣٩- ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ قال القاضي أبو بكر بن العرى : «ذكر الله الانتصار في

مَنْ لَمْ يُعْرِفْ بِالرَّثَّةِ وَيَسْأَلِ
المَغْفِرَةَ ؛ فَالْعَفْوُ هُنَا أَفْضَلُ . وَفِي
مِثْلِهِ نَزَلَ : (وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَى) ^(١) وَقَوْلُهُ : (فَمَنْ
تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ) ^(٢)
وَقَوْلُهُ : (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا
تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) ^(٣)
وَمِثْلُهُ مَا ذَكَرَهُ الْكَيِّا الطَّبْرِيُّ فِي
أَحْكَامِهِ ؛ إِلَّا أَنَّهُ عِنْدَ الْإِتِّصَارِ
تُرَاعَى الْمِثَالَةُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَجَزَاءُ
سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا » ^(٤) . وَقَوْلُهُ :
(فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ
بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) ^(٥) .
« يَسْتَنْصِرُونَ » يَسْتَقِيمُونَ مَنْ
ظَلَمَهُمْ وَلَا يَعْتَدُونَ .

٤٠ - « فَمَنْ عَفَا » عَمَّنْ أَسَاءَ
إِلَيْهِ « وَأَصْلَحَ » مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الْمَسِيئِ إِلَيْهِ بِالْإِغْصَاءِ عَمَّا صَدَرَتْهُ
« فَاجْرُهُ عَلَى اللَّهِ » أَيْ فَيَجْزِيهِ
اللَّهُ أَعْظَمَ الْجَزَاءِ . وَالْمُرَادُ :
التَّحْرِيسُ عَلَى الْعَفْوِ .
٤١ - « وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ »
أَيْ بَعْدَ مَا ظَلَمَ « فَأُولَئِكَ مَا
عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ » أَيْ مُوَاحِدَةٌ
وَمِلَامَةٌ ؛ لِأَنَّهُمْ أَتَوْا بِمَا هُوَ مَبَاحٌ
لَهُمْ .
٤٢ - « وَيَتَّبِعُونَ فِي الْأَرْضِ »
يَفْسُدُونَ . أَوْ يَتَجَبَّرُونَ فِيهَا .

٤٣ - « وَلَمَنْ صَبَرَ » عَلَى الظُّلْمِ
« وَغَفَرَ » أَيْ تَجَاوَزَ عَنْ ظَالِمِهِ وَلَمْ
يَنْتَصِرْ « إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ
الْأُمُورِ » مِنْهُ ؛ أَيْ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي
نَدَبَ إِلَيْهَا .
٤٤ - « خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ »
خَاضِعِينَ مُتَضَائِلِينَ نَسِيبَ الذُّلِّ ؛

وَأَصْلَحَ فَاجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ٤٠ وَلَمَنْ
أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ٤١
إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ
فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤٢
وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ٤٣
وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى
الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ
سَبِيلٍ ٤٤ وَتَرَى لَهُمْ لُجُنًّا يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِنَ
الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ
الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
أَلَّا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ٤٥ وَمَا كَانَ لَهُمْ
مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ
فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ٤٦ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ
يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ
مِنْ نَكِيرٍ ٤٧ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ

الْبَعْثُ فِي مَعْرِضِ الْمَدْحِ - وَذَكَرَ
الْعَفْوَ عَنِ الْجُرْمِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي
مَعْرِضِ الْمَدْحِ ؛ فَاحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ
أَحَدُهُمَا رَافِعًا لِلْآخَرِ . وَاحْتَمَلُ أَنْ
يَكُونَ ذَلِكَ رَاجِعًا إِلَى حَالَتَيْنِ :
إِحْدَاهُمَا - أَنْ يَكُونَ الْبَاغِي مَعْلًا
بِالْفُجُورِ - مُؤَذِّبًا لِلصَّغِيرِ
وَالْكَبِيرِ ؛ فَيَكُونُ الْإِتِّقَامُ مِنْهُ
أَفْضَلَ . وَفِي مِثْلِهِ قَالَ إِبْرَاهِيمُ
التَّحِييُّ : كَانُوا يَكْرَهُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ
أَنْ يُذَلُّوا أَنْفُسَهُمْ فَتَجَرَّأَ عَلَيْهِمْ
الْفُسَاقُ . الثَّانِيَةُ - أَنْ يَقَعَ ذَلِكَ

من الخشوع وهو الانكسار والتواضع . ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ أى يتدبى نظرهم من تحريك ضعيف لأجفانهم بمسارقة النظر ؛ كما يرى المصبور ينظر إلى السيف . وهكذا الناظر إلى المكاره لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملا عينيه منها ؛ كما يفعل فى نظره إلى ما يحب . . .

٤٧ - ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ أى لا تجدون يومئذ منكرا لما ينزل بكم من العذاب ؛ لاستحقاقكم له عدلا .

٤٨ - ﴿فَرِحَ بِهَا﴾ بطر لأجلها . ٥٠ - ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ لا ولده ؛ ذكر كان أو أنثى . يقال : رجل عقيم ، وجمعه عقماء وعقام . وامرأة عقيم . وجمعها عقائم وعقم . وفعله كفرح ونصر وكرم وعنى .

٥١ - ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ دلت الآية على أن تكليم الله تعالى للنبي واقع على ثلاثة أنحاء : الأول - بالإلقاء فى القلب بقطة أو منامًا ، ويسمى وحيا ؛ وهو يشمل الإلهام والرؤيا المنامية .

مصدرٌ وحى إليه - كوعى - وأوحى إليه مثله . تقول العرب : وحيت إليه وله ، وأوحيت إليه وله ؛ ولغة القرآن الفاشية «أوحى» بالالف . وأصل الوحى : الإشارة السريعة . يقال : أمروحي أى سريع ؛ ثم غلب استعماله فيما يلقى للمصطفين الأخيار من الكلمات الإلهية .

حَفِظًا إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَّغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَفَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٩﴾ اللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا وَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ اللَّهُ كُورٌ ﴿٥٠﴾ أَوْزَوْجَهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَّا وَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥١﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى حَكِيمٍ ﴿٥٢﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَكْرِى مَا أَلَكِنَّا وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٣﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ

الأمور ﴿٥٣﴾

الثانى - بإسماع الكلام الإلهي من غير أن يرى السامع من يكلمه ؛ كما كان لموسى عليه السلام ، وكما كان للملائكة الذين كلمهم الله فى قصة خلق آدم ؛ وهو المراد بقوله تعالى : ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ . الثالث - بإرسال ملك ترى صورته المعينة . ويسمع كلامه ؛ كجبريل عليه السلام فيوحى للنبي ما أمر الله أن يوحى به إليه ؛ وهو المعنى بقوله تعالى : ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ . ومعنى الآية على ما اختاره الزمخشري : وما صح أن يكلم الله أحدا فى حال إلا موجيا أو مسمعا من وراء حجاب ، أو

الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير



(٤٣) سورة الزخرف مكية
الاية ٥٤ فبدت
واياتها ٨٩ نزلت بعد الشورى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا
عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدِينَا
لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ۝ أَفَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ
قَوْمًا مُسْرِفِينَ ۝ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝
وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ فَاهْلَكْنَا
أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَنْصُيًّا مِثْلُ الْأَوَّلِينَ ۝ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ
مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ
الْعَلِيمُ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ

سورة الزخرف

مُرْسِلًا رَسُولًا

٢ - ٤ - ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾
أقسم الله تعالى بالقرآن الذي أبان
طريق الهدى من طريق الضلال ،
وأبان ما يحتاج إليه الناس من
الدين . وجواب القسم : ﴿إِنَّا
جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا...﴾ أى أنزلناه
بلسان العرب ؛ لأن كل نبي أنزل
كتاباه بلسان قومه ؛ ليفهموه
ويحيطوا بما فيه . ﴿وَإِنَّهُ﴾ أى
القرآن ﴿فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ وهو
اللوحي المحفوظ ؛ إذ هو أصل
الكتب السماوية ؛ وكلها منقولة

٥٢ - ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أى ومثل
إحساننا إلى غيرك من الرسل
﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا﴾ أى
القرآن . ﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾ أى
﴿مَا كُنْتَ تَذَرُ مَا
الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ أى شرائعه
ومعاليه وتفصيله ، بما لا طريق
إلى العلم به إلا السمع ؛ لا أصل
الإيمان . ﴿صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
دين قويم (دين الإسلام) . والله
أعلم .

٩ - ﴿وَلَوْ أَنَّ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ...﴾ أى ولئن سألتهم عن خلق هذا العالم ليقولن : خلقه الله المتصف في نفس الأمر بالعزة والعلم ، لا أنهم يصفونه تعالى بهما . وقولهم : خلقها الله ؛ اعتراف منهم بأنه الخالق لكل ما سواه . وأن معبوداتهم بعض مخلوقاته . وذلك أسوأ لحالهم وأشد لعقوبتهم . ثم وصف الله نفسه بصفات خمس ، موجبة للإيمان به وإفراده بالعبادة ، وفيها من الإلزام لهم بالحجة ما فيه .

١٠ - ﴿مَهْدًا﴾ قرشاً لا يمكن الاستقرار عليها . وقرئ «مهذا» أى فباشاً . ﴿سَبِيلًا﴾ طرقاً تسلكونها . أو معاش .

١١ - ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ بقدر الحاجة وحسباً تقتضيه المصلحة . يقال . قَدَرْتُ الثوب فانقدر : إذا جاء على المقدار . ﴿فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا﴾ فأحيينا به بلدةً مُجْدِبَةً ، لا نبات فيها ولا زرع [آية ٢١ الأنبياء ص ٤١٣] . ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ﴾ أى مثل ذلك الإنشاز والإحياء تبعثون من قبوركم أحياء ؛ فكيف تنكرونه وتعاظمونونه ؟

١٢ - ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ وهى ما يتقلب فيه الإنسان من خير وشر ، وإيمان وكفر ، ونفع وضرر . وغنى وفقر ، وصحة وسقم ، وغير ذلك من المتقابلات . ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ ومن الأنعام وهى الإبل .

لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١١﴾ لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٢﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٣﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّا لِلْإِنْسَانِ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٤﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٥﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٦﴾

١٣ - ﴿لِيَسْتَوُوا﴾ لتستقروا . يستقلق .. أى بل اتخذ لنفسه وتستعلوا . ﴿سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾ من خلقه النبات ، واختار لكم دَلِّلَ لَنَا هَذَا الْمَرْكَبَ الصَّغْبَ . وجعله منقاداً لنا . ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ أى مطيقين . من أقرن الشيء وله : أطاقه وقوى عليه ؛ كأنه صار له قرناً . أى مثله في الشدة . أو ضابطين . يقال : فلان مقرن لفلان . أى ضابط له .

١٤ - ﴿أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ أى بل اتخذ لنفسه من خلقه النبات ، واختار لكم البنين ؟! والاستفهام للإنكار والتوبيخ .

١٥ - ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ فقالوا : الملائكة بنات الله .

١٦ - ﴿أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ أى بل اتخذ لنفسه من خلقه النبات ، واختار لكم البنين ؟! وأصفاكم بالبنيين . أخلصكم وأترككم بهم .

١٧ - ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا...﴾ أى والحال أن أحدهم إذا بُشِّرَ بولادة أنثى له ، اغتم وترى وجهه غيظاً وتأسفاً . وهو ممتلىء من الكرب والكآبة . ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مملوء في قلبه غيظاً وغمًا .

استعداد الكافر ، وفساد فطرته : أنه لو خَلَّى ونفسه لا اختار الكفر ديناً ، فأراد منه : وهو لا يقع في ملكه إلا ما يريد . لكنه لم يأمره به ولا يرضاه منه ، لأنه تعالى لا يأمر بالفحشاء والمنكر . ولا يرضى لعباده الكفر . وقد بعث الرسل والأنبياء . وأنزل الشرائع والكتب بالتوحيد والتهجد عن الشرك . وإنذار المشركين . فكيف يأمرهم بما نهاهم عنه ! ومن أين علموا رضاه تعالى عن عبادتهم الملائكة ؟ ﴿ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ يكذبون [آية ١١٦ الأنعام ص ١٨٨]

٢١ - ﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا .. ﴾ أي بل آتيناهم كتاباً من قبل القرآن ينطق بصحة ما يدعونه . فهم به مستمسكون ؟

٢٢ - ﴿ بَلْ قَالُوا ﴾ بعد عجزهم عن الحجة من العقل أو النقل : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾ علي دين وطريقة نؤمن وثقصد . وهي الشرك في العبادة . ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾ بهم . فاعترفوا بأنهم لا مستند لهم سوى تقليد آبائهم : وهم جهلة أمثالهم .

٢٣ - ﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ أي الأمر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتمسكهم بالتقليد الباطل . وقوله ﴿ مَا أَرْسَلْنَا .. ﴾ استئناف مبين لذلك . دالٌّ على أن التقليد فيها بينهم ضلالٌ قديم . ليس

أَوْ مَنْ يُنشِئُوا فِي الْحَلِيبَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾
وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِثًا أَشْهَدُوا
خَلَقَهُمْ سَكَّتَبُ شَهِدَتْهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ
شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَالَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ
إِلَّا يَجْرُسُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ
مُتَمَسِّكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ
وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا
مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا
آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾
* قُلْ أُولَئِكَ جُفَّتُمْ بَأْهَدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ
قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ

١٨ - ﴿ أَوْ مَنْ يُنشِئُ ﴾ في الحليبة .. أي أيجترئون ويجعلون لله من شأنه وطبيعته أن يتربى في الرينة والنعمة . ويستكمل بها . وهو إذا احتاج إلى مجاثاة الخصوم ومجاراتة الرجال ، ومنازلة الأقوياء كان غير مبين ؛ أي ليس عنده بيان ، ولا يأتي ببرهان . « وَيُنشِئُ » أي يربى وينشأ . يقال : نشأ في بني فلان نشأ ونشوءاً ، إذا شبَّ فيهم . ونشئ وأنشئ بمعنى .
٢٠ - ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا



فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ
لَأُبَيِّهَ وَقَوْمَهُ إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي
فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَنَعْتُ هَٰؤُلَاءَ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى
جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ
قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ
هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبِينَ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ
يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ لَنَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَّعِشَتُهُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ
لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا

لأسلافهم أيضًا مستند غيرُه .
﴿قَالَ مَثْرُفُوها﴾ مُتَعَمَّوْها . وهم
الرؤساء والطغاة الذين صرفهم
التعَمُّ وحُبُّ البطالة عن النظر إلى
التقليد . جمعُ مُثْرَفٍ . يقال :
ثَرَفَ - كَفَّرَحَ - تَنَعَّمَ . وأترفته
النعمة : أطعته .

٢٥ - ﴿قَالَ أَوْلَوْ جِشْكُمُ ..﴾
ردُّ عليهم . أى أتفتدون بآبائكم
ولو جشتم بدين أهدى وأصوب
مما وجدتموهم عليه من
الضلال ؟!

٢٦ - ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ..﴾
أى اذكر لهم قصة إبراهيم مع أبيه
وقومه : إذ أنكر عليهم عبادة
الأصنام . ونهاهم عنها ، ولم
يقلدهم في جهالتهم . تمسكا
بالبرهان الحق : ليسلكوا مسلكه
في النظر والاستدلال . معرضين
عن التقليد فيما لا يصح التقليد
فيه . وهم لا يمارون في حقيقة
دينه . ولا في أنه أعظم آباءهم .
﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ أى
برىء منهم . وهو مصدر وقع
موقع الصفة وهى برىء مبالغة .
يقال : تبرأ منه . فهو منه براء -
بالفتح والمد - يستوى فيه الواحد
والمتنّى والجمع والمذكر والمؤنث .
وأصلُ البراء البرء والبرء والتبرى :
التفصى مما يكره مجاورته .

٢٧ - ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ أى
لكن الذى خلقنى وأوجدنى ﴿فَإِنَّهُ
سَيِّدِي﴾ يرشدنى إلى دينه
القوم .

٢٨ - ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أى كلمة
التوحيد . أو هذه المقالة . ﴿كَلِمَةً
بَاقِيَةً﴾ كلمة التوحيد ، أو
البراءة . ﴿فِي عَقِبِهِ﴾ ذريته إلى
يوم القيامة .
٣١ : ٣٢ - ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ
هَٰذَا الْقُرْآنُ﴾ استعظموا أن ينزل
القرآن على محمد صلى الله عليه
وسلم . وهو فى زعمهم دون
عظائمهم جاهلاً ومالاً ، فقالوا :
هلاً نُزِّلَ هذا القرآن الذى يزعم
محمد أنه وحى من عند الله على
رجل عظيم من إحدى القريتين :

مكة والطائف ! يريدون الوليد بن
المغيرة المخزومي من مكة . أو
حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي
من الطائف فى قول : فجعلهم الله
تعالى بقوله : ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ
رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾ أى أبائهم مفتاح
الرسالة فيضعونها حيث شاءوا ،
ويتخارون لها من أرادوا ؟ ﴿لَنَحْنُ
قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَّعِشَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا﴾ وتوليئنا تدبير أساليبنا
بمشيئتنا المبنيّة على الحكم
والمصالح ، ولم نكله إليهم لعلنا
بمعجزهم عنه . ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ

لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ عَنِ مَقْصُودٍ رَحْمَتِ اللَّهِ عَلَيْهِ أَوْ يَكْفُرْ بِالرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ سُلْطَانُهُ فَبُيُوتُهُمْ قُرُونٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنْهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْبَسُ الْقُرْءَانُ ﴿٣٨﴾ وَالنَّارُ يَنْفَعُكَ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتَ أَنَّكَ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَىٰ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا نَذَهَبَ بِكَ فَأَنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي

فقد سُخِّرَ لَكَ ، وهو سُخْرَى .
﴿وَرَحْمَةً رَّبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ تصغيرُ لُشَانَ الدُّنْيَا .
٣٣ - ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ ..﴾ بيانُ لِحَقَارَةِ الدُّنْيَا عنده تعالى . أى لولا كراهةُ أَن يكفر الناسُ جميعاً إذا رأوا الكفار فى سعة من الرزق ، بسبب ميلهم إلى الدنيا وتركهم الآخرة ، لأعطينا الكفار فى الدنيا ما وصفنا من أسباب التمتع لها ، ولكن اقتضت الحكمة أن يكون فيهم الغنى والفقر ، كما اقتضت أن يكون ذلك فى المؤمنين ، ليمتيز من يطلب الدنيا للدنيا ، ومن يطلبها لتكون زاداً للآخرة . ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أى مجتمعة على الكفر . ﴿سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ﴾ جمع سُقْفٍ . ﴿وَمَعَارِجَ﴾ مصاعيد من الدَّرَجِ من فضة . جمع مَعْرَجٍ . ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ يَرْتَقُونَ .
٣٤ - ﴿وَسُرَرًا﴾ من فضة .
٣٥ - ﴿وَزُخْرُفًا﴾ ذهباً أو زينة . أى وجعلنا لهم زخرفاً ليجعلوه فى السُّقُفِ والمعارج والأبواب والسرر ، ليكون بعض كلِّ منها من فضة وبعضه من ذهب . ﴿لَمَّا مَتَّاعٌ﴾ إلا متاع .
٣٦ - ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ من يتعام ويعرض عن ذكر الله فلا ينظر فى حججه إلا كنظر من عشا بصره ، فلا يخاف سطوته ولا يخشى عقابه . متعباً أقاويل المبتلين . ﴿نُقِضَ لَهُ

فَوْقَ بَعْضِ دَرَجَاتٍ﴾ فى الرزق ومبادئ المعيشة ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ أى لِيُستَخدَمَ بعضهم بعضاً فى حوائجهم ، ويسخر بعضهم بعضاً فى مهامهم ، فيكون بينهم من التعاون والتراقد ما ينتظم به أمر المعاش والعمران ، ولو وكلنا ذلك إليهم لتهارجوا وتهالكوا ، واختل النظام ، وتقوض العمران . وإذا كانوا عاجزين عن تدبير أسباب معيشتهم فى الحياة الدنيا ، فما ظنهم بأنفسهم فى تدبير أمر

الدين ، وهو أعلى شأناً وأبعد شأواً من أمر الدنيا ! وكيف يتحكمون على الله فى منصب الرسالة ، ويتخيرون له من يشاءون ؟ إنهم لا علم لهم بالله ، ولا بحكمه وشئونه وتدبيره ، وقد اصطفى لرسالته من شاء من عباده بإرادته وحكمته ، ولا معقب لحكمه . و«سُخْرِيًّا» - بضم أوله - من التسخير بمعنى التذليل . يقال : سخر الله السفينة تسخيراً ، ذلَّلها حتى جرت وطاب لها السير . وكلُّ ما ذلَّ وانقاد وتها لك على ما تريد

شَيْطَانًا ﴿٤٣﴾ أَيُ نَتَجُّ لَهُ شَيْطَانًا يَسْتَوْلِي عَلَيْهِ اسْتِيلَاءُ الْقَيْضِ عَلَى الْبَيْضِ فُيُغْوِيهِ . يقال : عشا - كدعا - وعشى - كرضى - إذا ضعف بصره وأظلمت عينه ، كَانَ عَلَيْهِ غشاوة ؛ ومنه ناقة : عشاء . وقرئ «يعش» بفتح الشين بمعناه . ﴿لَهُ قَرِينٌ﴾ مصاحب له لا يفارقه .

٤٤ - ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ أى وإن ما أوحى إليك - وهو القرآن - لشرف عظم لك ولقومك أى لقريش . أو للعرب عامة . أو لأمتك . ﴿وَسَوْفَ تُنْشَأُونَ﴾ يوم القيامة عنه . وعن القيام بحقه .

٤٩ - ﴿بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ﴾ من كشف العذاب عن امتدى .

٥٠ - ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ ينقضون عهدهم بالإيمان فلا يؤمنون . وأصله : نكت الأكسية والغزل . وهو قريب من النقص ؛ فاستعير لنقض العهد .

٥٢ - ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ أى أم تبصرون . ولما لم تذكر جملة تبصرون أقيم مقامها جملة «أنا خير» ؛ لأنهم إذا قالوا ذلك كانوا عنده بصراء فأقيم السبب مقام المسبب . ﴿هُوَ مَهِينٌ﴾ ضعيف حقير . ﴿وَلَا يَكَادُ بَيْنُ﴾ أى لا يكاد يبين الكلام من لشعة في لسانه .

٥٣ - ﴿أَسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ﴾ جمع

وَعَدْنَهُمْ فِيمَا عَلَيْنَاهُمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسَكَ بِالذِّكْرِ أَوْحَى إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّا لَنَذْكُرُكَ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴿٤٤﴾ وَسَوْفَ تُنْشَأُونَ ﴿٤٥﴾ وَسَعَلَ مِنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٨﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ آدَعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٥٠﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿٥١﴾ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُومُ الْبَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥٢﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يَبِينُ ﴿٥٣﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُّقْتَرِنِينَ ﴿٥٤﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٥﴾

سوار ؛ وهو كناية عن تملكه . ﴿مُقْتَرِنِينَ﴾ مقرونين به وكانوا إذا سؤدوا رجلاً سؤروه . يصدقونه .

٥٤ - ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ﴾ طلب سوارين ، وطوقه بطوق من ذهب ؛ علامة لسيادته . منهم الخفة والسرعة لإجابته



فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾
 فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين ﴿٥٦﴾ * وَلَمَّا ضُرِبَ
 ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا
 ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ
 خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ
 مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً
 فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُمْ لَعِلْمٌ لِلْسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ
 بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ
 الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى
 بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ
 الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ ﴿٦٣﴾ إِنْ أَلَّهَ هُوَ
 رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾

صلى الله عليه وسلم وقد سمعه يقرأ
 (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 حَصْبُ جَهَنَّمَ) (١) : أليست
 النصارى يعبدون المسيح ، وأنت
 تقول كان نبياً ! فإن كان في النار
 فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا
 معه ؟ فضحك كفار قريش ،
 وارتفعت أصواتهم ، وذلك قوله
 تعالى : ﴿ إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ
 يَصِدُّونَ ﴾ . وقرئ بضم الصاد ،
 ومعناها : يصدُّون ويصيحون
 فرحاً . يقال : صدَّ يصدُّ
 ويصدُّ ، ضجَّ .

٥٨ - ﴿ وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ﴾
 أى عيسى ، فإذا كان هو في النار
 فلنكن نحن وآلهتنا معه . وقد أبطل
 الله قولهم بقوله : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ
 لَكَ إِلَّا جَدَلًا ﴾ أى لأجل الجدال
 والغلبة في القول بالباطل ، لا
 لطلب الحق . ﴿ هُمْ قَوْمٌ
 خَصِمُونَ ﴾ لشداد الخصومة ،
 مجبولون على اللجاج في الباطل .
 جمعُ خصم - بفتح فكسر - وهو
 المجادل .

٥٩ - ﴿ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ أى
 كالمثل في غرابه ، حيث خلقناه
 من غير أب ، دليلاً على كمال
 قدرتنا .

٦٠ - ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ ﴾
 أى بدلاً منكم . أو بدلاً منكم .
 ٦١ - ﴿ وَإِنَّهُمْ لَعِلْمٌ لِلْسَّاعَةِ ﴾ أى
 وإن عيسى عليه السلام بتزوله من
 السماء لتعلم به الساعة . وقرئ
 «لَعَلَّم» أى لعلامة على قريش ؛

ومتابعته . أو حملهم على الحفة
 والجهل .
 ٥٥ - ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا ﴾ أسخطونا
 وأغضبونا أشد الغضب بالإفراط
 في الفساد والعصيان . متقول
 بالهمزة ، من أسف أسفاً : إذا
 اشتد غضبه .
 ٥٦ - ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا ﴾ قدوة
 لمن بعدهم من الكفار في
 استيجاب مثل عقابهم . وهو
 مصدرٌ وُصف به مبالغة ، ولذا

٥٧ - ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ
 مَثَلًا ﴾ رُوي أن عبد الله بن
 الزُّبَيْرِ قبل إسلامه قال للنبيِّ

وهو من أعظم أماراتها : وجاءت به الأحاديث الصحيحة . ﴿ فَلَا تَحْتَرَنَّ بِهَا ﴾ فلا تشكَّن في قيامها .

٦٥ - ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ ﴾ أى النصارى فيه ؛ فمنهم من قال هو الله ، ومنهم من قال هو ابن الله ، ومنهم من قال ثالث ثلاثة . وكلهم ظالمون ؛ إذ لم يقولوا إنه عبد الله ورسوله . ﴿ قَوْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ هلاك أو عذاب ؛ أو حسرة أو فضيحة للذين ظلموا أنفسهم بالكفر . وجحد أنه عبد الله ورسوله ؛ وزعيمهم فيه تلك المزاعم الباطلة .

٦٦ - ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ هل ينتظرون . ﴿ بَعْتَهُ ﴾ فجأة .

٦٧ - ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ ﴾ أى الأصداقاء الذين تخللت المحبة قلوبهم في الدنيا . ﴿ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ يوم القيامة . ﴿ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ الذين تحابوا في الله واجتمعوا على طاعته .

٧٠ - ﴿ تُخْبِرُونَ ﴾ تفرحون وتُسرون سروراً يظهر حبارَه - بفتح الحاء وكسرها - أى أثره على وجوهكم نَضْرَةً وَحُسْنًا ؛ من الحَبَر - بفتحين - وهو الأثر . أو تُزَيِّنُونَ ؛ من الحَبَر - بالكسر والفتح - وهو الزينة وحسن الهيئة .

٧١ - ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾ أى بأطعمة وأشربة في أوانٍ من ذهب . ولم

فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْيَمِّ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٨﴾ أَذْخَلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٦٩﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَأْسِيَتُهُمْ الْأَنْفُسُ تَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧٠﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٣﴾ لَا يُفْتَرَعُهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُوْنَ ﴿٧٤﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ وَنَادَوْا بِمَلِكٍ لِيَقْضِيَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ قَالِ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ ﴿٧٦﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٧﴾

تذكر الأطعمة والأشربة للعلم بأنه لا معنى للإطافة بالصحاف والأكواب من غير أن يكون فيها شيء . جمع صَفْحَة وكوب ؛ وهو إناء لا عُرْوَة له يُسْتَعْمَل للشراب .

٧٥ - ﴿ لَا يُفْتَرَعُهُمْ ﴾ لا يخفف ٧٧ - ﴿ لِيَقْضِيَ عَلَيْكَ رَبُّكَ ﴾ أى

عنهم العذاب ولا يسكن [آية ٢٠ الأنبياء ص ٤١٣] . ﴿ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُوْنَ ﴾ آيسون من تخفيف العذاب ؛ من الإِبْلَاس وهو الحزن المعترض من شدة اليأس [آية ٤٤ الأنعام ص ١٧٥] .

باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ في دنياهم
﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ﴾ أي يوم
القيامة .

٨٤ - ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ
إِلَهُ﴾ أي وهو الذي هو في السماء
معبود بحق . وهو في الأرض
معبود بحق .

٨٥ - ﴿وَتَبَارَكَ﴾ تعظم . أو
تزايدت بركته وخبراته [آية ٥٤
الأعراف ص ٢٠٧] .

٨٧ - ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ فكيف
يُصرفون عن عبادته تعالى إلى عبادة
غيره ؟ ويُشركون به مع إقرارهم
بأنه خالقهم ؟ والمراد : التعجب
من شركهم مع ذلك [آية ٧٥
المائدة ص ١٥٨] .

٨٨ - ﴿وَقِيلَ يَا رَبِّ﴾ بحر
اللام ، أي وقوله . مصدر قال .
معطوف على لفظ الساعة . أي
وعنده علم الساعة وعلم قول
الرسول صلى الله عليه وسلم :
يَا رَبِّ . أو الواو للقسمة ، أي
وأقسم بقول محمد : يَا رَبِّ .
وجواب القسم قوله تعالى : ﴿إِن
هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ . وقرئ
بالنصب عطفًا على محل الساعة ،
إذ هي في محل نصب بالمصدر
المضاف إليها على أنها مفعول له .
فكانه قيل : يعلم الساعة ، ويعلم
قيله يَا رَبِّ .

٨٩ - ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ فأعرض
عنهم ، ولا تطمع في إيمانهم لشدة
كفرهم وعنادهم . ﴿وَقُلْ
سَلَامٌ﴾ أي أمرى وشأني الآن

أَمْ أَمْرُؤَا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ
سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ
إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَّا أَوَّلَ الْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَنَ
رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾
فَذَرَهُمْ يَبْخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي
يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ
إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ
وَالِيهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ

وأصله : الفتل المحكم . يقال :
أبرم الحبل : إذا أتنق قُتله .
﴿فَأَنَّا مُبْرِمُونَ﴾ محكمون كيدنا بهم
باستئصال صنابدهم يوم بدر .
٨٠ - ﴿سِرَّهُمْ﴾ ماحدثوا به
أنفسهم من ذلك الكيد .
﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾ ما تناجوا به ولم
يطلع عليه سواهم .

٨١ - ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ
وَلَدٌ﴾ أي إن صح بالبرهان
القاطع ذلك فأنا أول من يعظم
ذلك الولد ، ويسبقكم إلى
طاعته ، كما يعظم الرجل ولده
الملك . واللازم متف بالمشاهدة
فكذا الملزوم .

٨٣ - ﴿فَذَرَهُمْ يَبْخُوضُوا﴾ في

لَيْمَتًا لِّتَسْتَرِيحَ ، مِن قَضَىٰ
عليه : إذا أماته .

٧٨ - ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرْتُمْ﴾ أي
كلكم . وعبر بالأكثر لأن من
الأتباع من كفر تقليدًا .

٧٩ - ﴿أَمْ أَمْرُؤَا أَمْرًا﴾ كلام
مستأنف ناع على المشركين ما دبروا
من الكيد للرسول صلى الله عليه
وسلم . أي بل أحكموا أمرًا من
كيدهم في دار الندوة ، إذ تأمروا
على قتله صلى الله عليه وسلم
و«بل» للانتقال من توبيخ أهل
النار إلى حكاية جنابة هؤلاء
المشركين . وهمة الاستفهام
لإنكار ما وقع واستقباحه
والإبرام : الإتيان والإحكام

مُشَارَكُكُمْ بِسَلَامَتِكُمْ مَتَى
وسلامتي منكم . والمراد به :
الإعراض عنهم ، والكف عن
مقابلتهم بالكلام . ثم هُذِّدُوا بقوله
تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ عاقبة
كفرهم وإصرارهم . والله أعلم .

السَّفَلَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِنْ
سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنْتَ يُؤَفِّكُونَ ﴿٨٧﴾
وَقِيلَهُ يَرْبِّ إِنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ
عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَّمَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

(٤٤) سُورَةُ الدَّجَانِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا ٩٠ نَزَلَتْ بَعْدَ الزَّخَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۖ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ
مُبَارَكَةٍ ۖ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٢﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ
حَكِيمٍ ﴿٣﴾ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا ۖ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤﴾ رَحْمَةً
مِنْ رَبِّكَ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ

سُورَةُ الدُّخَانِ

٢ ، ٣ - ﴿ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾
أقسم الله بالقرآن المبين ؛ إعلاما
ببلوغه غاية العظمة ورفعته القدر .
وجواب القسم : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ﴾
أى ابتدأنا إنزاله على محمد صلى الله
عليه وسلم بقطعة ﴿ فِي لَيْلَةٍ
مُبَارَكَةٍ ﴾ وهى على الصحيح :
ليلة القدر . ووصفها بالبركة
لزيادة خيرها : ولاستبعا ما أنزل
فيها منافع الخلق الدنيوية
والدنيوية . والله تعالى أن يخص
بعض الأزمنة والأمكنة بما شاء من
الفضل والخير ؛ فيفضل ما
سواه . ﴿ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾
مخوفين ومخدرين ؛ أى لأن من
شأننا وعادتنا الإنذار بالكتب
المنزلة . والإنذار : إخبار فيه
تحذير وترهيب ؛ كما أن التبشير
إخبار فيه تأمين وترغيب .

الإنزال بهذه الليلة . أى وكان
إنزالنا إياه فى هذه الليلة
خصوصا ؛ لأن إنزال القرآن من
الأمر الحكيمة . وهذه الليلة
مفرقة كل أمر حكيم ؛ إذ يفرق
وبيّن فيها للملائكة كل أمر من
أرزاق العباد وآجالهم ، وجميع
شؤونهم ؛ من هذه الليلة إلى ليلة
القدر التى تليها من السنة المقبلة .
﴿ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا ﴾ منصوب على
الاختصاص . أى أعنى به أمرا
عظيما صادرا من عندنا ؛ كما
اقتضاه علمنا وتديرتنا . ﴿ إِنَّا كُنَّا

مُرْسِلِينَ . رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ بدل
من قوله تعالى « إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ » ؛
أى أنزلنا القرآن لأن من شأننا
إرسال الرسل بالكتب إلى العباد
لأجل الرحمة عليهم . وحاصل
المعنى : أنه تعالى أنزل القرآن على
رسوله صلى الله عليه وسلم فى ليلة
القدر المباركة ، التى يبين فيها
للملائكة كل أمر حكيم من
الأمر المتعلقة بعبادة ؛ صادر على
وفق علمه وتدييره ، والقرآن من
أجلها ، وقد أنزله على رسوله صلى
الله عليه وسلم رحمة على العباد

٤ : ٦ - ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ
حَكِيمٍ ﴾ أى فى هذه الليلة يفصل
ويبين كل أمر ملتبس بالحكمة ، أو
مفعول على ما تقتضيه الحكمة .
والجملة مستأنفة لبيان تخصيص



وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِن كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا ۖ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ * وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَذُوا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكَ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي ءَاتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عَذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجَحُونَ ﴿٢٠﴾

حتى أكلوا العظام والميتة والجلود ؛ ونزلت الآية . وكفى عنه بالدخان ؛ لأن الهواء يتكرر سنة الجذب بكثرة الغبار المشبه للدخان لقلة الأمطار المسكنة له . ولأن الجوع الشديد تعرض فيه للبصر ظلمة من شدة الضعف حتى يرى صاحبه فيما بينه وبين السماء كهيئة الدخان . ثم أتوا الرسول صلى الله عليه وسلم فطلبوا أن يستسقى لهم ، ووعدوه بالإيمان إن كشف الله عنهم العذاب بقولهم : (رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ) . فاستسقى ، فسقوا الغيث مدراراً ؛ فأنزل الله تعالى : (إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ) . وقد تحقق ذلك فلم يؤمنوا كما وعدوا !

١١ - ﴿ يَغْشَى النَّاسَ ﴾ يشملهم ويحيط بهم .

١٣ - ﴿ أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى ﴾ من أين لهم الاعتباط بشيء من ذلك !

١٤ - ﴿ وَقَالُوا ﴾ معرضين عنه ، تارة : ﴿ مُعَلَّمٌ ﴾ يعلمه بشر ، وتارة : ﴿ مَجْنُونٌ ﴾ اختلط عقله .

١٦ - ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى ﴾ هو يوم بدر ؛ وقيل يوم القيامة ؛ من بَطَشَ به يَبْطِشُ ويَبْطِشُ : إذا أخذه بُعْثَ وقوة .

١٧ - ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ﴾ امتحناهم بإرسال موسى

إبطالاً لإيقانهم لعدم جرهم على مقتضاه . أي أنهم ما قالوا ذلك عن جد وإذعان ، بل قالوه محتطاً بهز ولعب .

١٠ - ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ ورد أنه لما استعصت قريش على الرسول صلى الله عليه وسلم . وأبى أكثرهم الإسلام قال : (اللَّهُمَّ أَعِزِّيهِمْ بِسَبْعِ كَسْبِ يَوْسُفَ ^(١) فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَجَهْدٌ وَبَلَاءٌ ؛

وهداية وتعلima ، جرياً على سننه في خلقه .

٧ - ﴿ إِن كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ أي إن كنتم على يقين في إقراركم حين تُسألون عن خلق السموات والأرض وما بينهما بأنه الله - علمتم ما يقتضيه من أنه هو المنزل للقرآن ، المرسل لرسوله رحمةً وهداية ؛ لظهور اقتضائه إياه ظهوراً بيّناً .

٩ - ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴾

عليه السلام . أو أوقعناهم في
الفئة بالسَّعة في الرزق والإمهال
حتى طغوا .

١٨ - ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾
أى أدُّوا إلى حقِّ الله من الإيمان
به ، وقبول الدعوة إليه يا عباد
الله . و«أَنْ» مفسرة أو مخففة .

١٩ - ﴿لَا تَعْلُوا﴾ لا تكبروا . أو
لا تقفروا . ﴿بِسُلْطَانٍ﴾ حجة
وبرهان على صدقي .

٢٠ - ﴿وَإِنِّي عَذْتُ رَبِّي وَرَبِّكُمْ
أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ اعتصمت بربِّي
وربِّكم ، واستجرت به منكم أن
تؤذوني ضرباً أو شتماً ، أو
تقتلوني . يقال : عاذ بالله عَوْذاً
ومعاذاً ومعادةً . لجأ إليه واستجار
به .

٢١ - ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي
فَاعْتَرِلُونِ﴾ فكونوا بمعزل مئى ،
لا على ولا لى ! ولا تتعرضوا لى
بسوء .

٢٣ - ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي﴾ أى سِرَّ
بنى إسرائيل وَمَنْ آمَنَ بِكَ مِنَ
الْقَبْطِ مِنْ مِصْرَ يَقْطَعْ مِنَ اللَّيْلِ .
وهزئته للقطع ؛ من أسرى يسرى
إسرائاً . وقرئ بهمة الوصل ؛ من
سَرَى يسرى سَرَى . ﴿لَيْلًا﴾
تأكيد له بغير اللفظ ؛ إذ الإسرائ
والسرى : السير ليلًا . ﴿إِنَّكُمْ
مُتَّبِعُونَ﴾ يتبعكم فرعون
وجنوده .

٢٤ - ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ أتركه
ساکناً على هيئته التى هو عليها بعد
ضربه بالعصا ؛ ليدخله القبط ؛

(١) آية ١١٠ آل عمران .

وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَؤُلَاءِ
قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴿٢٣﴾
وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرُقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا
مِنْ جَنَّتٍ وَعَيْونَ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾
وَنِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا
ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ
وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ
الْعَذَابِ أَلَمِيِّينَ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ
الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَخَّرْنَا لَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾

فإذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم .
يقال : رَهَا البحرُ يَرْهُو ، سكن .
وجاءت الخيل رَهْوًا : أى
ساكنة . أو أتركه مفتوحاً على حاله
منفرجاً ؛ من رَهَا الرَّجُلُ رَهْوًا :
فتح بين رجله وقرج بينها . وهو
حالٌ من البحر . والمراد به :
البحرُ الأحمر . ﴿جُنْدٌ﴾
جاعة .

٢٦ ، ٢٧ - ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾
مَحَافِلٌ مَزِينَةٌ ، وَمَنَازِلٌ حَسَنَةٌ .
﴿وَنِعْمَةً﴾ أى تنعم وترفعه . أو
نضارة عيش ولذذته . والمراد
بها : ما يُتَنَعَّمُ به . ﴿كَانُوا فِيهَا﴾
أى فى تلك النعمة . ﴿فَاكِهِينَ﴾
منعمين . جمعُ فاكِهٍ ، وهو

المستمتع بأنواع اللذة كما يتمتع
الآكل بأنواع الفاكهة . وقرئ
﴿فَاكِهِينَ﴾ وهما لغتان بمعنى
واحد ؛ كالحاذر والحذير ،
والفاره والفره .
٢٩ - ﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾
مؤخَّرين إلى وقتٍ آخر فى الدنيا ؛
لتوبة وتدارك تقصير . أو إلى يوم
القيامة ؛ بل عُجِّلَ لهم العذاب فى
الدنيا .
٣١ - ﴿كَانَ عَلِيًّا﴾ متكبِّراً
جباراً .
٣٢ - ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أى
عالمى زمانهم ؛ بدليل قوله تعالى
لهذه الأمة : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ
أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (١) .

كفاراً فأهلكهم الله . ولم تُغن عنهم قوتهم من الله شيئاً . ويُع : لقب لكل ملك ملك اليمن والشجر وحضر موت ، مثل كسرى للفرس . وقبصر للروم ، وفرعون لمصر .

٤٠ - ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ ﴾ بين الحق والمبطل . ﴿ مِيقَاتُهُمْ ﴾ أى وقت مواعيدهم ﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ .

٤١ - ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً ﴾ لا يدفع قريب عن قريبه . ولا صديق عن صديقه شيئاً من العذاب . والمولى : يُطلق على القريب ، كابن العم ونحوه . وعلى الصاحب والحليف .

٤٣ : ٤٦ - ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ﴾ [آية ٦٢ الصافات ص ٥٦٨] ﴿ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴾ كثير الآثام وهو الكافر . ﴿ كَالْمُهْلِ ﴾ كالشحاس المذاب [آية ٢٩ الكهف ص ٣٨٠] . ﴿ الْحَمِيمِ ﴾ أى الماء البالغ غاية الحرارة .

٤٧ - ﴿ خَذُوهُ قَاعْغُلُوهُ ﴾ يقال للزبانية : خذوا الأثيم الفاجر ، فجزّوه بقهر وسوقوه بعنف إلى سِوَاءِ الْحَمِيمِ . وسطها : من العتل وهو الأخذ بمجامع الشيء وجره بقهر . يقال : عتل الرجل أعثله وأعتله عثلاً . إذا جذبته جذباً عتيفاً . وسقته بجفاء . وقرئ بضم التاء .

٥٠ - ﴿ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴾ إن هذا العذاب هو ما

وَأَتَيْنَهُمْ مِنَ الْأَيْتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَتَوْا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ النَّبِيعِ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعَيْنَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنْ يَوْمَ الْفُصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خَذُوهُ قَاعْغُلُوهُ إِنَّ سِوَاءَ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ

٣٣ - ﴿ بَلَاءٌ مُبِينٌ ﴾ نكبة ظاهرة . أو اختبار ظاهر بالرخاء والشدّة . والنعم والنعيم ؛ لنظر كيف يعملون .

٣٤ - ﴿ إِنْ هَؤُلَاءِ ﴾ أى مشركى مكة . وهو تمة لما سبق من الكلام فى شأنهم . وذكر قصة فرعون وقومه فى الوسط للدلالة على أنهم أشباه فى الإصرار على

الضلالة وفى سوء العاقبة . ٣٥ - ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴾ وما نحن بمبعوثين بعدها ؛ من أنشر الله الموتى نشوراً : أحياهم ؛ فهم منشرون .

٣٧ - ﴿ أَهْمُ ﴾ فى القوة ﴿ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ النَّبِيعِ ﴾ هو تبع الحميرى أبو كرب أسعد بن ملك ؛ أحد ملوك التّابعة . وكان مؤمناً ، وإليه تُنسب الأنصار . وكان قومه

هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ
أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ
وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمُ
بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾
لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَهُمْ
عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلًّا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾
فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

(٤٥) سُورَةُ الْجَاثِيَةِ مَكِّيَّةٌ
إِلَّا آيَةَ ١٤ فَدَنِيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٣٧ نَزَلَتْ بَعْدَ الدَّحَاثِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾
إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾
وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾

سُورَةُ الْجَاثِيَةِ

به . وخلق الإنسان وانتقاله في
أطواره . وخلق ما على الأرض من
صنوف الحيوان ؛ والمتأمل فيها
وفي ارتباط تكونها بالعالم العلوي
يصل بالتأمل إلى مرتبة اليقين ،
والحوادث المتجددة في كل وقت
من اختلاف الليل والنهار . ونزول

٣- ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ...﴾ اشتملت هذه
الآيات الثلاث على ستة أدلة
كونية : خلق السموات
والأرض ؛ والمتأمل فيها يعلم أنه
لا بد لها من صانع حكيم ، فيؤمن

كنتم فيه تجادلون وتخاصمون في
الدنيا على مذهب الشك والريبة .
وقد كانوا في إنكار البعث
صنفين : صنف يحجده وهم أئمة
الكفر . وصنف حائر فيه .
يحجده إذا سمع مقالة أولئك .
ويشك فيه إذا سمع الآيات الدالة
عليه ؛ ومتشأ هذه الحيرة عدم
التصديق بالرسالة ؛ والإيمان
بصدق الخبر مع الجهالة وفساد
الاستعداد .

٥٣- ﴿سُدُسٍ﴾ مَارَقٌ من
الحريس . واحده سُندسة .
﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ ما غلظ منه .

٥٤- ﴿كَذَلِكَ﴾ أى الأمر
كذلك . ﴿بِحُورٍ﴾ يحار فيهن
الطرف لفرط حسنهن ، وجمال
بياضهن . وصفاء ألوانهن ؛
جمع حوراء . وهى التى يحار فيها
الطرف . أو البيضاء ؛ من الحور
وهو البياض . ﴿عِينٍ﴾ جمع
عيناء . أى واسعة العتین .

٥٥- ﴿يَدْعُونَ فِيهَا﴾ يطلبون
فيها .

٥٨- ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾
سهلنا عليك تلاوته وتبليغه إليهم .
منزلاً بلغتك ولغتهم . ﴿لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ﴾ كى يتعظوا فيؤمنوا به
ويعملوا بما فيها ؛ لكنهم لم يتعظوا
ولم يؤمنوا .

٥٩- ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ﴾
فانتظر ما يحل بهم إنهم ينتظرون ما
يحل بك ؛ كما قالوا : (نَرْتَضُّ بِهِ
رَبِّبَ الْمُتُونِ) ^(١) . والله أعلم .

٦ - ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ﴾ أى بعد حديث الله الذى يتلوه عليكم الرسول وهو القرآن . وقد جاء إطلاق الحديث عليه فى قوله تعالى : (اللَّهُ تَزَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي) ^(١) . ﴿وَأَيَّاتِهِ﴾ دلائله وحججه ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ .

٧ - ﴿وَبَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ هلاك ، أو عذاب ، أو حسرة لكل كذاب كثير الإثم . ويدخل فى الآية من نزلت فيه دخولا أوليا : أبو جهل ، أو النضر بن الحارث وكان يشتري أحاديث الأعاجم ليلهى الناس بها عن سماع القرآن .

٨ - ﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا﴾ ثم يقيم على كفره وضلاله ، مستكبرا عن الإيمان بالآيات . والإصرار على الشيء : ملازمته وعدم الانفكاك عنه ، من الصر وهو الشدة . ومنه صرة الدراهم .

٩ - ﴿اتَّخَذَهَا هُزُؤًا﴾ اتخذ الآيات هزوا وسخرية .

١٠ - ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ﴾ لا يدفع عنهم ..

١١ - ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم موجع من أشد العذاب . والرجز : يطلق على أشد العذاب وعلى العذاب .

وقرئ «الليم» بالجر على أنه صفة لـ «رجز» .

١٤ - ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ حث للمؤمنين على التجاوز والصّفع عما يصدر من المشركين

وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفَ الرِّيحِ ؕ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ ؕ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ؕ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ؕ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُؤًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩﴾ مَنْ وَرَأَاهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزٍ أَلِيمٍ ﴿١١﴾ * اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ؕ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ؕ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ لِلَّذِينَ ؕ آمَنُوا

يناسب ما سبق فيها من الدليل .
٤ - ﴿يُتْلَى﴾ أى ينشر ويفرق [آية ١٠ لقمان ص ٥١٧] .
٥ - ﴿وتصريف الرياح﴾ نقلها من جهة إلى أخرى ، ومن حالة إلى حالة [آية ١٦٤ البقرة ص ٣٨] .

الأمطار الذى به حياة الأرض بالنبات . وتقلب الرياح وأثارها فى البر والبحر ، والتأمل فيها يؤدى إلى استحكام العلم وقوة اليقين ، وذلك لا يكون إلا بالعقل الكامل ، ولذا اختتمت كل آية بما



يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ
فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكَ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي
إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنْ
الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمْ
بَيْنَتٍ مِّنَ الْأَمْرِ ۖ فَاخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ
الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ
الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾
إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَبَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ
وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ
اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾

من الكلمات البديثة المؤذية ، وعلى
ترك منازعتهم بمثلها . أى قل
للمؤمنين اغفروا يغفروا للمشركين
الذين لا يتوقعون وقائع الله
بأعدائه . ﴿ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴾
لا يتوقعون وقائعه بأعدائه .
﴿ لِيَجْزِيَ قَوْمًا ﴾ أى أمروا بذلك
ليجزيه الله يوم القيامة بما كسبوا
في الدنيا من الأعمال الصالحة ،
ومنها الصبر على أذى الكفار ،
والإغضاء عنهم ، واحتمال المكروه
منهم .

١٦ - ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي
إِسْرَءِيلَ .. ﴾ أنعم الله على بنى
إسرائيل بنعم كثيرة ، منها هذه
النعم المذكورة في الآية فلم
يشكروها ، بل اختلفوا في أمر
الدين بغياً وحسداً . فكَذلك كفار
مكة جاءهم الهدى فأصروا على
الكفر ، وأعرضوا عن الإيمان
عداوةً وحسداً . والكتاب :
التوراة . والحكم : الفصل بين
الناس في الخصومات .
والبينات : الدلائل الظاهرة ،
ومنها معجزات موسى عليه
السلام .

١٧ - ﴿ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ عداوةً
وحسداً فيما بينهم . والبغى :
طلب تجاوز الاقتصاد فيما
يُتَحَرَّى ، والمذموم منه : تجاوز
الحق إلى الباطل ، ومنه العداوة
بغير حق ، والحسد على التهمة .

١٨ - ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ
مِّنَ الْأَمْرِ ﴾ على طريقة ومنهاج
واضح من أمرنا الذى أمرنا به من

قبلك من رسلنا ، من شرعه : إذا
سأله ليسلك . والشرعة في
الأصل : ما يرده الناس من المياه
والأنهار . وجمعها شرائع ،
واشعرت للدين ؛ لأن العباد
بأخذهم به تحيا نفوسهم كما يحيا
العطاش بالماء .
١٩ - ﴿ لَنُغْنُوا عَنْكَ ﴾ لن
يدفعوا عنك .
٢٠ - ﴿ بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ ﴾ بينات
تبصرهم سبيل الفلاح .
٢١ - ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا
السَّيِّئَاتِ ﴾ اكتسبوا ما يسوء من
الكفر والمعاصي ؛ من الاجتراح
وهو الاكتساب [آية : المائدة
ص ١٤٣] - أى بل أحسبوا أن

وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ
نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢١﴾ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ
إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ
وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا
وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ
إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا نُتِلَّىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ
حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعُوا بَابَنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٤﴾
قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ وَلِلَّهِ
مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِضُ
يَحْسُرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٦﴾ وَتَرَىٰ كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ
إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ هَذَا كِتَابُنَا
يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾
فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ
فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٢٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا
أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُنْزَلُ عَلَيْكَ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا
مُجْرِمِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ
فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا لَحْنُ

نُسَوَّىٰ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ بَيْنَهُمْ
مع اجتراحهم السيئات وبين أهل
الحسنات ! كلاً ! لا يستون
فيها ؛ فَإِنَّ الْمُحْسِنِينَ فِي عِزِّ الْإِيمَانِ
وَالطَّاعَةِ وَشَرَفِهَا فِي الْمَحْيَا ، وَفِي
رَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ فِي الْمَمَاتِ .
وَالْمُسِيئِينَ فِي ذُلِّ الْكُفْرِ وَالْعَصْيَانِ
وَهَوَانِهَا فِي الْحَيَاةِ . وَفِي لَعْنَةِ اللَّهِ
وَعَذَابِهِ فِي الْمَمَاتِ . ﴿سَاءَ مَا
يَحْكُمُونَ﴾ أَيُّ بَشَرٍ حُكْمًا
حُكْمُهُمْ أَنْ نُسَوَّىٰ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ .
٢٣ - ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ أَيُّ أَخْبَرَنِي !
أَوْ أَنْظَرْتَ مَنْ هَذِهِ حَالَتُهُ
فَرَأَيْتَهُ ... ! فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَقْضِي مِنْهُ
الْعَجَبُ . ﴿مَنْ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ
هَوَاهُ﴾ جَعَلَ هَوَاهُ مَعْبُودَهُ يَخْضَعُ
لَهُ وَيَطِيعُهُ ، كَمَا يَخْضَعُ الْعَابِدُ
لِمَعْبُودِهِ . ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ
وَقَلْبِهِ﴾ فَلَا يَتَأَثَّرُ بِمَوْعِظَةٍ ، وَلَا
يَتَفَكَّرُ فِي آيَةٍ . ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ
غِشَاوَةً﴾ أَيُّ غِطَاءٍ فَلَا يُبْصِرُ
هُدًى . وَالْكَلَامُ تَمْثِيلٌ بَلِيغٌ .
٢٤ - ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا
الدُّنْيَا﴾ أَيُّ مَا الْحَيَاةُ إِلَّا هَذِهِ
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا الَّتِي نَعِيشُ فِيهَا ،
وَلَيْسَ هُنَاكَ حَيَاةٌ أُخْرَى بَعْدَ
الْمَمَاتِ ! ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾
أَيُّ مَرُورِ الزَّمَانِ . وَكَانُوا يَنْسَوْنَ
الْأَفْعَالَ إِلَى الدَّهْرِ لَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .
٢٨ - ﴿وَتَرَىٰ كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةً﴾
أَيُّ تَرَىٰ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَهْلُ كُلِّ
مِلَّةٍ وَدِينٍ عِنْدَ الْحِسَابِ مِنْ هَوْلِ
الْمَوْقِفِ بِأَرْكَانِهِ عَلَى الرُّكْبِ .
الْمُسْتَوْفِزِينَ عَلَى هَيْئَةِ الْمُذْنَبِ
الْمُنْتَظَرِ لِمَا يَكْرَهُ ؛ مِنَ الْجَنَّةِ وَهُوَ

الجلوس على الركب . يقال :
جثا على ركبته يحنو ويحنى جثوا
وجثيا . ﴿ تَدْعَى إِلَى كِتَابِهَا ﴾ إلى
سجل أعمالها الذى أمر الله الحفظة
بكتابته لحاسب عليه .

٢٩ - ﴿ نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴾ نأمر حفظتنا بنسخ
أعمالكم : أى بكتابتها وتثبيتها
عليكم فى الصحف : حسنة
كانت أو سيئة . فالمراد بالنسخ :
الإثبات لا الإزالة .

٣٢ - ﴿ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا ﴾ هذا
قول المتحيرين منهم بين ما يُتلى
عليهم من الآيات فى أمر الساعة .
وبين ما يسمعون من أكابره
وآبائهم . ﴿ وَمَا نَحْنُ
بِمُتَّبِعِينَ ﴾ أى بمؤمنين أن
الساعة آتية . والكافرون بالبعث -
كما قدمنا - صفان : جاحد له
بإصرار . وحائر بين الجحود
والشك [آية ٧ الدخان ص
٦٢٩ ، ٦٣٠] .

٣٣ - ﴿ وَحَاقَ بِهِمْ ﴾ نزل أو
أحاط بهم .

٣٤ - ﴿ نَسَاكُمْ ﴾ نترككم فى
النار . واستعمال النسيان فى الترك
مجاز بعلاقة السببية . ﴿ مَاوَأَكُمُ
النَّارُ ﴾ منزلكم ومقركم النار .

٣٥ - ﴿ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ
هُزُوءًا ﴾ مهزوا بها . ولم ترفعوها
رأسا . ﴿ وَغَرَّكُمْ ﴾ خدعتكم
بهرجها . ﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾
أى لا يُطلب منهم أن يُزِيلُوا عَثَبَ
رَبِّهِمْ عليهم ، وهو كناية عن

يُتَّبَعُونَ ﴿ ٣٦ ﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ
مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿ ٣٧ ﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَلُكُمْ كَمَا
نَسَبْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ
نَّاصِرِينَ ﴿ ٣٨ ﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا
وَوَغَرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ
يُسْتَعْتَبُونَ ﴿ ٣٩ ﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ ٤٠ ﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ ٤١ ﴾

(٤٦) سُورَةُ الْأَحْقَافِ مَكِّيَّةٌ
إِلَّا الْآيَاتِ ١٠ وَ ١٥ وَ ٢٥ فَدَنِيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٢٥ نَزَلَتْ بَعْدَ الْحَاجِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿ ١ ﴾
مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ
وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿ ٢ ﴾

سُورَةُ الْأَحْقَافِ

إرضائه تعالى . أى لا يُطلب منهم
إرضاءه عز وجل فى ذلك اليوم
لقوات أوانه [آية ٨٤ النحل
ص ٣٥٣] .
٣٧ - ﴿ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ ﴾ العظمة
والملك . أو كمال الذات وكمال
الوجود . والله أعلم .

٣ - ﴿ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ أى إِلَّا خَلْقًا
متبئسا بالحق الذى تقتضيه المشيئة
الإلهية ، والحكمة الربانية .
﴿ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أى وإلا بتقدير
أمد معين لبقاء هذه المخلوقات
تفتى فى نهايته ، وذلك عند قيام



قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنْفِئُونَ بَيْنَكُمْ وَاللَّهِ بَيْنَ مَا نَحْنُ بِذَلِكَ بِرَبِّكُمْ قُلْ مَنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ لَدُنْكَ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ وَإِذَا تُنْفِئُ عَلَيْهِمُ الْبُيُوتَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ لَبَّى أَتَيْنَا بِكَ الْكُفُورَ وَالْحَقَّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سَحَرٌ مِمَّنْ قُلُوبُهُمْ غَفَلَتْ فَعَلُوا فِيهَا قَوْلَ لَوْ كُنَّا كَمَا زُكِّرْنَا لَا لَكُنَّا مِنْكُمْ لَنُفِضَنَّ فِيهِ كُفْرَ بِيٍّ وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

﴿أَتُنْفِئُونَ بَيْنَكُمْ وَاللَّهِ﴾ على صحة دينكم !! والأمر للتبكيك بعجزهم عن الإتيان بدليل نقل ، بعد تبكيكهم بالعجز عن الإتيان بدليل عقلي . ﴿مَنْ قَبْلُ هَذَا﴾ الكتاب : أى القرآن الناطق بإبطال الشرك . ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ بقية من علم يؤثر عن الأولين ويُسند إليهم ، شاهدة باستحقاقهم العبادة . ﴿أَوْ أَثَارَةٍ﴾ - بفتح الهمزة - مصدر كالمساحة ، معناها البقية . يقال : سميت الناقة على أثاره ، أى على عقيق شحم كان عليها قبل ذلك ، فكأنها حملت شحمًا على بقية شحمها .

٨ - ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ بل يقولون اختلق القرآن وتقولوه محمدًا ؟ بل من الافتراء وهو الاختلاق والكذب . والاستفهام للإنكار والتعجب . ﴿تُفِضُونَ فِيهِ﴾ أى تدفعون فيه من القدح فى آيات القرآن ، من الإفاضة ، وهى الأخذ فى الشيء باندفاع . وأصله من فاض الماء : إذا سال منصبا . وأفاض إناءه : إذا ملأه حتى أساله .

٩ - ﴿مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾ ما كنت أول الرسل الذين جاءوا بكتاب من عند الله ، بل كان قبلى رسل كثيرون أرسلوا بالكتب إلى أمم قبلكم ، فكيف تنكرون على ما جئتكم به ؟ يقال : هو بدع فى هذا الأمر . أى أول لم يسبقه أحد . أو ما كنت بديعًا منهم ، أى

الساعة . والأجل : المدة المضروبة للشيء . ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا﴾ من قيام الساعة وحدث أهوالها والبعث فى اليوم الآخر والجزاء . ﴿مُعْرِضُونَ﴾

٤ - ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أى أخبروني . ومفعول «أرأيتم» هو «ما تدعون» ، وجملة «ماذَا خَلَقُوا» سدّت مسدّد

لستُ مبتدعاً لأمر يخالف ما جاءوا به من الدعوة إلى التوحيد . فهو صفة مشبهة ، كخلّ بمعنى خليل ، من الابتداع وهو الاختراع . ﴿ وَمَا أَذْرَى مَا يَفْعَلُ بَنِي وَلَا يَكُمُ ﴾ لا أعلم من تلقاء نفسي ما سيفعله الله بي ولا بكم مما لا سبيل إلى العلم به إلا الوحي ﴿ إِنَّ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾ أي ما أفعل إلا اتباع ما يوحى الله إليّ ؛ فلا أعلم ما لم يوح إلى من الغيب ولا أخبر به .

١٠ - ﴿ أَرَأَيْتُمْ ﴾ أخبروني ماذا حالكم . ﴿ وَكَفَرْتُمْ بِهِ ﴾ أي وقد كفرتم به ؛ أي بالقرآن الموحى إليّ به . ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ عَظِيمُ الشَّانِ ﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الواقفين على أسرار الوحي بما أوتوا من التوراة . ﴿ عَلَى مِثْلِهِ ﴾ أي على مثل القرآن من المعاني المنطوية في التوراة ، من التوحيد والبعث والوعد والوعيد وغير ذلك من أصول الشرع ؛ فإنها في الحقيقة عين ما فيه . ﴿ فَأَمَنَ ﴾ بالقرآن ﴿ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ عن الإيمان به . وجواب الشرط محذوف ؛ أي فقد ظلمتم . والمراد بالشاهد : عبد الله بن سلام من مؤمنى اليهود ، وكان من العلماء بالتوراة .

١١ - ﴿ لَوْ كَانَ خَيْرًا ﴾ أي لو كان القرآن الذي جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - خيراً . ﴿ مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ﴾ أي ما سبقنا إليه

(١) آية الفرقان .

وَكَفَرْتُمْ بِهِ ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ .
فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ، فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾
وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانَا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَنُبَشِّرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾
إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾
أَلَحْنَةُ خَالِدِينَ فِيهَا جزاء بما كانوا يعملون ﴿١٤﴾

إِحْسَانًا ﴿ أمرناه أن يُحسن إليهما إحساناً ، ويبرهما بصنوف البر في حياتهما وبعد مماتهما . والإحسان : خلاف الإساءة . وقرئ « حُسْنًا » . نزلت هذه الآية إلى قوله « وَعَدَ الصِّدِّيقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ » في أبي بكر الصديق رضي الله عنه . وهو مثل رفيع في الجمع بين التوحيد والاستقامة في الدين . ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ أي ذات كُرْهِ ومشقة أثناء ثقل الحمل والوضع ؛ منصوب على الحال من الفاعل . وقرئ بفتح الكاف ، وهما لغتان بمعنى ؛ كَالضَّعْفِ وَالضُّعْفِ . ﴿ وَحَمَلَتْهُ وَفَصَّالَهُ ﴾ مدة حملة وفطامه من

أولئك الضعفاء الفقراء ؛ كعمار وبلال وأضرابها ﴿ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ أي فسيقول الكافرون الذين لم يهتدوا بالقرآن : هذا القرآن كذب قديم من أخبار الأولين ؛ نسبه محمد إلى ربه . وهو كقولهم : (أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلًا) (١) . والإفك : الكذب .

١٣ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ أي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم . وبين الاستقامة في الدين التي هي منتهى العمل .

١٥ - ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ

١٦ - ﴿وَعَدَ الصِّدْقُ﴾ وَعَدَهُمُ اللَّهُ وَعَدَ الصِّدْقُ ؛ أى وَعَدًا صادقًا .

١٧ - ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ﴾ عند دعوتها إياه إلى الإيمان . والمراد به الجنس ؛ فهو في معنى الجمع . ولذا أخبر عنه بقوله :

(أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) . ﴿أَفْ لَكُمْ﴾ إظهارًا لتضجره ؛ وهو صوت يصدر عند التضجر . أو اسم للفعل الذى هو

أُتْجِرَ . ﴿أَنْ أُخْرِجَ﴾ أُبْعَثَ من القبر بعد الموت . ﴿خَلَّتِ الْقُرُونُ﴾ مضت الأمم ولم تُبْعَثْ .

﴿وَبَيْنَكَ﴾ أى يقولون له «ويلك» . وهى فى الأصل كلمة دعاء بالشبور والهلاك ؛ وهى

مصدر منصوب بفعل ملاق له فى المعنى الأصلي ، أى هلكت هلاكًا . والمراد بها هنا : حثُّ

المخاطب وتحريضه على الإيمان ، لا الدعاء عليه بذلك . ﴿أَمِنْ﴾ أمرٌ بالإيمان ، وهو من جملة

مقوله ، وكذا ﴿إِنْ﴾ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا . ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ خرافاتهم وأباطيلهم التى سطورها فى كتبهم .

١٨ - ﴿أُولَئِكَ﴾ خَيْرٌ «وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ» كما قدمنا . ﴿حَقًّا عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ هو قوله تعالى لا إله إلا الله . (لأَمْلاَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ) (١) .

﴿قَدْ خَلَّتْ﴾ مضت ونقدت . ٢٠ - ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا ..﴾ أى يُعَذَّبُونَ بها ؛ من

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفْ لَكُمْ أَتَعِدَانِي أَنْ أَتُخْرِجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَأَمِنْ إِذَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ تَعْمَلُونَ لَهَا وَلِيُوَفِّقَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طِبْعَتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ

هو أكبر الأشد وتنام الشباب ؛ وهو سن النبوة عند الجمهور . ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ رغبني ووفقني إلى شكر نعمتك [آية ١٩ المل ص ٤٨٢] .

الرضاع . ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ أى بلغ زمن استحكام القوة وكمال العقل ، وقدر ثلاث وثلاثين سنة ؛ لكونه آخر سن الشؤم والنماء . ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾



أَهْلُونَ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢١﴾ * وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ
قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ
خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ
يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢٢﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا
بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ
عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِيتُمْ قَوْمًا
يَجْهَلُونَ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا
هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا
لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٦﴾
وَلَقَدْ مَكَنَّا لَهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا
وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا
أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ
بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ
مِنْ الْقُرَىٰ وَصَرْفْنَا الْآلِيَّتَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾

قولهم : غرض الأسرى على
السيف - إذا قتلوا به . ﴿أَذْهَبْتُمْ
طَبِيبَاتِكُمْ﴾ أى يقال لهم ذلك .
﴿عَذَابُ الْهُونِ﴾ أى الهوان . أو
الخزى .

٢١ - ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ هو
هود عليه السلام ﴿إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ
بِالْأَحْقَافِ﴾ جمع حقف - وهو
في الأصل : ما استطال من الرمل
واعوج - ولم يبلغ أن يكون
جبلًا . أو جمع حفاف الذى هو
جمع حقف . والمراد بها : منازل
عاد الأولى باليمن . وكانت في
شمال حضرموت . وفي شمالها
الربع الخالي . وفي شرقها عُمان .
وموضعها اليوم رمال خالية ،
وكان أهلها من أشد الناس قوة .

٢٢ - ﴿لِنَأْفِكَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾
لنصرفنا عن عبادة آلهتنا إلى عبادة
ما تدعوننا إليه وإلى اتباع قولك !
أو لتزيلنا عن عبادتها بالافك
والكذب [آية ٧٥ المائدة
ص ١٥٨] .

٢٤ - ﴿رَأَوْهُ عَارِضًا﴾ أى رأوه
سحابًا عارضًا في أفق السماء .
والعرب تسمى السحاب - الذى
يرى في بعض آفاق السماء عشيًا ،
ثم يُصبح من الغد قد استوى وحبًا
بعضه إلى بعض - : عارضًا ؛
وذلك لعرضه في بعض أرجاء
السماء حين نشأ .

٢٥ - ﴿تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ تهلك
كل شيء تمر عليه ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾
بإيائها بإهلاكه .

٢٦ - ﴿فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾
أى فى الذى لم يمكنكم فيه من
السعة والسطوة والقوة . ﴿فَمَا
أَغْنَىٰ عَنْهُمْ﴾ فما دفع عنهم .
﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ نزل وأحاط بهم .
٢٧ - ﴿وَصَرْفْنَا الْآلِيَّتَ﴾
كُثرناها بأساليب مختلفة ﴿لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ﴾ عما هم فيه من الكفر
والمعاصى إلى الإيمان والطاعة ؛
فلم يرجعوا .

نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ (٢) ، وهم المعنيون في هذه الآية . ولا يعارضه ما روي عن ابن مسعود من ذهابه صلى الله عليه وسلم إلى الجن ، وإبلاغهم القرآن وإبذارهم به ، فإنه في واقعة أخرى . بل دلت الأحاديث على أن وفادة الجن كانت ست مرات ، ولتعدد الوقائع اختلفت الروايات في عدد الجن الذين حضروا . وفي المكان والزمان . والمقصود من ذكر القصة : توبيخ كفار مكة ، إذ كفروا بالقرآن وجحدوا أنه من عند الله ، وهم أهل اللسان الذي نزل به القرآن ، ومع ذلك عجزوا عن معارضته ،

ومن جنس الرسول الذي جاء به ، والجن - وهم ليسوا من أهل لسانه - ولا من جنس الرسول - استمعوه وأنصتوا إليه . وآمنوا به بمجرد سماعه . والنفس - بفتحين - : ما بين الثلاثة والعشرة . ويطلق على ما فوق العشرة إلى الأربعين .

٣٢ - ﴿ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ ﴾ له فائت منه بالهت .

٣٣ - ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ أي ألم يتفكروا ولم يعلموا ﴿ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ أي العالمين العلوي والسفلي ﴿ وَلَمْ يَخْلُقْهُمْ ﴾ لم يتعب ولم يتعب به ، من عيسى بالامر وعي - كقرح - إذا تعب ، أو لم يعجز عنه ولم يتحير فيه ، من عيسى بأمره وعي : إذا لم يهتد لوجهه ، وانقطعت حيلته

فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٣٩﴾ قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٠﴾ يَنْقُومُنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤١﴾

وَجَّهْنَا إِلَيْكَ جَمَاعَةً مِنَ الْجِنِّ ، وكانوا من جن نصيبين من ديار بكر قرب الشام . أو من جن يمتوى قرب الموصل . وكان عليه الصلاة والسلام يصلي بأصحابه صلاة الفجر بنخلة في طريق الطائف ، بينها وبين مكة مسيرة ليلة ، ويقرا سورة العلق - وقيل سورة الرحمن - فاستمعوا للقرآن ، ثم عادوا إلى قومهم منذرِينَ . ﴿ أَنْصِتُوا ﴾ اسكتوا واصغوا لنسمعه . ﴿ فَلَمَّا قُضِيَ ﴾ فرغ من التلاوة . وعن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشعر بهم في هذه الواقعة ، ولم يقصد إبلاغهم القرآن ، وإنما صادف حضورهم وقت قراءته ، وبؤيده ظاهرة ﴿ قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ

٢٨ - ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمْ ﴾ فهلا منعمهم من الهلاك ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أي الآلهة الذين اتخذوهم من دون الله ﴿ قُرْبَانًا ﴾ متقربًا بها إلى الله في زعمهم : حيث قالوا : (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) (١) وأصله : كل ما يتقرب به إلى الله تعالى من طاعة أو نسيكة ، وجمعه قربان . وهو حال من (آلهة) الواقعة مفعولًا ثانيًا لـ ﴿ اتَّخَذُوا ﴾ . ﴿ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ ﴾ أي ضلال آلتهم عنهم ، أثر إفكهم وكذبهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة ، وزعمهم أنها تقرهم إلى الله تعالى .

٢٩ - ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ ﴾ أي واذكر لقومك إذا

فيه . ﴿بَلَى﴾ أى هو قادر على إحياء الموتى .

٣٤ - ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ أى أليس هذا العذاب بالحق ! وقد كنتم تقولون (وما نحن بمُعذِّبين) (١) !

٣٥ - ﴿أُولُو الْعِزِّ مِنَ الرُّسُلِ﴾ ذُوو الْجِدِّ وَالثَّبَات . والصبر على الشدائد والأذى - فى القيام بأعباء الرسالة . وأصح الأقوال : أنهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم . وهم أصحاب الشرائع المذكورون فى قوله تعالى : (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ) (٢) . وقوله : (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا) (٣) . ﴿بَلَاغٌ﴾ أى هذا الذى وعظمت به كافى فى الوعظ إذا تدبرتم فيه . أو تبليغ من الرسول لكم . أو هذا القرآن تبليغ من الله لكم على لسان رسوله . والله أعلم .

وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٦﴾
أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَكُوتَ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُمْ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٧﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَئِكَ الْعِزِّ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٩﴾

(٤٧) سُورَةُ مُحَمَّدٍ مَلَانِسْتِ
إِلَّا آيَةُ ١٣ فَتُرِثُ فِي الطَّرِيقِ أَثْنَاءَ الْحَجَّةِ
وَأَيَّاهَا ٣٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الْحَدِيدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ

سُورَةُ مُحَمَّدٍ
وَتُسَمَّى سُورَةُ الْقِتَالِ

١ - ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أى منعوا غيرهم عن الإسلام . ويدخل فيهم الْمُطْعِمُونَ يَوْمَ بَدْرٍ دَخُولاً أَوَّلِيًّا ؛ من الصَّد . يقال : صدته عن الأمر صدًا ، منعه وصرفه عنه ؛ كأصد . أو أعرضوا عن الإسلام ؛ من الصدود . يقال : صد عنه صدودًا ، أعرض . ﴿أَضَلَّ﴾

أَعْمَالَهُمْ ﴿أَبْطَلَ مَا عَمِلُوهُ مِنْ وَسَلَّمَ ؛ كَالْإِنْفَاقِ الَّذِى فَعَلُوهُ فِي الْكَيْدِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ تِلْكَ الْغَزْوَةُ لِمَحَارَبَتِهِ - بِنَصْرَتِهِ

الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ
لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٢﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ
الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنًّا
بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ
يَشَاءُ اللَّهُ لَا تَنْصَرِمُنَّهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ
وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴿٣﴾

وأضعفته . والوَتَاق - بالفتح
والكسر - اسم لما يوثق به ،
كالقيد والحبل ونحوه . وجمعه
وُتُق ، كعَمَاقُ وَعُنُقُ . ﴿٢﴾ فَإِمَّا مَنًّا
بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴿٣﴾ أى إمَّا تَمُوتُونَ
عليهم بعد الأسر بالإطلاق مَنًّا .
وإِمَّا تَقْدُونَ فِدَاءً . والمَنُّ :
الإطلاق بغير عوض . يقال : مَنُّ
عليه ، إذا أنقله بالنعمة .
واصطنع عنده صنيعه .
والفِدَاءُ : ما يُقْدَى به الأسير من
الأسر . والآية محكمة على ما ذهب
إليه جمهور الأمة . وذهب الحنفية
إلى أنها منسوخة بآية (فَأَقْتُلُوا
الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) (١)
﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾
أوزار الحرب : أَلْأَهِمَا وَأَنْقَالَهَا التى
لا تقوم إلا بها : كالسلاح
والكرع . وغير ذلك من الآلات
المعروفة فى الحروب قديماً
وحديثاً . ووضعها كناية عن
انقضاء الحرب بهزيمة العدو أو
بالمواعدة . و«حَتَّى» عند الجمهور
غاية للضرب أو للشد . أو للمَنِّ
والفداء معاً . أو للجمع من قوله
«فَضْرِبَ الرِّقَابِ» إلى آخره .
بمعنى أن هذه الأحكام جارية
فيهم ، حتى لا تبقى حرب مع
المشركين يزوال شوكتهم . وعند
الحنفية غاية للمَنِّ والفداء إن
حُمِلت الحرب على حرب بدر .
أى يُمنُّ عليهم ويُقَادُونَ حتى تضع
هذه الحرب أوزارها . وغاية
للضرب والشد إن حُمِلت على
جنس الحرب ، أى أنهم يُقْتَلُونَ

وفوزهم . واتباع الكافرين
الباطل وخسرانهم
٤ - ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
أمرٌ مجاهدتهم بعد بيان خسرانهم .
والمراد بهم : المشركون ومن لا
دِمةَ لهم من أهل الكتاب .
﴿فَضْرِبَ الرِّقَابِ﴾ أى فاضربوا
رقابهم ضرباً فى الحرب ، فحذف
الفعل وأقيم المصدر مقامه مضافاً
إلى المفعول به . وهو مجاز عن
القتل . وعبر به عنه لتصوير القتل
بأشجع صورة . وهو حَزُّ العنق
وإطارة العضو الذى هو رأس
البدن وأشرف أعضائه . ﴿حَتَّى
إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ﴾ أكثرتم فيهم
القتل . وأوهتموهم بالجراح ،
ومنعتموهم النهوض والحركة .
﴿فَشُدُّوا الْوَتَاقَ﴾ فَأَحْكَمُوا قَيْدَ
مَنْ أَسْرْتُمُوهُمْ ، لئلا يُفْلَتُوا
منكم . يقال : أَتَخَنَ فى الأرض
إِثْنَانًا . سار إلى العدو وأوسعهم
قتلاً . وَأَتَخَنَتْ : أوهنته بالجراحة

لرسوله صلى الله عليه وسلم .
وأظهار دينه على الدين كله . أو
جعل ما كانوا يعملونه من أعمال البر
والمكارم ضلالاً ، أى غير هدى
وغير رشاد . لأنهم عملوه على غير
استقامة . من الضلال ، وأصله
العدول عن الطريق المستقيم ،
وضده الهداية .

٢ - ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ محاً
عنهم بإيمانهم وصالح عملهم
سَيِّئَاتِهِمْ أعمالهم قبل الإيمان فلم
يعاقبهم عليه ، من الكفر ،
وأصله ستر الشيء وتغطيته ،
واستعمل فى المحو مجازاً .
﴿وَأَصْلَحَ بِالْهُنْمِ﴾ حالهم وشأنهم
فى الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد .

٣ - ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ
أَمْثَالَهُمْ﴾ أى مثل ذلك البيان
يبين الله للناس أحوال الفريقين
وأوصافها الجارية فى الغرابة مجرى
الأمثال ، وهى اتباع المؤمنين الحق

ويؤسرون حتى لا تبقى حرب مع
المشركين . بمعنى ألا يبقى لهم
شوكة . وتفصيل المذاهب في
الفقه . ﴿ وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَ بَعْضُكُمْ
بِبَعْضٍ ﴾ أى ولكن أمركم الله
بالقتال ليختبر بعضكم ببعض ؛
فيمتحن المؤمن بالكاferين
تمحيصاً للمؤمنين . ويمتحن
الكاferين بالمؤمنين تمحيصاً
للكاferين . ﴿ فَلَنْ يَضِلَّ
أَعْمَالُهُمْ ﴾ فلن يبطأ بل يوفهم
ثوابها .

٦ - ﴿ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ يهdy أهل
الجنة إلى بيوتهم ومساكنهم . لا
يخطئون كما أنهم ساكنوها منذ
خلقوا ؛ وذلك بالهام منه تعالى .
٨ - ﴿ فَتَعَسَّاهُمْ ﴾ فهلاكاهم .
يقال : تعس - من باب مع
وسمع - هلك . أو إذا خاطبت
قلت : تعست ؛ كمنعت . وإذا
حكيت قلت : تعس ؛ كسمع .
وأعسه الله : أهلكه . و « تعسا »
منصوب على المصدر بفعل مضمر
من لفظه . واللام لتبيين
المخاطب ؛ كما في سقيا له ؛ أى
أعنى له .

٩ - ﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ فأبطلها
لكراهم القرآن .

١٠ - ﴿ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ أهلك
ما يختص بهم من النفس والأهل
والمال . يقال : دمره الله .
أهلكه . ودمر عليه : أهلك ما
يختص به ؛ والثاني أبلغ . وأنى
بـ (على) لتضمين التدمير معنى
الإيقاع أو الهجوم ونحوه .

سَيِّدِهِمْ وَيُصْلِحْ بِأَلَهُمْ ﴿٥﴾ وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا
لَهُمْ ﴿٦﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَضُرُّوا اللَّهَ يَضُرُّكُمْ
وَيَنْتِفِئُ أَقْدَامُكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَّاهُمْ وَأُضِلَّ
أَعْمَالُهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا
أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ * أَقْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَنَقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَاللَّكَفِرِينَ أَمْثَلَهَا ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَفِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنْ اللَّهَ يَدْخُلُ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ
الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ
أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا
نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَقْنَنَ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ
لَهُ سَوْءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي
وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ

- ١١ - ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ﴾ وكثير من قرية [١٤٦ آل عمران
ص ٩٧] .
١٢ - ﴿ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ ﴾ أى
صفاتها . مبتدأ خبره : « كَمَنْ هُوَ »
خالدة في النار . أى أمثل الجنة
كمثل جزاء من هو خالدة في النار ؟
١٣ - ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ ﴾ أى



اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ۖ خَتَمَ عَلَيْهَا
بِالْكَفْرِ ۖ فَلَمْ تَجْهَ لِلْخَيْرِ .

١٧ - ﴿وَأَنَّهُمْ تَقَوَّاهُمْ﴾ أعانهم
على تقواهم . أو أعطاهم
جزاءها .

١٨ - ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا
السَّاعَةَ﴾ أي لم يذكروها بإتيان
الساعة ما مضى من أحوال الأمم
وما جاء من أخبارهم . فإما

ينتظرون للتذكر إلا إتيان الساعة
نفسها فجأة ؛ إذ لم يبق من الأمور
الموجبة للتذكر سوى المفاجأة بها .

فقد ظهرت علاماتها ولم يرفعوا لها
رأساً ؛ فيكون إتيانها بطريق
المفاجأة لا محالة . و «أشراطها»

علاماتها ؛ ومنها بعثته صلى الله
عليه وسلم . جمع شرط -

بالتحريك - وهو العلامة .
وأصله الإعلام . يقال : أشراط
فلان نفسه لكذا . أعلمها له

وأعدّها ؛ ومنه الشرطي - كتركي
وجهمي - والجمع شرط . سؤوا
بذلك لأنهم أعلموا أنفسهم

بعلامات يعرفون بها ﴿فَإِنِّي لَهُمْ
إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ فكيف
لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة

بغنة ؟

١٩ - ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ﴾ أي
استغفر الله عما يُعَدُّ بالنسبة لمنصبك
دنياً . وهو ترك الأولى بك .

وهو الفترات والعقالات من الذكر
الذي كان شأنه صلى الله عليه وسلم
الدوام عليه . فإذا فتر وعقل عن

ذلك بالاشتغال بالنظر في مصالح
المسلمين عد ذلك دنياً واستغفر

لِبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنهَرُ مِنْ نَحْرِ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنهَرُ

مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن

رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ

أَمْعَاءَهُمْ ۝١٥ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا

مِّنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ

الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۝١٦

وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۝١٧

فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ

أَشْرَاطُهَا فَإِنِّي لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ۝١٨ فَاعْلَمْ أَنَّهُ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۝١٩ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا

ودوامها . ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾

مفرطاً في الحرارة ؛ مكان تلك
الأشربة اللذيذة التي لأهل الجنة .

١٦ - ﴿مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾ أي

مبتدئاً . أي ما القول الذي اثنفنه

الآن قبل مفارقتنا له ؟ منصوبٌ

على الحال من فاعل «قال» .

ومقصود المنافقين بهذا : الاستهزاء

لا الاستعلام الحقيقي . وهو اسم

فاعل بتجريد فعله من الزوائد ؛

لأنه لم يسمع له فعل ثلاثي ، بل

سُمع اثنف يأتنف واستأنف

يستأنف ، بمعنى ابتدأ . ﴿طَبَعَ

وَقَدَّرَ الاستفهام في المبتدأ لأنه

مرتبٌ على الإنكار السابق في

قوله : «أَقَمَّنْ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِّن

رَبِّهِ» . ﴿غَيْرِ آسِنٍ﴾ غير متغير

الطعم والريح ؛ لطول مكث

ونحوه . وفعله من باب ضَرَبَ

ودَخَلَ ، وفي لغة من باب طَرَبَ .

﴿مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ خالص مما

يخالطه . قيل : هو تمثيل لما يجري

يجرى الأشربة في الجنة ؛ بأنواع ما

يُستطاب منها . أو يُستلذ في الدنيا

بالثخيلة عما يُقَصِّصها ويُتَغَصِّصها .

والثخيلة بما يوجب غرارها

لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فَلَاذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا
الْفِتْنَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ
نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ
وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَلَاذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ
خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا
فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ
اللَّهُ فَأَصْحَمَتْهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ
أَمْرٌ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا ﴿٢٤﴾ إِنْ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ
مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ
لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَلَ اللَّهُ

منه ، وإن كان في ذاته من أعظم الطاعات وأشرف العبادات ؛ وحسنات الأبرار سيئات المقرئين . ﴿ واللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ أى كَلَّ مُتَقَلَّبَ لَكُمْ وَكَلَّ إِقَامَةً . والمراد : أنه يعلم جميع أحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها . والمتقلب : المتصرف ؛ من الثقل وهو التصرف . والمتوى : المسكن والمأوى .

٢٠ - ﴿ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ أى كنظر المحتضر الذى لا يَظَرُ بَصَرَهُ . والمراد : أنهم يشخصون نحوه بأبصارهم ، وينظرون إليه نظراً شديداً من شدة كراهتهم للقتال معه ؛ إذ فيه عُرُ للإسلام . ونَصْرُ للرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم لها كارهون ميفضون . ﴿ فَأُولَئِكَ لَهُمْ ﴾ كلمة تَوَعَّدُ وَتَهْدِدُ . وهى فعلٌ ماضٍ بمعنى قارب . وفاعلُه ضميرُ الهلاك بقرينة السياق ، واللام مزيدة ؛ أى قاربهم ما يهلكهم . أو اسمُ تفضيل بمعنى أحق وأحرى . خيرٌ لمبتدأ محذوف . واللام بمعنى الباء ؛ أى العقاب أجدرُ بهم وأحرى .

٢١ - ﴿ طَاعَةٌ ﴾ مبتدأ ﴿ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ﴾ عطفٌ عليها . والخبر محذوف ؛ أى أمثل بكم من غيرهما . وقيل : (أولى) مبتدأ ، و (طاعة) خبرٌ و (لهم) متعلق بـ (أولى) واللام بمعنى الباء ؛ أى أولى هؤلاء المنافقين من النظر إليك نظر المغشي عليه من الموت ؛

الآيات ؟! والاستفهام للتقرير . والأقفال : جمع قفل وهو الحديد الذى يُغلق به الباب . والمراد : التسجيلُ عليهم بأن قلوبهم مغلقة . لا يدخلها الإيمان ، ولا يخرج منها الكفر .

٢٥ - ﴿ إِنْ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ ﴾ رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر والضلال . وهم المنافقون . ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْهُدَىٰ ﴾ بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة ﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾ زين لهم ارتدادهم ؛ من التسويل [آية ١٨ يوسف ص ٣٠٤] . ﴿ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ بفتح

طاعةً وقولٌ معروف . ﴿ عَزَمَ الْأَمْرُ ﴾ جد ولزمهم الجهاد . ٢٢ - ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ أى فهل يُتَوَقَّعُ منكم أيها المنافقون إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أُمُورَ النَّاسِ وَكُنْتُمْ حُكَّامًا ﴿ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ بما ترتكبون من المنكرات تناحرًا على الولاية . وتكالبا على الدنيا ﴿ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ بالبغي والظلم والقتل ! . وهو من عطف الخاص على العام . والاستفهام للتوبيخ والتقرير .

٢٤ - ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبِ أَقْفَالِهَا ﴾ أى بل أعلى قلوب قاسية أقفالها . فهى لا تقبل التدبُّر والتفكر فى

والأصغان : جمع ضغن ، وهو الحقد الشديد . يقال : ضغن صدره ضغناً - من باب تعب - حقد ، والاسم الضغن . ومنه تضاعن القوم واضطعنوا ، أى انطؤوا على الأحقاد . وأصل الكلمة من الضغن . وهو الالتواء والأعوجاج في قوائم الدابة والقناة وكل شيء .

٣٠ - ﴿ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِمَاهُمْ ﴾ أى بعلامات تسميهم بها . يقال : سَوَّمُ الفرسَ تَسْوِماً ، جعل له سِمة أى علامة . ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ فى لحن القول : أسلوب من أساليبه الماثلة عن الطريق المعروفة ، كأن يعدل عن ظاهره من التصريح إلى التعريض والإبهام . وكان المنافقون يصطلحون فيما بينهم على ألفاظ يخاطبون بها الرسول صلى الله عليه وسلم مما ظاهره حسن ويريدون به القبيح ، ومما ظاهره الاتباع وهم بخلاف ذلك . يقال :

لَحَنْتُ لَهُ الْكَلِمَ لَحْناً ، إذا قلت له قولاً يفهمه عنك ويخفى على غيره ، فلحنه هو - بالكسر - أى فهمه . ويقال : فهمته من لحن كلامه وفحواه ومعارضه بمعنى واحد .

٣١ - ﴿ وَلَتَسْلُوكُنَّ ﴾ أى ولنعاملكن معاملة المختبر بالأمر بالجهاد ونحوه من التكليف الشاقة . ﴿ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ﴾ علماً شهودياً يشهده غيرنا . مطابقاً لما نعلمه

سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَتَبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِمَتِهِمْ وَلَنَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَسْلُوكُنَّ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَسَيُحْطِ أَعْمَلُهُمْ ﴿٣٢﴾ * يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ

وسلم ، مع علمهم بأنه من عند الله حسداً وطمعاً في نزوله على أحد منهم . ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ إخفاءهم ما يقولون . مصدر أسررت إسراراً ، بمعنى كتمته . ٢٩ - ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ أى بل أحسب هؤلاء المنافقون الذين في قلوبهم حقد وعداوة للمؤمنين : أن لن يُظهر الله أحقادهم الشديدة للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فتبقى مستورة ؟ والاستفهام للإنكار .

الهمزة ، أى مَكَّدَ لهم في الأمان والآمال . وأسباب الغواية والضلال ، من الإملاء وهو الإبقاء ملاءة من الدهر . أى برهة منه . وقرئ « أُمْلَى » بالبناء للمفعول ، و « لهم » نائب الفاعل ، والجملة مستأنفة ، أى أمهلوا ومكَّد في أعمارهم .

٢٦ - ﴿ ذَلِكَ ﴾ أى ارتدادهم ﴿ بِأَنَّهُمْ ﴾ أى بسبب أنهم ﴿ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا ﴾ أى لبنى قريظة والتضير من اليهود الكارهين لنزول القرآن على النبي صلى الله عليه



علمًا غيبًا : فنستخرج منكم ما
جئتم عليه مما لا يعلمه أحد
منكم . أو علمًا يتعلق به الجزاء .
﴿وَبَلَّغُوا أَخْبَارَكُمْ﴾ نظهرها
ونكشفها .

٣٢ - ﴿وَشَاقُوا الرَّسُولَ﴾ أى
عادوه وخالفوه وهم بنو قريظة
والنضير . أو قومٌ نافقوا بعد
الإيمان . أو المطفعون يوم بدر .
وأصل المشاقة : أن تصير في شقٍّ
غير شقٍّ صاحبك .

٣٣ - ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾
بازتكاب المعاصي ، أو بالنفاق أو
الرياء ، أو المن بالإسلام أو
بالعجب .

٣٥ - ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾ لا تضعفوا
عن قتال الكافرين الذين يصدون
عن سبيل الله . وفعله كوعذ وورث
وكرم . ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾
أى ولا تدعوهم إلى الصلح
والمسألة خورًا وإظهارًا للعجز
﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ فى الحجّة .

الأغلبون بقوة الإيمان ﴿وَاللَّهُ
مَعَكُمْ﴾ بنصره ﴿وَلَنْ يَبْرَكَكُمْ
أَعْمَالُكُمْ﴾ لن ينقصكم أجور
أعمالكم . يقال : وترت زيدا
حقه - من باب وعد - نقصته .
ووترت الرجل : إذا قتلت له
قتيلًا . أو سلبت ماله وذهبت به .
ومحل التهى عن الدعوة إلى صلح
الكفار ومسألتهم إذا لم تكن
بالمسلمين حاجةً بهما : وإلا جاز
الجنوح إلى السلم . وهو محمل قوله
تعالى : ﴿وَأِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ
فَاجْتَنِعْ لَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (١) .

(١) آية ٦١ الأنفال .

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَصَدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ
يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٣﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ
الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَبْرَكَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴿٣٤﴾ إِنَّمَا
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ
أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلَكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا
فِيخْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَبُخْرِجْ أَضْعَانَكُمْ ﴿٣٦﴾ هَآؤَنْتُمْ
هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِنُفْثِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ
وَمَنْ يَبْخُلْ فَلِمَآ يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ
الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا

أَمْثَلُكُمْ ﴿٣٦﴾

٣٦ - ﴿لَعِبٌّ وَلَهْوَ﴾ باطلٌ
وغرورٌ ، لا ثبات لها ولا اعتداد
بها ، فكيف تمنعكم عن طلب
نعيم الآخرة والسعى إليه ؟

٣٧ - ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا
فِيخْفِكُمْ﴾ أى فيجهدكم بطلبها
كلها ﴿تَبَخَّلُوا﴾ بها فلا تعطوها .
والإحفاء والإخفاف : المبالغة
وبلوغ الغاية فى كل شيء . يقال :
أخفاه فى المسألة ، إذا لم يترك شيئًا
من الإلحاح . وأخفى شاربته :
استأصله وأخذها أخذًا متناهيًا .
وأصله من أخفيت البعير : جعلته

حافيا ، أى مسح الحُفَّ من
المشي حتى يرق . ﴿وَبُخْرِجْ
أَضْعَانَكُمْ﴾ ويظهر أحقادكم ،
لمزيد حُجِّكم للمال .

٣٨ - ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ
عَنْ نَفْسِهِ﴾ أى يبخل عن داعي
نفسه لا عن داعي ربه . أو يبخل
على نفسه . يقال : بخل عليه
وعنه - كفرح وكرم - بمعنى ؛
لأن البخل فيه معنى المنع
والإمساك . ومعنى التضييق على
من منع عنه المعروف ، فعُدَى

(٤٨) سُورَةُ الْفَتْحِ مَكِّيَّةٌ

نزلت في الطريق عند الانصراف من الحجة النبوية
وآياتها ٢٩ نزلت بعد الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ
ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا
مُسْتَقِيمًا ۖ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ۖ هُوَ الَّذِي
أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ
إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا ۖ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ

بـ «عَنْ» نظراً للأول ، وبـ «عَلَى» في الصلح . وتم على شروط قد
نظراً للثاني . والله أعلم .

سُورَةُ الْفَتْحِ

نزلت في السفر بين مكة
والمدينة بعد مُنْصَرَفِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مِنَ الْحُدُوبِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ
سَنَةِ سِتٍّ مِنَ الْهَجْرَةِ عِنْدَ كُرَاعِ
الْعَمِيمِ (١) أَوْ عِنْدَ ضُجَّانٍ (٢)
فَقَرَأَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى
النَّاسِ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَقَالَ
(لَقَدْ أَنْزَلَ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةً أَحَبُّ
إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا) (٣) . وَقَدْ
طَلَبَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَوَادِعَةَ عَلَى إِثْرِ
مَنَاوَشَاتِ ظَهَرَهُمْ فِيهَا أَنَّ الْمَصْلَحَةَ

في الصلح . وتم على شروط قد
تبسّدوا في ظاهرها بحجة
بالمسلمين ، ولكنها في الواقع
كانت خيراً عظيماً لهم ، ونشراً على
الشرك والمشرّكين .

١ - «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا»
إخباراً عن صلح الحُدُوبِية ، عند
الجمهور . وسُمِّيَ هذا الصلحُ
فَتْحًا لِاشْتِرَاكِهَا فِي الظُّهْرِ عَلَى
المُشْرِكِينَ ، فَإِنَّهُمْ مَا سَأَلُوا الصَّلْحَ
إِلَّا بَعْدَ أَنْ ظَهَرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ
وَرَمَوْهُمْ بِسَهَامٍ وَحِجَارَةٍ . وَقِيلَ :
هُوَ إِخْبَارٌ عَنْ فَتْحِ مَكَّةَ ، وَالتَّعْبِيرُ
عَنْهُ بِالْمَاضِي قَبْلَ وَقُوعِهِ لِتَحَقُّقِهِ .
قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ : وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ هُوَ
الصَّحِيحُ .

٢ - «لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ

ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ..» هُوَ كُنَايَةٌ عَنْ
عَدَمِ الْمُنَاخِذَةِ . أَوْ الْمَرَادُ
بِالذَّنْبِ : مَا قَرُطَ مِنْ خِلَافِ
الْأَوَّلَى بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَقَامِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهُوَ مِنْ بَابِ :
حَسَنَاتُ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقَرَّبِينَ .
أَوْ الْمَرَادُ بِالْغُفْرَانِ : الْحِيلُولَةُ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ الذُّنُوبِ كُلِّهَا ، فَلَا يَصْدُرُ
مِنْهُ ذَنْبٌ ، لِأَنَّ الْعَفْرَ هُوَ السَّتْرُ .
وَالسَّتْرُ إِذَا بَيْنَ الْعَبْدِ وَالدُّنْبِ ،
وَهُوَ اللَّاتِقُ بِمَقَامِ النَّبَوَّةِ . أَوْ بَيْنَ
الذَّنْبِ وَعَقُوبَتِهِ ، وَهُوَ اللَّاتِقُ
بِغَيْرِهِ . وَاللَّامُ فِي (لِيَغْفِرَ) لِلْعَلَّةِ
الْغَائِثِيَّةِ ، أَيْ أَنَّ مَجْمُوعَ
الْمَتَعَاظِفَاتِ الْأَرْبَعَةِ غَايَةٌ لِلْفَتْحِ
الْمُبِينِ وَمُسَبَّبٌ عَنْهُ لَا كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْهَا . وَالْمَعْنَى : يَسْرُنَا لَكَ هَذَا
الْفَتْحُ لِإِتِمَامِ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ ،
وَهَدَايَتِكَ إِلَى الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ،
وَلِنُصْرِكَ نَصْرًا عَظِيمًا . وَلَمَّا أَمْتَنَ
اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَذِهِ النِّعْمِ صَدَّرَهَا بِمَا هُوَ
أَعْظَمُ ، وَهُوَ الْمَغْفِرَةُ الشَّامِلَةُ ،
لِيَجْمَعَ لَهُ بَيْنَ عِزِّ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ . فَلَيْسَتْ الْمَغْفِرَةُ مُسَبِّبَةً

عَنِ الْفَتْحِ .
٤ - «أَنْزَلَ السَّكِينَةَ ..» أَوْجَدَ
الطَّمَأْنِينَةَ وَالثَّبَاتَ فِي قُلُوبِهِمْ بِهَذَا
الْصَّلْحِ الَّذِي تَرْتَبُ عَلَيْهِ الْأَمْنُ بَعْدَ
الْخَوْفِ ، لِيَزْدَادُوا يَقِينًا عَلَى
يَقِينِهِمْ . «وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ» يُدَبِّرُ أَمْرَهَا كَمَا يَشَاءُ ،
فَيَسْلُطُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ تَارَةً ،
وَيُوقِعُ بَيْنَهُمَا السَّلَامَ وَالصَّلْحَ
أُخْرَى ، حَسْبَمَا تَقْتَضِيهِ مَشِيئَتُهُ .
وَمِنْ ذَلِكَ هَذَا الصَّلْحُ الْعَظِيمُ

(١) موضع على ثلاثة أباال من عسفان التي على مرحلتين من مكة . (٢) بوزن عطشان ، جبل قرب مكة . (٣) أخرجه البخاري .

٥- ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...﴾ أى دبر ما دبر ليشكر المؤمنون نعمته تعالى فيدخلهم الجنة . ولينغيط أعداؤهم فيعذبهم بالنار. ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ يغطيها ، والمراد يحو أثرها ولا يعاقب عليها .

٦- ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ أى ظن الأمر القاسد المذموم ، وهو أن الله تعالى لا ينصر رسوله والمؤمنين ، وأنهم لا يرجعون إلى المدينة أبدا لاستئصالهم بمكة . ﴿عَلَيْهِمْ ذَايِرَةُ السَّوْءِ﴾ دعاء عليهم بأن يحقق بهم ما ترتصوه بالمؤمنين . والدائرة فى الأصل : الخط المحيط بالمركز . ثم استعملت فى النازلة المحيطة بمن نزلت به ؛ إلا أن أكثر ما تستعمل فى المكروه .

٩- ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ تنصروه وتعظموه . وقيل : التعزيز : النصرة مع التعظيم . والتوقير : التعظيم والإجلال والتفخيم . والضميران لله تعالى ؛ بقرينة قوله : ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أى تنزهوه عما لا يليق به . أو تصلوا له تعالى غداة وعشيا . والمراد ظاهرهما أو جميع النهار . ويكنى عن جميع الشئ بطرفيه ؛ كما يقال : شرقا وغربا لجميع الدنيا .

١٠- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ بيعة الرضوان بالحديثية على ألا

تجرى من تحتها الأنهر خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَكِيمًا﴾ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِنْهُ

يَبْرُوا . ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ أى يطيعونه ؛ لأن المقصود من البيعة طاعة الله وامتنال أمره . وغير عن ذلك بالبيعة مشاكلة . ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ مذهب السلف فى هذه الآية ونظائرها من آيات الصفات ما بيّناه فى المقدمة . والخلف يؤولون اليد بالقوة ؛ أى قوة الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم ؛ كما يقال : اليد لفلان ؛ أى الغلبة والنصرة والقوة له . أو يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق أيديهم ؛

كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما . ﴿فَمَنْ نَكَثَ﴾ نقض العهد بعد إبرامه ؛ كما نكث خيوط الصوف المغزول بعد إبرامه . وأصله من النكث - بالكسر - وهو أن تنقض أخلاق الأكسية البالية فتزول ثانية . ﴿وَمَنْ أَوْفَى﴾ يقال : وفى بالعهد وأوفى به . إذا تّممه . ﴿عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ﴾ بضم الهاء فى « عليه » ؛ توصلا إلى تفخيم لفظ الجلالة . الملائم لتفخيم أمر العهد المشعر به الكلام . وقرئ

سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا
وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسَّتِيسِ مَالِيَسَ فِي قُلُوبِهِمْ
قُلْ مَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ
أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ
ظَنَنْتُمْ أَنَّ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ
أَبَدًا وَزَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَ السَّوِّ وَكُنْتُمْ
قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا
لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ
لِنَأْخُذْهَا ذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ

وَفَسَدَ . وَبُورٌ فِي الْأَصْلِ : مُصَدِّرٌ
كَالْهَلْكَ . يُوصَفُ بِهِ الْمَفْرَدُ
وَالْمُتَنَّى وَالْجَمْعُ . وَالْمَذْكَرُ
وَالْمُؤَنَّثُ . وَاسْتَعْمَلَ هُنَا مَوْوَلَا
بِاسْمِ الْفَاعِلِ . وَقِيلَ : جَمَعَ
بِاتْرَ : كَحَاتِلٍ وَحَوْلَ .

١٣ - ﴿سَعِيرًا﴾ نَارًا مُسَوَّرَةً
مَوْقَدَةً مُلْتَبَةً . يُقَالُ : سَعَرْتُ
النَّارَ - مِنْ بَابِ مَنَعَ - أَوْقَدْتُهَا
وَهَيَّجْتُهَا : كَسَعَرْتُهَا وَأَسَعَرْتُهَا .

١٥ - ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾
وَعَدَ اللَّهُ أَهْلَ الْحُدُوبِ أَنْ
يَعُوضَهُمْ مِنْ مَغَائِمِ مَكَّةَ مَغَائِمَ
خَيْرٍ إِذَا قَفَلُوا مَوَادِعِينَ لَا يَصِيبُونَ
مِنْهَا شَيْئًا . وَقَدْ رَجَعَ مِنْهَا الرِّسَالُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الصَّلْحِ فِي
ذِي الْحِجَّةِ . وَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ بَقِيَّةَ
وَأَوَائِلِ الْمُحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ . ثُمَّ
غَرَا خَيْرٌ مِنْ شَهْدِ الْحُدُوبِ
فَفَتَحَهَا . وَغَنِمَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً
فَخَصَّصَهُمْ بِهَا كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى . أَيْ
سَيَقُولُ أُولَئِكَ الْأَعْرَابُ الْمُتَخَلِّفُونَ
عَنِ الْخُرُوجِ مَعَكَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى
مَغَائِمٍ خَيْرٍ لِنَأْخُذْهَا : ﴿ذُرُونَا
تَتَّبِعْكُمْ﴾ . اِتْرَكُونَا نَخْرُجْ مَعَكُمْ
لِخَيْرٍ وَدَعُونَا تَتَّبِعْكُمْ وَنَشْهَدْ مَعَكُمْ
قِتَالَ أَهْلِهَا . تَقُولُ : ذَرَّهُ . أَيْ
دَعَّهُ . وَهُوَ يَذَرُهُ : أَيْ يَدَعُّهُ . وَلَمْ
يُسْتَعْمَلْ مِنْهُ الْمَاضِي وَالْمُصَدَّرُ وَاسْمُ
الْفَاعِلِ : اِكْتِفَاءً بِقَوْلِهِمْ : تَرَكَهُ
تَرَكًا وَهُوَ تَارَكَ . ﴿كَلَامَ اللَّهِ﴾
وَعَدَهُ أَهْلَ الْحُدُوبِ خَاصَّةً بِغَنَائِمِ
خَيْرٍ : كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَأَنَّا بِهِمْ
فَتْحًا قَرِيبًا . وَمَغَائِمَ كَثِيرَةً
يَأْخُذُونَهَا﴾ .

رسوله بقولهم واعتذارهم قبل أن
يرجع إليهم ؛ فكان كذلك .
و«المُخَلَّفُونَ» جمعُ مُخَلَّفٍ ، وهو
المتروك في مكانٍ خَلْفَ الْخَارِجِينَ
مِنَ الْبَلَدِ كَالنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ .
وَالْأَعْرَابُ : سُكَّانُ الْبَادِيَةِ .
وَالْمَرَادُ بِهِمْ : غِفَارٌ وَمُزَيِّنَةٌ وَجُهَيْنَةٌ
وَأَشْجَعٌ وَأَسْلَمٌ وَالذَّبِيلُ .

١٢ - ﴿لَنْ يَنْقَلِبَ﴾ لَنْ يَعُودَ إِلَى
الْمَدِينَةِ . ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ أَيْ
وَكُنْتُمْ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى قَوْمًا هَالِكِينَ
فَاسِدِينَ ، لَا تَصْلَحُونَ لَشَيْءٍ مِنْ
الْخَيْرِ ؛ مِنْ بَابِ الشَّيْءِ : هَلَكَ

بِكسرها لمناسبة الياء ؛ نقله
العلامة الآكوسى .

١١ - ﴿الْمُخَلَّفُونَ مِنَ
الْأَعْرَابِ﴾ أَيْ الَّذِينَ خَلَفَهُمُ اللَّهُ
عَنْ صُحْبَتِكَ . وَالْخُرُوجُ مَعَكَ
إِلَى مَكَّةَ مُعْتَمِرًا عَامَ الْحُدُوبِ ؛
حِينَ اسْتَفْرَضْتَهُمْ لِيَخْرُجُوا مَعَكَ
حَدَرًا مِنْ قَرِيشٍ أَنْ يَعْرِضُوا لَكَ
بِحَرْبٍ أَوْ يَصُدُّوكَ عَنِ الْبَيْتِ .
فَتَنَاقَلُوا عَنْكَ وَتَخَلَّفُوا ، وَخَافُوا
الْقِتَالَ وَقَالُوا : لَنْ يَرْجِعَ مُحَمَّدٌ
وَأَصْحَابُهُ مِنْ هَذِهِ السَّفَرَةِ .
فَقَضَّحَهُمُ اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ ، وَأَعْلَمَ

١٦ - ﴿أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ ذوى نَجْدَةٍ وَشِدَّةٍ فِي الْحَرْبِ ؛ وَهُمْ فَارِسٌ أَوْ رُومٌ - أَوْ هَوَازَنٌ وَغَطَفَانٌ يَوْمَ حُتَيْنَ . أَوْ بَنُو حَنِيفَةَ أَصْحَابُ مُسْلِمَةَ الْكَذَّابِ .

١٧ - ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ لَيْسَ عَلَى هَؤُلَاءِ إِثْمٌ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْجِهَادِ ؛ لَمَّا بِهِمْ مِنَ الْأَعْذَارِ وَالْعَاهَاتِ الْمُرْتَضَةِ لَهُمْ فِي التَّخَلُّفِ عَنْهُ .

١٨ ، ١٩ - ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هُم أَهْلُ الْحُدُودِ ؛ إِلَّا جَدُّ بْنُ قَيْسٍ الْمُنَافِقُ الَّذِي لَمْ يَبَايِعَ . وَكَانَتْ عِدَّتُهُمْ أَرْبَعًا وَالْفَأْ فِي قَوْلٍ . وَتُسَمَّى هَذِهِ الْبَيْعَةُ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ ؛ أَخَذًا مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ . وَالشَّجَرَةُ كَانَتْ سَمُرَةً ؛ وَالْمَشْهُورُ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَأْتُونَهَا فَيَصِلُونَ عِنْدَهَا ؛ فَأَمَرُ عَمْرٍو يَقْطَعُهَا خَشْيَةَ الْإِفْتِنَانِ بِهَا لِقَرَبِ الْعَهْدِ بِالْجَاهِلِيَّةِ . ﴿يَبَايَعُونَكَ﴾ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بِالْحُدُودِ . ﴿وَأَتَانَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ وَمَقَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ﴿هُوَ فَتْحُ خَيْبَرَ وَغَنَائِمُهَا . وَكَانَ إِثْرُ انْتِصَافِهِمْ مِنَ الْحُدُودِ .

٢٠ - ﴿وَكَفَّ أَيْدِي الثَّاسِ عَنْكُمْ﴾ أَيِ أَيْدِي أَهْلِ خَيْبَرَ وَحُلَفَائِهِمْ مِنْ بَنِي أَسَدٍ وَغَطَفَانٍ حِينَ خَفُّوا لِنَصْرَتِهِمْ ؛ فَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِم الرُّعْبَ فَتَكَصُّوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ مَدْبِرِينَ .

٢١ - ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ أَيِ وَعَجَلَ لَكُمْ مَغَانِمَ

قُلْ لَّنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَيَقُولُونَ قُلْ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُنُدُوعُونَ إِنْ قَوْمُ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعدِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ * لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَّكَ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكَ هَذِهِ وَأَكْفَ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكَ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ



عَنْهُمْ يَبْطِئُ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ
عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ
وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ
تَطُغُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ
فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ
الْحَمِيَّةَ حِمَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ
وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا
وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ

إلى إهلاك هؤلاء بين ظهرانيهم
فيصيب المؤمنين من ذلك
مكروه. ﴿أَنْ تَطُغُوهُمْ﴾ أى
تدوسوهم والمراد تهلكوهم ،
بدل من ضمير «تعلموهم» .
﴿مَعَرَّةٌ﴾ أى مكروه وأذى .
والمراد به : السبُّ ، إذ يقول
المشركون : إنهم قتلوا من هم على
دينهم . يقال : عَرَّه يَعْرُهُ عَرًّا ،
إذا أصابه بمكروه ، والمعرة مفعلة
منه . وجواب (لولا) محذوف
تقديره ما ذكرنا . ﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ
فِي رَحْمَتِهِ مِنْ يَشَاءُ﴾ أى فعل ما
ذكر من الكف رحمة بأولئك
المستضعفين الذين كانوا بمكة بين
ظهراني المشركين ، فيتم لهم
أجورهم بإخراجهم من بينهم ،
وفك أسيرهم ، ورفع العذاب
عنهم . ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ أى لو تميزوا
عن الكفار وخرجوا من مكة .

يقال : زَلَّه زَيْلًا ، أى مَرَّه .
وَزَيَّلَهُ فَتَزَيَّلَ : قرَّه فتنفَّق .
﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا﴾ بالقتل والسب .
(منهم) للبيان لا للتبعض .
والجملة مقرر لما قبلها .

٢٤ - ﴿يَبْطِئُ مَكَّةَ﴾ أى
بالحدئية . والمراد بمكة : الحرم
والحدئية منه . أو هى ملاصقة
له . ﴿أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ أظهركم
عليهم وأعلاكم .
٢٥ - ﴿وَالْهَدْيِ﴾ أى وصدُّوا
الهدى وهو ما يهدى إلى البيت
المعظم . وكان سبعين بدنة على
المشهور . وقيل : كان مائة بدنة .

﴿مَعْكُوفًا﴾ محبوسًا . يقال :
عَكَفَهُ يَعْكُفُهُ وَيَعْكُفُهُ عَكْفًا .
حَبَسَهُ . وعكف عليه عكوفًا :
أقبل عليه مواظبًا . ﴿مَحَلَّهُ﴾ أى
مكانه المعهود . وللفقهاء فيه
تفصيل . ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ
مُؤْمِنُونَ ..﴾ أى ولولا كراهة أن
تهلكوا أناسًا مؤمنين بين ظهراني
الكفار بمكة جاهلين بهم .
فيصيبكم بإهلاكهم مكروه لما
كف أيديكم عنهم . وكان بمكة
من ضعفاء المؤمنين تسعة نفر :
سبعة رجال وامرأتان . ولو لم
يكف الله أيدي المؤمنين عن كفار
مكة في ذلك اليوم ، لانبجر الأمر

أخرى ، وهى مغانم هوازن في
غزوة حنين ، لم تقدروا عليها لما
كان فيها من الجولة قبل ذلك
﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ قدر عليها
واستولى ، فأظهركم عليها
وأظفركم بها .
٢٤ - ﴿يَبْطِئُ مَكَّةَ﴾ أى
بالحدئية . والمراد بمكة : الحرم
والحدئية منه . أو هى ملاصقة
له . ﴿أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ أظهركم
عليهم وأعلاكم .
٢٥ - ﴿وَالْهَدْيِ﴾ أى وصدُّوا
الهدى وهو ما يهدى إلى البيت
المعظم . وكان سبعين بدنة على
المشهور . وقيل : كان مائة بدنة .

شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

٢٧ - ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ...﴾ أى حقق رؤياه بالحق . وذلك فى عمرة القضاء . وكان صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه قبل الحديبية كأنه هو وأصحابه خلقوا وقصروا ، فأخبر بها أصحابه ففرحوا ، وحسبوا أنهم سيدخلون مكة عامهم ذلك . فلما رجعوا من الحديبية دون أن يدخلوا مكة قال المنافقون : والله ما خلقنا ولا قصرنا ولا دخلنا المسجد الحرام ، فأنزل الله هذه الآية . ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المسجد الحرام آمنين فى العام القابل ، وخلق بعضهم وقصر بعضهم بعد سعى العمرة ، ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ من المصلحة فى الصلح عام الحديبية وفى عدم دخولكم مكة فيه .

﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أى من قبل دخولكم الحرم ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبر ، يقويكم به على أعدائكم . أو هو صلح الحديبية . أو هما ، ورجحه الطبرى .

٢٨ - ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ ليعليه ويقويه .

٢٩ - ﴿سَيَمَاهُمْ﴾ علامتهم ، وهو نور يجعله الله يوم القيامة . أو حسن سمت يجعله الله فى الدنيا .

رَسُولُهُ الرَّيْبَ بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُخْلِقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَعَلَّ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا مُّجْتَمِعًا يَتَنَوَّنُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

أخرج فراخه . ﴿فَازَرَهُ﴾ أى فقوى ذلك الشطء الزرع . وأصله من شد الإزار . يقال : أزرت ، أى شددت إزاره . وأزرت البناء - بالمد والقصر - : قويت أسافله . ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ فتحول من الدقة إلى الغلظ . ﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾ فاستقام على قصبه وأصوله . جمع ساق ، نحو لوب ولابة . ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ لقوته وغلظه وحسن هيئته ، وإذا أعجب أهل الزرع أعجب غيرهم

﴿فِي وُجُوهِهِمْ﴾ فى جباههم يعرفون به ﴿مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ . ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ﴾ أى ذلك المذكور من نعمتهم الجليلة ، هو وصفهم العجيب الشأن ، الجارى مجرى الأمثال ﴿فِي التَّوْرَةِ﴾ . ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ مبتدا ، خبره ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ والشطء : فروخ الزرع ، وهو ما خرج منه وتفرع فى شاطئيه أى جانبيه ، وجمعه أشطاء وشطوه . يقال : شطاء الزرع وأشطاء . إذا

(٤٩) سُورَةُ الْحُجُرَاتِ مَدَنِيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ١٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الْحَاجَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ
بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ
لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولٍ
أَلَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ فَلَتَتَقَىٰ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَآجُرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ

سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

١ - ﴿لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ لا تقطعوا أمراً ، وتحتروا على ارتكابه قبل أن يحكم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم به ويأذنوا فيه . وهو إرشاد عام في كل شيء . ومنع من الافتئات على الله ورسوله في أي أمر . ﴿وَتَقْدُمُوا﴾ من قدم المتعدي . تقول : قدمت فلاناً على فلان ، جعلته متقدماً عليه . وحذف مفعوله قصداً إلى التعميم . و(بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) تمثيلٌ للتعجل في الإقدام على قطع الحكم في أمر من أمور

بالأولى . وهو مثل ضربه الله للصحابه رضي الله عنهم . قلوا في بدء الإسلام . ثم كثروا واستحكموا . فعظم أمرهم يوماً بعد يوم . بحيث أعجب الناس . وقيل : هو مثل للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فالزرع : النبي صلى الله عليه وسلم ، قام وحده حين بُعث . والشطط : أصحابه : قواه الله بهم كما يقوى الطاقة الأولى ما يحتف بها مما يتولد منها . ﴿لَيُعِظَنَّ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾ علة لما أفاده تشبيههم بالزرع : من نمتهم وقوتهم رضي الله عنهم وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . والله أعلم .

الدين بغير إذن من الله ورسوله . بحالة من تقدم بين يدي مشيوعه إذا سار في طريق : فإنه في العادة مستهجن . أو المراد : بين يدي رسول الله ، وذكر لفظ الجلالة تعظيماً للرسول ، وإشعاراً بأنه من الله تعالى يمكن بوجوب إجلاله .

٢ - ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ نهى عن زيادة صوتهم على صوته في المكالمة . ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ نهى عن مساواة أصواتهم بصوته صلى الله عليه وسلم في المكالمة ، فإن ذلك شأن الأقران والنظراء . والمراد بالنهيين : أن يجعلوا أصواتهم في مخاطبته أخفض من صوته صلى الله عليه وسلم ، ويتعهدوا في مخاطبته الخفض القريب من الهمس ، كما هو الأدب عند مخاطبة المهيب المعظم . ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ أي خشية أن يبطل ثواب أعمالكم بفعل المنهي عنه .

٣ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ يخفضونها إجلالاً له صلى الله عليه وسلم . يقال : غض من صوته وغض طرفه ، خفضه . وكل شيء كفضته فقد غضضته . وباب الكل رد . ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أخلصها للتقوى ، أي جعلها خالصة لها ، فلم يبق لغير التقوى فيها حق ، كان القلوب خلصت ملكاً للتقوى ، وأصله من امتحان الذهب وإذنته



الْحَجَرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَالِمِينَ ﴿٨﴾ وَاعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٩﴾ فَضَلَّامِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى

لِيُخْلَصَ إِبْرَاهِيمَ مِنْ خَبَثِهِ وَيُنْقَى . واستعير لما ذكر لتخليص القلوب فيه من جميع الشوائب . نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما . فقد كان أبو بكر بعد نزول الآية السابقة لا يكلم النبي صلى الله عليه وسلم إلا كآخي السرار . وكان عمر إذا تكلم عند الرسول صلى الله عليه وسلم لم يسمع كلامه حتى يستفهمه مما يخفص صوته .

٤ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجَرَاتِ﴾ أي حجرات نسائه صلى الله عليه وسلم . جمع حجرة . وهي القطعة من الأرض المحجورة . أي الممنوعة من الدخول فيها بخائط أو نحوه . نزلت في وفد بني تميم . وكانوا أعراباً جفاة . قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم حتى أتوا منزله فنادوه من وراء الحجرات بصوت جاف : يا محمد . أخرج إلينا ! ثلاثاً . ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ لا يحرون على مقتضى العقل من مراعاة الأدب مع أعظم خلق الله تعالى . وعبر بالأكثر لأن منهم من لم يقصد ترك الأدب : بل نادى لأمر ما .

٦ - ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾ وهو مَنْ أَخْلَ بِشَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِ الشَّرْعِ بِتَرْكِ مَأْمُورٍ بِهِ . أو فعل منهجٍ عنه . ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ أي اطلبوا البيان والمعرفة . وقُرئ «فَتَبَيَّنُوا» وهو قريب منه . أي إن أخبركم فاسق بخبر فترفعوا صدقه ، وتثبتوا منه خشية أن تصيبوا قوماً بمكروه

عَتَبَ فُلَانٌ - من باب طَرَب - عَتَبًا ، إذا وقع في أمر يخاف منه التلّف . والخطابُ لغير الكَمَلِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ والمحَبُّ إِلَيْهِمْ ذَلِكَ هُمُ الْكَمَلُ مِنْهُمْ . ٩ - ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ أي تقاتلوا ﴿فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ وجوبًا بالُصَّحِّحِ وإزالة الشبهة وأسباب الخصام . والدعاء إلى حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى . والخطابُ لأولى الأمر . ﴿فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى﴾ تعَدَّتْ عَلَيْهَا بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَأَبَتْ الصُّلْحَ وَالْإِجَابَةَ إِلَى

بسبب جهالتكم الحال : فتندموا على ما فعلتم بهم . متممين أنه لم يقع منكم . والندمُ : العَمُّ على وقوع شيء مع تَمَيُّ عدم وقوعه . ٧ - ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ﴾ أي لو يطيعكم في كثير من الأخبار . وهو الباطل منها . فیرتبُ عليه أحكامه لوقعتم في الجهد والتعب . أو في الإثم والهلاك . ولكنه صلى الله عليه وسلم لا يطيعكم في غالب ما تخبرونه به قبل التبين والتثبت . ولا يسارع إلى العمل بما يبلغه قبل النظر فيه . والعَتَتْ : الوقوعُ في أمر شاقٍّ ، والإثمُ . يقال :

لا يحقر بعض المؤمنين بعضاً ، ولا يهزا بعضهم من بعض ؛ من الشُّخْرية ؛ وهي احتقار الإنسان قولاً أو فعلاً بحضرته على وجه يُضحك . يقال : سخرت منه سخرًا - من باب تعب - ومسخرًا وسخرًا - بضمين - هزأت به . والاسم الشُّخْرية . روى أنها نزلت في قوم من بني تميم سَخَرُوا من بلال وعمار وصهيب وأمثالهم لما رأوا من رثائته حالهم . ﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ لا يعيب بعضكم بعضاً بقول أو إشارة ، سواء أكان على وجه يُضحك أم لا . وسواء أكان بحضرته أم لا . واللمز : العيب . وفعله من باب ضرب ونصر . وعطف هذا التهي على ما قبله من عطف العام على الخاص . ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾ لا يدع بعضكم بعضاً بعضاً بما يُستكره من الألقاب . والتنازير : التعاير والتداعي بالألقاب . يقال : تَبَزَّه يَبْزُهُ ، لقبه كَبْزُهُ . والكَبْر - بالتحريك - : اللَّقَبُ ، محبوباً كان أو مكروهاً . وخصَّ عِرْفًا بالمكروه . ﴿ بَشَسِ الْأِسْمَ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴾ أى بشس الذُّكْرُ للمؤمنين بسبب ارتكاب واحد من هذه الأمور الثلاثة القبيحة - أن يذكروا بالفسوق بعد اتصافهم بالإيمان .

١٢ - ﴿ اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ﴾ أى تباعدوا منه . نهوا عن ظنون السوء بأهل الخير من المؤمنين ، التي لا تستند إلى دليل أو أمارَة

الْآخَرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ فَاصِلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١١﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٢﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾ يٰٓأَيُّهَا

حكم الله ﴿ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ أى ترجع إلى حكمه ﴿ فَإِنَّ فَاءَ فَاصِلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ ﴾ بفصل ما بينهما على حكم الله ؛ ولا تكتفوا بمجرد متاركتها ؛ عسى أن يكون بينهما قتال فيها بعد ﴿ وَأَقْسِطُوا ﴾ اعدلوا في كل أمر ؛ وهو تأكيد لقوله « بالعدل » . ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ العادلين ؛ فيجازيهم أحسن الجزاء .

١٠ - ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ يجمعهم أصل واحد ، وهو الإيمان ؛ كما يجمع الإخوة أصل واحد وهو النسب . وكما أن أخوة السب داعية إلى التواصل والترحام والتناصر في دفع الشر وجلب الخير ؛ كذلك الأخوة في الدين تدعو إلى ذلك ، بل هي أدعى إليه ؛ لأنها في الله والله عز وجل !

١١ - ﴿ لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ﴾



النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ * قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلُوبُكُمْ لَمْ تَتُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ ءَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَأَمَنُوا

صحيحة وسبب ظاهر ، وإنما هي مجرد تهم ، مع كَوْنُ المظنون به ممن شُهِدَ منه التستر والصلاح ، وأونسست منه الأمانة في الظاهر . وفي الحديث : (إن الله تعالى حَرَمَ من المسلم دَمَهُ وعرضه وأن يُظَنَّ به ظَنُّ السوء) (١) . وأما من يلبس الرِّيبَ ، ويجاهر بالخباثت فلا يحرم سوء الظن فيه ؛ وإن لم يره الظان متلبساً بها . ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ أى مؤثم . والإثم : الذنب الذى تُستحق العقوبة عليه : يقال : أثم يَأْثِمُ إثمًا فهو آثم ، أى مرتكب ذنبًا . وبأيه عِلْم . وهذا البعض هو الكثير المأمور باجتنابه . ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ أى خذوا ما ظهر ، ولا تتبعوا عورات المسلمين ومعاييبهم ، وما ستروه من أمورهم ؛ فإن من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته . وقرئ « تَحَسَّسُوا » بالحاء ؛ من الحس الذى هو أثر الجسِّ وغايته . وقيل : التجسس والتحسس بمعنى . وهو تعرف الأخبار . ﴿ وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴾ نهوا عن الغيبة وهى ذكر العيب بظهر الغيب . يقال : اغتابه اغتيابًا ، إذا وقع فيه . والاسم الغيبة ، وهى من الكِبائر . ﴿ أَلَيْسَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه . ﴿ فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ تقرير لذلك أى

فقد كرهتموه فلا تفعلوه . أو عرض عليكم ذلك فكرهتموه . ١٣ - ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ﴾ أى من آدم وحواء فأنتم فى ذلك سواء ؛ فلا محل للفتاخر بالأنساب . وقد كانوا يتفاخرون بها ويزدرون بالضعفاء والفقراء . ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ ﴾ جمع شعب . وهو الجمع العظيم المنسوبون إلى أصل واحد ، وهو يجمع القبائل . والقبيلة تجمع العماير ، والعمارة تجمع البطون ، والبطن يجمع الأفخاذ ، والفخذ تجمع الفصائل ، والفصيلة تجمع العشائر . ﴿ لِتَعَارَفُوا ﴾ ليعرف بعضكم بعضًا ؛ فتصلوا الأرحام وتبينوا الأنساب وتتعاونوا على البر ، لا للتفاخر والتطاول بالآباء والقبائل . ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ أى إن أرفعكم منزلة لديه عز وجل فى الدنيا والآخرة هو الأتقى ؛ فإن فاخرتم ففاخروا

بالتقوى . وفى الحديث : (يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد . لا فضل لعربى على عجمي . ولا لعجمي على عربى . ولا لأسود على أحمر ، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت - قالوا بلى يا رسول الله ! قال : - فليبلغ الشاهد الغائب) (٢) . ١٤ - ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا ﴾ من الإيمان ، وهو التصديق مع الثقة وطمأنينة القلب . نزلت فى بنى أسد بن خزيمة ، وقد أظهروا الإسلام نفاقًا ؛ طمعًا فى المغام ، وكانوا يمتنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامهم . ﴿ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا ﴾ بقلوبكم ﴿ وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ من الإسلام ، وهو الانقياد الظاهرى بالجوارح . والذين أسلموا بظواهرهم ولم يؤمنوا بقلوبهم هم المنافقون . ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ أى لم يدخل فيها .

عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ) .
(والمجيد) : الكريم على الله .
الكثير الخير . فكلُّ من طلب منه
مقصودًا وجده فيه . وكلُّ من لاذ
به استغنى به عن غيره ؛ وإغناء
الحِثَّاج غايَةُ الكرم . مأخوذ من
المَجْد . وهو السَّعة في الكرم .
وأصله من مَجَدَتِ الإبلُ
وأَجَدَتِ : إذا وقعت في مرعى
كثير واسع .

٢ ، ٣ - ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ
مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ يخوفهم بالقرآن
عذاب اليوم الآخر إذا أصروا على
كفرهم . وهو إضرابٌ عما يدلُّ
عليه جوابُ القسم ؛ أي فلم
يؤمنوا بل أقبلوا المنذر والمنذر به
بالإنكار والتعجب : ﴿فَقَالَ
الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ أي
البعث الذي أنذر به محمدٌ . أمرٌ
يُتَعَجَّب منه . ثم قرروا التعجب
بقولهم : ﴿أَنَذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾
أي أحيين نموت ونصير ترابًا نرجع
كما يقول ٢١ ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾
أي البعث بعد الموت رجعٌ بعيدٌ
عن الأفهام أو العادة ، أو
الإمكان . يقال : رجعتُه أرجعه
رجعًا . ورجع هو يرجع رجوعًا .
٤ - ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ
مِنْهُمْ﴾ أي ما تأكل الأرض من
أجسادهم بعد الموت ؛ فكيف
يستعيدون أن ترجعهم أحياء كما
كانوا ؟ ﴿وَعِدْنَا كِتَابَ حَقِيقٍ﴾
أي وعيدنا مع علمنا بذلك كتابٌ
حافظٌ لتفاصيل الأشياء كلها ،
كلياتها وجزئياتها . ومنها أجزاؤهم

بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ
اللَّهُ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا
قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ
هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنْ اللَّهُ يَعْلَمُ
غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

(٥٠) سُورَةُ ق مَكِّيَّةٌ
الْآيَةُ ٢٨ فَدَنِيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٤٤ نَزَلَتْ بَعْدَ الْمُرْسَلَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ
مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَوَإِذَا مِتْنَا
وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ
الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيزٌ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا

سُورَةُ ق

١ - ﴿ق﴾ من التشابه الذي
استأثر الله بعلمه . وقيل : اسمٌ
من أسماء تعالى أقسم به . أو اسمٌ
من أسماء القرآن . أو اسمٌ
للشَّوْرة . ﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ أي
أقسم بالقرآن المجيد إنا أنزلناه إليك
لتُنْذِر به الناس . وحذف جوابُ
القسم للدلالة عليه بقوله : ﴿بَلْ

ولكنه متوقع منكم ؛ وقد آمنوا
كلُّهم أو بعضهم . ﴿لَا يَلَنُكُمْ
مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ لا ينقصكم
من أجور أعمالكم شيئًا من
النقص . يقال : لانه حقه -
كباعه - نقصه .

١٦ - ﴿أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾
أخبرونه بقولكم آمنا . والله أعلم .

بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا
إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ
فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ
وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ
عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَزَلَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا
بِهِ جَنَّتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا
طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رَزَقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتَةً
كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ

النبات الذي من شأنه أن يُحصد
كالقمح والشعير ، والإضافة
لأدنى ملاسة ، وخصّ بالذكر
لأنه المقصود بالذات .

١٠ - ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾
وأنبتنا به النخل طويلاً ، من
البسوق وهو الطول . يقال : بسق
فلانٌ على أصحابه - من باب
دخل - علاهم وطال عليهم في
الفضل . والنخل اسمُ جنس
يذكر ويؤنث ويجمع . وخصّ
بالذكر لمزيد فضله وكثرة منافعه .
﴿لَهَا طَلْعٌ﴾ أي للنخل الباسقات
طلعٌ وهو الكُفْرَى^(١١) قبل أن
ينسق . ﴿نَضِيدٌ﴾ منضود ، أي
مترابكٍ بعضه فوق بعض ، من
نَضَدَ المتاع بضِده : إذا وضع
بعضه فوق بعض : كَنَضَدَهُ .

سلامتها من كل عيب وخلل .

٧ - ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾
بسطناها في رأى العين . وهذا لا
ينافي كرويتها لمكان عظمها ، كما
أسلفناه مراراً . ﴿وَالْقَيْنَا فِيهَا
رَوَاسِيَ﴾ جبلاً ثوابت تمنعها من
التميدان والاضطراب ، جمعُ
راسية . ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ
زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ من كل نوع من
النبات حسنٍ يسر الناظرين ، من
البهجة وهي الحسن . يقال :
بهج - كطرف - فهو بهيج . أى
حسن .

٨ - ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ راجع
إلى ربه بالتدبر في بدائع صنّعه ،
ودلائل قدرته .

٩ - ﴿مَاءً مُبَارَكًا﴾ كثير المنافع .
﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ أى حبّ

وعددهم وأسمائهم وأعمالهم .
وهو تأكيد لعلمه تعالى بها بثبوتها
في اللوح المحفوظ عنده سبحانه .

٥ - ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا
جَاءَهُمْ﴾ أى بل جاءوا بما هو
أفطع من تعجبهم ، وهو تكذيبهم
بالنبوة الثابتة بالمعجزات
الظاهرة ، من غير تفكر وتدبر -
المستلزم لتكذيب أنباء البعث
والتوحيد وغيرهما . ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ
مَرِيجٍ﴾ محتلط أو فاسد ، أو قلق
مضطرب . يزعمون مرة أن النبيّ
لا يكون بشراً ، وأخرى أن الأحقّ
بالنبوة أهل الجاه والثراء .
ويزعمون مرة أن النبوة سحر ،
وأخرى أنها كهانة . ويستبعدون
البعث ، ويتعجبون منه مرة ،

ويجحدونه أخرى ، فأى
اضطراب أشنع من هذا ؟
يقال : مرج الدين والأمر - من
باب طرب - اختلط . ومرجت
أمانات الناس : فسدت . مرج
الحائث في أصبعه : إذا قلق من
الهزال .

٦ - ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا﴾ شروع في
بيان بعض أدلة القدرة الثامة على
البعث ، ردّاً لاستبعادهم إياه .
وهو سبعة أدلة : أى أغفلوا أو
أعموا فلم ينظروا - حين أنكروا
البعث - إلى السماء فوقهم كيف
أحكمنا بناءها ، ورفعناها بغير
عمد ، وزيناها بالكواكب .
﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ شقوق
وفتوق وصدوع . جمع فرج .
وهو الشق بين الشيين . والمراد :

(١١) الكُفْرَى هي ما يطلع من النخلة ثم يصير ثمراً إن كانت أنثى .

ولم نعجز عنه ، من عيسى بالأمر ،
إذا عجز عنه وانقطعت حيلته
فيه . ولم يبتد لوجه مراده [آية
٣٣ الأحقاف ص ٦٤٣] . ﴿ بَلْ
هُمْ فِي لَبْسٍ ﴾ أى هم مقرون بأننا
خلقنا الخلق الأول . فكيف
ينكرون قدرتنا على إعادته ! بل
هم في خلط وشبهة ﴿ مِنْ خَلْقٍ
جَدِيدٍ ﴾ مستأنف لما فيه من مخالفة
العادة . يقال : لبس عليه
الأمر - من باب ضرب - خلطه .
والبس : غطاه .

١٦ - ﴿ مَا تَوْسَّوسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾ أى
ما تحدث به وتحطره بباله .
والتوسوسة : الصوت الخفي .
﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ
الْوَرِيدِ ﴾ أى ونحن بعلما به
وبأحواله كلها أقرب إليه من أقرب
شئ إليه ، وهو عرق الوريد
الذى في باطن عنقه . وهو مثل في
قرط القرب . والحبل : العرق .
فالمراد القرب بالعلم لا القرب في
المكان لاستحالته عليه تعالى .

١٧ - ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ ﴾ أى
يكتب الملكان في صحيفتي حسناته
وسيئاته ما يعمل . ﴿ عَنْ
الْيَمِينِ ﴾ قعيد ﴿ وَعَنِ الشِّمَالِ
قَعِيدٌ ﴾ . فأحدهما عن يمينه لكتابة
الحسنات . والآخر عن شماله
لكتابة السيئات .

١٨ - ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا
لَدَيْهِ ﴾ ملك ﴿ رَقِيبٌ ﴾ حافظ
يكتب قوله ﴿ عَتِيدٌ ﴾ مُعَدٌّ مهياً
لذلك حاضر عنده لا يفارقه .

الرَّسِّ وَنَمُودُ ﴿٧﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنٌ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿٨﴾
وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ
وَعِيدُ ﴿٩﴾ أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ
خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّوَسُ
بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١١﴾
إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٢﴾
مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٣﴾ وَجَاءَتْ
سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٤﴾
وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿١٥﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ

والمراد : كثرة ما فيه من مادة
التمر .

١١ - ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا ﴾
أرضاً جدية لانماء فيها . وتذكير
« مَيْتًا » لكون البلدة بمعنى المكان .
﴿ كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ أى مثل تلك
الحياة البديعة حيائكم بالبعث من
القبور .

١٢ - ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ ﴾ بيان لكون البعث بما
أجمع الرسل على حقيقته . وتهديد
لكفار مكة . وفيه تسلية للرسول
صلى الله عليه وسلم بأن شأنه مع
قومه في ذلك شأن الرسل السابقين
مع أقوامهم : والعاقبة
للصابرين . ﴿ وَأَصْحَابُ

والمراد به : الاثنان المتلقيان ؛
وأن كلاً منهما رقيبٌ عتيدٌ .
يقال : عتد الشيء - ككرم -
عتادةً وعتاداً ، حضر ؛ فهو عتدٌ
وعتيد . ويتعدى بالهمزة
والضعيف فيقال : أعتده صاحبه
وعتدته ، إذا أعدّه وهياه .

١٩ - ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ ﴾
شدته وكرهه ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ بحقيقة
الأمر من سعادة الميت وشقاوته أو
بنفس الموت ، وهو الأمر الذي
لا بد أن يكون لكل حي . ﴿ ذَلِكَ ﴾
ما كنت منه تجيدٌ أي الموت هو
ما كنت منه أيها الإنسان تهرب
وتفر في حياتك فلم ينفعك منه
الهرب والفرار . يقال : حاد عن
الشيء ، يجيد حيدةً وحيوداً .
تتخى عنه ويعد .

٢١ - ٢٢ - ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ ﴾
نفس ﴿ بَرَّةٍ أَوْ فَاجِرَةٍ ﴾ معها
سائقٌ ﴿ مَلَكٌ يَسْأَلُهَا إِلَى الْمَحْشَرِ . ﴾
﴿ وَشَهِيدٌ ﴾ مَلَكٌ يشهد عليها
بعملها . ثم يقال للكافر إذا عاين
مالم يكن يصدق به في الدنيا
لغفلة : ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ ﴾
هَذَا ﴿ الَّذِي تَعَابَيْتَ . ﴾ ﴿ فَكَشَفْنَا ﴾
عَنكَ غِطَاءَكَ ﴿ فَآرَلْنَا عَنْكَ الْغَفْلَةَ ﴾
التي كانت تحجبك عن أمور
المعاد . ﴿ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾
نافذٌ قويٌّ تبصر به ما كنت تجهده
في الدنيا . يقال : هو حديد النظر
وحديد الفهم ، إذا كان نافذاً .

٢٣ - ٢٤ - ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا ﴾
لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿ أَيْ قَالَ شَيْطَانُهُ ﴾
المقيض له في الدنيا : هذا - أَيْ

نَفْسٍ مَّعَهَا سَاقٍ وَشَهِيدٌ ﴿ ٢١ ﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ
هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿ ٢٢ ﴾
وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿ ٢٣ ﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ
كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿ ٢٤ ﴾ مَنَّاعٍ لِلْخَبِيرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿ ٢٥ ﴾ الَّذِي
جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿ ٢٦ ﴾
* قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ
بَعِيدٍ ﴿ ٢٧ ﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ
بِالْوَعِيدِ ﴿ ٢٨ ﴾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ
لِّلْعَبِيدِ ﴿ ٢٩ ﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِحَبْلِهِمْ هَلْ أَتَيْنَا بِكُم تَفْؤُلَ هَلْ
مِنْ مَّرْجِدٍ ﴿ ٣٠ ﴾ وَأَزَلَفْتِ الْخَنَةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿ ٣١ ﴾

الشيطان ؛ رداً لقوله رَبَّنَا أَطْغَانِي
شيطاني . ﴿ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ ﴾
كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿ فَأَعْتَهُ عَلَيْهِ ﴾
بِالْإِغْوَاءِ وَالتَّرْيِينِ مِنْ غَيْرِ قَسْرِ لَهُ
وَلَا إِجَاءِ .

٢٨ - ﴿ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ ﴾
بِالْوَعِيدِ ﴿ عَلَى الْكُفْرِ فِي دَارِ الْعَمَلِ ﴾
فِي كِتَابِي وَعَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِي ؛ فَلَا
تَطْمَعُوا فِي الْخُلَاصِ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ
بِالْمَعَادِيرِ الْبَاطِلَةِ .

٢٩ - ﴿ وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ إِذْ
أَخَذَهُمْ بِمَا قَدَّمُوا ، وَأَعَايَاهُمْ بِمَا
أَسْلَفُوا ؛ فَعَذَابُهُمْ عَذَابٌ لَا شَائِبَةَ
لِلظَلَمِ فِيهِ .

الكافر - الذي عندي وفي ملكتي
مهيأاً لجهنم بإغوائِي وإِضْلَالِي . أو
قال الملك الموكل بكتابة
السيئات : هذا الذي في صحيفته
من السيئات مكتوبٌ عندي عتيدٌ
مهيأاً للعرض ؛ فيقال للملكين من
خزنة النار - أو للسائق والشهيد :
﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾
إِطْرَحَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ مَبَالِغٍ فِي
الْكُفْرِ . شديدٌ في العناد وإِباء
الانقياد للحق .

٢٥ - ﴿ مُعْتَدٍ ﴾ ظالم متجاوز
للحد . ﴿ مُّرِيبٍ ﴾ شاكٌ في الله
وفي دينه .

٢٧ - ﴿ قَالَ قَرِينُهُ ﴾ أَيْ



يقال : حاص يحيص حصًا
ومحصًا : عدل وحاد .

٣٨ - ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا
السَّمَاوَاتِ ۖ أَى خَلَقْنَا
السماءات في يومين . ومنافعها في
يومين . ولو شاء الله لخلق الكل في
أقل من لمح البصر ، ولكنه تعالى
من فضله علمنا بذلك الثاني في
الأمور . ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾
تعب وإعياء . مصدر لغب - من
باب دخل - أى أعجب . وهو رد
على اليهود في قولهم : إن الله
استراح يوم السبت .

٣٩ - ﴿وَسَبَّحْ﴾ أى تَرَه رَبِّكَ عما
لا يليق به . أو صل له تعالى ﴿قَبْلَ
طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾
وهما وقتا الفجر والعصر .

٤٠ - ﴿وَأَذْبَارَ السُّجُودِ﴾ أى
وسبحة أعقاب الصلوات . وهو
ما ورد في حديث (من سبح لله في
دُبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين .

وحمد الله ثلاثاً وثلاثين . وكبر الله
ثلاثاً وثلاثين ، فذلك تسعة
وتسعون . وتأم المائة : لا إله إلا
الله وحده لا شريك له ، له
الملك وله الحمد . وهو على كل
شئ قدير ، غفرت خطاياهم وإن
كانت مثل زبد البحر ^(١) .
وقيل التسيح «أذبار السجود» :
النوافل بعد المكتوبات .

٤٢ - ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ
بِالْحَقِّ﴾ أى يسمعون النفخة
الثانية مثبثة بالحق . وهو البعث
والشُّور . ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ

هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيزٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ
الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ
ذَلِكَ يَوْمَ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا
مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ
بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيزٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ رُقْلٌ أَوْ آتَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾
وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ
يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ

رائدة . ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾
قوة . أو أخذًا شديدًا في كل
شئ ، كعاد وقوم فرعون .
والبطش : السطوة ، أو الأخذ
بالعنف . ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾
طوفوا فيها وساروا في نقوبها طلباً
للهرب ، فلم يسلّموا من الهلاك .
يقال : نقب في الأرض ،
ذهب ، كأنقب ونقب . وأصل
النقب : الخرق والتحول في
الشئ . ومنه نقب الجدار .
وجمعهُ نقوب . ﴿هَلْ مِنْ
مَحِيزٍ﴾ معدل ومهرب منه .

لِلْمُتَّقِينَ ۖ ﴿٣٢﴾ أُذُنَيْتِ وَقَرَّبْتَ
لِلَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ بَأْدَاءَ فَرَائِضِهِ
واجتناب معاصيه في مكان غير
بعيد منهم . يقال : أزلفه . إذا
قربه ، ومنه الرلفة والرلقى .
بمعنى القرية والمنزلة .

٣٢ - ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيزٍ﴾
لكل رجّاع إلى الله حافظ
لحدوده ، بدل من «المتقين» .

٣٣ - ﴿بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ راجع إلى
الله تعالى مخلص في طاعته .

٣٦ - ﴿مِنْ قَرْنٍ﴾ قوم و«مِنْ»

الْخُرُوجِ ﴿٤٤﴾ مِنْ الْقُبُورِ .

٤٤ - ﴿يَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ...﴾ أى يخرجون يوم تنقلب عنهم الأرض سراعاً إلى المحشر .

٤٥ - ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ أى بمسلط عليهم تجبرهم على الإسلام ؛ وهو كقوله تعالى : «لَنْتَ عَلَيْهِمْ بِمُطِيرٍ» (١) . و«جَبَّارٌ» صيغة مبالغة ؛ من جَبَر الثلاثي . يقال : جبره على الأمر . أى قهره عليه كأجبره . والله أعلم .

بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٤٦﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ
وَالْبَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا
ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٨﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا
أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٩﴾

(٥١) سُورَةُ الذَّارِيَاتِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٦٠ نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَحْقَافِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا ﴿١﴾ فَالْحَمَلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ
يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ
لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ
الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّا كُنَّا لَفِي قَوْلٍ مُتَخَلِّفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفِكُ عَنْهُ

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

١ : ٤ - ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا...﴾ أقسم تعالى بالرياح التي تذرُّ الترابَ وغيره لقوتها . ثم بالسحب الحاملات للأمطار ، ثم بالسفن الجارية جرياً سهلاً في البحار ، ثم بالملائكة المقيَّسات الأمور المقدَّرة بين الخلق على ما أمرت به - على أن ما وُعدوا به من البعث موعودٌ صادقٌ . وأن الجزاء يوم القيامة محققٌ واقعٌ . وقد رُتبت هذه الأقسام باعتبار تفاوتها في الدلالة على كمال قدرته تعالى ؛ وإن كانت كلها من أعظم دلائل القدرة على البعث . والمقصود بها : أن من قدر على هذه الأمور العجيبة - يقدَّر على إعادة ما أنشأه أولاً . (وَالذَّارِيَاتِ) من ذَرَّتْ الرِّيحُ الترابَ تذرَّوه ذُرُوءًا . وتذرَّبه ذُرِّيًّا - من بايى عدًا

ورمى - سَفَّهَ وطبَّره . (وَذُرُوءًا) مصدرٌ مؤكد . وقُرَأَ أى حِملاً وَنَفْلاً - مفعولٌ به . يُسْرًا أى جَرِيًّا ذَائِسًا وسهولةً إلى حيث سِيرَتْ ؛ صفةٌ مضدرٌ محذوفٌ بتقدير مضاف . (أَمْرًا) مفعولٌ به . ٦ - ﴿وَإِنَّ الدِّينَ﴾ الجزاء بعد الحساب . ٧ . ٨ - ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ ثم أقسم تعالى بالسموات ذوات الطُّرُق التي تسم فيها الكواكب ؛ وهى من بدائع الصُّنْع . جمعٌ حَبِيكَةٌ ؛ كطريقة وزناً ومعنى . أَوْحِيَاكُ ؛ كمثُل ومثال . وَالْحَبِيكَةُ وَالْحَبَاكُ : الطريقةُ في الرَّمْلِ ونحوه . ويقال : حَبَكُ لما يُرَى في الماء أو الرَّمْلِ إذا مَرَّتْ به الرِّيحُ اللَّيْنَةُ من التَّكْسُرِ والتَّثْنِي . أَوْذَاتِ الْحَلَقِ السَّوَّى الجِدِّ ؛ من قولهم : حَبَكَ الثَّوبَ يَحْبِكُهُ حَبَكًا . أجاد نسجه . وكلُّ شَيْءٍ أَحْكَمْتَهُ وَأَحْسَنْتَ عَمَلَهُ فَقَدْ احْتَبَكْتَهُ . وجوابُ الْقَسَمِ :

والعمرة : ما ستر الشيء وغطاه
ومنه نهر غمر : أى يغمر من
دخله . والسهو : الغفلة عن
الشيء .

١٣ - ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ
يُقْتَلُونَ﴾ جواب لقولهم (أَيَّانَ يَوْمَ
الَّذِينَ) أى يقع يوم الدين والجزاء
يوم يحرقون بالنار . من قولهم
فَتَتَّ الذَّهَبُ . أى أذبتَه ليختبر
ويظهر خبئه . ثم استعمل في
الإحراق والتعذيب . وعُدَى
الفعل بـ (على) لتضمينه معنى
يعرضون . أو على بمعنى فى .

١٧ - ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ
مَا يَبْهَجُونَ﴾ أى كانوا ينامون من
الليل زماناً قليلاً ويقومون أكثره
والهَجُوعُ : النوم ليلاً ، وقبده
بعضهم بالقليل . وبابه خضع
(ما) زائدة .

١٨ - ﴿وَبِالْأَشْحَارِ هُمْ
يَسْتَغْفِرُونَ﴾ جمع سَحَر . وهو
الجزء الأخير من الليل [آية ١٧ آل
عمران ص ٧٥] . أى هم دائماً
مع هذا الاجتهاد يَعُدُّونَ أنفسهم
مذنبين . ويطلبون من الله
المغفرة . لوفور علمهم بالله .
وأنهم لا يستطيعون أن يَقْدُرُوهُ حَقَّ
قَدْرِهِ معها اجتهدوا فى العبادة
والطاعة . وقيل معناه : يصلُّون
بالأشجار لطلب المغفرة .

١٩ - ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ
لِّلسَّائِلِ﴾ أى يوجيئون على
أنفسهم فى أموالهم حقاً للسائل
والمحروم . تَقَرُّباً إلى الله عز وجل
بمقتضى كَرَمِ النفس وجودها .

مَنْ أَفْكَ ١٠ قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ ١١ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ
سَاهُونَ ١٢ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الَّذِينَ ١٣ يَوْمَ هُمْ عَلَى
النَّارِ يُقْتَلُونَ ١٤ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ
بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ١٥ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ١٦
ءَاخِذِينَ مَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ
مُحْسِنِينَ ١٧ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ١٨
وَبِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ١٩ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ
وَالْمَحْرُومِ ٢٠ وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ٢١

الذى لا أشد منه ولا أعظم : من
الأفك . وهو صرف الشيء عن
وجهه الذى يَحِقُّ أن يكون عليه .
١٠ - ﴿قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ لَعْنُ
الكذابون أصحاب القول
الْمُخْتَلَفِ : وهو دعاء عليهم
بذلك . وأطلق على اللعن قَتْلٌ :
لأن الملعون بمنزلة المقتول المالك .
جمع خَرَّاصٍ وهو الكذاب .
يقال : خَرَّصَ يَخْرِصُ خَرْصًا .
أى كَذَبَ : كَخَلَقَ وَاخْتَلَقَ .
وَأَصْلُ الْخَرَّاصِ : الظَّنُّ
وَالْتَّخْمِينُ . ثم تجوز به عن
الكذب : لأنه ينشأ غالباً عن
الظن .

١١ - ﴿فِي عَمْرَةٍ﴾ فى جهالة
تغمرهم كالماء الذى يغمر ما فيه .
﴿سَاهُونَ﴾ غافلون عما أمروا به

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلَفٍ﴾ أى
متخالف متناقض فى أمره تعالى
حيث تقولون : إنه خالق
السموات والأرض : وتعبدون
الأصنام من دونه . وفى أمر
الرسول صلى الله عليه وسلم
فتقولون تارة : مجنون . وأخرى
ساحر . وفى أمر الحشر فتكفرونه
تارة . وترغمون أخرى أن
أصنامكم شفعاؤكم عند الله يوم
القيامة . والشككة فى هذا القسم :
تشبيه أقوالهم فى اختلافها وتنافي
مناحيها بطرائق السموات فى
تباعدها واختلاف هيئاتها .

٩ - ﴿يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أَفْكَ﴾
يُصْرِفُ - عن الإيمان بما كلّفوا
الإيمان به . ومنه البعث والجزاء
أو عن القرآن - من صرف الصرف

يَصِلُونَ بِهِ الْأَرْحَامَ وَالْفُقَرَاءَ
وَالْمَسَاكِينَ . وَالْحَقُّ هُنَا : غَيْرُ
الزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ ؛ إِذِ السُّورَةُ
مَكِّيَّةٌ ، وَالزَّكَاةُ إِنَّمَا فُرِضَتْ
بِالْمَدِينَةِ . وَالسَّائِلُ : هُوَ مَنْ يَسْأَلُ
النَّاسَ لِفَقَاتِهِ . وَالْمَحْرُومُ : هُوَ
الْمُتَعَفِّفُ عَنِ السُّؤَالِ مَعَ الْحَاجَةِ ؛
فَيُحَرِّمُ الصَّدَقَةَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ
لِظَهْمٍ فِيهِ الْغِنَى .

٢٠ - ﴿آيَاتٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ دَلَائِلُ
لِلْمُؤَحِّدِينَ الَّذِينَ سَلَكَوا الطَّرِيقَ
السَّوِيَّ الْمَوْصِلَ إِلَى الْيَقِينِ .
وَحُصِّصُوا بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُمْ هُمُ الْمُتَعَفِّفُونَ
بِالنَّظَرِ فِيهَا .

٢١ - ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ ..﴾ فِي
نَشَاتِهَا وَأَطْوَارِهَا وَسَائِرِ أَحْوَالِهَا
آيَاتٌ لِلْمُتَبَصِّرِينَ .

٢٢ - ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾
أَيُّ سَبَبِ رِزْقِكُمْ وَهُوَ الْمَطَرُ ..
وَالسَّمَاءُ : السَّحَابُ
﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ أَيُّ وَفَى السَّمَاءِ
مَكْتُوبٌ مَا تُوعَدُونَ بِهِ مِنَ الثَّوَابِ
وَالْعِقَابِ ، وَالْبَعْثُ وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ .

٢٣ - ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ﴾ أَيُّ إِنْ جَمِيعُ
مَا ذُكِرَ مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ إِلَى هُنَا لِحَقِّ
ثَابِتٍ لَا مَرِيَّةَ فِيهِ . ﴿مِثْلَ مَا أَنْتُمْ
تَنْطِقُونَ﴾ أَيُّ كِمِثْلِ نَطَقِكُمْ
الْمَعْلُومِ لَكُمْ ضَرُورَةً .

٢٤ - ﴿ضَيْفُ إِبْرَاهِيمَ﴾ وَهُمْ
الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ نَزَلُوا عَنْدهُ .
وَالضَّيْفُ فِي الْأَصْلِ : مُصَدَّرٌ
بِمَعْنَى الْمَثَلِ ؛ وَلِذَلِكَ يُطْلَقُ عَلَى
الوَاحِدِ وَالْأَكْثَرِ .

٢٥ - ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ أَيُّ هَؤُلَاءِ

وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ
وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ
مِثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَنْتَ حَدِيثٌ ضَيْفُ
إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ
سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ بِخَاءٍ يَجْعَلُ
سَمِينًا ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ
مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ وَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ عَليمٍ ﴿٢٨﴾
فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ
عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ
الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ * قَالَ فَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾
قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ ثَجَرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ
حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾

قَوْمٌ غَرَبَاءُ لَا نَعْرِفُهُمْ . قَالَ ذَلِكَ
فِي نَفْسِهِ . ﴿بَغْلَامٍ عَليمٍ﴾ هُوَ هُنَا
اسْحَاقُ عِنْدَ الْجُمْهُورِ .

٢٦ - ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ﴾ عَدَلَ
وَمَالَ إِلَيْهِمْ فِي خِيفَةٍ . يُقَالُ : رَاغَ
فُلَانٌ إِلَى كَذَا ، مَالَ إِلَيْهِ لِأَمْرٍ
يُرِيدُهُ مِنْهُ بِالْإِحْتِيَالِ . وَرَاغَ
الشَّعْلَبُ رَوْغًا وَرَوْغَانًا : ذَهَبَ
بِمَنَّةٍ وَيَسْرَةً فِي سُرْعَةٍ وَخَدِيعَةٍ ؛
فَهُوَ لَا يَسْتَقِرُّ فِي جِهَةٍ .

٢٨ - ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾
أَحْسَنَ مِنْهُمْ فِي نَفْسِهِ خَوْفًا حِينَ

رَأَى عَلَيْهِ السَّلَامَ إِعْرَاضَهُمْ عَنْ
طَعَامِهِ . ﴿بَغْلَامٍ عَليمٍ﴾ هُوَ هُنَا
اسْحَاقُ عِنْدَ الْجُمْهُورِ .
٢٩ - ﴿فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ﴾
فِي صَنِيعَةٍ وَضَعَتْ تَعَجُّبًا مِنْ هَذِهِ
الْبَشْرَى ؛ مِنَ الصَّرِيرِ وَهُوَ
الصَّوْتُ . وَمِنْهُ صَرِيرُ الْبَابِ : أَيُّ
صَوْتِهِ . ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾
لَطَمَتْهُ يَدُهَا تَعَجُّبًا ، وَهُوَ فِعْلُ
النِّسَاءِ إِذَا تَعَجَّبْنَ مِنْ شَيْءٍ .
وَالصَّكُّ : الضَّرْبُ الشَّدِيدُ



الأم : إذا أتى ما يُلام عليه ؛
كأغرب : إذا أتى أمراً غريباً .

٤١ - ﴿الرَّيْحَ الْعَقِيمَ﴾ الشديدة التي لا خير فيها من إنشاء مطر أو القاح شجر ؛ وهي ريح الهلاك . وروى أنها الدبور .
وصفت بالعقيم لأنها لما أهلكتهم وقطعت نسلهم أشبهت الإهلاك بعدم الحمل ؛ لما فيه من إذهب النسل .

٤٢ - ﴿كَالرِّيمِ﴾ كالهشيم المفتت . يقال للثبت إذا بيس وتفتت : رميم وهشيم . ورم العظم : بلى . ويقال للبالى : رمام ؛ كغراب .

٤٤ - ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ فاستكبروا عن طاعة ربهم .
﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ أهلكتهم . وكل صاعقة في القرآن فهي العذاب المهلك .

٤٧ - ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ أى ملتبسة بقوة وقدرة . يقال : آذ الرجلُ يثدُّ - من باب باع - اشتدَّ وقوى ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ لقادرون ؛ من الوسع بمعنى الطاقة . يقال : أوسع الرجلُ ؛ أى صار ذا وسع ؛ كأوراق الشجر : أى صار ذا ورق .

٤٨ - ﴿فَرَشْنَاهَا﴾ مهدها كالفراش للاستقرار عليها . ﴿فَنَعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ المسوون المصلحون .

٤٩ - ﴿زُوجْنَيْنِ﴾ نوعين متقابلين كالليل والنهار ، والسما

فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَحَرُ أَوْ يُجْنُونُ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرِّيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَارٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا

بالشيء العريض .

٣١ - ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ (وفي عاد) وفي (وفي ثمود) .

٣٩ - ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ﴾ أى أعرض فرعون عن الإيمان بموسى . وهو مثل نأى بجانبه وتنى عطفه . والركن : جانب البدن وعطفه . أو أعرض بجنوده عن الإيمان ، وهم الركن ؛ لأنه يركن إليهم ويتقوى بهم . أو تولى معرضاً بقوة وسلطانه ؛ والركن : العزة والمنعة .

٤٠ - ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أت بما يُلام عليه من الكفر والطغيان ؛ من

٣١ - ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾

ما حالكم وشأنكم الخطير ، الذى لأجله أرسلتم سوى هذه البشرى !

٣٤ - ﴿مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾ مُعلّمة عند الله قد أعدّها لرجم من قضى برّجه من المسرفين فى العصيان ؛ من السومة وهي العلامة .

٣٥ - ﴿مَنْ كَانَ فِيهَا ..﴾ لوطاً

وابتته .

٣٨ - ﴿وَفِي مُوسَى﴾ وتركنا فى

والأرض ، والهدى والضلال ،
إلى غير ذلك .

٥٠ - ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ فاهربوا
من عقابه إلى ثوابه .

٥٣ - ﴿اتَّوَصَّوْا بِهِ﴾ أجمعهم
على هذا القول الشنيع وصية
بعضهم بعضاً به حتى قالوه
جميعاً ؟ ثم أضرب عن ذلك وبين
أن الجامع لهم عليه هو طغيانهم
جميعاً فقال : ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ
طَاغُونَ﴾ .

٥٥ - ﴿وَذَكَّرْ﴾ دُم على التذكير
والوعظ .

٥٦ - ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ
وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أى لم
أخلق الثقلين إلا مهيتين لعبادتي
بما ركبتُ فيهم من العقول
والحواس والقوى ؛ فهم على حالة
صالحة للعبادة مستعدة لها ،
فذكّرهم بوجودى وتوحيدي
وعبادتي . فن جرى على موجب
استعداده وفطرته آمن بى وعبدنى
وحدى . ومن عاند استعداده
وفطرته واتبع هواه ، سلك غير
سبيل المؤمنين . وفى جعل الخلق
مُعْتَبِراً بالعبادة مبالغة ؛ بتزليل
استعدادهم للعبادة منزلة العبادة
نفسها . أو أنه تعالى ما خلقهم
إلا لغاية كمالية وهى عبادته ؛
وتخلف بعضهم عن الوصول إليها
لا يمنع كونها غاية كمالية
للخلق . وقيل : المراد بالجن
والإنس : المؤمنون ؛ واللام للغاية .
٥٩ - ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا

بِأَيْسِدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ
الْمُهْدُونَ ﴿٥٨﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ﴿٥٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾
وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٦١﴾
كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ
أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٦٢﴾ أَتَوَصَّوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٦٣﴾
فَقَوْلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ ﴿٦٤﴾ وَذَكَرَ فَإِنَّ اللَّهَ كَرِهُ
تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا
لِيَعْبُدُونِ ﴿٦٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ
يُطْعَمُوا ﴿٦٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٦٨﴾
فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا
يَسْتَعِجِلُونَ ﴿٦٩﴾ قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي
يُوعَدُونَ ﴿٧٠﴾

الأنبياء ؛ فيكون لهذا ذنوبٌ
ولهذا ذنوبٌ . ومن ثم فسر
الذنوب بالنصيب .

٦٠ - ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ..﴾
هلاك . أو حسرة في يوم يذُر .
أو في يوم القيامة . والله أعلم .

مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ أى حظاً
ونصيباً من العقاب نازلاً بهم ؛
مثل نصيب من سبقهم من
الكفار . والذنوب فى الأصل :
الدُّنُو العظيمة المملوءة ماء .
ولا يقال لها ذنوب إذا كانت
فارغة . وجمعها ذنائب ؛
كقُلُوص وقلائص ، وكانوا
يستقون الماء فيقسمونه بينهم على

(٥٢) سُورَةُ الطُّورِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٤٩ نَزَلَتْ بَعْدَ السَّجْدَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ① وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ② فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ③
وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ④ وَالسَّعْفِ الْمَرْفُوعِ ⑤ وَالْبَحْرِ
الْمَسْجُورِ ⑥ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ⑦ مَا لَهُ مِنْ
دَافِعٍ ⑧ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ⑨ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ
سَيْرًا ⑩ قَوْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑪ الَّذِينَ هُمْ فِي
خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ⑫ يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ⑬

ما يُعْرَضُ للناسِ عامَّةً . ﴿وَالْبَيْتِ
الْمَعْمُورِ﴾ هو البيت الحرام .
وقيل : هو بيتٌ في السماء ،
مُسامتٌ للكعبة تطوف به
الملائكة . ﴿وَالسَّعْفِ الْمَرْفُوعِ﴾
السماء . ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾
أى المملوء ماءً يقال : سَجَرَ
النهر : ملأه . وهو البحر المحيط ؛
والمرادُ الجَنَسُ . وقيل : الموقد نارًا
عند قيام الساعة ؛ كما قال تعالى :
(وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) (١) . أى
أوقدت نارًا ؛ مِنْ سَجَرَ التَّنَوَّرَ
يسجره سَجْرًا . أحياه . وُصف
البحرُ بذلك إعلامًا بأن البحار عند
فناء الدنيا تُحصى بنار من تحتها
فتسخر مياهاها ، وتندلع النار في
تجاويفها وتصبح كلها حُمَمًا . ﴿إِنَّ
عَذَابَ﴾ جواب القسم بما
سبق .

٩ - ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾
أى أن هذا العذاب لواقع يوم
تضطرب السماء وتدور كالرحى ،
وتتداخل وتختلف أجزاءها وتتكفأ
بأهلها ؛ وذلك عند خراب العالم
وانقضاء الدنيا . والمور : الحركة
والاضطراب والدوران ، والجيء
والذهاب ، والتموج والتكفؤ .
١٠ - ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾
تزول عن أماكنها وتطير
كالسحاب ، ثم تنفث كالرمل ،
ثم تصير كالعهن المنفوش ، ثم
تطيرها الرياح فتكون هباءً منبثًا .
١١ - ﴿قَوْلٌ﴾ هلاك وحسرة .
١٢ - ﴿فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ فى

الصُّلعة ما لا يقادر قدره .
وبالبحار المحيطة التى تسير فيها
السفن كالأعلام ، وفيها عجائب
شئى . وجواب القسم : (إِنَّ
عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ) بالمكذِّبين .
﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾ أى مكتوب
مُنسَّق الكتابة بسطور مصفوفة فى
حروف مرتبة جامعة لكلمات
متفقة . وقيل : المراد به التوراة ،
أو القرآن ، أو صحائف الأعمال .
﴿فِي رَقٍّ﴾ هو كل ما يكتب فيه
من ألواح وغيرها . وأصله : الجلدُ
الرقيق يُكتب فيه . ﴿مَّنشُورٍ﴾
مفتوح غير مطوى . والمراد : أنه
معرض لكل ناظر . وفيه إلماح إلى
سلامته من العيوب ؛ شأن

سُورَةُ الطُّورِ
١ : ٧ - ﴿وَالطُّورِ﴾ . أقسم
الله فى مُفْتَتَحِ هذه السورة بخمسة
من أعظم المخلوقات ؛ دلالة على
عظيم قدرته تعالى وبديع صنعته ؛
للتأكيد وقوع العذاب بالكافرين
يوم البعث والجزاء . فأقسم بحمل
طور سيناء ، الذى كلم الله عليه
موسى عليه السلام تكريمًا له
وتذكيرًا بما فيه من الآيات .
وبكتبه المنزلة على أنبيائه بالهدى
والحق . وبيئته الحرام المعمور
بالطائفين والقائمين والركع
السجود ، الذى جعله للناس
مثابةً وأمنًا . وبالسماء المرفوعة
بلا عمد ؛ وفيها من عجائب

اندفاع في الباطل يلهون ،
لا يذكرون حساباً ، ولا يحسنون
عقاباً [آية ١٤٠ النساء
ص ١٣٥] .

١٣ - ﴿يَوْمَ يُدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ
دَعَا﴾ يُدْعُونَ إليها دفعاً بعنف ،
ويطرحون فيها : من الدَّعْ وهو
الدفع العنيف . يقال : دَعَّه يدْعُهُ
دَعَا . دفعه في جَفْوَةٍ ، ومنه
(فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ) (١) .

١٦ - ﴿أَصْلَوْهَا﴾ أدخلوها ،
أوقاسوا حرها [آية ١٠ النساء
ص ١٠٨] .

١٨ - ﴿فَاكِهِينَ﴾ ناعمين .
وَقُرِئَ (فَكِهِينَ) وهو بمعناه [آية
٥٥ يس ص ٥٦١ ، ٥٦٢] .

٢٠ - ﴿عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ﴾
موضوعة على صفٍّ وخطٍّ مستوٍ .
﴿وَزَوْجَتَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾
قَرَنَاهُم بِهِنَ [آية ٥٤ الدخان
ص ٦٣٣] .

٢١ - ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ
ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾ بيانٌ لحال
طائفة من أهل الجنة ، وهم الذين
شاركهم ذُرِّيَّتُهُمْ - الأقلُّ منهم
عملاً - في الإيمان . والذريةُ :
تصدق على الأبناء والآباء ، أى
أن المؤمن إذا كان عمله أكثر ،
ألحق به من دونه في العمل ، إبتاءً
كان أو أباً ، سواء كان الأبناء
صغاراً أم كباراً . رُوِيَ عن ابن
عباس رضى الله عنهما : إن الله
ليرفع ذريةَ المؤمن معه في درجته
في الجنة وإن كانوا دونه في العمل ؛

هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرُ هَذَا
أَمْ أَنْتُمْ لَا تَبْصُرُونَ ﴿١٥﴾ أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا
سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْجَرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ
الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَكِهِينَ بِمَاءٍ أَنهَمَ
رَبُّهُمْ وَوَقَلَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا
هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَكِبِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ
وَزَوْجَتُهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ
ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ
عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾
وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفِكَهٍ وَلَحْمٍ تَمَاشَتُهُونَ ﴿٢٢﴾ يَنْتَزِعُونَ
فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٍ فِيهَا وَلَا تَأْنِيهِ ﴿٢٣﴾ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ

لِقَرَرَ بِهِمْ عَيْنُهُ (٢) . وعنه مرفوعاً :
(إذا دخل الرجلُ الجنةَ سأل عن
أبويه وزوجته وولده فيقال له :
إنهم لم يبلغوا درجتك وعملك ؛
فيقول : يا ربِّ قد عملت لى
ولهم ، فيؤمَّرُ بالحاقهم به) (٣) وقوله
(وَالَّذِينَ آمَنُوا) مبتدأ خبره جملةُ
(الْحَقَّقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) أى في
الدرجة ، (وَاتَّبَعَتْهُمْ) عطفٌ
على (آمَنُوا) . و (بِإِيمَانٍ) متعلقٌ
به ، والباء للسياحة أو الظرفية ؛
أى اتبعهم بسبب الإيمان أو فيه .
﴿وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ
شَيْءٍ﴾ أى وما نقصنا المتبوعين من
ثواب أعمالهم شيئاً بإلحاق ذُرِّيَّتِهِمْ
بهم في الدرجة ؛ بل أعطيناهم
ثوابهم كاملاً ؛ ورفعنا ذُرِّيَّتَهُمْ إلى
درجتهم فضلاً وإحساناً . يقال :
ألته حقه بإلته - من باب ضَرَبَ -
نقصه . ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ
رَهِينٌ﴾ أى كلُّ امرئٍ مرهونٌ عند
الله بكسبه وعمله ؛ فإن كان عمله
صالحاً فكُتِبَتْ نفسه وخلصها ؛ كما
يُخْلَصُ المرهون من يد مرتنه ؛
وإلا أهلكها .

٢٣ - ﴿يَنْتَزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أى

بِنِعْمَةِ رَبِّكَ ﴿٢٩﴾ أَيُّهَا أَنْتَ بِسَبِّ
إِنْعَامِ اللَّهِ عَلَيْكَ ﴿بِكَاهِنٍ﴾ تَجْزِي
بِالْغَيْبِ مِنْ غَيْرِ وَحْيٍ مِنَ اللَّهِ ﴿وَلَا
مُجْتَنُونَ﴾ يَقُولُ مَا لَا يَقْصِدُ .

٣٠ - ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾ أَيُّ بَلِّ
أَيَقُولُونَ هُوَ شَاعِرٌ ! ﴿تَرْبُّصُ بِهِ
رَبِّبَ الْمُتُونِ﴾ نَتَنظُرُ بِهِ حَوَادِثَ
الدَّهْرِ وَصُرُوفَهُ الْمَهْلَكَةِ !
وَالرَّبِّبُ : مُصَدِّرُ رَابِعِهِ إِذَا أَقْلَقَهُ .
وَالْمُتُونُ : الدَّهْرُ ، مِنَ الْمُنِّ بِمَعْنَى
الْقَطْعِ ، لِأَنَّهُ يَقْطَعُ الْأَعْمَارَ وَغَيْرَهَا
أُرِيدُ بِهِ حَوَادِثُ الدَّهْرِ بِجَازَا ،
لِأَنَّهُا تُقْلِقُ النَّفْسَ كَمَا يُقْلِقُهَا
الشَّكُّ ، وَغُبَّرَ عَنْهَا بِالمصدر
مِبَالِغَةً . أَوْ نَتَنظُرُ بِهِ نَزُولَ الْمِثَّةِ .
وَالْمِثْوُ : الْمِثَّةُ ، لِأَنَّهُا تُقْصَلُ
الْعَدَّةُ وَتُقْطَعُ الْمَدَدُ . وَالرَّبِّبُ :
النَّزُولُ ، مِنْ رَابِعِهِ الدَّهْرُ .
أَيُّ نَزَلَ . وَالْمَرَادُ بِنَزُولِهَا الْهَلَاكُ .

وَذَكَرْتُ «أَمْ» فِي هَذِهِ السُّورَةِ
خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً ، وَكُلُّهَا
الزَّمَانُ لِلْمُخَاطَبِينَ لَيْسَ لَهُمْ عَنْهَا
جَوَابٌ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : إِنْ كُلُّ مَا
فِي سُورَةِ الطُّورِ مِنْ «أَمْ» فَهُوَ
اسْتِفْهَامٌ لَا عَطْفٌ . وَإِنَّمَا اسْتَفْهَمَ
تَعَالَى مَعَ عِلْمِهِ بِهِمْ تَوْبِيخًا لَهُمْ ،
عَلَى نَمَطِ قَوْلِ الْإِنْسَانِ لْغَيْرِهِ :
أَجَاهِلُ أَنْتَ ! مَعَ عِلْمِهِ بِجَهْلِهِ .

٣٢ - ﴿أَحْلَامُهُمْ﴾ عَقُولُهُمْ .
جَمْعُ حِلْمٍ - بِالْكَسْرِ - وَهُوَ فِي
الْأَصْلِ ضَبْطُ النَّفْسِ عَنْ
هَيْجَانِ الْغَضَبِ . وَإِطْلَاقُهُ عَلَى
الْعَقْلِ لِكُونِهِ مَنَشَأً لَهُ . ﴿قَوْمٌ
طَاغُونَ﴾ مَجَاوِزُونَ الْحَدَّ فِي
الْمُكَابَرَةِ وَالْعِنَادِ .

غَلَبَانٌ لَهُمْ كَانَهُمْ لَوْلُو مَكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
عَلَى بَعْضٍ يَنْسَاءُ لُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا
مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَفْنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾
إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكَرْ
فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مُجْتَنُونَ ﴿٢٩﴾ أَمْ
يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَرْبُّصُ بِهِ رَبِّبَ الْمُتُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ
تَرْبُّصُوا فَلَمَّا مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ
أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ
تَقَوْلُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ

بَطَاعَتُهُ تَعَالَى ، خَائِفِينَ مِنْ
عَصِيَانِهِ . وَالْإِشْفَاقُ : عَنَاءٌ
مُتَمَلِّطٌ بِخَوْفٍ . وَإِذَا عُذِّيَ بَيْنَ
فَعْنَى الْخَوْفِ فِيهِ أَظْهَرَ . وَإِذَا
عُذِّيَ بِنِ - كَمَا هُنَا - فَعْنَى الْعَنَاءِ
فِيهِ أَظْهَرَ .

٢٧ - ﴿وَقَفْنَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾
عَذَابَ النَّارِ النَّافِذَةِ فِي الْمَسَامِ نَفْوَ
السَّمُومِ : وَهِيَ الرِّيحُ الْحَارَّةُ الَّتِي
تَخْلُلُ الْمَسَامَ . وَتَوْثُرُ فِي الْأَجْسَامِ
تَأْثِيرَ السَّمِّ .

٢٨ - ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ﴾ الْحَسَنُ عَلَى
عِبَادِهِ .

٢٩ - ﴿فَذَكَرْ﴾ فَاتَّبَعْتُ عَلَى مَا
أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ التَّذْكِيرِ ، وَلَا
تَكَثَّرْتُ بِمَا يَصِفُونَكَ بِهِ مِنْ
الْأَوْصَافِ الْقَبِيحَةِ . ﴿فَمَا أَنْتَ

بِتَجَادِبُونَ لِلْمُدَاعِبَةِ . أَوْ يَتَعَاطُونَ
فِيهَا إِنَاءً فِيهِ الشَّرَابُ الْمَسْمُومُ
خَمْرًا . أَوْ نَفْسَ الشَّرَابِ الَّتِي فِي
الْإِنَاءِ . ﴿لَا لَعْنُو فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ﴾
أَيُّ لَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ فِي شَرْبِهَا كَلَامٌ
سَاقِطٌ لَا خَيْرَ فِيهِ ، وَلَا يَأْتُونَ مَا
يُؤْتَمُّ بِهِ فَاعِلُهُ ، وَإِنَّمَا يَتَحَدَّثُونَ
بِأَحْسَنِ الْكَلَامِ ، لَا كَمَا يَحْصُلُ
بَيْنَ نَدَامَى الْخَمْرِ فِي الدُّنْيَا .

٢٤ - ﴿كَانَهُمْ لَوْلُو مَكْنُونٌ﴾ أَيُّ
كَانَهُمْ فِي الصَّفَاءِ وَالْبَيَاضِ : لَوْلُو
مَحْفُوظٌ فِي الصَّدْفِ ، لَمْ تَنْلِهِ
الْأَبْدَى . يُقَالُ : كَثَبْتُ الشَّيْءَ كَثَبًا
وَكُتُونًا ، جَعَلْتُهُ فِي كَيْنٍ ، وَسَتَرْتُهُ
بِنَحْوِيَّتِ أَوْثُوبٍ ، فَهُوَ مَكْنُونٌ .

٢٦ - ﴿مُشْفِقِينَ﴾ أَيُّ مُعْتَنِينَ

٣٣- ﴿قَوْلُهُ﴾ اختلق القرآن
وافتراه من تلقاء نفسه . والتقول :
تكلف القول ، ويستعمل غالباً في
الكذب . يقال : تقول عليه .
أى كذب . وقولتى ما لم أفل :
ادعيته على .

٣٦- ﴿بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ بأنه
الخالق وإلا لما أعرضوا عن عبادة
تعالى : فإيقانهم به كالعدم .

٣٧- ﴿خِزَانِ رَبِّكَ﴾
مقدوراته . ﴿هُمُ الْمُسَيِّرُونَ﴾
الأرباب القاهرون المسلطون .
حتى يدبروا أمر الربوبية على
إرادتهم ومشيئتهم ! والمسيطر :
القاهر الغالب : من سيطر عليه :
إذا قهره . والمسلط على الشيء
لبشرف عليه ويتعهد أحواله
ويكتب أعماله .

٣٨- ﴿لَهُمْ سَلَمٌ﴾ مرقى إلى
السماء يصعدون به .

٤٠- ﴿فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ
مُثْقَلُونَ﴾ أى فهم من ثقل ما
حملتهم من الغرم مثقوبون
مُجْتَهِدُونَ ، فلذلك لا يجعونك !
يقال : أثقله الحمل ، أتعبه .
والمغرم والغرم : ما ينوب
الإنسان في ماله من ضرر لغیر جنایة
منه أو خيانة .

٤٢- ﴿هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ هم
المغلوبيون الذين يحيق بهم
كيدهم ، ويعود عليهم وبآله .
اسم مفعول من الكيد ، وهو المكر
والحُبث والحيلة والحرب . وهو
إشارة إلى ما دبروه في دار الندوة

كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ
الْمَخْلُقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ
لَا يُوْقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ
الْمُصَيِّرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ مَبِينٌ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ
الْبَنَاتُ وَلَكِنَّ
الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾
أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا
فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ
سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ
سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْقُوا
يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ
كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا

بمكة من الفتك به صلى الله عليه وسلم ، فعصمه الله منهم وردهم
خائبين . وقتلوا يوم بدر في السنة
الخامسة عشرة من البعثة . وقد
كررت « أم » - كما قدمنا - خمس
عشرة مرة ، بعد هذه السنين .
ولذا قالوا : إنه من معجزات
القرآن ، وكلم له من معجزات
وغرائب وأسرار !!
٤٤- ﴿كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ قطعة
عظيمة نازلة من السماء . أى أنهم
لفرط طغيانهم إن عابنوا ذلك
﴿يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ أى هو
سحاب متراكم : ملقى بعضه على
بعض يسقينا ، ولم يصدقوا أنه
كسف عذاب .
٤٥- ﴿فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾
يُهلِكُونَ ، وذلك يوم بدر .
٤٦- ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أى
غير ذلك العذاب الذى وقع يوم
بدر ، وهو عذاب القبر وعذاب
الآخرة .

أَن مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرَّةً
عن شائبة الضلال والقوابة .
والنجم : اسم جنس لكل
كوكب ، فالمقسم به جنس
النجم المعروف إذا هوى ، أى
سقط وغرب . يقال : هوى
يهوى هويًا . سقط من فوق إلى
أسفل . وقيل : المصدر بالضم إذا
سقط ، وبالفتح إذا صعد ،
وقيل بالعكس . وتقيد المقسم به
بوقت هويته لأنه إذا كان في وسط
السماء يكون بعيدًا عن الأرض
فلا يهتدى به السارى ، لأنه لا
يعلم به المشرق من المغرب . ولا
الجنوب من الشمال . فإذا هبط من
وسط السماء تبين بهبوطه جانب
المغرب من المشرق . والجنوب
من الشمال .

٢ : ٤ - ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾
ما عدل عن طريق الحق في أقواله
وأفعاله . ﴿وَمَا غَوَى﴾ أى ما
اعتقد باطلاً قط . والعنى : جهل
ناشئ من اعتقاد فاسد . ويقابله
الرشد ، وهو من تعرفون - لطول
صحبتكم له - اتصافه بغاية
الهدى والرشاد . ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ
الْهَوَى﴾ أى لا يصدر نطقه فيما
يأتيكم به عن هوى نفسه ورأيه .
﴿إِنْ هُوَ﴾ أى ما الذى ينطق به
من ذلك . ﴿إِلَّا وَحْيٌ﴾ أى موحي
به . ﴿يُوحَى﴾ إليه من الله تعالى .
والجملة صفة مؤكدة لـ «وحى»
رافعة لاختمال التجويزه .

٥ - ﴿عَلَّمَهُ﴾ علم النبى صلى
الله عليه وسلم الوحى أو القرآن
﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ جبريل عليه

عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَصْبِرْ
لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ
تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

(٥٣) سُورَةُ النَّجْمِ مَكِّيَّةٌ

الآيَةُ ٢٢ قَدْ نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَخْلَاصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴿٢﴾
وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴿٤﴾
عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴿٦﴾ وَهُوَ
بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى ﴿٧﴾ لَمَّا دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ

بقولك : سبحان الله وبحمده . أو
صل له النوافل ، أو صلاة المغرب
والعشاء . ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ أى
وقت إدبارها وغروبها آخر الليل .
والتسبيح فيه : التزنية . أو صلاة
ركعتي الفجر ، أو صلاة فريضة
الصبح . والله أعلم .

سُورَةُ النَّجْمِ

نزلت حين قال المشركون :
إن محمدًا [صلى الله عليه وسلم]
يخلق القرآن .

١ - ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ أقسم
الله تعالى بالنجم وقت غروبه على

٤٨ - ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ مذهب
السلف في هذه الآية : ما بيّناه في
أمثالها . والخلف يقولون : المعنى
فإنك بمرأى منا . أو كما قال ابن
عباس : ترى ما يعمل بك . أو
فإنك بحيث نراك ونحفظك فلا
يصلون إليك بمكروه ، فالعين
محار عن الحفظ . ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ
رَبِّكَ﴾ أى سبّحه مثلًا بحمده
تعالى . ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ من مجلسك
أو من منامك ، أو حين تقوم إلى
الصلاة . وقيل : التسبيح الصلاة
إذا قام من نومه .

٤٩ - ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ ترهه

قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾
وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾

السلام . فقد بلغ من شدة قوته أن اقتلع قرى قوم لوط . ورفعها إلى السماء ثم قلبها ، وصاح بشمود صبيحة أهلكتهم . وكان هبوطه على الأنبياء وعروجه إلى السماء في أسرع من رجع الطُرف .

٦ : ٩ - ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ ذو حصافة واستحكام في عقله ورأيه . وهو كناية عن ظهور آثاره البديعة وأفعاله العجيبة . أو ذو منظر حسن . ﴿فَاسْتَوَى﴾ فاستقام وظهر في صورته الملائكية في ناحية المشرق ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم عند جراء في مبادئ النبوة . ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ بالجهة العليا من السماء ؛ فسد الأفق إلى المغرب . وكان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة آدمية ؛ فسأله أن يريه نفسه على صورته التي جبل عليها . فأراه نفسه مرتين : مرة في الأرض ، ومرة في السماء . ولم يره أحد من الأنبياء على صورته التي خلق عليها إلا نبيًا صلى الله عليه وسلم ، وهذه المرة أولاهما ؛ فخر مغشياً عليه . فنزل جبريل متمثلاً في صورة آدمية وضمه إلى نفسه حتى أفاق وسكن روعه ؛ وذلك قوله تعالى : ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ أي قرب جبريل عليه السلام من النبي صلى الله عليه وسلم ، فزاد في القرب حتى كان أقرب شيء إليه ؛ كما قال تعالى : ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ منه . أي فكان من النبي صلى الله عليه وسلم

(١) آية ٧٨ طه .

قدر قوسين من الأقواس العربية المعهودة بل أقرب . والقاب : القدر ؛ وقد جاء التقدير للأطوال بالذراع والباع والرمح والسوط والقوس . وربما سموا الذراع قوساً ؛ والمعنى عليه : كمقدار ذراعين بل أقرب . وقيل القاب : ما بين وتر القوس ومقبضها . وكان العرب في الجاهلية إذا تحالفوا يُخرجون قوسين ويلصقون إحداها بالآخرى ، فيكون قاب إحداها ملاصقاً للآخر حتى كأنها قاب واحد ، ثم يترعونها معاً ويرمون بها سهمًا واحدًا ؛ فيكون ذلك رمزاً إلى أن رضا أحدهم رضا الآخر ، وسخطه سخطه ؛ فكان جبريل ملاصقاً له صلى الله عليه وسلم كما يلاصق القاب القاب من القوسين . وهذا المعنى أليق برواية : (ضمه إلى نفسه) .

١٠ - ﴿فَأَوْحَىٰ﴾ جبريل بأمر الله تعالى ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِ﴾ عبد الله محمد صلى الله عليه وسلم ﴿مَا أَوْحَىٰ﴾ وأبهم الموحى به للتفخيم ؛ كما في قوله تعالى : ﴿فَقَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ (١) . أو ما أوحى إليه

١١ - ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ أي ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه ببصره من صورة جبريل ؛ أي ما قال فؤاده لما رآه ببصره ؛ لم أعرفك . ولا يمكن أن يقول ذلك ؛ لأنه عرفه بقلبه كما رآه ببصره .

١٢ - ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ أن تكذبونه فتجادلونه فيما يراه من الصور التي يأتي بها إليه جبريل عليه السلام بعد ما رآه قبل وحققه ؛ بحيث لا يشبهه عليه بأي صورة أتى . أو فيما رآه من صورة جبريل عليه السلام على خلقته الأصلية . يقال : ماراه يماريه مُمَاراةً ومِرَاءً ، جادله . مشتق من مَرَى الثاقفة يُمَرُّها ؛ إذا مسح ضرعها ليخرج لبنها وتدر به . فشبه به الجدل ؛ لأن كلاً من المتجادلين يُمَرى ما عند صاحبه ، أي يسعى لاستخراجه ليُلزمه الحجة . وعُدَى الفعل ب (على) لتضمينه معنى الغالبة .

١٣ ، ١٤ - ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ أي رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته التي

١٩ ، ٢٠ - ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ

وَالْعُزَّىٰ . ﴿١٩﴾ أَيْ أُعْقِبَ مَا سَمِعْتُمْ
من آثار كمال عظمته تعالى ؛
وأحكام قدرته ونفاذ أمره ، رأيتم
هذه الأصنام مع غاية حقارتها
بنات الله سبحانه !! وكانوا
يقولون لها وللملائكة : بنات
الله . واللّات : صخرة لثقيب
بالباطف . والعزى : سمرات
بشجرة لعطفان ، وهي التي قطعها
خالد بن الوليد بأمره صلى الله عليه
وسلم . ومناة : صخرة لهذيل
وخزاعة أو لثقيب . وقيل : إن
الثلاثة كانت أصناماً بالكعبة .

﴿الثالثة﴾ وصف للتأكيد .

﴿الأخرى﴾ صفة ذم للثالثة بأنها
متأخرة في الرتبة . وضيعة
القدر ، وكانت عندهم أعظم
الثلاثة . وتتضمن ذم السابقتين
أيضاً .

٢٢ - ﴿قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ وقرئ

«ضِرَى» أى جائرة أو منقوضة
حيث جعلتم له تعالى ما تستكفون
منه . يقال : ضاز في حكمه ،
جار . وضازه حقه يضيره ويضوزه
ضيراً : نقصه ويحسه . وضازه -
كمنعه - بمعناه .

٢٤ - ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ أى

بل الإنسان كل ما يتمناه وتشتهيه
نفسه . والمراد : أنه ليس له كل ما
يتمناه ، ومنه شفاعة الآلهة لهم ،
والظفر بالحسنى عند الله يوم
القيامة ، ونزول القرآن على رجل
عظيم من إحدى القريتين .

عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴿١٦﴾

مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ

الْكُبْرَى ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ

الثَّالِثَةَ الْآخَرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ اللَّذَكُورُ لَهُ الْأُنْثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ

إِذَا قِسْمَةُ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا

أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ

إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ

رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ

خلق عليها نازلاً من السماء نزلة
أخرى ﴿عند سِدْرَةِ الْمُنتهى﴾
ليلة المعراج . وهذه هي المرة
الثانية ، وكانت قبل الهجرة بسنة
وأربعة أشهر . وقبل بثلاث

١٥ - ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾

التي يأوى إليها المتقون يوم القيامة .
أو هي جنة تأوى إليها أرواح
الشهداء أو الملائكة .

١٦ - ﴿يَغْشَى السِّدْرَةَ﴾ يغطها

ويسترها .

١٧ - ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾

ما مال بصره صلى الله عليه وسلم
عما أذن له في رؤيته وما تجاوزه ،
إلى ما لم يؤذن له فيها ؛ بل أثبت
إثباتاً صحيحاً مستيقناً ، من
الزُّبغ : وهو الميل عن الاستقامة .
والطفيان : وهو تجاوز الحد .

سنين ، فكان بين الرؤيتين نحو
عشر سنين . والسِّدْرَةُ في
الأصل : شجرة التُّبَيُّ ، وخلق
شجرة في السماء كخلق شجرة
الرُّقُوم في أصل الجحيم . وعدم
رؤيتها بالأرصاد لا يدل على عدم
وجودها لفرط بعدها . وقيل :
إطلاق السِّدْرَةِ عليها مجاز ؛ لأن
الملائكة تجتمع عندها كما يجتمع
الناس في ظل السِّدْرَةِ المعروفة .
والمنتهى : اسم مكان ، أو
مصدر ميمي بمعنى الانتهاء ،
وإضافة السِّدْرَةِ إليه من إضافة

٢٥ ، ٢٦ - ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ
وَالْأُولَى﴾ فهو سبحانه لا يعطى
جميع الأمانى فيها لأحد . ولكنه
يعطى فيها ما يشاء لمن يريد .
وليس لأحد أن يتحكم عليه في
شئ منها . ثم ردة الله عليهم في
زعمهم أن الأصنام تشفع لهم
بقوله : ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي
السَّمَاوَاتِ لَا يُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ...﴾
أى أن الملائكة مع قريهم وعلو
مترلتهم لا تنفع شفاعتهم . إلا إذا
شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم في
الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له
وبرضاه . ويراها أهلاً لأن يشفع
له : فكيف تشفع الأصنام
لكم !؟

٣١ ، ٣٢ - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقاً
وملكاً لا لغيره . وقد خلق ما فيها
﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا
عَمِلُوا﴾ أى بسببه ﴿وَيَجْزِيَ
الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ أى
بسبب الأعمال الحسنى . أو بالثوبة
الحسنى . ثم وصف المحسنين
بقوله : ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ
الْإِثْمِ﴾ ما كُبر عقابه من
الذنوب . ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ ما
عظم قبحه من الكبائر . ﴿إِلَّا
اللَّيْمَ﴾ ما صغر من الذنوب :
كالنظرة والغمزة والقبلة من
قولهم : ألم بالمكان . إذا قل
لبيثه فيه . وألم بالطعام : إذا قل
أكله منه . وقيل : هو مقارنة
الذنب من غير مواقته . فهو
الهم به دون أن يفعله . من

وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ * وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي
شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ
وَبَرَّحُ ﴿٢٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَ
الْمَلَائِكَةَ نَسِيبَةً الْإِنْتَى ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ
إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ
شَيْئاً ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ
إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ
رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ
أَهْتَدَى ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَفُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا
بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ

قولهم : ألم الشئ : قرب .
وَألم بكذا : قاربه ولم يخالطه .
والجمهور على أن الذنوب
منقسمة إلى كبائر وصغائر .
وضابط الكبيرة ما لحق صاحبها
عليها بخصوصها وعيد شديد في
الكتاب أو السنة وقيل : كل
جريمة تؤذن بقلة اكرات مرتكبها
بالدين ورقة الديانة . وقيل غير
ذلك واعتمد الواحدى أنه
لا حد لها يحصرها ويعرفها العباد
به وقد أخفى الله أمرها ليجتهدوا
في اجتناب المنهى عنه رجاء أن

تجتنب الكبائر وعرفها بعضهم
بالعد . ومنها الموبقات السبع
[تراجع الزواجر لابن حجر] .
﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ...﴾ أى يعلم
أحوالكم ، إذ أنشأكم في ضمن
إنشاء أياكم آدم من تراب .
﴿إِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةُ فِي بُطُونِ
أُمّهَاتِكُمْ﴾ فيعلم أطواركم فيها ،
وحاجتكم إلى الغذاء ، ويعلم
العدد والذكورة والأنوثة ، ووقت
الانفصال عن الأم ، ومدة
المكث في الرحم ، وغير ذلك
من شئونها . ﴿فَلَا تُزَكُّوا

بعمل غيره . ونقل العلامة الجمل
في حاشيته على الجلالين بحثاً نفيساً
لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد
ابن تيمية . نقل خلاصته لمزيد
فائدته . قال : (من اعتقد أن
الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد
خرق الإجماع . وذلك باطل من
وجه : أحدها - أن الإنسان
ينتفع بدعاء غيره . ثانيها - أن
النبي صلى الله عليه وسلم بشفع
لأهل الموقف في الحساب ، ثم
لأهل الجنة في دخولها . ثالثها -
يشفع لأهل الكياثر في الخروج من
النار . وهذا انتفاع بسعي الغير .
رابعها - أن الملائكة يدعون

ويستغفرون لمن في الأرض .
وذلك منفعة بعمل الغير .
خامسها - أن الله تعالى يخرج من
النار من لم يعمل خيراً قط - أي
من المؤمنين - بمحض رحمته ،
وهذا انتفاع بغير عملهم .
سادسها - أن أولاد المؤمنين
يدخلون الجنة بعمل آبائهم ،
وذلك انتفاع بمحض عمل الغير .
سابعها - قال تعالى في قصة
الغلامين اليتيمين : (وَكَانَ
أَبُوهُمَا صَالِحًا) (١) ، فانتفاعاً
بصلاح أبيهما وليس من سعيهما .
ثامنها - أن الميت ينتفع بالصدقة
عنه وبالعق . بنص السنة
والإجماع . وهو من عمل الغير .
تاسعها - أن الحج المفروض يسقط
عن الميت بحج وليه بنص السنة ،
وهو انتفاع بعمل الغير . عاشرها -
أن الحج المنذور أو الصوم المنذور

إِلَّا أَلَلَّمُ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ
أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ
فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٣٧﴾ أَفَرَأَيْتَ
الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٨﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٩﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ
الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴿٤٠﴾ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٤١﴾
وَلِإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٤٢﴾ أَلَا تَرَى زُرَّةً وَزَرَ أُخْرَى ﴿٤٣﴾
وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٤٤﴾ وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ

صلى الله عليه وسلم ، وشهد تلاوة
القرآن ، وجلس إلى الرسول
ووعظه ، فعاتبه أحد المشركين ،
وضمن له أن يتحمل عنه عذاب
الآخرة إذا أعطاه كذا وكذا من
المال ، فرجع عما هم به وأعطى
الذي ضمن له بعض المال ثم منعه
تمامه .

٣٧ - ﴿الَّذِي وَفَّى﴾ أنتم
وأكمل ما أمر به .

٣٨ - ﴿أَلَا تَرَى زُرَّةً وَزَرَ﴾
أخرى [آية ١٦٥ الأنعام ص
١٩٨] .

٣٩ - ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا
سَعَى﴾ أي أم لم ينبأ بما في صحف
موسى وإبراهيم أن ليس للإنسان
إلا سعيه ؟! فلا يثبت بعمل
غيره ، كما لا يؤخذ بذنب غيره .
أما في شريعتنا فقد ثبت بالكتاب
والسنة والإجماع انتفاع الإنسان

أَنْفُسَكُمْ﴾ أي إذا كان عدم
المواخاة باللمم مع كونه من
الذنوب ، إنما هي لمحض مغفرته
تعالى مع علمه بصدوره منكم ،
فلا تمدحوا أنفسكم بالطهارة من
الذنوب بالكلية ، بل اشكروه
تعالى على فضله وواسع مغفرته .
٣٣ - ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ أي أخبرني
ومفعولها الأول الموصول . والثاني
جملة (أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ) .

٣٤ - ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا﴾ أعطى
شيئاً قليلاً من المال
﴿وَأَكْدَى﴾ قطع العطاء ، من
قولهم : أكدى الحافر ، إذا بلغ
حفره إلى الكذبة - وهي حجر
صلب - فلم يمكنه الحفر فانقطع
عنه . وكديت أصابعه : إذا كلت
من الحفر فلم تعمل شيئاً . نزلت في
الوليد بن المغيرة حين هم
بالإسلام بعد أن سمع قراءة الرسول

يَرَى ٤٠ ثُمَّ يَجْزِيهِ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَى ٤١ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ
الْمُنْتَهَى ٤٢ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ٤٣ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ
وَأَحْيَا ٤٤ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ٤٥
مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ٤٦ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى ٤٧

الجنة بصلاح الآباء . أو يقال :
إن سَعَى غيره لما لم ينفعه إلا مَبْنًى
على سَعَى نفسه وهو بكونه مؤمناً
كان كأنه سَعَى نفسه . أو يقال :
إن المراد بالإنسان الكافر .
والمعنى : أنه ليس له من الجزاء
إلا ما عمل هو ، وهذا هو
العدل . أما من باب الفضل
فجائز أن يزيده الله من فضله
ما يشاء . وفي الحديث الصحيح :
(إذا مات ابن آدم انقطع عمله
إلا من ثلاث - وفيه - : أو
ولد صالح يدعو له) (٤) . وهذا
كله تفضل منه تعالى ، كما أن
تضعيف الحسنات فضل منه
تعالى . هذا وقد نقل الخازن
في تفسيره الأحاديث الصحيحة
الواردة في الحج عن الغير ،
ثم قال : وفي الحديثين الآخرين
دليل على أن الصدقة عن الميت
تنفع الميت ويصل ثوابها إليه ،
وهو إجماع العلماء . وكذلك
أجمعوا على وصول الدعاء وقضاء
الدين ، للبصوص الواردة في
ذلك . ويصح الحج عن الميت

تعالى قال لنبيه صلى الله عليه
وسلم : (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ
وَأَنْتَ فِيهِمْ) (١) . وقال تعالى :
(وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ
مُؤْمِنَاتٍ) (٢) فقد رفع الله تعالى
العذاب عن بعض الناس بسبب
بعض ، وذلك انتفاع بعمل
الغير . عشروها - أن صدقة الفطر
تجب على الصغير وغيره ممن يَمُونَهُ
الرجل ؛ فإنه ينتفع بذلك من
يُخْرِجُ عنه ولا سَعَى له فيها . ومن
تأمل العلم وجدَّ من انتفاع
الإنسان بما لم يعمل ما لا يكاد
يُحْصَى ؛ فكيف يجوز أن نتأول
الآية الكريمة على خلاف صريح
الكتاب والسنة وإجماع الأمة ؟!
أهـ . فإما أن يقال : إن الآية
عامة قد خُصِّصَتْ بأمر كثيرة مما
ذُكِرَ . أو يقال : إنها مخصوصة
بقوم موسى وإبراهيم ؛ لأنها
حكاية عما في صحفهما . وأما
هذه الأمة فلها ما سَعَتْ هي وما
سعى لها غيرها ؛ بدليل ما ذُكِرَ .
وبدليل قوله تعالى : (الْحَقُّنَا بِهِمْ
ذُرِّيَّتَهُمْ) (٣) حين أدخل الأبناء

يسقط عن الميت بعمل غيره بنصر
السنة ؛ وهو انتفاع بعمل الغير .
حادى عشرها - المدين قد امتنع
صلى الله عليه وسلم من الصلاة
عليه حتى قضى دينه أبو قتادة .
وقضى دين الآخر على بن أبي
طالب وانتفع بصلاة النبي صلى الله
عليه وسلم ؛ وهو من عمل الغير .
ثاني عشرها - أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لمن صلى وحده :
(أَلَا رَجُلٌ يَتَصَدَّقُ عَلَى هَذَا
فِيصَلِّيَ مَعَهُ) ؛ فقد حصل له
فضل الجماعة بفعل الغير . ثالث
عشرها - أن الإنسان تبرأ ذمته من
ديون الخلق إذا قضاها عنه
قاضي ؛ وذلك انتفاع بعمل
الغير . رابع عشرها - أن من عليه
تبعات ومظالم إذا حُلَّ منها
سقطت عنه ؛ وهذا انتفاع بعمل
الغير . خامس عشرها - أن الجار
الصالح ينفع في الحما والمات - كما
جاء في الأثر - ؛ وهذا انتفاع
بعمل الغير . سادس عشرها - أن
جليس أهل الذکر يُرحم بهم ؛
وهو لم يكن منهم ، ولم يجلس
لذلك بل لحاجة عرضت له ،
والأعمال بالنيات ؛ فقد انتفع
بعمل غيره . سابع عشرها -
الصلاة على الميت والدعاء له في
الصلاة ، انتفاع للميت بصلاة
الحى عليه ؛ وهو عمل غيره .
ثامن عشرها - أن الجمعة تحصل
باجتماع العدد ، وكذا الجماعة
بكثرة العدد ؛ وهو انتفاع للبعض
بالبعض . تاسع عشرها - أن الله

(١) آية الأنفال . (٢) آية الفتح . (٣) آية الطور . (٤) رواه البخاري .

«أقنى» أفقر ، لأن الحمزة فيه للسلب والإزالة ، كما في أشكى .
 ٤٩ - ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى﴾
 هي الكوكب المضيء الذى يطلع بعد الجوزاء في شدة الحر ، وتسمى الشعري اليمانية . وخُصَّت بالذِّكْر - وإن كان الله رباً لسائر المخلوقات - لأن بعض العرب كان يعبدها ، فأعلمهم الله تعالى أن الشعري مربية وليست برب كما يزعمون .

٥٠ - ﴿عَادَا الْأُولَى﴾ قوم هود .
 ٥١ - ﴿تَمُودَ﴾ قوم صالح .

٥٣ - ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾ أى والقرى التى انتفكت بأهلها - أى

انقلبت - وهى قرى قوم لوط .
 ﴿أَهْوَى﴾ أسقطها إلى الأرض بعد أن رفعها على جناح جبريل إلى السماء . يقال : أفكه عن كذا يأفكه ، أى قلبه وصرفه . وهوى بهوى - كرمى يرمى - : سقط . وأهوى : أسقط .

٥٤ - ﴿فَعَشَاهَا مَا عَشَى﴾ ألبسها ما ألبسها من الحجارة المنصودة المسومة ، كما قال تعالى : (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِنْ سِجِّيلٍ مَنُصُّودٍ . مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ) (١) .
 ويجوز عود الضمير لجميع الأمم المذكورة ، أى غشاها من العذاب ما غشاها .

٥٥ - ﴿فَبِأَىِّ آيَةٍ رَّبِّكَ تَتَمَارَى﴾ فبأى نعم ربك تشكك أيها الإنسان ! . والمراد

وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ٥٠ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى ٤٩
 وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ٥١ وَتَمُودًا قَا أُنْبَى ٥٢
 وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ٥٣
 وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ٥٤ فَغَشَّاهَا مَا عَشَى ٥٥ فَبِأَىِّ آيَةٍ رَّبِّكَ تَتَمَارَى ٥٦
 هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذِيرِ الْأُولَى ٥٧ أَرَأَيْتَ الْآزِفَةَ ٥٨
 لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ٥٩ أَفِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجَّبُونَ ٦٠ وَتَصْحَكُونَ ٦١
 وَلَا تَبْكُونَ ٦٢ وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ ٦٣ فَاعْبُدُوا اللَّهَ ٦٤
 وَاعْبُدُوا ٦٥

٤٦ - ﴿مِنْ نُطْقَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ أى تدفق فى الرحم . يقال : أمنى الرجل ومنى بمعنى واحد . أو بمعنى تُقدَّر . يقال : منى لك المانى . أى قدر لك المقدَّر . وما يُدْفَق فيه مَكُونٌ مما يُسمى ماء الرجل وماء المرأة ، أو منيتهما ، ولا حجر فى التسمية .

٤٧ - ﴿النَّشْأَةَ الْآخِرَى﴾ الاحياء بعد الإمامة كما وعد .

٤٨ - ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى﴾ أغنى الناس بالأموال . ﴿وَأَقْنَى﴾ أعطى القنية . وهى المال الذى تأثله وعزمت ألا تخرجه من يدك . يقال : أقناه الله مالاً وقناه إياه ، أى أكسبه إياه . وقيل : (أقنى) أرضى . وتحقيقه أنه جعل له قنية من الرضا والطاعة . وقيل :

حجة الإسلام . وكذا لو أوصى بحج تطوع على الأصح عند الشافعى . واختلف العلماء فى الصوم عنه ، والراجح جوازُه عنه . والمشهور من مذهب الشافعى أن قراءة القرآن لا يصل ثوابها للميت . وذهب أحمد وجماعة من العلماء ومن أصحاب الشافعى إلى أنها تصل ، فلاختيار أن يقول القارئ بعد فراغه : اللَّهُمَّ أَوْصِلْ ثَوَابَ مَا قَرَأْتَهُ إِلَى فُلَانٍ ، ونحو ذلك . وأما الصلوات ومائر التطوعات فلا يصل ثوابها عند الشافعى والجمهور . وقال أحمد : يصله ثواب الجميع . اهـ
 وقد أشبعنا الكلام فى هذا المقام فى فتوى الأربعين . والله أعلم .



(٥٤) سُورَةُ الْقَمَرِ مَكِّيَّةٌ
إِلَّا الْآيَاتِ ٤٤ ٤٥ ٤٦ وَهِيَ مِنْ دِينَةِ
وَأَيَّانَهَا ٥٥ نَزَلَتْ بَعْدَ الطَّارِقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۖ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا
وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعْمِرٌ ۖ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ
وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ
مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۖ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۖ
فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكِرٍ ۖ خُشْعًا
أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ۖ

إمرار الحبل ، وهو شدة قتله .
٣ - ﴿ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ﴾ أى وكل
أمر لا بُدَّ أن يصير إلى غاية يستقر
عليها لا محالة . وكذلك أمره صلى
الله عليه وسلم سيصير إلى غاية
ينتهى عندها أنه حق ، كما أن أمر
هؤلاء المكذبين سيصير إلى وبال
محقق . وهو إقناط لهم مما أمَّلوه من
عدم استقرار أمره صلى الله عليه
وسلم حيث قالوا « سِحْرٌ مُسْتَعْمِرٌ » .
٤ - ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ ﴾
أى جاءهم فى القرآن من أخبار
الأمم المهلكة لفرط عنادها ﴿ مَا
فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾ ازدجَّار وانتهازهم عما
هم عليه من القبائح . وأصله
مُزَجَجَرٌ من الزجر بمعنى المنع
والانتهار . يقال : زجره وازدجره
فانزجر وازدجر بمعنى : فأبدلت

بنحو خمس سنين ؛ حين سأل
أهل مكة أن يُريهم آية تدل على
صدقه ، فأراههم القمر فلقنتين
حتى رأوا جبل حراء بينهما ؛ فقال
صلى الله عليه وسلم اشهدوا !!
وقد رآه كثير من الناس ؛
والأحاديث الصحيحة فى هذه
المعجزة كثيرة . وقيل : اقتربت
الساعة ؛ فإذا جاءت انشق القمر
بعد النفخة الثانية .
٢ - ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً .. ﴾ أى وإن
يروا كل آية يعرضوا عن التأمل فيها
والإيمان بها ﴿ وَيَقُولُوا سِحْرٌ
مُسْتَعْمِرٌ ﴾ ما زُ داهب زائل عما
قريب ؛ من قولهم : مر الشيء
واستمر ، إذا ذهب . أو دائم ،
أو مُحْكَمٌ قوى شديد ؛ من المِرَّة
بمعنى القوة ؛ وهى فى الأصل من

بالنعم : ما عُذِّ فى الآيات قبل ،
وسمى الكلُّ نعماً مع أن منه نِقَمًا
لما فى الثِّقَم من العبر والمواعظ
للمستعبرين ؛ فهى نعمٌ بهذا
الاعتبار .

٥٦ - ﴿ هَذَا نَذِيرٌ .. ﴾ أى هذا
القرآن إنذارٌ من جنس الإنذارات
الأولى التى أنذرت بها من سبقكم من
الأمم وسمعت عواقبها .

٥٧ - ﴿ أَزِفَتِ الْأَرْفَةُ ﴾ أى
قربت الساعة ودنت القيامة .
يقال : أزف الترحُّلُ - كفرح -
أزفاً وأزوقاً . دنا وقرب ؛ وهو
كقوله تعالى : « اقتربت الساعة »
وقد وُصفت بالقرب فى غير آية من
القرآن .

٥٨ - ﴿ كَاشِفَةٌ ﴾ نفس تكشف
أهوالها وشدائدها .

٥٩ - ﴿ أَقْمِنْ هَذَا الْحَدِيثَ ﴾
أى القرآن .

٦١ - ﴿ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾ أى
وأنتم لاهون معرضون . يقال :
سَمَدٌ يسمد - من باب دخل - إذا
لَهَا وأعرض . أو وأنتم رافعون
رؤوسكم تكبراً . يقال : سَمَدٌ
سُموداً . رفع رأسه تكبراً وعلا .
وكل رافع رأسه فهو سامدٌ ؛ ومنه
بغير سامدٍ فى سيره : أى رافع
رأسه . والله أعلم .

سُورَةُ الْقَمَرِ

١ - ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾ قربت
القيامة جداً . ﴿ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾
وانفلق فلقين معجزة له صلى الله
عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة



مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾
 * كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ
 وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا
 أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَخَرَرْنَا الْأَرْضَ
 عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى
 ذَاتِ الْوُجِّ وَدُسِّرَ ﴿١٣﴾ فَجَرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءُ لِمَنْ كَانَ
 كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مَدْكِرٍ ﴿١٥﴾
 فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ
 لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ

الإهطاع . وهو الإسراع في المشي
 مع مدّ العنق إلى الأمام . يقال :
 أهطع في عذوه . أسرع
 وأهطع : مدّ عنقه وصوب
 رأسه . فهو مُهْطِعٌ . ﴿٨﴾ يَوْمٌ
 عَسِرٌ : صعبٌ شديدٌ ، لما يعانُونَ
 من أهواله . ويتوقعون فيه من
 سوء العاقبة
 ٩ - ﴿وَازْدُجِرَ﴾ أى وزجروه
 ومنعوه عن تبليغ رسالة ربه بأنواع
 الأذى والتخويف .
 ١٠ - ﴿مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ﴾
 مشهور فانقم لى منهم
 ١١ - ﴿أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾
 السحاب . ﴿بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾
 منصب بقوة فى كثرة وتتابع
 يقال : هَمَرَه بهِمْرَه وبهَمْرَه ،
 صبّه . فهَمَر هو وانهمر .
 ١٢ - ﴿وَخَرَرْنَا الْأَرْضَ﴾
 شققناها . ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾
 أى اجتمع ماء السماء وماء
 الأرض . ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾
 أى قد قدره الله وقضاه أولاً ،
 وهو هلاكهم بالطوفان .
 و (على) تعليلية .
 ١٣ - ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ
 الْوُجِّ وَدُسِّرَ﴾ أى على سفينة
 ذات ألواح من الخشب ومسامير
 تُشدُّ بها ألواحها . جمع دَسَار أو
 دَسَر . وهو المسار . وأصل
 الدَسَر : الدفع الشديد بقهر فسمي
 به المسار . لأنه يُدَقُّ فيُدفع
 بقوة .
 ١٤ - ﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى
 منا . أى بكلاءة وحفظ منا .
 ١٥ - ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا﴾ أى أبقينا

وحذفت الياء من (الداع)
 تخفيفاً . ﴿إِلَى شَيْءٍ نُكَرَ﴾ إلى أمر
 فظيع عظيم . نُكِرَ النفوس
 وتكرهه ، لعدم العهد بمثله وهو
 هول القيامة . أو لشدة وهو
 الحساب . والشكر - بضم الكاف
 وسكونها - : المُشْكِرُ ؛
 كالشكراء . والأمر الشديد .
 ٧ - ﴿خَشَعًا أَبْصَارَهُمْ﴾ ذليلة
 خاضعة من شدة الهول .
 ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾
 أى القبور أذلة أبصارهم من شدة
 الهول . ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾
 فى الكثرة والتموج والانتشار فى
 الأفطار حين يتوجهون إلى المحشر .
 ٨ - ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾
 مسرعين ماضى أعناقهم إليه . من

تاء الافعال دالاً .
 ٥ - ﴿حِكْمَةً بَالِغَةً﴾ أى ذلك
 الذى جاءهم حكمة واصله غاية
 الإحكام . ﴿فَمَا تُغْنِي التَّذْذُرُ﴾
 فما تنفع فيهم الأمور التى أنذروا
 بها . أو فأى غنى تغنى النذر إذا
 استمروا على ما هم عليه من
 الكفر . و (ما) نافية أو للاستفهام
 الإنكارى . و (التَّذْذُرُ) جمع
 نذير ؛ كجُدُد وجديد . بمعنى
 منذر . أى محذّر مخوف من وقوع
 العذاب بهم .
 ٦ - ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ ظرف
 لـ (يَخْرُجُونَ) . والداعى :
 إسرافيل عليه السلام . وحذفت
 الواو من (يدع) لفظاً لالتقاء
 الساكنين . ورسماً تبعاً للفظ

هذه الفعلة التي فعلناها بهم
﴿آية﴾ عبرة وعظة لمن يعتبر
ويحفظ بها . ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾
﴿فَهَلْ مِنْ مُعْتَبِرٍ﴾ يعتبر بها ؟ استفهام
بمعنى التثنية أى لا معتبر ولا
مُعْطٍ بها . وأصله مُدَنِّكِر من
الذكر . أبدلت التاء دالاً مهملة
وكذا الدال المعجمة وأدغمت
فيها : ومنه : (وَأَذْكُرْ بَعْدَ
أَمْرٍ) (١) أى تذكر بعد نسيان .

١٦ - ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي
وَنَذْرِي﴾ أى وإنذارى إياهم . أى
كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها
الوصف .

١٧ - ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ
لِلذِّكْرِ﴾ أى والله لقد سهلنا
القرآن لقومك بأن أنزلناه بلغتهم
عربيًا مبينًا . وشحناه بأنواع
المواعظ والوعيد . وصرفنا فيه من

الوعيد والوعيد : فهل من معتبر
ومُعْطٍ ؟ وقد وردت هذه
الجملة القسمية في آخر قصة قوم

نوح . وقصة عاد . وقصة
ثمود . وقصة قوم لوط . تقريرًا
لمضمون ما سبق من قوله

تعالى : (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ
مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ . حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا
يُغْنِي عَنْهُمْ التَّذْكَرُ) . وتيسرها على أن كل

قصة منها مستقلة بإيجاب
الادِّكَار . كافية في الازدجار .
ومع ذلك لم يحصل منهم اعتبار .

١٨ - ﴿كَذَّبَتْ عَادُ فَكَيْفَ كَانَ
عَذَابِي وَنَذْرِي﴾ أى إنذارى لهم
بالعذاب قبل وقوعه . وكررت في
قصص السورة لتفطع أمر العذاب
والإنذار به ، ولتجديد الإنعاط
عند سماع كل قصة .

(١) آية ٤٥ يوسف .

عَذَابِي وَنَذْرِي ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ

نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ

مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذْرِي ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا

الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّدَكِّرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ

بِالنَّذْرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا تَلَّيْ

ضَلَّلْ وَسُعِرٍ ﴿٢٤﴾ أَتُلِّي الْأَذْكَرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ

كَذَّابٌ أَشْرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشْرِ ﴿٢٦﴾

إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَبِعْهُمْ وَأَصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

وَنَبِّهِمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلٌّ شَرْبٌ مِّثْقَلُ ذَرَّةٍ

منقلع من أصله . يقال : قعر

النخلة - كمنع - قلعها من

أصلها : فانقمرت . وقعر البئر :

وصل إلى قعرها . أى كأنهم حين

تقلعهم الريح من الحفر وترميمهم

صرعى . أعجاز نخل منقلع من

مغارسه - ساقط على الأرض .

وشبهوا بها لأن الريح كانت تقلع

رءوسهم فتقيم أجسادًا بلا

رءوس . وكانوا ذوى أجسادٍ

عظامٍ طوالٍ .

٢٤ - ﴿إِنَّا إِذَا تَلَّيْ ضَلَّلْ﴾ أى

إِنَّا إِذَا اتَّبَعْنَاهُ لَفِي خَطَاٍ وَذَهَابٍ

عن الحق والصواب : ﴿وَسُعِرٍ﴾

جنون . يقال : ناقة مسعورة .

إذا كانت تُفْرِط في سيرها

كالمجنونة . أو نيران : جمع سعي

١٩ - ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا

صَرْصَرًا﴾ أى باردة . أو شديدة

الصوت [آية ١٦ فصلت

ص ٦٠٦] . ﴿فِي يَوْمٍ نَحْسٍ﴾

شؤم وشُرٌّ . ﴿مُسْتَمِرٍّ﴾ أى دائم

الشؤم . استمر عليهم بشؤسته .

واستمر فيه العذاب إلى الهلاك .

٢٠ - ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ﴾ تقلعهم من

أماكنهم . روى أنهم دخلوا

الشعاب والخُفَر . وتمسك

بعضهم ببعض : فقلعتهم الريح

وصرعتهم موتى . ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ

نَخْلٍ مُّثْقَرٍ﴾ الأعجاز : جمع

عَجَز . وهو مؤخر الشيء .

وأعجاز النخل : أصولها . والمراد

بها : النخل بتمامه ماعدا الفروع .

و «مُثْقَرٍ» صفة لـ «نَخْلٍ» أى

٢٩ - ﴿فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ﴾ فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ ﴿قَدَارِ﴾
ابن سالف . أحمر ثمود .
﴿فَتَقَاطَى﴾ فتناول السيف .
﴿فَعَقَرَ﴾ الناقة .

٣١ - ﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ من
السماء صاح بهم جبريل عليه
السلام في طرف منازلهم .
عندما يعمل المحظر حظيرة لماشته
﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ أى
ما تهشم وتفتت من الشجر اليابس
منه . والهشيم : يابس كل كلاً
وكل شجر : من الهشم وهو كسر
الشيء اليابس أو الأجوف .
والمحظر : الذى يعمل
الحظيرة . وهى الزريبة التى
يصنعها العرب وأهل البادية
للمواشى والسكنى من يابس
الأغصان والأشجار : من الحظر
وهو المنع .

٣٤ - ﴿حَاصِبًا﴾ أى ريحاً
شديدة ترميم بالحصاء ، وهى
الحجارة الصغيرة . ﴿بِسَحَرٍ﴾
أى فى سحر . وهو الوقت الذى
يختلط فيه سواد آخر الليل بيباض
أول النهار ، وهو قبيل الصبح .

٣٦ - ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا﴾
خوفهم أخذتنا الشديدة لهم
بالعذاب . ﴿فَقَمَارُوا بِالنُّذُرِ﴾
فكذبوا بها متشاكين .

٣٧ - ﴿وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ
ضَيْفِهِ﴾ أرادوا منه تمكيتهم من
أضيافه ليخبتوا بهم . يقال :
راودته على كذا مرأودة ورواداً .
أى أردته . وعُدَى بـ (عن) لما فيه
من معنى البعد ، أى أن يبعد عن
الأضياف بالآلا يمنهم عنهم .
﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ فحجبنا

فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي
وَنَذِيرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ
الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ
مَذْكُرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةٌ
مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ
بَطْشَتَنَا قَمَارُوا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ
فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِيرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمُ
بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِيرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ
يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مَّذْكُرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ
فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ
عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلَئِكَ أَمْ لَكُمْ

٢٥ - ﴿هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ﴾ أى بَطَر متكبر . يريد أن يتعظم علينا
بادعاء النبوة وأنه يُوحى إليه ،
والبَطَر : ذهش يعترى الإنسان
من سوء احتمال الثعنة وقلة القيام
بحقها . وصرفها إلى غير وجهها
٢٧ - ﴿فَنَسَتْ لَهُمْ﴾ ابتلاء
وامتحاناً لهم ؛ ليظهر للناس هل
يؤمنون أم يكفرون .
﴿فَارْتَفِقْنَاهُمْ﴾ فانتظر ما هم
صانعون وما يُصنع بهم .

أَبْصَارَهُمْ ، فَدَخَلُوا الْمَنْزِلَ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا . وَكُنِيَ عَنْ ذَلِكَ بِالطَّمَسِ . وَهُوَ الْمَحْوُ وَإِذَا هَابَ الْأَثَرُ .

٣٨ - ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ﴾ أَنَاهُمْ وَقْتُ الصَّبَاحِ ﴿بُكْرَةً﴾ أَيْ فِي الْبُكْرَةِ وَهِيَ أَوَّلُ النَّهَارِ . وَهُوَ كَالْكَفِيدِ لَا يَفِيدُهُ ﴿صَبَّحَهُمْ﴾ . ﴿عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾ دَائِمٌ لَا يَنْفَكُ عَنْهُمْ ، إِلَى أَنْ يُفْضَى إِلَى عَذَابِ الْآخِرَةِ .

٤٢ - ﴿أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ﴾ أَخَذَ غَالِبٌ فِي انتِقَامِهِ ، مِنَ الْعِزَّةِ بِمَعْنَى الْقَبْلَةِ . قَادِرٌ عَلَى إِهْلَاكِهِمْ ، لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ .

٤٣ - ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ﴾ أَيْ أَكْفَارُكُمْ بِأَهْلِ مَكَّةَ أَقْوَى وَأَشَدُّ وَأَقْدَرُ ! أَوْ أَقْلُ كُفْرًا وَعِنَادًا مِنْ أُولَئِكَ الْكَافِرِ الْمَاضِينَ ، لِيَكُونَ ذَلِكَ سَبَبًا لِأَمْنِكُمْ مِنْ حُلُولِ مِثْلِ عَذَابِهِمْ بِكُمْ ؟ لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ! فَلِمَ لَا تَخَافُونَ أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ مِثْلُ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ ؟! وَالْخَطَابُ لَهُمْ عَلَى ضَرْبٍ مِنَ التَّجْرِيدِ ، فَكَأَنَّهُ جَرَّدَ مِنْهُمْ كُفْرًا وَأَضْيَفُوا إِلَيْهِمْ مَبَالِغَةً فِي كُفْرِهِمْ . ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ أَيْ بَلِ الْكَافِرُكُمْ بَرَاءَةٌ فَمَا نَزَلَ مِنَ الْكُتُبِ مِنَ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِ فَلَذَلِكَ لَا تَخَافُونَ ؟ لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ !

٤٤ ، ٤٥ - ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أَيْ بَلْ أَقُولُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُ وَاثْقِينْ بِشَوَكَّتِهِمْ : ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ أَيْ نَحْنُ يَدٌ وَاحِدَةٌ ، عَلَى مَنْ خَالَقْنَا ﴿مُنْتَصِرٌ﴾ أَيْ مُنْتَعٍ عَلَى مَنْ عَادَانَا فَلَا نَغْلِبُ . يُقَالُ : نَصَرَهُ اللَّهُ فَانْتَصَرَ . أَيْ مَنَعَهُ فَاثْنَعَ . أَوْ

بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٣٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿٤٠﴾ سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدَّبْرَ ﴿٤١﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ ﴿٤٢﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٤﴾ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ

مَعَانٍ عَلَى عَدُوِّهِ : مِنَ النَّصْرِ بِمَعْنَى الْعَوْنِ . وَقَدْ رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ : ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدَّبْرَ﴾ وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ . وَهُوَ مِنْ أَعْلَامِ النَّبُوَّةِ . فَإِنَّ آيَةَ مَكِّيَّةٍ . وَقَدْ نَزَلَتْ قَبْلَ فَرَضِ الْجِهَادِ .

٤٦ - ﴿وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ﴾ أَيْ وَعَذَابُ السَّاعَةِ أَعْظَمُ دَاهِيَةً . وَأَشَدُّ مَرَارَةً مِمَّا سَيَصِيبُهُمْ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا . «وَأَذْهَى» مِنْ الدَّاهِيَةِ ، وَهِيَ الْأَمْرُ الْمُنْكَرُ الْفَطِيعُ الَّذِي لَا يَهْتَدِي لِلْخِلَاصِ مِنْهُ . يُقَالُ : دَاهَاهُ أَمْرٌ كَذَا . أَيْ أَصَابَهُ . وَ(أَمْرٌ) مِنْ مَرَّ الشَّيْءُ : إِذَا صَارَ مَرًّا .

٤٧ - ﴿فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ نِيرَانٌ مَسْعِرَةٌ أَوْ جَنُونٌ . [آيَةُ ٢٤ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ]

٤٨ - ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ أَيْ يُقَالُ لَهُمْ : قَاسُوا أَلَمَهَا وَعَذَابَهَا . وَ«سَقَرٌ» عَلَمٌ عَلَى جَهَنَّمَ ، مِنْ سَقَرَتِهِ الشَّمْسُ وَصَقَرَتِهِ : إِذَا

لَوْحَتُهُ وَأَذَابَتُهُ . وَهُوَ مَمْنُوعٌ مِنَ الصَّرْفِ لِلْعَلَمِيَّةِ وَالتَّأْنِيثِ . ٤٩ - ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ أَيْ بِمَقْدَرًا مُحْكَمًا . مُسْتَوْفَى فِيهِ مَا تَقْضِيهِ الْحِكْمَةُ الَّتِي عَلَيْهَا مَدَارُ التَّكْوِينِ ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا) ^(١) . وَالْقَدَرُ : اسْمٌ لِمَا صَدَرَ عَنِ الْقَادِرِ مَقْدَرًا . يُقَالُ : قَدَرْتُ الشَّيْءَ وَقَدَرْتُهُ - بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّثْقِيلِ - بِمَعْنَى وَاحِدٍ . أَوْ الْمَعْنَى : خَلَقْنَاهُ بِمَقْدَرًا مَكْتُوبًا فِي اللُّوحِ قَبْلَ حَدُوثِهِ ، فَهُوَ بِالْمَعْنَى الْمَشْهُورِ الَّذِي يُقَابِلُ الْقَضَاءَ . وَقَالَ النَّوَوِيُّ : الْقَدَرُ تَقْدِيرُ اللَّهِ الْأَشْيَاءَ فِي الْقَدَمِ . وَعَلِمَهُ تَعَالَى أَنَّهَا سَتَقَعُ فِي أَوْقَاتٍ مَعْلُومَةٍ عِنْدَهُ سُبْحَانَهُ . وَعَلَى صِفَاتٍ مَخْصُوصَةٍ ، فَهِيَ تَقَعُ عَلَى حَسَبِ مَا قَدَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى . اهـ . وَفِي شَرْحِ الْمَوَاقِفِ : قَضَاءُ اللَّهِ هُوَ إِرَادَتُهُ الْأَزَلِيَّةُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْأَشْيَاءِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ فِيمَا لَا يَزَالُ . وَقَدَرَهُ :

الأمور والأعمال ، ومنها
الذنوب : مسطور عندنا ،
ومحصى على صاحبه . يقال :
سَطَرَ يَسْطُرُ سَطْرًا ، كتب
واسطر مثله . وهو تَأَكِيدُ لما قبله .

٥٤ - ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ أى
وأَنْهَارٍ ، فالمراد به الجنس ، وأفرد
في اللفظ لموافقة رؤوس الآي .

٥٥ - ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾ فى
مكان مَرْضَى أو مجلس حق لا
لغو فيه ولا تأنيث ، وهو الجنة .
﴿ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ أى مقربين
عند ملك عظيم الملك ، قادر
عظيم القدرة ، تعالى أمره فى
الملك والافتقار ! بحيث أبهم على
ذوى الأفهام . والله أعلم .

سورة الرحمن

وتسمى عروس القرآن

١ : ٢ - ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ
الْقُرْآنَ ﴾ بدأ سبحانه فى معرض
الامتنان على عباده بجلال التعميم .
بأعظمها شأنًا ، وأرفعها مكانًا ،
وهو تعلم رسوله صلى الله عليه
وسلم وأئمة القرآن . وهو هدى
وشفاء ، ورحمة وعصمة .
وأمان ونور للناس فى دينهم
ودنياهم . وهو أعظم وخي الله
إلى أنبيائه ، وأشرفه منزلة عند
أوليائه ، وأكثره ذكرًا . وأحسبه
فى أبواب السدين أثرًا .
والرحمن : من أسمائه تعالى ،
وتخصيصه بالذكر هنا للتنبية إلى أن
تعليم القرآن من آثار رحمته
الواسعة

فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ٥١ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ٥٢
وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ٥٣ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ
وَنَهَرٍ ٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ٥٥

(٥٥) سورة الرحمن مدنية
وآياتها ٧٨ نزلت بعد العبد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ٣
عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ٤ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ٥

إيجاده إياها على قدر مخصوص
وتقدير معين فى ذواتها وأحوالها .
وقد ناقشه محشيه المولى حسن
جلبى . واختار : أن القضاء هو
الفعل مع الإتيان : بحيث يأتى
على ما تقتضيه الحكمة . والقدر :
تحديد كل محدود بحد الذى يوجد
به .
٥٠ - ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ
كَلِمَةٍ بِالْبَصَرِ ﴾ وما أمرنا فى خلق
الأشياء إلا كلمة واحدة ، وهى
قول : (كن) فتوجد كلمه
البصر فى السرعة . وهو نظير قوله
تعالى : (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا
أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (١) .
والمراد : التقريب للعقول فى
سرعة تعلق القدرة بالمقدور على
وفق الإرادة الأزلية . واللمح :
(١) آية ٨٢ يس . (٢) آية ٧٧ النحل



٣ - ٤ - ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ الْكِتَابَ ﴾ أى خلق التويع الإنسانى على أبداع صورة . ومكنه من بيان ما فى نفسه بالمنطق الفصيح . ومن فهم بيان غيره ؛ فتميز بذلك عن الحيوان . واستعد لتلقى العلوم والخلافة فى الأرض . وهذه نعم عظيمة توجب الشكر والتعظيم لله تعالى .

٥ - ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ أى يجران بحساب معلوم مقدّر فى بروجها ومنازلها ؛ لا اختلال فيه ولا اضطراب . وبذلك تعلم الشهور والسّنون والفصول . ويعرف الحساب . وتيسر أمور الكائنات الأرضية . وهذه نعم أخرى تستوجب الحمد والإقرار له تعالى بالربوبية . وهو مصدر كالغفران ؛ أو جمع حساب ؛ كشهاب وشهبان .

٦ - ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ النّجْم هنا : النبات الذى ينجم ؛ أى يظهر ويطلع من الأرض ولا ساق له . والشجر : النبات الذى له ساق . وسجودهما : انقيادهما له تعالى فىما يريد بهما طبعاً ؛ كانقياد السّاجد لخالفه .

٧ : ٩ - ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا ﴾ خَلَقَهَا مرفوعة ؛ مسموكة فوق الأرض بلا عمد . ﴿ وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ شرع العدل وأمر به ؛ ليستقيم أمر العالم . أو خلق الآلة المعروفة التى تعرف بها مقادير الأشياء ؛ ليتوصل بها الناس فى

وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَكِهِةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾

فى البحر وهو الطلح . جمع كيم . بالكسر . أو ذات سبائب الليف . وهى التى فى أعناق النخل . ١٢ - ﴿ وَالْحَبُّ ﴾ أى وفى الأرض الحب ؛ كالبر والشعير مما يتغذى به . ﴿ ذُو الْعَصْفِ ﴾ أى الثبن أو القشر الذى يكون على الحب . وسمى عصفاً لعصف الرياح به لفته . ﴿ وَالرَّيْحَانُ ﴾ أى وفيها الريحان ؛ وهو كل مشوم طيب الرائحة من النبات . امتن الله على عباده بما خلقه لهم من الفاكهة للتلذذ . ومن النخل للتلذذ والغذاء . ومن الحب لغذاء الإنسان والحيوان . ومن الريحان للتلذذ بطيب رائحته . وقرئ بالجر عطفاً على « العصف » وفسر باللب ؛ فكأنه قيل : والحب ذو العصف الذى هو رزق دوابكم . وذو اللب الذى هو رزقكم .

١٣ - ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ الخطاب للمكلفين من

الأرض إلى الإنصاف والانتصاف فى المعاملات . ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾ أى لئلا تتجاوزوا الحق فيه . ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ ﴾ قوموا وزنكم بالعدل . والمراد : حث الإنسان على مراعاته فى جميع أقواله وأفعاله . ﴿ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ أى لا تنقصوه ؛ فإن من حقه أن يسوى . أمر الله تعالى بالنسوية . ونهى عن الطغيان فيه الذى هو اعتداء وزيادة . وعن الخسران فيه الذى هو تطفيف ونقصان ؛ وكلاهما ظلم . وكرر لفظ « الميزان » للتوصية به . وتقوية للأمر باستعماله والحث عليه .

١٠ - ﴿ الْأَرْضَ وَضَعَهَا ﴾ خلقها مخفوضة عن السماء . ﴿ لِلْأَنَامِ ﴾ للحيوان كله . أو للإنس والجن ؛ للانتفاع بها .

١١ - ﴿ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴾ أى الأوعية التى يكون

﴿وَرَبُّ الْمَغْرِبِينَ﴾ مغربها فيها .
وفي هذا التدبير المحكم منافع
عظمى للإنسان والحيوان
والنبات .

١٩ - ٢٠ - ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ
يَلْتَقِيَانِ﴾ أرسل الله المياه العذبة
والمالحة في مجاريها أنهاراً وبحاراً
على سطح الأرض ، متجاورة
متصلة الأطراف ، ومع ذلك لم
تختلط ، لاقتضاء حكيمته تعالى
إقامة حواجز بينها من أجرام
الأرض تمنعها من الاختلاط ،

ولولاها لبعث أحد النوعين على
الآخر ، فبقى العذب على
عدوئته ، والملح على ملوحته ،
ليستفيع بكل منهما فيما خلق لأجله .
ومن بدائع الصنعة ودلائل
القدرة : إبقاء الأنهار والبحار
الهائلة المحيطة في مجاريها على سطح
الأرض على ما نشاهده مع
كرويتها ، وإسكانها عن الطغيان
على اليابس وهو دونها بكثير ،
والإبقاء للناس ، وقبض
العالم ، والله على كل شيء قدير ؟
و (مرج) أرسل ، من مرج
الدابة - من باب نصر - :
أرسلها ترعى في المرج .
(يلتقيان) يتجاوران . أو تلتقي
أطرافهما . ﴿يَرْزُقُ﴾ حاجر من
أجرام الأرض ، وذلك بقدرته
تعالى . ﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾ لا يبطني
أحدهما على الآخر بالمازجة . أو لا
يتجاوزان حدّيهما بإغراق ما
بينهما .

٢٢ - ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ

وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ
يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾

وحسن ذكر الآلاء عقبها ، لأن
من جملة الآلاء : رفع البلاء
وتأخير العذاب . ثم ثمانية في
وصف الجنة وأهلها ، بعدد
أبواب الجنة . وثمانية أخرى في
الجنة اللتين هما دون الجنة
الأولى ، فمن اعتقد الثمانية
الأولى ، وعمل بموجبها استحق
هاتين الثنتين من الله ووقاه
السبعة السابقة .

١٤ - ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ
ضَلَالٍ طِينٍ يَاسٍ غَيْرِ مُطْبُوحٍ
كَالْفَخَّارِ﴾ أي الخرف المحووف
الذي طبع .

١٥ - ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾ أي
جنس الجن . ﴿مِنْ مَّارِجٍ﴾ من
لهب خالص لا دخان فيه . أو مما
اختلط بعضه ببعض من اللهب
الأحمر والأصفر والأخضر ،
الذي يعلو النار إذا أوقدت .
﴿مِنْ نَّارٍ﴾ بيان لـ «مارج» .

١٧ - ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ مشرق
الشمس في الشتاء والصيف .

الأنام . وهم الإنس والجن . أي
فبأي فرد من أفراد نعم ربكما
تكفران وتجحذان ؟ ! أبتلك الثم
المذكورة هنا أم بغيرها ؟ مع أن
كل نعمة ناطقة بالحق . شاهدة
بالصدق ! والاستفهام للتقرير
بالثبوت وتأكيدها في التذكير .
وقيل : للتوبيخ والإنكار .

وقد عدّد الله تعالى في هذه
السورة كثيراً من نعمائه . وذكر
خلقه عظيم من آلائه . ثم أتبع
كل خلقه وصفها ، ونعمة وضعها
بهذه الآية الكريمة ، فذكرها في
واحد وثلاثين موضعاً . وجعلها
فاصلة بين كل نعمتين : لينبهم
على الثم . ويقرّهم بها . ويقيم
عليهم الحجة عند جحودها .

ولهذا الأسلوب البديع في
العربية الفصحى شواهد كثيرة ،
فذكر ثمانية منها عقب آيات فيها
تعداد عجائب خلق الله ، ومبدأ
الخلق ومعادهم . ثم سبعة منها
عقب آيات فيها ذكر النار
وشدائدها ، بعدد أبواب جهنم .

وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٤﴾ أى يخرج من أحدهما وهو الملح : اللؤلؤ والمرجان المعروفان . وإنما قيل (منهما) لأنها لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز أن يقال يخرجان منها ؛ كما يقال : يخرجان من البحر ، وهما لا يخرجان من جميعه . ولكن من بعضه . وكما تقول : خرجت من البلد ، وإنما خرجت من محلة من محالاته . وقد يُنسب إلى الاثنين ما هو لواحد ؛ كما يُسند إلى الجماعة ما صدر من أحدهم . والعرب تجمع الجنسين وتريد أحدهما . وجاء على هذا الأسلوب قوله تعالى : (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ) ^(١) وإنما الرسل من الإنس دون الجن . وقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا . وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا) ^(٢) والقمر فى سماء الدنيا ؛ ولكنه أجمل ذكر السماوات السبع ، فساغ أن يجعل ما فى إحداهن فيهن .

٢٤ - ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ أى وله السفن الجاريات فى البحار . المرفوعات القُلُوع كالجبال الشاهقة . جمع جارية . وهى السفينة . ومُشَاقَّة : أى مرفوعة الشراع وهو القلُع ؛ من أنشأه : أى رفعه . وعَلِمَ وهو الجبل الطويل [٣٢] الشورى ص ٦١٦ ، ٦١٧ .

٢٦ - ﴿فَإِنْ هَآلِكَ﴾ هالك .

٢٧ - ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ ذو العظمة

(١) آية ١٣٠ الأنعام . (٢) آية ١٥ ، ١٦ نوح .

فِيَّائِءَ الْآءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٦﴾ فَيَّائِءَ الْآءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٢٧﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٨﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٩﴾ فَيَّائِءَ الْآءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٣١﴾ فَيَّائِءَ الْآءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ آيَةُ الثَّقَلَيْنِ ﴿٣٣﴾ فَيَّائِءَ الْآءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يَمْعَشَرِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْنَطَعْتُمْ أَنْ تَتَفَدُّوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ ﴿٣٥﴾ فَيَّائِءَ الْآءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ بُرْسُلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِئُ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَلْتَصِرَانِ ﴿٣٧﴾ فَيَّائِءَ

والاستغناء المطلق . الحِكم البالغة . فيغفر ذنوبنا . ويُفَرِّجُ كروبنا . ويرفع أقوامنا . ويضع آخرين . ويحيى ويُميت . ويُعِزُّ ويُذِلُّ . ويخلق ويرزق . ويَشْفِي ويُمرض . ويُعَافِي وَيَبْتَلِي ؛ وكلها شئون يُبدىها ولا يتبدىها . لا يشغله شأن عن شأن . ٣١ - ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ الفراغ هنا : القصد إلى الشيء والإقبال عليه يقال : فرغ له وإليه - كَمَتَّعَ وَسَمِعَ وَنَصَرَ - قصد . وسَأَفْرُغُ لِفُلَانٍ :

جهنم . أو محرقة كالدّهان . أى الأديم الأحمر .

٣٩ - ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ﴾ أى فى حين خروجهم من القبور لا يسألون عن الذنوب . ولكنهم يسألون فى موقف الحساب . كما قال تعالى : (قَوْرَبِكْ لَسْأَلَهُمْ أَجْمَعِينَ) (١)

وقال : (وَقَفَّوْهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) (٢) فلترك السؤال موطن غير موطن السؤال .

٤١ - ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِمَاهُمْ﴾ أى بسواد الوجوه . وزرقة العيون . أو بما يعلوهم من الكتابة والحزن . ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ فتأخذ الملائكة بنواصيرهم - أى بشعور مقدم رؤوسهم - مجموعة إلى أقدامهم فتقدمهم فى النار .

٤٤ - ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا﴾ يترددون بين التصلية بنارها الشديدة . ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾ ماء حار . ﴿أَنْ﴾ بالغ فى الحرارة أقصاها . يقال : أتى الحميم . أى انتهى حره إلى غايته . فهو آن . وبلغ هذا أناه - وبكسر - غايته . أو نضجه وإدراكه .

٤٦ - ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ ولمن خاف قيام ربّه وهيمته عليه ومراقبته له . أو قيامه بين يدي ربّه للحساب . ﴿جَنَّتَانِ﴾ ينتقل من أحدهما إلى الأخرى . لتوفر دواعى لذته . وتظهر ثمار كرامته .

٤٨ - ﴿ذَوَاتَا أَفْتَانٍ﴾ صفة

ءالاء ربك تكذبان (٣٦) فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان (٣٧) فبأيءالاء ربك تكذبان (٣٨) فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان (٣٩) فبأيءالاء ربك تكذبان (٤٠) يعرف المجرمون بسيمتهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام (٤١) فبأيءالاء ربك تكذبان (٤٢) هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون (٤٣) يطوفون بينها وبين حميم (٤٤) فبأيءالاء ربك تكذبان (٤٥) ولمن خاف مقام ربه جنتان (٤٦) فبأيءالاء ربك تكذبان (٤٧) ذواتا أفتان (٤٨) فبأيءالاء ربك تكذبان (٤٩) فيهما عينان تجريان (٥٠) فبأيءالاء

سأجعله قصدى . والثقلان : الإنسان والجن . تنبئة ثقل بفتحين . وأصله : كل شيء له قدر ووزن ينافس به . وأطلق عليها لعظم قدرهما . أو لأنها أنفلا بالتكاليف . أى سنقصد يوم القيامة إلى محاسبتكم ومجازاتكم على ما قدمتم من الأعمال . وسيكون ذلك شأننا فى هذا اليوم فحسب !

٣٣ - ﴿لَا تَقْدُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ أى لا تقدرون على الخروج من أمرى وقضائى إلا بقوة وقهر وأنتم بمعزل عن ذلك .

٣٥ - ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا يُصْبُ

لـ (جَنَّان) أى صاحبنا أنواع من الأشجار والثمار ؛ جمعُ قَنْ - كَذَنْ - بمعنى القَوَع . أو صاحبنا أغصان ؛ جمعُ قَنْ - كَطَلَل - وهو ما ذُقَّ ولَانَ من الأغصان .
٥٢ - ﴿ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ رَوْجَانِ ﴾ صِنْفَانِ : معروف ، وغريب غير مألوف ؛ وكلاهما حُلُوٌّ يَسْتَلَذُّ به .

٥٤ - ﴿ بَطَائِثُهَا ﴾ جمعُ بَطَانَةٍ . وهى ما قابل الظهارة من الثياب . ﴿ مِنْ اسْتَبْرَقٍ ﴾ ديباج غليظ . ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ ما يجتنى ويُؤخذ من ثمارها قريب من المتناول ؛ من الدُّنُوِّ بمعنى القُرب .
٥٦ - ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾ نساء قاصرات أبصارهن على أزواجهن ، لا ينظرن إلى غيرهم . ﴿ كَمْ يَطْمِثُهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴾ أى أنهم أبكارٌ . لم يَفْتَضُّهُنَّ قبل أزواجهن أحدٌ . يقال : طَمَثَ الرجل امرأته - من باب ضَرَبَ وَقَتَلَ - افْتَضَّهَا . وأصلُ الطَّمَثِ : الجماع المؤدَّى إلى خروج دم البكر ؛ ثم أطلق على كل جماع وإن لم يكن معه دمٌ .

٥٨ - ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ كأنهنَّ الياقوت في صفاء اللون ، والمرجان في الحُمْرة .

٦٢ - ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ أى ومن دون تينك الجنَّتَيْنِ فى المنزلة والقدَر - وهما اللتان للسابقين المقربين - : جَنَّان

رَبِيكَمَا تُكَذِّبَانِ ٥١ ﴿ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ رَوْجَانِ ٥٢ ﴿
فِيَايَ الْآءِ رَبِيكَمَا تُكَذِّبَانِ ٥٣ ﴿ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشِ
بَطَائِنُهَا مِنْ اسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ٥٤ ﴿ فِيَايَ الْآءِ
رَبِيكَمَا تُكَذِّبَانِ ٥٥ ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْنِ
إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ٥٦ ﴿ فِيَايَ الْآءِ رَبِيكَمَا تُكَذِّبَانِ ٥٧ ﴿
كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ٥٨ ﴿ فِيَايَ الْآءِ رَبِيكَمَا
تُكَذِّبَانِ ٥٩ ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ٦٠ ﴿
فِيَايَ الْآءِ رَبِيكَمَا تُكَذِّبَانِ ٦١ ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ٦٢ ﴿
فِيَايَ الْآءِ رَبِيكَمَا تُكَذِّبَانِ ٦٣ ﴿ مُدْهَامَتَانِ ٦٤ ﴿ فِيَايَ
الْآءِ رَبِيكَمَا تُكَذِّبَانِ ٦٥ ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ٦٦ ﴿
فِيَايَ الْآءِ رَبِيكَمَا تُكَذِّبَانِ ٦٧ ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ
وَرَمَانٌ ٦٨ ﴿ فِيَايَ الْآءِ رَبِيكَمَا تُكَذِّبَانِ ٦٩ ﴿ فِيهِنَّ
خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ٧٠ ﴿ فِيَايَ الْآءِ رَبِيكَمَا تُكَذِّبَانِ ٧١ ﴿
حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْبُحَايِمِ ٧٢ ﴿ فِيَايَ الْآءِ رَبِيكَمَا

أخريان لمن هم دونهم من سواد الليل ؛ ويُعَبَّرُ بها عن أصحاب اليمين .
٦٤ - ﴿ مُدْهَامَتَانِ ﴾ أى هما شديدا الخضرة ؛ والخضرة إذا اشتدَّت ضربت إلى السواد من كثرة الرِّى من الماء . أو سوداوان من شدة الخضرة من الرِّى ؛ من الدُّهْمَةِ - وهى فى الأصل :
سواد الليل ؛ ويُعَبَّرُ بها عن الخضرة الكاملة اللون . يقال : ادهامَ يدهامُ فهو مُدْهَامٌ . إذا اسودَّ أو اشتدَّت خضرته .
٦٦ - ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ فؤاران بالماء لا تنقطعان . والنَّضْخُ - بالخاء المعجمة - فوق النضج - بالخاء المهملة - وهو

أوهو اسمُ جمع . أوجمع
واحدَه عبقريّة . ولذا وُصف
بالحسن .

٧٨- ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ تعالى
اسمه الجليل . وارتفع عما
لا يليق بشأنه العظيم ! أو تعالت
صفته . أو كثرت خيراته [آية ٥٤
الأعراف ص ٢٠٧] . ﴿ذِي
الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [آية ٢٧ من
هذه السورة] والله أعلم .

سورة الواقعة

١ : ٣- ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾
أى اذكر لهم إذا نزلت القيامة ،
فإن فى ذكر أحوالها وأهوالها
عظة ، من وقع الطائر : نزل عن
طيرانه . والواقعة من أسماء
القيامة ، وسُميت بذلك للإيدان
بتحقق وقوعها . ﴿لَيْسَ لَوْقَعِهَا
نَفْسٌ تَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ . وَتَكْذِبُ
فِي تَكْذِيهِ سُبْحَانَهُ فِي خَيْرِهِ بِهَا ،
كَمَا كَانَ ذَلِكَ مِنَ الْمُنْكَرِينَ لَهَا فِي
الدُّنْيَا . بَلْ كُلُّ نَفْسٍ حِينْتِ
مُؤْمِنَةٌ . صَادِقَةٌ مُصَدِّقَةٌ بِهَا لَتَحَقُّ
وَقُوعُهَا بِالْمَشَاهِدَةِ . وَاللَّامُ
لِلتَّوْقِيتِ ، كَمَا فِي : كَتَبْتُهُ لِحَسَنِ
خَلْوَنٍ مِنْ كَذَا . ﴿خَافِضَةٌ
رَافِعَةٌ﴾ أى هى خافضةٌ للأشقياء
إلى الدَّرَكَاتِ - رافعةٌ للسَّعْدَاءِ
إلى الدَّرَجَاتِ . والرفعُ والحفضُ
يُستعملان عند العرب فى المكان
والمكانة . والعزُّ والإهانة .
ونسبُهما إلى القيامة مجاز .
٤ : ٦- ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ

تُكْذِبَانِ ٧٣﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ٧٤
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٧٥﴾ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرِفِ خُضْرٍ
وَعَبْقَرِيٍّ حَسَانٍ ٧٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٧٧
تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ٧٨﴾

(٥٦) سورة الواقعة مكيّة

إلا آتى ٨١ و ٨٢ فمدنيّان
وآياتها ٩٦ نزلت بعد طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ١﴾ لَيْسَ لَوْقَعِهَا كَاذِبَةٌ ٢﴾ خَافِضَةٌ
رَافِعَةٌ ٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ
بَسًا ٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا

الشُّدْسَى الْأَخْضَرُ . أو على ثياب
خُضْرٍ . تُتخذ منها الستور التى
تُبسط على وجه الفراش للنوم
عليه . واشتقاقه من رفّ : إذا
ارتفع . وهو اسمُ جمع واحدَه
رَفْرَفَةٌ . أو اسمُ جنس جمعى .
﴿وَعَبْقَرِيٌّ حَسَانٌ﴾ طنافس :
وهى أبسطُ لها أهدابٌ رفيقة .
أو هو الثياب الموشاة ، وكلُّ ثوبٍ
وُشِيَ فهو عند العرب عبقرى . أو
هو الديباج الغليظ . والعبقرى فى
الأصل : الكامل من كل شيء .
أو الجليل القيس الفاجر من
الرجال وغيرهم ، ويأوه كياء
كرسى وبُخْتَى . والمراد الجنس .

الرَّشُّ بِالْمَاءِ .
٧٢- ﴿حُورٌ﴾ أى فبين نساء
حُورٍ [آية ٥٤ الدخان ص ٦٣٣] .
﴿مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ أى
مَحْذَرَاتٌ . يقال : امرأة مقصورة
وقصيرة ملازمة لبيتها لا تطوف فى
الطرق . والنساء تُمدحن بذلك
لدلالته على صيانتهم . والخيام :
البيوت . قيل : هى فى الجنة من
لؤلؤ ، كما جاء فى الأحاديث
الصحيحة .
٧٦- ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرِفِ
خُضْرٍ﴾ أى على الوسائد .
أو القُرُش المرتفعة . أو الرقيق من
ثياب الديباج . ذات اللون



ثَلَاثَةٌ ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾
وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ
السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّتِ
النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾
عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَكِبِينَ عَلَيْهَا مُتَقَلِّبِينَ ﴿١٦﴾

والسابقون هم الذين اشتهرت
أحوالهم وعُرفت فحاشيتهم .

١٣ - ١٤ - ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾
أى أولئك السابقون المقربون جماعة
كثيرة من الأمم الماضية . وهم
الذين عاصروا الأنبياء وآمنوا بهم .
﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ وهم
الذين عاصروا النبى صلى الله عليه
وسلم وآمنوا به . ولا شك أن جملة
الذين عاصروا الأنبياء السابقين
وآمنوا بهم : أكثر ممن عاصروا
نبينا صلى الله عليه وسلم وآمنوا
به ؛ ولذلك عُبِّرَ عن الأولين بالثلاثة
وهى الجماعة الكثيرة . وقولت
بالقليل من الآخرين . وهذا
لا ينافى كون أمته صلى الله عليه
وسلم على الإطلاق أكثر من الأمم
الماضية كذلك . وقيل - بناء على
أن الخطاب لهذه الأمة خاصة - :
إن الثلاثة والقليل : منها ؛ أى
السابقون المقربون ثلثة من صدر
هذه الأمة وقليل ممن بعدهم .
رُوي عن الحسن أنه قال فى هذه
الآية : أمّا السابقون فقد مضوا ،

بهم ذات اليمين إلى الجنة .
أَوْ يُؤْتَوْنَ صحائفهم بأيمانهم .
﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ أى أى
شئ هم فى أحوالهم وصفاتهم !
والجملة مبتدأ وخبر . وهى خبر
قوله ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ وُضع
فيها الظاهر موضع الضمير
للتفخيم . ومثله يقال فى :
﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ
الْمَشْأَمَةِ﴾ وقد وُضع فيها الظاهر
موضع الضمير للتفطيع .
والمقصود فيها : تعجيب
السامعين من شأن الفريقين فى
الفخامة والفضاعة .

٩ - ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ أى
ناحية الشمال . وهم الذين يؤخذ
بهم ذات الشمال إلى النار .
أَوْ يُؤْتَوْنَ صحائفهم بشمالهم .

١٠ - ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾
هم الصنف الثالث من الأزواج
الثلاثة : وهم الذين سارعوا إلى
كل ما دعا الله إليه . والجملة مبتدأ
وخبر ؛ على حد : أنا
أبو النجم وشيخى شيعرى . أى

رَجًا أى زلزلت وحركت
تحريكاً شديداً . يقال : رَجَّه يَرْجُه
رَجًّا ، حَرَكه وزلزله ؛ فارتج .
ومنه : ارتج البحر وغيره .
اضطرب . والرجرجة
للاضطراب . و(إذا) بدل من
(إذا) الأولى . أو منصوبة
ب(خافضة رافعة) . ﴿وَبُسَّتِ
الْجِبَالُ بَسًّا﴾ فَكُنَتْ تَفْتِنًا حتى
صارت كالسويق الملتوت ؛ من
بس السويق : إذا لثه .
﴿فَكَانَتْ هَبَاءً﴾ فصارت
غباراً . أو كالهباء ، وهو ما يثور
مع شعاع الشمس إذا دخل من
كوة . أو ما يتطاير من النار على
هيئة الشرر إذا أضرمت .
﴿مُبْتَلًا﴾ متفرقاً .

٧ - ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ أى
وصرتم فى ذلك اليوم بما كان فى
جِبَلَاتِكُمْ وطبائعكم . وما كان
من أعمالكم فى الدنيا أصنافاً
ثلاثة . صنفان سعداء . وهم
السابقون وأصحاب الميمنة .
والثالث أشقياء ، وهم أصحاب
المشأمة . والخطاب للأمة الحاضرة
والأمم السابقة على سبيل
التغليب . وقيل للأمة الحاضرة
فقط . والزوج : يُطلق على كل
ما يقرن بآخر مماثل له أو مضاداً ؛
كما يُطلق على كل واحد من
القرنين من الذكر والأنثى فى
الحيوان المتزوج . وعلى كل قرنين
فيه وفى غيره كالخف والنعل .

٨ - ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ أى
ناحية اليمين . وهم الذين يؤخذ

وَلَا تَأْتِيْمًا ﴿٣٠﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِي الْحِجَةِ
مَالًا يُعْتَدُّ بِهِ مِنَ الْكَلَامِ ، أَوْ كَلَامًا
قِيحًا ، وَلَا نَسَبًا إِلَى الْإِيْمِ [آيَة
٢٣ الطور ص ٣٦٠] .

٢٨ : ٣١ - ﴿ فِي سِدْرٍ ﴾
هم في سِدْر هو شجر النبق
واحدُه سِدْرَة ﴿ مَحْضُودٌ ﴾
خَصِدَ شَوْكُهُ . يقال : خَصِدَ
الشجر - من باب ضرب - قطع
شَوْكَهُ ؛ فهو خَصِيْدٌ ومَحْضُودٌ . أو
مُوقِرٌ حَمَلًا حَتَّى تَمُتَّ أَغْصَانُهُ ؛
من خَصِدْتُ الغصن : ثَبَّتَهُ .
﴿ وَطَلَحَ ﴾ هو شجر الموز ،
واحدُه طَلْحَة . ﴿ مَمْضُودٌ ﴾
مَمْرَاكِبُ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ . قَدْ
نُصِدَ بِالْحَمَلِ مِنْ أَسْفَلِهِ إِلَى
أَعْلَاهُ ؛ فَلَيْسَتْ لَهُ سَاقٌ بَارِزَةٌ ؛
من النُّصْدِ ، وهو الرِّصُّ .
يقال : نُصِدَ مَتَاعُهُ - من باب
ضرب - وَضِعَ بَعْضُهُ عَلَى
بَعْضٍ ؛ فهو نُصِيْدٌ وَمَمْضُودٌ .
﴿ وَظِلٌّ مَمْدُودٌ ﴾ مَمْتَدٌّ مَنْسَطٌ لَا
يَزُولُ ؛ وهو ظِلُّ أَشْجَارِهَا .
والعَرَبُ تَقُولُ لِكُلِّ مَا لَا انْقِطَاعَ
لَهُ : مَمْدُودٌ . والحِجَّةُ كُلُّهَا ظِلٌّ لَا
شَمْسَ مَعَهُ . ﴿ وَمَاءٌ مَسْكُوبٌ ﴾
مَصْبُوبٌ يَجْرِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ
مِنْ غَيْرِ حَقَرٍ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ حَيْثُ
شَاءُوا . يقال : سَكَبَهُ سَكْبًا ؛
صَبَّهُ . وَأَعْرَفُ النَّاسِ بِهَذِهِ النِّعَةِ
أَهْلُ الْبَوَادِي وَالْبِلَادِ الْحَارَّةِ .

٣٤ - ﴿ مَرْفُوعَةٍ ﴾ عَلَى الْأَسْرَةِ
أَوْ مَنضُودَةٍ مَرْتَفَعَةٍ .
٣٥ - ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ ... ﴾ أَي
نَسَاءَ الدُّنْيَا . أَوِ الْخَوَرِ الْعَيْنِ .

٢٥ - ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا .

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿٣٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ
وَكُاسٍ مِنْ مَّعِينٍ ﴿٣٨﴾ لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يَتَزَفُّونَ ﴿٣٩﴾
وَفَنَكِهَةٍ قَمًّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤١﴾
وَحُورٌ عِينٌ ﴿٤٢﴾ كَأَمْثَلِ الثَّلَاثِ الْمَكْنُوتِ ﴿٤٣﴾
جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا
تَأْتِيْمًا ﴿٤٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٤٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ
مِمَّا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٤٧﴾ فِي سِدْرٍ مَحْضُودٍ ﴿٤٨﴾ وَطَلَحٍ
مَمْضُودٍ ﴿٤٩﴾ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴿٥٠﴾ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴿٥١﴾

﴿ لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا ﴾ لَا يَصْبِيحُ
صَدَاعٌ بِسَبَبِ شَرِبِهَا . (وَعَنْ)
بِمَعْنَى بَاءِ السَّبَبِ . ﴿ وَلَا يَتَزَفُّونَ ﴾
بِضَمِّ الْيَاءِ وَكَسْرِ الزَّايِ ، أَيِ
لَا تُذْهِبُ الْخَمْرُ عَقُولَهُمْ مِنَ السُّكْرِ
كَأَنَّ فِي خَمْرِ الدُّنْيَا ؛ مِنْ أَنْزَفَ
الشَّارِبُ : إِذَا ذَهَبَ عَقْلُهُ . وَقُرِئَ
بِفَتْحِ الزَّايِ ؛ مِنْ نَزَفَ الشَّارِبُ -
كَعْنَى - : ذَهَبَ عَقْلُهُ [آيَة ٤٧
الصفات ص ٥٦٧] ﴿ وَخُورٌ
عِينٌ ﴾ [آيَة ٥٤ الدخان
ص ٦٣٣] . ﴿ كَأَمْثَلِ الثَّلَاثِ
الْمَكْنُوتِ ﴾ أَيِ هُنَّ فِي صَفَاءٍ
بَيَاضِهِنَّ وَحُسْنِهِنَّ كَالثَّلَاثِ الَّذِي
صِيْنُ فِي أَصْدَافِهِ فَلَمْ تَمْسَسْهُ
الْأَيْدِي ، وَلَمْ تَقْعَ عَلَيْهِ الشَّمْسُ
وَالْهَوَاءُ ؛ فَكَانَ فِي نَهَايَةِ الصَّفَاءِ .

وَلَكِنْ اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَصْحَابِ
الْيَمِينِ .
١٥ - ﴿ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُوعَةٍ ﴾ أَيِ
مُسْتَقَرِّينَ عَلَى سُرُرٍ مَنْسُوجَةٍ
بِالذَّهَبِ نَسِجًا مُحْكَمًا لِلرَّاحَةِ
وَالْكَرَامَةِ . يُقَالُ : وَضَعْنَا الْعَرْلَ
يَضِيئُهُ ، نَسِجَهُ . وَدَرَجٌ مَوْضُوعَةٌ :
أَيِ مَنْسُوجَةٌ أَوْ مُتَقَابِرَةٌ النَّسِجِ ،
أَوْ مَنْسُوجَةٌ حَلَقَتَيْنِ حَلَقَتَيْنِ .

١٧ : ٢٣ - ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ
وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴾ أَيِ يَدُورُ حَوْلَهُمْ
لِلْخِدْمَةِ غِلَاظٌ مُبَقَّوْنَ أَبَدًا عَلَى
شَكْلِ الْوِلْدَانِ وَحَدِّ الْوَصَافَةِ
﴿ بِأَكْوَابٍ ﴾ بِأَقْدَاحٍ لَا عُرْلَ لَهَا
﴿ وَأَبَارِيقَ ﴾ أَوَانٍ ذَاتِ عُرٍّ
وَخِرَاطِيمٍ . ﴿ وَكَأْسٍ مِنْ
مَّعِينٍ ﴾ إِنَاءٌ مِنْ خَمْرٍ جَارِيَةٍ مِنْ
الْعَيْنِ [آيَة ٤٥ الصفات ص ٥٦٧] .

٣٧ - ﴿عُرُبًا﴾ متحبيات إلى أزواجهن . يحسن التبعل . جمع عروب ؛ كرسل ورسول . من أعرب إذا بين . ﴿أتراباً﴾ مستويات في سن واحدة ؛ كأنهن أشبهن في التساوي التراب ، وهى ضلوع الصدر . جمع ترب ؛ كشيئه وأشباهه .

٣٩ ، ٤٠ - ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ . وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ أى أصحاب اليمين - وهم دون السابقين منزلة - جماعة كثيرة من الأمم الماضية . وجماعة كثيرة من هذه الأمة . وإذا قيل إن الثلثين من هذه الأمة فالمعنى : أن أصحاب اليمين جماعة ممن شاهد النبى صلى الله عليه وسلم وآمن به ، وجماعة ممن لم يشاهده وآمن به .

٤٢ - ﴿فِي سَمُومٍ﴾ ريح حارة تدخل في مسام البدن ، وتفعل فيه فعل الشم . ﴿وَحَمِيمٍ﴾ ماء متناه في الحرارة .

٤٣ ، ٤٤ - ﴿وَضِلٌّ مِنَ يَحْمُومٍ﴾ أى دخان شديد السواد . والعرب تقول لكل شيء وصفته بشدة السواد : أسود يحموم ؛ من الأحم أو من الحمم ، وهما الأسود من كل شيء ؛ كما فى اللسان وتسميته ظلًا على سبيل التهكم . ﴿لَا بَارِدٍ﴾ كسائر الظلال يستروح به . ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ نافع لمن يأوى إليه من أذى الحر .

٤٥ - ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ

(١) آية ٣٨ النحل .

وَفَلَكِهِ كَثِيرَةً ٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ٣٣) وَفُرشَ مَرْفُوعَةٍ ٣٤) إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنْسَاءً ٣٥) جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا ٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ٣٨) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ٣٩) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ٤٠) وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ٤٢) وَظِلٌّ مِّنْ يَّحْمُومٍ ٤٣) لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ ٤٤) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ٤٥) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ٤٦) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أُنَّا لَمَبْعُوثُونَ ٤٧) أَوَءَا بَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ٤٨) قُلْ إِنَّا الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ٥٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ لَمُكْذِبُونَ ٥١) لَا تَكُونُوا مِن شَجَرٍ مِّن زُقُمٍ ٥٢) قَالِقُونَ مِنْهَا أَبْطُونَ ٥٣) فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ٥٤) فَشَرِبُونَ

مُتْرَفِينَ ﴿ متنعين بطرين ، متبعين هوى أنفسهم ، ليس لهم رادع عن معاصى الله ؛ من الثرفة [آية ١١٦ هود ص ٣٠١] . ٤٧ - ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ ..﴾ بيان لاستدلالهم الفاسد على عدم البعث . ٤٨ - ﴿أَوَءَا بَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ [آية ١٧ الصافات ص ٥٦٦] . ٥٢ : ٥٥ - ﴿مِنْ شَجَرٍ مِنْ

الماء : وفيها الإنذار والنفع العظيم .

٥٨ ، ٥٩ - ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ .. أخبروني ؟ ما تَقْدِفُونَهُ من البُطْفِ في الأرحام ؟ أنتم تَقْدِرُونَهُ وتَصَوِّرُونَهُ بشراً سوياً ! بل نحن لا غيرنا المَقْدَرُونَ المَصَوَّرُونَ له ؟ يقال : أمّتي النطفة ومباها - من باب رمي - قذفها . ومفعول «أَرَأَيْتُمْ» الأول الاسم الموصول ، والثاني الجملة الاستفهامية بعده . و«أم» منقطعة لوقوع جملة بعدها ، وتقدر ببل وهمة الاستفهام التقريري ، فيكون الكلام مشتملاً على استفهاتين : الأول ﴿أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ﴾ ؟ وجوابه لا .

والثاني مأخوذ من «أم» ، أي بل أنحن الخالقون ؟ وجوابه نعم . وكذا يقال في نظائره بعد .

٦٠ ، ٦١ - ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ . على أن يُبَدَّلَ أَمْثَالُكُمْ . أي وما نحن بمغلوبين عاجزين عن إهلاككم وأن نبذل منكم أشباهكم .

٦٣ - ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ .. أخبروني ! البذر الذي تلقونه في الأرض : أنتم تُنبتونه وتُنشئونه حتى يشتد ويقوم على سوقه ، بل نحن المنبتون له ؟ ! وأصل الحَرْث : تهيئة الأرض للزراعة وإلقاء البذر فيها . والمناسب هنا : حمله على البذر الذي يُلقَى . والزرع : الإنبات . يقال : زرع الله ، أي أنبته .

شَرَبَ الْهَيْمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نُزِّلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ وَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَى أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَالُكُمْ وَنُشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُعْرِضُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ

ما أعد لهم أول قدومهم يوم الجزاء ، كالثل الذي يُعد للضيف أول نزوله تكريمة له ، وتسميته نُزْلاً تهكم بهم .

٥٧ - ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ أي فهلا تصدقون بالخلق . ولما كان إقرارهم بأن الخالق هو الله مقترناً بما يُنبئ عن خلافه وهو الشرك والعصيان - كان بمنزلة العدم والإنكار ، فحُضُّوا على التصديق بذلك . وقيل : إنه حث على التصديق بالبعث وترك إنكاره . ثم ذكر في الآيات التالية أربعة أدلة على القدرة على البعث : الأول - خلقه الإنسان . والثاني - خلقه النبات . والثالث - خلقه الماء العذب . وهو سبب حياتها . والرابع - خلقه النار وهي ضد

زقوم ﴿أي لا تكون من شجر﴾ أو شجراً هو الزقوم ، ف «من» الأولى ابتدائية أو زائدة ، والثانية بيانية . والزقوم : تقدم في آية ٦٢ الصافات ص ٥٦٨ .

قطعاؤهم الزقوم . وشرايهم الحميم ، كما قال تعالى ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾ أي الماء البالغ نهاية الحرارة ﴿فَشَارِبُونَ شَرِبَ الْهَيْمِ﴾ الإبل العطاش التي لا تروى بالماء ، لداء يصيبها يشبه الاستسقاء يُسمى الهَيَامَ ، فلا تزال تشرب حتى تمهلك ، أو تستقم سقماً شديداً . جمع هَيْمٍ للمذكر ، وهَيْمَاءٌ للمؤنث .

٥٦ - ﴿هَذَا نُزِّلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ هذا المذكور من أنواع العذاب هو

٦٤ - ﴿تَزْرَعُونَهُ﴾ تنبتونه

حتى يشتد ويبلغ الغاية .

٦٥ - ﴿لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ أى لجعلنا ذلك الزرع متكسراً متفتتاً لشدة يسه ، لا نفع فيه بعد ما أنبتناه ؛ فأنتم بسبب ذلك تتعجبون من سوء حاله بعد خضرته ونضارته . أو تدّمون على ما نعمتم فيه وأنفقتم عليه من غير طائل . وأصل التفكّه : التفتّل بصنوف الفاكهة ، ثم استعير للتفتّل بالحديث ؛ وهو هنا ما يكون بعد هلاك الزرع . وكفى به في الآية عن التعجب أو الندم .

٦٦ - ﴿إِنَّا لَمُعْرِضُونَ﴾ أى تقولون إنا لمهلكون بهلاك أقواتنا ؟ ، من القرام وهو الهلاك . أو للمزوم غرامة بنقص رزقنا ؛ من العزم وهو ذهاب المال بلا عوض .

٦٧ - ﴿مَحْرُومُونَ﴾ ممنوعون الرزق بالكلية .

٦٩ - ﴿مِنَ الْمُزْنِ﴾ أى السحاب أو أبيضه . جمع مزنّة .

٧٠ - ﴿جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا﴾ ملحاً زعاقاً ، لا يطاق لشدة مرارته [آية ٥٣ الفرقان ص ٤٦٦] .

٧١ - ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ أخبروني ! النار التي تقدحونها وتستخرجونها من الشجر الرطب ، أنتم خلقتم شجرتها التي منها الرّزاد . واخترعت أصلها ، بل أنحن الخالقون لها بقدرتنا ؟ والعرب تقدح بعودين ، يُحَكُّ

نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ * فَلَا أَمْسٌ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾

أحدها على الآخر . ويسمّون الأعلى الرّند والأسفل الرّندة ؛ تشبيهاً بالفحل والطّروقة فيورى . يقال : ورى الرّند - كوعى وولى - يرى ورّياً . خرجت ناره . وأوراه غيره : استخرج ناره . وجمعه رزاد ، كسهم وسهام .

٧٣ - ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ لنار جهنم الكبرى ، ليعتبر بها الناس ، ويحذروا ما أوعدوا به من عذاب الآخرة . ﴿وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ أى ومنفعة للمسافرين ؛ من أقوى الرجل : دخل في القواء - بالمد والقصر - وهو القفر الخالي من العمران . وإطلاق المقوين على المسافرين لأنهم كثيراً ما يسلكون القفراء

والمفاوز ؛ وتخصيصهم بالذكر لأن منفعتهم بها أكثر من المقيمين ، وخاصة في البوادي ليلاً . أو منفعة للمحتاجين ، ينتفعون بها في سفرهم وإقامتهم وسائر شئونهم ، كأنه تصور من حال الحاصل في القفر : الفقر ، فقيل : أقوى فلان ، أى افتقر . كقولهم : أترب وأرمل ؛ ثم أريد منه مطلق المحتاج إليها بعلاقة اللزوم .

٧٤ - ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ أى وإذا قد علمت ما عدّد من بدائع الصّنع وجلائل النعم ، فدم على التسبيح بذكر اسم ربك . أو بذكر ربك العظيم ، مترها له تعالى عما يقول الجاحدون لوحديته وقدرته ،



النهى . أو لا يجد طعمه وحلاوته ونفعه وبركته إلا المؤمنون به . الذين طهروا أنفسهم من الشرك والنفاق . وزدائل الأخلاق .

٨١ - ﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ ﴾ أتعرضون ! فهذا القرآن العظيم الذى ذكرت نعوته الجليلة أنتم متهاونون ! كمن يذهبن فى الأمر ؛ أى يلين جانبته ولا يتصلب فيه تهاوناً به . والإدهان فى الأصل : جعل الأديم ونحوه مدهوناً بشيء من الدهن ليلين ؛ ثم صار حقيقة عرقية فى المداراة

والملاينة . ثم تجوز به هنا عن التهاون ؛ لأن المتهاون فى الأمر يلين جانبته ولا يتصلب فيه . أو أنتم مكذبون ! إذ التكذيب من فروع التهاون . أو منافقون والمدهن : المنافق يلين جانبته ليخفى كفره ؛ فهو شبيه بالدهن فى سهولة ظاهره .

٨٢ - ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾ شكر رزقكم إذا مطرتم وسقيتم . ﴿ أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ ﴾ بكونه من الله تعالى ! فتقولون : مطرنا بنوء كذا . وهو سقوط النجم فى المغرب مع الفجر . أو وتجعلون شكركم لنعمة القرآن التكذيب به .

٨٣ : ٨٧ - ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُقُومَ ﴾ توبيخ لهم على تكذيبهم الآيات الدالة على أنهم تحت سلطانه وقهره سبحانه . من حيث ذوائهم وطعامهم وشرايهم وسائر أسباب معاشهم . أى إن

تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ ﴿٨٢﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُقُومَ ﴿٨٤﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٥﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٦﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٧﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٨﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٩﴾ فَرَوْحٌ

ومواقع النجوم : مساقطها ومنغارها فى السماء . جمع موقع ؛ من الوقوع بمعنى السقوط والغروب . وأقسم بها لما فيها من الدلالة على وجود مؤثر دائم لا يزول تأثيره . وجواب القسم : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ أى نفاع .

جَمَّ الفوائد والمنافع ؛ لاشتماله على أصول العلوم المهمة فى إصلاح المعاش والمعاد . ﴿ فى كتاب مَكْنُونٍ ﴾ مصون عن غير المقرئين من الملائكة . لا يطلع عليه سواهم ؛ وهو اللوح المحفوظ . أو مصون عن التبديل والتغيير ؛ وهو المصحف . ويتضمن ذلك الإخبار بالغيب ؛ لأنه لم يكن إذ ذاك مصاحف . ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ أى لا يطلع عليه قبل نزوله إلا الملائكة المقرَّبون ؛ وكفى عن ذلك بالمس للزومه له . أو لا يمس القرآن إلا المطهرون من الأحداث ؛ وهو خير بمعنى

الكافرون بنعمه مع عظمها وكثرتها . أو شاكرآ له على تلك النعم . أو متعجباً من غمط هؤلاء الكفار لها مع جلالة قدرها . وأقبل على إنذارهم بالقرآن والاحتجاج عليهم به ؛ فأقسم إنه لقرآن كريم .

٧٥ : ٧٩ - ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ أى فأقسم بمواقع النجوم . و« لا » مزيدة للتأكيد فى قول أكثر المفسرين ؛ مثلها فى قوله : ﴿ لَمَّا يَعْلَمِ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾ . وقيل : زيدت جريراً على سنن العرب من زيادتها قبل القسم . كما فى : لا وأنيك ! كأنهم ينقون ما سوى المقسم عليه فيفيد التأكيد . وقيل : هى للثقى ؛ أى لا أقسم بها . إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم ؛ أى أنه لا يحتاج إلى قسم أصلاً فضلاً عن هذا القسم العظيم .

وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ
الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ
كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَتَرْجُلٌ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾
وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٌ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾
فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

النار في الآخرة ، ومقاساة لألوان
عذابها .

٩٥ - ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾
أى إن الذى قصصناه عليك فى
هذه السورة هو الحق الثابت من
اليقين . واليقين : هو العلم
المتيقن الذى لا شك فيه . والله
أعلم .

أَقْرَبُ إِلَيْهِ) مستأنفة لتأكيد
توبيخهم على صدور ما يدل على
سوء اعتقادهم فى ربهم .

٨٨ - ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ
الْمُتَّقِينَ﴾ أى فأمّا إن كان المتوفى
الذى بين حاله من السابقين .

٨٩ - ﴿فَرَوْحٌ﴾ أى فله رحمة أو
فرح وسرور . ﴿وَرَيْحَانٌ﴾
استراحة ، أو طيب رائحة عند
قبض رُوحه وفى قبره . وعند
بعثه ، وجئة ذات نعيم فى
آخِرته .

٩١ - ﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ
الْيَمِينِ﴾ أى فيقول الملائكة
للمتوفى من أصحاب اليمين عند
قبض رُوحه وفى قبره وفى الجنة :
سلام لك يا صاحب اليمين من
أصحاب اليمين ؟

٩٣ ، ٩٤ - ﴿فَتَرْجُلٌ مِنْ حَمِيمٍ .
وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ﴾ أى فله قرى
وإكرام عذاب شديد فى البرزخ
بحرارة النار ودخانها ، وإدخال فى

كنتم أيها الجاحدون لآياتنا .
المكذبون لرسولنا ، المنكرون
لقدرتنا على سائر شئونكم - غير
مربوبين لنا ، ولا مقهورين
بسلطاننا ، وكنتم صادقين فى
اعتقادكم ذلك ؛ فهلا تردّون إلى
المختصر رُوحه إذا بلغت حلقومه ،
وشارفت الخروج من جسده ؟
وأنتم تشاهدون ما يقاسيه من هول
الفرع وسكرات الموت !
وتحرصون كلّ الحرص على إنجائه
منه ؟ ونحن أقرب إليه منكم بعلمنا
وقدرتنا ، حيث لا تعرفون كنه
حالته ، ولا تفقهون أسبابها
الحقيقية ، ولا تقدرون على
دفعها . ونحن العالمون بها ،
المسيطرون عليها ، النازعون لروحه
من هيكلها الجسائى . ولكنكم لا
تدركون ذلك لفرط جهالتكم
بربكم ؟ وحاصل المعنى : أنكم
إن كنتم غير مربوبين كما تقتضيه
أقوالكم وأعمالكم ، فما لكم لا
ترجعون الرُوح إلى البدن إذا بلغت
الحلقوم ! وتردّونها كما كانت
بقدرتكم وسلطانكم ! و(لَوْلَا)
حرف تحضيض بمعنى هلا .
و(لَوْلَا) الثانية تأكيد لها . و(إذا)
ظرف لقوله : (ترجعونها) أى
تردّونها ، وهو جواب الشرطين :
(إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ - إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ) . و(غَيْرَ مَدِينِينَ) أى
غير مربوبين لنا ؛ من دان السلطان
الرعية : إذا ساسهم وتعبدهم .
وجملة (وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) حال من
فاعل (بَلَّغْتَ) . وجملة (وَنَحْنُ

(٥٧) سُورَةُ الْحَدِيدِ مَدَنِيَّةٌ وَأَيَاتُهَا ٢٩ نَزَلَتْ بَعْدَ الزَّلْزَلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي
وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ
وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى
الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا
يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَوْمَ لَا يَمْنَعُ الْكَافِرِينَ ﴿٥﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ
الْوَسِيلَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ بِنُورٍ مِنَ اللَّهِ فَذُكِّرُوا بِالْكَافِرِينَ ﴿٦﴾

سُورَةُ الْحَدِيدِ

وتصرفه ، وهو المراد من قوله تعالى : (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) (١) ، من سَبَّحَ في الأرض والماء يسبح : ذهب وأبعد فيها ، واللام للتأكيد ، كما في شكرت له . وعبر هنا وفي الحشر والصف بالماضي . وفي الجمعة والتغابن بالمضارع . وفي الأعلى بالأمر . وفي الإسراء بالمصدر ، استيفاءً للجهات المشهورة لهذه المادة . وإعلاماً بتحقيق تسييع الكائنات لخالقها في جميع

١ - ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ نزه الله تعالى عما لا يليق به جميع العوالم . فتزنية الملائكة والمؤمنين من الثقليين بلسان المقال . وتزنية باقي الخلق بلسان الحال ؛ بمعنى دلالتها على وجوده وتزنيته . فإن كل الموجودات دالة بإمكانها وحدوثها على الصانع القديم . المتصف بكل كمال . المُنَزَّه عن كل نقص . خاضعة لسلطانِه

(١) آية ٤٤ الإسراء .

الأوقات . ﴿الْعَزِيزُ﴾ القادر الغالب على كل شيء .

٣ - ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ أى السابق على جميع الموجودات . من حيث إنه موجودها ومحدثها ؛ فهو موجود قبل كل شيء بغير حد ولا بداية . ﴿وَالْآخِرُ﴾ أى الباقى بعد فناها . وجميع الموجودات الممكنة إذا نظر إليها في ذاتها ، وقُطِعَ النظر عن مُبْقِيهَا . فانية . والله تعالى هو الباقى بعد كل شيء بغير نهاية . ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ أى الظاهر وجوده بالأدلة الواضحة . أو الغالب العالى على كل شيء . ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ أى المحتجب بكنه ذاته عن إدراك الأبصار والحواس والعقول . أو العالم بما بطن - أى خفى - من الأمور . يقال : أنت أبطن بهذا الأمر ، أى أخفى به وأعلم .

٤ - ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ ..﴾ [آية ٥٤ الأعراف ص ٢٠٧] . ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواء يليق به سبحانه ! بلا كيف ولا تمثيل ولا تشبيه [آية ٥٤ الأعراف] . ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ ..﴾ ما يدخل من مطر وغيره [آية ٢ سبا ص ٥٣٩] . ﴿مَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ ما يصعد إليها من الملائكة والأعمال . ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ يعلمه المحيط بكل شيء ، أى عالم بكم أينما كنتم . فالمة مجاز عن العلم بعلاقة السببية ، والقرينة السباق واللحاق مع استحالة الحقيقة .

وقد أول السلف هذه الآية بذلك ؛ كما أخرجه البيهقي عن ابن عباس والثوري . وفي البحر : أن الأمة مجمعة على هذا التأويل فيها . وأنها لا تحمل على ظاهرها من المعية بالذات لاستحالتها .

٦ - ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ .. بدخله [آية ٢٧ آل عمران ص ٧٧] . ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أى بمكنوناتها من نيات ومعتقدات وخبر وشر . ١٠ - ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أى يرث كل شئ فيها ، ولا يبقى لأحد مال ولا ملك . والجملة حال من فاعل (لا تنفقوا) . أو من مفعوله المعلوم مما تقدم . ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ﴾ .. هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار .

١٠ - ﴿قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ فتح مكة أو صلح الحديبية . ﴿الْحَسَنَى﴾ المثوبة الحسنى (الجنة) .

١١ - ﴿يُقْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا﴾ حث من الله تعالى على الإنفاق في سبيله . مؤكداً للأمر السابق به وللتوبيخ على تركه . والقرض الحسن : الإنفاق من المال الحلال ، مع صدق النية وطيب النفس ، وابتغاء وجه الله تعالى به ؛ دون رياء أو سمعة ، أو من أو أذى . ومع نحوى أكرم الأموال وأفضل الجهات . والعرب تقول لكل من فعل فعلاً

وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لَتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرُكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ

حَسَنًا : قد أقرض ؛ ومضى قرضاً لأن القرض إخراج المال لاسترداد البذل . والله تعالى يُبدله أضعافاً . ١٢ - ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أى أمامهم . ﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ أى عنها . والمراد في جميع جهاتهم وذكر الأيمان لشرفها . ١٣ - ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ أى انظرونا للحق بكم نصب شيئاً من نوركم نستضيء به . وذلك أنه يُسرّع بالخلص إلى الجنة على نجب فيقول المنافقون : انظرونا لأننا مشاة لا نستطيع



يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا
نَقْتَسِبْ مِنْ ثَوْرِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا
فَضْرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ
مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا
بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ
الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾
فَالْيَوْمَ لَا يُوْخِذُكُمْ فِي ذِيَّةٍ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا يُؤْتِكُمْ
النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ * أَلَمْ يَأْنِ
لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ
الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ
فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ
فَلْسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَنْحِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

في النجاة من العقوبة بنحو قوله :
إِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ كَرِيمٌ لَا يَعَذِّبُكُمْ
وإن الله محسنٌ وحليمٌ . ولا يزال
الشیطان بالإنسان يعثره حتى يوقعه
في الهلكة .

١٥ - ﴿ هِيَ مَوْلَاكُمْ ﴾ أي النار
أولى بكم . والأصل : هي
مكانكم الذي يقال فيه هو أولى
بكم ، كما يقال : هو مئة
الكرم : أي مكان لقول القائل :
إنه لكرم . أو ناصركم ، من
باب قولهم : * تحية بينهم ضرب
وجيع . * أي لا ناصر لكم
إلا النار . والمراد : نفى الناصر
قطعاً بعد نفى أخذ القديسة
وخلاصهم بها من العذاب
ونظيره قوله تعالى : (وَأَنْ
يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ) (١)

١٦ - ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا .. ﴾
عتابٌ لطائفة من المؤمنين على
الفطور والتكاسل فيما تدبوا إليه ،
بعد أن أصابوا من لين العيش ما
أصابوا . أي ألم يأت الوقت الذي
تلين فيه قلوبهم فتخضع وتذل
لذكر الله والقرآن ؟! مضارعٌ أني
الشيء - كرمي - أنيا وأنا -
بالفتح - وإني - بالكسر -
حان أنه أي وقته ، فهو معتلٌ
خُذِفَتْ منه الياء للجازم . وقرئ
(يَشْنُ) كَيَسَعُ ، بمعنى يحنُّ
ويقربُ ، مضارعٌ أن أنيا - من
باب باع - أي حان . ﴿ أَنْ
تَخْشَعَ ﴾ وقت أن تخضع وترق
وتلين . ﴿ الْأَمَدُ ﴾ الاجل أو

لحوقكم . وقرئ (انظُرُونَا) بفتح
الهمزة وكسر الظاء ، من الإنظار
معنى الانتظار ، أي انظُرُونَا
والاقتباس في الأصل : طلبُ
القَبَسِ . أي الجذوة من النار ،
وتُجَوِّزُ به عما ذُكِرَ . ﴿ فَضْرِبَ
بَيْنَهُمْ بِسُورٍ ﴾ أي فضرب بين
المؤمنين والمنافقين سورٌ حاجزٌ .
قيل : هو الحجاب المذكور في
سورة الأعراف .
١٤ - ﴿ يُنَادُونَهُمْ ﴾ ينادي
المنافقون المؤمنين ﴿ فَتَنْتُمْ ﴾

١٧ - ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ..﴾ تمثيل لإحياء القلوب القاسية بذكر الله وآياته وتلاوة كتابه - بإحياء الأرض الموت بالغيث ؛ للترغيب في الخشوع ، والتحذير من القساوة والغلظة .

١٨ - ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ..﴾ أى والذين أقرضوا ؛ وحذف الموصول لدلالة ما قبله عليه .

١٩ - ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ..﴾ أى هم في حكمه تعالى بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو الرتبة ، ورفعة الدرجة . ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ أى لهم مثل أجرهم ونورهم يوم القيامة . وناهيك بما للصديقين والشهداء من الأجر والنور في ذلك اليوم ! . وحذف ما يفيد التشبيه في الجملتين ؛ للتنبيه على قوة الماثلة وبلوغها حد الاتحاد .

٢٠ - ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ..﴾ بيان لحال الحياة الدنيا التي ركن إليها الكفار المكذبون ، واطمأنوا بها - وقصروا همهم عليها - ولم يبالوا ما وراءها بأنها من المحقرات التي لا يركن إليها العقلاء . إذ هي لعب لا ثمرة له سوى التعب - وهو شاغل عما يعنى ويهمهم . وزينة لا يحصل منها شرف ذاتي ، كالملابس الجميلة والمراكب البهية . وتفاخر بالأنساب والعظام البالية - وتكاثر

قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْحَرِيمِ ﴿٩﴾ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَنَعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾

يتأتى له ؛ فاصفر بعد الخضرة . ثم صار حطاماً هثيماً من اليبس . و (كمثل) خبر مبتدأ محذوف ؛ أى مثله كمثل . و (الكفار) الرراع الذين يحرثون الأرض ويبدرون فيها البذر . وسئوا كفاراً من الكفر وهو السُّرُّ ؛ لسترهم البذر في الأرض للإنبات . وقيل : هم الكافرون بالله سبحانه . وخصوا بالذكر لأنهم

بالعدد والعدد . كمثل غيث أعجب الكفار نباته .. تقرير لما وُصفت به الدنيا . وتمثيل لها في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها وقلة جدواها ؛ للتفكير عن العكوف عليها ، وجعلها الغاية والمقصد الأعلى - بحال نبات أنبت الغيث فاستوى وأعجب به الحرث . ثم هاج - أى يبس - بعاهة بعد نضارته . أو ثار ونما إلى أقصى ما

أَسَى عَلَى كَذَا - بالكسر - يَأْسَى
أَسَى ، حَزَنَ فَهُوَ أَسَى . وَأَسَيْتُ
عَلَيْهِ - كَرَضَيْتُ - أَسَى :
حَزَنْتُ . ﴿عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ من
نعم الدنيا حَزَنَ قَنُوطُ ﴿وَلَا تَفْرَحُوا
بِمَا آتَاكُمْ﴾ منها فَرَحَ بَطَرُ وَأَشْرَ ؛
فَإِنْ مِنْ عِلْمٍ أَنَّ ذَلِكَ مُقَدَّرٌ أَرْلًا مِنْ
اللَّهِ تَعَالَى رَضَى وَاطْمَأَنَّ . وَصَبَرَ
أَوْ شَكَرَ . ﴿مُخْتَالٌ﴾ متَكَبِّرٌ عَنْ
تَحِيلِ فَضِيلَةِ تَرَاءَتْ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ
﴿فَخَوِرَ﴾ عَلَى النَّاسِ بِبَاهِيهِمْ
بِنَحْوِ الْمَالِ وَالْجَاهِ .

٢٥ - ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ أَيْ وَأَنْزَلْنَا
مَعَهُمُ الْمِيزَانَ ؛ أَيْ الْعَدْلَ فِي كُلِّ
الْأُمُورِ بِأَنْزَالِ الْكِتَابِ الْإِلَهِيِّ
الْمُتَضَمِّنَةِ لَهُ . أَوْ هُوَ مَا يُوْزَنُ بِهِ
وَيُنْعَمَلُ . وَأَنْزَلَهُ : أَمَرَ النَّاسَ
بَاتِّخَاذِهِ مَعَ تَعَلُّمِ كَيْفِيَّتِهِ . ﴿لِيَقُومَ
النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أَيْ بِالْعَدْلِ فِي
كُلِّ شَوْنِهِمْ . أَوْ فِي مَعَامِلَاتِهِمْ .
﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ أَيْ خَلَقْنَاهُ
لَكُمْ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى (وَأَنْزَلَ لَكُمْ

مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) (١) .
أَوْ هَيَّأَنَاهُ لَكُمْ وَأَنْعَمْنَا بِهِ عَلَيْكُمْ ؛
وَعَلَّمْنَاكُمْ اسْتِخْرَاجَهُ مِنَ الْأَرْضِ
وَصَنَعَتَهُ بِالْهَامَانِ . ﴿فِيهِ بَأْسٌ
شَدِيدٌ﴾ أَيْ فِيهِ قُوَّةٌ وَشِدَّةٌ ، فَمِنْهُ
جُنَّةٌ وَسِلَاحٌ . وَأَلَاءٌ لِلْحَرْبِ
وغيره . وَفِي الْآيَةِ إِشَارَةٌ إِلَى
اِحْتِيَاجِ الْكِتَابِ وَالْمِيزَانِ إِلَى الْقَائِمِ
بِالسَّيْفِ ؛ لِيَحْضِلَ الْقِيَامُ
بِالْقِسْطِ . ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ فِي
مَعَاشِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ . وَمَا مِنْ
صَنْعَةٍ إِلَّا وَالْحَدِيدُ أَهْمُهَا ؛ كَمَا هُوَ
مُشَاهِدٌ . فَالْمَثَلُ بِهِ عَظُمَى . ﴿إِلَّا

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا
فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾
لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ
وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا
مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا
الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ
مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ
وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾

كَالْجَدَبِ وَالْعَاهَةِ وَالزَّلْزَالِ
وَالطُّوفَانِ . وَلِلنَّاسِ ؛ كَالْمَرْضِ
وَالْآفَاتِ وَالْآلَامِ . ﴿إِلَّا فِي
كِتَابٍ﴾ أَيْ إِلَّا مَكْتُوبَةٍ فِي الْلَوْحِ
الْمَحْفُوظِ ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ أَيْ
نَخْلُقَهَا . وَقِيلَ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى ؛
وَأُطْلِقَ عَلَيْهِ كِتَابٌ لِلنَّبِيِّ إِلَى أَنَّهُ لَا
يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا
وَأَثَبَهَا ؛ كَمَا يُثَبَّتُ الشَّيْءُ فِي
الْكِتَابِ .

٢٣ - ﴿لَكِنِّي لَا تَأْسَوْا﴾ أَيْ
أَخْبَرْنَاكُمْ بِذَلِكَ لِكَيْ لَا تَحْزَنُوا ؛
مِنْ الْأَسَى وَهُوَ الْحَزَنُ . يَقَالُ :

أَشَدُّ إِعْجَابًا بِزِينَةِ الدُّنْيَا وَاعْتِرَازًا
بِهَا . وَ ﴿يَهِيحُ﴾ يَسِرُ فِي
أَقْصَى غَايَتِهِ [آيَةُ ٢١ الزَّمَرِ
ص ٥٨٧] . ﴿يَكُونُ خَطَامًا﴾
فَتَاتًا هَشِيمًا مُتَكَسِّرًا بَعْدَ يَسِهِ .
٢١ - ﴿سَابِقُوا﴾ سَارِعُوا
مَسَارَعَةَ الْمُسَابِقِينَ فِي الْمَضَامِ .
﴿عَرَضُهَا كَعَرَضِ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ﴾ [آيَةُ ١٣٣ آلِ عِمْرَانَ
ص ٩٥] .

٢٢ - ﴿مَا أَصَابَ مِنْ
مُصِيبَةٍ﴾ أَيْ نَائِبَةٍ مِنْ نَوَائِبِ
الدُّنْيَا الَّتِي تَعْرِضُ لِلْأَرْضِ ؛

ثُمَّ قَفَيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَافَةً
وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ
رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَفَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا
مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنَ
رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ لَكَ أَهْلٌ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ

وسلم . يؤتكم نصيبين من
الأجر : نصيباً على الإيمان به .
ونصيباً على الإيمان بالرسول
السابقين . كما أعطى الله مؤمنى
أهل الكتاب نصيبين من الأجر :
أحدهما للإيمان بالرسول صلى الله
عليه وسلم . والآخر للإيمان
بالرسول السابق الذى نُسِحت
شريعته بالشريعة المحمدية . نزلت
حين افتخر مؤمنو أهل الكتاب على
الصحابة بأن لهم أجرين ، كما قال
تعالى فى حقهم : (أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ
أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ) ^(١) وأن المؤمنين من
غيرهم لهم أجرٌ واحدٌ . فجعل الله
لهؤلاء أجرين مثلهم . وزادهم
التور يمشون به يوم القيامة .
والكفل : النصيب [آية ٨٥
النساء ص ١٢٤] .

يرضاه ولا يرضى الله . وسلكوا فى
العبادة الباطلة مسلك الرهينة
الأولى ، فجمعوا إلى الكفر بالله
المبالغة فى التعبد الباطل ، وذلك
قوله تعالى : ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ
رِعَايَتِهَا﴾ فإرعاها أخلافهم
الذين أتوا بعدهم . ﴿فَاتَيْنَا الَّذِينَ
آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ وهم
أسلافهم الذين كانوا على الحق .
﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ وهم
أخلافهم ولخروجهم عن طاعة
الله . وكفرهم به بزعم التثليث ،
أو ألوهية عيسى . أو أنه ابن
الله ، تعالى الله عما يقولون علواً
كبيراً ! وهم فى الواقع على دين
غير دين عيسى عليه السلام .
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا
اللَّهَ﴾ أى اثبتوا على التقوى
والإيمان برسوله صلى الله عليه

الله قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿ قَوِيٌّ فى أخذه .
عَزِيزٌ فى انتقامه . منيعٌ غالب .
٢٧ - ﴿ثُمَّ قَفَيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ
بِرُسُلِنَا﴾ ثم أرسلنا بعدهم
رسولاً بعد رسول . حتى انتهينا إلى
عيسى عليه السلام [آية ٨٧
البقرة ص ٢٢] . ﴿وَجَعَلْنَا فِي
قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ وهم
الحواريون وأتباعهم الذين آمنوا
بأنه عبد الله ورسوله . وبالكتاب
الذى جاءهم به ، ولم يغيروا ولم
يبدلوا شريعته وكتابه . ﴿رَافَةً﴾
ليلاً وخفض جناح . ﴿وَرَحْمَةً﴾
شفقة . أما الذين جاءوا بعدهم
فغيروا وبدلوا . وغلوا فى عيسى
حتى جعلوه إلهاً ، أو جزءاً إله ،
فهم بمعزل عن الحق ، وعن الرافة
والرحمة اللتين أودعها الله فى
قلوب الذين اتبعوه . وقد تعالى
أولئك الذين اتبعوا عيسى عليه
السلام فى العبادة . وحمّلوا
أنفسهم المشاق الزائدة فيها وفى ترك
النكاح ، واستعمال الخشن فى
المطعم والمشرب والملبس . مع
التقلل منها ، وحسبوا أنفسهم فى
الصوامع والأذيرة والكهوف
والغيران ! وكان ذلك ابتداءً
من تلقاء أنفسهم ، لم يؤمروا به .
ولم تجئ به شريعتهم . ولكهم
الترموه ابتغاء مرضاة الله تعالى ،
وذلك قوله تعالى : ﴿وَرَهْبَانِيَّةً
ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا
ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ ثم جاء
أخلافهم فغيروا وبدلوا فى دين
الله ، وزعموا فى عيسى ما لا

عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن
يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٥٨﴾

(٥٨) سُوْرَةُ الْمَجَادِلَةِ الْمَدَنِيَّةِ
وَايَاتُهَا ٢٢ نَزَلَتْ بَعْدَ الْمُنَافِقُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْكِي
إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٥٩﴾
الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِمْ مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ
إِنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِلَّا آلٌ لِّأَنفُسِكُمْ وَلَٰئِن مِّنْ مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ
مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ وَالَّذِينَ
يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ
مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٦١﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ

سورة المجادلة

١ - ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ..﴾ تراجعك الكلام في شأن زوجها وظهاره منها : من المجادلة وهي المفاوضة على سبيل المنازعة والمُعَالَبَةِ . وأصلها من جذك الحبل : إذا أحكمت قتلته . ﴿وَتَشْكِي﴾ تظهر بئها وحزنها وتضرع ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ في

٢٩ - ﴿لَيْلًا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ..﴾ أي أعلمناكم بذلك ليعلموا أنهم ليسوا بملاك فضله سبحانه ! فَيُزَوِّوهُ عن المؤمنين . ويستبدوا به دونهم . ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ وقد أعطى الله المؤمنين من غيرهم أجريْن كما أعطاهم أجريْن . والله أعلم .

(١) رواه ابن أبي حاتم .

أمرها : من الشكوى . وأصله فتح الشكوة وإظهار ما فيها : وهي سقاء صغير يجعل فيه الماء : ثم شاع فيها ذكر . نزلت في خولة بنت ثعلبة : وزوجها أوس بن الصامت : حين ظاهر منها بقوله : أنت على كظهر أمي . وكان ذلك في الجاهلية تحريماً مؤبداً : كما قدمنا أول سورة الأحزاب : وهو أول ظهار في الإسلام : فشكت أمرها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها : (ما أراك إلا قد حرمت عليه) (١) . فما زالت تجادله حتى نزلت الآيات الأربع . والسماح : كناية عن الإجابة والقبول . ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ تراجعكما الكلام . يقال : حاورته : راجعته الكلام . وأحار الرجل الجواب : رده . وما أحار جواباً : ما رده .

٢ - ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ..﴾ أي يقولون لنسائهم : أنئن علينا كظهور أمهاتنا : قاصدين بذلك تحريمهن على أنفسهن كتحريم أمهاتهم . ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ أي ليس نسائهم : أمهاتهم على الحقيقة : فهو كذب محض . ﴿وَأَنَّهُمْ لَيَقُولُنَّ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ﴾ ينكره الشرع والعقل والطبع . ﴿وَزُورًا﴾ كذباً وباطلاً . منحرفاً عن الحق .

٣ - ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ﴾ تفصيل لحكم الظهار شرعاً . ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ يرجعون عما



قالوا فريدون الوطة . أو يرجعون لتحليل ما حرموه على أنفسهم بالطهارة . ﴿تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ فعليهم إعتاق رَقَبَةٍ . ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا﴾ أى يستمتع أحدهما بالآخر . فيحرم عليهما الجماع ودواعيه قبل التكفير . وتفصيل أحكام الطهارة في الفقه .

٥ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ نزلت في غزوة الأحزاب بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين . أى إن أعداءكم المتحزبين القادمين عليكم سيكفون ويدلون . ويتفرق جمعهم فلا تخشوا بأنهم . والمُحَادَّةُ : المُعَادَاةُ . وأصلها أن تكون في حدٍّ يخالف حدَّ صاحبك ؛ فيكفى بها عن المُعَادَاة لكونها لازمة للمُعَادَاة . ﴿كُتِبُوا﴾ أى سيكفون ويدلون . أو يُهْلَكُونَ . يقال : كُتِبَ الله العدو كُتِبًا - من باب ضرب - أهانه وأذله . وَكُتِبَ : كُتِبَ . أى صرعه لوجهه .

٦ - ﴿أَحْصَاءُ اللَّهِ﴾ أحاط بأعمالهم عددًا . ولم يقفه سبحانه منها شيء . والمراد : أنه أحاط بها علمًا . ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مطلع لا يغيب عنه أمر من الأمور أصلاً .

٧ - ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ...﴾ أى ما يقع من تناجي ثلاثة . أى مُسَارَرَّتِهِمْ بالحديث بحيث لا يسمعه غيرهم ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ أى إلا هو تعالى يعلمه

مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ﴿فَن لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٤ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ٥ يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنُسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٦ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٧ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوْنَا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهَوْا عَنْهُ وَيَتَنَجَّجُونَ بِالْآثِمِ وَالْعُدُودِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَهُمْ حَيْوَتُكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسُ الْمَصِيرُ ٨ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّجْتُمْ

كأنه حاضر معهم . مشاهد لهم ؛ تصيير الله تعالى لهم أربعة ؛ حيث كما يعلمه الرابع يكون معهم في إنه سبحانه يطلع على نجواهم . التناجي . أى ما يكونون في حال فلا استثناء مفرغ من أعم من الأحوال ثلاثة . إلا في حال الأحوال . وكذلك يقال في

فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِيمِ وَالْعُدُودِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا
بِالْيَمْرِ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾
إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَلَيْسَ بِضَارٍّ لَهُمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا
فِي الْمَجْلِسِ فَاَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ
أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا بِرَقْعِ اللَّهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا
الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ
صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ

قوله : (إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ) ، (إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ) . وخص الثلاثة والخمسة بالذكر لأن قوماً من المنافقين تحلفوا للتجاني فيما بينهم مغايطة للمؤمنين . وكانوا مرة ثلاثة ، ومرة خمسة ، فنزلت الآية تعريضاً بالواقع .

٨ - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوْنَا عَنِ النَّجْوَى﴾ تعجباً للرسول صلى الله عليه وسلم من اليهود والمنافقين . فقد كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم على المؤمنين ليعيظوهم ، ويوهموهم

(١) رواه البخاري وسلم

وسلم ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ هَلَّا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بسبب ذلك القول لو كان محمد نبياً ؟ أى لو كان نبياً حقاً لعذبنا الله بما نقول له ! وأسند في الآية فعل البعض إلى اليهود والمنافقين جميعاً لرضاهم به .
﴿حَسَبَهُمْ جَهَنَّمُ﴾ كافهم جهم عذاباً ﴿يَصَلُّونَهَا﴾ يدخلونها أو يقاسون حرها .
٩ - ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالسنتهم ولم تؤمن قلوبهم . وهم المنافقون .

١٠ - ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى﴾ المعهودة منكم فيما بينكم ومع اليهود ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ أى من تزيينه ووسوسته ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ليوقعهم في الحزن بما يحصل لهم من توهم أنهم في نكبة أصابتهم . والحزن الهم . يقال : حزنه - من باب قتل - جعل فيه حزناً ، فهو محزون وحزين ، كأخزته . ﴿وَلَيْسَ﴾ الشيطان . أو التجاني ﴿بِضَارٍّ لَهُمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بقضائه وقدره .

١١ - ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا﴾ أمر الله المؤمنين بما هو سبب للتوافق والتوافق . إذا اجتمعوا في أى مجلس للخير والأجر ، كحرب أو درس علم أو صلاة جمعة ، أو عيد أو نحو ذلك ، ومنه مجلسه صلى الله عليه وسلم . أى إذا قال لكم قاتل : توسّعوا في المجالس : ليُفسح بعضكم لبعض . ولا تتضاؤوا

بذلك أن أقاربهم قتلوا في الغزو ليحزنوهم . فنهاهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فعادوا لما نهوا عنه ، فنزلت الآية . ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ﴾ وكان اليهود إذا جاءوا للنبي صلى الله عليه وسلم يحويونه بقولهم : السَّامُ عليك . يوهمون السلام ظاهراً . ويعنون الموت باطناً . فيقول النبي صلى الله عليه وسلم : (وعليكم) . وهو يعلم ما يعنون . فنزلت الآية . ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ إذا خرجوا من عنده صلى الله عليه



صَدَقْتَ فَإِذَا ذُرَّ تُفَعَّلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ
مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ
أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا

فيها . يقال فسخت له في المجلس
فسحًا - من باب نفع - قرحت له
عن مكان يسعه . وتفسح القوم في
المجلس : توسعوا فيه . ﴿ وَإِذَا قِيلَ
أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا ﴾ وقرئ بكسر
الشين فيهما . وهما بمعنى واحد .
أى وإذا قيل : ارتفعوا عن
مواضعكم في المجالس للتوسعة على
المقبلين : فارتفعوا ولا تتناقلوا .
يقال : نَشَرِيْشُرُوْا ينشُرُ - من بابي
نصر وضرب - إذا ارتفع عن
مكانه .

١٢ ، ١٣ - ﴿ إِذَا نَاجَيْتُمُ
الرَّسُولَ ﴾ أى أردتم مسارته في أمر
ما ﴿ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ ﴾
صدقة ﴿ للفقراء . روى عن ابن
عباس أن الناس سألوا الرسول
صلى الله عليه وسلم وأكثروا حتى
شق عليه ؛ فأراد الله أن يخفف
على نبيه فأمرهم أن يقدموا صدقة
على مناجاته . وعن مقاتل : أن
الأغنياء كانوا يأتون النبي صلى الله
عليه وسلم فيكثرون مناجاته ،
ويغلبون الفقراء على مجالسه ؛
حتى كره عليه الصلاة والسلام
طول جلوسهم ومناجاتهم . فنزلت
الآية . ولم يبين فيها مقدار
الصدقة الواجبة ؛ ولعله ما يعُدُّ في
العُرْف صدقة تسدُّ حاجة الفقير .
وقد أمر بها الواجد لها دون
الفقير . واستمر الحكم زمانًا قليل
عشرة أيام . ثم نسخ بعد العمل به
زمانًا بقوله تعالى في الآية التالية :
١٣ - ﴿ أَشْفَقْتُمْ ﴾ أخفتم الفقر
والعيلة . ﴿ وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾

حين شق الأمر على الأغنياء ،
وظهر منهم الخوف من الفقر
إذا استمر الحكم ؛ وهم
حريصون على المناجاة لشدة
حاجتهم إليها . والآية الناسخة
متأخرة في النزول ، وإن كانت
تالية للآية المنسوخة في التلاوة .
والظاهر - والله أعلم - أن
الحادثة من باب الابتلاء
والامتحان ؛ ليظهر للناس محب
الدنيا من محب الآخرة ؛ والله
بكل شيء عليم .
١٤ - ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا
قَوْمًا .. ﴾ تعجب من حال
المنافقين الذين اتخذوا اليهود
أولياء . بُنَاصِحُونَهُمْ وينقلون
إليهم أسرار المؤمنين . أى ألم تنظر
إلى هؤلاء المنافقين الذين والوا
اليهود المغضوب عليهم ؛ ما هم
من المؤمنين ولا من اليهود ، بل
هم مذبذبون بين هؤلاء وهؤلاء .
﴿ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ هم
اليهود .
١٦ - ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ ﴾
الفاجرة ﴿ جُنَّةً ﴾ وقاية وسرّة
يدفعون بها عن أنفسهم
وأموالهم ؛ من الجنّ وهو ستر
الشيء عن الحاسة .
١٧ - ﴿ لَنْ تَغْنِي .. ﴾ لن
تدفع ..

الايمل يحوذها ، أى ساقها سوقاً
عنيفاً . أو من قولهم : استحوذ
البعير على الأتان . أى استولى على
خاذيئها ، أى جانبى ظهرها ،
ثم أطلق على الاستيلاء .

٢٠ - ﴿يُحَادُّونَ﴾ يعادون
ويشاقون . ﴿فِي الْأَذْلَيْنِ﴾ أى
في عداد أذل خلق الله تعالى ،
وهم حزب الشيطان . أمّا المؤمنون
فلا يوادون إلا أحباب الله .

٢١ - ﴿عَزِيزٌ﴾ غالب على
أعدائه غير مغلوب .

٢٢ - ﴿بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ بنور
يقذفه في قلوبهم . أو بالقرآن
﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ
اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ والله
أعلم .

سورة الحشر

وُسَمِيَ سَورَةً بِبَنِي النَّصِيرِ

١ - ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ﴾ . تَرَاهُ اللَّهُ تَعَالَى عَمَّا
لَا يَلِيقُ بِهِ جَمِيعُ الْعَوَالِمِ [آية ١
الحديد ص ٧٠٠] . نَزَلَتْ هَذِهِ
السُّورَةُ فِي بَنِي النَّصِيرِ . وَهُمْ رَهْطٌ
مِنَ الْيَهُودِ مِنْ ذُرِّيَّةِ هَارُونَ بَقَرِ
الْمَدِينَةِ . وَكَانُوا قَدْ صَالَحُوا الرَّسُولَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنْ يَكُونُوا
عَلَيْهِ وَلَا لَهُ ، فَلَمَّا هَرَمَ الْمُسْلِمُونَ فِي
غَزْوَةِ أُحُدٍ أَظْهَرُوا الْعِدَاوَةَ لَهُ .
وَنَقَضُوا الْعَهْدَ ، وَحَالَفُوا قَرِيشًا
عَلَى أَنْ يَكُونُوا يَدًا وَاحِدَةً عَلَيْهِ

فَيَحْلِفُونَ لَهُ ، كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ، وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ
فَأَنسَهُمُ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ
حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ - أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَيْنِ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ
أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ
كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ
أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ
وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ
حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

حِزْبُ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

(٥٩) سُورَةُ الْحَشْرِ مَدَانِيَّةٌ

وَأَيَّاهَا ٢٤ نَزَلَتْ بَعْدَ الْبَيِّنَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ

١٩ - ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ استولى عليهم وغلبهم
بوسوسته وتزيينه حتى اتبعوه ،
مِنَ الْحَوَظِ . وَهُوَ أَنْ يَتَّبِعَ السَّائِقَ
خَاذِلِيَّ الْبَعِيرِ . أَيْ أَدْبَارَ فَخْذِهِ
فَيَعْتَفُ فِي سَوْقِهِ . يُقَالُ : حَادَّ

الْكُتَيْبِ مِنْ دَيْرِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا
وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ
حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُجْرِبُونَ بِيُوتَهُمْ
بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿١﴾
وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُسَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٣﴾
مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَبَنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ
اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَا آفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ

مثل عقوبتهم . والاعتبار : من
العبور والمجازة من شيء إلى
شيء ؛ ومنه العبرة لانتقالها من
العين إلى الخد ، واعتبار القائس
لانتقاله من الأصل إلى الفرع .
٣- ﴿ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ ﴾
قدّر وقضى عليهم الخروج أو
الإخراج من وطنهم على هذه
الصورة اللاتقة بهم جزاء
خيانتهم . يقال : جلا عن وطنه
وجلاه عنه جلاء ، خرج .
وأجلاه عنه إجلاء : أخرجه .
والواحد جال ، والجماعة جالية .
٤- ﴿ شَاقُّوا اللَّهَ ﴾ عادوه
وخالفوه ؛ فكانوا في شق وجانب
غير شقه وجانبه . ومشاققتهم
لرسول صلى الله عليه وسلم

(لِدُلُوكِ الشَّمْسِ) (١) . ﴿ مَا
ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ﴾ لعزيمتهم
ومنعتهم . ﴿ وَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ
حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ ﴾ أى من بأسه
ونقمته . ﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ
لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ فأخذهم الله من
حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم أنهم
يؤخذون . وكانوا يظنون بالمسلمين
الضعف في ذلك الوقت .
﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾
ألقى فيها الخوف والفرع الشديد .
وأصل القذف : الرمي بقوة أو
من بعيد . والرعب : الانقطاع
من امتلاء القلب بالخوف .
﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾
فاتعظوا بما نزل بهم ، واحذروا
أن تفعلوا مثل فعلهم ؛ فتعاقبوا

صلى الله عليه وسلم . وكان أشدهم
حرباً على الإسلام ، وفحشاً في
الرسول صلى الله عليه وسلم
زعيمهم : كعب بن الأشرف .
الذى اغتاله محمد بن مسلمة ؛
فحاصره النبي صلى الله عليه
وسلم إحدى وعشرين ليلة . وما
قذف الله في قلوبهم الرعب وأيسوا
من نصرة المنافقين لهم كما وعدهم
عبد الله بن أبي رأس المنافقين
بالمدينة - طلبوا الصلح فأبى عليهم
الرسول صلى الله عليه وسلم إلا
الجللاء ؛ على أن لهم ما أقلت
الإبل من الأمتعة والأموال . إلا
السلاح . فجللوا إلى خيبر
والحيرة . وأريحاء وأذرعات
بالشام . وكانوا أول من أجلي من
أهل الذمة من الجزيرة . وكان
جلاؤهم أول حشر من المدينة . ثم
أجلي آخرهم في عهد عمر بن
الخطاب رضى الله عنه ؛ وهو آخر
حشر لهم منها . وقد دبروا أثناء
الحصار العذر بالرسول صلى الله
عليه وسلم والفتك به ؛ فأطاعه الله
على كيدهم .
٢- ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ أى بنى
النضير . ﴿ مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾ قرب
المدينة على ميلين منها . ﴿ لِأَوَّلِ
الْحَشْرِ ﴾ أى عند أول حشر ؛ أى
إخراج إلى الشام وغيرها .
والحشر : إخراج الجماعة عن
مقرهم . وإزعاجهم عنه إلى
الحرب وغيرها . واللام
للتوقيت ؛ كما في قوله تعالى :

مِنْهُمْ فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾
 مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
 وَلِلَّذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ
 كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا أَتَاكُمْ الرَّسُولُ
 فَخُذُوهُ وَمَنْهُنَّكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
 الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ

واحد . وذكره تعالى افتتاح كلام
 للتبني والتبرك ، فإن الله ما في
 السماوات وما في الأرض . وفيه
 تعظيم لشأن رسوله صلى الله عليه
 وسلم . وجعل أربعة أخماسه الباقية
 لمصالح المسلمين على ما يراه صلى
 الله عليه وسلم ، وله أن يعم بها
 وأن يخص . ولذلك احتبس صلى
 الله عليه وسلم من أموال بني النضير
 شيئاً لنوائبه وما يعرفه . وقسم
 أكثرها بين فقراء المهاجرين ، ولم
 يعط الأنصار منها شيئاً سوى ثلاثة
 نفر أعطاهم لفقريهم . وقال
 للأنصار : (إن شئتم قسمت أموال
 بني النضير بينكم وبينهم وأقيم على

مواساتهم في ثماركم . وإن شئتم
 أعطيتها للمهاجرين دونكم وقطعتم
 عنهم ما كنتم تعطونهم من
 ثماركم) ؟ فقالوا : بل تعطيم
 دوننا ، ونقيم على مواساتهم ،
 فأعطى المهاجرين دونهم . فاستغنى
 القوم جميعاً^(١) المهاجرون بما
 أخذوا ، والأنصار بما رجع إليهم
 من ثمارهم . و«أهل القرى» هم
 أهل قرى الكفار عامة ، الذين
 نيلت أموالهم صلحاً بغير إجماع
 خيل ولا ركاب . (ولذي القرى)
 هم بنو هاشم وبنو المطلب .

٧- ﴿كَيْ لَا يَكُونَ﴾ الفية
 الذي حقه أن يكون للفقراء
 يعيشون به . ﴿دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ
 مِنْكُمْ﴾ خاصة ، أي حظاً
 بينهم ، تتكاثرون به . أو متداولاً
 تعاورونه فيما بينهم فلا يصيب
 الفقراء . والدولة - بالضم

وأفاته عليه : إذا رددته عليه .
 والإجماع : الإسراع في السير .
 يقال : أوجفت البعير ، أسرته .
 والركاب : الإبل . نزلت حين
 طلب الصحابة منه صلى الله عليه
 وسلم أن يقسم بينهم أموال بني
 النضير قسمة الغنائم ، فبين الله
 تعالى أنها فيء لا غنيمه إذ أنهم لم
 يقطعوا لها شقة ، ولم يلقوا فيها
 مشقة ، ولم يلتحموا فيها بقتال
 شديد ، بل ذهبوا إلى قرأها رجلاً ،
 وكانت على ميلين من المدينة ،
 وفتحت صلحاً . فهي للرسول صلى
 الله عليه وسلم خالصة ، يتصرف
 فيها كما أمره الله تعالى في الآية
 التالية ، حيث جعل فيها خمس
 الفية من أموال الكفار عامة
 مقسوماً على خمسة أسهم لمن
 ذكرهم الله فيها ، لا على ستة لأن
 سهمه سبحانه وسهم رسوله سهم

مشاققة لله تعالى .
 ٥- ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْتَةٍ﴾
 واحدة اللين ، وهو النخل كله .
 أو إلا العجوة . أو هو كرام
 النخل . أو واحدة اللون ، وهو
 جميع ألوان التمر سوى البرتي
 والعجوة ، ويسميه أهل المدينة
 الألوان . وأصل لينة لونة ،
 فقلبت الواو ياء لكسر ما قبلها .
 نزلت حين اختلف الصحابة في
 قطع نخل لبني النضير كان موضعاً
 للقتال ، فمنهم من قطع ، ومنهم من
 أمسك . أي أي شيء قطعتم منه أو
 تركتم على ما هو عليه فأمروا الله
 تعالى ، فلا جناح عليكم في شيء
 منها ولا لوم ﴿عَلَى أَصُولِهَا﴾
 على سوقها .

٦- ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ
 مِنْهُمْ﴾ الفية : الرجوع .
 يقال : فاء عليه ، إذا رجع

وبالفتح - اسم لما يدور من الجد والخط . أو لما يتداول في الأيدي ؛ فيحصل في يد هذا تارة ، وفي يد هذا تارة . وقال ابن العلاء : اللولة - بالضم - في المال . وبالفتح في الحرب . وظاهر التعليل : اعتبار الفقر في الأصناف الأربعة الأخيرة . ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ أى يجب عليكم الإذعان والعمل بكل ما جاءكم به الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ ومنه ما يأمر به في الفقه . ولناكيد التعميم عقبه بقوله : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ أى في كل أمر ونهى . وفي الآية دليل على وجوب الأخذ بالسنة الصحيحة في كل الأمور . وعن أبي رافع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا أُفِينُ أَحَدَكُمْ مَتَكُنًا عَلَى أُرِيكْتِهِ يَأْتِيهِ أَمْرٌ مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لَا أَدْرَى ! مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ أَتْبَعَاهُ) . أخرجه أبو داود ، والترمذى وقال : هذا حديث حسن . وهو من أعلام النبوة ؛ فقد وقع ذلك بعد من الجاهلين بكتاب الله ومنصب الرسالة . ومن الزنادقة الصادقين عن سبيل الله !

٨- ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ ﴾ بدل من « وَلِلَّذِي الْقُرْبَى » أو متعلق بفعل محذوف ، والجملة استئناف بياني . وذلك أنهم كانوا يعلمون أن الخمس يُصرف لمن تضمنه قوله تعالى : « فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَإِذَا

دِيرِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ

باختصاص الفقه بهم . ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً ﴾ أى شيئاً محتاجاً إليه ﴿ مِمَّا أُوتُوا ﴾ مما أعطى المهاجرون من الفقه وغيره ﴿ خَصَاصَةٌ ﴾ حاجة وأصلها : من خصاص البيت ، وهو ما يبقى بين عيدانه من الفرج والفتوح . ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ ﴾ أى يوق بتوفيق الله شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبُغض الإنفاق . والشح : البخل مع الحرص .

١٠- ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ أى من بعد هؤلاء إلى يوم القيامة . وقيل : المراد بهم الذين هاجروا حين قوى الإسلام . معطوف على المهاجرين . وقيل :

السَّيْلُ » ولم يعلموا مصرف الأربعة الأخماس الباقية ؛ فكأنهم قالوا : فلِمَنْ تكون هذه ؟ فقيل : تكون للفقراء المهاجرين والأنصار ومن جاء بعدهم ؛ فهي للمسلمين عامة ، وهو صلى الله عليه وسلم يتصرف فيها تخصيصاً وتعميماً كما يشاء .

٩- ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ ﴾ نزّلوا المدينة وأقاموا بها ؛ معطوف على المهاجرين . ﴿ وَالْإِيمَانَ ﴾ أى وأخلصوا الإيمان . ﴿ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أى من قبل تبوء المهاجرين لها . وقيل : الجملة مستأنفة مدح الأنصار بخصال حميدة ؛ منها : محبتهم للمهاجرين ، ورضاهم

وفي الآية أقوال أخرى لعل ما ذكرناه أوضحها . والله أعلم بأسرار كتابه .

١١- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا... ﴾ حكاية لما جرى بين المنافقين - وعلى رأسهم عبد الله ابن أبي - وبين بني النضير أثناء حصارهم . ﴿ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ ﴾ أى فى قتالكم ﴿ أَحَدًا أَبَدًا ﴾ من الرسول أو المسلمين . ﴿ وَاللَّهُ بِشَهَادَتِهِمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ فى وعودهم المؤكدة بالأمان لبني النضير . وصفهم الله فى هذه الآية بالكذب وفى الآية التالية بالجبن ، وهكذا حال المنافقين دائماً .

١٣- ﴿ لَأَنْتُمْ ﴾ أيها المؤمنون . ﴿ أَشَدُّ رَهَبَةً ﴾ أى مرهوبة ﴿ فى صُدُورِهِمْ ﴾ أى صدور المنافقين . ﴿ مِنَ اللَّهِ ﴾ من رهبتهم من الله ؛ فقد كانوا يظهرون لكم خوف الله ؛ وأنتم أهيب فى صدورهم من الله .

١٤- ﴿ لَا يَقَاتِلُونَكُمْ ﴾ أى اليهود والمنافقون . وقيل : اليهود . أى لا يقدرون على قتالكم ﴿ جَمِيعًا ﴾ أى مجتمعين متفقين فى موطن واحد . ﴿ إِلَّا فِى قُرَى مُحَصَّنَةٍ ﴾ بالخنادق والحصون ونحوها . ﴿ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ﴾ يستترون بها دون أن يصحروا لكم ويبارزوكم ؛ لفرط رهبتهم منكم . جمع جدار . ﴿ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ﴾ أى إذا لم يلقوا عدوا نسبوا أنفسهم إلى الشدة والبأس ، ولكن إذا لقوا العدو انهزموا . ﴿ وَقُلُوبُهُمْ ﴾

لَاخَوْنِهِمْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَيَنَّ الْأَدْبَارُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِى صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يَقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِئٌ مِمَّنْكَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِى النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ

مينداً ، خبره (يقولون ربنا) ﴿ غَلًّا ﴾ حقدًا . والحاصل : أن الآية الأولى أفادت اختصاصه صلى الله عليه وسلم بقىء بنى النضير . والآية الثانية أفادت تعميم الحكم فى كل فىء من أموال الكفار ، وبيئت مصارف خمس الفىء . وقوله : (للقراء ...)

بيان لمصرف الأربعة الأخماس الباقية منه . وقد خصه الرسول صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين ؛ لاقتضاء مصلحة المهاجرين والأنصار هذا التخصيص . وبهذا يخالف الفىء الغنيمة ؛ فإن أربعة أخماسها حق للمقاتلين دون سواهم من المسلمين ، كما فى آية الأنفال .

نَفْسٌ مَّا قَدَمَتْ لِغَيْدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْحَبَّارُ الْمُنْكَرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلَّاقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

به من العقاب ؛ من الإيمان وهو التصديق . أو الذى يأمن أولياؤه من عذابه . ويأمن عباده من ظلمه . يقال : آمنه ؛ من الأمان الذى هو ضد الخوف . كما قال تعالى : (وَأَمْسَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) ^(١) . ﴿الْمُهَيَّمِنُ﴾ الرقيب الحافظ لكل شيء ؛ من الأمن بقلب همزته هاء . أو الشهيد . أو القائم على خلقه برزقه . أو الأمين . أو العلى .

بالتحريك - وهو السُّطَل ؛ لأنه يُتَطَهَّرُ به . ومنه القادوس المعروف . ﴿السَّلَامُ﴾ ذو السلامة من النقائص والعيوب ؛ فهو صفة ذات . أو ذو السلام على عباده فى الجنة . أو الذى سلم الخلق من ظلمه ؛ وعليها يكون صفة فعل . ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ المصدق لرسوله بإظهار المعجزات على أيديهم . أو مصدق المؤمنين ما وعدهم به من الثواب ، والكافرين ما أوعدهم

شَتَّى ﴿أَهْوَاهُمْ متفرقة فيما بينهم . ١٥- ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ أى مثل يهود بنى النضير كمثل اليهود الآخرين ، وهم بنو قَيْنِقَاعَ الذين غزاهم الرسول صلى الله عليه وسلم وأجلاهم قبل غزوة بنى النضير . ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ﴾ سوء عاقبة كفرهم [آية ٩٥ المائدة ص ١٦١] . ١٦- ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ﴾ أى مثل المنافقين فيما صنعوه مع بنى النضير كمثل الشيطان . ١٩- ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ تركوا ذكره ، ولم يراعوا حقوقه . ﴿فَأَنسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ فلم يسعوا بما ينفعها ، ولم يعملوا ما يخلصها . ٢١- ﴿خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا﴾ متذللاً متشققاً ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ وخوفه . وهو تمثيل لعلو شأن القرآن وقوة تأثيره فى القلوب . وتوبيخ لقساة القلوب ، ومتحجسرى الضمائر ، الذين أعرضوا عنه وكفروا به ، ولم ينتفعوا بما جاء فيه . ٢٢- ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ السر والعلانية . أو ما لا يرى ولا يُحَسُّ ، أو ما سيكون وما قد كان . ٢٣- ﴿الْمَلِكُ﴾ المالك لكل شيء . أو المتصرف فى كل شيء . أو الذى لا ملك فوقه ولا شيء إلا دونه . ﴿الْقُدُّوسُ﴾ البليغ فى الطهارة والتثزه عما لا يليق به سبحانه من جميع النقائص والعيوب ؛ من القدس وهو الطهارة . وأصله القدس -

سُورَةُ الْمُمتَحِنَةِ

(٦٠) سُورَةُ الْمُمتَحِنَةِ مَدَنِيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ١٣ نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَحْزَابِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ
تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ
يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تَرَجَحْتُمْ جِهَلًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم
بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ
مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ إِنْ يَشَقُّوَكُمْ يَكُونُوا
لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ
وَوَدُّوا أَنْ تُكْفُرُوا ۝ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا

١- ﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ۖ ﴾ نزلت في حاطب بن أبى بلتعة . وكان من المهاجرين ومن شهد بدرًا ، وكان له في مكة قرابة قريبة ، وليس له في قريش نسب ، إذ هو مولى . فأرسل كتابًا إلى أناس من المشركين بمكة ، يخبرهم ببعض أمر النبي صلى الله عليه وسلم في شأن غزوهم . ليتخذ عندهم بدلًا فيحموا بها أقاربه - مع مولاة تسمى سارة . فأوحى الله تعالى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم بما كان منه ، فأرسل في أثرها عليًا - كرم الله وجهه - ومعه آخرون فأحضروا الكتاب ، واعتذر حاطب ، وقبل الرسول صلى الله عليه وسلم عذره . نهى الله تعالى المؤمنين عن مولاة أعدائه وأعدائهم ، وفسرها بقوله تعالى : ﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ أى ترسلون إليهم أخباره صلى الله عليه وسلم بسبب ما بينكم وبينهم من المودة ، ويقول : ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ . والحكم عام ولا عبرة بخصوص السبب . وقد ورد النهي عن موالاتهم واتخاذهم بطانة ووليعة من دون المؤمنين في غير آية ، وبُيِّنَتْ حِكْمَةُ النَّهْيِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ . وَفِي غَيْرِهَا بِمَا يَشْهَدُ بِهِ الْوَاقِعُ . ﴿ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ أى لأجل إيمانكم بالله ، فهو العلة لإخراج الرسول والمؤمنين من

٢٤- ﴿ الْبَارِئِ ﴾ المبدع المخترع للأشياء ، والمبرز لها من العدم إلى الوجود . ﴿ الْمُصَوِّرِ ﴾ مُصَوِّرُ الأشياء ومركبها على هيئات مختلفة وصور شتى كيف شاء . من التصوير وهو التخطيط والتشكيل . ﴿ كَلِّمَ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى ﴾ التى سَمَّى بِهَا نَفْسَهُ . وَالتى هِيَ أَحْسَنُ الْأَسْمَاءِ ، لِدَلَالَتِهَا عَلَى مَعَانٍ حَسَنَةٍ ، مِنْ تَحْمِيدٍ وَتَقْدِيسٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَالْحُسْنَى : تَأْنِيثُ الْأَحْسَنِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

﴿ الْعَزِيزُ ﴾ القويُّ الغالب الذى لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ . ﴿ الْجَبَّارُ ﴾ العَظِيمُ الشَّانُ فِي الْقُدْرَةِ وَالسُّلْطَانِ ، فَهُوَ صِفَةُ ذَاتٍ . أَوْ الْمَصْلُحُ أُمُورَ خَلْقِهِ . الْمَصْرُفُ لَهُمْ فِيمَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ . أَوْ الْقَهَّارُ الَّذِى يُخَيِّرُ الْخَلْقَ عَلَى مَا شَاءَ مِنْ أَمْرِهِ ، فَهُوَ صِفَةُ فِعْلٍ . وَهُوَ فِي حَقِّ اللَّهِ صِفَةُ مَدْحٍ ، وَفِي حَقِّ الْخَلْقِ صِفَةُ ذَمٍّ . ﴿ الْمُتَكَبِّرُ ﴾ الْمُتَعَطِّمُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِجِوَالِهِ وَجَلَالِهِ مِنْ صِفَاتِ الْمُحَدِّثِينَ . أَوْ الْمُتَكَبِّرُ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ .

مكة ، وهو العلة دائماً في كراهة الكفار للمسلمين . ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ .. ﴾ أى ومن يتخذهم منكم أولياء فقد أخطأ طريق الحق والصواب .

٢ - ﴿ إِنْ يَتَّقَوْكُمْ ﴾ أى يظفروا بكم ويتمكنوا منكم [آية ١٩١ البقرة ص ٤٥] . ﴿ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً ﴾ أى يظهروا لكم ما فى قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها أحكامها . ﴿ وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ .. ﴾ بما يسوءكم من القتل والأسر والأذى . ﴿ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ أى ويظهروا ودادتهم أن تكونوا مثلهم كافرين ، ويرتبوا على ذلك آثاره . وهو معطوف على ﴿ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً ﴾ .

٣ - ﴿ لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ ﴾ قراباتكم ، ﴿ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ﴾ الذين توالون المشركين من أجلهم ، وتنتقرون إليهم محاماة عنهم بشيء من النفع . ﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ الذى يفر المرء فيه من أخيه وأمه وأبيه . ثم قال تعالى :

﴿ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ﴾ أى يفرق بينكم وبين أرحامكم وأولادكم بما يكون فيه من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر . ويجوز أن يتعلق (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) بالفعل بعده .

٤ - ﴿ أَسْوَءُ حَسَنَةٍ ﴾ خصلة حميدة ، جديدة أن يقتدى بها ﴿ فِى إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ .. ﴾ إذ أعلنوا براءتهم من الكفار ومن آلتهم التي يعبدونها . و ﴿ بُرَاءً ﴾

أُولَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِى إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُكُمْ وَأُفْكُكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبْنَيْهِ لَا اسْتَغْفِرُ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلِّمَكَ تَوَكُّلَنَا وَإِلَيْكَ أَبْنَاءَ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ لَا يَنْهَى اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا

٥ - ﴿ لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً .. ﴾ مفتونين معذبين لهم ، بأن تسلطهم علينا فيقتلوننا بعداب لا نحتمله ، من فتن القصة : إذا أذابها ، فهي مصدر بمعنى المفتون ، أى المعذب .

٧ - ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ .. ﴾ وعداً للمؤمنين الذين تشددوا فى معاداة آبائهم وأبنائهم وسائر

جمع برىء . يقال : برئ من الأمر يبرأ براءة وبراءة وبروءاً ، وتبرأ منه وتقصى لكراهته . ﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبْنَيْهِ .. ﴾ أى اقتلوا به فى جميع أموره إلا فى الاستغفار لأبيه المشرك ، فلا تناسوا به فيه . وكان قد استغفر له لموعدة وعدها إياه ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه . ﴿ إِلَيْكَ أَتَيْنَا ﴾ إليك رجعنا تائبين .



إِلَيْهِمْ ﴿١٠﴾ أَي تَفْضُوا إِلَيْهِمْ بِالْعَدْلِ ﴿١١﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٢﴾ أَي الْمُصْطَفِينَ الَّذِينَ يَنْصِفُونَ النَّاسَ ، وَيُعْطُونَ الْعَدْلَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، فَيَسْرُونَ مِنْ بَرِّهِمْ ، وَيُحْسِنُونَ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ

٩ - ﴿وَوَظَّاهِرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ﴾ عاونوا عليه ، كمشركى مكة . يقال : ظهر عليه ، غلبه . وتظاهروا : تعاونوا . ﴿أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾ أَنْ تَتَّخِذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ . ١٠ - ﴿إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ لَمَّا وَقَعَ صَلَاحُ الْحُدُودِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى أَنَّ مَنْ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ يَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ وَإِنْ كَانَ مُسْلِمًا - جَاءَتْ سَيْعَةُ بِنْتِ الْحَارِثِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي الْحُدُودِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْكِتَابِ مَظْهَرَةَ الْإِسْلَامِ ، فَأَقْبَلَ زَوْجَهَا وَكَانَ مُشْرِكًا وَطَلَبَ رَدَّهَا إِلَيْهِ . فَزَلَّتِ الْآيَةُ بَيَانًا

لِخُرُوجِ النِّسَاءِ الْمُسْلِمَاتِ مِنَ الْعُمُومِ ، وَلِلْفَرْقِ الظَّاهِرِ بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ الرِّجَالِ . فَإِنَّ الرِّجَالَ لَا يُخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْفِتْنَةِ فِي الرَّدِّ مَا يُخْشَى عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ إِصَابَةِ الْمُشْرِكِ إِيَّاهَا . وَتَخْوِيفُهَا وَإِكْرَاهِهَا عَلَى الرَّدِّ ، فَلَمْ يَرُدَّهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ وَاسْتَحْلَفَهَا . وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي كَيْفِيَّةِ امْتِحَانِهِنَّ : كَانَتِ الْمَرْأَةُ إِذَا جَاءَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَلْفَهَا عَمْرًا بِاللَّهِ مَا خَرَجْتُ مِنْ بَعْضِ زَوْجٍ . وَبِاللَّهِ

فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا مِنْ حِلٍّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُفَّارِ وَسَلُّوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ بِحُكْمِ بَيْنِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ

لِلآيَةِ أَوَّلِ السُّورَةِ . رَوَى أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ ، وَكَانَتْ لَهَا أُمٌّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَدْعَى قَتِيلَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْعَزَّى ، فَاتَتْهَا فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ بِهَدَايَا فَقَالَتْ لَهَا أَسْمَاءُ : لَا أَقْبَلُ لَكَ هَدِيَّةً وَلَا تَدْخُلِي عَلَيَّ حَتَّى يَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ عَائِشَةُ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ . ﴿تَبَرُّوهُمْ﴾ تَحْسِنُوا إِلَيْهِمْ وَتُكْرِمُوهُمْ . ﴿وَتُقْسِطُوا﴾

أَقَارِبَهُمُ الْمُشْرِكِينَ ، وَفِي مَقَاطِعَتِهِمْ إِيَّاهُمْ بِالْكَلِيَّةِ - بَأَنَّهُ تَعَالَى سَيَجْعَلُ مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُوَافِقُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدِّينِ وَيُؤْمِنُ بَعْدَ الْكُفْرِ ، فَيُفْصَلُ حَبْلُ الْمَوَدَّةِ بَيْنَهُمْ بَعْدَ الْإِيمَانِ .

٨ - ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ ترخيصٌ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْبَرِّ وَالصَّلَةِ - قَوْلًا وَفِعْلًا - لِلْكُفَّارِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوهُمْ لِأَجْلِ الدِّينِ ، وَلَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ أَذًى ، فَهُوَ فِي الْمَعْنَى تَخْصِصٌ

فَعَاقَبْتُمْ فَاَتَوْا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا^ج
وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا
جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا
وَلَا يَسْرِقَنَّ وَلَا يَزْنِيَنَّ وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِيَنَّ
بِهَتِّنٍ يَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيْهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعَصِبَنَّكَ
فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لهنَّ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَپْسُوْا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبِيسُ الْكُفَّارُ مِنَ

أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

المهور. ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ أى فأصبتموهم فى القتال يعقوبة حتى غنمتم منهم. ﴿فَاَتَوْا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ﴾ من الغنيمة. ﴿مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يعطى الذى ذهب زوجته من الغنيمة - قبل أن يخمسها - المهر ولا ينقص من حقه شيئا. وروى عن مجاهد وقتادة وعطاء : أن هذا الحكم منسوخ. وقبل غير منسوخ.

١٢ - ﴿يُبَايِعُكَ﴾ يعاهدتك. وأصل المبايعة : مقابلة شىء بشىء على جهة المعاوضة. وسُميت المعاهدة مبايعة تشبيها لها بها ، فإن الناس إذا التزموا قبول

ما شرط عليهم من التكاليف الشرعية . طمعا فى الثواب وخوفاً من العقاب . وضمن لهم عليه الصلاة والسلام ذلك فى مقابلة وفائهم بالعهد - صار كأن كل واحد منهم باع ما عنده بما عند الآخر. ﴿وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ﴾ المراد به وأد البنات . وكان ذلك فى الجاهلية يقع تارة من الرجال ، وأخرى من النساء ؛ فكانت المرأة إذا حانت ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على رأسها ؛ فإذا ولدت بنتا رمت بها فى الحفرة وردت التراب عليها ، وإذا ولدت غلاما أبقت . ويستفاد من هذا النهى حكم إسقاط الحمل بعد نفخ الروح فيه . ﴿وَلَا يَأْتِيَنَّ

ما خرجت رغبة عن ارض إلى ارض . وبالله ما خرجت العاص دنيا . وبالله ما خرجت إلا حبا لله ورسوله ^(١) . ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ أى هذا الامتحان لكم . أما سرائرهن فوكولة . إلى علام الغيوب . ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ﴾ أى ظنتموهن ظلما قويا يشبه العلم بعد الامتحان . ﴿مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ ثم غل ذلك بقوله . ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ ثم أمر الله تعالى أن يعطى الأزواج المشركون الذين هاجرت نساؤهم مؤمنات إذا علم إيمانهن بالامتحان - ما دفعوا فى نكاحهن من الصداق بقوله : ﴿وَأَتَوْهُنَّ مَا أَنْفَقُوا﴾ وذلك إذا كان الأزواج معاهدين ، أما إذا كانوا حربيين فلا يعطون ما أنفقوا اتفاقا . ﴿أَجُورَهُنَّ﴾ مهورهن . ﴿وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾ جمع كافرة . والمراد : المشركات الباقيات بدار الحرب ، أو اللاحقات بها مرتدات . والعصم : جمع عصمة . وهى ما يعتصم به من عقد وسبب . والمراد هنا : عقد النكاح . أى لا يكن بينكم وبين هؤلاء الزوجات المشركات علقه زوجية ؛ لانقطاع العصمة باختلاف الدارين .

١١ - ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ أى وإن انفلت أحد من أزواجكم إلى الكفار ، ولم يؤدوا إليكم ما دفعتم لهن من

(١) رواه الطبراني وابن المنذر .

سورة الصف

وَسُمِّيَ سُورَةُ عِيسَى وَسُورَةُ
الْحَوَارِيِّينَ

١- ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ﴾ تزهه ومجده تعالى
ودل عليه . [آية الحديد ١

ص ٧٠٠]

٢- ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾
استفهام على جهة الإنكار
والتوبيخ ، على أن يقول الإنسان
عن نفسه من الخير ما لم يكن قد
فعله ، أو ما لا يفعله ، فهو إما
كذب وإما خلف وكلاهما مذموم .

وحذفت ألف ما الاستفهامية مع
حرف الجر تخفيفاً لكثرة استعمالها
معاً نحو : بسم ، ميم ، عم ،
فيم . روى أن نفرًا من المسلمين
قالوا : لو علمنا أحب الأعمال إلى
الله تعالى لبذلنا فيه أموالنا
وأفئدتنا ، فلما نزل الأمر بالجهاد
كرهوه . فنزلت الآية توبيخاً لهم
على إخلافهم ما وعدوا .

٣- ﴿كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا
مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ عظم قولكم ما لا
تفعلون مقتاً عند الله . والمقت :
أشد البغض ، و «مقتاً» تمييز
محول عن الفاعل ، والأصل :
كَبُرَ مَقْتُ قَوْلِكُمْ ، أى المقت
المرتب على قولكم المذكور .

٤- ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ
يُقَاتِلُونَ﴾ بيان لما هو مرضى
عنده تعالى ، بعد بيان ما هو
ممقوت عنده . أى أنه تعالى يرضى
عن الذين يقاتلون في سبيل مرضاته
تعالى ، صافين أنفسهم في

(٦١) سُورَةُ الصَّفِّ مَدَنِيَّةٌ
وَأَيَاتُهَا ١٤ نَزَلَتْ بَعْدَ النِّعَابِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا
تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا
تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ
صَفًّا كَانَهُمْ بَنِينَ مَرْصُوصًا ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى

المسلمين ليصيبوا من ثمارهم .
والحكم عام فيهم وفي سائر الكفار
الذين يقاتلون المسلمين لأجل
الدين ، ويؤذونهم بما فيه ضررهم
وضرر الإسلام . ﴿قَدْ تَسْأَلُونَ مِنَ
الْآخِرَةِ﴾ أى قد ترك هؤلاء اليهود
العمل للآخرة . وآثروا عليها
الحياة الفانية ، فكانوا بمنزلة
البائسين منها يأساً تاماً ، شبيهاً
بيأسهم من موتاهم أن يعودوا إلى
الدنيا أحياء . أو يأس الكفار
الذين ماتوا على الكفر وعابوا
العذاب في القبور من نعم
الآخرة . والله أعلم .

بِهَتَانٍ يَفْقَرِيْنَهُ . ﴿٥﴾ وَلَا يَأْتِينَ
بِأَوْلَادٍ يَلْقَظْتَهُمْ وَيَسْتَهْمُ كَذِبًا
إِلَى الْأَرْوَاحِ ، وليس المراد به
الزنى لتقدم ذكره . ﴿وَلَا
يَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ أى فى أى
أمر معروف ، ومنه ألا يتخفن ولا
تشتقن حياء . ولا يتخدين
وجهاً . ولا يدعن بويل عند
موت أو مصيبة . ﴿فَيَايَعُهُنَّ﴾
ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم
بايع النساء بغير مصافحة ، وكان
عددهن أربعائة وسبعاً وخمسين
امراً .

١٣- ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ﴾ لا تتخذوهم أولياء
وأنصاراً لكم . نزلت نهيًا عن
موالاة اليهود ، فقد كان أناس من
فقراء المسلمين يواصلونهم بأخبار

لِقَوْمِهِ يَفْقَهُمْ لِرَ تُوذُونِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تَجْرِئةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ

القتال . أو مصفوفين صفوفًا متراصةً ؛ كأنهم في التحامهم وتماسكهم واتحادهم بنيان محكم ، لا فرجة فيه ولا خلل ، حتى صار شيئًا واحدًا ؛ وهذا شأن الصادقين في الجهاد . يقال : رصصت البناء - من باب رد - لاأمت بين أجزائه ، والزفت بعضها ببعض حتى صار كالقطعة الواحدة ؛ ومنه : التراص للتلاصق . ﴿ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ متلاصق محكم لا فرجة فيه . ٥ - ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ .. ﴾ أى حين نذبهم إلى قتال الجبارة فعصوه وقالوا : (إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا) (١) . وقالوا : (فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) (٢) . وأصروا على ذلك وأذوه عليه السلام كل الأذى . ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ فلما أصروا على الميل عن الحق والانحراف عنه أمال الله قلوبهم عن قبوله ؛ لصرفهم اختيارهم نحو العمى والضلال . أو فلما زاغوا عن الطاعة أزاع الله قلوبهم عن الهداية ؛ من الزيع ، وهو الميل عن الحق . يقال : زاغ يزيع زيعًا وزيعانًا ، مال . وأزاعه : أماله . ٦ - ﴿ اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ هو علمٌ لنبينا صلى الله عليه وسلم ، ومعناه : أحمدُ الحامدين لربه . بَشَّرْتُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ الْخَاتَمَةَ لِلرَّسَالَاتِ السَّابِقَةِ : التَّوْرَةَ

والإنجيل ، اللذان لم يُحَرِّفَا ولم يبدِّلا على لسان موسى وعيسى عليهما السلام . ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ أى عيسى ، أو محمد عليهما الصلاة والسلام . ٨ - ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ .. ﴾ أى يريدون أن يطفئوا دينه ، أو كتابه ، أو حجته النيرة بطعنهم فيه . أو هو تمثيلٌ لحالهم فى إبطال الحق - بحال من ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه ؛ تَهْكُمْأ بِهِمْ وَسُخْرِيَةً .

١٤ - ﴿لِلْحَوَارِيِّينَ﴾ أَصْفِيَاءُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَخَوَاصِهِ . وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا ، وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ [آيَة ٥٢ آل عمران ص ٨٢] . ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ مَنْ جُنْدِي مُتَوَجِّهًا إِلَى نَصْرَةِ اللَّهِ . ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ أَيْ نَحْنُ الَّذِينَ يَنْصُرُونَ دِينَ اللَّهِ . ﴿فَإَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أَيْ قَوَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا بِعِيسَى ، وَأَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ . ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ غَالِبِينَ مُؤَيَّدِينَ بِالْحُجَجِ وَالِدَلَائِلِ بَعْدَ مَبْعَثِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْكَافِرِينَ بِاللَّهِ . الزَّاعِمِينَ أَنَّ عِيسَى هُوَ اللَّهُ ، أَوْ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ؛ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ غُلُوبًا كَبِيرًا ! وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

سُورَةُ الْجُمُعَةِ

١ - ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ يَبْتَهِجُهُ تَعَالَى عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِهِ جَمِيعُ الْعَوَالِمِ [آيَة ١ الحديد ص ٧٠٠] ﴿الْمَلِكِ﴾ مَالِكِ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا . ﴿الْقُدُّوسِ﴾ الْبَلِغُ فِي الطَّهَارَةِ وَالتَّزَاهَةِ عَنْ جَمِيعِ النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ [آيَة ٢٣ الحشر ص ٧١٥] . ﴿الْعَزِيزِ﴾ الْقَادِرُ الْغَالِبُ الْقَاهِرُ

٢ - ﴿فِي الْأَمِينِ﴾ أَيْ فِي الْعَرَبِ الْمُعَاصِرِينَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لِأَنَّهُ أَكْثَرُهُمْ لَا يَكْتُبُونَ وَلَا يَقْرَأُونَ [آيَة ٧٨ البقرة ص ٢١] . ﴿وَيَزَكِّيهِمْ﴾ يَطْهَرُهُمْ مِنْ دَنْسِ

تَجَرِّي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَقَامَتِ طَآئِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾

(٦٢) سُورَةُ الْجُمُعَةِ مَدَنِيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ١١ نَزَلَتْ بَعْدَ الصَّفِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ

٩ - ﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ مُحَمَّدًا صَليَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿بِالْهُدَى﴾ بِالْقُرْآنِ أَوْ بِالْمُعْجَزَةِ ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ أَيْ الْمِلَّةَ الْحَنِيفِيَّةَ . ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ أَيْ لِيُعْلِيَهُ عَلَى جَمِيعِ الْأَدْيَانِ الْمُخَالَفَةِ لَهُ .
١٣ - ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا﴾ أَيْ وَلَكِنْ إِلَى مَا ذَكَرَ مِنَ النِّعَمِ الْعَظِيمَةِ نِعْمَةٌ أُخْرَى تُحِبُّونَهَا ، وَفَسَّرَهَا بِقَوْلِهِ : ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ أَيْ عَاجِلٌ ، وَهُوَ فَتْحُ مَكَّةَ ، أَوْ فَارِسَ وَالرُّومَ .



الكفر . أو يحملهم على ما يصيرون به أذكاء طاهرين من خباثت العقائد والأعمال . ﴿ وَالْحِكْمَةُ ﴾ الفقه في الدين . أو السنة .

٣ - ﴿ وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ ﴾ أى وبعث في آخرين من المؤمنين . ﴿ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ أى لم يحنوا بعد . وسيجيئون ؛ وهم الذين جاءوا من العرب بعد الصحابة إلى يوم الدين . وجميع العرب : قومه صلى الله عليه وسلم الذين بعث فيهم . وأما المبعوث إليهم وهم الثقلان كافة فلم تتعرض له هذه الآية . وقد تعرضت لإثباته آيات أخر .

٥ - ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا التَّوْرَةَ ﴾ ضرب الله هذا المثل لليهود الذين أوتوا التوراة وكلفوا العمل بها . فأعرضوا عنها ولم يتفقهوا بها . وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقد أمروا فيها بتصديقه واتباعه ؛ فشبهم بالحمار يحمل على ظهره أحمالاً من كتب العلم لا يتفقه بها ، ولا يعقل ما فيها ، وليس له إلا ثقل الحمل من غير فائدة .

٦ - ٧ - ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا ﴾ نزلت لما ادعت اليهود الفضيلة . وقالوا : « نحنُ أتباءُ الله وأحباؤه » وزعموا أن الدار الآخرة لهم خالصة . وأنه لا يدخل الجنة إلا من كان هوداً ؛ فأمر الله نبيه أن يظهر كذبهم بأن يقول لهم : ﴿ إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ ﴾ وللأولياء عند الله كرامة ﴿ فَتَمَتُّوا

فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١﴾
مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَةِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢﴾ قُلْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَتُّوا أَلَمُوتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمُ الظَّالِمِينَ ﴿٤﴾ قُلْ إِنْ أَلَمُوتَ الَّذِي تَفْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْفِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦﴾

﴿ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ﴾ أى فيه . والمراد به : الأذان على باب المسجد عند جلوس الخطيب على المنبر ؛ إذ لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفين بعده غير هذا الأذان . ثم استحدث عثمان رضي الله عنه أذاناً قبله بالزوراء ؛ لكثرة المسلمين وتباعده منازلهم ؛ حتى إذا سمعوه أقبلوا للصلاة . فإذا جلس الخطيب على المنبر أذن المؤذن ثانياً ذلك الأذان الذي كان على عهده صلى الله عليه وسلم - وأقر

أَلَمُوتَ ﴿ لتنتقلوا من دار البلية إلى محل الكرامة ﴾ ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ في زعمكم ؛ فإن من أبقن أنه من أهل الجنة أحب أن يتخلص إليها من هذه الدار المليئة بالأكدار . ثم أخبر سبحانه عن حالتهم المستقبلية بقوله : ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا ﴾ قيل : هو خاص بمن كانوا في عهده صلى الله عليه وسلم من اليهود .

٨ - ﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ [آية ٢٣ الحشر ص ٧١٥] .

٩ - ﴿ نُودِيَ لِلصَّلَاةِ ﴾ أذن لها

أَحْرُكُم أَوَّلَكُمْ لَاتِهْبَ عَلَيْكُمْ
الوادي نَارًا) . (انفضوا إليها)
تفرقوا عنك إليها ، من الفض ،
وهو كسر الشيء . والتفريق بين
أجزائه ؛ كفض ختم الكتاب .
وقيل : إن الذي سوغ لهم الخروج
وترك رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخطب : أنهم ظنوا أن الخروج
بعد تمام الصلاة جائز ، لانقضاء
المقصود وهو الصلاة . وقد كان
صلى الله عليه وسلم أول الإسلام
يصلّي الجمعة قبل الخطبة
كالعبدین ، فلما وقعت هذه
الواقعة ونزلت الآية قدم الخطبة
وأخر الصلاة . ﴿ وَتَرَكُوكَ ﴾ على
المنبر ﴿ قَائِمًا ﴾ يخطب . ثم
وعظهم الله بقوله : ﴿ مَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾
من الثواب على الثبات مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ﴿ خَيْرٌ مِنْ
اللَّهِو ﴾ مما يلهيكم عن الطاعة .
وعن البقاء مع الرسول ﴿ وَمِنْ
التَّجَارَةِ ﴾ التي تبتغون منها الربح
والمنافع العاجلة ، ولن يفوتكم ما
قدّر لكم من الرزق والنفع إذا أقمتم
على طاعته . ﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ
الرَّازِقِينَ ﴾ . والله أعلم .

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

١ - ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾
نزلت هذه السورة في عبد الله بن
أبي بن سُلَول وأتباعه ، وكان
رأسًا في النفاق والكفر ، والأذى
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،
والكيد للمسلمين والضعيف لهم ،
والتكبير على الله والناس

فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ
اللَّهِ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١﴾ وَإِذَا رَأَوْا
تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ
اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٢﴾

(٦٣) سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ مَدَنِيَّةٌ وَأَيَاتُهَا ١١ نَزَلَتْ بَعْدَ الْحَجَّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا

الجمعة ، فجاءت غير من
الشام ؛ فانقتل الناس إليها حتى لم
يبق بالمسجد إلا اثنا عشر رجلاً ؛
فنزّلت الآية . وكانت العير تحمل
طعامًا إلى المدينة . والوقت وقت
غلاء وشدة . وكان من عاداتهم
إذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل
والتصفيق ؛ وهو المراد باللّهو في
الآية . ويروى أن هذه الحادثة
وقعت ثلاث مرات . وأنه صلى
الله عليه وسلم قال بعد الثالثة :
(والذي نفسي بيده لو اتبع

الصحابه عثمان رضى الله عنهم على
ذلك ؛ فكان إجماعاً
﴿ فَاسْعَوْا ﴾ فامضوا ﴿ إِلَى ذِكْرِ
اللَّهِ ﴾ هو عظة الإمام في خطبته .
وصلاة الجمعة . ﴿ ذَرُوا الْبَيْعَ ﴾
اتركوه وتفرغوا لذكر الله .

١٠ - ﴿ فَانْتَشِرُوا ﴾ تفرقوا
للتصرف في حوائجكم .

١١ - ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا
انْفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾ عن جابر رضى الله
عنه ؛ أن النبي صلى الله عليه
وسلم كان يخطب قائماً يوم



ثُمَّ كَفَرُوا فَبَطَحَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾
 * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا
 تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ
 صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنَلَّهِمُ اللَّهُ أَنْ
 يُؤَفِّكَونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ
 رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ
 مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ
 تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
 الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ
 عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ

والكذب ، وإشاعة الفاحشة في المؤمنين ؛ وقد استمر على ذلك حتى هلك (١) . ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ أى في قولهم (نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ) لأنهم أضمرُوا خلافَ ما أظهروا . وحقيقة الإيمان : أن يواطئ القلب اللسان ؛ فمن أخبر عن شيء وهو يُضمر خلافه فهو كاذب .

٢ - ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ وقاية من القتل والسبي ونحوهما ، يستترون بها كما يستتر المستجنُّ بجثته في الحرب . وهى الترس ونحوه . ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فأعرضوا عن الإسلام . أو صرفوا عنه من أراد الدخول فيه . أو صرفوا المؤمنين عن الجهاد وطاعة الرسول ؛ أى أن دأبهم ذلك ؛ من الصدِّ وهو الصرف عن الشيء والمنع منه .

٣ - ﴿ذَلِكَ﴾ أى ما ذكر من حالهم الذى دأبوا عليه ﴿يَأْتُهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿آمَنُوا﴾ في الظاهر ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ في الباطن . و«ثُمَّ» للترتيب الاخبارى لا الإيجادى . ﴿فَبَطَحَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ ختم عليها بالكفر فلا يدخل فيها الإيمان . ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ لا يعرفون حقيقة الإيمان .

٤ - ﴿كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدٌ﴾ ذم لهم ؛ أى كأنهم - في جلوسهم مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم مستندين فيها ، فارغة قلوبهم من الإيمان والخير - خُشْبٌ منصوبة

مُسْنَدَةٌ إلى الحائط ، لا تحس ولا تعقل ولا تتحرك ﴿يَحْسِبُونَ كُلَّ صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أى واقعة عليهم ، ضارة لهم ؛ لجبنهم وهلعهم . إذ كانوا على وجل من أن يُنزل الله تعالى فيهم ما يهتك أسرارهم ، ويبسج دماءهم وأموالهم . ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ أى الكاملون في العداوة الراسخون فيها . ﴿فَاحْذَرْهُمْ﴾ واتق شرهم . ولا تغتر بظواهرهم . ﴿فَاتْلَهُمُ اللَّهُ﴾ لعنهم وطردهم من رحمته . ﴿أَنَّى يُؤَفِّكَونَ﴾ كيف

يُصرفون عن الحق والرشد إلى ما هم عليه من الكفر والضلال ! ٥ - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ نزلت في عبد الله بن أبى حنيفة ، افتضح أمره ، وطلب منه أن يذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له ؛ فأعرض واستكبر . وجميع الضائير في الآية من باب : بنو تميم قتلوا فلاناً ، والقاتل بعضهم . أو لأن أتباعه مثله في ذلك . ﴿لَوَّا رُءُوسَهُمْ﴾ عطفوها وثنوها وهو كناية عن التكبر والإعراض ؛ ونظيره قوله

إِلَيْكَ رُؤُوسُهُمْ) (٧) أَى يَحْكُمُونَهَا
استهزاء.

٧- ﴿حَتَّى يَتَفَضُّوا﴾ أَى كَى
يَتَفَرَّقُوا عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا
يُصْحَبُوهُ.

٨- ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى
الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا
الْأَذَلَّ﴾ قَائِلُ ذَلِكَ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
أُبَى . وَيَعْنَى بِالْأَعَزِّ - أَى
الْأَقْوَى - : نَفْسَهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ

الْمَنَافِقِينَ . وَبِالْأَذَلِّ - أَى
الْأَضْعَفِ وَالْأَهْوَنِ - : مَنْ
عَدَاهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنَ الْعِزَّةِ
ضِدَّ الذَّلَّةِ . فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ :
﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ أَى الْعُلْيَا
﴿وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ لَا
لغيرهم.

٩- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ نَهَى
لِلْمُؤْمِنِينَ عَنِ التَّشَبُّهِ بِالْمَنَافِقِينَ فِي
الْإِغْتِرَارِ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ . وَاللَّهُ
أَعْلَمُ . ﴿لَا تُنْهَكُكُمْ﴾ لَا
تَشْغَلُكُمْ وَتَصْرِفُكُمْ .

١٠- ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي﴾ هَلَا
أَمَهَلْتَنِي وَأَخَّرْتَ أَجَلِي .

سُورَةُ التَّغَابُنِ

١- ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ...﴾ يَنْزِيهِهُ وَيُعْجِدُهُ
وَيَدُلُّ عَلَيْهِ . [آيَةُ ١ الْحَدِيدِ
ص ٧٠٠] . ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾

التَّصَرُّفُ الْمَطْلُوقُ فِي كُلِّ شَيْءٍ .
٢- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ بَيَانُ
لِبَعْضِ آثَارِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى الْعَامَّةِ . أَى
أَوْجَدَكُمْ وَأَنْشَأَكُمْ كَمَا أَرَادَ .

لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ
وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ
وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ
هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ
أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي
إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿وَلَنْ
يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ

(٦٤) سُورَةُ التَّغَابُنِ مَكْنِيَّةٌ
وَأَيَاتُهَا ١٨ نَزَلَتْ بَعْدَ التَّحْرِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ
وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿هُوَ الَّذِي
خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ

تَعَالَى أَنَّهُ لَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ ؛ لِأَنَّهُمَا كُفَرُوا
فِي الْكُفْرِ وَالْفُسْقِ وَالْقَبَاحِ .
يَقَالُ : لَوَّى رَأْسَهُ وَبَرَأْسَهُ .
أَمَالَهُ : وَنَظِيرُهُ : (فَسَيَغْضُونَ

تَعَالَى : (ثَانِي عَطْفِهِ) (١) . أَوْ
حَزَنُوهَا وَأَمَالُوهَا اسْتَهْزَأَ بِرَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَبِاسْتِغْفَارِهِ ؛ إِذْ يَسْتَوِي عِنْدَهُمْ
اسْتِغْفَارُهُ وَعَدْمُهُ . وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ

فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٦﴾ يَعْلَمُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَاللَّهُ
عَلِيمُ بَذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٧﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٨﴾
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا
أَبَشِرْهُمْ دُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا ۚ وَاسْتَفْتَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ
حَمِيدٌ ﴿٢٩﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ
بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبُّونَ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
يَسِيرٌ ﴿٣٠﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣١﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ لِيَوْمِ الْجَمْعِ
ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۚ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا
يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ۚ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣٢﴾

﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ أي
فبعض منكم كافر به . وبعض
منكم مؤمن به . فالفاء لتفصيل
الإجمال في «خَلَقَكُمْ» كالفاء في
قوله تعالى (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ
مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى
بَطْنِهِ) (١) الآية . أو هو الذي
خلقكم خلقاً بديعاً . حاوياً
للكمالات العلمية والعملية . ومع
ذلك فنكم مختارٌ للكفر . كاسبٌ
له على خلاف ما تقتضيه الفطرة .
ومنكم مختارٌ للإيمان . كاسبٌ له
حسباً تقتضيه الفطرة وكان
الواجب عليكم جميعاً أن تكونوا
مختارين للإيمان . شاكرين له
نعمة الخلق والإيجاد . وما يتفرع
عليها من سائر النعم . فلم تفعلوا
ذلك مع تمام تمككنكم منه . بل
تفرقتم شيعاً ! فالفاء للترتيب لا
للتفصيل . كالفاء في قوله :
(وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ
وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ
فَاسِقُونَ) (٢)

٣ - ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالحكمة
البالغة . ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ
صُورَكُمْ﴾ أنقنها وأحكمها على
وجه لا مثيل له في الحسن والمنظر .
ومن ذلك خلقه إياكم مستوى
القامة غير منكبين . وجعلكم
أعمدج جميع مخلوقاته في هذه
النشأة .

٥ - ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ..﴾ استفهام
توبيخ أو تقرير . والخطاب لأهل
مكة . ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾
سوء عاقبة كفرهم . في الدنيا من

غير مهلة [آية ٩٥ المائدة
ص ١٦١] .
٦ - ﴿تَوَلَّوْا﴾ اعرضوا عن
الإيمان بالرسول .
٨ - ﴿وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ هو
القرآن . فإنه بإعجازه بين
بنفسه . مبينٌ لغيره . كما أن النور
كذلك .
٩ - ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ
الْجَمْعِ﴾ أي لتُنَبُّونَ بما عملتم .

يوم يجمعكم في اليوم الذي يجتمع
فيه الأولون والآخرون للحساب
والجزاء . وهو يوم القيامة .
﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ أي يوم عُبِنَ
فيه بعض الناس بعضاً . بنزول
السُّعْداء منازل السُّعْداء التي كانوا
ينزلونها لو كانوا سعداء . ونزول
الْأَشْقِيَاء منازل السُّعْداء التي كانوا
ينزلونها لو كانوا أشقياء . مستعارٌ
من تغابن القوم في التجارة : إذا

بقضائه وقدره . أوليقيين ؛ فيعلم
أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما
أخطاه لم يكن ليصيبه .

١٤ - ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ
وَأَوْلَادِكُمْ وَعَدُوِّكُمْ﴾ يحولون
بينكم وبين الطاعات . وقد
يحملونكم على السعي في اكتساب
الحرام وارتكاب الآثام ؛ لفرط
محبتهم وشدة التعلق بهم .
﴿فَاخْذُرْهُمْ﴾ ولا تأمنا
غوائلهم . ﴿وَإِنْ تَعَفَّوْا﴾ عما
يقبل العفو من ذنوبهم .
﴿وَتَصَفَّحُوا﴾ بترك التثريب
والتعيير لهم . ﴿وَتَعَفَّرُوا﴾ تستروا
عيوبهم ، وتمهّدوا لهم الاعتذار .
﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ نزلت في
قوم من أهل مكة أسلموا وأرادوا
أن يهاجروا ؛ فأبى أزواجهم
وأولادهم أن يدعوه . فلما أتوا
للمرسول صلى الله عليه وسلم فرأوا
الناس قد فقهوا في الدين همّوا أن
يعاقبوه ؛ فأنزل الله الآية .

١٥ - ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ
فِتْنَةٌ﴾ بلاء ومحنة . وقد
يحملونكم على كسب الحرام ومنه
حق الله تعالى ، والوقوع في
العظائم ؛ فلا تطيعوهم في معصية
الله تعالى .

١٦ - ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾
ابذلوا في تقواه جهدكم
وطاقتكم . ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ
نَفْسِهِ﴾ أي من يكفه الله شح نفسه
فيفعل في ماله جميع ما أمر الله
به ، طيب النفس به . ﴿فَأُولَئِكَ

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشِّرِ الْمَصِيرُ ﴿١٧﴾ مَا أَصَابَ مِنْ
مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٨﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿١٩﴾
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾
يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَإِنْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا
لَكُمْ فَاخْذُرْهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ
وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ
وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِنَفْسِكُمْ وَمَنْ
يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٣﴾ إِنْ
تَقَرُّضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ
شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٢٥﴾

عَنْ بَعْضِهِمْ بَعْضًا فِيهَا ؛ وفعله
من باب ضرب . وفيه تهكم
بالأشقياء ؛ لأنهم يتزولهم منازلهم
من النار لا يغيثون السعداء .
١١ - ﴿مَا أَصَابَ مِنْ
مُصِيبَةٍ﴾ هي الرزية . وما
يسوء العبد في نفس أو مال أو
ولد ؛ أو قول أو فعل . أي ما
أصاب أحداً مصيبة إلا بعلمه
تعالى وتقديره وإرادته . ﴿وَمَنْ
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ عند المصيبة
للمصير والتسليم لأمر الله والرضا

(٦٥) سُورَةُ الطَّلَاقِ مَدَنِيَّةٌ وَأَيَّاهَا ١٢ نَزَلَتْ بَعْدَ الْإِنْسَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ
وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ
بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ
حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ
لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ
أَجَلَهُنَّ فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ

هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾ الْفَاتِرُونَ [آية ٩

الحشر ص ٧١٣] .

١٧ - ﴿قَرَضًا حَسَنًا﴾ احتساباً

بطيبة نفس وإخلاص [آية ١١

الحديد ص ٧٠١] ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾

ذو شكر لأهل الإنفاق في سبيله ؛

بحسن الجزاء ومضاعفة الثواب .

﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعجل بعقوبة

المسيء . بل يُمهّل طويلاً ؛

ليتذكر العبد الإحسان مع

العصيان فيتوب .

١٨ - ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾

السِّرِّ وَالْعَلَنِ [آية ٢٢ الحشر

ص ٧١٥] . ﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب .

الشديد في انتقامه ممن عصاه .

﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه وتدبير

خلقه . والله أعلم .

سُورَةُ الطَّلَاقِ

١ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ خُصَّ صَلَّى

الله عليه وسلم بالنداء . وعُمِّ

الخطابُ بالحُكْمِ لكونه إمام

أُمِّهِ ؛ إظهاراً لتقدّمه واعتباراً

لترؤسه فكان هو وحده في حكمهم

كلهم ؛ كما يقال لرئيس القوم : يا

فلان - افعلوا كَيْتَ وَكَيْتَ . أو

المعنى : قل للمؤمنين ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ

النِّسَاءَ﴾ أى أردتم تطليق نساكنكم

المدخول بهنَّ من المعتدات

بالحيض ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾

أى مستقبلات لعدتهن . والمراد :

أَنْ يُطْلَقْنَ فِي طَهْرٍ لَمْ يُجَامَعْنَ فِيهِ .

ثم يُتْرَكْنَ حَتَّى تَنْقَضِيَ عَدَّتُهُنَّ ؛

وهذا أحسن الطلاق . وفي الآية

نهيٌّ عن الطلاق في الحيض .

بُيُوتِهِنَّ﴾ إلى أن تنقضي عدتهنَّ .

﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ بأنفسهن .

﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ أى

بأمر ظاهر القبح . وهو ما يوجب

حدّاً . كالزنا أو السرقة

فُخْرِجُوهُنَّ لإقامة الحدِّ عليهن .

وقيل : هو البذاء على الزوج أو

على الأحماء . وقيل : هو النشوز

فُخْرِجُوهُنَّ من البيت لذلك ؛

فهو استثناء من قوله : «لَا

تُخْرِجُوهُنَّ» .

٢ . ٣ - ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ

أَجَلَهُنَّ...﴾ أى قَارَنَ انقضاء

العدّة فراجعوهن بحسن معاشره .

أو فارقوهن بإيفاء الحقوق من غير

وهو طلاق بدعى محرم . وتفصيل

أحكام الطلاق في الفقه . وقد

اشتملت هذه السورة على الطلاق

المسنون . وعلى حرمة الإخراج

والخروج من مسكن العدّة .

وعلى الأدب الشرعى في الإمساك

والفراق . وعلى نذب الإشهاد

على الرجعة والطلاق . وعلى عدّة

الآيسة والصغيرة التي لم تحض

وعدّة الحامل . وعلى وجوب

إسكان المعتدة والإنفاق على

المعتدة بالحمل . وعلى حكم

أجرة الرضاع . ﴿وَأَحْصُوا

الْعِدَّةَ﴾ اضبطوها وأكملوها ثلاثة

قُرُوء كوامل . ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ

يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ
اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ
قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝ وَاللَّيْئِي يَسْنَ مِنْ
الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ
وَاللَّيْئِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ
حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝
ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَى الْبُكْرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ
سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ۝ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ
سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ
وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ
فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَمْرُوا بَيْنَكُمْ
بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرُمْ فَسَرِّضْ لَهُ ۚ أُخْرَى ۝ لِيُنْفِقَ
ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ۚ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا
آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَاهَا سَيَجْعَلُ
اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝ ٧ ۚ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ

وَيَهَيَّءْ لَهُ سُبُلَ الرِّزْقِ ۚ وَمَنْ
حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ أَيُّ مَنْ وَجْه
لا يَخْطُرُ بِأَلِهِ ۚ ۝ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ
كافيه ما أهمه في جميع أموره .
۝ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ
قَدْرًا ۝ تقديرًا قبل وجوده أو
توقيتًا .

٤ - ۝ يَسْنَ ۝ انقطع رجائهن
لكبرهن . ۝ إِنْ ارْتَبْتُمْ ۝
شككنكم في عدتهن . أو جهلتموهن
۝ وَاللَّيْئِي لَمْ يَحْضَنْ ۝ وهن
الصغيرات من النساء ؛ أي
فعدتهن ثلاثة أشهر كالأيسات .
۝ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۝ ولو نحو
مضغة أو علقة ؛ سواء كن
مطلقات أو متوفى عنهن
أزواجهن . ۝ يَجْعَلُ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ
يُسْرًا ۝ يسهل عليه أمره ويوفقه
للخير .

٦ - ۝ أَسْكِنُوهُنَّ ۝ أسكنوا
المعتدات بعض مكان سكناكم .
۝ مِنْ وَجْدِكُمْ ۝ من وسعكم
وطاقتكم . والوجد - مثله
الواو - : السعة والقدرة .
۝ وَأَمْرُوا ۝ أي تشاوروا .
والمعنى : ليأمر بعضكم بعضًا
بجميل في الأجرة والإرضاع ؛ فلا
يكن من الأب مما كسبه ؛ ولا من
الأم معاصرة . ۝ وَإِنْ تَعَاَسَرُمْ ۝
أي تضايقتكم بالمشاحة في الأجرة
فأبى الأم الإرضاع ، والأب
دفع الأجرة لها ۝ فَسَرِّضْ لَهُ ۝
أي للأب ۝ أُخْرَى ۝ غير أمه
البيان .
٧ - ۝ ذُو سَعَةٍ ۝ غنى وطاقه .

تعالى . ۝ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ ۝ أي من
يخف الله ، فيعمل بما أمره الله .
ويجتنب ما نهاه عنه ۝ يَجْعَلُ لَهُ
مَخْرَجًا ۝ من الضيق ، وفرجًا من
الكرب في أمره ۝ وَيَرْزُقْهُ ۝

مضارة لهم ۝ وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ
مِنْكُمْ ۝ عند الرجعة أو عند
الفرقة . والأمر للندب . ۝ وَأَقِيمُوا
الشهادة لله ۝ أدوها على وجهها
عند الحاجة أداءً خالصًا لوجه الله

﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ أَيْ
ضَيَّقَ عَلَيْهِ . ﴿الْأَمَّا آتَاهَا﴾ أَيْ
إِلَّا بِقَدْرِ مَا أُعْطَاهَا مِنَ الطَّاقَةِ . أَوْ
مِنَ الْأَرْزَاقِ .

٨ - ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي كثير من أهل قرية [آية ١٤٦ آل عمران ص ٩٧]. ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ تكبرت وتجبرت . معرصة عن أمر ربها ورسله ؛ من العتو عن الطاعة . يقال : عتايعتو عتواً وعتياً . إذا تجبر وظلم . ﴿عَذَابًا نَكْرًا﴾ منكرًا فظعاً . وهو عذاب الآخرة . والشكر : الأمر الصعب الذي لا يعرف .

٩ - ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ سوء عاقبة عتوها وكفرها [آية ٩٥ المائدة ص ١٦١]. ﴿عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ خسارًا لا يقادر قدره . وأصلُ الخُسْرِ : انتقاصُ رأسِ المالِ .

١٠ . ١١ - ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى أعنى بـ «أولى الألباب» الذين آمنوا. ﴿أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا. رَسُولًا﴾ أى أنزل إليكم قرآنًا . وأرسل رسولاً وهو محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل الذكر : هو الرسول صلى الله عليه وسلم . و(رسولاً) بدلٌ منه ؛ وأطلق عليه ذكرٌ لمواظبته على تلاوة القرآن وهو ذكر . أو على تبليغه والتذكير به . وعُتِبَ عن إرساله بالإنزال لأن الإرسال مسبَّبٌ عن إنزال الوحي إليه .

١٢- ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾
أى فى العدد . فهى سبع .
والتعدد باعتبار أصول الطبقات

رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ۖ فَاسْتَبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا
نُكْرًا ﴿٨﴾ فذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَقِبَهُ أَمْرُهَا
خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى
الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾
رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ
يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ
رِزْقًا ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ
مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾

(٦٦) سُورَةُ الْحَجِّ مَدَنِيَّةٌ
وَأَيَاتُهَا ١٢ نَزَلَتْ بَعْدَ الْجُرَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ
 أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ

سُورَةُ التَّحْرِيمِ
وَتُسَمَّى سُورَةُ النَّبِيِّ ﷺ
١ - ﴿لِمَ نَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾
رَوَى فِي الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ

الطبيّة والصخرية والمائية والمعدنية
ونحو ذلك. ﴿يَسْتَبْرَأُ الْأَمْرُ
بَيْنَهُمْ﴾ يجري أمر الله وقضاؤه
وقدره بينهم. - وينفذ حكمه
فيهم. والله اعلم.

نَحْلَةً أَيْمَنُكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾
وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ
بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ
فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَاَنِي الْعَلِيمُ
الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا
وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلَحُ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ
إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسَلِّتٍ
مُؤْمِنَةٍ فَلَتَسْلُتِ نِسَاءٌ عَلَيَّاتٍ سَخِيحَاتٍ ثِيَّابَاتٍ
وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُورًا أَنْفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ
نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ
لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾

تَكْرُمًا لِمَا فِيهِ مِنْ مَزِيدٍ خَجَلَتِهَا .
وَالكَرِيمُ لَا يَسْتَقْصِي . فَطَلَّتْ
حَفْصَةُ أَنْ عَائِشَةُ هِيَ الَّتِي أَخْبَرَتْهُ
بِالْقِصَّةِ . فَقَالَتْ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : ﴿ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا ؟ ﴾
فَقَالَ : ﴿ نَبَاَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾
وَقَدْ عَاتَبَ اللَّهُ نَبِيَّهٖ - رَفَقًا بِهِ -
وَتَسْوِيهَا بِقُدْرِهِ - وَاجْتِلَالًا
لِمَنْصِبِهِ - أَنْ يَرَاغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِهِ
بِمَا يَشُقُّ عَلَيْهِ . وَذَلِكَ جَرِيًّا عَلَى مَا
أَلْفَ مِنْ لُطْفِ اللَّهِ بِهِ . وَشَرَعَ لَهُ
وَلَاؤُهُ التَّحَلُّلَ مِنَ الْيَمِينِ بِالْكَفَّارَةِ
رَاقَةً وَرَحْمَةً . وَعَاتَبَ حَفْصَةَ
وعَائِشَةَ إِذْ مَالَتَا عَنْ الْوَاجِبِ عَلَيْهَا
مِنْ مَخَالَفَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِحُبِّ مَا يَحِبُّهُ . وَكَرَاهَةِ مَا
يَكْرَهُهُ . إِلَى مَخَالَفَتِهِ وَتَدْبِيرِ مَا
عَسَاهُ يَشُقُّ عَلَيْهِ . ﴿ تَبْتَغِي ﴾
تَطْلُبُ
٢ - ﴿ نَحْلَةً أَيْمَنُكُمْ ﴾ أَي
تَحْلِيلُهَا بِالْكَفَّارَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي سُورَةِ
الْمَائِدَةِ . وَأَصْلُهَا تَحْلِيلَةٌ . مُصَدَّرُ
حُلِّلَ الْمُضَاعَفُ ، كَتَكْرِمَةٍ مِنْ
كَرَّمَ . ﴿ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ﴾
نَاصِرَكُمْ وَمَتَوَلَّى أُمُورَكُمْ .

٣ - ﴿ نَبَأَتْ بِهِ ﴾ أَخْبَرَتْ بِهِ
غَيْرَهَا . ﴿ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴾
أَطْلَعَهُ عَلَيْهِ ، أَيِ عَلَى إِفْشَائِهِ .
﴿ عَرَفَ بَعْضَهُ ﴾ وَهُوَ قَوْلُهُ
لَهَا : (كُنْتُ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ
زَيْنَبَ وَلَنْ أَعُودَ) . ﴿ وَأَعْرَضَ
عَنْ بَعْضٍ ﴾ وَهُوَ قَوْلُهُ (وَقَدْ
حَلَفْتُ) .
٤ - ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾
مَالَتَا عَنْ الْوَاجِبِ . يُقَالُ : صَغَا
يَضْغُو وَيَضْغِي ضَغْتًا . وَصَغَى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ
زَوْجِهِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَيَشْرَبُ
عِنْدَهَا عَسَلًا . وَكَانَ يُحِبُّ
الْحَلْلَاءَ وَالْعَسَلَ . فَتَوَاصَتِ
عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ - لِمَا وَقَعَ فِي
نَفْسِيهَا مِنَ الْغِيَرَةِ مِنْ ضَرَّتِمَا - أَنْ
أَتِيَهُمَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلْتَقَلَ : أَيْنِ أَجِدُ مِنْكَ
رِيحَ مَغَافِيرٍ ! أَكَلْتُ مَغَافِيرَ ؟ [هُوَ
صَمْعٌ خُلُوٌ يَنْصَحُهُ شَجَرُ الْعُرْفُطِ
يُؤْخَذُ ثُمَّ يَنْضِجُ بِالْمَاءِ فَيُشْرَبُ ،
وَلَهُ رَائِحَةٌ كَرِيمَةٌ] فَدَخَلَ صَلَّى اللَّهُ

صَغَا وَضَعِيًّا : مال . وصفت الشمس : مالت للغروب . ولم يقل «قلباكما» لكرهه اجتماع اثنين فيما هو كالكلمة الواحدة مع ظهور المراد . والجملة تعليل لجواب الشرط المحذوف ؛ أى إن تتوبا فلتوبتكما . سبب فقد صفت قلوبكما . ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ ﴾ تتعاوننا عليه بما يسوؤه من الإفراط والعمرة وإشياء سواه . ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ ﴾ ناصره ومعيته . ﴿ ظَهِيرٌ ﴾ معين . أى جبريل وصالح المؤمنين : أبو بكر وعمر ، والملائكة بعد نصره الله تعالى له مظاهرون له .

٥ - ﴿ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ ﴾ منقادات لله ورسوله بظواهرهن ، مصدقات بقلوبهن . ﴿ قَانِتَاتٍ ﴾ مطيعات لله خاضعات له . ﴿ سَائِحَاتٍ ﴾ ذاهبات فى طاعة الله أى مذهب ؛ من ساح الماء ؛ إذا ذهب . أو مهاجرات . أو صائحات ؛ تشبيها لهن بالسائح الذى لا يصحب معه الزاد غالبا ؛ فلا يزال مُتَسَكِّمًا حتى يجد ما يطعمه . ﴿ كَيِّاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ جمع ثيب ؛ بوزن سيد . يقال : ثاب يثوب ثوبًا ؛ إذا رجع . وسُمِّيَتْ الثَّيْبُ به لأنها ثابتة إلى بيت أبويها . والأبكار : جمع بكر ، وهى العذراء التى لم تُفْتَرَحْ . وسُمِّيَتْ بكرا لأنها لا تزال على أول حالتها التى خلقت بها .

٦ - ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ بترك المعاصى وفعل الطاعات .

يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٦﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكَ أَنْ يَكْفِرَ عَنْكَ سَيِّئَاتِكَ وَيُدْخِلَكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٧﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ جَاهَدُوا الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَا وَهُمْ بِهِمْ جَاهِدٌ وَلَا يَكُونُ لَهُمْ مَصِيرٌ ﴿٥٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوْجٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿٥٩﴾

الذَّب الذى أصاب ؛ فيعتذر إلى الله تعالى ثم لا يعود إليه ؛ كما لا يعود الماء إلى الضرع . أو توبة ترفع خروقه فى دينه . وترم خلله ؛ من نصح الثوب : أى خاطه ؛ فكان الثائب يرفع ما مرقه بالمعصية . أو توبة خالصة ؛ من قولهم : عسل ناصح . إذا خلص من الشمع . ﴿ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ ﴾ لا يذله بل يعزه ويكرمه .

٩ - ﴿ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ ﴾ استعمل الخشونة على الفريقين فيما تجاهدهم به إذا بلغ الرفق مداه .

﴿ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ بحملهم على ذلك بالنصح والتأديب . أمر من وقى بقى ؛ كضرب يضرب . ﴿ عَلَيْنَهَا مَلَأَتُكَةً ﴾ أى موكل عليها ملائكة وهم الزبانية ﴿ غِلَظَ ﴾ قساة فى أخذهم أهل النار ؛ من الغلظة وهى ضد الرقة . والفعل ككرم وضرب . ﴿ شِدَادٌ ﴾ أقوياء عليهم . يقال : فلان شديد على فلان . أى قوى عليه يعذبه بأنواع العذاب .

٨ - ﴿ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ بالغة فى النصح . وهى أن يندم العبد على

سُورَةُ الْمُلْكِ

١ - ﴿تَبَارَكَ﴾ تعالى وتعاظم جل وعلا . أو كثر خيرُه ودام [آية ٥٤ الأعراف ص ٢٠٧] ﴿الْمُلْكُ﴾ بالضم : السلطان والقُدرة . ونفاذ الأمر .

٢ - ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ أى خلق بقدرته موت من شاء وما شاء موته ، وحياة من شاء وما شاء حياته من الممكنات المقهورة بسلطانه . والحياة صفة وجودية تقضى الحسن والحركة . والموت : صفة وجودية تضاد الحياة . أو هو عدم الحياة عما هي من شأنه . وخلقُه على المعنى الأول : إيجادُه . وعلى الثانى : تقديرُه . أرأى . ﴿لِيَلْبِسَكُمْ﴾ ليختبركم . أى يعاملكم معاملة من يجتبركم . وإلا فهو سبحانه أعلم بكم ﴿أَتُكْمُ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أسرع فى طاعة الله ، وأورع عن محارم الله ، وأتم فهمًا لما يصدر عن الله ، وأكمل ضبطًا لما يؤخذ من خطابه سبحانه . والجملة مفعول ثانٍ ﴿لِيَلْبِسَكُمْ﴾ لتضمينه معنى العلم ، فإن الاختبار طريق إلىه .

٣ - ﴿سَبَّحَ سَمَآوَاتٍ طِبَاقًا﴾ أى بعضُها فوق بعض . مصدر طابى مطابقةً وطبقًا ، من طابى التعلل : أى جعله طبقه فوق أخرى . وُصف به للمبالغة . أو بتقدير مضاف ، أى ذات طباق . قال البقاعى : بحيث يكون كل

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُنْتِ مِنَ الْقَلِيلِينَ ﴿١٢﴾

(٦٧) سُورَةُ الْمُلْكِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَاتُهَا ٣٠ نَزَلَتْ بَعْدَ الطُّورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ

رسولنا جبريل عليه السلام فى جيب درعها روحًا من أرواحنا هى روح عيسى . ﴿وَكَاْنَتْ مِنَ الْقَاتِنِينَ﴾ من عداد المواظين على الطاعة . و (من) للتبعض ، والتذكير للتغليب . أو من نسلهم . و (من) لابتداء الغاية ، والله أعلم .

١٠ - ﴿فَخَانَتْهُمَا﴾ فكانت امرأة نوح تقول للناس : إنه مجنون . وكانت امرأة لوط تدل قومها على الأضياف ليختشوا .

١٢ - ﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ حفظته وصانته من أن يصل إليه أحد . وهو كناية عن عفتها . ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ فنفخ

جزء منها مطابقاً للجزء من الأخرى ، ولا يكون جزء منها خارجاً عن ذلك . وهى لا تكون كذلك إلا أن تكون الأرض كرية ، والسماء الدنيا محيطة بها إحاطة قشر البيض من جميع الجوانب ، والسماء الثانية محيطة بالسماء الدنيا ، وهكذا إلى أن يكون العرش محيطاً بالكل ، والكرسى الذى هو أقربها بالنسبة إليه كحلقة فى فلاة ؛ فما ظنك بما تحته ! وكل سماء من التى فوقها بهذه النسبة . وقد قرر أهل الهيئة أنها كذلك . وليس فى الشرع ما يخالفه . بل ظاهره يوافقه . اهـ

﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴾ ما ترى فى خلق السموات السبع ، شيئاً من الاختلاف وعدم التناسب ، فلا عيب ولا نقص ، ولا اعوجاج ولا اضطراب فى شيء منها . بل كلها محكمة جارية على مقتضى الحكمة . يقال : تفاوت الشيطان تفاوتاً ، تباعد ما بينهما ؛ من الفتور ، وأصله الفرجة بين أصبعين . والجملة صفة لسبع سموات . ﴿ فَارْجِعِ الْبَصَرَ ﴾ أى إن كنت فى شك من ذلك . فكفر النظر فيما خلقنا حتى يوضح لك الأمر . ولا يبقى عندك شبهة فيه . ﴿ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾ أى خلل ووهن . وأصل معنى الفطور : الشقوق والصدوع ؛ جمع فطر . يقال : فطره فانفطر . وتفطر الشيء : تشقق ؛ وبابه نصر . أريد منه ما ذكرنا لعلاقة اللزوم .

إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ

٤ - ﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾ أى رجعتين أخريين . والمراد : كره مرة بعد أخرى ؛ فانظر هل ترى فيها خللاً أو وهماً أو عيباً . والكرة : المرة من الكر . وهو العطف على الشيء بالذات أو بالفعل ، والرجوع إليه . ﴿ يَتَقَلَّبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا ﴾ يَعُدُّ إِلَيْكَ الْبَصَرُ صاعراً مبعداً من إصابة ما التمس من العيب والخلل [آية ٦٥ البقرة ص ١٩] . يقال : خسأت الكلب . أبعدته وطردته . وخسأت الكلب نفسه - من باب قطع - فانحسأ . ﴿ وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ قليل منقطع من كثرة المراجعة والمعاودة . لم يدرك ما طلب ؛ مِنْ حَسَر بصره يحسر خسوراً : إذا كل وانقطع من طول المدى .

٥ - ﴿ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾ بكواكب مضيئة كإضاءة الضبح . ليست كمصابيحهم التى تعرفونها .

٦ - ﴿ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ﴾ أى جعلنا منها مراجم للشياطين بانقضاض الشهب المنبعثة عنها على مسترق السمع منهم . جمع رجم . وهو فى الأصل مصدر رجمه رجمًا - من باب نصر - : إذا رماه بالرجم أى الحجارة ؛ سُمِّيَ به ما يَرجم به . ﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ عذاب النار المشتعلة فى الآخرة ؛ بعد الرجم فى الدنيا بالشهب . يقال : سحر النار - كتمع - ألهاها ؛ كسرها وأسعرها - فهى مسعورة وسعير .

٧ - ﴿ سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا ﴾ صوتاً منكراً عند إلقاء الكفار فيها ؛ كصوت الحمير وهو أنكر الأصوات . ﴿ وَهِيَ تَفُورُ ﴾ تغلى بهم غليان المِزْجَل بما فيه . والفور : شدة الغليان ؛ ويقال ذلك فى النار إذا هاجت ؛ وفى القدر إذا غلت .

٨ - ﴿ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾

لبعض : أسروا قولكم كيلا
يسمعه رب محمد .

١٥ - ﴿ذُلُولًا﴾ سهلة مذلة
مسخرة لما تريدون منها ؛ من
مشى عليها ، وغرس فيها ، وبناء
فوقها ؛ من الذل وهو سهولة
الانقياد واللين . ﴿فَأَمْسُوا فِي
مَنَاكِهَا﴾ جوانبها ، أو طرفها
وفجائها أو أطرافها ، وهو مثل
لفرط التذليل ومجاوزه الغاية ؛
وليس أمرا بالمشى حقيقة .
﴿وَالْيَهُ النُّشُورُ﴾ إحياء الموتى يوم
القيامة ؛ فيسألهم هل شكرتم له
نعمه أم كفرتم ؟!

١٦ - ﴿أَمِنْتُمْ مَن فِي
السَّمَاءِ ..﴾ أى أمنتُم من فى
السما وهو الله تعالى أن يذهب
الأرض إلى سفلى ملتصة بكم .
والآية من متشابه القرآن . وقد
أجمعت القرون الثلاثة على إجراء
المتشابهات على مواردنا مع التزيه
بليس كمثله شئ ؛ وقد أوضح
الألويسى هذا غاية الإيضاح فى
تفسير هذه الآية . ﴿فَإِذَا هِيَ
تَمُورُ﴾ تضطرب وتتحرك ، فنعلم
عليهم وهم يُخسفون فيها إلى أسفل
سافلين ؛ من المور ، وأصله
التردد فى الذهاب والرجوع .
يقال : مار يمور ، تحرك وجاء
وذهب .

١٧ - ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي
السَّمَاءِ ..﴾ أى بل أمنتُم ؟!
وهو إضراب عن وعيد شديد
بعذاب أرضى وقع مثله لقارون ،
إلى وعيد بعذاب سماوى وقع مثله

قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ
أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ
نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ
فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ
أَجْهَرُوا بِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَن
خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۚ
وَالْيَهُ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ
الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ
يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَتَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ
كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ

أى أسحقهم الله سُحْقًا . واللام فى
«لأصحاب» للتبيين ؛ كما فى :
سَقيًا لَكَ ، وجَدًا لَه وعَقْرًا .

١٣ - ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ ..﴾ أى
إسراؤكم بالنيل من محمد [صلى
الله عليه وسلم] وجهركم به
سيان ، فلا يخفى علينا منه شئ ؛
فهو من تنمة الوعيد . نزلت فى
المشركين الذين كانوا ينالون من
النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فلما
أطلعه الله على أمرهم قال بعضهم

تمتير : أى تنقطع وينفصل
بعضها من بعض من شدة الغضب
عليهم . والغيظ : أشد الغضب .
﴿فَوْجٌ﴾ جماعة من الكفار .

١١ - ﴿فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ
السَّعِيرِ﴾ قُبْعًا لهم من رحمة
الله ؛ وهو دعاء عليهم .
والسُّحْقُ : البُعْدُ . يقال :
سَحَقَ - ككَرَّم وَعَلِمَ - سُحْقًا ؛
أى بُعِدَ بُعْدًا ؛ فهو سَحِيقٌ .
وأسحقه الله : أبعد ، وهو
مصدر ناب عن فعله فى الدعاء ؛

لقوم لوط وأصحاب الفيل .
والحاصب : الرّيح فيها حجارة .
أو هي الحجارة المرسلة من
السماء . ﴿ فَسْتَغْلَمُونَ كَيْفَ
نَذِيرٍ ﴾ أى كيف إنذارى عند
مشاهدتكم للمنذر به ؟ ولكن لا
ينفعكم العلم .

١٨ - ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ .. ﴾ تحذير لهم مما وقع للأنم
الماضية من العذاب حين أصروا
على الكفر ليعتبروا به . ﴿ كَانَ
نَكِيرٍ ﴾ انكارى عليهم بالهلاك .
١٩ - ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ
فَوْقَهُمْ ﴾ تصويرٌ لقدرته تعالى .
وَأَنْ مَنْ قَدَرَ عَلَى إمساك الطير في
السماء عند الصّف والقبض .
قادرٌ على أَنْ يَخْصِفَ بِهِم
الأرض . وَيُرْسِلَ عَلَيْهِم
الحاصب . ﴿ صَافَاتٍ ﴾ باسطات
أجنحتهم في الهواء عند الطيران .
﴿ وَيَقْبِضْنَ ﴾ يضممتها إذا ضربن
بها جنوبهن حيناً فحيناً للاستظهار
بها على التحرك . ﴿ مَا
يُمْسِكُهُنَّ ﴾ في الجوّ في الحالين
﴿ إِلَّا الرَّحْمَنُ ﴾ الذى وَسِعَتْ
رحمته كلّ شيء . ووهب كلّ
شيء خاصّة .

٢٠ - ﴿ أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ
لَكُمْ .. ﴾ تبكيت لهم بنفى أن
يكون لهم ناصرٌ غير الله إذا أراد أن
يَخْصِفَ بِهِم الأرض . ﴿ غُرُورٍ ﴾
خدعة من الشيطان وجنده .
٢١ - ﴿ أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي
يَرْزُقُكُمْ .. ﴾ تبكيت آخر بنفى
الرازق لهم إن أمسك رزقه عنهم ؛

يَرَوْنَ إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفًى وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا
الرَّحْمَنُ إِنَّهُ يَكْبِلُ شَيْءٌ بِبَصِيرٍ ﴿١٨﴾ أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ
جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنْ الْكَافِرُونَ إِلَّا
فِي غُرُورٍ ﴿١٩﴾ أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ
بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢٠﴾ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ
أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١﴾ قُلْ هُوَ
الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ
قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ
مُبِينٌ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّعَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ

فلم يُرْسِلْ لَهُمُ الْمَطْرَ . وأرسل بدله
حاصباً من السماء . ﴿ بَلْ لَجُّوا ﴾
تمادوا في اللّجاج . وهو تقاعص
الأمر مع كثرة الصّوارف عنه .
﴿ فِي عُتُوٍّ ﴾ استكبار وطغيان
﴿ وَنُفُورٍ ﴾ شروء وتباعيد عن
الحق .
٢٢ - ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى
وَجْهِهِ .. ﴾ المُكِبُّ : الساقط
على وجهه . يقال : كبّه وأكبّه ،
قلبه وصرعه . وهو مثلٌ ضربه الله
للكافر والمؤمن ، أى أفمن يمشى
وهو يعثر في كل ساعة ويختر على
وجهه في كلّ خطوة ؛ لتوغل
طريقه واختلافه بانخفاض
وارتفاع - أهدى - أهدى وأرشد إلى
المقصد الذى يؤمّه . أم من يمشى
قائماً سالماً من الحبط والعثار على
طريق مستو لا اعوجاج فيه ولا
انحراف !
٢٤ - ﴿ ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾
خلقكم وبثكم وكثركم فيها .
٢٥ - ﴿ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ ﴾ أى
الموعود وهو الحشر .

سُورَةُ الْقَلَمِ وَتُسَمَّى سُورَةَ نَ

١ - ﴿نَ﴾ من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه . أو هي اسمٌ للسورة . أو للقرآن . ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أقسم الله تعالى - على براءة النبي صلى الله عليه وسلم مما نسب إليه المشركون من الجنون ؛ حسداً وعداوةً ومُكابرةً . وعلى ثبوت الأجر الدائم له على قيامه بأعباء الرسالة ، وعلى كونه على دين الإسلام والتوحيد - يحسن القلم الذي يخط به في السماء في اللوح المحفوظ . وفي صُحف الملائكة والحفظة ، وفي الأرض بما ينفع الناس . وأقسم بما يكتبه الكاتبون مما هو خيرٌ ونفعٌ .

٢ : ٤ - ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ رد لقولهم : (يا أيها الذي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ) (١) . أى لا تكون مجنوناً وقد أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة . ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أى غير منقوص ولا مقطوع على صبرك وتحملك أعباء الرسالة ، من مَنَّتِ الحبل : إذا قطعه . أو غير ممنون به عليك . ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ دين عظيم ، لا دين أحبُّ إلى ولا أرضى عندى منه وهو دين الإسلام . وقيل : آداب القرآن . وعن عائشة رضي الله عنها : كان خُلُقُهُ القرآن . يرضى لرضاه وَيَسْخَطُ لِسَخَطِهِ (٢)

أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمْنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٠﴾

(٦٨) سُورَةُ الْقَلَمِ مَكِّيَّةٌ

الأمارة ١٧ الآية ٣٢ وزيادة ٤٨ الآية ٥٠ لقضية وآياتها ٥٢ نزلت بعد العلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتَبْصُرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمْ أَلْمَقُوتُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ

أَهْلَكْنِي اللَّهُ ﴿٢٨﴾ أى أمانتى كما تَتَمَنُّونَ ! ﴿يَجِيرُ الْكَافِرِينَ﴾ ينجيهم . أو يمنهم أو يؤمنهم . ٣٠ - ﴿غَوْرًا﴾ غائراً ذاهباً في الأرض لا تناله الدلاء . وكان ماؤهم من يثر زمزم وبئر ميمون بن الحضرمي . يقال : غار يغور غوراً ، إذا نضب . مصدر وُصِفَ به للمبالغة . أو مَوَّلٌ باسم الفاعل . ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ جار . أو ظاهر تراه العيون ، وتناله الأيدي والدلاء كما أنكم . والله أعلم .

٢٧ - ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ فلما رأوا العذاب يوم القيامة قريباً منهم ﴿سَيَبْتَ وَجْوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ساءت رؤيته وجوههم ، بأن غشيتها كآبة وذلة . و «زُلْفَةً» حال من مفعول «رأوه» وهو اسم مصدر لأزلف إزلاقاً ﴿تَدْعُونَ﴾ تطلبونه في الدنيا وتستعجلونه إنكاراً واستهزاء ، من الدعاء بمعنى الطلب . ويؤيده قراءة «تدعون» بسكون الدال .

٢٨ - ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ﴾

(١) آية الحجر . (٢) رواه ابن المنذر



٥ - ﴿فَسَبِّحْهُ وَيُبْسِرُونَ﴾ وعده له صلى الله عليه وسلم ، ووعده لأهل مكة .

٦ - ﴿بِأَيْكُمْ الْمُفْثُونَ﴾ أى فى أى فريق منكم الذى فتن بالجئون . أبفرق المؤمنين أم بفريق الكافرين ؟ أى فى أىهما يوجد من يستحق هذا الوصف . والباء بمعنى فى ؛ وهو تعريض بغلاة المشركين الذين وصفوه صلى الله عليه وسلم بهذا الوصف القبيح .

٨ ، ٩ - ﴿فَلَا تُطِيعِ الْمُكْذِبِينَ﴾ أى لا تداهنهم ولا تدارهم استجلاباً لقلوبهم . ثم علل ذلك بقوله تعالى : ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِىَ أَى أَحْبَبُوا لَوْ ثَلَاثِينَ وَسَاعَهُمْ فى بعض الأمور بترك ما لا يرضونه مصادمة لهم . ﴿فَيُدْهِئُونَ﴾ فهم الآن يدهنون بترك بعض ما لا ترضى به ؛ فجواب التمنى المفهوم من «ودُّوا» جملة اسمية . والإدھان : اللين والمصانة والمقاربة فى الكلام .

١٠ : ١٣ - ﴿وَلَا تُطِيعِ كُلَّ خَلَافٍ﴾ كثير الخلف فى الحق والباطل . ﴿مُهِنٍ﴾ حقير ذليل وضعيف . ﴿هَمَّازٍ﴾ عَيَاب . أو مُغْتَابٍ للناس ؛ من الهُزْء . وهو واللمز الضرب طعناً باليد أو العصا ونحوها ، ثم استعير للذى ينال الناس بلسانه وبعينه وإشارته . ويقع فيهم بالشؤء . ﴿مَشَاءٍ بَنِيمٍ﴾ نقال للحديث للإفساد بين الناس . والنميم والنميمة :

وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْنِينَ ٧ ﴿فَلَا تُطِيعِ الْمُكْذِبِينَ ٨﴾
وَدُّوا لَوْ تُدْهِىَ فَيُدْهِئُونَ ٩ ﴿وَلَا تُطِيعِ كُلَّ خَلَافٍ
مُهِنٍ ١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بَنِيمٍ ١١ ﴿مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ
أَثِيمٍ ١٢﴾ عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ١٣ ﴿أَنْ كَانَتْ
ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ١٤﴾ إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَايَتُنَا قَالَ أَسْطِيطُ
الْأَوَّلِينَ ١٥ ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ ١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا
بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ١٧
وَلَا يَسْتَنْوُونَ ١٨ ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ

مصدران بمعنى السعاية والإفساد . يقال : نَمَّ الحديث - من باهى قتل وضرب - سعى ليوقع به فتنة أو وحشة ؛ فالرجل نَمٌّ ونَمَام . وأصلها الهَمْسُ والحركة الخفيفة ؛ ثم استعملت فيما ذكر مجازاً . ﴿عَتَلٌ﴾ جاف غليظ ؛ من عَتَلَةٍ يَتَتَلَهُ ويعتله : إذا جره بعنف وغلظة . أو شديد الحصومة بالباطل . ﴿زَنِيمٌ﴾ مُلْصَقٍ بالقوم . دَعِىٌّ فيهم ؛ كأنه فيهم زَنَمَةٌ . وهى ما يتدلى من الجلد فى خلق المعز تحت لِحْيَتِهَا . وقيل : الزَنِيمُ هو الذى يُعرف بالشر أو باللؤم بين الناس ؛ كما تُعرف الشاة بَرَنَمَتِهَا . أو هو الفاجر . وقيل : العَتَلُ الزَنِيمُ : الفاحش اللئيم .

١٥ - ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾

أباطيلهم وخرافاتهم التى سطورها فى كتبهم السابقة . جمع أسطورة .

١٦ - ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ﴾ سنين أمره بياناً واضحاً . حتى يعرفه التامس فلا يخفى عليهم ؛ كما لا تخفى السمة على الخرطوم . أو سُلْحَق به عاراً لا يفارقه . تقول العرب للرجل يُسَبُّ سَبَّةً سوء قبيحة باقية : قد وُسِمَ ميسم سوء . أى ألصق به عار لا يفارقه ؛ كما أن السمة وهى العلامة لا يُمحى أثرها . والخرطوم : الأنف من الإنسان ؛ والوسم عليه يكون بالنار . وكُنِيَ به عما ذكر .

١٧ - ١٨ - ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾ أى امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع ؛ حتى أكلوا الجيف

﴿صَارِمِينَ﴾ قاصدين قطعها
٢٣ - ٢٤ - ﴿وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ﴾
يتسارون بالحديث فيما بينهم ،
يقول بعضهم لبعض : ﴿لَا
يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ
مَسْكِينَ﴾ . يقال : خفت
يخفت خفتاً ، إذا سكت ولم
يبين .

٢٥ - ﴿وَعَدُوا عَلَىٰ حَرْدٍ﴾
قادرين ﴿سَارُوا إِلَىٰ جَنَّتِهِمْ غَدَوَةً﴾
على أمر قد قصدوه واعتمدوه ،
واستسروه بينهم قادرين عليه في
أنفسهم ، وهو حرمان المساكين .
وَالْحَرْدُ : القصد ، من قولهم :
حَرَدَ فُلَانٌ حَرْدَ فُلَانٍ - من باب
ضرب - أى قصد قصده . أو
غَدُوا إِلَىٰ جَنَّتِهِمْ منفردين عن
المساكين ليس أحد منهم معهم .
قادرين على صرامها ، من حَرَدَ
عن قومه : إذا تنحى عنهم ونزل
منفرداً ، ومنه رجلٌ حَرِيدٌ : أى
وحيد .

٢٦ - ٢٧ - ﴿قَالُوا إِنَّا
لَضَالُونَ﴾ . أى عن طريق جَنَّتِنَا
وما هى بها ، ثم قالوا بعد التأمل :
لَسْنَا ضَالِّينَ عَنْهَا ﴿بَلْ نَحْنُ
مَحْرُومُونَ﴾ خرمنا منفعتها
بذهاب حرثها ، جزاء جرمانا
المساكين من حظهم منها .
٢٨ - ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أعدلهم
وأرجحهم رأياً . ﴿لَوْلَا
تَسْبُحُونَ﴾ أى هلا تذكرون الله
وتتوبون إليه من خبث يتكلم .
وكان قد قال ذلك لهم من قبل
فعصوه .

وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادُوا
مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنْ اْعْدُوا عَلَىٰ حَرِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
صَرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ
لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينَ ﴿٢٤﴾ وَعَدُوا عَلَىٰ حَرْدٍ
قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ
نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا
تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾
فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوُمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَوَيْلَنَا
إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبَّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا
إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلِلْآخِرَةِ

الانقطاع . ويقال : أصبح ، أى
دخل وقت الصباح . ﴿وَلَا
يَسْمَعُونَ﴾ حصّة المساكين كما كان
يفعل أبوهم . والجملة عطف على
﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ ومقسم عليه .
١٩ - ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ﴾
نزل بها بلاءٌ محيطٌ من عند الله
تعالى . والطائِفُ غلب في الشر .
٢٠ - ﴿كَالصَّرِيمِ﴾ كالبيستان
الذى صُرمت ثماره ، بحيث لم يبق
منها شيء .
٢١ - ﴿فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ﴾
نادى بعضهم بعضاً حين أصبحوا .
٢٢ - ﴿اْعْدُوا عَلَىٰ حَرِّكُمْ﴾
باكروا مقبلين على ثماركم .

بدعوته صلى الله عليه وسلم .
﴿كَمَا بَلَّوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾
المعروف خبرهم عندهم . وهم
أصحابُ بستانٍ بأرض اليمن قريباً
من صنعاء ورثوه عن أبيهم .
وكان يؤذى للمساكين حق الله
فيه ، فلما مات بخلوا به فكان من
أمرهم ما قصه الله في هذه
السورة . ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا
مُصْبِحِينَ﴾ ليقطعن ثمارها بعد
استوائها داخلين في وقت الصباح
الباكر قبل أن تخرج المساكين ؛
من الصَّرم وهو القطع . يقال :
صرم النخل - من باب ضرب -
جزءه ، ومنه الانصرام . أى

٣٠ - ﴿يَتَلَوْتُونَهُ﴾ يُلوم بعضهم بعضاً على القسم . وقصد حرمان المساكين .

٣٢ - ﴿إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ طالبون منه الخير والعتق .

٣٣ - ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ﴾ أى مثل الذى بلّونا به أصحاب الجنة من إهلاك حرثهم وهم فى غاية القدرة عليه والثقة به - عذاب من خالف أمرنا من كفار مكة وغيرهم .

٣٥ : ٤١ - ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ لَمَّا سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ قَوْلَهُ تَعَالَى : «إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ» قالوا : إن الله فضّلنا عليكم فى الدنيا . فإن صَحَّ أَن هُنَاكَ بَعَثًا فَلَا بُدَّ أَن يُفَضَّلَنَا عَلَيْكُمْ فى الآخرة ، وإن لم يحصل تفضيلٌ فلا أقلَّ من المساواة ، فترتلت الآية . أى أنخيف فى

الحُكْم فَنَجْعَلُ الَّذِينَ خَضَعُوا لَنَا بِالطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ . كَالَّذِينَ اكْتَسَبُوا الْمَآثِمَ وَارْتَكَبُوا الْمَعَاصِيَ ؟ كَلَّا ! وَقَدْ وَبَّخَهُمُ اللَّهُ بِاسْتِفْهَامَاتِ سَبْعَةٍ : [أَوَّلُهَا - هَذَا . وَالثَّانِي - ﴿مَالَكُمْ﴾ . وَالثَّالِثُ - ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ . وَالرَّابِعُ - ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ﴾ . وَالخَامِسُ - ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ﴾ . وَالسادسُ - ﴿أَيُّهُمْ بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ . وَالسَّابِعُ - ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾] - ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ أى تقرأون فيه . ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ أى إن لكم فى حُكْمِهِ لِلَّذِي تَخْتَارُونَهُ . وهذه الجملة

أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٣٨﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٩﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٤٢﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٣﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤٤﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٥﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ ﴿٤٦﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ

سَوْفَهُنَّ . وإبداء حزامهن عند الحرب واشتداد الخطب . فكُنِيَ بِهِ عَمَّا ذُكِرَ ، فلا ساق ولا كشف ثَمَّة . وهو كما يقال للأقطع الشحيح : يذنه مغلوله . ولا يَدُ ثَمَّةٌ ولا غُلٌّ ؛ وإنما هو كناية عن البخل . ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ توبيخاً لهم وتحسيراً على تفریطهم فى طاعة الله فى الدنيا . ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لصيرورة أصلابهم عظماً واحداً .

٤٣ - ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ ذليلة أبصارهم . ونسبة الخشوع للإبصار لظهور أثره فيها . ﴿تَرَهِقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ تغشاهم ذِلَّةٌ

حكاية للمدرس على ما هو عليه . ﴿أَيْمَانٌ﴾ عهد مؤكدة بالآيمان . ﴿بِالْبَلَاغَةِ﴾ متناهية فى التوكيد . ﴿لَمَّا تَحْكُمُونَ﴾ للذي تحكمون به لأنفسكم . ﴿أَيُّهُمْ بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ كفى بأن لهم فى الآخرة ما للمسلمين . والزَّعِيمُ : الضامن والمتكلم عن القوم .

٤٢ - ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ اذكر لهم يوم يشتد الأمر ويعظم الخطب . . . وهو يوم القيامة . وكشف الساق والتشمير عنها : مثل فى ذلك . وأصله فى الزرع والحزبة . وتشمير المحذرات عن

٤٨ - ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ

الْحُوتِ ..﴾ أي لا يوجد منك ما
وجد من يونس عليه السلام . من
الصخر والغضب على قومه الذين
لم يؤمنوا ، إذ دعا ربه في بطن
الحوت وهو مملوء غيظاً عليهم ،
حتى لا تبلى بنحو ما أثبتني به . بل
ادرع الصبر حتى يقضى الله أمراً
كان مفعولاً . وكان قد همّ صلى
الله عليه وسلم أن يدعوه على ثقيف
﴿مَكْظُومٌ﴾ مملوء غيظاً في
قلبه على قومه .

٤٩ - ﴿لَيْدٌ بِالْعَرَاءِ﴾ لطح من
بطن الحوت بالأرض الفضاء
الحالية من النبات والأشجار
والجبال . ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ مَلُومٌ
مؤاخذ بذنبه . وهو ترك الأفضل
بالنسبة لمنصب النبوة .

٥٠ - ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ أي
اصطفاه فردّ عليه الوحي بعد
انقطاعه ، وشفعه في نفسه
وقومه ، وقبل توبته . ﴿فَجَعَلَهُ

٥١ - ﴿لِيُزْلِقَنَّكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾
ليهلكونك ، أو يُزْلِقَنَّكَ قَدَمُكَ . أو
يصرعونك بأبصارهم من شدة
نظرهم إليك شراً بعيون العداوة
والبغضاء . وقُرئ بفتح الباء ،
وهما لغتان بمعنى واحد . يقال :
زَلَقَهُ يَزْلِقُهُ . وأزلقه يُزْلِقُهُ إِزْلَاقًا :
نَحَاهُ وَأَبْعَدَهُ . والباء للتعدية أو
للسببية . والله أعلم .

سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٨﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ

إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ

مُتَقَلِّونَ ﴿٥٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٥١﴾

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ

نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٥٢﴾ لَوْلَا أَن تَدَارَكُهُ رِيعَةٌ مِّنْ

رَبِّهِ لَنُبَذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٥٣﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ

فَجَعَلَهُ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٤﴾ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا

لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ

لَمَجْنُونٌ ﴿٥٥﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٦﴾

في الطغيان والكفر . ثم نأخذهم
أخذ عزيز مقتدر [آية ١٨٢
الأعراف ص ٢٢٩]

٤٥ - ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ أمهلهم

وأنسى في آجالهم مدة طويلة على
كفرهم وتمردهم ، لتكامل
الحجج عليهم . ﴿إِنَّ كَيْدِي

مَتِينٌ﴾ إن إناعمي عليهم -

استدراجاً لهم - كيدٌ قويٌّ شديد لا
يُدْفَع ولا يُطَاق . وتسميته كيداً
لكونه في صورته حيث كان سبباً

٤٦ - ﴿فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ

مُتَقَلِّونَ﴾ أي فهم من غم ذلك
الأجر مثقلون ، قد أثقلهم القيام
بأدائه فتحاموا قبول دعوتك ،
وتجنبوا الدخول في دينك .

شديدة من عذاب الله . يقال :
رَهَقَهُ ، غَشِيَهُ ، وَبِأَيْهِ طَرِبَ .
وَأَرْهَقَهُ طَغْيَانًا : أَغْشَاهُ .

٤٤ - ﴿فَدَرَنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا

الْحَدِيثِ﴾ كلٌ إلى مَنْ يُكَذِّبُ
بالقرآن ! واخل بيني وبينه ! فإني
عالمٌ بما ينبغي أن يفعل به مطبق

له ، وسأُكْفِيكَه ، ففرغ بالك .

وخل همك منه ، وتوكل على في

الانتقام منه . وهو من بليغ

الكلام ، وفيه تسلية لرسول الله

صلى الله عليه وسلم . وتهديدٌ

للمكذِّبين . ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾
سنستزهم إلى العذاب درجةً
درجةً ، بالإمهال والإحسان
وإسباغ النعم ، حتى يظنوا ذلك
تفضيلاً لهم على المؤمنين . فيتأدوا

سُورَةُ الْحَاقَّةِ

١ : ٢ - ﴿الْحَاقَّةُ﴾ أى الساعة التى تَحِقُّ وتثبت فيها الأمور الحَقَّةُ التى كانوا ينكرونها من البعث والحساب والجزاء ؛ من حقِّ الشئ يَحِقُّ - من باي ضرب وقتل - ثبت . أو التى تُحَقُّ فيها الأمور ؛ أى تُعرف على الحقيقة ؛ من حَقَّقْتُهُ أَحَقُّهُ : إذا عرفت حقيقته . وإسنادُ الفعل إليها من الإسناد إلى الزمان ؛ على حَدِّ : نهاره صائمه . وقال الأزهري : الحَاقَّةُ القيامة ؛ من حاققتُه أَحَقُّهُ فحقيقته : أى غالبته فغلبته ؛ فهي حاقَّةٌ ، لأنها تَحِقُّ كلُّ مُحَقِّقٍ - أى مَخَاصِمٍ - في دين الله بالباطل فتغلبه . و(الْحَاقَّةُ) مبتدأ ، خبره جملة (ما الْحَاقَّةُ) .

٣ - ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ أى أى شئ أعلمك ما الْحَاقَّةُ . أى لا علم لك بكنها ومدى عَظَمِهَا ؛ إذ هي من الهول والشدة بحيث لا تبلغه دراية أحد ولا وَهْمُهُ . وكيفما قُدِّرَتْ حالها فهي وراء ذلك وأعظم ! . وجملة (ما الْحَاقَّةُ) في محل نصب سادة مسدِّ المفعول الثاني لـ (أَدْرَاكَ) .

٤ - ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ أى القيامة التى تَقْرَعُ القلوب بشدة أهوالها وأفزعها ، والسموات والأرض والجبال بالانحلال ؛ من القَرَعِ ، وهو صكُّ جسم صلب بآخر صلب بعنف . يقال : قرع الباب - كَمَعَ - طَرَقَهُ ونَقَرَهُ عليه ؛ ومنه

(١) آية ٦٧ مود . (١) آية ٧٨ الأعراف .

(٦٩) سُورَةُ الْحَاقَّةِ مَكِّيَّةٌ
وآياتها ٥٢ نزلت بعد المثلث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ١ مَا الْحَاقَّةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ٣
كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا
بِالطَّاغِيَةِ ٥ وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ٦
سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ
فِيهَا صَرَغِي كَانْتُمْ أَعْجَازٌ تَخِلْ خَاوِيَةٍ ٧ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ
مِنْ بَاقِيَةٍ ٨ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ
بِالْخَاطِئَةِ ٩ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً

٧ - ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ سلطها عليهم بقدرته تعالى
﴿حُسُومًا﴾ أى متتابعة الهبوب حتى استأصلتهم ؛ من حَسَمَتِ الدَّابَّةُ : إذا تابعت كَيْفَهَا على الداء مرة بعد أخرى حتى ينحسم . أو نحسات مشنومات .
﴿كَانْتُمْ أَعْجَازٌ تَخِلْ خَاوِيَةٍ﴾ كأنهم أصول نخل بلا رؤوس ، وهى الجدوع ﴿خَاوِيَةٍ﴾ ساقطة ؛ من خَوَى النجم : إذا سقط للغروب . أو فارغة الأجواف بلى وفسادا ؛ من خَوَتْ الدارُ تَحْوَى خَوَاءً : خَلَتْ من أهلها ، فهى خاوية .
٩ - ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾ قُرَى قوم

قوارِغِ الدهر : أى شدائده وأهواله .
٥ - ﴿فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ بالواقعة التى تجاوزت الحد فى الهول ، وهى الصَّيْحَةُ ؛ لقوله تعالى : (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ) (١) . وبها فُسِّرَتِ الصاعقة فى حتم السجدة . وأما قوله تعالى فى شأنهم : (فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ) (٢) - وهى الزلزلة - فلكونها مسببة عن الصيحة .
٦ - ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ [آية ١٦ فصلت ص ٦٠٦] . ﴿عَاتِيَةٍ﴾ متجاوزة الحد فى شدتها ؛ فلم يقدروا عليها مع شدتها وقوتهم .

١٥ - ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾

ووجدت القيامة وحصلت

١٦ - ﴿أَنشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾

نفطرت وتصدعت من الهول

﴿فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ أى

فالسماء يومئذ ضعيفة مسترخية ،

ساقطة القوة . يقال : وهى البناء

يهى وهبا فهو واه ، إذا ضعف

جداً ، أو منشقة متصدعة .

١٧ - ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾

أى الملائكة واقفون على جوانب

السموات وحافاتهما حين تشقق ،

لينظروا أمر الله لهم لينزلوا فيحيطوا

بالأرض جمع رجا ، بالقصر .

﴿ثَمَانِيَةٌ﴾ من الملائكة . أو من

صفوفهم

١٨ - ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾

بعد النفخة الثانية للحساب

والجزاء .

١٩ - ﴿هَآؤُمْ﴾ أى خذوا ،

اسم فعل أمر . والهاء فى

﴿كِتَابِهِ﴾ (و) حسايه) وما مثلها

للسكت ، لظهر فتحة الياء .

٢٠ - ﴿ظَنَنْتُ أَنِّى مُلَاقٍ﴾

حسايه . علمت أنى سيحاسبنى

رئى حساباً بئيراً ، وقد حاسبنى

كذلك ، فأن اليوم فرح مسرور .

٢١ - ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾

أى فى حياة ذات رضا ، أى

ثابت لها الرضا ودائم لها . فهى

صيغة نسب ، كلابن وتامر

لصاحب اللبن والتمر . أو مرضية

يرضى بها صاحبها ولا يسخطها ،

فهى فاعل بمعنى مفعول . على

حد : ماء دافق ، بمعنى مدفوق .

رَآيَةً ﴿١٥﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكِ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١٦﴾

لِنَجْعَلَهَا لَكَ تَذَكُّرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ ﴿١٧﴾ فَإِذَا نُفِخَ

فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٨﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ

فَدَكًّا ذَكَّةً وَاحِدَةٌ ﴿١٩﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿٢٠﴾

وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿٢١﴾ وَالْمَلَكُ عَلَى

أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمْنِيَةٌ ﴿٢٢﴾

يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿٢٣﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوِيَّ

كِتَابُهُ وَبِئَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمْ أَقْرَأْ وَأَكْتَسِبْتُ ﴿٢٤﴾ إِلَىٰ

ظَنَنْتُ أَنِّى مَلِكٌ حَسْبِيهِ ﴿٢٥﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢٦﴾

فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٧﴾ فُطُوْفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا

هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوِيَّ

لوطٍ التى اقتلها جبريل عليه

السلام ، ثم قلبها فجعل عاليها

سافلها ، من انتفك : أى

انقلب . والمراد أهلها .

﴿بِالْحَاطِئَةِ﴾ أى جاءوا

بالفعلات الحاطئة . وإسناد الخطأ

إليها مجاز ، وإنما هو من

أصحابها .

١٠ - ﴿أَخَذَ رَآيَةً﴾ زائدة فى

الشدة على الأخذات للأمم

المهلكة ، من ربا الشئ يربو : إذا

زاد وتضاعف . ومن الربا .

١١ - ﴿الْجَارِيَةِ﴾ سفينة نوح

عليه السلام .

١٢ - ﴿تَذَكُّرَةً﴾ عبرة وعظة .

﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ﴾

تحفظها أذن من شأنها أن تحفظ

ما يجب حفظه ، من الوعى بمعنى

الحفظ فى النفس . يقال : وعى

الشئ يعيه ، حفظه .

١٣ - ﴿نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ هى

نفخة الصعق

١٤ - ﴿حُمِلَتِ الْأَرْضُ﴾

رفعت من أماكنها بأمرنا .

﴿فَدَكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾

كسرتا وقسمتا حتى صارتا غباراً

بضرب بعضها ببعض ضربة

واحدة إثر رفعها .

٢٣ - ﴿قُطِفَتْهَا ذَانِيَةً﴾ ثمارها قريبة من المتناول ، يقطفها كلما أراد . جمع قِطْف بمعنى مقطوف ، وهو ما يجتنيه الجاني من الثمار . و(ذانية) اسم فاعل ، من الذنؤ بمعنى القرب .

٢٤ - ﴿هَيْثَا﴾ أكلا غير منغص ولا مكدر .

٢٧ - ﴿يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ ياليت الموتة التي مثلها في الدنيا كانت القاطعة لأمرى ، فلم أبعث بعدها ! ولم ألق ما ألقى !

٢٨ - ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي﴾ ما دفع العذاب عني . ﴿مَالِيهِ﴾ الذي كان لي من مال ونحوه .

٢٩ - ﴿سُلْطَانِيَةً﴾ حجتى أو تسلطى وقوتى .

٣٠ : ٣٢ - ﴿خُذُوهُ فَعْلُوهُ﴾ فاجمعوا يديه إلى عنقه في العُل . والخطاب للزيانية . ﴿ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلَّوهُ﴾ أى ثم لا تدخلوه إلا الجحيم . وهى النار العظيمة الشديدة التأجج ، لعظم ما ارتكب من الذنب ، وهو الكفر بالله العظيم . ﴿ذَرَّعَهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ كناية عن عظم طولها . وليس المراد بالعدد التحديد ، كما قيل فى قوله تعالى : ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (١) وقوله (لَيْلَةُ الْقَدَرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) (٢) .

﴿فَاسْأَلُكُوهُ﴾ أدخلوه فيها ، كأنه السلك الذى يدخل فى ثقب الخرزات بعسر لضيق الثقب .

٣٤ - ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ

كَتَبَهُ بِسْمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أَوْتِ كِتَابِيَةَ (٢٥)

وَلَمْ أَدْرِ مَا حَسَابِيَةَ (٢٦) يَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧)

مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ (٢٩)

خُذُوهُ فَعْلُوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلَّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ (٣٤)

فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِطُونَ (٣٧) فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَدْكُرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ (٤٤)

الْمَسْكِينِ ﴿ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يُطْعِمَهُ . ٣٨ ، ٣٩ - ﴿ فَلَا أَقْسِمُ ﴾ أى خفى الرجل : إذا تعمد الذنب .

٣٥ - ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴾ صديق ، أو قريب مشفق يحبه ويدفع عنه .

٣٦ ، ٣٧ - ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴾ هو شجر يأكله أهل النار ، فيغسل بطونهم ، أى يخرج أحشاءهم . أو ما يسيل من أجسام أهل النار . أو شر الطعام وأخبثه وأبشعه . ﴿ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِطُونَ ﴾ الكافرون ، من

خطئ الرجل : إذا تعمد الذنب . ٣٨ ، ٣٩ - ﴿ فَلَا أَقْسِمُ ﴾ أى فلا أقسم لظهور الأمر واستغناؤه عن التحقيق والتأكيد بالقسم . أو فأقسم و(لا) مزيدة . أو فلا راد لكلام سبق من المشركين ، أى ليس الأمر كما تقولون . ثم استأنف فقال أقسم : ﴿ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾ أى بالمشاهدات والمعانيات ، فهو عام فى جميع مخلوقاته تعالى .

٤٠ - ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾

الصفة للموصوف. وحق اليقين : فوق علم اليقين. قيل : مراتب العلم ثلاثة : حق اليقين ، ودونه علم اليقين. فالأول - كعلم العاقل بالموت إذا ذاقه . والثاني - كعلمه به عند معاينة ملائكته . والثالث - كعلمه به في سائر أوقاته .

٥٢ - ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ نزه اسم ربك العظيم عما لا يليق به . أو نزه ربك العظيم عن السوء والنقص . والله أعلم .

سورة المعارج

٣ ، ١ - ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ ﴾ دعا داع ﴿ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ أى سيفع لا محالة ﴿ لِلْكَافِرِينَ ﴾ أى عليهم ﴿ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴾ يدفعه عنهم ﴿ مِنَ اللَّهِ ﴾ أى من عنده وجهته تعالى . والسائل : هو التضربين الحارث ، حيث قال استهزاء : (إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (١) فتزل مأسأله . وقتل يوم بدر صبراً (٢) هو وعقبة بن أبي معيط ، ولم يقتل صبراً غيرها . وقيل : السائل غيره . وعبر به (واقع) بدل يقع للدلالة على تحقق وقوعه . إما في الدنيا وهو عذاب بدر . وإما في الآخرة وهو عذاب النار . ﴿ ذِي الْمَعَارِجِ ﴾ أى المصاعد . وهى السماوات تعرج الملائكة فيها من سماء إلى سماء .

٤ - ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ

لَاخِذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ٤٥ ۝ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ٤٦ ۝ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ٤٧ ۝ وَإِنَّهُ لَتَذَكَّرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ٤٨ ۝ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ٤٩ ۝ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ٥٠ ۝ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ٥١ ۝ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ٥٢ ۝

(٧٠) سُورَةُ الْمَعَارِجِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٤٤ نَزَلَتْ بَعْدَ الْحَاقَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ١ ۝ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ٢ ۝ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ٣ ۝ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ

وهو الشخاع المعروف . أو نياط القلب الذى إذا انقطع مات صاحبه . وهو كناية عن الإهلاك بأفطع ما يفعله الملوك بمن يعاقبونه .

٤٧ - ﴿ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ مانعين الهلاك عنه .

٥٠ - ﴿ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ أى وإن القرآن لحسرة وندامة عظيمة على الكافرين عند مشاهدتهم ثواب المؤمنين به .

٥١ - ﴿ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴾ لليقين الحق الذى لا شك فى أنه من عند الله ، لم يتقوله محمد صلى الله عليه وسلم . فهو من إضافة

تبليغاً عن ربه .

٤١ - ﴿ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾ أى لا تؤمنون ألبتة .

٤٤ - ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ .. ﴾ افترى القول . والأقوال : الأقوال .

أى لو نسب إلينا قولاً لم نقله . أو لم نأذن له فى قوله .

٤٥ - ﴿ لَاخِذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾ أى لأخذنا منه باليد اليمنى من يديه . وهو كناية عن إذلاله وإهانتة . أو لأخذناه بالقوة ،

وعبر عنها باليمين لأن قوة كل شيء فى ميامنه .

٤٦ - ﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾ ثم لقطعنا بضرب عقه وتيته .

(١) آية ٣٢ الأنفال . (٢) صبر الإنسان وغيره على القتل : أن يجلس ويرمى حتى يموت .

إِلَيْهِ ﴿ أَى تَصْعَدُ الْمَلَائِكَةُ وَجِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ تَعَالَى . وَمُعْظَمُ السَّلَفِ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْمُنْشَابَةِ ، مَعَ تَنْزِيهِهِ تَعَالَى عَنِ الْمَكَانِ وَالْجَسَمِيَّةِ ، وَلَوْ أَزِمَ الْخَدُوثُ الَّتِي لَا تَلِيْقُ بِشَأْنِ الْأُلُوْهِيَّةِ . وَقِيلَ : مَعْنَى (إِلَيْهِ) إِلَى عَرْشِهِ . أَوْ إِلَى مَحَلِّ بَرِّهِ وَكَرَامَتِهِ . ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ بَيَانٌ لِّغَايَةِ ارْتِفَاعِ تِلْكَ الْمَعَاجِرِ وَبُعْدِ مَدَاهَا عَلَى سَبِيلِ التَّمْثِيلِ . أَى أَنَّهَا مِنْ الِارْتِفَاعِ بِحَيْثُ لَوْ قُدِّرَ قَطْعُهَا فِي زَمَانٍ لَكَانَ ذَلِكَ الزَّمَانُ مِقْدَارَ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِنْ سِنَى الدُّنْيَا . أَوْ بَيَانٌ لِّسُرْعَةِ الْعُرُوجِ ، أَى أَنَّهُمْ يَقْطَعُونَ فِيهِ فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِكُمْ مَا يَقْطَعُهُ الْإِنْسَانُ فِي خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ لَوْ قُرِضَ سَبِيلُهُ فِيهَا .

٥ - ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ لَا شَكَّ فِيهِ لِأَحَدٍ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى . أَمْرُهُ بِالصَّبْرِ عَلَى اسْتِزَاءِ النَّصْرِ وَأَضْرَابِهِ وَتَكْذِيبِهِمْ ، وَأَنْ لَا يَصْجَرَ وَلَا يَحْزَنَ ، لِأَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ .

٦ ، ٧ - ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ ﴾ أَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿ بَعِيدًا ﴾ مِنَ الْإِمْكَانِ . أَوْ مِنَ الْوُقُوعِ ، وَلِذَلِكَ كَذَّبُوا مَا جِئَتْ بِهِ . وَاسْتَبْرَأُوا بِأَخْبَارِهِ . ﴿ وَتَرَاهُ قَرِيبًا ﴾ كَأَنَّهُ لَا مَحَالَةَ .

٨ - ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴾ كَذَرْدَى الرِّبِّ . وَهُوَ مَا يَبْقَى فِي أَسْفَلِهِ . أَوْ مَا أُذِيبَ مِنَ الْمَعَادِنِ عَلَى مَهْلٍ . وَالْمَرَادُ : يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ وَاهِيَةً . (وَيَوْمَ)

وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَتَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يَبْصُرُونَهُ يَوْمَ الْمُجْرِمَ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِهِمْ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَحِيحَتُهُ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْنَى ﴿١٥﴾ تَرَاةٌ لِلشَّوَى ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾

بَدَلٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي (تَرَاهُ) .

٩ - ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾ كَالصُّوفِ الْمَصْبُوغِ أَلْوَانًا ، لِاخْتِلَافِ أَلْوَانِ الْجِبَالِ . فَإِذَا بُسَّتْ وَطِيرَتْ فِي الْجَوِّ أَشْبَهَتْ الْعِهْنَ الْمَنْفُوشَ إِذَا طِيرَتْهُ الرِّيحُ . قِيلَ : أَوَّلُ مَا تَتَغَيَّرُ تَصْوِيرَ رَمْلًا مَهِيلًا ، ثُمَّ عِهْنًا مَنْفُوشًا . ثُمَّ هَبَاءً مُنِيئًا .

١٣ - ﴿ وَفَصِيلَتِهِ ﴾ أَى عَشِيرَتِهِ الَّتِي تَضُمُّهُ انْتِسَابًا إِلَيْهَا . أَوْ لِيَاذًا بِهَا فِي الشَّدَائِدِ . ﴿ تُؤْوِيهِ ﴾ تَضُمُّهُ فِي النَّسَبِ . أَوْ عِنْدَ الشَّدَةِ .

١٤ - ﴿ ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴾ ذَلِكَ الْاِقْتِدَاءُ : أَى يَوْمَ لَوْ يَفْتَدِي ثُمَّ لَوْ يُنْجِيهِ ذَلِكَ الْاِقْتِدَاءُ .

١٥ ، ١٦ - ﴿ كَلَّا ﴾ رَدْعٌ لِلْمُجْرِمِ عَنْ هَذِهِ الْوِدَادَةِ .

١٠ - ﴿ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴾ وَلَا يَسْأَلُ قَرِيبٌ قَرِيبًا عَنْ شَأْنِهِ لِشُغْلِهِ بِشَأْنِ نَفْسِهِ (لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) (١) .

١١ - ﴿ يُبْصِرُونَهُ ﴾ يَعْرِفُونَ أَقْرَبَاءَهُمْ ، فَيَعْرِفُ كُلُّ إِنْسَانٍ قَرِيبَهُ ، فَذَلِكَ تَبْصِيرُ اللَّهِ إِيَّاهُمْ . وَلَكِنْهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ لِاشْتِغَالِ كُلِّ وَاحِدٍ بِحَالِ نَفْسِهِ . يَقَالُ : بَصَرُهُ



وَجَمَعَ فَأَوْعَى ۝١٨ * إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩
 إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١
 إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝٢٣
 وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝٢٥
 وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَ الَّذِينَ ۝٢٦ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ
 رَبِّهِمْ مُتَشَفِّقُونَ ۝٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝٢٨
 وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٢٩ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ
 أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٣٠ فَمَنْ أَبْغَى
 وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٣١ وَالَّذِينَ هُمْ
 لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٣٢ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ
 قَائِمُونَ ۝٣٣ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤
 أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ۝٣٥ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا
 قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ ۝٣٦ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ۝٣٧
 أَيُطَمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۝٣٨ كَلَّا
 إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ۝٣٩ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ
 وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ۝٤٠ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا

شَوَاقٍ ، وهى من جوارح الإنسان
 مالم يكن مقتلاً . يقال : رمى
 فأشوى ، إذا لم يُصب مقتلاً .
 ١٨ - ﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴾ جمع
 المال ، فأمسكه في وعائه وكثرته .
 ولم يؤد منه حق الله تعالى فيه ،
 وتشاغل به عن دينه .

١٩ ، ٢٢ - ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ ﴾ أى
 الكافر ﴿ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ والهلع :
 شدة الجزع مع شدة الحرص
 والضجر ، وقد بين الله تعالى ذلك
 بقوله : ﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴾
 أى إذا مسه الفقر أو المرض ونحوهما
 كان مبالغا في الجزع ، مكثرا
 منه ، لا صبر له على ما أصابه .
 وإذا مسه الغنى أو الصحة كان
 مبالغا في المنع والإمساك ،
 لا ينفقه في طاعة ، ولا يؤدى منه
 حق الله فيه . و (جَزُوعًا)
 و (هَلُوعًا) خبران لكان مضرة .
 وقيل : حالان من الضمير في
 (هَلُوعًا) ثم لما وصف سبحانه
 من أذبر وتولى معللا بهلعه وجزعه
 استثنى ما يقابله فقال :
 ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ . ووصفهم بما
 ينبئ عن كمال تزهدهم عن الهلع
 من الاستغراق في طاعة الله .
 والإشفاق على الخلق . والإيمان
 بالجزاء . والخوف من العقوبة .

وكسر الشهوة . وإثارة الآخرة على
 الأولى . ﴿ مَنُوعًا ﴾ كثير الجزع
 والأسى .

٢٥ - ﴿ وَالْمَحْرُومِ ﴾ الفقير
 المتعفف عن السؤال ، فيظن
 استغناؤه لتعففه فيحرم العطاء .

وتبئس له من الإنجاء . ﴿ إِنَّهَا ﴾ الخالص . ﴿ نَزَاعَةً لِلشَّوَى ﴾
 لظى . أى إن النار لظى ، وهى
 اسم من أسمائها . أو اسم لطبق من
 أطباقها . واللظى : اللهب كما كانت ، وهكذا أبدا . جمع

٢٧ - ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون على أنفسهم مع ما لهم من صالح الأعمال : استقصاراً لها واستعظاماً لله تعالى .

٣١ - ﴿هُمْ الْعَادُونَ﴾ المجاوزون الحلال إلى الحرام [آية ٧ المؤمنون ص ٤٣٥] .

٣٦ - ﴿فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ فأى شيء ثبت لهم حال كونهم مسرعين نحوك ، ما دى أعناقهم إليك ، ليطفروا باستعاض ما يجعلونه هزواً . أو مسرعين إليك مديى النظر الشرر إليك [آية ٨ القمر ص ٦٨٢] .

٣٧ - ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ أى جماعات متفرقين عن يمينك وعن شمالك ، وكانوا يجتمعون حلقاً عند الكعبة ، فإذا صلى أو قرأ يستهزئون به ، فنزلت . جمع عِزَّة ، وهى الجماعة . وأصلها عزوة من العزو ، لأن كل فرقة تعتزى إلى غير من تعتزى إليه الأخرى ، فلامها واو . وقيل : لامها هاء ، والأصل عزهة (و) عن اليمين (متعلق بـ) عِزِينَ .

٣٩ - ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ أى أنهم يعلمون أنا أنشأناهم إنشاءً من مادة ضعيفة ، وهو حجة بينة على قدرتنا على إهلاكهم ، لكفرهم بالبعث والجزاء ، واستهزائهم بالرسول والقرآن ، وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية ، وعلى أن ننشئ بدلهم قوماً آخرين خيراً منهم .

نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرَهُمْ يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوْعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذُلٌّ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

(٧١) سُورَةُ نُوحٍ مَكِّيَّةٌ وآياتها ٢٨ نزلت بعد النحل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقُومُ إِنِّى لَكُم نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴿٣﴾ يَغْفِرْ

يعظمونها [آية ٣ المائدة ص ١٤٢] . وقيل : هى الأصنام . (يُوفِضُونَ) يسرعون . يقال : وفَضَ يَفِضُ وفَضًا ، عداً وأسرع ؛ كأَوْفَضَ واستوفض . أى يخرجون من القبور يسرعون إلى الداعى مستبقين إليه ؛ كما كانوا يستبقون إلى نُصْبِهِم ليستلموها .

٤٤ - ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ﴾ ذليلة خاضعة ؛ لا يرفعونها لما هم فيه من الخزي والهوان . ﴿تَرْهَقُهُمْ ذُلٌّ﴾ يَغْشَاهُمُ الْهَوَانُ الشَّدِيدُ . يقال : رَهَقَهُ الْأَمْرُ يَرْهَقُهُ رَهَقًا ، غَشِيَهُ بَقَرٌ كَارَهُقَهُ . والله أعلم .

٤٠ - ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ أقسم . و«لَا» مزيدة . [آية ٣٨ الحاقة ص ٧٤٥] ، وَالْمَشَارِقُ والمغرب : مشارق الشمس والقمر والكواكب ومغاربها .

٤١ - ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أى مغلوبين . أو عاجزين عن أن نأتى بقوم آخرين خير منهم .

٤٣ - ﴿مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ القبور . جمعُ جَدَثٍ . ﴿سِرَاعًا﴾ مسرعين إلى الداعى . ﴿كَانَهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفِضُونَ﴾ النَّصْبُ - بضمين - : حجارة كانوا

أهل العلم لسايعتم إلى ما أمركم به . أو لو علمتم أن أجل الله إذا جاء لا يؤخر - لأنتم إلى طاعة ربكم .

٦ - ﴿فَرَارًا﴾ تباعدًا من الإيمان وإعراضا عنه . والفرار : الزوغان والهرب . يقال : فرير فراراً فهو فرور . وأصله الكشف عن سين الدابة ليُعرف ، واستعمل فيما ذكر لما فيه من الكشف عن مكنونات الصدور .

٧ - ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة ، فهو كناية عما ذكر . ﴿وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ بالغوا في التغطى بها . كأنهم طلبوا من ثيابهم أن تغشاهم ، لئلا يروه كراهة له من أجل دعوته . أو ليُعرفوه إعراضهم . وقيل : هو كناية عن العداوة ، كما يقال : ليس لي فلان ثياب العداوة . ﴿وَأَصْرُوا﴾ أقاموا على كفرهم ، من الإصرار ، وهو التمسك في الذنب والتشدّد فيه ، والامتناع من الإقلاع عنه . وأصله من الصرة بمعنى الشدة .

١١ - ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ ينزل المطر عليكم متتابعاً غزيراً ، وفي ذلك الخصب ورغد العيش [آية ٦ الأنعام ص ١٦٩] . ١٣ - ﴿مَالِكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أي لا تعتقدون له عظمة . أو لا تحافون عظمتة تعالى ، فتطيعونه وتحشون عقابه . والاستفهام إنكاراً لوقوع ذلك

لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٢﴾ فَلَمْ يَرِدْهُمْ دُعَاؤِي إِلَّا فَرَارًا ﴿٣﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا ﴿٤﴾ اسْتِكْبَارًا ﴿٥﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٦﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَتُ لَهُمْ وَأَسَرَّتْ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٧﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿٨﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿٩﴾ وَيُمَدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٠﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١١﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٢﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٣﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٤﴾ وَاللَّهُ أُنَبِّتُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ

سورة نوح

الإبذار ، وهو إخبار فيه تخويف . يقال : أُنذره يُنذره إنذاراً ، فهو منذر ونذير ، وهم منذرون . ٤ - ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ أي يغفر لكم ذنوبكم ، أو بعض ذنوبكم وهو ما سلف قبل الإيمان بما لا يتعلق بحقوق العباد . ﴿إِنْ أَجَلَ اللَّهُ﴾ وقت محيى عذابه إن لم تؤمنوا ﴿لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي لو كنتم من

١ - ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ هو ابن لَمَك بن مِيثَلح بن أخنوخ ، وهو إدريس عليه السلام . ﴿إِلَى قَوْمِهِ﴾ قيل : هم سكان جزيرة العرب ومن قرب منهم . والمشهور : أنه كان يسكن أرض الكوفة ، وهناك أرسل . ﴿أَنْ أُنْذِرَ قَوْمَكَ﴾ بأن أُنذَرهم وحذرهم عاقبة كفرهم ، من

منهم . والرجاء بمعنى الاعتقاد أو الخوف . والوقار : العظمة .

١٤ - ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ أي وأنتم تعلمون أنه تعالى خلقكم مُدْرَجًا لكم في أدوار متعاقبة ، وحالات مختلفة . والإحلال بتوفير من هذا شأنه مع العلم به مما لا يكاد يصدر عن عاقل ! جمع طَور ، وهو المرة والثارة . ويطلق على ما كان على حد الشيء وعلى المقدار . وكل ذلك مناسب للمعنى المراد .

١٥ - ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ﴾ بيان لآيات آفاقية بعد بيان آيات الأنفس ؛ للاستدلال بها على ما يوجب عليهم توفير الله وتعظيمه عز شأنه . ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ مطابقة ؛ بعضها فوق بعض - كالقياب - من غير ماسة [آية ٣ المُلْك ص ٧٣٤] .

١٦ - ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ جعله في سماء الدنيا نورًا للأرض ومن فيها . وإنما قال (فيهن) لأنها محاطة بسائر السماوات ، فافيهما يكون كأنه في الكل . أو لأن كل واحدة منها شفاقة ؛ فيرى الكل كأنه سماء واحدة ؛ فساغ أن يقال : (فيهن) . والمرجح الإيجاز والملاسة بالكلية والجزئية ، وكونها طباقًا شفاقة . ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ يُزِيل ظلمة الليل ، ويُبَيِّر أهل الدنيا في ضوءها كل شيء ؛ وهى في السماء الرابعة .

نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ - إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كُبَرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ الْهَيْكَلَ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أَغْرِقُوا فَادْخُلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْ

١٧ - ﴿أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أنشأكم من طبيعتها . وهذه الخمسة أكبر الأصنام والصور التي كان قوم نوح يعبدونها ، ثم عبدتها العرب من بعدهم كما عبدت غيرها ؛ فكان ودٌ لكلب بدومة الجندل . وسواعٌ لهذيل بساحل البحر أولهمدان . ويعوقٌ لبني عُطَيْفٍ من مراد بالجرف من سبأ . أولماد ثم لعطفان . ويعوقٌ لهمدان باليمن ، أولماد . ونسرٌ لذي الكلاع من حمير .

١٩ - ﴿الْأَرْضُ بِسَاطًا﴾ فراشًا مبسوطًا للاستقرار عليها .

٢٠ - ﴿سُبُلًا فِجَاجًا﴾ طرقًا واسعات . جمع فِجْ . وهو الطريق الواسع . وقيل : هو المسلك .

٢١ - ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ ضللاً وذهاباً عن مَحَجَّة الصواب . مصدرٌ خَسِرَ - كَفِرَحَ وَضُرِبَ - أى ضل . ويُطلق على الهلاك .

٢٢ - ﴿مَكْرًا كُبَرًا﴾ عظيمًا بالغ الغاية في العظم . يقال : كبير وكبارٌ وكُبَرٌ ، والمشدد أبلغ .

٢٣ - ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سَوَاعًا﴾ وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٤﴾ وَمِمَّا خَطَبْتَهُمْ أَغْرِقُوا فَادْخُلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْ

ما يشاء . من محاربت وتماثيل
وجفان كالجواب . وأخبر بأن من
الجن مؤمنين . ومنهم شياطين
متمردين . ومن هؤلاء إبليس
اللعين . ولم يختلف أهل الملل في
وجودهم . بل اعترفوا به
كالمسلمين . وإن اختلفوا في
حقيقتهم . ولا تلام بين الوجود

والعلم بالحقائق . ولاينه وبين
الرؤية بالحواس . فكثير من
الأشياء الموجودة لا تزال حقائقها
مجهولة . وأسرارها محجبة . وكثير
منا لا يرى بالحواس . ألا ترى
الروح - وهي مما لا شك في
وجودها في الإنسان والحيوان - لم
يُدرَك كلها أحد . ولم يرها
أحد . وغاية ما علم من أمرها
بعض صفاتها وآثارها . وكمن في
العالم من أسرار . وفي الكون من
حجب وأستار . تشهد بأن وراء
علم الإنسان علوماً أحاط بها خالق
الكون ومبدعه . ومنها ما استأثر
بعلمه . ولم يُطلع عليه أحدًا من
خلقه .

وقد بُعث النبي صلى الله عليه
وسلم إلى الجن . كما بُعث إلى
الإنس . فدعاهم إلى التوحيد .
وأندرهم وبلغهم القرآن .
وسيحاسبون على الأعمال يوم
الحساب كما يُحاسب الناس .
فؤمنهم كمؤمنهم . وكافرهم
ككافرهم . وكل ذلك جاء
صريحاً في القرآن والسنة .

١ - ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ . ﴿قُلْ أُوحِيَ﴾
الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم أن

الْكَافِرِينَ دِيَارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ
وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي
وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا
تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

(٧٢) سُورَةُ الْجِنِّ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٢٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَعْرَافِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا
قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرَكَ

فيقال : تبرأ الله تنبيهاً ومنه : (إن)
هؤلاء متبرء ما هم فيه (١) . والله
أعلم .

سُورَةُ الْجِنِّ

عالم الجن من العوالم الكونية
كعالم الملائكة . وقد أخبر الله
تعالى أنه خلقه من مارج من نار .
أي أن عنصر النار فيه هو
الغالب . وأنه يرى الأناس وهم
لا يرونه . أي بصورته الجبيلة .
وإن كان يرى حين يتشكل
بأشكال أخرى . كما رأى جبريل
تشكل بشكل آدمي . وأخبر تعالى
بأنه قادر على الأعمال الشاقة . وأنه
سخر الشياطين لسلطان يعملون له

٢٥ - ﴿مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُعْرِقُوا﴾
أي من أجل خطبتهم أعرقوا
بالطوفان . لا من أجل أمر آخر .
ف (من) تعليلية و (ما) زائدة .

٢٦ - ﴿دِيَارًا﴾ من يسكن
داراً . أو من يدور ويتحرك في
الأرض ذهاباً وجيئة . من الدار
أو من الدوران . وهو التحرك .
والمراء : لا تذر منهم أحدًا .
والدَّيَارُ من الأسماء التي لا تستعمل
إلا في الثني العام . يقال : ما
بالدار ديار . والمراء : ما بها
أحد .

٢٨ - ﴿تَبَارًا﴾ هلاكاً أو حسارة
ودماراً . يقال : تبرأ تنبره . إذا
أهلكه . ويتعدى بالتضعيف



بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿١﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً
وَلَا وَلَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٣﴾
وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٤﴾
وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ
فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ
اللَّهُ أَحَدًا ﴿٦﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْتَهَا مُكْتَتَ حَرَسًا

جماعة من الجن - وكانوا من جن نصيبين - استمعوا إليه وهو يقرأ القرآن في صلاة الفجر في بطن نخلة [وهي في طريق الطائف على مسيرة ليلة من مكة] فعادوا إلى قومهم فأخبروهم بما سمعوا ، وآمنوا بالله ، وكذبوا ما دعا إليه سفيهم من الكفر والضلال [آية ٢٩ الأحقاف ص ٦٤٢] . ﴿قُرْآنًا عَجَبًا﴾ بديعًا مبينًا لما سبقه من الكتب في خصائصه وعلومه . ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ . داعيًا إلى الرشد والهدى ، في نظم محكم ، وأسلوب حكيم . ﴿فَأَمَّا بِهِ﴾ فصَدَّقْنَاهُ وَأَدْعَيْنَا لَهُ ، وَمَحْوَنَا مِنْ قُلُوبِنَا الشُّرْكَ وَالضَّلَالَةَ ، وَعَلَّمْنَا مَا يَنْبَغِي لِرَبِّنَا مِنَ الْكَمَالِ . ﴿وَلَكِنْ نَشْرِكُ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ في عبادته . ٣- ﴿وَأَنَّهُ﴾ أى الحال والشأن . ﴿تَعَالَى﴾ تعاضم . ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ عظمتُه وجلالُه . أى تعاضمت عظمتُه ، وجلَّ جلالُه عن أن يُنسب إليه ما ينافي ربوبيته . أو تعاضم ملكه وسلطانه عن أن يكون له شريك ، أو يكون له صاحبة أو ولد كما يزعم المشركون . وقوله : ﴿مِمَّا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ بيان وتفسير لما قبله . وقوله : (وَأَنَّهُ) - بفتح الهمزة - معطوفٌ على الضمير في (به) أو على محل الجار والمجرور في (فَأَمَّا بِهِ) ؛ كأنه قيل : فصَدَّقْنَاهُ وَصَدَّقْنَا أَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا . وكذلك يقال في توجيه القراءة

اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيهم .

٦- ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ﴾ أى وأنه كان في الجاهلية رجال من الجن حين يستعيذون برجال من الجن حين ينزلون في أسفارهم بمكان مُحِجَّشٍ ، ويقول قائلهم : أعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه ؛ فبييت في جواره حتى يُصبح . وأول من فعل ذلك قوم من أهل اليمن ، ثم من بنى حنيقة ، ثم فشَّت هذه الجاهلة في العرب ؛ فلما جاء الإسلام عاذوا بالله تعالى ، وتركوا العوذ بالجن ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ فزاد الإنسُ الجنُّ بهذا العوذ ﴿رَهَقًا﴾ طغيانًا وسفهاً وجراءة عليهم . أو إثمًا واستحلالاً لحارم الله . وأصلُ الرِّهَقُ : غَشْيَانُ المَحْظُورِ . ومرادُ هذا التَّفَرُّقِ : أَنَّهُمْ لَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ أَيْقَنُوا بِخَطَا الْإِنْسِ فِي هَذَا الْعَوْذِ ،

بالفتح في الإحدى عشرة آية التالية لهذه الآية التي آخرها آية ١٤ . وأما قراءتها بالكسر فلعلطفها على المحكى بعد القول .

٤- ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ إبليسُ اللَّعِينُ ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ قولاً ذا شَطَطٍ . أى بُعْدٍ عن القصد ، وبجائزة للحد ؛ إذ نَسَبَ إليه صاحبة والولد ! أى آمنا بأن قوله ذلك غي وضلال بعد أن سمعنا القرآن ، الدال على الرشد والحق .

٥- ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ قولاً مكذوباً ، وهو ذلك القول الشَّطَطُ ؛ أى حَسَبْنَا أَنَّ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ لَا يَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ بِنَسْبَةِ الشَّرِيكِ وَالصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ إِلَيْهِ ، وَلِذَلِكَ صَدَّقْنَاهُمْ فِي ذَلِكَ حَتَّى سَمِعْنَا الْقُرْآنَ ؛ فَعَلَّمْنَا بِطُلَانِ قَوْلِهِمْ وَبَطْلَانِ مَا كُنَّا نَظُنُّهُمْ بِهِ مِنَ الصَّدَقِ ، وَآمَنَّا بِالْحَقِّ . فهو

شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٨﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ فَنَ
يَسْمَعُ الْآنَ بَيِّنَاتٍ لَّهُ شَهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَا لَا نَدْرِي
أَسْرَأُ يَدُ يَمَنٍ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾
وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ
قِدْدًا ﴿١١﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنَ
نُعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى ؕ آمَنَّا بِهِ ؕ فَن
يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ؕ فَلَا يَخَافُ بَحْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَا مِنَّا
الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَنَ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا
رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾

في الآية دلالة على أن كل ما يحدث من الشهب إنما هو للرجم ، بل إنهم إذا حاولوا استراق السمع رجموا بالشهب . وإلا فالشهب الآن وفيما مضى قد تكون ظواهر طبيعية ، ولأسباب كوثية .

١٠ - ﴿رَشَدًا﴾ خيراً وصلاًحاً

ورحمة

١١ - ﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾ أي

الموصوفون بصلاح الحال واستقامته ، وهم الأخيار .

﴿وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي غير ذلك ، وهم الأشرار . ﴿كُنَّا﴾

قبل استماع القرآن . ﴿طَرَائِقَ﴾

قِدْدًا﴾ أي مذاهب متفرقة مختلفة . جمع طريقة ، وهي

الحالة والمذهب . وجمع قِدَّة ، وهي

الفرقة من الناس هوى كل واحد على حدة . والجملة بيان

لسابقتها .

١٢ - ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا ..﴾ يَبَيِّنُ الْآنَ

بعد سماع القرآن أننا في قبضته تعالى وسلطانه ، لن نفوته بهرب

ولا غيره إن طلبنا .

١٣ - ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى﴾ أي القرآن ﴿آمَنَّا بِهِ﴾ صدقنا

أنه من عند الله ﴿فَلَا يَخَافُ بَحْسًا﴾ نقصاً من ثوابه .

﴿وَلَا رَهَقًا﴾ ظلمًا يلحقه بزيادة في سيئاته . أو غشيان ذلّة بحمل

سيئات غيره عليه .

١٤ - ﴿وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ الجاثرون العادلون عن الإسلام

وقصد السبيل . جمع قَاسِطٍ ،

السمع . اسم جمع لحارس .

﴿وَشُهَبًا﴾ تنقض على مسترق السمع

[آية ١٨ الحجر ص ٣٣٥]

٩ - ﴿مَقَاعِدَ لِّلسَّمْعِ﴾ مواضع في السماء تقعد فيها لاستراق

السمع . ﴿فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ﴾ بعد نزول القرآن الذي بُعث به

الرسول صلى الله عليه وسلم .

﴿يَجِدُ لَهُ شَهَابًا رَّصَدًا﴾ مُرَّصَدًا ، أي مُعَدًّا وَمُهَيَّأً لَهُ ،

يَنْقُضُ عَلَيْهِ فِيصْبِهِ ، فَمَنْعَ الاستراق بعد المبعث ونزول

القرآن . والصحيح أن الرجم كان موجوداً قبل المبعث ، فلما بُعث

صلى الله عليه وسلم كثر وازداد ، كما مُلِثَ السماء بالبحرأس . وليس

بضلالات الجن في الطغيان والإثم

٧ - ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا﴾ أي وأن الإنس ظنوا ﴿كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾ أيها

الجن على أنه كلام بعض الجن لبعض ﴿أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ بعد الموت ، فأخطأوا وأخطأتم ،

إذ جاء القرآن بالمبعث والحساب والجزاء فآمننا بأنه الحق .

٨ - ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ طلبنا أخبارها كما هي عادتنا ، وكانوا

يسترقون السمع من الملأ الأعلى ، ليخبروا به الكهان أضلالاً للناس .

وَاللَّمْسُ : المسّ ، فاستعير للطلب ، لأن الماسّ طالب مُتَعَرِّفٌ . ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِثَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ حُرَاسًا أَقْوِيَاءَ مِنَ الملائكة يحرسونها من استراق

٧ - ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا﴾ أي وأن الإنس ظنوا ﴿كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾ أيها

الجن على أنه كلام بعض الجن لبعض ﴿أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ بعد الموت ، فأخطأوا وأخطأتم ،

إذ جاء القرآن بالمبعث والحساب والجزاء فآمننا بأنه الحق .

٨ - ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ طلبنا أخبارها كما هي عادتنا ، وكانوا

يسترقون السمع من الملأ الأعلى ، ليخبروا به الكهان أضلالاً للناس .

وَاللَّمْسُ : المسّ ، فاستعير للطلب ، لأن الماسّ طالب مُتَعَرِّفٌ . ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِثَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ حُرَاسًا أَقْوِيَاءَ مِنَ الملائكة يحرسونها من استراق

٧ - ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا﴾ أي وأن الإنس ظنوا ﴿كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾ أيها

الجن على أنه كلام بعض الجن لبعض ﴿أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ بعد الموت ، فأخطأوا وأخطأتم ،

إذ جاء القرآن بالمبعث والحساب والجزاء فآمننا بأنه الحق .

٨ - ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ طلبنا أخبارها كما هي عادتنا ، وكانوا

يسترقون السمع من الملأ الأعلى ، ليخبروا به الكهان أضلالاً للناس .

وَاللَّمْسُ : المسّ ، فاستعير للطلب ، لأن الماسّ طالب مُتَعَرِّفٌ . ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِثَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ حُرَاسًا أَقْوِيَاءَ مِنَ الملائكة يحرسونها من استراق

٧ - ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا﴾ أي وأن الإنس ظنوا ﴿كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾ أيها

الجن على أنه كلام بعض الجن لبعض ﴿أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ بعد الموت ، فأخطأوا وأخطأتم ،

إذ جاء القرآن بالمبعث والحساب والجزاء فآمننا بأنه الحق .

٨ - ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ طلبنا أخبارها كما هي عادتنا ، وكانوا

يسترقون السمع من الملأ الأعلى ، ليخبروا به الكهان أضلالاً للناس .

أى عادل عن الحق . اسمُ فاعلٍ من قَسَطَ الثلاثي بمعنى جار . بخلاف المُقْسِط ، فإنه العادل إلى الحق ؛ من أقسط الرباعى بمعنى عدل . وحقيقة أقسط : أزال القِسط وهو الجور ، فالهمزة فيه للسلب . ﴿ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾ قصدوا طريق الحق والهدى ، وتَوَحَّوْهُمُ بجتهاد . يقال : حرى الشيء يحريه ، أى قصد حرّاه أى جانبه . وتحرّاه كذلك . والرَّشْدُ : خلافُ العَمَى ، ويُستعمل استعمال الهداية .

١٥ - ﴿ حَظَبًا ﴾ وقودًا توقد به .

١٦ - ﴿ وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ﴾ . هو من قول الجن . مَغْطُوفٌ على قوله (أَنَّهُ اسْتَمَعَ) واسمُ (أَنْ) المخففة ضميرُ الشأن . ﴿ لَا سَقِينَا لَهُمْ مَاءٌ غَدَقًا ﴾ كثيرًا غزيرًا . يقال : غَدَقَتِ العينُ - كُفِّرَ ماؤها فهي غَدِيقَةٌ . والمرادُ أن الإنس والجن لو استقاموا على الإسلام لوسّعنا عليهم الأرزاق ، ومنّناهم بالعيش الرغيد . وخصَّ العَدَقُ بالذكور لأنه أصلُ المعاش والسعة .

١٧ - ﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ لنختبرهم فيه ؛ أى لنعاملهم معاملةً المختبر ؛ ليظهر للخلائق كيف شكرهم فيما خولناهم من النعم . ﴿ يَسْلُكُهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ يدخله عذابًا شديدًا شاقًا . والصَّعْدُ : المشقة . يقال : فلانٌ فى صَعْدٍ من أمره ،

وَالْوِ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَا سَقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿ ١٦ ﴾ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكُهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿ ١٧ ﴾ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿ ١٨ ﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿ ١٩ ﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿ ٢٠ ﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿ ٢١ ﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿ ٢٢ ﴾

أى فى مشقة . وهو مصدر صَعَدَ - كَفَرَح - صَعَدًا وصعودًا . وُصِفَ به العذابُ مُؤَوَّلًا باسمِ الفاعل . ١٨ - ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾ أى وأوحى إلى أن المساجد - وهى المواضعُ المَعْدَّةُ للصلاة والعبادة - مَحْصَصَةٌ بالله تعالى وعبادته وحده . وكان اليهود والنصارى يشركون بالله فى كنائسهم وبيعهم ؛ فأمر الله المؤمنين أن يُقرِّدوه فى المساجد بالعبادة ، ولا يدعوا فيها أحدًا دونه . ١٩ - ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ ﴾ محمدٌ صلى الله عليه وسلم يَدْعُوهُ يعبد الله فى صلاة الفجر بنخلة . ﴿ كَادُوا ﴾ أى الجن ﴿ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ أى متراكمين من الازدحام عليه ؛ تعجبًا مما شاهدوه من صلاته ، وسمِعوه من قراءته ، ومن كمال اقتداء

المُلبَّد بعضهم على بعض . ٢١ - ﴿ رَشَدًا ﴾ نفعًا أو هداية . ٢٢ - ﴿ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ ﴾ أى لن يمنعنى منه تعالى أحدٌ من خلقه إن أرادنى بسوء ﴿ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ ملجأً يُرْكَنُ إليه . يقال : التَّحَدَّ إلى كذا ، مال إليه .

الملائكة يحرسونه من تعرض الجن لما يريد إظهاره عليه ؛ لئلا يسترقوه ويهمسوا به إلى الكهنة قبل أن يبلغه الرسول . وليحفظوه من وسوس الجن وتحاليلهم حتى يبلغ رسالة ربه إلى الناس .

٢٨ - ﴿لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَتَلُّوا...﴾
أى أخبرناه صلى الله عليه وسلم بحفظنا الوحي ؛ ليعلم أن الرسل قبله كانوا على حالته من التبليغ بالحق والصدق ، وأنه حفظ كما حفظوا من الجن . ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أى وقد أحاط الله بكل ما عند الرسل والملائكة ، وعلم عدد الأشياء كلها ، فلم يخف عليه شئ منها . ﴿أَخَصَى﴾ ضبط ضبطاً كاملاً ، والله أعلم .
سُورَةُ الْمَزْمَلِ

• روى البخارى فى صحيحه عن جابر بن عبد الله قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي فقال فى حديثه : (.. فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذى جاءنى بجراى جالس على كرسي بين السماء والأرض فحيثت [فرغت] منه رعباً فرجعت فقلت زملونى زملونى فذرني - وفى رواية - فزملوني) فأنزل الله تعالى (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) إلى (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) . وقال المفسرون : وعلى أثرها نزلت (يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ) .
١ - ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ﴾ أى المزمّل

إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةً ۚ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا
مَآيُوعِدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَن أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقْلَبُ عِدَدًا ﴿٢٤﴾
قُلْ إِن أَدْرَىٰ أَقْرَبَ مَا تُوْعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي
أَمْدًا ﴿٢٥﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾
إِلَّا مَن أَرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ
خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ
وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخَصَّىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

(٧٣) سُورَةُ الْمَزْمَلِ مَكِّيَّةٌ
إِلَّا الْآيَاتِ ١٠ وَ ١١ وَ ٢٠ فَدَنِيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٢٠ نَزَلَتْ بَعْدَ الْقَلَمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ﴿١﴾ قُمْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفُهُ -

لا أدري ! أهو حال أم مؤجل إلى أمديد بعيد !
٢٧ - ﴿إِلَّا مَن أَرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ فإنه يظهره على ما شاء من غيبه ؛ ليكون إخباره عنه معجزة له دالة على صدقه .
وليخبر الناس بما يتعلق منه برسالاته وشئون الآخرة من البعث والحساب والجزاء والخلود . فإذا أراد سبحانه إظهاره عليه يسلك من جميع جوانبه حرساً من

٢٣ - ﴿إِلَّا بَلَاغًا﴾ أى لا أملك لكم شيئاً إلا بلاغاً إليكم .
٢٤ - ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ إذا حل بهم العذاب فى الآخرة ﴿مَن أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقْلَبُ عِدَدًا﴾ أجنّد الله الذين آمنوا به ، أم هؤلاء المشركون به !
٢٥ - ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمْدًا﴾ غاية بعيدة . والمراد : أنكم ستعذبون حتماً ، ولكن

أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٤﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ
تَرْتِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ
الَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٧﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ
سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٨﴾ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ

في ثيابه ، المتلفف فيها ، نودى
بذلك تأنيساً له وملاطفة ، على
عادة العرب في اشتقاق اسم
للمخاطب من حاله التي هو
عليها . يقال : زمّلته بثوبه
ترميلاً ، مثل لففته فتلّف .

٢ : ٤ - ﴿قُمِ اللَّيْلَ﴾ للصلاة
والعبادة . ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منه
﴿نِصْفُهُ﴾ بدل من (قليل) ،
أى فلا تقم هذا النصف للصلاة
واتخذته للنوم والراحة . ووصف
بالقلة للإشارة إلى أن النصف
الآخر العاشر بالقيام للصلاة بمنزلة
الأكثر في الثواب والفضيلة بالنسبة
لهذا النصف الخالي منه .
﴿أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ﴾ أى من هذا
النصف الخالي من القيام
﴿قَلِيلًا﴾ حتى يصير ثلثاً ،
وتكون مدة القيام الثلثين ﴿أَوْ زِدْ
عَلَيْهِ﴾ أى على هذا النصف قليلاً
حتى يصير ثلثين ، فتكون مدة
القيام ثلثاً . فأوجب الله تعالى على
نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته
قيام الليل ، وخيّر بين قيام
التصف تاماً ، وبين قيام الثلثين ،
وقيام الثلث ، فصار هو وأصحابه
يقومون كلّ الليل خشية الإخلال
بشيء من المقدار المعين لعدم
التمكن من ضبطه . واشتد ذلك
عليهم حتى انتفخت أقدامهم ،
فرحمهم الله تعالى بالتخفيف
عنهم ، فنسخ وجوب قيام هذا
المقدار المعين في حقه وحق أمته
بقوله في آخر السورة : ﴿فَقَابَ
عَلَيْكُمْ فَأَقْرَأُوا مَا تيسّر من القرآن﴾

(١) رواه البخاري . (٢) آية ٧٩ الإسراء .

القلب ، من قولهم : تغرّرتلّ ،
أى مفلج الأسنان لم يتصل بعضها
ببعض .
٥ - ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ ..﴾ أى
لا ثبات لمشقة هذا القيام الذى
أوجبناه عليك ، لأنه مهما بلغ .
أسهل مما سيرد عليك في الوحي
المترّل من التكاليف الكثيرة ،
فانفض به . ومرّن به نفسك على
تحمل المشاق . والمراد من
القول : وخبى القرآن . وثقيلاً أى
على المكلفين ما فيه من الفرائض
والحدود ومنها الجهاد . أو شديداً
عليك تحمله ، وقد كان صلى الله
عليه وسلم يلقى من الوحي شدة
عظيمة .

٦ - ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ أى إن
العبادة التي تحدث في الليل ﴿هي
أشدُّ وطأً﴾ ثباتاً في القلب
ورسوخاً فيه . ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾
أبين قولاً . وأشدُّ مقالاً ،
وأصوب قراءة من عبادة النهار ،
لحضور القلب ، وهدوء
الأصوات والحركة بالليل ،
وذلك أجمع للفكرة . وأبعث
على التأمل والاستفادة . وقيل

أى فصلوا بالليل ما تيسر لكم دون
تجديد بالمقادير المعينة . ثم نسخ
وجوب القيام في حقه صلى الله
عليه وسلم وحق الأمة بفرض
الصلوات الخمس مع ضميمته قوله
صلى الله عليه وسلم للأعرابي حين
سأله عن الصلوات الخمس بقوله
على غيرها يا رسول الله ؟ قال :
(لا إلا أن تطوع) (١) . وقيل : فى
حق الأمة فقط . وبقى الوجوب
في حقه صلى الله عليه وسلم لقوله
تعالى : ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ
نَافِلَةً لَكَ﴾ (٢) أى فريضة زائدة
على الصلوات الخمس خاصة
بك . وكان بين التأسخ والمنسوخ
نحو سنة - كما روى في الصحيح -
بناءً على أن السورة كلّها مكية ،
وهو الراجح . وقيل : نحو عشر
سنين ، بناءً على أن آخرها مدني .
وقيل : كان القيام فرضاً على
النبي صلى الله عليه وسلم وحده ،
لتوجّه الخطاب له . وهو قول
قوى . ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾
أى بيته تبيثاً . وفصله تفصيلاً
أثناء ما ذكر من القيام ، لأن ذلك
أعون على تأمله . وأثبت لمعانيه في

تَنْبِيلاً ۝ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
فَاتَّخِذْهُ وَكِلاً ۝ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَنْجِرْهُمْ هَجْراً
جَمِلاً ۝ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ
قَلِيلاً ۝ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً وَجَحِيمًا ۝ وَطَعَامًا ذَا
غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ
وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ
رَسُولًا شَهِيدًا عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝
فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً ۝

﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ أى
زمانًا قليلًا هو مدة الدنيا . أو المدة
الباقية إلى يوم يذُر . ثم يعدَّبون
أشدَّ العذاب .
١٢ - ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾ قيودًا
شديدة . واحدها نكل - بكسر
أوله - وهو القيْد الشديد يوضع في
الرَّجُل لمنع الحركة . وسُمِّيَتْ
القيود أنكالاً لأنها يُنكَلُ بها أى
يُمنع .
١٣ - ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾
يَتَشَبَّه في الخلق . لا هو نازل
ولا هو خارج . وهو الرُّقُوم [آية
٦٢ الصفات ص ٥٦٨ وآية ٤٣
الدخان ص ٦٣٢] والغسلين [آية
٣٦ الحاقة] والضريع [آية ٦
الغاشية] وسيأتى بيانه .
والغُصَّة : ما يَتَشَبَّه في الخلق من
عَظْم أو غيره وجمعها غُصَص .
١٤ - ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ أى استقرَّ
ذلك العذاب لَدَيْنَا يوم تضطرب
الأرض والجبال وتزلزل بما عليها
وهو يوم القيامة ؛ من الرَّجْف ،
وهو الاضطراب الشديد . ومنه
الرَّجْفَةُ ، والإرجافُ ، وهجرُ
رجافُ . ﴿وَكَانَتْ الْجِبَالُ
كَثِيبًا﴾ أى وتكون الجبال رملاً
مجمَّعةً ، بعد أن كانت أحجاراً
صُلْبَةً عظيمةً ؛ من كَثَب الشيء
يَكْبُهُ وَيَكْبِيهِ : جمعه من قُرب
وصبه . وجمعه كَثْبٌ وأَكْبِيَةٌ
وكُثبانٌ ، وهى تلال الرَّمَل .
﴿مَهِيلاً﴾ سائلاً مُتَنَازِعاً بعد
اجتماعه . والمهيلُ : الذى يحرَّك
أسفله فينال عليه من أعلاه
ويتتابع .

٨ - ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أى دُم
على ذكره تعالى ليلاً ونهاراً
بالتسبيح والتحميد والصلاة
وتلاوة القرآن وغير ذلك ؛ فهو
تعميم بعد التخصيص . ﴿وَبَيِّنْ
إِلَيْهِ تَنْبِيلاً﴾ انقطع إليه تعالى في
العبادة والدعاء انقطاعاً . وجرَّد
نفسك من كلِّ ما سواه ؛ من
التَّشَلُّل وهو الانقطاع إلى عبادة
الله عز وجل . ومنه بَثَلُ الحَبْلِ :
أى قطعه .

١٠ - ﴿وَأَنْجِرْهُمْ هَجْراً
جَمِلاً﴾ أى لا جزع فيه . قيل
هو منسوخ بآية القتال .

١١ - ﴿ذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾
دعني وإياهم فساكفيهم
﴿أُولَى النَّعْمَةِ﴾ أهل النعم
والترَفِّه وغضارة العيش في الدنيا .

الناشئة : النفسُ المتَّجِدَّةُ التى
تنشأ من مضجعتها - أى تنهض -
إلى العبادة ؛ من نشأ من مكانه
ونشر : إذا نهض . أو هى
ساعات الليل وأوقائه ؛ لأنها تنشأ
واحدة بعد واحدة . أى متعاقبة .
والمراد : الحثُّ على الاستدامة
على هذه العبادة الليلية .
والترغيبُ فيها بذكر مزاياها
وآثارها فى ترويض النفوس وشحذ
القوى ؛ استعداداً للقيام بما
يسير من التكاليف .

٧ - ﴿سَبْحًا طَوِيلاً﴾ تقلبنا
وتصرفنا فى مُهِمَّاتِكَ . واشتغلاً
بأعباء الرسالة ؛ فلا تستطيع أن
تتفرَّغ للعبادة تفرُّغاً تاماً إلا فى
الليل . فعليك بها فيه - من
السَّحَر . وأصله المَرُّ السريعُ فى
الماء . واستعير لما دُكر .



١٦ - ﴿فَاخْذَنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾
ثَقِيلًا شَدِيدًا ، رَدَى الْعُقْبَى .
يقال : ضَرْبٌ وَبِيلٌ ، أَيْ
شَدِيدٌ . وَكَلًّا وَبِيلٌ : أَيْ وَخِمٌ
لَا يُسْتَمَرُّ لِثِقَلِهِ . وَاسْتَوْبَلُ فَلَانٌ
كَذَا : لَمْ يَحْمَدْ عَاقِبَتَهُ .
١٨ - ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ أَيْ
السَّمَاءُ مَعَ عَظَمَتِهَا شَيْءٌ مُنْشَقٌّ فِي
ذَلِكَ الْيَوْمِ ، لِشِدَّتِهِ وَهَوْلِهِ .
وَقِيلَ : التَّذَكُّيرُ لِتَأْوِيلِ السَّمَاءِ
بِالسَّقْفِ . أَوْ لِأَنَّ السَّمَاءَ اسْمُ
جَنَسٍ وَاحِدَةٍ سَمَاوَةٌ ، فَيَجُوزُ فِيهِ
التَّذَكُّيرُ وَالتَّنْثِيثُ . وَالبَاءُ فِي (بِهِ)
بِمَعْنَى فِي ، وَالضَّمِيرُ عَائِدٌ إِلَى الْيَوْمِ .
٢٠ - ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ﴾ شُرُوعُ
فِي بَيَانِ النَّاسِخِ لِلْقِيَامِ الْمَأْمُورِ بِهِ فِي
أَوَّلِ السُّورَةِ وَحِكْمَةِ نَسْخِهِ .
﴿أَنْتَ تَقُومُ أَذْنَى مِنْ ثُلَاثِي
الَّيْلِ﴾ أَيْ زَمَنًا أَقَلَّ مِنْهَا بَيَسِيرَ .
أَفْعَلُ تَفْضِيلٌ ، مِنْ دَنَا : إِذَا
قَرَّبَ . وَاسْتَعْمَلَ فِي الْقَلَّةِ مَجَازًا
لِلزُّومِهَا لِلْقُرْبِ ، لِأَنَّ الْمَسَافَةَ بَيْنَ
الشَّيْئَيْنِ إِذَا دَنَتِ قَلَّ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ
الْأَحْيَازِ . ﴿وَنَصْفَهُ وَثُلَاثِي﴾ أَيْ
وَتَقُومُ نَصْفَهُ وَتَقُومُ ثُلَاثِي ، فَهُوَ
عَطْفٌ عَلَى (أَذْنَى) . وَقُرِئَ بِالْجُرْ
عَطْفًا عَلَى ﴿ثُلَاثِي﴾ أَيْ أَقَلَّ مِنْ
نَصْفِهِ وَأَقَلَّ مِنْ ثُلَاثِي ﴿وَطَائِفَةٌ مِنَ
الَّذِينَ مَعَكَ﴾ أَيْ وَتَقُومُ مَعَكَ
طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِكَ . وَالبَاقُونَ
يَقُومُونَ فِي مَنَازِلِهِمْ . ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ
الَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ فَلَا يَعْلَمُ سَاعَاتِهَا
كَمَا هِيَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ . ﴿عَلِمَ أَنَّ
لَنْ تُحْصَوْهُ﴾ تَأْكِيدٌ لِمَا قَبْلَهُ ، أَيْ
عَلِمَ أَنَّ لَنْ تَسْتَطِيعُوا ضَبْطَ

فَكَيْفَ تَنْقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۝
السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ۝ إِنَّ هَذِهِ
تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝ * إِنَّ رَبَّكَ
يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلَاثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلَاثِي
وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
عَلِمَ أَنَّ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَأْتِيَكُمُ فَاقرءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْ
الْقُرْآنِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَبْتُغُونُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ۚ وَهُوَ يُضْرِبُونَ
فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ۚ وَهُوَ يُضْرِبُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقرءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَأُوا اللَّهَ قَرَضًا حَسَنًا وَمَا
تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ
وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝

الساعات التي يستغرقها القيام
المأْمُورُ بِهِ . إِلَّا أَنْ تَأْخُذُوا بِالْأَوْسَعِ
وَالْأَخْوَطِ ، وَذَلِكَ شَأْنٌ عَلَيْكُمْ .
﴿فَتَأْتِيَكُمُ﴾ أَيْ بِالْتَّرْخِصِ
لَكُمْ فِي تَرْكِ الْقِيَامِ الْمَقْدَّرِ بِتِلْكَ
الْمَقَادِيرِ الثَّلَاثَةِ ، وَرَفْعِ التَّبَعَةِ
عَنْكُمْ فِي تَرْكِهَا . ﴿فَاقرءُوا مَا تَيَسَّرَ
مِنَ الْقُرْآنِ﴾ أَيْ فَصَلُّوا مَا تَيَسَّرَ
لَكُمْ مِنْ صَلَاةِ اللَّيْلِ دُونَ تَقْدِيرِ
بِجْزٍ مَعَيَّنٍ مِنْهُ . وَسُمِّيَتِ الصَّلَاةُ
قُرْآنًا كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَقُرْآنَ

الْفَجْرِ) (١) أَيْ صَلَاتِهِ ، تَسْمِيَةً
لِهَا بِاسْمِ رُكْنِهَا ، كَمَا سُمِّيَتِ قِيَامًا
وَرُكُوعًا وَسُجُودًا . وَقَدْ مَنَّا أَوَّلَ
السُّورَةِ مَا يَتَعَلَّقُ بِنَسْخِ هَذَا
النَّاسِخِ . ﴿عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ
مَرْضَى ..﴾ بَيَانٌ لِلْأَسْبَابِ
الدَّاعِيَةِ إِلَى النَّسْخِ . بَعْدَ أَنْ
امْتَحَنَهُمُ اللَّهُ بِالْقِيَامِ وَقَامُوا بِهِ
لِوَجْهِهِ تَعَالَى كَمَا أَمَرَهُمْ ، بِقَدْرِ
طَاقَتِهِمْ مَدَّةً مِنَ الزَّمَنِ لَيْسَتْ
بِالْقَصِيرَةِ . ﴿وَيَضْرِبُونَ﴾

(٧٤) سُورَةُ الْمَدْثُرِ مَكِّيَّةٌ
وآياتها ٥٦ نزلت بعد المزمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكْبِّرْ ﴿٣﴾
وَبِأَبْكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُنْ
تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا يُنْفِرُ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾
فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ
يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا

المعائب أو من الآثام . والنبي صلى الله عليه وسلم مأمور بالدوام على الطهارة الحسية والمعنوية في كل شئونه ، وقد طبعه الله عليها ، وكملة بها تكبيلًا . ﴿١﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٢﴾ ترك الأصنام والأوثان . أو المآثم والمعاصي المؤدية إلى العذاب ، ولا تتخلق بأخلاق هؤلاء المشركين . أى دُم على ترك ذلك واثبت عليه . والرُّجْز - بالضم والكسر - : العذاب ، كالدُّكْر والدُّكْر . والمراد : هجر ما يؤدى إليه . وقيل : المضموم بمعنى الضم أو عبادة الأوثان . والمكسور بمعنى العذاب ، أو النقصان والفجور .

﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ لا تُعْطِ أحدًا شيئًا طالبًا للكثير عوضًا عنه ، فهو نهى عن الاستعاضة بنهى تحريم ، فيحرم عليه أن ينتظر العوض عما أعطى . وهو خاص به صلى الله عليه وسلم ، لأن الله تعالى اختار لنبيه أشرف الآداب وأحسن الأخلاق . أما بالنسبة لأمة فهو جائز . وقيل : النهى للترية بالنسبة له صلى الله عليه وسلم ولأمة . أو لا تنعم على أحد بشيء رائيًا ما أنعمت به كثيرًا . لأن ذلك لا يليق بك .

٨ - ﴿فَإِذَا يُنْفِرُ فِي النَّاقُورِ﴾ أى نفخ في الصور النفخة الثانية ، من النقر بمعنى التصويت . وأصله : القرع الذى هو سببه .

١١ - ﴿ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ أى اتركنى وهذا

مشتق من صفته التى كان عليها ، كما قدمنا فى أول سورة المزمل .

٢ : ٦ - ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ انهض فخوف عشيرتك الأقربين العذاب ، لقوله تعالى : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (١) .

أوجميع الناس ، وبلغهم رسالة ربك ، لقوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (٢) ، من الإنذار ، وهو إخبارٌ معه تخويف . ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾ أى اخضع ربك بالتكبير والتعظيم .

﴿فَطَهِّرْ﴾ أى ونفسك فطهر عما تُدْمُّ به من الأفعال . أو فطهر من الذنوب والآثام . وهو كما يقال : فلان طاهر الثياب . ونقى الثياب : إذا وصقوه بالبقاء من

سافرون للتجارة ونحوها ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ المفروضة ﴿وَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ قيل : المفروضة ، فتكون مدينة والراجع أن الآية مكية ، والمراد بالزكاة الصدقات التى بها طهرة النفوس . أو الزكاة المفروضة من غير تعيين ، فقد قيل : إن الزكاة فرضت بمكة من غير تعيين لأنصاء . والذى فرض بالمدينة تعيينها . ﴿قَرَضًا حَسَنًا﴾ احتسابًا بطيبة نفس . والله أعلم .

سورة المدثر

١ - ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ أى المتلفف بشيابه ، من تدثر : أى لبس الدثار ، وهو ما كان من الثياب فوق الثياب الذى يلي البدن . نودى صلى الله عليه وسلم باسم

الذى خلقته وحيداً فريداً .
 لا مال له ولا ولد . وهو
 الوليد بن المغيرة المخزومي .
 ﴿ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً ﴾
 كثيراً ممدُوداً بعضه بعضاً ؛ دائماً غير
 منقطع . ﴿ وَبَيْنَ شُهُوداً ﴾
 حضوراً معه بمكة لا يغيبون عنه ؛
 لعدم احتياجهم للغياب في طلب
 الكسب . ﴿ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً ﴾
 بسطتُ له الجاه
 والرياسة . وأصل التمهيد :
 التسوية والتهيئة ؛ ومنه مهَّد
 الصبي ، وثجَّوز به عما ذكر .
 ﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴾ أى ثم
 لشدة حرصه وطمعه يطمع في
 زيادة ما أنعمتُ به عليه ! ؟ .
 دغنى وإياه فانا أكفيكه .

وأغنيك في الانتقام منه - لشدة
 كفه وطغيانه - عن أى متقم .
 ١٦ - ﴿ كَلَّا ﴾ كلمة ردع وزجر
 عن الطمع الفارغ . ﴿ إِنَّهُ كَانَ
 لِآبَاتِنَا عَنِيداً ﴾ جحوداً ، أو
 معانداً ، أو مجانباً للحق [آية ٥٩
 هود ص ٢٩٤ ، ١٥ إبراهيم
 ص ٣٢٩]

١٧ - ﴿ سَأَرْهِقُهُ صَعُوداً ﴾
 سأعشيهِ عَقَبَةً شاقَّةً المصعد . وهو
 مثلاً لما يلقى من العذاب الشاق
 الصَّعب الذى لا يُطاق .
 ولا راحة منه . يقال : رَهَقَهُ الأمرُ
 يَرَهِّقُهُ ، عشيهِ بقره .

١٨ : ٢٢ - ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ ﴾ أى ردَّد
 فكره وأداره تابِعاً لخواه فيما يقوله
 طعناً في القرآن . ﴿ وَقَدَّرَ ﴾ أى
 وهباً ما يقوله في نفسه فقال : (إن
 هذا إلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنَّ هَذَا إِلَّا
 قَوْلُ الْبَشَرِ) . يقال : قدرْتُ

مَمْدُوداً ١٢ وَبَيْنَ شُهُوداً ١٣ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً ١٤
 ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ١٥ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآبَاتِنَا عَنِيداً ١٦
 سَأَرْهِقُهُ صَعُوداً ١٧ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨ فَقَتِلَ كَيْفَ
 قَدَرَ ١٩ ثُمَّ قَتِلَ كَيْفَ قَدَرَ ٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ٢١ ثُمَّ عَبَسَ
 وَبَسَرَ ٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ٢٣ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا
 سِحْرٌ يُؤْثَرُ ٢٤ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ٢٥ سَأُصْلِيهِ
 سَقَرًا ٢٦ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ٢٧ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ٢٨
 لَوْحَةٌ لِلْبَشَرِ ٢٩ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ٣٠ وَمَا جَعَلْنَا

الشيء أَقْدَرُهُ . إذا هيأته .
 وتقدر - بالتشديد - : تهيأ .
 ﴿ فَقَتِلَ ﴾ أى قُتِلَ ؛
 أو عَذِبَ ؛ وهو دعاء عليه .
 ﴿ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ استفهام تعجب
 من تقديره ، وإنكار وتوبيخ .
 ﴿ ثُمَّ عَبَسَ ﴾ قطب ما بين عينيه
 لما لم يجد في القرآن مطعماً ،
 وضاق عليه مذاهبُ الحيل فيما
 يقوله فيه . يقال : عَبَسَ يعبس
 عَبَسًا وَعَبُوسًا ، إذا قطب جبينه
 وكلح وجهه . وأصله من
 العبس : وهو ما تعلق بأذنان
 الإبل من أثوالها وأعارها وقد جفَّ
 عليها . وباعتبار اليس والتقبض
 أطلق على ما ذكر عبوس .
 ﴿ وَبَسَرَ ﴾ إتباع لما قبله أو تأكيد
 له ؛ أى كلح وجهه . يقال : بَسَرَ
 يَبْسُرُ بَسْرًا وَبُسُورًا . إذا قبض

ما بين عينيه كراهيةً للشيء ،
 وأسودَّ وجهه منه . ومنه وجه
 باسر : أى منقبض أسود .
 أو أظهر العُيُوس قبل أوانه ؛ من
 البسر بمعنى الاستعجال بالشيء .
 يقال : بسر الرجل الحاجة ، طلبها
 في غير أوانها . وبسر الفحلُ
 الناقة : ضربها قبل أن تطلب .
 ٢٤ - ﴿ سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾ يروى
 ويتعلم من السحرة .
 ٢٦ - ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرًا ﴾ أى
 سأدخله سَقَرًا ليدوق حرَّها ؛ وهي
 طبق من أطباق جهنم . والجملة
 بدل من (سَأَرْهِقُهُ صَعُوداً) .
 ٢٩ - ﴿ لَوْحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴾ هى مُعَيَّرَةٌ
 للبشرات . مسوَّدة للجلود ،
 تلفحها لفحة فتدعُّها أشدَّ سواداً
 من الليل في أول الملاقاة ثم
 تهلكها . صيغة مبالغة ؛ من لَوَحَتْ

أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ
الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ
مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ
وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ
إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾
وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا
لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ
نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾
فِي جَنَّتٍ يَنْسَاءُ لَوْنٌ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمَجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ
فِي سَفَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَدُنْكَ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ
الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَحْوُضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ

إِلَّا هُوَ ﴿٤٦﴾ أَيُّ وَمَا يَعْلَمُ خَلْقَهُ
الذين منهم هؤلاء الملائكة من
حيث العدد والقوة والتسخير
إلا هو عز وجل ﴿٤٧﴾ وَمَا هِيَ
إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٤٨﴾ أَيُّ وَمَا سَقَرُ
وصفتها إلا تذكرة وموعظة
للناس أو وما هذه العدة
إلا تذكرة وعظة من جهة أن في
خلقه ما هو في غاية العظم والقوة
حتى يكفى القليل منهم لإهلاك
الكثير الذي لا يحصى

٣٣ - ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾ ولى
ذاهبا وقرىء (دبر) وهما لغتان
بمعنى واحد
٣٤ - ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾
أضاء وانكشف

٣٥ : ٣٧ - ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى
الْكُبَرِ﴾ إن سقر لإحدى الدواهي
الكبر أي إنها من بين البلايا
العظيمة لواحدة في العظم لا نظير
لها ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ أي إنذارا
لهم ، وهو تمييز (لإحدى الكبر)
أو منذرة لهم ﴿لِمَن شَاءَ
مِنْكُمْ﴾ أي نذيرا للذين إن
شاءوا تقدموا للخير فجازوا ، وإن
شاءوا تأخروا عنه فهلكوا
أو منذرة للمتكبرين من السعى إلى
الخير والتخلف عنه

٣٨ - ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ
رَهِينَةٌ﴾ أي مرهونة بكسبها عنده
تعالى مأخوذة بعملها ، فإما
خلصها وإما أوثقها

٣٩ - ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾
وهم المؤمنون المخلصون ، فإنهم
فاكون رقابهم بما أحسنوا من

تعذيب أكثر الثقلين ، واستهزأهم
بذلك وأصله إنكارهم البعث
﴿لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾
أي ليكتسب أهل الكتابين اليقين
بنبوتهم صلى الله عليه وصدق القرآن
لموافقتهم لها في عديدهم ﴿مَاذَا أَرَادَ
اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ أي بهذا العدد
المستغرب استغرب المثل يريدون
بذلك نفى أن يكون من عند الله
تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ

الشمس : إذا سودت ظاهره
وأطرافه والبشر : جمع بشرة
وهي ظاهر الجلد وجمع البشر
أبشار

٣٠ - ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ ملكا
يكون أمرها

٣١ - ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ أي
ما أخبرنا بعدتهم هذه ﴿إِلَّا
فِتْنَةً﴾ ابتلاء ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾
لاستبعادهم تولى تسعة عشر ملكا

الأعمال . كما يفكُّ الرهن رهته بأداء الدين .

٤٢ - ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾
أى شىء أدخلكم ؟
٤٥ - ﴿وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ كنا نشرع فى الباطل مع الشارعين فيه ، لا نتورع عن شىء منه [آية ١٤٠ النساء ص ١٣٥] . وأكثر ما استعمل الخوض فى القرآن فيما يؤذم الشرع فيه .

٤٦ - ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾
يوم البعث والحساب والجزاء
٥٠ : ٥١ - ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنَفِرَةٌ﴾ كأن هؤلاء الكفار فى إعراضهم عن القرآن حمُرٌ وحشية نافرة ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ هربت من أسد ، من القسر بمعنى القهر ، لأنه يقهر السباع . أو من جماعة الرماة الذين يصطادونها .

٥٢ - ﴿صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾ كُتِبَا مفتوحة غير مطوية ، يقرؤها كل من يراها . وهو كقولهم : (ولن يؤمن لربك حتى نزل علينا كتاباً نقرؤه) (١) . والله أعلم .

٥٦ - ﴿أَهْلُ النَّفْثَى﴾
أهل أن يتقيه عباده

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

١ : ٢ - ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمٍ الْقِيَامَةِ﴾ أى أقسم به . وأقسم بالنفس اللوامة . (ولا) زائدة فى الموضعين ؛ كما فى قوله تعالى : (لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ

يَوْمَ الدِّينِ) (١) حَتَّى أَتَسَاءَلَ الْبَقِينَ (٢) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّفِيعِينَ (٣) فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ (٤) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنَفِرَةٌ (٥) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (٦) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً (٧) كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ (٨) كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (٩) فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ (١٠) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (١١)

(٧٥) سُورَةُ الْقِيَامَةِ مَكِّيَّةٌ
وآياتها ٤٠ نزلت بعد القارعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمٍ الْقِيَمَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ (٢)
أُحْسِبُ الْإِنْسَانَ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَى قَلْدَرِينَ

الكتاب) (١) ، (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ) (٣) ، وقولهم : لا وأبيك . إذ لا فرق بين زيادتها أول الكلام أو وسطه . وقيل : هى نفى وردُّ لكلام مضى من المشركين ؛ حيث أنكروا البعث والجزاء . كأنه قيل (لا) أى ليس الأمر كما زعموا . ثم قيل : أقسم بيوم القيامة الذى يُبعث فيه الخلق للجزاء . وأقسم بالنفوس اللوامة ، المثقبة التى تلوم أنفسها على ما فات ، وتندم على الشر لم فعلته ! وعلى الخير لم تستكثر

منه ! فهى على الدوام لائمة لأنفسها . وجواب القسم محذوف لدلالة ما بعده عليه ؛ أى لتبعثن وتحاسبن على ما عملتم . ٣ ، ٤ - ﴿أُحْسِبُ الْإِنْسَانَ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ بعد التفرق والبلى ؟! استفهام تقريع وتوبيخ . والمراد بالإنسان جنسه ، أو الكافر المنكر للبعث . وخصَّ العظام بالذكر لأنها قالب الخلق . ﴿بَلَى﴾ نجمعها وتؤلف بينها ونردها إلى أماكنها من الجسم كما كانت ؛ بعد تفرقها وصيرورتها

ذهب ضوءه. ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ..﴾ أى قُرِنَ بينها في الطلوع من المغرب. ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ..﴾ أى يوم إذ تقع هذه الأمور ، وهو يوم القيامة : أَيْنَ الْفَرَارُ مِنْ اللَّهِ ؟ أو من العذاب ؟

١١ - ﴿كَلَّا﴾ رَدُّعٌ عن طلب المقرِّ ونمَّيْهِ . ﴿لَا وَزَرَ﴾ لا ملجأ ولا منجى لكم . وأصله : الجبل المنيع ، من الوزر وهو الثقل ، ثم شاع وصار حقيقة لكل ملجأ من جبل أو حصن أو غيرهما .

١٣ - ﴿يَبْتَأُ الْإِنْسَانُ..﴾ أى بما عمل وما ترك ، أو بما قدَّم قبل موته من عمل صالح أو سيئ . وما آخر من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها بعد موته .

١٤ : ١٥ - ﴿عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ حُجَّةٌ بَيِّنَةٌ عَلَى نَفْسِهِ شَاهِدَةٌ بما كان منه من الأعمال السيئة . أو بل جوارحه على نفسه بصيرة . أى شاهدة . ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِرَهُ﴾ ولو أذلى بآية حُجَّةً يَعْتَذِرُ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ ، ويدافع بها عنها - لم ينفعه ذلك ؛ وهو كقوله تعالى : ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ﴾ (١) جمع مَعَذِرَةٌ بمعنى العُذْر ، وهو تحرى الإنسان ما يحويه ذنوبه .

١٦ - ﴿لَا تَحْرُكُ بِهِ لِسَانَكَ..﴾ الخطاب له صلى الله عليه وسلم ، والضمير للقرآن . وقد كان عند نزول الوحي وقبل الفراغ منه يحرك

عَلَى أَنْ تُسَوَّى بَنَانُهُ ٤ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ٥ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَمَةِ ٦ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ٧ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ٨ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ٩ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُ ١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ١١ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ١٢ يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ١٣ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ١٤ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِرَهُ ١٥ لَا تَحْرُكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ

٦٠٥ - ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ أى بل أيزيد أن يَمْضِيَ قُدُمًا في الفجور فيها بين يديه من الأوقات وما يستقبله من الزمان ويدوم عليه ! لا يثنيه عنه شيء ولا يتوب منه ؛ ومن ذلك إنكاره البعث وسؤاله عنه سؤال استهزاء بقوله : ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ أى متى يكون !

٧ : ١٠ - ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ وقرئ بفتح الراء ، وهما لغتان بمعنى واحد . أى تخير قرعًا ودهشًا من رؤية ما كان يكذبه . وأصله من بَرِقَ الرَّجُلُ - كَفَرَحَ وَنَصَرَ - : إِذَا نَظَرَ إِلَى الْبَرَقِ فَدَهِشَ وَلَمْ يُبْصِرْ . وقيل : المفتوح من البريق ؛ أى كَمَعَ من شدة شخوصه . ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾

رميمًا وزفائنًا حيثما كانت ﴿قَادِرِينَ﴾ حالٌ من فاعل الفعل المقدَّر بعد (بَلَى) أى تجمعها قادرين . ﴿عَلَى أَنْ تُسَوَّى بَنَانُهُ﴾ أى نجعلها مستوية الخلق . يقال : سَوَّى الشَّيْءَ : أى جعله سَوِيًّا أى مُسْتَوِيًّا . وَالبَّانُ : الأصابع أو الأنامل ؛ جمع بَنَانَةٍ . ويقال لكل مفصل منها : بَنَانَةٌ . أى قادرين على أن نجعل أصابعه أو أنامله بعد جمعها وتأليفها خلقًا سويًّا كما كانت قبل الموت . وَخُصَّتْ بالذكر لأنها آخر ما يتم به الخلق ؛ فذكرها يدلُّ على تمام خلق سائر الأعضاء . أو قادرين على أن تُسَوَّى وَنُصَّمَّ سَلَامِيَّاتُهُ . مع صغرها ولطافتها ؛ كما كانت في الحياة الأولى فكيف بالعظام الكبار ؟!

به لسانه وشفته مخافة أن ينفلت منه . يريد أن يحفظه ، فأنزل الله تعالى الآية . فكان بعد ذلك إذا أتاه جبريل بالوحي أطرق ، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله تعالى .

١٧ : ١٩ - ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ في صدرك ؛ بحيث لا يذهب عنك شيء منه . ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ أي إثبات قراءته في لسانك ؛ بحيث تقرأه متى شئت . فالقرآن مصدر كالفقْران بمعنى القراءة ؛ مضاف إلى المفعول بتقدير مضاف . ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ﴾ أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل المبلغ عينا ﴿فَاتَّبَعَ قُرْآنَهُ﴾ فاتبع بذهنك قراءته ؛ أي فاستمع وأنصت حتى يرسخ في قلبك ، ثم اقرأ . ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ أي بيان ما أشكل من معانيه وأحكامه .

٢٠ ، ٢١ - ﴿كَلَّا﴾ إرشاد له صلى الله عليه وسلم لترك العجلة . وترغيب له في الأناة ﴿بَلْ تُحِثُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ خطاب لمن تتأخى مخاطبته . كأنه قيل : بل أنتم أيها الناس لأنكم خلقتُم من عَجَل ، وجلبثتم عليه ، تعجلون في كل شيء ! ولذا تحبون العاجلة ، وتذرون الآخرة أو إن الذي دعاكم إلى إنكار البعث والجزاء ؛ إنما هو محبتكم الدنيا العاجلة ، وإيثاركم لشهواتها على آجل الآخرة ونعيمها ! فأنتم تؤمنون بالعاجلة وتكذبون بالآجلة !

٢٢ ، ٢٣ - ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ

وَقُرْآنَهُ ﴿٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبَعَ قُرْآنَهُ ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِثُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿١٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿١١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿١٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿١٣﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرٌ ﴿١٤﴾ تَطْنُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿١٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿١٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿١٨﴾ وَالْتَفَتِ إِلَىٰ آلِهَا بِالسَّاقِ ﴿١٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٢٠﴾

ناضرة .. ﴿حسنة مشرقة . أنف البعير بحديدة أو نار حتى جميلة من التعم والغبطة . وهي وجوه المؤمنين المخلصين ؛ من النضرة وهي الحسن . ناظرة إلى ربها يوم القيامة . تراه على ما يليق بذاته سبحانه ! وكما يريد أن تكون الرؤية له عز وجل . بلا كيفية ولا جهة ؛ ولا ثبوت مسافة .

٢٤ - ٢٥ - ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٌ﴾ كالحلة شديدة العبوس . وهي وجوه الكفار ؛ وذلك قبل الانتهاء بها إلى النار ؛ من البسر [آية ٢٢ المدثر ص ٧٦١] . ﴿تَطْنُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ ثوق أو تتوقع تلك الوجوه - والمراد أربابها - أن يفعل بها فعل هو في شدته وفضاعته داهية عظيمة . تقصم فقار الظهر . يقال : فقرته الفاقرة ، أي كسرت الداهية فقار ظهره . وأصل الفقر : الوسم على

أنف البعير بحديدة أو نار حتى يخلص إلى العظم ؛ أو ما يقرب منه .

٢٦ : ٣٠ - ﴿كَلَّا﴾ رذع عن إيثار العاجلة . كأنه قيل : ارتدعوا عن ذلك ! وتنبهوا للموت الذي تنقطع عنده العاجلة . وتنقلون به إلى الآجلة . ﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ بلغت الروح التراقي - أي أعالي الصدر - وهي العظام المكتنفة ثغرة البحر عن يمين وشمال . وهي موضع الحشرجة ؛ جمع ترقوة وهو كناية عن الإشفاء على الموت . وجواب (إذا) مخذوف تقديره : وجد الإنسان ما عمله من خير أو شر . أو انكشفت له حقيقة الأمر . ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ قال من حضر صاحبها : هل من طبيب يزيه ويشفيه ويداويه !



٣٣- ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ

يَتَمَطَّى﴾ يتبختر افتخاراً بذلك ؛
من المَطَّ بمعنى المدّ . وأصله
يتمطّط ، قلبت فيه الطاء حرف
علة ؛ كما قالوا : نظنّ من
الظنّ ، وأصله تظنن . أطلق على
التبختر ، لأن التبختر يمدّ خطاه .

٣٤- ﴿أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ﴾ كلمته

دُعاء وتهديد . أى قاربك
ما يهلكك ؛ أى نزل بك [آية
٢٠ القتال ص ٦٤٧] وكرر

للتأكيد . وذهب الجلال إلى أن
المعنى : وليك ما نكره ! فهو

أولى بك ! والجملة الأولى للدعاء

عليه بقرب المكروه . والثانية

للدعاء عليه بأن يكون أقرب إليه

من غيره .

٣٦- ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ ..﴾

أى أيطنّ أن يُترك مهملاً

فلا يُكَلِّف ولا يُجْزى ! أو أن يُترك

في قبره فلا يُبعث ! . يقال : إبل

سُدَى ، أى مهملة بلا راع .

وَأَسْدَى الشئ : أهمله .

والاستفهام إنكارى .

٣٧ : ٣٩- ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً﴾

أى كيف يحسب ذلك ويَجحدُ

قدرتنا على بعثه ! ألم يك قطرة ماء

نُصب في الرَّحِمِ وُراق فيه ؟!

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً﴾ قطعة دم

متجمد ؟! ﴿فَسَوَى﴾ فسواه الله

بقدرته تسوية ، وعدله تعديلاً

بنفخ الروح فيه ، بعد تصويره في

أحسن صورة . ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ

الرَّؤُوحَيْنِ﴾ الصّنفين ﴿الذّكر

فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ﴿٣٢﴾

ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ﴿٣٣﴾ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ﴿٣٤﴾

ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ

سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ

عَلَقَةً مَّخْلُوقَ فَسَوَىٰ ﴿٣٨﴾ فَعَجَلَ مِنْهُ الرُّوحَيْنِ

الذّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ

يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

وقلعه . أويستأ ولم تتحرّكا بالموت

فكانها ملتفتان . أو هو كناية عن

الشدة ؛ كما فى قوله تعالى : (يَوْمَ

يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) (١١) . أى

التفت شدة فراق الدنيا بشدة إقبال

الآخرة . والعرب لا تذكر الساق

إلا فى المِحن والشدائد العظام ؛

ومنه قولهم : قامت الحرب على

ساق . ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ

الْمَسَاقُ﴾ إلى حكم الله تعالى

سوّه لا إلى غيره . مصدر ميمي

كالمقال .

٣١- ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾

أى فلا صدق ذلك الإنسان الذى

حسب أن لن نجتمع عظامه بما

يجب التصديق به ، ولا صلى

ما فرض عليه . والجملة معطوفة

على قوله (يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

أى يسأل عنه ، وما استعد له بما

يجب عليه ؛ بل بما يوجب دماره

وهلاكه .

ويُنْجيه مما هو فيه برُفْقته ودوائه ؟!

من الرُفْقَةِ ، وأصلها : ما يستشفى

به الملسوع والمریض من القول

الذى يُظنّ أنه نافع فى ذلك

والمراد من يَطْبُهُ بالقول أو بالفعل

حتى ينجو . وهو استفهام استبعاد

وإنكار . أى قد بلغ حدّاً

لا يستطيع معه أحد أن ينجيه من

الموت . وفى رواية حفص عن

عاصم سكتة لطيفة بين (من)

(وراق) . ﴿وَطَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾

أيقن المختصر ، أو توقع أنه الموت

الذى يفارق به الدنيا ونعيمها ؟

أو تفارق فيه الرُّوحُ الجسد

وسمّى اليقين ظناً لأن الإنسان

مادامت رُوحه متعلقة ببدنه فإنه

يطمع فى الحياة . ولا ينقطع

زجاؤه منها لشدة حبه لها

﴿وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾

التَوَتَّ سَاقُهُ بِسَاقِهِ عند هلع الموت

(٧٦) سُورَةُ الْإِنْسَانِ مَكْنِيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٣١ نَزَلَتْ بِعَدْلِ الرَّحْمَنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا
مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ
فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا
وَإِمَّا كَافُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَاقًا
وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا
كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا

أى متكسرة. ﴿نَبْتَلِيهِ﴾ مبتلين. للمهدى باختلاف الذوات له ؛ أى مريدين ابتلاءه واختباره بال تكاليف حين يتأهل لذلك . ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ليتمكن من الاستماع للآيات التنزيلية . والنظر فى الآيات التكوينية .
٣ - ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ..﴾ أى دللناه على ما يوصله إلى البغية ؛ بانزال الآيات . ونصب الدلائل فى حالتى شكره وكفره . أو دللناه على الهداية والإسلام ؛ فمنهم مهتد مسلم ، ومنهم ضال كافر . فقوله : ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَافُورًا﴾ حالان من مفعول هدينا . و(إِمَّا) للتفصيل ؛ باعتبار تعدد الأحوال مع اتحاد الذات . أو للتقسيم

للمهدى باختلاف الذوات والصفات .
٤ - ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا﴾ بها يُقَادُونَ . تجمع أيديهم إلى أعناقهم . بها يُقَيَّدُونَ . ﴿وَسَعِيرًا﴾ نارا مستعرة ؛ بها يُحْرَقُونَ .
٥ - ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ بيان لجزء الشاكرين أنر بيان جزء الكافرين . والأبرار : جمع بر . والبر : المطيع المتوسع فى فعل الخير . وقد ذكر الله من أوصافهم التى استحَقُّوا بها هذه الكرامة : أنهم يُوفُونَ بالَّذَر . ويخافون الآخرة ، ويُؤاسون المساكين

وَالْآخِرَى ﴿٦﴾ بَدَلٌ مِّنَ الزَّوْجَيْنِ .

٤٠ - ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ﴾ الرب العظيم الشأن والقدرة ، الذى أبدع هذا الإبداع ﴿بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ ويبعثهم نشأة أخرى . وكان صلى الله عليه وسلم إذا قرأ هذه الآية قال : (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبَلَى) . والله أعلم .

سُورَةُ الْإِنْسَانِ

وتسمى سورة الدهر . وهل أتى

١ - ﴿هَلْ أَتَى ..﴾ أى قد أتى على نوع الإنسان . والمراد بنو آدم . ﴿حِينَ مِنَ الدَّهْرِ﴾ طائفة محدودة من الزمان الممتد غير المحدود . والدَّهْرُ : يطلق على كل زمان طويل غير معين . وعلى مدة العالم كله . ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ بالإنسانية بل كان نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة .

٢ - ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ﴾ من منى . وهو ماء الرجل وماء المرأة ، ممتزج أحدهما بالآخر ؛ كما قال تعالى : ﴿أَمْشَاجٍ﴾ أى أخلاط بمعنى مختلط ممتزج من المائين . أو من عناصر شئ . يقال : مشج بينهما - من باب ضرب - خلط ومزج . وهو جمع مشج كسبب ، أو مشيج ككتف . أو مشيج كنصير . وقيل : مختلطة ؛ وأمشاج مفرد جاء على أفعال ؛ كأعشار فى قولهم : برمة أعشار .

من (كأس) على المحل بتقدير مضاف ، أى يشربون كأساً أى خمرًا خمر عين يشرب منها المؤمنون ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾ يَجْرُونَهَا حيث شاعوا من منازلهم بسهولة .

٧ - ﴿كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ كان عذابه فاشيًا منتشرًا غاية الانتشار ، من استطار الفجر : إذا انتشر ضوؤه . واستطار الغبار : انتشر في الهواء وتفرق ، كأنه طارف نواحيه .

٩ - ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لَوْجَهُ اللَّهِ﴾ أى قائلين ذلك لمن أعطوهم الطعام ، بلسان الحال أو بلسان المقال .

١٠ - ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾ أى قائلين :

إننا نخاف من ربنا عذاب يوم شديد الهول ، عظيم الأمر ، تعبس فيه الوجوه وتكَلَّح لهوله ، من شدة مكارهه وطول بلائه ووصف اليوم بالعبوس - وهو وصف لأهله - مجاز في الإسناد ، من بناب : نهاره صائم . ﴿قَمَطِيرًا﴾ شديدًا كريهاً . يقال : أقمطر يومنا ، اشتد . ويومٌ مُقْمَطِرٌ وقَطِيرٌ : إذا كان شديدًا غليظًا . أو شديدًا في العبوس ، يقبض ما بين العينين لشدة .

١١ - ﴿وَلَقَاهُمْ نَصْرَةٌ وَسُرُورًا﴾ أعطاهم حسًا وبهجة في الوجوه ، وسرورًا في القلوب ، بدل عبوس

تَفَجِيرًا ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطِيرًا ﴿فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَصْرَةً وَسُرُورًا﴾ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿مُتَكِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِثَانِيَةٍ

وعبر عن ذلك بالمزاج على سبيل التجوُّز . وعن ابن عباس : كلُّ ما ذكر في القرآن مما في الجنة وسمَّاه ليس له من الدنيا شبيه إلا في الاسم . فالكافور والزنجبيل ، والأشجار والقصور ، والمأكول والمشروب ، والملبوس والغار . لا يشبه ما في الدنيا إلا في مجرد الاسم . والله سبحانه وتعالى يُرْعِب الناس ويطمعهم بأن يذكر لهم أحسن شيء وألذ وأطيب مما يعرفونه في الدنيا ، لأجل أن يرغبوا ويسعوا فيها يوصلهم إلى هذا التعميم المقيم .

٦ - ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا﴾ بدل

واليتامى والأسرى . وبين جزاءهم في الآيات التالية التي آخرها آية ٥ - ﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾ أى من خمر . أو من إناء فيه خمر . وإطلاق الكأس على الثاني حقيقة ، وعلى الأول مجاز وهو المراد هنا ، لقوله تعالى : ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ والكافور لا يمزج بالإناء ، وإنما يمزج بالخمر التي فيه . والمزاج : ما يمزج به . والكافور : طيب معروف فيه بياض وبرودة ، وله رائحة طيبة . والمراد : كان شؤنها ماء يشبه الكافور في أوصافه . وأنه تعالى جعل في خمر الجنة الأوصاف الحمودة في الكافور .

الكفار وحزبهم .

١٣ - ١٤ - ﴿مُتَكِّثِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ على السُّرُرِ في الجبال . أو على ما يُتَكأ عليه من سرير أو فراش ونحوه [آية ٣١ الكهف ص ٣٨٠] .
﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ بردًا مفرطًا ؛ ومنه زَمْهَرِيَوْمٌ : اشتد برده . والمراد : أن هواء الجنة معتدل ؛ وفي الحديث : إن هواء الجنة سَجَسَجٌ لا حر ولا برد^(١) . والسَجَسَجُ : الظل الممتد ما بين الفجر وطلوع الشمس . ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ عطف على الجملة قبلها الواقعة حالاً من الضمير في (متكثين) أى أن ظلال الأشجار قريبة منهم ، مظلة عليهم ؛ زيادة في نعيمهم . ﴿وَذَلَّلْتُ قُطُوفَهَا﴾ سُخِّرْتُ لَهَا ثمارها تسخيرًا ، وسَهَّلْتُ تناولها لهم تسهيلًا ، بحيث يتناولها القائم والقاعد والمضطجع . لا يرد أيديهم عنها بُعد ولا شوك ؛ من قولهم : ذَلَّلْتُ الْكَرْمَ - بالضم - أى ذَلَيْتُ عناقيدَه . وأصله من الذَّلْ - بالضم والكسر - ضد الصعوبة . والقُطُوفُ : جمع قِطْف - بكسر القاف - وهو العنقود حين يُقَطَف . أو الثمار المقطوفة .

١٥ - ١٦ - ﴿وَأَكْوَابِ﴾ أقداح بلا عُرَى - أى من فضة ؛ فيسهل الشرب منها من كل موضع - فلا يحتاج عند تناول إلى إدارتها . ﴿كَانَتْ

(١) رواه ابن أبي شيبة .

مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَرَهُمْ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلُكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوْا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَلَهُمُ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾

قَوَارِيرًا .. ﴿﴾ جعلت هذه

الأكواب جامعة بين صفاء الزجاج وشفيفه وبريقه . وبياض الفضة وحسنها ولينها وشرفها ؛ بحيث يرى ما فيها من خارجها . جمع قارورة - وهى فى الأصل : إناء رقيق صاف من الزجاج . توضع فيه الأشربة ونحوها وتستقر فيه . وعن ابن عباس : ليس فى الجنة شئ إلا أعطيت فى الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة . ﴿قَدَرُوهَا﴾ تَقْدِيرًا ﴿قَدَّرَ الطَّاغُوتُ بِهَا شَرَابَهَا﴾ على مقدار رى الشاربين من غير زيادة ولا نقصان ؛ وذلك ألذ وأشهى .

١٧ - ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ أى كان مزاج الخمر التى يُسْقَوْنَهَا زَنْجَبِيلًا ؛ والعرب تستلذ الشراب الممزوج به . أو ماء يشبه الزنجبيل فى طيب رائحته [آية ٥ من هذه

السورة] .
١٨ - ﴿عَيْنًا فِيهَا ..﴾ بدل من (كأس) بتقدير مضاف ، أى خمر عین فى الجنة تسمى سلسبيلًا ؛ أى توصف بأنها سلسة فى الانسياب ، سهلة المذاق . وأصل السلسيل : ما كان من الشراب غاية فى السلاسة . وسهولة الانحدار فى الحلق . فيشربون تارة خمرًا ممزوجة بما يشبه الكافور . وتارة خمرًا ممزوجة بما يشبه الزنجبيل فى غاية السلاسة والسهولة .

١٩ - ﴿وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ دائمون على ما هم عليه من الطراوة والنباهة . ﴿حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا ..﴾ ظننتهم من حسنهم ، وصفاء ألوانهم ، وإشراق وجوههم ، وإنباتهم فى مجالسهم - ذرًا مفرقًا فى عرصات المجالس . واللؤلؤ إذا

أى دُم على ذكره فى جميع الأوقات . أو دُم على الصلاة فى البُكرة وهى صلاة الفجر . وفى صلاة الظهر والعصر . ومن الليل وهى صلاة المغرب والعشاء . وإطلاق السجود على الصلاة مجاز ، من إطلاق اسم الجزء على الكل .

٢٦ - ﴿ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾ وتهجد له هزيعًا طويلًا من الليل . والأمر للجوب على القول ببقاء وجوب قيام الليل عليه خاصة وعدم نسخه . وللتدب على القول بنسخه فى حقه صلى الله عليه وسلم ، كما نسخ عن أمته بفرضية الصلوات الخمس . فالمراد به : نافلة الليل .

٢٧ - ﴿ يُحِثُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾ أى الدنيا ولذائذها . ويحثون وراء ظهورهم ﴿ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ شديد الهول . وهو يوم القيامة . فلا يحسبون له حسابًا .

٢٨ - ﴿ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ﴾ قويتنا وأحكامنا خلقهم بإعطائهم جميع القوى . ومنها ربط مفصلهم وأوصالهم بعضها ببعض بالعروق والأعصاب . يقال : أسره الله ، خلقه ، وبأية ضرب . وفرس شديد الأسر : أى الخلق . والأسر : القوة ، مشتق من الإسار - بالكسر - وهو القيد الذى تشد به الأقتاب . يقال : أسرت القتب أسرًا ، شدته وربطته . ومنه الأسير لأنه يُكتف بالإسار والمراد : الامتنان عليهم بأن الله

إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُ رَجَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٦﴾
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آئِمًّا أَوْ كَافُورًا ﴿٢٨﴾ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٣١﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَمْنَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٣٢﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٣٣﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٤﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٥﴾

نثر على البساط كان أضفى منه منظومًا .
٢٠ - ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ ﴾ أى هناك : يعنى فى الجنة .
٢١ - ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُدُسٌ ﴾ أى فوقهم ثياب مخضرة من سدس : وهو مارق من الديباج . ﴿ وَاسْتَبْرَقَ ﴾ وهو ما غلظ منه . وهما لفظان معربان . ﴿ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ أى نوعًا آخر من الشراب بالغاً فى الطهر غايته . أو أن الخمر التى سيقونها فى الجنة شراب طاهر . ولا نجاسة فيه ولا قدارة كخمر الدنيا التى وصفها الله تعالى بأنها رجس .
٢٤ - ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ﴾ أى لا تطع منهم داعيًا إلى الإثم . ولا داعيًا إلى الكفر . ولم يؤت بالواو لاحتمال الكلام عليه التهى عن المجموع . ويحصل الامتثال بالانتهاء عن واحد دون الآخر . قال الزجاج : إن (أو) ههنا تؤكد من الواو : لأنك إذا قلت : لا تطع زيدًا وعمراء ، فأطاع أحدهما كان غير عاصٍ . فإذا أبدلتها بأو فقد دللت على أن كل واحدٍ منها أهل لأن يعصى . ويعلم منه التهى عن إطاعتها معًا .
٢٥ - ﴿ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ ﴾

(٧٧) سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ مَكِّيَّةٌ

الْآيَةُ ٤٨ فُتِنَتْ
وَأَيَّاهَا ٥٠ نَزَلَتْ بَعْدَ الْهُمَزَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ١
فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا ٢
وَالنَّشْرِتِ نَشْرًا ٣
فَالْفَرْقَتِ فَرْقًا ٤
فَالْمُلْقِيَتِ ٥
ذِكْرًا ٦
عُذْرًا أَوْ نَذْرًا ٧
إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ٨

١ - ﴿عُرْفًا﴾ متتابعة متلاحقة حين إرسالها . يقال : طار القَطَا عُرْفًا عُرْفًا ؛ أى بعضها خلف بعض . والمعنى على التشبيه . أى حال كونها فى تتبعها وتلاحقها كعُرفِ الفرس ونحوها . وهو مَبْنِي الشَّعْر والرَّيش من العنق .
٥ - ٧ - ﴿فَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا﴾ أى وحياً إلى الأنبياء والرسل . يذكر الناس ويَعْظُمهم .
﴿عُذْرًا﴾ أى للإعذار . بمعنى إزالة أعذار الخلق ؛ على حد قوله تعالى : (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) (١) ﴿أَوْ نَذْرًا﴾ أى للإبذار والتخويف بالعقاب عند العصيان . ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ أى إن الذى توعدون به من قيام الساعة لواقع لا محالة ! وهو جواب القسم .
٨ : ١٢ - ﴿فَإِذَا الشُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ مُحِقَتْ . أُوْذِى .

عَصَفَ الرِّيح - من باب ضَرَبَ - اشْتَدَّتْ . وعصفت الحرب بالقوم : إذا ذهب بهم . وناقى عصف : تعصف براكيها فتضى به كأنها ربيع فى السرعة . والعطف بالفاء هنا يؤذن بأنه من عطف الصفات . وأقسم ثانياً بالملائكة . وهى من أعظم خلق الله قوة . طوعاً لأمره . وإسراعاً إليه . فوصفها بالناشرات ؛ لنشرهن أجنحتهن فى الجول ولزولهن بالوحي . أولنشرهن النفوس الموءى بالكفر والجهل بما يوحى للأنبياء والرسل . وبالفارقات ؛ لفرقهن بين الحق والباطل بتزولهن بالوحي . وبالمُلْقِيَتِ ذِكْرًا ؛ لإلقائهن الذِّكْرَ إلى الأنبياء والرسل ليلقوه للأُمِّ للإعذار والإبذار . ومن المفسرين مَنْ جعل الأوصاف الخمسة للرياح . ومنهم من جعلها كلها للملائكة . ومنهم من غاير بينها .

تعالى سَوَّى خَلْقَهُمْ وَأَحْكَمَهُ ؛ ثُمَّ كَفَرُوا بِهِ .

٢٩ - ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ..﴾ إن هذه الآيات التى اشتملت عليها هذه السورة : موعظة بالغة ؛ فمن شاء أن يتخذ إلى الله تعالى وسيلةً يتقربُ بها إليه اتخذها . وما تشاءون شيئاً إلا وقت مشيئة الله لمشيئكم . والله أعلم

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

* نزلت بمكة على النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن . وهو بغارفى متى يُعرف بغار المرسلات . وقد شدّد فيها النكير على منكرى البعث . والتهديد لهم بالويل والهلاك . وأقيم لهم من الأدلة ما يجعل إنكارهم له فى حيز المكابرة والعناد . وهى من أقوى السور صدعاً لقلوبهم . وإنذاراً بسوء عاقبتهم . قد أقسم الله تعالى فى صدرها على أن الساعة آتية . والبعث واقع لا محالة . بخمسة أشياء عظيمة من خلقه . ذكرت صفاتها ولم تذكر هى ؛ فاختلف المفسرون فى تعيينها اختلافاً كثيراً . والظاهر : أن المقسم به شئان ؛ فصل بينها بالعطف بالواو المشعر بالمغايرة . وأنه تعالى أقسم أولاً بالرياح المرسلة لعذاب المكذبين ، من الإرسال وهو التسليط والتوجيه . ووصفها بالعصف وهو الشدة ؛ لإهلاكها مَنْ تُرسل إليهم . أولسرعتها فى مُضِيِّهَا لتنفيذ أمره تعالى . يقال :

فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾
وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِنَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ
يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ
الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ
الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نَبْعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ
بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ
مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَى قَدَرٍ
مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءَ
وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُم
مَاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى

أُجِّلَتْ ﴿٨﴾ أى أَخَّرَتْ الأمور
المتعلقة بالرسل : من تعذيب
الكفار وإهانتهم . وتنعيم المؤمنين
ورعايتهم . وظهور أهوال
الآخرة .
١٣ - ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ بين
الخلائق أو الحق والباطل .
١٥ - ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾
هلاك أو عذاب يوم القيامة
للمكذبين به وبأخباره . وهو وعيد
شديد . تكررت هذه الآية في هذه
السورة عشر مرات . عَقَبَ كُلُّ
آيَةٍ كَذَبَ بِهَا الْجَاهِلُونَ . وكأن
الويل قُسم بينهم على قدر
تكذيبهم : فلكل مكذب بشيء
نوع من العذاب غير النوع الذي
لتكذيبه بآخر .
١٦ - ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ من الأمم المكذبة ﴿ثُمَّ
نُبْعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ أى أهل
مكة . وهو وعيد لهم : لأنهم
مثل السابقين .

٢٠ - ٢٣ - ﴿مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾
من نطفة حقيرة ضعيفة . وفي
القرطبي : إن هذه الآية أصل لمن
ذهب إلى أن خلق الجنين إنما هو
من ماء الرجل وحده . اهـ .
وليس كذلك ! فإن المراد بالماء
جنسه الصادق بالماءين : كما تشير
إليه آيات أخرى . وكلاهما يطلق
عليه نطفة ومتى ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي
قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ مَقَرٍّ يُمْكِنُ فِيهِ .
وهو الرَّحِمُ . ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾
أى مؤخَّرًا إلى وقت معلوم عند الله
تعالى لخروجه منه . ﴿فَقَدَرْنَا﴾

الشيئين : كَفَرَجَةٍ الحائض
ومنه : (وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ) (٢)
أى شقوق وفُتُوح . ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ
سُفِفَتْ﴾ اِقْتُلِعَتْ وَأَزِيلَتْ مِنْ
أماكنها . يقال : نَسَفَ البناء
يَنْسِفُهُ . قلعه من أصله . أَوْذَكَتْ
وَذَرَّتْ فِي الْهَوَاءِ : كما تُذَرَّى
الرياحُ التَّيْنُ . ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ
أُقِنَتْ﴾ بلغت ميقاتها الذى
كانت تنتظره : وهو يوم القيامة
للفصل بينهم وبين المكذبين : من
التَّوْقِيتِ وهو جعل الشيء متنبأ إلى
وقته المحدود . ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ

ضُوءُهَا فَلَمْ يَكُنْ لَهَا نُورٌ . يقال :
طُمِسَتْ الشَّيْءُ . - من باب
ضَرَبَ - محوهُ واستأصلَتْ أثره .
وجوابُ (إِذَا) وما عطف عليها
مَحذُوفٌ تَقْدِيرُهُ : وَقَعَ
مَا تَوَعَدُونَ . أو بيان الأمر .
وقيل : هو (لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ)
بإضمار القول . أى يقال لِأَيِّ يَوْمٍ
أُجِّلَتْ . ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾
شُقَّتْ أَوْ فُتِحَتْ : كما قال
تعالى : (إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ)
(وَفُتِحَتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ
أَبْوَابًا) (١) . والفرجة : الشق بين

مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٩﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثُلُثِ
شُعْبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْلَّهِبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي
بِشَرِّرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جُمُلٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ
فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمٌ
الْفَصْلِ جَمْعُنَا وَالْأُولَيْنِ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُم كَيْدٌ
فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ

ثم يفرق ثلاث فرق ؛ شأن الدخان العظيم إذا ارتفع .
﴿ لَا ظَلِيلٍ ﴾ لا مظلل لهم من حر ذلك اليوم . وهو تهكم بهم ، ورد لما أوهمه لفظ الظل .
﴿ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْلَّهِبِ ﴾ ولا يدفع عنهم شيئاً من حر اللهب . وعيذى (يغني) بـ (من) لتضمنه معنى يبعد .
﴿ إِنَّهَا ﴾ أى جهنم ﴿ تَرْمِي ﴾ ترمى بشرير ﴿ هو ما يتطاير من النار فى كل جهة . واحدة شررة .
﴿ كَالْقَصْرِ ﴾ أى كل واحدة منه فى عظمتها وارتفاعها كالقصر وهو البناء العالى . وقيل : هو الغليظ من الشجر . أو هو قطع من الخشب نحو الذراع أو أقل أو أكثر يستعده للشتاء ، مفردة قصرة . ﴿ كَأَنَّهُ جُمُلٌ صُفْرٌ ﴾ جمع جمل ؛ كحجارة

و حجر . وجمعها جمالات - بتلث الجيم - وهى الإبل السود . وقيل : لها صفر وهى سود لأن سواد الإبل يضرب إلى الصفرة ؛ كما قيل للظباء البيض : أدم ، لما يعلو يياضها من الكدرة . شبه الشرر حين يفصل من النار فى عظمتها بالقصر ، وحين يأخذ فى الارتفاع والانبساط لانشقاقه وتشعبه عن أعداد غير محصورة بالجمالة الصفر فى اللون ، وسرعة الحركة ، والكثرة والانشقاق والتتابع ؛ إذ كان ذلك شأن هذه الإبل عند اجتماعها وتزاحمها واضطراب أمرها .
٣٦ - ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ ﴾ فى الاعتذار والتنصل ﴿ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ فيتنصلون مما أجرموا فى حق الله . يقال : اعتذرت إليه ، أتيت

على ذلك . ﴿ فَنَعْمَ الْقَادِرُونَ ﴾ عليه نحن ! وقرئ (فقدّرنا) بالتشديد ؛ أى فقدّرنا ذلك الوقت المعلوم تقديرًا محكمًا ، لا يتقدم الانفصال عنه ولا يتأخر ؛ فهو كقوله تعالى : (مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ) (١) .
وقيل : القراءتان بمعنى التقدير .

٢٥ - ﴿ كِفَاتًا أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴾ الكِفَات : الموضع الذى يكف فيه الشيء ، أى يضم ويقبض . يقال : كفت الشيء يكفّته كفتًا ، ضمه وقبضه ؛ فهو اسم آلة . و (أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا) مفعول لفعل محذوف ؛ أى تكفّت أحياء كثيرة على ظهرها ، وأموات كثيرة فى بطنها ؛ بمعنى تجمع وتضم . وقيل : هو جمع كفت وهو الوعاء ، والأرض أوعية - باعتبار أقطارها - للأحياء والأموات . و (أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا) منصوبان على المفعولية لـ (نجعل) بتقدير مضاف ؛ أى ذات أحياء وأموات . ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِي ﴾ جبالاً ثوابت ﴿ شَامِخَاتٍ ﴾ مرتفعات . جمع شامخ ، وهو المرتفع جداً . ﴿ مَاءَ فَرَاتٍ ﴾ عذبا من الأنهار الجارية ، والآبار والعيون والأمطار ؛ تشربون منه أتم ودوابكم ، وتسقون زرعكم .

٣٠ ، ٣٣ - ﴿ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ .. ﴾ أى إلى ظل من دخان جهنم الذى يتصاعد من وقودها ،

٥٠ - ﴿قَبَائِرُ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ أى بعد القرآن الناطق بأخبار النشأتين على نمط بديع معجز ، مؤسّل على حُجج قاطعة . ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إذا لم يؤمنوا به ، أى لا يؤمنون بشيء بعده . والله أعلم

سُورَةُ النَّبَأِ

« لما بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنْذَرَ الْمَشْرِكِينَ بِالْبَيْتِ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ لِلْجَزَاءِ - اسْتَعْدُوا ذَلِكَ ؛ فَهُمْ مِنْ جَحْدِهِ وَعَدَهُ مِنَ الْحَالِ وَقَالَ : (إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) (١) . وَمِنْهُمْ مَنْ ارْتَابَ فِيهِ وَقَالَ : (مَا نَذَرَى مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُصْبِحِينَ) (٢) . وَأَخَذُوا يَتَسَاءَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ سَوَالُ اسْتِهْزَاءٍ وَإِنْكَارٍ ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَقْرِيعًا لَهُمْ وَوَعِيدًا :

١ : ٣ - ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عن أى شيء يسأل هؤلاء الجاحدون بعضهم بعضاً . أو يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين استهزاء . و(عَمَّ) أصلها : عن ما ؛ فأدغمت النون فى ما الاستفهامية ؛ وحذفت ألفها للتخفيف . وفى هذا الاستفهام وإيهام المستفهم عنه إشعار

فِي ظِلِّلٍ وَعُيُونٍ ④١ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَسْتَهْوُونَ ④٢ كُلُّوْا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ④٣ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ④٤ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ④٥ كُلُّوْا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تَجْرِمُونَ ④٦ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ④٧ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ④٨ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ④٩ قَبَائِرُ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ⑤٠

(٧٨) سُورَةُ النَّبَأِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَاهَا ٤٠ نَزَلَتْ بَعْدَ الْمَعَارِجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ① عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ ② الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ③ كَلَّا سَعَلْتُمْ ④ ثُمَّ كَلَّا

بَعْدُ . وَالْعُذْرُ : هُوَ تَحَرَّى الْإِنْسَانُ مَا يَمْحُو بِهِ ذُنُوبَهُ وَإِسَاءَتِهِ . ٣٩ - ﴿لَكُمْ كَيْدٌ﴾ حيلة لا تقاوم العذاب ٤١ ، ٤٢ - ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ شروع فى ذكر أحوال المؤمنين ، بعد الإطناب فى ذكر أحوال الكافرين . أى إن المتقين متقلبون فى فنون الترفه والوان التمتع فى الجنة . ﴿فِي ظِلَالٍ﴾ أى ظلال الأشجار وظلال القصور . جمع ظل : ضد الضحى ، ويقال

٤٨ - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا ..﴾ أى صلوا مع محمد وأصحابه لا يصلون . وَسُئِلَتِ الصَّلَاةُ رُكُوعًا بِاسْمِ رُكْنِهَا . أو اخشعوا واخضعوا وتواضعوا لله تعالى لا يقلبون ، علّوا واستكباراً .

سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ
أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ
سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ
مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا
سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾

والانتفاع بما أودعناه لكم فيها .
والمِهَاد : مصدر بمعنى
ما يُمَهَّد ؛ وجُعِلَتْ به الأرضُ
مِهَادًا مبالغة في جعلها موطنًا
للناس والدواب يُقيمون عليها .
أو بتقدير مضاف ؛ أي ذات
مِهَاد . ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾
كالأوتاد للأرض ؛ أي أرسيناها
بالجبال لئلا تُمِيد وتضطرب ؛ كما
يُرسى البيت بالأوتاد لئلا تعصفَ
به الرياح . جمعٌ وقد بفتح التاء
وكسرها - وفعله كوعده .

١٠ ، ١١ - ﴿اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾
سِتْرًا لكم بما يغشاكم من
ظلمته ؛ كما يغشى اللباسُ لباسه
ويستره . ﴿وَالنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ وقت
معاش لكم تتقلبون فيه لتحصيل
ما تعيشون به .

١٢ - ﴿سَبْعًا شِدَادًا﴾ سبع
سموات قويّات محكمات ،
لا يتطرق إليهنَّ فُطورٌ ولا شقوقٌ
على مرّ الدهور ، إلى أن يأتي أمرُ
الله فيها من عجائب الخلق وبديع
الصُّنْع ما يشهد بقدرة العليم
الحكيم .

٨ - ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾
مزدوجين ذكرًا وأنثى . ليتأتى
التناسل وحفظ النوع ، وتنظيم
أمر المعاش في الأرض . أو أصنافًا
في اللون والصورة ، واللغة
والقوى ، والموهب والطباع ؛
لاقتضاء الحكمة هذا الاختلاف
بين بنى الإنسان .

٩ - ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ أي
قطعًا لأعمالكم . وهو إشارة إلى
ما قاله تعالى في صفة الليل :

بفخامة أمره ، وتشويقٌ للسامعين
إلى معرفة شأنه ؛ فبينه الله تعالى
بقوله : ﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾ أي
يتساءلون عن الخبر العظيم الشأن
الذى جاء به محمد صلى الله عليه
وسلم ، ونطق به القرآن . ﴿الَّذِي
هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ أي الذى هم
عريقون في الاختلاف فيه ؛ فهم
الجازم باستحالته ، ومنهم الشاك
فيه . وجميعهم ينكرون الرسالة ،
ويكذبون الرسول ، ويحددون
القرآن مكابرةً وعنادًا ؛
وإلا فآياتٌ صدقه ، وتواتر
معجزاته التى أعظمها وأبينها
القرآن المبين - كافيةٌ في تصديقه !
ودلائلُ قدرة الله تعالى على البعث
في اليوم الآخر - ناطقةٌ بإمكانه لمن
عقل وتبصر !

٤ ، ٥ - ﴿كَلَّا﴾ رَدٌّ وزجر عن
ذلك التساؤل . ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾
وعيدٌ لهم وتهديدٌ . أى ليرتدعوا
عما هم عليه من التساؤل استهزاءً
عن البعث ؛ فإنهم سيعلمون عما
قليل حقيقة الحال إذا حلَّ بهم
اللكال . ثم أكد ذلك الرَّدْعُ
والوعيد بقوله : ﴿ثُمَّ كَلَّا﴾
سَيَعْلَمُونَ ﴿ثُمَّ أَقَامَ اللهُ لَهُمْ مِنْ
دَلَائِلِ قُدْرَتِهِ عَلَى الْبَعْثِ عَشْرَةَ
أَدِلَّةٍ ، لَا يَسْمَعُ مِنْهَا نَكَارًا ،
وَلَا مَنَاصَ لَهُمْ مِنَ الْإِقْرَارِ بِهَا ؛
فكيف ينكرونه أو يشكون فيه بعد
ذلك ؟!

٦ ، ٧ - ﴿مِهَادًا﴾ فراشًا موطنًا
كالمِهْد ؛ لتمكينكم من الاستقرار
عليها والتقلب في أحوالها .

القضاء بين الحق والباطل .
والحساب والجزاء فقال : ﴿ إِنَّ
يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴾ ميعادًا
للبعث الأولين والآخرين ،
وما يترتب عليه من الجزاء ثوابا
وعقابا ، لا يتقدم ولا يتأخر .

١٨ - ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾
للبعث من القبور ﴿ فَتَأْتُونَ
أَفْوَاجًا ﴾ أممًا مع كل أمة
إمامها ، كما قال تعالى : (يَوْمَ
نُدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِأَمِّهِمْ) (١)
أوزمرا أو جماعات مختلفة الأحوال
حسب اختلاف الأعمال . جمع
فوج .

١٩ - ﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ ﴾
شُقت وفُرجت لنزول الملائكة ،
فصارَت شقوقها لسعتها
كالأبواب ، وهو كقوله تعالى :
(إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ) وقوله (إِذَا
السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ) وقوله : (وَيَوْمَ
تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلُ
الْمَلَائِكَةَ تِزْيِيلًا) (١) . ﴿ وَسِيرَتِ
الْجِبَالُ ﴾ في الجوع على هبتها بعد
تفتتها . وقلعها من مقارها .
﴿ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ أى فصار بعد
تسييرها كالسراب . فترى بعد
تفتتها وارتفاعها في الهواء كأنها
جبال وليست بجبالاً ، وإنما هي
غبار يتكاثف ويتراكم ، يرى من
بُعْد كأنه جبل ، كالسراب يرى
من بُعْد كأنه بحر وليس به .

٢١ : ٢٨ - ﴿ فَكَانَتْ مِرْصَادًا ﴾
كانت معدة مهية
﴿ لِلطَّاغِينَ ﴾ من قوهم
أرصدت له ، أى أعددت له .

لَتُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ
يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ
أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسِيرَتِ
الْجِبَالُ فَكَانَتْ مَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾
لِلطَّاغِينَ مَنَابًا ﴿٢٢﴾ لَتَنِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ
فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً
وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا
بِعَايِنَتِنَا كَذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾

نَجَّاجًا ﴿١٣﴾ منصبا بكثرة . يقال :
نَجَّجَ الماء - من باب رد - إذا نصب
بكثرة . ونَجَّه : صبه كذلك .
ومطرٌ نَجَّاجٌ : شديد الانصباب
جدا . ﴿ لَتُخْرِجَ بِهِ حَبًّا ﴾
ما يفتات به الناس كالخطة
والشعير . ﴿ وَنَبَاتًا ﴾ ما تعلف به
الدواب كالشبن والكلا .
﴿ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾ بسايتين ملتفة
الشجر لتقارب أغصانها .
﴿ أَلْفَافًا ﴾ اسم جمع لا مفرد
له ، كالأوزاع للجماعات
المتفرقة . وقيل : جمع لفيف ،
كأشراف وشريف . وبعد أن بين
الله لهم بهذه الدلائل المشاهدة
قدرته ليلزمهم الحق في أمر البعث
حتى لا يجدوا سبيلا إلى جحوده .
هذدهم أشد التهديد ببيان أن
الساعة آتية لا محالة ، وفيها فضل

١٣ - ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا ﴾ أنشأنا
في السماء مصباحا زاهرا مضيئا ،
وهو الشمس . ﴿ وَهَاجًا ﴾ بالغا
في الحرارة ، من الوهج وهو
الحرارة من بعيد ، ومنه توهجت
النار : توقدت . والشمس جامعة
بين الإضاءة التي أشير إليها بالتعبير
عنها بالسراج ، وبين الحرارة التي
أشير إليها بوصفها بالوهج . امتن
الله على الخلق بإبداعها مضيئة
حارة ، لما في ذلك من المنافع
العظمى التي لا يحيط بها
الوصف . والتي تتوقف عليها
الحياة على سطح الأرض .
١٤ : ١٧ - ﴿ مِنَ الْمُعْصِرَاتِ ﴾
من السحاب التي قد آن لها أن
تمطر لامتلأها بالماء . أو التي
تنحلب بالمطر قليلا ، ولما نصبت
صبا . جمع مُعْصِر . ﴿ مَاءَ

فَذُوقُوا فَلَنْ تَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ
مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾
وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ﴿٣٥﴾
جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾
يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ
أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ

يَنْشَأْنَ مَعًا فِي سِنٍّ وَاحِدَةٍ ؛ تَشْبِيهَا
لَهُنَّ فِي التَّسَاوَى وَالتَّأَمُّلِ
بِالْزَّائِبِ . وَهِيَ ضُلُوعُ الصَّدْرِ .
﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾ أَي مَرَّةً مَلِيَّةً .
يُقَالُ : دَهَقَ الْخَوْضُ - كَجَعَلَ -
وَأَدَهَقَهُ : مَلَأَهُ . وَأَصْلُهُ مِنَ
الدَّهَقِ : وَهُوَ ضَغْطُ الشَّيْءِ وَشُدُّهُ
بِالْيَدِ ؛ كَأَنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ انْضَغَطَ
﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا ﴾ أَي مَلَا
يُعْتَدُّ بِهِ مِنَ الْكَلَامِ ؛ وَهُوَ الَّذِي
يَصْدُرُ لَا عَنْ فِكْرٍ وَرَوِيَّةٍ .
أَوْ كَلَامًا قَبِيحًا . ﴿ عَطَاءً ﴾
إِحْسَانًا وَتَفَضُّلاً . ﴿ حِسَابًا ﴾
كَافِيًا . مُصَدَّرٌ أَقِيمَ مَقَامِ
الْوَصْفِ ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ : أَحْسَبُهُ
الشَّيْءُ . إِذَا كَفَاهُ حَتَّى قَالَ
حَسْبِي .

٣٧ - ﴿ خُطَابًا ﴾ إِلَّا بِأَذْنِهِ .
٣٨ - ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ .. ﴾ يَوْمَ
يَقُومُ جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْنَ يَدَيْ

عَلَى الْأَصَابِعِ .
٣١ - ٣٦ - ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ ﴾
مَفَازًا ﴿ بَيَانُ لِحَاسِنِ أَحْوَالِ
الْمُؤْمِنِينَ إِثْرَ بَيَانِ سُوءِ أَحْوَالِ
الْكَافِرِينَ . (وَمَفَازًا) أَي نَجَاةً مِنَ
الْعَذَابِ . أَوْ ظَفَرًا بِمَا طَلَبُوا مِنَ
التَّعْمِيمِ . أَوْ مَوْضِعَ فَوْزٍ وَهُوَ الْجَنَّةُ .
وَالْفَوْزُ : الظَّفَرُ بِالْخَيْرِ مَعَ حَصُولِ
السَّلَامَةِ . ﴿ حَدَائِقَ ﴾ بَسَاتِينَ فِيهَا
مَاءٌ وَأَشْجَارٌ مُثْمِرَةٌ ، وَرِيَاضٌ
وَأَزَاهِيرُ . جَمْعُ حَدِيقَةٍ ؛ سُمِّيَتْ
بِذَلِكَ تَشْبِيهَا لَهَا بِحَدِيقَةِ الْعَيْنِ فِي
الْهَيْئَةِ وَحَصُولِ الْمَاءِ فِيهَا .
﴿ وَكَوَاعِبَ ﴾ جَمْعُ كَوَاعِبٍ ،
وَهِيَ الْفَتَاةُ الَّتِي تُكْعَبُ ثُدْيَاهَا ؛
أَي اسْتِدَارًا مَعَ ارْتِفَاعِ بَسِيرِ ؛
وَذَلِكَ يَكُونُ عِنْدَ الْبُلُوغِ . يُقَالُ :
كَعَبْتُ الْحَارِيَّةَ - مِنْ بَابِ دَخَلَ -
بَدَأْتُ ثُدْيَهَا لِلْهُدُودِ ؛ فَهِيَ كَعَابٌ
وَكَاعِبٌ . ﴿ أَتْرَابًا ﴾ أَي لِدَاتٍ

وَكَافَاتِهِ بِالْخَيْرِ أَوْ بِالشَّرِّ . أَوْ مَوْضِعَ
رَضْدٍ وَتَرْقَبٍ ؛ تَرَضَّدَهُمْ فِيهِ خَزَنَةُ
النَّارِ لَتَعْلِيهِمْ . ﴿ مَابًا ﴾ مَرْجَعًا
يَرْجِعُونَ إِلَيْهَا وَيَأْوُونَ فِيهَا ؛ بَدَلُ
مِنْ (مِرْصَادًا) . ﴿ لَا يَشِينُ فِيهَا
أَحْقَابًا ﴾ مَا كَثُرَ فِيهَا دَهْوَرًا
مُتَابَعَةً لَا نِهَايَةَ لَهَا . كُلَّمَا مَضَى دَهْرٌ
تَبِعَهُ دَهْرٌ . جَمْعُ خُفٍّ - بَضْمٌ
فَسْكُونٌ وَبُضْمَتَيْنِ - وَهُوَ الدَّهْرُ .
﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا ﴾ أَي شَيْئًا
مِنَ الرُّوحِ وَالرَّاحَةِ بِنَفْسِهِمْ عَنْهُمْ
حَرَّهَا . ﴿ وَلَا شَرَابًا ﴾ أَي شَيْئًا
مِنَ الشَّرَابِ يُطْفِئُ غَلَّتَهُمْ ؛
وَيُخَفِّفُ عَطَشَهُمْ .
﴿ إِلَّا حَمِيمًا ﴾ أَي وَلَكِنْ يَذُوقُونَ
فِيهَا حَمِيمًا . وَهُوَ الْمَاءُ الْبَالِغُ نِهَايَةَ
الْحَرَارَةِ . ﴿ وَعَسَاقًا ﴾ وَهُوَ
مَا يَسِيلُ مِنْ جُلُودِهِمْ مِنَ الْقَيْحِ
وَالصَّدِيدِ . يُقَالُ : غَسَقَ
الْجُرْحُ - كَضَرَبَ وَسَمِعَ -
غَسَقَانًا . سَالَ مِنْهُ مَاءٌ أَصْفَرٌ .
﴿ جَزَاءً وَفَاقًا ﴾ أَي جُوزُوا بِذَلِكَ
جَزَاءً مُوَافِقًا لِأَعْمَالِهِمْ ؛ كَمَا يَقْتَضِيهِ
الْعَدْلُ وَالْحِكْمَةُ . مُصَدَّرٌ بِمَعْنَى
اسْمِ الْفَاعِلِ . ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
كِذَابًا ﴾ تَكْذِيبًا مَفْرِطًا . وَمَجِيءُ
فِعَالٍ بِمَعْنَى تَفْعِيلٍ فِي مُصَدَّرٍ
فَعَّلَ . شَائِعٌ فِي الْفَصِيحِ .
٢٩ - ﴿ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴾ أَي
أَحْصَاءً ؛ مُصَدَّرٌ مُؤَكَّدٌ مِنْ مَعْنَى
أَحْصَيْنَاهُ . وَالْإِحْصَاءُ :
التَّحْصِيلُ بِالْعَدَدِ ، وَأَصْلُهُ مِنَ
لَفْظِ الْحِصَا . وَاسْتُعْمِلَ فِيهِ مِنْ
حَيْثُ إِنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَمِدُونَ عَلَى
الْحِصَا فِي الْعَدَدِ ؛ كَاعْتِمَادِنَا فِيهِ

فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَعَابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تَرَابًا ﴿٤٠﴾

(٧٩) سُورَةُ النَّازِعَاتِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٤٦ نَزَلَتْ بَعْدَ النَّبَاِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾
وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالَسَّيْقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتَّبِعُنَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾

الجبار ، ترتعد فرائضه قرعًا من عذابه تعالى ، وقد عبّر عنه في آيات كثيرة بالروح . ويقوم الملائكة صافين أنفسهم صفوفًا وذلك يوم القيام .

سورة النازعات

وتسمى سورة الساهرة والطامة

١- ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ أقسم الله تعالى في الآيات الخمس بطوائف من الملائكة موكلين بأعمال جسام بأمره تعالى - على أن الخلق لا يبدؤ أن يبعثوا ويحاسبوا في اليوم الآخر . وحذف جواب القسم لدلالة ما بعده عليه ، والتقدير لتبعثن . فأقسم الله تعالى بالملائكة التي تنزع أرواح الكفار من أقاصي أجسامهم نزعًا بالغ الغاية في الشدة ، من النزع ، وهو جذب

٣٩- ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَعَابًا﴾ أي فمن شاء أن يتخذ مرجعًا إلى ثواب ربه ، فعل ما يوجبه من الإيمان والطاعة في الدنيا .
والطاعة في الدنيا . مرجعًا بالإيمان والطاعة .

٤٠- ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تَرَابًا﴾ يتمنى الكافر أن لو كان في الدنيا ترابًا ، فلم يخلق بشرًا ولم يكلف أو أن لو كان في الآخرة ترابًا ، فلم

الشيء من مقره بشدة ، كنزع القوس عن كبده . «وَعَرْقًا» أي اغرقًا ونزعًا شديدًا . يقال : أغرق في الشيء يغرق فيه إذا أوغل وبلغ أقصى غايته . ومنه قولهم : نزع في القوس فأغرق . أي بلغ غاية المدح حتى انتهى إلى النصل . منصوب على المصدرية ، وكذلك «نَشْطًا» و«سَبْحًا» و«سَبْقًا» .

٢- ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ ثم أقسم بطائفة أخرى من الملائكة تنشط أرواح المؤمنين برفق ولين ، دون تلك الشدة التي تنزع بها أرواح الكفار نزعًا ، من النشط ، وهو الإخراج برفق وسهولة . يقال : نشط الدلو من البئر - من باب ضرب - إذا نزعها بلا بكرة ، ومنه بئر أنشاط : قريبة القعر يخرج منها الدلو بجذبة واحدة .

٣- ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ ثم أقسم بطائفة أخرى من الملائكة تنزل من السماء مسرعة بما أمرت به لتدبيره ، كالقوس الجواد إذا أسرع في جريه يقال له : سابح .
٤- ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ صفة للنازعات والناشطات ، أي المسرعات بأرواح الكفار التي نزعها إلى النار . وبأرواح المؤمنين التي نشطتها إلى الجنة . والعطف بالفاء للدلالة على ترتيب ما بعدها على ما قبلها بغير مهلة .

٥- ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ صفة للسابحات . و«أمرًا» مفعول به .

قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ
 أَوْنَانَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَؤَظْمَأُ كُنَّا عِظْمًا
 نَحْرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذْكَرَةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ
 وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ
 مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾

تبعثون - منكبين له ومتعجبين
 منه - : أنزله إلى الحياة التي كنا
 فيها بعد أن نموت ونفنى ؟
 يقال : رجع فلان في حافرتي وعلى
 حافرتي - أي طريقته التي جاء فيها
 فحفرها بمشيئه - ثم كفى به عن
 الرجوع إلى الأحوال التي كان عليها
 الإنسان من قبل . ﴿٨﴾ فِي
 الْحَافِرَةِ ﴿٩﴾ إلى الحالة الأولى
 (الحياة) . ثم أكدوا ذلك
 بقولهم : ﴿١٠﴾ أَؤَظْمَأُ كُنَّا عِظْمًا
 نَحْرَةً ﴿١١﴾ أي أنذا صرنا عظامًا
 بالية : نرد ونبعث مع كونها أبعد
 شيء من الحياة ؟ ! والاستفهام
 بمعنى الإنكار : من نخر العظم -
 من باب تعب - يلى وتفتت .
 وقرئ «ناخرة» بمعنى نخرة . أو
 بمعنى فارغة جوفاء ، يجيء منها
 عند هبوب الريح نخير ، أي
 صوت .
 ١٢ : ١٤ - ﴿١٢﴾ كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ
 رجعة خائبة غير رابحة ! والكرة
 من الكر - أي الرجوع . وجمعها

١٥ : ١٨ - ﴿١٨﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ
 مُوسَى .. ﴿١٨﴾ تسليق للرسول صلى

ونسبة التدبير إلى الملائكة مجاز ؛
 فإن كلَّ المحدثات بقضاء الله
 وتقديره وتدبيره . وللمفسرين
 أقوالٌ أخرى في تفسير هذه
 الأقسام .

٦ : ٩ - ﴿٩﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٩﴾
 أي لتبعثن يوم النفخة الأولى التي
 تضطرب الأرض بها فيموت كلُّ
 شيء عليها بأمره تعالى . وسُميت
 راجفة من الرجف . وهو
 الاضطراب الشديد ؛ لأن بها
 يضطرب الأمر ويختل النظام .
 ﴿١٠﴾ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿١٠﴾ هي النفخة
 الثانية التي تردف الأولى ويبعث
 فيها الموتى بأمره تعالى . يقال :
 ردّفه - كسمعه ونصره - إذا
 تبعه ؛ كأردفه . وسُميت رادفة
 لمجيئها بعد الأولى . والجملة حال
 من «الراجفة» . ﴿١١﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ
 وَاجِفَةٌ ﴿١١﴾ أي قلوبٌ في ذلك اليوم
 شديدة الاضطراب من الخوف
 والفرع . يقال : وجف القلب
 يَجِفُ وَجْفًا وَوَجِيفًا ، إذا
 اضطرب من شدة الفرع ، وأصل
 الوجف : سرعة السير . يقال :
 أوجفت البعير ، أي أسرعت ؛
 واستعمل فيما ذكر مجازاً لعلاقة
 اللزوم . ﴿١٢﴾ أَبْصَرُهَا خَاشِعَةٌ ﴿١٢﴾ أي
 أبصار أهلها - وهم منكرو
 البعث - ذليلة لما قد علاهم من
 الكآبة والحزن ؛ لما يرون من
 عظيم الهول . والجملة خبر
 «قُلُوبٌ» و«وَاجِفَةٌ» صفة لها .
 ١٠ : ١١ - ﴿١١﴾ يَقُولُونَ أَثْنَا .. ﴿١١﴾
 أي يقولون إذا قيل لهم إنكم

نَكَلَ فَلَانُ بفلان ، إذا انْحَنَى
عقوبة . وهو منصوبٌ على أنه
مصدرٌ مؤكدٌ لـ «فأخذَهُ» لأن
معناه نكَلَ به .

٢٧ : ٢٩ - ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾
أى أخلقكم بعد موتكم أصعب
وأشق ! ﴿أَمِ السَّمَاءُ﴾ نَبْهَمُ
فيه إلى أمرٍ معلومٍ بالمشاهدة ،
وهو أن خلقَ السماءَ أعظمُ وأبلغُ
في القدرة . وإذا كان الله قادرًا
على إنشاء العالم الأكبر ، فيكون
على خلق العالم الأصغر بل على
إعادته أقدر . ثم أشار إلى كيفية
خلق السماء بقوله : ﴿بَنَاهَا﴾
هيئةً بدعية محكمة . ﴿رَفَعَ﴾
سَمَكُهَا ﴿أى جعل مقدارَ
ارتفاعها عن الأرض مديدًا رفيعًا .

يقال : سَمَكَتُ الشَّيْءَ . رفَعْتُهُ فِي
الْهَوَاءِ . وَسَمَكَتِ الشَّيْءُ سَمُوكًا :
ارْتَفَعَ . وَبَنَاءٌ مَسْمُوكٌ : عَالٍ .
﴿فَسَوَّاهَا﴾ جعلها ملساءً
مستويةً ، ليس في سطحها ما
يحول دون الاستقرار عليها . أو
جعلها متشابهة الأجزاء والشكل
﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أظلمه بمغيب
شمسها . يقال : غَطَشَ اللَّيْلُ
- من باب ضرب - ، أظلم .
وَأَغْطَشَهُ اللَّهُ ، من الغَطَشِ وهو
الظلمة . ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾
أبرز نهارها . والضُّحَى في
الأصل : انبساط الشمس
وامتدادُ النهار ، ثم سُمِّيَ به الْوَقْتُ
المعروف ، وشاع في ذلك وتحوَّلَ
به عن النهار بقرينة مقابله بالليل .
وعبر عن النهار بالضحى لأنه

أَذْهَبَ إِلَيْكَ فِرْعَوْنُ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ
أَنْ تَرْكَنِيَ ﴿٢٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿٢٩﴾
فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴿٣٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٣١﴾ ثُمَّ
أَدْبَرَ يَسْعَى ﴿٣٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٣٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ
الْأَعْلَى ﴿٣٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٣٥﴾
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَنْ يَخْشَى ﴿٣٦﴾ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ
السَّمَاءِ بَنَاهَا ﴿٣٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٣٨﴾ وَأَغْطَشَ
لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٣٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٤٠﴾

وَالْيَدُ الْبِيضَاءُ . وَأُطْلِقَ عَلَيْهِمَا
آيَةُ لَاتِحَادِهِمَا مَقْصِدًا .
٢٢ - ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى﴾ ثُمَّ
تَوَلَّى وَأَعْرَضَ عَنِ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ ،
مُجَدِّدًا فِي إِبْطَالِ أَمْرِهِ وَمُعَارِضَةً
آيَتِهِ .
٢٣ - ﴿فَحَشَرَ﴾ فِجَمَعَ
السَّحَرَةَ مِنَ الْمَدَائِنِ . أَوِ الْجُنْدَ .
أَوْ هُمَا ، مِنَ الْحَشْرِ ، وَهُوَ إِخْرَاجُ
الْجَمَاعَةِ مِنْ مَقَرِّهِمْ ، وَإِزْعَاجُهُمْ
عَنْهُ إِلَى الْحَرْبِ وَنَحْوِهِ .
٢٥ - ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ﴾
أى نَكَلَ اللَّهُ بِهِ نَكَالَ الْآخِرَةِ
بِالْإِجْرَاقِ ، وَالْأُولَى بِالْإِغْرَاقِ .
وَالنَّكَالُ : مُصْدَرٌ بِمَعْنَى
التَّنْكِيلِ ، وَهُوَ التَّعْذِيبُ الَّذِي
يَنْكُلُ مَنْ رَأَاهُ أَوْ سَمِعَهُ ، وَيَمْنَعُهُ مِنْ
تَعَاطِي مَا يُفْضِي إِلَيْهِ . يُقَالُ :

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَهْدِيدُ لِقَوْمِهِ أَنْ
يَصِيبَهُمْ بِتَكْذِيبِهِمْ مِثْلَ مَا أَصَابَ
مَنْ كَانَ أَقْوَى وَأَعْظَمَ مِنْهُمْ . أَى
أَلَيْسَ قَدْ أَتَاكَ حَدِيثُهُ ! ﴿طَوَى﴾
اسْمٌ لِلْوَادِي الْمَقْدَسِ بِأَرْضِ
الشَّامِ . ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ جَاوَزَ الْحَدَّ
فِي الطُّغْيَانِ وَالضَّلَالِ ، بِالتَّكْبَرِ
عَلَى اللَّهِ ، وَالتَّجَبُّرِ عَلَى الْخَلْقِ
وَاسْتِعْبَادِهِمْ . ﴿هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ أَنْ
تَرْكَنِيَ﴾ هَلْ لَكَ مِثْلُ إِلَى التَّرْكِيَةِ
وَتَطْهِيرِ النَّفْسِ مِنَ الرَّجْسِ
وَالْعِنَادِ . وَهُوَ طَلَبُ وَدْعَاءٍ إِلَى
التَّرْكِيَةِ فِي تَلَطُّفٍ وَرَفَقَةٍ ، كَمَا
يُقَالُ : هَلْ لَكَ فِي الْخَيْرِ ! وَهَلْ
لَكَ إِلَى الْخَيْرِ ! أَى مِثْلُ إِلَيْهِ
وَانْعِطَافِ .
٢٠ - ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾
هِيَ قَلْبُ الْعَصَا حَيَّةٌ . أَوْ هِيَ

أشرف أوقاته وأطيئها . وأضيف الليل والضحي إلى السماء لأنها يحدثان بسبب غروب شمسها وطلوعها .

٣٠ ، ٣١ - ﴿ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ أى ودحها الأرض - بمعنى بسطها - وأوسعها ، بعد ذكر ذلك الذى ذكره من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وإغطاش ليلها وإظهار نهارها . وقد بين الله الدخو بقوله : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا ﴾ بتفجير العيون . وإجراء الأنهار والبحار العظام . ﴿ وَمَرَعَاهَا ﴾ أى جميع ما يقتات به الناس والدواب بقرينة قوله بعد : ﴿ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ .

٣٢ ، ٣٣ - ﴿ وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا ﴾ أى وأرسي الجبال ، أى أثبتها فى الأرض كيلا تميد وتضطرب . وقوله : ﴿ أَرْسَاهَا ﴾ تفسير للفعل المضمر قبله . ﴿ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ أى تمتيعاً لكم ولأنعامكم . والآية تقريباً لكفار مكة المنكرين للبعث ، زاعمين صعبته . بعد أن بين الله كمال سهولته بالنسبة إلى قدرته بقوله : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ . وبياناً لدليلين مشاهدين . وهما : السماء وما فيها والأرض وما فيها . لا يسعهم إنكارها ، ناطقين بكمال قدرته سبحانه ! فأخبر الله بأنه هو الذى بنى السموات السبع ورفعها وسواها ، (١) آية ٢٩ البقرة . وآيات ٩ - ١٢ فصلت .

أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرَعَهَا ﴿ ٣١ ﴾ وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا ﴿ ٣٢ ﴾ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿ ٣٣ ﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ﴿ ٣٤ ﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿ ٣٥ ﴾ وَبُرُزَّتِ أَلْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴿ ٣٦ ﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿ ٣٧ ﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿ ٣٨ ﴾ فَإِنَّ أَلْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿ ٣٩ ﴾

وأما إذا فُسر الخلق فيها بالتقدير : أو بالإيجاد مع تقدير الإرادة وكذلك ما عطف عليه . أو حُملت « ثم » فيها على التراخى فى الرتبة فلا يكون فيها أيضاً دليل على الترتيب فى الإيجاد .

٣٤ - ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ﴾ بيان لأحوالهم فى المعاد إثر بيان أحوالهم فى المعاش . والطَّامَةُ : الداهية التى تغلب وتعلو على ما سواها من الدواهي ، من طَم الشيء يطُطه طمًا : غمره . وكل ما كثر وعلا حتى غلب فقد طم . وهى كالعلم على القيامة ؛ بل روى أنها اسم من أسماؤها . وقيل : هى النفخة الثانية . وجواب الشرط محذوف تقديره : وقع مالا يدخل تحت الوصف . وقوله : ﴿ فَأَمَّا ﴾ تفصيل له .

٣٦ - ﴿ وَبُرُزَّتِ أَلْجَحِيمُ ﴾ أظهرت إظهاراً بيّناً لا خفاء فيه على أحد .

وخلق ظلمة الليل . وأبرز النهار . وأخبرنا بعد ذلك بأنه هو الذى بسط الأرض - ومهدّها لسكنى أهلها ومعيشتهم فيها . وقدم الخبر الأول لأنه أدل على القدرة الباهرة لعظم السماء ، وانطوائها على الأعاجيب التى تحار فيها العقول . فبعدية الدخو إنما هى فى الذكر لا فى الإيجاد . ويجعل المشار إليه هو ذكر المذكورات من البناء وما عطف عليه لأنفسها ، لا يكون فى الآية دليل على تأخر الدخو عن خلق السموات وما فيها ، ويكون الترتيب بين خلق الأرض وخلق السموات مستفاداً من دليل آخر . وقد ذهب جمهور المفسرين إلى تقدّم خلق الأرض وما فيها على خلق السماء وما فيها ، أخذاً بظاهر آيتى البقرة وفصلت (١) بناء على تفسير الخلق فيها بالإيجاد ، وهو معناه الظاهر ، وتفسير ما عطف عليه من الأمور الثلاثة فى آية فصلت بمعانيها الظاهرة . وعلى أن « ثم » للتراخى فى الزمان .

يَقُوضُ إِلَيْكَ : فَمَا لَهُمْ يَسْأَلُونَكَ
عَمَّا لَمْ تُبْعَثْ لَهُ ! ولم يَقُوضْ إِلَيْكَ
أمره ! وتخصيص الإنذار بمن
يخشى مع عمومته للناس كافة لأنه
هو الذي يتنفع به .

٤٦ - ﴿عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾
العشية : من الزوال إلى الغروب .
والضحى : البكرة إلى الزوال .
والمراد : كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا
بعد الإنذار إلا ساعة من نهار .
والله أعلم

سورة عبس

١ - ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ..﴾ رَوَى أَنْ
ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ - عمرو بن قيس -
وكان أعمى وأسلم قديماً بمكة -
أتى النبي صلى الله عليه وسلم
وعنده صناديد قريش ، يناجيهم
ويدعوهم إلى الإسلام رجاء أن
يسلم بإسلامهم خلق كثير ،
فقال : يا رسول الله ، أقرئني
وعلمني مما علمك الله ، وكثر
ذلك ، وهو لا يعلم تشاغله صلى
الله عليه وسلم بالقوم . فكره رسول
الله صلى الله عليه وسلم قطعه
لكلامه ، وعبس وأعرض عنه .
فنزلت هذه الآيات معاتبة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء
نجواه معهم وذهابه إلى أهله .
وقيل : في أثنائها . فكان الرسول
بعد ذلك يُكرمه إذا رآه ويقول :
(مرحباً بمن عاتبني فيه ربى) !
ويُسِّطُ لَهُ رِدَاءَهُ . واستخلفه على
المدينة مرتين^(١) وكان من المهاجرين

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ ﴿١﴾
فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۖ ﴿٢﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ
مُرْسَاهَا ۖ ﴿٣﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ۖ ﴿٤﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ
مُنْتَهَاهَا ۖ ﴿٥﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَحْشَاهَا ۖ ﴿٦﴾ كَانَتْهُمْ
يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ۖ ﴿٧﴾

(٨٠) سُورَةُ عَبَسَ مَكِّيَّةٌ
وآياتها ٤٢ نزلت بعد النجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّهِ يَزْكَى ﴿٣﴾ أَوْ يَذْكُرُ فَنَنْفَعَهُ الْذِكْرَى ﴿٤﴾ أَمَّا مَنْ

٣٩ - ﴿هِيَ الْمَأْوَى﴾ هي
المرجع والمقام له لا غيرها
٤٠ - ﴿خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ أي
عظمته وجلاله . أو قيامه بين يدي
ربه عز وجل للحساب يوم الطامة
الكبرى . ﴿وَنَهَى النَّفْسَ ..﴾
زجرها وكفها عن الميل إلى
الشهوات المردية وضبطها
بالصبر . ولم يغتر بزهرة الدنيا
وزينتها . لعلمه بخامة عاقبه
وأصل الهوى : مطلق الميل
وشاع في الميل إلى الشهوات
وسمى هوى لأنه يهوى بصاحبه في
الدنيا إلى كل داهية . وفي الآخرة

(١) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب .

الأولين . قتل شهيدًا بالقادسية .
والعبوس : قطوب الجبين من ضيق الصدر . والتوَلَّى إذا عُدَّى بعن لفظاً أو تقديرًا فعناه الإعراض بالجسم ، أو بترك الإصغاء .

٣ - ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾
أى أى شىء يجعلك داريًا بحال هذا الأعمى الذى عبست فى وجهه ! لعله يتطهر بما يتعلمه منك من الشرائع من دنس الجهل ؟ أو يتعظ فتنفعه ذكراك وموعظتك ! من الزكاة بمعنى الطهارة والنماء .

٤ - ﴿يَذْكُرُ﴾ يتعظ .
٥ : ٧ - ﴿أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى﴾
عن الإيمان . وعما عندك من العلوم التى ينطوى عليها القرآن بما عنده مما لا خيره فيه . ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ أى تتعرض له بالإقبال عليه والإصغاء لكلامه ! والاهتمام بإرشاده واستصلاحه ، رجاء أن يسلم ويسلم بإسلامه غيره . يقال : تصدى له . أى تعرض . وأصله تصدّد من الصدّد . وهو ما استقبلك وصار قبالك . يقال : دارى صدّد داره . أى قبالتها ، فأبدلت الدال حرف علة للتخفيف . نحو تقضى البازى . ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي﴾ أى أى شىء عليك فى ألا يتطهر من كفره فيسلم حتى يبعثك الحرس على إسلامه إلى الإعراض عمن أسلم وتطهر ؟ أى لا بأس عليك فى بقاء هذا الذى استغنى على كفره وضلاله .

أَسْتَغْنَى ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ وَهُوَ يَحْشَى ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ كَلَّا إِنَّا تَذَكُّرٌ ﴿فَنَشَاءُ ذِكْرَهُ﴾ فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ﴿مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ قَتَلَ الْإِنْسَنُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ مِنْ نُطْفَةٍ

٨ : ١٠ - ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ أى مسرعًا فى طلب ما عندك من العلم والخير . ﴿وَهُوَ يَحْشَى﴾ الله ويتقبه . أو يحشى فواته . ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ تعرض وتتشاغل . يقال : لهى عنه - كرضى - وتلهى . سلا عنه وترك ذكره .
١١ : ١٦ - ﴿كَلَّا﴾ أى ما الأمر كما تفعل ! وهو مبالغة فى إرشاده صلى الله عليه وسلم إلى عدم معاودة ما عوتب عليه . روى أنه صلى الله عليه وسلم ما عبس بعد ذلك فى وجه فقير قط . ولا تصدى لغنى قط ! . وعن سفيان الثوري : أن الفقراء كانوا فى مجلسه أمراء . ﴿إِنَّا تَذَكُّرٌ﴾ أى إن آيات القرآن موعظة يجب أن يتعظ بها ويعمل بموجبها . وفيه تعريض بمن استغنى عنها . ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكْرَهُ﴾ أى ذكر هذه التذكرة ، وذكر الضمير لأن

التذكرة بمعنى التذكير والوعظ . والجملة معترضة للترغيب فى وعى هذه الآيات والاتعاظ بها . ثم وصف التذكرة بقوله تعالى : ﴿فِي صُحُفٍ﴾ أى مثبتة فى صحف من نسخة من اللوح المحفوظ . ﴿مُكْرَمَةٍ﴾ عنده تعالى . ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ ذات منزلة رفيعة . ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾ منزهة عن مساس أيدي الشياطين ، أو عن كل دنس ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ هم الملائكة الذين جعلهم الله سفراء بينه وبين رسله . جمع سافر بمعنى سفير . أى رسول وواسطة . أو هم كتبة من الملائكة يسخون الكتب من اللوح المحفوظ . جمع سافر . أى كاتب . يقال : سفر الكتاب . يسفره كتبه . ومنه السفر للكتاب . وجمعه أسفار . ﴿كِرَامٍ﴾ مكرمين معظمين عنده تعالى : من الكرامة بمعنى التوقير . ﴿بَرَرَةٍ﴾ أتقياء . أو مطيعين . أو

بعد موته كما يفعل بعض الوثنيين
فناف للكرمة ، ومباذ للشفة
الإسلامية ، فضلاً عما فيه من
البشاعة والشناعة . ﴿أَنْشُرُهُ﴾
أحياء بعد الموت للجزاء إذا جاء
الوقت المقدّر للبعث في علمه
تعالى . يقال : أنشر الله الميت
ونشره . بمعنى

٢٣ - ٢٤ - ﴿كَلَّا﴾ ردع
للإنسان عما هو عليه من الكفران
البالغ حد الطغيان . ﴿لَمَّا يَقْضِ
مَا أَمَرُهُ﴾ لم يقض ذلك الإنسان
المستغنى المتكبر شيئاً مما أمره به
ربه ! من ترك التكبر ومن التأمل
في الآيات ، والإيمان بالله . مع
ما يتقلب فيه من النعم الجليلة . ثم
بعد أن ذكر خلق الإنسان ذكر
رزقه ليعتبر ويقابل هذه النعمة
بالشكر فقال : ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ
إِلَى طَعَامِهِ﴾ كيف دبر .

٢٥ - ٣١ - ﴿أَنَا صَبَّيْنَا الْمَاءَ
صَبًّا﴾ أنزلنا له الغيث من السماء
إنزالاً . ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ
شَقًّا﴾ شققناها بالثبات شقاً
بديعاً ، لأنفاً بما يشقها منه صغراً
وكبيراً . وشكلاً وهيئاً . ﴿حَبًّا﴾
ما يقتات به الإنسان ويدخره
من نحو الحنطة والشعير والذرة .
﴿وَعَبًّا﴾ يتفكّه به . ﴿وَقَضْبًا﴾
علفاً رطباً للدواب . ويسمى
الفصفصة . وإذا ببس يسمى
القت . وسمى قصباً لأنه يقضب
أى يقطع بعد ظهوره مرة بعد
أخرى . كالكلاء والبرسيم .

خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ
فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشُرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ
مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَا
صَبَّيْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾
فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَبًّا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا
وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَاقٍ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَكِهَةً وَأَبًا ﴿٣١﴾

وتكوينه . ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ﴾
أى يسر الله له سبيل النظر القويم
المؤدى إلى الإيمان - بما وهبه من
العقل - ومكنه من النظر - وهياً
له من أسبابه . أو يسر له سبيل
الخير وسبيل الشر ، وبين له
المسلكين ، وأقدره على كل
منهما . وهو مثل قوله تعالى . ﴿إِنَّا
هَدَيْنَا السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِمَّا
كَفُورًا﴾ ^(١) وقوله : ﴿وَهَدَيْنَاهُ
السَّبِيلَ﴾ ^(٢) . أو يسر له مخرجه
من بطن أمه . ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾
جعل له ذا قبر ثوارى فيه جيفته تكرمه
له . ولم يدعه مطروحاً على وجه
الأرض يستقذره الناس كافة .
وتنوشه الطير والسباع إذا ظفرت به
كسائر الحيوان . والمراد أنه تعالى
أمر بدفنه . يقال : قبر الميت بقبره
ويقبره . إذا دفنه بيده . فهو
قابر . وأقبره : إذا أمر بدفنه . أو
مكن منه . وفى الآية إشارة إلى
مشروعية دفن الإنسان . أما حرقه

صادقين . جمع بر .
١٧ : ٢٢ - ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ﴾
لُعِن . أو عذب الكافر بالله . وعن
مجاهد : ما كان فى القرآن قتل
الإنسان ، فإنما عني به الكافر .
وهو دعاء عليه بأفزع الدعاء
﴿مَا أَكْفَرُهُ﴾ ما أشد كفره بالله .
مع معرفته بكثرة إحسانه إليه .
وهو تعجب من قوط كفره .
وبيان لاستحقاقه الدعاء عليه
بأشنع دعاء . ثم بين نعمه الكثيرة
عليه الموجبة للشكر بدل الكفر
فقال : ﴿مِنْ أَى شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾
أى من أى شىء خلق الرب تعالى
هذا الكافر الجحود . حتى يتكبر
ويتعظم عن طاعته . والإقرار
بتوحيده . ثم بين سبحانه ذلك
بقوله : ﴿مِنْ نُّطْقَةٍ﴾ مهينة
حقيرة ﴿خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ فهيأ له
بصلح له . وخلق به من الأعضاء
والأشكال . أو فقدَره أطواراً من
حال إلى حال ، إلى أن تم خلقه

مَتَاعًا لَكُمْ وَلَا نَعْمَكُمْ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٨﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٩﴾ وَصَحْبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٤٠﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٤١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴿٤٢﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٤٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٤﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤٥﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٦﴾

(٨١) سُورَةُ الْبُكُورِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَاتُهَا ٢٩ نَزَلَتْ بَعْدَ الْمَسَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾
وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾
وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾

٣٧ : ٤١ - ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ﴾ أى لكل واحد منهم شغلٌ شاغلٌ يكفيه فى الاهتمام به . يقال : أغناه عن كذا ، جعله فى غنى عنه . ثم بين تعالى مآل الناس يومئذ وأنهم فريقان : سعداء ، وأشقياء . فقال : ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾ مضيئة مشرقة ، من أسفر الصبح : إذا أضاء . ﴿ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ مسرورة بما أعطاه الله من النعم - راجية

المزيد : وهى وجوه المؤمنين . ثم أخبر عن وجوه الكافرين بقوله : ﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ غبارٌ . وهو كناية عن تغييرها للغم والكآبة . ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ تغشاها ظلمة وسوادٌ . أو ذلة وشدة من الهم . يقال : رهقه . أى غشيه . وقيل : العبرة والقتره بمعنى : ألا أن العبرة ما انحط من الغبار إلى الأرض . والقتره ما ارتفع منه إلى السماء . والله أعلم

وقيل : القضب ما يقضب من النبات لياكله الإنسان غصناً طرياً ، كالبقول التى تقطع فينبت أصلها . ﴿وَحَدَاتٍ﴾ بسايتين محوطة . جمع حديقة . وهى ما أحيط من النخل والشجر ، فإذا لم يحيط فليس بحديقة ، بل هو بستان ، ومنه : أحدقوا به . أى أحاطوا به . ﴿غَلَبًا﴾ عظماً ، جمع أغلب وغلباء . والغلباء الحديقة الغليظة الأشجار الملتفة . وأصلها من الغلب - بفتحين - بمعنى الغلظ . يقال : غلب - كفرج - أى غلظ عنقه ، ومنه : الأغلب للغلظ الرقة . وهضبة غلباء : أى عظمة مشرفة . ﴿وَأَنبَاءُ﴾ الأنباء : الكلاؤ والمرعى . وهو ما تأكله البهائم من العشب ، من أنبه : إذا أنمته وقصده ، لأنه يؤم ويقصد . أو من أنب لكذا : إذا تهايله ، لأنه منبهى للمرعى . أو ما تأكله البهائم من العشب والنبات . رطباً كان أو يابساً . فهو أعم من القضب . أو هو الثين خاصة .

٣٣ - ﴿الصَّاحَةُ﴾ الداهية العظيمة : من صَحَّ بمعنى أصاح أى استمع . والمراد بها : نفخة البعث ، لأن الناس يصحون لها . أى يستمعون فجعلت مستمعةً مجازاً . أو من صحته بالحجر : أى صكه . وأصل الصخ : الصك الشديد . وجواب إذا محذوفٌ لظهوره ، تقديره : شغل كل إنسان بنفسه .

الْوَحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٨﴾ جُمِعَتْ مِنْ أَوْكَارِهَا ، وَخُرِجَتْ مِنْ أَجْجَارِهَا فِي ذَهُولٍ عَمَّا تَقْتَضِيهِ طِبَاعُهَا مِنَ التَّوَحُّشِ وَالشَّعَادَى ؛ لِشِدَّةِ الاضطراب والفرع مما نزل بالأرض والسماء . يقال : حَشَرَهُمْ يَحْشِرُهُمْ وَيَحْشِرُهُمْ حَشْرًا ، جَمَعَهُمْ . وَقِيلَ أَهْلَكَ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : حَشَرْتُ السَّيِّئَ مَا لَ فُلَانٍ - أَهْلَكَهُ . وَعَنْ

وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّتَتْ ﴿٨﴾
بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾
وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ﴿١٢﴾
وَإِذَا الْجَنَّةُ أَزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مِمَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾

سُورَةُ التَّكْوِيرِ

في هذه السورة تصوير للقيامة ومبادئها . ومنها هذه الأحداث العظام في السماوات وفي الأرض ، التي بين الله أنها إذا حصلت علمت كل نفس في ذلك اليوم - علم مشاهدة - ما قدمته من العمل في الدنيا ، خيرا كان أو شرا ، وحوسبت عليه . فإذا علم الإنسان ذلك الآن ارعوى عن غيبه ، وأناب إلى ربه فقال تعالى :

١ - ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾
أزِيل نورها بعد انبساطه وانتشاره ؛ فأظلمت . وأصل التَّكْوِيرُ : التَّلْفِيفُ عَلَى جِهَةِ الاستدارة ؛ مِنْ كُوِّرَتِ الْعِمَامَةُ إِذَا لَفَفْتَهَا . تُجَوِّزُ بِهِ عَمَّا ذُكِرَ لِعِلَاقَةِ اللُّزُومِ ، لِأَنَّ الشَّيْءَ الَّذِي يُلَفَّ يَذْهَبُ انْبِسَاطُهُ وَاتِّبَاعُهُ ، وَتُخَفِّى آثَارُهُ .

٢ - ﴿وَإِذَا الْجُودُومُ انْكَدَرَتْ﴾
أى انقضت وتناثرت . يقال :

انكدر ؛ إذا أسرع وانقض . وانكدر عليهم القوم : إذا جاءوا أرسالا حتى يتصبوا عليهم . أو تغيرت وانطمس نورها ؛ من كدرت الماء فانكدر : جعلته كدرا ، أى مائلا نحو السواد والغبرة .

٣ : ٦ - ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾
أزيلت عن أماكنها من الأرض ؛ كما قال تعالى : (وَسَيَّرَ الْجِبَالَ فَكَانَتْ سَرَابًا) (١) . أوسيرت في الجوّ ؛ كما قال تعالى : (وَوَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَمَادَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرًّا السَّحَابِ) (٢) . ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ جَمْعُ عُشْرَاءَ كُفَّسَاءَ ، وَهِيَ النَّاقَةُ الَّتِي آتَى عَلَى حَمْلِهَا عُشْرَةُ أَشْهُرٍ - وَتُسَمَّى بِهَذَا الْاسْمِ إِلَى أَنْ تَضَعْ لِتَمَامِ السَّنَةِ ﴿عُطِّلَتْ﴾ أَهْلَتْ بِلَا رَاعٍ كَأَنَّهَا غَيْرُ مُوجُودَةٍ . وَهُوَ تَمَثُّلٌ لِمَا يَصِيبُ النَّاسَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنَ الذَّهُولِ لِشِدَّةِ الْهَوْلِ ؛ حَتَّى لَوْ كَانَتْ لَهُمْ فِيهِ عِشَارٌ - وَهِيَ أَنْفُسُ الْأَمْوَالِ عِنْدَهُمْ وَأَعْرَاشُ عَلَيْهِمْ - لَذَهَلُوا وَشَغَلُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْهَا . ﴿وَإِذَا

ابن عباس : جُمِعَتْ بِالْمَوْتِ فَلَا تُبْعَثُ ؛ وَلَا يَحْضُرُ فِي الْقِيَامَةِ غَيْرُ الثَّقَلَيْنِ . ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ أَحْمِيَتْ بِالنَّارِ حَتَّى تَبْخَرَتْ مِيَاهُهَا . وَظَهَرَتْ النَّارُ فِي مَكَانِهَا ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ : سَجَرَ الثُّورُ - أَحْمَاهُ . وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُ الْحَسَنِ : يَذْهَبُ مَاؤُهَا حَتَّى لَا يَبْقَى فِيهَا قَطْرَةٌ . وَقِيلَ : مُلِئَتْ بِسَبَبِ التَّفْجِيرِ وَانْسِيَابِ مِيَاهِهَا حَتَّى اخْتَلَطَ عَذْبُهَا بِمِلْحِهَا ، وَصَارَتْ بَحْرًا وَاحِدًا ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ : سَجَرَ الْحَوْضُ - إِذَا مَلَأَهُ فَهُوَ مَسْجُورٌ ؛ قَالَ تَعَالَى : (وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ) (٣) . وَذَلِكَ بِسَبَبِ زَلْزَلَةِ السَّاعَةِ الَّتِي وَصَفَهَا اللَّهُ بِغَايَةِ الْعَظَمِ .

٧ : ٩ - ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾
أى قُرُنَتِ الْأَرْوَاحُ بِالْأَبْدَانِ . وَأَجْبَا اللَّهُ النَّاسَ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ . أَوْ قُرُنَتْ كُلُّ نَفْسٍ بِكِتَابِهَا أَوْ بِعَمَلِهَا ، أَوْ قُرُنَتْ كُلُّ إِنْسَانٍ بِشَكْلِهِ . ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ﴾ أَى الْمَدْفُونَةُ حَيَّةٌ ﴿سُيِّتَتْ﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿

فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُسِ ١٥ الْجَوَارِ الْكُنُسِ ١٦
وَالْبَلِّ إِذَا عَسَّسَ ١٧ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ

التي تخنس بالنهار ، أى يغيب ضوءها فيه عن الأبصار مع كونها فوق الأفق ، ويظهر بالليل . وتكنس ، أى تستتر وقت غروبها ، أى نزولها تحت الأفق ، كما تكنس الظباء في كنسها . وإنما أقسم بها لدلالاتها بهذه الأحوال المختلفة والحركات المتسقة - على عظيم قدرة مبدعها ومصرفها . وكذلك في القسمين الآخرين . ومن ذلك خلقه ذلك الملك الكريم القوى الأمين ، وإنزاله بالوحى على رسوله العظيم . ١٧ : ١٨ - ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَّسَ ﴾ أدبر ظلامه ، أو أقبل ؛ وهو من الأضداد . وقيل : العساسة رقة الظلام وذلك في طرفي الليل ؛ فهو من المشترك المعنوي وليس من الأضداد . والمعنى : أقبل وأدبر معاً . ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ أضاء وتبجح . وأصل التنفس : خروج النفس من الجوف ؛ فجعل الروح والنسيم الذى يقبل بإقبال الصبح نفساً له . ١٩ - ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ جواب القسم . أى إن القرآن

جزء منه وهو وقت نشر الصحف . إلا أنه لما كان بعض هذه الأمور من مبادئ وبعضها من روافده نسب علمها بذلك إلى زمان وقوع هذه الأمور كلها ؛ تهويلاً للخطب ، وتفظيلاً للأمر . ١٥ ، ١٦ - ﴿ فَلَا أُقْسِمُ ﴾ شروع في بيان شأن القرآن والنبوة ، بعد إثبات المعاد ؛ أى أقسم بما ذكر [آية ٧٥ الواقعة ص ٦٩٧ ، آية ١ القيامة ص ٧٦٣] . وجواب القسم « إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ » وما غطف عليه . ﴿ بِالْخُنُسِ ﴾ كركع . جمع خانس ؛ من الخنوس ، وهو الانقباض والاستخفاء . يقال : خنس إبهامه - كنصر وضرب - وخنوساً ، قبضها . وبفلان : غاب به ؛ كتنخس به . ﴿ الْجَوَارِ ﴾ جمع جارية ؛ من الجرى وهو الممر السريع . ﴿ الْكُنُسِ ﴾ كركع ، جمع كانس ؛ من كنس الظنبي - من باب نزل - دخل كئاسه ، وهو بيته الذى يتخذ من أغصان الشجر ؛ لأنه يكنس الرمل حتى يصل إليه . أقسم تعالى بالنجوم

وكان الرجل في الجاهلية يثد بته فيدفنها حية ، ويهيل عليها التراب حتى تموت خشية العار أو الإملاق ؛ فجاء الإسلام بتحريم ذلك تحريماً قاطعاً .

١٠ : ١٤ - ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ بسطت بعد أن كانت مطوية ، وهى صحف الأعمال التي كتبت الملائكة فيها ما فعل أهلها من خير أو شر ؛ تطوى عند الموت وتُنشر عند الحساب . أو هو كتابة عن إعلامهم بأعمالهم . ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴾ قلعت وأزيلت ، فلم تبق سماء تغطى ما تحتها ، كما يكشط الإهاب عن الذبيحة . والكشط : قلع عن شدة التصاق . يقال : كشطت البعير كشطاً ، نزعت جلده . ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ أوقدت إيقاداً شديداً للكفار . ﴿ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ ﴾ أُنزِلَتْ وَقُرِبَتْ مِنَ الْمُتَّقِينَ ؛ كقوله تعالى : (وَأُنزِلَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ) (١) ؛ من نزلف فلان : أى تقرب . ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ ﴾ .. ﴿ تَبَيَّنَ لِكُلِّ نَفْسٍ جَمِيعُ مَا عَمِلَتْهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍ ﴾ بإحضار صحفها ؛ قال تعالى : (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ) (٢) وهو جواب (إِذَا) في الآيات السابقة . والمراد بها : زمان ممتد يسع الأمور المذكورة ، مبدؤه النفخة الأولى ، ومنتهاه فصل القضاء بين الخلائق . وعلم النفوس : ما عملته وإن كان في

(١) آية ٣١ ق . (٢) آية ٣ آل عمران .

٢٤ : ٢٥ - ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ وما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخیل بالوحي ، مقصّر في تبليغه لكم ، وتعليمكم آياه ، من الضنّ - بالكسر والفتح - بمعنى البخل . و «علي» بمعنى الباء . وقرئ «يظنين» أى بمهم على الغيب ، بل هو صادق في كل ما أخبر به عن الله تعالى ، من الطّنة بمعنى التهمة . و «علي» بمعنى فى . ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ أى ليس القرآن المنزل عليه بقول شيطان مسترق للسمع من الملائكة الأعلى ، حتى تقولوا إنه كهانة !

٢٦ - ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ أى فأتى طريق تسلكون أتين من هذه الطريقة التى يبت لكم ؟! والله أعلم .

سورة الانفطار

اشتملت هذه السورة على طائفة من أهوال الساعة . وأقسم الله بها لعظمها على أن النفوس ستعلم يوم القيامة كل ما عملته فى الدنيا . وفى ذلك تأكيد للبعث والحساب والجزاء ، فقال تعالى : ١ : ٥ - ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ انشقت لنزول الملائكة ، من الفطر وهو الشق ، قال تعالى : (إِذَا السَّمَاءُ انشقت) وقال : (وَيَوْمَ تُشَقُّ السَّمَاءُ بِالسَّعَامِ) ونزل الملائكة تنزيلاً (١) . ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انشَرت﴾ تساقطت ونهاوت

مكين ﴿٢٠﴾ مطاع ثم أمين ﴿٢١﴾ وما صاحبكم بمجنون ﴿٢٢﴾ ولقد رآه بالأفق المبين ﴿٢٣﴾ وما هو على الغيب بضنين ﴿٢٤﴾ وما هو بقول شيطان رجيم ﴿٢٥﴾ فأين تذهبون ﴿٢٦﴾ إن هو إلا ذكر للعالمين ﴿٢٧﴾ لمن شاء منكم أن يستقيم ﴿٢٨﴾ وما نساء ولا أن يساء الله رب العالمين ﴿٢٩﴾

(٨٢) سُورَةُ الْإِنْفِطَارِ مَكِّيَّةٌ وآياتها ١٩ نزلت بعد المنارات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انشَرت ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبُحَارُ فُجِرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا

المبين لما ذكر فى هذه السورة وغيرها لقول رسول كريم ، مرسل من الله تعالى إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو جبريل عليه السلام ، ونسبة القول إليه لأنه الواسطة فى تبليغ الوحي . ٢٠ : ٢٢ - ﴿مكين﴾ أى ذى مكانة رفيعة ومنزلة عظيمة عند الله تعالى . ثم عطف على المقسم عليه قوله : ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ﴾ أى محمد صلى الله عليه وسلم ،

﴿بمجنون﴾ وقد نعت كفار مكة بذلك افتراء عليه ، وهم أعلم الناس برجاحة عقله ، وكمال صفاته . ٢٣ - ﴿ولقد رآه﴾ هو من المقسم عليه أيضا . أى لقد رأى صاحبكم محمد صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام بصورته التى خلقه الله عليها بالأفق الأعلى من ناحية المشرق بمكة . والمراد بها : الرؤية الاولى الواقعة بغار حراء .

الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبِّكَ الْكَرِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ
فَسَوَّكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾
كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ وَإِنْ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾
كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنْ
الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾
يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾
وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ
الَّذِينَ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ
يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

الخلق في قلة من الأفراد . ﴿٦﴾ في
أَيِّ صُورَةٍ .. ﴿٧﴾ أي ركبك في أي
صورة من الصور المختلفة اقتضتها
مشيئته تعالى .
٩ - ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ ..﴾ أي ليس
هناك شيء يقتضي غرورك
بالله . ولكن تكذيبكم بالبعث
والجزاء . أو يدين الإسلام للذين
هما من جملة أحكامه هو الذي
حملكم على ما ارتكبتموه .
١١ - ﴿كَاتِبِينَ﴾ يكتبون أعمالكم
كلها ويحفظونها عليكم .
والظواهر دالة على أن الكتب
حقيقي ؛ لإقامة الحجة على
العباد يوم الحساب . وأما العلم
بآلة الكتابة وما يكتب فيه فمقوض
إليه تعالى .

لنفعها ، على حسب ما تقتضيه
الحكمة ، من التسوية . وهي في
الأصل جعل الأشياء على سواء .
﴿فَعَدَلَكَ﴾ عدل بعضها
ببعض ، بحيث اعتدلت ولم
تتفاوت ؛ من عدل فلانا
بفلان : إذا ساوى بينهما . أو
صرفها عن خلقه غير ملائمة لها
وجعلها حسنة ؛ من عدل بمعنى
صرف . وقرئ بالتشديد بمعنى
صبرك معتدلاً متناسب الخلق من
غير تفاوت فيه ؛ فلم يجعل إحدى
اليدن أطول ولا إحدى العينين
أوسع . ولم يخالف بين الأعضاء
في الألوان والهيئات . وعن
بعضهم : أي المخفف والمشدد
بمعنى واحد . ولا عبرة بشذوذ

متفرقة ؛ وهو كقوله تعالى :
(وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) (١) أي
تناثرت . يقال : نثر الشيء ينثره
ويثيره نثرًا ونثارًا ، رماه متفرقًا ؛
فانتثر وتناثر . ﴿وَإِذَا الْبَحَارُ
فُجِّرَتْ﴾ شققت جوائبها فرالت
الحواجز التي بينها ، واختلط
عذبها بملحها وصارت بحرًا
واحدًا ؛ وهو كقوله تعالى :
(وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ) (٢) على
أحد المعنيين السابقين ؛ من
الفجر ، وهو شق الشيء شقًا
واسعًا . يقال : فجره فتفجر .
وتفجر الماء : سال . ﴿وَإِذَا
الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ قلب ترابها ؛
وأثير ما فيها من الموقن فبعثوا
للجزاء . يقال : بعثر الشيء .
قرقه وبدده وقلب بعضه على
بعض ، واستخرجه فكشفه وأثار
ما فيه . ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ
وَأَخَّرَتْ﴾ ما أسلفت من خير أو
شر ، وما أخرت من سئة حسنة أو
سيئة يعمل بها بعدها . أو ما
عملت مما كلفت به ، وما لم تعمل
منه . وهو جواب (إِذَا) في
الآيات الأربع .
٦ - ﴿مَا غَرَّكَ ..﴾ أي شيء
خدعك ؟ وجراك على عصيانه
وارتكاب ما لا يليق بشأنه عز
وجل ! . يقال : غره غرًا
وغرورًا . خدعه وأطمعه
بالباطل ؛ فاغتر هو . والخطاب
للكافر والمؤمن العاصي .
٧ ، ٨ - ﴿فَسَوَّاكَ﴾ جعل
أعضائك سوية سليمة ، مهيأة

(٨٣) سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٣٦ نَزَلَتْ بَعْدَ الْعَنَكَبُوتِ
وَهِيَ آخِرُ سُورَةِ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ
يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾
أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾
يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِن كِتَابَ

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

رُوي أنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، كان أهلها من أخبث الناس كَيْلاً ، فأنزل الله هذه السورة . أو قرأها عليهم فأحسنوا الكيل بعد ذلك . ومثل الكيل الوزن والذرع . ١ ، ٢ - ﴿ وَيْلٌ ﴾ عذاب أو هلاك أو واد في جهنم [آية ٧٩ البقرة ص ٢١] . ﴿ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ الذين يبخسون حقوق الناس في الكيل والوزن عن الواجب لهم من الوفاء . جمع مطفف ؛ من الطفيف ، وهو التافه القليل ؛ لأن ما يبخسه المطفف شيء نزر حقير . وهو وعيد شديد لمن يأخذ لنفسه وأقربا ، ويُعطى لغيره ناقصاً ، قليلاً كان أو كثيراً . وقد عظم الله أمر الكيل والوزن ؛ لابتناء

١٣ - ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ ﴾ بيان لنتيجة الحفظ والكتب من الثواب والعقاب . والأبرار : هم المؤمنون الذين برؤوا وصدقوا في الإيمان . جمع بر - بالفتح - وهو المتصف بالخير . ١٤ ، ١٥ - ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ ﴾ هم المكذبون رسول الله والقرآن . والمكذبون بيوم الدين المنكرون للبعث والجزاء ؛ من الفجور وهو شق ستر الديانة . يقال فجر فجوراً فهو فاجر ، وهم فجر وفجرة . وأصله الفجر ، وهو شق الشيء شقاً واسعاً . ﴿ يَصْلُونَهَا ﴾ يدخلونها . أو يقاسون حرها . ١٩ - ﴿ يَوْمٌ لَا تَمْلِكُ ﴾ بيان ليوم الدين . وأنه يوم الجزاء لا تنفع فيه نفس نفساً أخرى ، ولا ينفع فيه إلا العمل ؛ والأمر فيه لله وحده . لا سلطان لسواه ! والله أعلم

المعاملات عليهما ، والناس لا يستغنون عنهما . والتطفيف فيها خيانة واعتداء على الحقوق ؛ ومبنى التعامل على الأمانة والمعادلة فيها . وقد كان قوم شعيب عليه السلام من المطففين [آية ٨٥ الأعراف ص ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٨٤ هود ص ٢٩٧] . ﴿ إِذَا أَكْتَالُوا ﴾ أي إذا أخذوا من الناس ما لهم قبلهم من حق بحكم الشراء ونحوه ﴿ يَسْتَوْفُونَ ﴾ لأنفسهم ؛ فيكتالونه منهم وأقربا وافرأ . و (على) و (من) يتعاقبان ؛ فيقال : أكلت عليه ، أخذت منه ما عليه كَيْلاً . واكلت منه : استوفيت منه . وكال المعطي ، واكلت (على) بدل (من) لتضمنين الاكتيال معنى الاستيلاء . أو للإشارة إلى أنه اكتيال ضار بالناس ؛ لاحتياهم فيه على الأخذ الوافر بما تبسرهم من الحيل ، وكانوا يفعلونه بكس الكيل أو تحريك المكيال ، ونحو ذلك . ومثل الاكتيال : الاتزان فيما يوزن ، والذرع فيما يدرع .

٣ - ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ ﴾ أي وإذا كالوا لهم المكيل ، أو وزنوا لهم الموزون للبيع ونحوه . يبخسون في الكيل أو الوزن . يقال : كاله وكال له . ويقال : خسر الميزان وأخسره ، نقصه . ٤ - ﴿ أَلَا يَظُنُّ ﴾ أدخلت

هزة الاستفهام على (لا) النافية
توبيخًا وإنكارًا وتعجبًا من
اجترائهم على التطفيف ، كأنهم لا
يخطر ببالهم ولا يُخمنون تخمينًا
أنهم مبعوثون ليوم عظيم
الأحوال ، مسئولون فيه عن مقدار
الدرة ١ . فإن من يظن ذلك ولو
ظنًا ضعیفًا لا يكاد يحترئ على
بخس الحق ؟!

٦- ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لأمره
وحكمه .

٧- ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ ..﴾ أى
إن ما يكتب من أعمالهم السيئة -
لمثبت في ديوان الشر الجامع
لأعمال فجَّار الثقلين . والمراد بهم
هنا : الكفار والفسقة الذى منهم
المطففون . وأصل سجين :
وصف من السجن بمعنى
الحبس ، مصدر سجنه يسجنه
سجنًا : أى حبسه . أطلق على
هذا الكتاب لأنه سبب الحبس
والتضييق في جهنم . وقيل : هو
شر موضع في جهنم .

٩- ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ أى هو
كتاب بين الكتابة ، من رقم
الكتاب : إذا أعجمه ويثته . أو
معلم . يقلّم من رآه أنه لا خير
فيه ، من رقم الكتاب : إذا
جعل له رقمًا ، أى علامة يعرف
بها . وهو بيان لـ «كتاب» .

١١- ﴿يُكَذِّبُونَ بَيِّمَ الدِّينِ﴾
باليوم الذى يدين الله فيه العباد ،
فيجزئهم بأعمالهم .

١٣- ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ما
سطره السابقون في كتبهم من

الْفُجَّارِ لِنِي سَجِينَ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينَ ﴿٨﴾ كِتَابٌ
مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ
يُكَذِّبُونَ بَيِّمَ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ
أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾
كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾
كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَّحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ
لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ
تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لِنِي عَلَيْينَ ﴿١٨﴾
وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيْونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ
الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لِنِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَءَافِ
يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾

١٨- ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ ..﴾

أى إن ما يكتب من أعمالهم
الحسنة - لمثبت في ديوان الخير
الجامع لأعمال صلحاء الثقلين .
وعليين : اسم لذلك الديوان ،
فهو مفرد كقشرين . منقول من
جمع علي بصيغة فاعل من
العلو ، لأنه سبب الارتفاع إلى
أعلى الدرجات في الجنة . أو أن
ما يكتب من أعمالهم لنى أعلى
الأماكن وأرفعها لشرفها .

٢١- ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾
يحضره جمع من الملائكة .

الأباطيل والخرافات .

١٤- ﴿كَلَّا﴾ ردع وزجر عن
قولهم الباطل . ﴿رَانَ عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ ..﴾ غلب وغطى على
قلوبهم ما كسبه من أعمالهم
السيئة . يقال : ران ذنبه
على قلبه - من باب باع - رينا
ورؤونا ، غلب عليه وغطاه .
وكل ما غلبك فقد ران بك ،
ورانك وران عليك .

١٦- ﴿إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾
لداخلون النار . أولمقاسون حرّها
الشديدة .



ضَنَّ بِهِ عَلَيْهِ - ولم يره أهلاً له .

٢٧ - ﴿ وَمِزَاجُهُ ... ﴾ أى مزاج

ذلك الرحيق ماء من عين في الجنة . منصب من غلوا . استسهم : إذا رفعه ؛ لأن شرايها أرفع شراب في الجنة يشرب منه المقربون .

٣٠ - ﴿ يَتَغَامَزُونَ ﴾ يشيرون

إليهم بالأعين استهزاء .

٣١ - ﴿ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴾ رجعوا

إلى منازلهم متلذذين باستخفافهم بالمؤمنين . والسخرية منهم .

٣٤ - ﴿ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾

أى يضحكون من الكفار حين يرونهم أذلاء مهانين . بعد أن كانوا أعزاء مستكبرين ؛ كما كان الكفار يضحكون في الدنيا من المؤمنين .

٣٦ - ﴿ هَلْ ثَوَابٌ ... ﴾ أى هل

جُوزَى الكفار ثواب ما كانوا في الدنيا يفعلون بالمؤمنين ؛ من سخريتهم بهم ، وضحكهم منهم ، بضحك المؤمنين منهم في الآخرة ؟ والاستفهام للتقرير ؛ أى قد فعلنا ذلك . والثواب والإثابة : المجازاة . يقال : ثوبه وأثابه ؛ إذا جازاه . وأكثر ما يُستعمل في الخير ؛ على أن المراد التَّهْكُمُ بهم . والله أعلم .

يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَمُهُ مِسْكٌ وَفِي

ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِنْ

تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ

أَجْرُمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا

مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ

انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ

لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٣٣﴾

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى

الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثَوَابَ الْكُفَّارِ مَا كَانُوا

يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

شاربه يجد في نهاية شربه راحة المسك ؛ ولا يجد تلك الرائحة الكريهة التي يجدها شارب الخمر في الدنيا .

٢٦ - ﴿ وَفِي ذَلِكَ ... ﴾ أى وفي ذلك الرحيق النفيس ، أو النعيم العظيم فليترغب الراغبون .

وليتسابق المتسابقون في الخير . وذلك إنما يكون بالمبادرة إلى الأعمال التي تقرب منه تعالى . وأصل التنافس : التغالب في الشيء النفيس . وهو الذي تحرص عليه النفوس ، ويريده كلُّ أحدٍ لنفسه . يقال : نفس عليه الشيء - كفرح - نفاسة .

٢٣ - ﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾ أى الأسيرة في الحجال [آية ٣١ الكهف ص ٣٨٠] .

٢٤ - ﴿ نَضْرَةَ النِّعَمِ ﴾ بجة النعيم ورويقه وغضارته .

٢٥ - ﴿ مِنْ رَحِيقٍ ﴾ من خمر طيبة بيضاء لذيدة . خالصة مما يكدرها حتى من العَوَل الذي في خمر الدنيا . ﴿ مَخْتُومٍ ﴾ أوانيه وأكوابه . وختامها المسك بدل الطين . أو هو تمثيل لكأن نفاسته ، وإلا فليس هناك غبار أو ذباب أو خيانة ؛ ليصان الرحيق عن ذلك بالختم . أو المعنى : أن

سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ

(٨٤) سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ مَكِّيَّةٌ

وَاَيَاتُهَا ٢٥ نَزَلَتْ بَعْدَ الْاَنْفِطَارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ① وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ②
وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ③ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ④
وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ⑤ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ
إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْئِقِبِهِ ⑥ فَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ
بِيمِينِهِ ⑦ فَسَوْفَ يَحْصِبُ حِسَابًا يَسِيرًا ⑧
وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ⑨ وَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ
وَرَاءَ ظَهْرِهِ ⑩ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ⑪ وَيَصْلَى
سَعِيرًا ⑫ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ⑬ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ
لَنْ يَحُورَ ⑭ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ⑮ فَلَا أُقْسِمُ
بِالشَّفَقِ ⑯ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ⑰ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ⑱

١ ، ٥ - ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ انصدعت وتفتطرت بالغمام حتى فسدت واختل نظامها ؛ قال تعالى : (وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالْعَنَامِ) ① وجواب الشرط وما عطف عليه في الموضعين محذوف ، تقديره : لاقي الإنسان ربه فوقاه حسابه . ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾ استمعت لأمر ربها بالانشقاق . يقال : أذن له أى استمع ؛ وبابه طرب . والمراد : أنها انقادت وأذعنت لتأثير قدرته تعالى ، حين تعلقت إرادته بالانشقاق ؛ انقياد المأمور المطيع إذا ورد عليه أمر الأمر المطاع . ﴿وَحُقَّتْ﴾ أى جعلت حقيقةً وجديرةً بالاستماع والطاعة . يقال : حق له أن يفعل كذا ، أى حقيق به وخليق أن يفعله . ﴿مُدَّتْ﴾ بسطت بذلك جبالها وأكامها وتسويتها ؛ حتى صارت قاعًا صافصًا لا ترى فيها عوجًا ولا أمثًا . ﴿وَأَلْقَتْ ..﴾ طرحت ما في جوفها من الموى .

دون مناقشة أو مطالبة بعذر أو حجة .

١١ ، ١٥ - ﴿يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ يطلب هلاكًا بقوله : وأثبورا . ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ يدخلها . أو يقاسى حرها . ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ..﴾ أي أيقن أن لن يرجع إلى ربه حيًا مبعوثًا فيحاسب . يقال : حار

تجهد نفسك . وتكد في عملك طول حياتك إلى مماتك ؛ حيث تلاقى ربك بعملك فيجازيك عليه . إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر . والكذخ : جهد النفس في العمل والعناء ؛ من كدح جلده : إذا خدشه .

٨ - ﴿حِسَابًا يَسِيرًا﴾ هو عرض جميع الأعمال ، ثم التجاوز عن المعصية . والإثابة على الطاعة ؛

وخلت عنه غاية الخلو . وذلك أثر الزلازل التي تصيبها . وصيغة التفعّل للمبالغة ؛ كما في قولهم : تكرم الكرم . إذا بلغ غاية جهده في الكرم . وتكلف فوق ما في طبعه . ﴿وَأَذْنَتْ ..﴾ أى في الإلقاء والتخلي . وهى حقيقة بذلك بالنسبة لقدرته تعالى . ٦ - ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ ..﴾ جاهد ومجدد في السير إلى لقاء ربك .

(١) آية ٢٥ الفرقان .

تعالى : ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا...﴾
 جمعُ طبقة ، وهي المرتبة . أى
 لَتَكَلَّفنَّ أيها الكفار أحوالاً بعد
 أحوال . هي طبقات ومراتب في
 الشدة بعضها أرفع من بعض .
 وهي الموت وما بعده من مواطن
 القيامة . والمراد بالركوب :
 الملاقة . و(عن) بمعنى بعد ،
 وهو في المعنى قسم على صحة
 البعث وما وراءه من أهوال
 وشدائد . ﴿فَمَا لَهُمْ...﴾ أى
 إذا كان شأنه تعالى كما ظهر من كمال
 القدرة وبداعة الصنعة ، فأى
 شيء يمنعهم من الإيمان به
 وبالبعث . مع تعاضد أدلة القدرة
 عليه ٢١ . ﴿وَإِذَا قُرِئَ...﴾ أى
 وما لهم إذا سمعوا آيات الذكر
 الحكيم . وهي هدى ونور ، لا
 يخضعون ولا يذعنون ! أنكر
 عليهم عتوهم وكبرياءهم وإباءهم
 الخضوع للحق مكابرة وعناداً .
 ﴿بِمَا يُوعُونَ﴾ أى بالذى
 يُضمرّون في صدورهم من الكفر
 والبغضاء فجازيهم عليه . وأصل
 الإيعاء : حفظ الأمتعة في
 الوعاء . يقال : أوعى الزاد
 والمتاع ، جعله في الوعاء .
 واستعمل في الإضرار المذكور
 مجازاً .
 ٢٤ - ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ غير
 مقطوع ، من من : إذا قطع . أو
 غير مُعْتَدٍّ به ومحسوب عليهم ، من
 من عليه : إذا اعتد بالصنعة
 وحسبها . والله أعلم .

لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾
 وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ
 كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ
 بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

(٨٥) سُورَةُ الْبُرُوجِ مَكِّيَّةٌ
 وَأَيَّاهَا ٢٢ نَزَلَتْ بَعْدَ الشَّمْسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ اجتمع وتم
 نوره وصار يدراً ، من التسق وهو
 الجمع والضم . أقسم الله تعالى
 بهذه الثلاثة ، وهي حوادث
 متغيرة طارئة على الأفلاك
 والعناصر ، فإن الشفق حالة مخالفة
 لضوء النهار وظلمة الليل . والليل
 حالة مخالفة لانبساط ضوء النهار .
 وما وسقه ، فيه تغيير حالته من
 تفرق إلى اجتماع ، ومن يقظة
 وحركة . إلى نوم وسكون .
 واتساق القمر يدراً حالة حادثة بعد
 نقصان ، وكلها دلائل على القدرة
 توجب الإيمان . وقد أقسم الله بها
 على أنهم يركبون المشاق والأهوال
 من وقت الموت فما بعده ، كما قال

بحور حوراً ، إذا رجع . ﴿بَلَى﴾
 أى ليحورن وليجاسبن .
 ١٦ ، ٢٢ - ﴿فَلَا أَقْسِمُ...﴾
 أى أقسم بالشفق [آية ٧٥ الواقعة
 ص ٦٩٧] . والشفق : الحمرة
 التي تظهر في الأفق الغربي بعد
 الغروب ، أو البياض الذى
 يليها ، وسُمي شفقاً لرقته . ومنه
 الشفقة لركة القلب . ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا
 وَسَقَ﴾ أى وما جمعه وضمه مما
 كان منتشرًا في النهار ، من الخلق
 والدواب وغيرها . يقال : وسق
 الشيء يسقه ، فاتسق
 واستوسق : جمعه فاجتمع .
 ومنه ابل مستوسقة : أى مجتمعة
 وأمر متسق : مجتمع على ما يسر .

سُورَةُ الْبُرُوجِ

نزلت تشيئاً للمؤمنين على ما هم عليه من الإيمان ، وتصييراً لهم على ما يلقونه من أذى المشركين . وإعلاماً بما نال من سبقهم من المؤمنين من أذى العتاة الظالمين ؛ ليردوهم عن الإيمان . وبما كان منهم من الثبات على الإيمان ، والصبر على العذاب في سبيل الله . أى فكونوا مثلهم ؛ وسيحيق بكفار مكة ما حاق بأمثالهم من الكفار السابقين . والعاقبة للمتقين !

١ - ﴿وَالسَّمَاءِ﴾ (أقسم) الله بها . وبما بعدها . ﴿ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ ذات المنازل والطرق الإثني عشر التي تسير فيها الكواكب ، شبهت بالقصور لنزول الكواكب بها ؛ كما ينزل الأكابر والأشرف بالقصور . جمع بُرُج . وهو القصر العالى .

٢ - ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ هو يوم القيامة الذى وعد الله به الخلق .

٣ - ﴿وَشَهِيدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ من يحضر ذلك اليوم من الخلاق المبعوثين . وما يحضر فيه من الأحوال والعجائب ؛ من الشهادة بمعنى الحضور . أو من يشهد في ذلك اليوم على غيره ، ومن يشهد عليه فيه ؛ من الشهادة على الخصم . أوله . أقسم الله بالسماء ذات البروج لما فيها من الدلالة على القدرة . ويوم القيامة وما فيه

وَشَهِيدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٦﴾ قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ﴿٥﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ﴿٤﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٣﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٢﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فَمَا كَسَبُوا فَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ

تعظيماً له . وإرهاباً لمنكره . وجواب القسم قوله : ﴿قِيلَ﴾ أصحاب الأخدود . بتقدير اللام وقد . أى لقد قتلوا ؛ أى لعنوا أشد اللعن . والجملة خبرية . وقيل : هى دعاء عليهم بالإبعاد والطرده من رحمة الله تعالى . وجواب القسم محذوف لدلالته عليه ؛ كأنه قيل : أقسم بهذه الأشياء إن كفار مكة لمفعونون كما لعن أصحاب الأخدود . والأخدود : الحُدُ ، وهو الشق العظيم المستطيل فى الأرض كالخندق ؛ وجمعه أخاديد . وأصحاب الأخدود : قوم كفرون ذوو بأس وشدة ، نَقَمُوا على المؤمنين إيمانهم بالله ونكلوا بهم ؛ فحفرُوا لهم أخدوداً فى الأرض ، وأسعروا النار فيه ، وألقوهم فيه لإبائهم الارتداد إلى الكفر . ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ﴾ بدل اشتمال من الأخدود ؛ أى النار فيه . ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ أى لعنوا حين أهدقوا بالنار قاعدين حولها . مشرفين عليها من حافات الأخدود . يقذفون فيها المؤمنين ، ويشهدون تعذيبهم هذا العذاب المهلك . ﴿وَمَا نَقَمُوا ..﴾ ما عابوا عليهم . أو ما كرهوا منهم إلا إيمانهم بالله . يقال : نَقَمَ الأمر - من باب ضرب - كرهه . وفى لغة كفهم . ٩ - ﴿فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ ..﴾ محثوهم فى دينهم بالأذى والتعذيب بالنار ؛ ليرتدوا عن الإيمان . والفتن : تقدم فى آية ١٠٢ البقرة ص ٢٥ . ﴿لَمْ يَتُوبُوا﴾ من فتنهم ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بسبب فتنهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ وهو نار أخرى

الجموع القويّة الطاغية من الأمم
الحالية : الذين عرفوا بالشدة وقوة
البأس . وتحدوا على الأنبياء
وكفروا بهم ، واجتمعوا على
أذاهم . أى قد أتاك حديثهم
وعرفته ، وعرفت وبال أمرهم ،
فذكر قومك بشئونه تعالى ،
وأندرهم مثل ما أصاب أولئك
الطاغين .

١٩ - ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أى من
قومك أشدّ كفراً من أولئك ،
واستيجاباً للعذاب ، لاستقرارهم
على التكذيب عناداً .

٢١ - ٢٢ - ﴿بَلْ هُوَ...﴾ أى
بل الذى كذبوا به قرآن مثناه فى
الشرف والرّفعة . ﴿فِي لَوْحٍ
مَّخْفُوظٍ﴾ من التغير والتبديل ،
ووصول الشياطين إليه ، وهو أم
الكتاب . والله أعلم .

سورة الطارق

١ - ٣ - ﴿وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ﴾
أقسم الله بالسما والطارق .
والمراد به هنا : النجم البادى
بالليل ، وأصله : الآتى ليلاً ،
لأنه فى الأكثر يحد الأبواب مغلقةً
فيطرّقها ، ثم أوسع فيه فأطلق على
كل ما يأتى ليلاً ، ومنه النجم
الطالع بالليل . وفى الإقسام بها
تفخيم لشأنها ، لدالتهما فى
عظم الشكل ، وبداعة الصنع -
على عظم قدرته تعالى . وزاد
النجم المقسم به تفخيماً قوله
﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ أى أى
شئ أعلمك ما هو ؟ ثم فسره

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ
لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يَبْدِئُ وَيَعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ
الَّذِي يُدْخِلُكَ فِي الدُّنْيَا الْوَدُودَ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِّمَا
يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أُنْتَبِهُ خَلْقُ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنُ
وَكُفْرُهُ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ
مِنْ وَرَاءِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾
فِي لَوْحٍ مَّخْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

(٨٦) سُورَةُ الطَّارِقِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ١٧ نَزَلَتْ بَعْدَ الْبَلَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾
النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾

وآمن . ﴿الْوَدُودُ﴾ كثير المحبة لمن
أطاعه .
١٤ - ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ خالقه أو
مالكه . ﴿الْمَجِيدُ﴾ العظيم فى
ذاته وصفاته .
١٥ - ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ لا
يتخلف عن إرادته مراد من أفعاله
تعالى وأفعال غيره .
١٧ - ﴿حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾

زائدة فى الإحراق .
١١ - ﴿إِنَّ بَطْشَ...﴾ إن أخذ
الله الجبارة والظلمة لأليم عنيف .
والبطش : الأخذ بقوة وعنف .
١٢ - ﴿هُوَ يَبْدِئُ وَيَعِيدُ﴾ أى
يبدئ البطش بالكفار فى الدنيا ،
ثم يعيده عليهم فى الآخرة ،
فبطشه بهم شديد .
١٣ - ﴿هُوَ الْغَفُورُ﴾ لمن تاب

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾
يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ
لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا
نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ
الْصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا هَزْلٌ ﴿١٤﴾

أُخْفِيَ مِنَ الْأَعْمَالِ ، ويميز بين
الطَّيِّبِ منها والخبيث . وهو يوم
القيامة . وأصلُ الابتلاء :
الاختبارُ والامتحان ؛ وإطلاقه
على الكشف والإظهار إطلاقٌ على
اللازم .

١٠ - ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ ..﴾ أى
فما للإنسان في ذلك اليوم قُوَّةٌ في
نفسه يمتنع بها . ولا ناصرٌ يتصر
به .

١١ - ﴿وَالسَّمَاءِ﴾ أى
المظلة ﴿ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ أى
المطر . وسُمِّيَ رَجْعًا لِأَنَّ السَّحَابَ
يحمل الماء من بخار البحار
والأنهار ، ثم يرجعه إلى الأرض
مطرًا . أولآنه يعود ويتكرر ؛ من
رَجَعَ : إذا عاد . ولذا يُسَمَّى
أَوْبًا ؛ لرجوعه وتكرره . ﴿ذَاتِ
الصَّدْعِ﴾ ذاتِ النبات ؛
لتصدُّعها وانشقاقها عنه . وأصلُ
الصَّدْعِ : الشق ، وأطلق على
النبات مجازًا . والنبات في الأرض
إنما يكون بسبب المطر النازل من

بين الثديين . أو أطرافِ المراء :
يداه ورجلاه وعيناه . وهما كناية
عن البدن كله . والجملة صفة
«ماء» . أى يخرج هذا الماء الدافقُ
من بين صُلْبِ كُلِّ واحدٍ من الرجل
والمرأة وترايب كلٍّ منهما . أى أن
أعضاء وقوى كلٍّ منهما تتعاون في
تكوير ما هو مبدء لتوالد
الإنسان : ماء الرجل وهو
المنى . ومادَّة المرأة وهى البويضة
المصحوبة بالسائل ؛ المنصبان
بدفع وسيلان سريع إلى الرَّحِمِ
عند الاتصال الجنسي . ويُسمى
الفقهاء هذه المادَّة منيًا وماء .

٨ - ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ ..﴾ إِنَّ اللَّهَ
تعالى الذى قدر على خلق الإنسان
من ماء مهين دافق ، ليبيِّن القدرة
على إعادة خلقه بعد موته ؛ بل
ذلك أهونُ وأيسرُ .

٩ - ﴿يَوْمَ تُبْلَى ..﴾ يومٌ تُكشف
المكنونات . وتبدو ظاهرة
للعيان . وهى ما أُسِرَّ في القلوب
من العقائد والنيات وغيرها ، وما

بقوله : ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ أى
المضيئ . كأنه يثقب الظلام
بنوره فينفذ فيه . والمراد به
الجنس ؛ فإن لكل كوكب ضوءًا
ثاقبًا . أو معهودٌ وهو الثريا . أو
النجم الذى يقال له : كوكب
الصباح . وجواب القسم قوله :

٤ - ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ ..﴾ أى ما
كلُّ نفس إلا عليها مهينٌ قائمٌ
عليها في إيجادها وبقائها ؛ وهو الله
سبحانه . أو مَنْ يحفظ عملها من
الملائكة ، ويحصي عليها ما
تكسب من خير أو شر . وعُدِّي
«حافظٌ» بعلَى لتضمينه معنى القيام
والإحصاء . وقُرئ «لَمَّا»
بالتخفيف . «وما» زائدة
للتوكيد . «وإن» مخففة من
الثقيلة واسمها محذوف ؛ أى
إِنَّهُ . ولَمَّا ذَكَرَ اللهُ تعالى أن كلَّ
نفس عليها حافظٌ أتبع ذلك
بوصية الإنسان بالنظر في أول
نشأته ؛ حتى يعلم أن من أنشأه
قادرٌ على إعادته وجزائه . فيعمل
لذلك ما يسره في عاقبته فقال :

٥ - ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ
خُلِقَ﴾ ثم بيّن جواب الاستفهام
بقوله : ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾
أى من ماء ذى دَفْقٍ . وَالْدَّفْقُ :
صَبٌّ فيه دفعٌ وسيلانٌ بسرعة .
وكلٌّ من مَنِيَّ الرجل ومَنِيَّ المرأة
الَّذِينَ يتخلق منهما الجنين ذو دَفْقٍ
في الرَّحِمِ
٧ - ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ
وَالتَّرَائِبِ﴾ الصُّلْبُ : الظهرُ .
والتَّرَائِبُ : جمعُ تَرِيبة ، وهى ما

عود ، من قولهم : فلان يمشی
على رُود . أى على مهل .
وأصله : من رادت الريح رُوداً ،
إذا تحركت حركة ضعيفة . والله
أعلم .

سورة الأعلى

وُسمی سورة سَبَّحَ

١٠٥ - ﴿سَبَّحَ﴾ نَزَّ أَسْمَاءَهُ
تعالى عن كل ما لا يليق بها ، فلا
تُحد فيها بالتأويلات الزائفة ،
ولا تطلقها على غيره بوجه يشعر
بشاركها فيها ، ولا تسم بها غيره
تعالى إذا كانت محتصة به ، كلفظ
الجلالة ، والرحمن . ولا
تذكرها في موضع لا يليق بها ، أو
على وجه ينافي التعظيم والإجلال .
أو نَزَّ رَّبُّكَ عما لا يليق به سبحانه
في ذاته وصفاته . وأفعاله
وأحكامه وأسمائه . وعمّا يصفه به
المُحَدُّون . أو قل : سبحان
رَبِّيَ الأَعْلَى . ﴿خَلَقَ فَسَوَّى﴾
خلق الأشياء كلها ، فجعلها سواءً
في الأحكام والإتقان حسبما اقتضته
حكيمته ، قال تعالى : (مَا تَرَى فِي
خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ)^(١) .
﴿قَدَّرَ فَهَدَى﴾ جعل الأشياء على
مقادير مخصوصة في أجناسها
 وأنواعها وأفرادها ، وصفاتها
وأفعالها ، وآجالها . فوجه كل
واحد منها إلى ما يصدر عنه .
وينبغي له طبعاً واختياراً . ويسره
لما خلق له بخلق الميول
والإلهامات . ونصب الدلائل

إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهْلٍ
الْكَافِرِينَ أَهْلَهُمْ رُودًا ﴿١٧﴾

(٨٧) سُورَةُ الْأَعْلَى مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ١٩ نَزَلَتْ بَعْدَ التَّكْوِينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾
وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾

يتفكه بمزاح لا يناسب جلال
القرآن وعظمته . ويتصور أن جبار
السموات والأرض يخاطبه ،
فيأمره وينهاه . ويَعِدُّه ويتوَعَّدُه .
ويُشِرُّه ويُنذِرُه .
١٦ ، ١٧ - ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾
أجازيهم ، وأقابل كيدهم بكيد
متين . لا يستطيعون له دفعاً ،
فأسْتَدْرَجُهُمْ من حيث لا
يعلمون ، ثم أخذهم أخذ عزيز
مقتدر . ﴿فَمَهْلٍ الْكَافِرِينَ﴾
أهلهم ، ولا تستعجل عقابهم ،
وانتظر تدبير الله فيهم . يقال :
مهْلٌ وأمهْلٌ ، بمعنى أنظر ،
والاسم منه المهلة .
والاستمهال : الانتظار . وهو
وعيد شديد لهم . ﴿رُودًا﴾ أى
أهلهم إمهالاً قريباً أو قليلاً حتى
أمرك بقتالهم . مُصْعَرُودٍ ، بوزن

السماء . أقسم الله بهما على حقيقة
القرآن الناطق بالبعث فقال :
١٣ - ﴿إِنَّهُ﴾ أى إن القرآن الذي
من جملته هذه الآيات الملتوة في
هذه السورة المشتملة على دلائل
القدرة على البعث ﴿لَقَوْلُ﴾
فَصْلٌ فاصل بين الحق
والباطل . والهدى والضلال .
وقد بلغ الغاية في ذلك ، حتى
كانه نفس الفصل ، وهو جواب
القسم . ومن تتمته وصفه بقوله
تعالى :

١٤ - ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ ليس في
شيء منه شائبة الهزل ، وهو
اللعب والباطل . بل هو جد
كله . فيجب أن يهتدى به . وأن
يكون مهيباً في الصدور . معظماً
في القلوب . يرتفع به قارئه
وسامعه عن أن يُلِمَّ بهزل . أو

وإنزال الآيات . ﴿أَخْرَجَ
الْمَرْعَى﴾ أنبت ما ترعاه الدوابُّ
أخضر غصاً رطباً . ﴿فَجَعَلَهُ﴾
بعد ذلك ﴿غُثَاءً﴾ يابساً جافاً .
وأصله : الهالك البالي من ورق
الشجر ، ومنه غُثَاءُ السَّيْلِ [آية
٤١ المؤمنون ص ٤٣٩] .
﴿أُخْوَى﴾ أسود من القدم
والعتق ، من الحوة . وهي سوادٌ
إلى الخضرة . أو حُمرة تضرب إلى
السواد . وُصف به الغُثَاءُ ؛ لأن
الغُثَاءَ إذا قَدُمَ وأصابته المياه أسودَ
وتعفن فصار أُخْوَى .

٦٠ ٧ - ﴿سَنُقْرِكَ...﴾ بيان
لهدايته صلى الله عليه وسلم لتلقى
الوحي ، وحفظ القرآن الذي هو
هدى للعالمين . وتوفيقه لهداية
الناس أجمعين . أى سنقرئك
القرآن على لسان جبريل ،
فتحفظه ولا تنساه في وقت من
الأوقات . إلا وقت مشيئة الله أن
تنساه كله ؛ لكنه سبحانه لا يشاء
ذلك ، بدلالة قوله : ﴿لَا تُحَرِّكْ
بِهِ لِسَانَكَ لِتَفْجَلَ بِهِ . إِنَّ عَلَيْنَا
جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (١) . وقوله : ﴿إِنَّا
نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ﴾ (٢) . والمقصود من
هذا الاستثناء : بيان أنه تعالى لو
أراد أن يُصَيِّرَهُ ناسياً للقرآن لَقَدَّرَ
عليه ؛ كما قال تعالى : ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا
لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ (٣)
إذ هو على كل شيء قدير ، ولكن
لم يشأ ذلك فضلاً منه وإحساناً .
أو المعنى : فلا تنسى مما سنقرئك
إياه شيئاً . إلا ما شاء الله أن

بَفَعَلَهُ غُثَاءً أُخْوَى ﴿٥﴾ سَنُقْرِكَ فَلَا تَنْسَى ﴿٦﴾
إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ
لِلْيُسْرَى ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ﴿٩﴾ سَيَذَكِّرُ
مَنْ يَخْفَى ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى
النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿١٣﴾
قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾
بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾
إِنَّ هَذَا لَنِيَ الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى ﴿١٩﴾

تنساه ؛ فيذهب به عن حفظك
برفع حكمه وتلاوته .
٨ - ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ نوفقك
توفيقاً مستمراً للطريقة اليسرى في
كل باب من أبواب الدين : علماً
وعملًا ، واهتداءً وهداية . ومن
ذلك تيسير تلقى الوحي ،
والإحاطة بما فيه مما يتعلق بتكميل
نفسه وتكامل غيره . وقيل :
اليسرى هي الأمور الحسنة في
الدين والدنيا والآخرة .

٩ - ﴿فَذَكِّرْ...﴾ فذكر
الناس - حسبما يسرناك له - بما
يوحى إليك . واهداهم إلى ما فيه
خيرهم . وحذَّره من متابعة
أهوائهم . وخصَّ بالتذكير - بعد
١١ - ١٣ - ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا...﴾

١٠ - ﴿سَيَذَكِّرُ...﴾ سيتفهم
بتذكيرك من في قلبه خشية من الله
تعالى - وخوف من عذابه - وهم
المؤمنون .

سورة الغاشية

١ - ﴿هَلْ أَتَاكَ...﴾ استفهام أريد به التعجب من حديث القيامة . والشويق إلى استماعه . وسميت القيامة غاشية ؛ من غشي الأمر : غطاه ؛ لأنها تغشى الخلق بأفراعها وتجللهم فتعظمهم .

٢ - ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ وجود يوم إذ غشيت القيامة الخلق ذليلة لما اعترض أصحابها من الحزى والهوان . وهم الكفار . يقال : خشع في صلاته . إذا تذلل ونكس رأسه . وخشع الصوت : خفي .

٣ - ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ عاملة في ذلك اليوم في النار عملاً تنصب فيه وتتعب . وهو جر السلاسل وحمل الأغلال . والخوض في النار خوض الإبل في الوحل ، والصعود والهبوط في تلالها ووهادها ؛ جزاء تكبرها عن طاعة الله ، والإيمان به في الدنيا . والمراد أصحابها . والنصب : الثعب والإعياء .

٤ - ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾ تدخل ناراً متناهية في الحرارة . قد أحميت وأوقد عليها مدة طويلة . يقال : حمى الثور حمياً ، اشتد حره .

٥ - ﴿مِنْ عَيْنِ آيَةٍ﴾ بلغت آناها . أي غاية حرها [آية ٤٤ الرحمن ص ٦٩٠] .

٦ - ﴿إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ هو شجر

(٨٨) سُورَةُ الْغَاشِيَةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَاتُهَا ٢٦ نَزَلَتْ بَعْدَ الذَّارِيَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾
عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ
ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ

ويتحامي الذكرى ولا ينتفع بها الكافر المصير على العناد وإنكار المعاد ، الذي خلا قلبه من خشية الله ؛ فكان أشقى الناس ! ﴿الَّذِي يَصَلَّى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ وهي الطبقة السفلى من أطباق جهنم . ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح بالموت . ﴿وَلَا يَحْيَا﴾ فيها حياة طيبة يتلذذ بها .

١٤ - ١٥ - ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ قد ظفر بالمقصود ، ونجا من المكروه من تطهر من الشرك والمعاصي .

وانتعظ بالذكرى وانتفع بالموعظة . ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ أي ذكر ربه بقلبه ولسانه . أو كثر لافتتاح الصلاة . ﴿فَصَلَّى﴾ الصلوات الخمس . أو هي وما تيسر من النوافل .

١٦ - ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾ أي بل تؤثرون أيها الكفار ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ وترضون بها . وتعرضون

في النار يشبه الشوك . أمر من الصبر ، وأنتن من الجيفة ، وأشد حرارة من النار . وهو في الدنيا يبيع الشبرق ، وهو أحب طعام وأشتهه ؛ لا تقر به دابة ، وهو سقم قاتل . والمعذبون من الكفار طبقات : فمنهم من طعامه في النار الضريع . ومنهم من طعامه الغسلين . ومنهم من طعامه الزقوم . ومنهم من شراؤه الحميم . ومنهم من شراؤه الصديد ، لكل باب منهم جزاء مقسوم . نسأل الله العفو والعافية ؛ بكمه وكرمه .

٧- ﴿لَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ لا يدفع عنهم جوعاً .

٨- ﴿نَاعِمَةٌ..﴾ ذات بهجة وحسن ؛ من النعمة . أو منتعمة في الجنة ؛ من النعيم ، وهم المؤمنون جزاء إيمانهم وطاعتهم لله تعالى .

١٠- ﴿لَاغِيَةً﴾ أي كلمة ذات لغو ، أو نفساً لاغية . واللغو : بَيِّنٌ في [آية ٣ المؤمنون ص ٤٣٥] .

١٣- ﴿سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ مرتفعة السمك أو رفيدة القدر .

١٤- ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ كيزان لا عراً لها موضوعة بين أيديهم . أو على حافات العيون للشرب بها .

١٥- ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ وسائل صف بها إلى جانب بعض فوق الطنافس للاتكاء عليها . جمع مُرْفَعَةٌ . وهي

وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ٧ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ٨
لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ ٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ١٠ لَا تَسْمَعُ فِيهَا
لَغِيَةً ١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ١٣
وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ١٥ وَزَرَارِيٌ
مَبْنُوتَةٌ ١٦ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ١٧
وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ١٨ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ
نُصِبَتْ ١٩ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ٢٠ فَذَكِّرْ
إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ٢١ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ٢٢ إِلَّا
مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ٢٣ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ٢٤
إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ٢٦

في عظم جسمها . وشدة قوتها .
وعجيب هياتها اللاتفة بتأتى ما
سخرت له من الأعمال الشاقة ؛
وغريب أحوالها وصفاتها .

٢٠- ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ
سُطِحَتْ﴾ جعل لها سطح لإمكان
الاستقرار عليها . وهذا لا ينافي
القول بأنها قريبة من السكرة
الحقيقية لمكان عظمتها .

٢٢- ﴿بِمُصَيِّرٍ﴾ أي مُسَلِّطٍ
عليهم قاهر لهم - تجبرهم على ما
تريد [آية ٣٧ الطور ص ٦٧٣] .

٢٥- ٢٦- ﴿إِنَّ إِلَيْنَا
إِيَابَهُمْ..﴾ أي إن إلينا رجوعهم

الوسادة الصغيرة .

١٦- ﴿وَزَرَارِيٌ مَبْنُوتَةٌ﴾ بُسُطٌ
عِزَاضٌ فاخرة . أو هي الطنافس
التي لها خمل ١١ رقيق . مبسوطة
أو مفرقة في المجالس . واحدها
زُرْبِيٌّ ؛ بالكسر ويضم .

١٧- ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ..﴾ في
الآية استدلال على القدرة على
البعث بأربعة أدلة مشاهدة لا
يستطيعون إنكارها . أي أينكرون
البعث ويستبعدون وقوعه . فلا
ينظرون إلى الإبل وهي نصب
أعينهم يستعملونها كل حين .
كيف خلقت خلقاً بديعاً . معدولاً
به عن سنن خلق أكثر الحيوان ؛

(٨٩) سُورَةُ الْفَجْرِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّاهَا ٣٠ نَزَلَتْ بَعْدَ اللَّيْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيْلٍ عَشْرِ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝
وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّدَىٰ حَجْرِ ۝
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝
الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝ وَنَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا

حِجْرًا ، إِذَا كَانَ قَاهِرًا لِنَفْسِهِ
ضَابِطًا لَهَا ، وَالْمُشَارَ إِلَيْهِ بِ« ذَلِكَ »
هُوَ الْأُمُورُ الْخَمْسَةُ الْمَقْسَمُ بِهَا .
وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ ، أَيْ هَلْ فِيهَا
ذِكْرٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ مُقْسَمٌ بِهِ لِذِي
عَقْلٍ يَرَاهُ حَقِيقًا بِأَنْ يُقْسَمَ بِهِ
إِجْلَالًا وَتَعْظِيمًا . وَالْمُرَادُ : تَحْقِيقُ
أَنْ الْكُلَّ كَذَلِكَ ، وَتَقْرِيرُ فَخَامَةِ
شَأْنِهَا ، وَكَوْنُهَا أُمُورًا جَلِيلَةً خَلِيقَةً
بِالْإِعْظَامِ وَالْإِجْلَالِ عِنْدَ
الْعُقَلَاءِ ، تَوْصُلًا إِلَى أَنْ الْإِقْسَامَ
بِهَا أَمْرٌ مَعْتَدٌ بِهِ ، خَلِيقٌ بِأَنْ تَوْكَّدَ
بِهِ الْأَخْبَارُ ، فَيَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى
تَعْظِيمِ الْمَقْسَمِ عَلَيْهِ وَتَأْكِيدِهِ بِطَرِيقِ
الْكِنَايَةِ . وَفَائِدَةُ هَذَا الْقَوْلِ بَعْدَ
الْقَسَمِ بِمَا ذَكَرَ : زِيَادَةُ التَّأْكِيدِ
وَالْتَحْقِيقِ لِلْمَقْسَمِ عَلَيْهِ ، كَمَنْ
ذَكَرَ حُجَّةً بَاهِرَةً ثُمَّ قَالَ : أَفَهَا
ذَكَرْتُهُ حُجَّةً ؟

٦ ، ٨ - « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ .. »
ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ ثَلَاثَ
أَسْمَاءٍ مُتَمَرِّدَةٍ طَائِعِيَةٍ ، كَذَّبَتْ
الرَّسْلَ فَأَهْلَكَهَا اللَّهُ تَعَالَى ،
وَجَعَلَهَا أَحَادِيثَ عِبَرَةً لِأَمْثَالِهَا مِنْ
الْمُكَذِّبِينَ . وَعَادٌ هُوَ : عَادُ بْنُ
عَوْصِ بْنِ إِزْمَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ
السَّلَامُ ، سُمِّيَ أَوْلَادُهُ بِأَسْمِهِ ، كَمَا
سُمِّيَ بَنُو هَاشِمٍ هَاشِمِيًّا . وَقِيلَ
لِأَوَائِلِهِمْ - وَهُمْ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ
هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ - : عَادُ الْأَوَّلَى
تَسْمِيَةً لَهُمْ بِأَسْمِ آبَائِهِمْ ، وَإِرَمَ
تَسْمِيَةً لَهُمْ بِأَسْمِ جَدِّهِمْ ،
وَالْتَسْمِيَةُ بِأَسْمِ الْأَبِّ وَالْجَدِّ شَائِعَةٌ
مَشْهُورَةٌ . وَقِيلَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ عَادُ
الْآخِرَةُ . وَ« إِرَمَ » بَدَلٌ أَوْ عَطْفٌ

بَعْدَ الْمَوْتِ لَا إِلَى أَحَدٍ سِوَانَا . وَإِنْ
عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ فِي الْحِشْرِ لَا عَلَى
غَيْرِنَا . وَجَازِيهِمْ جَزَاءٌ وَفَاقًا
مُصَدِّرُ آبٍ : إِذَا رَجَعَ . وَهُوَ
تَهْدِيدٌ وَوَعْدٌ لِلْكَفَّارِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ
سُورَةُ الْفَجْرِ
١ . ٥ - « وَالْفَجْرِ » أَقْسَمَ اللَّهُ
تَعَالَى بِهَذِهِ الْأَقْسَامِ الْخَمْسَةِ لِشَرَفِهَا
وَعَظَمَتِهَا . وَلَمَّا فِيهَا مِنَ الْفَوَائِدِ
الدِّينِيَّةِ وَالذَّنْبِيَّةِ . فَأَقْسَمَ بِالْفَجْرِ
وَهُوَ الصُّبْحُ ، لَمَّا يَحْصُلُ بِهِ مِنْ
ظُهُورِ الضُّوءِ وَانْتِشَارِ النَّاسِ ابْتِغَاءَ
الرِّزْقِ . وَقِيلَ : هُوَ صَلَاةُ
الْفَجْرِ ، لِأَنَّهَا مَشْهُودَةٌ . يَشْهَدُهَا
مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ .
وَجَوَابُ هَذَا الْقَسَمِ وَمَا بَعْدَهُ
مَحْذُوفٌ . يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ « أَلَمْ تَرَ »
إِلَى قَوْلِهِ « فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ »
تَقْدِيرُهُ : لِيُعَذِّبَنَّ . أَيْ الَّذِينَ
كَفَرُوا بِاللَّهِ وَأَنكَرُوا الْبَعْثَ .

الصَّخْرَ بِأَلْوَادٍ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ
طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾
فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ
لِبَالِغُ الْعَذَابِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ
فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا
مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾
كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْبَتِّيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَخْضُونِ عَلَى

بيان لـ «عاد» ومنع من الصَّرف باعتبار القبيلة ، وصُرف عاد باعتبار الحي . وقيل : إن «إرم» قبيلة من عاد وهي بيت ملكهم ؛ فهي بدل من «عاد» بدل بعض من كل . ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ صفة لقبيلة «إرم» ؛ أى ذات الأعمدة التى تُرفع عليها بيوت الشجر ؛ إذ كانوا أهل خيام وعُمد ، يتجمعون الغيث ويطلبون الكَلَا حيث كان ؛ ثم يعودون إلى منازلهم . وقيل : ذات الرفعة والعزة . ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلَهَا ..﴾ صفة أخرى لها ؛ أى لم يخلق فى بلادهم مثلها فى الأيدى والشدة وعِظَمِ الأجسام ؛ وهم الذين قالوا : ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ (١) وامتنن الله عليهم بقوله : ﴿وَرَزَقْنَاكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ (٢) .

٩ - ﴿جَاءُوا الصَّخْرَ ..﴾ قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا بوادى القرى بالحجر بين الشام والحجاز ؛ كما قال تعالى : ﴿وَسُحُوتٍ مِنَ الْجِبَالِ يُّوْتًا فَارِهِينَ﴾ (٣) ؛ من الْجُوب ، وهو القطع والخرق .

١٠ - ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ ذى الجنود والعساكر الذين يَشُدُّونَ مُلْكَهُ ، كما تَشُدُّ الْأَوْتَادُ الخيام . وقيل لهم ذلك لكثرتهم وكثرة خيامهم التى يضربون أوتادها فى معسكراتهم . أو ذى الأبنية العظيمة الشاهقة التى تُشبه الجبال .

أفسدوا فى الأرض أكثر إفساد ، وأضرابهم فى ذلك ككفار مكة . ١٥ - ﴿ابْتَلَاهُ رَبُّهُ﴾ اختبره وامتنحه بالثعم . ﴿فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ ..﴾ بالمال الوفير ، والجاء العريض . وأسباب القوة والعزة ، فيقول : ربى فضلى بذلك ؛ لمزيد استحقاق له ، وكوفى له أهلاً . ولا يخطر بباله أنه فَضْلٌ تَفَضَّلَ به الله عليه ؛ ليلوه أيشكر أم يكفر .

١٦ - ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ ..﴾ أى اختبره بالحاجة وضيق الرزق ؛ ليرى هل يصبر أم يجزع . ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ ولا يخطر بباله أن ذلك اختبار وليس من الإهانة فى شيء ؛ بل التقدير قد يؤدى إلى كرامة الدارين ، والتوسعة قد تفضى إلى خسرانها . ١٧ ، ٢٠ - ﴿كَلَّا﴾ ردع

١٣ - ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ ..﴾ أنزل بكل منهم نوعاً ولوناً من العذاب عقوبة لهم . والسَّوْطُ فى الأصل : مصدر ساط يسوط ، إذا خلط ، ثم شاع استعماله فى الجلد المضفور الذى يُضرب به . وعبر عن إزال العذاب بالصَّبِّ وهو الإفراغ والإلقاء ؛ للإيذان بكثرة وتتابعه . وسُمِّيَ ضَرْبُ العذاب النازلة بهم سَوْطاً تسمية للشئ باسم آله .

١٤ - ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِغُ الْعَذَابِ﴾ البِلَاصَادُ فى الأصل : المكان الذى يقوم به الرصد ويتربصون فيه . والمراد : أنه تعالى يرقب عمل كل إنسان ويحصى عليه ، ويُجازيه بالخير خيراً ، وبالشر شراً ؛ ولا يفوته من الناس أحدٌ ولا من أعمالهم شيء . ومنهم أولئك الجبابرة الطغاة الذين

حَرْصٍ وَشَرٍّ . يقال : جَمَّ الماءُ
في الحوضِ ، إذا كثر واجتمع ،
ومنه الْجُمُومُ للبئر الكثيرة الماء .

٢١ - ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ وزجرٌ عن
أفعالهم المذكورة . ﴿إِذَا
دُكَّتْ...﴾ أي إذا دُكَّتِ الأرضُ
دَكًّا متتابعًا ، حتى انكسر وذهب
كلُّ ما على وجهها من أبنيةٍ
وجبالٍ ، حين زلزلت المرة بعد
المرة ، فصارت هباءً منثورًا ، من
الدَّكِّ بمعنى الكسر والدَّق . أو
سَوَّيت تسويةً بعد تسوية ، ولم
يبق على وجهها شيء ، حتى
صارت ملساء لا ارتفاع فيها ، من
الدَّكِّ بمعنى حطَّ المرتفع من
الأرض بالبسط والتسوية .

٢٢ - ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ هذه الآيةُ
من آيات الصفات التي يجب
الإيمان بها كما جاءت ، من غير
تكيف ولا تمثيل ولا تأويل ، على
ما ذهب إليه جمهور السلف .
وروي عن الحسن : جاء أمره
وقضاؤه . وقيل : هو تمثيلٌ
لظهور آيات قدرته وسلطانه .
﴿وَالْمَلَكُ﴾ ملائكة كل سماء .
﴿صَفًّا صَفًّا﴾ مُصْطَفَيْن . أو
ذوى صفوف .

٢٣ - ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ ومن
أين له الانتفاع بالذكْرَى . أو
الاتعاظ والتوبة ، وقد قرط فيها في
الدنيا وأطاع نفسه وهواه .

٢٤ - ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي...﴾ أي
يقول حين يرى العذاب تنكُّمًا على
تفريطه في الدنيا : يا ليتني قدَّمْتُ
أعمالًا صالحةً لأجل حياتي هذه في

طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾
وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ
دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾
وَجِئَاءَ يَوْمٍ يُؤَيِّدُ بَعْضُهُمْ يَوْمِيذٍ بِبَعْضِهِمْ ﴿٢٣﴾
لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٤﴾ يَقُولُ يَلْبِثُنِي قَدَمْتُ حَيَاتِي ﴿٢٥﴾
فَيَوْمِيذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَلَا يُؤْتِقُ وِثْقَهُ
أَحَدًا ﴿٢٧﴾ يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٨﴾ أَرْجِعْنِي إِلَى
رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٩﴾ فَأَدْخِلْنِي فِي عَبْدِي ﴿٣٠﴾
وَأَدْخِلْنِي جَنَّتِي ﴿٣١﴾

للإنسان عن قوله المحكيين عنه .
وتكذيبٌ له فيها ، فإن الإكرامَ
والإهانة لا يدوران على سعة المال
وضيقه . فقد يوسع على الكافر
وهو مهانٌ ، وقد يضيق على
المؤمن وهو مُكْرَمٌ ، للاختبار
والامتحان حسبما تقتضيه الحكمة
الإلهية . والواجبُ على الإنسان
في حالتي السعة والضيق أن يحمدا
الله تعالى على سائر نعمه التي لا
تُحصى ، ويشكر عند الغنى
وبصير عند الفقر . ﴿بَلْ لَا
تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ التفاتٌ إلى كفار
مكة الداخلين فيما سبق دخولاً
أولياً ، لتشديد التثريب والتوبيخ .
أي بل لكم أحوالٌ أشدَّ شراً مما
ذكر ؟ وأدُلُّ على تهالككم على

المال وشحكم به ، فلا تَبْرُون به
أشدَّ الناس حاجةً إليه ، وهم
فقراء البتة . ﴿وَلَا
تُحَاضُّونَ...﴾ أي لا يَحُضُّ
بعضكم بعضاً على إطعام
المساكين ، ومن لازم ذلك أنهم
لا يطعمونهم من أموالهم .
والحضُّ على الشيء : الترغيبُ
فيه . ﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ﴾ أي
المال الموروث . ﴿أَكْلًا لَمًّا﴾ أي
شديداً لا تتركون منه شيئاً ، لا
فرق بين حلال وحرام ، ولا بين ما
يُحمد وما لا يُحمد . والمراد :
أنكم تجمعون في أكلكم بين
نصيبكم من الميراث ونصيب
غيركم . وكانوا لا يورثون الصغار
والنساء . ﴿حُبًّا جَمًّا﴾ كثيراً مع



(٩٠) سُورَةُ الْبَلَدِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّاهَا ٢٠ نَزَلَتْ بَعْدَ ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾
وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾

عاقبة الاحتمال الفتح والظفر . وقد أنجز الله ذلك يوم الفتح .

٣ - ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ ثم أقسم بآدم عليه السلام وما تناسل منه ؛ لأنهم أعجب خلق الله على وجه الأرض ؛ لما ركز فيهم من العقل والإدراك . وقوة الطلق والبيان .

وكسب العلوم بالاجتهاد . وقد استخلف الله تعالى آدم أبا البشر في الأرض . وأمر الملائكة بالسجود له تكريماً له . وقيل : هو قسم بآدم والصالحين من سلالته . وقيل : بإبراهيم وإسماعيل ومحمد ؛ صلى الله وسلم عليهم أجمعين .

٤ - ﴿فِي كَبَدٍ﴾ في تعب ومشقة من مكابدة الهوم والشدائد في الدنيا . لا فرق في ذلك بين الصالحين وغير الصالحين . ولا بين أن تكون المشاق والمتاعب في خير أو شر . فالأنبياء والعُباد والمجاهدون في سبيل الله في كبد في الدنيا . ولهم النعيم في الآخرة .

على أن الإنسان خلق مبتلى بالعمل . يكابد فيه المشاق ؛ ويعاني الشدائد ؛ فلا بُدَّ له من العزم والجلد . وجواب القسم قوله : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ . والمقصود تسليته صلى الله عليه وسلم .

٢ - ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ﴾ أي وأنت حلال به ؛ أي في حلِّ ما تصنع فيه في سبيل الله . تقتل إن شئت من أشرك بالله وأبى إلا المحادة والمُشاقَّة . وتدع قتله إن شئت .

وقد حرَّم الله مكة يوم خلق السموات والأرض إلى أن تقوم الساعة . ولم يُحِلَّهَا إِلَّا لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ساعة من نهار يوم الفتح . ولن تحلَّ لأحد بعده .

يقال : هو حلٌّ وحلال ؛ وهو حرَّم وحرام . وهو مُحِلٌّ وهو مُحَرَّم . وفي هذه الجملة المعترضة بين القسم وجوابه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بفتح مكة على يديه . وحِلُّها له في القتال ؛ وأن

الآخرة . أو وقت حياتي في الدنيا ؛ لأتفنع بها اليوم . واللام على الأول تعليلية . وعلى الثاني توقيفية

٢٥ - ﴿لَا يُعَذَّبُ عَذَابَهُ..﴾ أي لا يعذب كعذاب الله أحد . ولا يوثق كوثاقه أحد . والضمير عائد إلى الله تعالى . وفري بفتح ذال (يعذب) وثاء (يُوثق) ؛ أي لا يعذب أحد في الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ . ولا يوثق كما يوثق الكافر .

٢٧ . ٢٨ - ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ..﴾ أي يقول الله تعالى على لسان ملائكته إكراماً للمؤمنين عند تمام الحساب : يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ السَّاكِنَةُ . الموقنة بالإيمان والتوحيد . الناعمة بروح اليقين ؛ بحيث لا يخالطها شك ؛ ولا يعتريها ارتياب . أو المطمئنة إلى ما وعد الله . المؤمنة بصدقه . ﴿ارْجِعِي﴾ بالثواب الذي أعطاك الله ﴿مَرْضِيَّةً﴾ عنده عز وجل .

٢٩ - ﴿فَادْخُلِي فِي﴾ زمرة ﴿عِبَادِي﴾ الصالحين المرضيين .

٣٠ - ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ معهم للنعيم المقيم . والله أعلم .

سُورَةُ الْبَلَدِ

١ - ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [آية القيامة ص ٧٦٣] أقسم سبحانه بالبلد الحرام وهو مكة ؛ لشرفها وحرمتها بالبيت المعظم -

العظيمة التي لها عند الله رفعة
ومنزلة ، وهي فك رقبة أو إطعام
يتيم أو مسكين ، بدل إنفاقها
رباءاً وسُمعةً فيما لا يُعتدُّ به من
الأعمال . أو في عداوة الرسول
صلى الله عليه وسلم - ولا آمن
بالله . والاحتحام في الأصل :
الدخول في الشيء بسرعة وشدة
من غير روية . يقال : قَحِمَ في
الأمْر قَحُومًا - من باب نصر - ،
رمى بنفسه فيه من غير روية .
والعقبة في الأصل : الطريق الوعر
في الجبل ، استُعيرت للأعمال
المذكورة لصعوبتها على النفوس .
واقتحامها : فعلها وتحصيلها

والدخول فيها . وقيل : العقبة
النار أو جبل فيها . واقتحامها :
مجاوزتها بمجاهدة النفس في طاعة
الله في الدنيا . أو هي الصراط على
مثن جهنم ، واقتحامها : المرور
والجواز عليه بسرعة . أي فلا فعل
ما ينجوه ويجوز بسببه العقبة
الكثيرة يوم القيامة . ﴿ وَمَا أَذْرَاكَ
مَّا الْعَقْبَةُ ﴾ أي أي شيء أعلمك
ما اقتحام العقبة ؟

١٣ - ﴿ فَكُ رَقَبَةً ﴾ أي هو - أي
اقتحامها - إعتاق رقبة وتخليصها
من إيسار الرق والعبودية .
والفك : تخليص الشيء من
الشيء . ١٤ ، ١٨ - ﴿ ذِي مَسْعَى ﴾ أي
مجاورة . مصدر ميسى بمعنى
السَّعَب . يقال : سَعَبَ الرجل -
كفرح ونصر - إذا جاع . ووصف
اليوم بذلك على حد : نهاره
صائم .

أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا
لُبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ
عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾
فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾
فَكُ رَقَبَةً ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَى ﴿١٤﴾
يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَةِ ﴿١٧﴾

وسلم . يقال : مالٌ لُبْدٌ - أي
كثير لا يخاف فناؤه ، كأنه التبد
بعضه على بعض والتصق ، من
تلبَّد الشيء : إذا اجتمع .

١٠ - ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ بينا
له طريقَي الخير والشر ، وهو
كقوله : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا
شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (١) . أو ألهمناه
التمييز بينهما ، ثم وهبناه الاختيار
لأيهما . والسجد : الطريق
المرتفع ، وجمعه نجد ، ومنه
سُمِّيَتْ نجدٌ ، لارتفاعها عن
انخفاض تهامة . ووصف طريق
الشر بالرفعة إنما هو على سبيل
التغليب . وقيل النجدان :
التيان : وهما كالطريقين لحياة
الولد وورقه .

١١ - ١٣ - ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ
الْعَقَبَةَ ﴾ أي فلا اكتسب ذلك
الإنسان بماله الكثير الأعمال

والجاحدون للنبوّة . والحاقدون
والمفسدون في الأرض في كبد في
الدنيا ، ولهم وراء ذلك كبد في
الآخرة . والكبد : المشقة ، من
المكابدة للشيء وهي تحمُّل المشاق
في فعله . وأصله من كبد الرجل -
من باب طرب - فهو أكبد : إذا
وجعته كبده ، ثم استعمل في كل
تعب ومشقة .

٥ - ﴿ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ ... ﴾
أيحسب ذلك الإنسان الذي كان
يكابدُ منه الرسول صلى الله عليه
وسلم ما يكابدُ ، وهو على ما
قيل : الوليد بن المغيرة - أن لن
يقدر على الانتقام منه أحد .

٦ - ﴿ يَقُولُ ﴾ مفاخرًا مباهايًا
﴿ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ﴾ أنفقت مالا
كثيراً . يريد كثرة ما أنفقه فيما كانوا
يعدُّونه في الجاهلية مكارم . أو في
عداوة محمد [صلى الله عليه

١٥ - ﴿ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أى قرابة . مصدرٌ ميميٌّ ؛ من قَرَبَ من قَرَبٍ السَّب . يقال : فلان ذو قرابتي وذو مقربتي ؛ بمعنى أن نسبي يتصلُ بنسبه .

١٦ - ﴿ذَا مَثْرَبَةٍ﴾ أى حاجةٍ وافتقار شديد . مصدرٌ ميميٌّ ؛ من تَرَبَّ الرجل - من باب طَرَب - إذا افتقر ؛ كأنه لصق بالتراب من الفقر ، وليس له مأوى سوى التراب . وأما أترب فعناه استغنى ؛ كأنه صار له مال كالتراب في الكثرة ؛ كما قيل في أثرى .

١٧ - ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ عطفٌ على «اقتَحَمَ» المنفى ؛ فكأنه قيل : فلا اقتحم ولا آمن ؛ فتكون (لا) مكررة في المعنى . ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ أى بالرحمة على عباده تعالى .

١٨ - ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بهذه الصفات الجليلة : ﴿أَصْحَابُ الْمِمْنَةِ﴾ أى جهة اليمين التى فيها السعداء . أو جهة الذين يؤتون كتبهم بأيديهم .

١٩ - ﴿أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ أى جهة الشمال التى فيها الأشقياء . أو جهة الذين يؤتون كتبهم بشمالهم .

٢٠ - ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ أى مُطَبَّقَةٌ مُّغْلَقَةٌ أبوابها عليهم ؛ تشديدًا في عذابهم . وقرئ بالواو ؛ من آصَدت الباب وأوصدته : إذا أغلقته وأطبقته .

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمِمْنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَيْنِنَا
هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾

(٩١) سُورَةُ الشَّمْسِ مَكِّيَّةٌ
وآياتها ١٥ نزلت بعد القدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ
إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ
وَمَا بَنَلَهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَلَهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا

والاسمُ فيها الإصاؤُ والوصاد . تعالى ووحدانيته . وأقسم بنفسه والمراد : أنه لا ضوءَ فيها ولا مُرَج . ولا خروج منها أبدًا . والله أعلم .

سُورَةُ الشَّمْسِ

في هذه السورة ترغيبٌ في تزكية النفوس وتطهيرها بالإيمان والطاعة . وترهيبٌ من خسرانها بالكفر والمعاصي . وإنذارٌ لكفار مكة وأضرابهم . أن يصيبهم من الشكال ما أصاب ثمودَ حين كذبوا رسولهم . وعقروا الناقة . وهى آية الله على صدقه في رسالته . وقد أقسم الله تعالى فيها بكائنات عظيمة النفع والآثار في العالم العلوي والسفلي ؛ دالةً بوجودها واختلاف أحوالها على كمال قدرته

تعالى ووحدانيته . وأقسم بنفسه تعالى ؛ إذ كان سبحانه الموجد والمبدع والمدير لها . أو بفعله الحكيم المتقن فقال :

١ - ٣٠ - ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ أقسم بالشمس . وهى من العظم والتقع للخلق بالمكان الذى لا يخفى . وبضحاها أى ضوئها . إذا أشرقت وارتفعت . ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا﴾ أى تبعها وخلفها في الإضاءة ؛ بأن يطلع مضيئًا بعد غروبها آخذًا من نورها . سواء كان ذلك من غير تراخٍ . وهو في النصف الأول من الشهر . أو بعد مدة وهو في النصف الثانى منه . ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ أى جلى الشمس وأظهرها ؛ فإنها تنجلي إذا انبسط النهار ومضت منه

مصدر كالطغيان ، واختير التعبير به لأنه أشبه برؤوس الآي . إذ أنبت أشقاها أي قام مسرعاً أشقى ثمود ، وهو قدار بن سالف ومن معه من الأشقياء لعقر الناقة . وأنبت مطاوع بعث تقول : بعث فلاناً على الأمر ، إذا أرسلته ، فأنبت له . ناقة الله وسقياها أي احذروا عقر ناقة الله . واحذروا سقياها أي شربها الذي اختصها الله به في يومها ، فلا تمنعوها عنه في نوبتها ولا تستأثروا به عليها ، منصوب على التحذير . والسقيا : مصدر كالرجعي . قدمدم عليهم رهمهم أهلكهم وأطبق عليهم العذاب بذنبهم وهو الكفر والعقر . يقال : دمدم عليه القير . أي أطبقه . أو أنم العذاب عليهم . والدمدمة : إهلاك باستئصال . فسواها جعل الدمدمة عليهم سواء ، فلم يفلت منهم أحد إلا من آمن مع صالح عليه السلام . ولا يخاف عقابها أي ولا يخاف الله من أحد تبعة إهلاكهم ، كما يخاف المعاقبون من الملوك تبعة ما يفعلون . وفي ذلك غاية الاحتقار لهم . والله أعلم .

سَوَّلَهَا ٧ فَالْهَمَهَا جُورَهَا وَتَقَوَّلَهَا ٨ قَدْ أَفْلَحَ ٩ مَنْ زَكَّاهَا ١٠ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ١١ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَيْهَا ١٢ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ١٣ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ١٤ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ١٥ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ١٦ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ١٧

السماء وطخو الأرض وتسوية النفوس في الخلقة . فالهَمَهَا فجورها وتقواها عرفها ما ينبغي لها أن تأتي أو تذر من خير أو شر ، أو طاعة أو معصية ، بحيث تميز رشدًا من غيها . قد أفلح من زكَّاهَا جواب القسم ، وحذفت منه اللام لطول الكلام المقتضى للتخفيف . أي لقد فاز بالمطلوب ، ونجا من المكروه من أننى نفسه وأعلاها بتطهيرها من الكفر والمعاصي ، وأصلحها بالصلحات من الأعمال . وقد خاب أي خسر . من دسَّاهَا نقصها وأخفاها بالفجور ، جهلا وفسوقا . وأصل دسَّى : دسَّس ، مبالغة في دس بمعنى أخفى .

١١ - ١٥ - كَذَّبَتْ ثَمُودُ نَبِيَّهَا . بِطَغْوَاهَا أي بسبب طغيانها وتجاوزها الحد بالكفر .

مدة . وهو وقت الضحى والضحاء . وقيل : جلّى الدنيا أي وجه الأرض وما عليه . ٤ - ٦ - وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا أي يغشى الشمس فيغطي ضوءها ، أو يغشى الدنيا بظلمته . وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا أي ومن أوجدها وأنشأها بقدرته . وإيثار «ما» على «من» لإرادة الوصفية تفخيماً وتعظيماً ، كأنه قيل : والقادر العظيم الذى بناها . وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا أي ومن بسطها من كل جانب ، ووطأها للاستقرار عليها ، كدحأها .

٧ : ١٠ - وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا أي والنفوس ومن أنشأها وأبدعها مستعدة لكانها ، وذلك بتعديل جميع قواها وأعضائها . وقيل : إن «ما» فى الآيات الثلاث مصدرية ، فيكون القسم ببناء

سُورَةُ اللَّيْلِ

(٩٢) سُورَةُ اللَّيْلِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٢١ نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَعْلَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ٢ وَمَا خَلَقَ
الدَّكْرَ وَالْأُنْثَى ٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ٤ فَأَمَّا مَنْ
أَعْطَى وَاتَّقَى ٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ٦ فَسَنِيَرُهُ
لِلْبُسْرَى ٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ٨ وَكَذَّبَ
بِالْحُسْنَى ٩ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ
مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ١١ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ١٢ وَإِنَّ

أقسم الله تعالى بأقسام ثلاثة .
على أن أعمال الناس مختلفة :
بعضها هُدى . وبعضها
ضلال ؛ كما أن أحوال الليل
والنهار والمخلوقات مختلفة .
فقال :

١ ، ٣ - ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾
أى أقسم بالليل كله حين يُغْشى
النهار بظلمته فيذهب ضوءه ؛
كقوله تعالى : (يُغْشى الليلُ
النَّهَارَ) (١) . أو حين يغطي كلُّ
شئ بظلمته ؛ من التَّغْشِيَةِ بمعنى
التَّغْطِيَةِ . وإنما أقسم به تعالى لعظم
فائدته ؛ إذ يأوى فيه كلُّ حيوان
إلى مأواه ، ويسكن فيه الخلقُ عن
الحركة . ويغشاهم النوم الذى
جعله الله راحةً للأبدان . وغذاءً
للأرواح . ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾
وأقسم بالنهار حين ينكشف ويظهر
بزوال ظلمة الليل ؛ من الجلاء
بمعنى الظهور . إذ به ينكشف ما
كان مستوراً بظلمة الليل ؛ وفيه
الحركة والعمل . ﴿ وَمَا خَلَقَ
الدَّكْرَ وَالْأُنْثَى ﴾ وأقسم بمن خلق
الصَّنْفَيْنِ : الذكر والأنثى فى
الإنسان والحيوان والنبات لبقاء
النوع ؛ يعنى نفسه عز وجل .
وعُبر بـ « ما » لقصد الوصف ؛
كأنه قيل : والقادر العظيم
القدرة ، الذى خلق صُنْفَيْ
الذكر والأنثى . وقيل : المُقَسَّمُ
به خلقُ الصَّنْفَيْنِ . وجواب القسم
على القولين قوله تعالى :
٤ - ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾ أى إن

٧ - ﴿ فَسَنِيَرُهُ لِلْبُسْرَى ﴾ فسنيته
للمحصلة التى تؤدى إلى يسر
وراحة ، وهى الأعمال الصالحة
التي ثورت الخير والفلاح فى الدنيا
والآخرة .
٨ : ١١ - ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ ﴾
بماله فلم يؤد حق الله فيه . أو لم
ينفق منه فى سبيله .
﴿ وَاسْتَغْنَى ﴾ زهد فيها عند الله ؛
كانه مستغن عنه سبحانه ! فلم
يتقه . أو استغنى بنعيم الدنيا عن
نعم العقبى . ﴿ وَكَذَّبَ
بِالْحُسْنَى ﴾ وهى ما أسلفنا بيانه .
﴿ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ فسنيته
للمحصلة التى تؤدى إلى عسر
وشدة . وهى الأعمال السيئة التى
تورث الحُسران فى الدنيا

مسايعكم لمختلفة متباعدة ؛ فإن
منكم المؤمن والكافر ، والمطيع
والعاصى ، والساعى فى فكاك
نفسه من النار ، والقاذف بنفسه
فيها . و« سَعْيَكُمْ » مصدر مضاف
فيفيد العموم ؛ فهو فى معنى
الجمع ؛ أى مسايعكم .
و« شَتَّى » أى متفرقة . جمع
شَتَبَ ؛ مِنْ شَتَّ يَشْتُ أى
تفرق . والاسمُ الشَّتَاتُ .
٥ : ٦ - ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى ﴾ حق
الله تعالى ؛ أو أنفق فى سبيله مما
عنده من الفضل . ﴿ وَاتَّقَى ﴾
محارمه ومعاصيه . ﴿ وَصَدَّقَ
بِالْحُسْنَى ﴾ أى أبقن بالحصلة
الحُسنى وهى الجنة . أو الحَلْفُ
فى الدنيا مع المضاعفة عما أنفق .

الْأَشْقَى ﴿١﴾ لَا يُعَذِّبُ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا . وَلَا يِقَاسِي حَرَّهَا عَلَى وَجْهِ الْأَشْدِيَّةِ إِلَّا الْكَافِرُ الَّذِي كَذَبَ بِالْحَقِّ ، وَأَعْرَضَ عَنِ الطَّاعَةِ . قِيلَ : نَزَلَتْ فِي أَمِيَّةَ بْنِ خَلْفٍ وَنَظَائِرِهِ مِنَ الْمَكْذِبِينَ .

١٧ - ﴿وَسَيَجْزِيهَا الْأُنْفَى﴾ . وَسَيُعَذِّبُهَا بِالْكَلْبَةِ الْمُبَالِغِ فِي اتِّقَاءِ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي .

١٨ - ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ . أَيْ يَتَطَهَّرُ بِهِ مِنَ الذُّنُوبِ . أَوْ يَطْلُبُ بِهِ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ اللَّهِ زَاكِيًا . إِذْ لَمْ يُؤْتِهِ رِيَاءٌ وَلَا سَمْعَةٌ . نَزَلَتْ فِي الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

١٩ - ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ إِلَّا نِعْمَةٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ . لَا يَفْعَلُ الْخَيْرَ ذَلِكَ إِلَّا تَقِيًّا عَلَى نِعْمَةِ سَلَفَتْ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدٍ . لَكِنَّهُ يَفْعَلُهُ ابْتِدَاءً خَالِصًا لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى .

٢١ - ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ . وَعَدُّ مِنَ اللَّهِ لِأَنَّهُ يَكْرِ بِبَنِيٍّ جَمِيعٍ مَا يَبْتَغِيهِ عَلَى أَكْمَلِ الْوَجْهِ وَأَجْمَلِهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

سورة الضحى

نزلت هذه السورة على الرسول صلى الله عليه وسلم ، تكذيباً لقريش في قولهم لما أبطأ عليه الوحي أياماً : قد ودَّعَ مُحَمَّدًا رُبَّهُ وَقَلَّاهُ . فَقَالَ تَعَالَى :

١ - ٣ - ﴿وَالضُّحَى﴾ . أَقْسَمَ بِالضُّحَى . وَهُوَ وَقْتُ ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ وَإِشْرَاقِهَا ، وَهُوَ وَقْتُ نَشَاطِ الْحَرَكَةِ . وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْعَمَلِ . ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى﴾

لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿١﴾ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿٢﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿٣﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٤﴾ وَسَيَجْزِيهَا الْآتَى ﴿٥﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿٦﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿٧﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٨﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٩﴾

(٩٣) سُورَةُ الضُّحَى مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ١١ نَزَلَتْ بَعْدَ الْفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ﴿١﴾ وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿٣﴾ وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ

إِذَا سَقَطَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْهَابِيَةِ . وَالتَّرَدَّى : السَّقُوطُ .
١٢ - ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ . أَيْ لِكَيَانِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَطَرِيقِ الْأَوَّلِ لِاتِّبَاعِهِ ، وَطَرِيقِ الثَّانِي لِاجْتِنَابِهِ .

١٣ - ﴿وَإِنْ لَنَا ..﴾ . أَيْ وَإِنْ لَنَا التَّصَرَّفُ الْكَامِلُ فِيهَا كَيْفَمَا نَشَاءُ ، فَتَفْعَلُ فِيهَا مَا نَشَاءُ . وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرْنَا فِيمَنْ أُعْطِيَ وَفِيمَنْ بَخِلَ .

١٤ - ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ . تَتَلَهَّبُ وَتَتَوَفَّدُ . وَأَصْلُهُ : تَتَلَطَّى ، مِنْ اللَّطَى وَهُوَ اللَّهَبُ الْخَالِصُ .
١٥ - ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا

وَالْآخِرَةِ . وَأَصْلُ التَّسِيرِ : التَّهَيُّؤُ . وَالتَّسَهُّلُ . يَقَالُ : تَسِيرَ لِلْقِتَالِ وَاسْتَسِيرَ لَهُ الْخُرُوجُ : أَيْ تَهَيَّأَ لَهُ . وَتَسِيرَ وَاسْتَسِيرَ : تَسَهَّلَ . وَتَكُونُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَمِنْهُ مَا فِي الْحَدِيثِ : (اعْمَلُوا وَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا فَكُلُّ مَسِيرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ) (١) . أَيْ مَهِيًّا مَصْرُوفٌ مُسَهَّلٌ . وَقِيلَ الْمَعْنَى : فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ فَسَنَلُظُّفُ بِهِ وَتَوَفَّقَهُ حَتَّى تَكُونَ الطَّاعَةُ أَيْسَرَ شَيْءٍ عَلَيْهِ . وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ فَسَنُخْذِلُهُ وَنَمْنَعُهُ الْأُلُطْفَ حَتَّى تَكُونَ الطَّاعَةُ أَعْسَرَ شَيْءٍ عَلَيْهِ . ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ﴾ . أَيْ أَيْ شَيْءٌ يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ الَّذِي يَبْخُلُ بِهِ

(١) رواه عبد الله بن الإمام أحمد بسند حسن .

يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴿٦﴾
وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿٨﴾
فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾
وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

الصلاة والسلام ما كفر بالله قط ! ولا أشرك به قط ! فلم يعبد وثناً ، ولم يؤثله صنماً ، ولم يشهد لذلك رسماً ، وقد عصمه ربه من ذلك قبل النبوة ، واهتدى إلى الإيمان بالله بفطرته ، ولم تغب عنه إلا تفاصيل شريعته ، حتى جاءه الحق من ربه ، فعلمه منها ما لم يكن يعلم ، وكان فضل الله عليه عظيماً ، ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾ فقيراً لا مال لك ، ﴿فَأَغْنَى﴾ فرضاك بما أعطاك من الرزق ، وذلك حقيقة الغنى ، وفي الحديث (ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس) ، من عال الرجل يعيل عيلة ، إذا افتقر واحتاج ، وإغناؤه صلى الله عليه وسلم : إعطاؤه الكفاف من العيش .

٩ - ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ فلا تستذله ولا تحتقره ، ولا تظلمه ولا تغلبه على ماله ، ولا تؤذ به بأى نوع من أنواع الأذى ، فقد كنت يتيماً ، وفي الحديث (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا) وأشار

المنعم المثنى ، ﴿فَتَرْضَى﴾ بما أعطاك . ثم عذد الله من فنون التعم العظيمة التي أفاضها على رسوله صلى الله عليه وسلم من أول أمره إلى وقت النزول ، ثلاث نعم جريئة ، تقوية لقلبه ، وشرحاً لصدره ، والبدايات دلائل النهايات ، والسوابق شواهد على اللواحق - فقال : ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ حين مات أبوك ، ولم يخلف لك مالاً ولا ماوئى . ﴿فَأَوَى﴾ فأواك وضمك إلى من يقوم بأمرك ، حيث كفلك جدك عبد المطلب ، ثم من بعده عمك الشقيق أبو طالب فأحسن تربيتك . ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ غافلاً عن معالم النبوة وأحكام الشريعة التي لا تهتدى إليها العقول وحدها ، كما قال تعالى : (مَا كُنْتَ تَذَرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ) ^(١) . ﴿فَهَدَى﴾ فهداك إلى مناهجها في تضاعيف ما أوحى إليك من الكتاب المبين ، وعلمك ما لم تكن تعلم . أمّا أصل الإيمان بالله فإنه عليه

وَأَقْسَمَ بِاللَّيْلِ حين يسكن . يقال : سجا الليل وغيره يسجوا سجواً وسجواً ، سكن ودام ، ومنه ليلة ساجية : إذا كانت ساكنة الريح . أو أقسم به حين يمتدُّ بظلامه ، وذلك وقت السكون وانقطاع الحركة . وجواب القسم قوله تعالى : ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ ما تركك منذ اختارك ، من التوديع وهو في الأصل : الدعاء للمسافر ببلوغ الدعة وخفض العيش . ثم تُعرف في تشيع المسافر وتركه . ثم استعير للترك مطلقاً . وقرئ (وَدَّعَكَ) بالتخفيف بمعناه . ﴿وَمَا قَلَى﴾ ما أبغضك ربك منذ أحبك ، من القلى وهو شدة البغض . يقال : قلاه يقليه قلى وقلاء ، أبغضه وكرهه غاية الكراهة . كما تقول : قرئت الضيف أقربه قرى وقرأ .

٤ : ٨ - ﴿وَلَا آخِرَهُ﴾ .. ﴿بشارة﴾ من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بأنه مع مواصلته إياه بالوحي والكرامة ، وتخصيصه بمنازل رفيعة لم يدركها من قبله ، سيأتي في الآخرة ما هو أجل وأعظم مما أعطاه في الدنيا . ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ من خيرى الدنيا والآخرة كل ما فيه رضا لك ، من نصر وتمكين وفتح وإعلاء لكلمة الله على لسانك ، وبدعوتك وجهادك ، وتكثير لأتباعك ، وتفضيل لأمتك ، ومقامات وكرامات لا يحيط بها إلا

(٩٤) سُورَةُ الشَّرْحِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الضَّحَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾
الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾
فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾
فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾

نصف
الحرب

بالسبابة والوسطى وقرج بينهما
أى إذا أحسن كفالاته واتقى الله
فيه . والخطاب له ولأئمة .
١٠ - ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ﴾ ذا الحاجة
إلى مال أو علم ﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾ فلا
تزجره ولا تغلظ له القول ولا
تعبس في وجهه ؛ بل اسعفه
بمطلوبه ما استطعت . يقال :
نهره وانهره . إذا استقبله بكلام
يزجره .
١١ - ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ أى بما
أنعم عليك من النعم العظيمة
﴿فَحَدِّثْ﴾ أى فاذكرها
وأذعها ؛ وذلك شكرها .
والخطاب له ولأئمة . وإنما يجوز
لغيره صلى الله عليه وسلم التحدث
بما عمل به من الخير إذا أمن على
نفسه الفتنة ، وقصد اقتداء الناس
به . وتُدب التذكير عند خاتمة هذه
السورة وما بعدها إلى آخر القرآن

سُورَةُ الشَّرْحِ

كما عدد الله لنيته صلى الله عليه
وسلم بعض نعمة العظيمة عليه في
السورة السابقة ، ذكر له في هذه
السورة نعمة أخرى جليلة ، حاثاً
له بذلك على شكره على ما أنعم ؛
ليستوجب بذلك المزيد منه .
فقال :

١ - ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾
ألم نوسّع صدرك بما أودعنا فيه من
الهدى والمعرفة والإيمان والفضائل
والعلوم والحكم . ونفسحه بتيسير
تلقى ما يوحى إليك بعد ما كان
يشق عليك ؟! والشرح فى
الأصل : التوسعة . يقال : شرح
الشيء . وسعه . وإذا تعلق

بالقلب أو الصدر يراذ منه بسطه
بنور الهى وسكنية من الله وروح
منه . والاستفهام للتقرير ؛ أى قد
شرحنا .

٢ - ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ﴾
عنك ما أثقل ظهرك من أعباء
النبوة والرسالة ؛ حتى تقوم بها
وتبلغ رسالة ربك . والوزر :
الحمل الثقيل .

٣ - ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ أى
أثقله وأوهنه حتى سمع له نقيض .
وهو الصوت الخفى الذى يسمع من
الرّحْل فوق البعير . يقال : أنقض
الحمل ظهر البعير . إذا سمع له
صري من شدة الحمل . وسمعت
نقيض الرّحْل : أى صريه ؛
والفعل كتنصر . أو عضمناك من
الذنوب . وطهرناك من الأدناس
التي تنقض ظهرك لو وقعت . وعبر
عن ذلك بالوضع مبالغة فى انتفاء
الذنوب عنه ؛ كما يقول القائل لمن
لم يزره : رفعت عنك مشقة
الزيارة ؛ مبالغة فى انتفاء الزيارة
منه له .

٤ - ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ توهنا
باسمك . وجعلناه مذكوراً على
لسان كل مؤمن فى المشارق
والمغارب ، مقروناً باسمنا فى
كلمات الشهادة والأذان والإقامة
والشهادة والخطبة وغير ذلك . وقد
جعل الله طاعته طاعة ، وصلى
عليه فى ملائكته . وأمر المؤمنين
بالصلاة عليه . وخاطبه بالألقاب
 وذكره فى كتب الأولين .

٥ - ٦ - ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾

(٩٥) سُورَةُ التِّينِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الْبُرُوجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ① وَطُورِ سِينِينَ ② وَهَذَا
الْبَلَدِ الْأَمِينِ ③ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ
تَقْوِيمٍ ④ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ⑤ إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ⑥

مكة المشرفة التي فيها البيت
المعظم . وفيها ولد ويث أشرف
الخلق محمد صلى الله عليه وسلم .
وسينين وسيناء - ويفتح -
وسينا : اسم للبقعة التي فيها
الجليل . أو معناه : المبارك
الحسن ؛ وإضافة (طور) إليه من
إضافة الموصوف إلى الصفة .
ويجوز في إعرابه أن يُجرى مجرى
جمع المذكر السالم ، وأن يلزم
الياء وتُحرك النون بحركات
الإعراب .
٣ - ﴿الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ أي الآمن
في الدارين داخله مؤمناً بالله ؛ من
أمن الرجل أمانة - ككرم - فهو
أمين . أو المأمون فيه من
الفوائت ؛ من أمنته : أي لم
يُخفّه .
٤ ، ٥ - ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ..﴾
جواب القسم ؛ أي لقد خلقنا
جنس الإنسان في أعدل قامة .
وأحسن صورة . مكملًا بالعقل
والمعرفة . ومتصفاً بالحياة
والعلم ، والإرادة والقدرة ،
والسمع والبصر والكلام ،
والتدبير والحكمة . والتقويم :
التثقيف والتعديل . ﴿ثُمَّ
رَدَدْنَاهُ ..﴾ أي رددناه أفلح من
قبح صورة ، وأشوهه خلقه ؛
لعدم جريانه على موجب ما خلقناه
عليه من الصفات التي لو عمل
بمقتضاها لكان في أعلى عليين .
والمراد به أهل النار . وقيل :
رددناه بعد ذلك التقويم أسفل من
سفل صورة وشكلاً ؛ بالهرم بعد
الشباب ، والضعف بعد القوة .
والعجز بعد القدرة ؛ كما قال
تعالى : (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ
الْعُمُرِ) ^(١) . وقال : (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ
نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ) ^(٢) .

أى خولناك ما خولناك من الفضل
والكرامة ؛ فلا تياس من فضل
الله تعالى . فإن بعد الشدة التي
أنت فيها من مقاساة بلاء المشركين
يسراً عظيماً ؛ أى فرجاً وسعةً
بإظهارك عليهم . ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ
يُسْرًا﴾ أى إن مع ذلك العسر يسراً
آخر ، ولن يغلب عسر يسرين !
٧ - ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ لما
عدّد الله نعمه السابقة ؛ ووعدّه
بالثعم الآتية : بعثه على الشكر
والاجتهاد في العبادة ، والنصب
فيها . ولأى يخلى وقتاً من أوقاته
منها ؛ فإذا فرغ من عبادة أتبعها
بأخرى . والنصب : التعب
والإعياء .

٨ - ﴿وَالِى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾
اجعل رغبتك - أى ضراعتك -
ومسألتك إلى ربك ، لا إلى
غيره ؛ فهو وحده القادر على
إجابتك وإسعافك . يقال :
رَغِبْتُ إِلَى فلان فى كذا ، سألته
إياه . والله أعلم .

سُورَةُ التِّينِ

١ - ﴿وَالْتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ..﴾
أقسم الله تعالى ببقاع مباركة
عظيمة ، ظهر فيها الخير والبركة
بسككى الأنبياء . فالتين
والزيتون : مجاز عن منابتهما
بالأرض المباركة ، وفيها مهاجر
إبراهيم ، ومولد عيسى ومسكنه
عليه السلام . وطور سينين :
الجليل الذى كلم الله عليه موسى
عليه السلام . والبلد الأمين :

(١) آية ٧٠ النحل . (٢) آية ٦٨ يس .

٨ - ﴿الْيَسَّ اللَّهُ﴾ الذي فعل ما أنبأناك ﴿بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ أي أنقضهم صنفاً وتديراً . أو أحكمهم قضاءً بالحق وعدلاً بين الخلق ؟؟ والاستفهام للتقرير بما بعد التثنية . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا قرأها قال : (بلى ! وأنا على ذلك من الشاهدين) . والله أعلم

سُورَةُ الْعَلَقِ

١ - ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ..﴾ في الحديث الصحيح : أَنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ بِهِ جبريل عليه السلام من القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتحسث بغار حراء في شهر رمضان - صدر هذه السورة إلى قوله (مَا لَمْ يَعْلَمْ) . ثم نزل آخرها بعد ذلك بما شاء الله تعالى . وبعد نزول صدرها فتر الوحي . ثم فاجأه الملك الذي جاءه بحراء ، فَرَعَبَ منه صلى الله عليه وسلم . فرجع إلى أهله يقول : (زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي) وفي رواية (دَجِّرُونِي) . فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ - ثُمَّ - يَا أَيُّهَا الْمُرْتَلِّ﴾ ثم حَمَى الْوَحْيُ وتتابع ، أي اقرأ ما يوحي إليك من القرآن . مفتتحاً باسم ربك الذي له الخلق . أو الذي خلق كل شيء .

٢ - ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ أي جنس الإنسان من بني آدم . وخصه بالذكر لكونه أشرف المخلوقات . وفيه من بدائع الصنع والتدبير ما فيه . ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ دم جامد . وهو الطور الثاني من أطوار تَخَلُّقِ

فَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ

الْحَكِيمِ ﴿٨﴾

(٩٦) سُورَةُ الْعَلَقِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ١٩ وَهِيَ أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ
مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ
بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ

ممنون ؛ لصبرهم على ما ابتلوا به من الهرم المانع لهم عن النهوض لأداء وظائفهم من العبادة . والاستثناء منقطع بمعنى لكن ؛ لدفع ما يتوهم من أن التساوي في أرذل العمر يقتضي التساوي في غيره .

٧ - ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ ..﴾ خطاب للإنسان الكافر على طريق الالتفات ؛ لتشديد التوبيخ والتقريع . والاستفهام إنكارى ؛ أي فأي شيء يضطرك بعد ما بينا من الدليل القاطع على القدرة على البعث والجزاء . إلى أن تكون كاذباً بسبب تكذيبك بالجزاء الذي يكون بعد البعث والحساب ؟! فإن كل مكذب للحق فهو كاذب .

والسافلون : هم الضعفاء والرمي والأطفال . وأسفلهم : الهرم . والمردود على المعنيين : بعض أفراد الجنس .

٦ - ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ..﴾ وجروا على موجب تلك الصفات التي منحهم الله إياها ، وأنشأهم عليها . ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي غير مقطوع عنهم . أو غير ممنون به عليهم جزاء إيمانهم ، واستمسكهم بالحق ، وقيامهم بما تقتضيه تلك الصفات . ولا تَبْحُ صورهم يوم القيامة ؛ بل يزدادون بهجةً وحسناً . والاستثناء متصل من ضمير (رَدَدْنَا) العائد على الإنسان . فإنه في معنى الجمع . أو لكن الذين كانوا صالحين من الهرم لهم أجر غير

المادة الإنسانية . والمراد : التنبيه إلى ما بين حالتيه الأولى والآخرة من التباين البين . وأن الذي خلقه من هذه المادة ثم سواه بشراً في أحسن تقويم . قادرٌ على كل شيء .

٣ - ٥ - ﴿اقْرَأْ﴾ أمض لما أمرتك به من القراءة ﴿وَرُبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ الذي زاد كرمه وفضله على كل كرم وفضل . ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ أي علم الإنسان الكتابة بالقلم ولم يكن له علمٌ بها : فضبط بها العلوم . وعرف بها أخبار الماضين وعلومهم . وكانت أداة التفاهم والمعرفة . ولولاها ما استقام أمر الدين والدنيا : فلم يقم دينٌ ولم يصلح عيش . ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ﴾ أي كما علمه بالقلم علمه بدونه ما لم يعلمه من الأمور على اختلافها . فهو سبحانه مفيض العلم على الإنسان . ومعلمه البيان بالقلم واللسان : ومن ذلك تعليمك القراءة والعلوم التي لا تحيط بها العقول . وأنت أميٌّ لا تكتب ! وقد صرف الله نبيه عن الكتابة ليكون ذلك أثبت لمعجزته . وأقوى لحجته .

٦ - ٧ - ﴿كَلَّا﴾ ردع للإنسان الكافر . الذي قابل تلك التعم الجليلة بالكفر والطغيان . قيل : نزلت هذه الآية إلى آخر السورة في أي جهل بعد زمن من نزول ما قبلها . وفي الحديث الصحيح : أن أبا جهل حلف باللات والعزى

الْإِنْسَانَ لَيْطَفَى ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَنْغَى ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ

لن رأى محمداً [صلى الله عليه وسلم] يصلي ليظان على رقبته وليغفر وجهه . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليفعل : فما فاجأهم منه إلا وهو يتكص على عقيقه . وبقي بيديه . فقيل له : مالك ؟ فقال : إن بيني وبينه لحدقاً من نار ! وهولاً وأجنحة ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً) فأنزل الله هذه الآية إلى آخر السورة . وقيل «كَلَّا» بمعنى ألا الاستفتاحية . ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَفَى﴾ أي ليجاوز الحد ويستكبر على ربه ويكفر به ! من أجل رؤية نفسه ذا غنى وثناء . وقوة وقدرة !

٨ - ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يا محمد ﴿الرُّجْعَى﴾ أي رجوع هذا الطاغى وأضرابه بالبعث . فذاثقون من ألم عقابه ما لا قبل لهم به . مصدرٌ بمعنى الرجوع . يقال : رجع إليه رجوعاً ورجعاً ورجعى بمعنى واحد .

٩ - ١٠ - ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾ نهى أبو جهل النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في المسجد الحرام : فلما رآه يصلي فيه قال : ألم أنهك عن هذا ؟ ألم أنهك عن هذا ! فأنهره النبي صلى الله عليه وسلم . فقال أبو جهل : أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي نادياً ! أي أخبرني يا من يصلح للخطاب : هذا الطاغى الذي ينهى عبد الله عن الصلاة لربه ؟ ألم يعلم بأن الله يراه ويطلع عليه فيجازيه على هذا الفعل المنكر ؟! ورأى تتعدى لمفعولين أولها «الَّذِي» . وثانيها محذوف دل عليه قوله تعالى : «أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى» .

١١ - ١٢ - ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ أي أخبرني ! هذا

نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَآمَجِدْ
وَأَقْتَرِبْ ﴿١٩﴾

(٩٧) سُورَةُ الْقَدْرِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ه نَزَلَتْ بَعْدَ عِلَسْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ
الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنْزِيلُ

ذلك . وهو أمرٌ تعجيزٌ ردًّا لتهديده
النبي صلى الله عليه وسلم .
والثَّادِي والثَّادِي : المجلس الذي
يتنبدى فيه القوم ؛ أى يجتمعون
للحديث . يقال : ندا القوم
ندوا - من باب غزا - اجتمعوا .
﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ الملائكة
الغلاظ الشداد الموكلين بالعذاب
لإلقائه في النار . والزَّبَانِيَةُ في كلام
العرب : الشرط ؛ جمع زَبْنِيَّة ؛
من الزَّين وهو الدفع . وقيل :
اسم جمع كآبائيل .

١٩ - ﴿كَلَّا لَا تَطِعُهُ﴾ فيما
دعاك إليه من ترك الصلاة . وصل
الله تعالى ما أمرك به . وتقرب إلى
ربك بطاعته والدعاء له ؛ أى دُم
على ذلك . والله أعلم .

سُورَةُ الْقَدْرِ

١ - ٣ - ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ أى
ابتدأنا إنزال القرآن العظيم على
محمد صلى الله عليه وسلم ﴿فِي لَيْلَةِ
الْقَدْرِ﴾ وهى على الأرجح ليلة
سبع وعشرين من شهر رمضان .
وقد نزل مُتَّحِمًا على حسب الوقائع
والمصالح فى ثلاث وعشرين
سنة . وأول ما نزل من الآيات
«اقرأ» وسميت ليلة القدر لعظم
قدرها وشرفها ؛ من قوتهم :
لفلان قدر عند الأمير ؛ أى منزلة
وشرف . وشرفها لأنه أنزل فيها
كتاب ذو قدر . بواسطة ملك ذى
قدر ، على رسول ذى قدر ، لأمة
ذات قدر . أو لأن للطاعات فيها
قدرًا عظيمًا وثوابًا جزيلاً منه

بذلك الإذلال الشديد .
والسَّفْعُ : القبض على الشيء
وجذبه بشدة . يقال : سفعت
بالشيء ، إذا قبضت عليه وجذبتة
جذبًا شديدًا . وقيل : هو
الاحترق ؛ من قولك : سفعته
النار ، إذا غيرت وجهه إلى حال
تسويده . والثَّاصِيَةُ : شعر مقدم
الرأس . ﴿خَاطِئَةٌ﴾ الخاطيء ؛
هو الذى يأتى الذنب متعمدًا ،
وهو الذى يؤخذ بالعقاب .
والمخْطِئُ : هو الذى يأتبه غير
عامد . ووصف الناصية بالخطائة
على حد : نهار صائم ، أى صائم
صاحبه .

١٧ - ١٨ - ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أى
عشيرته لنصرته فى إيداء الرسول
صلى الله عليه وسلم ، ومنعه من
الصلاة فى المسجد إن قدروا على

المصلّى إن كان على الهدى أو أمر
بالتقوى ! ألم يعلم ناهيه بأن الله
يسأه ! والمفعولان محذوفان
تقديرهما ما ذكرنا . وجواب
الشرط محذوف دل عليه قوله
تعالى : ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ .
١٣ ، ١٤ - ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ
وَتَوَلَّى﴾ أخبرنى ! هذا التاهى
عن الصلاة إن كذب الرسول
وأعرض عن الإيمان ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ
بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ ففعل «أَرَأَيْتَ»
الأول وجواب الشرط محذوفان .
والمفعول الثانى : الجملة
الاستفهامية المذكورة .

١٥ - ١٦ - ﴿كَلَّا﴾ ردع
للتأهى اللعين . ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ﴾
عما هو عليه ويتزجر . ﴿لَتَسْفَعَنَ
بِالْثَّاصِيَةِ﴾ لتأخذن بناصره ،
ولتسحبته بها إلى النار . ولتذكته

وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ۖ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾
 لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا
 لَغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾
 وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَارٍ
 مَبْنُوتَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾
 وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ
 نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ
 إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا
 مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾
 إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾

في عظم جسمها . وشدة قوتها .
 وعجيب هياتها اللاتفة بتأتى ما
 سُخِّرَتْ له من الأعمال الشاقة ،
 وغريب أحوالها وصفاتها .
 ٢٠ - ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ
 سُطِحَتْ﴾ جعل لها سطح لإمكان
 الاستقرار عليها . وهذا لا ينافي
 القول بأنها قرية من السكرة
 الحقيقية لمكان عظمها .
 ٢٢ - ﴿بِمُصَيِّرٍ﴾ أى مُسَلِّط
 عليهم قاهر لهم . تجبرهم على ما
 تريد [أية ٣٧ الطور ص
 ٦٧٣] .
 ٢٥ - ٢٦ - ﴿إِنَّ إِلَيْنَا
 إِيَابَهُمْ﴾ أى إن إلينا رجوعهم

الوسادة الصغيرة .
 ١٦ - ﴿وَزَرَارٍ مَبْنُوتَةٍ﴾ بُسُطُ
 عِراضٍ فاخرة . أو هى الطنافس
 التى لها خَمَلٌ ^(١) رقيق . مبسوطة
 أو مفرقة فى المجالس . واحدها
 زُرْبَى ؛ بالكسر ويضم .
 ١٧ - ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾ فى
 الآية استدلال على القدرة على
 البعث بأربعة أدلة مشاهدة لا
 يستطيعون إنكارها . أى أينكرون
 البعث ويستبعدون وقوعه ؛ فلا
 ينظرون إلى الإبل وهى نصبُ
 أعينهم يستعملونها كل حين .
 كيف خُلِقَتْ خلقاً بديعاً . معدولاً
 به عن سَنَنِ خَلْقِ أَكْثَرِ الْحَيَوانِ ؛

فى النار يشبه الشوك ، أمرٌ من
 الصَّبْرِ ، وأنتن من الجيفة ، وأشدُّ
 حرارةً من النار . وهو فى الدنيا
 يَبْيَسُ الشَّبْرُق ، وهو أخبث طعام
 وأشنعُه ؛ لا تقربه دابةٌ ، وهو سُمٌّ
 قاتل . والمعذبون من الكفار
 طبقات : فمنهم مَنْ طعامه فى النار
 الضَّرِيعُ . ومنهم من طعامه
 الغَسْلِينُ . ومنهم من طعامه
 الرُّقُومُ . ومنهم من شرابه الحميم .
 ومنهم من شرابه الصديد . لكل
 باب منهم جزء مقسوم . نسأل الله
 العفو والعافية ؛ بجمه وكرمه .

٧ - ﴿لَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾
 لا يدفع عنهم جوعاً .
 ٨ - ﴿نَّاعِمَةٌ﴾ ذات بهجة
 وحُسن ؛ من النعمة . أو متَّعَةٌ
 فى الجنة ؛ من النعيم ، وهم
 المؤمنون جزاء إيمانهم وطاعتهم لله
 تعالى .

١٠ - ﴿لَاغِيَةً﴾ أى كلمة ذات
 لَغْوٍ . أو نفساً لاغية . واللغو :
 بَيِّنٌ فى [آية ٣ المؤمنون ص
 ٤٣٥] .
 ١٣ - ﴿سُرُرٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ مرتفعة
 السمك أو رفيعة القدر .
 ١٤ - ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾
 كيزان لا عِزَّاً لها موضوعة بين
 أيديهم . أو على حافات العيون
 للشرب بها .

١٥ - ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾
 وسائدُ صُفِّ بعضها إلى جانب
 بعض فوق الطنافس للاتكاء
 عليها . جمعُ نُثْرَقَةٍ . وهى

(١) الخمل - بفتح فسكون - هذب القطيفة ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول كخمل الطنفة ؛ أى الباط .

(٨٩) سُورَةُ الْفَجْرِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٣٠ نَزَلَتْ بَعْدَ اللَّيْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝
وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ ۝ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّدَىٰ حِجْرِ ۝
الْمَرَّكَيفِ فَعَلَّ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝
الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا

حِجْرًا ، إِذَا كَانَ قَاهِرًا لِنَفْسِهِ
ضَابِطًا لَهَا . وَالْمَشَارِ إِلَيْهِ بِ « ذَلِكَ »
هُوَ الْأُمُورُ الْخَمْسَةُ الْمَقْسَمُ بِهَا .
وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ ، أَيْ هَلْ فِيهَا
ذِكْرٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ مُقَسَّمٌ بِهِ لِذِي
عَقْلٍ يَرَاهُ حَقِيقًا بِأَن يُقَسِّمَ بِهِ
إِجْلَالًا وَتَعْظِيمًا . وَالْمَرَادُ : تَحْقِيقُ
أَن الْكُلَّ كَذَلِكَ ، وَتَقْرِيرُ فَخَامَةِ
شَأْنِهَا ، وَكَوْنُهَا أُمُورًا حَلِيلَةً خَلِيقَةً
بِالْإِعْظَامِ وَالِإِجْلَالِ عِنْدَ
الْعُقَلَاءِ ، وَتَوْصُلًا إِلَى أَن الْإِقْسَامَ
بِهَا أَمْرٌ مَعْتَدٌ بِهِ . خَلِيقٌ بِأَن تَوْكَّدَ
بِهِ الْأَخْبَارُ ، فَيَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى
تَعْظِيمِ الْمَقْسَمِ عَلَيْهِ وَتَأْكِيدِهِ بِطَرِيقِ
الْكِنَايَةِ . وَفَائِدَةُ هَذَا الْقَوْلِ بَعْدَ
الْقَسَمِ بِمَا ذَكَرَ : زِيَادَةُ التَّأْكِيدِ
وَالْتَحْقِيقِ لِلْمَقْسَمِ عَلَيْهِ ، كَمَنْ
ذَكَرَ حِجَّةً بَاهِرَةً ثُمَّ قَالَ : أَفَمَا
ذَكَرْتُهُ حِجَّةً ؟

٦ - ٨ - ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ... ﴾
ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ ثَلَاثَ
أُمَمٍ مُتَمَرِّدَةٍ طَآغِيَةٍ ، كَذَّبَتْ
الرَّسْلَ فَأَهْلَكَهَا اللَّهُ تَعَالَى ،
وَجَعَلَهَا أَحَادِيثَ عِبَرَةً لِأُمَّتِهَا مِنْ
الْمُكَذِّبِينَ . وَعَادٌ هُوَ : عَادُ بْنُ
عَوْصِ بْنِ إِرَمَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ
السَّلَامُ . سُمِّيَ أَوْلَادُهُ بِاسْمِهِ ، كَمَا
سُمِّيَ بَنُو هَاشِمٍ هَاشِمًا . وَقِيلَ
لِأَوَائِلِهِمْ - وَهُمْ الَّذِينَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ
هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ - : عَادُ الْأَوَّلَى
تَسْمِيَةً لَهُمْ بِاسْمِ آبَائِهِمْ . وَإِرَمَ
تَسْمِيَةً لَهُمْ بِاسْمِ جَدِّهِمْ ،
وَالْتَسْمِيَةُ بِاسْمِ الْأَبِ وَالْجَدِّ شَائِعَةٌ
مَشْهُورَةٌ . وَقِيلَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ عَادُ
الْآخِرَةُ . وَ« إِرَمَ » بَدَلٌ أَوْ عَطْفٌ

﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ وَأَقْسَمَ بِعَشْرِ ذِي
الْحِجَّةِ . أَوْ بِالْعَشْرِ الْأَوَّامِ مِنْ
رَمَضَانَ . أَوْ بِالْعَشْرِ الْأَوَّالِ مِنْ
الْمُحَرَّمِ . ﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾
وَأَقْسَمَ يَوْمَ الشَّخْرِ وَيَوْمَ عَرَفَةَ . أَوْ
بِالصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ شَفْعُهَا وَوَتْرُهَا .
وَقُرِئَ بِكسْرِ الْوَاوِ . ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا
يَسِرُّ ﴾ وَأَقْسَمَ بِاللَّيْلِ وَقَدْ
يُسْرَى فِيهِ . وَإِسْنَادُ السَّرَى إِلَيْهِ
مَجَازٌ . عَلَى حَدِّ : لَيْلٌ نَائِمٌ . أَيْ
يُنَامُ فِيهِ . وَحُذِفَتْ يَأْوُهُ عِنْدَ
الْجُمْهُورِ وَصَلًا وَوَقْفًا اكْتِفَاءً عَنْهَا
بِالْكُسْرَةِ : لِلتَّخْفِيفِ وَلِتَوَافِقَ
رِعْوَسِ الْآيِ . وَأَقْسَمَ بِهِ فِي هَذِهِ
الْحَالَةِ لِأَنَّهُ فِيهِ مِنَ السَّرِّ الَّذِي قَدْ
يَقْتَضِيهِ الْحَالُ . ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ
قَسَمٌ لِّدَىٰ حِجْرِ - الْحِجْرِ - بِكسْرِ
أَوَّلِهِ - : الْعَقْلُ ، لِأَنَّهُ يَخْجُرُ
صَاحِبُهُ وَيَمْنَعُهُ مِنَ التَّهَافُتِ فِيهَا لَا
يَنْبَغِي . قَالَ الْقَرَّاءُ : يَقَالُ إِنَّهُ لَذُو

بَعْدَ الْمَوْتِ لَا إِلَى أَحَدٍ سِوَانَا . وَإِن
عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ فِي الْحِشْرِ لَا عَلَى
غَيْرِنَا ، وَنَجَازِيهِمْ جَزَاءً وَفَاقًا .
مَصْدَرُ آبَ : إِذَا رَجَعَ . وَهُوَ
تَهْدِيدٌ وَوَعْدٌ لِلْكَفَّارِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

سُورَةُ الْفَجْرِ

١ - ٥ - ﴿ وَالْفَجْرِ ﴾ أَقْسَمَ اللَّهُ
تَعَالَى بِهَذِهِ الْأَقْسَامِ الْخَمْسَةِ لِشَرَفِهَا
وَعَظَمَتِهَا . وَلَمَّا فِيهَا مِنَ الْفَوَائِدِ
الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ . فَأَقْسَمَ بِالْفَجْرِ
وَهُوَ الصُّبْحُ ، لِأَنَّهُ يَحْصُلُ بِهِ مِنْ
ظُهُورِ الضُّوءِ وَانْتِشَارِ النَّاسِ ابْتِغَاءَ
الرِّزْقِ . وَقِيلَ : هُوَ صَلَاةُ
الْفَجْرِ ، لِأَنَّهُا مَشْهُودَةٌ - يَشْهَدُهَا
مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ .
وَجَوَابُ هَذَا الْقَسَمِ وَمَا بَعْدَهُ
مَحْذُوفٌ - يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ « أَلَمْ تَرَ »
إِلَى قَوْلِهِ « فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ »
تَقْدِيرُهُ : لِيُعَذِّبَنَّ . أَيْ الَّذِينَ
كَفَرُوا بِاللَّهِ وَأَنْكَرُوا الْبَعْثَ .

الصَّخْرَ بِالْوَادِ ٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ١٠ الَّذِينَ
طَفَعُوا فِي الْبِلَدِ ١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ١٢
فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ١٣ إِنَّ رَبَّكَ
لِبَاسِرْصَادٍ ١٤ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ
فَأَكْرَمَهُ ١٥ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ١٦
وَأَمَّا إِذَا
مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ١٧
كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْبَنِينَ ١٨ وَلَا تَحْتَضُونَهُ عَلَى

بيان لـ «عاد» ومنع من الصَّرف باعتبار القبيلة ، وصُرف عاد باعتبار الحى . وقيل : إن «إرم» قبيلة من عاد وهى بيت ملكهم ، فهى بدلٌ من «عاد» بدلٌ بعض من كُلِّ . ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ صفة لقبيلة «إرم» ؛ أى ذات الأعمدة التى تُرفع عليها بيوت الشجر ؛ إذ كانوا أهل خيام وعَمَد ، ينتجعون الغيوث ويطلبون الكَلأ حيث كان ؛ ثم يعودون إلى منازلهم . وقيل : ذات الرفعة والعزة . ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلَهَا ..﴾ صفة أخرى لها ؛ أى لم يخلق فى بلادهم مثلاً فى الأئيد والشدة وعِظَمِ الأجسام . وهم الذين قالوا : ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ (١) وامتننَّ الله عليهم بقوله : ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ (٢) .

٩- ﴿جَاءُوا الصَّخْرَ ..﴾ قطعوا صخرَ الجبال واتخذوا فيها بيوتاً بوادى القرى بالحجر بين الشام والحجاز ؛ كما قال تعالى : ﴿وَتَحِثُّونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ (٣) ؛ من الجُوب . وهو القطعُ والحرق .

١٠- ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ ذى الجنود والعساكر الذين يَشُدُّونَ مُلْكَهُ ؛ كما تُشَدُّ الْأَوْتَادُ الخيام . وقيل لهم ذلك لكثرتهم وكثرة خيامهم التى يضربون أوتادها فى معسكراتهم . أو ذى الأبنية العظيمة الشاهقة التى تُشبه الجبال .

١٣- ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ ..﴾ أنزل بكل منهم نوعاً ولوئاً من العذاب عقوبة لهم . والسَّوْطُ فى الأصل : مصدرٌ ساط يسوط ؛ إذا خلط ، ثم شاع استعماله فى الجلد المضفور الذى يُضرب به . وعُبرَ عن أنزال العذاب بالصَّبِّ وهو الإفراغ والإلقاء ؛ للإيذان بكثرتهم وتتابعه . وسُمِّىَ ضَرْبُ العذاب النازلة بهم سَوْطاً تسميةً للشئ باسم آله .

١٤- ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبَاسِرْصَادٍ﴾ البِرْصَادُ فى الأصل : المكان الذى يقوم به الرصد ويرقبون فيه . والمراد : أنه تعالى يرقب عمل كلِّ إنسان ويحصبه عليه ، ويُجازيه بالخير خيراً ، وبالشرّ شراً ؛ ولا يفوته من الناس أحدٌ ولا من أعمالهم شئ . ومنهم أولئك الجبابرة الطغاة الذين

أفسدوا فى الأرض أكثر إفساد ، وأضرابهم فى ذلك ككفار مكة . ١٥- ﴿ابْتَلَاهُ رَبُّهُ﴾ اختبره وامتنحنه بالتميم . ﴿فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ ..﴾ بالمال الوفير ، والجاه العريض ، وأسباب القوة والعزة ، فيقول : ربي فضلى بذلك ؛ لمزيد استحقاق له ، وكفى له أهلاً . ولا يخطر بباله أنه فَضَّلَ تَفَضُّلاً به الله عليه ؛ ليلوه أيشكر أم يكفر .

١٦- ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ ..﴾ أى اختبره بالحاجة وضيق الرزق ؛ ليرى هل يصبر أم يجزع . ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ ولا يخطر بباله أن ذلك اختبارٌ وليس من الإهانة فى شئ ؛ بل التقدير قد يؤدى إلى كرامة الدارين ، والتوسعة قد تفضى إلى خسرانها . ١٧ . ٢٠- ﴿كَلَّا﴾ ردع

حَرْصُ وَشَرِّهِ . يقال : جَمَّ الماءُ
في الحوض ، إذا كثُر واجتمع ؛
ومنه الْجَمُومُ للبئر الكثيرة الماء .

٢١- ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ وزجرٌ عن
أفعالهم المذكورة . ﴿إِذَا
دُكَّتْ﴾ أي إذا دُكَّتِ الأرضُ
دُكًّا متتابعًا ، حتى انكسر وذهب
كلُّ ما على وجهها من أبنيةٍ
وجبالٍ ، حين زُلزِلَتِ المرَّةَ بعد
المرَّةَ ، فصارت هباءً منثورًا ؛ من
الدَّكِّ بمعنى الكسر والدَّقِّ . أو
سُوِّتِ تسويةً بعد تسوية ، ولم
يبق على وجهها شيء ؛ حتى
صارت ملساء لا ارتفاعَ فيها ؛ من
الدَّكِّ بمعنى حطُّ المرتفع من
الأرض بالنبْطِ والتسوية .

٢٢- ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ هذه الآيةُ
من آيات الصفات التي يجب
الإيمان بها كما جاءت ؛ من غير
تكليف ولا تمثيل ولا تأويل ؛ على
ما ذهب إليه جمهور السلف .
ورَوَى عن الحسن : جاء أمرُه
وقضاؤه . وقيل : هو تمثيلٌ
لظهور آيات قدرته وسلطانه .
﴿وَالْمَلَكُ﴾ ملائكة كل سماء .
﴿صَفًّا صَفًّا﴾ مُصْطَفَيْن . أو
دوى صفوف .

٢٣- ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ ومن
أبْنٍ لَهُ الانتفاعُ بالذِّكْرَى . أو
الاتعاظُ والتوبة ؛ وقد قرط فيها في
الدنيا وأطاع نفسه وهواه .

٢٤- ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي﴾ أي
يقول حين يرى العذاب تنذيرًا على
تفريطه في الدنيا : يا ليتني قدَّمت
أعمالًا صالحةً لأجل حياتي هذه في

طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾
وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ
دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾
وَجِئَاءٌ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى
لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾
فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿٢٥﴾ وَلَا يُؤْتِيكَ وَلَاقَهُ-
أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجَعِيَ إِلَى
رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾
وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

المال وشحَّكم به ؛ فلا تَبْرُون به
أشدَّ الناس حاجةً إليه ، وهم
فقراء السَّامِي . ﴿وَلَا
تَحَاضُونَ﴾ أي لا يَحْتُ
بعضكم بعضًا على إطعام
المساكين ؛ ومن لازم ذلك أنهم
لا يُطعمونهم من أموالهم .
والخضُّ على الشيء : التَّغْيِبُ
فيه . ﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ﴾ أي
المال الموروث . ﴿أَكْلًا لَمًّا﴾ أي
شديدًا لا تتركون منه شيئًا ، لا
فرق بين حلال وحرام ، ولا بين ما
يُحَمَّد وما لا يُحَمَّد . والمراد :
أنكم تجمعون في أكلكم بين
نصيبكم من الميراث ونصيب
غيركم . وكانوا لا يورثون الصغار
والنساء . ﴿حُبًّا جَمًّا﴾ كثيرًا مع

للإنسان عن قوله المحكيين عنه .
وتكذيبٌ له فيها ؛ فإن الإكرامَ
والإهانة لا يدوران على سعة المال
وضيقه . فقد بُوْسِعَ على الكافر
وهو مهانٌ ، وقد بُضِيقَ على
المؤمن وهو مُكْرَمٌ ؛ للاختبار
والامتحان حسبًا تقتضيه الحكمة
الإلهية . والواجبُ على الإنسان
في حالتي السَّعة والضَّيق أن يُحَمِّدَ
الله تعالى على سائر نعمه التي لا
تُحصى ، ويشكر عند الغنى ،
ويصبر عند الفقر . ﴿بَلْ لَا
تُكْرِمُونَ النَّيِّمَ﴾ التفاتٌ إلى كفار
مكة الداخلين فما سبق دخولاً
أولًا ، لتشديد التثريح والتوبيخ .
أي بل لكم أحوالٌ أشدَّ شَرًّا مما
دُكِرَ ؟ وأدلُّ على تهالككم على



(٩٠) سُورَةُ الْبَلَدِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٢٠ نَزَلَتْ بَعْدَ قُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝
وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ۝

عاقبة الاحتمال الفتح والظفر . وقد
أنجز الله ذلك يوم الفتح .

٣ - ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ ثم أقسم
بآدم عليه السلام وما تناسل منه ؛
لأنهم أعجب خلق الله على وجه
الأرض ؛ لما ركز فيهم من العقل
والإدراك . وقوة الشفق والبيان .

وكسب العلوم بالاجتهاد . وقد
استخلف الله تعالى آدم أبا البشر في
الأرض . وأمر الملائكة بالسجود
له تكريماً له . وقيل : هو قسم
بآدم والصالحين من سلالته .
وقيل : بإبراهيم وإسماعيل
ومحمد ؛ صلى الله وسلم عليهم
أجمعين .

٤ - ﴿فِي كَبَدٍ﴾ في تعب ومشقة
من مكابدة الهموم والشدائد في
الدنيا . لا فرق في ذلك بين
الصالحين وغير الصالحين . ولا بين
أن تكون المشاق والمتاعب في خير
أو شر . فالأنبياء والعُباد
والمجاهدون في سبيل الله في كبد في
الدنيا ، ولهم النعيم في الآخرة .

على أن الإنسان خلق مبتلى
بالعمل . يكابد فيه المشاق ،
ويعاني الشدائد ؛ فلا بُدَّ له من
العزم والجلد . وجواب القسم
قوله : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي
كَبَدٍ﴾ . والمقصود تسليته صلى الله
عليه وسلم .

٢ - ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ﴾ أي وأنت
حلالٌ به ؛ أي في حلٍّ مما تصنع
فيه في سبيل الله . تقتل إن شئت
من أشرك بالله وأبى إلا المحادة
والمُشاقة . وتدع قتله إن شئت .

وقد حرم الله مكة يوم خلق
السموات والأرض إلى أن تقوم
الساعة . ولم يحلها إلا لنبية صلى
الله عليه وسلم ساعة من نهار يوم
الفتح . ولن تحل لأحد بعده .

يقال : هو حلٌّ وحلالٌ ؛ وهو
حَرَمٌ وحرامٌ . وهو مُحَلٌّ وهو
مُحَرَّمٌ . وفي هذه الجملة المعترضة
بين القسم وجوابه بشارة للنبي
صلى الله عليه وسلم بفتح مكة على
يديه . وحلها له في القتال ؛ وأن

الآخرة . أو وقت حياتي في
الدنيا ؛ لأنتفع بها اليوم . واللام
على الأول تعليلية . وعلى الثاني
توقيفية

٢٥ - ﴿لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ﴾
أي لا يعذب كعذاب الله أحدٌ .
ولا يوثق كوثاقه أحدٌ . والضمير
عائدٌ إلى الله تعالى . وقرئ بفتح
ذال (يُعَذِّبُ) وثاء (يُوثَقُ) ؛ أي
لا يعذب أحدٌ في الدنيا كعذاب
الله الكافر يومئذ . ولا يوثق كما
يُوثَقُ الكافر .

٢٧ . ٢٨ - ﴿يَا أَيُّهَا
النَّفْسُ﴾ أي يقول الله تعالى
على لسان ملائكته إكراماً للمؤمنين
عند تمام الحساب : يَا أَيُّهَا النَّفْسُ
السَّاكِنَةُ . الموقنة بالإيمان
والتوحيد . الساعمة بروح
اليقين ؛ بحيث لا يخالطها شكٌ ؛
ولا يعتريها ارتياب . أو المطمئنة
إلى ما وعد الله . المؤمنة بصدقه .
﴿ارْجِعِي﴾ بالثواب الذي أعطاك
الله ﴿مَرْضِيَّةً﴾ عنده عز وجل .

٢٩ - ﴿فَاذْخُلِي فِي﴾ زمرة
﴿عِبَادِي﴾ الصالحين المرضيين .

٣٠ - ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ معهم
للتعيم المقيم . الله أعلم .

سُورَةُ الْبَلَدِ

١ - ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [آية
القيامة ص ٧٦٣] أقسم
سبحانه بالبلد الحرام وهو مكة ؛
لشرفها وحُرْمَتِهَا بالبيت المعظم -

أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا
لُبًّا ﴿٦﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ
عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾
فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾
فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾
بَيْتًا دَامِقَةً ﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِنًا دَامِتَةً ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَةِ ﴿١٧﴾

والجاحدون للنبوة . والحاقدون
والمفسدون في الأرض في كبد في
الدنيا . ولهم وراء ذلك كبد في
الآخرة . والكبد : المشقة . من
المكابدة للشئ . وهي تحمل المشاق
في فعله . وأصله من كبد الرجل -
من باب طرب - فهو أكبد : إذا
وجعته كبده . ثم استعمل في كل
تعب ومشقة .

٥ - ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ ..﴾
أحسب ذلك الإنسان الذي كان
يكابد منه الرسول صلى الله عليه
وسلم ما يكابد . وهو على ما
قيل : الوليد بن المغيرة - أن لن
يقدر على الانتقام منه أحد .

٦ - ﴿يَقُولُ﴾ مفاخرًا مباهاةً
﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُبًّا﴾ أنفقت مالا
كثيراً . يريد كثرة ما أنفقه فيما كانوا
يعذونه في الجاهلية مكارم . أو في
عداوة محمد [صلى الله عليه

وسلم] . يقال : مالٌ لُبْدٌ ، أى
كثير لا يخاف فناؤه . كأنه التبد
بعضه على بعض والتصق . من
تلبّد الشئ : إذا اجتمع .

١٠ - ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ بيّنا
له طريقى الخير والشر . وهو
كقوله : ﴿أَنَا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا
شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (١) . أو ألهمناه
التبميز بينهما . ثم وهبناه الاختيار
لأيهما . والتجدد : الطريق
المرتفع . وجمعه تجدد . ومنه
سميت نجد . لارتفاعها عن
انخفاض تهامة . ووصف طريق
الشر بالرفعة إنما هو على سبيل
التغليب . وقيل النجدان :
التيان . وهما كالطريقين لحياة
الولد ورزقه .

١١ - ﴿فَلَا اقْتَحَمَ
الْعَقَبَةَ﴾ أى فلا اكسب ذلك
الإنسان بماله الكثير الأعمال

العظيمة التي لها عند الله رفعة
ومنزلة . وهى فك رقبة أو إطعام
يتيم أو مسكين . بدل إنفاقها
رياءً وسُمعةً فيما لا يُعتدُّ به من
الأعمال . أو في عداوة الرسول
صلى الله عليه وسلم . ولا آمن
بالله . والاقترحام في الأصل :
الدخول في الشئ بسرعة وشدة
من غير روية . يقال : قَحِمَ في
الأمْر قَحُومًا - من باب نصر -

رمى بنفسه فيه من غير روية
والعقبه في الأصل : الطريق الوعر
في الجبل . استعيرت للأعمال
المذكورة لصعوبتها على النفوس .
واقترحامها : فعلها وتحصيلها
والدخول فيها . وقيل : العقبه
النار أو جبل فيها . واقترحامها :
مجاورتها بمجاهدة النفس في طاعة
الله في الدنيا . أو هى الصراط على
مثن جهنم . واقترحامها : المرور
والجواز عليه بسرعة . أى فلا فعل
ما ينجوه به ويجوز بسببه العقبه
الكثود يوم القيامة . ﴿وَمَا أَدْرَاكَ
مَا الْعَقَبَةُ﴾ أى أى شئ أعلمك
ما اقترحام العقبه ؟

١٣ - ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ أى هو - أى
اقترحامها - إعتاق رقبة وتخليصها
من إيسار الرق والعبودية .
والفك : تخليص الشئ من
الشئ . ١٤ ، ١٨ - ﴿ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أى
مجاعة . مصدر ميمى بمعنى
السَّعْب . يقال : سَعَبَ الرجل -
كفرح ونصر - إذا جاع . ووصف
اليوم بذلك على حد : نهاره
صائم

١٥ - ﴿ذَا مَثَرَةٍ﴾ أى قرابة . مصدرٌ ميميٌّ ؛ من قرب في النسب . يقال : فلان ذو قرابتي وذو مقربتي ؛ بمعنى أن نسي يتصل بنسبه .

١٦ - ﴿ذَا مَثَرَةٍ﴾ أى حاجة واقتدار شديد . مصدرٌ ميميٌّ ؛ من تَرَبَّ الرجل - من باب طَرَبَ - إذا افتقر ؛ كأنه لصق بالتراب من الفقر ؛ وليس له مأوى سوى التراب . وأما أترب فعناه استغنى ؛ كأنه صار له مال كالتراب في الكثرة ؛ كما قيل في أثرى .

١٧ - ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ عطفٌ على «افْتَحَمَ» المنفى ؛ فكانه قيل : فلا اقتحم ولا آمن ؛ فتكون (لا) مكررة في المعنى . ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ أى بالرحمة على عباده تعالى .

١٨ - ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بهذه الصفات الجليلة : ﴿أَصْحَابُ الْمِيمَنَةِ﴾ أى جهة اليمين التى فيها السعداء . أو جهة الذين يؤتون كتبهم بأنهم .

١٩ - ﴿أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ أى جهة الشمال التى فيها الأشقياء . أو جهة الذين يؤتون كتبهم بشئائهم .

٢٠ - ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ أى مُطَبَّقَةٌ مغلقة أبوابها عليهم ؛ تشديدًا في عذابهم . وقرئ بالواو ؛ من آصدت الباب وأوصدته ؛ إذا أغلقته وأطبقته .

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمِيمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾

(٩١) سُورَةُ الشَّمْسِ مَكِّيَّةٌ
وآيَاتُهَا ١٥ نَزَلَتْ بَعْدَ الْقَدَارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا

والاسمُ فيها الإصاؤُ والوصاد . تعالى ووحدانيته . وأقسم بنفسه والمرادُ : أنه لا ضوء فيها ولا فرج . ولا خروج منها أبدًا . والله أعلم .

سُورَةُ الشَّمْسِ

في هذه السورة ترغيبٌ في تزكية النفوس وتطهيرها بالإيمان والطاعة . وترهيبٌ من خسرانها بالكفر والمعاصي . وإنذارٌ لكفار مكة وأضرابهم . أن يصيبهم من العذاب ما أصاب ثمودَ حين كذبوا رسولهم ؛ وعقروا الناقة . وهى آية الله على صدقه في رسالته . وقد أقسم الله تعالى فيها بكائنات عظيمة النفع والآثار في العالم العلوي والسفلي ؛ دالةً بوجودها واختلاف أحوالها على كمال قدرته

تعالى ووحدانيته . وأقسم بنفسه تعالى ؛ إذ كان سبحانه الموجد والمبدع والمدير لها . أو بفعله الحكيم المتقن فقال :

١ - ٣٠ - ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ أقسم بالشمس . وهى من العظم والتفع للخلق بالمكان الذى لا يخفى . ويضحاها أى ضوئها . إذا أشرقت وارتفعت . ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا﴾ أى تبعها وخلفها في الإضاءة ؛ بأن يطلع مضيئًا بعد غروبها آخذًا من نورها ، سواء كان ذلك من غير تراخ . وهو في النصف الأول من الشهر . أو بعد مدة وهو في النصف الثانى منه . ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا﴾ أى جلى الشمس وأظهرها ؛ فإنها تنجلي إذا انبسط النهار ومضت منه

مصدر كالطغيان ، واختير التعبير به لأنه أشبه برؤوس الآي . ﴿ إِذْ أَنْبَعَتْ أَشْقَاهَا ﴾ أى قام مسرعاً أشقى ثمود ، وهو قدار بن سالف ومن معه من الأشقياء لعقر الناقة . وأنبعث مطاوع بعث ، تقول : بعثت فلاناً على الأمر . إذا أرسلته ، فانبعث له . ﴿ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ أى احذروا عقر ناقة الله ، واحذروا سقياها ، أى شربها الذى اختصها الله به فى يومها . فلا تمنعوها عنه فى نوبتها ولا تستأثروا به عليها ، منصوب على التحذير . والسقيا : مصدر كالرجعى . ﴿ فَمَذْمَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ ﴾ أهلكهم وأطبق عليهم العذاب ﴿ بِذَنبِهِمْ ﴾ وهو الكفر والعقر . يقال : ذمذم عليه القبر . أى أطبقه . أو أتم العذاب عليهم . والذمذمة : إهلاك باستئصال . ﴿ فَسَوَّاهَا ﴾ جعل الذمذمة عليهم سواءً ، فلم يفلت منهم أحد إلا من آمن مع صالح عليه السلام . ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ أى ولا يخاف الله من أحد تبعة إهلاكهم ، كما يخاف المعاقبون من الملوك تبعة ما يفعلون . وفى ذلك غاية الاحتقار لهم . والله أعلم .

سَوَّاهَا ﴿ ٧ ﴾ فَالْهَمَهَا جُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿ ٨ ﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿ ٩ ﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿ ١٠ ﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿ ١١ ﴾ إِذْ أَنْبَعَتْ أَشْقَاهَا ﴿ ١٢ ﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿ ١٣ ﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿ ١٤ ﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿ ١٥ ﴾

مدة ، وهو وقت الضحى والضحاء . وقيل : جلّى الدنيا ، أى وجه الأرض وما عليه .

٤ : ٦ - ﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾ أى يغشى الشمس فيغضى ضوءها ، أو يغشى الدنيا بظلمته . ﴿ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ﴾ أى ومن أوجدها وأنشأها بقدرته . وإيثار « ما » على « من » لإرادة الوصفية تفخيماً وتعظيماً ، كأنه قيل : والقادر العظيم الذى بناها . ﴿ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا ﴾ أى ومن بسطها من كل جانب ، ووطأها للاستقرار عليها ، كدحّاها .

٧ : ١٠ - ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ أى والنفس ومن أنشأها وأبدعها مستعدة لكألاها ، وذلك بتعديل جميع قواها وأعضائها . وقيل : إن « ما » فى الآيات الثلاث مصدرية ، فيكون القسم ببناء

١١ : ١٥ - ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴾ أى بسبب طغيانها وتجاوزها الحد بالكفر .

سُورَةُ اللَّيْلِ

أقسم الله تعالى بأقسام ثلاثة .
على أن أعمال الناس مختلفة :
بعضها هُدى . وبعضها
ضلال ؛ كما أن أحوال الليل
والنهار والمخلوقات مختلفة .
فقال :

١ : ٣ - ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾
أى أقسم بالليل كله حين يغطي
النهار بظلمته فيذهب ضوءه .
كقوله تعالى : ﴿ يَغْشَى اللَّيْلَ
الْكَهَارُ ﴾ (١) . أو حين يغطي كل
شئ بظلمته ؛ من الغشية بمعنى
الغطية . وإنما أقسم به تعالى لعظم
فائدته ؛ إذ يأوى فيه كل حيوان
إلى مأواه . ويسكن فيه الخلق عن
الحركة . ويغشاهم النوم الذى
جعله الله راحة للأبدان . وغذاء
للأرواح . ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾
وأقسم بالنهار حين ينكشف ويظهر
بزوال ظلمة الليل ؛ من الجلاء
بمعنى الظهور . إذ به ينكشف ما
كان مستوراً بظلمة الليل ؛ وفيه
الحركة والعمل . ﴿ وَمَا خَلَقَ
الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾ وأقسم بمن خلق
الصفين : الذكر والأنثى فى
الإنسان والحيوان والنبات لبقاء
النوع ؛ يعنى نفسه عز وجل .
وعبر بـ « ما » لقصد الوصف ؛
كأنه قيل : والقادر العظيم
القدرة : الذى خلق صفى
الذكر والأنثى . وقيل : المُقَسَّم
به خلق الصفين . وجواب القسم
على القولين قوله تعالى :

٤ - ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾ أى إن

(١) آية ٥٤ الأعراف . آية ٣ الرعد .

(٩٢) سُورَةُ اللَّيْلِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَاتُهَا ٢١ نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَعْلَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَمَا خَلَقَ
الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤) فَأَمَّا مَنْ
أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنِيَرُهُ
لِلْبُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ
بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ
مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (١١) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (١٢) وَإِنَّ

٧ - ﴿ فَسَنِيَرُهُ لِلْبُسْرَى ﴾ فسنيته
للمحصلة التى تؤدى إلى يسر
وراحة . وهى الأعمال الصالحة
التي تورث الخير والفلاح فى الدنيا
والآخرة .
٨ : ١١ - ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ ﴾
بماله فلم يؤد حق الله فيه . أو لم
ينفق منه فى سبيله .
﴿ وَاسْتَغْنَى ﴾ زهد فيها عند الله ؛
كانه مستغن عنه سبحانه ! فلم
يتق . أو استغنى بنعيم الدنيا عن
نعم العقصى . ﴿ وَكَذَّبَ
بِالْحُسْنَى ﴾ وهى ما أسلفنا بيانه .
﴿ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ فسنيته
للمحصلة التى تؤدى إلى عسر
وشدة . وهى الأعمال السيئة التى
تورث الحُسران فى الدنيا

مسايعكم لمختلفة متباعدة ؛ فإن
منكم المؤمن والكافر . والمطيع
والعاصى . والساعى فى فكاك
نفسه من النار . والقاذف بنفسه
فيها . و« سَعْيَكُمْ » مصدر مضاف
فيفيد العموم ؛ فهو فى معنى
الجمع ؛ أى مساعيتكم .
و« شَتَّى » أى متفرقة . جمع
شيت ؛ من شَتَّ يَشِتُّ أى
تفرق . والاسم الشَّتَاتُ .
٥ : ٦ - ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى ﴾ حق
الله تعالى . أو أنفق فى سبيله مما
عنده من الفضل . ﴿ وَاتَّقَى ﴾
محارمه ومعاصيه . ﴿ وَصَدَّقَ
بِالْحُسْنَى ﴾ أى أيقن بالمحصلة
الحسنى وهى الجنة . أو الحَلَف
فى الدنيا مع المضاعفة عما أنفق .

الْأَشْقَى ﴿ لا يُعْذِبُ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا . ولا يقيسُ جرَّها على وجه الأشدِّيَّة إلا الكافر الذى كذب بالحق ، وأعرض عن الطاعة . قيل : نزلت فى أمية بن خلف ونظرائه من المكذبين .

١٧ - ﴿ وَسِجِّبُهَا الْأَنْقَى ﴾ وسيعبد عنها بالكلية المبالغ فى اتقاء الكفر والمعاصى .

١٨ - ﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴾ أى يتطهر به من الذنوب . أو يطلب به أن يكون عند الله زاكياً . إذ لم يؤته رياء ولا سمعة . نزلت فى الصديق رضى الله عنه .

١٩ - ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ أَنْ لَا يَفْعَلَ الْخَيْرَ ذَلِكَ الْأَنْقَى ﴾ جزاء على نعمة سلفت إليه من أحد ، لكأنه يفعله ابتداءً خالصاً لوجه الله تعالى .

٢١ - ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾ وعد من الله لأنى بكر بنيل جميع ما يستغيبه على أكمل الوجوه وأجملها . والله أعلم .

سورة الضحى

نزلت هذه السورة على الرسول صلى الله عليه وسلم ، تكديماً لقريش فى قولهم لما أبطأ عليه الوحى أياماً : قد ودَّع محمدًا ربُّه وقلاه . فقال تعالى :

١ - ٣ - ﴿ وَالضُّحَى ﴾ أقسم بالضحى . وهو وقت ارتفاع الشمس وإشراقها ، وهو وقت نشاط الحركة ، والإقبال على العمل . ﴿ وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى ﴾

لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿ فَاذْهَبْ نَارًا تَلْطَفُ ﴿ لا يَصْلَحُهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿ الَّذِي كَذَبَ وَتَوَلَّى ﴿ وَسِجِّبُهَا الْأَنْقَى ﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿

(٩٣) سُورَةُ الضُّحَى مَكِّيَّةٌ
وَأَيَاتُهَا ١١ نَزَلَتْ بَعْدَ الْفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ﴿ وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿ وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴿ وَلَسَوْفَ

إذا سقط يوم القيامة فى الهاوية . والتردى : السقوط . ١٢ - ﴿ إِنْ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾ أى لبيان الحق من الباطل . وطريق الأول لا تبعه ، وطريق الثانى لا يجتنابه . ١٣ - ﴿ وَإِنَّا لَنَا ﴾ أى وإن لنا التصرف الكامل فيها كيفما نشاء . ففعل فيها ما نشاء . ومن ذلك ما ذكرنا فىمن أعطى وفىمن بخل . ١٤ - ﴿ فَاذْهَبْ نَارًا تَلْطَفُ ﴾ تلهب وتنفقد . وأصله : تَلَطَّى ، من اللَّطَى وهو اللَّهَبُ الخالص . ١٥ - ﴿ لَا يَصْلَحُهَا إِلَّا

والآخرة . وأصل التيسير : التيسر . والتسهل . يقال : تيسر للقتال . واستيسر له الخروج : أى تيسر له . وتيسر واستيسر : تسهل . وتكون فى الخير والشر ، ومنه ما فى الحديث : (اعملوا وسدُّوا وقاربوا فكل مسرلاً خلق له) (١) أى مهياً مصروف مسهل . وقيل المعنى : فأما من أعطى فسئلطف به ونوفقه حتى تكون الطاعة أيسر شىء عليه . وأما من بخل فسخذله ونمعه الألفاف حتى تكون الطاعة أغسر شىء عليه . ﴿ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ ﴾ أى أى شىء يغنى عنه ماله الذى بخل به

(١) رواه عبد الله بن الإمام أحمد بسند حسن .

يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴿٦﴾
وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿٨﴾
فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾
وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

الصلاة والسلام ما كفر بالله قط ! ولا أشرك به قط ! فلم يعبد وثناً . ولم يؤله صنماً . ولم يشهد لذلك رسماً . وقد عصمه ربّه من ذلك قبل النبوّة . واهتدى إلى الإيمان بالله بفطرته : ولم تغب عنه إلا تفاصيل شريعته ، حتى جاءه الحقّ من ربّه . فعلمه منها ما لم يكن يعلم ، وكان فضل الله عليه عظيماً . ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾ فقيراً لا مال لك . ﴿فَأَغْنَى﴾ فرضاك بما أعطاك من الرزق . وذلك حقيقة الغنى ، وفي الحديث (ليس الغنى عن كثرة العرض . ولكن الغنى غنى النفس) . من عال الرجل يعيل عيلة . إذا افتقر واحتاج . وإغناؤه صلى الله عليه وسلم : إعطاؤه الكفاف من العيش .

٩ - ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ فلا تستذله ولا تحقره . ولا تظلمه ولا تغلبه على ماله ، ولا تؤذ به بأى نوع من أنواع الأذى ، فقد كنت يتيماً . وفي الحديث (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا) وأشار

بما ﴿فَقَرَضَى﴾ . ثم عدّد الله من فنون الثمّ العظيمة التي أفاضها على رسوله صلى الله عليه وسلم من أول أمره إلى وقت النزول . ثلاث نعم جزيلة ، تقوية لقلبه . وشرحاً لصدوره . والبدايات دلائل النهايات . والسوابق شواهد على اللواحق - فقال : ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ حين مات أبوك . ولم يخلف لك مالاً ولا مأوى . ﴿فَأَوَى﴾ فأواك وضمّك إلى من يقوم بأمرك ، حيث كفلك جدك عبد المطلب . ثم من بعده عمك الشقيق أبو طالب فأحسن تربيتك . ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ غافلاً عن معالم النبوّة وأحكام الشريعة التي لا تهتدى إليها العقول وحدها ، كما قال تعالى : (مَا كُنْتَ تَذَرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ) ^(١) . ﴿فَهَدَى﴾ فهداك إلى مناهجها في تضاعيف ما أوحى إليك من الكتاب المبين . وعلمك ما لم تكن تعلم . أمّا أصل الإيمان بالله فإنه عليه

وَأَقْسَمَ بِاللَّيْلِ حِينَ يَسْكُنُ . يقال : سجا الليل وغيره يسجوا سجواً وسجواً . سكن ودام : ومنه ليلة ساجية : إذا كانت ساكنة الريح . أو أقسم به حين يمتدّ بظلامه . وذلك وقت السكون وانقطاع الحركة . وجواب القسم قوله تعالى : ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ ما تركك منذ اختارك : من التوديع وهو في الأصل : الدعاء للمسافر ببلوغ الدّعة وخفض العيش . ثم تُعرف في تشيع المسافر وتركه : ثم استعير للترك مطلقاً . وقرئ (وَدَّعَكَ) بالتخفيف بمعنىاه . ﴿وَمَا قَلَى﴾ ما أبغضك ربك منذ أحبك : من القلى وهو شدّة البغض . يقال : قلاه بقله قلى وقلاه . أبغضه وكرهه غاية الكراهة . كما تقول : قرئت الضيف أقربه قرى وقرأ .

٤ : ٨ - ﴿وَلَلْآخِرَةُ ..﴾ بشارة من الله لنبىه صلى الله عليه وسلم بأنه مع مواصلته إياه بالوحي والكرامة . وتخصيصه بمنزلة رفيعة لم يدركها من قبله ، سيّوته في الآخرة ما هو أجل وأعظم مما أعطاه في الدنيا . ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ من خيرى الدنيا والآخرة كلّ ما فيه رضا لك : من نصر وتمكين وفتح ، وإعلاء لكلمة الله على لسانك . وبدعوتك وجهادك ، وتكثير لأتباعك ، وتفضيل لأمتك ، ومقامات وكرامات لا يحيط بها إلا

(٩٤) سُورَةُ الشَّرْحِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الضَّحَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾
الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾
فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾
فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾

بالقلب أو الصدر يراد منه بسطه بنور الهی وسکینه من الله وروح منه . والاستفهام للتقرير . أى قد شرحنا

٢ - ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ ..﴾ حَقَّقْنَا عَنكَ ما أثقل ظهرك من أعباء النبوة والرسالة . حتى تقوم بها وتبلغ رسالة ربك . والوزر : الحمل الثقيل

٣ - ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ أى أثقله وأوهنه حتى سمع له نقيض . وهو الصوت الخفى الذى يُسمع من الرّحْل فوق البعير . يقال : أنقض الرّحْل ظهر البعير . إذا سمع له صرير من شدة الحمل . وسمعت

نقيض الرّحْل : أى صريره . والفعل كَنَصَرَ . أو عصمناك من الذنوب . وطهرناك من الأدناس التى تنقض ظهرك لو وقعت . وعبر عن ذلك بالوضع مبالغة فى انتفاء الذنوب عنه . كما يقول القائل لمن لم يزره : رفعتُ عنك مشقة الزيارة . مبالغة فى انتفاء الزيارة منه له .

٤ - ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ تَوَهَّنَا بِاسْمِكَ . وجعلناه مذكورًا على لسان كل مؤمن فى المشارق والمغارب . مقرونًا باسمنا فى كلمتى الشهادة والأذان والإقامة والشهادة والخطة وغير ذلك . وقد جعل الله طاعته طاعته . وصلى عليه فى ملائكته . وأمر المؤمنين بالصلاة عليه . وخاطبه بالألقاب وذكره فى كتب الأولين .

٥ - ٦٠ - ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾

بالسبابة والوسطى وقرج بينهما . أى إذا أحسن كفايته واتقى الله فيه . والخطاب له ولأمته .

١٠ - ﴿وَأَمَّا السَّائِلُ﴾ ذا الحاجة إلى مال أو علم . ﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾ فلا تزجره ولا تغلظ له القول ولا تعبس فى وجهه . بل استعفه بطلوبه ما استطعت . يقال : نهرو وانتهرو . إذا استقبله بكلام يزجره .

١١ - ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ أى بما أنعم عليك من النعم العظيمة ﴿فَحَدِّثْ﴾ أى فاذكرها وأذعها . وذلك شكرها . والخطاب له ولأمته . وإنما يجوز لغيره صلى الله عليه وسلم التحدث بما عمله من الخير إذا أمن على نفسه الفتنة . وقصد اقتداء الناس به . ونُذِبَ التَّكْبِيرُ عند خاتمة هذه السورة وما بعدها إلى آخر القرآن

كما عَدَدَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم بعض نِعَمِهِ الْعَظِيمَةِ عليه فى السورة السابقة . ذَكَرَ له فى هذه السورة نِعَمًا أُخْرَى جَلِيلَةً . حَاتًّا له بذلك على شكره على ما أنعم . ليستوجبَ بذلك المزيد منه . فقال :
١ - ﴿أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ أَلَمْ تُوسِّعْ صَدْرَكَ بما أودعنا فيه من الهدى والمعرفة والإيمان والفضائل والعلوم والحكم . ونَفْسِخَهُ بتيسير تلقى ما يوحى إليك بعد ما كان يشق عليك ؟! والشرح فى الأصل : التوسعة . يقال : شرح الشيء . وسَّعَهُ . وإذا تعلق



(٩٥) سُورَةُ التِّينِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٨ نَزَلَتْ بَعْدَ الْبُرُوجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا
الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ
تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾

مَكَّةُ الْمُشْرِفَةُ الَّتِي فِيهَا الْبَيْتُ
الْمُعَظَّمُ ، وَفِيهَا وُلِدَ وَبُعِثَ أَشْرَفُ
الْخَلْقِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
وَسِينِينَ وَسِينَاءُ - وَيَفْتَحُ -
وَسِينًا : اسْمٌ لِلْبُقْعَةِ الَّتِي فِيهَا
الْجَبَلُ . أَوْ مَعْنَاهُ : الْمُبَارَكُ
الْحَسَنُ ؛ وَإِضَافَةُ (طُورٍ) إِلَيْهِ مِنْ
إِضَافَةِ الْمَوْصُوفِ إِلَى الصِّفَةِ .
وَيُحْوِزُ فِي إِعْرَابِهِ أَنْ يُجْرَى مُجْرَى
جَمْعِ الْمَذْكُورِ السَّالِمِ ، وَأَنْ يَلْزِمَ
الْبَيَاءُ وَتُحَرِّكَ النُّونُ بِحَرَكَاتِ
الْإِعْرَابِ .
٣ - ﴿الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ أَيُّ الْآمِنِ
فِي الدَّارَيْنِ دَاخِلُهُ مُؤَمَّنٌ بِاللَّهِ ، مِنْ
أَمْنِ الرَّجُلِ أَمَانَةً - كَكَرَمَ - فَهُوَ
آمِنٌ . أَوْ الْمَأْمُونُ فِيهِ مِنْ
الْغَوَائِلِ ، مِنْ أَمْنِهِ : أَيُّ لَمْ
يُخَفِّهِ .
٤ ، ٥ - ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ..﴾
جَوَابُ الْقَسَمِ ؛ أَيُّ لَقَدْ خَلَقْنَا

جَنَسَ الْإِنْسَانِ فِي أَعْدَلِ قَامَةٍ ،
وَأَحْسَنِ صُورَةٍ ، مَكْمَلًا بِالْعَقْلِ
وَالْمَعْرِفَةِ ، وَمُتَّصِفًا بِالْحَيَاةِ
وَالْعِلْمِ ، وَالْإِرَادَةِ وَالْقُدْرَةِ ،
وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْكَلَامِ ،
وَالتَّوْبِيرِ وَالْحِكْمَةِ . وَالتَّقْوِيمُ :
التَّثْقِيفُ وَالتَّعْدِيلُ . ﴿ثُمَّ
رَدَدْنَاهُ ..﴾ أَيُّ رَدَدْنَاهُ أَقْبَحَ مِنْ
قُبْحِ صُورَةٍ ، وَأَشْوَهُهُ خَلْقُهُ ؛
لِعَدَمِ جَرَيَانِهِ عَلَى مَوْجِبِ مَا خَلَقْنَاهُ
عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي لَوْ عَمِلَ
بِمُقْتَضَاهَا لَكَانَ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ .
وَالْمُرَادُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ . وَقِيلَ :
رَدَدْنَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ التَّقْوِيمِ أَسْفَلَ مِنْ
سَقَلِ صُورَةٍ وَشَكْلًا ؛ بِالْهَرَمِ بَعْدَ
الشَّبَابِ ، وَالضَّعْفِ بَعْدَ الْقُوَّةِ ،
وَالْعَجْزِ بَعْدَ الْقُدْرَةِ ؛ كَمَا قَالَ
تَعَالَى : (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلٍ
الْعُمُرِ) ^(١) . وَقَالَ : (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ
نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ) ^(٢) .

أَيُّ خَوْلَانِكَ مَا خَوْلَانِكَ مِنَ الْفَضْلِ
وَالْكَرَامَةِ ؛ فَلَا تَيَاسَّ مِنْ فَضْلِ
اللَّهِ تَعَالَى . فَإِنَّ بَعْدَ الشَّدَةِ الَّتِي
أَنْتَ فِيهَا مِنْ مُقَاسَاةِ بَلَاءِ الْمَشْرِكِينَ
يَسْرًا عَظِيمًا ؛ أَيُّ فَرْجًا وَسَعَةً
بِإِظْهَارِكَ عَلَيْهِمْ . ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ
يُسْرًا﴾ أَيُّ إِنْ مَعَ ذَلِكَ الْعُسْرِ يُسْرًا
آخَرَ ، وَلَنْ يَغْلِبَ عُسْرُ يُسْرَيْنِ !
٧ - ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ لَمَّا
عَدَّدَ اللَّهُ نِعَمَهُ السَّابِقَةَ ، وَوَعَدَهُ
بِالنَّعْمِ الْآتِيَةِ : بَعَثَهُ عَلَى الشُّكْرِ
وَالِاجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ ، وَالتَّصَبُّبِ
فِيهَا . وَالْأَيُّ يَخْلِي وَقْتًا مِنْ أَوْقَاتِهِ
مِنْهَا ؛ فَإِذَا فَرَغَ مِنْ عِبَادَةِ أَتْبَعَهَا
بِأُخْرَى . وَالتَّصَبُّبُ : التَّعَبُّ
وَالِإِعْيَاءُ .

٨ - ﴿وَالِإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾
اجْعَلْ رَغْبَتَكَ - أَيُّ ضِرَاعَتَكَ -
وَمَسْأَلَتَكَ إِلَى رَبِّكَ ، لَا إِلَى
غَيْرِهِ ؛ فَهُوَ وَحْدَهُ الْقَادِرُ عَلَى
إِجَابَتِكَ وَإِسْعَافِكَ . يَقَالُ :
رَغِبْتُ إِلَى فُلَانٍ فِي كَذَا ، سَأَلْتُهُ
إِيَّاهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

سُورَةُ التِّينِ

١ - ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ..﴾
أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِبِقَاعِ مَبَارَكَةٍ
عَظِيمَةٍ ، ظَهَرَ فِيهَا الْخَيْرُ وَالْبَرَكَةُ
بِسُكْنَى الْأَنْبِيَاءِ . فَالَّتَيْنِ
وَالزَّيْتُونَ : مَجَازٌ عَنْ مَنَابِتِهِمَا
بِالْأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ ، وَفِيهَا مُهَاجِرُ
إِبْرَاهِيمَ ، وَمَوْلَدُ عِيسَى وَمَسْكَنُهُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَطُورُ سِينِينَ :
الْجَبَلُ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَالْبَلَدُ الْأَمِينُ :

(١) آية ٧٠ النحل . (٢) آية ٦٨ يس .

٨- ﴿الْيَسَّ اللَّهُ﴾ الذي فعل ما أنبأناك ﴿بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ أي أنفذهم صنعا وتدبيراً . أو أحكمهم قضاءً بالحق وعدلاً بين الخلق ؟؟ والاستفهام للتقرير بما بعد التثنية . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا قرأها قال : (بلى !) وأنا على ذلك من الشاهدين . والله أعلم

سورة العلق

١- ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ..﴾ في الحديث الصحيح : أن أول ما نزل به جبريل عليه السلام من القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتحدث بغار حراء في شهر رمضان - صدر هذه السورة إلى قوله (مَا لَمْ يَعْلَمْ) . ثم نزل آخرها بعد ذلك بما شاء الله تعالى . وبعد نزول صدرها فتر الوحي ، ثم فاجأه الملك الذي جاءه بحراء ، فرعب منه صلى الله عليه وسلم . فرجع إلى أهله يقول : (زملوني زملوني) وفي رواية (دثروني) . فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ - ثَمَّ - يَا أَيُّهَا الْمُرْمِّلُ﴾ ثم حمى الوحي وتتابع : أي اقرأ ما يوحي إليك من القرآن ، مفتتحاً باسم ربك الذي له الخلق . أو الذي خلق كل شيء .

٢- ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ أي جنس الإنسان من بني آدم . وخصه بالذكر لكونه أشرف المخلوقات ، وفيه من بدائع الصنع والتدبير ما فيه . ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ دم جامد . وهو الطور الثاني من أطوار تحلق

فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ بِالَّذِينَ ۝ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝

(٩٦) سُورَةُ الْعَلَقِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ١٩ وَهِيَ أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ كَلَّا إِنَّ

ممنون ؛ لصبرهم على ما ابتلوا به من الهرم المانع لهم عن النهوض لأداء وظائفهم من العبادة . والاستثناء منقطع بمعنى لكن ؛ لدفع ما يتوهم من أن التساوي في أرذل العمر يقتضي التساوي في غيره .

٧- ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ ..﴾ خطاب للإنسان الكافر على طريق الالتفات ؛ لتشديد التوبيخ والتفريع . والاستفهام إنكارى ؛ أي فأى شيء يضطرك بعد ما بينا من الدليل القاطع على القدرة على البعث والجزاء . إلى أن تكون كاذباً بسبب تكذيبك بالجزاء الذي يكون بعد البعث والحساب ؟! فإن كل مكذب للحق فهو كاذب .

والسافلون : هم الضعفاء والرمثى والأطفال . وأسفلهم : الهرم . والمردود على المعنيين : بعض أفراد الجنس .

٦- ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ..﴾ وجروا على موجب تلك الصفات التي منحهم الله أيها ، وأنشأهم عليها . ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي غير مقطوع عنهم . أو غير ممنون به عليهم جزاء إيمانهم واستمسكهم بالحق وقيامهم بما تقتضيه تلك الصفات . ولا تقبح صورهم يوم القيامة ؛ بل يزدادون بهجة وحسناً . والاستثناء متصل من ضمير (رَدَدْنَا) العائد على الإنسان ، فإنه في معنى الجمع . أو لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى لهم أجر غير

المادة الإنسانية . والمراد : التنبيه إلى ما بين حالتيه الأولى والآخرة من التباين البين . وأن الذي خلقه من هذه المادة ثم سواه بشراً في أحسن تقويم . قادرٌ على كل شيء .

٣ - ٥ - ﴿اقْرَأْ﴾ أمض لما أمرتك به من القراءة ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ الذي زاد كرمه وفضله على كل كرم وفضل . ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ أي علم الإنسان الكتابة بالقلم ولم يكن له علم بها . ففُضِّطَ بها العلوم . وعرف

بها أخبارَ الماضين وعلومهم . وكانت أداة التفاهم والمعرفة . ولولاها ما استقام أمر الدين والدنيا ؛ فلم يقم دينٌ ولم يصلح عيش . ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ﴾ أي كما علمه بالقلم علمه بدونه ما لم يعلمه من الأمور على اختلافها . فهو سبحانه مفيضُ العلم على الإنسان . ومعلمه البيان بالقلم واللسان . ومن ذلك تعليمك القراءة والعلوم التي لا تُحيط بها العقول . وأنت أُمِّيٌّ لا تكتب ! وقد صَرَفَ الله نبيه عن الكتابة ليكون ذلك أثبتاً لمعجزته . وأقوى لحجته .

٦ - ٧ - ﴿كَلَّا﴾ رُدُّعٌ للإنسان الكافر . الذي قابل تلك النعم الجليلة بالكفر والطغيان . قيل : نزلت هذه الآية إلى آخر السورة في أي جهل بعد زمن من نزول ما قبلها . وفي الحديث الصحيح : أن أبا جهل حلف باللات والعزى

الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى ﴿٦﴾ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْهَ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ

لن رأى محمداً [صلى الله عليه وسلم] يصلي ليطأن على رقبته وليغفرن وجهه . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليفعل ؛ فما فاجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه . ويتقرب بيديه . فقيل له : مالك ؟ فقال : إن بيني وبينه لخذقاً من نار ! وهولاً وأجنحة ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً) فأنزل الله هذه الآية إلى آخر السورة . وقيل «كَلَّا» بمعنى ألا الاستفتاحية . ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى﴾ أي ليجاوز الحد ويستكبر على ربه ويكفر به ! من أجل رؤية نفسه ذا غنى وثراء . وقوة وقدرة !

لن رأى محمداً [صلى الله عليه وسلم] يصلي ليطأن على رقبته وليغفرن وجهه . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليفعل ؛ فما فاجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه . ويتقرب بيديه . فقيل له : مالك ؟ فقال : إن بيني وبينه لخذقاً من نار ! وهولاً وأجنحة ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً) فأنزل الله هذه الآية إلى آخر السورة . وقيل «كَلَّا» بمعنى ألا الاستفتاحية . ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى﴾ أي ليجاوز الحد ويستكبر على ربه ويكفر به ! من أجل رؤية نفسه ذا غنى وثراء . وقوة وقدرة !

نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدُّعُ الزَّيَانِيَةِ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطْعَمُهُ وَآتَجِدْ
وَأَقْتَرِبَ ﴿١٩﴾

(٩٧) سُورَةُ الْقَدْرِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا نَزَلَتْ بَعْدَ عِلْسٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ
الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَلَ

ذلك . وهو أمرٌ تعجيزٌ ردٌّ لتهديده
النبي صلى الله عليه وسلم .
والنادي والندى : المجلس الذي
يتنبدى فيه القوم ؛ أى يجتمعون
للحديث . يقال : ندا القوم
ندوا . من باب غزا . اجتمعوا .
﴿سَدُّعُ الزَّيَانِيَةِ﴾ الملائكة
الغلاظ الشداد الموكلين بالعذاب
لإلقائه في النار . والزَّيَانِيَةُ في كلام
العرب : الشرط ؛ جمع زَيْنِيَّة ؛
من الزَّيْن وهو الدفع . وقيل :
اسم جمع كآبائيل .

١٩ - ﴿كَلَّا لَا تُطْعَمُهُ...﴾ فيها
دعائه إليه من ترك الصلاة . وصلّى
الله تعالى ما أمرك به . وتقرّب إلى
ربك بطاعته والدعاء له ؛ أى دُم
على ذلك . والله أعلم .

سورة القدر

١ - ٣ - ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ أى
ابتدأنا إنزال القرآن العظيم على
محمد صلى الله عليه وسلم ﴿فِي لَيْلَةِ
الْقَدْرِ﴾ وهى على الأرجح ليلة
سبع وعشرين من شهر رمضان .
وقد نزل مُتَّجِماً على حسب الوقائع
والمصالح في ثلاث وعشرين
سنة . وأول ما نزل من الآيات
﴿اقرأ﴾ وسُمِّيت ليلة القدر لعظم
قدرها وشرفها ؛ من قولهم :
لفلان قدرٌ عند الأمير ؛ أى منزلة
وشرف . وشرفها لأنه أنزل فيها
كتاب ذو قدر . بواسطة ملك ذى
قدر . على رسول ذى قدر ؛ لأمة
ذات قدر . أولاً للطاعات فيها
قدرٌ عظيمٌ وثوباً جزيلاً منه

بذلك الإذلال الشديد .
والسَفْعُ : القبضُ على الشيء
وجذبُه بشدة . يقال : سفعت
بالشيء ؛ إذا قبضت عليه وجذبته
جذباً شديداً . وقيل : هو
الاحتراق ؛ من قولك : سفعته
النار ؛ إذا غيّرت وجهه إلى حال
تسويده . والنَّاصِيَةُ : شعْرُ مقدّم
الرأس . ﴿خَاطِئَةٌ﴾ الخاطيء ؛
هو الذى يأتى الذنب متعمداً ؛
وهو الذى يُؤخذ بالعقاب .
والمُخْطِئُ : هو الذى يأتىه غير
عامد . ووصف الناصية بالخطئة
على حدّ : نهارٌ صائمٌ ؛ أى صائم
صاحبه .

١٧ - ١٨ - ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أى
عشيرته لتصرته في إيذاء الرسول
صلى الله عليه وسلم ؛ ومنعه من
الصلاة في المسجد إن قدروا على

المصلّى إن كان على الهدى أو أمر
بالتقوى ! ألم يعلم ناهيه بأن الله
يسأله ! والمفعولان محذوفان
تقديرهما ما ذكرنا ، وجواب
الشرط محذوفٌ دلّ عليه قوله
تعالى : ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ .
١٣ ، ١٤ - ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ
وَتَوَلَّى﴾ أخبرني ! هذا التامى
عن الصلاة إن كذب الرسول
وأعرض عن الإيمان ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ
بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ ففعلول ﴿أَرَأَيْتَ﴾
الأول وجواب الشرط محذوفان
والمفعول الثانى : الجملة
الاستفهامية المذكورة .

١٥ - ١٦ - ﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ
لِلنَّاهِي اللَّعِينِ . ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ﴾
عما هو عليه وينتجر . ﴿لَتَسْفَعَنَ
بِالنَّاصِيَةِ﴾ لتأخذن بناصريته ؛
ولتسحبته بها إلى النار ، ولذلك

الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿١٠٠﴾
سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿١٠١﴾

(٩٨) سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ
وآياتها ٨ نزلت بعد الطلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ
مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ
يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا

عطف خاص لشرفه وتقدمه .
﴿سَلَامٌ هِيَ ..﴾ أى ليلة القدر
﴿سَلَامٌ هِيَ ..﴾ على أولياء الله
وأهل طاعته ، أى ليلة القدر
سلام : أى تسليم دائم إلى وقت
طلوع الفجر من الملائكة على
المؤمنين القائمين فيها لوجهه تعالى .
أو سبب سلامة ونجاة من المهالك
يوم القيامة لمن قامها إيماناً
واحتراباً . أو سلامة من السوء
والأذى ووسوسة الشيطان لكل
مؤمن ومؤمنة متحققين بما يوجهه
الإيمان حتى طلوع الفجر . والله
أعلم .

سُورَةُ الْبَيِّنَةِ

١ - ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
بالله تعالى وكذبوا رسوله محمداً

تعالى ، ولذلك حثَّ النبي صلى
الله عليه وسلم على قيامها بالعبادة
فقال - كما روى في
الصحيحين - : (من قام ليلة
القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما
تقدم من ذنبه) واللييلة تستبج
يومها . ثم بين الله تعالى منتهى علو
قدرها بقوله . ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ
خَيْرٌ ..﴾ أى هى أفضل من أشهر
كثيرة مضت على الأمم السالفة ،
بما نزل فيها من القرآن والشرعية
العظمى التى ختمت بها الرسالات
الإلهية إلى البشر . أو العبادة فيها
أكثر ثواباً ، وأعظم فضلاً من
العبادة فى أشهر كثيرة ليس فيها ليلة
القدر . والعمل القليل قد يفضل
الكثير باعتبار الزمان والمكان
وكيفية الأداء ، وهو تفضل منه
تعالى ، والله أن يخص ما شاء بما
شاء . والمراد من الألف :
التكثير ، كما فى قوله تعالى : (يَوْمَ
أَخَذَهُمْ لَوِيْعُمُ الْآفِ سَنَةٍ) (١)
٤ ، ٥ - ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ ..﴾
أى ومن فضلها وخيرها أن
الملائكة - ومنهم جبريل عليه
السلام - ينزلون فيها أفواجا إلى
الأرض بأمره تعالى . بكل أمر من
الخير والبركة . على كل مسلم
قائم أو قاعد يذكر الله تعالى
فيها ، تعبداً لله تعالى وشكراً على
أفضل نعمة على المسلمين ، وهى
إنزاله القرآن وبعثه الرسول والتوفيق
للإيمان برب العالمين . فـ « مِنْ »
بمعنى الباء ، كما ذكره أبو حاتم .
وعطف « الرُّوحُ » على « الملائكة »

يؤمن مجرد عناد وحسد . ولم يذكر
المشركون في هذه الآية لأنهم لم
يكن لهم كتاب كأولئك ، فكان
التفرق ممن لهم كتاب أعجب
وأغرب . ﴿ وَمَا أُمِرُوا ﴾ أى
والحال أن أهل الكتاب ما كلّفوا
في كتابهم بما كلّفوا به ﴿ إِلَّا لِيَعْبُدُوا ﴾
الله ﴿ أى لأجل عبادة الله تعالى
وطاعته فيما أمر به ، وتصديقه فيما
أخبر عنه على لسان رسله .
﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ جاعلين
دينهم له تعالى خالصاً .
﴿ حُفَاءَ ﴾ مائلين عن الأدبان
الباطلة إلى الدين الحق ، مؤمنين
بجميع الرسل ، إذ كانت ملتهم
جميعاً التوحيد ، وهى الملة
الحقيقية الحقة ، من الخنف وهو
الميل . ﴿ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا
الزَّكَاةَ ﴾ كما أُمروا في شريعتهم .

﴿ وَذَلِكَ ﴾ أى عبادة الله
بالإخلاص ، وإقامة شرائع الله
التي أمر بها ﴿ دِينَ الْقِيَمَةِ ﴾ أى
دين الملة المستقيمة . أو الكتب
التي لا يأتيها الباطل من بين يديها
ولا من خلفها ، التي بعث بها
رسله .

٦ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بيان
لحالهم في الآخرة . إثر بيان
حالهم في الدنيا . وأنهم صاترون
إلى النار يوم القيامة . ﴿ شَرُّ
الْبَرِيَّةِ ﴾ أى الخليفة . والمراد أنهم
شر الناس أعمالاً لكفرهم . مع
علمهم بصحة رسالته .
ومشاهدتهم لمعجزاته . وصدّهم
الناس عن سبيل الله ، واختراهم

تَفَرَّقَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
الْبَيِّنَةُ ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
الدِّينَ حُفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ
وَذَلِكَ دِينَ الْقِيَمَةِ ﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا
أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿ جَزَاءُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتٌ غَدْنٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ
لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ .

﴿ صُحُفًا ﴾ من القرآن .
﴿ مُطَهَّرَةً ﴾ مژّهة عن الباطل
والكفر والرؤوس ، والاختلاف
والشبهات . ﴿ فِيهَا كُتِبَ ﴾
مكتوبات أو أحكام ﴿ قِيَمَةٍ ﴾
مستقيمة لا عوج فيها ، ناطقة
بالحق والعدل والصدق
والصواب .

٤ ، ٥ - ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أَوْتُوا
الْكِتَابَ ﴾ في نبوته وصدق رسالته
والإيمان به ، فآمن بعض وكفر
بعض . ﴿ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
الْبَيِّنَةُ ﴾ أى إلا من بعد أن بعث
فيهم ، وهم على علم من كتابهم
بنعوته ونبوته ، فكان ذلك ممن لم

صحته حتى سمى بعضهم ولده
محمداً رجاء أن يكون هو النبي
الموعود . وكانوا يسألون اليهود عنه
قبل بعثته هل هو النبي الموعود ؟
والبيّنة هى محمد صلى الله عليه
وسلم ، لأنه مبين للحق ، وحجة
ناطقة به ، ظاهرة الدلالة على
صدقه ، لما جرى على يديه من
المعجزات الباهرة ، ولما جاء به
من القرآن ، وهو أكبر معجزة
وأبينها ، وأقواها وأدومها . وقد
بين الله ذلك بقوله :

٢ ، ٣ - ﴿ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ ﴾ أى
مبعوث من عنده إلى الخلق .
﴿ يَتْلُو ﴾ يقرأ عليهم من حفظه .

(٩٩) سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ مَكْنِيَّةٌ
وآياتها ٨ نزلت بعد النساء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۖ وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ
أَنْقَالَهَا ۚ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَآ ۚ يَوْمَئِذٍ
تُخْبِثُ أَخْبَارَهَا ۚ إِنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ هَآ ۚ يَوْمَئِذٍ
يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ ۚ فَمَنْ يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۚ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
شَرًّا يَرَهُ ۚ

على الله بالكذب والافتراء
والتحريف . ومحاربتهم لرسوله ؛
مِنْ بَرَّاه الله ببروه بَرَّوْا : أى
خلقه . وأصله من البرى . وهو
التراب لخلقهم فى الأصل منه .
وقرئ بالهمز ؛ من برأ الله الخلق
يبرؤهم . أى خلقهم .
٨ - ﴿جَاءَتْ عَذْنٌ﴾ إقامة خالدة
فى الآخرة فى نعمٍ مقيم .
﴿رَضَىَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ قبل أعمالهم
وكافأهم عليها . ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾
فرحوا بما أعطاهم من أنواع
الكرامة والنعم الدائم . والله
أعلم .

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

١ - ٢٠ - ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ
زِلْزَالَهَا﴾ حَرَكَتْ حَرَكَتَهَا الْهَائِلَةَ
الَّتِى لَا غَايَةَ وَرَاءَهَا . أَوِ الْعَجِيَّةَ
الَّتِى لَا يَقْدَرُ قَدْرُهَا ؛ وَذَلِكَ عِنْدَ
نَفْخَةِ الْبَعْثِ ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا﴾
لَفْظَتْ بِسَبَبِ الزَّلْزَالِ مَا فِى بَطْنِهَا
مِنَ الْمَوْتِ أَحْيَاءٌ لِلْحِسَابِ
وَالْجَزَاءِ ؛ جَمْعُ ثِقَلٍ - بِكَسْرِ
فَسكون - وَهُوَ الْحِمْلُ الثَقِيلُ . أَوْ
لَفْظَتْ كَنُوزَهَا ؛ جَمْعُ ثَقُلٍ -
بِالتَّحْرِيكِ - وَهُوَ كُلُّ نَفِيسٍ
مَصُونٍ .

٣ - ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾
وَقَالَ الْكَافِرُ عِنْدَ بَعْثِهِ - وَقَدْ كَانَ
يَنْكِرُهَا - مَا لِلْأَرْضِ زُلْزَلَتْ ، أَوْ
أَخْرِجَتْ أَنْقَالَهَا . أَوْ هُوَ كُلُّ فَرْدٍ
مِنَ أَفْرَادِ الْإِنْسَانِ ؛ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنَ
يَقُولُ ذَلِكَ بِطَرِيقِ الْإِسْتِعْظَامِ .

وقيل : ينصرفون من موقف
الحساب متفرقين ؛ فآخذُ جهةٍ
اليمن إلى الجنة ، وآخذُ جهةٍ
الشمال إلى النار ؛ لِيُبْصِرُوا جِزَاءَ
أَعْمَالِهِمْ . يقال : صدر الناسُ عن
الورد ، انصرفوا عنه . و«أَشْتَاتًا»
جَمْعُ شَتَبْتِ ؛ أى متفرق ؛ ومنه
شَتَّ اللَّهُ جَمْعَهُمْ : أى فرق
أمرهم .

٧ ، ٨ - ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ
ذَرَّةٍ ..﴾ تفصيلٌ للرَّائِينَ وَمَا
يُرْوَنُهُ . و(مِثْقَالُ ذَرَّةٍ) أى مقدار
وزن أصغر نَمْلَةٍ . أَوْ مَا يُرَى مِنْ
الْهَبَاءِ فِى شُعَاعِ الشَّمْسِ الدَّخِلِ
مِنَ الْكُوَّةِ ؛ وَهُوَ مِثْلُ فِى الْقَلَّةِ .
وعن ابن عباس : ليس مؤمنٌ ولا

والكافر بطريق التعجب .
٤ - ﴿يَوْمَئِذٍ تُخْبِثُ أَخْبَارَهَا﴾
أى فى هذا اليوم تَبَيَّنُ الْأَرْضُ
أَخْبَارَهَا بِالزَّلْزَلَةِ وَالرَّجَّةِ ،
وَإِخْرَاجِ الْمَوْتِ أَوْ الْكُنُوزِ مِنْ بَطْنِهَا
إِلَى ظَهَرِهَا ؛ بِوَحْيِ اللَّهِ إِلَيْهَا وَإِذْنِهِ
بِذَلِكَ . وَقِيلَ : تُخْبِرُ بِأَمْرِ اللَّهِ
تَعَالَى مَنْ عَلَى ظَهَرِهَا بِمَا عَمِلُوا مِنْ
خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ .

٥ - ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ جَعَلَ فِى
حَالِهَا دَلَالَةً عَلَى ذَلِكَ .
٦ - ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ
أَشْتَاتًا ..﴾ يُخْرِجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ
إِلَى مَوْقِفِ الْحِسَابِ مَتَفَرِّقِينَ بِحَسَبِ
أَعْمَالِهِمْ ، آمَنِينَ وَفَرَعِينَ ، سَعْدَاءَ
وَأَشْقِيَاءَ ؛ لِيُبْصِرُوا جِزَاءَ أَعْمَالِهِمْ .

(١٠٠) سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّاهَا ١١ نَزَلَتْ بَعْدَ الْعَصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَدِيَّتِ ضَبْحًا ① فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا ②
فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ③ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ④
فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ⑤ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ⑥ وَإِنَّهُ
عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ⑦ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ⑧
* أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ⑨ وَحُصِّلَ
مَا فِي الصُّدُورِ ⑩ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ⑪



كافر عَمِلَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا فِي الدُّنْيَا إِلَّا
أَرَاهُ اللَّهُ إِثْمًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ فَأَمَّا
الْمُؤْمِنُ فَيَرَى حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ فَيَغْفِرُ
لَهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُثَبِّتُ بِحَسَنَاتِهِ . وَأَمَّا
الْكَافِرُ فَيَرَى حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ فَيُرَدُّ
حَسَنَاتِهِ وَيُعَذِّبُهُ بِسَيِّئَاتِهِ . وَقَوْلُهُ :
(فَيُرَدُّ حَسَنَاتُهُ) أَيْ لَا يُثَبِّتُ عَلَيْهَا ؛
لِكُفْرِهِ وَهُوَ مُحِيطٌ لِلْعَمَلِ . وَإِنْ
خَفَّفَ عَنْهُ الْعَذَابُ بِسَبَبِهَا ؛
لِلْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الْوَارِدَةِ فِي
ذَلِكَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ

١ - ﴿وَالْعَادِيَّاتِ ضَبْحًا﴾ أَقْسَمَ
اللَّهُ تَعَالَى بِخَيْلِ الْعُرَاةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
تَعَالَى ؛ تَنْبِيْهًُا عَلَى فَضْلِهَا وَفَضْلِ

وَالصَّكِّ الْمَعْرُوفِ لِإِخْرَاجِهَا .
يَقَالُ : وَرَى الرَّثْدُ - مِنْ بَابِ
وَعَدَ - وَرِيًا ؛ إِذَا خَرَجَتْ نَارُهُ .
وَقَدَحَ فَأَوْرَى : إِذَا أَخْرَجَ النَّارَ .
وَمِنْهُ الْقَدَاحَةُ وَالْقَدَاحُ : لِلْحَجَرِ
الَّذِي يُورِي النَّارَ . وَأَصْلُ
الْقَدَحِ : الاسْتِخْرَاجُ ؛ وَمِنْهُ
قَدَحْتُ الْعَيْنَ : إِذَا أُخْرِجَتْ
مَاءُهَا الْفَاسِدُ . ﴿وَقَدَحًا﴾
مَنْصُوبٌ بِفِعْلِ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ :
تَقْدَحُنْ قَدْحًا . ﴿فَالْمُغِيرَاتِ
صُبْحًا﴾ أَيْ فَالْخَيْلُ الَّتِي تُغَيِّرُ عَلَى
الْعَدُوِّ وَقْتَ الصَّبَاحِ . وَكَانُوا إِذَا
أَرَادُوا الْغَارَةَ سَرَوْا لَيْلًا فِي غَفْلَةِ
النَّاسِ وَبَاغَتْهُوَ الْعَدُوُّ صُبْحًا .
يَقَالُ : أَغَارَ عَلَى الْقَوْمِ غَارَةً
وَأَغَارَهُ . دَفَعَ عَلَيْهِمُ الْخَيْلَ .
وَأَغَارَ الْفَرَسُ إِغَارَةً : اشْتَدَّ
عَدُوُّهُ . وَ﴿صُبْحًا﴾ مَنْصُوبٌ عَلَى
الظَّرْفَةِ . ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ﴾ أَيْ
فَهَيَّجْنَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الَّذِي تَقَعُ
فِيهِ الْإِغَارَةُ ﴿نَقْعًا﴾ أَيْ غِبَارًا مِنْ
شِدَّةِ الْعَدُوِّ . وَالْإِثَارَةُ : التَّهْيِيجُ
وَتَحْرِيكُ الْغِبَارِ وَنَحْوُهُ . ﴿فَوَسَطْنَ
بِهِ﴾ فَتَوَسَّطْنَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ .
﴿جَمْعًا﴾ مِنْ جَمْعِ الْأَعْدَاءِ .
فَفَرَّقْنَاهَا وَشَتَّتْنَاهَا . يَقَالُ : وَسَطَ
الْقَوْمَ أَسْطَظَّهُمْ وَسَطًا - مِنْ بَابِ
وَعَدَ - وَسِطَةً ؛ أَيْ صَرَّتْ
وَسَطَتْهُمْ .

٦ : ٨ - ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ
لَكَنُودٌ﴾ جَوَابُ الْقَسَمِ . أَيْ إِنْ
الْإِنْسَانُ لِكُفُورٍ جَحُودٌ لِنِعْمِ رَبِّهِ
عَلَيْهِ ؛ أَيْ إِنَّهُ مَطْبُوعٌ عَلَى ذَلِكَ
إِلَّا مِنْ عَصَمَةِ اللَّهِ . يَقَالُ : كَنَدَ

٢ : ٥ - ﴿فَالْمُورِيَّاتِ قَدْحًا﴾
أَيْ فَالْخَيْلُ الَّتِي تُورِي النَّارَ مِنْ
صَكِّ حَوَافِرِهَا بِالْحِجَارَةِ لَشِدَّةِ
الْعَدُوِّ وَنَحْوِ الْعَدُوِّ ؛ مِنَ الْإِبْرَاءِ وَهُوَ
إِخْرَاجُ النَّارِ . وَالْقَدْحُ : الضَّرْبُ

(١٠١) سُورَةُ الْقَارِعَةِ مَكِّيَّةٌ وآياتها ١١ نزلت بَعْدَ قُرْشٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ١ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣
يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ وَتَكُونُ
الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ
مَوَازِينُهُ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ
مَوَازِينُهُ ٨ فَأَمَّهُ هَآوِيَةٌ ٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ١٠
نَارُ حَامِيَةٍ ١١

الصدر ؛ علماً موجباً للجزاء ؛ تعظيم شأنها ، والتعجب من حالها . والجملة خير « القارعة » .
٣ ، ٤ - « يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ » أى اذكر يوم يكون

الناس كالفرش وهو الطير الرقيق الذى يقصد النار ، ولا يزال يتقحم على المصباح ونحوه حتى يحترق . واحده فراشة .
« الْمَبْثُوثِ » أى المتشتر المتفرق . شبه الله يوم القيامة - فى كثرتهم وانتشارهم وذلتهم وضعفهم واضطرابهم وتطاييرهم إلى الداعي حين يدعواهم إلى المحشر - بالفرش المتشتر المتطير إلى النار .
« وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ » كالصوف الذى يُنفش ويفرق باليد ونحوها . أو كالصوف

النعمة - من باب دخل - جحدها ولم يشكرها . وكند الخبل : قطعه ؛ فكأنه يقطع ما ينبغي أن يواصله من الشكر . وقيل : المراد بالإنسان الكافر . « وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ » أى وإن الإنسان على كُنوده لشهيد بلسان الحال ؛ لظهور أثره عليه فى أعماله . « وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ » أى وإنه فى حب المال وإثثار الدنيا لقوى مطبق ، مجذ فى طلبه ، متهاك عليه . وهو فى حب عبادة الله وشكر نعمه ضعيف متقاعس .
تقول : هو شديد لهذا الأمر وقوى له ؛ أى مطبق له ضابط . واللام فى (لحب) بمعنى فى .

٩ : ١١ - « أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ .. » أى أيفعل ما يفعل من القبائح فلا يعلم مآله ، إذا أُثير وقُلب ما فى القبور من الموق فُبعثوا للجزاء ؟ . يقال : بعثرت المتاع ، جعلت أسفله أعلاه . وهو تهديد ووعيد . « وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ » أى جُمع ما فى القلوب من خير وشر ، مما يظن مضمره أنه سر لا يعلمه أحد ، وأظهر مكتوباً فى صحائف الأعمال . أو مثير خيره من شره . وأصل التحصيل : إخراج اللب من القشر ، ومن لازمه التمييز بينهما . « إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ » أى إن رب المبعوثين لعليم بأحوالهم الظاهرة والباطنة فى ذلك اليوم ، الذى يُبعث فيه من فى القبور ، ويُحصّل فيه ما فى

(١٠٢) سُورَةُ التَّكَاثُرِ مَكِّيَّةٌ
وآياتها ٨ نزلت بعد البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْهَلْكُمْ التَّكَاثُرُ ① حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ
تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ
عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ
الْيَقِينِ ⑦ ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ⑧

هَيْبَةٌ ① الهاء للسكت . ② نَارٌ
حَامِيَةٌ ③ بالغة النهاية في الحرارة ؛
من الحمى وهو اشتداد الحر .
يقال : حَمَيْتِ الشمس والنار
حَمِيًّا وَحُمُوا ، اشتدَّ حرُّهما . والله
أعلم .

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

١ : ٢ - ① الْهَلْكُمْ التَّكَاثُرُ .. ②
الخطابات في آيات هذه السورة
عامَّة ، تشمل الكفار وغيرهم .
أى شغلكم التباهى والتفاخر بكثرة
الأموال والأولاد والعشيرة ،
والتهاكك على الدنيا - عن القيام بما
فُرض عليكم من الأعمال التى بها
سعادتكم فى الآخرة ؛ حتى
أتاكم الموت ، ودُفنتم فى القبور
وأنتم على ذلك !! وَاللَّهُو : ما
يشغلك عما يعنى وبهم . والمقابر :
جمع مقبرة - بفتح الباء
وضمها .

المصبوغ بالألوان المختلفة الذى
يُنْدَف بالمِندَف فى خفة طيرانه .
٦ ، ٧ - ③ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ④ أى
رجحت موزوناته ، وهى أعماله
الصالحة المرضية التى لها وزن وخطر
عند الله . وقيل الوزن : القضاء
السوى ، والحكم العادل .
⑤ فَهَوَىٰ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ⑥ أعطت
الرضا من نفسها ، أو ذات
رضا ، أو راضٍ صاحبها ، وهى
العيشة الهنيئة .
٩ : ١١ - ⑦ فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ ⑧ فأواه
جهنم . وسُمِّي الماوى أمًا لأن
الإنسان يأوى إليه كما يأوى إلى
أمه . وسُمِّي جهنم هاءوِيَةً لغاية
عمقها وبعد مهواها . أو من قولهم
إذا دَعَوْا عَلَى الرَّجُلِ : هَوَتْ
أُمُّهُ ، لأنه إذا هَوَى - أى سقط
وهلك - فقد هَوَتْ أُمُّهُ نُكْلًا
وحَزْنًا عليه . ⑧ وَمَا أَدْرَاكَ مَا

٣ : ٥ - ① كَلَّا سَوْفَ
تَعْلَمُونَ .. ② (كَلَّا) فى المواضع
الثلاثة كلمة رذع وزجر عن
التشاغل بالدنيا عن الآخرة ،
وكررت لتأكيده . أى كَلَّا سَوْفَ
تعرفون سوء عاقبة ما أنتم عليه فى
الدنيا ! ثم كَلَّا سَوْفَ تعرفونه !
ثم كَلَّا ! وفيه شدة تهديد
ووعيد . ③ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ
الْيَقِينِ ④ جواب « لو » محذوف ،
أى لو تعلمون اليوم سوء عاقبة
أمركم فى الآخرة ، كعلمكم ما
تستيقنون من الأمور لشغلكم ذلك
عما أنتم عليه من التكاثر والتهاكك
على الدنيا . وعلمُ اليقين : هو
العلمُ الحازم المطابق للواقع الذى
لا شك فيه ؛ وإضافة « علم » إليه
من إضافة العام إلى الخاص .
٦ ، ٧ - ⑤ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥
جواب قَسَمٍ مقدر لتأكيد الوعيد
والتهديد ، وبيان أن المهدد به
رؤية الجحيم فى الآخرة . والتفسير
بعد الإيهام يدل على التحويل
والتعظيم ؛ كأنه قيل : وما عاقبة
الأمر ؟ فقيل : إنها والله رؤية
الجحيم عيانًا . والمراد العذاب
بها . ⑦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ⑧
ثم لَتَرَوُنَّ الجحيم رؤية هى ذات
اليقين ونفسه ؛ وهو تأكيد لما
قبله . والعين بمعنى النفس
والذات . تقول : جاء زيد
عَيْتُهُ ؛ أى نفسه وذاته . وقيل :
رؤية الجحيم فى الآية الأولى بالبصر
إذا وردوها ، وفى الثانية بالذوق
إذا دخلوها .

(١٠٣) سُورَةُ الْعَصْرِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٣ نَزَلَتْ بَعْدَ الشَّرْحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خُسرٍ ② إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا
بِالصَّبْرِ ③

(١٠٤) سُورَةُ الْهُمَزَةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٩ نَزَلَتْ بَعْدَ الْقِيَامَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ① الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ②
يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ③ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ④

٨ - ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي
النَّعِيمِ﴾ ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي
موقف الحساب عما تقلبتم فيه من
النعم الوافرة في الدنيا التي تنباهون
بها وتتفاخرون . هل أدبتم حق الله
فيها ، وقمتم بواجب شكره على
الإععام بها ، واستعملتموها فيما
أعدت له ؟ . فإن كنتم من
المقصرين في ذلك : أوالجاحدين
له جوزيتم جزاءً وفاقاً . وما ذكر في
تفسير النعم إنما هو من باب
التشثيل . والأولى عمومته . والله
أعلم .

سُورَةُ الْعَصْرِ

١ - ﴿وَالْعَصْرِ﴾ أقسم الله بصلاة
العصر لفضلها ، لأنها الصلاة
الوسطى عند الجمهور . أو
بوقتها ، لفضيلة صلاته ، كما
أقسم بالضحى . أو بعصر النبوة ،
لأفضليته بالنسبة لما سبقه من
العصور أو بالزمان كله ، لما يقع
فيه من الأقدار الدالة على عظيم
القدرة الباهرة . وجواب القسم .
٢ : ٣ - ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي
خُسْرٍ﴾ أى إن جنس الإنسان لا
يتفك عن خسران ونقصان في
مسايعه وأعماله وعمره . أو إن
الكافر لفي خسر ، أى هلكة أو شر
أو نقص . ﴿إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا ..﴾ استثناء متصل إذا أريد
بالإنسان الجنس . ومنقطع إذا
أريد به خصوص الكافر .
والأعمال الصالحات تشمل جميع
ما يعمله الإنسان مما فيه خير ونفع

في سبيله - وعلى البلياء والمصائب
التي تصيب الناس في الدنيا ،
ويصعب على النفوس احتمالها .
والله أعلم .

سُورَةُ الْهُمَزَةِ

١ - ﴿وَيْلٌ﴾ عذاب وهلكة . أو
وادي في جهنم . ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ
لُّمَزَةٍ﴾ أى مكث من الهمز
واللهمز ، وهو الذى دأبه أن يعيب
الناس ، ويثلم أعراضهم ،
ويطعن فيهم ، ويمشى بينهم
بالتيمة والإفساد . فالهمزة
واللهمزة بمعنى واحد . وهما من

وَيْر . ﴿وَتَوَّصَّوْا بِالْحَقِّ﴾ أوصى
بعضهم بعضاً بالتمسك بالحق ،
ومنه الثبات على الإيمان بالله وكتبه
ورسوله ، والعمل بشريعته في كل
عقد وعمل ، وذلك هو الأمر
الثابت الذى لا سبيل إلى
إنكاره ، ولا زوال في الدارين
لحسن آثاره . ﴿وَتَوَّصَّوْا
بِالصَّبْرِ﴾ أى أوصى بعضهم بعضاً
بالصبر عن المعاصي ، التى تميل
إليها النفوس بالطبيعة البشرية .
والصبر على الطاعات التى يشق
على النفوس أداؤها ، ومنها الجهاد

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخُطْمَةُ ﴿٦﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ ﴿٧﴾
الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْعَدَةِ ﴿٨﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٩﴾
فِي عَمَدٍ مُّمدَّدَةٍ ﴿١٠﴾

(١٠٥) سُورَةُ الْفِيلِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا نَزَلَتْ بَعْدَ الْكَافُرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ
فِي تَضَلُّلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ
بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

بسبب أفعاله الفاسدة في النار التي
تَحْطُمُ كُلَّ مَا يُلقَى فيها ؛ من
الْحَطْمِ . وهو كسر الشيء
كالحشم . وفُسرَتْ بقوله تعالى :
﴿ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ ﴾ أي المسعرة .
الشديدة اللهب التي لا تَحْمَدُ
أبدًا . ﴿ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى
الْأَفْعَدَةِ ﴾ أي تعلو أوساط القلوب
وتغشاها وتحيط بها . والقلوبُ
الطفُ ما في الأجسام وأشدّها تألماً
بأدنى أذى يمسّها . ولذا خُصِّصَتْ
بالذكر . ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴾
مطبقة مغلقة لاختلاص لهم منها
أبدًا . يقال : آصدت الباب ؛
أي أغلقته [آية ٢٠ سورة البلد] .
﴿ فِي عَمَدٍ ﴾ بفتحين . وقرئ
بضمتين . جمع عمود . أو اسم
جمع له . أو جمع عماد ، وهي
أوتاد الأطناق التي على أهل النار .
﴿ مُّمدَّدَةٍ ﴾ مطوّلة ؛ أي أن
الأبواب طبقت عليهم ثم شُدَّتْ
بأوتاد من الحديد من نار ، حتى
يرجع عليهم حرّها فلا يفتح عليهم
باب ولا يدخل عليهم رُوح . وقانا
الله شرها ، وأجارنا منها . والله
أعلم .

سُورَةُ الْفِيلِ

١ - ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ ألم تعلم .
والخطابُ له صلى الله عليه وسلم .
والاستفهامُ للتقرير بما تواتر نقله .
وقد نزلت هذه السورة مُنبّهة على
العبرة في قصة الفيل ، التي وقعت
بمكة في عام مولده صلى الله عليه
وسلم ؛ إرهاباً لبعثته على كيفية
هائلة دالة على عظم قدرة الله

وَعَدَدَةٍ ﴿٦﴾ أي عدّه مرّة بعد
أخرى ؛ حبّاً له وشغفاً به . أو
أحصاه وحافظ على عدده حتى لا
ينقص ، فنبهه من فعل الخيرات .
أو أعدّه وادخره لنوائب الدهر ؛
مثل كرم وأكرم . ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ
مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾ أي يعمل عمل من
يظن أن ماله يخلّده في الدنيا فلا
يموت . وَالْخُلْدُ - بالضم - :

البقاء والدوام ؛ وبابه دخل .
٤ ، ٩ - ﴿ كَلَّا ﴾ ردّع له عن
هذا الحُسان الباطل . أو عن كلِّ
ما تضمّنته الآيات السابقة من
الصفات القبيحة . ﴿ كَيْبَدَنَّ فِي
الْخُطْمَةِ ﴾ جوابُ قَسَمِ
مُحذوف . أي والله لَيُطْرَحَنَّ

باب ضَرْبٍ وَنَصْرٍ . وقيل
الهُمَزَةُ الذي يعيب في الحضور
وَاللَّمَزَةُ الذي يعيب في الغيبة
وقيل بالعكس . وقيل : الهُمَزَةُ
الذي يضرب باليد ويغمز بالعين
وَاللَّمَزَةُ الذي يلزم باللسان
ومرجعُ هذه الأقوال إلى أصل
واحد ، وهو الطعن وإظهار
العيب . وأصلُ الهمز : الكسر
والعضُّ على الشيء بعُنف
وأصلُ اللَّمَز : الطعن ، ثم خُصَّصَا
بما ذكر . نزلت في الوليد بن المغيرة
وأضرابه من طغاة قريش ، وكانوا
يهمزون النبي صلى الله عليه وسلم
ويعيبونه .
٢ ، ٣ - ﴿ الَّذِي جَمَعَ مَالًا

(١٠٦) سُورَةُ قُرَيْشٍ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّاهَا ٤ نَزَلَتْ بَعْدَ التَّوْحِيدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ① إِيَّائِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ
وَالصَّيْفِ ② فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③ الَّذِي
أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ④

أحدهم نَفِطَ جلدُهُ ؛ فكان ذلك
أَوَّلُ الْجُدْرَى . وقيل : إن أولَ ما
رثيت الحَصْبَةُ والجُدْرَى بأرض
العرب ذلك العام . وقال ابن
جُرَيْي في تفسيره : إن الحجر كان
يدخل من رأس أحدهم ويخرج
من أسفل . ووقع في سائرهم
الْجُدْرَى والأسقام . وانصرفوا
وماتوا في الطريق متفرقين .
وتقطع أبرهة أُمْلَةً أُمْلَةً .
﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾
كَبِينُ أَكْلَتِهِ الذَّوَابُ وراثته .
والمراد : كَرُوثٍ ؛ فشبهه تقطع
أوصالهم بتفريق أجزاء الرُّوث .
والعَصْفُ : قِشْر البَرِّ ؛ أى
الغلاف الذى يكون فيه حَبُّ
القَمْحِ . والله أعلم .

سُورَةُ قُرَيْشٍ

١ - ٢ - ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ﴾
كانت لقريش بمكة رحلتان
للاستئجار والامتياز كل عام . رحلة
في الشتاء إلى اليمن . ورحلة في

كل ناحية . وكانوا قرب عرفة قبل
دخول الحَرَمِ على الأصح .
وأباييل : اسم جمع لا واحده
من لفظه . وقيل : واحده
إِبَالَةٌ ، وهى حُرْمَةُ الخطب
الكبيرة ؛ شُبَّهَتْ بها الجماعة من
الطير في تضامتها . وقيل : إِبْوَل
كِعَجْوَل . أو إِبِيل كِسَكِين .
﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾
من طين متحجر محرق . أو بحجارة
من جملة العذاب المكتوب المدوّن
في السِّجِّيل ، وهو الديوان الذى
كُتِبَ فيه عذاب الكفار ؛ كما أن
السِّجِّين هو الديوان الذى كُتِبَ
فيه أعمالهم . واشتقاقه من
الإسجال بمعنى الإرسال . وعن
عكرمة : كانت ترميهم بحجارة
معها كالْحِمَصَةِ ؛ فإذا أصاب
أحدهم حجرٌ منها خرج به
الجُدْرَى . وكان أول يوم رُئِيَ فيه
الجُدْرَى بأرض العرب . وقال ابن
عباس : كان الْحَجَرُ إذا وقع على

تعالى ، وعِزَّتْهُ وانتقامه من
الجبارين ؛ وعلى حُرْمَةِ بيته المعظم
وشرفه ، وعلى إنعامه على قريش
بصدّ عدوهم عنهم ؛ فكان حقيقاً
بهم أن يعبدوه وحده ، ولا
يُشْرِكُوا به شيئاً . وفيها مع ذلك
تنبيه لهم ولأمثالهم من المكذبين إلى
شدة أخذِه تعالى للباغين ، وأنه
تعالى قادرٌ أن يعذبهم بما شاء من
أنواع العذاب ؛ كما عذب الجابرة
من القرون الأولى ، تارةً بالخسف
والغرق ، والطاعون والزلازل ،
والصواعق والأمطار . وتارةً
بالحجارة تنزل من السماء .
والمشهور أنه صلى الله عليه وسلم
وُلِدَ بعدها بخمسين يوماً . ﴿كَيْفَ
فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ هم
جيشُ الْحَبَشَةِ الذى قَدِمَ مكة لهدم
الكعبة المشرفة ، بقيادة أبرهة
الأشرم الحبشى أمير اليمن من قبل
النجاشي ملك الحبشة ، ومعه
الفيل . فأهلكه الله ، وأهلك
جيشه ؛ كما قصَّ الله في هذه
السورة .

٢ - ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي
تَضْلِيلٍ﴾ أى قد جعل الله مكرهم
وسعيهم لتعطيل بيت الله وتخريبه
في تضليل وإبطال وتخسير ؛ بأن
دمرهم أشنع تدمير . وأصلُ
التضليل : من ضلَّ عنه إذا
ضاع ؛ فاستعير هنا للإبطال .

٣ - ٥ - ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا
أَبَابِيلَ﴾ سَلَّطَ عليهم طيرًا من جهة
السماء جماعاتٍ عظاماً . متتابعةً
بعضها في إثر بعض ، نجى من

(١٠٧) سُورَةُ الْمَاعُونِ
مكية ثلاث آيات الأول مدنية القصة
وآياتها ٧ نزلت بعد التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ
الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يُحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾
فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ
سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ
الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

حاجها الله من أصحاب الفيل ؛
وشرفت قريش بها على سائر
العرب . ﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ
جُوعٍ ﴾ شديد كانوا فيه من
قبل ؛ فشبعوا بسبب تبتك
الرحلتين اللتين تمكنوا منها بواسطة
كونهم من جيران البيت المعظم
﴿ وَأَمْنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ عظيم ؛
وهو خوف التخطف في بلدهم
بدعوة إبراهيم عليه السلام إذ
قال : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا
آمِنًا ﴾ (١) . أو في أسفارهم حينما
ارتحلوا . أو خوف أصحاب
الفيل . والله أعلم .

سُورَةُ الْمَاعُونِ

١ - ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ
بِالْدينِ ﴾ أى أعرفت الذى
يكذب بالجزاء ؟ أو أخبرنى عن
المكذب بالجزاء أو بالإسلام من
هو ؟ وتتعدى الرؤية إلى
مفعولين : أولها الموصول ؛
وثانيها الجملة الاستفهامية
المحذوفة . والاستفهام للتشويق إلى
معرفة ؛ وفيه تعجب من أمره .
والخطاب للرسول صلى الله عليه
وسلم ؛ أو لكل من يصلح له ؛
وقد بينه الله تعالى بقوله :

٢ ، ٣ - ﴿ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ
الْيَتِيمَ ﴾ أى إن أردت أن تعرف
هذا المكذب بالدين فذلك هو
الذى شأنه وديدنه أن يدفع اليتيم
دفعاً عنيفاً ؛ ويزجره زجرًا قبيحاً
عن حقه وماله ؛ من الدُّعْ ؛ وهو
الدفع الشديد . وأصله أن يقال

(إيلاف) للتعليل . والجار
والمرور متعلق بقوله :
(فليعبدوا) . وزيدت الفاء لما فى
الكلام من معنى الشرط ؛ إذ
المعنى : أن نعم الله على قريش لا
تخصى ؛ فإن لم يعبدوه لسائر
نعمه فليعبدوه لأجل إيلافه إياهم
الرحلتين أى جعله تعالى لهم ألفين
لها مستزقين بهما ؛ فإنها أظهر
نعمه تعالى عليهم . وقريش : هم
ولّد النضر بن كنانة على الأصح .
والنضر : هو الأب الثالث عشر
للنبي صلى الله عليه وسلم .
وقيل : هم ولّد فهر بن مالك بن
النضر بن كنانة . واسمه قريش ؛
وفهر لقبه . وكُنْيته أبو غالب .
٣ ، ٤ - ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا
الْبَيْتِ ﴾ هو الكعبة المشرفة التى

الصيف إلى بصرى بالشام . وكانوا
فيها آمنين ؛ إذ كانوا أهل حرم
الله . ووَلَاةُ بيته المعظم ؛ فلا
يتعرض لهم فيها أحد بسوء ؛
والناس بين متخطف ومنهوب .
فذكرهم بهذه النعمة ليخلصوا له
العبادة . وتنههم إلى أنه تعالى هو
ربُّ هذا البيت المعظم الذى
يعتزون به ؛ وسببه نالوا الشرف
والرفعة والأمن والخير .
وإيلاف : مصدر ألفت فلاناً
الشيء ؛ إذا ألزمته إياه . وهو هنا
مضاف لمفعوله . والفاعل هو الله
تعالى . و(رحلة) مفعول ثانٍ ؛
وهى بالكسر اسم مصدر ؛ من
ارتحل بمعنى الارتحال أى
الانتقال . و(إيلافهم) بدل من
ل(إيلاف) . واللام فى

(١٠٨) سُورَةُ الْكَوْثَرِ مَكِّيَّةٌ
وآياتها ٣ نزلت بعد العاديات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

المعجزات ، والخلق العظيم ورفعته
الذكر ، والخصر على الأعداء
وكثرة الفتوحات ، وإظهار
الإسلام على الأديان ، وكثرة
الأصحاب والأتباع ، والمقام
المحمود وهو الشفاعة العظمى يوم
القيامة . وتفسيره في الحديث بالنهر
إنما هو من باب التمثيل .
والكوثر : قَوْلٌ من الكثرة ؛
مثل التوفل من الثقل ، ومعناه :
الشيء البالغ في الكثرة حدًّا
الإفراط ، والعرب تسمي كلَّ
شيء كثير في العدد ، أو كثير
القدر والخطر : كَوَثُرًا .

٢ - ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ أى
وإذا أعطاك الله ما لم يُعط أحدًا من
العالمين ، فقدم على جعل
صلاتك كلها لربك خالصًا لوجهه
دون ما سواه من الأنداد والآلهة ،
ونحرك البدن التي هي خيار
الأموال له تعالى دون الأوثان ؛
شكرًا له تعالى على ما أعطاك من
الكرامة ، وخصك به من الخير

البخل بهذه الأشياء القليلة
الحقيرة . والماعون : اسمُ
مفعول ؛ من أعان يُعين .
والعَوْن : هو الإمداد بالقوة
والآلات والأسباب الميسرة
للأمر . والله أعلم .

سُورَةُ الْكَوْثَرِ

وتسمى سورة النحر

وهي أقصر سورة في القرآن

١ - ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ﴾ امتنَّ
الله تعالى على رسوله صلى الله عليه
وسلم بإعطائه الكوثر ؛ أى
بتخصيصه به وبأتمته يوم القيامة .
وهو كما في صحيح البخارى : نهر
في الجنة . وقيل : هو حوضه
صلى الله عليه وسلم في المحشر .
وقيل : هو امتنان بإعطائه الخير
الكثير ، والتعمم الدنيوية
والآخروية من الفضائل
والفواضل . فيندرج في ذلك :
النهر والحوض ، والنبوة
والحكمة ، والقرآن وسائر

للعائر : دَعَّ دَعَّ ؛ كما يقال له :
لَعَا . ﴿ وَلَا يَخْضَرُ ﴾ أى ولا
يبحث أهله وغيرهم من
الموسرين . ﴿ عَلَى طَعَامِ
الْمَسْكِينِ ﴾ أى على بذل الطعام
إليه لشدة حرصه ؛ والذي لا
يبحث غيره على ذلك لا يطعمه في
العادة .

٤ ، ٧ - ﴿ قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴾ أى
فهلاك وعذاب لمن جمع هذه
الخلال الثلاث ، بعد ما ذكر من
دَعَّ اليتيم والبخل بإطعام المسكين
الاولى : السهو عن الصلاة ،
بمعنى الغفلة عنها ، وعدم المبالاة
بها ؛ وذلك بتركها أو بتأخيرها عن
أوقاتها ، أو بالإخلال بأركانها .
وعن ابن عباس : هم المنافقون ،
يتركون الصلاة إذا غابوا عن
الناس ، ويصلونها في العلانية إذا
حضروا معهم . وقيل : هم
الذين لا يرجون لها ثوابًا إن
صلّوا ، ولا يخافون عليها عقابًا إن
تركوا . والثانية : المراءاة بالأعمال
طلبًا للثناء والمدح . والثالثة :
ما أشير إليه بقوله تعالى :
﴿ وَيَمْتَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ أى يمتعون
عن الناس المعروف كله ، أو ما
يتعاورونه بينهم من أمتعة
البيوت ، كالمِلح والماء ، والقدر
والفسّاس ، والأواني ، ونحو
ذلك . وهو يختلف باختلاف
الزمان والمكان . ثم المنع يكون
محظورًا إذا استعير عن اضطرار ،
وقيحًا في المروءة إذا كان عن غير
اضطرار . والمراد : الرجز عن

سورة الكافرون

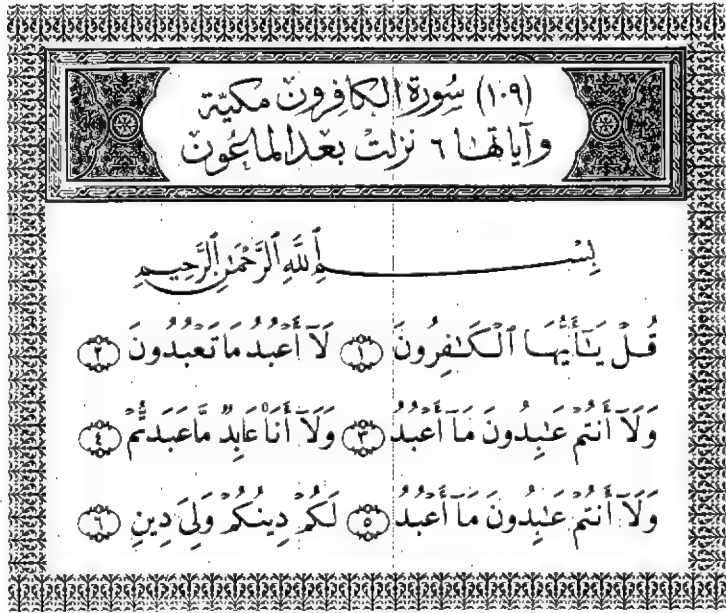
١ - ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾
خطابٌ لرهبطٍ من مشركي قريش ؛ طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يعبد آلهتهم سنة ، ويعبدوا إلهه سنة . فقال عليه الصلاة والسلام : (معاذ الله أن أشرك به غيره !) ثم نزلت السورة ؛ فغدا إلى المسجد الحرام وفيه الملا من قريش فقام صلى الله عليه وسلم على رؤوسهم فقرأها عليهم فآيسوا^(١) . وقد علم الله من أمرهم أنهم لا يؤمنون أبداً ؛ فأمره تعالى أن يقول لهم :

٢ - ﴿لَا أَعْبُدُ الْآلَآنَ مَا تَعْبُدُونَ﴾ من الأوثان والآله الباطلة .

٣ - ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ أَبَدًا﴾ ما أعبد دائماً وهو الإله الحق .

٤ - ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ أَبَدًا﴾ ما أعبد من هذه الأوثان .

٥ - ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ فيما يستقبل أبداً ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ فآياسهم من الذي طمعو فيه ، وأخبرهم أنه غير كائن منه في وقت من الأوقات . وآياس نبيه من الطمع في إيمانهم ؛ وقد تحقق ذلك بموت بعضهم على الكفر ، وقتل باقيهم يوم بدر . وللمفسرين أقوال كثيرة في تفسير هذه القرائن الأربع ؛ فهم من حمل الأوليين على الاستقبال ، والآخرتين على المضى أو على الحال ، ومنهم من



الكثير ؛ خلافاً لما يفعله من كفر بالله من عبادة غيره والنحر للأوثان . والمراد : النحر للنسك في يوم الأضحى . وعن ابن عباس تفسير «وانحر» : «استقبل القبلة في الصلاة بتحرك» . وروى تفسيرها بـ «ارفع» يدك إذا كبرت في الصلاة إلى تحرك الأثر .
٣ - ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ الشانئ : المبغض . يقال : شناه - كسمعه ومثعه - شئاً . ويئث - أبغضه . والأبتر في الأصل : مقطوع الذنب ، ثم أجري قطع العقب مجراه ؛ فقيل : فلان أبتر ، إذا لم يكن له عقب يخلفه . ورجل أبتر : أي انقطع ذكره عن الخير ؛ من البتر وهو القطع . يقال : بترت الشيء بتراً ، إذا قطعت قبل الإتمام والمعنى : أن مبغضك هو الأبتر المنقطع عن كل خير . أو الذي لا

يبقى له عقب ونسل ؛ ولا حسن ذكر . وأما أنت فتبقى ذريتك وحسن ذكرك ، وأثار فضلك إلى يوم القيامة . وقد حقق الله ذلك في شائيه صلى الله عليه وسلم . قيل : نزلت في العاص بن وائل ، سمي النبي صلى الله عليه وسلم أبتر حين مات أبوه القاسم ؛ وهو أول مولود له قبل النبوة في قول . وعمم شيخ الإسلام ابن تيمية كلاً من الشانئ والأبتر فقال : إنه سبحانه يئثر شائئ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل خير ؛ فيئثر أهله وماله ، ويئثر حياته فلا ينتفع بها ، ويئثر قلبه فلا يعي الخير ، ولا يؤهله لمعرفة تعالى ومحبه ، ويئثر أعماله فلا يستعمله في طاعته ، ويئثره من الأنصار فلا يجد له ناصرًا ، ويئثره من جميع القرب فلا يدوق لها طعماً ، ولا يجد لها حلاوة . والأولى التعميم . والله أعلم .

(١) أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم .

(١١٠) سُورَةُ النَّصْرِ نَزَلَتْ بِمَعْنَى وَجْهِهِ الْوَدَّاعِ
فَعَلَتْ مَلَانِيَتَهُ وَهِيَ آخِرُ مَا نَزَلَ مِنَ السُّورِ
وَأَيَاتُهَا ٣ نَزَلَتْ بَعْدَ التَّوْبَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ① وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ
فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ② فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ
إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ③

واشتغاله بذلك ، لَمَّا كَانَ مَانَعًا لَهُ
من اشتغاله بأمر الأمة كان كالتنبية
على أن أمر التبليغ قد تَمَّ وكَمُلَّ .
وذلك يقتضى قُرْبَ انقضاء
الأجل .

١ - ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ أى
إذا حصل عون الله لك وللمؤمنين
على أعدائك . ﴿ وَالْفَتْحُ ﴾ أى
فتوح مكة وغيرها من القرى
وصيرورتها بلاد إسلام .

٢ - ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ
فِي دِينِ اللَّهِ ﴾ أى فى ملة
الإسلام ، التى لا دينَ الله تعالى
يُضَافُ إِلَيْهِ غَيْرُهَا . ﴿ أَفْوَاجًا ﴾
جماعات كثيرة من غير قتال لا
أحاديًا كما كان قبل فتح مكة .

٣ - ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾
فترهه عملاً يليق به ، بكلِّ ذِكْرٍ
يدلُّ على التَّزْيِيهِ ، حامداً له على
أنَّ صدق وعده زيادةً فى عبادته
والثناء عليه لزيادة إنعامه عليك .
أو فصل له تعالى حامداً على

والدين : يُطْلَقُ عَلَى الْحَسَابِ
والجزاء . والآية على التفسيرين
محكمة غير منسوخة . وتفسيرها
بما لا تكون عليه منسوخة أولى ؛
لأن النسخ خلاف الظاهر ، ولا
يصار إليه إلا عند الضرورة ،
واقضاء الدليل إياه . والله أعلم .

سُورَةُ النَّصْرِ

وتسمى سورة التوديع

رَوَى أَنَّهُ حِينَ نَزَلَتْ قَالَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (نُبِيتُ إِلَى
نَفْسِي) (١) وَقَالَ فى خطبته : (إِنِّ
عَبْدًا خَيْرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ
لِقَائِهِ فَاخْتَارَ لِقَاءَ اللَّهِ تَعَالَى) فَقَالَ
أَبُو بَكْرٍ : قَدِينَاكَ بَأَنْفُسِنَا
وَأَمْوَالِنَا ! وَأَبَائِنَا وَأَوْلَادِنَا ! ! .
وفى ذكر حصول النَّصْرِ وَالْفَتْحِ
ودخول الناس فى الدين أفواجًا -
دليل على حصول الكمال والتمام -
وذلك يعقبه الزوال والتقصان -
كما أن أمره صلى الله عليه وسلم
بالتسبيح والحمد والاستغفار مطلقاً

حَمَلَ الْأَوَّلِينَ عَلَى الْمَضَى
وَالْآخِرِينَ عَلَى الْإِسْتِقْبَالِ . وَمِنْهُمْ
مَنْ جَعَلَ الْقَرِينَةَ الثَّلَاثَةَ الْمُنْفِيَّةَ
تَوْكِيدًا لِلأُولَى ، وَالرَّابِعَةَ تَوْكِيدًا
لِلثَّانِيَةِ . وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ . كَمَا
اخْتَلَفُوا فى (مَا) فى الْقَرِينَةِ الثَّانِيَةِ
وَالرَّابِعَةِ ؛ فَحَمَلُهَا بَعْضُهُمْ عَلَى
الصِّفَةِ . كَأَنَّهُ قِيلَ : وَلَا أَنْتُمْ
عَابِدُونَ مَا أَعْبَدَ مِنَ الْمَعْبُودِ الْعَظِيمِ
الشَّانَ الَّذِى لَا يُقَادَرُ قُدْرَتُهُ .
وَاخْتَارَ أَبُو مُسْلِمٍ : أَنَّهَا فى
الْقَرِينَتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ مَوْصُولَةٌ ، وَفى
الْآخِرَتَيْنِ مُصَدَّرِيَّةٌ ؛ أَيْ لَا أَعْبُدُ
الْمَعْبُودَ الَّذِى تَعْبُدُونَ ، وَلَا أَنْتُمْ
عَابِدُونَ الْمَعْبُودَ الَّذِى أَعْبُدُ ، وَلَا
أَنَا عَابِدٌ مِثْلَ عِبَادَتِكُمُ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى
الشَّرْكِ الْمَخْرُجِ لَهَا عَنْ كَوْنِهَا عِبَادَةً
حَقِيقَةً . وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مِثْلَ
عِبَادَتِي الْمَبْنِيَّةِ عَلَى التَّوْحِيدِ
وَالْإِخْلَاصِ . وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ .

٦ - ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ ﴾ وَهُوَ
الشَّرْكَ ؛ أَيْ هُوَ مَقْصُورٌ عَلَيْكُمْ ،
وَمَحَالٌّ أَنْ يَكُونَ لِي كَمَا تَطْمَعُونَ !
فَلَا تَعْلَقُوا أَمَانِيَكُمْ بِحَصُولِهِ مِنِّى !
وَهُوَ تَقْرِيرٌ لِلْقَرِينَتَيْنِ الْأُولَى
وَالثَّانِيَةِ . ﴿ وَلِىَ دِينِ ﴾ أى دِينِى
وَهُوَ التَّوْحِيدُ ؛ أَيْ هُوَ مَقْصُورٌ
عَلَيَّ . وَمَحَالٌّ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ ؛
لأنَّ اللَّهَ قَدْ خَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ .
وَعَلِمَ مِنْ سَوْءِ اسْتِعْدَادِكُمْ .
وَفَسَادِ فِطْرَتِكُمْ أَنْتُمْ لَا تَوْمِنُونَ .
وَهُوَ تَقْرِيرٌ لِلْقَرِينَتَيْنِ الثَّانِيَةِ
وَالرَّابِعَةِ . أَوْ لَكُمْ حِسَابُكُمْ أَوْ
جَزَاؤُكُمْ عَلَى عَمَلِكُمْ . وَلِىَ
حِسَابِى أَوْ جَزَائِى عَلَى عَمَلِى .

(١١١) سُورَةُ الْمَسَدِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَاتُهَا نَزَلَتْ بَعْدَ الْفَاجِئَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝^(١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا
كَسَبَ ۝^(٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝^(٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ
الْحَطَبِ ۝^(٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝^(٥)

وقريش فقال صلى الله عليه وسلم : (أرأيتم لو أخبرتمكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقني) ؟ قالوا : نعم ! ما جربنا عليك إلا صدقاً . قال : (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) . فقال أبو لهب ، تباً لك ! ألهذا دعوتنا ! وأخذ بيديه حجراً ليرميه عليه السلام به ؛ فنزلت السورة ^(٢) . وأبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب ، وذكر بكنيته لاشتهاره بها . أو لكرهه ذكر اسمه القبيح في التنزيل . وكان شديد المعادة والمناسبة له صلى الله عليه وسلم .

١ - ﴿ تَبَّتْ ﴾ هلكت أو خسرت ﴿ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ ، من التَّيَابَر بمعنى القطع المفضي إلى الهلاك وهو دعاء عليه بهلاكه كله . واليدان : كناية عن الذات والنفس ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ يَمَّا قَدَّمْتُ يَدَاكَ ﴾ ^(٣) وقولهم : أصابته يد الدهر ، ويد المنايا يريدون أصابه كل ذلك ﴿ وَتَبَّ ﴾ أى وقد تب وهلك فهو إخبار بحصول هلاكه بعد الدعاء عليه به ؛ كما يقال : أهلكه الله وقد هلك . ويؤيده قراءة « وَقَدْ تَبَّ » . وقد نزلت السورة قبل هلاكه ؛ فالتعير بالماضي لتحقيق الوقوع .

٢ - ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ لم ينفعه ماله الذي ورثه ولا ماله الذي كسبه بنفسه . أو لم ينفعه ماله الموروث . ولا الذي

﴿ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ كثير القبول لتوبة كثير من عباده التائبين . والجملة تعليل لما قبلها . وأخرج الإمام أحمد من حديث ابن عباس : (من أكثر من الاستغفار جعل الله تعالى له من كل هم فرجاً) . وأنا أقول كما قال العلامة الألوسي هنا : سبحان الله وبحمده ، استغفر الله تعالى وأتوب إليه . وأسأله أن يجعل لي من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، وسيد بحرمة كتابه الكريم ، وسيد أحبابه العظيم ، صلى الله عليه وسلم . والله أعلم .

سُورَةُ الْمَسَدِ

وتسمى سورة تَبَّتْ

رُوي أنه لما نزل (وانذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ^(١) رَفَى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا ، وجمع أقاربه فجاء أبو لهب

نعمه . و(إذا) منصوب به (سَبَّحَ) والفاء غير مانعة منه على ما عليه الجمهور . ﴿ وَاسْتَغْفِرُهُ ﴾ اطلب مغفرته . وأمره به لأنه صلى الله عليه وسلم كان دائم الترقى ؛ فإذا ترقى إلى مرتبة استغفر لما دونها . أو استغفاره مما هو خلاف الأولى في نظره الشريف . أو لتعليم أُمَّتِهِ أو بما كان يعرض له بمقتضى البشرية من الضجر والقلق عند إعراض قومه عنه ، وإبائهم السماع والقبول منه ، وإبطاء نصر الله له وللحق الذي جاء به . وقال القرطبي : إنه عليه الصلاة والسلام كان يستقصر نفسه لعظم ما أنعم الله به عليه ، ويرى قصوره عن القيام بحق ذلك ذنباً فيستغفر منها . وقبل : الاستغفار تعبد يجب إتيانه في ذاته لا للمغفرة ؛ فإنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

(١١٢) سُورَةُ الْإِخْلَاصِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا ٤ نَزَلَتْ بَعْدَ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ
يُولَدْ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝

والخطايا ؛ فاستعير الحطب للخطايا . لأن كلا منها مبدأ للإحراق .

٥ - ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾
الجيد : العنق . والمسد : ما مُسد . أى قُبْلَ قُبْلًا شديدًا من الحبال من ليف أو جلد . أو من لحاء شجر باليمن يسمّى المسد ؛ أى فى عنقها حبلٌ ممّا مُسد من الحبال . وهو تصويرٌ لها بصورة الخطابة التى تحمل الحزمة وتربطها فى عنقها بحبل ؛ تحقيرًا لها لضعف من ذلك هى وزوجها ، إذ كانا فى بيت العزة والشرف ، ومُنصب الثروة والجدة . ويحتمل أن يكون المعنى : أنها تكون فى جهنم على الصورة التى كانت عليها فى الدنيا ؛ حين كانت تحمل حزمة الشوك لتلقها فى طريقه صلى الله عليه وسلم إذا جاءه ؛ فلا تزال على ظهرها فى النار حزمة من حطب شجرة الزقوم . أو من الضريع . وفى جيدها حبلٌ ممّا مُسد من

سُورَةُ الْإِخْلَاصِ

١ - ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ سأل اليهود أو كفار مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصف ربّه الذى يدعو إلى الإخلاص فى عبادته ؛ كما قال فرعون لموسى : (وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ) (١) ؟ فنزلت السورة . أى الذى سألهم عنى عنه الله الموجود الحق ، الجامع لصفات الألوهية ، المنعوت بنعوت الربوبية ، المنفرد بالوجود الحقيقى . وهو (أحد) أى واحد فى الألوهية والربوبية ، وحدة كاملة ؛ فهو منزّه الذات عن أنحاء التركيب والتعدد خارجًا وذهنًا ، وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة فى الحقيقة والخواص . فليس مركبًا من

كسبه من الأرباح والمنافع والجاه والأتباع حين حلّ به الهلاك . أو لم يُفدّه ماله ولا الذى كسبه من عمله الخيىث ، وهو كيدّه فى معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم طلباً للجاه والعلو ، والظهور بين كفار قريش . ويجوز أن تكون (ما) الأولى استفهامية . و(ما) الثانية موصولة ، أو استفهامية ، أو مصدرية .

٣ ، ٤ - ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ . وامرأته ﴿سَيَدْخُلُ هُوَ وَامْرَأَتُهُ الْعَوْرَاءُ أُمٌ جَمِيلٌ بِنْتُ حَرْبٍ أَخْتُ أَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ - نَارًا ذَاتَ اشْتِعَالٍ وَتَوْقِدٍ عَظِيمٍ ، وَهِيَ نَارُ جَهَنَّمَ . حَمَالَةَ الْحَطَبِ﴾ منصوب على الذم . وكانت شديدة العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . تحمل بنفسها حزمة الشوك والحسك والسعدان فتشره بالليل فى طريقه صلى الله عليه وسلم لتؤذيه بذلك . وقرئ بالرفع صفة لـ «وامرأته» أو خبر مبتدأ محذوف ؛ أى هى حَمَالَة الحطب . وقيل : كانت تمشى بالنميمة ، وتلقى العداوة بين الناس ، وتوقد نارها كما يوقد النار الحطب . وهى من كبائر الذنوب ؛ فاستعير الحطب للنميمة . يقال : فلان يحطب بفلان . إذا كان يُغري به . وقيل : حمالة الخطايا والذنوب ؛ من قولهم : فلان يحطب على ظهره ؛ إذا كان يكتسب الآثام

(١١٣) سُورَةُ الْفَلَقِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا ٥ نَزَلَتْ بَعْدَ الْفِيلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ
غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾
وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

٤ - ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ لم يكن أحد من خلقه مكافئاً ولا مشاكلاً ولا نظيراً ، ولا شبيهاً له في ذاته وصفاته وأفعاله ، (ليس كمثله شيء) وهو السميع البصير . وفي الحديث الصحيح : (أن هذه السورة تعدل ثلث القرآن) . ومعناه على ما ذكره الإمام ابن شريح : أن القرآن أنزل على ثلاثة أقسام : ثلث منها الأحكام ، وثلث منها وعد ووعد ، وثلث منها الأسماء والصفات . وهذه السورة جمعت الأسماء والصفات . والله أعلم .

سُورَةُ الْفَلَقِ

وُسَمِيَ هِيَ وما بعدها بالمعوذتين
١ - ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ اعْتَصِمَ وَأَسْتَجِيرَ ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ أَيِ الصُّبْحِ . وَسُمِيَ فَلَقًا لِانْفِلَاقِ اللَّيْلِ وَانْشِقَاقِهِ عَنْهُ ، وَمِنْهُ (فَالِقُ الْإِصْبَاحِ) ^(١) أَيِ شَاقِ ظِلْمَةِ آخِرِ اللَّيْلِ عَنْ بَيَاضِ الصُّبْحِ ، وَمُخْرِجِهَا مِنْهَا كَمَا يُخْرِجُ الشَّامَ مِنْ إِهَابِهَا . وَيُطْلَقُ الْفَلَقُ عَلَى جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ ، لِأَنَّهُ تَعَالَى فَلَقَ عَنْهَا ظِلْمَةَ الْعَدَمِ فَأَخْرَجَهَا إِلَى نُورِ الْوُجُودِ .

٢ - ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أَيِ مَنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ ؛

الإرادي . والقصد الطبيعي ، والقصد بحسب الاستعداد الأصلي الثابت لجميع الماهيات ، إذ هي كلها متجهة إلى المبدئ تعالى في طلب كمالها منه عز وجل .

٣ - ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لم يصدر عنه وَلَدٌ ، لِأَنَّ الْوِلَادَةَ تَقْتَضِي انفصال مادة منه ، وذلك يقتضي التركيب المنفصل للأحادية والصمدية . أو لِأَنَّ الْوِلْدَ مِنْ جِنْسِ أَبِيهِ ، وَلَا يَجَانِسُهُ تَعَالَى أَحَدٌ ، لِأَنَّهُ وَاجِبٌ وَغَيْرُهُ مُمْكِنٌ . ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لم يصدر هو عن شيء ، لِاِقْتِضَاءِ الْمَوْلُودِيَّةِ الْمَادَّةِ فَيُلْزَمُ التَّرْكِيبُ الْمُنَافِي لِلْأَحَدِيَّةِ وَالصَّمْدِيَّةِ . أو لِاِقْتِضَائِهَا سَبْقَ الْعَدَمِ وَلَوْ بِالذَّاتِ . أو لِاِقْتِضَائِهَا الْمَجَانِسَةَ ، وَكُلُّ مِنْهُمَا مُسْتَحِيلٌ عَلَيْهِ تَعَالَى ؛ إِذْ هُوَ وَاجِبُ الْوُجُودِ لَا أَوَّلَ لَوْجُودِهِ ، وَلَا مَجَانِسَ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ .

جواهر مادية . ولا من أصلين . ولا من أصول غير مادية كما يزعم أهل الأديان الأخرى . ولا شريك له كما يزعم المشركون . فالضمير مبتدأ ، ولفظ الجلالة خبره . و (أحد) خبر بعد خبر . أو خبر مبتدأ محذوف تقديره : هو أحد ، بمعنى واحد ، على ما روي عن ابن عباس واختاره أبو عبيدة .

٢ - ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ أَيِ السَّيِّدِ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ أَحَدٌ ، الَّذِي يَصْمَدُ إِلَيْهِ الْخَلْقُ فِي الْحَوَائِجِ ، وَيَقْصِدُونَهُ فِي الْمَطَالِبِ . فَعَلَّ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ ، مِنْ صَمَدٍ إِلَيْهِ بِمَعْنَى قَصْدِهِ . أو هُوَ الْغَنِيُّ الْمَطْلُوقُ . الَّذِي لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ وَيَحْتَاجُ إِلَيْهِ كُلُّ أَحَدٍ . وَتَعْرِيفُهُ بِاللَّامِ لِإِفَادَةِ الْحَصْرِ فِي الْوَاقِعِ وَنَفْسِ الْأَمْرِ . فَإِنَّ قَصْدَ الْخَلْقِ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ أَعَمُّ مِنَ الْقَصْدِ

والبُغْض ، والتفرقة بين المرء وزوجه ، وفي الأبدان بالآلم والسقم .

٥ - ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾
أى إذا أظهر ما فى نفسه من الحسد ؛ بترتيب مقدّمات الشر ، ومبادئ الإضرار بالمحسود قولاً أو فعلاً . والحسد : حقيقة واقعة ، وأثره لاشك فيه . وأصله : أنفعال نفس الحاسد عند رؤية نعمة على المحسود انفعالاً شريئاً يدفعه إلى مباشرة أسباب المضرة ، سواء أكان ذلك فى حضور المحسود أم فى غيبته . وذكر العلامة الآلوسى : أن الحاسد إذا وجه نفسه الخبيثة نحو المحسود على وجه الغضب تتكيف نفسه بكيفية خبيثة . ربما تؤثر فى المحسود بحسب ضعفه وقوة نفس الحاسد ، وقد تصل إلى حد الإهلاك . والحسد من الكبائر ، وهو أول ذنب عُصِيَ الله به فى السماء . وأول ذنب عُصِيَ به فى الأرض ؛ فحسد إبليس آدم ، وحسد قاييل هابيل . وفى الحديث الصحيح : (لا تحاسدوا) والنهى عنه نهى عن مباشرة أسبابه ومبادئه ، ومتابعة النفس وطواغيتها فيه ، وتوجيهها إليه وإلى المحسود . وقانا الله شره . والله أعلم .

استعانوا على تأثير فعلهم بنفث يمازجه بعض أجزاء انفسهم الخبيثة ؛ أى أعوذ بالله من شر هؤلاء المفسدين . وقيل النفاثات : جمع نفّاثة ؛ كعلامة ونسابة ، يستعمل للمذكر والمؤنث . والعقد : جمع عقدة ؛ من العقد ضد الحل . وهى اسم لكل ما رُبط وأُحْكِم رُبطه . أى أعوذ به تعالى من شر النفوس المفسدة التى تسعى بين الناس لإفساد ذات بينهم ؛ كما يفعل أولئك السحرة الذين ينفثون للتفريق بين المرء وزوجه ؛ وهم أخبث الناس نفوساً ، وشرهم عملاً . وجمهور العلماء على إثبات السحر ، وأنه حقيقة واقعة ، وسبب عايد للتأثير فى المسحور . وقد عُرف قديماً فى بابل ومصر ، وورد ذكره فى آيات كثيرة من القرآن [راجع ما قدمناه فى تفسير آية ١٠٢ من سورة البقرة] . وقال القرطبى فى شرح صحيح مسلم : دل القرآن فى غير ما آية . والسنة فى غير ما حديث : على أن السحر موجود ، وله أثر فى المسحور . وهو حيل صناعية - يتوصل إليها بالاكْتِسَاب ؛ غير أنها لدقتها لا يتوصل إليها أحاد الناس . وأكثره تخيلات بغير حقيقة ؛ كعلم السيمياء - وهو ما يفعله المشعوذون - فيعظم عند من لا يعرف ذلك . ولبعض أصناف السحر تأثير فى القلوب كالحب

فلا عاصم من شرّها إلاّ الربّ سبحانه ، الذى هو المالك لها . والمدبر لأمرها ، والقابض على ناصيتها ، والقادر على تغيير أحوالها وتبديل شؤونها . ويتدرج فى الشر المستعاذ منه شر الذنوب ، وشر النفوس ، وشر الهوى ، وشر النيات والأعمال .

٣ - ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾
أى وأعوذ به تعالى من شر الليل إذا دخل ظلامه فى كل شيء ؛ لأن حدوث الشر فيه أكثر ، والتحرّز منه أصعب وأعسر . والغاسق : الليل إذا اعتكر ظلامه . وأصل الغسق : الإمتلاء . يقال : غَسَقَتِ العين ، إذا امتلأت دمعاً . أو السيلان . يقال : غَسَقَتِ السماء انصبّت . وغَسَقَ الليل : انصباب ظلامه . والوقوف : الدخول . وأصل الوقب : الثفرة والحفرة ؛ ثم استعمل فى الدخول . وقيل : الغاسق القمر إذا امتلأ نوراً . ووقوبه : دخوله فى الخسوف واسوداده ، أو مجاقفه فى آخر الشهر ؛ والإشتقاق اللغوى لا ياباه .

٤ - ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فى الْعُقَدِ﴾
النفث : شبيه بالنفخ . وقيل : هو النفخ مع ريق قليل . والنفاثات : النفوس أو الجماعات السواجر اللآتي يعقدن عقداً فى خيوط وينفثن عليها ويرقين . قال ابن القيم : إنهم إذا سحروا

(١١٤) سُورَةُ النَّاسِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا ٦ نَزَلَتْ بَعْدَ الْفَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾
إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾
الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْخِنَّةِ
وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

سُورَةُ النَّاسِ

١ : ٣ - ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ التَّحْنِ
وَأَسْتَجِيرُ ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾ رَبِّهِمْ
وَمُصْلِحُ أُمُورِهِمْ ﴿مَلِكِ
النَّاسِ﴾ مَالِكُهُمْ مَلِكًا تَامًا ،
وَالْمُتَصَرِّفُ فِيهِمْ تَصَرُّفًا كَامِلًا ،
مُلُوكًا وَعَبِيدًا . ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾
مَعْبُودُهُمْ ، الْقَادِرُ قُدْرَةً تَامَةً عَلَى
التَّصَرُّفِ الْكَامِلِ فِيهِمْ إِيجَادًا
وَإِعْدَامًا ، الْمُتَصَفِّ بِمَجْمِيعِ
صِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ ،
وَأَضْيَفُ الرَّبِّ إِلَى النَّاسِ خَاصَّةً ،
وَإِنْ كَانَ تَعَالَى رَبًّا لِمَجْمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ
تَشْرِيفًا لَهُمْ ، وَلَآنَ الْإِسْتِعَاذَةَ
وَقَعْتَ مِنْ شَرِّ الْمَوْسُوسِ فِي صُدُورِ
النَّاسِ . فَكَأَنَّهُ قِيلَ : أَعُوذُ مِنْ شَرِّ
الْمَوْسُوسِ إِلَى النَّاسِ ، بِرَبِّهِمْ ،
الْمَالِكِ لِأُمُورِهِمْ ، الَّذِي هُوَ إِلَهُهُمْ
وَمَعْبُودُهُمْ .

(١) آية ١١٢ الأنعام .

قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا
لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ
وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ
زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا) (١) . وَعَنْ
عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا
أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ
ثُمَّ يَنْفُثُ فِيهَا فَيَقْرَأُ : (قُلْ هُوَ اللَّهُ
أَحَدٌ) وَ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ)
وَ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) . ثُمَّ يَمْسَحُ
بِهَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ ، يَبْدَأُ
بِهَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ
جَسَدِهِ . يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ
مَرَّاتٍ . وَنَحْمُ الْقَوْلَ بِمَا رُوِيَ عَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ
قِيلَ : يَارَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ الْأَعْمَالِ
أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ؟ قَالَ :
(الْحَالُ الْمُرْتَحِلُ) . قِيلَ : وَمَا
الْحَالُ الْمُرْتَحِلُ ؟ قَالَ : (الَّذِي
يَضْرِبُ مِنْ أَوَّلِ الْقُرْآنِ إِلَى آخِرِهِ
كَلِمًا حَلًّا أُرْتَحِلُ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ .
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِمَرَادِهِ وَأَسْرَارِ
كِتَابِهِ . رَبَّنَا لَا تَوَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ
أَخْطَأْنَا . رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا
الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ، وَلَا تَجْعَلْ
فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا . رَبَّنَا
إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ . وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ،
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَمَنْ دَعَا
بِدَعْوَتِهِ وَقَامَ بِشَرِّ سُنَّتِهِ إِلَى يَوْمِ
الَّذِينَ .

٤ - ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ أَيِ
الشَّيْطَانِ الْمَوْسُوسِ .
﴿الْخَنَّاسِ﴾ الَّذِي يَخْتَسِ ،
أَيِ يَتَأَخَّرُ إِذَا تَقَيَّظَ لَهُ الْإِنْسَانُ
وَاسْتَعَانَ عَلَيْهِ بِاللَّهِ تَعَالَى .
٥ - ﴿الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ
النَّاسِ﴾ يُثْلِقُ فِيهَا فِي خُفْيَةٍ مَا
يُضِلُّهَا عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ ، وَيَكُونُ
سَبَبَ شَقَائِهَا .
٦ - ﴿مِنَ الْخِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ بَيَانٌ
لِلشَّيْطَانِ الَّذِي يُوسْوِسُ لِلْإِنْسَانِ .
وَأَنَّهُ كَمَا يَكُونُ مِنَ الْجِنِّ يَكُونُ مِنَ
الْإِنْسِ ، وَكُلٌّ مِنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ
مِنْهُمَا يُقَالُ لَهُ شَيْطَانٌ . إِذَا هُوَ لَعَنَ
كُلَّ عَمَلٍ مَتَّعِدٍّ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ
وَالدُّوَابِّ . وَعَنْ قَتَادَةَ : أَنَّ مِنَ
الْجِنِّ شَيَاطِينَ ، وَمِنْ الْإِنْسِ
شَيَاطِينَ ، فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَيَاطِينِ
الْإِنْسِ وَالْجِنِّ . وَيُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ

هذا ، وقد أتمَّ الله تعالى النعمة ، وأعظمَ المِنَّةَ ، بالتوفيق لإتمام هذا التفسير في صبيحة يوم السبت السادس من شهر ربيع الأول من سنة ١٣٧٥ (ألف وثلاثمائة وخمسة وسبعين هجرية .) الموافق للثاني والعشرين من شهر أكتوبر سنة ١٩٥٥ (ألف وتسعمائة وخمسة وخمسين ميلادية) بالقاهرة .

على يد جامعه الفقير إلى الله تعالى : حسين محمد مخلوف العدوي الأزهرى ، مفتى الديار المصرية السابق ، وعضو جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف ، ورئيس لجنة الفتوى به ؛ عفا الله عنه بمتنه وكرمه .

ابن العلامة المحقق شيخ الشيوخ بالأزهر : الشيخ محمد حسين مخلوف العدوي المالكي . ابن العلامة الشيخ حسين محمد علي مخلوف العدوي المالكي الأزهرى ، رحمهما الله تعالى .

التعريف بهذا المصحف الشريف

كُتِبَ هذا المصحفُ وضبط على ما يوافق روايةَ حَقِصِ
أَبْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْأَسَدِيِّ الْكُوفِيِّ لِقِرَاءَةِ عَاصِمِ بْنِ
أَبِي النَّجُودِ الْكُوفِيِّ النَّبَيعِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
حَبِيبِ السُّلَمِيِّ عَنْ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَعَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَزَيْدِ
أَبْنِ ثَابِتٍ وَأَبِي بَكْرٍ بْنِ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَأُخِذَ بِهَاجُوهُ مِمَّا رَوَاهُ عُلَمَاءُ الرَّسْمِ عَنِ الْمَصَاحِفِ الَّتِي
بَعَثَ بِهَا عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ وَالشَّامِ وَمَكَّةَ
وَالْمَصْحَفِ الَّذِي جَعَلَهُ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْمَصْحَفِ الَّذِي
اخْتَصَّ بِهِ نَفْسَهُ، وَعَنِ الْمَصَاحِفِ الْمُنَسَّخَةِ مِنْهَا .

أَمَّا الْأَحْرُفُ الْبَسِيرَةُ الَّتِي اخْتَلَفَتْ فِيهَا أَهْلِيَّةُ تِلْكَ
الْمَصَاحِفِ فَأَتَّبِعَ فِيهَا الْهَجَاءَ الْغَالِبَ مَعَ مِرَاعَاةِ قِرَاءَةِ الْقَارِئِ
الَّذِي يُكْتَبُ الْمَصْحَفُ لِبَيَانِ قِرَاءَتِهِ، وَمِرَاعَاةِ الْقَوَاعِدِ الَّتِي
اسْتَنْبَطَهَا عُلَمَاءُ الرَّسْمِ مِنَ الْأَهْلِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ عَلَى حَسَبِ مَا رَوَاهُ
الْشَيْخَانُ : أَبُو عَمْرٍو الدَّانِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ سُلَيْمَانُ بْنُ نَجَّاحٍ مَعَ
تَرْجِيحِ الثَّانِي عِنْدَ الْاِخْتِلَافِ .

وَعَلَى الْجُمْلَةِ كُلِّ حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ هَذَا الْمَصْحَفِ مُوَافِقٌ
لنظيره في مصحف من المصاحف الستة السابق ذكرها .

والعمدة في بيان كل ذلك على ما حققه الأستاذ محمد
ابن محمد الأموى الشريشى المشهور بالحرّاز في منظومته
”مؤرد الظمان“ وما قرره شارحها المحقق الشيخ عبد الواحد
ابن عاشر الأنصارى الأندلسى .

وأخذت طريقة ضبطه مما قرره علماء الضبط على حسب
ما ورد في كتاب ”الطراز على ضبط الحرّاز“ للإمام التنسى
مع إبدال علامات الأندلسيين والمغاربة بعلامات الخليل
ابن أحمد وأتباعه من المشاركة .

وأتيحت في عد آياته طريقة الكوفيين عن أبى عبد الرحمن
عبد الله بن حبيب السلمى عن على بن أبى طالب على حسب
ما ورد في كتاب ”ناظمة الزهر“ للإمام الشاطبى وشرحها
لأبى عبيد رضوان المخلّاتى . و”كتاب أبى القاسم عمر بن محمد
ابن عبد الكافى“ و”كتاب تحقيق البيان“ للأستاذ الشيخ
محمد المتولى شيخ القراء بالديار المصرية سابقا . وآمى القراء
على طريقته ٦٢٣٦

وأخذ بيان أوائل أجزائه الثلاثين وأجزائه الستين وأربعها
من كتاب ”غيث النفع“ للعلامة السفاقيسى و”ناظمة الزهر
وشرحها“ و”تحقيق البيان“ و”إرشاد القراء والكاتبين“
لأبى عبيد رضوان المخلّاتى .

وَأَخَذَ بَيَانَ مَكِّيَّهِ وَمَدَنِيَّهِ مِنَ الْكُتُبِ الْمَذْكُورَةِ،
و"كُتُبُ أَبِي الْقَاسِمِ عَمْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْكَافِي"،
و"كُتُبُ الْقُرَآتِ وَالتَّفْسِيرِ" عَلَى خِلَافٍ فِي بَعْضِهَا .

وَأَخَذَ بَيَانَ وَقُوفِهِ وَعِلَامَاتِهَا مِمَّا قَرَّرَهُ الْأُسْتَاذُ (مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ
ابْنِ خَلْفٍ الْحُسَيْنِيِّ) شَيْخُ الْمَقَارِيءِ الْمِصْرِيَّةِ عَلَى حَسَبِ
مَا اقْتَضَتْهُ الْمَعَانِي الَّتِي تُرْشِدُ إِلَيْهَا أَقْوَالُ أُمَّةِ التَّفْسِيرِ .

وَأَخَذَ بَيَانَ السَّجَدَاتِ وَمَوَاضِعِهَا مِنْ كُتُبِ الْفُقَهَاءِ
فِي الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ .

وَأَخَذَ بَيَانَ السَّكَنَاتِ الْوَاجِبَةِ عِنْدَ حِفْصِ مِنْ "الشَّاطِئَةِ
وَشَرَّاحِهَا" وَالتَّلَقَّى مِنْ أَفْوَاهِ الْمَشَائِخِ .

اصْطِلَاحَاتُ الضَّبْطِ

وَضَعُ الصِّفْرَ الْمُسْتَدِيرَ فَوْقَ حَرْفِ عِلَّةٍ يَدُلُّ عَلَى زِيَادَةِ
ذَلِكَ الْحَرْفِ فَلَا يُنْطَقُ بِهِ فِي الْوَصْلِ وَلَا فِي الْوَقْفِ، نَحْوُ:
قَالُوا . يَتْلُوا صُحُفًا . لَا أَذْبَحْنَهُ . وَنَمُودًا قَبْلَ أَتَقَى .
إِنَّا أَعَدَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا . أُولَئِكَ . أُولُوا الْعِلْمِ .
مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ . بَنِينَهَا بِأَيْتِيدِ .

وَوَضَعَ الصِّفْرَ الْمُسْتَطِيلَ الْقَائِمَ فَوْقَ أَلِفٍ بَعْدَهَا مُتَحَرِّكٍ

يدُلُّ على زيادتها وصلًا لا وقفًا ، نحو : أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ .
لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي . وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ .
كَانَتْ قَوَارِيرًا قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ . وَأَهْلَتْ الْأَلْفَ
التي بعدها ساكن ، نحو : أَنَا النَّذِيرُ من وضع الصفر
المستطيل فوقها وإن كان حكمها مثل التي بعدها متحرك
في أنها تسقط وصلًا وتثبت وقفًا لعدم توهم ثبوتها وصلًا .
ووضع رأس خاء صغيرة (بدون نقطة) فوق أي حرف
يدُلُّ على سكون ذلك الحرف وعلى أنه مظهر بحيث يقرعه
اللسان ، نحو : مِنْ خَيْرٍ . وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ . بِعَبْدِهِ . قَدْ سَمِعَ .
فَقَدْ ضَلَّ . نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ . أَوْعَظْتَ . وَخُضِّمَتْ .
وَمَا ذَرَاغَتْ .

وتعريف الحرف من علامة السكون مع تشديد الحرف
التالي يدُلُّ على إدغام الأول في الثاني إدغامًا كاملاً ، نحو :
أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ . يَلْهَثُ ذَلِكَ . وَقَالَتْ طَائِفَةٌ :
وَمَنْ يُكْرِهْن . أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ .

وتعريفه مع عدم تشديد التالي يدُلُّ على إخفاء الأول
عند الثاني فلا هو مظهر حتى يقرعه اللسان ولا هو مدغم
حتى يُقلب من جنس تاليه ، نحو : مِنْ تَحْتِهَا . مِنْ مَمْرَةٍ .
إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ . أَوْ إدغامه فيه إدغامًا ناقصًا ، نحو :
مَنْ يَقُولُ . مِنْ وَإِل . فَرَطْتُمْ . بَسَطْتَ .

وَوَضَعَ مِيمَ صَغِيرَةٍ بَدَلَ الْحَرَكَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْمُنُونِ أَوْ فَوْقَ
النُّونِ السَّاكِنَةِ بَدَلَ السَّكُونِ مَعَ عَدَمِ تَشْدِيدِ الْبَاءِ التَّالِيَةِ يَدُلُّ
عَلَى قَلْبِ التَّنْوِينِ أَوِ النَّونِ مِيمًا، نَحْوُ: عَلِيمٌ ذَاتِ الصُّدُورِ .
جَزَاءً بِمَا كَانُوا . كِرَامٍ بَرَّةٍ . مِنْ بَعْدِ . مُبَشَّا .

وتركيب الحركتين : (ضمتين أو فتحتين أو كسرتين)
هكذا ١ ٢ ٣ يَدُلُّ عَلَى إِظْهَارِ التَّنْوِينِ ، نَحْوُ : سَمِيعٌ
عَلِيمٌ . وَلَا شَرَابًا إِلَّا . لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ .

ونتابعهما هكذا ١ ٢ ٣ مَعَ تَشْدِيدِ التَّالِيِ يَدُلُّ عَلَى
إِدْغَامِهِ ، نَحْوُ: خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ . غُفُورًا رَحِيمًا . وَجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ .

ونتابعهما مَعَ عَدَمِ التَّشْدِيدِ يَدُلُّ عَلَى الْإِخْفَاءِ ، نَحْوُ :
شِهَابٌ ثَاقِبٌ . سِرَاعًا ذَلِكَ . بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ .
أَوِ الْإِدْغَامِ النَّاخِصِ ، نَحْوُ: وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ . رَحِيمٌ وَدُودٌ .
فتركيب الحركتين بمنزلة وضع السكون على الحرف .
ونتابعهما بمنزلة تعريته عنه .

والحروف الصغيرة تدل على أعيان الحروف المتروكة
في المصاحف العثمانية مع وجوب النطق بها، نحو: ذَلِكَ
الْكِتَابُ . دَاوُدَ . يَلُودُنَ السِّنْتَهُمُ . يُحْيِي وَيُمِيتُ .
أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا . إِنَّ وَلِيَّيَ اللَّهِ . إِلَى الْخَوَارِجِ .

إِلَيْنِهِمْ رَحْلَةَ الشَّاءِ . إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا . كِتَابُهُ
بِمِيزَانِهِ قَيِّمٌ . وَكَذَلِكَ نُتَجَّى الْمُؤْمِنِينَ .

وكان علماء الضبط يُلْحَقُونَ هذه الأحرف حمراء بقدر
حروف الكتابة الأصلية ولكن تَعَسَّرَ ذلك في المطابع فاكْتَفَى
بتصغيرها في الدلالة على المقصود .

وإذا كان الحرفُ المتروكُ له بدلٌ في الكتابة الأصلية عُولِ
في النطق على الحرف الملتحق لاعلى البدل ، نحو : أَصْلَاوَةٌ .
كَمَشْكُورَةٍ . الرِّبَا . مَوْلَاهُ . الثَّوْرَةِ . وَإِذْ أَسْتَقَى مُوسَى
لِقَوْمِهِ . لَقَدْ رَأَى ، ونحو : وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ .
فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً . فإن وضعت السين تحت الصاد دلَّ
على أن النطق بالصاد أشهر ، نحو : الْمَصِيطُرُونَ .

ووضع هذه العلامة (-) فوق الحرف يدل على لزوم مدّه
مدًّا زائدًا على المد الأصلي الطبيعي ، نحو : آَلَمَ . الطَّامَّةُ .
قُرُوءُ . سَيِّءٌ . شَفَعْتُمْ . تَأْوِيلُهُ . إِلَّا اللَّهُ .
لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ . بِمَا أُنْزَلَ . على تفصيل يُعَلِّمُ من
فن التجويد . ولا تستعمل هذه العلامة للدلالة على ألف
محذوفة بعد ألف مكتوبة مثل آمنوا كما وُضِعَ غلطًا في كثير
من المصاحف بل تكتب آمنوا بهجرة وألف بعدها .

والدائرة المحلاة التي في جوفها رقم تدل بهيتها على انتهاء الآية
ورقمها على عدد تلك الآية في السورة ، نحو : إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ

الْكَوْثَرُ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾
ولا يجوز وضعها قبل الآية البتة . فذلك لا توجد في أوائل
السُّور، وتُوجد دائماً في أواخرها .

وتدل هذه العلامة (*) على ابتداء رُبْع الحزب . وإذا
كان أول الربع أول سورة فلا توضع .

ووضعُ خَطِّ أَفْقِي فوق كلمة يدل على مُوجبِ السَّجدة ،
ووضع هذه العلامة ﴿٥﴾ بعد كلمة يدل على موضع السجدة ،
نحو : وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ ذَابِقٍ
وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٦﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٧﴾

ووضعُ النقطة الخالية الوسط المعينة الشكل تحت الراء
في قوله تعالى : بِسْمِ اللَّهِ يَجْرَسُهَا يَدُلُّ على إمالة الفتحة إلى
الكسرة، وإمالة الألف إلى الياء . وكان الثَّقَاتُ يضعونها دائرة
حمراء فلما تعسر ذلك في المطابع عُدِلَ إلى الشكل المعين .

ووضع النقطة المذكورة فوق آخر الميم قُبَيْلَ النون المشددة
من قوله تعالى : مَالِكٌ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ يَدُلُّ على
الاشتمام (وهو ضم الشفتين) كمن يريد النطق بضمة إشارة

إلى أن الحركة المحذوفة ضمة (من غير أن يظهر لذلك أثر في النطق) .

ووضع نقطة مدوّرة مسدودة الوسط فوق الهمزة الثانية من قوله تعالى : أَأَنْجِمِي وَعَرِّبِي ^١ يدل على تسهيلها بين يَنَ أى بين الهمزة والألف .

علامات الوقف

أ علامه الوقف اللازم، نحو : إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ .

ب علامه الوقف المنوع، نحو : الَّذِينَ نَتَوَقَّعُهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَذْخُلُوا الْجَنَّةَ .

ج علامه الوقف الجائز جوازا مستوي الطرفين، نحو : نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ .

د علامه الوقف الجائز مع كون الوصل أولى، نحو : وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

ه علامه الوقف الجائز مع كون الوقف أولى، نحو : قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِبَتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ .

١٠. علامة تعائق الوقف بحيث إذا وقف على أحد

الموضعين لا يصح الوقف على الآخر ، نحو : ذَلِكَ

الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ .

في ١٠ ربيع الثاني ١٣٣٧ هجرية

حفي بك ناصف
المفتش الأول للغة العربية
بوزارة المعارف (كان)

محمد علي خلف الحسيني
شيخ المقارئ المصرية

أحمد الإسكندري
المدرس بمدرسة المعلمين
الناصرية

مصطفى عتاني
المدرس بمدرسة المعلمين
الناصرية

هذه الطبعة الثانية من صفوة البيان لمعاني القرآن المتوج بالقرآن الكريم

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه إخراج تفسير «صفوة البيان» الذي قامت بطابعته اللجنة الوطنية لتنظيم الاحتفالات بمقدم القرن الخامس عشر الهجري في دولة الامارات العربية المتحدة في شهر ربيع الأول من عام ١٤٠٢ هـ الموافق يناير ١٩٨٢ م .
وذلك بعد أن تفضل سماحة المفسر الأستاذ الشيخ حسين محمد مخلوف بالموافقة على إعادة طباعته بهذا النسق البديع .

هذا وقد روعي في هذه الطبعة أن تكون متميزة بما يأتي :

- ١ - تمّ اعتماد النصّ القرآني العظيم نقلاً عن « نموذج » المصحف الشريف لدار الشروق المصحح والمعتمد من لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف مبيّناً فيه الأجزاء والأحزاب والأرباع وآيات السجدة في إطار زخرفي جميل .
 - ٢ - تمّ تنسيق طباعة التفسير وفقاً لوجود الآيات بأعلى الصّفحة ، وإيراد تفسيرها على مساحة الهامش في بقية الصّفحة ، مصحوباً بأرقام الآيات المفسّرة ، وذلك ليسهل على التّالي المتابعة المنتظمة لتفسير الآيات التي يتلوها .
 - ٣ - كتبت الآيات التي في ثانيا الشرح بالرسم الإملائي مع الضبط والتشكيل والإشارة إلى اسم السورة ورقم الآية اكتفاء بورود آيات النصّ القرآني التي في أعلى الصّفحة مكتوبة بالرسم العثماني .
 - ٤ - تمّ إخراج هذا التفسير في مجلد واحد ليكون سهل المحمل جامعاً للفائدة وافياً بالغرض .
 - ٥ - تمّ استكمال تفسير بعض الآيات التي لم يرد تفسيرها بالطبعة الأولى وذلك من كتاب « كلمات القرآن » لفضيلة المفسر الشيخ حسين محمد مخلوف .
 - ٦ - قام فضيلة الشيخ محمد سليمان فرج ، من علماء الأزهر الشريف بتخريج الأحاديث النبوية الشريفة التي أوردها فضيلة المفسر في ثانيا التفسير .
 - ٧ - شارك في التصويرات الطباعية على التفسير - السيد / صلاح حجازي - بديوان رئيس الدولة .
 - ٨ - التدقيق العام والإشراف الفني - الأستاذ سعد غزال ، خبير الإعلام والثقافة ، وعضو اللجنة الوطنية للقرن الهجري الخامس عشر .
 - ٩ - الإشراف العام - الأستاذ أحمد ناصر النعيمي ، مدير المكتبات والعلاقات الثقافية بجامعة الإمارات ، ورئيس لجنة الإشراف والمتابعة لبرامج القرن الهجري الخامس عشر .
- والحمد لله الذي بنعمته تمّ الصالحات ، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه .

فهرس السور

رقم الصفحة	اسم السورة	رقم الصفحة	اسم السورة
٢	سورة الفاتحة	٥٠٨	سورة الروم
٤	سورة البقرة	٥١٦	سورة لقمان
٧١	سورة آل عمران	٥٢١	سورة النجدة
١٠٥	سورة النساء	٥٢٥	سورة الأحزاب
١٤١	سورة المائدة	٥٣٩	سورة سبا
١٦٨	سورة الأنعام	٥٤٩	سورة فاطر
١٩٩	سورة الأعراف	٥٥٦	سورة يس
٢٣٣	سورة الأنفال	٥٦٤	سورة الصافات
٢٤٧	سورة التوبة	٥٧٥	سورة ص
٢٧٠	سورة يونس	٥٨٣	سورة الزمر
٢٨٥	سورة هود	٥٩٤	سورة غافر
٣٠٢	سورة يوسف	٦٠٤	سورة فصلت
٣١٨	سورة الرعد	٦١١	سورة الشورى
٣٢٧	سورة إبراهيم	٦٢٠	سورة الزخرف
٣٣٣	سورة الحجر	٦٢٩	سورة الدخان
٣٤٢	سورة النحل	٦٣٣	سورة الجاثية
٣٥٨	سورة الإبراء	٦٣٧	سورة الأحقاف
٣٧٥	سورة الكهف	٦٤٣	سورة محمد
٣٨٩	سورة مريم	٦٥٠	سورة الفتح
٣٩٨	سورة طه	٦٥٦	سورة الحجرات
٤١١	سورة الأنبياء	٦٦٠	سورة ق
٤٢٣	سورة الحج	٦٦٥	سورة الذاريات
٤٣٥	سورة المؤمنون	٦٧٠	سورة الطور
٤٤٥	سورة النور	٦٧٤	سورة النجم
٤٦٠	سورة الفرقان	٦٨١	سورة القمر
٤٦٩	سورة الشعراء	٦٨٦	سورة الرحمن
٤٧٩	سورة النمل	٦٩٢	سورة الواقعة
٤٩٠	سورة القصص	٧٠٠	سورة الحديد
٥٠١	سورة العنكبوت	٧٠٦	سورة المجادلة

رقم الصفحة	اسم السورة	رقم الصفحة	اسم السورة
٧١٠	سورة الحشر	٧٩٨	سورة الأعلى
٧١٦	سورة الممتحنة	٨٠٠	سورة العاشية
٧٢٠	سورة الصف	٨٠٢	سورة الفجر
٧٢٢	سورة الجمعة	٨٠٥	سورة البلد
٧٢٤	سورة المنافقون	٨٠٧	سورة الشمس
٧٢٦	سورة الثَّانِي	٨٠٩	سورة الليل
٧٢٩	سورة الطلاق	٨١٠	سورة الضحى
٧٣١	سورة التَّحْرِيم	٨١٢	سورة الشَّرح
٧٣٤	سورة المُلْك	٨١٣	سورة التين
٧٣٨	سورة القلم	٨١٤	سورة المَلِك
٧٤٣	سورة الحَاقَّة	٨١٦	سورة القَدَر
٧٤٦	سورة المَعَارِج	٨١٧	سورة البَيِّنَة
٧٤٩	سورة نوح	٨١٩	سورة الرِّزْقَة
٧٥٢	سورة الجن	٨٢٠	سورة العَادِيَات
٧٥٦	سورة المَزْمَل	٨٢١	سورة القَارِعَة
٧٦٠	سورة المُلْدُّر	٨٢٢	سورة التَّكْوِيْن
٧٦٣	سورة القيامة	٨٢٣	سورة النَّصْر
٧٦٧	سورة الإنسان	٨٢٣	سورة الهُمَزَة
٧٧١	سورة المُرْسَلَات	٨٢٤	سورة القِيل
٧٧٤	سورة النَّبَا	٨٢٥	سورة مُرْيَش
٧٧٨	سورة النَّازِعَات	٨٢٦	سورة المَاعُون
٧٨٢	سورة عَبَسَ	٨٢٧	سورة الكَوْثَر
٧٨٥	سورة التَّكْوِيْر	٨٢٨	سورة الكَافِرُون
٧٨٨	سورة الْإِنْفِطَار	٨٢٩	سورة النَّصْر
٧٩٠	سورة الْمُطَفِّفِيْنَ	٨٣٠	سورة الْمَد
٧٩٣	سورة الْإِنْشِقَاق	٨٣١	سورة الْإِخْلَاص
٧٩٤	سورة الْبُرُوج	٨٣٢	سورة الْفَلَق
٧٩٦	سورة الطَّارِق	٨٣٤	سورة النَّاس

بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَمَعُونَتِهِ
تَمَّ طَبْعُ هَذَا الْمُصْحَفِ الشَّرِيفِ
عَلَى مَطْبَاعِ الشُّرُوقِ
١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م